موسوعة

الذخائر العظام

في ما أُثِرَ عن الإمام الهمام الشهيد عبدالله عـــزام

المجلـــد الثاني

نشر وإعداد :
مركز الشهيد عزام الإعلامي
ص ب (١٣٩٥) بيشاور - باكستان
تلفون وفاكس: (٨٤٠٤٨٠٦)
حقوق النشر والطبع محفوظة
طبع بمشاركة اللجنة النسائية العربية

الطبعـــة الأولـــى
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فهذه القفزة العظيمة والحلم الكبير الذي كان يراود أحلامنا، لطالما انتظرناه منذ زمن بعيد، فساق الله عز وجل لنا فرصة ذهبية لتحقيقه على أرض الواقع كي تكتمل عندنا المرحلة الثالثة من برنامجنا بتوفيق من الله عز وجل ورعايته.

هذا العمل الضخم لم يكن ليخرج لولا رعاية الله عز وجل لنا، ومواكبة القدرة الإلهية منذ اللحظة الأولى لهذا الكنز العظيم الذي ينتظر إخواننا الباحثين والمؤرخين في العالم الإسلامي للعمل عليه وتقديمه للجيل المؤمن المجاهد القادم بثوب جديد.

وقبل أن أنتقل إلى فوائد هذه المرحلة لابد أن أشير إلى عدة نقاط مهمة:

النقطة الأولى: أن كل ما خطه الشيخ بيده أو قاله بلسانه في هذه الموسوعة إنما هو نتاج عشر سنوات متتالية مليئة بالأحداث الجسام امتدت ما بين سنة ١٩٧٩-١٩٨٩م سوى انحلال الزواج في الفقه والقانون (١).

النقطة الثانية: أن كثيراً من خطب ومحاضرات الامام الشهيد التي القيت في الفترة المذكورة أعلاه في أروبا وأمريكا والخليج لم نستطع الحصول عليها بسبب الظروف التي ألمت بمسيرة عملنا والظروف السياسية التي قلبت ألعالم على عقب بعد استشهاد الشيخ رحمه الله.

النقطة الثالثة: معظم هذه المادة تركز على التجربة الجهادية والمسائل الفقهيه والعقدية والجوانب الفكرية الاسلامية المعاصرة والأحداث الجسيمة والتيارات المنحرفة والمؤامرات التي دارت على الإسلام خلال القرن العشرين.

النقطة الرابعة: لا بد أيضاً أن ننبه إلى أن الشيخ عبدالله رحمه الله كان له نشاط دعوي وتربوي على مستوى رفيع في الأردن وفلسطين في الستينات والسبعينات تخلله إلقاء خطب ومحاضرات وكتابات قيمة في الصحف والمجلات لم نستطع أيضاً العثور عليها.

فوائد هذه الموسوعة:

١- جمعت جميع ما قاله وما خطه الإمام الشهيد عبدالله عزام في أربع مجلدات بعد أن كانت هذه المادة مشتتة ومفرقة في كتب صغيرة وكبيرة يصعب على أي باحث احضارها، فيما لو أراد الحصول عليها مجتمعة فضلاً على أن كثيراً من هذه الكتب أو الأجزاء قد نفدت وصعب علينا إعادة طبعها من جديد.

٢- أن هذه المرحلة وفرت علينا من الناحية المادية الشيء الكثير.

فعلى سبيل المثال استطعنا أن نجمع مجلدات التربية الست في مجلد و احد مما وفر علينا الثلثين من قيمة الطباعة، وكذلك وفر نفس القيمة من حيث الوزن فيما لو أردنا إرسالها في البريد، وهذا ينطبق على بقية المجلدات الأخرى وأصبح كل انسان يستطيع الحصول على المجموعة الكاملة بنصف القيمة السابقة.

(١) كذلك رسالة الدكتوراه لم نضمها داخل هذه الموسوعة والتي حصل عليها في عام ١٩٧٣م، بالاضافة إلى الكتاب الذي شارك في تاليفه (الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية) تحت اسم صادق أمين والذي كان له نصيب الأسد في تاليفه، وكذلك بعض الكتابات القليلة والأشرطة التي لم نعثر عليها بعد.

٣- أصبحت هذه المادة ومحتوياتها الجديد سهلة النقل مع أي شخص مسافر إلى الخارج لصغر حجمها وقلة وزنها وهذه نقطة مهمة جداً كان يعاني منها كل من أراد أن ينقلها معه إلى بلده أو إلى الجهة التي ينوي السفر إليها.

٤- النقطة المهمة والأخيرة: أن هذه المرحلة هي توطئة للمرحلة القادمة وهي المرحلة التي سيتركز عليها العمل القادم[1].

منهجنا في العمل:

فكرنا كثيراً في كيفية العمل على هذه الموسوعة فاستقر الأمر على الترتيب الآتي:

١- جمع كل ما خطه الامام الشهيد بيده في مجلد واحد[2]، وقد أطلقنا على هذا المجلد من الموسوعة (المجلد الأول).

٢- جمع كل ما خطه الامام الشهيد بيده في مجلة الجهاد ونشرة لهيب المعركة في مجلد واحد كمجلد (في خضم المعركة وكلمات من خط النار الأول وعشاق الحور ومن القلب إلى القلب وحاضر العالم الإسلامي وشهر بين العمالقة) وأطلقنا عليه: المجلد الثاني.

٣- جمع مجلدات في التربية الجهادية والبناء الست في مجلد واحد وأطلقنا عليه: المجلد الثالث.

٤- جمع بقية المجلدات الأخرى كمجلد (في ظلال سورة التوبة وفي التآمر العالمي ومجلد في الجهاد فقه واجتهاد، ومجلد في الهجرة والاعداد) من الأشرطة، وكذلك بقية الكتب الأخرى المتفرقة التي فرغت من الأشرطة والتي لم تجمع في السابق في أي مجلد وقد وضعت جميعها في مجلد واحد وأطلقنا عليه المجلد الرابع.

٥- ونحن نسعى بإذن الله لاصدار مجلد خامس يحتوي على فهرسة جميع هذه المجلدات ونسأل الله التوفيق والسداد

وأخيراً: ندعو الله عز وجل أن يبارك لكل من وقف خلف هذا العمل وساهم به سواء من الناحية المادية أو المعنوية وأن يخلفه خيراً، وبانتهاء هذه المرحلة نكون قد طوينا نهاية المرحلة الثالثة تمهيداً للمرحلة الرابعة إن شاء الله تعالى.

وحسبنا أننا اجتهدنا صادقين فإن أصبنا فمن الله وإن اخطأنا فمنا ومن الشيطان ونأمل من الله القبول والثبات.

والله ولي التوفيق

مدير المركز

أبو عادل عزام

---

[1]) راجع المرحلة الرابعة في نهاية المجلد الرابع من هذه الموسوعة (التعريف بالمركز).

[2]) باستثناء كتابين سقطا سهواً من المجلد الأول وهما (حاضر العالم الإسلامي -بجزئيه- وشهر بين العمالقة) فاضطررنا اضافتهما إلى المجلد الثاني من الموسوعة.

كلمة قصيرة

صدرت الطبعة الأولى من كتب الامام الشهيد عبدالله عزام على شكل كتيبات صغيرة متناثرة يصعب على الاخوه حملها واحتواءها وجمعها وبناءً على رغبة تلاميذ الامام الشهيد عزام ومحبيه وأنصار فكره قام المركز بجمع بعض هذه المتناثرات على شكل مجلدات متوسطة الحجم حتى تكون جنباً إلى جنب مع الكتب الفكرية المعاصرة داخل المكتبات العامة والخاصة ولتضيف زخماً جديداً في الفكر الاسلامي المعاصر.

وبعد فترة رأينا من الأنسب أن تضاف جميعاً في مجلد واحد يحمل رقم (٢) كي يسهل على الباحثين مهمة البحث في هذه الكتب بحيث تكون موسوعة تجمع جميع ما قاله وما خطه الامام الشهيد وسيكون مجموع هذه المجلدات أربعة يتبعها مجلد خامس فهرسه باذن الله تعالى.

مركز الشهيد عزام الإعلامي


في خضم
المعركة

الإهـــــداء

إلى روحك يا أمي أقدم ثواب عملي المتواضع ضارعا إلى الله القبول ، فلطالما كتبت هذه المواضيع وأنت بين ظهرانينا أستلهم التوفيق من الله -عز وجل- بدعائك الصباحي الذي كنت أحس بحاجتي إليه، وكم كانت أساريري تنفرج، وأعماقي تطمئن، وأنا ألثم يدك الكريمة صباحا متوجها إلى عملي، فأرى يديك الكريمتين ترتفع إلى السماء وأنت ترددين دعاءك لي تستمطرين الرحمة والحماية والرضا لي ورد كيد الأعداء عني .

فرحمك الله رحمة واسعة، وجمعنا بك في الفردوس الأعلى .

إبنك البار/ عبدالله

١٩٨٩/٩/٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أحداث ضخمة شرفنا الله بشهودها، وصفحات من التاريخ الاسلامي أعزنا الله بأن قدر أن نكون كلمات بين أسطرها ، وأنشودة عذبة حداها العاملون لهذا الدين كنا بقدر الله لحنا من ألحانها، فشكرا لله وحمدا { رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي } .

تجارب عظيمة اكتسبناها على هذا الطريق الشاق الدامي، ونضوج نفسي، وصفاء روحي، وتوكل حقيقي جنيناه ثمرة دانية ناضجة لهذه المسيرة المريرة .

عشنا مع هذا الشعب بإبائه وصفائه وغيرته وحيائه وزهده ونقائه وشممه ووفائه، فوجدنا أنفسنا حقا، وأنشدنا بلسان حالهم:

أأطرح المجد عن كتفي وأطلبه   وأترك الغيث في غمدي وأنتجع (١)

والمشرفية (٢) مازالت مشرفة   دواء كل كريم أو هي الوجع

من أبراجنا العاجية التي كنا نحلق بها بأحلامنا العذبة وأمانينا المحلقة نزلنا ومشينا فوق أرض الواقع بإنسانية الإنسان وكبواته وهفواته وأخطائه فوجدنا البون الشاسع والبعد الواسع بين العيش بين صفحات الكتب وبين السير على أرض المحن وجمر المواجهات للمشاكل الحقيقية ، فالحمد لله لقد استيقظنا من أحلامنا الهانئة على الحقائق فاستعذبنا المرارة في مواجهتها، واستسهلنا الشدائد في التقلب مع عجلاتها، ولنا أن نردد مع أبي الطيب :

رماني الدهر بالأرزاء حتى   فؤادي في غشاء من نبال

فصرت إذا أصابتني سهام   تكسرت النصال على النصال

فهان وما أبالي بالرزايا   لأني ما انتفعت بأن أبالي

والحق أننا مع هذه المحن المتلاحقة والمصائب المتساوقة، ومع مواجهة المؤامرات الداخلية والعالمية لم يعد يهزنا شيء، وأصبحت الحياة والمنية سيان أمام نواظرنا (**إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي غير أن عافيتك هي أوسع لي**) ، كل مايطمع به القلب أن تكون الخاتمة شهادة في سبيل الله فوق أرض النزال ومكرّ الابطال

أأنت الموت تخشاه ؟ وأنت الموت جنتك !!

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا   فأهون ما يمر به الوحول

ثماني حجج متواصلة طوت هذه القضية من ريعان عمري، فأحالت شعري الاسود إلى ثغامة - أبيض -، واشتعل الرأس شيبا، وما أنا بنادم على شيء، بل أحس بالسعادة الغامرة لجوانحي ، وأدرك اللطف الرباني والرحمة الإلهية التي تنزلت عليّ بأن اختارني ربي أن أكون خادما لهذا الجهاد، وشرفني بأن أخوض غماره، وأتكلم عن أفذاذه ورجاله، وأدركت أن دين الله لا تفهم أسراره، ولا تفتح كنوزه حقا إلا للذين يجاهدون في سبيل رفع رايته وإعلاء كلمته، وفسّرت الآية الكريمة على نفسي:

{ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون }.

فالنافرون هم الذين يفقهون كما رجح الطبري ومجاهد.

لقد حلّت في نفسي عقد كثيرة، منها عقدة الخوف على الرزق والاجل التي تشكل العقبة الكؤود على طريق الدعاة، وأيقنت أن دين الله لا يمكن أن يقوم في الأرض، ولايمكن لشجرته أن تستوي على سوقها، ولا أن تستقر بجذورها في الأعماق، ولا أن ترسل بثمارها في الآفاق إلا بالجهاد في سبيل الله .

وأدركت أن النفس البشرية لا تنضج، والروح لا تصقل إلا بالقتل والقتال:

{ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون }.

---

(١) انتجع : أطلب الكلأ   (٢) المشرفية : السيوف

لقد كانت هذه المقالات التي افتتحنا بها مجلة الجهاد عصارة الأحداث التي جرت فوق أرض العز والفخار ، وكثير من الكلمات كانت تهتصر أعصابنا وأنفسنا وتعتصر قلوبنا قبل أن تسيل على أسنّة أقلامنا .

فهي وإن كانت سجل أحداث عظيمة فهي مع هذا صورة حقيقية لما كان يعتمل في جوانبنا من آلام، وانعكاس واقعي لما يحلق بين جوانحنا من آمال .

والحمد لله، لقد أضحت مجلة الجهاد حديث السامر ، تغنت بها الركبان، وأصبحت حديثا للأجيال المسلمة في سائر البلدان . وأصبحت (الجهاد) لها عشاقها ينتظرون صدورها غرة كل شهر يعدون الايام والليالي لتطلع عليهم كأنها البدر في الايام البيض . فالفضل لله أولاً وأخراً ، منه التوفيق وإليه يرجع الأمر كله .

واليوم وبعد أن طوت (الجهاد) عامها الخامس فلا زالت تتألق وتزداد إشراقا، وتترجم وتؤرخ لأعظم قضية إسلامية في الأرض شغلت بأحداثها الناس في أرجاء الأرض.

وهذه المقالات تمثل الخط البياني الحقيقي للجهاد، ويدرك الإنسان من مطالعتها الأدوار التي مرّ بها القتال .

وإنني لأحسّ بصغر حجمي وقزامتي أمام هؤلاء الابطال الذين أدوا الادوار والذين فسروا لي ما أعجم عليّ من كثير من أحداث السيرة، وأعادوا إلى مخيلتي بطولات اولئك السلف الذين يمثلهم الحديث الشريف **(خير الناس رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه)** ، والحق أن انبهاري بهذا الدين وإعجابي بأفذاذه الذين ننشد لكل واحد منهم

أسد دم الأسد الهزبر خضابه موت فريص الموت منه ترعّد

وفي النفس الكثير لا أستطيع أن أنقل انطباعاتها ومشاعرها على صفحات الأوراق، وحسبي أني اجتهدت صادقا، وآمل من الله القبول والثواب .

(ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين).

عبد الله عزام

أعمدة الجهاد[1]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن صلاح الدنيا والدين قائم على الجهاد، إذ يقول رب العزة: **{ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين}** بل إن الشعائر ودور العبادة قائمة على الجهاد: **{ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً}** (الآية ٤٠ الحج).

والجهاد قائم على أعمدة أهمها:

أولاً – العزة : النفس الذليلة المحطمة لا تستطيع نزال الأعداء في ساح الفداء، ولذا فعندما أراد الله سبحانه للجيل المؤمن من بني إسرائيل أن يتربى في الصحراء ليدخلوا براية التوحيد فلسطين عندما عصى الجيل الذليل موسى عليه السلام فقالوا: **{اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون}**.

قال الله عز وجل:

{فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض} (الآية ٢٦ المائدة).

وفي هذه السنين الأربعين، مات الجيل الذليل، وجاء جيل عزيز في جو صحراء التيه، حتى كان طعامهم سماوياً ليس من الأرض من أجل إنشاء أمة فريدة تحمل على عاتقها نصرة دين الله وتجاهد الجبابرة في الأرض.

والعزة تعتمد على الاستغناء عن الناس، والاستغناء عن الناس ركنه الركين الزهد. وفي الحديث الشريف: [2] **"ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد بما في أيدي الناس يحبك الناس"**. ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ البيعة على بعض الصحابة رضوان الله عليهم **"أن لا يسألوا الناس شيئاً"**.

يقول عوف بن مالك رضي الله عنه وهو أحدهم: (فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوطه فما يقول لأحد يناوله إياه).. رواه مسلم [3] .

وممن أخذ عليهم صلى الله عليه وسلم هذه البيعة أبو بكر وأبو ذر وثوبان. لأن الارتفاع بالنفس عمّا في أيدي الناس يجعله في مقام الداعية، وفي طريق الأنبياء عليهم السلام الذين كانوا جميعاً يبدأون دعوتهم لقومهم بالتوحيد والاستغناء عما في أيديهم **{وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين}** (الآية ١٠٩ الشعراء).

ثانياً – الصبر: والصبر كما عرّفه العلماء: حبس النفس عن التسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش. والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (خير عيش أدركناه بالصبر). والصبر لابد له من أن يكون ملازماً للجهاد، وإلا فلا جهاد بلا صبر.

والصبر أنواع: صبر على الطاعات، وصبر عن المحرمات، وصبر على البلاء وامتحان الله، وأنواع الصبر الثلاثة موجودة في الجهاد.

ففي الجهاد: صبر على الطاعة، وصبر عن المحرمات كالفرار من الزحف والتخلف عن نصرة المؤمنين، وأما الابتلاء فهو نتيجة طبيعية للجهاد، فلابد أن تسيل الدماء، وتتناثر الأشلاء، وتهدم المنازل، ويدوس العدو المقدسات والحرمات، ولكن النتيجة هي العزة في الدنيا والفلاح في الآخرة.

وكما أن الصبر رأس الإيمان فالجهاد قمة سنام الإسلام، والرئاسة في الدين والدنيا تعتمد عليه كلياً: **{وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون}** (الآية ٢٤ السجدة)، فالإمامة في الدين مبنية على الصبر واليقين .

---

١ – نشرت في مجلة الجهاد – العدد الأول– ٢٨/١٢/١٩٨٤م. ٢ – الحديث حسن رواه ابن ماجه (٤١٠٢) وأبو نعيم في الحلية (٨ / ٤١)

٣– صحيح مسلم بشرح النووي / ج ٧ / كتاب الزكاة / ص – ١٣٢ وهو قطعة من حديث طويل.

وفوائد الصبر كثيرة، منها:

١- الجزاء بغير حساب {إنما يُوفى الصابرون أجرهم بغير حساب} (الآية ١٠ الزمر).

٢- ضمان النصر واستنزال الملائكة {بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يُمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين} (الآية ١٢٥ آل عمران). قال الحسن : (فهؤلاء الخمسة آلاف ردء للمؤمنين الى يوم القيامة) [١].

٣- رؤية العبر والآيات بعين البصيرة التي تزيل قذاها حرارة الجهاد {إنّ في ذلك لآيات لكل صبار شكور} (الآية ٥ إبراهيم).

٤- ومنها المعيّة الخاصة من رب العالمين للصابر {إن الله مع الصابرين} .

فلا بد لحياة الأمم من جهاد، ولابد للجهاد من عزة وزهد وصبر. ولذا قال الله عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا} على الثغور في مواجهة الأعداء ،{واتقوا الله} -إله الأرض والسماء- {لعلكم تفلحون}(الآية ٢٠٠ آل عمران). في الدنيا وفي دار البقاء .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

إلى المتثاقلين عن الجهاد[٢]

إلى الأنصار..

أنصار هذا الدين في أي بقعة من الأرض.. نذكركم فإن الذكرى تنفع المؤمنين.. أن الجهاد الأفغاني فريضة على المسلمين حتى لو كان عدد أعدائهم من الروس وغيرهم أضعاف عددهم، وأنهم لمنصورون بعون الله تعالى على أعدائهم، وإن الواحد منهم كفؤٌ لعشرة من الأعداء، وكفؤٌ لاثنين في أضعف الحالات.

وفريضة الجهاد إذن لا تنتظر تكافؤ القوى الظاهرة بين المؤمنين وعدوهم، والواقع يدل على ذلك، فحسب المؤمنين أن يعدوا ما استطاعوا من القوى، وأن يثقوا بالله، وأن يثبتوا في المعركة ويصبروا عليها، والبقية على الله، ذلك بأنهم يملكون قوة أخرى غير القوى المادية الظاهرة.

{يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليما ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير} (التوبة: ٣٨)

إن النفرة للجهاد في سبيل الله انطلاق من قيد الأرض، وارتفاع على ثقلة اللحم والدم، وتحقيق للمعنى العلوي في الإنسان ، وتطلع إلى الخلود الممتد في الآخرة، وخلاص من الفناء المحدود.

وما يحجم ذو عقيدة في الله عن النفرة للجهاد في سبيله إلا وفي العقيدة دخل ، وفي إيمان صاحبه بها وهن وضعف ، لذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح: "من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من نفاق" رواه مسلم .[٣]

فالنفاق -وهو دخل في العقيدة يعوقها عن الصحة والكمال- هو الذي يقعد من يزعم أنه على عقيدة من الجهاد في سبيل الله خشية الموت أو الفقر، والآجال بيد الله، والرزق من عند الله. {فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل} ، {إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليما ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شئ قدير} (التوبة: ٣٨-٣٩).

والخطاب لقوم معينين في موقف معين، ولكنه عام في مدلوله لكل ذي عقيدة في الله، والعذاب الذي يتهددهم ليس عذاب الآخرة وحده، فهو كذلك عذاب الدنيا، عذاب الذلة التي تصيب القاعدين عن الجهاد والكفاح والغلبة عليهم للأعداء، والحرمان من خيرات الدنيا

١- القرطبي / ج ٤ / ص - ١٩٤ .

٢- - نشرت في مجلة الجهاد - العدد الثاني- يناير/ ١٩٨٥م.

٣- شرح النووي / ج ٣ /ص ٥٦ عن أبي هريرة بلفظ (ولم يحدث به نفسه) .

والآخرة، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح: "**تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة**" رواه البخاري ومسلم [١]

والأحاديث حول هذا كثيرة جداً، فارجع إليها وإلى كتاب الله أولاً، ثم حاسب نفسك على تقصيرك وقعودك، ولا تسوف، فالتسويف قاتل. وتأمل يا أخي المسلم أن القاعدين مع ذلك كله يخسرون من النفوس والأموال أضعاف ما يخسرون في الكفاح والجهاد، ويقدمون على مذبح الذل أضعاف ما تتطلبه منهم الكرامة لو قدموا لها الفداء، وما من أمة تركت الجهاد إلا ضرب الله عليها الذل، فدفعت مرغمة صاغرة لأعدائها أضعاف ما كان يتطلبه منها كفاح الأعداء.

فيا أنصار هذا الدين، لا تنسوا نداء إخوانكم المجاهدين الأفغان (يا للأنصار) ، وارجعوا إلى نداء أبي عقيل للأنصار في المعركة وقت الشهادة في معركة اليمامه ضد مسيلمه الكذاب ، وتأملوا فيها فإن فيها عبرة لمن اعتبر.

ولا نريد الإطالة عليكم أكثر من ذلك، فسارعوا إلى مغفرة من ربكم، وجنة عرضها كعرض السماء والأرض.. سارعوا إلى أرض الرباط.. أرض الجهاد.. إلى جانب إخوانكم المهاجرين.. قدموا ما استطعتم من جهد في سبيل الله بالنفس والمال.. تعرفوا على أحوالهم: (**فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**) . [٢]

والسبيل إلى ذلك سهل ويسير على من يسر الله عليه، فإذا عزمت يا أخي في الله فأخلص النية، وتوكل على الله، ثم اتصل بالمجاهدين بالعناوين المذكورة في نهاية المجلة تجد إخوة لك في الله من المجاهدين المخلصين -إن شاء الله- بانتظارك، وسيحققون لك ما تصبو إليه -بإذنه تعالى-، فاستخر الله عز وجل ولا تتأخر، فإن الوقت قد نزعت منه البركة.. وهذا من علامات الساعة، والساعة هي أدهى وأمر.

وإذا كنت من أصحاب الأعذار الشرعية فإنه [**من طلب الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**] -كما ثبت في الصحيح [٣]-، ومع ذلك فلا تقصر في الدعاء للمجاهدين بالنصر، وجاهد بمالك، جهز غازياً، أو اخلف غازياً في أهله بالنفقة على من يعول تكن -إن شاء الله - ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح: "**من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا**"] متفق عليه [٤]

أما إن لم تكن معذوراً شرعاً، وغلبتك شهواتك وشياطين الإنس والجن، وأصررت على القعود، فلا تقصر كذلك بالجهاد بمالك . فقد روى مسلم [٥] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للقاعدين : [**أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج**]. ولكن إثم القعود لا يسقط عنك بذلك بلا شك، إلا إذا تبت وبادرت إلى الجهاد.

ونخبرك يا أخي - إذا عزمت على الجهاد بمالك - بأن أرقام حساب المجاهدين مذكورة في نهاية المجلة أيضاً، ألا هل بلغنا.. اللهم فاشهد.

ونستودعكم الله تعالى الذي لا تضيع ودائعه.

---

١ - فتح الباري / ج ٦ / باب ٨ برقم (٣١٢٣)شرح النووي / ج ١٣ / ص (٢) - واللفظ تقريبا له والمتفق عليه عن أبي هريرة بلفظ (تكفل الله ...)

٢ - السلسلة الضعيفه / م١ برقم (٣١٠) وقال عنه الالباني ضعيف جداً.

٣ - شرح النووي / ج ١٣ / ص - ٥٦ عن سهل بن أبي أمامة بلفظ (من سأل الله الشهادة)

٤ - فتح الباري / ج ٦ / باب ٢٨ /برقم (٢٨٤٣) / شرح النووي / ج ١٣ / ص - ٤٠ عن زيد بن خالد بلفظ (... من خلفه في أهله ...).

٥ - شرح النووي / ج١٣ / ص - ٤١

الغـــرباء[1]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا .. من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: [**تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد قدماه في سبيل الله عز وجل، شاعث رأسه، إن كان في الساقة كان فيها ، وإن كان في الحرس كان منهم ، وإن شفع لم يشفع، وإن استأذن لم يؤذن له، طوبى له ثم طوبى**] [2]

يقسم رسول الله –صلى الله عليه وسلم – الناس قسمين : أهل الدنيا ، وهؤلاء عبيدها، بل يعبدون – شيئا بخسا وأمرا تافها، منها الدرهم والدينار والثوب (الخميصة)، وهؤلاء يدعو عليهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالانتكاس والارتكاس ، فغوق انتكاسهم بعبودية شهواتهم، وارتكاسهم في حمأة رذائلهم ، يدعو عليهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم – بالخسران والخيبة، وبعدم إقالة عثراتهم إذا عثروا ، وكم من قتيل من أجل درهم أو متاع، هؤلاء عبيد الدنيا محرومون من الارتقاء إلى المعالي ، والصعود إلى القمم، يعيشون غارقين في مستنقع الدنيا مقابل لعاعة من لعاعاتها، وأمر تافه من سفسافها، غارقين في ملذاتهم يتقلبون بين أعطاف النعيم ، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وأن يعيشوا عيش المستضعفين من النساء والولدان . لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا .. هؤلاء محرومون من تنسم الحرية ومن تذوق المعالي ومن العيش في القمم ..

ومن لا يحب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

ومقابل هذه الصورة ، حملة المبادىء الذين غابت ملامح وجوههم وراء المعركة ، فشعرهم أشعث أغبر، لباسهم أسمال بالية، حفاة الأقدام، خمص *البطون*، لا ينظرون إلى الدنيا، ولا يتعلقون بحطامها .

ولباسه الحقير لما يستر به عورته .. جل ما يحمله معه .. جرابه وركوته ، يكابد السهر ليقطع عنه شدة آلام السهر، وقلبه معلق في الملأ الأعلى، يتحمل الأذى صابر على البلوى، يأكل ليعيش لا يعيش ليأكل، همه كله نصرة هذا الدين، وقلبه مشغول بعزة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، كأنه يسمع صوت منادي الرحمن وهو ينادي بالتخفف من الدنيا كما جاء في الحديث عن أبي الدرداء مرفوعا : (**ما طلعت شمس قط إلا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعان من على الأرض غير الثقلين: أيها الناس هلموا إلى ربكم، ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، ولا غربت إلا وبجنبتيها ملكان، يناديان: اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا**) [3]

هؤلاء الأخفياء الذين لا يعرفهم أحد هم حملة هذا الدين ورافعوا لوائه، بهم تحمى الديار، وتعيش الأجيال هانئة مطمئنة على أموالها وأعراضها، هؤلاء مصابيح الهدى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه معاذ رضي الله عنه (**إن الله عز وجل يحب الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل فتنة عمياء مظلمة**) [4]

هؤلاء كل منهم أخذ بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار إليها يطلب الموت مظانه، صدورهم كالمراجل تغلي حرقة على هذا الدين ، وعيونهم لا تجف عبرتها حزنا على حال المسلمين، فانطلقوا متخففين من حطام الدنيا لعلهم ينصرون هذا الدين ويكف الله بهم بأس الكافرين

(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا)

(النساء: ٨٤)

سمعوا أنات الإسلام الجريح فاستجابوا علّهم يداوون الجراح .

والإســلام يئن جريحــا يومي إليّ الـــيّ إليّ

١– نشرت في مجلة الجهاد – العدد الثالث– ٧/فبراير/ ١٩٨٥م. (٢) – إسناده صحيح رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح .

(٣) – رواه أحمد والطبراني. (٤) – رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

أفلا يوجد فيكم شهم	*أوما في الوجدان بقية*
أفلا يوجد فيكم عمـــر	*يملأ سمع الكون دويا*
أفلا يأتي يوم فيـــه	*نخلع ثوب الذل قصيا*
أفلا يأتي يوم فـــيه	*يظهر نور الحق بهيا*
أنا اسلام أنا ايمـان	*أنا شريان ينبض حيًا*

فكم غاب تحت ثرى فلسطين، وكم غاب وسقط فوق ذرى الهندوكوش (أفغانستان) ، وكم من التجيع الطاهر فوق أرض لبنان وفي كل مكان من الأراضي الإسلامية من هذه النماذج التي روت شجرة هذا الدين بدمائهم لا تعرف أسماؤهم، ولا تحفظ كناهم، لقوا ربهم دون أن يهتف لهم هاتف أو يصفق لهم المعجبون .

مضوا إلى الله عز وجل خالقهم الذي لا يضيع سعيهم، إن غمطوا حقهم في الأرض فلن يضيع لهم مثقال ذرة في ميزان عدل لا يخس شعيرة ولا يضيع ذرة ، وإن لم يحتفل بهم أهل الأرض فقد ابتهج بهم الملأ الأعلى، واستبشرت الملائكة بأرواحهم **(اهتز عرش الرحمن لموت سعد واستبشرت الملائكة بروحه)** (١).

هؤلاء هم بناة الأمم ، هم صانعو الامجاد ، هم حماة البلاد، رفعوا اللواء ومضوا إلى ربهم أعزة كراما .

و سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

فاستبقوا الخيرات[٢]

إن الحمد لله، نحمده و نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وبعد .

إنها فرص يسوقها الله عز وجل للبشر لاغتنامها، وقد لا تتكرر، وهي أسواق تعقد ثم تفض، يربح فيها من يربح، ويخسر فيها من يخسر، والمسلم سباق للخير لايدع لحظة من لحظات حياته تمر دون فائدة، والزمن له قيمة كبرى في حياة المسلم، بل الزمن هو حياة الإنسان، ولذا فقد كانوا يقولون: الوقت من ذهب، ولكن الوقت أغلى من الذهب، لأن الوقت هو الحياة، والحياة لا تقدر بثمن.

وكما قال الوزير الصالح يحيى بن هبيرة :

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه ... وأراه أسهل ماعليك يضيع

ولقد كان سلفنا الصالح حريصين على وقتهم حتى تركوا لنا هذه الثروة الضخمة التي حفظ الله بها الإسلام، وحمى بها هذا الدين من الضياع، فابن الجوزي مثلا بلغت مؤلفاته خمسمائة وتسعة عشر مصنفا، منها ما هو عشرون مجلدا ، قال ابن رجب في ذيل طبقات الحنابـــلة (... قال الموفق عبداللطيف : كان ابن الجوزي لا يضيع من زمانه شيئا، يكتب في اليوم أربعة كراريس، ويرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلدا إلى ستين) .[٣]

(وقيل انه جمعت الكراريس التي كتبها ابن الجوزي وحسبت مدة عمره فقسمت على المدة، فكان ما خص كل يوم منها تسعة كراريس)[٤] ، ونقل الكمي [٥] (أن براية أقلام ابن الجوزي التي كتب بها الحديث جمعت فحصل منها شيء كثير وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته، ففعل ذلك فكفت ففضل منها).

وهذا الإمام البيهقي ألف ألف جزءًا ومكث يصوم ثلاثين عاما، وهذا القاضي أبو بكر ابن العربي ألف تفسيره في ثمانين ألف صفحة، وترك ابن أبي الدنيا ألف مؤلف، وكتب ابن عساكر (تاريخ دمشق) في ثمانين مجلدا ، وكتب ابن شاهين ثلاثمائة وثلاثين كتابا منها التفسير في الف جزء وترك ابن حزم أربعمائة مجلد تشتمل على قرابة ثمانين ألف ورقة، وكتب الحاكم الفاً وخمسمائة جزء وهو صاحب المستدرك، وكتب ابن تيمية حوالي خمسمائة مجلد، وكتب ابن القيم حوالي خمسين مجلدا، وكان ورد القاضي أبي بكر

(١) ـ والرواية عن جابر بلفظ (إهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ) أما بقية الكلام فهو من تفسير الامام النووي رحمه الله ..

٢- نشرت في مجلة الجهاد - العدد الرابع- ٢٢/ مارس / ١٩٨٥م. (٣) ـ ٤١٢/١ (٤) ـ تتمة المختصر في أخبار البشر ٢١٨/٢ (٥) ـ في الكنى والالقاب ١٤٢/١

الباقلاني لكل ليلة عشرين ترويحة، ولا ينام حتى يكتب خمسا وثلاثين ورقة من حفظه، وهذا أشرف التهانوي المتوفى سنة ١٣٦٢ هـ قد مات عن إحدى وثمانين عاما ترك فيها مؤلفات زادت على الألف مؤلف .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: { **نعمتان مغبون فيها كثير من الناس : الصحة والفراغ** } [1]، والمقصود أن غالب الناس لا ينتفعون بالصحة والفراغ .

قال رجل لعامر ابن عبد القيس (أحد التابعين الزهاد) كلمني ؟ فقال عامر أمسك الشمس، يعني أوقف لي الشمس واحبسها عن المسير حتى أكلمك .

وقد روي أن أبا يوسف كان في النزاع والذماء (بقية الروح) وكان يناقش من حوله ببعض المسائل الفقهية، وما أجمل قول أمير الشعراء شوقي:

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان

وقال ابن نباتة السعدي :

أعـاذلتي على إتعاب نفسـي ورعيي في الدجى روض السهاد

إذا شام الفتى برق المـعالي فأهون فائت طيـــب الرقاد

وقد ألف الأستاذ جميل العظم الدمشقي المتوفي سنة ١٣٥٢هـ كتابا أسماه (عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفا فأكثر)، فذكر فيه خلقا كثيرا منهم (ابن جرير الطبري، وابن الجوزي، والنووي، وابن سينا، والغزالي، وابن حجر العسقلاني، والبدر العيني، والسيوطي، وابن تيمية، وابن القيم، وعلي القاري، والمناوي، وعبد الغني النابلسي، وعبد الحي اللكنوي ....) [2].

أيها الإخوة هؤلاء سلفنا الصالح قد قدموا ما قدموا وكانت حياتهم نذرا للإسلام وخدمة المسلمين .

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

يا معشر الشباب إن لم تعبدوا الله اليوم فمتى تعبدون ؟ وإن لم تجاهدوا الآن فماذا تنتظرون ؟ ألا تنتظرون مرضا أو صدمة أو موتا؟

إن لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جبانا

استمع إلى وصية نبيك صلى الله عليه وسلم: (**اغتنم خمسا قبل خمس : حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك**)[3]. لماذا تدخر هذا اللحم الذي وهبك الله إياه؟ ولماذا تضن به؟ وهذا العزم الذي منحك الله لماذا تدخره ؟ وهذه العظام المتينة تنتظر حتى ترق وتضعف وتأكلها الديدان .

هذه الحياة قصيرة، والميتة واحدة، فاحرص أن تكون في الله ولله ...

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون } (آل عمران:١٠٢).

من يحفظ الأعراض إذا تعرضت للانتهاك ؟ من يذود عن المقدسات إذا ديست ؟ من يحمي الأطفال والنساء والمستضعفين ؟ من للقيم والمبادئ ؟ من لدين الله أن يرفعه إذا تخليتم ؟

أفنيت يا مســـــكين عمـــــرك بالتأوه والحـزن

وقعدت مكـــتوف اليدين تقول حاربني الــزمن

إن لم تقم بالعبء أنـــــت فـــمن يقوم به إذن

يا أيها الإخوة: إن الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، وإن الفرص الثمينة لا تتكرر، وإن فرصة أفغانستان لا نظير لها في

(١) ـ رواه البخاري في صحيحه ٢٢٩/١١ والترمذي ٣٧٧/٣.

(٢) ـ كل هذا منقول من كتاب الشيخ عبد الفتاح أبي غدة (قيمة الزمن عند العلماء).

(٣) ـ حديث صحيح رواه الحاكم والبيهقي عن ابن عباس .

الأرض، ميدان واسع تؤدى فيه فريضة الجهاد، قمم شاهقة تتنفس فيها الصعداء، نماذج فذة تستعيد بها قصص السلف، فهل نستطيع أن تؤدي الفريضة إلا في هذه الأرض؟ هل أثرت العيش تحت لذع السياط، أنفاسك مكتومة، نبضاتك معدودة، وحركاتك مرصودة؟ قد لا تستطيع أن تؤدي الجماعة في المسجد خوفا من الذين يكادون يزلقونك بأبصارهم.

لقد فاتتنا فرصة ١٩٦٧ - ١٩٧٠ م حيث الحدود مفتوحة عبر نهر الأردن كنت أثناءها أخطب الجمعة فوق المنبر وأنا أتكئ على سلاحي (الكلاشنكوف)، كنا نمشي في شوارع عمان وفي الجامعة الأردنية والمسدس لا يفارقنا .

كنا نمشي على الأرض بأجسادنا، ولكن أرواحنا معلقة بالملأ الأعلى، وكانت سيارتنا تمر من شوارع اربد وفوقها ينتصب الرشاش أو مدفع الهاون .

ثم مضت الفرصة الفريدة التي أضعناها، وأصبح اقتناء رصاصة أو مسدس جريمة يقدم صاحبها إلى المحكمة العسكرية . وأصبحنا كالخوالف لا نملك سوى الحوقلة والهمهمة والانات والحسرات تحت مطارق العذاب وكابوس الظلم، وليس بيننا وبين النساء فرق .

أيها الإخوة: (سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض . . .) (آل عمران: ١٣٣)

{يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون} (الصف: ١٠-١١).

أيها الأحبة: أيها الشباب : يا أبناء هذا الدين، يا أنصار هذه الشريعة.. لا تضيعوا فرصة أفغانستان على أنفسكم كما ضاعت عليكم فرصة ١٩٦٩م في غور الأردن .

أقبلوا تمنح لكم عزة الدنيا والآخرة، واطلبوا الموت توهب لكم الحياة، وإن الأمم التي عاشت وسادت هي الأمم التي تحسن صناعة الموت. ومن حرص على الدنيا أذلته ، ومن أذلها أكبت على أقدامه .. فأقبلوا على الله **(والله معكم ولن يتركم أعمالكم)** .. (القتال: ٣٥).

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك .

العذاب العذب[1]

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره .. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله.. أما بعد ، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا .

فمن خلال نظرتي في هذا الدين وتمرسي بشعائره وعباداته وجدت أن أشق عبادة على النفوس هي الجهاد، ولذا كان قمة سنام الإسلام، ولم يكن مصادفة عابرة هذ الثواب الجزيل الذي رتبه الله للمجاهدين ، ففي الصحيحين عن **أبي ذر قلت يا رسول الله أي العمل أفضل قال: (الايمان بالله والجهاد في سبيله.)** [2]

وفي الصحيحين عن أبي هريرة: **(قيل يارسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا تستطيعونه، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا.. كل ذلك يقول لا تستطيعونه، ثم قال: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى)**[3].

وفي الحديث الصحيح: **(قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة)**[4]

١- نشرت في مجلة الجهاد - العدد الخامس- ٢٩/ابريل/ ١٩٨٥م.

(٢) - فتح الباري / ج ٥ / كتاب العتق برقم (٢٥١٨) / شرح النووي / ج٢ / ص - ٧٢ وله عنده تتمة

(٣) - فتح الباري / ج ٦ / الباب الاول برقم (٢٧٨٥) / شرح النووي / ج ١٣ / ص - ٢٤ واللفظ له .

(٤) - عند أحمد (٢/٤٤٥) والترمذي (٣/ ١٤) بلفظ مختلف وهو في الاحاديث الصحيحة برقم (٩٠٢) بلفظ (مقام أحدكم في سبيل الله خيرا من صلاة ستين عاما خاليا)

ولذا فقد انعقد الإجماع كذلك أنه لا يعدل أجر الجهاد شيء وأن الرباط أفضل من جوار الكعبة، وفي الصحيح عن أبي هريرة مرفوعاً وموقوفاً: **(لأن أرابط ليلة في سبيل الله خير من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الاسود)**[1].

وفي محكم التنزيل:

(أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لايستوون عند الله والله لايهدي القوم الظالمين ، الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون)

(التوبة: ١٩-٢٠)

وقد جاء في صحيح مسلم أن سبب نزول هذه الاية هو اختلاف الصحابة في أعظم العبادات أجرا، أهو سقاية الحاج أم عمارة المسجد الحرام أم الجهاد في سبيل الله ؟

ووجدت أن أصعب شيء في الجهاد هو انتظاره، والمرابطة لانتظار المعركة أصعب من المعركة ذاتها .. إذ كلما طالت المدة في المرابطة كلما بدأ الملل يتسرب إلى النفوس المتوقدة، ويبدأ الحماس يخبو يوما بعد يوم إن لم تجد النفس من العبادات والزاد الروحي ما يحفظ عليها حماسها، ويبقي لها شعلة وقودها، ويقدح لها زناد حماسها وغليانها، ويؤجج نار شوقها للمعركة .

والذي يعيش بين المجاهدين يدرك هذه الحقيقة بوضوح، خاصة بين الذين يفدون إلى الجهاد من بعيد يتركون زينة الحياة الدنيا وزخارفها، وبريق الأماني ولمعانها، يعود الشيطان ليسول له الرجوع إلى دنياه التي تركها، ولكنه لا يدخل له إلا من مدخل المصلحة والموازنة بين المصالح والمقارنة بين الإيجابيات والسلبيات .

لايدخل له مباشرة من باب ترك الجهاد، بل من باب أن الحي الذي تركته ضاع أبناؤه، والمسجد الذي غادرته قل عماره، والاسرة التي انتزعت نفسك منها تمزقت، وتزداد آلام الحيرة ونار التردد إذا كان المجاهد ذا مكانة في بلده، كأن يكون مربي جيل، أو أستاذ جامعة، أو مدير شركة ، ومما يؤجج نار الشك والتردد والحيرة ، مبررات العودة التي تزداد يوماً بعد يوم ...

ومن أبرزها :

رؤية بعض الغثاء في أرض الجهاد مما يسبب الغثيان لدى المهاجر المجاهد ، فقد تكون مقاديره ألقت به بين مجموعة عضها الجوع بنابه، أو ألجأتها الحاجة إلى الاحتيال والكذب للحصول على بعض المال من يده لكسب قوتها وتحصيل ما تسد به رمقها . وتزداد الحيرة مع حواجز اللغة، وبعض العادات، وشظف الحياة، ووعورة المسالك ، ووحشة السبيل .

ولاشك أن طول الطريق، مع علو التضحيات، وفداحة الخسائر المادية الظاهرة، تخفف من أوار حماس المجاهد وتعيق حركته.

وكذلك فان بذل التضحيات على هذه الجادة الطويلة دون جني ثمار عاجلة تجعل النفوس تتخاذل، خاصة إذا لم تكن هذه النفوس قد تربت على البذل والصبر والمشقة حتى صلب عودها، إذ بقدر صلابة العود تحتمل المصائب وتبذل التكاليف .

وأن النفوس الكبيرة والقلوب الحانية والصدور الواسعة التي تسبق في أرض الجهاد هي التي تشكل صمام الامان بالنسبة للذين يتفلتون وينتظرون أدنى مناسبة للعودة من حيث أتوا، هذه النفوس الكبيرة تشكل الروضة الوارفة الظلال في هاجرة الهجرة لهؤلاء الوافدين للجهاد، وتكون المستراح الهادئ لهم .

وكلما كثر أبناء اللغة الواحدة، أو الأرض الواحدة مع الايمان الصادق، كلما قلت الحيرة، وزالت نار التردد، لأن النفوس بطبيعتها تميل وتحنو إلى سماع لغتها الخاصة، وتقاليدها التي تربت عليها، ومن هنا كان الدعاء الشريف: **(اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة)** [2].

وإذا غاب الهدف الكبير الذي جاء من أجله المجاهد، وضاعت معالم الطريق الذي يسير عليه، فمن الصعب أن تقنعه بالبقاء، أو

---

(١) هو عند البخاري في التاريخ الكبير برقم (٤ / ٢/ ٤٠٨/ ٣٥٠٧) وعند بن حبان برقم (١٥٨٣) وحافظ بن عسكر في (اربعين الجهاد) برقم (١٨) وهو في السلسلة الصحيحه برقم (١٠٦٨) بلفظ (لان احرس ليلة في سبيل الله أحب الي ...).

(٢) - فتح الباري / ج ١١ / باب ٤٣ / برقم (٦٣٧٢) وهو مروي عن عائشة (رضي الله عنها) .

الاستمرار.

أذكر أننا عندما من الله علينا فترة بالعيش في القواعد في شمال الأردن، كان بيننا شاب صغير في مقتبل العمر، مؤدب، قليل الكلام، مطيع، فصرت أثني عليه، حتى صار الجميع يحترمونه ويجلونه، ثم أصبح يواجه ضغوطا شديدة من والده الذي يعمل خبازا ، وتحين الشاب (أبو صبحي) -رحمه الله - الفرصة حتى سمع مني كلمة توجيهية لإخوانه، وإذا به يهب غاضبا بين إخوانه ويقول : إن الشيخ عبد الله يقصدني ، وأكدت له أنها كلمة عامة ولم يكن هو واردا في الحسبان ، ولكنه أصر على مغادرة القاعدة بعد أن حزم أمتعته وعاد يعمل مع والده خبازا ، وظن والده أن ابنه قد نجا من الموت الزؤام الذي يلاقيه أهل القواعد، ولكن القدر ليس بيد البشر ... فجاءت أحداث أيلول سنة ١٩٧٠، ودخل الجيش مدينة جرش، وقتل أبو صبحي في حضن والده ، وفي داخل مخبزه، بينما لم يُجرح أحد من الذين ظلوا في قواعدهم .

وإن استمرار التضحيات وتوالي المآسي يهد العزيمة ويلين القناة (إلا من رحم ربك وقليل ما هم)، خاصة إذا فقد الطعام واللباس، وتحول البيت إلى مأتم تصب فوقه كل يوم مصيبة .

ويعجب الإنسان عندما يطّلع على شريحة من شرائح المجتمع الأفغاني المسلم كيف بقي ثابتا حتى الآن، وإليك مثالاً من هذا المجتمع : جلست قبل أسبوع في بيشاور مع خمسة من القادة حول كابل، وذهلت عندما سألتهم عن الشهداء الذين قدمتهم أسرهم: يوسف محمد قائد في بكرام قتلت أمه وأخته وأخوه وابن اخته وزوجة أخيه، جلال الدين قائد في ديسبس قتل أخوه وخاله وابن خاله، ديدار قائد في بجرامي قتل له اثنان من أعمامه وخمسة من أبناء عمه وابن أخته ويشرف على ١٢ أرملة - شبير أحمد قائد في بجرامي قتل أخوه وخاله وابن خالته وزوج أخته وزوج خالته . صوفي حبيب قائد في بجرامي مسجون له ستة من أقاربه ، وقتل له ستة شهداء ، إن لسان حال كل واحد منهم يردد:

صبت علـي مصائب لـو أنها صبت على الأيام صرن لياليا

يقول ديدار: نكاد نجن ونفقد أعصابنا عندما نرى الأسر الجائعة، والأجسام شبه العارية، والحاجة المذلة، ونخفي هذه الآلام بسبب نصرة الله لنا في المعارك، وعندما نرى إخواننا المسلمين خاصة العرب يقفون بجانبنا ويواسون جراحنا ويبكون دما لحالنا كأن شيئا لم يكن، وننسى كل مآسينا ومصائبنا .

أقول: إن الصبر على مرارة الطريق لابد أن ترافقها تذوق حلاوة عبادة الجهاد، ولا تتم الحلاوة إلا بأن يدرك المجاهد هدفه، ويضع نصب عينيه غايته، فلا بد أن يستقر في أعماقه:

(١)- أن الجهاد ليس (عرضا قريبا ولا سفرا قاصدا)، إنما الجهاد رحلة العمر المرافقة للحياة، فلا ينتهي الجهاد مادامت العروق تنبض بالدماء، وليس الجهاد لتحرير أفغانستان أو فلسطين أو لبنان، إنما الجهاد فريضة دائمة، وعبادة لازمة لعنق الإنسان مادام يدب فوق الأرض، وقادرا على حمل السلاح وكما أن الصلاة والصيام فرضان لازمان للإنسان لا يسقطان عنه بحال حيثما حل وأينما صار، فكذلك الجهاد عبادة لا تسقط عن الإنسان إلا في حالات الضرورة كالمرض والكبر المقعد عن الحركة وغيرها.

إن جهاد المسلم ليس من أجل قطعة أرض، وليست معركته معركة قوم، إنما مداها الأرض كلها، ومدارها الزمان كله، وهدفها إنقاذ جنس الإنسان .

(٢)- إن الغرض الأسمى للجهاد هو الثواب، والصفقة بين العبد وربه تمت على هـــذا **(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) (الصف:١٣)**

(٣)- إن النصر في المعارك التي تهفو إليه النفوس يقلل الأجر: **(وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين)** (الصف: ١٣)

وفي صحيح مسلم:

(ما من غازية أو سرية تغزو فتغنم وتسلم إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجورهم، وما من غازية أو سرية تخفق وتصاب إلا تم لهم اجورهم) .[1]

(١) - شرح النووي / ج ١٣ / ص - ٥٢ بدون كلمة (لهم) .

(٤) - مقارنة الدنيا بحطامها ومتاعها بالآخرة ونعيمها حتى تبقى الدنيا زهيدة صغيرة في عين المجاهد، وهي كما جاء في صحيح مسلم أنها أحقر من الجدي الميت :

(للدنيا أهون على الله من هذه عليكم) [١] . وفي الصحيحين **(رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها)** . [٢]

وعندما ينظر المؤمن إلى حقارة الدنيا تهون عليه النفس وترخص في عينه التضحيات، عندها يصبح العذاب عذبا، ومرارة الحرمان والمآسي حلاوة، ووحشة الطريق أنسا، وينسى الإنسان آلامه، بل ينسى الدنيا بأسرها .

(عليكم بالجهاد في سبيل الله فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم) [٣] وعندها فقلب كل واحد ينشد ونفسه تردد عند رؤية المصائب :

عذابه فيك عذب ... وبعده فيك قرب

حسبي من الحب أني ... لما تحب أحب

عندها له أن يردد ما رددت رابعة العدوية من قبل :

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك .

الجهاد والصيف[٤]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد :

أقبل الصيف بشمسه وحره ، وبدأ الثلج يذوب ، وبدأت حركة المجاهدين من حول أفغانستان نحو داخلها، إذ الشتاء يمثل درعا حصينا وترسا قويا يحتمي الروس بثلوجه وبرده، ويهاجر كثير من المجاهدين تاركين قواعدهم في الداخل طلبا للدفء والطعام في مناطق القبائل الباكستانية التي تقطن على طول الحدود الأفغانية على الجانب الشرقي والجنوبي لخط (ديورند الانجليزي) والذي يمثل الحدود الافغانية الباكستانية والممتدة على طول (٢٢٥٠) كم شرق وجنوب أفغانستان، إذ أنه من العسير جدا أن يعيش المجاهدون في قمم الجبال المكسوة بالثلوج، والتي تسد الطرقات إليها أكوام الجليد والثلج الذي قد يرتفع إلى متر في الطرقات فكيف في ذرى الجبال؟! ولقد استغرقت رحلة أنس ومحمد أمين وأبي بصير من بيشاور إلى بلخ اربعين يوما ذهابا فقط، يخوضون فيها الثلوج، وينامون فوق الجليد .

وأكثر ما يطمع فيه المجاهدون خلال الشتاء هو المحافظة على قواعدهم حتى لا يحتلها الروس، ولقد استمات الروس في هذا الشتاء ليسدوا معابر المجاهدين وطرقاتهم الموصلة من مناطق القبائل في باكستان إلى داخل أفغانستان، لكنهم فشلوا أن يسدوا معبرا واحدا من هذه المعابر التي تعد حوالي (٣٦) معبرا رئيسيا .

إن المعارك في الشتاء تكلف المجاهدين مشقة وعنتا بالغين، إذ أن خروج المجاهد من قاعدته يعني أحد أمرين: إما أن يموت متجمدا في الثلوج، وقد حدث هذا للكثيرين، أو تقطع أصابعه، أو تجمد أقدامه، أو يؤخذ أسيرا إن لم يدمر الدبابة التي أمامه ، بينما

---

(١)- شرح النووي ج ١٨ / كتاب الزهد / ص - ٩٣)

(٢) - فتح الباري / ج ٦ / باب ٧٣ / برقم (٢٨٩٢) شرح النووي / ج١٣ / ص - ٢٦ بلفظ آخر وهو عند الترمذي (٤ / ١٦٦٤)

(٣)- رواه احمد والحاكم وهو في صحيح الجامع برقم (٣٩٤٢) وفي الاحاديث الصحيحه برقم (١٩٤١)

(٤) نشرت في مجلة الجهاد - العدد السادس- ٥/مايو / ١٩٨٥م.

يعيش الجندي الروسي داخل دبابة مكيفة بالتدفئة وزنها <٢٦> طنا، ومع هذا فقد حضرت بنفسي إثر معركة حاولت روسيا فيها أن تسد طريق جاجي، وهي تشكل طريقا هاما لحوالي (١٧) ولاية أفغانية، وألقت بثقلها ودباباتها وكان المجاهدون لا يتجاوزون مئة في البداية، بينما الشيوعيون يعدون بضعة عشر ألفا ، وكانت النتيجة أن قتل حوالي < ٧٠٠ - ٨٠٠> من الكفار، بينما لم يستشهد سوى <٧> من المجاهدين، والآن نحن بانتظار المعارك الضارية التي ستدور رحاها في هذا الصيف ان شاء الله .

لقد أكرمنا الله في السنوات السابقة أنه في كل صيف ترتفع خسائر الكفار سنة بعد أخرى، ففي هذا الصيف نحن ننتظر رحمة الله ونصره، وأن تكون خسائر الروس أضعاف مضاعفة عما شاهدناه في العام الماضي .

إن حول أفغانستان حوالي <١٦٠٠٠٠> من المجاهدين كل ينتظر سلاحه ومؤونته لينطلق داخل أفغانستان، وهؤلاء كل منهم يحتاج حوالي ألف دولار أجرة طريق وكراية سلاحه وأمتعته ، وهذه تحتاج إلى ايدي المسلمين السخية ، تحتاج إلى نماذج أيديها أنت نفائس الأموال لتعطيها نماذج سيوفها أزمّة نفوس الأبطال ، وتضعها في أيدي أناس امتطوا ليالي الدهر الأداهم، وقلدوا أيامه سيوفا وصوارم .

إن الفترة تحتاج إلى افراد الجود في أيديهم، خاتم ، ونفس حاتم في نقش ذلك الخاتم ، تعطيها لأناس يروون الرصاص من دماء أكبادهم، ويصنعون بسنابك الخيل سماء من العجاج نجومها الأسنة، ويخطون بنجيعهم الطاهر مسار التاريخ حتى تسلم لهم البشرية القيادة وتعطيهم الأعنة .

والمسلمون بطبيعتهم قد يعذرهم بعض الناس لعدم شهودهم ساح النزال، ولبعدهم عن أن يضطلعوا بأثقال القتال، بسبب انشغالهم باعمالهم خلال العام، ولكن لا يمكن أن يعذرهم أحد إذا أخذوا إجازتهم الصيفية خاصة المدرسين والطلاب من ان يسيحوا في الأرض سياحة اشرف الخلق صلى الله عليه وسلم بالجهاد، بدل أن يقضوها على شواطىء البحار، أو في سويسرا، أو في أعماق الغرب أو الشرق يبحثون عن الهواء العليل والنسمة المروحة، فهيا إلى جبال الهندوكش، هنا مصايف لا نظير لها، احفظوا نقودكم في جيوبكم وافتحوا صحائف أعمالكم لتصب عليها الحسنات صبا، و **(رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، ولغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها)** متفق عليه [1] .

في الحديث الصحيح عن عثمان بن عفان قال وهو يخطب على منبره: إني محدثكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يمنعني أن أحدثكم إلا الضن -البخل- عليكم، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **(حرس ليلة في سبيل الله تعالى أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها)** [2].

ياشباب الإسلام اقبلوا على الله، واستخدموا أجسادكم في طاعته، وأوقاتكم في عبادته، ولا تفوتوا الفرصة التي يسوقها الله لكم فإن الإنسان مسؤول عن أوقاته :

شـــــــبابنا هيا إلى المعالي	*هيا اصعدوا شوامخ الجـــــبال*
هيا امتفوا يا معشــــــر الرجال	*قولوا لكل الناس لا نـــــــــبالي*
شبابنا ســـــيروا إلى الجـــــهاد	*بعــــــــدة الإيمان والعـــــتاد*
لـتوقفوا قوافل الفســــــــاد	*وتنشــــروا السلام في الـــــبلاد*
شبابنا قد حان أن تـــســــعدوا	*لـــــواحة الإيمان كي تســـــودوا*
غدا بكم سيـــــــســـــعد الوجود	*ويكبت المســــتعبد العنــــــيد*

يا شباب الإسلام : لقد طالعتنا الصحف العربية بأخبار الفتاة سناء المحيدلي ابنة السادسة عشرة التي لم تترب على الإسلام وحب الجهاد والاستشهاد، ولكنها قدمت نفسها فداء لوطنها، فاستحييت من نفسي وتواريت خجلا من هذه الفتاة ذات الشعر المنثور.

عندما قرأت قصتها تذكرت قصة ابي الهيثم الحداد اللص السراق، قال عبدالله بن أحمد : كنت كثيرا أسمع والدي (أحمد بن حنبل) يقول: رحم الله أبا الهيثم غفر الله لابي الهيثم، عفا الله عن أبي الهيثم ... فقلت له يا أبي من أبو الهيثم ؟ قال ألا

١ - فتح الباري / ج ٦ / باب ٧٣ / برقم (٢٨٩٢) بزيادة (و موضع سوط أحدكم ...) شرح النووي / ج ١٣ / ص - ٢٦ من بداية قوله { لغدوة ..) ٤٢ - ٤٣ - الآية (١٩) النساء

(٢) - رواه احمد وصححه الحاكم واقره الذهبي وقال الحافظ اسناده حسن

تعرفه؟! قلت : لا، قال: ابو الهيثم، الحداد اليوم الذي أخرجت فيه للسياط ومدت يداي للعقابين –فما خشبتان يشبح الرجل بينهما ليجلد– إذا أنا بإنسان يجذب ثوبي من ورائي فيقول: تعرفني؟، قلت: لا، قال: انا ابو الهيثم العيار –أي النشيط في المعاصي– اللص الطرار –أي النشال من الجيوب– مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفريق ، وصبرت على ذلك في طاعة الشيطان لأجل الدنيا، فاصبر انت في طاعة الرحمن لأجل الدين.

هل هذه الفتاة أولى منا بالتضحية ؟؟ أم أحق منا في بذل النفس والروح ؟ .

ثم طوفت في مخيلتي لأرى الشباب الطيب في العالم الإسلامي قد توقف عن بذل الدماء .. ورأيت شجرة دعوته تكاد تذوي، مصفرة العروق، شاحبة الأغصان يابسة الأوراق، قد فقدت نضارتها، لأن ماء حياتها قد انقطع عنها ، وهو دم الشباب وعرقهم وأشلاؤهم .

يا شباب الإسلام : أليس لله زكاة في أوقاتكم؟ أليس لله تعالى حق على أجسادكم؟ أليس لإخوانكم المسلمين حق عليكم في نصرتهم وولايتهم؟

من يحمي الأعراض من الانتهاك؟ من يحمي الأطفال من الذبح؟ من يكفكف دموع الثكالى ؟ من يهدهد آلام الأرامل والأيتام ؟.

(وما لكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربناأخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) . (النساء:٧٥)

لقد حدثني قاضي محمد أمين رئيس اللجنة العسكرية في الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان أن الروس ذبحوا طفلا فخرج الحليب من عروقه بدل أن يخرج الدم ، وحدثني أن أحد المجاهدين من قرية (إمام صاحب) من قندوز يبكي دما بدل الدموع ، فذهب إلى الطبيب فأخبره أن هذه ضغوط الأحزان والآلام .

أخـــي هـــل تراك ســـئمت الكفاح
وألقـــيت عن كـــاهليك الســـلاح
فمن للضحايا يواســـي الـــجراح
ويرفـــع رايـــتها من جـــــديد

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك .

مسؤولية العرب أمام الله[1]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وبعد:

فإن كل أمة من الأمم عاشت كانت لها ميزة قدمتها إلى صفحات التاريخ، وحفظت لها مكانتها في التراث الذي قدمته البشرية على مر عصورها.

والعرب من بين الأمم التي خلدت وتسلمت قيادة البشرية فترة، وإن كانت لازالت تملك الكثير الذي تستطيع أن تقدمه للمائدة الإنسانية، مما يؤهلها مرة أخرى لاستلام زمام الركب البشري وقيادته.

لقد شرف الله العرب أولاً باختيار النبي الكريم الخاتم منهم، قال تعالى: **(الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير)** الآية ٧٥ الحج

قال صلى الله عليه وسلم: **(إن الله تعالى اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)** [2].

ولقد شرف الله العرب ثانية باختيار حملة الرسالة منهم، فكانوا القادة الفاتحين، والدعاة المبلغين، والأئمة الراشدين، وكما قال

١– نشرت في مجلة الجهاد – العدد السابع – ٢/يونيو/ ١٩٨٥م.
٢ – رواه مسلم وهو في الأحاديث الصحيحة برقم ٣٠٢

ابن مسعود رضي الله عنه: (من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد، كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بدينهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم) (١)

ولقد شرف الله العرب باختيار مكة في بلادهم، لتكون قبلة المسلمين في العالم كله، ولا يقبل الله أحدا أن يتوجه إليه بالصلاة إلا إذا توجه شطر المسجد الحرام:

(ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) الآية(١٤٤)البقرة.

ولقد شرف الله العرب بأن يكون في أرضهم المسجد الحرام والمسجد النبوي في المدينة، وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين: المسجد الأقصى، وشرف الله العرب بأن تكلم بلغتهم، وانزل كتابه الخالد بهذا اللسان: **(وإنه لتنزيل رب العالمين# نزل به الروح الأمين# على قلبك لتكون من المنذرين # بلسان عربي مبين)** الشعراء (١٩٢ ـ ١٩٥) ولذا فقد خلدت اللغة العربية بخلود القرآن، وحفظت بحفظ الله لكتابه: **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)** الآية ٩ الحجر.

وما عرفت قيمة هذه النعمة التي أنعم الله بها على العرب حتى اختلطت مع الأمم غير العربية في باكستان وأفغانستان، فعرفت هذه النعمة الجليلة التي أنعم الله بها علي؛ أني ولدت بين العرب، لأن أحكام التنزيل ومدارك الأوامر الربانية لابد لها من هذه اللغة.

ولقد كان العرب مادة هذا الدين وخامته الأساسية، وكانوا صفوة الأمة الإسلامية، ومحور قيادتها، ودانت الأمم للعرب بإسلامهم، وعرفوا لهم مكانتهم، وسلموا لهم قيادتهم، ورضوا بأن يكونوا أئمتهم.

ولذا فقد حرص صلى الله عليه وسلم أن تكون جزيرة العرب محط أنظار الأمم، وحرص على صفاء عقيدة أهلها، ونقاء مشاربهم، وتفرد مسلكهم، ليكونوا شامة في جبين الأمة الاسلامية ،كما أن الأمة الإسلامية شامة بين الأمم جميعاً. فحرص على تطهير الجزيرة، فكان صلى الله عليه وسلم يردد وهو على فراش الموت: **(أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)** متفق عليه (٢) **(أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب)** رواه مسلم (٣).

فكان حريصاً صلى الله عليه وسلم أن لا يلتقي دينان في جزيرة العرب، ولا تجتمع نحلتان فيها، فكان مما بشر به صلى الله عليه وسلم أمته في حجة الوداع: **(إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم)** رواه مسلم (٤).

ولقد قاد العرب الأمم بهذا الدين، ورضيت البشرية إمامتهم بهذا الكتاب الكريم، وامتن الله عليهم قائلاً: **(لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون)** (الآية ١٠ الأنبياء)

قال الطبري: "لقد أنزلنا كتابا فيه شرفكم . . . . ثم قال: وهذا القول أشبه بمعنى الكلمة، وهو نحو مما قال سفيان الذي حكينا عنه: وذلك أنه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه. (٥).

وقال الرازي:(٦) (ذكركم: شرفكم وصيتكم). وقال القرطبي:(٧) (فيه ذكركم: فيه شرفكم، فالقرآن نزل بلسان قريش، وإياهم خاطب، فاحتاج أهل اللغات كلها إلى لسانهم، فصاروا عيالا عليهم، فشرفوا بذلك على سائر أهل اللغات). (٨)

وأنا أحدث عن مكانة العربي المسلم في نفوس المسلمين غير العرب مما رأيت وسمعت:

١ ـ أن الطلاب في جامعة الجهاد والدعوة (وهم من أبناء المجاهدين والمهاجرين الأفغان) يطلبون مني أن أحدثهم عن فلسطين

---

١ ـ مجموعة الفتاوى ١٣٨/٤

٢ ـ فتح الباري / ج ٦ / كتاب الجزية برقم (٣١٦٨)

٣ ـ شرح النووي / ج ١٢ / كتاب الجهاد / ص ـ ٩٢ بلفظ (لأخرجن اليهود . . .)

٤ ـ رواه مسلم

٥ ـ جامع البيان / ج ١٧ / ص ـ ٧ الطبعة الحلبية

٦ ـ التفسير الكبير ج ٢٢ / ص ـ ١٤٧ ،٨ ـ الجامع لأحكام القرآن / ج ١١ / ص ـ ٢٧٣ /

وعن الحركة الأسلامية في مصر والعالم العربي، مع أنهم يكتوون بنار الأحداث عندهم ويصطلون بجراحها، ويتجرعون ويلات الحروب والدمار يوميا.

٢ ـ المجاهدون الأفغان يقولون: اللهم ارزقنا الجهاد في أفغانستان، وارزقنا الجهاد والاستشهاد فوق أرض بيت المقدس، فقيل لهم: إن الشهادة واحدة سواء في أفغانستان أو في فلسطين، فقالوا: إن فلسطين هي الأرض المباركة، وهي أطهر وأقدس وأكثر بركة من أفغانستان، ولذا فالشهادة فوق أرضها لها قيمة أجل واعظم.

٣ ـ كثيرا ما كنت أحدث المجاهدين الأفغان عن الجهاد فيصغون فاذا ذكرت فلسطين فاضت أعينهم بالدموع.

٤ ـ أن أكثرهم يردد: (من كابل إلى فلسطين).

٥ ـ أن أمير المجاهدين سياف يردد كثيرا: أن قضية فلسطين هي قضيتنا الأولى، وهي قضية الإسلام الأولى، ولكن الأحداث داهمتنا فاذهلتنا عن فلسطين.

٦ ـ لقد سألت الكثيرين منهم هذا السؤال: ماذا بعد أفغانستان؟ فكان معظمهم يجيب: الأقصى وفلسطين، وبعضهم يجيب إلى موسكو.

٧ ـ وعندما دخل اليهود لبنان أرسل سياف وراء المندوب الفلسطيني وقال له: أريد أن أقدم كتيبة من المجاهدين تدافع عن المسلمين الفلسطينيين واللبنانيين، ولكن لي شرط واحد (أن يفرد لهم مكان ليقاتلوا من فوقه، وتنفرد فوق رؤوسهم راية لا إله إلا الله).

٨ ـ لقد دخل بعض الشباب العربي المسلم المجاهد ليؤدوا الجهاد فوق أرض أفغانستان، وليقدموا هذه العبادة ـ عبادة الجهاد ـ لله عزوجل من فوق هذه الأرض، منهم: ضرار واسماعيل: ذهبوا إلى زابل وهم شباب صغار حول العشرين فقط، قال لهم كبار قادة المجاهدين الأفغان: نحن لا نملك شيئا نقدمه لكم عنوانا لفرحتنا، واحتفاء بقدومكم، لو جاز لنا أن نذبح أولادنا تحية لكم لذبحناهم.

٩ ـ ومنهم: أنس ومحمد أمين وأبو أسيد إلى مزار شريف (بلخ)،. قال أنس ومحمد أمين: كانت القرى المجاهدة في بلخ عندما تسمع بقدومنا تخرج وتصطف على الجانبين لتحظى بالسلام على العرب، ويواصل قائلاً: لقد كان الشيوخ الطاعنون في السن يمشون أربعة أيام على الجليد يقطعون المسافات الواسعة من أجل أن تصافح أيديهم يد عربي مسلم.

لقد جمعوا لي أربع عشرة قرية في مسجد واحد، مع أن المنطقة كلها تحت الغارات اليومية بالطائرات الروسية -هذه الطائرات التي تخرج من مطار ترمذ (بلد الترمذي المحدث) ذلك المطار الذي يقع تحت قبضة الشيوعية منذ سنة ١٩١٨- تخرج منه الطائرات لتدمر القرى في الشمال خاصة ـ بلخ ـ وتعود.

ويستطرد أنس قائلا: جمعوا هذ الجمع الكبير الذي يعد آلافاً مؤلفة في هذا الوضع الخطير، ووضعوا مضادات الطائرات فوق المسجد، وبقيت أخطب فيهم من الظهر إلى العصر ولم يقطع الخطبة سوى النشيج والبكاء المرتفع، واصوات التكبير التي كانت تجلجل في أرجاء المسجد.

كنا أحيانا نبقى في دروس مستمرة حتى الساعة الحادية عشرة ليلا، حتى إذا فرغنا في هذه الساعة قام أناس حاضرون في المسجد قائلين: إن أهل قريتنا ينتظرونكم منذ ساعات فيضطر أنس والإخوة معه أن يذهبوا إلى مكان تجمع الناس، فيمتد الكلام إلى الواحدة ليلا، لقد جاء كبار القادة الذين زلزلوا الأرض تحت أقدام روسيا يقولون لهؤلاء الشباب: (نحن طوع أمركم، ورهن إشارتكم، فمرونا بأمركم).

لقد عرضوا على أنس أن يبقى بين ظهرانيهم، ويزوجوه من بناتهم، ويهبوه دارا للسكن، رغم حساسية هذا الموضوع عند شعب قبلي كالشعب الأفغاني).

١٠ ـ لقد سمعت محمد صديق چكري ـ قائد في كابل ـ يقول: إنّ عربيا واحداً بيننا أحب الينا من مليون دولار تقدم إلينا رغم حاجتنا الماسة اليها.

هذه المكانة التي يحتلها العرب في قلوب المسلمين تضعهم أمام مسؤولية كبرى أمام الله، ثم توقفهم أمام مسؤولية عظمى أمام التاريخ **(وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون)** (الآية ٤٤ الزخرف).

إنها مسؤولية القيادة والريادة . . . مسؤولية تلقي على عاتقهم تبعة ثقيلة.

قد أهلوك لأمر لو فطنـــــت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

لابد للعرب أن يحاولوا إعادة دورهم هذا، وأن يتحملوا تكاليف المسؤولية، وأن يعرفوا تبعات هذا الطريق.

لابد أن ينمحي من أذهاننا إلى الأبد الإسلام الإقليمي الذي يقبع في الحدود الجغرافية التي خطها الانجليز أو الأمريكان.

لقد استطاعت الأجهزة اليهودية الدولية للإعلام أن تنقل قضايانا المصيرية من قضايا إسلامية تعيشها الأمة المسلمة بكاملها بأحاسيسها وقلوبها ومشاعرها، لقد نقلت القضية الفلسطينية ـ على سبيل المثال ـ من قضية إسلامية جهادية تفرض على كل مسلم أن يساهم في تخليصها فرض عين إلى قضية إقليمية، عربية، ثم من قضية عربية إلى قضية فلسطينية، ثم أذابت القضية الفلسطينية في قضية أسمتها (مشكلة الشرق الأوسط) لتمييعها وإنسائها للناس.

والآن استطاعت أجهزة الإعلام الشيوعية واليسارية في العالم العربي أن تلبس قضية الجهاد الأفغاني وتظهرها بمظهر المنافس للقضية الفلسطينية، وبدأت بعض الأصوات ترتفع بالنكير على كل من نادى بدعم الجهاد الأفغاني، بل لقد أعرب بعض أبناء جلدتنا من فلسطين، قالوا: إن قضية أفغانستان أثارتها الماسونية العالمية لطمس القضية الفلسطينية.

فإذا كانت الشيوعية العالمية ترمي الشعب الأفغاني عن قوس واحدة، وترمى اليمن الجنوبي والهند والدول الشرقية بأبنائها في المحرقة الشيوعية في أفغانستان لتثبت تضامنها مع الشيوعية الدولية . . . فهل يحرم بعد هذا أن تنادي بعض المسلمين لدعم الجهاد الأفغاني بالنفس والمال؟

أحرام على بلابله الدوح ... حلال للطير من كل جنس

ولقد أصبح هذا الأمر مشكلة لدى بعض القوم، حتى أصبح بعض الناس يلمزوننا لأننا نتكلم عن أفغانستان، ولم تتورع صحيفتنا المسلمة (الأخبار) أن تنشر لأبي أحمد رسالة من حيدر أباد يتهمنا بأنا نسينا فلسطين، معاذ الله ان ننساك يا فلسطين، فإنقاذ فلسطين جزء من ديننا وعقيدتنا وفرض علينا، ولكن مثلي ومثل فلسطين كرجل يصلي ثم أغرقت داره بالماء، فبدأ يبحث عن مكان يصلي فيه، فوجد دارا لأحد إخوانه ليس فيها ماء، وباستطاعته أن يصلي، فهل يقول عاقل أن عليه أن يترك الصلاة أو يصلي دون سجود لأن داره فيها ماء، وهل من العيب أن يصلي في بيت أخيه؟ إنه يصلي في بيت أخيه حتى لا يعطل فريضة الصلاة، وينتظر الوقت الذي يستطيع الصلاة في داره، وهذا شأني في فلسطين وفي أفغانستان، لقد أدينا فريضة عبادة الجهاد، في فلسطين، ثم حيل بيننا وبين أداء هذه العبادة، فبدأنا نبحث عن مكان نعبد الله فيه عبادة الجهاد فوجدنا أرض أفغانستان، فقمنا بأداء العبادة فوق أرضها، ولكنا نترقب الوقت المناسب الذي نعود فيه لأداء هذه العبادة في أرضنا المباركة، فبدلاً من أن نعطل الجهاد، وننشغل بالدنيا، ونغرق في متاع الدنيا، وتترهل أجسامنا، وتثقل هممنا، ونكتفي بالنواح على فلسطين كأجهزة الإعلام العربي. . .

بدلا من هذا التخلف قلنا: نواصل جهادنا في أفغانستان حتى يفتح الله علينا وييسر لنا الجهاد في الأرض المباركة وفي ربوع الأقصى، ولا بد أن ننبه أن الجهاد في أفغانستان فرض عين بالنفس كالجهاد في فلسطين، قال لي نور الدين الفلسطيني ـ وهو مجاهد في أفغانستان الآن ـ قال لي هذا الأخ: والله مازاد حنيني وشوقي للجهاد في فلسطين إلا بعد أن جئت إلى أفغانستان، وإذا كانت العصابات اليهودية قد اشتركت في الحرب العالمية الثانية في جيوش الحلفاء من أجل المزيد من الدربة والمران، وإذا كان موشي ديان قد ذهب إلى فيتنام ليأخذ الخبرة في مقاومة حرب العصابات ليستعملها ضد الفدائيين الفلسطينيين، فهل لنا أن نخرج من دائرة القول والتمني إلى دائرة الجد والعمل لاسترداد فلسطين؟ . .

هلا واجهنا الواقع بوسائل مكافئة ونزلنا من بروجنا العاجية الخيالية التي نحلم فيها بإنقاذ فلسطين إلى إعداد النفوس والقلوب والأرواح والأبدان والعقول؟

إن نار أعداء الله تلتهم كل ما تواجهه من أناس وقيم ومبادئ وديار، وكادت تأتي على البنيان العربي كله، والخطر محدق، فلابد ان نوقظ قلوبنا بالقتال ولا بد ان نفتح اقفالها بالجهاد في سبيل الله.

وهنالك فرق بين القلوب الحية المتلقية المتأثرة، والقلوب الميتة المغلقة الجامدة التي تكفن موتتها باللهو، وتواري جمودها بالاستهتار، ولا تتأثر ولا تتذكر لأنها خاوية من مقومات الحياة.

إن النفوس الفارغة لا تعرف الجد، وتلهو في أخطر المواقف، وتستهتر في مواطن القداسة.

(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) (الآية ٣٧ سورة ق).

كيف صبروا ..؟![1]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فمن تحت شجرة سمرة في سفح جبل يطل على معسكر سلمان بدأت أنظر إلى الخيام التي تكاد تشتعل من الحر اللاهب، ولفح الهاجرة تحرق الوجوه، والأفواه لا تكاد تستطيع أن تفتح أشداقها لجفاف لعابها، ونحن في العاشر من رمضان، وعندها بدأت الأفكار تنثال علي، والاسئلة تتزاحم في مخيلتي، والسؤال الكبير الذي فرض نفسه:

كيف يصبر هؤلاء المجاهدون في هذه السنوات السبع العجاف؟ لقد فقدوا كل شئ في هذه الدنيا.

همم عالية . .

تركوا الأرض العزيزة التي عليها دبوا ونبتوا، فما وهنوا ولا استكانوا، فقدوا الأم التي أغدقت عليهم من حنانها حتى شبوا على أقدامهم، تحول البيت الذي يقطنون ميتما ففيه الأرامل والمشوهون والعجز، والبيت لا يتعدى خيمة تضرب الريح في أرجائها وتقتلع اطنابها، وبعد هذا كله فمسيرة الجهاد مستمرة، والنفسيات عالية، والهمم مرتفعة، ولم يذل هذه الهامات استمرار المحن وتوالي المصائب:

(وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين)

(الآية ١٤٦ آل عمران).

ومقابل هذا جنود الروس تحميهم الأساطيل البرية والجوية، وطعامهم خاص، يعيشون في معسكرات مدججة بأحدث الأسلحة، وما ابتكره العقل البشري من أسلحة وأجهزة المراقبة والأضواء والأسلاك والالات الحديثة الالكترونية.

خواء الإلحاد:

ومع هذا كله يعيشون في فزع رهيب ورعب عجيب، فروسيا تضطر لتغيير قواتها داخل أفغانستان كل ستة أشهر إلى سنة.

سألت أحد الأسرى الروس واسمه عبدالحليم (كما سماه المجاهدون)، فقلت له: كيف تعيشون في داخل معسكراتكم؟ فأجاب: كنت ضمن حامية في مطار في شمال أفغانستان، ومع ذلك لا نضع رؤوسنا ليلة إلا ويكون الحديث الاخير الذي نتهامس به بيننا: الليلة يأتي كل محمد ويذبحنا، وأكثر ما يخشاه جنود الروس أن يذبحهم المجاهدون بالسكين.

قارنت في نفسي بين هذه النفسيات المهزومة في أعماقها، المضطربة في حياتها وأعصابها، وبين المجاهد الذي فقد كل شيء

١- نشرت في مجلة الجهاد – العدد الثامن – ١٥/يونيو/١٩٨٥م.

ومع ذلك فهمته كالسيف عزماً ومضاء.

عندها جاء الجواب: إنه الايمان بالله الذي غرس الأخلاق الإسلامية الرفيعة في نفوس هؤلاء، وعلى رأس قائمة هذه الأخلاق الصبر والشجاعة والعزة والكرم والكرامة، إن كل واحد منهم يمثل أسدا رابضا في عرينه لا يستباح حماه، ولا يقتحم بيته.

نماذج رفيعة:

إنهم يجمعون بين التواضع الجم، والشجاعة الخارقة، جلس أحدهم بين يدي بأدب كأنه تلميذ مهذب بين يدي أستاذه الكبير، فسألت من هذا؟ قالوا: هذا محمد سهراب قائد المعسكر، وقد كان لواء في الجيش الأفغاني قبل أن ينضم إلى المجاهدين، وأعطيت محمد نقيب أمير إحدى الولايات مبلغا بسيطا فقلت له: استعن به على سد أفواه أبنائك الجائعين، وليس هذا المبلغ للمجاهدين، فقال: آخذه بشرطين: أولهما أن أخبر قائدي المسئول، والثاني أن أضعه في صندوق المجاهدين، لأنك تعلم حديث ابن اللتبية الذي قال لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: هذا لكم وهذا أهدي إلي، فقال: **(أفلا قعدت في بيت أبيه وأمه فتنظر أيهدى إليه أم لا؟)**[1].

وأعطيت صدر الدين مبلغا ليوصله إلى ولاية لغمان، فحمله، وعندما سلمه إلى القائد سأله من أين هذا؟ فقال: من أحد الإخوة المسلمين العرب، فرد عليه القائد: أخشى أن يكون من إحدى الجهات التي تحاول احتواء الجهاد كالغرب مثلاً، فأكد له بأنه من إخوانك المسلمين، قال القائد: لا أستلمه حتى أستخير وأستشير، وفي اليوم التالي أخذ القائد المبلغ ولكن نفسه لم تطمئن حتى أرسل المبلغ إلى بيشاور ليستفسر ويطمئن عن مصدر هذا المبلغ.

عفة وطهر . . .

هذه النفوس الرفيعة التي عضها الجوع بنابه، وتعيش مرارة فقر يهز العمالقة من الرجال، ومع هذا فالهمم عالية، والهام مرتفعة، قال لي أحد أبناء حماة: إن الاصالة عريقة في حماة، فرغم قتل الرجال وغيبة الرقيب والموجه عن النساء إلا أن المرأة لا زالت تحافظ على خمارها، فقلما تجد في شوارع حماة امرأة سافرة الوجه . . .

فقلت له: ما بالك بشعب بكامله تحدث في أرجائه مئات المذابح، وفقد مليوناً وثلاثمائة ألف شهيد، ومع هذا لازالت المرأة الأفغانية تتدفق قباعا دون الرجال رغم تسلق الجبال ووغول الأدغال، ولسان حالها يردد ما رددته الصحابية رضي الله عنها: (إن أرزأ ابني فلن أرزأ حيائي) [2].

الأجل والرزق. .

إن أثر العقيدة في أتباعها عجيب جدا، ولقد غرس القرآن هذه العقيدة في النفوس، وأول ما حرص القرآن على بنائه في النفوس عقيدة الأجل والرزق، وذلك لأن محور الحياة يدور حول هاتين القضيتين.

فأما الأجل فكثيراً ما يردد القرآن الكريم:

(فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) [الآية (٣٤) الاعراف ـ (٦١) النحل] . **(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا. . .)** (الآية ١٤٥ آل عمران)

لقد وردت هذه الآية في أثناء التعقيب على غزوة أحد وفي ثنايا القصة جاءت الآية، فالقرآن الكريم يربي النفوس من خلال الأحداث، ومن المعلوم أن غزوة أحد حفرت آثارها في أعماق النفوس، وبينما كانت الجروح تشخب دما، والقرح يهز القلوب، جاءت آية الأجل لتأخذ مكانها في الأفئدة الحزينة، وجرت مع الدم الذي لازال يغلي لهذا الحدث الجلل، أما الرزق فقد أقسم عليه رب العزة بذاته الكريمة:

(وفي السماء رزقكم وما توعدون، فورب السماء والأرض إنه لحق مثلما أنكم تنطقون) الآية ٢٣ الذاريات) .

---

١ ـ شرح النووي / ج ١٢ / كتاب الامارة / ص ـ ٢٢٠ .

٢ ـ هي أم خلاد وقد جاءت منتقبة تسأل عن ابنها الذي قتل فقيل لها: جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبة؟ فقالت قولتها . . والحديث عند ابي داوود .

والنفوس تسير في هذه الحياة وهي مطمئنة لرزقها، راضية لقضائها، هادئة الأعصاب، مستقرة الضمير لأجلها وأقدارها، سيان عندها أن تبتلى فتصبر أو ينعم عليها فتشكر، وفي الحديث الصحيح: **(عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن)**. (١)

لقد أصبحوا بفضل هذه التربية الربانية كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لو كان الصبر والشكر جوادين ما باليت أن أركب أحدهما)، بل لقد تعدوا هذه المرحلة إلى ما فوقها، إذ يصبح القدر النازل من السماء هو سرور النفوس وروح الأرواح كما قال عمر بن عبدالعزيز: (أصبحت ومالي سرور إلا مواقع القضاء والقدر).

لم تعرف البشرية مبدأ ولا دينا جعل الاستشهاد وبذل الروح أسمى آيات العبادة وقمة سنامها مثل الإسلام. ولم يعهد التاريخ عقيدة تجعل الشجاعة والكرم قمم السمو الأخلاقي، وذروة الرفعة البشرية مثل هذا الدين.

معدن صقله الإسلام

إن هذا الدين يتعامل مع معادن فيصقلها ويسمو بها حتى لتكاد تتخيل أحياناً أنك تتعامل مع ملائكة يدبون على الأرض بصفائهم ورفعتهم: **(الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)** (٢) ، لقد صقل الإسلام معدن الشعب الأفغاني: فأصبح الوفاء لهم سجية، والشجاعة صبغة، والعزة لهم طبعاً، والحياء لهم خلقا، والنخوة لهم أرومة، وأصبح الزهد ديدنهم، والرجولة عنوانهم، والغيرة سمتهم. لقد حمل الشعب الأفغاني الإسلام فنشره كذلك في أواسط آسيا وشرقها.

إننا نرى الإنسان في العالم الإسلامي ـ الذي لا يزيد الإسلام عن أن يكون قشرة خارجية لكثير منهم ـ سرعان ما يسقط لأول هزة وسحابة صيف عن قليل تقشع.

مقـــارنة

ونرى المرأة خاصة قليلة الاحتمال، عديمة الصبر ـ إلا من رحم الله ـ، فإذا غاب عنها زوجها ليلة أو بعضها أقامت الدنيا وما أقعدتها، بل لقد أصبح الصرصور يثير الذعر في البيت إذا رأته المرأة، فكيف إذا رأت أبو بريص فإنها لا تتمالك نفسها من الخوف فتصيح من أعماقها طالبة الغوث، ودعك عن الضفدع التي قد تحرم المرأة أن تفتح بابها خوفا وهلعا.

لا تستبعد أن تكون هذه المرأة داعية إلى الله ـ بزعمها ـ، وتتولى عملية التربية لأترابها ـ بظنها ـ، قارن هذه المرأة مع المرأة الأفغانية التي قلما تضع جنبها إلا على الصخور التي تكن الأفاعي تحتها. والغابات التي لا تقطنها إلا الوحوش الكاسرة والهوام السامة.

إن السكين الحاد لا يكاد يفارقها وهي متربصة الساعة التي تنقض فيها على روسي يقتحم حرمة بيتها لتقتله.

إنها لم تر زوجها منذ انقلاب تراقي ١٩٧٨م، أو منذ الدخول الروسي ١٩٧٩م، مع ذلك فهي صابرة محتسبة، تغالب مرارة العيش، وتصارع الحرمان والفقر والفاقة، وتقتات السغوب والآلام، وكما قال الشاعر:

أمسكت ما أبقى الأسى من مهجتي	*ألـــــا وما أبقت لي الأيام*
كي أســـأل الربع الحزين ومــــا به	*إلا الركام ومن طواه كـــــام*
ما للمنازل أجثيــــت شـــــرفاتهـــا	*فـــوق الأحبة والدهان سخام*
ما للمســـــاجد أطفئت أنـــــوارها	*في شهر فرحتها وعم ظـــلام*

---

١ ـ شرح النووي /ج ١٨ / كتاب الزهد / باب أحاديث متفرقة / ص ـ ١٢٥ .

٢ ـ فتح الباري / ج ٦ / كتاب المناقب برقم (٣٤٩٦) عن أبي هريرة وله زيادة .

صفات أصيلة:

إن الصفات الإسلامية هي التي أهلت هذا الشعب الإسلامي الكريم العريق في أصالته أن يخوض هذه المعركة الطويلة المدى، وإن يعتبر هذا الصبر الذي لو صب على الجبال لذابت من اصولها، إن النفس البشرية لا تكاد تصدق ما يتحمله الإسلام فوق أرض أفغانستان، ولكنه الصبر الذي يلقيه الله في القلوب بقدر البلاء الذي يتصبب عليها من السماء.

إن الصبر بحد ذاته كرامة كبرى تدل أن يد الرحمن هي التي ترعى هذا الجهاد، وأن عين الديان هي التي تحرس القتال المبارك.

هذه بعض أجوبة سؤالي الكبير.

(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) (الاية الاخيرة من سورة العنكبوت).

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (الاية الاخيرة من سورة آل عمران)

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وقفوهم إنهم مسؤولون

إن الحمد لله، نحمده و نستعينه ونستغفره .. وبعد:

إن لله – عز وجل – قوانين ونواميس تسير حسبها الحياة الاجتماعية والأجيال عبر تاريخ البشرية.

هذه القوانين لا تحيد الانسانية عنها ومهما حاولت مصادمتها فانها لا محالة فاشلة خاسرة، والانسان هو الذي يدفع الثمن لانه هو المتحطم في النهاية لانه يحاول أن يصطدم بهذه القوانين ظانا أنه يستطيع أن يوقف عجلة الكون الدائرة بإذن الله ربها -ولله المثل الاعلى- كطفل صغير يحمل حجراً صغيراً بيده يريد أن يوقف فرقة متقدمة من الدبابات، لا بد أن تطويه عجلة إحدى الدبابات دون أي جهد.

ومن هذه القوانين: أن النفس البشرية لا تجد سعادتها وطمأنينتها، ولا يتذوق الإنسان حلاوة ولا يحس بهدوء أعصابه وقرة عينه إلا في ظل المنهج الرباني، وتحت كنف النهج الإلهي، هذا القانون الذي تتضمنه الآية الكريمة: **(فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى)** (طه:١٢٤).

ولذا فإن كل المناهج البشرية التي وضعت لملء فراغ الانسان وحل عقدته قد باءت بالفشل الذريع، من رأسمالية إلى اشتراكية وشيوعية وقومية، ونظرة واحدة إلى العالم العربي والإسلامي الذي يعتبر مزرعة تطبيق المناهج الوضعية الجاهلية تجعلك مطمئنا لما نقول لما تراه من شقاء الإنسان، مع انهيارات هائلة في المجالات الاقتصادية والعسكرية والاجتماعية، مع التخبط الشديد والخلط العجيب في محاولات الإنقاذ اليائسة للأوضاع بعيداً عن منهج الله.

ومن هذه القوانين: قانون الدفع (الصراع) بين الحق والباطل: هذا قانون لا يمكن أن يتخلف في حياة البشرية، فالدفع بين الخير والشر، والصراع بين الإيمان والكفر مستمر منذ أن غادرت قدما آدم عليه السلام الجنة ناداهما ربهما: **(اهبطوا بعضكم لبعض عدو)** [البقرة: (٣٦) ـ الاعراف:(٢٤)].

وجبهة الخير والحق يمثلها الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم، وجبهة الشر والباطل يمثلها الشيطان وأتباعه، أو كل جبهة أخرى غير جبهة أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ومن جبهة الباطل: اليهود والنصارى (أهل الكتاب)، والوثنيون والبوذيون والهندوس والبهائيون والقاديانيون والشيوعيون والملحدون والمشركون والمنافقون، هذه الجبهة لا يمكن أن تهدأ في الكيد للإسلام وأهله، أما المشركون فيقول الله عنهم: **(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)** (البقرة: ٢١٧)

أما أهل الكتاب فيقول الله عزوجل فيهم: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) (البقرة : ١٢٠)، ولئن كفوا عن القتال أو الكيد الظاهري برهة من الزمن فالكف خلاف القاعدة، ويعتبر شذوذا في سير التاريخ الإسلامي. وما دام المؤمنون مؤمنين والكفار كافرين فلن يهدأ أوار الحرب، ولن تخبو نارها. (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون) (المائدة :٥٩) . فالنقمة والحقد أمر دائم، لأن السبب موجود وهو أيمان المؤمنين وفسق الكافرين وظلمهم .

ومحاكم التفتيش في إسبانيا التي شنها ألفونسو السادس الصليبي على المسلمين حتى اجتثهم وأباد نسلهم وأهلك حرثهم خير شاهد، والحروب الصليبية التي استمرت حوالي قرنين من الزمان يوري نارها و يذكي لهيبها بطرس الناسك والبابا من الشواهد كذلك.

وفلسطين من الشواهد الكبرى على حقد أهل الكتاب ونقمتهم على أصحاب هذا الدين، ولقد اتفقت الصليبية الدولية واليهودية العالمية معا على سلخ هذا الجزء من أرض المسلمين والاستيلاء عليه، وهاجر ابناء فلسطين بعد أن تآمر عليهم الكافرون الشيوعيون (أنصار المستضعفين) وأهل الكتاب، واتفقت روسيا وأمريكا والمعسكرات على حربهم بجانب اليهود، ووقف المنافقون من صف العرب والمسلمين بجانب أعداء فلسطين ـ الارض المباركة ـ وصمد الشعب الفلسطيني صمودا عجيبا، ولم يستطع اليهود أن يحصلوا خلال نصف قرن (١٨٩٧ م حتى ١٥ أيار ١٩٤٧ حتى دخول الجيوش العربية) على أكثر من ثلاثة ملايين دونم، ولكن خلال عام واحد تقريبا أصبح اليهود يستولون على حوالي ٢٢ مليون دونم من مجموع ٢٦ مليون دونم مساحة فلسطين كلها.

ولاحق الكفار الشعب الفلسطيني في كل مكان: سجنا وتشريدا وتمزيقا وتقتيلا. أوصدوا في وجهه الحدود دون مقاتلة اليهود، منعوه من الإعداد، حرموه من حقوقه الأساسية في الحياة ـ كالوظائف والتنقل ـ، حتى الورقة التي تشهد له بمواطن (جواز السفر) لم يمكنوه من حملها، وحرموه حقوقه، بل لقد حرموه الكلام وبث الشكوى، وأما مجالس الشعب الاستشارية في العالم العربي فهي لا تزيد عن الوصف الذي اطلقه هاشم الرفاعي على مجلس الشعب أيام عبدالناصر:

ها هم كما تهوى تحركهم دمى — لا يفتحون بغير ما تهوى فما
إنا لنعلم أنهم قد جمـــعوا — ليصفقوا إن شئت أن تتكلما

أذكر في الخمسينات والستينات أن الدوريات اليهودية كانت تصل أحيانا قرب بيتنا ـ إذ أننا نسكن في قرية حدودية ـ، وذات يوم ذهب جارنا وبث شكواه إلى مركز الشرطة فالقوه في السجن وبدأ التحقيق مع الإيذاء والإهانة، ولم يفلته من الورطة إلا ذكاء ضابط طيب من ضباط التحقيق نصحه أن يقول للجنة التحقيق: لعلي كنت أحلم، فأفلتوه بعد أن نفى رؤية اليهود في اليقظة!!!

لقد جرد الفلسطينيون من الأرض والهوية ومن أي حق إنساني، وحتى حق الكلام والشكوى، وطوردوا فوق كل أرض وتحت كل سماء، وأصبح كل جزار يريد أن يستلم مسلخا في العالم العربي يجرب سكينه في هذا الشعب ليثبت جدارته في إدارة المسلخ المعد له.

سكنوا لبنان، وعندما قامت عليهم كتائب المارون اضطروا أن يدافعوا عن أنفسهم، فشبت كتائب النصيرية بجانب الكتائب الصليبية لتكسر شوكة المسلمين الفلسطينيين، ولترجح كفة الصليبية اللبنانية بعد أن خضدت شوكتهم، ونكسوا على رؤوسهم، ولتمسح مخيم تل الزعتر من فوق الأرض، تابعوهم وفي كل عام مذابح ومجازر، دخل اليهود لبنان ليخرجوا الأيادي المسلحة القوية من ارضها، ثم يتعاون أهل الكتاب (الصليبية مع نجمة داود) لذبح أبناء صبرا وشاتيلا.

والآن وبمباركة النصيرية الحاقدة تلتقي الشيعة في حركتها أمل الكفر والدروز الكتائب الصليبية وتحاصر مخيم صبرا وشاتيلا وتبدأ المذابح ووراءها الجرافات التي تدفن الجثث وبقايا الاحياء، وآلت على نفسها إلا أن تسوي المخيمين بالأرض لا تريد أن تبقي أطلالا خربة ولا منازل مهدمة حتى لا يقال في المستقبل هنا كان يسكن الفلسطينيون، ولئلا يقال:

يا دار ما فعلت بك الأيـــام — ضامتك والأيام ليس تضام
عرم الزمان على الذين عهدتهم — بك قاطنون وللزمان عرام

وحتى لا يسمع:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

أو يتغنى أحد قائلاً :

وكل دار وإن طالت سلامتها يوما ستدركها النكباء والحوب

لا نريد الدار ولا الأطلال، ولا الأطفال ولا الرجال.

والغريب العجيب: الصمت الرهيب المطبق حيال هذه المجازر الرهيبة، هناك مجازر المسلمين الفلسطينيين في لبنان، وهنا مجازر المسلمين الأفغان، في كل يوم تسمع مجزرة في كنر، وردك، لوكر (زرغن شهر) قصاب، على، وعيسى خيل (كندوز) وفي تخار مجازر تشبه مجازر الفلسطينيين ولا تحس من أحد ولا تسمع لهم ركز.

فهل يقف ذو لب أو ذو بقية فيسأل هذه القبور الصامتة والأجداث الوحشية بأي ذنب قتلت؟

ان لم يسأل أحد في هذه الأرض فسيسمعون صوت الحق يوم القيامة يناديهم: **﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم # وقفوهم إنهم مسؤولون﴾** (الصافات:٢٢).

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

أين الصحفي المسلم ؟!(١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

على أبواب بكتيا وأثناء عودتنا من معسكر (ليجا) على مشارف خوست كنت جالسا ذات مساء وبجانبي صاحبي ينتظر أذان المغرب ليفطر ـ إذ كان صائما يومه السادس من شوال، ولم يكن أمامه سوى هذا اليوم من شوال ليصومه، إذ كنا في اليوم التاسع والعشرين منه ـ أقول: بينما كنا جالسين دخل شاب أشعث أغبر لم تعد تعرف لون وجهه ولا لون ثيابه من الغبار الذي يكسوه، والعرق الذي اختلط بالثرى الذي يكاد يغير ملامحه تماماً. الشاب أشقر طويل أزرق العينين، تبدو سحنته الغربية واضحة جلية.

فبادرنا بلغته الانجليزية: أيكم يعرف الانجليزية؟ فقلت له: ماذا تريد؟ فقال لي: هل جاءت حقيبتي من (ليجا)؟ قلت له: من أنت؟ قال: أنا (كرستيان روبين) قدمت من فرنسا صحفيا مبعوثا من وكالة الأنباء الفرنسية المسماة (سيغما)، ومكثت في داخل أفغانستان أربعة أشهر ونصف في وردك وغزني وخوست –بكتيا–.

قلت له: هل تؤمن بالله؟، قال: نعم، وازداد إيماني في داخل أفغانستان عندما رأيت الكلاشنكوف يقاتل طائرات الجيت والدبابات، ثم استمر الحديث بيننا، فقلت له: هل تظن أن روسيا ستنتصر؟ قال: لا بل ستهزم ولكن بعد فترة، فسألته عن السبب؟ فقال لي: لأن الشعب الأفغاني شعب متدين شجاع يقاتل لغاية، والروسي لا يدري لماذا يقاتل؟! بالإضافة إلى النفقات الباهظة والخسائر الفادحة التي تتكبدها روسيا بلا عائد (٢,٥ بليون دولار سنويا)، هذا الرقم الذي ذكره الصحفي الفرنسي وإن كنت أعلم أن الرقم أعلى من هذا بكثير، فلقد سمعت من رجل شيوعي كبير في مخابرات كابل قد استسلم للمجاهدين: إن نفقات الجيش الروسي يوميا (٣٦ مليون دولار على الأقل)، وباختصار لقد قال لي الصحفي الفرنسي الكاثوليكي: أن هذا الجهاد الذي في أفغانستان سينتصر لأن الله مع المجاهدين.

قلت له: كيف صبرت في أفغانستان على شظف العيش وقسوة الجو؟ قال لي: هي بسيطة، إن هي إلا الخبز والشاي: فطوري خبز وشاي، غدائي شاي وخبز وعشائي خبز وشاي، قال: لا حاجة للتفكير في اختيار الأصناف، ثم سألته هل تمتعت في رحلتك؟ فرد قائلا: إنها أكثر رحلة تمتعت بها في حياتي، فسألته عن السبب فقال: لقد أحببت شعب الأفغان لأنه شعب كريم، شجاع متدين يقابل الموت، فكم كنت أعجب عندما أرى القذائف من الطائرات كوابل من المطر وهم يمزحون ويهزلون كأن الأمر لا يعنيهم.

١– نشرت في مجلة الجهاد – العدد العاشر ١/ أغسطس / ١٩٨٥م.

أقول ولقد رأيت بنفسي الحفر التي خلفتها غارات الطيران في معسكر ليجا الذي كان فيه هذا الصحفي، ورأيت الماء قد خرج من الأرض في إحدى الحفر.

ثم سألته بعد أن قال أثناء الحديث مازحا بلكنته الأعجمية (لا إله إلا الله محمد رسول الله) هل تؤمن بهذه الكلمة؟ فقال: أؤمن بالشطر الأول أما محمد فإني أريد أن أدرس عنه فسألته عن مدى معرفته لجارودي وموريس بوكاي الطبيب الذي أسلم، فقال: أعرف جارودي، فنصحه الشباب أن يقابل جارودي بعد عودته، ثم وعدته أن أعطيه بعض الكتب الانجليزية عن الإسلام، وطال الحديث أثناء رحلتنا الطويلة من ميران شاه إلى بيشاور(من حدود بكتيا إلى بيشاور) ثم اخبرني انه راجع إلى بيشاور ليرى برقية جاءته من فرنسا تخبره أن أمه على فراش الموت، وهو عازم على العودة إلى أفغانستان.

لقد تملكني العجب وأنا أرى صبر هذا الصحفي الكاثوليكي على مشاق الحياة ولأوائها في أفغانستان، وذلك لأنه يشبع رغبة في نفسه: وهي نقل صورة حقيقية عن الجهاد وأهله داخل أفغانستان، ومن أجل تلبية هذه الرغبة تهون عليه كل المصاعب، مع أنه لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا من رب العالمين، ولا يطمع في شهادة يدخل بها جنات عرضها السموات والأرض.

لقد رأيت آثار الجروح في بدنه إثر غارة جوية على معسكر(ليجا)، وقد أخبرني المجاهدون بذلك أثناء وجودي بينهم، وهي أن الصحفي الفرنسي قد أصيب، وهي كرامة من كرامات الجهاد إذ أنه الشخص الوحيد في المعسكر الذي أصيب لأنه ليس مسلما، واستفسرت عن عدد الصحفيين الغربيين في الداخل –وليس في الداخل إلا صحفي كافر–، فقال: الذين أعرفهم خمسة عشر، والذين لا أعرفهم كثيرون.

لقد كنت أقارن بين هذا الصحفي وبين الصحفيين المسلمين العرب وحتى الباكستانيين الذين يعيشون على حدود الجهاد وشظايا القذائف تصل قراهم أحيانا ومع ذلك فهم ينقلون ما يترجمونه عن النيوزويك والاوموند والتايم وكريستيان ميرور، ولا يطمع أحدهم أن يصل حدود أفغانستان هربا بالنفوس من الحياة (الجهاد):

ذل من يغبط الذليل بعيش　　　رب عيش أخف منه الحمام

وصدق الله العظيم: **(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)** (الآية ٢٤/الانفال).

وقد روى ابن كثير: معنى (لما يحيكم . .) أي للحرب التي أعزكم الله تعالى بها بعد ذل، وقواكم بعد الضعف، ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم[١]

فموتي في الوغى عيش لأني　　　رأيت العيش في إرب النفوس .

وليت الصحفيين (المسمين بأسماء المسلمين) يكتفون بما ينقلونه عن الصحف الغربية . . بل يعكسون ما في قلوبهم على صورة الجهاد الأفغاني إلا من رحم ربك وقليل ما هم، فينقلون صورة قاتمة مظلمة عن الجهاد وأهله، يعتمون على الصور المشرقة والانتصارات الباهرة. . . فإذا دخل الروس قرية من القرى، أو قتلوا مجموعة من المدنيين انطلقت أقلامهم أسبوعا كاملا تصور انتصار الروس وهزيمة المجاهدين . . . وما اكتفوا بصمتهم المطبق عن النبأ الذي زلزل العالم بأسره، وشد انتباه الدنيا وأهلها، فصدق الله فيهم: **(قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا أشحة عليكم)** (الاحزاب:١٨).

والمنافقون لا يأتون البأس إلا قليلا، وهؤلاء لا يأتون البأس لا قليلا ولا كثيرا، وهم أشحة والشح: أشد البخل، فهم بخلاء أشد البخل حتى بالكلمة الطيبة. . بل إن بعضهم يرجف ويخذل ويصور الجهاد الأفغاني مجموعة من قطاع الطرق يقبعون على حدود باكستان يتربصون سيارة ينهبونها ويقتسمونها، وأن أفغانستان خاضعة تماما لروسيا، مع أن كل من دخل أفغانستان يدرك الحقيقة: إن الروس يعيشون كالفئران المذعورة في داخل حصونهم المحاطة بأسوار الاسمنت وحقول من الألغام وسياج من الأسلاك الشائكة، ولا تستطيع عشرات الدبابات أن تسير في الشارع العام.

لقد كنت جالسا في هذه الرحلة على أطراف بكتيا، وإذا بطائرتين فوق رؤوسنا مشحونتين بالسلاح والصواريخ البارزة منها لا

---

١ ـ تفسير ابن كثير ٢٩٧/٢

ترتفعان أكثر من خمسة عشر متراً ثم حطتا بجانبنا، فهرع إليها الناس، وإذا بهما طائرتان روسيتان هاربتان ليستسلم أصحابهما للمسلمين . . . فهل تستيقظ ضمائر اصحاب الاقلام ام تبقى سادرة في غيها وما اجمل قول الشاعر:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

المعركة بين الجت والحصان[1]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره . . . وبعد:

من حدود باكستان حتى حدود الاتحاد السوفياتي، وعلى طول الطريق العام في أفغانستان من شمالها إلى جنوبها، تجد قوافل الحمير والبغال والخيل محملة بالأسلحة والذخائر، وبالصواريخ بأنوعها، لا تجد فوق الأرض من يستطيع مقابلتها في المعركة، وكل الذي تخشاه أن تفاجئها الطائرات ميج ٢١، ٢٣، ٢٧ أما الدبابات فلم يعد بمقدورها أن تسير على الطريق العام حتى بقوافل وفرق تصل إلى خمسمائة دبابة.

رأيت هذا في الطريق المؤدية من جاجي (حدود باكستان) إلى كابل، رأيت الخيول محملة بالصواريخ، والطريق آهلة لا يسير فيها إلا مجاهد. يمشي المجاهد من جاجي إلى كابل لا يخشى إلا الله، ومن الحدود إلى بدخشان (على حدود الاتحاد السوفيتي)، والبغل يعتبر دبابة المجاهد، وهو يشكل وسيلة نقل هامة لأسلحة المجاهد، وفي اختراق سلاسل الجبال وتحدي الثلوج والتلال والأدغال.

وعلى طول الحدود في باكستان تجد أصحاب البغال ينتظرون المجاهد ليستأجر البغل، وصاحب البغل يأخذ عشرين روبية؛ أجرة الكيلو غرام الواحد من الحدود إلى شمال كابل. أما إلى هرات و إلى بادغيس ومزار شريف فقد تصل أجرة الكيلو غرام الواحد من ٤٠ –٥٠ روبية، وإلى بدخشان ٤٢ روبية، والحصان والبغل يحمل في المسافات البعيدة ١٤٠ كغم، ولذا فاجرته حوالي ثلاثة آلاف روبية، أي ما يعادل مائتي دولار أمريكي إلى قرب كابل، بينما تصل اجرته إلى بدخشان حوالي أربعمائة دولار.

ولقد كنت أظن ان دور الخيل قد انتهى في الحروب، ولكني وجدت دورها الكبير في أفغانستان مصداقا لقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كما رواه عروة بن الجعد البارقي: **(الخيل معقود في نواصيها الخير –الأجر والمغنم– إلى يوم القيامة)** [2]، وهذا الحديث دليل على ان الجهاد ماض إلى يوم القيامة ويؤيده حديث أنس مرفوعا: **(والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل)** [3].

وكل أفغاني يفخر أن يكون لديه حصان، وتراهم في قواعدهم فمن كان عنده حصان ربطه أمام خيمته يعني بطعامه وشرابه، ويحافظ عليه حفاظه على نفسه، وهو يذكرنا العزة في جاهليتهم واسلامهم من حيث اعتنائهم بالخيول، إذ كانوا يهنئون بميلاد الفَرَس، وكل ينطق وشعاره كلام خالد رضي الله عنه يوم اليرموك: (وددت أن الأشقر قد بريء وأن عدد الروم قد تضاعف) .

كان في جاجي شاب يسمى (باري هوا) مسؤول عن تبليغ الأوامر للمراكز المحيطة، فكان يسابق السيارة على فرسه، وكم هو جميل أن ترى هؤلاء الفرسان يمتطون صهوة خيولهم يذكرونك بالسلف الصالح أيام اليرموك والقادسية ونهاوند.

وكراية السلاح (أجرة السلاح) تشكل عقبة كبرى أمام المجاهدين، وقد ينتظر المجاهد تسعةُ أشهر ينتظر أن يوفر الله له سلاحه ومؤونته، ثم تبرز عقبة أخرى هي عقبة أجرة سلاحه، وأكبر المشاكل هي ما يواجه القائد حين يعيش متقلبا على أحر من

---

[1]- نشرت في مجلة الجهاد – العدد الحادي عشر ٣١/ أغسطس / ١٩٨٥م.

[2]- فتح الباري / ج٦ / باب ٤٤ / برقم (٢٨٥٢) شرح النووي / ج١٣ / ص – ٢٧ بتلغيير عبارة – الأجر والمغنم.

[3]- الحديث سكت عنه ابو داود والمنذري وفي إسناده يزيد بن ابي شيبة وهو مجهول، وله شواهد.

النجمر، إذ على جبهته التي تركها في الداخل قوات يخشى أن يفجأها الروس بجيش عرمرم وبهجوم سريع وليس عندهم ما يكفون به عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم، وليس عندهم إلا ما يسدون به رمقهم ويوارون بشرتهم من كساء، والقضية الأخرى: كيف يستطيع تدبير أجرة سلاح كتيبته.

جاءني أحد القادة الكبار حول كابل فقال لي: نريد أن تدبر لنا أجرة ذخيرتنا وسلاحنا، فقلت له: نحن لا ندفع أجرة السلاح وإنما نساعد من أجل إنشاء المدارس في داخل أفغانستان، فقال لي: إذن سأبقى في بيشاور ولن يدخل السلاح إلى الداخل، وقد رأيت حالات كثيرة من القادة يبقون يتضورون على الحدود يتلهفون رؤية زائر قادم يشكون له حالتهم لعله يرق لهم ويحل مشكلتهم أو يساهم في حلها.

قال لي صاحبي متعجبا: إذن أين تذهب الأموال التي يدفعها المحسنون العرب؟ أين تنفق الزكاة التي تجمع بالملايين؟ فقلت له: هل يستطيع العرب أن يدفعوا ثمن الخبز الذي يأكله المجاهدون؟ هلم إليّ لأريك الحساب، إن كل مجاهد يحتاج ثلاثة أرغفة يوميا، ثمنها ثلاث روبيات، فهو يحتاج في الشهر: تسعين روبية؛ ثمن الخبز، فإذا كان عدد الذين يحملون السلاح داخل أفغانستان نصف مليون، فهذا يعني أنهم يحتاجون خمسة وأربعين مليون روبية شهريا، أي ما يعادل ثلاثة ملايين دولار.

فهل يدفع العرب هذا المبلغ؟ هل تريد مزيدا من الأمثلة التي توضح لك الصورة، لقد وصل جبهة بنجشير خلال ستة أشهر من عام ١٩٨٥ أربعون ألف روبية، وجبهة بنجشير تعد سبعة آلاف مجاهد متفرغ من خيرة المجاهدين، أي أن نصيب المجاهد شهريا روبية واحدة، ووصل جبهة هرات خلال ستة أشهر سنة ١٩٨٥ مائة ألف روبية وهم يعدون خمسة عشر ألف مجاهد، كذلك نصيب المجاهد روبية واحدة، ويصل جبهة كنر ١٦ ألف روبية شهريا وعددهم ١٧ ألف مجاهد، فنصيب كل واحد منهم أقل من روبية، وفوق هذا كله تجد أناسا متبرعين يتتبع عورات الأفغان وينشر عيوبهم، فتجده يزورهم عدة أيام ليرجع إلى بلاده داعية لنشر مساوئهم، وينبه إلى بعض الأخطاء الفردية والعيوب الشخصية، مثل تعليق الرقى والتمائم والتوسل، فتنقبض الصدور من الجهاد الأفغاني، وتمسك الأيدي عن البذل، حتى قال بعضهم: ليس في أفغانستان جهاد وإنما (قتال بين المشركين الأفغان والملحدين الروس).

وهؤلاء ينسون أن هؤلاء المجاهدين يواجهون أعظم قوة في المعمورة منذ سبع سنوات، ولم يبق بيت إلا تحول إلى ميتم ومأتم، وهم صابرون محتسبون، يأتي أحدهم خبر استشهاد أبنائه فيردد بلكنته الأعجمية: شكر لله، حمدلله، وينهى الناس عن البكاء حتى لا ينتقص أجر الشهيد، أي إيمان هذا! أليس هذا تعاملا مع صفات الله الرقيب الحسيب الشهيد البصير؟.

ينسى هؤلاء المتحمسون الذين يطعنون الجهاد الطعنة النجلاء في الصميم أنه لو سقط الجهاد الأفغاني لعظم البلاء واشتد الخطر على مسلمي العالم إن هؤلاء يغفلون عن مقاصد الشريعة العامة، فليسمعوا قول الجامعين لمرامي النصوص وأهدافها الكلية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لاخلاق لهم، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار، أو مع معسكر كثير الفجور فإنه لا بد من أحد أمرين: إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضررا في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الامير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين، وإقامة أكثر شرائع الاسلام، وإن لم يمكن إقامة جميعها، فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما اشبهه بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه) ويقول ابن تيمية في الفتاوى أيضا (اجتماع القوة والأمانة في الناس قليل ولهذا كان عمربن الخطاب رضي الله عنه يقول: [اللهم أشكو اليك جلد الفاجر، وعجز الثقة]، فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها، فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة... قدم أنفعهما لتلك الولاية، وأقلهما ضررا فيها، فيقدم في إمارة الحروب الرجل القوي الشجاع -وإن كان فيه فجور- على الرجل الضعيف العاجز وإن كان أمينا، كما سئل الإمام أحمد عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو، واحدهما قوي فاجر والاخر صالح ضعيف مع أيهما يغزى؟ فقال: أما الفاجر القوي فقوته للمسلمين وفجوره لنفسه، وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين، فيغزى مع

القوي الفاجر)[١]، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر)[٢]، وروي: (بأقوام لا خلاق لهم)، فليت أنصاف المتعلمين يطلعون على نهج خيار الأمة قديما وحديثا، وليتهم يعرفون مدارك التنزيل، وليت شعري لو يطلعون على أسرار التأويل في نصوص الأحكام. وفي الصحيح: (أعظم الناس فرية اثنان: شاعر يهجو القبيلة بأسرها ورجل انتفى من أبيه)[٣]. وفي الصحيح: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)[٤].

معادلة ربانية[٥]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره . . . وبعد:

فلقد اقتضت إرادة الله وحكمته أن يكون الجزاء من جنس العمل، فقال عز وجل: **(فاذكروني أذكركم)** (البقرة: ١٥٢)

(ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) (الحشر: ١٩)

(نسوا الله فنسيهم) (التوبة:٦٧)

(إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) (محمد: ٧).

(وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) (البقرة: ٤٠).

وفي الأحاديث: **(أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم)** [٦]. **(إذا تقرب العبد إلي شبرا تقربت إليه ذراعا، وإذا تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا، وإذا أتاني مشيا أتيته هرولة)** رواه الشيخان[٧]، ومنها أيضاً **(من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة)** رواه الشيخان. **(ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة)** . **(ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته)** رواه الشيخان[٨]. **(ومن تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع عورته فضحه ولو في جوف بيته)** [٩]. **(ومن يستعفف يعفه الله، ومن يتصبر يصبره الله)** [١٠].

وقد قضى الله قضاء لا يرد، أنه بقدر اشتغالك بأمور الآخرة وتنفيذ شريعة الله والجهاد في سبيله بقدر ما ييسر الله أمر دنياك:

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه)، (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) الآيات ٢-٣-٤ الطلاق.

يقول ابن سيرين عندما ركبه الدين وحبس به: (إني أعرف الذنب الذي أصابني هذا، عيرت رجلا منذ أربعين سنة فقلت له يا مفلس).

ويلمس المسلم هذه القاعدة واضحة في الجهاد، فبقدر ما تشتد الظروف وتقل الدنيا وأسبابها المادية بين يدي المجاهد، يوسع الله عليه بعوض عظيم من جهة التأييد الإلهي والنصر المؤزر الخارج عن طاقة البشر وإمكانياتهم، ويحس المجاهد في أعماقه بسعادة

---

١ ـ الفتاوى ٢٨/٢٤٥ .

٢ ـ الحديث عند البخاري فتح الباري / ج٦ / باب ١٨٢ برقم (٣٠٦٢) من حديث عن أبي هريرة.

٣ـ الحديث عند ابن ماجه عن عائشة وقد رواه بن ابي الدنيا في باب / ذم الغضب وهو في صحيح الجامع برقم (١٠٦٦)

٤ ـ الحديث متفق عليه عن أبي هريرة فتح الباري / جح ١١ / كتاب الرقاق / باب ٢٣ / برقم (٦٤٧٥) شرح النووي / ج٢ / كتاب الإيمان / ص – ١٨ بتقديم وتأخير في عباراته.

٥- نشرت في مجلة الجهاد – العدد الثاني عشر ، ١ / صفر / ١٤٠٦هـ ١٥/ اكتوبر / ١٩٨٥م.

٦ ـ الحديث عند مسلم عن ابي هريرة شرح النووي / ج ١٧ / كتاب الذكر / ص -٢

٧ ـالحديث عند البخاري عن أنس فتح الباري / ج ١٣ / باب ٥٠ / برقم (٧٥٣٦)

٨ ـ هذه قطع ثلاث من حديث متفق عليه فتح الباري / ج ٥ / كتاب المظالم برقم (٢٤٤٢) وهو عنده عن ابن عمر بلفظ (. . . كربة من كربات . . .) شرح النووي /ج ١٦ / كتاب البر والصلة / ص – ١٣٥ وهو عنده عن سالم عن ابيه بلفظ (. . . فرج الله عنه بها . . .)

٩ ـ رواه ابو داود والترمذي وهو حسن ورجاله ثقات

١٠ ـ هو في الصحيحين عن ابي سعيد الخدري فتح الباري / ج٣ / باب ٥٠ / برقم (١٤٦٩) شرح النووي / ج ٧ / كتاب الزكاة ص – ١٤٥ بلفظ (. . . ومن يصبر يصبره الله . . .) وهو في المختصر برقم (٥٥٥) ٨٤ ـالآية (٢ – ٣) الطلاق

غامرة يجدها في حناياه من انشراح الصدر وراحة الضمير وقرة العين.

فإذا شح الطعام وفقد الإدام يبدل الله المجاهد لذة بالخبز الجاف لا يجدها الذين يجلسون على الموائد الفاخرة التي تضم أصناف الطعام وأنواع الحلويات والفواكه.

وإذا بعد المجاهد عن الأهل أبدله الله عن الوحشة بفراقهم أنسا يحسه في قلبه، وسعادة غامرة تبتل لها جوانحه حتى لا يعود يذكر أن له أهلا وزوجة وخلانا، وأي أنس ومحبة هذه؟ أصبح المجاهد مع أخيه أسعد منه بزوجته وأولاده وأهله.

يقول لي أبو الحسن السوري ونحن نشهد معركة مع المجاهدين: والله ما نسيت ابني ياسر يوما واحدا منذ أن استشهد إلا في هذا اليوم .

وهنا يجمل بنا أن ننقل كلمات ابن تيمية (ماذا يصنع في أعدائي؟ إن جنتي وبستاني في صدري لا تفارقني، إن سجني خلوة، وإن نفيي سياحة وإن قتلي شهادة).

وكان يقول: لو أعطيت الذين سجنوني ملء هذه القلعة ذهبا ما كافأتهم لما رأيت من الأنس والخير الذي أعطانيه الله.

إنك تعيش مع المجاهدين يوما أو أكثر فتتركهم وقلبك معلق بهم، وتعيش معهم شهرا على الخبز والشاي والمرق فما أن تغادرهم حتى يحن قلبك إليهم وتهفو للعودة معهم.

قال لي أبو سياف (فتحي): هل يحق أن نترك أرض الجهاد ونذهب لحج الفريضة؟ فقلت: إن لم يؤثر الحج على سير المعركة فلا بأس، وأنا أعلم أنه لم يحج الفريضة، ولكن قلبه معلق بالجهاد، وهو يأبى أن يترك الجهاد ويذهب للطواف بالبيت العتيق.

إنها المعادلات الربانية، إنها التعويضات الإلهية، إنها موازين القسط بيد رب العالمين.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه احمد والنسائي [1] (من استغنى أغناه الله، ومن استعف أعفه الله، ومن استكفى كفاه الله) .

وفي الصحيح عن الترمذي [2] مرفوعا (من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، ومن أسخط الناس برضى الله كفاه الله مؤنة الناس).

وفي البخاري [3] مرفوعا (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله).

وفي الصحيح عند أحمد وأبي داود [4] (من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله أوشك له بالغنى إما بموت آجل أو غنى عاجل).

والمعادلة الربانية التي لا تتخلف أنك بقدر اشتغالك للآخرة ييسر الله أمور دنياك، ويريحك في حياتك، وينزل السكينة على قلبك.

وفي الحديث الصحيح عن ابن ماجة [5] (من كانت همه الآخرة جمع الله له شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا راغمة، ومن كانت همه الدنيا فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له).

ولقد رأينا هذا في الجهاد، رأينا عندما كان السلاح شحيحا، والذخيرة مفقودة، ومضادات الدبابات والطائرات معدومة، كانت الغنائم كثيرة.

---

١ ـ وهو في الاحاديث الصحيحة برقم (٢٣١٤) وفي صحيح الجامع برقم (٥٩٠٣)

٢ ـ هذا النص عزاه الألباني إلى صحيح ابن حبان والحلية لأبي نعيم وهو عند الترمذي برقم (٢٤١٤) عن عائشة بلفظ (من التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس) وهو في صحيح الجامع برقم (٦٠١٠) .

٣ ـ وهو عند احمد في المسند وقد اخرجه ابن ماجه (٢ـ٢٤١١) بلفظ (من أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله) وهو في صحيح الجامع برقم (٥٨٥٦)

٤ ـ هذا النص رواه ابو داود برقم (١٦٤٥) عن ابن مسعود وهو عند أحمد برقم (٣٦٩٦) وقد رواه الترمذي برقم (٢٣٢٦) بلفظ قريب وهو في صحيح الجامع برقم (٦٠٤١)

٥ ـ عند ابن ماجه برقم (٤١٠٥) عن زيد ثابت بلفظ قريب، وهو عند الترمذي برقم (٢٤٦٥) عن انس بلفظ قريب، وهو في صحيح الجامع برقم (٦٥١٦) وفي السلسلة الصحيحه برقم (٩٤٩)

وفي الصحيح [1] (عليكم بالجهاد فانه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم) .

وتجد مصداق هذا أحداثا واقعية في دنيا الجهاد، وذلك لأن الجهاد هو العلامة الظاهرة للصدق والإخلاص، ولذا سمى الله عز وجل المجاهدين صادقين، فقال عز وجل: **(إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون)** الآية ١٥ الحجرات .

وإذا كان العمل صادقا فإن الله عز وجل يسهل على صاحبه أداءه مهما كان العمل ثقيلا وشاقا (والمطالب العالية -كما يقول ابن القيم- موقوف حصولها على همة عالية، ونية صحيحة، فمن فقدهما فقد تعذر عليه الوصول إليها، فإذا كانت الهمة عالية تعلقت به وحده دون غيره، وإذا كانت النية صحيحة سلك العبد الطريق الموصلة اليه، فالنية تفرد له الطريق، والهمة تفرد له المطلوب) [2].

وتعجب وأنت ترى حال المجاهد وقد فقد كل شي في الدنيا، فقد سقط على طريق الجهاد أحبازه واخوانه وأهله وجيرانه، وهو يعيش في شظف من العيش، وشدة من الحياة لا تكاد تصدق، ومع هذا فإنك تجدهم يمزحون ويهزلون والقذائف تتصبب فوق رؤوسهم!!.

قلت لصحفي فرنسي عايش الأفغان فترة في معاركهم: كيف تجد الشعب الأفغاني؟ قال: أحببته كثيرا، فسألته لماذا؟ فقال لأنه شعب متدين كريم يستقبل الموت بابتسامة.

والحق من ترك شيئا لله عوضه الله عنه، وقال ابن سيرين سمعت شريحا يحلف بالله ما ترك عبد لله شيئا فوجد فقده، أجل ما يعوض به المرء الأنس بالله ومحبته، وطمأنينة القلب به، وقوته ونشاطه وفرحه ورضاه عن ربه تعالى.

وقد جاء في الصحيح [3] قالت أم سلمة رضي الله عنها سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: **(ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها إلا آجره الله في مصيبته، وأخلف له خيراً منها)**، فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخلف الله لي خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي رواية: **(فعندما قلتها قلت في نفسي ومن خير من أبي سلمة؟)**

والشواهد أكثر من أن تعد وتحصى في أرض الجهاد، يقول لي عمر حنيف: جئت أتزوج في بيشاور منذ عشرة أيام، وتركت الجبهة، وسأرجع خلال أيام، لأن سعادتي هناك، لأننا والجهاد كالسمك والبحر!!

ويقول لي الشيخ تميم العدناني: لقد ودعت أهلي وزوجتي وأولادي عندما جئت للجهاد، ولكنني لم أبك، وبقيت في جبهة (شهرناو) أسبوعا فودعت المجاهدين باكيا!

ويحدثني شاب عاد من بغمان اسمه بلال: لقد مكثت سبعة عشر يوما في لغمان فودعني المجاهدون وهم يبكون!

والتأييدات الربانية والتكريمات الرحمانية واضحة جلية.

يقول سياف: كنا في تلك الأيام نرسل المجاهدين الخمسة ببنادقهم الخمسة فيأتوننا بخمسمائة أو أكثر من الغنائم! وفي مزار شريف قبل شهرين هجم الروس بخمسمائة دبابة وحوالي أربعين طائرة على ستين مجاهدا، ووقف المجاهدون أمامهم ثمانية أيام، واستشهد من المجاهدين عشرون مجاهداً، وقتل من الروس خمسمائة، وحطمت لهم ست عشرة دبابة، فهل هذه طاقة البشر أم تأييد رباني وتعويض هؤلاء الصابرين، إنها المعادلة الربانية، وليتنا نستيقن.

وصدق ابن مسعود رضي الله عنه (من اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله، ولا تحمد أحدا على رزق الله، ولا تلوم أحدا على ما لم يؤتك الله، فإن رزق الله لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره، وإن الله بقسطه وحلمه وعدله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط).

اللهم اجعلنا ممن يوقنون بالغيب، ويستيقنون ويطمئنون لقدرك، ويفرحون لقضائك، اللهم أنزل السكينة على قلوبنا، واغفر لنا

---

١ ـ رواه الحاكم (٢/٧٤ - ٧٥) وأخرجه أحمد (٥/٣١٤ - ٣١٦ - ٣٢٦) بلفظ (عليكم بالجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى . . .) وهو في السلسلة الصحيحة برقم (١٩٤١) .

٢ ـ الفوائد / ١٦٢

٣ ـ شرح النووي / ج ٦ / ص - ٢٢١ وهو في المختصر برقم (٤٦١)

ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

ويل للشجي من الخلي[1]

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره، أما بعد:

فلقد مضى الصيف بأحداثه الضخمة ، وفشلت روسيا أن تسد ثغراً واحداً من الثغور التي تفصل باكستان عن أفغانستان ، بعد أن ألقت بثقلها، ولم تدع وسيلة من وسائل التدمير البشري إلا استعملتها.

ويبدو أن روسيا قد استنفدت وسائلها في إيقاف هذا السرطان الذي يأكل دماغها، ويشل حياتها - الجهاد الأفغاني - وانتهى مخزون الذخائر الذي تدّخره منذ الحرب العالمية الثانية، حتى أصبحت تستعمل القذائف التي كتب عليها إنتاج ١٩٨٥م، ولم يعد كبيراً على نفس المسؤولين الروس أن يعلنوا قبولهم للجلوس مع دولة من دول العالم الثالث - باكستان - لعلها تخلصها من ورطتها ، بعد أن كان هذا الأمر أثقل من الجبال على أنفسهم أن يتنازل الروس- كأشرس طاغوت، وأطغى عملاق على الأرض - من عليائهم وكبريائهم فيجلسوا على مائدة المفاوضات مع دولة فقيرة ليست مسجلة في دفاترهم ، وليس لها أي وزن حتى على هامش حياتهم ، بل أخذ سفراؤها في العواصم يتدسسون بل يتوسلون ليلتقوا على انفراد وبخفية عن أعين الناس مع بعض قادة الجهاد الذين يأنفون الجلوس مع هؤلاء إلا في وضح النهار، دون تنازل عن شرطهم الأساسي الانسحاب الكلي من أفغانستان قبل البدء بأي حديث آخر.

ولكن مع هذا يجب ألا يغيب عن بالنا قضايا :

١- **القضية الأولى: أنهم فقدوا كثيراً من قادتهم:** إن أفغانستان فقدت عام ١٤٠٥هـ زهرة أبنائها، وخيرة قادتها، وذلك لشراسة المعارك، ولهول القتالات والاشتباكات، واستشهاد القائد يؤثر كثيراً في سير المعركة ووحدة الصفوف، وكلنا يعلم أثر إشاعة خبر قتل النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد في بلبلة الصفوف، وحيرة الصحابة وهزيمتهم، وكما قال الله عز وجل في القرآن:

[إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غماً بغمٍ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون] (آلعمران:١٥٣).

وكلنا يعلم كذلك أثر نبأ قتل عبد الرحمن الغافقي قائد معركة بلاط الشهداء (بواتيه) في أواسط أوروبا في هزيمة المسلمين التي كانت قاصمة في تاريخ الفتح الإسلامي، والتي جمدت ارتفاع الخط البياني للفتح، وهصرت غصن المد الإسلامي النامي في أوربا وإلى يومنا هذا، وحرمت أوربا من الاستفادة من الحضارة الإسلامية لعدة قرون.

لقد اختطفت يد المنون في هذا العام الأخير سنة ١٤٠٥ هـ مجموعة من خيرة قادة الجهاد وزهرة بناته.

لقد استشهد ذبيح الله في بلخ، ونيازي في بروان، ومولوي شفيع الله في كابل، وغوث الدين في هرات، ود.عبدالولي في لوكر، وعبد الواحد في بغمان، وأحمد جل وفتح الله في خوست/ بكتيا، وخياط في لوكر، وجل أغا في جاجي، ومن القادة الذين استشهدوا: خواجا عصمت الله، ومحمد شريف، وخالوعرب، وقاضي سيد ملا، ومعلم بادشاه جل، وأستاذ منور، وسيد باد شاه، وزرخان، وخواجه سفدر، وقاري عبد الصمد، ومولوي حبيب الرحمن وخير أفضل، ومولوي عبد الصبور، ورحيم الله، ومولوي طالع محمد، وعبد المتين، وجيلاني، هؤلاء كلهم قد استشهدوا في عام واحد تقريباً ١٤٠٥ هـ، بل معظمهم استشهد في آخر شهرين من أشهر الصيف لهذا العام، وهذا يؤثر تأثيراً عميقاً على الجهاد وبنيته واتجاهه.

فهؤلاء مضى عليهم الآن قرابة سبع سنوات ونيف وهم يتقدمون الصفوف، ويلمون الشتات، ويجمعون المجاهدين، ولقد لمعت أسماؤهم، واحتلوا مكانتهم في القلوب، وأثبتوا وجودهم على أرض الواقعْ بتوفيق الله وعونه خلال هذه الفترة، وليس من السهل تعويضهم، خاصة وأن هؤلاء قد نالوا قسطاً لا بأس به من التوجيه والتربية والتعليم، ويعز على الإنسان أن يجد لهم نظائر، وقلما ترى

١- نشرت في مجلة الجهاد - العدد الثالث عشر ١٩٨٥م.

لهم ولو بعد حين بدائل، قال لي أحد الإخوة: هل يربي الأفغان طبقات بديلة من القادة؟ فقلت له: رجل شبه مغمى عليه لشدة الضربات على رأسه، ولا يصحو من ضربة حتى تقع عليه غيرها، هل تطلب منه التخطيط البعيد؟ هل تريد منه أن يتفرد ليضع منهاجاً لأجيال وأمم؟، وقال لي آخر: حبذا لو فعل المجاهدون الأفغان كما فعلت الثورة الفلسطينية أن تقيم مصانع وموارد تدر على الثورة دخلاً فيما إذا انقطعت بها السبل وسدّت الأبواب.

فقلت له: رجل جائع منذ أيام لم يجد للخبز طعماً، وجاءه رغيف، أفتطلب منه أن يقيم مخزناً كبيراً لحفظ الدقيق؟

فإذا كان أحمد شاه مسعود يطلب من المجاهدين عنده أن يعيش الواحد منهم على حبة من البطاطا كل يوم، ولا يستطيع أن يوفر ثمن الدقيق لاثنتين وعشرين جبهة يصل تعداد مجاهديها إلى سبعة آلاف، فهل تطلب من هذا أن يقيم مورداً ثابتاً ودخلاً مستمراً لجبهته؟ أم تريد أن تقول كما قالت الملكة أنطوانيت زوجة لويس السادس عشر ملك فرنسا للشعب الهائج الذي خرج يحطم سجن الباستيل لشدة الجوع والظلم فتسأل: ما بال هؤلاء ثائرين؟ فقيل لها أنهم لا يجدون الخبز، فقالت: لماذا لا يأكلون البسكوت!

القضية الثانية: أنهم يلقون العنت حتى من بعض المسلمين:

إن الجهاد الأفغاني الآن يتعرض لحملة تشكيك خطيرة جففت موارده، وقللت أصدقاءه، وجعلت الأيدي تنقبض عن الدفع، ففي الوقت الذي يسدد فيه العدو ضرباته تثور الشبهات حول المجاهدين الأفغان من أعز أصدقائه الذين يظنون أنهم يخدمون الإسلام، ولا يعلمون أنهم يطعنون الجهاد الطعنة النجلاء في مقتله، فهنالك الجهود الدائبة المتواصلة لإثارة الفتن التي تنشأ من بعض ضيقي النظر من الشباب المتحمس الذين يرمون معظم الشعب بالشرك والكفر لأجل التمائم والتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم، ويصرح البعض أن (القتال في أفغانستان بين المشركين الأفغان والملحدين الروس)، ويرد بعض الأفغان أن هؤلاء الفتية يريدون هدم جهادنا وتمزيق وحدتنا.

وحبذا لو تريث هؤلاء الشباب -ولا نشك في صدق الكثيرين منهم- في إطلاق الفتاوى على عواهلها دون تقدير النتائج والآثار البعيدة لما يتفوهون به.

ليت هؤلاء الفتية تركوا الأفغانيين بجراحاتهم وأحزانهم، فما من أفغاني تقريباً إلا وتحس أن وراء تجاعيد وجهه وكسوف جبينه وسهومه قصصاً منطمرة في أعماقه تكفيك لعمل مرثاة طويلة.

لقد مرت عليه أحداث لو صبت على الجبال لزلزلتها، فإذا فتح لك بعض ما في قلبه ترى كأن أحشاءه تتقطع حزناً ولهفاً، ويزفر الزفرة تلو الأخرى حتى تظن أن ضلوعه تتقصف وهو يخرج الكلمات، ففي أعماقه كمد تنقض له الجوانح، وتتفطر له المرائر، وفي أغواره همٌ يذيب لفائف القلوب، مما يجعلك تشرق بعبرتك، وتخنق بدمعتك وتشجى بغصتك، وتغص بريقك.

إن قصة من قصصهم ترمض جوانحك أسى، وتضرم أنفاسك حزناً، وتمزّق أحشاءك غماً، وتجعل منك إنساناً يتقلب على الجمر، ويتوسد القتاد، ويعالج برحاء الهموم.

فبدلاً من أن تسرّي عنه همومه وتذهب برحاء صدره تتسلى بتعداد مصائبه ونشر مثالبه، وقديماً قالوا: "ويل للشجي من الخلي" أي ويل للمهموم من الفارغ.

القضية الثالثة: إنهم محاصرون عالمياً:

يتعرض الجهاد الآن إلى مؤامرة عالمية لاحتوائه وقطف ثمراته، فهنالك المكائد تقوم على قدم وساق، فالدول الغربية وعلى رأسها أمريكا تريد أن تقامر على الجهاد الأفغاني وتراهن عليه، وأمريكا منذ بداية الجهاد جذلة مسرورة لأن الجهاد يحطم عدوتها التقليدية روسيا، ويستنزف طاقتها، ويمتص قوتها، وفي نفس الوقت يدمر قوى الشعب المسلم المتعصب!! ولكنها غاصة بريقها بسبب قيادة الجهاد الذين تسميهم (بالمتطرفين المتشددين)، وتود لو استطاعت أن تجد بديلاً للقيادة، دينهم إسلام أمريكي، مرنين متطورين ليس عندهم التزام ولا وجه يثبتون عليه.

القضية الرابعة: إنهم يعانون الهجرة والفقر:

إن الجهاد الأفغاني يعيش مشاكل تنأى بحملها الرواسي، على رأسها مشكلة الهجرة الاضطرارية نتيجة الهجمات الشرسة والمذابح الجماعية، والجهل نتيجة هجرة كثير من العلماء أو استشهادهم، والعوز الشديد للطعام واللباس، والفقر ثقيل على النفس خاصة على شعب كالشعب الأفغاني الذي لا تلين قناته، ولا تعصب سلماته، ولا تقرع صفاته، ولا يستباح ذماره {**يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا..**} (البقرة:٢٧٣).

فالجهاد الأفغاني الآن بحاجة إلى اليد الحانية التي تواسي جراحاته، والنفس الكريمة ذات الهمة الشماء التي تجود حتى بأرواحها فضلاً عن مالها، والداعية الصادق الذي ينذر نفسه لخدمة أمة وبناء جيل وإنقاذ دين، فأين الدعاة الصادقون؟

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

ولكن الروس لا يعلمون[1]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وبعد:

فلقد فطر الله النفس البشرية بإرادته، وصنعها بيده، واقتضت مشيئته سبحانه أن تسير النفس الإنسانية على خط ذي حافتين كالقاطرة فوق السكة الحديدية: (خط الروح ، وخط الجسد) ولا يمكن للنفس أن تستقيم في سيرها ولا تؤتي أكلها ولا تحقق غايتها إلا إذا صلح هذان الخطان المتوازيان اللذان يكونان النفس، وتعطيل أي خط من هذين الخطين إنما هو تعطيل للحياة الإنسانية وقلب لحركتها وفقدان لهدف وجودها.

وقد حاولت الفلسفات الأرضية أن تشغل النفس الإنسانية عن أحد هذين الخطين على انفراد، ففشلت فشلاً ذريعاً، وتحطمت النفس على صخرة فطرتها التي صنعها الله كما يشاء، وكيف يشاء.

لقد حاولت النصرانية أن تعطل خط الجسد لينطلق خط الروح برهبانيتها، وأعلنت شعارها "عذب الجسد لتسمو الروح"، وحرّمت الزواج على من أراد التبتل لعبادة الله {**ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها**}. (الحديد: ٢٧)

وألقت بالآلاف المؤلفة من الشباب والشابات بين جدران الأديرة وفي زوايا الكنائس، وحاولت جاهدة أن تحيي صوت القيم والمثل العليا، وتستثير الأشواق العليا بعيداً عن حاجات الجسد، فاستطاعت قلة قليلة أن تنتصر على فطرتها بالكبت والضغط والحرمان والعزم، ولكن الكثرة الكاثرة من الرهبان في الأديرة لم يطيقوا أن يعيشوا طويلاً بعيداً عن فطرتهم، وتغلبت شهوة الجسد في أوقات الضعف الإنساني فسقطوا في الرذيلة، وغرقوا في الفاحشة، وتحولت الكنائس إلى بؤرة عفنة للرذائل، ومباءة قذرة للفواحش.

مما أدى إلى ثورة أوروبا على الدين نفسه، واتخذ العلمانيون حياة الرهبان مبرراً للتمرد على الكنيسة والفرار من قبضتها الحديدية وقيدها الجبار، ونشرت الثورة البلشفية قصص (راسبوتين) وتعني الكلب القذر بالروسية على الدنيا بأسرها، وهي قصص الكاردينال الكبير في روسيا الذي لم تنج منه واحدة من الأميرات اللواتي وقعن في قبضته من خلال كرسي الاعتراف وخلوات التوبة.

وأرادت أوروبا أن تسيّر النفس على خط الجسد وأهملت خط الروح، فأطلقت العنان لشهواتها، وسخرت بكل شيء روحي، واحتقرت جميع القيم، وأعلنت :(إننا نستطيع العيش على الأرض دون الحاجة إلى الله ولا إلى المبادئ ولا إلى رهبان الكنيسة، نحن نصنع قيمنا بأنفسنا بعيداً عن الله، نحن نصوغ حياتنا وقوانيننا كما نشاء دون حاجة إلى وحي، ولا ضرورة للتحذير الكنيسي ولا لتوصيات البابا).

وكان شعار أكبر ثورتين في أوروبا إعلاناً عاماً بالتمرد على الدين:

١- شعار الثورة الفرنسية (اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس) يعني اقضوا على الملكيات والأديان في أوروبا.

٢- وشعار الثورة البلشفية (لا إله والحياة مادة) (الدين أفيون الشعوب).

١- نشرت في مجلة الجهاد – العدد الرابع عشر ، ٢ / ربيع الثاني / ١٤٠٦هـ ، ١٢/ ديسمبر / ١٩٨٥م.

فماذا جنت أوروبا؟: لقد حصدت الشوك والشقاء، وأثمرت الأمراض العصبية والعقلية والنفسية التي أصبحت سمة عامة للحضارة الأوروبية والأمريكية، لقد كان النتاج رهيباً دمر المجتمعات في أوروبا، ولعلك لست بحاجة أن أنقل إليك الإحصائيات المذهلة التي تدل على أن المجتمع الغربي الآن في حالة من المشاكل المعقدة التي يستعصي حلها على المصلحين من جهابذة البشر، ولا أظنه قد فاتك أخبار أمراض (الإيدز، الهيربس) التي أصبحت شبحاً مفزعاً يطارد الغرب في يقظته ومنامه.

إن حاجة الإنسان إلى الدين أشد من حاجته إلى الطعام والشراب، كما يقول ابن القيم في زاد المعاد ١/١٥: (ومن هنا نعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول.. فالضرورة إلى الرسل أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأية ضرورة وحاجة فرضت فضرورة القلب وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير، وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه طرفة عين فسد قلبك وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة؟).

ويقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٩٣/٩) (فالرسالة ضرورية للعباد، لابد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والعبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة، ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة وهو من الأموات).

والشاهد على ما نقول: تجربة الثورة الشيوعية (البلشفية).

لقد حاولت روسيا أن تنتزع الدين من أعماق الشعوب الإسلامية، وحاولت أن تنشئ جيلاً متمرداً على الله، ملحداً كافراً بكل القيم، ولكن محاولتها كلها تحطمت على صخرة الفطرة الإنسانية، ورأينا مصداق هذا في أفغانستان. إن الجندي الذي جاء مع الجيش الروسي من المقاطعات الإسلامية تاجكستان وأوزبكستان عندما رأى المصاحف مع الشعب الأفغاني صار يدفع إليهم سلاحه ويأخذ المصحف بديلاً.

وإليك القصة التالية التي دارت أحداثها قبل شهر في قندز، لقد جرت الأحداث في (دشت آب دان) أي (حوض الماء السهل) و(دشت آب دان) هذه إحدى أربع قواعد كبرى في أفغانستان.

وقاعدة دشت آب دان، فيها ثلاث فرق عسكرية للروس لا يدخلها شيوعي أفغاني، أقام بعض الجنود في الجيش الروسي من التاجك المسلمين علاقة مع المجاهدين الأفغان، وكان الروس اطلعوا على هذه العلاقة فأعدموا مسلماً برتبة لواء من التاجك، فظن التاجك أن ساعة الانتقام من الروس قد حانت، فاتفقوا على تفجير القاعدة بكليتها وتبرع أحدهم أن يفجر مخازن المتفجرات بنفسه!!

فدخل شاب من التاجك وأشعل الفتيل في مخازن المتفجرات، وبدأت أصوات القذائف تدوي في كل مكان، وأصبحت الشظايا المتناثرة تصل إلى مسافات بعيدة، مما أدى إلى تدمير فرقتين بالكامل، وفرت الفرقة الثالثة، وسقط ٥٦٠ قتيلاً من الروس، وجرح أكثر من ألف، واحترقت القاعدة بكاملها، وتحولت القاعدة إلى أكوام من الرماد تخفي بينها قطع من الآليات المحترقة التي دمرت ووصل عددها إلى حوالي ثلاثمائة تقريباً. ودارت معركة بين التاجك وبين الروس، سقط حوالي ثمانين شهيداً من التاجك. فهل يتعظ الروس ويصدقون أن الدين فطرة الله؟ **{فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون}**.. (الروم: ٣٠) ، ولكن الروس لا يعلمون!!

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

اليوم أفغانستان وغداً عربستان[1]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره.. وبعد:

فلقد حدثنا التاريخ أنه على أثر دخول الشيوعية الحمراء بخارى وسمرقند وطشقند، وبعد أن هدمت عشرات الألوف من المساجد وحولت إلى مكاتب للحزب الشيوعي ومخازن الحبوب، وبعد أن ماتت الألوف المؤلفة بل الملايين جوعاً حتى أكلوا جثث الموتى من أبنائهم وإخوانهم الذين توفوا قبلهم، بعد هذا كله نشأت حركة مقاومة في طشقند وسمرقند وبخارى وتركستان الغربية تسمى حركة (الباسمشي)، وكان من أبرز المجاهدين في هذه الحركة رجل من سمرقند يسمى (إبراهيم بك)، ودخل إبراهيم بك أفغانستان،

١- نشرت في مجلة الجهاد - العدد الخامس عشر - ١٠ / جمادى الأولى / ١٤٠٦هـ ١١/ يناير/ ١٩٨٦م.

وبدأ يتنقل بين تخار وقندز، وأخيراً استقر ابراهيم بك في (عنبر كوه) جبل في مركز تخار، وكان حول إبراهيم ٤٠٠ فارس، وكم عانى الروس في معاركهم معهم، وكانوا يجيدون الفروسية فكانوا يختبئون تحت إبط الخيل، فكانت الخيل تبدو للجيش الروسي وكأنها سائبة دون فوارس يمتطون صهوة هذه الخيول، حتى إذا اقتربت الخيول من الجيش الروسي دون أن يعيروها اهتمامهم إذ بهؤلاء الفرسان يبرزون فجأة فوق هذه الخيول كأن أحدهم مارد من الجن المؤمن انشقت الأرض وألقت هؤلاء وتخلت.

وكتب ستالين إلى أمان الله ملك أفغانستان بشأن هؤلاء الذين يستقرون في أفغانستان ويخترقون نهر جيحون (درياي آمو) ويعملون عملياتهم الجهادية ثم يعودون لمستقرهم، وهدد ستالين باجتياح أفغانستان، فخاف أمان الله وأراد تسليم إبراهيم وأصحابه، إلا أن القدر عاجل أمان الله بثورة شعبية عارمة على أثر إصراره إدخال السفور والفساد، وبعد أن أقنعه مصطفى كمال أتاتورك بإدخال الحضارة الغربية المادية (مفاسدها الخلقية والتحلل من ربقة الإسلام)، فأطاحت هذه الثورة الشعبية بأمان الله، وجاء بنادر شاه والد ظاهر شاه ونفذ ما طلبه ستالين، دعت الحكومة إبراهيم بك إلى حفلة طعام، فذهب إليها مع فرسانه وهو مطمئن، إلا أنه بقي اثنان من حرسه متأهبين، وعندما وصلوا مكان الحفلة وإذا بالحفلة ليست طعاماً وإنما هي مصيدة للقبض عليهم، ونجا إبراهيم، ولكن حكومة أفغانستان طلبت من إبراهيم أن يغادر البلد، وقال كلمته المشهورة التي أصبحت مثلاً، قال: اليوم بخارى وغداً أفغانستان.

وحدث ما قال إبراهيم، فدخلت الشيوعية أفغانستان بعد أربعين سنة، وعبرت دبابات تي٥٤، تي٥٥ نهر جيحون، وارتفع العلم الأحمر البلشفي فوق كابل/عبد الرحمن بن سمرة.

ونحن نقول: اليوم أفغانستان وغداً عربستان.

أما بالنسبة لإبراهيم فإنه عبر النهر بعد كلمته التاريخية، ودخل في معارك مع الروس، وجرح إبراهيم في إحدى المعارك، وأمسك به الروس ثم استشهد، فطاف به الروس في كل قرية يبشرون الناس الذين أقض إبراهيم مضاجعهم وأرق أجفانهم حتى تهدأ نفوسهم وترتاح أعصابهم وتطمئن قلوبهم، ومضى بعض أتباعه يواصلون طريقهم ويصرون على جهادهم منهم مخدوم فضيل، ومخدوم دولار، واستمرت المقاومة الجهادية أواسط الخمسينات ثم اختفت نهائياً.

اليوم روسيا في أفغانستان تشن حرباً لا تأكل إلا البشر، وهي لا تبقي ولا تذر، ودفع الشعب الأفغاني من التضحيات ما لم يدفعه شعب آخر، فقد قدم حوالي مليون ونصف مليون شهيد . ولا أظن بيتاً في أفغانستان خلا من يتيم أو أرملة أو معوق، فهذا طارت عينه، وذاك يده، وهذه طفلة قد حرق وجهها بالنابالم.

لقد وضع ابني الصغير يده في إبريق شاي ساخن فارتبك البيت كله، واضطرب اطمئنانه فترة نيفت عن الشهر والشهرين، فقلت لهم مذكراً تذكروا أفغانستان وأطفالها، تذكروا بيوتها المدمرة وأطفالها المشوهة، تذكروا أنات الثكالى، وزفرات الأيامى، وحسرات اليتامى، تذكروا هذا، وعندها تستحيون من أنفسكم أن تذكروا يد طفلنا الصغير هذا.

اليوم أفغانستان تواجه مصيرها وحدها بأياد عزلاء وصدور عارية، يمشون فوق الثلوج حفاة حتى سقطت أصابعهم، ويتسلقون الجبال عراة إلا من أسمال بالية وأخلاق فانية رقيقة تغطي عورتهم، وقد حدثني هذا الصباح شاب عائد من أرض المعركة في "كونر" أن سبعة من المجاهدين قد ماتوا ومرض آخرون بسبب الثلوج والبرد والصقيع.

لقد صرخنا في كل مكان ونادينا بأعلى أصواتنا نحن نريد فقط ثمن الخبز للمجاهدين. وبعملية حسابية بسيطة كل مجاهد يحتاج ثلاثة أرغفة يومياً، ثمنها ثلاث روبيات باكستانية، فإذا كان هنالك نصف مليون مسلح في داخل أفغانستان فهذا يعني أننا نحتاج مليونا ونصف المليون من الروبيات ثمنا للخبز يومياً، وهذا يعني أننا نحتاج في الشهر الواحد ٤٥ مليوناً من الروبيات ثمنا للخبز (أي ما يعادل ثلاثة ملايين دولار شهرياً)، فهل تقدم الشعوب المسلمة ثمن الخبز؟

لقد قلنا أن هنالك ٢٣ منظمة صليبية تعمل في بيشاور، وليس فيها إلا منظمة رسمية عربية إسلامية واحدة وهي الهلال الأحمر السعودي، وثلاث منظمات شعبية أخرى (الهلال الأحمر الكويتي، والإغاثة الإسلامية الأفريقية، ولجنة الدعوة التابعة لجمعية الإصلاح).

طالما نادينا حتى بحت أصواتنا أن الأمريكان والسويديين والفرنسيين والبلجيكيين والألمان كلهم دخلوا أفغانستان باسم الطب والزراعة والتعليم، فهل دخل طبيب واحد محتسباً في جبهات أفغانستان؟ نعم لقد دخل طبيب عربي واحد، لقد قلنا: نريد مختصين في

جراحة العظام والجراحة العامة، فهل يصدق أحد أنه لم يصلنا حتى الآن طبيب ماهر واحد مختص في العظام والجراحة من كل بلاد العرب؟.

لقد بحت أصواتنا ونحن نقول: إن روسيا تأخذ كل سنة ٢٥ ألف طفل من أطفال أفغانستان لتربيهم على الشيوعية وترجعهم جنوداً مخلصين للكرملين يتولون بأنفسهم دك معقل الإسلام ومطاردته في كل مكان .

لقد قلنا أن الكنائس العالمية تتسابق في بيشاور على تعليم أبناء الأفغان، حتى أن ممثل الكنيسة الكاثوليكية يدير بنفسه ١٢٠ مدرسة في بيشاور، ويتولى بنفسه توجيهها، وهو منذ أشهر يأكل ويشرب وينام في مكتبه.

وقد صرحنا وقلنا وخطبنا وحاضرنا عن هرات وبادغيس التي أصيبت بالقحط بعد هدم سدودها التي تروي المزارع، وأن أهلها قد عضهم الفقر بنابه، وجاءتنا رسالة من القائد العام هناك -محمد إسماعيل- أنهم باعوا ألبسة نسائهم من أجل شراء طعام المجاهدين.

وجاءنا أهل بادغيس وقالوا: إما أن تؤمنوا الخبز أو نضطر لترك البلاد والهجرة.

ونادى أحمد شاه مسعود مهيباً بالمجاهدين أن يكتفوا بحبة من البطاطا يومياً:

وأخيراً لقد حذرنا أصحاب الجزيرة العربية أنه إن سقط الجهاد الأفغاني (لا قدر الله) فإن بلوشستان مفتوحة، إذ أن الشيوعية ضاربة بجذورها العميقة في قبائل البكتي ومري، وأن زعماءهم: غوث بزنجو، وعطاء الله منجل، ورحيم هؤلاء ينادون بفتح الطريق أمام جيوش الروس لتصل المياه الدافئة، وأن رحيم آزاد الشاعر البلوشي قد أقام مهرجاناً في نقابة المحامين في كراتشي يوم ٢٨/٤/٨٥ في ذكرى انقلاب ترافي الشيوعي في أفغانستان في ٢٧/٤/٧٨.

ونبهنا أن المسافة بين بلد عطاء الله منجل "نوشكي" وبين جوادر الميناء الباكستاني على بحر العرب لا يزيد عن ٤٠٠ كم فلا تحمل الدبابات أكثر من ٧ ساعات.

ووضحنا أن منظمة الطلبة البلوشية (بي، اس، أو) في ٢٧/١٢/١٩٨٤ ذكرى الغزو الروسي قد رفعت الأعلام فوق جامعة بلوشستان وأنزلت أعلام باكستان.

فليتنبه العرب والمسلمون وإلا: فإن اليوم أفغانستان وغداً عربستان كما قال إبراهيم بك: (اليوم بخارى وغداً أفغانستان).

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك[1].

القبائل والجهاد[2]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، وبعد:

فإن كثيراً من الناس يتوجسون خيفة من مغبة اتصال روسيا بالقبائل التي تشكل حزاماً أمنياً لأفغانستان وعلى طول خط ديوراند الذي يبلغ حوالي ٢٢٥٠كم من الناحية الشرقية الجنوبية لأفغانستان، وكثير من المتشائمين يرون أن هذه القبائل ستسد الطريق في المستقبل على المجاهدين، مما يؤدي إلى خنق الجهاد، والحد من حركة المجاهدين عبر حدود باكستان، ولكن هذا الظن بعيد الوقوع -والله أعلم- إن لم يكن ضرباً من الخيال، وذلك لأسباب على رأسها:

١- إن هذه القبائل هي من العرق البشتوني الذي ينتمي إليه حوالي ٦٠٪ من القبائل الأفغانية، ولقد وصل الأمر بداود خان وعلى مدى فترة طويلة أن يقنع هذه القبائل أنها جزء لا يتجزأ عن أفغانستان، واستطاع من خلال أجهزة البث أن يشعرها بقوميتها وعصبيتها، ويفهمها أنها جزء من أفغانستان سلخه أعداء الأمة -وهم الإنجليز- وسلموه إلى باكستان ليمزقوا الأمة البشتونية، ولذا قامت مشكلة بين باكستان وأفغانستان وتأزمت وسميت هذه القضية بقضية (بشتونستان)، وكانت روسيا تؤجج هذه العصبية، مما أدى إلى إغلاق الحدود بين باكستان وأفغانستان سنة ١٩٦٣، ولم تفتح الحدود إلا بعد أن أقال الملك ظاهر شاه رئيس وزرائه -محمد داود-، وعاد داود بعد أن اعتلى رئاسة الجمهورية سنة ١٩٧٣ يطالب بهذه المنطقة، ويعلن في كل مجال أن أرض البشتون لابد أن

١- حذف من هذا موضوع (بوابة المجد) وأثبت في عشاق الحور من هذا المجلد. ٢- نشرت في مجلة الجهاد - العدد السابع عشر ١ رجب / ١٤٠٦هـ ، ١١ مارس / ١٩٨٦م.

تتوحد وتصبح قطعة واحدة، وأن تخضع لسلطة واحدة، ولا زالت صور محمد داود حتى الآن معلقة في كثير من الحوانيت والشوارع العامة في هذه المنطقة.

وليس من السهل أن تبيع هذه القبائل أرحامها بثمن العنز، بل إنه يستبعد أن تساوم على دماء بني عمومتها وأعراض نسائهم بثمن بخس دراهم معدودة، فإن لوشائج الدم وصلات القرابة أثراً كبيراً في الحياة القبلية التي قال عنها قديماً دريد بن الصمة:

وما أنا إلا من غزية إن غوت   غويت وإن ترشد غزية أرشد

٢- الأصالة التي لا زالت القبائل تتمتع بها، فلم تفسد فطرتهم، ولم تهن عليهم كرامتهم، ولم تلن قناتهم، وطابعها العام الكرم والشجاعة والنخوة والمروءة، ولا زالت خامتها نظيفة، وأخلاقها سليمة، مع الحاجة إلى تهذيب وتوجيه.

لقد حاولت بريطانيا في بداية القرن العشرين أن تبسط سلطانها على هذه القبائل، فجاءت وعسكرت في منطقة ميدان وسط قبائل الافريدي، وبقيت ستة أشهر، فقامت عليها القبائل وخاضت معها معارك عنيفة انتهت بالهزيمة الساحقة النكراء لبريطانيا، ولاحقتها القبائل حتى منطقة درا قرب بيشاور، وأغرقت الأرض بالمياه حتى تغوص سياراتها بالطين، مما دفع بالجنود الإنجليز أن يتركوا سياراتهم الغارقة في الوحل وينجوا بأنفسهم.

٣- لا زال الطابع العام لهذه القبائل هو التدين الفطري دون المعرفة الصحيحة لتعاليم هذا الدين، ولا يمكن لهذه القبائل أن تتفق مع روسيا التي تدرك إلحادها وأنها تحارب الأديان جميعاً.

٤- لقد شهدت بنفسي الحفاوة البالغة التي تستقبل بها هذه القبائل المجاهدين على امتداد الطريق من لاندكوتل حتى ننجرهار/ ماري، إذ أن بيوت قرى القبائل تعتبر مضافات للمجاهدين، وقلما تمر ليلة دون أن يبيت في البيت الواحد مجموعة من المجاهدين، ولا يقدمون للمجاهدين إلا اللحم المشوي!.

لقد بتنا ليلتين على الطريق إلى ننجرهار أولاهما في قرية زير/منطقة بزار، وقد تقاسمنا أهل القرية وكنا نيفاً ومائتي رجل، وبتّ مع قرابة خمسة وعشرين رجلاً في بيت واحد، فسألت القائد الذي يرافقني: أتعطون هذه القبائل شيئاً من المال أو الهدايا؟ قال: لا وإنما هذه سجيّتهم وعادتهم.

وفي الليلة الثانية دخلنا بيتاً للمنام فيه، فسألت عن هذه الدار، فقالوا لحاج مالنج هذا الرجل الذي جاء مستقبلاً على مسافة تبعد عن بيته ساعات، وهذه الجبال المحيطة ببيته مع غاباتها له، ولا يسمح لأحد أن يحل فيها أو أن يقطع خشبها سوى للمهاجرين والمجاهدين الأفغان، والحاج مالنج من زعماء عشيرة زخاخيل من قبائل الأفريدي، وهو يشارك في الجهاد إذا حصل هجوم من قبل الروس.

وقد شربنا الشاي في أحد البيوت فسألت: من صاحب البيت؟ فقالوا هذا الرجل مير سهمند، وقد أوى خمسين عائلة مهاجرة، وهو يقول: سأقاتل روسيا ولو وحدي!!

وفي إيابنا من ننجرهار أقامت لنا عشيرة زخاخيل غداءً حافلاً دعت رجالاتها، وأجلست حكمتيار على كرسي وألبسته عمامة وضعها الشيخ سليمان والحاج مالنج بيديهما على رأس حكمتيار، وأطلقوا عليه لقب ملك أفريدي.

فأين الصلة بروسيا؟ وأين رجال القبائل الذين يعارضون الجهاد كما يحلو لإذاعة بريطانيا وغيرها أن تضخم الأحداث الصغيرة وتجعل منها قاعدة ثابتة لرجال القبائل!؟ ويظن بعض الناس وهو يقرأ الصحف التي تشرف عليها العقول الغربية أو اليسارية أن القبائل تحمل أسلحتها وتسد الطريق على المجاهدين!

٥- تحيط بأفغانستان خمس قبائل كبرى أكبرها قبائل وزير، ومن زعمائها نياز علي خان، ويطلق عليه الناس أمير المجاهدين لكثرة تعاونه مع المجاهدين.

وهناك قبائل مسعود وقبائل سالارزاي وقبائل مهمند وقبائل الأفريدي، وقبائل الأفريدي الممتدة في منطقة خيبر ويقع فيها ممر خيبر الشهير وهي تقع بين بيشاور وننجرهار، وهي التي مررنا بها وزعيمها الحاج نادر خان، وقبائل الأفريدي ثمانية عشائر هي:

١- ملك زخاخيل: وزعيمها الحاج فضل الحق.

٢- ملك دين خيل: وزعيمها حضرة خان.

٣- قمر خيل: وزعيمها الحاج خان زادة.

٤- قمبرخيل: وزعيمها الحاج عبد الغفور.

٥- كوكي خيل: وزعيمها الحاج عبد الله باز.

٦- سي باي: وزعيمها الحاج وارث خان.

٧- أكوخيل: وزعيمها الحاج أرباب خان.

٨- أدم خيل: وزعيمها الحاج عجب خان.

وهؤلاء جميعاً يعادون الشيوعية عدا ولي خان كوكي خيل، ويتنافس على زعامة كوكي خيل ولي خان والحاج عبد الله باز، ويطمع ولي خان كوكي خيل في زعامة عشائر الأفريدي بكاملها، وعندما تولى الحاج نادر خان زعامة الأفريدي نقم عليه هذا وحاول أن يظهر نفسه، فذهب إلى كابل وأحضر كمية من الأسلحة خاصة بندقية (إم١٦) التي غنمها الشيوعيون في فيتنام من أمريكا ويقال أنه أحضر ٢-٦ آلاف بندقية، فغضب زعماء عشائر الأفريدي على ولي خان وعقدوا اجتماعاً لمجلس زعماء عشائر الأفريدي ويسمونه (أعلى حركة؛ أي المجلس الأعلى)، وتكلم الحاج مراد ابن أخ ولي خان كوكي خيل وبدأ يحذر من الشيوعية ويقول: إن لم ننتبه فإن هؤلاء الكفار قادمون.

وبدأ يشرح عن المصائب التي تحدثها روسيا في أفغانستان، فقام عمه ولي خان كوكي خيل ووضع يده على فمه، ولشدة الوجد والغم سقط مراد خان ميتاً في نفس المجلس!!

وعاتب زعماء العشائر ولي خان كوكي خيل على إقدامه على التعاون مع روسيا الملحدة الكافرة، فقال: أنا أردت أن أحفظ لكم حريتكم حتى لا تضع باكستان يدها علينا، فعارضه جميع الحاضرين معارضة شديدة، وأخيراً جمعوا الناس الذين استلموا السلاح واستتابوهم في المسجد، وجمعوا السلاح الأمريكي الذي وزّعه ولي خان.

وأصبح حمل هذه البندقية معرة على كل من يحملها، وصار الناس يردّدون كل من حمل هذه البندقية فقد باع زوجته وأخذها!

ولذا وباختصار فليس من السهل على روسيا أن تشتري هذه القبائل ولا أن توجهها ضد أبناء عمومتهم مهما أنفقت من أموال، ومهما بذلت من جهود، وصدق الله تعالى: **{إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون}** (الانفال:٣٦).

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الآن حمي الوطيس[١]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، وبعد:

يروي الإمام مسلم في باب غزوة حنين عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يركض بغلته قبل الكفار، قال عباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أكفها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أي عباس، ناد أصحاب السمرة -وهم أصحاب الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان-، فقال عبّاس -وكان رجلاً صيّتاً- فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السَّمرة قال فوالله لكأن عطفتهم

١- نشرت في مجلة الجهاد - العدد الثامن عشر، ١٥ / رمضان / ١٤٠٦هـ، ٢٣/ مايو/ ١٩٨٦م.

-أي رجوعهم- حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك يا لبيك، قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار، قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج يا بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: هذا حين حمي الوطيس -أي التنور أو الضرب في الحرب-، ثم أخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حصيات فرمى وجوه الكفار ثم قال: انهزموا ورب محمد، قال فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلاً -أي قوتهم ضعيفة- وأمرهم مدبراً.

وفي رواية لمسلم:

(ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل بها وجوههم فقال: شاهت الوجوه -أي قبحت-، فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة) (1).

وما أجمل هذه اللفظة البديعة التي لم تسمع من أحد قبل النبي -صلى الله عليه وسلم- (الآن حمي الوطيس)، لقد اشتد الوغى وشمرت الحرب عن ساق ودارت رحى الموت تطحن البشر وتبتلع الأناسيّ.

لقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذه العبارة والناس قد انفضوا من حوله، وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، كما جاء في النظم الرباني الكريم، ولم يبق كنفيه سوى أفذاذ من الرجال، وتلفت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-وقد خلت الساحة من فرسان الميدان فلم ير بداً من الإعلان عن نفسه، فأخذ يرجز

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

لقد كان حبيل براح - أي كأنه لثباته شد بالحبال- أشجع من أسود بيشة، فما كانت قناته -صلى الله عليه وسلم- تلين لغامز ولا يستباح ذماره.

ومن تراه ينادي في هذه الساعة العصيبة سوى الذين بايعوه قبل ثلاثة أعوام وعلى مشارف الحرم في الحديبية أن لا يفروا؟ سوى أولئك الذين تبوأوا الدار والإيمان يحبون من هاجر إليهم، سوى أولئك القادة الذين قالوا له منذ اللحظة الأولى ليلة العقبة: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومن هذه القبسة من هذه الغزوة معجزتان نبويتان، أولاهما أنه أخذ حفنة من تراب فملأت عيون القوم جميعاً، والثانية أنه قال: انهزموا ورب محمد، في الوقت الذي لم يكن حوله حوالي مائة رجل.

أتذكر هذه القصة من السيرة الشريفة وأنا أرى الحرب الضروس التي تدور رحاها الآن في أفغانستان، وخاصة على الحدود والروس قد استماتوا ليسدوا منفذاً من منافذ المجاهدين على الحدود، لقد شهدت في الشهر الماضي آثار معركة ضارية استمرت حوالي اثنين وأربعين يوماً في (نازيان/شنوار/ننجرهار)، وهل بإمكانك يا أخي أن تتخيل معركة على موقع واحد فيها روسيا بأساطيلها الجوية والبرية، ولا تدع شيئاً من المبيدات الإنسانية من قذائف أو صواريخ أو راجمات أو مدافع.

ودعك عن طائرات الميج والسوخوي -المقاتلة- والهليوكبتر المصفحة التي لا يؤثر فيها الرصاص، ويقابل هذا كله مجاهدون قد يعوزهم الطعام، ولا يستغرب أن يرى فيهم الحفاة، أيديهم فارغة إلا من الرفع بالدعاء، ولا يملكون شيئاً سوى إيمانهم وثقتهم بالله، وينفض المجاهدون وقد قلّت الذخيرة، واكفهر الجو، واشتدت الأزمة، ولم تبق سوى مجموعة قليلة محتسبة يردد لسان حالها:

صبور ولو لم تـــبق فيّ بقيـــة شديد على الأعداء عضب لسانيا

(وما كان قولهم إلا أن قالوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) (العمران:١٤٧)

وفتح الله على هذه الحفنة القليلة ونصرها نصراً مؤزراً.

وشهدت في الأسبوع الماضي معركة في جور/ بكتيا معركة استمرت قرابة شهر ابتدأت بعملية إنزال أربعمائة من رجال الكوماندوز أنزلتهم بطائرات الهليوكبتر، والحمد لله لم ينج واحد من هذه المجموعة إلا أصابه القتل أو الأسر، لقد رأيت الطيارين والضباط في أيديهم الأغلال مصفدين، وكان عند الشيخ جلال الدين قرابة مائة وعشرين من هؤلاء الأسرى.

وهنا جنّ جنون الشيوعية، وبدأت الطائرات تقصف بقذائفها وحممها، فانهار الجبل على المجاهدين في كهوفهم، قذائف وزنها

(1) شرح النووي / ج١٢/ ص١١٥

خمسمائة أو ألف كغم، ولشدة تأثيرها تخرج النبع من الأرض، فيقل مفعول خرابها وإتلافها، ولذا صارت روسيا تنزلها بالمظلات حتى لا تتعمق في الأرض كثيراً.

لقد كان أبوالحسن أحد إخواننا في أحد هذه الكهوف إذ هبّ لنجدة إخوانه بتقديم الغذاء والمساعدة، فجاءت القذيفة وأهالت الجبل كثيباً مهيلاً، وأغلق باب الكهف ثلاثة أرباع الساعة، وأصبح الذين في داخل الكهف يعدون الدقائق التي يودعون بها الحياة خنقاً، ثم جاءت رحمة الله وألقت الطائرات قذيفتها الأخيرة لتفتح لهم كوة في جانب الكهف فيخرجون منها، وألقت الطائرة قذيفة بجانب القائد البطل العالم جلال الدين فيحمله هواؤها ثم يسقط على النيران الملتهبة حيث لم يستطع حراكاً، فهرع إليه ضابطان من مساعديه وبجرانه من السعير الملتظي لينقذانه من موت محقق، فجاءت قذيفة أخرى لتقتل أحدهما وتجرح الآخر، وأما الشيخ جلال الدين فيحمل لتعالج حروقه التي أصابت رقبته وجانبه، ويرفض أن يبعد عن أرض المعركة، فأقام في بيته القريب يدير المعركة عن كثب، وأناب أخاه الذي شاركه الطريق منذ الأيام الأولى للجهاد قبل عشر سنوات وهو مولوي أرسلان.

حدثني أبو داود قال: كنت على مضاد الطائرات ZK/1 فجاء صاروخ فحمل هواؤه من كان بجانبي وجرح الآخر، وطفقت أبحث عمن حمله الصاروخ فلم أعثر له على أثر، وأخيراً وجدته فناديته فشخص ببصره وأسلم الروح.

وحدثني أبوعبيدة قال: لقد أثرت القذائف التي لا تتوقف بأصواتها المدوية على آذان وعقول بعض الإخوة، حتى إني حملت جريحاً يهذي قد ارتج دماغه لكثرة الضرب، فسألني هل أنا حي أم ميت؟

ولقد صرح العسكريون الباكستانيون الذين يشهدون المعركة على الحدود أن القصف الذي صبّ على معسكر "جور" الصغير هذا لم تشهده القارة الهندية طيلة تاريخها، ولم يحصل في الحروب الهندية الباكستانية مثل هذا.

وأخيراً دخل الشيوعيون معسكر جور واستمروا فيه يومين، فهجم المجاهدون عليهم وأخلى الشيوعيون الموقع بعد خسائر ضخمة في الجانبين، فقد بلغ عدد الشهداء التابعين للشيخ جلال الدين قرابة المائة، ووصل عدد الجرحى حوالي ٢٢٠ جريحاً، وأما خسائر العدو فحدّث عنها ولا حرج.

والآن أما أن للمسلمين أن يقفوا بجانب إخوانهم المجاهدين الذين أصابهم القرح؟ أما آن للشباب المسلم أن يقضي ولو إجازته الصيفية بجانب هؤلاء يواسي جراحهم ويمسح كلومهم ويهدهدهم ويثبت قلوبهم -بإذن الله-؟

إلى من يتلفت هؤلاء المجاهدون الأفغان ومن ينادون وقد بلغت القلوب الحناجر وزلزلوا زلزالاً شديداً؟

من هم أصحاب الشجرة الذين يمكن أن يستخدمهم قادة الأفغان؟ أينادون الحكام أم المحكومين؟ أيستصرخون النساء أم الرجال؟ أيدعون أصحاب الدعوات الإسلامية؟ أم عامة المسلمين؟ أهم العلماء أم العامة؟

من الذي يلبي نداءهم مردداً:

وإني لعطاف إذا الخيل أدبـرت   سريع إلى الهيجا إلى من دعانيا

أين خولة وقد أسر ضرار؟ أين أبو طلحة بقوته الذي يعدل ألف رجل؟ أين العباس ينادي أصحاب البيعة؟ أين القعقاع وعاصم؟ أين سلمى تصيح وامثنياه! ولا مثنى للخيل بعده؟

من تراهم ينادون: المثقفين أم الأميين؟ الأطباء أم المهندسين؟ العسكريين أم المدنيين؟ أصحاب العقائد الصحيحة أم الصوفيين؟ الحركيين أم التقليديين الباردين الجامدين؟

أصحاب الشعارات الصارخة أم أصحاب الفرق المظلمة؟

رب وامعتصمـــاه انطلقت   ملء أفواه الصبايا اليتم

لامست أسماعهم لكنهـا   لم تلامس نخوة المعتصم

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

السائرون على الجمر[1]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، وبعد:

فلم أجد عنواناً يليق بمسيرة الجهاد الأفغاني المباركة مثل هذا العنوان، كنت أريد أن أبدله بعناوين (القابضون على الجمر) (الصراع مع الموت) (الغارقون في الرمضاء)(المتقلبون على اللظى) (الزاحفون على الرضف) وكل هذه لا تستطيع أن تنقل الصورة الحقيقية للآلام التي يعانيها المجاهد الأفغاني، ولا تعكس حقيقة المشقة التي يتكبدها أولئك الذين يعيشون فوق قمم الجبال وفي الذرى الشواهق تحت قصف لا يكاد ينقطع من العذاب الواصب الذي تصبه قذائف الطائرات والصواريخ والمدفعية والألغام التي أصبحت شبحاً رهيباً يهدد أقدام الذين يواصلون هذه المسيرة.

لقد مارست الشعائر والعبادات كلها فلم أجد أشق على النفس من الجهاد، ولذا فقد جعل الله عز وجل للجهاد أجزل ثواب وأعظم أجر.

ففي صحيح البخاري [2] : **{إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض}.**

وكذلك جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه أبوداود والترمذي وأحمد [3]: **{من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة}** والفواق مقدار ما بين الحلبتين.

والنصوص من الآيات والأحاديث في فضل الجهاد كثيرة يرجع إليها من شاء الاستزادة.

وقد أجمع العلماء على أن الجهاد أفضل من جوار المسجد الحرام وبنص القرآن الكريم **{أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين}** (التوبة:١٩)

وفي الحديث الصحيح[4] **{لأن أحرس ليلة في سبيل الله أحب إلي من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود}** .

ولم يجعل الشارع الحكيم هذا الأجر العظيم لهذه العبادة جزافاً، بل حكمة الشارع تقتضي أن يكون الثواب على قدر النصب، والأجر على قدر الجهد، إذا أخلصت النية وصدقت الطوية.

كنت ممن شهد معركة جاجي الأخيرة في رمضان ١٤٠٦هـ وكل من عاش ساعة تحت غارات الطائرات التي تمطر القنابل وراجمات الصواريخ BM41 التي تطلق بالضغطة الواحدة ٤١ صاروخاً يتذكر عذاب أهل النار ويشخص بمخيلته قول الله عز وجل **{لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولاهم ينصرون، بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردّها ولا هم ينظرون}** (الانبياء:٣٩-٤٠)

ويتذكر قول الله عز وجل:

{ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت} (ابراهيم:١١١).

كنت أرى الطائرات السوداء وكما قال ذوي الاختصاص أن هذه الطائرات اسمها توبوليف TU-28M, TU26, TU22.

فرجعت إلى الموسوعة العسكرية فوجدت أرقاماً خيالية لطاقاتها، فمثلاً TU26 المدى القتالي لها بالوقود الداخلي ٣٤٠٠ كيلومتر، أي تستطيع أن تخرج من روسيا وتضرب أفغانستان وترجع، وسرعتها القصوى ٢٤٤٥كم في الساعة، قوة الدفع ٢٢٠٠٠كغم (٢٢) طناً، وزنها فارغة ٤٥ طناً، وزنها بالحمولة القصوى (١٠٥) طن، وأبعادها (الطول×العرض×الارتفاع) ٤٤,٣٤×٣٢,٤٠×١١م .

١- نشرت في مجلة الجهاد – العدد التاسع عشر ، ١٠ شوال ١٤٠٦هـ ، ٢١/ حزيران/ ١٩٨٦م.

(٢) فتح الباري / ج ٦ / باب ٤ / برقم (٢٧٩٠) وموقطما من حديث عن أبي هريرة

(٣) رواه أحمد وأخرجه أبو داوود برقم (٤١ ٢٥) والترمذي برقم (١٦٥٧) - وهو في الجامع الصحيح برقم (١٢٦٢)

(٤) هو في السلسله الصحيحه برقم (١٠٦٨)

أما TU/22 المدى بالرقود الداخلي = ٢٤٥٠ كم، وقوة الدفع ١٢٢٥٠ كغم (اثنا عشر ألفاً ومائتان وخمسون كغم)، الأوزان فارغة ٣٨,٦ طناً، وبالحمولة ٨٤ طناً، السرعة القصوى حمولة عادية على ارتفاعات عالية ١٤٨٠كم في الساعة، الارتفاع العملي ١٨,٠٠٠م الأبعاد ٢٧,٧٠×٢٣,٥٠×٤٠,٦٧×١٠م، التسليح، مدفع ٢٣ملم وخليج داخلي بحمولة لا تقل عن ٩٠٧٠ كغم لقنابل حرة الإسقاط أو صاروخ بعيد المدى. التطوير. قاذفة قنابل أسرع من الصوت وأكبر وأثقل من الطائرة الأمريكية ب ٥٨ وت يو٢٨.

كنت أرى الرصاص من مضادات الطائرات التي بين أيدي المجاهدين ينطلق عليها من كل مكان ولكن أنى للرصاص أن يؤثر في الطائرات المصفحة .

ودخلت معسكر جاجي أثناء المعركة، وكنت صائما، وكانت الشمس تلم أذيالها لتغيب وراء الأفق، فتجمعنا قرابة ٦٠ شخصاً في أحد الكهوف، وأغارت الطائرات، وكان يكفي ليقتل كل من في الغار قنيفة واحدة ذات وزن (١٠٠٠) كغم التي تخترق سبعة أمتار داخل الصخر، وأما في التراب فلقد رأيت بعيني رأسي النبع يخرج من جراء انفجارها، كان في جيبي بضع تمرات بدأت أتحسسها، وأخرجتها بيدي أنتظر الأذان، وجاءت الأوامر بالتفرق، وبدأت الصواريخ تنهال علينا من كل مكان إثر مغادرتنا المغارة، وألقينا بأنفسنا على هذا السفح ننتظر القنيفة التي نودع بها الدنيا، ولم أستطع خلال ساعتين أن أكمل حبات التمر التي بيدي.

وفي هذه الظروف العصيبة والأجواء الحالكة ترى أسود الشرى فوق الذرى خلف رشاشاتهم يتابعون الطائرة بنيرانهم، وأغرب من هذا أنك ترى شاباً يحمل (أر بي جي ٧) الذي لم يستعمل ضد الطائرات في حرب قط سوى في الجهاد الأفغاني الخارق لكل القوانين العسكرية، المخالف لكل التقديرات البشرية والتصورات الإنسانية والمنطقية، تجد هذا الشاب يمتشق هذا المدفع ينتظر قرب الطائرة، وطائرة تخر عليه برشاشها وأخرى تمطره بوابل صواريخها وهو واقف شامخ الرأس عزيز النفس يتحرك بين فكي تنين الموت، وترى الطائرة تسقط قذيفتها فتقتل طاقم الرشاش، فيحمل هؤلاء الشهداء والجرحى ويحل محلهم على الفور الطاقم الذي يرقب الساعة التي بعدها هول ساعته.

إنهم بشر ليسوا كالبشر، وكما علق أحد ضباط الروس بعد معركة عنيفة قائلاً: هؤلاء ليسوا بشراً.

وكل واحد منهم يودع في كل ساعة شقيقاً أو قريباً أو صديقاً دون أن تلين له قناة أو يهتز له جنان.

كنا في طريقنا إلى المعركة، فلاقتنا سيارة تقل بعض الشهداء، فنزل أحدهم فوجد شقيقه من بين الشهداء، فألقى عليه نظرة الوداع الأخيرة وواصل مسيرته.

وكم يذهلك وأنت ترى أميرهم في قمة جبل يحمل البوق ليوجه عبارات الطمأنينة والسكينة للمجاهدين بين غارات الطائرات ودوي المدافع ونيران القذائف.

وبعد كل غارة تأتي لتسأل طاقم ZK/1 عن حالهم فيردّون بلغتهم البشتونية (خير خيريت).

وفوق هذا كله بينما هم مشغولون بهذا الجحيم المستعر تحط طائرات الهيلوكبتر وتفرغ على رؤوس الجبال المطلة عليهم مجموعات الكوماندوز القادمين من روسيا.

والمجاهدون في هذا الخضم المتلاطم من أمواج الموت محتسبون صابرون، يحدوهم الأمل أن يروا أفغانستان إسلامية مطهرة من رجس الكفر، ترفرف فوقها راية دولة الإسلام، وكثيرا ما يدعون: اللهم أقر عيني بتحرير أفغانستان وأمتني على الشهادة في بيت المقدس حول المسجد الأقصى، وهم إذ يحتملون ما يحتملون من البلاء نأمل من الله أن تصيبهم أحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- منها حديث الترمذي الصحيح [(١)]: [ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة].

وفي الصحيح [(٢)]: [مايصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها

---

(١) عند الترمذي برقم (٢١٠١) عن أبي هريرة .

(٢) الحديث متفق عليه عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة فتح الباري / كتاب المرض / باب ١ / برقم (٥٦٤١) واللفظ له شرح النووي / ج١٦ / كتاب البر والصلة / ص - ١٣٠ بلفظ قريب

عن خطاياه).

والنفس إذ تتحمل ما لا يطيقه إلا أفذاذ من البشر ترقب الأمل الكبير المنتظر من رؤية الإسلام، وكما قال الشاعر:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها — عن الشراب وتلهيها عن الزاد

لها بوجهك نور تستضيء به — على الطريق وفي أعقابها حادي

إذا شكت من كلال السير أوعدها — روح القدوم فتحيا عند ميعاد

فهل من كلمة خير تشجع بها هؤلاء؟ هل من كلمة رحمة نواسي بها جراح هؤلاء الأسود؟ هل من فضول مال نعالج به جراحاتهم؟ هل من قلب حي ينبض بحبهم ويتألم لألمهم؟! فإن لم يكن لدينا هذا فهل لنا أن نكف ألسنتنا عنهم؟

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم — من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

وإلا فيصدق علينا قول الله عزّ وجل:

{قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا، أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا} (الأحزاب١٨-١٩).

إن الدين والمروءة والرجولة توجب علينا أن نستحي إذا فكرنا بانتقادهم، أو طالت ألسنتنا فنزيد جراحاتهم، ونغمد في أعماقهم نصلا فوق التي تصيبهم من كل جانب.

ولو كان سهماً واحداً لا تقيته — ولكنه سهم وثان وثالث

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

أمريكا وتجارة الدماء[1]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن لله سنناً وقوانين قد أنزلها في كتابه العزيز، ووضحت معالمها وتبينت أصولها في مواضع كثيرة من القرآن، على رأسها قانون العداء المستحكم بين الحق والباطل منذ بداية السيرة البشرية فوق هذه الأرض حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

{وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين} (البقرة:٣٦).

ومنها المعركة المستمرة بين الكافرين والمؤمنين **«ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا...»** (البقرة: ٢١٧).

ومنها نقمة أهل الكتاب علينا بإيماننا وفسقهم **{قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون}** (المائدة:٥٩).

ومنها تولي أهل الكتاب بعضهم لبعض ضدنا **{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين}** (المائدة:٥١).

ومنها استحالة رضا اليهود والنصارى عنا حتى نخلع ربقة الإسلام من أعناقنا وندخل في دينهم: **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** (البقرة: ١٢٠).

يقول الطبري في تفسيرها: "لن ترضى عنك يا محمد اليهود ولا النصارى أبداً حتى تنسلخ عن دينك وتكون يهودياً أو نصرانياً،

١- نشرت في مجلة الجهاد – العدد العشرون – ذو القعدة / ١٤٠٦هـ - يوليو/ ١٩٨٦م.

فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضا الله فيما بعثك فيه من الحق.[1]

وعليه فإنه يستحيل اللقاء بين أهل الإيمان وأهل الكفر في منتصف الطريق مهما حاولنا أن نقدم أنفسنا بثياب الانفتاح والمرونة والبعد عن التقوقع والانغلاق وضيق الأفق كما يحلو للبعض أن يصفوا الملتزمين والمتمسكين بمبادئ دينهم، نحن مع أهل الكتاب على مفرق طريق، فإذا سرنا معهم خطوة واحدة فقد أضعنا الطريق كله.

والآن لنرجع إلى موقف أمريكا

لقد انبسطت أسارير أمريكا وهي ترى انزلاق أقدام الدب الروسي فوق جبال الهندكوش كما غرقت أقدامها هي من قبل على شواطئ نهر الميكونغ في فيتنام.

وظنت أمريكا أن الفرصة قد حانت للتنفيس عن أحقادها في فيتنام، ولتحطيم أعدائها التقليديين معاً -الشيوعيين والمسلمين- ولاستنزاف قوى الطرفين البشرية والاقتصادية والعسكرية.

وكانت أمريكا تظن أن بإمكانها أن تحتوي الجهاد الأفغاني آجلاً أو عاجلاً، وتلمع البديل الذي تقدمه للمسلمين إسلاماً ولكنه بالثوب الأمريكي والعقلية الغربية كما قدمت للعالم الإسلامي كثيراً من هذه النماذج.

وحاولت أمريكا أن تعجم عود القادة الأفغان فوجدتها صلبة المكسر غير لينة المعصر، وأوكلت إلى السادات أن يشتري القادة، وأنابته لتمزيق الاتحاد الإسلامي لتحرير أفغانستـــان فقام بالوكالة الأمريكية بأمانة وإخلاص، ومزق -بقدر من الله- الاتحاد.

وقد حاولت أمريكا أن تقيم الملك ظاهر شاه على أرجل من خشب، ولكنها لم تستطع أن تنفخ الروح في العظام الرميمة، وسقطت المحاولات الأمريكية في تقديم الملك ظاهر شاه أو رئيس وزرائه محمد يوسف في صورة أنيقة تخلب ألباب عقول الشعب الأفغاني أو تخدع به عقولهم.

ولقد كانت المناورات الأمريكية الروسية تدور حول البديل عن روسيا إثر انسحابها، ولم تستطع أن تتوصل إلى الشخصية العلمانية اللادينية التي تقدم للشعب الأفغاني بأثواب المسلمين.

وليكن واضحاً منذ بداية الطريق أن الطاغوت هو الطاغوت، سواء كان أمريكياً أو عربياً أو أفغانياً أو روسياً.

وليكن واضحاً منذ الخطوة الأولى أن الذين يشرعون بغير ما أنزل الله هم كفار وإن صلوا وصاموا وأقاموا الشعائر، وسيّان في نظر المسلمين من حيث الكفر ظاهر شاه وحفيظ الله أمين وبابرك كارمل.

وليكن مستقراً في القلوب أن الشرع الذي يطبق فوق الشعب، والقانون الذي يحكم في الأعراض والدماء والأموال هو الذي يحدد هوية الحاكم من حيث الكفر والإيمان، فإن كان الشرع والتشريع بغير ما أنزل الله فهو الكفر الصريح، وإن كان التلفاز يظهر الحاكم بثياب القديسين وبهالات الأبرار المخبتين.

ولنوقن منذ البداية أن الكفر ملة واحدة، وأن ملل الكفر تتنازع بعضها على مصالح دنيوية، أما العدو المشترك في نظرها فهو الإسلام.

ويجب أن يكون واضحاً: أن الاستعانة بالكفار لا تجوز إلا بشروط:

١- أن يكون حكم الإسلام هو الظاهر، بحيث لا يستطيع الكافر الذي يعطي مساعدته أن يتقلب على المسلمين في النهاية.

٢- أن تكون الإعانة دون قيد ولا شرط.

٣- أن يكون المسلمون بحاجة إليها.

٤- أن تؤمن خيانة الكافر، وأن نثق أنه يساعدنا نكاية بالعدو المشترك.

١- مختصر الطبري (١/٤٢).

جاء في المبسوط [1] "قال أبو يوسف: سألت أبا حنيفة عن المسلمين يستعينون بأهل الشرك على أهل الحرب قال: لا بأس بذلك إذا كان حكم الإسلام هو الغالب الظاهر، لأن قتالهم بهذه الصفة لإعزاز دين الله، والاستعانة عليهم بأهل الشرك كالاستعانة بالكلاب".

وهنالك قضايا أولية وأساسية قد تغيب عن الأذهان:

١- أن الركون إلى الكفار والظالمين يعيق النصر بل يمنع نزوله: **{ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون}** (هود:١١٣).

٢- إن هذا الجهاد لم يبدأ ضد الروس بل بدأ ضد الحكام الأفغان أنفسهم ابتداء من محمد داود ثم تراقي ثم حفيظ الله وانتهاء بكارمل.

٣- إن هذا الجهاد رفع لواءه الشباب المسلم مع العلماء لتكون كلمة الله هي العليا، ولرفع راية الإسلام، ولإقرار دين الله في الأرض، ولإقامة نظام إسلامي في أفغانستان.

٤- لقد كانت الانتصارات في بداية هذا الجهاد باهرة، والكرامات كثيرة، بسبب إخلاص التوكل على الله، وصدق التوجه إليه، ولم يكن أحد من المسلمين ملتفتاً إليهم، فعندما اشتهرت القضية الأفغانية وجاءت المساعدات قلت الانتصارات وقلت الكرامات. يقول القادة المجاهدون: (في بداية الجهاد كان خمسة ينزلون فيغنمون (٥٠٠) بندقية، وعندما جاءت المساعدات قلت الغنائم والانتصارات).

٥- إن انحراف الجهاد عن غايته الأساسية يعني سقوطه وانتهاءه، فإذا فقد المجاهدون الهدف الأسمى وهو (لتكون كلمة الله هي العليا) فقد تحول الجهاد إلى قتال قومي، ويصبح الخروج للجهاد حميّة، ويفقد الجهاد قدسيته التي استحوذ بها على قلوب المسلمين، واستقطب أفئدة الصادقين في الأرض كلها.

إن حياة الجهاد وروحه إنما استمدها من رايته الإسلامية التي رفعها، فإذا سقطت الراية فقد الجهاد روحه ومات، وأصبح القتال انفعالات وقتية كزوبعة سرعان ما تزول، أو كسحابة صيف عن قليل تقشع.

٦- إن الحل السياسي الذي تسعى إليه أمريكا مع روسيا باطل شرعاً ممنوع عقلاً، ولقد علمتنا التجارب كلها في فلسطين وغيرها أن الحل لا يكون إلا من خلال فوهات البنادق، وإن إحالة القضية إلى المجالس الدولية والمحافل العالمية تعني إحالتها إلى سلة المهملات، والسير بها إلى موتها المحتوم.

والحل السياسي باطل شرعاً، جاء في فتح العلي المالك [2] "إذا أوقع الخليفة الصلح مع النصارى والمسلمون لا يرون إلا الجهاد فمهادنته منقوضة، وفعله مردود، وحيثما تعين الجهاد في موضع لم يجز فيه الصلح، كما لو كان العدو غالباً على المسلمين، وكل ما تعيّن في فرض الجهاد مانع من الصلح لاستلزامه إبطال فرض العين الذي هو الجهاد المطلوب فيه الاستنقاذ، والصلح المذكور فيه ترك الجهاد المتعين، وترك الجهاد المتعيّن ممتنع وكل ممتنع غير لازم".

لقد حاولت أمريكا أن تسبر غور الجهاد وأبعاده الإسلامية، فأرسلت الرئيس الأمريكي السابق نيكسون لزيارة مخيمات المهاجرين والحدود، وزار مخيم ناصر باغ، وتقدم نيكسون ليسلم على شيخ بلغ من العمر عتيا، وقد لحب الجنبان واحدودب الظهر وإذا بالشيخ يقبض يده قائلاً: (أنت مشرك نجس لا أسلم عليك)، وتقدم شيخ آخر طاعن في السن فقال لنيكسون: (لماذا أعطيتم فلسطين لليهود ؟).

رأى نيكسون شعباً بكامله طفله وشيخه، البنت والعجوز فيه، والأرملة والعواتق والمجاهد والمهاجر فيه كلهم تحركهم كلمة (الله أكبر) وهم يرددون : الجهاد سبيلنا.

رأى الطريق المؤدية إلى أفغانستان فيها قوافل المجاهدين كأسراب النمل، رغم دوي الطائرات وأزيز المدافع وانفجار الصواريخ وهدير الدبابات، فاهتز كيانه، وارتجفت أوصاله، فعاد مرتعد الفرائص منذراً قومه، والرائد لا يكذب أهله.

فعقد مؤتمراً صحفياً وسأله الصحفيون: ماذا أعددتم للقضية الفلانية؟ فقال هذه سهلة، والقضية كذا؟ فقال: هذه ميسورة، وبعد

(١) المبسوط للسرخسي (١٠/١٢٨)   (٢) فتح العلي المالك (١/٢٨٦)

عدة أسئلة وهو يجيب بابتسامة إنها سهلة قال له الصحفيون: إذن ما هي المشكلة الأساسية؟ فقال: المشكلة الأساسية هي الإسلام، فقالوا له: إذن ما الحل؟ فقال: أن نأتي بأبناء المسلمين ثم نرسلهم إلى بلادنا كي نحقنهم بثقافتنا ونعيدهم *إلى* بلادهم، ثم قال: يجب على روسيا وأمريكا أن تتحدا للحيلولة دون قيام حكم إسلامي في أفغانستان.

ثم جاءت بعدها محاولة استدراج القادة الأفغان لمقابلة ريجان بحجة إلقاء خطاب في الأمم المتحدة في نيويورك، وحدد ريجان موعد مقابلته مع حكمت يار رئيس الوفد والناطق الرسمي باسمه، ورفض حكمت يار ومندوب الاتحاد الإسلامي/ سيّاف أن يقابلا ريجان في الثلاثين من أكتوبر ١٩٨٥، وكذلك رفض زيارة الكونجرس الأمريكي بعد أن وجه إليه دعوة حارة، وقد اطلعت على بطاقة الدعوة وفيها " لأنكم شعب يؤمن بالله وضرب أروع الأمثلة للشعوب التي تريد استرداد حريتها نتشرف بدعوتكم ".

وأسرّها ريجان في نفسه، وامتلأ غيظاً، إذ أنه كما قال سفير دولة إسلامية لحكمت يار أترفض مقابلة ريجان وهو يرفض مقابلة ستين رئيساً وملكاً؟

ثم حصل لقاء القمة بين ريجان وغورباتشوف في نوفمبر ١٩٨٥، وأخرج غورباتشوف من حقيبته خارطة الدولة الإسلامية في أوج عزها وأرفع دهورها، وبيّن له أن معظم أراضي أوروبا كانت تخضع للمسلمين، وأن المسلمين قد دقوا أبواب أوروبا مرتين ووقفوا في شوارع النمسا، ثم حذر غورباتشوف ريجان وقال له: لقد بدأ المسلمون يتململون وينفضون الغبار عن أنفسهم، ويحاولون أن ينطلقوا، وإذا انطلقوا لن يقف في وجههم شيء وإن المستفيد الوحيد من اختلاف أمريكا وروسيا هو الإسلام، فلا بد من إنهاء مشاكلنا للوقوف في وجه العدو المشترك، وأطرق ريجان ملياً وأعجب بالفكرة.

وكان أحد المفكرين الأمريكان قد كتب كتاباً يحذر فيه من الجهاد الأفغاني، ويتوقع له أن يهزم روسيا، ثم يقتحم روسيا نفسها، ثم يتوغل في أوروبا حتى يصل أعماقها، وعندها تضطر أمريكا لدخول الحرب بنفسها، ويحذر أمريكا من الانتظار، ويحثها على اتخاذ أهبتها وإعداد عدتها لهذا الأمر الخطير، ثم قدم كتابه على التلفاز الأمريكي.

ثم زار مستشار الإدارة الأمريكية البابا في الفاتيكان وقال له: لابد أن تثار حرب صليبية قبل أن تتم الصحوة الإسلامية وقبل أن يقفز المسلمون مرة أخرى على قمم أوروبا.

وباختصار: إنهم جميعاً يقولون: لابد من إعادة العملاق الجبار الإسلامي إلى القمقم قبل أن ينطلق، وقبل أن يمسك بقبضته الحديدية رقابنا ونؤدي الجزية له عن يد ونحن صاغرون.

ثم كانت المحاولة الأخيرة، واستدرج أخيراً وفد إلى أمريكا ليجلس مع ريجان لينقل التلفاز في كل العالم صورة اللقاء، وعاد أعداء هذا الجهاد يفركون أيديهم فرحاً، وصاروا يعزفون على تلك السيمفونية القديمة: إن الجهاد الأفغاني صراع بين أمريكا وروسيا، وإن الجهاد الأفغاني يحركه وتوجهه المخابرات الأمريكية C.I.A وتمده بالمال والسلاح. وقد صدم الصادقون لهذا اللقاء، وصعقوا لهذا المنظر، والعلم:

١- فإن هذه المقابلة يرفضها الأستاذ سيّاف أمير الاتحاد الإسلامي لأفغانستان، والأستاذ حكمت يار أمير الحزب الإسلامي، وقوتهما معاً تزيد عن نصف قوة المجاهدين مجتمعة، ووجود هذين القائدين -إن شاء الله- يحفظ للجهاد أصالته، ويحمي خطه من الانحراف، وقد صرح كل منهما بذلك للصحف.

٢- إن أمريكا غير مقبولة أبداً لدى جمهور المجاهدين الذين يحملون السلاح في خنادقهم، وقد تجد أكثر من ٩٠٪ ناقمين على أمريكا نقمتهم على روسيا.

٣- إن المجاهدين المخلصين يرفضون أن يتسلموا روبية واحدة من أمريكا، وهذا الذي صرح به حكمت يار في أمريكا لدى الصحفيين بأننا لم نتلق أي مساعدة من أمريكا ولا من مخابراتها.

٤- هنالك خمسون مليون دولار خصصتها أمريكا للتعليم في داخل أفغانستان هذا العام، ورفض المجاهدون وعلى رأسهم سيّاف وحكمتيار أن يتسلموها بعد محاولات يائسة من المستشار الأمريكي عن التعليم في السفارة الأمريكية في باكستان، وقد يرجع هذا المبلغ في شهر أكتوبر إلى الخزينة الأمريكية مرة أخرى.

لقد رفضوا أن يفتح الأمريكان مدارس سواء في بيشاور أو أفغانستان، رغم أنه يوجد أكثر من مليون طالب أفغاني يتسكعون في الطرقات ليس لهم مدارس حتى في الخيام.

إن ابن الأستاذ سيّاف نفسه عمره في الخامسة عشرة ولم يكمل الأول الابتدائي، أما عن التعليم في داخل أفغانستان فيحتاج مجلداً كاملاً لوصف مأساته ومصيبته.

٥- إن المناورات الحالية بين أمريكا وروسيا إن خدع بها المجاهدون فستؤدي إلى إلقاء المجاهدين للسلاح من أيديهم، لتستقر روسيا أو حكومتها إلى ما شاء الله في أفغانستان، ريثما يأتي موعد للقفزة الأخرى على المياه الدافئة في بحر العرب عبر إقليم بلوشستان.

٦- لقد خدعت روسيا بخارى من قبل فهادنت المجاهدين (البسمشي) على أن تعطيهم استقلالهم وحريتهم، وبعد ستة أشهر عادت واحتلت بخارى بعد أن سقط السلاح وانتهى الجهاد، وانتهت بخارى إلى أجل لا يعلم مداه إلا الله.

بني أفغان فلتدعوا الأماني وألقوا عنكم الأحلام القوا
فمن خدع السياسة أن تغروا بألقاب الإمارة وهي رق

وختاماً نبتهل إلى الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

٧- أن أمريكا تريد أن تظهر بمظهر الوصي على الجهاد الأفغاني، وإنها أمه التي تحضنه، وظئره التي ترضعه، وإن الأمور بأيديها، وإن مقاليد الجهاد في قبضتها، فنعوذ بالله من ولاية الكافرين ومساندة الظالمين. قال تعالى:

{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين. فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين. ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين. يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم. إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون. يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين} (المائدة:٥١-٥٧).

فنرجو الله أن ينصر الجهاد والمجاهدين، وأن يحفظ ثمرات الجهاد للأبرار، وأن يحرمها الطغاة والأشرار، وأن يحشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

المفتي "جل الرحمن"(١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، وبعد:

فلا زال هذا الجهاد العظيم يحيي النفوس بما يقدم يومياً للساحة الإسلامية من أفذاذ، وما يسطر في واقع الناس من أساطير أبعد من الخيال، ولكنها واقع مكتوب بالدماء، مترع بالجماجم والأشلاء.

عرفت على طريق هذا الجهاد المبارك نماذج ليس لها ذلك البريق الإعلامي الجذاب، ولا دوي الشهرة الخادع الذي غالباً ما يخلب ألباب الجماهير، ويضيع الحقيقة تحت أبواق الإعلام والمزامير.

١- نشرت في مجلة الجهاد – العدد الواحد والعشرون – ذو الحجة / ١٤٠٦هـ، أغسطس/ ١٩٨٦م.

فممن عرفت: أسد كونر (جل الرحمن أي زهرة الرحمن) شاب في السابعة عشرة من عمره، مشرق الوجه، لم يكتمل نبات الشعر في وجهه، بدأ الجهاد وهو في العاشرة من عمره ،إذ أنه فجر دبابة بلغم وهو في العاشرة، وواصل جهاده في منطقته مع أقاربه، وأصبح الموت يفزع منه، كان يحمل نفسية رقيقة ولكنه في شجاعة الأسد، حياته الجهاد، ونعيمه الجلاد، لا يهدأ ولا يقر إلا إذا دوت المدافع وهدرت الدبابات ولعلعت الرشاشات.

قتل أكثر من مائة شيوعي، وذات مرة أسر أسيراً من الشيوعيين وأجبره أن يحمله بين كتفيه، وبعد أن أوصله إلى نصف الطريق نزل عنه وقتله، كان في أيامه الأخيرة يقوم بعملية كل يومين، وفي إحدى الهجمات الروسية حيث هجم الروس على معسكرهم (أسامة بن زيد) كان يضرب عليهم بالرشاش -الدوشكا-، فقتل بشهادة قائد المعسكر حوالي خمسين منهم، حيث كانت دماء الروس تغطي بقاعاً كثيرة من سفح الجبل الذي دارت فوقه رحى المعركة.

وفي اليوم الثاني من نيسان ١٩٨٦ دخل الروس معسكر أسامة بن زيد، ولم يكن جل الرحمن حاضراً، وهرع عندما سمع الخبر، وأخذ على عاتقه هو وأربعة آخرون من شباب المعسكر (أسد الله وجعفر ومستقيم ورابع) أن يطهّروا المعسكر من الروس، وأخذ يتابعهم من موقع إلى موقع، وهم ينسحبون يجرون وراءهم ذيول الخزي والهزيمة، وفي اللحظات الأخيرة أصابت جل الرحمن رصاصة تلقفته المنية إثرها فوراً، وبقي جل الرحمن بعد استشهاده على هيئة الرمي يصوّب رشاشه نحو الروس، فظنه الروس حيّاً يطاردهم، فلم يجرؤوا أن يقتربوا منه لأخذ رشاشه، وبعد انتهاء المعركة جاء أسد الله والمجاهدون ليروا جل الرحمن بابتسامته التي كانت تسبغ على وجهه إشراقة عجيبة، بقيت هذه الإشراقة والابتسامة بعد الشهادة ولكن مع الهيبة والصفاء.

كان يراه الرائي يظنه نائماً، ينثني بين أيديهم كالنائم...

مضى جل الرحمن إلى ربه وترك في قلوبنا آثاراً عميقة وبصمات واضحة لا تنسى تذكرنا بأن القتال هو مصانع الرجال.

مفتي القدس يصرح : الشعب الأفغاني ينتحر لأنه يواجه روسيا.

أقارن بين جل الرحمن الذي استشهد وهو في عمر الورود وبين مفتي القدس (سعد الدين العلمي) الذي يصرح في مقابلة صحفية إلى جريدة النور القاهرية في ٣ ديسمبر سنة ١٩٨٥ أن الشعب الأفغاني ينتحر لأنه يواجه روسيا، وأن أمريكا قد زجت بالشعب الأفغاني في هذه المعركة ليكون وقوداً لأموائها، ولتشغل به روسيا وتستنزف طاقاتها العسكرية والاقتصادية، ثم ينصح سماحة المفتي الشعب الأفغاني بأن يصالح روسيا، وليت مفتي القدس جاء بنفسه إلى حدود أفغانستان لآخذ بيده إن كان يستطيع المشي، أو أركبه على حصان على حسابي وأوصله إلى حدود روسيا في مسافة تصل إلى ألف كيلومتر لا يرى فيها جندياً روسياً واحداً، وليس للروس إلا الطائرات التي تحلق في السماء.

الفزع العالمي بسبب استمرار الجهاد :

ليت سماحة المفتي عرف التوكل الذي يعرفه غلمان الأفغان الذين لا يحفظون إلا الفاتحة، وليته رآهم وهم يشيرون إلى الطائرات المارة يرددون (افعلوا ماشئتم لن ندع لكم شبراً من أرضنا).

ليت سماحة المفتي سمع أحد الضباط الروس يعلق على معركة جاجي رمضان ١٤٠٦ هـ قائلاً: (لو أردنا أن نقاتل حلف الأطلسي ما استعملنا خططاً ولا أعددنا عدداً غير هذه، ومع ذلك لم نستطع أن نحرز نصراً).

ليت سماحة المفتي كلف نفسه أن يزور حدود أفغانستان لأريه حطام مائتي دبابة وآلية في (تشمكني) في معركة رجب ١٤٠٦ هـ على مركز واحد صغير (تشمكني).

ليت سماحة المفتي قد اطلع على خسائر الروس في سنة ١٩٨٥ وعرف أن المجاهدين قد أسقطوا ٣٠٢ طائرة، ودمروا ١٣٢٨ دبابة، وحطموا ٢٠٠٢ سيارة وناقلة، وخربوا ٧٥ مدفعاً.

فأما الطائرات فقد اعترفت بهذا الرقم الدوائر السياسية وأجهزة المراقبة المهتمة بهذا الجهاد، فقد سجلت دوائرها سقوط ٣٠٥ طائرات، أي أكثر من الرقم الذي ذكره المجاهدون.

لقد نسينا بعد الهزيمة الروحية والنفسية أمام ضغط الواقع الحاضر وبسبب الهجوم الاستشراقي الماكر (عقيدة التوكل على

الله)، وغاب عنا طويلاً التعامل الحق مع الملك الحق سبحانه بصفاته وأسمائه، لقد بتنا وليس لصفات الله تعالى أثر في التعامل الحياتي في شوارع بلاد المسلمين ولا في أذهانهم ولا مشاعرهم، صرنا لا نصدق أن الله عز وجل أقوى من روسيا وأمريكا، وإن كنا نتكلم أحياناً كلاماً لا يتجاوز اللسان بهذه الصفات.

ولو استيقنا حقيقة من أعماقنا أن الله أقوى من اليهود ما وصلنا إلى هذا الحضيض الآسن في مستنقع الذل.

ولو اعتقدنا فعلاً كما يقول الأفغان أن الله أقوى من روسيا فسيهزمها، لم تجثم حفنة من اليهود على قلب العالم الإسلامي آخذة بخناقه، مهددة استقراره وأمنه ودينه وحضارته.

ليت شعري لو أدرك سماحة المفتي مقدار الفزع العالمي بسبب استمرار هذا الجهاد وإيقاظه مشاعر المسلمين حتى باتت أمريكا نفسها تفكر ليل نهار بالخروج الحسن من هذه الورطة التي أيقظت ألد أعدائها (المسلمون)، وأخذت تفكر جدياً في وضع كلام نيكسون موضع التنفيذ إذ قال لها نيكسون بأن تتفق مع روسيا للحيلولة دون قيام حكم إسلامي في أفغانستان.

الصلح مع الكفار باطل إذا تعيّن الجهاد :

وأتمنى لو رجع سماحة الشيخ إلى كتبه التي درس بها في الأزهر ليرى حكم الجهاد في فلسطين وأفغانستان، وسيرى الشيخ في كتب المذاهب الأربعة هذا النص الفقهي: (إذا وطئ الكفار شبراً من أراضي المسلمين أصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم حتى تخرج المرأة دون إذن زوجها، والولد دون إذن والده، والمدين دون إذن دائنه، والعبد دون إذن سيده)، وسيجد الشيخ في الكتب الفقهية كذلك أن الصلح مع الكفار باطل إذا تعيّن الجهاد، ولذلك فنحن ننصح للشيخ أن يستغفر ربه وأن يحث الشباب الفلسطيني حوله أن يرفعوا راية الجهاد ليطهروا القدس من الأوغاد، ومن أدناس الرجس والفساد، لأن الأمم التي تعيش هي التي تحسن صناعة الموت.

وإن شاء الشيخ فعلى الطريق عنده في فلسطين نماذج رفيعة قدمت لهذا الدين واستشهدت لرفع رايته وإعلاء مبادئه.

وقارنوا بين موقف الشيخ والآلاف المؤلفة من الشباب في أفغانستان، فقد أعاد الله بها العزة للأمة الإسلامية بكاملها، وعادت دماء الحياة تسري في عروقها من جديد، وعاد المسلم الحق يحس أنه أعز إنسان على وجه هذه الأرض بإسلامه، وأنه الأعلى بإيمانه.

ولا زالت صورة محمد شاه في مخيلتي، شاب بدأ الجهاد في الرابعة عشرة من عمره في "مزار شريف"، وقد نظر لاغتيال كبار الشيوعيين، فكان يلبس لباساً كأبناء الشوارع (الجينز)، ويطيل سالفه وشعره كالخنافس، ويركب الدراجة النارية، ويلاحق أقطاب الشيوعيين في الشوارع العامة يقتلهم ثم يختفي، كان في قواعد المجاهدين مع إخوانه الثلاثة حتى ذهب أحدهم لزيارة أمه، ولبث يومين أو ثلاثة قالت له أمه (هذا مكان النساء وليس الرجال)، وبقي هذا ديدنه حتى قتل حوالي ١٥٠ شيوعياً، وأخيراً استشهد وهو في سن الثامنة عشرة من عمره.

وقابلت شاباً ثالثاً: فقالوا لي هذا الشاب أحضر سيارة محافظ هرات وسلمها لحكمتيار في بيشاور، فقلت له كيف صنعت هذا؟ قال : وجدت محافظ هرات ومستشاره الروسي على باب وزارة الداخلية في كابل، فقتلتهما وركبت السيارة من كابل حتى وصلت بيشاور وسلمتها لحكمتيار!.

كل واحد من هؤلاء الشباب لسان حاله يردد :

مسلم يا صعاب لن تقهريني	*صارمي قاطع وعزمي حديد*
من دمائي في مقفرات البراري	*يطلع الزهر والحيا والورود*
وإذا صرت في الحياة غريبا	*فأنا الدّر والجمان الفريد*
إن أرضاً ما سرت فوق ثراها	*حظها التيه والضياع الأكيد*
وإذا زغرد الرصاص وغنى	*يغمسا العزف والغنا والنشيد*
ولديني أحيا وأبذل روحي	*ولصباحه دمائي وقود*

ولنير الإسلام عمري مشيـــم   واخضـــرار الحياة يوم يسود

ولا أستطيع أن أتابع الذكريات وهي تنثال عليّ، ولا أن أعد النماذج وهي تتزاحم في مخيلتي، وكان آخرها شاب من "سرخاب" اسمه بابري يقف على الشارع العام (كابل/جاريدين) في الثانية والعشرين من عمره دمّر في التاسع عشر من تموز ١٩٨٦ أربع دبابات بقذائف (آر.بي.جي٧) ثم استقبل الشهادة رافع الرأس.

وختاماً، فإن هذا الجهاد كلما شق طريقه في واقع الحياة لابد أن يكثر أعداؤه ويزداد نقاده.

ونحن ازاء هذا الجهاد نحب أن نسمع ذكره سواء نقداً أو مدحاً، لأننا عندما نسمع الجهاد الأفغاني تتحرك أوتار القلوب وتنتشي شغاف الأفئدة.

ونَكِل الحاقدين إلى الله، ونضرع إلى الله عز وجل أن يجزل مثوبة المخلصين لهذا الجهاد الكريم.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

المرجفون . . والأمل العريض(١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره .. وبعد:

ففي الوقت الذي تكالبت على المسلمين الأحزاب في الجزيرة العربية يقودها أبوسفيان بعشرة آلاف من قريش وغطفان وبني أسد وفزارة وأشجع وبني مرة، يؤجج أوار المعركة رؤوس اليهود وأئمة الكفر حيي بن أخطب وسلاّم بن مشكمة وسلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع. في هذا الوقت الذي تقول عنه أم سلمة رضي الله عنها {شهدت معه -صلى الله عليه وسلم- مشاهد فيها قتال وخوف المريسيع وخيبر وكنا بالحديبية وفي الفتح وحنين، لم يكن ذلك أتعب للرسول -صلى الله عليه وسلم- ولا أخوف عندنا من الخندق، وذلك أن المسلمين كانوا فيها مثل الحرجة، وأن قريظة لا تأمنها على الذراري، فالمدينة تحرس حتى الصباح تسمع فيها تكبير المسلمين حتى يصبحوا خوفاً. حتى ردّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً}.

في هذا الوقت العصيب جاء خبر نقض قريظة لعهدها مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فبعث إليهم السعدين (ابن معاذ وابن عبادة) وخوات بن جبير وعبد الله بن رواحة ليعرفوا هل هم على عهدهم أم قد نقضوه، فلما دنوا منهم فوجدوهم على أخبث ما يكون، وجاهروهم بالسب والعداوة، ونالوا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، انصرفوا عنهم ولحنوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لحناً يخبرونه أنهم قد نقضوا العهد وغدروا، فعظم ذلك على المسلمين. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عند ذلك: { الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين }(٢).

البشرى مع المحنة القاسية والأزمة الخانقة، إنه يريد أن يبقى الأمل العريض يحرك مسيرتهم ويوجه ركبهم ويحيي نفوسهم، إن الأمل يخفف كثيراً من آلام المعركة، ومن عناء المسيرة، ومن مرارة المعاناة.

إذا شكت من كلال السير أوعدها   روح القدوم فتحيا عند ميعاد

إنه -صلى الله عليه وسلم- يعلم أن اليأس قاتل للنفوس، مدمر للمجتمعات، يشل حركتها، ويجفف منابع الخير فيها، ولذا فـ {إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون} (يوسف: ١١٤).

إن المحن وأهوال القتال وضراوة المعركة وشراسة اللقاء ضرورة ماسة، فقد علم الله أن هذه الخليقة البشرية لا تصاغ صياغة سليمة، ولا تنضج نضجاً صحيحاً، ولا تصح وتستقيم على منهج الله إلا بهذا النوع من التربية التي تُحفر في القلوب، وتُنقش في الأعصاب، وأما القرآن والسنة فانهما يوجهان القلوب وهي منصهرة بنار الفتنة، ساخنة بحرارة الابتلاء، قابلة للطرق، مطاوعة

١- نشرت في مجلة الجهاد - العدد الثاني والعشرون - ٢٢ محرم / ١٤٠٧هـ ، سبتمبر / ١٩٨٦م.

٢- زاد المعاد (٢/٣٧٢)

لصياغة.

ولكن ومع نار المحنة لابد من الأمل، ومع طول المسيرة لابد من فسحة البشرى، تدفع الجموع الصادقة، وتوجه النفوس الخالصة.

لابد من إلغاء اليأس من قاموس الدعوات، ولابد من نفي الملل من معجم الحركات، ولابد من مسح القنوط من كتب الجهاد ومن مخيلات المجاهدين.

ولذا لابد من إشاعة البشرى وكتم عوامل الضعف عن جمهور الأمة، فقد أوصى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سعد بن معاذ أنه إذا نقضت قريظة عهدها فلابد من كتمان الخبر، وإذا لم تنقضه فالأولى إشاعة الأمر بين المسلمين.

إن نشر الإشاعات المرجفة بين المجاهدين أثناء المعركة يفت في عضدهم، ويوهن عزائمهم، ويخلخل صفوفهم، ولذا نص الفقهاء على أنه " لا يجوز اصطحاب مثبِّط ولا مرجف ولا مخذل ولا معوق ".[1]

{لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سمّاعون لهم والله عليم بالظالمين} (التوبة:٤٧).

ولذا فقد أدت بعض الإشاعات في وسط المعركة إلى هزيمة المسلمين مثل إشاعة مقتل عبد الرحمن الغافقي قائد بلاط الشهداء (بواتيه) في فرنسا سنة ٧٣٢م، والتي هُزِم فيها المسلمون أمام جيوش شارل مارتل الذي حرم بسيفه أوروبا من نور الإسلام وهديه إلى يومنا هذا.

لقد مرّت بنا أيام في إبان حكم عبد الناصر اشتد فيها الظلام، وخلا الجو للشيطان يذرع الأرض شرقاً وغرباً، وانزوى المسلمون المطاردون بالإعلام الناصري في زوايا النسيان، وأصبح المسلم غريباً غربة ما عانى الإسلام مثلها، وفي هذا الوقت العصيب يخرج الأستاذ سيد قطب رحمه الله كتابه من أعماق السجون ومن وراء قضبانها (المستقبل لهذا الدين)، ولم تمض عشر سنوات حتى بدت الأزمة تنفرج، وبدأت البشائر تلوح في الأفق، وبدأ بصيص النور يقوى ويحيي الأمل في النفوس.

واليوم هنالك بعض الأفراد يشككون في هذا الجهاد المبارك، ويضخمون مساوئه، ويخفون حسناته، ينشرون السلبيات ويكتمون الإيجابيات، ويقولون إن فيه بدعاً وشركيات وفجوراً والتواءات، وليتهم نقلوا الصورة صادقين، بل ليتهم نصحوا بحكمة ولين، ليتهم يدركون أبعاد هذه الشائعات المغرضة، إنهم لا يعلمون أنهم يطعنون هذا الدين بطعن هذا الجهاد من حيث يظنون إنهم يخدمون هذا الدين.

إنهم لا يعلمون أن العالم كله الآن يرقب باهتمام بالغ وحرص شديد نتيجة هذا الجهاد، اللهم إلا المسلمون فإنهم عن الجهاد لغافلون.

يقول محمد أسد[2] (الأمريكي المسلم، صاحب كتاب "الإسلام على مفترق الطرق"): "إن العرب والمسلمين يلهون ويلعبون بأخطر قضية في الأرض، إنهم أغفلوا أهم قضية في الأرض، وجحدوا حقوق أفضل شعب فيها وهو الشعب الأفغاني، إنهم تركوه وتناسوا أصالته وقدرته القتالية ووفاءه لدينه ورجولته، إنهم أغفلوا دوره الذي ينتظره العالم بأجمعه".

فإلى الإخوة الذين ينشرون أخطاء هذا الجهاد، بصدق نقول: إن المسلم يعمل مهما كانت الظروف لأن عليه الأخذ بالأسباب، والنتائج بيد رب العالمين.

إن المسلم مأمور أن ينفذ الأوامر الربانية، ويدع المقادير للعناية الإلهية، ولذا أمرنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الصحيح[3]: {إذا كانت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها} .

إن التوكل على الله هو جماع الإيمان، وقد ضمن الله لمن توكل عليه القيام بأمره وكفايته همه فقال: {ومن يتوكل على الله فهو

(١) تفسير القرطبي (٨/٢١٨)

(٢) من حديث للشيخ «بكرخميس» نقلا عن محمد أسد

(٣) اخرجه الامام احمد في المسند برقم (٣/ ١٨٤) بلفظ (إن قامت على أحدكم القيامة ...)

حسبه} (الطلاق:٣).

{ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم} (الأنفال: ٤٩) أي عزيز لا يذل من استجار به، ولا يضيع من لاذ بجانبه، حكيم: لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره، وكما قال ابن القيم في طريق الهجرتين [١] «فالتوكل مركب السائر الذي لا يتأتى له السير إلا به، ومتى نزل منه انقطع لوقته، وهو من لوازم الإيمان ومقتضياته».

ويقول أيضا «التوكل يجمع أصلين: علم القلب وعمله، فأما علمه: فيقينه بكفاية وكيله وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك، وأما عمله: فسكونه إلى وكيله وطمأنينته إليه، وتفويضه وتسليمه أمره إليه، ورضاه بنصرته له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه» .

وأما المرجفون المغرضون، أو الجاهلون الصادقون فنقول: إن أحدهم يرى بيته بين حانة خمر ومرقص في بلاده ومع ذلك فلا غيرة ولا نكير، ونقول لهم الحديث القدسي في البخاري.. {من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب..} [٢] فكيف بإيذاء أولياء الله!

ونقول لهم إن الأدب الشرعي أن نرد الأمر إلى المسؤولين {وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا} (النساء:٨٣)

فإذاعة أخبار السوء عن الجهاد والمجاهدين ونشر سلبياتهم اتباع للشيطان.

ولا يقولن أحد إن المسلمين لا خير فيهم، أو معظمهم مشركون هالكون.

ففي الصحيح {إذا قال العبد: هلك الناس فهو أهلكهم} رواه مسلم [٣] عن أبي هريرة مرفوعاً.

وفي صحيح مسلم [٤] عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً : {هلك المتنطعون، قالها ثلاثا} .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

عشرون عاماً على الشهادة [٥]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ففي ليلة الخامس من ذي الحجة، وفي تلك الخيمة المتواضعة على ضفاف نهر سرخاب من ولاية لوكر، حيث الماء كاللجين، وعلى شاطيء الوادي بساتين التوت والمشمش تحيل المكان إلى قطعة ساحرة من الجمال الأخاذ، والروعة الباهرة التي تأخذ بالألباب.

في هذه الليلة وبعد يوم حافل بقصف الطائرات الذي استمر من بعد صلاة الفجر حتى المساء جرى ذكر الأستاذ سيد قطب -رحمه الله تعالى- فتنبهت أننا في شهر أغسطس، الشهر الذي استشهد فيه، وأنه قد مضى عشرون عاماً على شهادته، فكان لابد من الكتابة عنه ولو شذرات وأسطراً وذلك رمزاً للوفاء وعنواناً للمودة والإخاء.

لقد بدأت أقارن بين تلك الأيام التي كان يكتب فيها سيد من وراء القضبان للجيل، حيث كتب الله لي أن أعيش تلك الأيام التي أرخى الليل فيها سدوله على المنطقة، وادلهم ظلامها، وضاقت الأرض بما رحبت على الدعاة، وخلا الجو للشيطان الرجيم يذرع الأرض شرقاً وغرباً.

أذكر تلك الأيام – لا أعادها الله علينا– ولا أذكر أني رأيت فيها فتاة واحدة من المتعلمات محجبة في بلدي، وعندما كنا نرى فتاة تلبس جوارب تحت لباس المدرسة الذي يكاد يصل ركبتها نعجب بأخلاقها ونتحدث بآدابها.

---

(١) – طريق الهجرتين لابن القيم ص – ٣٢٦

(٢) سبق تخريجه

(٣) في مختصر مسلم برقم (١٨٢٢)

(٤) في مختصر مسلم برقم (١٨٢٢)

٥– نشر في مجلة الجهاد – العدد الثالث والعشرون – ٢٣ صفر / ١٤٠٧هـ الموافق أكتوبر ١٩٨٦م.

كان في جامعة القاهرة التي تعد فيها الفتيات حوالي خمسين ألفاً فتاة واحدة ملتزمة اللباس الشرعي وهي ابنة شقيقة سيد قطب -رحمه الله تعالى-.

أذكر أن مظاهرة خرجت في عام ١٩٦٧ قبل الاحتلال اليهودي بثلاثة أشهر في المدينة التي أنا منها -جنين/فلسطين- تعبر عن سخطها على اليهود، وتندد بالظالمين، وتهتف بحب عبد الناصر، فلم تجد تعبيراً صادقاً عن سخطها أوضح ولا أقوى من أن تدخل دار الدعوة الإسلامية وتمزق المصاحف والتفاسير وتلقيها في شوارع المدينة!! ولا زال منظر أوراق المصاحف يهز الأوصال بتذكرها.

ولم يفسح الأجل للأستاذ سيد أن يرى الثمار المباركة التي أثمرها الله عز وجل من غراس قلمه المبارك.

لم ير الصحوة الإسلامية، ولا رجوع الجيل إلى الله، ولكنها الكلمة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وددت يوم سمعت الحكم عليه بالإعدام أن أفتديه بنفسي وأمي وأبي، وأذكر أني كتبت برقية لعبد الناصر أقول فيها: (الدعوة لن تموت، والشهداء خالدون، والتاريخ لا يرحم).

كنت أظن أن شهادته ستحدث فراغاً في المنطقة، ولكن {الله يعلم وأنتم لا تعلمون}، ما كنت أظن أنه سيحصل هذا الدوي الهائل بشهادته، وأن أفكاره ستعم المنطقة، بل العالم الإسلامي كله، فتحيا بها الأجيال.

ميزات سيد قطب :

لقد تميزت كتابات سيد قطب بمميزات كثيرة أفردتها من بين الكتابات المعاصرة، وجعلتها فذّة مشرقة، وعلى رأس هذه المميزات التي: ميزته وميزت كتاباته:

- نفاذ البصيرة وعمق النظر: وذلك راجع أولاً وقبل كل شيء إلى الإخلاص الذي تلمحه من خلال عباراته -كما نحسبه والله حسيبه ولا نزكي على الله أحداً-، والإخلاص يورث الفراسة {اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله } (1).

وأما عمق النظر فهذا يدركه كل من قرأ (المستقبل لهذا الدين) الذي صدر في الوقت الذي خيم فيه الظلام على المنطقة، ولم تعد ترى فيها بصيصاً من نور في هذا الليل البهيم، وكثيراً ما كان يردد: ستهب في المرحلة القادمة على المنطقة رياح من الإسلام الأمريكي!؟ وقد كان!.

ولقد رأيت هذه الملامح على تفكير أخيه الأستاذ محمد قطب -حفظه الله-، فكثيراً ما كان يحدث بأمور يتوقعها كنت أحسبها أيامها ضرباً من الخيال، أو إغراقاً في الأوهام، ثم رأيتها واضحة جلية في واقع الأرض.

- سعة الأفق، وهذا راجع إلى عاملين..

أولهما: الاطلاع على المخطط العالمي لضرب الإسلام.

ثانيهما: سعة ثقافته واطلاعه على الثقافة الإنسانية.

أما اطلاعه على المخطط العالمي لضرب الإسلام ممثلاً بالحركة الإسلامية، فلقد كان مبعوثاً لوزارة المعارف المصرية إلى أمريكا في الوقت الذي لم يكن يعرف فيه حقيقة الإسلام بعد، ولم يلتزم بعد بتعاليمه، فيقول عن نفسه وهو في طريقه إلى أمريكا: (كنت أحد ستة نفر من المنتسبين للإسلام في باخرة تشق عباب الأطلسي ميممة شطر أمريكا)، وفي أمريكا جرت له حادثتان كانتا سبباً لدخوله في الحركة الإسلامية (كما حدثني بذلك أحد أرحامه):

أولهما: كما يحدث هو: كنت في ١٣ شباط ١٩٤٩ مستلقياً على أحد أسرة مستشفى في أمريكا، فرأيت رقصاً صاخباً وموسيقى وأنواراً، ورأيت الابتسامات تعلو الوجوه، والفرح يغمر المستشفى، فقلت: أي عيد هذا الذي تحتفلون به؟ قالوا: اليوم قتل عدو النصرانية في الشرق، اليوم قتل حسن البنا.

قال: فهزتني هذه الكلمة من أعماقي.

(1)- أخرجه البخاري في التاريخ والترمذي عن أبي سعيد الخدري وهو في ضعيف الجامع الصغير برقم (١٢٧)

ثانيهما: إن السفارات العالمية كانت تتسابق على اصطياد الشباب المسلم، وسيد كصحفي معروف كان أحد هؤلاء الذين تدور حولهم العيون ليكون صيداً سهلاً وفريسة مستساغة لصائده، فدعاه مدير الاستخبارات في السفارة البريطانية في واشنطن إلى بيته.

قال سيد: فعندما دخلت بيته كم أذهلني مفاجأة أني رأيت عنده كتاب (العدالة الاجتماعية)، ولم يكن قد وصل أمريكا إلا نسخة واحدة أرسلها لي أخي محمد، إذ أنه قد أشرف على طباعة الكتاب في غيابي، وبدأ الحديث عن الشرق ومصر وتوقعات المراقبين بأن الوريث للحكم الملكي القائم هو أحد اثنين: إما الشيوعيون وإما الإخوان المسلمون، والمرجح أنهم الإخوان، ثم بدأ يفتح لي ملفاً خاصاً بالإخوان فيه من التفصيلات والجزئيات مما يدق على أبناء مصر أنفسهم حتى المختصين، ثم قال: إذا وصلت جماعة الإخوان إلى الحكم فإنها ستحرم مصر من ثمار الحضارة الغربية، ثم قال أخيراً:

نحن نهيب بأمثالك من المثقفين أن يحولوا بين الإخوان وبين الوصول إلى الحكم، لأن وصولهم هو نهاية مصر المؤسفة الأليمة!؟
قال سيد: وفي بيت مدير الاستخبارات البريطاني في واشنطن قررت أن أدخل جماعة الإخوان فور عودتي، لأنه لا يمكن لجماعة تكيد لها الدوائر العالمية هذا الكيد أو تخطط ضدها هذا التخطيط إلا أن تكون الجماعة على الحق.

لقد دخل سيد جماعة الإخوان، وقد عرف بنفسه الكيد الهائل ضد الإسلام والكراهية العميقة التي لا يمكن للغرب أن يخفيها.

– وأما سعة ثقافته: فيقول عن نفسه [1] (إن الذي يكتب هذا الكلام إنسان عاش يقرأ أربعين سنة كاملة، كان عمله الأول فيها هو القراءة والاطلاع في معظم حقول المعرفة الإنسانية... ما هو من تخصصه وما هو من هواياته...ثم عاد إلى مصادر عقيدته وتصوره: فإذا هو يجد كل ما قرأه ضئيلاً ضئيلا إلى جانب ذلك الرصيد الضخم –وما كان يمكن أن يكون إلا كذلك–، وما هو بنادم على ما قضى فيه أربعين سنة من عمره، فإنما عرف الجاهلية على حقيقتها.. وعلى انحرافها وضآلتها وقزامتها، وعلى جعجعتها وانتفاشها، وعَلِم غرورها وادعاءها، وعَلِم علم اليقين أنه لا يمكن أن يجمع المسلم بين هذين المصدرين في التلقي).

الجدية: لقد كان سيد جاداً في جاهليته وإسلامه، فلم يكن يهادن ولايداهن. لقد كان واضحاً كالشمس في رابعة النهار مستقيماً كحد السيف، ومن هنا أخرج مجلة كان صاحب الامتياز فيها الميناوي، فخرج منها ثلاثة أعداد كلها صودرت ثم أغلقت، ولقد أرسل الملك من يغتاله ولكن الله نجاه من اليد الأثيمة..

لقد كان دائماً يردد " أنا لا أستطيع أن أعيش بنصف قلب نصفه لله ونصفه للدنيا" [2] .

وكان يقول: إن إصبع السبابة التي تشهد لله بالوحدانية في الصلاة لترفض أن تكتب حرفاً واحداً تقر به حكم طاغية، حدثت شقيقته حميدة إثر خروجها من السجن –وأنا أسمع– قالت: جاءني مدير السجن الحربي حمزة البسيوني يوم ٢٨ أغسطس ١٩٦٦ وأطلعني على قرار الإعدام الموقع من عبد الناصر بإعدام سيد قطب، ثم قال: إن إعدام الأستاذ سيد خسارة للعالم الإسلامي والعالم أجمع وأمامنا فرصة أخيرة لإنقاذ الأستاذ من حبل المشنقة وهي أن يعتذر على التلفاز فيخفف عنه حكم الإعدام، ثم يخرج بعد ستة أشهر من السجن بعفو صحي. هيا فاذهبي إليه لعلنا ننقذه.

قالت حميدة: فتوجهت إليه لأبلغه الخبر، فقلت له: إنهم يقولون إن اعتذرت فسيعفون عنك.

فربت سيد على كتفي قائلاً: عن أي شيء اعتذر ياحميدة!! عن العمل مع الله؟ والله لو عملت مع أي جهة غير الله لاعتذرت، ولكني لن أعتذر عن العمل مع الله.

ثم قال: اطمئني يا حميدة إن كان العمر قد انتهى فسينفذ حكم الإعدام، وإن لم يكن العمر قد انتهى فلن ينفذ حكم الإعدام، ولن يغني الاعتذار شيئا في تقديم الأجل أو تأخيره.

أية طمأنينة!؟ وأية ثقة هذه التي يتمتع بها هذا القلب الكبير!؟ أية راحة وأية سكينة هذه التي يسكبها الله على الفؤاد وعلى النفس المؤمنة؟!

ومن علامة جديَته: أنه استقال من وزارة المعارف في اللحظة التي قرر فيها دخول الحركة الإسلامية.

---

(١)- معالم في الطريق / ص – ١٤٣   (٢)- نقلا عن الثقات

- الاحتياط والورع والهيبة أمام النصوص القرآنية، ويبدو هذا من خلال تفسيره لكتاب الله. فيقول -في ظلال القرآن- عند آية [حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين] (البقرة:٢٣٨)

" أشهد أني وقفت أمام هذه الآية ستة أشهر لا أنتقل إلى ما بعدها، كيف جاءت آية الصلاة بين آيات الطلاق، وكنت آمل أن يفتح الله عليّ في هذه الفترة، ولكن لم يفتح الله علي، فإن فتح الله على أحد من القراء فليتفضل إليّ مشكوراً ".

ويقول في مقدمة سورة الرعد [١] (كثيراً ما أقف أمام النصوص القرآنية وقفة المتهيب أن أمسها بأسلوبي البشري القاصر، المتحرج أن أشوبها بأسلوبي البشري الفاني، ولكن ماذا أصنع ونحن في جيل لابد أن يقدم له القرآن مع الكثير من الإيضاح.. ومع هذا كله يصيبني رهبة ورعشة كلما تصديت للترجمة عن هذا القرآن).

التركيز على العقيدة وشرح لا إله إلا الله :

لقد هال الأستاذ سيد قطب وقوف الجموع الهائلة من المسلمين واجمة إزاء تصفية الحركة الإسلامية جسدياً سنة ١٩٥٤، فلقد كانت هذه الجموع تسد الطرقات على أبواب دار الإخوان في (الحلمية) تنتظر خطاب الأستاذ البنا مساء كل ثلاثاء وتنتظره حتى الثانية عشرة ليلاً وهي تكبر وتهتف، ما بالها الآن بكماء عمياء صماء؟ بل إن قسماً ليس بالقليل من هؤلاء تبرع بإيذاء الإخوان في داخل السجون بالتجسس عليهم ونقل أخبارهم .

لقد وقف طويلاً أمام هذه الظاهرة، وأخيراً وضع إصبعه على موطن الداء وهو أن هذه الجموع لم تفهم (لا إله إلا الله).

حدثني أحد الإخوة قال: إن مراسم الإعدام تقضي أن يكون أحد العلماء حاضراً تنفيذ الإعدام ليلقن المحكوم عليه الشهادتين! فعندما كان سيد يمشي خطاه الأخيرة نحو حبل المشنقة اقترب منه الشيخ قائلاً (قل لا إله إلا الله)، فقال سيد: حتى أنت جئت تكمل المسرحية؟ نحن يا أخي نعدم بسبب (لا إله إلا الله)، وأنت تأكل الخبز بـ (لا إله إلا الله) .

وبعد هذا كله (بنو أسد تعزرني على الإسلام) كلمة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قالها عندما جاء وفد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكون سعداً، حتى قالوا: إنه لا يحسن الصلاة! يروي البخاري [٢] عن قيس قال: سمعت سعداً رضي الله عنه يقول: إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله، وكنا نغزو مع النبي -صلى الله عليه وسلم- وما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى أن أحدنا ليضع كما يضع البعير أو الشاة ماله خلط، ثم أصبحت بنو أسد "تعزرني على الإسلام" لقد خبتُ إذاً وضل عملي) .

وما أشبه اليوم بالبارحة، إن بعض الناس بدأوا يشككون في عقيدة سيد قطب، حتى إنه ترامى إلى مسامعي أن باحثاً يؤلف كتاباً سماه (تنقية الظلال من الضلال!) ولقد بالغ بعض القوم حتى قالوا أن سيداً يقول "بوحدة الوجود"، وكأنهم لم يقرأوا مئات المرات في الظلال التفريق بين الخالق والمخلوق.

والذين يتابعون تغير المجتمعات وطبيعة التفكير لدى الجيل المسلم يدركون أكثر من غيرهم البصمات الواضحة التي تركتها كتابة سيد قطب وقلمه المبارك في تفكيرهم.

والحق أنني ما تأثرت بكاتب كتب في الفكر الإسلامي أكثر مما تأثرت بسيد قطب، وإني لأشعر بفضل الله العظيم علي إذ شرح صدري وفتح قلبي لدراسة كتب سيد قطب، فقد وجهني سيد قطب فكرياً، وابن تيمية عقدياً، وابن القيم روحياً، والنووي فقهياً، فهؤلاء أكثر أربعة أثروا في حياتي أثراً عميقاً.

ولقد كان لاستشهاد سيد قطب أثر في إيقاظ العالم الإسلامي أكثر من حياته، ففي السنة التي استشهد فيها طبع الظلال سبع طبعات، بينما لم تتم الطبعة الثانية أثناء حياته، ولقد صدق عندما قال: "إن كلماتنا ستبقى عرائس من الشموع، حتى إذا متنا من أجلها انتفضت حية وعاشت بين الأحياء" .

ولقد مضى سيد قطب إلى ربه رافع الرأس، ناصع الجبين، عالي الهامة، وترك التراث الضخم من الفكر الإسلامي الذي تحيا به الأجيال، بعد أن وضح معان غابت عن الأذهان طويلاً، وضح معاني ومصطلحات الطاغوت، الجاهلية، الحاكمية، العبودية، الألوهية، ووضح بوقفته المشرفة معاني البراء والولاء، والتوحيد، والتوكل على الله، والخشية منه، والالتجاء إليه.

---

(١) - تفسير الظلال (٢٣٠٨/٤) (٢) فتح الباري / ج ٧ / ص – ٨٣

والذين دخلوا أفغانستان يدركون الأثر العميق لأفكار سيد في الجهاد الإسلامي وفي الجيل كله فوق الأرض كلها، حتى أن بعضهم لا يطلب منك لباساً وإن كان عارياً، ولا طعاماً وإن كان جائعاً، ولا سلاحاً وإن كان أعزل، ولكنه يطلب منك كتب سيد قطب.

وكم هزني أن أسمع أن هنالك قواعد جهادية في أفغانستان وعمليات حربية يطلق عليها اسم سيد قطب.

ومن جميل الموافقات العجيبة أن أستاذنا الكبير في الجهاد في فلسطين صلاح حسن كان يعد لعملية في فلسطين يسميها عملية (سيد قطب)، ولشدة ما كانت الدهشة أن صلاح حسن قد استشهد في ليلة ٢٩ أغسطس نفس الليلة التي أعدم فيها سيد قطب

رحم الله سيد قطب.. ونرجو الله أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

البلسم الشافي[1]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.. وبعد.

فهنالك في تلك الخيمة المتواضعة، وبين ظلال التوت بين أشجار المشمش ذات الأغصان الوارفة على ضفاف نهر سرخاب في الأيام العشر التي أقسم الله بها بقوله «والفجر وليالٍ عشر»، والنبي قال عنها -صلى الله عليه وسلم- في رواية البخاري [2] (ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام -يعني أيام العشر-، قالوا يا رسول الله: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء).

أقول: في هذه الأيام وفي اليوم الرابع من ذي الحجة بالذات.. وكان مساء جمعة، جلست أتحدث مع بعض الإخوة قائلا: حدثني كثير من الإخوة العرب أن لديهم أمراضاً مزمنة شفيت في الجهاد، فهل وجدتم هذا حقاً في مسيرتكم المباركة؟ قالوا: نعم.

قال عبد المجيد: كان عندي ربو أتعبني في السنة الأخيرة، فعافاني الله منه في الجهاد.

قال سهم: كانت عيني مصابة وأعيتني الحيلة في مراجعة الأطباء، ولم تشف إلا في الجهاد

وقال القعقاع: كان عندي روماتيزم وعافاني الله في الجهاد، ورغم برودة الجو التي يتوقع منها أن تزيد الروماتيزم.

وقال عبد الله الجزائري: عندي إمساك دائم ينعكس على رأسي وجعاً، ما كنت أطيق الدراسة بسببه، فعافاني الله في الجهاد.
وقال أبو مصطفى: كان عندي حساسية شديدة فخفت كثيراً والحمد لله. وقال أبو الحسين: كثير من الهموم والوساوس والتوجعات تنجلي في ميدان الرباط والمعركة.

وقال إبراهيم: كنت مصاباً بالرعاف الدائم الذي يتصبب منه الدم تصبباً، والآن اختفى أو يكاد، فالحمد لله حمد الشاكرين.

وقال أبو برهان: لقد كان لدي مغص لم يهتد الأطباء إلى كنهه وعلاجه. فعافاني الله في الجهاد .

وقال أبواليسر: عندي انغلاق في صمام القلب، وكنت إذا صعدت بعض الدرج أشعر بالتعب، وأما الآن فلا أشعر بالتعب رغم أننا نتسلق شواهق الجبال وقمم الرواسي.

وقد حدثني غيرهم. مثل أبي الحسن: أن آلام الركب كانت تبرح بي. وكانت تنتفخ وتمتلئ بالسوائل، إذ أن عندي مرض (Ortho Plestic-Strain) فمشيت إلى كابل ولم أصب بأي ألم. مع أنني قبل الجهاد كنت أحياناً أجلس في البيت أياماً لا أتحرك وقال لي باد شاه گل، كان عندي مرض سيلان البول فعافاني الله منه

قلت ولكن أخطر مرض قد عافى الله منه النفوس وشفى منه القلوب هو مرض الوهن الذي أصاب الأمة الإسلامية (حب الدنيا وكراهية الموت)، فلقد أصاب الترهل جسد الأمة الإسلامية، فأصبح مخدراً يقطع شلواً شلواً دون أن تحس بألم، وابتلعت الأراضي الإسلامية قضمة قطعة دون غيرة لدى المسلمين، ولم تسمع لهم ركزا.

---

[1] نشر في مجلة الجهاد - العدد الرابع والعشرون ، ٢٤ ربيع أول / ١٤٠٧هـ الموافق نوفمبر ١٩٨٦م.

[2] الحديث الوارد من رواية أبي داود في كتاب الصيام وهو مروي عند ابن ماجه وكذلك الترمذي وقال عنه حسن صحيح غريب وأما رواية البخاري فهي بلفظ آخر والروايات جميعها عن ابن عباس

إن الجهاد قد أعاد الحياة إلى كثير من أوصال الأمة الإسلامية التي شلت وفقدت الإحساس وأصابها التبلد والموات.

ليس من مات فاستراح بميت ... إنمـــــا الميت ميِّت الأحياء

لقد وصلت الهزيمة إلى أعماق الأمة الإسلامية وأرواحها وقلوبها حتى يئست من كل شيء، وكما يقول الشهيد سيد قطب عند آية {انفروا خفافا وثقالا} : "إن النفرة للجهاد في سبيل الله انطلاق من قيد الأرض، وارتفاع على ثقلة اللحم والدم، وتحقيق للمعنى العلوي في الإنسان، وتغليب لعنصر الشوق المجنح في كيانه على عنصر القيد والضرورة، وتطلع إلى الخلود الممتد، وخلاص من الفناء المحدود.

إن الاستعلاء على ثقلة الأرض وعلى ضعف النفس إثبات للوجود الإنساني الكريم فهو حياة بالمعنى العلوي للحياة، وإن التثاقل إلى الأرض والاستسلام للخوف إعدام للوجود الإنساني الكريم، فهو فناء في ميزان الله، وفي حساب الروح المميزة للإنسان، ويمكنك القول: إنه الموت حقاً" [1] .

وبجانب هذا هنالك مرض خطير عالجه الجهاد وتعاني منه البشرية جمعاء وهو مرض (القلق) الذي أصبح شبحاً رهيباً يطارد الناس ويقض مضاجعهم ويؤرق أجفانهم.

ففي الحديث الصحيح الذي رواه الطبراني وأحمد: {عليكم بالجهاد في سبيل الله فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم} .

لقد أصبحت الأمراض العصبية والنفسية سمة بارزة في الحضارة المادية المعاصرة، وإن السويد لتخصص ٣٠٪ من ميزانيتها لمستشفيات الأمراض النفسية والعصبية والعقلية، وإن حوالي أربعة وخمسين مليوناً من سكان الولايات المتحدة الأمريكية مصابون بهذه الأمراض، ولا نجاة من هذه الأمراض ولا شفاء إلا بالعقيدة الحقة والجهاد.

إن الجهاد في سبيل الله ليخرج من حماة الجنس ومن مستنقع الشهوات الهابطة أسوداً ضارية يصدق فيهم قول كعب بن زهير:

المكرمين السمهري بأذرع ... كسوافل الهندي غير قصار [2]

والناظرين بأعين محمرة ... كالجمر غير كليلة الأبصار

والبائعين نفوسهم لنبيهم ... للموت يوم تعانق وكـــرار

• فحي على الجهاد لشفاء أمراض صدرك، وغسل أوضار روحك، وتطهير علل قلبك.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الشبح الرهيب[4]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وبعد:

فقد كان الركب المهيب يتهادى ميمماً شطر البيت العتيق يقود الركب الكريم سيد الخلق -صلى الله عليه وسلم- ومعه ألف وخمسمائة من الأسود الضواري، يلف أجسادهم البياض، وادعين وداعة حمام البيت، سيوفهم في أغمادها، تدوي أصواتهم بالتلبية في أرجاء الصـحراء فتقطع صمتها الموحش •

قال الزهري : (وخرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمور، وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله لا تدخلها أبدا، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم، قال : فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : **يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا وإن أظهرني الله عليهم دخلوا الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره أو تنفرد هذه السالفة، ثم قال من رجل يخرج بنا عن طريق غير طريقهم التي هم بها؟**) . [5]

---

(١) تفسير الظلال (٣/١٦٥٥) (٢) صحيح الجامع برقم (٣٩٤٢) (٣) السمهري : الرمح ، وسافلة القناة : أسفلها وأقصرها كعوبا، الهندي : الرماح

٤- نشر في مجلة الجهاد - العدد الخامس والعشرون - ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ ، ديسمبر ١٩٨٦م. (٥) السيرة النبوية لابن هشام (٣/١٩٧)

ما أجملها من كلمة تنطق بلسان حالنا وتعبر عن مشاعرنا ... فنقول : هذا الشباب المسلم في كل مكان الذي يتقلب على مرقده كأنما يتقلب شوك القتاد شوقا للقاء إخوانهم المجاهدين في أفغانستان، وتطلعا إلى أداء فريضة الجهاد، لقد أرق أجفانه، وأقض مضجعه أنات الثكالى وآهات اليتامى وزفرات المكروبين .

نقول : ماذا على المسؤولين لوخلوا بين هؤلاء الشباب وبين الجهاد لنصرة إخوانهم الأفغان ؟ فإن استشهد هؤلاء الشباب كان للمسؤولين الذي أرادوا وارتاحوا من شرورهم ؟؟؟ وإن رجعوا رجعوا درعا لبلادهم وحصنا لدينهم ومبادئهم .

هذا الشباب إن لم تؤرقه صور المشوهين، واجهته صور المكلومين الذين يموتون على الطرقات لا يجدون من يضمد جراحهم أو يخفف آلامهم، كيف لا تبكي العيون على عيون الأطفال التي ندت من مؤقها ؟ وإن لم يذب قلوبهم مناظر القصف الجوي الذي أحرق الأسر بكاملها تفطر الكبد للأعراض التي تنتهك، وكيف لا يتمثلون بأبيات عبدالله المبارك :

كيف القرار وكيف يهدأ مسلم   والمسلمات مع العدو المعتـــدي
القائلات إذا خشين فضيحـــة   جهد المقالة ليتنا لم نولـــــد

شباب صدورهم تغلي كالمرجل، لم يعد يلذ لها نوم ولا تهنأ بطعام :

غاب عن مقلتي لذيذ المنام   شغلها عنه بالدموع السجام

شباب في كامل طاقتهم، يعيشون الأحداث الجسام التي تلف العالم الاسلامي، أحزانهم تأكل أجسادهم، أسود في عقلها تتفلت وتتلفت إلى مخرج، خوت جسومهم واصفرت وجوههم شوقا إلى اللقاء فوق أرض العزة والسناء، كل منهم لسان حاله يردد أبيات المتنبي :

يقول لي الطبيب أكلت شيئا   وداؤك في شرابك والطعـــام
وما في طبه أني جـــــواد   أضر بجسمه طول الجمـــام
تعود أن يغبر في الســـرايا   ويخرج من قتام في قتـــام

إن طاقة الشباب الضخمة تريد منصرفا ومنطلقا، أيديهم مقيدة، أرجلهم مصفدة، أنفاسهم محصية عليهم، الأقلام تتابعهم، أجهزة الرصد مسلطة عليهم، كالخيل تعلك لجمها، يتلفتون حولهم يريدون لأنفسهم منطلقا أن يسهموا في هذا الفرض الرباني في نصرة إخوانهم، فيجدون الحواجز الجغرافية وقيود التأشيرات وفراغ ذات اليد من ثمن التذكرة، يرون العيون التي تحملق تكاد تزلقهم بأبصارها، ومع هذا كله فقد استطاعت بعض النماذج أن تتخطى هذه العقبات، وأن تحطم هذه الحواجز والعقابيل. وليت ولاة الأمر إذ تعدوا غضوا الطرف عن هؤلاء الشباب الذين جمعوا ثمن تذاكرهم خلال سنوات بالقرش والقرشين ...

هؤلاء الشباب : منعوا من التفكير في الجهاد في بلادهم، وأصابهم عديد من الأمراض من رطوبة السجون وفي ظلمات غياهبها، لو كشفت عن ظهورهم تنبئك آثار السياط عن مدى إنسانية جلاديهم .

مؤامرة تدور على الشباب   ليعرض عن معانقة الحراب

كان من عادة الطواغيت أن يبحثوا عن متنفس لهذه الطاقات فلا يجدون لهؤلاء الشباب سوى الصوفية السلبية الانعزالية تمتص طاقاتهم، وتنفس عما يجول في صدورهم .

ونحن نقول : ياويح هؤلاء الطغاة !! ماذا عليهم لو خلوا بين الشباب والجهاد الأفغاني خير متنفس لمشاعر هؤلاء الشباب، يؤدون فريضة الجهاد، من كل دولة أتى عشرة يزيدون أو ينقصون قليلا، نصفهم يستشهدون، ربعهم تقطع أرجلهم أو تشوه أجسامهم بالقذائف، وتستريح منهم أنظمتهم الحاكمة، ومع هذا كله : فحكوماتهم لا تدعهم، أجهزة مراقبتها ناشطة، يفتشون جواز كل قادم لعل عليه تأشيرة باكستانية .

وتبدأ الأجهزة تتابع تفاصيل خطوات هذا الشاب منذ خروجه من أرض بلده إلى عودته، وسيكون من السعداء إن نجا من عذاب المستطير، وإن أفلت بنفسه من قبضتهم فلن يفلت جوازه ليحددوا حركته أو ليجمدوا نشاطه.

بدأت الضغوط على السفارات الباكستانية في الخارج لتعقيد معاملات التأشيرات، ولتصبح التأشيرة الباكستانية أصعب من تأشيرة إلى الدول البترولية وكانت من قبل تمنح التأشيرة في المطار لأي زائر ومن أي جنسية كان .

ثم بدأت الخطوط لكثير من الدول لاتقل اي راكب ذاهب إلى باكستان على متن طائراتها الا إذا كان يحمل التاشيرة الباكستانية .

كثير من الأطباء المختصين والفنيين وغيرهم ردوا من أبواب السفارات الباكستانية خائبين بعد أن كانوا يحملون بين جوانحهم أمالا عراضا في خدمة الشعب الأفغاني المسلم المجاهد، بينما لا يتكلف الغربي سوى بضع دقائق لأخذ التاشيرة !! ؟

ففي بيشاور وحدها (٣١) منظمة غربية نصرانية تزاول عملها بحرية وتحت التسجيل ست منظمات نصرانية أخرى، وفي بلوشستان (١٢) منظمة نصرانية، وليس في الساحة سوى أربع منظمات إسلامية مسجلة، ومع هذا لا تجد الراحة ولا التسهيلات التي تجدها المنظمات الغربية!! .

أقول : سبحان ربي، المسلم الذي جاء يؤدي فريضة الجهاد يمنع من أداء عبادته، وأما الغربي الذي ليس للدين حساب في معاملاته يجد كل ترحاب !!

أحرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس

نعم : نحن لا نغفل الرعب العالمي والفزع الدولي من استيقاظ روح الجهاد لدى الأمة المسلمة، ولقد بدأ الجهاد الأفغاني المسلم يوقظ الأمة من سباتها، ولا يغيب عن أذهاننا الضغوط الدولية والمحلية التي تواجهها باكستان.

نعم : نحن ندرك كذلك الجهود الضخمة التي بذلتها الأجهزة العالمية والمؤسسات الغربية والاكاديميات من أجل تشويه عبادة الجهاد في أذهان الجيل، بل لمسخ مفهوم الجهاد والقتال وتحويله إلى كلمات ميته وعبارات جامدة باردة .

نعم نحن نعلم المخططات الرهيبة من أجل تحويل المسلم الذي تزلزل هيبته أوصال الكفر إلى غثاء كغثاء السيل، ومن أجل غرس الوهن في أعماق ذراري المسلمين وهو حب الدنيا وكراهية الموت أو كراهية القتال كما جاء في رواية الإمام أحمد الصحيحه[1].

نعم : نحن نعرف النحل والملل التي اخترعها الغرب من أجل محاربة عبادة الجهاد كالقاديانية والبهائية والبابية وما سبقها من الفرق الباطنية الكافرة كالإسماعيلية والنصيرية .

نعم : نحن نعي التصفية الجسدية لأولئك الذين زاولوا عبادة الجهاد بانفسهم في فلسطين وسوريا وغيرها .

نعي ونفهم : كيف قتل الأستاذ البنا ١٢ شباط ١٩٤٩م بعد أن أرسل برقية إلى مؤتمر القمة المنعقد في عاليه بالسماح له بدخول فلسطين بعشرة الآف مسلح، حيث كان الاغتيال في عيد ميلاد فاروق، وعلى يد مدير مخابرات القصر محمود عبد المجيد !!؟

ونعلم : كيف أقدمت مصر على عقد معاهدة رودس مع إسرائيل بعد اغتيال البنا بيومين في ١٤شباط ١٩٤٩م .

ونعلم : كيف قرر السفراء الثلاثة الأمريكي والبريطاني والفرنسي حل جماعة الإخوان في ٦ديسمبر ١٩١٤٨م عندما عزمت على دخول معركة فلسطين بثقلها، وألقت بالقرار إلى النقراشي رئيس وزراء مصر لتنفيذه .

وندرك كيف عومل المجاهدون في فلسطين من أبناء الحركات الإسلامية، وكيف اعتقلوا من أرض الجهاد إلى سجن العذاب وسوط الجلاد في مصر .

ونعلم : أن كل من حضر الجهاد في فلسطين وقناة السويس كان جزاؤه في محكمة الثورة سنة ١٩٥٤م إما الإعدام - وهو الذي لقيه محمد فرغلي ويوسف طلعت وهنداوي دوير ويوسف الطيب ومحمود عبد اللطيف وعلى رأسهم وكيل الجماعة عبد القادر عودة -، وإما الأشغال الشاقة المؤبدة .

وندري : ضخامة الأجهزة التي تتابع دقائق حركات الشباب الذين يفكرون في الجهاد سواء في مصر أو في غيرها، والمؤامرات التي تحاك ضد الشباب، وتكون التهمة الضخمة البارزة في محاكماتهم هي رغبتهم في الجهاد .

نحن نعرف : الكيد العالمي والمحلي ضد الجهاد **{وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال}**

(ابراهيم: ٤٦).

ولكن الذين يكيدون يغفلون سننا وقوانين وهي :

---

(١) اخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/٢٧٨) من ثوبان رضي الله عنه. وهو عند ابي داوود برقم (٤٢٩٧).

١- ان القدرة بيد الله: {وإلى الله ترجع الأمور}.(آل عمران: ١٠٩). «وإليه يرجع الأمر كله» . (هود: ١٢٣) .

٢- {ولايحيق المكر السيء الا بأهله} قال رجل لابن عباس رضي الله عنه إنا لنجد في التوراة من حفر لأخيه حفرة وقع فيها، قال ابن عباس : وهو في القرآن، وتلا الآية السابقة .

قال تعالى: {ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لايشعرون # فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين # فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لآية لقوم يعلمون# وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون} (النمل: ٥٠-٥٢) .

٣-وينسون {إن الله يدافع عن الذين آمنوا} (الحج: ٣٨) .

٤- ويغفلون {وإن تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط} (آل عمران: ١٢٠).

٥- ولا يعلمون : «إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون». (الانفال:٣٦)

٦-وينسون: {يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون} (التوبة: ٣٢-٣٣).

إن الجهاد هو الشبح الرهيب الذي يقض مضاجع أعداء الله، ولكنهم ينسون البشرى التي بشرنا بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- {ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولايبقى بيت من مدر ولا وبر إلا ويدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز به دين الله، وذلا يذل به الكفر} [١] {والعاقبة للمتقين}.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

هزيمة أم خديعة !؟[٢]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره . . . اللهم لا سهل إلا ماجعلته سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، وبعد :

فقد أعلن نجيب الرئيس الشيوعي لأفغانستان وقف إطلاق النار ابتداء من الساعة الثانية عشرة ليلة ١٥ يناير سنة ١٩٨٧، وصرح بأنه سيطلق السجناء، وأعلن أنه يفتح ذراعيه ليحتضن من مد يده من المجاهدين، ورحب بمن أراد العودة من المهاجرين إلى أفغانستان، وأحضر خمسين صحفيا إلى كابل ليروا بأم أعينهم وقف إطلاق النار، ودخل مراسل إذاعة BBC (صوت بريطانيا) لأول مرة كابل بعد سبع سنوات (منذ الاحتلال الروسي) .

وأعلنت روسيا أنها لن تحمي نظام كابل فيما بعد، وأنها ستنسحب على مراحل خلال سنة أو أكثر، ونزل العملاق الكبير لأول مرة من عليائه، وقبل أن يجلس مع مندوب باكستان بعد أن كان يأنف من الجلوس مع دولة من دول العالم الثالث المتخلف، وحضر وكيل الخارجية الروسية مع وكيل الخارجية الأمريكي ليتداولا مع باكستان الأمر .

وكان رد المجاهدين الحاسم أن شددوا ضرباتهم بعد وقف إطلاق النار، ولقد رأيتني وأنا أرقب المجاهدين وهم يصبون حممهم فوق مواقع الأعداء يوم الخامس عشر من يناير في خوست وما من مجيب، وزحف المجاهدون ليلا على (تورس) أي القمة السوداء، وعندما اقتربوا من القمة خرج الشيوعيون يستغيثون ويناشدون المجاهدين بالله والإسلام أن يوقفوا جام الغضب المنصب فوق رؤوسهم، ويقولون للمجاهدين : لقد أوقفنا إطلاق النار فلم تطلقون علينا؟ نحن مسلمون نصلي ونصوم، ويقسمون للمجاهدين على هذا .

وقد سير المجاهدون مجموعاتهم الكثيفة إلى كابل ليحيلوها كتلة ملتهبة من النار أثناء وجود الصحفيين . وقد أقام قادة المجاهدين مؤتمراتهم للرد على الحلول السلمية، وقال سياف : إن رأيتموني وافقت على وقف إطلاق النار فلا تطيعوني .

وفي يوم السبت ١٩٨٧/١/١٧ أقام قادة المجاهدين السبعة مؤتمرا واحدا لشجب الحلول السلمية، وكان يوما مشهودا في

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد (٤-١٠٣) والطبراني في الكبير (١-١٢٦) والحاكم (٤-٤٣٠) وهو في السلسلة الصحيحة برقم (٣) الجزء الأول

٢- نشر في مجلة الجهاد - العدد السادس والعشرون - جمادى الأولى ١٤٠٧هـ الموافق يناير ١٩٨٧م.

بيشاور كيوم الحج الأكبر، ولعل بيشاور لم تشهد طيلة حقبها التاريخية مؤتمرا فيه من الأفواج البشرية التي يصل عددها على أقل تقدير سبعين ألفا من المجاهدين ما شهدته هذا اليوم، وكان يوما تاريخيا شرح الله صدور القادة السبعة على كلمة سواء برفض الحلول السلمية رفضا قاطعا، وأعلنوا جميعا وبصوت واحد وبرأي واحد رفض الحل السياسي الخادع. ويختلف المراقبون في تحليل موقف روسيا.

١- فمنهم المتفائل : الذي يرى أن روسيا جادة في الخروج وتريد أن تحفظ ماء وجهها أمام شعوب المعسكر الاشتراكي بحيث تخرج وقد حققت شيئا من مطالبها، وعادت وفي يدها شيء تقدمه امام المبهورين بالهالة الكبرى التي تحيط بروسيا، خاصة الدويلات الهزيلة التي تدور في فلكها، ويؤيد هذا الفريق من المراقبين رأيه بالأرقام قائلا : إن روسيا قد أنهكت خلال هذه الأعوام السبعة التي خاضت فيها حربا شرسة مع الأفغان . فالجيش الافغاني الشيوعي : كان يملك قبل دخول روسيا:

أ - قوة جوية : مكونة من مائتي طائرة من الطائرات القديمة (M18) وميج ١٧ موزعة على خمس مطارات عسكرية، بينما خسرت روسيا على أقل تقدير ومن خلال الأرقام التي لا تنكرها هي والتي سجلتها الأقمار الصناعية الأمريكية وأجهزة التنصت الباكستانية والامريكية، ومن الطائرات الحديثة ميج ٢١، ٢٣ وسوخوي ٢٢ و M124وغيرها ألف طائرة.

وأستهلك لديها ألف طائرة أخرى من خلال العمليات الحربية، إذ أن الطائرة بعد طيران ثلاثة آلاف ساعة تصبح شبه مستهلكة، وهذا يعني أن روسيا قد خسرت (ألفي طائرة) على مدى السنوات السبع، وحصيلة هذا أن روسيا خسرت عشرة أضعاف قوة سلاح الجو الأفغاني الشيوعي . وتقول مصادر المجاهدين : لقد أسقطنا سنة ١٩٨٦ مائتين وثمانين طائرة .

ب- أما بالنسبة لقوة المدرعات : فقد كان الجيش الروسي يملك قبل دخول الروس ألفي دبابة من الدبابات الروسية القديمة . وخلال السنين السبع العجاف التي انزلقت فيها أقدام الدب الروسي على سفوح الهندوكوش حطم المجاهدون على الأقل ثمانية آلاف دبابة وعربة ومدرعة دون ريب وباتفاق المراقبين، واستهلك من الدبابات نصف هذا العدد تقريبا . وبهذا تصبح الدبابات والمدرعات المفقودة لروسيا مايوازي ستة أضعاف ما كانت تملك القوات المسلحة الشيوعية في أفغانستان.

جـ - وبالنسبة للقوة البشرية : فقد كان عدد الجيش الأفغاني قبل التدخل الروسي ٨٥ ألفاً، وقد قتل وجرح من الجيش الأفغاني مثل هذا العدد تقريبا حسب ما صرحت به مصادر المجاهدين والأقمار الصناعية وأجهزة التنصت الباكستانية والأمريكية .

وقتل وجرح حوالي ٥٠ الف افغاني وروسي . من أجل هذا كله فان روسيا جادة في خروجها، ولا مناص لها من أن تخرج وذيولها بين أرجلها تجر أثواب الخزي والعار بإذنه تعالى .

يقول حكمتيار : (لم يبق أمام روسيا سوى أحد أمرين: إما أن تدخل الهند وباكستان في حرب ضروس، وإما أن تخرج من أفغانستان).

ويؤكد هذا الفريق المتفائل أن روسيا قطعا ستخرج، ولكنها تريد أن تحصل على ضمان بوجود حكومة غير معادية للاتحاد السوفيتي ولذا كثرت الاتصالات بالملك ظاهر شاه ورؤساء وزرائه محمد يوسف ومحمد حامد وغيرهم من أعمدة الحكم الملكي الغابر.

٢-وأما الفريق المتشائم : فهو على الطرف المقابل، إذ يقول : إن التاريخ الروسي حافل بنقض المعاهدات واغتنام الفرص في ابتلاع الشعوب الفقيرة منذ لينين، يوم أن أمن الشعوب الإسلامية في طشقند والقرم وأذربيجان على دمائها ودينها وأعيادها، ثم انقض عليها وافترسها ومسح دينها وحارب قرآنها بعد أن ساعدته في القضاء على القيصرية .

ويقول هذا الفريق : لم يسبق للجيش الاحمر أن دخل أرضا وانسحب منها .

ويضيف هذا الفريق قائلا : عندما لاقوا من الأهوال ما لاقوا على يد المجاهدين في بخارى لجأوا إلى الخديعة فانسحبوا وتركوا أهالي بخارى يقيمون حكومة، وبعد أن ألقى الشعب المسلم سلاحه ولما يمض سوى ستة أشهر على عمر الحكومة البخارية الفضة

انقضوا عليها وابتلعوها فيما ابتلع من الأراضي الإسلامية والتي تشكل تسعة أعشار مساحة الاتحاد السوفيتي .

وعلى أية حال – والله أعلم بما تخبئه الاقدار– فنحن نتوقع ما يلي :

١– إن استمرار القتال هو الطريق الوحيد لدحض الروس ودحرهم .. {فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا} (النساء:٨٤).

{ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون} (النساء:١٠٤).

٢– إذا سقط السلاح من أيدي المجاهدين فمن الصعب أن يرفعوه مرة أخرى .

٣– لن يجد قادة الجهاد مناصا من أن يغادروا أرض باكستان ليكون القرار السياسي والعسكري بأيديهم وحدهم لا ينازعهم فيه أحد، ولن يستقلوا بقرارهم السياسي ماداموا فوق أرض باكستان التي تخضع للضغوط الدولية ولا تملك زمام أمرها في اللعبة الدولية.

٤– إذا أصر قادة الجهاد على عقيدتهم {فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة} (النساء:٧٤).

فلابد أن يواجهوا في المستقبل من المشاكل الحدودية والقيود في التأشيرات وأوراق السفر ومصادرة المساعدات ومنع وصول الأنصار لهم ما لا يعلمه إلا الله .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

جهاد لا إرهاب[1]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره .... وبعد :

فكلما ذكر اسم الجهاد انتفض الكفر فزعا من هذه الكلمة، وكلما تكلم المسلمون عن الدفاع عن حقوقهم انبرت أجهزة الإعلام الغربية تشوه الإسلام، وتصف المسلمين بالوحشية وبالقسوة، ويرسمون للمسلم الصادق المجاهد صورة الجعظري الجواظ الغبي يركب على ناقة هوجاء تخبط خبط عشواء لا يلوي على شيء، لا يقابل إنسانا إلا واخترط سيفه ليقطع عنقه، لأن نفسه مولعة بحب الدماء، ولا يستطيع الراحة إلا على أكوام الجماجم والأشلاء !!؟

وكما قال الاستاذ المودودي في كتابه " الجهاد في الاسلام "[2] : (ولقد جرت عادة الإفرنج أن يعبروا عن كلمة الجهاد بالحرب المقدسة HOLY WAR، ولقد فسروها تفسيرا منكرا، وتفننوا فيها وألبسوها ثوبا فضفاضا من المعاني المموهة الملفقة، وقد بلغ الأمر في ذلك أن أصبحت كلمة الجهاد عندهم عبارة عن شراسة الطبع والخلق والهمجية وسفك الدماء، وقد كان من لباقتهم أنه كلما سمع الناس الجهاد تمثلت أمام أعينهم صورة المواكب من الهمج المحتشدة، معلقة سيوفها، متقدة صدورها بنار التعصب والغضب، متطايرا من عيونها شرار الفتك، عالية أصواتها بهتاف (الله اكبر)، زاحفة إلى الأمام .... ولقد رسم الدهان هذه الصورة بلباقة فائقة، وتفننوا فيها بريشة المتقن المبدع، وكان من دهائهم ولباقتهم في هذا الفن أن صبغوها من النجيع الأحمر، وكتبوا تحتها نقاط شائقة هذه الصورة مرآة لسلف هذه الأمة من شره لسفك الدماء وجشعة إلى الفتك بالأبرياء .

وان الإنسان ليتملكه العجب والحيرة إذ يرى أيدي الرسام نفسها ليست غارقة بالدهان الأحمر الذي يشوهون به صورة هذه الأمة، بل ملطخة بدماء الأبرياء، وما تركوا بقعة من بقاع الأرض إلا وخلفوا وراءهم من المآسي ما لا يستطيع البيان نقله، وما يعجز القلم عن تصويره وتقريبه إلى الأذهان، لا لشيء إلا لأنهم يبحثون عن أسواق تجارية لبضائعهم، أو يجوبون الأرض طلبا لوقود مصانعهم أو ذهب خزائنهم !! والويل كل الويل للبقعة الغنية، فإن أهلها سيشهدون من المجازر ويرون من المصائب على أيدي هؤلاء – الذين يصفون المسلمين بالوحشية والحيوانية – ما لا يتصوره عقل بشري .

ومما يندى له الجبين أن أبناء المسلمين قد صدقوا عن أنفسهم وعن آبائهم ما يرسمه هؤلاء المستشرقون عنهم، وما يكتبه هؤلاء

١– نشر في مجلة الجهاد – العدد السابع والعشرون – جمادى الثانية ١٤٠٧هـ ، الموافق فبراير ١٩٨٧م.

(٢) انظر الظلال /ج٢/ص–١٤٤١ من مقدمة تفسير سورة الانفال (نقلا عن كتاب الجهاد للمودودي).

الحاقدون من تاريخهم، فأصبحوا يتوارون حياء من هذا التاريخ الملطخ بالدماء، والذي لا يدع المجرمين ولا الأبرياء !!؟

لعل ذراري المسلمين نسيت حروب المائة سنة وحرب السنوات السبع التي جرت في القرون الماضية بين فرنسا وبريطانيا وغيرها من الدول الأوروبية، ولعله فاتهم أن يطلعوا على مذابح الكاثوليك للبروتستانت في داخل معابدهم، وقد فاتهم أيضا أن يطلعوا على المجازر التي جرت لليهود في أرجاء أوروبا، ولم تنج بقعة من بقاع أوروبا منها على أيدي النصارى - أبناء كتابهم الواحد -، وأما من التاريخ القريب فإن أمريكا زعيمة العالم المتحضر !؟ أو (المحتضر) على الأصح ما قامت إلا على أشلاء شعب بكامله من سكان البلاد الأصليين الذين أبادوهم ولم يبق منهم سوى بضعة ملايين وضعوهم في أماكن للسياح كجثث الموتى في قاعة المومياء، لايزالون يضيئون بيوتهم بالسرج في "انديانا" وغيرها في وسط أمريكا الشمالية، وهم شعب الهنود الحمر سكان أمريكا الأصليين .

ولعل أبناء المسلمين ينسون مآسي حربين عالميتين أثارها الغرب على مدى ربع قرن ذهب ضحيتها قرابة خمسين مليونا من البشر ما بين قتيل وجريح ومشوه ومعتوه، كانت حربا طاحنة ضروسا على مطامع هزيلة وآمال صغيرة - جسم البغال وأحلام العصافير - .

ولعل أبناء المسلمين لا يدركون الحرب الثقافية المنظمة والغزو العالمي الفكري لهم لينفروهم من الجهاد، فيثيرون قضايا الرق والجزية وقتل الأسرى ليصوروا المسلمين مجموعة من اللصوص والقتلة وسفاكي الدماء، منطلقين في الأرض، سيوفهم مشرعة لإرواء نهمهم للدماء، وإشباع نزواتهم من النساء، وإسكات سعارهم للثراء .

ولعل أبناء الإسلام الذين لـم يطلعـوا على مصائب التاريخ الدامي للصليبيين في الغرب، ومواقفهم تجاه الإسلام والمسلمين يستحيون من تاريخهم المشرف الذي كان مثالا للرحمة الربانية المهداة إلى البشرية، وكيف أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- استطاع أن يفتح الجزيرة العربية بكاملها ويوحدها تحت راية التوحيد ولم يصل القتلى من الكفار جميعا ثمانمائة شخص .

أما بالنسبة للصليبيين فلندع ابن الأثير يحدثنا عنهم عند دخولهم بيت المقدس في ١٥/٧/١٠٩٩م الموافق ٤٩٢ هـ فيقول : (وركب الناس السيف، ولبث الفرنج في البلدة أسبوعا كاملا يقتلون في المسلمين، واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود، واعتصموا به، وقاتلوا فيه ثلاثة أيام فبذل لهم الفرنج الأمان ووفوا لهم، ثم خرج المسلمون ليلا إلى عسقلان فأقاموا بها، وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفا ! منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم المجاورين للمسجد الأقصى)؟ [(١)] .

ويقول ريموند راجيل (مؤرخ صليبي) أنه عندما زار الحرم الشريف أثناء المذبحة الرهيبة التي ارتكبها الصليبيون لم يستطع أن يشق طريقه وسط أشلاء المسلمين إلا في صعوبة بالغة (وإن دماء القتلى بلغت ركبتيه) ! ويقول غوستاف لوبون [(٢)] : (وكان من أحب ضروب اللهو إليهم قتل من يلاقون من الأطفال وتقطيعهم إربا إربا كما روت (أن كومنين بنت قيصر الروم) . وينقل غوستاف لوبون عن الكاهن ريموند داجيل خبر ذبح عشرة آلاف مسلم في مسجد عمر رضي الله عنه .

وحتى لا ننسى : فإن الحملة الشعواء التي شنها المستشرقون على الجهاد أدت إلى نتائج سيئة وآثار سلبية في نفسيات ذراري المسلمين المهزومين روحيا وعقليا أمام هذا الهجوم الاستشراقي الماكر، وتحت ضغط الواقع المرير الحاضر .

إن الغرب لا يخفي تخوفه من الجهاد، وفرقه وفزعه من القتال : تقول مجلة العالم الإسلامي الإنجليزية (إن شيئا من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي، ولهذا الخوف اسباب منها: إن الإسلام منذ ظهر في مكة لم يضعف، بل دائما في ازدياد واتساع، ثم أن الإسلام ليس دينا فحسب، بل إن من أركانه الجهاد) .

وقال روبرت بين: (إن المسلمين قد غزوا الدنيا كلهـا من قبل وقد يفعلونها مرة ثانية)، ويقـول ولفـرد كانتـول سمث: (إن أوربا

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير (١٠/٢٨٣)

(٢) حضارة العرب لـ"غوستاف لوبون" ص ٣٨٤

لا تستطيع أن تنسى ذلك الفزع الذي ظلت تحس به مدة قرون والإسلام يجتاح الامبراطورية الرومانية من الشرق والغرب والجنوب) (١).

ويقول لورانس براون (الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته، أنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي) (٢) .

لقد خطط الغرب لقتل روح الجهاد في نفس الأمة المسلمة، ورسم لذلك مناهج، ووضع برامج للاستيلاء على هذه الأمة الحية المجاهدة بعد اجتثاث العقيدة الإسلامية والعبادة الجهادية من أعماقها :

١- فالرحلات الاستكشافية كانت صليبية : يقول فاسكودي جاما عندما وصل إلى رأس الرجاء الصالح : (الآن طوقنا رقبة الإسلام، ولم يبق إلا جذب الحبل ليختنق فيموت)(٣) .

٢- وكانت المدارس العقلية الحديثة التي حاولت أن تخضع النصوص الربانية للعقل، وأن تلوي أعناق النصوص الجهادية، وحاولت وهي تدافع عن شريعة الجهاد أمام الغرب أن تظهر الإسلام دينا دفاعيا لا يمكن أن يقاتل إلا دفاعا عن حدود جغرافية، وكأن الإسلام نحلة قوم معين، ونزل ليكون دين الجزيرة العربية فقط، وتبعهم في هذا المنهاج الأساتذة عبد الوهاب خلاف في (السياسة الشرعية)، ومحمد عزة دروزة في كتاب (الجهاد في سبيل الله)، وعلي علي منصور في كتابه (الشريعة الإسلامية والقانون الدولي)، ومحمد رأفت عثمان في كتابه (الحقوق والواجبات)، وأحمد محمد الحوفي في كتابه (سماحة الإسلام) (٤) .

٣- حاولوا أن يميعوا عقيدة الحب والبغض في الله، والولاء والبراء في الإسلام .

٤- الدعوة إلى القومية وتقديم النصراني العربي على المسلم الأفغاني والتركي والباكستاني .

٥- الدعوة إلى الإنسانية .

٦- الدعوة إلى تقارب الأديان وإذابة الفوارق بينها .

٧- الدعوة إلى السلام العالمي والتعايش السلمي .

٩- إنشاء فرق ضالة تدعو إلى مسح الجهاد في الإسلام كالقاديانية والبهائية والبابية، يقول ميرزا غلام أحمد القادياني (٥) :
لقد ظللت منذ حداثة سني -وقد ناهزت اليوم الستين- أجاهد بلساني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين إلى الاخلاص لهذه الحكومة الإنجليزية، وأرى أن كتاباتي قد أثرت في قلوب المسلمين وأحدثت تحولا في مئات الآلاف منهم)، ويقول : (اليوم ألغي حكم الجهاد بالسيف، ولا جهاد بعد اليوم ! فمن يرفع بعد ذلك السلاح على الكفار ويسمي نفسه غازيا يكون مخالفا لرسول الله الذي أعلن قبل ثلاثة عشر قرنا بإلغاء الجهاد في زمن المسيح الموعود، فأنا المسيح الموعود ولا جهاد بعد ظهوري الآن، فنحن نرفع علم الصلح وراية الأمان)، ويقول (اتركوا الآن فكرة الجهاد، ولأن القتال للدين قد حُرِّم !! وجاء الإمام والمسيح ونزل نور من السماء، فلا جهاد، بل الذي يجاهد في سبيل الله [illegible]) .

وأما البهاء (إله البهائية) فيقول في تحريم الجهاد : (البشارة الأولى التي منحت من أم الكتاب في هذا الظهور الأعظم لجميع أهل العالم محو الجهاد من الكتاب) . (يحرم عليكم حمل آلات الحرب) ! . ويقول عبد البهاء عن أبيه (محا آية السيف ونسخ حكم الجهاد)(٦) .

إن هذه الطائفة صناعة يهودية بدليل : بعد موت طاغوتهم الثالث - مرزا شوقي - اجتمع المجلس الأعلى للطائفة البهائية في إسرائيل وانتخب صهيونيا أمريكيا اسمه (ميسون) ليكون رئيسا روحيا لجميع أفراد الطائفة البهائية في العالم ؟!!

أما صلة البهائية بالانجليز فهي عريقة .. بل برعايتهم وتفكيرهم قاموا واستمروا .

---

(١) المستشرقون والاسلام لمحمد قطب ، ص -٣٢
(٢) التبشير والاستعمار لمصطفى الخالدي ، ص -٣٨٤
(٣) المستشرقون والاسلام لمحمد قطب ، ص - ٣٢
(٤) اهمية الجهاد للدكتور علي العلياني ، ص- ٥٠٤
(٥) " تبليغ رسالة " للقادياني (١٠/٧)
(٦) أهمية الجهاد للعلياني ص- (٥٠٤، ٥٠٦)

يقول عبد البهاء في لندن : (إن مغناطيس حبكم هو الذي جذبني إلى هذه المملكة) ، (أصبحت الآراء الغربية أقرب إلى الله من آراء الشرقيين) [1].

نحن لا نستحي من ديننا ولا من أوامر ربنا، نقولها بصراحة دون تلعثم ولا مواربة ولا جمجمة ولا غمغمة :

١- إن الجهاد فريضة ربانية في هذه الأمة لإنقاذ الأرض كلها من جور الطواغيت واستعباد الطغاة إلى عدل الإسلام ورحمة هذا الدين .

٢- إن دين الله دين للبشرية جمعاء، ونحن نريد نشره حتى يعم ربوع العالمين، وفي صحيح مسلم [2] : **{إن الله زوى لي الأرض شرقها وغربها، وإن ملك أمتي يصل إلى ما زوى لي منها}**

وفي الكتاب العزيز: **{هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون}** (التوبة: ٣٣).

٣- إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد [3] وغيره **{ بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم}** . ولكن السيف لأكابر مجرميها وسدنة الكفر وأئمة الطغيان الذين يعبّدون البشر لأنفسهم من دون الله، والذين يدعون لأنفسهم الألوهية عملا وإن لم يصرحوا بها قولا .

أقول : إن السيف لإزالة الحواجز من الأنظمة الكافرة والعقبات الاقتصادية والاجتماعية التي تحول دون استمتاع الشعوب بدين الله، وتمنعهم من التفيؤ في ظلاله. وبعد إزالة هذه الحواجز من أمام الدعوة الإسلامية يعرض على الشعوب **{فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}** **{لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي}** (البقرة: ٢٥٦) .

٤- إن كلمة الجهاد في سبيل الله تعني عند الأئمة الأربعة إذا أطلقت القتال، قال القسطلاني : الجهاد هو : (قتال الكفار لنصرة الإسلام .. وإعلاء كلمة الله) .

وقال ابن حجر العسقلاني : (الجهاد هو بذل الجهد في قتال الكفار) [4] .

ونحن لا نريد أن ننسخ حكم الجهاد بالسيف لنرضي الغرب، ولا نقبل أن ننسخ هذا الركن العظيم فنجعله كلمات تقال على المنابر، أو مقالات تنشر على صفحات الجرائد، يقول ابن رشد [5] (وجهاد السيف قتال المشركين على الدين، فكل من أتعب نفسه في ذات الله فقد جاهد في سبيله، إلا أن الجهاد في سبيل الله إذا أطلق فلا يقع بإطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون). أسمعت أخي المسلم كلام ابن رشد ؟ فلا تتمحل بعدها ولا تتأول .

٥- إن عبارة (رجعنا من الجهاد الأصغر - القتال - إلى الجهاد الأكبر - جهاد النفس - التي تنتشر على الألسنة بأنها حديث فإن يحيى بن العلاء : قال ابن حجر عن هذا الراوي : رمي بوضع الحديث، وقال أحمد عنه : يحيى كذاب يضع الحديث.

وقال الدارقطني : متروك. فالحديث ضعيف جدا أو موضوع [6].

قال ابن حجر العسقلاني : هو كلام إبراهيم بن عبلة.

٦- لم يبق أمام الأجيال التي يبيدها أعداؤها ويحاربون إسلامها إلا أن تردد قول المتنبي:

---

(١) حقيقة البابية والبهائية لمحسن عبد الحميد ص-(٢٣٧ - ٢٤١)

(٢) شرح النووي / ج١٨/ كتاب الفتن / ص-١٣ وهو في المختصر برقم (٢٠٠٠)

(٣) رواه أحمد في المسند (٩٢/٢)

(٤) فتح الباري /ج٦/ص-٢

(٥) مقدمة ابن رشد (٣٦٨/١)

(٦) ضعيف الجامع الصغير (١١٨/٤).

لئن عيرت جعلت الحرب والدة　　　والسمهري[1] أبا والمشرفي أخا

ولم يبق لملمهم سوى طريق الأفغان المجاهدين

وإخواننا الأفغان أضحى مقيلهم[2]　　　ظهور المذاكي أو بطون القشاعم

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

لأيام الشدائد[3]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا .

يروي ابن هشام عن ابن إسحاق في السيرة قصة طريفة في فتح مكة، وخلاصتها أن رجلا من الكفار من بني بكر اسمه حمّاس بن قيس بن خالد كان دائم العناية بسلاحه، فقالت له امرأته : لماذا تعد ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه، قالت : والله ما يقوم لمحمد وأصحابه شيء، قال : إني لأرجو أن أخدمك بعضهم (أي آتيك بخادم من المسلمين)، ثم قال :

إن يقبلوا اليوم فما لي علة　　　هذا سلاح كامل وألة

وذو غرارين سريع السلة

وجاء يوم الفتح، والتقت مجموعة من صناديد قريش في الخندمة (مكان أسفل مكة) وكان من بينهم عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وسهل بن عمرو، وقابلهم خالد يقود المجنبة اليمنى لجيش الفتح الزاحف، فناوشهم خالد شيئا من قتال فأصابوا من المشركين اثني عشر رجلا، فانهزم المشركون وانهزم حماس بن قيس الذي كان يعد السلاح لقتال المسلمين حتى دخل بيته، فقال لامرأته : اغلقي علي بابي، فقالت : وأين ماكنت تقول، فقال :

إنك لو شهدت يوم الخندمة　　　إذ فر صفوان وفر عكرمة

واستقبلتنا بالسيوف المسلمة　　　يقطعن كل ساعد وجمجمة

ضربا فلا يسمع إلا غمغمة　　　لهم نهيت خلفنا وهمهمة

لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة[4]

وفي الأدب الشعبي طريفة من الطرائف أن رجلا كان ذا شغف بالغ بمسدسه وحزام رصاصه، فكان لا ينام إلا وهو متمنطق بمسدسه وما من يوم يمر إلا ويمسحه ويلمعه، فقالت له زوجته : ما هذا الوله البالغ بهذا المسدس ؟ قال لها (هذا المسدس لأيام الشدائد)، وذات ليلة وإذا بلص يقتحم عليهم بيتهم، ويبدأ يجمع الأمتعة، فرفعت رأسها فرأت اللص، فهمزت زوجها بجانبها أخرج مسدسك يا أبا فلان، فأجابها بهدوء العاقل (هذا المسدس لأيام الشدائد) ! وأخذ اللص ما جمع من متاع وخرج دون أن يحس من صاحب البيت همسا أو يسمع له ركزا، ومضت الأيام، وذات يوم كان الرجل مع زوجته قرب بستانهم بعيدا عن القرية، وائتلاق الأصيل ينعكس بشعاعه الذهبي عن صفحة مسدسه وعن ذخيرته التي ترصع صدره كأنها الجمان، وأقبلت مجموعة من اللصوص ورأوا هذه الحوراء الجميلة معه، فاقبلوا عليه وأخذوا بيدها، فنظرت إليه بحسرة ومرارة وقالت يا أبا فلان أما آن لهذا المسدس أن يخرج من غمده، فقال لها بصوت هادئ رزين متعقل هذا المسدس لأيام الشدائد، ومضى اللصوص بزوجته وبقي المسدس لأيام الشدائد!

هذا حال معظم المسلمين اليوم كما يقول المتنبي :

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع　　　إن حدثوا شجعوا أو قابلوا جبنوا

أعداء الله يتناوشونهم من كل جانب كالخراف في الليلة الشاتية تمزقها الذئاب وتفترسها الكلاب ولاتسمع صوتا من أولي الألباب .

١- (السمهري : الرمح - والمشرفي : السيف)　　٢- (المقيل : المنام - المذاكي : الخيل الناضجة القوية والقشاعم : النسور الكبيرة)

٣ - نشر في مجلة الجهاد - العدد الثامن والعشرون - رجب ١٤٠٧هـ - الموافق مارس ١٩٨٧م.　　٤- الرحيق المختوم / ص - (٤٧٣)

كأنك تعيش في قفار يباب لا ينعق فيه سوى البوم والغراب .

الدواوين عامرة .. الألسنة منطلقة .. المنتديات زاخرة .. إن انشدوا هزوا الأرض بالتهديد والوعيد، وزلزلوا المعمورة بالادعاء، وعندما تأتي أيام الشدائد تلتفت حولك فلا تجد أحدا ! ؟

إني لأفتح عيني حين أفتحها   على كثير ولكن لا أرى أحـدا

الإحصائيات تقول أن المسلمين قد نيف تعدادهم على ألف مليون :

وندعي أن عدنا فاق مليـارا   وأننا في الورى لاندانـــي

أيها الصحب ما قيمة مليار   إذا كل واحد منه هانـــسا

حفنة من اليهود أصبحوا غولا رهيبا يقض مضاجع المسلمين في كل مكان، ويهددون كل مسلم في أعماق إفريقيا حتى يضربوا مطار عنتيبي بعملية اقتحامية في أوغندا، ويضربون مقر المنظمة في تونس، ويهددون بضرب المفاعل النووي في الباكستان، ويضربون المفاعل النووي في العراق، يخترقون كل أجواء الدول العربية ولا تطلق عليهم طلقة، ولا ترفع عليهم يد ولا ينبح عليهم كلب !؟ أما الندب والتهويل، وأما البكاء والعويل فحدث عنه بالتفصيل ...

فليتهم إذ لم يذودوا حميــــــــة   عن الدين ضنوا غيرة بالمحـــــــارم

وإن زهدوا في الأجر إذ حمي الوغى   فهلا أتوه رغبة في المغـــــــانم

تبلد الحس وتجمد الدم .. ولم تعد تلك الغيرة الإسلامية والحرقة الإيمانية التي تحرك أمير المؤمنين من بغداد على رأس جيش لجب استجابة لاستغاثة امرأة في عمورية ..

سبعون ألفا كآساد الشرى نضجت   جلودها قبل نضج التين والعنب

أخبار مخيمات الفلسطينيين في لبنان الرشيدية وبرج البراجنة والبرج الشمالي وشاتيلا وصبرا وعين الحلوة تتقطع لها نياط القلوب .. وتتفتت لها الأكباد، وتتمزق لها النفوس، ويصل الحصار إلى درجة موت البشر بفقدان كل ما يقتاتون، ومع هذا كله لا تمتد لهم يد عربية بقطعة خبز أو بلقمة عيش، وتتقدم الدول الصليبية الغربية لهم بالإغاثة، ويستفتون العلماء بأكل لحوم أرحامهم من موتى، وتأتيهم الفتوى بالجواز والإباحة.

أمور لو تأملهن طفـــــــل   لطفل في عوارضه المشيب

أتسبى المسلمات بكل ثغر   وعيش المسلمين إذا يطيب

أما لله والإسلام حـــــــق   يدافع عنه شبان وشيب

فقل لذوي البصائر حيث كانوا   أجيبوا الله ويحكمو أجيبوا

إني لأظن أن أصحاب البصائر مشغولون بشراء الزهور من هولندا بأربعة ملايين دولار حتى يتوجوا بها ردهات الاستقبال في مؤتمراتهم، أو للتعاقد مع الفنادق الكبرى لتأمين وجبات الطعام التي تصل إلى ملايين الدولارات لإكرام ضيوفهم .

أين دباباتهم !؟ إنها مدخرة لأيام الشدائد، أين طائراتهم ؟ لعلها مشغولة برش الدهان الأخضر على الأرض التي تحط عليها طائرات ضيوفهم وأصدقائهم ..

أين الشباب الذين يناشدهم الشاعر يوسف العظم في عالم خياله (أو واقعه) :

وادع كالحمام في حرم البيت   وكالليث يستباح شراه

فإذا أقبل الزمان تـــوارى   وإذا زاغت العيون تراه

إن المسلم ليحسن الأفعال أكثر مما يحسن المقال، ويده منطلقة لسنانه أكثر من انطلاق لسانه.

والآن دعنا نصغ إلى أنس بن مالك وهو يحدث عن عمه أنس بن النضر، فيروي البخاري بإسناده عن أنس رضي الله عنهم أجمعين قال: " **غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال : يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه**

- وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين -، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل ومثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى - أو نظن - أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . . .) رواه البخاري[1] .

أرأيت ما قال أنس بن النضر؟ لم يزد عن أربع كلمات ليرين الله ما أصنع، ولم يقل تجوع يا سمك .. ولا في البحر سنقذفهم .. ولم يتبجح قائلا: ام كلثوم ستغني في تل أبيب، لأن مقادير الرجال تبرز جلية في ميادين النزال لا في منابر الأقوال . لقد قلنا لهم هيا إلى القتال في فلسطين سنة ٦٩/٧٠، فقالوا: لا نقاتل تحت راية جاهلية، فقلنا لهم: ارفعوا أنتم راية (لا اله الا الله) وقاتلوا تحتها، فقالوا: لم تتكون القاعدة الصلبة بعد .

ثم قلنا لهم: تعالوا قاتلوا في أفغانستان أو ادفعوا، فاختلفت الإجابة علينا، فقال بعضهم: تركتم فلسطين وذهبتم إلى أفغانستان، فقلنا: قاتلوا أنتم في فلسطين واتركونا نحن نقاتل في أفغانستان، فردوا علينا: القتال الآن في فلسطين صعب جدا، ولكن الآن دور الإعداد، فقلنا لهم في أفغانستان الآن جهاد وإعداد، فقالوا أفغانستان بعيدة، والمسلم مطالب بجهاد العدو الأقرب (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) (التوبة:١٢٣).

فقلنا لهم: أرض المسلمين واحدة، ونص ابن نجيم في البحر[2] (امرأة سبيت في المشرق وجب على أهل المغرب تخليصها) .

وقال بعضهم: الذهاب إلى أفغانستان إخلاء لأماكن الدعاة في بلادهم، وإعاقة لسير التيار الإسلامي، فقلنا لهم: الحركة الإسلامية في أفغانستان هي التي تقود الجهاد، فأنت تنتقل من حركة مكممة الأفواه تحت نير الاستعباد، ومحصية الأنفاس من قبل جلاوزة السلطان إلى أرض تمتلك فيها حريتك وحركتك، تدب على أرض لا تخضع فيها إلا لرب العالمين، وتشعر فيها بعزة وسعادة لو علمها الملوك وأبناء الملوك لقاتلوك عليها بالسيوف وتقودها الآن الحركة الاسلامية وجيشها شعب بكامله .

قالوا: لكن شعب أفغانستان شعب جاهل ولا تقوم الدولة الإسلامية إلا على يد العرب .

فقلنا لهم أنسيتم الأتراك الذين حكموا الأرض خمسة قرون؟ وهل غفلتم عن التتار الذين دوخوا روسيا وآسيا قرونا طويلة؟ ولعلكم لا تنسون السلاجقة والمماليك . وكل هؤلاء خرجوا من البقعة التي فيها أفغانستان وما حولها.

فعادوا وردوا: بأن الشعب الأفغاني أفسده التعصب، وتمكنت فيه بعض العادات التي تغلبت على العبادات، فقلنا لهم: وأي شعب يخلو من العيوب، وأي الرجال المهذب؟ نعم إن الشعب الأفغاني كبقية الشعوب فيه الكثير من النقائص والعيوب، ولكن الفرق بينه وبين شعوبنا أنه رفض أن يعطي الدنية في دينه ودفع ثمن حريته وعزته وكرامته، ووقف أمام أضخم قوة في الأرض ثماني سنوات، فهل وقفنا أمام اليهود ثمانية أيام؟! فقالوا " إن الشعب الأفغاني لم يخض المعركة وإنما هي حرب بين العملاقين الكبيرين (فهي حرب الكواكب والنجوم)! فقلنا لهم: إن أمريكا تقف معكم، وروسيا تقف مع بعضكم، فلماذا لم تقفوا كما وقفوا، ولكن قولكم رجم بالغيب واتباع للظن بلا دليل، ونحن الذين في الساحة نكاد نجزم أن أمريكا ليس لها دور لا في حرب ولا في سلاح، وإنما هي مساعدات صحية وغذائية للمهاجرين، ومع ذلك رفضها كثير من قادة الجهاد رغم حاجتهم الماسة لها .

ونحن نقول: لقد بنى الأفغان سدا من الجماجم تعداده مليون ونصف مليون جمجمة حمى الإسلام من طوفان الشيوعية العفن، ومن تنينها الشرس .

وختاما نقول لكم: ادخروا الطاقات لأيام الشدائد !!!! ونضيف:

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم ــــــــ من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

---

(١) فتح الباري / ج ٦ / ص - ٢١ .   (٢) البحر الرائق / ج ٥ / كتاب السير / ص - ٧٢

الإسلام بين العالمية والإقليمية [1]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا   أما بعد

فلقد جاء هذا الدين لينقذ الانسان – جنس الإنسان – في الأرض – كل الأرض – من حمأة الطين إلى آفاق العقيدة المشرقة، ومن تجمع الناس على الحظيرة والكلأ والعون إلى تجمعهم على العقيدة والفكر والدين، فكانت نداءات القرآن **{يا أيها الناس}، {يا أيها الذين آمنوا}، {يا أيها الذين أوتوا الكتاب}** النداءات موجهة لإنسانية الإنسان ولفكره ولعقيدته، ولم يرد نص واحد في الكتاب العزيز (يا أيها العربي)، (يا أيها الهاشميون)، (يا أهل الحجاز) .

وكانت النواة الأولى التي بدأت مسيرة هذا الدين على الأرض تضم صهيبا الرومي، وبلالا الحبشي، وحمزة العربي، ثم سلمان الفارسي، وقد فهم المسلمون الذين اعتنقوا هذا الدين وضحوا من أجله بالغالي والرخيص انهم قد تطهروا من نتن القوم، ومن ظلمة الطين، وتدرجوا صعدا من السفح الهابط إلى القمة، ليستنشقوا أرج الآفاق العليا وعبق هذا الدين الفواح .

وقد علمهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كيف يحطمون قيود القبلية، وكيف ينطلقون من حمية اللون والجنس، فقال –صلى الله عليه وسلم– . **{لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم في جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخرء بأنفه، إن الله أذهب عنكم عبية (كبر) الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب}** حديث صحيح [2].

وذابت الفوارق، واختفت العنجهية، وتوارت العصبية وقتل أبوعبيدة أباه، وطلب عمر رضي الله عنهم أجمعين من الرسول –صلى الله عليه وسلم– أن يسلم كل صحابي قريبه من أسرى بدر ليقتله، ومنع عبدالله بن عبدالله بن أبي أباه أن يدخل المدينة المنورة الا بإذن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

جاء في سيرة ابن هشام [3] (كان أبو عزيز شقيق مصعب بن عمير صاحب لواء المشركين في بدر، ثم أسر بيد المسلمين، ويحدث أبو عزيز عن نفسه بعد أن أسره أبو اليسر من الأنصار، فقال أبوعزيز : مر بي أخي مصعب وأبو اليسر يأسرني، فقال مصعب لأبي اليسر الأنصاري : شد يديك به فإن أمه – أي أم مصعب وأبي العزيز– ذات متاع –غنية – لعلها تفديه منك. فقال أبوعزيز: يا أخي هذه وصاتك بي، فقال له مصعب إنه أخي من دونك .

فسألت أمه عن أغلى ما فدي به قرشي، فقيل لها أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته به) .

وهكذا ارتفع القوم على مشاعرهم ونسوا أواصرهم ووشائج أرحامهم، وأصبحت وشيجتهم الأولى والأساسية هذا الدين الذي من أجله يعيشون، وبه يتحركون، وفي سبيله يقدمون أغلى ما يملكون من النفس والنفيس .

وامتد الإسلام في رقعته التي ينشر عليها مبادئه من الاندلس وطنجه غربا إلى إندونيسيا شرقا، وكانت الدولة الأموية والعباسية شعارها ودثارها، لحمتها وسداها، الإسلام بقيمه وموازينه، ونسي الناس شعر دريد ابن الصمة :

وما أنا إلا من غزية إن غوت   غويت وإن ترشد غزية أرشد

ولقد أقض هذا الدين مضاجع أعدائه خاصة أوربا التي شنت حربا شعواء دينية صليبية امتدت قرنين كاملين (٤٨٨ – ٦٩٢)، حيث تطهرت بلاد الشام منهم على يد الاشرف خليل ٦٩٢هـ، ولقد انبرى لهم هذا الدين وقدم نماذج من أبنائه الأسود، منهم (عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين محمود زنكي، وصلاح الدين)، يقول ابن شداد في النوادر السلطانية إن صلاح الدين قال له يوما : (أما أحكي لك شيئا، قلت : بلى، قال : في نفسي أنه متى يسر الله تعالى فتح بقية الساحل قسمت البلاد وأوصيت وودعت وركبت هذا البحر إلى جزائرهم اتتبعهم فيها حتى لا أبقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت، قلت : إنما هذه الأمنية جميلة ولكن المولى يسير العساكر في البحر وهو سور الإسلام ومنعته، فلا ينبغي أن يخاطر بنفسه، فقال : أنا استفتيك : ما أشرف الميتات ؟ فقلت الموت في سبيل الله، فقال : غاية ما في البال أن أموت أشرف الميتات) [4] . ثم جاء التتار وخربوا بغداد سنة ٦٥٦هـ وانبرى لهم الظاهر

١– نشر في مجلة الجهاد – العدد التاسع والعشرون – شعبان ١٤٠٧ هـ ، الموافق إبريل ١٩٨٧م.

(٢) رواه الترمذي عن أبي هريرة وهو في صحيح الجامع برقم (٥٢٥٨)

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٣٠٩)

(٤) شعر الجهاد في الحروب الصليبية ص – ٤٧

بيبرس وقطز وانتصروا عليهم في عين جالوت سنة ٦٥٨هـ فخر قطز من فوق حصانه ساجدا لله شاكرا له لنصر المؤزر . ثم جاءت الدولة الإسلامية العثمانية وحكمت ثلث المعمورة تقريبا بهذا الشيء القويم وروابطه المتينة ووشائجه الرشيدة القوية .

وكانت أكبر حربة وجهت إلى أوروبا والعالم النصراني فتح القسطنطينية سنة ٨٥٧ هـ ١٤٥٣م على يد محمد الفاتح الذي حول اسمها (إسلام بول مدينة الإسلام)، ومسح الامبراطورية الرومانية الشرقية إلى الأبد، ولقد بقي قسم غير قليل من أوروبا يدفع الجزية صاغرا للدولة العثمانية .

وعندما هاجم نابليون مصر سنة ١٧٩٨ م واستخف بالأزهر، وضربه بالمدفعية. وأدخل خيله الأزهر فقام الأزهر، وحرك الشعب المسلم في مصر، وأخيرا قام سليمان الحلبي أحد تلاميذ الأزهر - وهو من حلب - وقتل كليبر خليفة نابليون الفرنسي على مصر .

وعندها فكر الغرب بأنه لابد من اجتثاث الإسلام من أعماق هذه الشعوب الإسلامية، وتمزيقها بالدعوات الإقليمية والقومية .

يقول " كامبل " لا يمكن لهذه الشعوب الاسلامية التي تغطي رقعة واسعة من المعمورة، وتتكلم في صلاتها بلغة واحدة، وتدين بدين واحد، وتتجه إلى قبلة واحدة، ولها نفس التقاليد والأهداف أن تغلب ما لم تقسم ".

فكان لابد من تمزيق الدولة الإسلامية العثمانية واستبدال القومية بالإسلام .

١- فبدأت الدعوة إلى القومية العربية التي خرجت من الجامعة الامريكية على يد مجموعة من الشباب النصارى معظمهم من خريجي الجامعة في بيروت منهم : ابراهيم اليازجي ونصيف اليازجي وفارس نمر ونجيب عازوري وشاهين مكاريوس .

وكان استخدم الدس حبالين ثم انتقلت هذه الأسر النصرانية إلى مصر لتواصل هدم الاسلام وتمزيق الدولة العثمانية، وعملت دار الهلال وصاحبها النصراني جورجي زيدان عملا هائلا في هذه القضية .

٢ - جاء محمد علي باشا سنة ١٨٠٥ م إلى عرش مصر، وبدأ بالتغريب والعلمنة وترجمة القانون الفرنسي ليحل محل القانون الإسلامي، واحتضنت فرنسا محمد علي ووضعت له سليمان باشا (الفرنساوي) من أجل إنشاء جيش وأسطول بحري لمحمد علي لضرب الخلافة العثمانية والاستقلال عنها، وقد استعمل إبراهيم باشا ابن محمد علي جيشه لضرب الحركة الوهابية خوفا من انتشارها في المنطقة .

٣- ضرب الخلافة الإسلامية في عقر دارها في إستانبول، فاتفق كيرزون وزير خارجية بريطانيا مع عصمت إينونو ممثل مصطفى كمال أتاتورك في معاهدة لوزان (من أكتوبر سنة ١٩٢٢ إلى فبراير سنة ١٩٢٣ م) على ضرب الخلافة، ومحاربة أية محاولة لإعادة الخلافة، ومحاربة الشعائر الإسلامية، واتخاذ قانون غربي بدل الذي أقض مضاجع أوروبا وأرق أجفانها ثلاثة عشر قرنا، وكان إسقاط الخلافة في ٣ مارس سنة ١٩٢٤ م

يقول أحدهم : (إن أوروبا كانت تفزع من الرجل المريض (تركيا) لأن وراءه ثلاثمائة مليون من المسلمين على استعداد للجهاد بإشارة من أصبعه) (١) .

٤ - بعد أن هدم أتاتورك الخلافة أراد أن يعيد تأليه (الذئب الابيض بوزكورت) الذي كان يعبده الأتراك القدماء، وكانوا يؤلهون (جنكيزخان)، وقطع كل صله بالإسلام والعرب .

٥- بعد أن انتشرت الأفكار القومية على يد النصارى مثل ميشيل عفلق (مؤسس حزب البعث)، وأنطوان سعادة وجورج عبد المسيح (مؤسس الحزب القومي السوري) وجورج حبش وأستاذه قسطنطين زريق (حزب القوميين العرب)، صار العرب يقدمون العربي النصراني على المسلم التركي والباكستاني والأفغاني، ووقف العرب في الحرب الأولى ضد الاتراك مع الانجليز والفرنسيين الصليبيين .

٦ - ثم انتقل الغرب خطوة أخرى وهي إحياء العصبية الاقليمية النتنة فأحيا الفرعونية. ودفع روكفلر عشرة ملايين دولار للبحث عن الآثار الفرعونية .

وعدت أسماء الكفار التي يشمئز المسلم من ذكرها : مثل الأهرام (قبور الفراعنة) ورمسيس رعمسيس الثاني الفرعون الذي تربى في بلاطه سيدنا موسى عليه السلام)، أبي الهول، فأصبحت هذه الأسماء محببة إلى المسلمين ويسمون بها البقالات والصالونات

(١) واقعنا المعاصر لمحمد قطب ص - ١٩٧

والمؤسسات والشركات .

يقول طه حسين : (لو وقف الإسلام بيني وبين فرعونيتي لنبذته).

وقال حافظ إبراهيم :

أنا مصري بناني من بنى   هرم الدهر الذي أعيى الفنا

ويقول شوقي عن مصر :

وجه الكنانة ليس يغضب ربكم   أن تجعلوه كوجهه معبودا

٧- ومزق العالم الإسلامي شر ممزق، وتفرقوا شيعا فكل محلة فيها أمير المؤمنين ومنبر، وجرت الحيلة على المسلمين فأصبح أحدهم يتعصب لحدود مصطنعة من قبل أعدائه، وصارت الأنهار والجبال تغير نظرة المسلم إلى أخيه : صار المسلم لا يحس بأية غيرة للعذارى اللائي تنتهك أعراضهن على بعد أميال قليلة وذلك لأن الانجليز قالوا له في معاهدة (سايكس بيكو) إن قطعة الأرض هذه ليست من بلدك .

والحمد لله : لقد كانت الصحوة الإسلامية من بشائر الخير الكبيرة في العقدين الأخيرين ولكن رواسب الجاهلية وركام تقاليدها ووشائجها تكوّن ثقلاً ضخماً على قلوب الشباب المسلم، لازال الشباب المسلم مرتبطا بالحدود الجغرافية التي رسمها أعداؤه .

لازال الشاب يشعر بالوحشة والغربة تجاه أخيه الذي يحمل نفس مبادئه ويعاني في أعماقه من الآلام، ويكابد من الأشواق والآمال التي تداعب خياله نفس الذي يعانيه أخوه .

ولكن الإحساس لم يصل إلى نفس الحرارة والحرقة التي يحس بها لمن يشاركه قطعة الأرض الصغيرة المسماة بالدولة، وإن كانت مدينة واحدة .

لازال وجهه لا يتمعر غضبا لله على دماء تسفك وأرواح تزهق من إخوانه المسلمين على مقربة منه، وذلك لأن لون جواز سفره أخضر وجواز سفر أخيه أزرق .

يسافر الشباب إلى الغرب ليدرس، ومع ذلك لا يستطيع كثير منهم أن يحطم قيود الإقليمية التي تشده لأبناء إقليمه وإن كان لسانه ينطق بخلاف هذا، ودعواه العريضة أن يحمل الإسلام العالمي بفكرته وعقيدته .

تكابد الأقاليم الإسلامية حوله من الفقر والمرض والذلة واحتلال الكفار ما لا يعلمه إلا الله ثم الذي يعيشه، ومع هذا لا غيرة لديه ولا نكير ولا حمية .

وأكبر مثال هو أفغانستان

١- أنا أعرف بعض الدعاة زاروا باكستان عدة مرات ولأشهر أحيانا ومع هذا لم يخصصوا أسبوعا لدراسة قضية أفغانستان، أو لزيارة مخيم أو معسكر أو دار أيتام، بينما كارتر ونيكسون الرئيسان الأمريكيان زارا بنفسيهما أرض أفغانستان، لأن كارتر أو نيكسون له من الاهتمام بهذه القضية الإسلامية الضخمة لعله يقطف بعض ثمارها، اما المسلم الداعية فلا تثير له اهتماما، فأية حرقة وأية غيرة عند هذا المسلم ؟!

٢- إن كثيرا من المتعبدين، وبعضهم أصحاب مناهج إسلامية لازال يلوم من يخف بنفسه إلى أرض الجهاد الأفغاني (القضية التي تهز العالم بأسره)، وبعضهم يرى أن المجيء إلى أفغانستان ليلبي نداء ربه من الخفة والتسرع والتهور والتعجل والعاطفية والحماس والطيب المنبثق من السذاجة، إن لم يقل نوع من البلاهة والغباء يستحق الإشفاق والرثاء .

ونحن ندعو الشباب المسلم أن يأتوا ليتذوقوا بأنفسهم حلاوة الجهاد، وندعو الله أن يشرح صدورهم لحب الجهاد والاستشهاد.

وندعو الشباب المسلم أن يعيشوا بأنفسهم أياما من الرباط والجهاد ليروا ضخامة التجربة، وعذوبة المعاناة الطويلة .

وندعو الشباب المسلم أن يدخلوا أتون المحنة لتصفو أرواحهم، وتصقل نفوسهم وتتنقى قلوبهم.

ندعو الشباب المسلم أن يطرحوا عن أنفسهم الأماني، وينزلوا من البروج العاجية، ويعيشوا مع المسلمين أتراحهم وأحزانهم ودموعهم وآلامهم، ويشاركوهم مسيرة الدماء والدموع.

ندعوهم لئلا تفوتهم الفرصة، ولئلا يسبقهم الركب، وقد يحسون يوما بالندم، ولات ساعة مندم.

(فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد)

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

ثلة الشرف والفخار[1]

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد :

فقد كانت الشمس تلم أذيالها لتختفي وراء جبال خوست وأنا فوق قمة جبل في "صدى" وإذا بشابين صغيرين مقبلين إليّ بابتسامة عريضة وجسد نحيل يذكرني بقول المتنبي :

كفى بجسمي نحولا أنني رجل   لولا مخاطبتي إياك لم ترني

وإذا بي أمام أبي حفص وأبي أسيد، فضممتهما معا وعانقتهما، لقد طال الفراق، وتطاولت المدة وهما في أرض الشرف ومنازل الفخار.

أما أبو أسيد فوزنه ٤٨ كغم، فمنذ عشرين شهرا متواصلة وهو في بلخ، وهذه هي المرة الثانية التي يقيم فيها في بلخ، ففي المرة الأولى مكث قرابة عام، وأما أبو حفص فقد غاب قرابة عام ووزنه ٤٥ كغم، ويحدثني كل منهما عن المعاناة المريرة التي قابلاها أثناء العودة ثلاثة وثلاثين يوما والثلوج في معظم أجزاء الطريق تعيق مرور القوافل، والثلج يغطي صدر الرجل، وكم من الأصابع سقطت في هذا الجليد المتجمد، ولقد عجبت عندما أبلغاني أنهما رجعا وحدهما دون مصاحبة قافلة من المجاهدين.

وبلخ تقع على حدود روسيا قرب نهر جيحون، فيقطعون في هذه الرحلة قرابة ستمائة كيلومتر ونيف، وهم يواجهون في كل قرية مشكلة جديدة، خاصة وإن لون أبي أسيد كالفرنسيين، ولا يصدق الناس أنه من العرب أو المسلمين، وكم سبب له شكله من مشاكل أثناء اجتياز هذا الطريق الطويل الذي يخترق أفغانستان من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، إن قواعد الروس وكمائنهم التي يتربصون بها مرور المجاهدين لا تعد شيئا أمام بعض مشاكل القرى التي تفرض الضرائب والأتاوات الباهظة على المارين في هذا الطريق.

ولا ينقضي عجبي من شجاعة هؤلاء الشباب، وزاد في دهشتي عندما أعلمني أبو حفص أن أبا أسيد قد ذهب إلى بلخ وحده دون أي رفيق، وأمسكوه في الطريق، وقالوا له بأنك فرنسي وأنكر ذلك، ولا ينجيه غالبا إلا قراءة القرآن الكريم حتى يصدقوا أنه مسلم.

إن أهوال السفر والشدائد التي تحف بالطريق، والمخاطر التي تهدد القوافل لا يعلمها إلا الذين كابدوها وعاشوها، قلت لأبي أسيد : حدثنا عن رحلتكم وعن كيفية وصولكم، فقال : (إن وصولنا أول مرة كان أشبه بالخيال، وأقرب إلى الأساطير، فلقد أمضينا في الطريق ٤٦ يوما سقطت فيها أظافر عبدالله أنس جميعا.

وطلبت منهما أن يحدثوا الشباب عن آثار العرب في الجبهة وفي داخل أفغانستان فقالا:

إن كلمة العربي تعتبر شبه مقدسة عند قادة الأفغان الكبار، وكم من قضية كبرى لا يبتون بها إلا أن يرجعوا إلينا، وكم من مشكلة بين الفصائل ما حلها بإذن الله إلا وجود العرب، وإن المجاهدين الأفغان ليخجلون كثيرا أن يحصل بينهم خلاف في وجودنا، بالإضافة إلى استحيائهم -من أنفسهم- عندما يوسوس لهم الشيطان بالهجرة تحت ضغط الحاجة و ثقل الجوع وحزن العوز فكم من أسرة ليس لها معيل إذ عائلها الوحيد منذ سنوات في أرض المعركة لا يستطيع أن يكد للحصول على الرغيف لأسرته، ولا تطاوعه نفسه أن يفارق الجبهة وهو يرى العربي بجانبه قد هاجر من موطنه والدنيا مقبلة عليه بخضرائها من أجل أن ينال شرف الجهاد.

لقد سألت شابا اسمه حسن أين تعيش أسرتك؟ فقال : لا أعلم، فمنذ خمس سنوات ونيف ضرب بيتنا وأنا في الجبهة، وهاجر والداي مع اخواني ولا أعلم شيئا عنهم، ولم أنل عنهم طرف خبر.

قلت : إيه يا أبا أسيد، فقال : ان تعطش الشباب العربي للقتال يرفع الروح المعنوية لدى جبهة بكاملها، وشوقهم للنزال وتطلعهم للشهادة يجدد في نفوس هؤلاء المجاهدين.

وحدثنا عن الدور التربوي الهام الذي يقوم به الشاب العربي، من تعليم القرآن والأذكار بعد الصلوات، وتعليمهم صيام الاثنين والخميس وقيام الليل وغير ذلك.

---

(١) نشر في مجلة الجهاد - العدد الثلاثون - ٣٠ رمضان ١٤٠٧هـ الموافق مايو ١٩٨٧م.

وفي هذا المنطقة يعتبر القاضي عبدالله القاضي العام والمفتي للمنطقة بكاملها وكان على وشك الهجرة، فلو هاجر لتفككت الجبهة ووهنت، ويشاء الله أن يصل ثلاثة من الإخوة العرب إلى بلخ، ويلغي فكرة الهجرة من ذهنه، ثم يثبت وتصبح الجبهة من أشد جبهات أفغانستان قوة، وقوام قوتها قرابة ستة عشر ألف مجاهد.

قلنا لأبي أسيد : ألا تحدثنا عن اخوانك العرب المجاهدين؟ فقال عمن احدثك؟ أحدثك عن الدكتور صالح الذي نسي نفسه وطعامه وشرابه ويعيش للمجاهدين الأفغان ليل نهار، ومنذ أشهر وهو مصاب بالحصوة ولكنه لا يكل ولا يمل، راتبه للمجاهدين. وهل أحدثك عن صالح المربي؟ أم صالح المجاهد؟ أم صالح الطبيب؟ أم صالح الزاهد؟.

والطبيب صالح هو الطبيب العربي الوحيد الذي مكث داخل أفغانستان قرابة سنتين، كان أول ثمانية أشهر لا يتقاضى أي درهم من أية جهة أو مؤسسة، وبعدها تعهد له مكتب الخدمات بدفع راتب، لكنه ينفق راتبه لشراء علاج للمستشفى. لقد حل الدكتور صالح محل طاقم كامل من الفرنسيين مزودين بأجهزة طبية حديثة ووسائل علمية متقدمة من أجهزة الأشعة والتخدير وغير ذلك، وكان عددهم قرابة التسعة في مستشفى مزار شريف (عاصمة بلخ)، وبعد أن ظهر منهم محاولة الإفساد المستمرة بتوزيع حبوب منع الحمل وحبوب المخدرات مثل (MOGADON , LORTAZPAM , O URAL ,..) (HALUCIN) التي تسبب الادمان لدى المجاهدين، أفتى القاضي عبدالله بعدم جواز مخالطتهم أو الجلوس اليهم أو التردد عليهم، ويشاء الله أن يغادر الطاقم الفرنسي بكامله ويحل محلهم الدكتور صالح وحده وبعينه الله عزو جل ويقوم مقام هذا الطاقم، ويصبح ذكر الدكتور صالح على كل لسان في المنطقة، ورغم قلة الإمكانيات وقلة ذات اليد فإنه بعون الله –مع الاحتساب والاخلاص والتجرد كما نحسبه ولا نزكي على الله أحداً– قد استطاع أن يشق طريقه ويثبت وجوده، ويقوم بعمليات كثيرة تحتاج إلى أجهزة متقدمة ومستشفيات مجهزة حديثة، فبدأ يجري عمليات إزالة الحصوة، ونقل العظام، أما جراحات الحرب فحدث عنها ولا حرج، ولقد تجاوز الدكتور صالح هذا، فقد أقام دورة مركزة لنفر من المجاهدين يحملون الشهادة الإعدادية تقريباً، وخلال عام تقريباً أصبح هؤلاء يقومون ببعض العمليات الجراحية، وأصبح من حوله يتأسون به في صيام الاثنين والخميس وفي التزام الاذكار وفي الحياة لهذا الجهاد الذي رفع الله به رأس الأمة الإسلامية بأسرها، واشتدت آلام الحصوة عليه، واضطر أن يحضر إلى باكستان لاجراء عملية جراحية ومما يشدك اليه بساطته ووضوحه وتواضعه وأدبه وحياؤه، وقضية أخرى أنه يطلب كتب التربية الإسلامية والثقافة والفكر الإسلامي ويصر عليها إصراره على بعض الأجهزة الطبية الضرورية للمستشفى، فهو يجمع بين علاج الروح والبدن : (**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب**) (الرعد : ٢٨) .

ويحدث الدكتور صالح قصة تعبر عن حب المجاهدين للعرب فيقول : أسر شاب عربي اسمه (عبدالرحيم رشيد العرجا)، وعندما علم الأفغان فكأنما خرت عليهم صاعقة من السماء، ويتحرك القائد (عبدالله) مع كتيبته على بعد خمسة أيام مشيا من (امرغ) إلى (خشد نهر) ويهاجم القلعة التي ظن أن فيها عبدالرحيم، وكان الكومندان (القائد) عبدالله جريحا قبل هذه المعركة، فكان يقاتل بيد واحدة، ويبقى مجالدا مصابرا يتجرع آلام الجراح، ويواصل تقدمه حتى افتتح القلعة وأسر مجموعة من الشيوعيين، ولكنه وللأسف لم يجد فيها عبدالرحيم –الفتى العربي– خاطب الحوراء كما كان يسمي نفسه.

ويحدثني عناية الله مجاهد أفغاني كان سجينا مع عبدالرحيم في نفس الزنزانة في سجن بل شرخي في كابل قائلا : لقد سألت المحكمة عبدالرحيم لماذا دخلت؟ فقال : بل انا أسألكم لماذ دخلت روسيا أفغانستان؟ ثم استطردت المحكمة قائلة : هب أننا أطلقنا سراحك فماذا تصنع؟ فأجاب : سأحمل سلاحي وأقاتلكم، لأن الجهاد فرض عين، ويقول عناية الله : لقد وددت لو أفتديه بنفسي، وكان آخر عهدي به ربيع الثاني لهذا العام.

ورأيت شفيقا عائدا من تخار– جه أب أي (بئر الماء)– وقد مكث هنالك قرابة سنة ونصف، ويحدثني أنه دخل منطقة بخارى ثلاث مرات، وذات مرة وعلى حدود روسيا دخلت بلدة اسمها (شاه دره) فوجدت شيخا كبيرا من بخارى، فقالوا له : إن هذا عربي جاء مجاهدا، وإذا بالشيخ يهرع الي ويطوقني بذراعيه قائلا : (أهلا بك يا حفيد رسول الله، جئت إلى بلادي لتدافع عنها)، قال هذا والدموع تهطل من مقلتيه سيلاً. قال شفيق : فلم أتمالك نفسي وبكيت لهذا التقدير الكبير الذي يحظى به العربي لديهم.

وقال : لقد وجدت بعض القبائل في ولاية بلخ تتكلم العربية بكاملها شيبها وشبابها واطفالها ومنها (خوشال آباد).

وسألته متعجبا مستوضحا : أحقا أن المجاهدين يقومون بعمليات عبر نهر جيحون في الأراضي الإسلامية المستعمرة من قبل روسيا؟ فقال نعم. لقد وصل إنجنير بشير من باكستان ومعه خيول قد أعجف السفر أجسادها، وضوت أبدانها فأصبحت تظلع، ندخلها ليسمنها في داخل الاراضي الروسية، وبعد أشهر واذا بهذه الخيول غير التي كانت، ويقول شفيق : ما أجمل عيد الفطر على نهر جيحون (أموداريا) حيث قضيناه في (سمتي) نصطاد الأسماك ونأكلها، ويحدثني أبو ذر ملقيا الضوء على هذه القضية -حب الأفغان للعرب- قائلا : عندما علم الأفغان أني سأغادرهم أخذت مجموعة منهم أمتعتي وتفرقوا على قلل الجبال وقالوا : لن ندعك تغادرنا

وأما عبدالحميد فقال : لقد رفضوا جميعا أن يودعوني عند الفراق حزنا ولوعة وطمعا في بقائي عندهم، قال هذا والدموع تغرق عينيه ونواصل الحديث عن دور الإخوة العرب في أفغانستان فنقول : وفي اليوم التالي الذي يصل فيه أبو حفص وأبو أسيد يصل طاهر من هرات وبادغيس بعد غياب خمسة عشر شهرا.

وطاهر (عبدالله) هذا يحتاج أن نفرد له صفحات واسعة لنقتطف قبسات من رحلته المباركة، تلمس وأنت تستمع إليه أنك مع إنسان غير عادي يتدفق حيوية وينفجر حماسا، وتشعر من خلال وميض عينيه ونور جبينه عزيمة فولاذية ومضاء نفاذا.

لقد دخل قرابة خمسمائة قرية في هرات وبادغيس. لقد طافها شبرا شبرا خاصة مديرية إنجيل، وبقي قرابة مائة يوم يمشي معدل ٦ - ٧ ساعات متواصلة يوميا يدخل عدة قرى في اليوم الواحد، وما بقي مجاهد في تلك المناطق إلا وقف على حالته، وتعرف على حاجته، وأوصل لكل واحد منهم نصيبه من المساعدات.

إنه يحدث عن عوزهم وفقرهم المدقع فيقول : سألت إحدى الجبهات عن أكلهم اللحم والفاكهة فأجابوا : منذ أسبوعين لم نضع في الشاي سكرا، منذ أربعين يوما لم نر اللحم، ومنذ سبعة أشهر لم نر الفاكهة، وأما الخبز فانهم لا يعطون المجاهد رغيفا، بل يعطونه نصف رغيف فقط مع الشاي غير المحلى.

قال طاهر : لقد نقل الجهاد عقيدة التوكل عندنا من الأوراق الى القلوب وحولها من كلمات تقال إلى سلوك وأخلاق وأفعال، ويتابع قائلا : لقد كان الروس يتابعونني من قرية إلى قرية ويقصفون القرية التي أحل فيها، وجاءوا إلى قائد المليشيا في هرات وقالوا : نريد رأس طاهر بأي ثمن حيا كان أو ميتا، ولو دفعنا مليون روبية، كم مرة تعرضت فيها للموت؟ وكم فتحت المنية شدقها لتبتلعني ولكن قدري ينجيني : **(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا)** الآية (١٤٥آل عمران)

لقد حملني الصاروخ ذات مرة عن حصاني وطوح بي بعيدا عنه بعد أن رفعني هواء الصاروخ عاليا، أما انفجار القذائف قربي وفوق رأسي في الهواء ثم يكتب الله لي الحياة فحدث عنه ولا حرج :

نفى النوم عن عينيه نفس أبية   *لها بين أطراف الأسنة مطلب*

ومن تكن العلياء همة نفسه   *فكل الذي يلقاه فيها محبب*

سبحان الله، كم يصنع الإيمان من معجزات، وكم يربي من شجاعة، إنهم أسود في ثياب بشر، وليوث في أبدان أناسي.

فإذا علمت أن هؤلاء الشباب جميعا -عدا الدكتور صالح- لا تتجاوز ثقافتهم الثانوية العامة، وأعمارهم ما بين العشرين والخامسة والعشرين أدركت عندها الاثر العميق الذي ينتجه دعاة تربوا في أحضان الدعوة الإسلامية أو رجال عركتهم الحياة وعنتهم تجاربها، وأورثتهم حنكة ودراية وبعدا وعمقا، ولكن : **(الله أعلم حيث يجعل رسالته)** (الانعام : ١٢٤)، والله أعلم من يورثه ميراث النبوة ويضع على عاتقه تكليف حمل اللواء وتبليغ الرسالة :

والناس شخصان ذا يسعى به قدم   *من القنوط وذا يسعى به الأمل*

هذا إلى الموت والاجداث سافرة   *وذا إلى المجد والدنيا له خول*

ويحدث طاهر عن حالة المهاجرين البيئية الأليمة في إيران حيث لا يصل التجار من أهل الخير، ولا يسمح للمؤسسات الخيرية أن تقام، ويحدث حديثا تقشعر له الأبدان من حيث الجهل والفقر والمرض والعري، فالمهاجرون في باكستان يعتبرون في نعمة رغيدة

إذا ما قيسوا بإخوانهم في إيران، لأن بيشاور (أكبر مدينة فيها مهاجرون) تعج بالمنظمات الغربية للإغاثة، وتزخر بالمؤسسات الإسلامية الخيرية، وقلما يمر يوم دون أن يزورها تاجر أو يمر بها وفد، بينما الديار بلاقع في إيران، فالطير سانحة والدار بارحة، وينبه المسلمين إلى ضرورة الاعتناء بالتعليم وبمساعدة إخوانهم المهاجرين في ايران.

أقول : هؤلاء شباب مفاتيح الخير، وطوبى لمن جعله الله مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، وختاماً فهذا غيض من فيض مما يقوم به الشباب العرب في داخل أفغانستان، هجروا أوطانهم، وأسهروا ليلهم، وأتعبوا أقدامهم طمعا في رضا الله، وحبا في مزاولة الجهاد واقعا حيا، وأملا أن يقدموا شيئا من الواجب الثقيل الملقى على عاتق الأمة الإسلامية تجاه إخوانهم المجاهدين الأفغان، وقد جاء في الحديث الصحيح [1] : **(في كل قرن من أمتي سابقون)** فنتضرع إلى الله أن يكون هؤلاء من السابقين : **(والسابقون السابقون أولئك المقربون # في جنات النعيم # ثلة من الأولين وقليل من الآخرين)** (الواقعة : ١٠ ـ ١٣)

فإن لم يدركوا منازل السابقين فنبتهل إلى الله ألا يحرمهم الأجر الجزيل : **(ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون)** (التوبة : ١٢٠ ـ ١٢١) .

خلاصة الأمر أرجو الله أن يحمي هؤلاء من أعدائه، ومن أجهزة الأمن التي تترصدهم، وجماع القول : إن أمة فيها أمثال هؤلاء لن تموت.

أسود خضابهم دم الأسود[٢]

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وبعد :

فإننا نواجه أحيانا في السير والمغازي قصصا من البطولات الفذة التي يحسبها القارئ -الذي لم يذق طعم الجهاد ولم يزاوله واقعا في عالم الحياة -أقول يظنها القارئ ضربا من تهويلات المؤرخين المشدوهين بإشراقة هذه الفترة الفذة من التاريخ، وأحيانا يطوي كشحه (يميل جانبه) لا يريد أن يلقي بأذن صاغية لهذه القصص التي يظنها القاعدون ضربا من الأساطير نسجه خيال المؤلفين.

والحق الذي لا مرية فيه أن الذي يعيش حياة الجهاد ويرى ضروب البطولات الرائعة والتضحيات الرائدة التي يقدمها المجاهدون تصبح هذه القصص لديه من المسلمات والبدهيات التي لا تحتاج إلى إعادة ولا تكرار، وبدون حاجة إلى إيراد البراهين والأدلة على صدقها.

تواجهك -مثلا- قصة قتل عبدالله بن أنيس خالد بن سفيان الهذلي في ٢٣ محرم سنة ٤هـ، فلما جاء عبدالله برأس خالد أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عصا وقال: هذه آية بيني وبينك يوم القيامة فلما حضرته الوفاة أمر أن تجعل معه العصا في أكفانه[٣].

وكذلك قصة حذيفة بن اليمان عندما أمره -صلى الله عليه وسلم- يوم الأحزاب أن يستطلع خبر المشركين فيدخل خيمة أبي سفيان، حتى قال : لو شئت أن أقتل أبا سفيان لقتلته [٤].

وكذلك قصة ضرار بن الأزور يوم أن أسره الروم حول دمشق، ثم يكر المسلمون مع أخته خولة ويخلصونه من الاسر.

ومن قصص البطولات الرائعة قصة أبي رافع (سلام بن أبي الحقيق) أحد أثرياء اليهود وزعمائهم والتي يرويها البخاري [٥] على لسان قاتل أبي رافع الصحابي عبدالله بن عتيك عند وصولهم إلى حصن أبي رافع قرب غروب الشمس ذي القعدة أو ذي الحجة سنة ٥ هـ، قال عبد الله بن عتيك لأصحابه : (اجلسوا مكانكم فإني منطلق ومتلطف بالبواب لعلي أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم

---

(١) هو في صحيح الجامع برقم (٤١٤٣) وفي السلسلة الصحيحة برقم (٢٠٠١)

٢- نشر في مجلة الجهاد - العدد الحادي والثلاثون - شوال ١٤٠٧هـ الموافق حزيران ١٩٨٧م.

(٣) زاد المعاد (١٠٨/٢) والسيرة النبوية لابن هشام (٦١٩/٢)

(٤) الرحيق المختوم (٣٥١) (٥) صحيح البخاري (٥٧٧/٢)

تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة وقد دخل الناس، فهتف به البواب يا عبدالله -ياهذا- إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب.

قال عبدالله بن عتيك : فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب، ثم علق الأقاليد على وتد (أي المفاتيح على وتد)، قال: فقمت إلى الأقاليد فأخذتها، وفتحت الباب، وكان أبو رافع يسمر عنده، وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه، فجعلت كلما فتحت بابا أغلقت علي من داخل قلت : إن القوم لو نذروا بي لم يخلصوا إلي حتى أقتله، فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو من البيت، قلت : أبا رافع، قال من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة أدهشته ولم أقتله، ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أني قتلته، فجعلت أفتح الأبواب بابا بابا، حتى انتهت إلى درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت الى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتى جلست على الباب، فقلت : لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته؟ فلما صاح الديك صاح الناعي على السور فقال : أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي فقلت : النجاء فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فحدثته فقال : ابسط رجلك، فبسطت رجلي فمسحها فكأنما لم أشتكها).

هذه بعض قصص البطولات التي لا تتضح جلية إلا لمن عايش الجهاد نفسا وواقعا في عالم الحياة، ومما لا شك فيه أن كثيرا من أحداث السيرة قد اتضحت في نفسي بعد أن واكبت مسيرة الجهاد الأفغاني، وبدون هذه المعايشة لوقائع الجهاد ومسايرتها يوميا وأحداثا تعمل عملها في القلب والنفس والجسد تبقى أحداث الفتوحات الإسلامية الغازا ومعميات لا تستطيع النفس أن تدرك أعماقها، ولا أن تفسر أحداثها، ولا أن تفهم أبعادها، ولا تستطيع الأبصار أن ترى جوانبها المشرقة، ولا أن تستوعب الأفق السامق الذي وصل إليه شخصياتها وأبطالها. وتواجهك في مسيرة الجهاد الأفغاني المباركة قصص من البطولات تفسر لك روائع التضحيات التي بذلها سلفنا الصالح لبناء صرح هذا الدين الشامخ، ولا نستطيع في هذه العجالة أن نتتبع هذه البطولات وإنما نضرب أمثلة منها.

قصة الشيخ عبدالوهاب في درواز

لقد أسس الشيخ عبدالوهاب جبهة درواز آخر نقطة في أفغانستان، غارسة في أعماق روسيا، وليس بينها وبين المستعمرات الإسلامية تحت أقدام الدب الروسي سوى نهر جيحون، وإذا ما دارت رحى الحرب بين الروس والمجاهدين انطلقت المدفعية الروسية من داخل الحدود عبر النهر ضد المجاهدين، وقد عمل في الروس مقتلة عظيمة، وقد اجتاز النهر ليغزو الروس ثلاث مرات.

هجم الروس على قريته (سبز) واستشهد أبوه سفر محمد وأخوه عبدالكريم وأمه في يوم واحد، وأسرت ابنته مريم وكان عمرها ثلاث سنوات وبقيت لدى الشيوعيين أسيرة مدة ستة أشهر، ثم أغار المجاهدون على المركز الشيوعي وخلصوا مريم، ثم أغار الشيوعيون مرة أخرى على قرية الشيخ وعلى بيته بالذات وأسروا في هذه المرة زوجته وبناته الثلاث، وألقوا بالأسيرات في داخل مطار خاهان المحروس بالدبابات والصواريخ والأسلحة الثقيلة، ويعد الشيخ العدة لاقتحام المطار، واقتحم الموت، ودارت الرحى والموت الزؤام يرفرف بأجنحة الرعب فوق الفريقين هناك فوق الجبال الراسية.

رسا أصله الثرى وسمـــــا به — الى النجم فرع لايرام له أصل

والثلوج المتناثرة التي تكسو قممها، والمجاهدون بينها حتى لكان الموت يهابهم، والليل يخشاهم، فلا يستطيع الحركة ولا تتغير ساعاته، ويزيد الموقف رهبة نزول الشيخ عبدالوهاب ساحات الوغى كما قال الطائي :

فقد بث عبدالله خوف انتقامه — على الليل حتى ما تدب عقاربه

إن الطير لتهاب أن تلتقط من فوقها الحب، ويخشى الجن أن يسير بها ليلا.

وكانت لا تطير الطير فيها — ولا يسرى بها الجن سارى

وانجلت المعركة عن انتصار الشيخ عبدالوهاب، وخلص زوجته وبناته الثلاثة من الأسر، وأسر نساء قادة الكفر من داخل المطار، وسار بالأسيرات. وفي الطريق قالت زوجته له : إن هؤلاء النساء الأسيرات كن قد أحسن إلي أثناء أسري عندهن، فلهن عندي يد (هل جزاء الاحسان إلا الإحسان)، فأطلق سراحهن

أرى كلنا يبغي الحياة لنفســـه — حريصـــا عليها مستهاما بها حبا

وإليك قصة أخرى من هرات :

عبدالبصير من أوائل المجاهدين الذي جربتهم ساحات هرات، وذات مرة أسر وسجن سنة ونصف، ثم حكم عليه بالإعدام، ثم نقب السجن وخرج، وجمع السجناء من السجن ثم عاد إلى الجهاد، وأسرته الدولة مرة أخرى وحكمت عليه بالإعدام على أن ينفذ الحكم خلال ثلاثة أيام، وكان معه غلام محبوب ينتظر منيته بتنفيذ حكم الاعدام الذي صدر عليه، وكان غلام محبوب مجروحا جرحا بليغا، وكلاهما مقيد، واتفقا أن يكون الفرار من الحمام ذي السقف الخشبي، وبمحاولات شديدة باكتافهم ورؤوسهم استطاعا أن يفتحا ثغرة في سقف الحمام وتحاملا على نفسيهما وصعدا السطح بأعجوبة، وألقيا بنفسيهما في البيت المجاور، وإذا به دائرة المخابرات (خاد)، وفرا بسرعة، وعندما علم أمرهما بدأت صفارات الإنذار ودوائر الدولة تهتز وتتحرك كأنها كلاب الصيد، ونجاهما الله من الموت، ولازال عبدالبصير في أرض المعركة

أسد دم الأسد الهزبر خضابه   موت فريص الموت منه ترعد

ولابد من القصة الثالثة :

والتي تطل علينا من سالانج / بنجشير، بطلها الحقيقي الذي تفوق قصصه مغامرات الأبطال الاسطوريين التي وضعت لتسلية الأطفال وملء خيالهم، إنها :

قصة محمد بانا :

أحد أركان الحرب عند أحمد شاه مسعود، يسميه الروس الجنرال لشدة ما لاقوا على يديه من حتوف، ولكثرة ما حطم لهم من أليات على أبواب سالانج قد تزيد على خمسمائة دبابة وآلية خلال السنوات السبع.

وقد ذكر ابن الأثير وابن كثير في المغازي أن جيش سعد عندما عبر دجلة وهو فائض مزبد وكان العدد قرابة ثلاثين ألفا ورآهم الفرس يسيرون على الماء هرب الفرس وهم يصيحون : (جاءت العفاريت جاءت المجانين) "ديوانا آمد"، وهذا بانا يسميه احمد شاه بالمجنون لشدة شجاعته وجرأته، ومن عادته أنه يركب في السيارات العامة على الطريق الرئيسي الذي يحتله الروس، ولهم نقاط كثيرة للتفتيش عليه، وبانا معروف لديهم.

وذات مرة -كما حدثني عبدالله أنس- وعلى إحدى نقاط التفتيش يطل أحد الروس برأسه داخل الأتوبيس، فيذهل إذ يرى بانا بين الركاب، فصاح فزعا بانا، ويسمع الروس حول السيارة بهذا الاسم فيسقط السلاح من أيدي البعض رهبة ووجلا، وسرعان ما دفع بانا الروسي بقبضة يده ثم قفز من السيارة، وفتح الروس الثمانية رشاشاتهم على بانا، واحترقت ثيابه، ولكنه لم يجرح بجرح واحد (لقد حدثني الأخ العربي أبو روضة : أن من عادة بانا أن يقرأ كل يوم في الصباح والمساء دعاء : باسم الله الذي لا يضره مع اسمه شيء) ويعتقد جازما كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(ما من عبد يقول صباح كل يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم يضره شيء)** حديث صحيح [1]

وقفت وما في الموت شك لواقف   كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هـزيمة   ووجهك وضـاح وثغرك باسم

ولا بد من ذكر أنباء محمود الغزنوي بقصة رابعة، وهذه القصة يقصها أبو داود رأي العين في غزني، المجاهدون هناك دباباتهم الدراجة الهوائية، يحمل احدهم (بي، أم١) "راجمه الصواريخ ذات الصاروخ الواحد "على ظهره وبحزمه، ثم يركب الدراجة ويضع قاعدة الراجمة كذلك على ظهره، ثم يربطها ويركب الدراجة الهوائية، ويسير على هذا الحال ١٤ كم .

وليت اخواننا المسلمين في بقاع الأرض يغتنمون الفرصة ويستفيدون من درس الجهاد الأفغاني.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(١) عند احمد برقم (٤٤٦) وابن ماجه برقم (٣٦٩) وأبي داوود برقم (٥٠٨) وهو عند الترمذي برقم (٣٣٨٥) وقال حديث حسن صحيح وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي

ملحمة الإيمان الشرارة[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد :

فقد كان اليوم السادس والعشرون من رمضان هو بداية المعركة، دكّ المجاهدون قواعد الكفار دكا شديدا، وكان يوما مشهودا، لا ترى السماء تمطر إلا نارا وحديدا.

سحائب يمطرن الحديد عليهم   فكل مكان بالحديد غسيل

وكان اليوم السابع والعشرون من رمضان يوما هادئا نسبيا، ثم أقبل اليوم الثامن والعشرون، وبدأت الدبابات والآليات تتحرك من القلعة (تشاوني -علي خيل) نحو مراكز الكفار (بوستات الشيوعيين)، وعادت الحرب تستعر ويشتد أوارها، وأصليت هذه الآليات بوابل من القذائف من جميع الأنواع ومن شتى الأسلحة التي التهبت، وكانت المشاعر ملتهبة، كل يحلم أن يكون شهيداً في هذه الواقعة، ونادى المنادي : يا خيل الله اركبي.

قائد الركب يريد أن يوقع بالعدو ما استطاع من الخسائر :

همام إذا ما هم أمضى همومه   بأرعن وطء الموت فيه ثقيل

وتراه رغم أنه لا يكاد يكتحل بالنوم ولا يعرف للراحة طعما، ورغم انخفاض الضغط لديه إلا انه لا يكل ولا يمل ولا يهدأ ولا يقر، الملح لا يفارق جيبه يلتهمه ثم يتبعه بجرع الماء يحاول أن يرفع ضغطه حتى يستطيع مواصلة المعركة ومواكبة المسيرة.

والشباب من حوله يكادون يطيرون حماسا ويتفجرون حيوية.

ومضى اليوم الثامن والعشرون، وأرخى الليل سدوله، ولكن السلاح لم يسكت، والأصوات التي تكاد تصم الآذان تشق سكون الليل، والخيوط الحمراء من الرصاص المتتابع وقذائف الأسلحة الثقيلة تحيل الدياجي المظلمة في لحظات إلى نهار مضيء شموسه الصواريخ المنطلقة والقذائف الملتهبة. وكان اليوم التاسع والعشرون كسابقه لا تهدأ فيه آليات الكفار عن الحركة، ولا أسلحتهم عن الرد على أسلحة الإخوة المجاهدين الذين يصلون نهارهم بليلهم، وكأن كل واحد يريد أن يكفر عن السنين التي خلت وهو قاعد في بيته . .

انشق فجر الثلاثين من رمضان وقد بلغ الإعياء في النفوس مبلغه، وأخذ الجهد من كل نفس مأخذه، ويود كل واحد من الإخوة أن يضع جنبه فيذوق طعم الراحة أو يكتحل بالنوم، وكان يوم فطار في المأسدة **إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم**[2]، ومع الكلل والإعياء الشديد فإنهم يتوقعون أن ينزل العدو عليهم مجموعة كبيرة من الكوماندوز لتحتل المعسكر، صدرت الاوامر الى الجميع بالتيقظ الشديد رغم الكرى الذي يداعب الأجفان، والتنبه الأكيد رغم الإرهاق الذي استنفد القوى، والإنهاك الذي يجهد أولي العزم.

وكانت المفاجأة .. أسراب الطيران التي تدك المأسدة دكا، القذيفة تصل إلى طن كامل أحيانا والقنابل المنثارية التي تتفجر في الهواء، وتفرش الأرض بالقنابل الملتهبة الصغيرة، وكانت هذه الطائرات تمهد لتقدم مجموعات من الكوماندوز -كلهم من الروس- التي أعدت إعدادا رفيعا، ودربت تدريبا عاليا يعتمد على اللياقة الجسمية، وخفة الحركة وسرعة المباغتة، وكل واحد يحمل سلاحا خفيفا وسكينا وقنابل بسيطة، وعلى ظهر كل واحد حقيبة إقامة واستطاع المجاهد أحمد شاه أن يبصر تقدم الكوماندوز فأخبر أبا عبيدة بالأمر.

فانطلقت ثلاث طلقات من (الزيكويك)، وهذه إشارة إلى أن المعسكر قد دوهم من قبل العدو، فاستنفر جميع الإخوة.

قال المجاهد أحمد شاه -أفغاني- الراصد : إن المتقدمين عددهم ما بين مائة وخمسين ومائتي مقاتل، وهم على شكل مجموعات، كل مجموعة مكونة من أحد عشر عنصرا، بينما عدد الإخوة العرب حوالي الأربعين، فظن الإخوة بأن العدو يخطط لدخول المعسكر من جناحه الأيمن (بدر)، وإذا بهم يدخلون المعسكر من جهة اليسار، ووصل الكوماندوز إلى تحت تلة القيادة. والإخوة فوق تلة القيادة، ولم يبق بينهم سوى مائة وخمسين مترا، وطلب الإخوة في غرفة القيادة نجدة وكان الأمير مع القائد العسكري في المقدمة فوق تلة القيادة، وأرسل الإخوة مجموعة من المجاهدين الأفغان، ولقد أحس العدو بوجود الإخوة من خلال مشي مجموعة النجدة، فانسحبوا إلى الخلف قليلا، ثم اتصلوا بمجموعة الهاون المساندة لمجموعة الكوماندوز، وكلها من الروس، وبدأ مدفع الهاون يصليهم بقذائف لا تتوقف، حتى كان أحدهم يسأل الآخر فلا يستطيع الأخ إجابته.

١- نشر في مجلة الجهاد - العدد الثاني والثلاثون - ذو القعدة ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م.

٢) شرح النووي / ج٧ / ص - ٢٣٦/ وعند ابي داوود برقم (٢٤٠٦) في (الصوم في السفر)/ وهو في مختصر مسلم برقم (٦٠١) .

ثلاثون دقيقة مع الموت :

مرت ثلاثون دقيقة والإخوة ينتظرون في كل لحظة شهادتهم، ولا تجد الألسنة تردد سوى الشهادتين ولا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، قال عثمان : فوسوس لي الشيطان فقلت في نفسي هل أعصي الامير وأتراجع لأجد ملجأ أم أطيعه وأنتظر الموت؟ ولكن لا مجال لعثمان ولا لأميره أن يلتقط أنفاسه فضلا عن أن يتراجع قليلا ليجد ملجأ يقيه شظايا القذائف التي تنزلت كالمطر، ورفع القائد العسكري رأسه ليرى ما يجري وإذا برصاصتين من الكلاكوف تمر من شعر لحيته.

طلب النجدة

وفي أثناء الدقائق الثلاثين بدأ الإخوة يستغيثون ويطلبون من غرفة الاتصالات النجدة من أية جبهة من جبهات المجاهدين، وصاحوا بالأخ الذي يحمل اللاسلكي بأن يتصل بالشيخ سياف أو المهندس حكمتيار بأن يوجهوا نيران مدافعهم الثقيلة نحو مصدر الهاون وأن يرسلوا النجدة، فأرسل الشيخ سياف أربعين مجاهدا وأرسل حكمتيار مثلهم.

نصف دقيقة فقط ردت إليهم فيها الحياة، لقد بلغت القلوب الحناجر، وكانت الاعصاب تحترق وهي تعيش بين الدنيا والآخرة، ولم يكن أحد يصدق أنه ناج من الهلاك، واغتنموها نصف دقيقة فقط من توقف الحمم الحديدية التي تنصب عليهم فهرعوا متحرفين لقتال، ودخلوا ملجأ (الغرفة المتقدمة)، وما أن وجدوا مس الأرض حتى غط بعضهم بالنوم لشدة الإعياء.

وتقدم الكوماندوز فوق التبة، فنادى المنادي ان امتشقوا قاذفات صواريخكم، فأقبلت مجموعة كبيرة من المجاهدين الأفغان والعرب، وبدأت تطلق على الأعداء، فأصابت واحدا وتدحرج مضرجا بدمه، وفر الباقون، وعاد الهاون ليصب نيران قذائفه على المجاهدين فسقط خمسة من الإخوة الأفغان شهداء.

الانسحاب من "تبة" القيادة الى الغرفة المتقدمة :

وانسحب الإخوة من تبة القيادة التي احتلها الكوماندوز إلى التبة الثانية (الغرفة المتقدمة)، وعاد الهاون يصب نيرانه الرهيبة على الإخوة، وأقبل الدكتور صالح واختطف الأمير من بين فكي الموت الزؤام، وحجرا الرحا دائرتان تطحنان الأعصاب والنفوس والقلوب.

والأخ أحمد شاه -الأفغاني- يواصل اتصاله بالأمير بأن الكوماندوز ذوي الوجوه الحمر لا يزالون ينتشرون فوق التلال القريبة ويزدادون، وهنا وبعد سقوط الإخوة الخمسة شهداء ينظر أبوعبيدة إلى عثمان وكان بجانبه وقال : لنتراجع قليلا.

انتقل أبو عبيدة مع عثمان من مكانهما قليلا من أجل دراسة الوضع الراهن وكيفية مواجهته، وبعد انتقالهما بخمس ثوان نزلت قذيفة هاون مكانهما فقتلت أربعة من المجاهدين الأفغان، عندها نظر عثمان إلى أبي عبيدة قائلا : "لن أفارقك أنت بركة"، وسار أبو عبيدة مع عثمان، وقرب المشغل يجلسان يتشاوران، وإذا بقذيفة هاون تخر بجانبهما، ولكن الله سلم فلم تنفجر القذيفة، فقال عثمان : "ألم أقل لك أنك بركة."

واضطر أبو عبيدة أن يفارق عثمان لدقائق، فجاءت قذيفة ثالثة فانفجرت وعفر التراب وجه عثمان، وعندما عاد أبو عبيدة قال عثمان "لا تفارقني لأنك بركة".

وأبو عبيدة صاحب كرامات، وهو من حفظة القرآن، ومن قصصه أنه كان في منطقة (جور) أثناء الهجوم الكبير في العام الماضي، وبينما كان يستنجي إذ ألقت الطائرة فوقه قذيفتين كبيرتين، فتألم أن تأتيه الشهادة وهو على هذه الحالة، فأكرمه الله ولم تنفجر القذيفتان، ونزلتا بجانبيه، ولو انفجرت إحداهما لتطاير جسده قطعا في الهواء.

اجتمع الأمير والقائد وعثمان ومنصور للتشاور والقصف لا يتوقف، والسماء تمطرهم بشتى أنواع القذائف والحمم، ولا يكادون يلتقطون أنفاسهم، والشيخ تميم متترس بجانب غرفة القيادة، والصواريخ والقذائف من الطائرات والدبابات وراجمات الصواريخ ومدافع الهاون تتساقط كتفيه وهو يقرأ القرآن ينتظر الشهادة.

وكانوا مترددين في الانسحاب من المركز ولو كانوا متحرفين لقتال، وبينما هم كذلك وإذا بالطائرات تلقي قنبلة دخانية في وسط المعسكر ليكون هدفا واضحا لآليات العدو وأسلحته وقصفه، وازداد انهمار القذائف، وهنا قرر الأمير الانسحاب من الموقع مع ترك

تسعة من الاخوة العرب فقط، وهكذا بقي القائد العسكري مع تسعة من إخوانه العرب بالاضافة الى سرية من المجاهدين الأفغان بلغت ثمانين شخصا بقيادة متور شاه وسيد جلال الدين وفضل نبي. وبدأ الشيخ تميم يجهش بالبكاء، وكثير من الأعين تذرف دموعها، وأخذ الشيخ تميم يشد شعر لحيته، وخشي الاخوة أن يصيبه شيء أو مس من الجنون، وعاد الاخوة من المأسدة (المركز الجديد) الى المركز الثاني (العرين)، ولكن النفوس كأنها تتقلب على اللظى وامضى الاخوة ليلة ليلاء وهي ليلة عيد الفطر، ولعل البعض لم يكتحل بالنوم ألما وحزنا، وما أن انشق الفجر يوم العيد حتى عادت جموع الاخوة العرب الى المأسدة.

العودة الى المأسدة يوم العيد

لقد كان يوم عيد الفطر ١٤٠٧ هـ مشهودا لدى الاخوة المجاهدين العرب، وكل منهم متشوق لهذا اليوم منذ سنين :

(ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) (آل عمران :١٤٣)

ودارت معركة رهيبة أبدى فيها هؤلاء الاخوة شجاعة نادرة وثباتا عجيبا وقد تحدثنا في العدد السابق من الجهاد عن الكوماندوز الروسي وكيف نزل الاخوة عليهم كالصاعقة، وفر الروس **(كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة)** (المدثر : ٥٠)

وقد عملوا فيهم مقتلة عظيمة، وغنم الاخوة اسلحتهم، وقد سقط ثمانية من الاخوة العرب شهداء في هذا اليوم (علي وحسين ونور الحق ومنصور وأبو الفضل وعبدالله المصري وأبو خالد الجزائري وأبوالوليد السعودي "محمد منير العتيبي").

وقد صد الاخوة العرب هذا اليوم هجومين من الكوماندوز الروسي ومحاولتين جريئتين لاقتحام المأسدة، ولكن الله ثبت جنده المجاهدين **(سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا)** (آل عمران : ١٥١).

واستمرت الأيام القصف لا يتوقف فيها، وفي كل يوم يأتينا جرحى، والشهداء يزدادون، والدماء لا تجف، والسيارات لا تنقطع عن الحركة رغم قصف الطيران وراجمة الصواريخ ولا تكاد ترتاح في نوم، وطعامنا عند الشيخ (سياف) في هذه الأيام المرق الذي فيه الدهن الافغاني الكثير، ولا يقدم عليه إلا من تعوده، وإلا فالإسهال ينتظره، وما رأيت الرز طيلة هذه الفترة إلا عندما اشترى بعض الاخوة لهم رزا، كان أشد ما يواجه الاخوة الهاون الذي يقتحم على الإخوة خنادقهم، فكان قلبي معلقا مع هؤلاء الإخوة خاصة الذين يتسنمون ذروة جبل الرماة المعرض طيلة النهار للطيران والقذائف والصواريخ.

ولقد كان أمير جبل الرماة سيد محمد الافغاني من أنبل وألطف وأرفع ما رأيت من القادة خلقا وأدبا وعلما وسلوكا، فهو أمير المجاهدين في (لوكر)، وقد كان مسجلا للماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود، وترك الماجستير وجاء طلبا للشهادة.

وكان عند سيد محمد أحد قادات السرايا اسمه "نور اغا" شاب شجاع مجاهد قديم، وقد استشهد أثناء المعركة حوله ابن اخته وابن عمه ومع ذلك لم يغادر خندقه.

مرئيات وأسباب ومعطيات :

ومن خلال مراقبتي لمجريات المعركة رأيت أن العدو قد تكبد خسائر فادحة في المعدات والأرواح، فما من يوم يمر إلا وتدمر مجموعة من الآليات، ويسقط بمعدل طائرة واحدة كل ثلاثة أيام.

وقد جاء موسى خان ذات يوم بتقرير يؤكد تدمير ١٢ دبابة و٤ ناقلات للجنود وسيارتي إسعاف، وفي كل يوم تقريبا نسمع باللاسلكي نبأ تدمير دبابات وإحراق سيارات، أما القتلى فقد رأى أحد السائقين الأسرى ثلاث شاحنات كبيرة مليئة بجثث القتلى الروس ، وليس من الشيوعيين الأفغان ، ومن خلال مقارنتي لهذه المعركة مع المعارك الأخرى التي شهدتها في ننجرهار ، ونازيان ، ومعركة جاجي في العام الماضي ومعركة خوست وجاور ، رأيت أن هذه المعركة أشد المعارك على العدو، وما لقي العدو مقاومة أبدا وإصرارا وعزما كما لقيه في هذه المعركة ، وكذلك ما رأينا الكافرين يصرون على استمرار المعركة كما شاهدناهم في هذه.

وهناك أسباب رئيسية كبرى للتحول الذي جرى في هذه المعركة ولصالح المجاهدين.

أول هذه الأسباب :

١ – لطف الله العظيم الذي كان يلف المنطقة كلها بعنايته ورحمته، ويحس الإخوة بهذا في حلهم وترحالهم، ليلهم ونهارهم، وفي حركتهم وسكونهم، وقد تكرر كثيرا أن تسقط قذائف قرب الإخوة ولا تنفجر، وكذلك القذائف التي تنزل كالمطر وتنفجر ومع ذلك لا تؤذي الإخوة الذين حولها .

٢ – استبسال الإخوة العرب في داخل المعركة، وإقدامهم وتضحيتهم، مما شحن الهمم ورفع المعنويات .

٣– وجود أجهزة اللاسلكي مع الرصد المتقدم المتيقظ الذي كان يوجه كل قذيفة تخرج من خلال أسلحة المجاهدين .

٤ – وجود القيادة في وسط المعركة خاصة الشيخ سياف الذي لم يغادر أرض المعركة لحظة واحدة، وكان يوجه قادته من خلال جهاز اللاسلكي، ووجود القائد في خضم المعركة يعطي الجنود شحنة قوية ودفعة عظيمة، وكذلك وجود القائد الذي ألفت النفوس احترامه وطاعة أوامره في أيام الرخاء يقلل كثيرا من روتين الإجراءات في صرف الذخيرة وإخراج السلاح وبذل المال وتوفير الضرورات والحاجات من الأطعمة والألبسة والآليات المتحركة .

٥– مهارات المجاهدين في استعمال أسلحتهم خاصة الثقيلة منها، فقد كانت ضرباتهم مسددة وتقع في الأهداف :

{فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى} (الأنفال : ١٧).

٦ـ جيبات السحر الخاصة بالدعاء للمجاهدين والتي كانت تردد **(اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم)** [١].

٧ ـ اتحاد كلمة المجاهدين وجو التآلف والأخوة، فما كان الإخوة العرب يطلبون اجتماعهم إلا وسارعوا إلى الاجتماع، ولم يكن الاخوة العرب يطلبون من زعيم من زعماء التنظيمات شيئا إلا وسارعوا إلى الاجابة بروح طيبة ونفس منشرحة، خاصة (سياف وحكمتيار ورباني) فلم يطلب من أحد الثلاثة شيء إلا ونفذه، وجزاهم الله عن المسلمين خيرا .

هذه هي الأسباب في نظري التي أدت إلى ميلان الكفة لصالح المجاهدين، وإلى ارتفاع الخسائر في الارواح والمعدات لدى الكافرين.

لقد ترامى إلى مسامعنا أن نجيبا أرسل وراء محافظ بكتيا وقائد قواتها وطلب منهما استمرار المعركة ومواصلة المحاولة، فاعتذرا بسبب التكاليف الباهظة والمعنويات المتردية لدى جنودهم، حتى فر إلى حاج خان بازك –أحد قادة المجاهدين– عشرون جنديا من بينهم مسؤول الاشارة واللاسلكي.

فقال نجيب : "لا بد من المواصلة، وأنا أرسل لكم قوات جديدة"، وأرسل لهم قوات جديدة، لقد اشترك منذ بداية المعركة ثلاث فرق بالاضافة إلى خمس كتائب روسية، منها كتيبة واحدة من الكوماندوز، الفرقة الثامنة التابعة إلى "كابل"، الفرقة الرابعة عشر التابعة إلى "غزني"، والفرقة الثانية عشرة التابعة إلى "جرديز" .

ويحدث سياف نقلا عن لسان أحد الضباط الذين استسلموا للمجاهدين أن القائد الروسي للحملة سألهم : لماذا تصيب قذائف المجاهدين منشآتنا ونحن لا نصيب قواعدهم؟ فأجابوا : إن الذين يسددون رمي المجاهدين ليس الأفغان بل هناك فنيون من بلاد العرب وأمريكا والصين يوجهون ضربات المجاهدين، والحق أن أبا عبدالرحمن قد أبلى بلاء عظيما وثبت ثباتا عجيبا.

استشهاد أبي حفص الفلسطيني (هشام هاني منصور) :

في عصر الجمعة وفي ساعة الاستجابة ٩ شوال الموافق ١٩٨٧/٦/٥ حاول الروس مع الشيوعيين الافغان اقتحام المأسدة (المركز الجديد) للمرة الخامسة، وكان الاخوة قد أعدوا كمينين، وكان أبو حفص ضمن أحدهما، وأقبل الشيوعيون يتقدمون مجموعات الروس حتى يقتل الشيوعيون الافغان قبل الروس : **{لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون}** (فصلت : ١٦)

(١) الحديث متفق عليه، عن عبدالله بن ابي أوفى/ فتح الباري / ج ٦ / باب (١١٢) برقم (٢٩٦٦)/ شرح النووي /ج١٢/كتاب الجهاد والسير / ص – ٤٧ بلفظ (. اهزمهم وزلزلهم)

وأقبل عتل جواظ من الشيوعيين يغني ويشجع نفسه على الاقتحام، وسدد له أبو سالم اليمني عدة طلقات فأرداه قتيلا و إلى جهنم وبئس المصير. وإن اسوداد جثته، والنتن الذي تتقزز منه الأبدان، لينبئك عن مصير هؤلاء وقد قيل إن هذا القتيل هو : ولي جان قائد الميليشيا الشيوعية في بكتيا، فعندما سقط هذا الكافر مجندلا بدمة لاذ الباقون بالفرار فتصدى لهم الكمين بالرصاص فسقط ثلاثة ورأى أمير الكمين تبادل اطلاق النار مع الكمين الاخر التابع للمجاهدين، وظن أن بعض إخوانه قد جرحوا، فطلب من أبي حفص أن يسارع لإنقاذ الجريح من اخوانه، فهرع ابو حفص، وعندما وصل وأبصر جثث القتلى انبطح على الأرض حتى يتفحص الأمر، وإذا بأحد الكفار المضرجين بالدماء لازالت فيه بقية روح، فوجه سلاحه نحو أبي حفص وأطلق عليه رصاصتين، فكانت الشهادة إن شاء الله والتي يبحث عنها وهو دون سن الحنث بكثير.

وقبل الشهادة بقليل كان أبو حفص قد أبصر روسيا وراء شجرة موليا ظهره نحو أبي حفص وأراد ذبحه بالسكين إلا أنه تذكر أنه استطلاع ولم يتلق أمراً بإحداث شيء، فذهب إلى أميره يستأذنه في قتل هذا الروسي الاحمر، فأذن له، فرجع إلى المكان فوجده قد غادر وولى هاربا.

استمرار المعركة

المعركة مستمرة، ولهيبها يزداد اضطراما، ونشط الطيران، وأصبح يغير ليلا ونهارا، ولا تكاد راجمات الصواريخ تكف عن قذف حممها المستعرة فوق قواعد المجاهدين، أما الهاون (العدو اللدود للمجاهدين) فإنه يواصل الليل بالنهار، ودعك عن الدبابات ومدافع الميدان (الهاوتزر ١٥٥ملم)، لقد كانت قذائف العدو تسقط على مواقع المجاهدين فتميد لها الجبال وتردد صداها سلاسل الجبال الشامخة فكنت أسمع الصدى أحيانا فاقول للاخوة الجالسين كنفي : اني لأسمع هدير طيران، يقولون هذا هدير القذائف. كنت آوي إلى ملجأ صغير تحت صخرة شامخة في السماء وعرضها حوالي خمسين مترا، فكنت أتصور كيف ستسقط هذه الصخرة العظيمة فوق رؤوسنا إثر قذيفة طائرة مما يزن طنا كاملا، وما تحركت بين موقعين الا وظننت أنها نهايتي، وأن قذيفة ستصيبني فأنال شهادتي.

كنت أجلس أحيانا في نفق على بابه بعض الاخوة الافغان حراسا، فكنت لا أتحرك من مكاني إلا إذا رأيت الافغان هرعوا إلى داخل النفق، إنهم لا يرهبون الموت، وأصبح دوي الطائرات وهدير الدبابات وأزيز المدافع نغما مألوفا إلى آذانهم، ولم يعد الحذر أي مكان في حياتهم، أضحت معينا من الالام، وينبوعا من المصائب والأحزان، ولا أستطيع في هذه العجالة أن أنقل إليك ما أحمله في أعماقي عن صبر هذا الشعب العجيب، ولكني أسوق إليك قصة سائق ابي ياسر واسمه : الأسطة : أو م[illegible]ي).

قصة مستري

لقد اعتاد صاحبنا المستري أن ينقلنا بالسيارة من بيشاور إلى صدا، وذات يوم وإذا بأبي ياسر يقول لي : أتعرف قصة هذا الرجل؟ لقد فقدت أسرته كلها في يوم واحد، فسألته : من أين أنت؟ فقال : من بغمان، فسألته عن قصة [illegible]، فقال : كنت مجاهدا في بغمان، وكنت أعد نفسي لأعود من بغمان –أرض المعركة– إلى بيشاور لأراجع المسؤولين ببعض [illegible]اتي، ومن عادة بعض المجاهدين أن يقضوا الصيف والربيع في أرض الجهاد ويقضوا أشهر الشتاء في بيشاور من أجل الإ[illegible] بالتجهيز، لأن بعض المناطق في الشتاء، ترتفع فيها الثلوج مترا وزيادة ولا يمكن الحياة فيها، وفي ليلة عيد الأضحى يجتمع [illegible] في بغمان زوجتي أبنائي الأربعة وابنتاي وأخوات زوجتي الثلاثة وأخوها، وأغارت ٤ طائرات وألقت قذائفها المدمرة، فدمرت [illegible] أصبح أطلالا، وكنت خارج البيت، فلم أجد ذا روح في البيت، ولم أستطع أن أجمع من أجسامهم سوى قطع لحم متناثرة اختـ[illegible] التراب، ولم أجمع من أجساد هؤلاء الاثني عشر شخصا إلا ما يقل عن عشرة كيلوغرامات من قطع اللحم، وفي ذلك اليوم قـ[illegible] أسرتي هذه بكاملها اثناعشر نفراً من أقاربي، فكان مجموع ما قدمنا لله عز وجل من الأضاحي وفي ليلة عيد الاضحى أربعة و[illegible] شخصا.

نكاد حين تناجيكم ضمائرنا   *يقضي علينا الأسى لولا تأسينا*

وإذا كان حال النبي المرسل من ربه يعقوب عليه السلام : (وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف وا[illegible] [illegible]ه من الحزن فهو

كظيم) (يوسف : ٨٤)

فماذا يكون حال مستري وأمثاله؟! لهم الله هؤلاء القوم، إن حياتهم أساطير من المآسي، وإن الحزن نفسه ليسلو عندما يرى مصابهم ويشاهد آلامهم.

رسائل إلى أمراء الأحزاب

خططنا رسالتين احداهما إلى الاستاذ رباني (أمير الجمعية الاسلامية)، وكان قد زار الجبهة إبان احتدام المعركة، والأخرى للمهندس حكمتيار (أمير الحزب الاسلامي) والذي كان في الجبهة حتى اليوم الثلاثين من رمضان، ثم غادر معسكر الفتح لأعمال ضرورية في بيشاور.

وقد كان خلاصة ما في الرسالتين توضيح أبعاد المعركة، وضخامة التضحيات وشدة الأمر بالنسبة للمسلمين، وأنه لابد من الالقاء بالثقل الاسلامي في المعركة، ووجوب مضاعفة الذخائر والاسلحة لمقابلة هذه القوة الضخمة المستميتة على اقتحام مواقع المسلمين مهما كانت التكاليف، وحمل الرسالتين إليهما شاب يماني نشيط وهو سبع الليل (أحمد الأحمدي) وكان قد أتى إلى المعركة واشترك مع مجموعة من الجمعية في الإطلاق على راجمات الصواريخ، وانطلق سبع الليل بالرسالتين، وقد كان تلقي الرسالتين من الأخوين الأميرين بترحاب كبير واستبشار عظيم، أما الاستاذ رباني فقد أرسل رسالة إلى قائده العسكري بأن يفتح مخزن السلاح بلا حساب، ولا يرد طلبا مما طلبه المجاهدون، وأما المهندس حكمتيار فقد تحرك بنفسه إلى ارض المعركة.

وعاد سبع الليل مسرورا أن بلغ وعاد بنتائج طيبة، وعندما وصل قال : غدا لا بد -من الصباح- أن نتحرك مع راجمة الصواريخ مع الجمعية، ثم أضاف : أنا ما جئت لآكل الرز، ثم وجد مجموعة ستنطلق بعد الفجر للترصد في خرشتل حيث العدو.

قال له أبو عبدالله : هناك عملية جريئة للتعرض للكافرين.

قال سبع الليل : أذهب من الصباح إلى الظهر للترصد وبعد الظهر أكون جاهزا، وانطلقت مجموعة الترصد بعد صلاة الفجر، ولم يكن سبع الليل نائما في ذلك المكان، وكم حز في نفسه أنه لم يدركها ولم ينطلق معها، وعندما ذهب إلى مجموعة الجمعية المرافقة لراجمة الصواريخ أخذ يعمل بنشاط، وينقل الصواريخ ويصفها بجانب الراجمة، وما هي إلا ساعات حتى كانت القذيفة التي سبقت بقدر لتصيبه في رأسه، فاغمي عليه ومضى إلى ربه بعد قليل، كان هذا يوم الاثنين ضحى في الثاني عشر من شوال سنة ١٤٠٧ هـ، الموافق لليوم الثامن من حزيران (يونيو) سنة ١٩٨٧م.

وبعد، فهذا هو اليوم الثاني والعشرون من رمضان، ونحن اليوم في السابع عشر من شوال، وقد انسحبت القوة في هذا اليوم تجر أثواب الخزي وأذيال الخسران والندامة.

تساريها النيران في كل مسلك　　　به القوم صرعى والديار طلول

لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الاحزاب وحده، لا اله الا الله، ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

تحطيم القيود [1]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد :

فإننا عندما رفعنا راية الجهاد في سبيل الله فإنما نبتغي ارضاء الله، ونرمي إلى أن تكون كلمة الله هي العليا، ومن إعلاء كلمة الله التي شرع من أجلها الجهاد رفع الظلم عن الناس.

فنحن إذ تحركنا في ميادين القتال في ساحة النزال الأفغانية فإنما نهدف إلى إماطة الظلم عن أنفسنا، ومسح الظلم عن إخواننا المسلمين الافغان، إعذارا إلى الله و (**عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا**)

١- نشر في مجلة الجهاد - العدد الثالث والثلاثون - ذو الحجة ١٤٠٧هـ الموافق أغسطس ١٩٨٧م.

ازالة الظلم

إن أهم أغراض الجهاد في سبيل الله هو رفع الظلم عن الناس، بل ما تنزلت الشرائع كلها إلا لإقامة القسط في الأرض، ورفع الظلم عنهم، فقد قال جل شأنه : **(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)** (الحديد : ٢٥)

والميزان هو العدل كما قال مجاهد وقتادة والسدي [١]. يقول قتادة : (اعدل يا ابن آدم كما تحب أن يعدل لك، وأوف كما تحب أن يوفى لك، فإن العدل صلاح الناس).

وعندما أرسل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عبدالله بن رواحة لجمع خراج خيبر أهداه اليهود كمية من التمر الفاخر لعله يخفف عنهم، فقال عبدالله رضي الله عنه : لقد جئتكم من عند أحب الناس إليّ -صلى الله عليه وسلم-، وأنتم أبغض خلق الله إليّ، ولكن والله ما حبي له ويغضي لكم ليجعلني أن أبخسكم حقكم، فقال اليهود : بمثل هذا قامت السموات والارض).

ولذا فليس عجيبا أن ينزل رب العزة عشر آيات من السماء لتبرئة يهودي من سرقة اتهم بها وإثباتها عند رجل يصلي ويصوم من المدينة وهو طعمة بن أبيرق أو بشير بن أبيرق، والآيات التي خلدت هذه الحادثة في سورة النساء : **(إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما)** (النساء : ١٠٥).

وهذه القصة لا تعرف لها البشرية نظيرا ولم تعرف لها الأرض مثيلا، وتشهد وحدها بأن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد، لا يمكن للبشر أن يكون لهم يد فيه، لأن البشر مهما ارتفعت تصوراتهم ومهما صفت أرواحهم، ومهما استقامت طباعهم لا يمكن أن يرتفعوا بأنفسهم إلى هذا المستوى الفذ الذي يرسم على الأفق خطا لا يمكن أن ترتقي إليه البشرية، ولا يمكن أن تصعد إليه الانسانية إلا في ظل هذا الدين، وإلا على هدي من هذا المنهج.

وخلاصة القصة في سبب نزول هذه الآيات أن نفراً من الانصار -قتادة بن النعمان وعمه رفاعه- غزوا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في بعض غزواته، فسرقت الدرع لأحدهم (رفاعة)، فحامت الشبهة حول رجل من الأنصار من أهل بيت يقال لهم (بنو أبيرق)، فأتى صاحب الدرع رسول الله -صلى الله علي وسلم-، فقال : "إن طعمة بن أبيرق سرق درعي، وفي رواية : إنه (بشير بن أبيرق). فلما رأى السارق ذلك عمد إلى الدرع فالقاها في بيت رجل يهودي اسمه زيد بن السمين، وقال لنفر من عشيرته : اني غيبت الدرع وألقيتها في بيت فلان، وستوجد عنده، فانطلقوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالوا : يا نبي الله إن صاحبنا بريء أن الذي سرق الدرع فلان، وقد أحطنا بذلك علما، فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس وجادل عنه فإنه إن لم يعصمه الله بك يهلك، ولما عرف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن الدرع وجدت في بيت اليهودي قام فبرأ ابن أبيرق وعذره على رؤوس الناس، وكان أهله قد قالوا للنبي -صلى الله عليه وسلم- قبل ظهور الدرع في بيت اليهودي إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت.

قال قتادة : فأتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فكلمته، فقال -صلى الله عليه وسلم- :عمدت إلى أهل بيت يذكر منهم اسلام وصلاح وترميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بينة، قال : فرجعت ولوددت أني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في ذلك.

فأتاني عمي رفاعة فقال : يا ابن أخي ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال : الله المستعان، فلم نلبث أن نزلت :

(إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق...) [٢]

لقد نزلت هذه الآيات في أحرج أوقات الجماعة المسلمة وأدقها، حيث لم يدع اليهود سهما مسموما إلا صوبوه تجاه هذا الدين، ولم يدعوا خنجرا إلا حاولوا أن يطعنوا به القيادة الربانية التي تمثل هذا المنهج واقعا وسلوكا وأخلاقا.

نزلت الآيات وقد نصب اليهود معاليهم (مصائدهم)، وأقاموا شباكهم، وفرقوا سهامهم تجاه الجماعة المسلمة يبغونها الفتنة

---

(١) تفسير القرطبي /ج ١٧/ ص -١٥٤ سورة الرحمن عند قوله تعالى (ووضع الميزان)

(٢) تفسير القرطبي / ج ٥ / ص - ٣٧٥

يريدون تمزيقها ويريدون تشتيتها.

وقد كان اليهود العقل المفكر والرأس المدبر والأيادي الخبيثة التي تدير المنافقين من وراء ستار، حيث يكون الذين في قلوبهم مرض المخالب الخبيثة والقفازات النجسة التي يضرب بها اليهود.

وفي هذا الوقت تتنزل هذه الايات لتنصف يهوديا اتهم ظلما بسرقة، وتدين بها بيتا من بيوت الانصار الذين كانوا عيبة (محل نصح) رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، والذين قدموا الغالي والرخيص والنفس والنفيس من أجل نصرة هذا الدين وحماية نبته، نزلت لتثبت سرقة في بيت أنصاري فتعطي بهذا سيفا جديدا مسلولا يستعمله اليهود للتشهير بأنصار هذا الدين.

لقد كانت المصلحة في موازين البشر تقتضي أن لا تثار هذه القضية، وأن لا تنبش هذه المسألة، سيما في هذا الوقت، ومع هؤلاء الأقوام، وقد كانت الكياسة والسياسة تقتضي أن لا يفضح رجل من الجماعة المسلمة، ومن أجل من؟ لأجل يهودي يواصل كيد الليل بالنهار للإساءة لهذا الدين وأهله.

لقد كانت اللباقة في عرف الناس توجب أن لا يفضح رجل من أبناء الجماعة المسلمة، وعلى ملأ من أهل المدينة، لا بل على مر العصور وكر الدهور ينزل به قرآن يتلى آناء الليل وأطراف النهار ان ظروف الجماعة المسلمة ومصلحتها في تلك الحقبة العصيبة تستلزم في النظرة البشرية القصيرة أن يضرب صفحا عن مثل هذا الحادث، وأن لا يجعله حديث السامر وحداء المسافر.

ولكن المسألة لم تكن مجرد تبرئة بريء اتهم -وإن كانت تبرئة المتهم وإنصاف المظلوم شيئا ثقيلا في ميزان الرحمن- ولكن القضية أكبر من هذا بكثير.

إن القضية هي إقرار منهج رباني قائم على العدل، تطبقه الجماعة المسلمة على نفسها قبل أن تطبقه على غيرها، وتنتصف المجموعة المؤمنة للحق من مالها ودمها قبل أن ينتصف الحق من غيرها، لا بد من إقرار منهج لا يتأرجح مع الهوى، ولا يتزعزع مع الشهوات، ولا يتأثر بالمصالح القريبة والأنساب والعصبيات، يقول الاستاذ سيد قطب في الظلال[1] (وينظر الانسان من هذه القمة السامقة على السفوح الهابطة في جميع الأمم على مدار الأزمان فيراها هنالك... هنالك في السفوح، ويرى بين تلك القمة السامقة والسفوح الهابطة صخورا متردية، هنالك من الدهاء والمراء والسياسة والكياسة والبراعة والمهارة ومصلحة الدول والوطن ومصلحة الجماعة إلى آخر الأسماء والعنوانات، فإذا دقق الانسان فيها النظر رأى تحتها الدود!!

وينظر الانسان مرة أخرى فيرى الأمة المسلمة -وحدها- صاعدة من السطح إلى القمة تتناثر على مدار التاريخ وهي تتطلع إلى القمة التي وجهها إليها المنهج الفريد. أما العفن الذي يسمونه (العدالة) في أمم الجاهلية الغابرة والحاضرة فلا يستحق أن نرفع عنه الغطاء في مثل هذا الجو النظيف ـ الكريم).

إن رفع الظلم عن الناس هي مهمة الانبياء التي من أجلها تنزل الروح الأمين من السماء، وله نزلت الشرائع، وأوحى الله بالكتب، واستمراء الظلم وقبول الهوان والاستنامة تحت نير العبودية قرين الكفر، وقديما قال الشافعي :

أنا إن عشت فلست أعدم قوتا ... ولئن مت فلست اعدم قبرا

همتـــي همة الملوك ونفســـي ... نفس حر ترى المذلة كـفرا

وإن المستضعفين في الأرض الذين يعيشون تحت أقدام الجبابرة ليستحقون الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة : **(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا)** (النساء : ٩٧ - ٩٩).

فالذين لا يهاجرون من تحت نير الظالمين، ويرضون العيش بين قطعان السوائم، جزاؤهم جهنم يصلونها كلما خبت زادها رب العزة سعيرا، فإذا علمت سبب نزول هذه الآية فإنك ستقف أمامها مشدوها حائرا، فقد روى البخاري بإسناده عن عكرمة أخبرني ابن عباس (أن أناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، يأتي السهم

(١) تفسير الظلال (٧٥٣/٢).

فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل، فأنزل الله تعالى : **(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم . . .)** (النساء : ٩٧).

هذا شأن المؤمنين في مكة القابضين على دينهم كالقابض على الجمر، فما بالك بالذين يعيشون في بلادهم يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، لا يشغله إلا لقمة الطعام، وقطعة الكساء، والعلاوة، والوظيفة، والدرجة، والراتب، وموديل السيارة، ودهان العمارة.

والذين لا يتحركون لرفع الظلم وانصاف المظلومين هؤلاء تجأر إلى الله عليهم دعوات المستضعفين : **(وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا)** (النساء : ٧٥)

فهم الظالمون لأنفسهم، لا يتحرقون ولا يتحركون لإزالة الظلم عن المظلومين.

ولذا كانت أول آية نزلت لإباحة القتال تشير إلى العلة الحقيقية والسبب الرئيسي له وهو إزالة الظلم : **(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز)** (الحج : ٣٩، ٤٠).

فهؤلاء ظلموا بأن طردوا من ديارهم إجحافا وافتئاتا (تعديا) على حقهم، وكان السبب الحقيقي لطردهم هو التوحيد الذي حملوه في أعماقهم، وضحوا من أجله، وما أساؤوا إلى قومهم، ولا كان لهم ذنب إلا أنهم وحدوا الله، وهذا عند المشركين أكبر الذنوب، فالتوحيد في نظر أعداء الله جريمة يستحق صاحبها الطرد من مسقط رأسه ومرتع شبابه.

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- من مكة قال أبوبكر : أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن، قال ابن عباس فأنزل الله عز وجل : **(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير)**

قال أبوبكر رضي الله عنه :فعرفت أنه سيكون قتال [1].

(وإن الله على نصرهم لقدير) أي قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال، ولكنه سبحانه يريد من عباده أن يبذلوا جهدهم في طاعته.

ونحن نقول :

١ - إن فريضة الجهاد من أهم الفرائض التي افترضها الله علينا من فوق السبع الطباق، وأوجب علينا أداءها كالصلاة والصوم والزكاة سواء بسواء.

٢ - إن مزاولة الفرائض الاسلامية وأداءها أمر إلهي وتكليف رباني لكل انسان، إنه حق طبيعي وأمر منطقي لا يجادل فيه إلا مماحك أو مماحل.

٣ - لقد ظلمنا في كثير من البلدان الاسلامية، وحرمنا من أدنى الحقوق التي تتمتع بها الحيوانات، فالدجاجة إن اقتربت من أفراخها الناشئة تهجم عليك، والكلب يعضك إن وطئت ذنبه، أو اقتربت من البيت الذي يحرسه، ولا تستطيع قوة في الأرض أن تمنع أطراف الشاة أن تتحرك وهي تلفظ أنفاسها وتجود ببقية دمائها.

ونحن حرمنا أن نمسك اليد التي تشهر علينا الحراب لذبحنا، ومنعنا أن نرفع أصواتنا ونحن نلفظ أرواحنا، وقد وصل اللص إلى داخل حجرة النوم، فكبلنا وحرمنا من ازعاجه وهو ينتهك أعراضنا ويسلب أموالنا ويسفك دماءنا.

٤ - وبعد أن سلمنا أوطاننا لأعدائنا، وحرمونا أن ندافع عن مقدساتنا، وأن نحمي أعراضنا، وسقط المسجد الأقصى دون أن يسقط حوله -وياللعار والشنار- عشرة من المسلمين دفاعا عنه.

بعد هذا كله : حاولنا أن نجمع من بقي في قلوبهم غيرة، أو ممن يحمل في نفسه بقية من رجولة أو شهامة، نحاول إزعاج

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٢٢٥)

اليهود الذين دخلوا المسجد الاقصى امنين مطمئنين، فأبوا علينا، وتكالبوا بقواتهم يحولون بيننا وبين أعدائك بخيلهم ورجلهم

وهذا ظلم ليس بعده ظلم وتعسف ليس دونه تعسف وتجبر لا نعلم دونه خسف.

٥ ـ وبعد أن أبوا علينا الجهاد، وحرموا علينا فريضة الإعداد، وأصبح السلاح في العالم العربي جريمة يؤخذ عليها بالنواصي والأقدام، ومن ألقي القبض عليه متلبسا بجريمة حمل السلاح شكلت له المحاكم العسكرية، وصفد بالأغلال والقيود، ووضع رهن التحقيق في غياهب الزنازين لا يرى شمسا ولا يراه النور، ولا يعلم عنه والد ولا ولد ولا صديق وفيّ ولاخل صفيّ.

وعندما أبينا أن نموت مستضعفين في الأرض تحت أقدام الطغاة، ونفضنا الذل عن عواتقنا، وخجلنا أن نرفع الشعارات البراقة والأمال العريضة ونحن في ذل العبيد، قررنا أن نهجر الأرض التي يحرم فيها الجهاد، ويعتبر جريمة موبقة رعناء.

وكما قال أبو الطيب:

إذا كنت ترضى أن تعيش بذلة — فلا تستعدن الحسام اليمانيا

ولا تستطيلن الرماح لغارة — ولا تستجيدن العتاق المذاكيا

فما ينفع الأسد الحياء من الطوى — ولاتتقى حتى تكون ضواريا

وإذا كان رب العزة سمى النسيء زيادة في الكفر (والنسيء تأخير حرمة شهر إلى شهر أخر) فماذا نسمي الذين يسمون الجهاد جريمة قانونية ويعلن عن عقوبات مرتكبيها في أجهزة الاعلام دون خشية ولا خجل ولا حياء ولا وجل؟!.

أليس الحكم الشرعي لهؤلاء أشد بكثير وأعظم جرما من أولئك الذين كانوا يراعون قداسة الأشهر الحرم ويرعون عدتها فلا يحلون في العدد، ولكن العرب ولشدة حماسهم للحرب وعدم صبرهم عن القتال والنزال كانوا يؤخرون حرمة محرم إلى صفر، إذ كان يقف كل عام في موسم الحج رجل من كنانة يقال له القلمس أو أخر اسمه أبو ثمامة (جنادة بن عوض بن أمية) فيقول : ألا إن أبا ثمامة لا يجاب ولا يعاب، ثم يقول : إني أخرت حرمة محرم إلى صفر [١].

إن تحريم الجهاد كفر يخرج من الملة، وإن محاربة اولياء الله ومطاردتهم في بلادهم، وإحصاء أنفاسهم، وعد نبضاتهم، وتكميم أفواههم عمل عظيم عند الله يؤدي إلى خراب البلاد وهلاك العباد.

ألم تر إلى قول ابي بكر رضي الله عنه : (أخرجوا نبيهم -إنا لله وإنا اليه راجعون- ليهلكن)، وهذا شأن الذين يخرجون أولياء الله والدعاة في سبيله : **(ومن عادى لي وليا فقد آذنته أو بارزته بالحرب)** البخاري [٢].

فماذا تحكم الشريعة الاسلامية على الذين يحرمون الجهاد، ويسمون الزنا فنا، والربا فائدة، والاسلام رجعية، والتمسك بدين الله تطرفا وانحرافا؟ اللهم ثبت، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك

اللهم لولا أنت ما اهتدينا — ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا — وثبت الاقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا — إذا أرادوا فتنة أبينا

اللهم إنك تعلم : إن الألى قد بغوا علينا، ونحن نأبى ان نعطي الدنية في ديننا، ولن نرضى الفتنة والكفر الذي يحاولون فرضه علينا.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب اليك.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣٥٦)

(٢) فتح الباري / ج ١١ / كتاب التواضع / برقم (٦٥٠٢) وهو مروي عن ابي هريرة.

عزيمة وتصميم[1]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره . . . وبعد :

إنه لم يكن يدور في خلدنا حينما فكرنا في الدخول إلى أفغانستان أن الحاجة ماسة للعرب كما اكتشفنا بعد دخولنا.

إن الذي كان يدور في أذهاننا من مقاصد الدخول ثلاثة أسباب رئيسة :

أولها : معرفة واقع الجهاد الأفغاني على حقيقته فوق أرض الواقع، ولنرى فعلا مدى مطابقة الصورة المرتسمة في عقولنا للواقع الفعلي. فأحببنا أن ندخل مجموعة من الشباب العرب تنقل لنا صدقا وحقا واقع الجهاد الأفغاني، وحال المجاهدين، وصلتهم بربهم، ومعرفتهم بدينهم، والتزامهم بالنوافل، وصفاء عقائدهم من البدع، وحاجة كل جبهة للطعام واللباس والدواء.

ثانيا : تسليم المساعدات الضئيلة القليلة يدا بيد للمجاهدين الذين لم يغادروا خنادقهم منذ احتدام القتال أيام تراقي ١٩٧٨.

ثالثا : إرواء ظمأ الشباب المتعطشين للقتال والمتشوقين للشهادة.

وسرنا على بركة الله، وبدأت مجموعات الاخوة العرب تفد إلى داخل أفغانستان، ثم اكتشفنا بعد أمة (مدة) أن هنالك أهدافا أكبر تنتظرالاخوة العرب قد لمسناها من خلال المعايشة مع الجهاد الأفغاني، والاختلاط بالمجاهدين أشهر وسنوات، أدركنا أن هنالك قضايا أخطر يحلها دخول العرب، ومشاكل أكبر مفتاح حلها بإذن الله بيد الناطقين بالضاد المتحمسين للجهاد.

ومن هذه القضايا الرئيسية :

١ ـ نقل الجهاد من قتال قوم ضد روسيا إلى جهاد اسلامي عالمي، وأن الجهاد ينتقل إلى صراع شديد بين العقيدة الاسلامية والعقيدة الشيوعية، وعندما يصبح الكفاح بين الأمة المسلمة وبين الأمة الشيوعية وحلف (وارسو).

٢ ـ رفع معنويات المجاهدين الأفغان التي تأثرت بطول الطريق وكثرة التضحيات، إذ أن مرور ثماني سنوات مع استمرار القصف فوق رؤوسهم، وسقوط الأب والأخ والعم شهداء، وأصبحت البنت مشوهة الوجه، وقطعت أرجل الاولاد وندت أعين الأخوات، كل هذا مع العوز الشديد والفقر المدقع، بحيث لا يجد المجاهد لقمة غذاء ولا قطعة كساء، كل هذا أثر على أعصاب المجاهدين وعلى معنوياتهم.

فكان لا بد من أياد حانية تمسح على جراحاتهم، وتسرّي على آلامهم، وتواسيهم في مآسيهم، وتشاركهم أفراحهم، وتعيش مشاكلهم.

٣ ـ تعليم المجاهدين : وهذا دور يمكن أن يقوم به العرب، إذ أن أماكن الدعاة في هذا المجال شاغرة ولا يسدها غيرهم، فقد استشهد معظم الدعاة الأوائل الذين ابتدأوا مسيرة الجهاد، وسقط كثير من العلماء شهداء أو هاجروا، ونشأ جيل من المجاهدين لا يعرف عن دينه إلا القليل، لأن المدرسة قد هدمت، والمسجد قد قصف، وغاب الوالد، ولم يسمع عن الاسلام شيئا فتح الجيل عينيه فوجد أفغانستان غارقة في بركة من الدم، لا يسمع إلا أزيز الرصاص ودوي المدافع وقصف الطائرات، ولا يرى إلا جثث الشهداء وأشلاء الأبرياء وأنهار الدماء . . . ولذا فليس عجيبا أن بعض الجبهات تنقل ميتها مسافة بعيدة للصلاة عليه لأنه ليس في الجبهة واحد يتقن صلاة الجنازة.

إن حاجة الجهاد الآن إلى الرجال الدعاة الحكماء أشد من حاجته إلى السلاح وإلى الأطباء والمهندسين والعسكريين وغيرهم من أصحاب الاختصاصات. إن الجهاد الأفغاني بحاجة شديدة إلى المال، ولكن حاجته للرجال أشد.

٤ ـ ايقاف سيل الهجرة المتدفق : لقد أصبحت الهجرة خطرا كبيرا يتهدد الجهاد الأفغاني، وللهجرة أسباب على رأسها : الفقر والخوف على الأعراض، وتدني المعنويات. فوجود العربي في داخل الخندق مع المجاهد الأفغاني يجعل الأفغاني يستبعد فكرة الهجرة من ذهنه، لأن أقصى ما يمكن أن يحلم به الأفغاني العادي أن يعمل سائقا أو حارساً في إحدى المؤسسات في دولة من دول البترول فعندما يجد ابن صاحب المؤسسة أو الشركة أو مدير الدائرة مرابطا معه في داخل الخندق فإنه يستحي أن يغادر بلاده ويترك العربي يحميها.

١ـ نشر في مجلة الجهاد ـ العدد الرابع والثلاثون ـ محرم ١٤٠٨هـ ، الموافق سبتمبر ١٩٨٧م.

وكم من القادة الكبار قد منعهم من الهجرة وجود شاب عربي غض الإهاب بجانبه.

٥ ـ تحريك القتال باستمرار ضد الروس : فإن العربي يأتي إلى أفغانستان متعطشا لدخول المعارك، ورؤية اللهيب، ومشاهدة النيران، وسماع صليل السلاح، فعندما يدخل فإنه لا يصبر عن مكابدة أهوال المعركة، وولوج نيرانها، ولذا يبقى يلح على قائد الجبهة بوجوب القيام بعمليات، ويصر عليه ويراجعه، ولا يفتأ صباح مساء يبدئ ويعيد في قضية المعارك حتى يدخل الأفغان في معركة ولو اضطرارا، وهذا مهم جدا لبقاء الكفار في ارتباك واضطراب لا يتوقف، مما ينهك قواهم، ويضاعف نفقاتهم وجنودهم وخسائرهم.

ولذا فلو استطعنا أن نستدرج روسيا ونضطرها إلى زيادة قواتها في داخل أفغانستان إلى نصف مليون جندي -وهذا نفس الرقم الذي استعملته أمريكا في فيتنام- فهذا يعني أن نفقات روسيا يوميا في أفغانستان ستصل إلى مائتين وخمسين مليون دولار، وهذا يعني كذلك أن روسيا ستدفع في أفغانستان بكل جنودها الاحتياطيين المعدين لآسيا، وهذا الرقم لا يتحمله الاتحاد السوفياتي، وليس من المتوقع أن ترتكب روسيا هذا الخطأ، ولكننا يجب أن نخطط لعمليات عسكرية قاصمة تضطر لمضاعفة قواتها وخسائرها، ولإضعاف إرادتها القتالية، واقناع الولايات الاسلامية في بخارى وطشقند بضعف روسيا أمام حرب العصابات طويلة الأمد.

٦ ـ مشاركة الطاقات الاسلامية في المعركة، وصهر جميع هذه الطاقات في بوتقة الجهاد المبارك الاسلامي في أفغانستان، وعلى رأسها الطاقات العسكرية والهندسية والاعلامية والطبية.

٧ ـ تقليل الاختلافات بين الجبهات، والتنسيق بينها في العمل، ثم توحيدها في النهاية.

مخاوف اليهود

تركنا الارض التي عشنا فيها، والمرابع التي درجنا عليها، وجئنا على بعد آلاف الأميال تلبية لنداء الله عزوجل، وأداء لشعيرة الجهاد، أتينا هنا إلى أفغانستان لنؤدي الفريضة التي ما استطعنا أن نؤديها في مكان آخر، فتابعنا سدنة الكفر وأئمة الشرك والظلم الذين يديرون الارض بإشارتهم، ويحركون كثيراً من أرجاء المعمورة بأناملهم، وصاروا يوغرون صدور الذين يدورون في فلكهم علينا، انتفض اليهود هلعا، وارتجفوا جزعا، وهم يرون تجمعا جديدا للشباب المسلم العربي فوق أرض أفغانستان ، وأخذ اليهود في أمريكا وفلسطين يحذرون من مغبة هذا التجمع، وصاروا يؤلبون علينا القاصي والداني، ويوغرون صدور الذين يمثلون مسرحية مطاردة المسلمين وخنق الشباب الصادقين فوق أرض رواها خيرة الصحابة بدمائهم خاصة في المناطق المخبّطة بفلسطين والمسجد الاقصى، وصار التشديد، ووضعت الحبال في أعناق الفتية النافرين في سبيل الله إيذاء للجهاد، وكل يوم يشدون عقدة ويضيقون الخناق.

صارت التأشيرة إلى باكستان أصعب من تأشيرة الدول البترولية، وقد كانت من قبل تعطى التاشيرة لأي قادم إليها في المطار، وما عهد من قبل لأي امرئ وصل مطار باكستان ورد خائبا، بل هناك تأشيرة سياحية لأي قادم مهما كانت ملته، ومهما اختلفت جهته التي أقبل منها.

وعلى الطريق إلى أفغانستان أعطيت التعليمات بعدم السماح لأي عربي أن يمر عبر بعض النقاط البوليسية، وصار الشباب يمتطون صهوات الجبال ويمشون ليتخطوا نقطة بوليسية فيها ضابط شديد أو عتل جبار عنيد.

مصارحة مع اليهود وأذنابهم :

إن اليهود يؤلبون العالم اليوم علينا، وبعد معركة جاجي الأخيرة وانتصار الأفغان نصرا مؤزرا في صد القوة الروسية، وكان للنصر الذي منّ الله على المؤمنين أسباب على رأسها وجود تجمع عربي صد خمس هجمات للكوماندوز الروسي، فبدأت إذاعة صوت بريطانيا (بي بي سي) تبدئ وتعيد بوجود تجمع عربي من المتطرفين دينيا، وقد كان لهم أثر في صد الروس.

والآن نحن نصارح اليهود وأذنابهم، والأمريكان وأشياعهم على أنه :

١ ـ لا يستطيع أحد في الأرض أن ينتزع حب الجهاد من أعماقنا، ولا أن يمنعنا حقنا في أداء هذه الفريضة، ولن يستطيع أحد أن يجتث حب الله ورسوله والجهاد في سبيله من حنايانا.

٢ ـ إن وجودنا في أفغانستان الآن –والذي هو أداء لفريضة الجهاد وعبادة القتال– لايعني أننا نسينا فلسطين.

فلسطين قلبنا النابض، وهي مقدّمة على أفغانستان في أذهاننا وقلبنا وفي مشاعرنا وعقيدتنا، هي الأرض المباركة التي ذكرها رب العزة في كتابه الكريم أربع مرات، وهي مهبط الوحي وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، هي مسرى نبينا –صلى الله عليه وسلم–، ولئن حيل بيننا وبين الجهاد في فلسطين بسبب القيود وحراس الحدود، ولئن منعنا من مزاولة عبادة القتال في أرض المسجد الأقصى إلى أمة (مدة) معدودة فهذا لا يعني أن أذهاننا قد انصرفت عن التفكير في فلسطين.

لن يهدأ لنا بال ولن يقر لنا قرار حتى نعود للجهاد في فلسطين.

إن أشباحنا في أفغانستان –وهذا فرض الله علينا–، ولكن أرواحنا تحوم فوق بيت المقدس، وإن أجسامنا في كابل –وهذا واجب علينا– ولكن أفئدتنا معلقة بالديار المباركة التي دنسها أحط خلق الله في دنيانا.

لقد آلينا على أنفسنا أن لا نتراجع ولا نتزعزع عن هذا الطريق الرباني الواصل بين كابل والقدس، وبإذن الله نحن قادمون مهما بعدت الشقة وطال الزمن وامتدت الطريق.

نحن نصارح اليهود وأعوانهم : أن الطريق واحدة، وأن الجهاد ممتد، وأن الشباب عزم عزمه أن لا يلين ولا يخضع – بإذن رب العالمين– .

٣ ـ هذه الفئة المؤمنة صممت على المسيرة مهما اعترضها من أشواك، ومهما واجهها من عقابيل، وهذه الفئة وقد عاهدت ربها على اختيار هذا الطريق المفروش بالأشلاء، والمروي بالدماء، وهي تضرع إلى الله عز وجل أن يثبت قلوبها وأقدامها، وأن ينزل السكينة عليها.

التصميم على الموت

هذه الفئة المؤمنة المجاهدة وطنت نفسها على الموت، وهي تعلم شرعا وعقلا : أن القتل برصاصة غادر فوق أرض باكستان من يد منافق أو من أنامل مشاقق حكمه كحكم الموت برصاصة من يد روسي على أرض كابل وعلى ذرى الهندوكوش، وهو نفس الحكم الشرعي للقتل برصاصة يهودي في فلسطين، ولا فرق بين رصاصة شيوعي في باكستان، ورصاصة شيوعي في أفغانستان، ورصاصة عميل لليهود أو للأمريكان، الكل قتل في سبيل الله، والكل شهادة، والكل رفعة ومجد وسؤدد في دنيا الناس، وإن شاء الله في الملأ الأعلى مادامت النية خالصة، والعزيمة منعقدة على بقاء راية الجهاد مرفوعة، وعلى مواصلة السير على هذا النهج الواضح والجادة المستقيمة، وفي الحديث الصحيح [1] (من وضع رجله في الركاب فاصلا فوقصته دابته فمات، أو لدغته هامة فمات، أو مات بأي حتف مات فهو شهيد)، وفي رواية أبي داود (وإن له الجنة)، فمهما كانت الميتة بعد الهجرة في سبيل الله فهي شهادة.

وقد سوى رب العزة بين القتل والموت في سبيله فقال عز وجل : {والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين. ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم} (الآيتان ٥٨ - ٥٩ الحج)

وقد حضر فضالة بن عبيد في البحر مع جنازتين أحدهما أصيب بمنجنيق والآخر توفي، فجلس فضالة عند قبر المتوفى، فقيل له : (تركت الشهيد فلم تجلس عنده)، فقال : (ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت)، ثم تلا الآية (والذين هاجروا . . .)[2].

ولم نر كرامة أنصع ولا تشريفا أرفع من كرامة الأخ يحي سنيور الذي قتل برصاصة غادر على يد شيوعي باكستاني على حدود أفغانستان، وقد بقي دم يحيى شهرين كاملين يعبق الشذى الطيب من الكتاب الذي ضمخه أثناء الشهادة.

وإذا قتلنا برصاص عملاء روسيا وأمريكا فلسنا بأفضل من –ذي النورين– ثالث الخلفاء الراشدين الذي استشهد في الشهر

---

١ ـ أخرجه أبو داود برقم (٢٤٩٩) من حديث أبي مالك الأشعري بلفظ . [من فصل في سبيل الله فمات أو قتل فهو شهيد أو وقصته فرسه أو بعيره أو لدغته هامة أو مات على فراشه أو بأي حتف شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة]، وكذلك أخرجه الحاكم وهو في صحيح الجامع برقم (٦٤١٣)

٢ ـ رواه ابن المبارك في كتاب الجهاد / ص ـ ٩٢ ورواه ابن كثير في التفسير (٣ ـ ٢٠١) ورواه ابن أبي حاتم ورواه ابن جرير بنحوه.

الحرام في البلد الحرام -مدينة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وهو يتلو القرآن الذي شرفه الله بجمعه. ولسنا أشرف من ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورابع الخلفاء الراشدين الذي كان مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- بمنزلة هارون من موسى، واغتالته يد عبدالرحمن بن ملجم الآثمة أثناء صلاته.

لقد اخترنا الموت طريقا للحياة : **(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)** (الآية ١٦٩ آل عمران).

نفى الهم عني همة وعزيمة	*وقلب على ما شئت منه مظاهر*
وأسمر مما ينبت الخط ذابل	*وأبيض مما تطبع الهند باتر*
ونفس لها في كل أرض لبانة	*وفي كل حي أسرة ومعاشر*
وقلب يقر الحرب وهو محارب	*وعزم يقيم الجسم وهو مسافر*
إذا لم أجد في كل فج عشيرة	*فإن الكرامة للكرام عشائر*

٤ - لن يستطيع أحد أن يمنعنا من دفع الصائل على أعراضنا، ولن تحرمنا قوة من الذود عن دمائنا، فدفع الصائل (الذي يتسلط بالقوة على النفوس والأعراض) حق مشروع لكل إنسان.

ودفع الصائل على العرض : فرض عين بإجماع الفقهاء، فقد أجمع الفقهاء على أن المرأة التي تخاف على عرضها يجب أن تدافع عن نفسها حتى تموت، ولا يجوز لها الاستسلام للأسر بحال من الأحوال، ووجوب دفع الصائل على النفس فرض عين عند جمهور الفقهاء.

وقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية جواز قتل الصائل على ماله ولو كان يبغي ثلاثة دراهم إذا لم تستطع دفعه إلا بالقتل، ولو كان الصائل مسلما مصليا صائما، فما بالك إذا كان روسيا أو يهوديا.

سنزاول حقنا الطبيعي، وسنؤدي فرضنا الرباني مهما كانت الظروف -إن شاء الله-

وكيف ينال المجد والجسم وادع	*وكيف يحاز الحمد والوفر وافر*

ولذا فإننا أخذنا على أنفسنا أن نواصل تحريضنا للشباب العربي بالقدوم إلى أرض الجهاد، وأن لا نتوقف في مسيرتنا نحمل أقصى ما يمكن أن نحتمله من أعباء الجهاد الأفغاني، وأن نبذل قصارى جهدنا في محاولة إعادة العلماء إلى داخل المعركة بكفالة أسرهم، وكذلك حفظ ماء وجوه القادة الذين يرابطون في الميدان منذ عشر سنوات نخلفهم في أسرهم بخير.

فقررنا أن نكفل القائد والعالم الأفغاني بمائتي ريال شهريا (ألف روبية). ونهيب بالمؤسسات الاسلامية والدعوات الربانية والمراكز الاسلامية في الغرب أن تفرغ مجموعة من أبنائها مع كفالتهم ليعملوا في أرض المعركة. ويقوموا بدورهم الكبير المنتظر.

إن الدور كبير والهمم قاصرة عن حمل التبعات وليس لها إلا تأييد رب العالمين الذي يقوي العزائم ويشد الهمم.

فيا أبناء العالم الاسلامي أفيقوا .. ويا شباب الحركات الإسلامية تنبهوا.

ويا أصحاب الدعوات الربانية استيقظوا، ويا موجهي المراكز الاسلامية اعملوا : **(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)** (الآية ١٠٥) التوبة.

(هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب) (الآية الأخيرة من سورة إبراهيم).

مسيرة شعب الإباء[1]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ... أما بعد :

يكاد المؤرخون يجمعون على أن أكثر شعب في القرون الثلاثة الأخيرة -إن لم يكن أكثر شعب في البشرية- ضحى لصون كرامته وحفظ عزته وحماية شرفه هو الشعب الأفغاني المسلم.

ويقف المرء مذهولا أمام هذه الظاهرة الفريدة، وينظر باعتزاز وإجلال مع الإغضاء والحياء أمام هذا الشعب الصامد المسلم، ويحسب أن هذه هي المرة الوحيدة في تاريخ هذا الشعب، ولا يعلم الكثيرون أن هذه هي المرة السابعة التي يهب هذا الشعب فيها للذود عن حياضه، وللدفاع عن دينه ومبادئه خلال قرنين من الزمان منذ بداية مسيرة أفغانستان الحديثة التي بدأت خطوها مع ظهور أحمد شاه بابا "دوراني"

إجمـــاع :

ويجمع المراقبون أن الجهاد الأفغاني خارقة من خوارق العصر أذهلت المؤرخين أن يفسروها، وحارت عقول المراقبين في فهمها، وكما قال الصحفي الكندي عندما رأى انتصار المجاهدين على الروس : (إنها حقائق ولكني لا أستطيع تفسيرها).

والحق أن هذا الثبات العجيب الذي دونه ثبوت الشم الرواسي، وهذا الصمود الذي يشبه الأساطير، والذي يحسبه القارئ من بعيد ضرباً من الخيال، تدركه الأشواق وتقصر دونه الأفعال. هذا الصبر والثبات محل إجماع من أولي الأحلام والنُهى أنها فريدة العصر وخريدة الدهر.

وقد كنت أتحدث مع فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز عن الجهاد فقال : ما كنا نظن أن هذا الشعب يصمد أمام الروس سبعة أيام فضلا عن أن يصبر سبع سنوات.

بروز أحمد شاه دوراني ١٧٤٧ - ١٧٧٣ :

اغتيل نادر شاه سنة ١٧٤٧، فبرز أحد أبناء قبائل الأبدالي وهو أحمد شاه وأعلن نفسه وصيا على حفيد نادر شاه المسمى (شاه رخ) وبدأ أحمد شاه يقود الأفغان ويحرر المدن، فحرر قندهار بأربعة آلاف، والتفت القبائل ونصبته أميرا وسمى نفسه (دره دوريان أي درة الدرر) ولذلك سمي الدوراني.

وانطلق أحمد شاه يوسع حدود مملكته، فانطلق نحو الغرب نحو خراسان، وأطاح ببقايا حكم الفرس القاجاري، ثم توسع نحو الشرق ووصل دلهي وأطاح بحكم المغول والهندوس، فأصبحت مملكته تمتد من نهر جيحون شمالا إلى بحر العرب جنوبا، ومن كشمير ودلهي شرقا إلى مشهد غربا، وسماه الشعب الأفغاني بالأب (بابا).

الانتفاضات التاريخية السبع:

لقد كان القتال ضد الروس سابع الانتفاضات التاريخية العريقة التي هب فيها الشعب المسلم الأفغاني للجهاد، وكانت هذه المسيرات مرتبة زمنيا حسب التفصيل :

١ ـ الانتفاضة الأولى :

الجهاد ضد الهندوس: على أثر ضعف الامبراطورية المغولية برز رجل هندوسي اسمه (سي و جيه) وهو أحد كهنتهم الروحيين. واتحد الهندوس مع السيخ تحت قيادة سي وجيه، ودخلوا دلهي، وأعملوا السفك والنهب في المسلمين، وأقاموا المجازر لهم.

استغاثة ولي الله :

وهنا كتب العالم الرباني (شاه ولي الله الدهلوي) إلى أحمد شاه دوراني أنك بإذن الله المرشح الوحيد لإنقاذ الهند من المجازر.

١- نشر في مجلة الجهاد - العدد الخامس والثلاثون - صفر ١٤٠٨هـ الموافق نوفمبر ١٩٨٧م.

وتخليص المسلمين من الإبادة.

وهب أحمد شاه دوراني كالليث الهزبر لحماية المسلمين في الهند، واستنفر الناس، وجمع سبعين ألفا من قندهار، وافتتح بيشاور، ثم توجه إلى لاهور ورضخت له، ثم انطلق إلى دلهي (دهلي) والتقى بالهندوس في (باني بات) ١٤ كم عن دلهي، وعدد الكفار ثلاثمائة ألف، ودارت رحى معركة طاحنة وحرب ضروس أسفرت بعد ثلاثة أيام عن هزيمة الهندوس بعد أن خلفوا وراءهم جثث مائة وعشرين ألفا مجندلين بدمائهم بضربات الأيدي المتوضئة.

أتتهم خوارق الأرض مـــا *تحمل إلا الحديد والأبطـــالا*
خافيات الألوان قد نسج النـ *ـقـــــع عليها براقعاً وجلالا*

وسقط خمسة عشر ألف شهيد ضمخوا الثرى الطيب بدمائهم، وأضحى تيمور شاه ابن أحمد شاه بابا أمير لاهور.

ـ الانتفاضة الثانية :

على يد دوست محمد ضد السيخ : قد ذكرنا فيما تقدم انتصار أحمد شاه على جيش المهراجا الهندي الانتصار الساحق سنة ١٧٦١، وبقي يحكم هذه الامبراطورية المترامية الاطراف حتى توفي سنة ١٧٧٣.

وتولى الحكم بعده ابنه تيمور شاه الذي حكم عشرين عاماً من ١٧٧٣ - ١٧٩٣، وقد نقل العاصمة إلى كابل فأصبحت العاصمة الصيفية، وصارت بيشاور العاصمة الشتوية.

وبعد وفاة تيمور شاه سنة ١٧٩٣ بدأت دولته المترامية الأطراف تتفتت بسبب الخلافات التي دبت بين أبنائه :

وتفرقوا شيعا فكل محلة *فيها أمير المؤمنين ومنبر*

ولم تنته الخلافات إلا بعد أن أودت بمعظم الأمراء أبناء تيمور شاه، فسقطوا قتلى المعارك الداخلية، وانتهى حكم الأسرة الدورانية، وانتقل الحكم إلى عائلة جديدة هي : (البركزاي : محمد زاي).

وبدأ الأعداء من كل جانب يتناوشون دولة تيمور شاه الواسعة، فتقدم حاكم بخارى واحتل مدينة بلخ واحتل السيخ تحت قيادة (رانجي سنغ) مقاطعات الحدود وكشمير، وسقطت بيشاور بأيديهم سنة ١٨٣٤، واستقلت السند وبلوشستان من حكم أفغانستان.

وكان أبرز أبناء العائلة الجديدة المالكة (البراكزاي دوست محمد) الذي لم يبق بيده سوى كابل وغزني وجلال آباد.

فعندما سقطت بيشاور بيد السيخ بدأ يفكر باسترجاعها، وأعلن النفير العام ضد السيخ، ورفع راية الجهاد، وتقدم حتى وصل بيشاور، ولكن(رانجي سنغ) زعيم السيخ استطاع أن يبث بذور الفتنة داخل صفوف الجيش الأفغاني المتقدم، ورجع الجيش دون أن يعمل شيئا.

٣ ـ النفير العام الثالث سنة ١٨٣٦ :

عاد دوست محمد عن أبواب بيشاور خائبا، ولكنه بعد عام نظم جيشه وتحت ضغط الشعب الافغاني الذي قام بسبب المذابح التي جرت للمسلمين في بيشاور، وسار الجيش الافغاني تحت قيادة (وزير محمد اكبر خان) الابن الاكبر لدوست محمد، والتقى الجيشان في جمرود/ بيشاور، وكان قائد السيخ ابن (رانجي سنغ)، واستطاع (وزير محمد أكبر خان) أن يقتل قائد السيخ، ولاذ السيخ بالفرار، وانتصر المسلمون.

٤ ـ الانتفاضة الرابعة :

الحرب ضد بريطانيا سنة ١٨٣٨-١٨٤٢ : كانت بريطانيا تخشى من اتصالات نابليون مع الكسندر الأول (قيصر روسيا) محاولة منهما لدخول الهند التي تحكمها بريطانيا عن طريق أفغانستان وايران، ووصلت أول بعثة بريطانية إلى بيشاور سنة ١٨٠٩ بقيادة (الفنجستون) وعقد معاهدة دفاع مع (شاه شجاع) احد أبناء تيمور شاه، ثم فقد شاه شجاع ملكه فلجأ إلى البريطانيين في الهند، وفي سنة ١٨٣٩ احتل الجيش البريطاني كابل وقندهار، وأوعز المعتمد البريطاني في الهند (أوكلاند) بإعادة شاه شجاع ملكا على أفغانستان، وجاءوا به من الهند عن طريق كويتا، وتوجوه ملكا في مسجد احمد شاه في قندهار، واحتلت بريطانيا غزني وكابل،

ونقلوا عاصمة شاه إلى كابل، وفر دوست محمد من كابل.

وأبى الشعب المسلم الأفغاني الاحتلال، ورفض أن يفرض عليه ملك من قبل الانجليز.

بئس الحياة إذا الطاغوت عبدنا   وجر أيامنا صغرا مرائينا

وانتفض الشعب، وقاموا على ملكهم العميل وقتلوه في عملية جريئة في شوارع كابل والجنود يحملونه على أكتافهم، فقتله أحد المجاهدين واسمه شجاع دولة، وأعلن أختر خان الجهاد ضد بريطانيا وعاد دوست محمد مع ابنه (وزير محمد أكبر خان) يقاتلان ضد الانجليز مع الشعب المسلم، ووقعت معركة (بافانداراش) في ٢تشرين الثاني سنة ١٨٤٠، وانتصر دوست محمد في اليوم الأول، ثم هزم في اليوم الثاني، فأسرته بريطانيا وأخذته إلى كلكته، وبقي ابنه أكبر خان يقاتل، وجرت مفاوضات بين أكبر خان وبين (ماكنتون) ممثل بريطانيا، فقطع أكبر خان رأس ماكنتون بالسيف أثناء المفاوضات.

وعلى أثر ذلك قررت بريطانيا الانسحاب في ١٨٤٢/١/٦ وكان عددهم أربعة آلاف بريطاني وهندي وسلك البريطانيون طريق وادي (جك دلك) بين كابل وجلال آباد، وأعمل المجاهدون فيهم السيف، حتى إذا وصلوا (جن دوماك) كان قد بقي آخر جندي من الجيش وهو (الدكتور برايدون) الذي كان الناجي الوحيد ليخبر قومه مغبة الاصطدام بجنود الاسلام.

وكان القائد العسكري للجيش البريطاني (الفنجستون) الذي هزم نابليون في معركة واترلو سنة ١٨١٥، فأسره أكبر خان وسجنه في غرفة في (جك دلك)، ومات في السجن رهن القيود، وكذلك قتل من الانجليز (ألكسندر بورنز).

وكان أبرز قادة الجهاد في هذه الحرب (وزير محمد أكبر خان) و (سردار أحمد خان) و (مير مسجدي خان) و (نواب محمد زمان خان) و (نائب أمين الله لوكري) و (أختر خان).

٥ ـ النفير الخامس :

وكان هذا يمثل الفترة الثانية في الجهاد ضد الانجليز، فقد حاول الانجليز أن يرجعوا إلى كابل في صيف نفس العام سنة ١٨٤٢، إلا ان المعتمد في الهند (ايلينبورغ) أمر بسحب الجيش البريطاني، وأمر بإعادة (دوست محمد) ليكون ملك أفغانستان بعد أن أملوا عليه السياسة التي ينهج.

عاد دوست محمد سنة ١٨٤٣ إلى كابل، وامتد حكمه حتى سنة ١٨٦٣، وخلال هذه الفترة أعاد قندهار وهرات وبلخ إلى قبضته وتحت سيطرته، وبعد عودة دوست محمد قتل ابنه (وزير أكبر خان) المجاهد بطريقة غامضة، ويشير كثير من المؤرخين بأصابع الاتهام إلى أبيه أنه قد قتله بالسم.

ثم جاء بعد دوست محمد ابنه (شير علي خان)، وحكم أفغانستان سنة ١٨٦٣ - ١٨٦٦، ثم أقصي عن الحكم، ثم عاد وحكم البلاد من سنة ١٨٦٩ - ١٨٧٩.

وكان سبب هذه الحرب مع الانجليز : أن بريطانيا هلعت وهي ترى روسيا تحتل طشقند وخوارزم وتصل إلى نهر جيحون، وأرسلت روسيا بعثة عسكرية برئاسة الجنرال ليتوف الذي وصل إلى كابل وعقد معاهدة مع شير علي.

وهنا أرسلت بريطانيا بعثة لتقابل شير علي فمنعت من دخول أفغانستان، وهنا اقتحم اللورد روبرتس أفغانستان ودخلها من الممرات الثلاثة الشهيرة في كانون الأول سنة ١٨٧٩، وأعلن العالم الرباني (مسك عالم : دين محمد) من غزني الجهاد ضد بريطانيا، وكان القادة العسكريون : محمد جان من وردك وكان في جبهة كابل، وجنرال محمد كريم خان وعبر بجاخان في بجرام، وعصمت الله خان في لغمان وتجاب.

وعندما دخل الانجليز هرب شير علي خان إلى مزار شريف وطلب النجدة من روسيا فرفضت، وخلف وراءه ابنه يعقوب خان في كابل.

ووقعت بريطانيا في ٢٦ مايو ١٨٧٩ معاهدة مع أفغانستان، وأرسلت بعثة دائمة إلى كابل تشرف على السياسة الخارجية في أفغانستان وفي ٣ سبتمبر سنة ١٨٧٩ أباد الشعب الأفغاني جميع أفراد البعثة في قلعة بالاحصار.

ولكن بريطانيا أرسلت قوات أخرى واحتلت كابل، وألقت القبض على يعقوب وأرسلته إلى الهند ومات فيها سنة ١٩٢٣.

وسكتت بريطانيا في كابل ١٨٧٩ – ١٨٨٠، ثم اضطرت للدخول في مفاوضات مع الأمير عبدالرحمن حفيد (دوست محمد)، ثم بدأت بالاستعداد للانسحاب، نجاءتها الأخبار أن أيوب خان (أخا يعقوب خان) قد أباد حامية بريطانية في (ميوند) بالقرب من قندهار، فأرسلت عشرة آلاف جندي إلى قندهار وهزموا أيوب خان .

وفي أيام عبدالرحمن خان ١٨٩٣ جاء (ديوراند) البريطاني على رأس بعثة وخطط الحدود الشرقية والجنوبية التي تفصل أفغانستان عن الهند وسمى خط الحدود (بخط ديوراند).

٦ ـ الانتفاضة السادسة :

على يد أمان الله خان ضد بريطانيا : اذ أن أمان الله خان بعد اعتلائه العرش سنة ١٩١٩ أرسل رسالة إلى المعتمد البريطاني في الهند يخبره فيها استقلال أفغانستان داخليا وخارجيا، فتجاهلت بريطانيا الرسالة، وردت بضرورة استمرار الوضع بين بريطانيا وأفغانستان كما هو، فأعلن أمان الله النفير العام ضد بريطانيا، وسلم قيادة الجيش لنادر شاه، وقد كانت هنالك ثلاث جبهات :

أ ـ جبهة قندهار : قائدها سردار عبدالقدوس.

ب ـ جبهة جلال أباد : قائدها جنرال صالح محمد خان.

وكان قائد المدفعية معه عبدالقيوم البغماني، واستطاعوا بعون الله هزيمة بريطانيا، ودخل نادر شاه مع عبدالقيوم الحدود الهندية، واحتلوا مدينة تل، وخشيت بريطانيا أن يثير الأفغان الجهاد العام ضد بريطانيا، وبدأت ترتعد أن يقوم الشعب الهندي المسلم بانتفاضة اسلامية ضدها مع اخوانه الافغان.

وهنا اعلن تشرشل من لندن استقلال أفغانستان، وفي ٨ أغسطس ١٩١٩ وقعت اتفاقية راولبندي التي اعترف فيها الإنجليز باستقلال أفغانستان التام.

٧ ـ وكانت الانتفاضة السابعة :

أن أعلنت الحركة الاسلامية جهادها المسلح ضد داود سنة ١٩٧٥، وكان على رأس الحركة آنذاك (رباني وسياف و حكمتيار)، ثم كان الجهاد العام والنفير الكبير بعد الانقلاب الشيوعي السافر الذي جاء بتراقي إلى الحكم في ٢٧ نيسان سنة ١٩٧٨، وقد أعلنه العلماء وانضموا وراء ركب الحركة الاسلامية الذي سبقهم إلى الميدان بثلاث سنوات.

٨ ـ وهنالك الانتفاضات المباركة ضد الملوك الذين حاولوا سلخ أفغانستان عن دينها، وتمييع الولاء والبراء في عقيدتها، واجتثاث العقيدة الاسلامية تدريجيا من أعماق الشعب المسلم باسم حركات الإصلاح والتحرير والتقدم والتغيير والتنوير.

وقد حاول الملك حبيب الله خان (١٩٠١ – ١٩١٩) أن يمسح القيم ويروض الشعب بقبول الكفر تدريجيا، ولكن موجة السخط العام لدى الشعب أدت إلى تململه، مما حدا بأحد المسلمين أن يردي الملك قتيلا بالرصاص في ٢٠ فبراير ١٩١٩. وبعد قتل حبيب الله تولى ابنه أمان الله حكم أفغانستان من ١٩١٩ – ١٩٢٩ ولم يكن له في قصة أبيه عبرة، ولم يتعظ بما جرى لأبيه، وكان رجلا علمانيا يريد أن يجر أفغانستان إلى مهاوي الردى وشعاب الهلاك باسم التطوير كذلك، وكان متعجلا يريد أن يقلبها دولة غربية دون مراعاة لدين أو تقاليد أو أوضاع اجتماعية وتاريخية، وأخذ الملك يسخر برجال الدين ويزدري بهم ويستخف بتمسكهم، ولا يعبأ بهم، ويطلق النكات في مجالسه العامة عليهم، وهذا أثار حفيظة العلماء عليه، فأوغروا صدور القبائل، فثارت قبائل البشتون وتقدمت نحو كابل سنة ١٩٢٤، ولكنه استعمل الطيران ضدهم فأوقفهم، وفي سنة ١٩٢٨ قام الملك مع حاشيته برحلة طويلة زار فيها الهند ومصر وإيطاليا وفرنسا وألمانيا وانجلترا وروسيا، وفي طريق عودته عرج على تركيا وايران.

ورجع الملك متحمسا جدا لسلخ أفغانستان عن دينها، فكتب القرارات الملكية التي تقضي بوجوب ارتداء الزي الغربي (للنساء والرجال)، وعلقت المنشورات بهذا الاماكن العامة، وهنا أعلن العلماء كفر الملك ووجوب الجهاد ضده، فثارت قبيلة (شنواري) واحتلت جلال آباد واندلعت الثورة ضد الملك في ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٨، وما هدأت إلا بعد أن أطاحت بعرش أمان الله في ٤ يناير سنة ١٩٢٩.

والآن : مضى على الشرارة الأولى التي انطلقت ضد داود سنة ١٩٧٥، واستمرار المعركة إلى أيام تراقي حيث اندلع الجهاد في كل أفغانستان إلى يومنا هذا ثلاثة عشر عاما، والحمد لله فالمجاهدون منتصرون وصامدون.

فهل يكون الجهاد الأفغاني بداية التحول التاريخي للاسلام؟ أم هل يكون الجهاد الأفغاني بداية تحول تاريخ العالم أجمع؟.

نحن نرجو من الله هذا، ونحسب أن ذلك كائن – والله أعلم–

(ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا) (الإسراء: ٥١).

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك.

مصانع الأبطال[1]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.. أما بعد : فإن للأم دوراً كبيراً في بناء الجيل، ويقدر النجاح الذي تحققه في تربية الأم يكون النجاح الذي تحرزه في بناء الأمة وصناعة الأبطال، وكثيراً ما تجد وراء أحد العظماء امرأة عظيمة تركت بصمات نفسها الكبيرة بارزة في شخصيته من خلال اللبن الذي رضع، ومن خلال دفء الحضن الذي فيه رتع، وكثير من الرجال يصعب عليه أن يمسح من ذهنه تلك الصور المشرقة التي التقطها لأمه، فيقف وفي ذهنه تلك الصور الرائعة التي جرت في عروقه منذ حداثة سنه، فلا يملك إلا أن يتمثلها بإكبار، أو يتملاها بإجلال وافتخار، ثم تندفع الكلمات البسيطة الواضحة التي أودعتها أمه كيانه فتشمخ معالم في طريقه، ومنارة على جادته، ولا يستطيع إلا أن يتفيأ الظلال الوارفة التي أقامتها له الأم على طريق العمر الطويل، تغذيها المشاعر الجميلة، وتتفاعل معها الأيام الخالدة في حياته، فتشتجر هذه العوامل في كيانه، وتكون جزءاً لا يتجزأ من شخصيته، ولا يستطيع أن ينسلخ منها إلا إذا انسلخ من إنسانيته، وتجرد من بشريته.

ولذا كان الحفاظ على هذا الود ومقابلة هذا الجميل بالوفاء والبر فريضة من فرائض الإسلام مقرونة بكلمة التوحيد : **{وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا}** (الآية ٢٣ الإسراء).

ويعتبر العقوق قريناً للكفر، ويحتل احترام الأم منزلة رفيعة في سلم الإسلام، وله ثقل كبير في ميزانه، وفي الصحيح[2] جاء رجل إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال : **(يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال : أمك، قال : ثم أي؟ قال: أمك، قال : ثم أي؟ قال : أمك، قال : ثم أي؟ قال: أبوك).**

قلت ذات مرة لإبراهيم الأخضر –إمام الحرم المكي– لماذا تحرم الناس من صوتك الندي الذي يتجمع عليه المسلمون من كل مكان؟ وكيف تطلب العودة إلى المدينة وبعض الناس يقولون : لكأنما نسمع القرآن يتنزل من السماء غضاً طرياً ونحن وراء إبراهيم الأخضر؟.

فقال : إن ذخري في الحياة جدتي ووالدتي، ولابد من الوفاء بعهدهما، والقيام ببرهما، ولا يقوم أحد بهذا غيري، فقلت لماذا لا تأتي جدتك هنا؟ فقال : إنها ترفض أن تغادر المدينة خوفاً من أن تموت خارج المدينة، وأمنية الحياة الغالية عندها أن تدفن في البقيع، وفعلاً ترك إبراهيم الحرم المكي وعاد ليؤم في مسجد صغير في المدينة ملتزماً الجنة عند قدمي أمه وجدته.

ولقد أوصى الإسلام بتربية البنت وتأديبها وتعليمها لتكون حرزاً (ستراً) لأبيها من النار، وصدق الشاعر :

الأم مدرسة إذا أعددتها   أعددت شعباً طيب الأعراق

وفي أفغانستان المسلمة نماذج رفيعة من الأمهات، سواء من داخل أفغانستان أو من العالم الإسلامي، نتعرف عليها من خلال الرسائل التي تردنا عبر بريد مجلة الجهاد، ومن خلال هذه النماذج فاطمة أم فيصل المكية.

فلقد كانت فاطمة أم الأولاد الستة تحلم أن ترى ابنها فيصلاً يحظى بفتاة أحلامه وتفرح بابنها قبل أن تخطفها يد المنون، إذ أنها تدلف إلى جدثها بخطى حثيثة بعد أن بلغت السبعين، واشترت لابنها الصغير –الراصد الجوي– أثاث العرس، ولم يبق من أبنائها غيره ممن لم يكمل نصف دينه الآخر.

١- نشر في مجلة الجهاد – العدد السادس والثلاثون – ربيع الأول ١٤٠٨هـ الموافق نوفمبر ١٩٨٧م.

(٢) الحديث متفق عليه عن أبي هريرة. فتح الباري /ج١٠/ كتاب الأدب/ باب (٢) برقم (٥٩٧١). شرح النووي /ج ١٦/ كتاب البر والصلة/ ص ١٠٢.

كانت فاطمة تعيش مع ابنها فيصل في شقته الهادئة على شاطئ البحر الأحمر في جدة، وتنتظر اليوم الذي تختم فيه فرحها بأصغر أبنائها، ولقد كانت تفخر بابنها الذي طالما تباهت برؤية صورته على شاشة التلفاز يقدم مسرحياته للجمهور.

ولكنها خلال الأشهر الأخيرة صارت تلمح على قسمات وجه ابنها تغيراً وسهوماً ووجوماً وصمتاً، وغابت تلك الابتسامة المشرقة التي كانت لا تفارق شفتيه هناك شيء جديد جاد يعتمل في أعماقه يشغله، وهي تلاحظ عليه شروداً، ولم تعد تلك الأحاديث التي كان يفاتحها بها عن أمانيه وأحلامه، واختفت من أنظاره بهارج الحياة وزخارفها، واضطرت أن تقتحم عليه عزلته ووحشته متسائلة : ماذا عساه دهاك يا حبيبي فأشغلك عنا وعن الحياة الوادعة الآنسة حولك؟

وهنا فاتحها بما يكنه بين جوانحه، لقد قرأت كتاباً عن الجهاد الأفغاني اسمه : (آيات الرحمن في جهاد الأفغان) يتكلم عن قضية خطيرة كبيرة في حياة المسلمين وهي قضية الجهاد التي ليست مسطرة في سطور، بل حقائق متمثلة في دنيا الواقع، يخوضها شعب أعزل أمام العملاق الكبير -الاتحاد السوفياتي وحلف وارسو-.

وبدأت الأسئلة تنثال على لسانها : وأين (أفغانستان) هذه من الأرض؟ فأجاب : إنها بلد مسلم يعيش فيه شعب رفض أن يعطي الدنية في دينه، ويدفع ضريبة عزته غالية باهظة، فهناك على سفوح الهندوكوش وعلى ضفاف الهلمند وفي سهول هرات يسقط شهيد كل أربع دقائق، ويغادر شيخ أو امرأة منزله كل دقيقة.

يستعذبون مناياهم كأنهم ... لا يخرجون من الدنيا إذا قتلوا

قالت : ولكن هذه البلاد جد بعيدة، فأجابها : أو لسنا المسلمين؟ أو ليست أرض الإسلام كالبقعة الواحدة؟

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم ... لأية أرض أو لأي مكـــــــــان

وطفق فيصل يرتب نفسه ويعد للأمر عدته، ويتخذ له أهبته، وفاض الغرام واحترق الكبد من الشوق وزاد الشجي، وإذا به ذات يوم يحضر سيارة كبيرة من السوق ويضع جميع أمتعته رياش العرس وفراش الزواج وأثاثه، ولم يبق في البيت كرسياً ولا أريكة، وانطلق إلى سوق الحراج وطلب من السمسار أن ينادي عليها بالبيع، وصاح الدلال فقال قائل هي علي بثلاثة آلاف فلم يتردد عن الإجابة بالقبول، وباعها بهذا الثمن البخس بعد أن دفع ثمنها سبعة عشر ألفاً.

لقد كان بيع الأثاث إعلاناً صارخاً عن العزم الوامض والتصميم الحاسم على طلاق الدنيا ثلاثاً لا رجعة فيها.

وتعلقت أمه به، لا بد أن أرافقك مسيرة طريق العرق والدماء، ولا بد أن أسير فوق جادة الجهاد رغم الأشواك والعقبات واللأواء والسغوب والنوى.

ويعجب فيصل : وهل لمثلك دور في هذا الدرب المضني؟ سيما وقد نيفت على السبعين، وثقل اللحم، وقد لحب الجنبان واحدودب الظهر.

وتجيب الأم : نعم أستطيع أن أغسل ثياب المجاهدين وأن أطبخ طعامهم.

وصار النقاش يشغل قسماً من الوقت في مجيئها أو بقائها في بيتها، ووعدها فيصل أن يأتي لمعرفة الدور الذي يمكنها القيام به في أرض الجهاد ثم يرجع إليها.

وجاء فيصل فترة ثم عاد ليرتب أموره نهائياً ويستقيل من وظيفته، ويخلص بنفسه إلى الله، وينسلخ من دنياه التي يعيش فيها نهائياً وتصر الوالدة على القدوم إلى أرض الجهاد، وقدمت فاطمة إلى بيشاور، وزارت الأرامل والأيتام، وحاول ابنها أن تعود إلى جدة، وبعد جهد جهيد توصلا إلى قبول تحكيمي، فقالت له : لن أرجع حتى أسأل الشيخ عبد الله عزام.

وجاء فيصل بأمه لتطمئن إلى جواز رجوعها إلى جدة، وإلى الحكم الشرعي أن الله يعذرها بالعودة، فأفتيتها بجواز رجوعها، فغادرت وهي مطمئنة أنها من أصحاب الأعذار.

نظرت إلى هذه العجوز بإكبار وانبهار، ثم قلت في نفسي أنها مكية، ولعلها قرشية، فلا غرو في هذا، فقد قال -صلى الله عليه وسلم- : **(خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده)** متفق عليه (١).

---

(١) شرح النووي /ج ١٦/ ص – ٨١ وهو عن أبي هريرة بلفظ "... صالح نساء قريش...".

إنها تريد أن تسير على نهج أم حرام بنت ملحان زوج عبادة بن الصامت حيث نام -صلى الله عليه وسلم- في بيت عبادة فاستيقظ وهو يضحك، فقالت أم حرام (**ما يضحكك يا رسول الله؟ قال : ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة، فقالت : (يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، فركبت أم حرام بنت ملحان البحر في زمن معاوية فصرعت عن دابتها فهلكت)** رواه مسلم [1].

تريد فاطمة أن تنسج على منوال أم سليط التي كانت تنقل قرب الماء يوم أحد/البخاري [2]، وتود أن تلحق بالربيع بنت معوّذ رضي الله عنها التي قالت (كنا نغزو مع النبي -صلى الله عليه وسلم- فنسقي القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة) البخاري [3].

نموذج فقط :

وليست القصة هي قصة فاطمة -أم فيصل- وحدها، ولكنها قصة الكثيرات اللواتي يتقلبن على اللظى شوقاً لرؤية الجهاد، وتحلم كل واحدة منهن بفتى أحلامها أن يكون ممن يمتشقون السلاح ويمتطون صهوات الجياد ويحيون في قمم الجبال.

الرسائل :

وكم من الرسائل ترد إلينا من فتيات جامعيات أو معلمات ومن جميع الطبقات أنها تود أن تحظى بمحرم يحضرها إلى أرض البطولات، أما وقد يئست أن تجد من محارمها في النسب فلا عدمت أن تجد المحرم الأخير وهو الزوج.

هذه أم سعيد الجزائرية :

يستأذنها ابنها في الجهاد فتقول له : أنت خريج الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وتعلم الشرع أكثر مني، فأي أمر شرعي فلا تستأذني فيه، أما بالنسبة للجهاد فقد قام الجهاد في الجزائر ولم يكن عندي أولاد، وكنت أتمنى أن يكون لي أولاد أقدمهم في هذا السبيل. والآن فقد رزقني الله أحد عشر ولداً فلا بد أن أقدم بعضهم في سبيل الله.

وأرسلت سعيد وعبد الرحيم إلى الجهاد بعد أن دعت لهما حول الكعبة بالشهادة.

إنها ليست قصة فاطمة ولكنها قصة عشرات الألوف من الفواطم اللواتي ولدن في هذا الدين الذي لن يعقم أن يقدم النماذج عبر الأجيال.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

هكذا علمني الجهاد [4]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد :

فلم يعد خافيا على ذي بصيرة أن الجهاد الاسلامي في أفغانستان أصبح مدرسة فذة يتتلمذ فيها العالم الاسلامي أجمع .

وقد شرفني الله أن أكون بين التلاميذ الذين ينهلون من معين هذا الجهاد، ويتربون على مائدته، وأستطيع بعد ست سنوات متواصلة من هذا الشرف العظيم أن أسجل على عجل وبخطوط عريضة بارزة القواعد الكبرى التي خلصتُ إليها من أفغانستان وفلسطين، فأقول :

أولا : إن عقيدة القدر لا يمكن أن تتجلى واضحة في النفس البشرية في ميدان أكثر منه في ساحة الجهاد، ولا يمكن أن تتمثل عقيدة التوكل على رب العالمين حية بمثل أرض القتال وميدان النزال، وخاصة في قضيتي الأجل والرزق اللتين تمثلان أعظم عمودين في الحياة البشرية، وقد سطرت هذه العقيدة في صحفات الكتاب العزيز بآيات محكمات {**وماكان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا**

---

(١) الحديث متفق عليه عن أنس بن مالك فتح الباري /ج٦/ باب ٨، برقم (٢٨٠٠)، شرح النووي /ج ١٢/ ص ٥٧.

(٢) فتح الباري /ج٦/ باب (٦٦) برقم (٢٨٨١).

(٣) فتح الباري /ج٦/ باب (٦٨) برقم (٢٨٨٢).

(٤) نشر في مجلة الجهاد - العدد السابع والثلاثون - ربيع الثاني ١٤٠٨هـ الموافق ديسمبر ١٩٨٧م.

مؤجلا} (آل عمران : ١٤٤)، {وفي السماء رزقكم وما توعدون} (الذاريات :٢٢) .

والناس يوحدون الله بهذه العقيدة (عقيدة الأجل والرزق)، توحيد ربوبية (التوحيد العلمي)، ولكن النقلة البعيدة من توحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية (التوحيد العملي)، فهذا الذي يتكفل الجهاد به بتحويل الكلمات إلى توكل يتمثل في مواقف فريدة يخاطر فيها على النفس والمال والحياة، وعندها يصبح المؤمن جبلا راسيا تهتز الأرض كلها دون أن يميد أو يتأرجح .

وقد رأينا هذا من خلال النماذج التي تتسابق على الموت وتبكي حين تمنع من دخول المعارك في أرض أفغانستان، ويعبر عنه صفي الله أفضلي الذي مكث ثماني سنوات لا يدخل معركة إلا في الصفوف الأولى، فراجعه المجاهدون في هذا فقال : ألم يقل الله عز وجل {فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون} (النحل٦١)

وتوضحه كلمة سيد علاء الدين "قائد في ميمنة / فارياب " (جنك نيست خواب نمشا) أي (لايمكن النوم بدون الجهاد).

يلذ لأذني سماع الصليل ويبهج نفسي مسيل الدما

وأما الرزق فإنك تعجب من توكل الأفغان بشأنه، فقد قال لي سياف ذات مرة : (أجلس أحيانا لأنظم مساعدة الجبهات وتأمين طعامها فينحسر تفكيري وأقف حائراً أمام معضلة لا أستطيع حلها، فاتركها لرب العالمين يدبرها ويرتبها)، وعقيدة التوكل على الله التي بناها الجهاد الأفغاني تريد أمريكا أن تزعزعها في قلوب المسلمين، فتصور نفسها وصية على الجهاد .

العقدة الكبرى : إن أكبر عقدة في حياة الدعاة هي عقدة الخوف (الخوف على الرزق والأجل)، فإذا انحلت هذه العقدة انحلت العقد كلها، وفي هذه الأيام أصبحت عقدة المخابرات هي العقدة التي أحالت الدعوة والحركة إلى إشارات خفية وألغاز معماة سرية، وذلك لأن المخابرات يمثلون شبحاً رهيباً يطارد الدعاة في سباتهم، ويقض عليهم مضاجعهم وذلك خوفا على رزقهم أو أجلهم. والجهاد : تحرر من جميع العقد، والحمد لله لقد منّ الله علينا بالتحرر من هذه العقدة، فعندما يقولون لي : فلان من المخابرات فكأنما يقولون لي: أبو تمام مدح المعتصم، أي لم تعد تثير فيّ اهتماماً ولا تحرك في أعماقنا أية مخاوف .

ثانيا : العزة : ومما علمني الجهاد أن المسلم أعز مخلوق في الأرض إذا كان مجاهدا، لأن أعز ما يملك المرء هي الروح، وهو يخاطر بروحه ويعرضها كل يوم على خالقها ليتسلمها، فكيف يمكن لهذا الانسان أن يحني هامته أو يذل عنقه لإنسان، وصدق الله العظيم : {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين} آل عمران (١٣٩).

والعز في صهوات الخيل مركبه والمجد ينتجه الاسراء والسهـــر

وقد علمني هذا الدرس ذلك الشيخ الأفغاني في مخيم ناصرباغ عندما تقدم نيكسون ليصافحه، فقال : لا أصافحه – وإن كان رئيسا لأمريكا – لأنه كافر .

وكذلك علمني إياه حكمت يار عندما رفض أن يقابل ريغان رغم أن ريغان هو الذي طلب مقابلته .

ثالثا : حقارة الحياة وصغرها في نظر المجاهد كما جاء في الحديث الصحيح [1] **(لوكانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء)**، وهذا يتفق مع نفسية المجاهد وارتفاع اهتماماته وعلو مكانه وهو ذروة سنام الاسلام، فهو ينظر إلى الأرض ومن عليها فتبدو صغيرة ضئيلة في نظره .

يقول سياف لأحد ابناء الحكام : **(والله إن مائة عرش مثل عرش أبيك لا أعدلها بلحظة من لحظات الجهاد)** .

رابعا : وتعلمت ان الحياة الحقيقية هي حياة الجهاد والمجاهد، ولذا فإني أعتبر عمري الآن سبع سنوات وهي التي قضيتها في الجهاد، ست منها في أفغانستان وسنة وبضعة أشهر في فلسطين، وهذا يتفق مع رأي بعض المفسرين في معنى الآية :

{يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم} (الأنفال :٢٤) استجيبوا لما فيه حياتكم وهو الجهاد .

خامسا : وعلمني الجهاد أن الاسلام شجرة لا تعيش إلا على الدماء، فإذا جفت الدماء ذوت عروق هذا الدين وذبلت

---

١ ـ عند الترمذي برقم (٢٣٢١) وابن ماجه برقم (٤١١٠)وهو عن سهل ابن سعد.

واضمحلت وضمرت.

سادسا : وخرجت من الجهاد بيقين : أن الجهاد ضروري جدا للحركة الاسلامية، وكذلك فالحركة الاسلامية ضرورية لإشعال زناد الجهاد وقيادته، والشعب ضروري للحركة الاسلامية حتى يستمر جهادنا بهذا الوقود وهو الشعب، فإذا لم تجاهد الحركة الاسلامية تآكلت واشتغلت ببعضها، ودبت بينها الفتن، وانتابها التشقق والتمزق، لأن الفراغ قاتل للنفس والمجتمع.

والحركة الاسلامية تمثل الصاعق (البادئ) الذي يفجر أطنان المتفجرات، فالشعب هو المتفجرات، والحركة الاسلامية هي الصاعق الذي يشعلها ويفجرها ولاتستطيع حركة اسلامية مهما كانت أن تواصل حربا طويلة الأمد ضد دولة ولو كانت صغيرة، فضلا عن أن تقف سنوات أمام دولة كبرى، والحركة إذا عزلت عن الشعب فقد قضت على نفسها بالموت، كالغصن إذا قطع من شجرته مهما كان ناضجا كبيرا فإنه يذبل ويموت .

وكثرة الثقافة لحركة دون جهاد جد خطير على النفوس، لأنه يقسي القلوب ويورث الجدل .

سابعا : إن هذا الدين لا يفهم إلا من خلال الجهاد به لإقراره واقعا في الأرض، والذين يقضون حياتهم بين صفحات الكتب وأوراق الفقه لا يمكن أن يدركوا طبيعة هذا الدين إلا إذا جاهدوا لنصرته، فهذا الدين لا يفهم أسراره فقيه قاعد (وإنه لجهل فاضح بطبيعة هذا الدين أن يفهم أحد أنه يستطيع التفقه في هذا الدين وهو قاعد يتعامل مع الاوراق الباردة، ولا يستنبط الفقه من قوالبه الجامدة، إن الفقه لايستنبط إلا في مجرى الحياة الدافق، ومع الحركة بهذا الدين في عالم الواقع) سيد قطب [1].

وهذا يتفق مع فهم الحسن البصري والطبري ورواية عن ابن عباس رضي الله عنهما للآية {فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون} (التوبة :١٢٢)

إن الفرقة التي تتفقه هي الفرقة النافرة للجهاد، ولذا كان المسلمون إذا أعضلت عليهم مسألة يقولون اعرضوها على أهل الثغور والحق أن الفرقان بين الحق والباطل لا يحصل إلا للمتقين {يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا} (الآية ٢٩ الأنفال).

يقول ابن تيمية [2]:(الواجب أن يعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا دون الذين يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين فلا يؤخذ برأيهم، ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم بالدنيا) أي لا يسأل عن الجهاد إلا العلماء المجاهدون .

إن الدينونة لهذا الدين هي التي أنشأت المجتمع المسلم، والمجتمع المسلم هو الذي أنشأ الفقه من خلال الحركة الواقعية بهذا الدين .

ثامناً : وعلمني الجهاد : أن الدولة الاسلامية لا يمكن أن تقام إلا من خلال جهاد شعبي طويل تتميز فيه أقدار الناس وتتحدد مقاماتهم، ولايبخس الناس بعضهم مقادير بعض، ومن خلال هذه المسيرة تبرز القيادات الحقيقية من خلال الشجاعة والتضحية، ويكون الخليفة أحد هؤلاء المجاهدين، ولقد كان ميزان التفاضل بين الصحابة عدد الغزوات والسرايا التي شهدها، ولذا لم يحتج أبو بكر عند إجماع الأمة على انتخابه خليفة إلى تزكية أحد أو إلى دعاية انتخابية .

وميزان التفاضل الآن بين الافغان هو عدد السنوات التي قضاها في المعركة ، فلا يستطيع أحد مهما كان جاحدا أن ينكر جهاد أحمد شاه مسعود، وجلال الدين حقاني، ومولوي أرسلان، وفريد، وإنجنير بشير أحمد، وإنجنير ضياء (هرات)، وقومندان أمير قندوز، وملاماالنج (قندهار)، وأرين بور / بدخشان .

تاسعا : وعلمني الجهاد : أن الدولة الاسلامية التي تقوم من خلال الجهاد لا يمكن القيام بانقلاب عسكري عليها، لأن الناس كلهم يحملون السلاح، ولأن مقادير القيادة فيها برزت من خلال أعمالهم وصبرهم وتضحياتهم .

ولأن الوصول للسلطة لم يكن في الظلام من خلال الدس والمؤامرة، وإنما جاء واضحا كالشمس في رابعة النهار، والقيادة هي

---

١ ـ بتصرف عن الظلال في تفسير سورة التوبة/ الجزء الثالث/ص ـ ١٧٣٥ طبعة الشروق.

٢ ـ الاختيارات (١٥٨/٤)

أصلب الناس عودا، وأصفاهم عنصرا، وأصدقهم لهجة، وأبسطهم عيشا، وهذه القيادة دفعت ثمنا غاليا لإقرار الدولة، فلا يمكن أن تفرط بها، والقيادة التي يفرزها الجهاد : قيادة جاءت من صفوف المجاهدين ،عاشت على الشظف والخشونة والتقشف والزهد مع المجاهدين، وتستطيع مواصلة العيش على هذا النهج .

ويدرك الذي يدخل بيت سياف أو حكمت يار ويونس خالص ورباني أن زهد عمر بن الخطاب أو عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم يمكن أن يعود وفي بيت أمير المؤمنين في القرن العشرين .

لقد اطلعت على مصروف حكمت يار وعائلته فوجدته أقل من أربعمائة ريال شهريا .

عاشرا : وعلمني الجهاد : أن الجهاد أفضل وسيلة لتربية النفس البشرية، إذ أن الخطر يعري الفطرة لبارئها وأهوال الحرب تفتح القلب للاتصال بخالقه، وهنا وفي حرارة المحنة ومرارة التجربة تسخن النفس فتصبح مطاوعة لينة تستجيب للاوامر، كالحديد إذا سخن يصبح مطاوعا، فالجهاد يصقل النفس ويخلص الروح من أوشابها، ويملأ الجهاد الحس البشري بالرهبة والروعة، كما يملؤه بالحذر واليقظة، ويملأ النفس البشرية بالتوجس والتوقع للموت في كل لحظة، ليخرجوا من الغفلة التي ينشئها الرخاء والنعمة، عرفت هذا في سلوك سازنور (ننجرهار) الذي يدفع ثمن الطعام من الغنيمة قبل أكله، حتى الكفار يضرعون إلى الله أوقات الشدة، فقبل أسبوع تقريبا نزلت طائرتان روسيتان في منطقة شترال الباكستانية، فكان مما قاله الطيار الروسي : (إن أكثر ما يخيفنا صاروخ ستينجر، ولكننا نتعوذ منه بنصوص من كتابكم المقدس علمنا اياها الشيوعيون الافغان) .

حادي عشر : وتعلمت أن الجهاد هو أكبر عامل لتوحيد الأمة الاسلامية ولم شتاتها وجمع شعثها، فلا توجد قضية في الارض الآن تشد أعصاب الأمة وتستحوذ على اهتماماتها أكثر من الجهاد الافغاني، وهذا ألاحظه من خلال الرسائل الكثيرة التي ترد إلى مجلة الجهاد من كل مكان في الأرض.

ثاني عشر : وتعلمت أن القيادة والمسؤولية لابد أن تسلم للمخلصين الصادقين، فهؤلاء هم صمام الأمان لصيانة أرواح الناس وأعراضهم وأموالهم .

ولقد رأى بعض قادة الأحزاب أن يمدوا القيادات التقليدية التي كانت أيام ظاهر شاه الذين يسمون في أفغانستان (أرباب ووكيل) ولكن هؤلاء لم يستطيعوا مواصلة السير على الطريق، وتراه بين العشية وضحاها ينضم مع أسلحته وقريته وجبهته إلى الدولة الشيوعية عند رؤية بارق طمع أو لمح عرض من الدنيا القريبة .

ثالث عشر : وأدركت من الجهاد : أن التربية ضرورة ماسة قبل حمل السلاح، وإلا فإن الذين يحملون السلاح دون تربية يصبحون كالعصابات المسلحة تؤرق اجفان الناس وتهدد أمنهم وتروعهم ليل نهار، وأنت تدرك هذا عند المقارنة بين قائدين في أفغانستان أحدهما تربى في الحركة الاسلامية والآخر لم يتلق التربية، فتجد الناس جد مرتاحين في منطقة الاول، وأما الثاني فشكوى الناس لا تنقطع عنه.

رابع عشر : وتعلمت أن الصبر عمود الجهاد بل رأس هذا الدين، ولا جهاد بلا صبر، وبإمكانك أن تدرك هذا من الذين أمضوا عشر سنوات في الجهاد مع الجوع والعري والمرض، وإنه ليذهلك وأنت تسمع (قصة فتح قلعة المار/ فارياب) التي تقع في سهل شاسع لا يمكن للمجاهدين التسلل إليها، فيحفر المجاهدون خندقا عميقاً يسير فيه الراكب دون أن يرى، طوله عشرة كيلومترات، يستمر حفره سنة ونصف حتى يدخلوا القلعة من تحت الأرض ويفتحوها بإذن الله .

خامس عشر : علمني الجهاد أن الهالات الضخمة التي ترسم حول الدول الكبرى كأمريكا وروسيا لا تساوي شيئا أمام قوة رب العالمين وتأييده للمؤمنين ، ومن كان في شك مما أقول فليسأل الروس عن هلعهم ورعبهم من المجاهدين الافغان ، لقد بدد الجهاد الافغاني أسطورة روسيا .

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ان لا اله إلا أنت استغفرك وأتوب اليك.

أصالة الشعب الأفغاني المسلم[1]

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد :

فلا زال الشعب الأفغاني يحتفظ بأصالته وكرم محتده وطيب فطرته وسلامة نفسيته وصفاء خامته ونقاء طينته.

ومن نعم الله على أفغانستان أنها ما حنت هامتها لمستعمر، ولا أذلت عنقها لغاز إلا الله الذي ساق جنده يحملون مشاعل نور الإسلام.

لقد نفى كير أفغانستان كل خبث غريب وطيء أرضها، ولفظت أرضها الطيبة كل نجس جاء يدنس تربتها. فلم يستطع الاسكندر ولا التتار -جنكيزخان- ولا الإنجليز أن يثبتوا فيها أقدامهم، لأن قمم جبالها تستعصي على الغزاة، وعلو نفوس أبنائها تستعلي على الطغاة، فحفظ الله على الشعب الأفغاني : بساطتهم، وحياءهم، وكرمهم، وعزتهم، وشجاعتهم، ومروءتهم. لأن أعداء الله -خاصة الإنجليز- حيثما حلوا مسحوا البساطة وغرسوا التعقيد، واجتثوا الحياء وزرعوا القحة والبذاءة، وسلبوا الإيثار وتركوا الأثرة، وحاربوا الشجاعة وربوا الجبن والخور، واقتلعوا الكرم وورّثوا البخل والشح.

أما عن حياء الشعب الأفغاني : لقد سارت به الركبان، وتحدث به الشعراء، خاصة عن حياء المرأة.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه الحاكم والبيهقي عن ابن عمر قال -صلى الله عليه وسلم- **(الحياء والإيمان قرناء جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر)** [2].

وحيثما أثبت المستعمر قدمه فإنه يحيل المجتمع كله إلى مستنقع جنسي أسن يغرق فيه أبناء الجيل كله، جاء في البروتوكولات (نريد أن ننشئ جيلاً لا يستحي من كشف عورته)، وليس أدل على هذا من بانكوك التي تركها الأمريكان بؤرة الخطيئة في العالم.

وأعداء الله يدركون أكثر من غيرهم أن تدمير فطرة المرأة هي أقصر طريق لانهيار المجتمع كله، وقد قال قائلهم : (كأس وغانية أشد على أمة محمد من ألف مدفع)، ولذا فقد ركزوا على المرأة في البلدان الإسلامية، خاصة في :

تركيا : عاصمة الإسلام السياسية.

ومصر : عاصمة الإسلام العلمية.

وكانت الأنظمة الثورية هي القفاز الذي يضرب به أعداء اللهوالحرية التي يمزقون بها حجاب المرأة ويمسخون شخصيتها ويدمرون إنسانيتها.

ويعلن رئيس وزراء تركيا (تورجوت) سنة ١٩٨٦ أن أكبر دخل لميزانية الدولة إنما يأتينا من بيوت الدعارة -البغاء-!

ولقد تمرد الجيل بجنسيه -ذكرهم وأنثاهم- على القيم والمبادئ، ومزقوا برقع الحياء، وانفلتوا من كل التقاليد المحافظة والآداب الاجتماعية، وانطلقوا لا يلوون على شيء، فلا حرمة لأب ولا لأسرة ولا لدين ولا لمجتمع، -جاء في بروتوكولات حكماء صهيون (سننشر آراء فرويد الجنسية على مثل ضوء الشمس حتى لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، وتنهار الأخلاق في كل مكان).

أما في أفغانستان :

فقد وجدت المرأة فيها قلعة شامخة وحصناً حصيناً يأوي إليه هذا الدين كلما اشتدت المحن وادلهمت الخطوب.

ولقد رأيت المرأة الأفغانية أثناء هجرتها تمسك ابنها بيد وتمسك بالأخرى نقابها الذي تخشى أن يسقط عن وجهها على طول طريق العرق والدم والمرارة والحرمان وهي تكابد حرارة الجو اللاهبة ولفح الهجير في حمّارة القيظ.

ويرى الأفغان أنه من العيب أن يلقي الرجل عمامته ويكشف رأسه مهما كان الحر شديداً والريح سموماً، وكنت أعجب لهذا كذلك.

أما عن احترامهم للشعائر الإسلامية وأهلها فحدث عنه ولا حرج :

١- نشر في مجلة الجهاد - العدد الثامن والثلاثون - جمادى الأولى ١٤٠٨هـ - يناير ١٩٨٨م.

(٢) صحيح الجامع برقم (٣١١٥).

فعلماؤهم وحفظتهم يحتلون مكانة مرموقة في المجتمع وفي أعماق قلوب أبنائه، فالعالم والقارئ والحافظ : لا يمكن أن يلفظها الأفغاني إلا مصحوبة (بصاحب) أي المحترم، وابن العالم : اسمه مخدوم، فكل اسم تسمعه يبدأ بمخدوم فهذا يعني أنه ابن عالم، أي يجب على الشعب خدمته. وتجد الأفغان جميعاً مؤمنهم وفاسقهم وفاجرهم يجل العالم ويحترمه.

يقول سياف : كنت سجيناً مع كبار المجرمين ومهربي المخدرات، فكانوا لا يصلون، ولكنهم يصطفون أمام مصلى السجن ينتظرون خروجنا حتى يصفوا لنا أحنيتنا إجلالاً واحتراماً، وعندما حكم على الشيخ سيّاف بالإعدام استعد أحد كبار المهربين أن يدفع عشرين مليوناً لمدير السجن لإخلاء سبيل سياف.

لقد سمعت الشيخ يونس خالص – أمير الحزب الإسلامي والناطق باسم الاتحاد الآن- يقول (إنني احترم سيّافاً لأنه أستاذي في الحديث) رغم أن الشيخ يونس ناهز السبعين وسياف لم يبلغ الأربعين.

أما عن القرآن وأهله :

فحامل القرآن له توقير عجيب وإجلال غريب واحترام كبير في نفوس الأفغان، فالأفغان يحملون أمتعتهم وأسلحتهم على الخيول والبغال، ولكنهم يرفضون أن يضعوا عليها المصاحف مهما كانت ثقيلة وناءت بحملها كواهلهم.

ولا يمكن للأفغاني أن يتقدم على حامل القرآن أو يسبقه في شيء أو يتصدر عليه في مجلس.

قال لي سعيد الجزائري : علمتهم القرآن وعلموني أدب القرآن، وحدثني قائلاً : كنت أعلم سرية من سرايا أحمد شاه مسعود في تحفيظ القرآن، فكانوا يهابون أن يمزحوا أو يهزلوا أو يمدوا أقدامهم أو يعبثوا بثيابهم أو لحاهم في حضرتي.

ويقول : كانت أسرّتنا التي ننام عليها غنائم روسية مكونة من طابقين، فكان مهجعي في الطابق العلوي من السرير، وفي السفلي أحد المجاهدين الأفغان، وذات ليلة جلست في الطابق السفلي قرب المدفأة فأخذني النوم العميق، ولم أستيقظ إلا في منتصف الليل، وإذا بالأفغاني -صاحب المكان- واقف فوق رأسي، فسألته ما بالك؟ فأجاب : أريد النوم، فقلت له : هلا نمت في الطابق العلوي للسرير، فقال : معاذ الله أن أنام فوق القرآن الذي في صدرك!!

يقول الأخ الحبيب عبد الله أنس (القرآن مفتاح قلوب الأفغان).

المروءة والكرم وخاصة إكرام الضيف :

والأفغاني ينطبق عليه وصف الشاعر :

تراه إذا ما جئته متهلـــــلاً	*كأنك تعطيه الذي أنت سائله*
ولو لم يكن في كفه غير روحه	*لجاد بها فليتق الله سائلـه*

وأما عن المروءة : فقد حدثني أحمد المبارك (مجاهد صومالي) قائلاً : قمنا بعملية في مركز بروان ثم تفرقنا عن بعضنا لغزارة النيران، فضللت الطريق ودخلت بستاناً وإذا به بستاني شيوعي، فعرفني أني عربي، فأكرم وفادتي وأحسن لقائي، وأتى بسيارة مع حراسه وأوصلني إلى قاعدة المجاهدين، وعرض عليّ مبلغاً من المال إكراماً لي، رغم أن بإمكانه أن يسلم رأسي للروس مقابل ثمن باهظ، ولكنها المروءة وإكرام الضيف.

وصدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- **(خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا)** رواه الشيخان عن أبي هريرة[1].

أما الترفع عن الدنايا :

فكفى الأفغان فخراً أن منهم ثلاثة ملايين ونصف المليون في باكستان تسحقهم الفاقة ويبيد العري والمرض والجوع خضراءهم ومع هذا كله : يصعب على البوليس الباكستاني أن يسجل حادثة سرقة.

---

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة وهو في صحيح الجامع برقم (٦٦٧٢)

المصطلحات الإسلامية :

لقد فرض الجهاد الإسلامي الأفغاني على العالم أن يعيد إلى قاموس التعامل اليومي مصطلحات إسلامية كادت تندثر مع الزمن في طيّ النسيان، ففرضوا كلمة الجهاد، ورفضوا كلمة الثورة، ورفضوا كلمة لاجئين وقالوا نحن مهاجرون، وهم يتداولون كلمة منافقين ويطلقونها على عملاء الدولة، وانتشرت كلمات : غنائم ، غازي ، أمير، إمارة، بغاة، حدود .

الأصالة ضرورة لبناء المجتمع الإسلامي :

إن المبادئ لا ينصرها إلا النفوس الصادقة والفطر السليمة، وإن هذا الدين قد انتصر في كل مرة بشعب خامته طيبة وفطرته سليمة؛ فانتصر أول مرة بالعرب الأميين، وحكم الشعب التركي بإسلامه مع أميته ربع العالم وعلى مدى خمسة قرون متتالية.

ولقد رأيت أن أصالة الشعب الأفغاني بإباء رجاله وحصانة نسائه مع الحياء والعفة والوفاء وسلامة الجبلة والفطرة تكوّن لمجموعها قاعدة صلبة يمكن أن يقام عليها هذا الدين ويشاد فوقها صرحه العظيم

إن الدين عند الشعب الأفغاني أصبح مع الزمن سليقة وليس تصنعاً، وطبعاً وليس تطبعاً ، ومعدنا وليس طـلاءً ، وخليقة وليس تمثيلاً.

إن هذا الدين لا ينتصر بجيل نخرته الشهوات، وأنهكته الملذات، وحطمت نفسيته وأذلته أجهزة المخابرات، وأتلفه الترف وأفسده السرف.

فهل ينتبه المسلمون إلى هذا الكنز العظيم بين أيديهم (الشعب الأفغاني وجهاده)؟ وهل يقف المسلمون بجانب هذا الشعب الكريم وينهلون معه من نفس المعين؟ هل يبادر المسلمون للحفاظ على هذه القاعدة الصلبة لعلها تكون بإذن الله المنطلق لهذا المارد الجبار ولهذا العملاق الكبير ليحرر الإنسان المعذب في الأرض؟ أم تفلت من بين أيديهم هذه الفرصة الذهبية كما أفلتت من أيديهم فرص كثيرة؟

إنه غيب دونه حجب مسدلة لا يعلمه إلا الله الذي علمنا أن الحياة والنصر مقامة على قوانين وسنن، وألزمنا الأخذ بالأسباب. وأوجب علينا الإعداد.

والحق أن الذروة التي حلّق عليها الشعب الأفغاني بجهاده تدركها الأشواق وتتطاول إليها الأعناق. ولكن قصرت دون بلوغها سائر الأعراق.

وختاماً دعونا ننشد مع أبي الطيب لحنه العذب لهذا الشعب الكريم.

قعد الناس كلهم عن مساعيك ... وقامت بها القنا والنصول[1]

ما الذي عنده تدار المنايـــــا ... كالذي عنده تدار الشمـول[2]

أنت طول الحياة للروس غـــازٍ ... فمتى الوعد أن يكون القفول[3]

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك و اتوب إليك.

مدرسة الجهاد الإيمانية[4]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره.. أما بعد.

فقد كان يحلو للمؤرخين أن يطلقوا على أفغانستان (مدرسة الحرية) في آسيا، لأن أفغانستان وقفت في وجه جميع الغزاة الذين حاولوا أن يذلوا شعبها أو ينالوا من كرامته، ولقد كانت قمم الهندوكوش هي العقبات الكبرى التي يتحطم على صخورها عتو الطغاة، وتذل عند ذراها كبرياؤهم، وتهن عند منازلتها عزائمهم، فلقد فشل الاسكندر المقدوني في أن يستعبد شعبها أو أن يمس إباءهم، وأما جينكيزخان فلقد واجه من صمود أبناء أفغانستان عنتا ما واجه نظيراً له في البلدان التي اجتاحها أثناء غزوه المغولي.

---

(١) القنا : الرماح، النصول : السيوف، مساعيك : مطالبك من المجد والشرف.

(٢) المنايا : الموت. الشمول : الخمر أي لا يستوي الذي يشرب كأس المنية بالذي يحتسي كأس الخمر مثل الملك ظاهرشاه.

(٣) بدل الروم في هذا البيت كتبنا الروس، القفول : الرجوع.

٤- نشر في مجلة الجهاد - العدد التاسع والثلاثون - جمادى الثانية ١٤٠٨هـ ، فبراير ١٩٨٨م.

وأما الإنجليز فلا زالت أجيالهم تتناقل أخبار آبائهم الذين لقوا حتفهم في خرد كابل وفي جك دلك -في تنجرهار-، ولا زالت صورة مذبحة الجيش الإنجليزي في جلال اباد ١٨٤٢ بكامله- وكان عداده مع أتباعه حوالي ستة عشر ألفاً-. أقول لازالت صورة تلك المذبحة شبحاً رهيباً يفزعهم في منامهم ويقض مضاجعهم، وكذلك لازالت خيالات وذكريات المقابر الكبرى للجنود الإنجليز ذوي الوجوه الحمر سنة ١٨٨٠، وهزيمتهم أمام الجيش الأفغاني ١٩١٩ الذي يقوده نادر شاه حتى وصل إلى مدينة تل -الباكستانية- وكانت هندية آنذاك، إذ لم تكن باكستان قد ظهرت إلى حيز الوجود بعد.. لازالت هذه المقابر والهزائم معالم بارزة في تاريخ بريطانيا الحديث، ولا زالت العبر التي خلفتها هذه الهزائم الساحقة تشكل عقدة كبرى في العقلية الغربية وفي نفسية جيلها، مما حداهم ليطلقوا عبارتهم القائلة (لقد أخضعنا كل العالم لثقافتنا ولم يفلت من الذوبان فيها سوى التيس الجبلي في أفغانستان، والأعرابي في وسط الصحراء)[1].

لقد سمعت الرئيس الباكستاني ضياء الحق ذات مرة يتحدث قائلاً للسفير الروسي : لقد وصلت روسيا القمر وغزت الفضاء ولكن يبدو أنها لم تدرس التاريخ، فسأله السفير الروسي وكيف؟ فقال : لو درست التاريخ لما غلطت هذه الغلطة الكبرى وهي دخولها إلى أفغانستان!

وعبْر التاريخ كله كانت أفغانستان هي المحضن الدافئ الذي ينشأ فيه القادة، والعش الهادئ الذي تفرخ فيه البزاة والصقور التي تغزو المنطقة المحيطة بإيران والهند، فمحمود الغزنوي قد دخل الهند فاتحاً عدة مرات، وحطم صنم (ساموناتا)، وكذلك أحمد شاه بابا (أي الأب للشعب الأفغاني) الذي هزم الهندوس وعمل فيهم مذبحة عظيمة، وكانت دولة أفغانستان التي أنشأها أحمد شاه بابا تمتد من : مشهد في إيران غرباً إلى كشمير ودلهي شرقاً، ومن بخارى شمالاً إلى بحر العرب والمحيط الهندي جنوباً - وكانت بيشاور العاصمة الشتوية لأفغانستان وكابل هي العاصمة الصيفية- وقد لقي الهندوس والسيخ على يده وعلى يد أبنائه من الويلات والإذلال والصغار ما لم يروه على يد غيرهم.

الجهاد ضد الشيوعية :

وقد قضى الله -عز وجل- أن يتفجر هذا الجهاد المبارك على يد حفنة من الشباب المؤمن المجاهد مثل الأستاذ برهان الدين رباني، وسيَّاف وحكمتيار، وفي طليعة العلماء المجاهدين : يونس خالص وجلال الدين حقاني ونصر الله منصور. لقد كنت في بداية هذا الجهاد أتمنى لو قيض الله النجاح للانقلابات الثلاثة التي رتبها حكمت يار مع قادة الجيش المسلمين في أفغانستان ضد نظام داود الطاغية، ولكن.. **{وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون}** (الآيتان ٧، ٨ الأنفال).

طول مدة الجهاد :

إن حكمة الله البالغة قضت أن تفشل محاولات الإطاحة بنظام داود العلماني، ليأتي الله بهذا الجهاد على يد هذا الشعب المجاهد الفذ، وشاءت إرادة الله أن يستمر هذا الجهاد هذه السنين العشر التي دارت فيها رحى الحرب ثقيلة سريعة تطحن أعصاب هذا الشعب وتسحق أبناءه، ويدفع فيها الثمن باهظاً والتكاليف عالية والتضحيات جبارة، ليتحول الجهاد إلى مدرسة إيمانية وجامعة ربانية تتفتح على حرارتها براعم كامنة في أرجاء العالم الإسلامي، ولتغدو مدرسة الجهاد الإسلامي في أفغانستان نموذجاً فذاً وأسوة حسنة لمن شاء أن يقتفي الأثر أو يسلك الطريق أو يسير على الجادة. لقد حمل الشباب الأوائل -الذين فجروا هذا الجهاد- الآية الكريمة نبراساً على طول الطريق المرير **{ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز}** (الحج الآية ٤٠).

وكان الهادي على طول هذه المسيرة التي روَّاها الدماء ووقودها الأشلاء قوله سبحانه : **{كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين}**. (البقرة الآية ٢٤٩).

وكان الحادي الذي يغذي عزيمتها بالمضاء وشعلتها بالسناء والضياء **{والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين}**

---

(١) من محاضرة للكامل الدقس.

(العنكبوت الآية ٦٩)

وزاد الطريق: {يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين}(البقرة الآية ١٥٣).

عقيدة التوكل على الله :

لقد بنى الجهاد الإسلامي في أفغانستان عبر السنين التسع الماضية عقيدة التوكل على الله في قلوب أبناء هذه الأمة المسلمة، وأعاد الثقة بالله سبحانه في أعماقهم، وما كان شيء من هذا كله يمكن أن يتم لولا أن الله ساق هذا الجهاد العظيم درساً عملياً ومدرسة تربوية وأحداثاً واقعية في عالم الحياة.

وعندما يشاهد الشاب هوان روسيا وإذلالها على يد هذا الشعب البطل الفذ، ويعيش فوق أرض المعركة مستشعراً عظمة الله وقوته وجبروته وهيمنته وأمامه أقزام صغار يحادّونه ويتعدون حدوده وينتهكون حرمات أوليائه، ويرى بأم عينيه وقائع لا تني تطالعهم صباح مساء كيف ينتقم الله لأوليائه ويغار على حرماتهم، لا يملك إلا أن يردد (لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده).

وعندما يرى الشاب المسلم بأم عينه الرعب الذي يتملك الجنود الروس، والهلع الذي ينغص عليهم حياتهم، والخوف الذي يحيل عيشتهم جحيماً لا يطاق، عندما يراهم سجناء قلاعهم، أسرى في حصونهم، وكل واحد منهم إنما يعيش في هذه القلاع الكتيبة المليئة بالمنعرجات والسراديب والمنعطفات ذات الهواء الراكد المكتوم، وكل واحد منهم يدرك أنه يسير في درب مسدودة ويقف أمام جدران صلدة في نهاية كل درب.

عندما يسمع المؤمن جندياً روسياً راجعاً من أفغانستان يصرح على التلفاز الأمريكي قائلا: (عندما نسمع صيحة الله أكبر نبول في ثيابنا) يدرك عظمة رب العالمين وهوان الكافرين وعزة المؤمنين.

أثر الجهاد الأفغاني في نفوس الشعوب المسلمة :

وعندما يقف الشاب العربي المسلم فوق ذرى الهندوكوش ويرى هزيمة روسيا أمام جنود الله الحفاة العراة الجياع يدرك أن إسرائيل لا يمكن أن تحتمل سوى عدة ضربات تحت مطارق الإيمان وأمام سياط جند الرحمن.

وأول ما يمر في ذهن الشاب العربي الذي يصطلي بنار المعركة على ضفاف الهلمند هو : محاولة نقل هذه الصورة المشرقة إلى رحاب الأقصى وفوق ربوع الأرض المباركة.

ذعر اليهود :

ولقد ذعر اليهود وهم يرون صفوة من أبناء الأمة المسلمة والعرب على الأخص يطلقون الدنيا، ويحطمون القيود التي تشدهم إلى الأرض، ويقطعون الحبال التي توثقهم بها، ويطيرون مع أشواقهم المجنحة منتصرين على عناصر الضرورة والحاجة، ويتغلبون على ثقلة اللحم والطين، نافرين مع أرواحهم المرفرفة فوق ذرى الهندوكوش وعلى شواطئ جيحون.

موقف الإعلام اليهودي الذي يسيطر على الغرب :

ولقد عز على اليهود أن يروا ثمرات هذا الجهاد المبارك توكلاً على الله، وثقة بعظمته. ومما أذهلهم أن يروا أن الشباب الذين أغرقوهم بالترف وأشغلوهم بمتاع الدنيا الرخيص قد انطلقوا من المستنقع إلى هناك.. إلى ذروة سنام الإسلام، يسطرون بدمائهم الزكية أروع قصص البطولة وأسمى آيات التضحية، ويرسمون التاريخ الإسلامي من جديد بالدماء، ويعيدون أمجاد السلف بالجماجم والأشلاء.

فانطلق الإعلام الغربي يشوه صورة الجهاد المشرقة الأخاذة، يصور أن الجهاد عبارة عن مجموعات من قطاع الطرق يعيشون على تناول الحشيش والمخدرات، بل يزعمون أن هذا الجهاد المبارك إن هو إلا انتفاضات من القبائل التي تدافع عن مزارع الحشيش التي تصب عليهم ميازيب الذهب والجواهر.

من جهة أخرى فقد صوّروا الجهاد الذي يسقط من مجاهديه كل أربع دقائق شهيدٌ ويُهاجر كل دقيقة مهاجرٌ من القرى إلى الأدغال والجبال. أقول : هذا يصور في نظر العالم من خلال الإعلام الغربي اليهودي أنه حرب النجوم والكواكب، وأنه صراع بين العملاقين الكبيرين، وما الشعب الأفغاني إلا ألعوبة بيد أمريكا تقدمه وقوداً في معركة أهوائها ومصالحها وقرابين على مذابح شهواتها.

وأصبحت صواريخ ستنجر هي حديث السامر لكل من أراد أن يتسلى بالتحليلات السياسية الدولية، وأضحى الإنسان لا يطالع خبراً في الصحف الغربية عن الجهاد إلا وصاروخ ستنجر يحوز قصب السبق وينال القسط الوافر من الحديث. وما علم الناس أن أمريكا تأخذ ثمن كل صاروخ سبعين ألف دولار.

لقد عز على أمريكا أن ترى أن الجهاد الأفغاني أصبح يشغل ذهن كل شاب مسلم، وأصبح الجهاد الأفغاني رمز العزة في نظر كل شاب مسلم، وأصبح المثل الرائع الذي يحاول الشباب تقليده أولئك الأبطال الذين يهزون الأرض تحت أقدام روسيا، فأصبح القادة والأبطال مادة الأناشيد، وحديث الشعراء، وأحرف الأدباء، وعادت الأسر تنتظر صدور المجلات الجهادية بفارغ الصبر، وكم من شاب أرسل إلينا يقول : إننا نقرؤها حرفاً حرفاً.

أصبحت أسماء يونس وحكمت يار وسيّاف ورباني وأحمد شاه مسعود وجلال الدين وصفي الله وغيرهم أناشيد عذبة وألحاناً جميلة تواكب مسيرة الجيل السائر إلى الله، وتسدد جادة الصحوة الإسلامية الراجعة إلى الرحمن.

التكالب الغربي والشرقي على إيقاف الزحف :

ولذا ومنذ أن عاد نيكسون وكارتر من أرض المهجر والجهاد وأعلن نيكسون (أن المشكلة الكبرى هي الإسلام، ولابد من أن تتفق مع روسيا لإيقاف الزحف الإسلامي)، منذ ذلك الوقت وأمريكا مع روسيا تبحثان عن مخرج من الورطة التي قد تودي بمصالحهم جميعاً فيما لو قدر الله للإسلام أن يقف شامخاً فوق أرض أفغانستان.

وليس عجيباً أن يعقد المؤتمر بين ريغان وغورباتشوف في غرفة مغلقة وفي جلسة جد سرية لا يحضرها إلا المترجم الخاص لكل منهما، ثم يتفق الطرفان على إرجاع الملك ظاهر شاه (الرجل الميت الذي يرتدي ثياب الأحياء)، والذي غرس الشيوعية أصلاً في أرض الغزنوي، وذلك لتجميع العلمانيين تحت مظلته، ولتتفادى قدوم الغول المفزع الذي تكالبت على تحطيمه مخططات ثلاثة قرون وهو الصرح الشامخ الذي يمثل الخلافة الراشدة.

ثمار المدرسة الدانية :

وإنك لتستشعر العظمة الإيمانية والعزة الإسلامية وأنت تسمع تصريحات قادة الجهاد. إذ يصرح يونس خالص ويقول : ما قابلت ريغان إلا لأعرض عليه الإسلام، وكذلك موقف حكمت يار وهو يرفض مقابلة ريغان.

وإن الأمل العريض لينبعث في أعماقنا أن هذا الدين سينتصر إن شاء الله من خلال الشباب المتحفز للجهاد، المقبل على الله، وعلى الثمار الدانية الجنية لهذه المدرسة الإيمانية هذه الثمار تراها من خلال حلي النساء التي تعبر عن سخاء النفوس ورخص الدنيا إزاء نصرة هذا الدين، وكم من رسالة لبنت جامعية تحيي موات النفوس، ترى الحصاد يطيب من خلال الجموع التي تطلق الدنيا، تاركة وظائفها، هاجرة نعيمها وجامعاتها وشركاتها، مصطحبة أزواجها إلى أرض الجهاد، يعبر بلسان هذه الجموع ذلك الشاب الذي يعيش في السعودية وهو يتحرق للمجيء إلى الجهاد فقلت له : ستخرج تأشيرة خروج وعودة؟ فقال : (سآخذ تأشيرة خروج بلا عودة) ثم فسرها قائلاً تأشيرة خروج من الدنيا..

ترى هذا الأمل : من خلال دعاء القنوت الذي تدوي به أركان المساجد في العالم الإسلامي تضرعاً إلى الله أن ينصر المجاهدين في خوست (أفغانستان) وفي فلسطين.

ترى هذا الأمل : من خلال الأشرطة الجهادية التي يتلقفها الشباب في كل مكان.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

إن الحكم إلا لله *

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعد..

يكاد يدرك كل من له طرف إلمام بهذا الدين أن الدين قاعدته الكبرى ومحوره الأصيل هو (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، والحكم بما أنزل الله جزء لا يتجزأ عن هذا الدين، فلو مثلنا هذا الدين بقطعة نقود فإن وجهها الأول مكتوب عليه (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، والوجه الثاني مسطر عليه: {إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم} (يوسف الآية ٤٠)

و «إلا» في الآية الكريمة وردت بعد النفي «إن»، فإلا هنا للحصر والقصر، أي أن الحكم محصور ومقصور بين يدي الله، والحكم بما أنزل الله هو العبودية الحقة، وهو الدين القيم، وأن تنحية الحكم الشرعي عن الحياة يعني تنحية العبودية لله، وإنهاء الدين الصحيح، وإن أقيمت الشعائر وبنيت المنائر والمنابر. وكل كتب الأصول تفتتح باب الحكم والحاكم : بأن الحاكم هو الله وحده، والرسول -صلى الله عليه وسلم- إنما يحكم بما أنزل الله إليه سواء كان وحياً متلواً (القرآن الكريم) أو وحياً غير متلو وهو (السُّنة الشريفة).

والخليفة في الشريعة الإسلامية : مفوض من قبل الأمة التي تختاره بتنفيذ الشريعة الإلهية، لا وضع شريعة من عنده تصطدم مع هذه الشريعة.

والعلماء وأهل الحل والعقد : هم مجتهدون بالنظر في النصوص الإلهية لمحاولة معرفة الحكم الرباني في المشاكل التي تواجه المسلمين في حياتهم اليومية.

والحكم من الله، (الحكَم) وهو اسم من أسمائه وصفة من صفاته، فمن ادعى الحق بالتشريع بما يريد إنما يدّعي الألوهية عملاً ويزاولها سلوكاً وإن كان لا ينطق بها لفظاً، وسواء كان هذا المدعي هو : طبقة من الشعب، أو الشعب كله، أو حزب أو منظمة عالمية أو محلية، أو هيئة، أو فرد فالنتيجة واحدة وهي : انتزاع حق الله في التشريع للناس، وهذا شرك يخرج أصحابه من دين الله.

{أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله} (الشورى الآية ٢١).

{وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون} (الأنعام الآية ١٢١)

فطاعة التشريع البشري الوضعي (القوانين الوضعية) مع الرضا القلبي شرك يخرج صاحبه من الملة.

والحكم الإسلامي الذي يمثله شخص الخليفة لينفذ دين الله بقي شبحاً رهيباً يقض مضاجع الغرب ويؤرق أجفانهم، وبقيت الإطاحة بهذا الصرح الشامخ شغل أوربا الشاغل ثلاثة قرون، وأعملوا فيه معاولهم حتى أجهزوا عليه في ١٩٢٤/٣/٣ على يد الطاغية (مصطفى كمال أتاتورك) بعد معاهدة لوزان التي امتدت من نوفمبر ١٩٢٢ إلى فبراير ١٩٢٣بين عصمت إينونو نائب أتاتورك وبين كرزون وزير الخارجية البريطاني، واتفقوا على أربعة شروط :

١- أن يطاح بصرح الخلافة.

٢- سحق أية محاولة لإعادة الخلافة.

٣- محاربة الشعائر الإسلامية.

٤- اتخاذ قوانين غربية وضعية بدل الشريعة الإسلامية.

وبعد الإطاحة بالخلافة اتفق العالم كله على :

١- اجتثاث أي تجمع يدعو للحكم بالإسلام من الجذور.

٢- سحق طلائع البعث الإسلامي أينما وجدت.

٣- تمييع عبادة الجهاد ومصطلحاتها، وشن حملة رهيبة على هذه العبادة باعتبارها وحشية همجية لا تصلح إلا لشرائع الغاب.

٤- إغراق الجيل في مستنقع جنسي آسن يتحول المجتمع فيه إلى مجموعات من الحيوانات الشبقة لا هم لها سوى إرواء النزوات وإشباع الشهوات.

---

* - نشر في مجلة الجهاد - العدد الاربعون - رجب ١٤٠٨هـ الموافق مارس ١٩٨٨م.

٥- تصفية الأجهزة من ذوي الالتزام الإسلامي المتميز، وخاصة أجهزة الأمن والجيوش والإعلام والخارجية والجامعات.

وهنا نجد التفسير الواضح لعمليات القمع والإبادة والسحق لحركات البعث الإسلامي في بقاع الأرض الإسلامية كلها. ولم يبق لديك لغز محير في فهم أسرار الحرب الشعواء التي تشنها أجهزة الأمن والإعلام على كل من فكر بالجهاد أو خاض غماره.

وقضية تنحية دين الله عن الحياة وإحلال شرائع وضعية مكانها خطوة هائلة، وقد كانت قاصمة الظهر لدى الأمة المسلمة في مشارق الأرض ومغاربها، ولم تصب البشرية نكبة أعظم منها.

ولم تصب الأمة الإسلامية بهذه الداهية خلال حقباتها التاريخية بهذا الحادث الجلل والرزء العرام إلا يوم أن سقطت دار الخلافة -بغداد- بيد التتار سنة ٦٥٦هـ، ثم أراد هولاكو تطبيق شريعة جنكيزخان (الياسا أو الياسق : السياسات الملكية) على الأمة الإسلامية، فوقف العلماء موقفاً واضحاً وبإرادة حازمة حاسمة أمامها، فأفتوا بكفر من يحكم ومن يتحاكم إلى الياسق.

وقال ابن كثير [1]: (فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة فقد كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه، لا شك أن هذا يكفر بإجماع المسلمين).

وعندما وقفت الجماهير المسلمة كلها ضد التحاكم إلى الياسا، واضطر قازان التتاري أن يفتتح نوعين من المحاكم، إحداهما : محكمة الياسا، والثانية محكمة القرآن والسُنّة.

والآن : والجهاد الأفغاني الإسلامي على أبواب قطف ثمرته، والروس يلمون أذيالهم لينسحبوا خزياً نادمين بعد أن شهدت ذرى الجبال والسفوح والوهاد وشعاب الطرق هزائم ساحقة للجنود الحمر، وشمخت الهندوكوش بقممها تناطح عنان السماء عزة وافتخاراً وشكراً لرب العزة الذي نصر عبده وأيد جنده وهزم الأحزاب وحده.

أقول : الآن جاء دور التكالب العالمي حتى لا ترى هذه البقاع راية (لا إله إلا الله) الحقة ترفرف فوق أرض الدماء والشهداء، فبعد أن فشل الغربيون في زعزعة الثقة بالله التي بناها الجهاد المشرف العزيز في أعماقهم. ويئسوا من أن يزلزلوا عقيدة التوكل على الله التي رباها في قلوبهم كفاح مرير بين جند الإيمان وجيوش الشيطان، لقد استيأسوا من أن ينالوا من هذا الجهاد رغم الإعلام الذي يظهر قضية الجهاد على أنها صراع المطامع ومقايضات المصالح التي يتلاعب بها العملاقان من خلال حرب النجوم، والذي لا ينِي يردد صباح مساء ذكر صاروخ ستنجر الأمريكي، وإبراز المجاهدين بأنهم عبارة عن مجموعات من أبناء القبائل التي هبت للدفاع عن مزارع الحشيش وليس للدين في هذه الساحة ناقة ولا جمل، ولا يخجل التلفاز الأمريكي عن عرض مجموعة من المجاهدين يتعاطون الحشيش ثم يهجمون على قواعد الروس.

شهادة التاريخ :

ولقد انتهت الحروب الأفغانية الإنجليزية الثلاث بمجيء رجل لم يُرِقْ نقطة واحدة من عرق جبينه في الجهاد.

فجهاد سنة ١٨٤٢ الذي أباد الجيش الإنجليزي بكامله بين كابل وجلال أباد انتهى بتنصيب أسير في يد الإنجليز في الهند اسمه (دوست محمد خان) على عرش كابل، واشترطوا عليه قتل ابنه (وزير أكبر خان) المجاهد الذي قتل بيده داكتنون الضابط الإنجليزي أثناء المفاوضات.

وانتهى جهاد سنة ١٨٨٠ بإحضار أمير شريد لاجئ في بخارى وسلموه شعب أفغانستان، وركزوا عرشه على صدورهم وأنفاسهم.

وانتهى جهاد سنة ١٩١٩ بإظهار (أمان الله خان) الذي صادق لينين وستالين ونادى بنبذ الحجاب وإظهار السفور ومطاردة الشريعة ومحاصرة العلماء، وكبت أنفاسهم وهو أول أفغاني تظهر امرأته سافرة كاسية عارية متبرجة.

والآن هنالك التكالب العالمي وإجماعه على أن لا تقوم دولة الإسلام بعد هذا الجهاد الإسلامي العريق.

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١٣/١١٨).

وهنالك ألب قوى الكفر على حرمان قادة الجهاد من ثمار جهادهم، ومنعهم من حصاد جني دماء مليون ونصف مليون شهيد وحجتهم أن هؤلاء القادة أصوليون.

ظاهر شاه :

وهنالك الإجماع على إرجاع ظاهر شاه وذلك لتجميع العلمانيين تحت لوائه وكنفيه، مع أن ظاهر شاه صحياً لا يستطيع أن يزاول حكما ولا يدير بلدية فضلاً عن أن يدير مملكة.

وظاهر شاه هو الذي غرس الشيوعية في أفغانستان، وظاهر شاه هو الذي كان في مجلس شوراه ٣٦ شخصاً من الحزب الشيوعي، وظاهر شاه هو الذي أجاز لتراقي أن يخرج جريدة خلق ولبابرك كارمل أن يصدر جريدة (برشم).

وظاهر شاه هو الذي سيّر جيشاً يقوده خان محمد لمهاجمة قندهار لأن نساءها رفضن كشف النقاب، وسقط قرابة ألف شهيد في المعركة، وظاهر شاه هو الذي حمل خمار امرأة مسلمة ووضعه تحت قدمه وقال : انتهى عهد الظلام إلى الأبد.

وظاهر شاه هو الذي سن السنة السيئة في أفغانستان بأن تبدأ الحفلات الرسمية بأن يرقص الملك مع زوجة أقدم السفراء، ثم يرقص السفراء مع نساء بعضهم البعض، وظاهر شاه هو الذي نصب نفسه مشرعاً يحل الحرام ويحرم الحلال (وقد انعقد الاجماع على أن من أحل الحرام فقد كفر، ومن حرم الحلال فقد كفر، ويقول ابن تيمية : من أحل النظر فقد كفر بالإجماع، ومن حرم الخبز فقد كفر بالإجماع) [1].

فهل يفتي عالم من علماء الإسلام أن الذي يفعل هذا يبقى في حظيرة الإسلام لحظة؟ إن هذا وأمثاله قد خلعوا ربقة الإسلام من أعناقهم.

ثم بعد هذا الجهاد المشرف والمجد الأمثل والعز الأصيل الذي قدم له من التضحيات ما ناءت به كواهل الشعب الأفغاني أقول : أبعد هذا نعود إلى النقطة التي بدأنا منها؟

أبعد أن جرت الدماء أنهاراً ودموع الأرامل واليتامى والثكالى جداول يحرم الشعب المسلم من التفيؤ في ظلال هذا الدين؟

كل هذا الجهاد الذي خلف وراءه قرابة مليون يتيم مع ثلاثمائة ألف أرملة وقرابة مليوني جريح ومعوق ومشوه، أبعد هذا نرجع إلى الطاغوت ظاهر شاه؟

وهل استشهد د.عمر وحبيب الرحمن ونصرت يار وعطيش من أجل إرجاع ظاهر شاه وأشباهه إلى الحكم.

إن دموع أم البحري (سعد الرشود) وعبد الوهاب الغامدي وأبي عثمان وماهر شلبك وسبع الليل وأبي حفص وأبي دجانة والديلمي لم تجف بعد.

هل أقبل العرب على هذا الجهاد ليعيدوا تنصيب الملك المخلوع على جماجمهم وأشلائهم أم من أجل نصرة الإسلام وإقامة حكم الله في الأرض؟

لقد نص دستور الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان إن الهدف من هذا الاتحاد إقامة حكم الله في الأرض المنبثق من قوله تعالى : {إن الحكم إلا لله}.

وإن اشتراك آية جهة في حرمان الشعب الأفغاني المسلم من رؤية إسلامه متمثلاً في نظام الحياة جريمة تاريخية وخيانة كبرى لله ولرسوله وللمؤمنين، ومعرة ووصمة عار لن تمسح من جبين مرتكبيها على توالي الأيام وتعاقب الأزمان.

وختاماً نقول : إن الجهاد مستمر -إن شاء الله- حتى ترتفع راية لا إله إلا الله خفاقة في أفغانستان **{ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم}** (الروم الآيتان ٤-٥).

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

---

(١) منار السبيل / باب حكم المرتد/ ص ٤٠٥ بتصرف.

القاعدة الصلبة*

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد..

فكل مبدأ من المبادئ لابد له من طليعة تحمله، وتتحمل وهي تشق طريقها إلى المجتمع تكاليف غالية وتضحيات باهظة، وما من عقيدة من العقائد أرضية كانت أو سماوية إلا واحتاجت إلى هذه الطليعة التي تبذل في سبيل نصرة عقيدتها كل ما تملك، وتتحمل لأواء الطريق الصعب الطويل حتى تصل إلى إقرارها في واقع الحياة إذا كتب الله لها التمكين والظهور، وهذه الطليعة تمثل القاعدة الصلبة للمجتمع المأمول.

وما لم تجد العقيدة -ولو كانت من عند رب العالمين- هذه الطليعة المضحية التي تبذل كل ما تملك من أجل إظهار عقيدتها فإن العقيدة ستولد ميتة وتوأد قبل أن ترى النور والحياة.

وشعار حامل العقيدة من أبناء هذه الطليعة لابد أن يكون : **{قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون، إن وليّيَ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين}** (الأعراف الآيتان ١٩٥-١٩٦).

ما كنت أدرك أبعاد التركيز على طول فترة التربية المكية كما أدركها الآن واضحة جلية لا لبس فيها ولا غبش، بعد أن خضت غمار الجهاد الأفغاني وللعام السابع والحمد لله، ولقد سبرت أعماق المسألة فوجدت التربية العقدية الطويلة هي أساس المجتمع الإسلامي وعموده، وبدونها لا يمكن أن يقوم المجتمع الرباني، وإن قام فإنه سيكون هيكلاً هشاً سرعان ما ينهار لهبة ريح أو مرور عاصفة.

وخرجت بقاعدة أساسية لبناء المجتمع الإسلامي وهي :

إنه لا يمكن للمجتمع الإسلامي أن يقوم بدون حركة إسلامية تشب على نار المحنة، وينضج أفرادها على حرارة الابتلاء، وهذه الحركة تمثل الصاعق الذي يفجر طاقات الأمة، ويقوم جهاد طويل تمثل فيه الحركة الإسلامية دور القيادة والريادة والإمامة والإرشاد، ومن خلال الجهاد الطويل تتميز مقادير الناس وتبرز طاقاتهم وتتحدد مقاماتهم، وتتقدم قادتهم لتوجه المسيرة وتمسك بالزمام، وهؤلاء بعد طول المعاناة يمكن الله لهم في الأرض ويجعلهم ستاراً لقدره وأداة لنصرة دينه. وإن حمل السلاح قبل التربية الطويلة للعصبة المؤمنة يعتبر أمراً خطيراً، لأن حملة السلاح سيتحولون إلى عصابات تهدد أمن الناس وتقض عليهم مضاجعهم.

الخطوط الرئيسية لتربية العصبة المؤمنة والطليعة الرائدة :

١- لابد أن تشب في أتون المحن وأمواج البلاء.

٢- أن تكون القيادة المربية تشاركها مسيرة الابتلاء والعرق والدماء، فلابد أن تكون القيادة هي المحضن الدافئ الذي تنمو تحت أجنحته هذه الأفراخ، ولابد من طول مدة الحضانة والتربية.

٣- ولابد لهذه الطليعة أن تترفع عن متاع الدنيا الرخيص، ويكون لها طابع متفرد من حيث الزهد والتقشف.

٤- وكذلك يجب أن تكون ممتلئة باليقين الراسخ بالعقيدة مع الأمل العريض الذي يملأ جوانحها بانتصارها.

٥- ولابد من الإصرار والعزيمة على مواصلة السير مهما طال الأمد.

٦- وزاد الطريق من أهم ضرورات المسيرة وهو النوافل والصبر والصلاة.

٧- الولاء والبراء.

٨- لابد أن تدرك المخططات العالمية ضد الإسلام.

وهناك أسباب رئيسية لهذه التربية الطويلة :

١- لأن طول التضحية وفداحة التكاليف مع طول الزمن يؤدي إلى الملل واليأس، إلا إذا كانت هذه التربية العميقة هي صمام الأمن لهذه المسيرة.

* - نشر في مجلة الجهاد - العدد الحادي والأربعون ، شعبان ١٤٠٨هـ الموافق إبريل ١٩٨٨م.

٢- لأن الإغراءات والمساومات على الطريق مستمرة، ولكنها كلما اقتربت من النصر تزداد العروض ومحاولات الاحتواء، فلا بد أن تكون القيادة عناصر غير قابلة للذوبان.

٣- لأن هذه القيادة إذا مكن الله لها في الأرض هي التي ستوضع بين أيديها الكنوز، وهي التي ستشرف على حماية أموال الشعب المسلم وأعراضه ودمائه. فما لم تكن أمينة فويل للأمة من قيادتها.

التربية النبوية للجيل الأول :

ولقد كانت العناصر الثمانية الآنفة الذكر بارزة من خلال التربية النبوية للجيل الأول، ولذا فعندما ارتدت الجزيرة بأسرها قامت القاعدة الصلبة وارجعتها إلى الإسلام.

(١) أما عنصر المحنة الذي لا ينفك عن أية دعوة **{ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين}**

(الانعام-الآية :٣٤) .

وقوله عز وجل {ولا مبدل لكلمات الله} : أي أنها سنة ماضية من نواميس الله التي لا تتخلف في الحياة.

وقد سئل الشافعي رحمه الله : (أيهما أفضل : يُمَكَّن للرجل أم يُبتلى؟ قال : لن يمكن له حتى يبتلى)[١]

وحديث خباب بن الأرت في البخاري وغيره : (أتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو يتوسد بردة في ظلال الكعبة، **فقلت يارسول الله ألا تدعو لنا؟ ألا تستنصر لنا؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال : كان الرجل قبلكم يؤخذ فيحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنين ما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون")** [٢].

والمحنة تصقل الأرواح، وتصفي النفوس، وتطهر القلوب من أدرانها وأوضارها، وهذا الذي بينه الحديث الصحيح : **(إنما مثل العبد المؤمن حين يصيبه الوعك أو الحمى كمثل حديدة تدخل النار فيذهب خبثها ويبقى طيبها)**[٣].

والمحنة كلما اشتدت كلما اقترب النصر **{واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا}**[٤] وإن طول معاناة الشعب الأفغاني عبر الجهاد الطويل قد صقل عناصره، وأنضج جنوده، وزاد في صلابة قادته.

وفي الصحيح[٥] **(أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة)**.

(٢) أما مشاركة القائد للجند في المسيرة ومعاناته كما يعانون فهذا يزيد في محبة القائد في قلوب الجند، ولذا ترى الرسول -صلى الله عليه وسلم- ينتقل مع أصحابه من دار الأرقم إلى حصار الشعب ثلاث سنوات بالجوع، إلى الطائف، ثم إلى المدينة المنورة، فبدر وأحد والخندق.. إلى أن مكّن الله له وللعصبة المؤمنة في الأرض.

ولذا فإننا نجد أن المجاهدين الأفغان يفدون قائدهم الذي يعيش بينهم بالنفس والنفيس.

(٣) أما الزهد في الدنيا : فهو ناشيء عن وضع الدنيا في نصابها الحقيقي ، وضآلتها بجانب الآخرة **(ما الدنيا في الآخرة إلا كما يمشي أحدكم إلى اليم فأدخل إصبعه فيه فما خرج فيه فهو الدنيا)** حديث صحيح[٦]

---

١) زاد المعاد / ج٢/ ص - ٤٥.

٢) رواه البخاري ٧/١٢٦ وهو عند النسائي وأبي داود.

٣) أخرجه الحاكم (١ - ٣٤٨) وقال عنه صحيح الإسناد والبزار في مسنده (٧٥٦)، وابن أبي الدنيا (٦٨ - ١)، وابن عساكر (٩-١٢٧-٢). وهو في السلسلة الصحيحة برقم (١٧١٤).

٤) رواه الترمذي من حديث ابن عباس بلفظ (يا غلام إني أعلمك كلمات...) وليس فيه هذه الزيادة، وهي في مسند الإمام أحمد برقم (٢٨٠٤).

٥) الترمذي (٣ -٦٤) وابن ماجه(٤٠٢٣) والدارمي (٢ - ٣٢٠)، والطحاوي (٣ - ٦١) وابن حبان (٦٩٩) والحاكم (١ - ٤٠ - ٤١) وعند أحمد (١ - ١٧٢). وهو في السلسلة الصحيحة برقم (١٤٣).

٦) الحديث عن المستورد الفهري. شرح النووي /ج٧/ ص - ٩٢ بلفظ قريب.

(لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء)[1].

وحقارة الدنيا ينشأ عنها الزهد : **(ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد بما في أيدي الناس يحبك الناس)** صحيح[2]، والزهد في الدنيا ينشأ عنه الاستغناء عن الناس والعزة والاستعلاء.

ففي الصحيح[3] **(واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزُّه استغناؤه عن الناس)**.

وقد كان -صلى الله عليه وسلم- يوصي كثيراً بالاستغناء عن الناس، ففي الصحيح[4] **(استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك)** أي لو أكلتم فتات السواك فلا تسألوا الناس. ولذا فقد أخذ -صلى الله عليه وسلم- العهد على بعض الصحابة أن لا يسألوا الناس شيئاً، فكان أحدهم يسقط سوطه وهو على جواده فلا يطلب من الناس أن يناولوه إياه [5].

والزهد هو القاعدة الأساسية للجهاد، والترف أعظم داهية تحل بالأمم وتفسد أبناءها وتنخر في كيانها، والتخفف من الدنيا وقلة ذات اليد من الحوافز الأساسية للجهاد، ولذا فإنا تجد أن أتباع الأنبياء معظمهم من الفقراء.

وما أذل أعناق الرجال مثل الكماليات والتوسع في الدنيا، ولذا يبقى المرء خائفاً على راتبه ووظيفته ومتاعه، وكلما ازداد راتب الموظف ازداد تكالبه على الوظيفة وخوفه من أهل الدنيا.

ولذا رأينا أن الزهد كان طابعاً مقصوداً للنبي -صلى الله عليه وسلم- ولصحبه الكرام رضي الله عنهم، رغم أن الدنيا بين أيديهم **(ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين)** صحيح[6].

(٤) زاد الطريق فهو : القرآن ، والذكر ، وقيام الليل ، وصدقة السر ، وصوم النافلة ، وصحبة الصالحين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد وهو قمة هذا الزاد وذروته.

ولابد من النوافل حتى تقوى أواصر الصلة بين العبد وربه، والنوافل هي أساس التوفيق، والفتور في العبادة علامة الخذلان. **(وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه...)**[7]، والنوافل زاد الجهاد وروحه وحياته.

(٥) الولاء والبراء : ومن أهم الأركان الأساسية في حياة الأمم وجود النماذج التي لا تباع ولا تشترى، وقد فخر "غاندي الهندوسي" وهو يقدم "نهرو" للشعب الهندي قائلاً (أقدم لكم رجلاً لا يُشترى).

وكم من رجل باع وطنه ودينه وشعبه من أجل متاع رخيص : كما فعل مصطفى كمال أتاتورك الذي اتفق مع الإنجليز وسمح لهم بضرب الجيوش التركية الأربعة في فلسطين، وأسقط الخلافة، وحارب الإسلام من أجل كرسي أو رئاسة. وكم من الكماليين في أمتنا باعوها بلقمة غذاء أو كلمة ثناء أو كأس أو غانية. وانطماس مفهوم الولاء والبراء في أذهان الكثيرين أودى بهم وبمن معهم في جحيم الهاوية.

- ففي أفغانستان مثلاً : تجد بعض المسلمين قد التفوا في بداية الجهاد حول الشخصيات البارزة الذين كانوا أيام الملك في مجلس الأمة ممن يسمون (أرباب ووكيل)، وتجد هؤلاء في لحظة من لحظات الضعف يعلنون أن حكومة كابل مسلمة وينضمون بمن معهم للحكومة ويتركون الجهاد.

أهمية القاعدة الصلبة في الجهاد الأفغاني :

وقد أدركنا الآن أهمية هذه القاعدة التي تربت على الإسلام منذ نعومة أظفارها في الدعوة الإسلامية.

---

(١) رواه الترمذي في الزهد برقم (٢٣٢٠).

(٢) رواه ابن ماجه في الزهد برقم (٤١٠٢)، وأخرجه الطبراني والحاكم.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي عن سهل بن سعد وهو في صحيح الجامع برقم (٧٣).

(٤) رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان وهو في صحيح الجامع برقم (٩٤٨)، وفي السلسلة الصحيحة برقم (١٤٥٠).

(٥) إشارة إلى حديث طويل عن عوف بن مالك . شرح النووي /ج٧/ كتاب الزكاة / ص ٣٢

(٦) الحديث في الصحيحين، فتح الباري / ج١١/ باب (١٧) برقم (٦٤٥٤) بلفظ قريب، شرح النووي /ج١٢/ ص ١٠٦، بلفظ (ما شبع آل محمد -صلى الله عليه وسلم- من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله -صلى الله عليه وسلم-).

(٧) الحديث عن أبي هريرة.

تلفتنا حولنا ونحن نرى تنكر العالم كله لهذا الجهاد، والمؤامرات العالمية التي تريد قطف ثماره وإطفاء أنواره، ونرى كذلك التكالب العالمي لتحجيم هذا الجهاد، ولتنحية قياداته الحقيقية عن مواصلة الأخذ بزمام هذا الشعب المسلم.

تلفتنا فما وجدنا إلا أبناء الدعوة وأبناء القاعدة الصلبة الذين وقفوا في وجه العالم كله قائلين : لا ، نحن هنا.

وعندما كشر أعداء الله عن أنيابهم وتراجع الأصدقاء عن مساندتهم، أو وقفوا موقف المتفرج، هنا نهض قادة الجهاد الأفذاذ سيَّاف وحكمت يار ورباني وخالص وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل.

انتفض هؤلاء الأربعة يميطون اللثام عن مؤامرة اللئام وقالوا : إن ربنا أقوى من كل قوى الأرض : **{وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديراً}** (فاطر-الآية٤٤).

رأينا في كل تجارب الشعوب الإسلامية أن ثمرات الجهاد غالباً يقطفها صنائع الغرب وربائب أمريكا والعلمانيون في أفغانستان سابقاً وفي الجزائر وتونس ومصر.

والآن تحاول أمريكا أن تختلس ثمرات هذا الجهاد العظيم، وتحول دون تحكيم كتاب الله، وواجهت القاعدة الصلبة ضغوطاً دولية، وإغراءات عالية، ولكنهم أبوا أن يحنوا رؤوسهم للعاصفة، وقرروا مواصلة المسيرة المضنية على طريق العرق والدموع والدماء.

واجب العالم الإسلامي :

وأما أبناء العالم الإسلامي ففرض عليهم أن يقفوا الوقفة الصلبة بجانب هذه القاعدة الصلبة بالمال والنفوس **{والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير}** (الأنفال الآية ٧٣) .

- والقرار الأخير : مواصلة الجهاد مهما طال الطريق حتى آخر نفس يجري، وآخر عرق ينبض، أو نرى دولة الإسلام قائمة.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

حلوى رمضان أم طبق فلسطين وأفغانستان؟ *

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد :

فقد روى أبو هريرة عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: **{إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة}** [1] .

وفي الصحيحين:[2] **(من قام رمضان وصامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)** .

فنحن في هذه الأيام نتفيأ ظلال هذا الشهر الكريم الذي جعله الله –عز وجل– مطهرة السنة كلها من أوضار النفس وذنوبها وأدرانها وعيوبها، شهر يتسابق فيه المتسابقون على الخيرات، وهو كذلك شهر الجهاد، ترفرف مع ذكرياته أطياف بدر والفتح، وتتزاحم في الذهن صور عين جالوت وغيرها التي وقعت في أيامه المباركة.

وبين الصيام والجهاد علائق وصلات، فرمضان شهر الصبر والجهاد، عبادة الصبر **(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)** (آل عمران: ٢٠٠) .

---

* - نشر في مجلة الجهاد - العدد الثاني والأربعون - رمضان ١٤٠٨هـ ، مايو ١٩٨٨م.

١ ـ أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم ورجاله ثقات وله شاهد عند احمد والنسائي يتقوى به.

٢ ـ الحديث ورد بعدة روايات في الصحيحين: فتح الباري / ج ٤ / الباب الأول برقم (١٩٠١) (٢٠٠٩) (٢٠١٤) .

وخلوف فم الصائم أطيب عند الله من رائحة المسك، ودم الشهيد أطيب يوم القيامة من ريح المسك.

ورمضان شهر البذل، وفي الجهاد بذل الروح والدم والمال والنفس، ورمضان شهر الذكر والقرآن، وأرض الرباط والجهاد أرض الذكر والقرآن، والصيام دليل الإخلاص والتجرد، والجهاد سبيل الصفاء والنقاء والصدق.

مآدب رمضان:

أقبل رمضان بمآدبه الفاخرة التي تتباهى بما يزخر فوقها من ألوان الطعام، وتتنافس بما تزدان به أطرافها من شتى ألوان الحلوى التي لا تكاد اليد تتناول من كل طبق لقمة، ولا يستطيع الفم أن يتناول من كؤوسها -ولكثرتها- رشفة.

أقابل بين هذا وبين تلك الأسود الرابضة على تلل الجبال وذرى التلال قلب هذه الأمة النابض، وشريان حياتها، ولحنها العذب الذي سارت به الركبان وهم يرددون:

حق الجهاد فليس عنه خيار ... وغلت مراجل ما لهن قرار

خيل المنايا أسرجت فتأهبي ... حطين إن رحاك سوف تدار

هؤلاء درع الأمة الحصين، لا يجدون في سحورهم سوى الشاي المر والخبز الجاف، وكذلك الإفطار غالباً لا يختلف عن السحور، ولا يكاد متسحر يأمل أن يفطر في غروب اليوم التالي لأنه يعيش بين فكي الموت.

ويد المنون رحى تدور كأنما ... سكرت بشلال الدماء فلا تعي

وهناك في فلسطين فوق النار وفي أرض بيتا تصطرع الضراغم مع الرشاش والرصاص في غزة والخليل.

أشباح جن تلك أم هي نقمة ... نزلت لسحق الغاصب المتمنع

هؤلاء وهؤلاء فوق ذرى الهندوكوش وفي رحاب الأقصى، في فلسطين وأفغانستان يحركون أهم القضايا التي تستحوذ على اهتمام المسلمين وتسترعي انتباههم وتشد أنظارهم وتلتقط أنفاسهم، بفضل الله ومشيئته.

وهم بحاجة إلى رمضان المسلمين لتعد فيه البرامج التي تعدهم طيلة عامهم، إن أصحاب المآدب والموائد في هذا الشهر الكريم بحاجة إلى:

-أن يفترضوا أنه نزل بساحتهم ضيف من مجاهدي كابل في رمضان فأعدوا له طبقاً من الرز وصحناً من الحلوى.

-وأن يتذكروا هذه الجموع الغفيرة من الأيتام التي يصعب على مخيلتي أن تنساها وهي تحمل الأواني -قرب أماكن القمامة- تنتظر الناس أن يفرغوا بهذه الأواني بعض فتاتهم وبقايا طعامهم، وكلما أقبل إنسان ببقية طعامه انقضوا عليه يرجونه والدموع تغمر وجوههم أن يسقط فتات الخبز في صحونهم بدل إلقائها في القمامة.

- أن يخصصوا ما لا يقل عن نصف زكاة أموالهم لهؤلاء الجياع الذين يحمون الأمة الإسلامية بجماجمهم، ويخطون تاريخها بنجيعهم، وقد أفتى بوجوب الزكاة إلى المجاهدين جمهرة علماء الأمة وصفوتها وعلى رأسهم فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز بأنها أفضل القربات وأعظم الصدقات.

وقد سئلت أيجوز دفع الزكاة للمجاهدين الأفغان؟ فأجبت بأن الآية الكريمة تقول: **(إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل)** (التوبة: الآية ٦٠).

فكل من توفرت فيه صفة من هذه الفئات الثمانية استحق الزكاة، ونكاد نقول: إن كل مجاهد أفغاني فقير ومسكين وغارم ومجاهد -في سبيل الله- وابن سبيل، فخمس من الصفات الثمانية تتوفر في المجاهد الأفغاني.

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية (لو ضاق المال عن اطعام الجياع والجهاد الذي يتضرر بتركه فقال: قدمنا الجهاد وإن مات الجياع) [1]. فالجوع في الأمة الإسلامية منتشر، ولكن الجهاد مع الجوع قليل فيجب الاهتمام به والتركيز عليه.

- أن تجمع صدقات الفطر ثم ترسل أموالاً ليشترى بها الرز أو الطحين للمجاهدين.

١ ـ الفتاوى الكبرى (٤/٦٠٧).

- أن يتبرع المسلم بجزء من ماله زيادة عن الزكاة. قال القرطبي (اتفق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة فإنه يجب صرف المال إليها) [1]

- أن يكفل أسرة شهيد ويجهز غازياً .

- الدعاء: وهذا أهمها في الوقت الذي تكالبت فيه قوى الأرض جميعاً على هذا الجهاد تريد أن تطفئ نوره وتخمد ناره، في هذا الوقت الذي وقف فيه المجاهدون وحدهم دون أهل الدنيا، وكشر العدو عن نابه، ونزع المداورون لثامهم، ووجم الأصحاب وجوم أهل القبور، وصمت الأحباب صمت الأموات.

إذلال الله لروسيا:

نعم لقد أذل الله روسيا وأعلنت انسحابها مهينة ذليلة، ولكنها اشترطت أن لا تمتد يد بالمساعدة إلى هؤلاء الأبطال.

هنا وقد أغلقت أبواب الأرض أو كادت فأبواب السماء مفتوحة تنتظر **(من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له؟)** [2]، فلابد من تخصيص المجاهدين في أفغانستان والصامدين في فلسطين بالدعاء وخاصة في أوقات الاستجابة:

- عند الإفطار.
- عند السحر حيث ينزل ربنا -عز وجل- إلى السماء الدنيا.
- في القنوت -سواء في قنوت الوتر أو قنوت الفجر- .
- أثناء الصيام في النهار.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك .

عيد الإسلام وعيد المسلمين *

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد مضت ليالي رمضان الجميلة، وتشنفت الآذان بسماع القرآن الندي الشجي من أفواه المقرئين، واستمتعت النفوس بتلك الساعات الثمينة التي يقضونها قائمين يستعذبون بها حلاوة القرآن غضاً طرياً، وبدأت منازل القمر تتراجع، ونوره يخفت ويخبو، وطفق هذا الضيف الكريم يلم أذياله ويحزم أمتعته ليودع وإلى رحلته السنوية. والكل يرنو إليه ودموع الفراق الحار تترقرق بين موقيه وتتحدر هاطلة على سابليه.

وهناك في قمم الجبال وبين الوهاد والنجاد والأدغال رمضان آخر غير رمضان المسلمين اليوم. هنالك لثبات (فئات) من الضراغم والسرايا من ذوي العمائم ممن يخطون تاريخ هذا الدين بالدماء، ويكتبون على صفحات القلوب أروع معاني التضحية والفخار يسطرونها بأحرف من نور، ويمسحون عن جبين هذه الأمة وصمات الخزي والعار التي تركتها عليها الخلوف التي أضاعت الصلوات واتبعت الشهوات.

هذه ليالي رمضان يتمنون أن يلتقطوا فيها أنفاسهم، ويأووا فيها إلى إمامهم يرتل في لياليه أعذب الألحان، ويردد هذا الكلام الرباني الخالد، ولكن هيهات هيهات، إن الأيام عصيبة، والساعات حاسمة، ولا بد أن يقضّوا مضاجع عدو الله، وقد بدأ يودع أرض أفغانستان وداعاً غير وامق، لابد أن يطاردوا فلوله ويشتتوا جمعه.

فلا ساعة للانتظار ولا وقت للدّعة، أيام لها ما بعدها في تاريخ هذه الأمة المسلمة وفي مسيرة هذا الدين.

---

١ ـ تفسير القرطبي/ ج ٢ / ص ٢٤٢

٢ ـ فتح الباري / ج ٢ / ص ٢٤٢ وعند الترمذي (٤٤٦) وابن ماجة (١٣٦٦) وأحمد (٢ـ ٢٦٤) وأبو داود (١٣١٥) .

* ـ نشر في مجلة الجهاد – العدد الثالث والأربعون ، شوال ١٤٠٨هـ الموافق يونيو ١٩٨٨م.

وجبة واحدة:

نعم إنهم يأكلون كما حدثني أبو حمزة وهو يحدّث إثر عودته من قندهار بعد سلسلة من الانتصارات الباهرة قائلاً: كنا نأكل وجبة واحدة في اليوم، ونشرب الطين المائي المنتن الذي نتسابق عليه مع الغنم حتى نبل صدانا ونروي ظمأنا.

كانوا يتنقلون من فتح إلى فتح، ومن مركز، إلى مركز كأنهم أشباح تنزلت من السماء.

لا أبعد الله عن عيني غطارفة إنسا إذا نزلوا جنا إذا ركبوا

ليوث غاب لكن لانيوب لهم إلا الأسنة والهندية القضب

وفي بعض المناطق لم يستطيعوا أن يوفروا الخبز فراحوا يبحثون عن البوم (ثمرة صغيرة برية) يسكتون آلام السغوب التي تأكل أمعاءهم وتتلوى منها بطونهم.

آلام وآلام:

مسلمون تتلوى بطونهم تخمة لعسر الهضم، ولتلبد أنواع اللحوم والدهون في بطونهم، ومسلمون يصابون بالقرحة المعدية لأنهم لا يجدون الخبز ولا الرز، ولا زالت صورة الشفاه ماثلة في المخيلة تلك التي تصلبت وأسودت لكثرة أكل العشب وكأنها شفاه الغنم، وبدا لون العشب الأخضر بارزاً على وجوههم وعلى عروقهم.

وكانوا يأكلون العشب طعما بأن سواه لن يجدوا طعاما

وهناك في الربوع المباركة هذي الانتفاضة الجهادية حيث أغلقت الحوانيت، وقطع المسلمون جميع الأواصر مع هذه الحياة، لا ترى في الشارع سوى الذين يهجمون على الموت أمام المدرعات والرشاشات لا يحملون سوى الحجارة.

أصلاح هذا من وراء الغيب جاء؟

ليعيد حطين الكرامة والبطولة والفداء

أم من أرى قطز وبيبرس الكتيبة واللواء

في عين جالوت العزيمة والرجولة والدماء

لا يا فتى الشعراء.. لا قطز هناك ولا صلاح

وما تراه اليوم لم يك بالسيوف ولا الرماح

لكنما ثارت محاريب المساجد في فلسطين الذبيحة

فرمت بأفلاذ الكبود الخضر في القدس الجريحة

أبناء عشر بالأيادي اللدن هبوا يزأرون ويثأرون

يتمردون على الحديد وينفضون لظى القيود

وبالحجارة ينهضون . . وبالعصيّ يتقدمون

وتتوالى ملاحم البطولة هنا وهناك، واختفت معالم الترف والتميع، وتكاتفت الأيادي، والتقت القلوب، والكل يدفع حتى بفلذات كبده يحملهم زجاجة المولوتوف ليرميها على سيارة مدججة بالسلاح ليحرقها ويلقى مصرعه أمامها.

والكل ينتظر الخبز وقد غابت عن الحياة كل وسائل الحياة.

ومضى رمضان، وبدأ الناس يستعدون للعيد: واكتظت صالات مكاتب الطيران، ولم تعد تسمع على سماعة الهاتف سوى الحجز والتذاكر، وبدأت إجازة العيد، وحجزت كل أسرة لكامل أفرادها شقة جميلة على ضفاف التايمز، أو في لوزان، أو على شواطئ أونتاريو أو فلوريدا.

هناك حيث تبدد الأموال، وهنا حيث يخوض الأبطال غمار الأهوال بين الشهب المنقضة من فوقهم، ويمشون فوق أرض الزلازل والبراكين المتفجرة بين أيديهم وأرجلهم.

والمسلمون في عيد المسلمين:

مشغولون بفطير العيد وعجين التمر الذي يصنع منه حلوى الفطر، وفي عيد الاسلام: الأيادي مشغولة بمعجون

الجلكتيت والسيفور و T.N.T تصنع منها عبوات لتقض على أعداء الله منامهم، وتدمر فوق رؤوسهم بنيانهم، أو تخسف الأرض من تحت أقدامهم.

وفي عيد المسلمين:

كل شاب أو شيخ يلهث وراء اللباس الأنيق الذي سيرتديه في الأيام الأولى من شوال، ولابد أن يكون لون الياقة مناسباً للبدلة والحذاء والجوارب، بل لابد أن يتوافق مع لون السيارة، وفراش البيت لابد له من تجديد، إذ أن الأثاث القديم لم يعد متناسقاً مع لون الستائر والسجاد، ودهان العمارة الجديدة لا يتناسب مع هذا كله.

وفي عيد الإسلام الآن:

وعلى الحدود الباكستانية الأفغانية ترى الجموع المكتظة من جند الله -عز وجل- كل يرتب أمتعته ويبحث عن أصحاب الخيول والبغال والعرق يجهده. عن أجرة الأمتعة والأثقال والذخائر التي جمعها في أرض القبائل ويشغل لبّه ويحيّر فكره أجرة هذه البغال التي كادت تفوق تذاكر الطيران، فأجرة البغل قد تصل إلى ثلاثمائة دولار، وهذا مبلغ ضخم في حياة المجاهد، إذ يكاد خياله يقصر أن يدرك الطريق الذي يمكن أن يوفر به هذا المبلغ.

ثمن خبز الطريق:

وعلم الله أن ثمن الخبز في الطريق أصبح من العقبات الكؤود التي تعترض هذه المسيرة المباركة، وليس في المقاهي على طول الطريق الدامي الشاق المعلق بين السماء والأرض والممتد قرابة شهر ونصف سوى الخبز والشاي، ومع هذا فأين ثمن الشاي؟

طريق محفوف بالمخاطر، مفروش بالأشواك، وهو بين سرب طيران يبصره فيلاحق القافلة على طول الجادة اللاحبة يتناولها بصواريخه التي تصل طناً كاملاً، وتزداد الأهوال في مسيرة الصحراء عبر هلمند وقندهار وأورزجان ونيمروز فلا شعب ولاجبل ولا شجر ولا حجر.

قافلة "مُوَحِّد":

ولقد كانت قافلة الشهيد "مُوَحِّد" (قائد بروان) شاهداً حيا يقرب إلى الأذهان أهوال يوم الحشر الأكبر، إذ بقيت الطائرات تتابعه حتى لم ينج من قافلة عدادها مائتا جمل سوى واحد!.

وهناك مئات الألوف من الأيتام ينتظرون حتى ليلة العيد ويومه من يمسح على رؤوسهم بدل أيدي آبائهم الشهداء الذين قضوا نحبهم وهم يصبغون مجد الأمة بالدماء.

وهناك مئات الألوف من الأرامل تنتظر ليلة العيد صدقة الفطر، حيث حدثني أحد الإخوة أننا في العام الماضي كنا ندخل بحفنات الرز (صدقة الفطر) على الخيام فيبكون فرحاً ليلة عيد الفطر.

وهناك مئات الألوف من المجاهدين ينتظرون ليلة عيد الفطر الحذاء والكساء والغطاء والدواء وخاصة في هذا الوقت العصيب الذي تنكرت فيه الدنيا بأسرها لهذا الجهاد المبارك، وكشرت فيه عن أنيابها، وأجفل الصديق وبان العدو.

وهناك الآلاف المؤلفة التي ترصد لليلة العيد هديتها الثمينة بأن تحيل الدنيا جحيماً فوق رؤوس الروس وتحت أقدام الشيوعيين.

فهل تُحوّل أموال عيد المسلمين لتصبّ في بوتقة عيد الإسلام؟ وهل توفر لعب الغلمان لنصنع بها روائع الزمان التي تتحدث بها الركبان ... **ألا ليت قومي يعلمون!.**

تواتم محمد بن مسلمة *

الحمدلله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد روى البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: (**بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رهطاً من الأنصار إلى أبي رافع ليقتلوه، فانطلق رجل منهم فدخل حصنهم، قال: فدخلت مربط دواب لهم، قال: وأغلقوا باب الحصن، ثم أنهم فقدوا حماراً لهم فخرجوا يطلبونه، فخرجت فيمن خرج أريهم أنني أطلبه معهم، فوجدوا الحمار فدخلوا ودخلت واغلقوا باب الحصن ليلاً، فوضعوا المفاتيح في كوة حيث أراها، فلما ناموا أخذت المفاتيح ففتحت باب الحصن ثم دخلت عليه، فقلت: يا أبا رافع، فأجابني، فتعمدت الصوت فضربته فصاح، فخرجت ثم رجعت كأني مغيث، فقلت يا أبا رافع -وغيرت صوتي- فقال: مالك لأمك الويل قلت: ما شأنك؟ قال: لا أدري من دخل عليّ فضربني، قال: فوضعت سيفي على بطنه ثم تحاملت عليه حتى قرع العظم، ثم خرجت وأنا دهش، فأتيت سلماً لهم لأنزل فيه فوقعت فوثئت رجلي، فخرجت إلى أصحابي فقلت: ما أنا ببارح حتى أسمع الناعية، فما برحت حتى سمعت نعايا أبي رافع تاجر أهل الحجاز، قال: فقمت وما بي قلبة حتى أتينا النبي -صلى الله عليه وسلم- فأخبرناه**)(١). وفي الرواية الأخرى أن الذي دخل عليه هو عبدالله بن عتيك. وكان أبو رافع يعادي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويؤلب عليه الناس.

قال ابن حجر في الفتح [٢] : وفيه جواز التجسس على المشركين وطلب غرتهم وجواز اغتيال ذوي الأذية البالغة منهم.

مصرع كعب بن الأشرف:

روى الإمام مسلم في صحيحه [٣] قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (**من لكعب بن الأشرف فإنه آذى الله ورسوله؟ فقال محمد بن مسلمة: يا رسول الله أتحب أن أقتله، قال: نعم، قال: ائذن لي فلأقل -أي شيئاً عنك-، قال: قل، فأتاه، فقال له وذكر ما بينهما وقال: إن هذا الرجل قد أراد صدقة وقد عنانا -أتعبنا-، فلما سمعه قال: وأيضاً والله لتملنّه- لتسأمنه-، قال: إنا قد اتبعناه الآن ونكره أن ندعه حتى ننظر إلى أي شئ يصير أمره، قال: وقد أردت أن تسلفني سلفاً، قال: فما ترهنني؛ قال: ما تريد؟ قال: ترهنني نساءكم، قال: أنت أجمل العرب أنرهنك نساءنا؟ قال: ترهنون أولادكم، قال: يسب ابن أحدنا فيقال: رهن في وسقين -كيلين- من تمر، ولكن نرهنك اللأمة (يعني السلاح.) قال: فنعم، وواعده أن يأتيه بالحارث وأبي عبس بن جبر وعباد بن بشر. قال فجاءوا فدعوه ليلاً فنزل إليهم، قالت امرأته: إني لأسمع صوتاً كأنه صوت دم، قال: إنما هذا محمد بن مسلمة ورضيعه وأبو نائلة، إن الكريم لو دعي إلى طعنة ليلاً لأجاب، قال محمد: إني إذا جاء فسوف أمد يدي إلى رأسه، فإذا استمكنت منه فدونكم، قال: فلما نزل نزل وهو متوشح فقالوا: نجد منك ريح الطيب، قال: نعم تحتي فلانة هي أعطر نساء العرب، قال: فتأذن لي أن أشم منه، قال: نعم، فشم فتناول، ثم قال: أتأذن لي أن أعود؟ قال: فاستمكن من رأسه ثم قال: دونكم فاقتلوه**).

هذان نصان واضحان قاطعان في دلالتهما أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد أزال من طريق الدعوة رأسين من رؤوس الكفر بالقوة اغتيالاً، وذلك لأن الصارم لابد من استعماله لإماطة الرؤوس المدبرة والعقول المفكرة التي لا تكف عن نصب الأحابيل ووضع العراقيل أمام هذا الدين. وكعب بن الأشرف وأبو رافع من زعماء اليهود ومن أئمة الكفر لديهم، وإذا أضفت إليهما قوله عز وجل: (**واقعدوا لهم كل مرصد**) (التوبة: ٥)

قال أبو بكر بن العربي في أحكامه [٤] (**قال علماؤنا: هذا دليل على جواز اغتيالهم قبل الدعوة -قبل الإنذار-**).

وقال عند آية: [**... فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ...**] (البقرة: ١٩٤)

قال علماؤنا: هذا دليل على أن لك أن تبيح دم من أباح دمك، وتحل مال من استحل مالك.

---

*- نشر في مجلة الجهاد - العدد الرابع والأربعون - ذو القعدة ١٤٠٨هـ الموافق ١٩٨٨م.

(١) فتح الباري (٦-١١٧).

(٢) فتح الباري / ج ٦ / باب (١٥٥) ص - ١٥٦

(٣) الحديث في الصحيحين: فتح الباري / ج٦ / باب (١٥٨) برقم (٣٠٣١) شرح النووي / ج١٢ ص ١٦١، وفي المختصر برقم (١١٧٠)

(٤) أحكام القرآن لابن العربي (٢ - ٩٠٢)

وقد أجمع العلماء: على جواز الدفاع المشروع ودفع الصائل على الأعراض والدماء والأموال.

فأما الدفاع عن العرض: فهو فرض (واجب) بإجماع العلماء، فمن أراد أن ينتهك العرض فلا بد من دفعه بالزجر ثم باليد ثم بالعصا، فإن لم يكن بد من استعمال السلاح فلا بد من استعماله، وقتل الصائل ولو كان قائماً صائماً.

وأما الدفاع عن النفس والمال: فهو واجب عند جمهور العلماء، وأما جوازه فقد انعقد الإجماع عليه ولو كان استعمال هذا الدفاع ضد خيار المسلمين المخبتين الخاشعين.

ولنرجع إلى الحكم الشرعي لاغتيال رؤوس الكفر التي لا تكف لحظة عن التدبير ضد هذا الدين محاولة منهم لإطفاء نور الله بأفواههم، وهذا أمر تقتضيه الضرورة، إذا أن هذا الدين جاء لتخليص البشرية من نير العبودية، ولإنقاذهم من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ولا يمكن أن تخلص الطريق إلى الله من طواغيت يستعبدون الناس لأنفسهم من دون الله ويقفون أمام هذا النور المبين لتبقى الجماهير تتضور في دياجير الظلام، ليس لهم من همٌ سوى إرواء الشهوات وإشباع النزوات.

وكما قال زويمر -زعيم المبشرين المتصرين-: (لقد أنشأنا جيلاً همه الشهوات، ويعيش من أجل الشهوات، وفي سبيل الشهوات يجود بأغلى ما يملك)

لابد من إزالة العوائق التي تعترض سبيل هذا الدين القويم، ولابد من تحطيم العقبات التي تحول دون وصول النور إلى الناس، وهؤلاء الطواغيت الذين يقول فيهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له**)[1].

وإزالة أئمة الكفر وقادة الفتن حق طبيعي، وحكم شرعي رباني، وضرورة منطقية عقلية. ولذلك فعندما قال أحد الجالسين في حضرة معاوية رضي الله عنه وبوجود محمد بن مسلمة -قاتل كعب بن الأشرف- والله ما قتل كعب إلا غدراً، فغضب محمد بن مسلمة وقال لمعاوية [2]: أيقال هذا في مجلسك وتسكت؟ والله لا أجالسك . . ولئن خلوت به لأقتلنه.

وقد اعتبر محمد بن مسلمة دم هذا المسلم هدراً لأن قوله يشي وينم أن حكم اغتياله لكعب بن الأشرف إنما هو غدر لا يليق بطبيعة هذا الدين. وهذا مساس بمقام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي سن هذه الشرعة وأمر بهذه السنة. وهذا يعني نسبة الغدر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهو أمر لا يختلف عليه اثنان أنه خروج من الملة يوجب القتل ويهدر الدم.

ضابط:

ولا بد من العلم أن هذا الأمر -اغتيال أئمة الكفر- راجع إلى العلماء الذين يقودون مسيرة الجماهير المتجهة إلى الله وليس راجعاً لاجتهاد فردي، بل مصلحة الجماعة التي يقدرها القائد ويحددها العالم المسؤول ببيان حكم الشرع وتوضيح الحكمة من هذا الأمر.

سنة مهملة:

ولقد سبب إهمال هذا الحكم الشرعي -اغتيال قادة الكفر- من الظلم الكبير والشر المستطير للأمة الإسلامية التي عانت الويلات، ودفعت الضرائب الفادحة من أعراضها ودمائها وأموالها ما لا يعلمه إلا الله.

وكان تطبيق هذه السنة النبوية والشرعة الإلهية -بين الحين والآخر- من قبل أفراد يغامرون بأرواحهم ويخاطرون بأنفسهم وأموالهم تخليصاً للأمة بكاملها من حياة السوائم إلى حياة الإنسان، وانتشالاً لها من مستنقع الطين ووحل الجنس إلى قمة سامقة مضيئة يستروح فيها الناس نسمات الحرية والعزة.

فإن تفق الأنام وأنت منهم   فإن المسك بعض دم الغزال

فسليمان الحلبي قتل "كليبر" فخلص الناس من جيش عرمرم من الفرنسيين

---

١) أخرجه الإمام أحمد (٢ - ٥٠/٩٢) وأبو يعلى في مسنده / والطبراني في الكبير، وهو في صحيح الجامع برقم (٢٨٣١).

٢) الصارم المسلول لابن تيمية / ص - ٩٠، والذي قال العبارة هو (ابن يامين).

إن نفساً ترتضي الإسلام ديناً ثم ترضى بعده أن تستكينا
أو ترى الإسلام في الأرض مهيناً ثم تهوى العيش، نفس لن تكون
في عداد المسلمين العظماء

وشاب متحمس خلص لبنان من غطرسة "المارينز" وجبروت ذوي الوجوه الحمر.

إحياء هذه السنة:

ولقد جاء الشعب المسلم الأفغاني ليحيي هذه السنة بنماذج لسان حال أحدهم يقول:

وإني لمن قوم كأن نفوسهم بها أنف أن تسكن اللحم والعظما

فقتل زعيم المليشيا (شير أغا وتوران غلام رسول) وحاجي سلطان محمد في بغلان ودليلي من غزني، واختطاف السناتور عبد الرزاق من قندهار، واختطاف زرغون الضابطة الشريرة على باب كابل ومن مركزها وقتلها، وقتل محافظ هرات ومستشاره بباب وزارة الداخلية في كابل... كانت عملية مذهلة في الجرأة والإقدام والشجاعة والاقتحام.

قتل مولوي جل أحمد بشتون العميل:

في فارياب حيث الثلوج تكسو الأرض، ولا تكاد الأصابع تضغط على الزناد لشدة البرد، قال القائد علاء الدين: من لهذا الرجل الذي آتاه الله آياته **(فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين)** يسخِّر دين الله لخدمة الشيوعية ومحاربة المجاهدين، وانطلق ثمانية من بينهم الحاج أحمد العراقي وتسوروا على الرجل جدار بيته بعد أن تخطوا أكثر من خمسين مركزاً للشيوعيين حتى وصلوا إلى بيته الواقع في وسط مركز فارياب -ميمنة-، عندما دخلوا ساحة داره طلبوا المولوي -العالم- فانتفضت زوجته تدافع عنه، وتقول: أنتم من الأشرار، فحاولوا أن يغيروا هويتهم ولكنها قالت: أنا أعرفكم من جماعة علاء الدين. وأقبلت على رشاش أحدهم وأخذت مخزن الذخيرة، وشب أولاده وبناته من فراشهم مذعورين، وساد الهرج، وعلا الصراخ، ولم يجد المجاهدون بدأمن قتله في أسرع وقت، فقتلوا رأس الفتنة "بشتون" وانسحبوا، في الوقت الذي تحركت فيه الدبابات والطائرات للقبض على المجاهدين، وفتحت الرشاشات من كل مكان، وصوب أحد المجاهدين مدفعه نحو دبابة وأحرقها ونجا المجاهدون وعادوا قبل الفجر، وعلاء الدين قائم يصلي ويتضرع لربه أن ينقذ المجاهدين.

خلاصة:

(١) لابد أن يقف المسلمون الموقف الذي تتطلبه عقيدة البراء والولاء، فلا يتزعزع ولا يتأرجح تجاه أعداء الله البارزين، وأقلها مقاطعة البضائع الروسية واليهودية والأمريكية، لأن الأمريكان أولياء اليهود وأنصارهم و مؤيدوهم وداعموهم.

(٢) أن ترتب قوائم نسميها قوائم محمد بن مسلمة ندرج عليها سدنة الكفر وأئمة الشرك من الطواغيت الذين ينازعون الله في ألوهيته وربوبيته في الأرض.

ندرج عليها أولاً: كل يهودي يمد إسرائيل أو يتعاطف معها. وندرج عليها: أئمة الكفر وزبانية تعذيب البشرية من الروس والشيوعيين. وندرج عليها زعماء الأحزاب الملحدة والعلمانية التي تتبجح بإلحادها ومناوأتها للإسلام، وندرج عليها: كل من يعلن وقوفه بجانب اليهود من أي الأصقاع ومن سائر البقاع.

ألا من فتى يورد الهندي هامته كيما تزول شكوك الناس والتهم

فيا خيل الله اركبي: ويا جند الله أقبلوا، ويا سيوف الله أبرقي، ويا سماء أرعدي وزمجري:

أسد فرائسها الأسود يقودها أسد تصير له الأسود ثعالبا

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

عقيدة الولاء والبراء *

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن أنظمة العالم الإسلامي الآن أمام خيار صعب بعد إعلان حكومة المجاهدين وتوزيع الحقائب الوزارية إثر هذا الجهاد الإسلامي المشرف الذي ما شهد التاريخ الحديث له نظيراً، وبعد أن أنقذ هذا الجهاد الأمة المسلمة من وهدتها، ورفعها من كبوتها، بعد أن دفع من الجماجم ما يستحق أن يبني فوقه صروح المجد، وبذل من الأشلاء والدماء ما يمكن لسفينة الإسلام أن تشرع فوقه بسلام. والآن وقد أعلنت الحكومة المجاهدة وتنتظر الاعتراف، فإن اعترف بها فهذا واجب الأخوة الإيمانية وحق الوشيجة الإسلامية، وهذا أمر طبيعي ومنطقي في حق كل دولة تمتلك أرضاً وتحمل الشوكة وتحمي الثغور ولها كل المقومات لأية دولة أخرى.

وإن كانت الأخرى فليس بمستغرب على أنظمة تقوم قراراتها على الموازنة بين المصالح والمفاسد والمنافع والأضرار، وهذه كلها إنما تنطلق من نظرة مادية قريبة، وتنبثق من خلال موازين متأرجحة لا يعرف لها عيار ولا يستقر لها قرار.

وليست هذه هي المرة الأولى أن تغمض الأعين دون نظام إسلامي قائم، أو تهمل الأنظمة إهمالاً تاماً دولة قائمة على دين ومبنية على عقيدة، فهنالك دولة قبرص الإسلامية التي تنتظر الاعتراف منذ عقد من الزمان.

وسواء اعترفت الأنظمة بحكومة المجاهدين أم لم تعترف فالمسلمون في كل مكان يبوئونها شغاف قلوبهم، ويجري حبها مع نجيع عروقهم، وكما أن المجاهدين فرضوا احترام جهادهم على كل أنظمة الأرض، فإن دولتهم ستفرض احترامها -إن شاء الله- على كراسي المعمورة بأسرها. والحق أن الاعتراف بدولة المجاهدين الإسلامية موقف قد يكلف النظام المعترف بها تبرم كثير من الطواغيت الذين يملكون القنابل الذرية والأقمار الصناعية، بل نفور كل أعداء الله الذين يقول الله عز وجل عنهم: **{ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا}** (البقرة: الآية ٢١٧)

{ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم} (البقرة: الآية ١٢٠)

وأعداء الله لا يعرفون إلا مصالحهم، ويعبر عن سياستهم قول وزير الخارجية البريطانيه رداً على الأستاذ سعد جمعه رحمه الله رئيس وزراء الأردن عن نكبة ٦٧ عندما قال له سعد: نحن أصحاب حق، فقال البريطاني: (السياسة ليس فيها حق ولا باطل، السياسة فيها مصالح ومنافع).

والاعتراف وغيره إنما ينبثق مما تكنه القلوب من عقيدة، وما تحمله الجوانح من مبادئ، وما تنطوي عليه الحنايا من قيم، والتصرفات والأفعال والشعائر إنما هي انعكاسات العقائد المستكنة في أعماق الضمائر.

وهذ القضية وغيرها من التصرفات التي تعبّر عما في النفوس من المبادئ والإيمانيات لا بد أن نردها إلى هذه العقيدة التي هي ملزوم لا إله إلا الله، إذ أن -لا إله إلا الله- تستلزم من لفظها النفي والتبرؤ -البراء- من كل طاغوت، والإثبات والولاء لله ولكتبه ولرسله.

وعقيدة الولاء والبراء: هي أول مقتضيات لا إله إلا الله، ومن مستلزماتها التي لا تنفك عنها.

ولا إله إلا الله (كلمة التوحيد) إذا استقرت في القلوب وتفاعلت مع الضمائر لا بد أن تتحول إلى استقرار في النفوس، تفيض عليها السكينة والطمأنينة، وشهادة على اللسان يلهج بها في كل مكان، وأفعال على الجوارح وفق المنهاج الذي أنزله الواحد الأحد.

ويستحيل على عبد أن تستقر في مسارب نفسه عقيدة التوحيد ويبقى ساكتاً جامداً ميتاً لا حراك فيه.

لا بد أن تتحول هذه العقيدة إلى حرارة تجيش بها الصدور، وتفيض أفعالاً في عالم الظهور، وتنتج سلوكاً وأخلاقاً وأنظمه بمثل ماء السماء الطهور.

وهذه العقيدة... تثمر الحب لله ولأوليائه، والبغض لأعداء الله، وتنتج الوقوف بجانب أولياء الله، والبعد والهجر لأعداء الله.

وهذه المواقف الإيمانية انعكاس طبيعي ومنطقي للحقائق الإيمانية التي تستقر في الأعماق، فكما أن القلب الحي النابض بالدم النظيف ترى معه جسداً صحيحاً سليماً، فكذلك القلب المريض الذي يحمل أمراضاً خبيثة في طياته لابد أن تظهر آثارها حرارة

* نشر في مجلة الجهاد - العدد الخامس والأربعون - ذو الحجة ١٤٠٩هـ أغسطس ١٩٨٨م.

وبشرات وتروحا عسى انجند.

ومن المستحيل أن تحب إنساناً ثم تكره سلوكه وتصرفاته وأخلاقه وحركاته، وتكره طريقة طعامه وشرابه. إن الذي يحب إنساناً؛ تراه يقلده في طريقة كلامه وسلامه وحركاته، ويحب اتباعه في لباسه وطعامه وشرابه. والحب ينتج الطاعة والبغض يورث المعصية.

إن المحب لمن يحب مطيع، قال الحسن البصري: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم بهذه الآية: **(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)** (آل عمران: ٣١)

يقول ابن تيميــة " إن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله تقتضي أن لا يحـب إلا لله، ولا يبـغض إلا لله ولا يوالي إلا لله، ولا يعادي إلا لله، وأن يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله، ويوالي المؤمنين في أي مكان حلوا، ويعــادي الكافـر ولو كان أقرب قريب" [١] .

وقد روى الطبراني بإسناد حسن: [٢] **(أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله)**. بل ولاية الله لا تنال إلا بالحب له والبغض له.

روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما: **(من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك)**. **(وقد صارت مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً)** [٣] .

إن محبة الله التي تستلزم محبة رسوله -صلى الله عليه وسلم- أثمرت نماذج من التضحيات وأفذاذاً من البشر ما يحسبه الإنسان ضرباً من الخيال أو لوناً من الأساطير. إنها أبرزت أمثال: زيد بن الدثنة الذي يقول بين يدي قتله وأبو سفيان يقول له (أتحب أن محمداً مكانك؟) فقال: (والله لا أحب أن محمداً يشاك شوكة في قدمه وإني جالس في أهلي)، فقال أبو سفيان (ما رأيت كحب أصحاب محمد محمداً) [٤] .

وأظهرت: المرأة التي من بني دينار التي قتل أبوها وأخوها وزوجها فسألت: (فما فعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أروني حتى أنظر إليه. فأشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل) (صغيرة) [٥] .

يقول الشيخ حمد بن عتيق: (ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم -الولاء والبراء- بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده) [٦] .

إن توحيد الله يقتضي أن تدخل في حزبه وتناصر أولياءه، وتحب العيش معهم، وتدافع عن دارهم وحرماتهم، وتجاهد في سبيل الله لحماية أعراض المسلمين ودمائهم وأموالهم. وأن تكره الكافرين وتهجر دارهم وتمقت العيش بينهم، ففي الحديث [٧]: **(من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله)**، وصح عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: **(من بنى بأرض المشركين فصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة)** [٨]، قال ابن تيمية: وظاهر هذا، أنه جعله كافراً بمشاركتهم في مجموع هذه الأمور. [٩]

(١) الاحتجاج بالقدر لابن تيمية (٦٢)

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١٥٣٧)، وعند الطيالسي (٣٧٨)، وهو في السلسلة الصحيحة برقم (١٧٢٨)

(٣) حلية الأولياء (٣١٢/١)

(٤) مختصر السيرة (١٥٤)

(٥) مختصر السيرة (١٤٩)

(٦) الولاء والبراء للقحطاني

(٧) أخرجه أبو داود برقم (٢٧٨٧) بلفظ "... وسكن معه فإنه مثله"، وهو في صحيح الجامع برقم (٦١٨٦)

(٨) الولاء والبراء للقحطاني (٢٧٤)

(٩) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٢٠٠)

وأهل عقيدة التوحيد ومقتضاها من الولاء والبراء يتجمعون على وشيجة الإيمان، ويلتقون على صلات العقيدة والدين يتجاوزون فيها المواقع الجغرافية والحدود الزمانية واللون والعرق والعشيرة والجنس والصنعة والحرفة، ولا يلتقون كما تلتقي الحيوانات على الحظيرة والكلأ والجنس. فحزبهم العقيدة: لا يجمعهم لون جواز سفر، ولا قطعة أرض محدودة بجبل أو نهر، ولا حزب دينه اللغة، ولا جماعة كل رابطتها أنهم سود أو بيض، أو رابطتهم أنهم فلاحون أو عمال أو كادحون، ولا صلاتهم أنهم رابطة محامين أو نجارين أو حدادين ولا أنهم شام أو يمن، وهكذا مما تجتمع عليه البهائم والسوائم. وذلك لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لهم: **(دعوها فإنها منتنة)**[10] **(ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية)** [11]

فلا يمكن أن يدخل المؤمن الذي فهم عقيدة التوحيد تحت راية تجمع قومي منتن: كالقوميين العرب، وحزب البعث، والقوميين السوريين حتى ولو كان المخططون لهم من المتسلمين المغفلين، فكيف إذا كان قائد القوميين العرب: قسطنطين زريق ، وجورج حبش النصرانيين، وقائد البعث ميشيل عفلق النصراني، وزكي الأرسوزي النصيري، وقائد القوميين السوريين أنطون سعادة وجورج عبد المسيح النصرانيان،؟!

راية جاهلية، وقيادة كافرة، ومنهاج إلحادي علماني، فأنّى لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن ينضوي تحت هذا اللواء؟! ولا يمكن لصاحب عقيدة الولاء والبراء النابعة من التوحيد أن يدخل الماسونية اليهودية أو يلوي إلى أوكارها وجحورها، ولا أن ينضم إلى المحافل الماسونية كالروتاري والليونز والبني برث التي ولدتها اليهودية اللئيمة الحاقدة.

ولا يمكن لصاحب عقيدة الولاء والبراء أن يكون جاسوساً في المخابرات المركزية الأمريكية أو الروسية، أو أن يكون عيناً لجهة مشبوهة تحارب الإسلام ولا لطاغوت يكيد للحق وأهله ويحارب أولياء الله ويوالي الشيطان في كل مكان. ولا يمكن لمؤمن موحد أن يوالي الحلفاء وبريطانيا ضد الخلافة العثمانية.

أما الدين الذي تنزل من لدن حكيم عليم فقد تجمع فيه المؤمنون على العقيدة على طول الزمن الممتد مع رسالات الأنبياء كلها صلوات الله وسلامه عليهم. وغاب فيها نتن القبيلة، واختفت نعرة الجنس، وتوارت لوثة اللون، واندثرت حمية القوم والأرض.

لقد تبرأ منها ابراهيم عليه السلام من أبيه، وانسلخ نوح عليه السلام من ابنه. وتمردت وترفعت "آسيا بنت مزاحم" على زوجها أكبر طواغيت الأرض فرعون. وتبرأ نوح ولوط عليهما السلام من زوجتيهما.

وفي هذا الدين ظهر عبدالله بن عبدالله بن أبيّ الذي قال لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- **(إن أمرتني برأس أبي أتيتك به)**. وفيه: محيصة بن مسعود الذي قتل كعب بن يهوذا زعيم قريظة فقال له أخوه حويصة -وكان كافراً- : **(أقتلت كعب بن يهوذا -حليفنا-؟ والله لرب شحم قد نبت في بطنك من ماله، إنك للئيم يا محيصة. فقال له محيصة: لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك، فبات حويصة طيلة ليلته وهو يقول: والله إن هذا لدين، ثم أسلم)** [12]

ومن هذا الدين سعد بن أبي وقاص الذي قال يوم أحد: **(والله ما حرصت على قتل رجل قط كحرصي على قتل عتبة ابن أبي وقاص)**[13] .

والآن ماذا عن دولة المجاهدين ؟

هل لدولة أن تقول ما قاله البراء بن معرور ليلة العقبة وهو يبايع: **(والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا (نساءنا) فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة (السلاح) ورثناها كابراً عن كابر)**. .

حتى يرد على المجاهدين والأفغان كما ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(بل الدم الدم والهدم الهدم [الحرمة]، أنا منكم وأنتم**

---

(١٠) مختصر صحيح مسلم للألباني برقم (١٨١١)

(١١) شرح النووي / ج ١٢ / ص ٢٣٨، وأبو داود برقم (٥١٢١) باللفظ له.

(١٢) سيرة ابن هشام (١٣/٣)

(١٣) سيرة ابن هشام (٣٦/٣)

مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم) [1] أي نمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم.

والتاريخ رافع قلمه منقطع أنفاسه وينتظر الجواب.

لغة البيض والسمر*

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن لغة البيض والسمر (السيوف والرماح) يفهمها كل البيض والسمر، لغة يحبها الله ورسوله، وأنزل الله لها آيات بينات وأبرزها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في أحاديث جليات، وذلك لأن نصرة المبادئ وإعلاء القيم وإرساء قواعد العدل في الأرض تعتمد اعتماداً كبيراً على هذه اللغة. {لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب، إن الله قوي عزيز} الآية (٢٥) الحديد.

فالحديد وهو مادة البيض والسمر أنزله رب العزة وسميت باسمه سورة من كتاب الله العزيز، وذلك لأن نصرة الله ورسله تتكئ عليه اتكاءً مباشراً، وتعتمد عليه بعد التوكل على الله العزيز.

وقد فرض رب العزة في الذكر الحكيم الإعداد فقال: {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل} الآية (٦٠) الأنفال.

قال ابن عباس [٢]: القوة هنا السلاح والقسي، وقال -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح (ألا إن القوة الرمي) مسلم [٣]، وقال السدي [٤]: القوة السلاح ترهبون به عدو الله وعدوكم: قال ابن عباس رضي الله عنهما: (تخزون به عدو الله وعدوكم)، فقد فرض رب العزة الإعداد من سلاح ومن خيل من أجل إهانة أعداء الله وإذلالهم، وقد لقي رجل الإمام مجاهد (المفسر) بمكة ومع مجاهد جوالق، فقال مجاهد: هذا من القوة، وكان مجاهد يتجهز للغزو.

وقد كان الصحابة يتفننون بالقوة والإعداد، ويتسابقون في ميدان العزة والجهاد، وقد كان لعروة البارقي سبعون فرساً معدة للجهاد، ويعتبر حديث (ألا إن القوة الرمي) من دلائل النبوة ومعجزاتها، فإن معظم الحروب الحديثة قائمة على الرماية من الرصاصة إلى القنبلة إلى الصاروخ كلها رماية بينما كانت الحروب قديماً وفي عهده -صلى الله عليه وسلم- تعتمد بثقلها على السيوف والرماح والخيل، وأما استعمال السهام فكان دون ذلك.

ولذا فإنا نرى للفرس وللسيف والرمح أسماء كثيرة وردت في أشعار العرب الجاهلية، ثم في أشعارهم بعد الإسلام، وكثيراً ما كانوا يفخرون بالحسام والقنا والجياد ويتفننون بها، وأما ورود السهام في أشعارهم فنزر يسير وقليل نادر بالنسبة للسيوف والرماح.

إني وربك لا أنفك منتطقاً ... بصارم مثل لون الملح قطاع

والحق أننا عندما كنا نستعمل هذه اللغة كان يفهم علينا الأنام قاطبة، وكانت المهابة في قلوب أعدائنا منا، وكان النصر يأتينا مسيرة شهر بالرعب، وكانت فرائص الأعداء ترتعد ، وأرابهم ترتجف ، وأوصالهم تهتز إزاء ذكر المسلمين الذين كان يصفهم أعداؤهم 'رهبان في الليل فرسان في النهار'، بل كانت نساء الكفار يخوفن أبناءهن في وهن الليل بأسماء المسلمين حتى يخلدوا إلى السكينة والراحة والنوم. وقد بيَّن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن ظهور المذاكي وأقتاب العواتق ورحال الجياد هي موطن العزة ومنهل الثواب ومعين الأجر.

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/٨٥)

* شكر الله لأخينا محمد سعيد القحطاني صاحب كتاب (الولاء والبراء) فقد أفدت منه كثيراً.

نشر في مجلة الجهاد العدد السادس والأربعون - محرم ١٤٠٩هـ الموافق أغسطس ١٩٨٨.

(٢) القرطبي (٨-٣٦).

(٣) شرح النووي /ج١٣/ ص -٦٤-.

(٤) الطبري (١٠-٣٠).

ففي الحديث الصحيح [1] (من خير معاش الناس رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه)، وبيّن -صلى الله عليه وسلم- في الأحاديث الصحيحة: (أن السيف محّاء الخطايا) [2]، وأن (الجنة تحت ظلال السيوف) [3]، وقد وضح رب العزة هذه القاعدة بجلاء لا غمة فيه بناموس وقانون أودعه كتاب الخالد فقال عز من قائل: {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض} الآية (٢٥١) البقرة.

فموتي في الوغى عيش لأنـي ... رأيتُ العيشَ في أرب النفوس

وبين أن انهيار الأمم وفساد سليقتها ودمار حضارتها ومسخ شخصيتها مرتبط ارتباطاً وثيقاً بترك هذه اللغة ونسيانها، وأوضح أن (حب الدنيا وكراهية الموت) هو الموت الحقيقي للأمم وخاصة الأمة الإسلامية، وهو بداية النهاية لمجد المسلمين وسؤددهم.

وقد عبّر عن قاعدة العزة "كعب بن مالك" (رضي الله عنه) بقوله:

وقلنا لن يُفرِّجَ مـــا لقينـــــا ... سوى ضربُ القلانس والجهاد [4]

حال الأمة المسلمة بعد ترك هذه اللغة :

وبعد أن تركت أمة القرآن النطق بهذه اللغة التي يفهمها الأحياء جميعاً عادت القهقرى، ولم يعد يسمع صوتها، وخبا نورها، وخمدت نارها، وانطفأ ذكرها، لأن الناس لا يسمعون مثل صليل السيوف وضبح الخيل، وقعقعة السلاح وأزيز الرصاص وهدير الطائرات ودوي المتفجرات.

لغة أهل الهندوكوش :

وبقيت الأمة المسلمة رهينة القيود ترسف في الأغلال وتتلبط في الأوحال تحت مواطئ الأقدام والنعال، حتى رفع الشعب المسلم الأفغاني عقيرته (صوته) قائلاً:

دع الداد وسطر بالدم القانـي ... وأسكت الفم وانطق بالفم الثاني
فم المدافع في وجه الطغـــاة له ... من الفصاحة ما يزري بسحبـان

وبدأ العالم يفهم هذه اللغة بعد أن ارتوى السلاح من دماء الكافرين، واستيقظ الناس على هدير بحور الدماء التي سالت، وعلى زئير الليوث التي ثارت، ووقف العالم كله باحترام وإجلال أمام هذه التضحيات الباهظة، وأذل الله أوزاع (جبناء) اللئام الذين استأسدوا في ساح الإسلام، وخمد البغاث بعد أن استنسر في ديار العز والمجد.

رد الفعل من أعداء الله :

كل من واكب مسيرة الأحداث في كابل عبر هذا العقد الزمني يدرك كيف غيّرت هذه اللغة الأرض في داخل أفغانستان وروسيا وأرض الشيوعية خاصة وفي العالم عامة.

يقول سيّاف : لقد كان الحزب الشيوعي لا يستطيع تنفيذ الإعدام على أعواد المشانق وحبال الموت، بل كانوا يصفون المئات مقيدين، ثم تأتي الجرافات وتحفر أخاديد الحتوف (الموت)، ثم تفتح الرشاشات أفواهها على هؤلاء فيسقطون في خنادق المنية، وتعود الجرافات مرة أخرى لتدفنهم، ولقد دفن الكثير من المسلمين أحياء في داخل سجن "بول جرخي" الذي طوى في رماله ما يصل إلى (١٨٦ ألفاً) كما شهد بهذا أحد أعضاء المخابرات (خاد) الكبار.

وكم من الناس قد دفنوا أحياء بجريرة فتح المذياع على (إذاعة صوت بريطانيا)، ومن ذا الذي كان يجرؤ أن يظهر في المسجد خمس صلوات متتالية؟ ومَنْ من المسلمات في أفغانستان كانت تجرؤ على الإشارة ولو بطرف لسان أو إشارة بنان؟

وأما الآن : فقد سمع الشيوعيون لغة الميدان بأنصع بيان وأفصح لسان بعد أن أذل الله سادتهم وانسحبوا وذيولهم بين السيقان، حتى أعلن أحد الجنود الروس الراجعين من الميدان: (إننا عندما نسمع صرخة الله أكبر نبول على ثيابنا).

---

(١) شرح النووي / ج١٣/ ص ٣٤-
(٢) رواه أحمد وسنده حسن وصححه ابن حبان.
(٣) فتح الباري / ج٦/ باب (٢٢) برقم (٢٨١٨).
(٤) القلانس: رؤوس الخوذ.

وأرسلت الحكومة الروسية وفداً سرياً يرجو المجاهدين أن يخففوا ضرباتهم عن الجنود المنسحبين، فأجاب المجاهدون: نحن غير مرتبطين بجنيف بعقد ولا ميثاق. وليتك معي وأنت تبصر رسل الروس إلى المجاهدين يعرضون عليهم أن يقدموا لهم أكبر ضابط شيوعي أفغاني مقابل الكف عنهم، أو مقابل دفع مبلغ ضئيل لجنود الروس الذين يحتاجون إلى الدرهم الواحد لشراء علبة السجائر.

صدقك وهو كذوب :

وقد لخصت الإذاعة البريطانية قصة الشعب الأفغاني فقالت: حاولت بريطانيا أن تفرض سلطتها على الأفغان فدفعت الثمن غالياً، ولم تعتبر روسيا بما قدمت بريطانيا من تضحيات باهظة نتيجة غلطتها، فسلكت نفس السبيل، وها هي جحافل المجاهدين تطارد فلول روسيا في أعماق أفغانستان، وبعد هذا كله يريد الغرب أن يسير في هذا الطريق الشائك الوعر وهيهات هيهات.

عجب عجاب :

ولا ينقضي عجبك ولا تستطيع أن تمسك نفسك قهقهة وأنت ترى رجالات الحكومة الشيوعية في كابل يحملون العصيَّ ويسوقون الناس قسراً إلى المساجد في أوقات الصلاة.

مرسوم هام :

وهذا بعد أن أصدر رئيس الدولة الشيوعي -نجيب- مرسوماً يقضي بفصل أي موظف من وظيفته إذا تأخر ثلاثة أيام عن صلاة الجماعة. وتلمح من خلال خطاباته عبارات الاستخذاء والاستكانة والاستعطاف لقلوب الشعب الأفغاني وهو يقول: لا تقولوا لي (نجيب) أنا (نجيب الله).

وقد قرأت رسالة من نجيب إلى الشيخ جلال الدين حقاني يستعطف فيها الشيخ جلال الدين قائلاً له: أنا لست شيوعياً، وأنا مع سليمان لائق -وزير الحدود- اليتيمين المسلمين الوحيدين في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، ونحن ندين بالإسلام سراً ولا نستطيع مواجهة ضغط الشيوعية وثقلها علينا.

وماذا عن غناء الأعراس في العاصمة ؟ إن النساء في العاصمة يتغنين ببطولات المجاهدين وكأنهن ينشدن مع أبي الطيب لكل مجاهد قائلات :

وصُنِ الحسامَ ولا تُذلْهُ فإنَّـهُ ... يشكو يمينَك والجماجمُ تشهدُ
جفَّ النجيعُ عليه وهو مجردٌ ... من غمده فكأنَّما هو مغمَـدُ
ريَّان لو قذفَ الذي أسقيتَـهُ ... لجرى من المُهجاتِ بحرٌ مزبدُ

وأصبح لمعان أسنة المجاهدين، والأسل (الرماح) والقلانس، والمذاكي والعتاق والجرد (الخيول) ، والمثقفة السمر ووميض البيض، وشجاعة الليوث، وإيمان الضراغمة هو حديث السامر الجميل في كابل، ويحلو للمستمعات أن يرددن مع المنشدات شعر حسان للمجاهدين:

يسرون بالبيض الخفاف إليكـم ... مرحاً كأسد في عرين مغرف[1]
حتى أتركم في بطون حصونكم ... فسقوكُمُ حتفاً ببيض يُقف[2]

وأما النساء الشيوعيات وأزواج الضباط العملاء والمنافقين فكأن على رؤوسهن الطير لا ينبسن ببنت شفة..

يبكين شجوا مسبلات كالحتهن الكوادح[3]
ولقد أصاب قلوبها مجلٌ له جلب قوارح[4]

في مكاتب الدولة:

والحديث في داخل المكاتب الرسمية لا يكف ولا ينقطع عن انهيار الدولة، وعن الهزائم التي تُمنى بها جيوشها، والخسائر التي

(١) عرين مغرف : مكان الأسد ملتف الشجر. (٢) بيض نقف : سيوف سريعة القتل.
(٣) شجوا: حزناً، مسبلات: لابسات ثياب الحزن. الكوادح : المصائب. (٤) مجل : جرح، قوارح: موجعة.

تتكبدها يوماً بعد يوم، وإبداء النشوة والسرور والفرح والحبور بانتصارات المجاهدين، مع الشماتة بهؤلاء المرتدين الذين باعوا الأرض والعرض لروسيا.

الرسائل :

والرسائل تترى من قادة الشيوعيين يعرضون خدماتهم للمجاهدين، ويتوسلون لهم أن يؤمنوا طريقاً لهربهم إليهم ورسم جادة قرارهم نحوهم.

الغيب المسدل :

والنتيجة يعلمها رب العالمين، ولكن بوارق النصر وبشائر الظفر تنير لنا معالم الطريق وكأنها تشير إلى أن النصر قريب، وأن دولة الإسلام عما قليل ستظهر للوجود -إن شاء الله- تقدم للبشرية قادة من المسلمين يصنعون قراراتهم بأيديهم، وتنبثق أراؤهم من طيات كتابهم وهدي نبيهم -صلى الله عليه وسلم- ويعتمدون على الله ثم على البيض والسمر التي تحملها الزنود السمر في إقرار القرار، ولا يتلقون الأوامر من البيوت البيض أو الحمر.

فيا أمتي :

هلا سلكت سبيلهم، واستعملت لغتهم التي توقظ الوسنان وتصخ أسماع الزمان؟ إن تقتفي آثارهم هديت، وها هو شعب الأرض المباركة في فلسطين قد فهم هذه اللغة فايقظت قعقعة صوته وزمجرة ليوثه العالم أجمع، وإن شاء الله البقية على الطريق قادمون.

من الدعوة إلى الدولة*

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد مضت ثلاثة عشر عاماً كاملة منذ أطلقت الحركة الإسلامية أول رصاصة في وجه نظام داود سنة ١٩٧٥ حتى الآن، ولقد جاءت روسيا بداود لتصفية الحركة الإسلامية فكتب الله أن تهزم روسيا ويسحق عملاؤها، وكانت نقلة واسعة خطتها الحركة الإسلامية عبر مسيرة المعاناة، تجرعت فيها الحركة من المرارة، وتكبدت من الآلام، وتقلبت في أتون ملتهب من المآسي ما شابت له النواصي، وخلال هذه المحن نضجت نفوس الذين عاشوا الأحداث، والنضج النفسي والصفاء الروحي وإشراقة القلب تكون ثمرة طبيعية، ونتيجة منطقية يهديها الله -عز وجل- للصابرين، وهذه بركة الصبر: {إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين} الآية (٩٠) يوسف.

وخلال هذه الطريق المريرة الوعرة التي تجشم الإخوة مشقة اجتيازها بلغت الحركة عمودياً -من حيث البناء الذاتي- شأواً بعيداً، وكذلك فإن الانتشار الأفقي بين الناس كان كبيراً جداً.

أما من حيث الارتقاء الروحي والربانية في الحياة فإنك تلمسها من خلال مواقف أفرادها وقادتها أمام الأعاصير العالمية الهوجاء التي تريد أن تعصف بهذه الحركة التي لا زالت ومنذ أول يوم تمسك بزمام التوجيه وعجلة القيادة، فقد وقف القادة مواقف سامقة أمام دهاقين السياسة العالمية وصانعي قرارات الأمم، هذه المواقف تعيد إلى أذهاننا سيرة السلف، وتحيي في أعماقنا قصص عبد الله بن حذافة السهمي أمام قيصر، وربعي بن عامر في إيوان رستم يوم أن اقتحم بفرسه داخل الإيوان تطأ سنابك فرسه طنافس رستم والزرابي ويربطه بنمرقة من نمارقه.

وهذا الاستعلاء الإيماني الذي تمثل شامخاً في مواجهة ساسة الدنيا وعلى رأسهم "ريغان" لم يكن لينتج من فراغ أو يُربى من خلال صفحات الكتب وخطب المنابر، لقد كان هذا الاستعلاء ثمرة مباركة للصبر الطويل عبر المعاناة المريرة الأليمة.

النقلة الواسعة :

لقد كان البون شاسعاً بين تلك الأيام التي كان يرسم فيها المهندس حبيب الرحمن الشهيد (الأمين العام للحركة) الكلاشنكوف

* نشر في مجلة الجهاد - العدد السابع والأربعون - صفر ١٤٠٩هـ سبتمبر ١٩٨٨م.

على الأوراق ثم يشرحه في أعماق الغرف الظلماء للذين يربيهم على حب الجهاد وبين هذه الأيام التي يلعب فيها الأطفال بالقاذف الصاروخي "آر. بي. جي." الذي يحطم الدبابة، والحركة الإسلامية وهي تعلن قرارها بالمواجهة المسلحة في وجه داود، لم يكن بوسعها يومئذ أن تتملى في خيالها مجرد تصور هذه القمة السامقة التي بلغتها بالجهاد المبارك، فلم يكن لديها من بين أبنائها كلهم رجل يستطيع استعمال القاذف سوى "أحمد شاه مسعود". والآن أصبح استعمال القاذف -هذا- من هوايات الغلمان الذين لم يبلغوا الحنث بعد.

القرار التاريخي :

لقد كان قرار المواجهة المسلحة لداود خارقاً لتفكير الإنسان العادي، خاصة وأن القرار قد صدر من ثلاثين شاباً قد التفوا حول برهان الدين رباني" و"حكمت يار" في بيشاور بعد نجاة هؤلاء الشباب من قبضة داود الحديدية التي كانت ترتجف لذكرها أوصال أفغانستان وتحسب لها ألف حساب.

ولم يكن هذا القرار ليصدر لولا وجود حركة إسلامية انبثق من خلالها هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم، وكانوا قد تلقوا قسطاً من التربية على أيدي أساتذتها ومشايخها ومربيها.

المورد العذب :

ولقد نضجت الحركة الإسلامية الأفغانية على محك الشدة حتى أصبحت مدرسة فذة قائمة بذاتها، ومنهلاً عذباً لابد أن يرده كل الذين يحاولون إنشاء المجتمع المسلم من جديد، ولقد أعطت أعماقاً وأبعاداً لكثير من المعاني القرآنية والمصطلحات النبوية الكريمة في أذهان الجيل. ولابد لأبناء الحركة الإسلامية العالمية أن يقفوا طويلاً أمام هذا المعين الثر الذي فجرته الدماء، والأحداث فوق أرض أفغانستان فينهلوا منه. وذلك لأن الدعوة الإسلامية في أفغانستان أصبحت الآن فريدة وأعطت المصطلحات الحركية أعماقاً، وأبعاداً.

(١) فلقد كان معنى "الصبر" قبل هذا الجهاد المبارك المشرف ينصرف إلى احتساب سياط الجلادين وهي تلهب ظهور الدعاة، وما كنا نفهم من معاني الصبر في القرآن الكريم سوى الصبر على ظلم الطغاة وزبانيتهم وجلاديهم.

أما الآن :

فالصبر قد أخذ بعداً أكبر، ورقعة أوسع، فهو يعني: حبس النفس على الرباط في مواجهة أعداء الله، والصبر على الرباط في قمم الجبال وبين الغابات والأدغال ولأشهر متطاولة تمتد إلى سنوات عمل شاق على النفوس، لأن النفوس تألف الحياة بين الأحبة وفوق الأرض التي درج الإنسان عليها وحبا بين رباها ونجادها.

والنفس تستوحش من الغربة، غربة عن الأهل والجيران، واللغة واللهجات التي تربى عليها، فإذا أضيف إلى هذا كله الجو الرهيب الذي يسيطر غالباً على ثغور الرباط، وقلة الزاد، وجفاف العيش وشظف الحياة، ومجموع هذا كله يكون جواً قاتماً كئيباً ثقيلاً على النفس.

وهذا الجو لا يخفف ثقله ولا يجلو حزنه سوى التعويض الرباني للقلوب بما يسبغ الله عليها من فرح ومسرة وأنس وسكينة. (عليكم بالجهاد فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم) صحيح [١]. فالهم والغم: أمران ملازمان للرباط لا يفارقان إلا القلوب المرتبطة بالله الموصولة بحبله العائذة بجلاله.

(٢) ومن القضايا البارزة في الدعوة الإسلامية الأفغانية أنها منذ أن رأت النور وتكوّنت نواتها حتى الآن وهي تدفع التضحيات، ولم تقطف من ثمار عرقها، ولم تخرف (تحصد) من نتاج بذارها شيئاً.

ولذا فقد بقيت تستدر عطف الشعب كله، وتستحوذ على إعجابهم، وتنال احترامهم وإكبارهم، ولا زال اسم الدعوة أو الحركة أكبر عامل من عوامل التعديل وأهم مؤهل للثقة.

---

(١) أخرجه أحمد (٥-٣٢٦) وهو في السلسلة الصحيحة برقم (١٩٤١).

ولذا بقي مصعب بن عمير معلماً بارزاً في دنيا الصحابة، وبقيت ذكرياته تستجيش أعمق العواطف، وتستنهل العيون بالعبرات، ولذا فعندما وضع طعام شهي أمام عبد الرحمن بن عوف استعبر (بكى) وقام وذكر مصعباً.

يقول خباب بن الأرت رضي الله عنه [**هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجه الله تعالى، فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئاً منهم مصعب بن عمير رضي الله عنه، ومنا من أينعت (نضجت) له ثمرته فهو يهدبها (يقطفها)**] متفق عليه[1].

والآن: لقد استشهد أكثر من تسعين بالمائة من أبناء الحركة الإسلامية ولم يأخذوا من الدنيا شيئاً بعد.

(٣) إن عمر الحركة الإسلامية الأفغانية صغير جداً، ولم يتغلغلوا في مناصب الدولة، ولم يرتقوا في سلم وظائفها، وكانت أكبر وظيفة لديهم عمادة كلية الشريعة بيد غلام محمد نيازي -رحمه الله-، ولذا فلم يكن لديهم مناصب كبرى يمكن أن يساوموا بها على المبادئ نفسها اتباعاً لقاعدة: (اختيار أهون الشرين) (إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمها ضرراً بارتكاب أخفهما).

ولذا بقيت المبادئ واضحة ناصعة وما اعتراها لبس ولا غموض، ولم يعش الدعاة حياة متناقضة بين مبادئ معلنة وبين مواقف عملية تمليها عليهم مصلحة الدعوة محافظة على مكاسب بين أيدي الدعاة قد تتعرض للزلزلة فيما لو وقف الدعاة وقفة المباينة والبراء من النظام القائم.

ولم يعش جمهور المسلمين حيرة قاتلة إزاء التناقض في حياة بعض الدعاة بين نهج مرسوم وواقع عملي يومي، وبقيت المبادئ المعلنة مشرقة لأن السلوك الذي يحياه الدعاة كان الصورة الصادقة والترجمة العملية للكلمات والشعارات والمبادئ.

(٤) إن الجهاد الإسلامي الذي خاضت غماره الدعوة الإسلامية وكانت رأس الحربة فيه وقذفت فيه بأفلاذ أكبادها وضحت فيه بأغلى ما تملك من أبنائها أدى إلى إنضاج نفوس شبابها الباقين على قيد الحياة، وتصفية أرواحهم، وإلى صلابة عودهم، ولذا فإنك تجد فرقاً هائلاً بين نفسية هؤلاء الشباب الذين تتردد أسماؤهم على جميع الشفاه كسيَّاف وحكمت يار ورباني وخالص، أقول: هنالك فرق كبير بين نفسية هؤلاء الدعاة عام ١٩٧٥ ونفسيتهم عام ١٩٨٨، بعد أن أمضوا مرحلة تساوي المرحلة المكية تماماً -ثلاثة عشر عاماً- في أتون القتال وبين حجري الرحى، وأصبحت كبرى المشاكل في أعينهم جد صغيرة.

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا فأهون ما يمر به الوحول

(٥) إن المعركة التي عركت أبناء الحركة الإسلامية اضطرتهم أن يعيشوا مع جميع طبقات الشعب [**فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير**] الآية (٣٢) فاطر، وذلك لأن الشعب كله اخترط سيوفه منافحاً عن عرضه ومكافحاً عن دينه وكل واحد يقول:

فالموت أعذر لي والصبر أجمل بي والبر أوسع والدنيا لمن غلبا

واضطرارهم للحياة مع جميع طبقات الناس من مفرط ومقصر ومخطئ ومتعثر وصادق وملتزم أعطاهم من التجربة والخبرة والحنكة من خلال المعاناة المريرة في رفع المستويات، ومحاولة إيجاد التناسق بين هذه المستويات المتباينة التي تعيش في قاعدة واحدة، وتواجه عدواً واحداً خلال عشر سنوات متواصلة في حياة واحدة تحت ظل سقف واحد تجمعهم مائدة واحدة ويتحركون حركة واحدة كأنهم جسد واحد.

بينما الدعوات الإسلامية في كثير من أقطار العالم الإسلامي تعيش في مجتمعات خاصة نظيفة لا تلتقي مع سائر طبقات الناس الإيمانية إلا في المحافل والندوات والخطب والاجتماعات.

(٦) والمشاكل التي كانت تواجه القادة عبر هذه السنين أعطتهم مراساً للحكم، وهذه الممارسة للحكم والدربة على القيادة السياسية والعسكرية لم تكن من خلال صفحات الكتب فوق مقاعد الدراسة في كليات الإدارة، بل كانت خبرة عملية أورثت نضجاً سياسياً وعمقاً في النظر فرضتها -بقدر الله- الأحداث الضخمة والعقبات الشاقة التي تواجههم على صعيد الواقع.

ولذا فلو أخذنا كمثال: أحمد شاه مسعود، أو المهندس بشير أو الشيخ جلال الدين.. كل واحد من هؤلاء مفروض عليه أن يعد

---

(١) فتح الباري /ج٧/باب (٢٦) برقم (٤٠٨٢).

حلاً لمشاكل الاجتماعية، ولقضايا الجفاف التي تعض المنطقة بنابها، وعليه أن يوجد حلاً لقضايا الجراح التي لا تكف عن النزيف، ولمشاكل الأيتام والأرامل، ولابد أن يبحث عن وسيلة لإيجاد مخرج لمئات الألوف من الأولاد الذين لا يعرفون القراءة. فلا جرم أنه مضطر لفتح بعض المدارس ولو في كهوف الجبال أو تحت الشجر.

فكل واحد منهم إنما هو حكومة قائمة بذاتها: فهو كرئيس الوزراء، وفي نفس الوقت فهو وزير الصحة والتربية والتعليم والدفاع والشؤون الاجتماعية والزراعة والإعلام والإرشاد.

وقد سألني بعضهم: أو تظن أن الأفغان يستطيعون إقامة دولة إسلامية بأنفسهم؟

والجواب كما مرَّ: أن القادة قد تمرسوا على الحكم خلال فترة الحياة بين فكي الموت، وإذا كان بعض العسكر قد وصلوا إلى الحكم من خلال البيان الأول في الدول العسكرية الثورية، دون أن يعرف عنه سابقة حكم، ولا صبغة إسلامية، ولا نشأة حركية، ولا ذكاء ملموساً، ولا خلقاً أسراً أخاذاً. أفلا يستطيع هؤلاء القادة الحكم؟! وبعد هذه المسيرة الطويلة من تربية عميقة نظيفة في ظلال القرآن إلى فارس يمتطي صهوات العتاق المذاكي إلى قائد يفقد أبناءه الذين تربوا على يديه الواحد تلو الآخر يتجرع الغصص ويتلوى بالآلام ويدفن قلبه مع كل شهيد؟

ناموس وقانون إنشاء المجتمع المسلم :

إن القانون الإلهي لإنشاء دين الله في الأرض وإقامة المجتمع الإسلامي يكون في خطوات:

١- أولها قيام رجل يدعو إلى توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، ثم يتجمع الناس حوله.

٢- تقوم الجاهلية في وجه هذا المصلح تدافع عن مصالحها بكل ما أوتيت من قوة، وتلقي بخيلها ورجلها، وتدفع بثقلها لإجهاض هذا العمل المبارك، وفي الطريق يسقط من يسقط، ويثبت الله من يثبت، يتحمل الإيذاء والاضطهاد والتشريد والسجن.

٣- تقوم الدعوة الإسلامية بدور الصاعق الذي يفجر طاقات الشعب، ويقوم جهاد طويل تكون الدعوة فيه موجهاً وقائداً ومشعلاً للفتيل، ويقدم الشعب المسلم الوقود لهذه المعركة الطاحنة الطويلة.

٤- وبعد الجهاد الطويل تفقد الحركة الإسلامية معظم أبنائها، ويبقى قسم منها يضن الله بهم عن الموت، وهؤلاء هم الذين يضع الله بين أيديهم مقاليد الحكم بعد أن أصبحوا أمناء على الدماء والأعراض والأموال.

هكذا قام هذا الدين أول مرة، وهكذا يقوم في كل مرة.

ولا يجوز أبداً لأبناء الدعوة الإسلامية أن يزهدوا في الحكم بعد النصر، فالسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار: منهم الخليفة، ومنهم الوزراء، ومنهم مجلس الشورى، ومنهم القادة والقضاة، وأمراء الولايات وخزنة بيت المال.

وإن شاء الله فنحن على أبواب دولة إسلامية قامت على رؤوس الرماح، وإزاء رؤيتها ننشد وحق لنا أن ننشد:

حتى رجعتُ وأقلامي قوائل لي   الحكم للسيف ليس الحكم للقلم

الطريق إلى "طالقان" *

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

من قرية على مقربة من بنجشير أكتب إليكم، بعد رحلة شعرنا فيها بالبركة والراحة والتيسير الكبير بفضل الله العلي الكبير، وبصحبة الأستاذ رباني الذي كان نعم الصاحب والرفيق والأخ الشقيق.

وقد انطلقت القافلة يوم الخميس الماضي ١٩٨٨/٩/٨ من "شترال" بالسيارات، وبتنا في "جرم جشما"، وانطلقنا صباح الجمعة من "جرم جشما" إلى الحدود، واجتزنا الحدود، وقضينا يوم الجمعة في معسكر صغير، وكان يصاحبنا الأخ الحبيب أبو إبراهيم، ويوم السبت تسلقنا الجبل الأول الذي يعترض طريقنا واسمه ديوانا بابا (الجبل المجنون)، وقد مكثنا في تسلقه والنزول منه حوالي خمس

* نشر في مجلة الجهاد - العدد الثامن والاربعون - ربيع اول ١٤٠٩هـ - اكتوبر ١٩٨٨م.

ساعات ونصف، ونزلنا عند رجل مضياف لكل المجاهدين المارين، وداره تعتبر مضافة لكل مار بهذا الطريق، ومع هذا لا يطمع من المجاهدين بدرهم ولا دينار، ولا تكل أزواجه وأهله عن الطبخ والخبز وتقديم الطعام الذي لا يقل عن الخبز والشاي، فقلت له: يا حاج متين (أنت مثل حاتم طائي) الذي كان يقول لغلامه:

أوقد يا غلام فالليل ليل قر والريح يا غلام ريح صر

إن جلبت ضيفاً فأنت حر

فقال لا أطمع من أحد بشيء إلا إذا كتب الله لنا الحج على أيديكم. وبتنا أسفل الجبل الثاني الذي يعترض القادم إلى الشمال اسمه "كافر كوتل"، وقد أطلق عليه الأستاذ رباني "مجاهد كوتل"، وهو يرتفع أكثر من أربعة آلاف متر فوق سطح البحر، وقد استغرق تسلقه (سبع ساعات ونصف)، ولا يستطيع أن يتسلقه حصان ولا بغل إلا إذا كان خالياً من راكبه، وفوق قمة الجبل جلسنا ووجّه الأستاذ رباني كلمة للمجاهدين.

ثم بدأنا ننحدر من قمة الجبل إلى السفح، وقد استغرق نزولنا الجبل قرابة ثلاث ساعات، وهذا الجبل هو الفاصل بين نورستان وبدخشان. وفي خضم الجبل توجد ثلاث طائرات منها طائرة لاتزال تحتفظ بجديتها وآلاتها ولم يأكلها الصدأ بعد، وفي غابة صغيرة رأينا المجاهدين الذين يرتدون الألبسة الخاصة (أردية الجيش وبأحذية ذات نوع واحد) وقفوا في انتظارنا واستقبالنا، وكانت هذه المجموعة المتقدمة عبارة عن سرية متقدمة لأمنيات الطريق وتأمين المبيت في هذا المكان، وبتنا في وسط هذه الغابة التي تسفح سبرات رياحها الوجوه، وتلذع نسماتها القارسة الأعصاب، وقد تناولنا طعام العشاء من لحوم الظباء (الغزلان)، وكانوا قد اصطادوا لنا مجموعة من الغزلان، وفي الصباح غادرنا وسرنا حتى زالت الشمس وشارفت الساعة الثانية ظهراً، وإذا بأخوين عربيين (أبي طه العراقي -شقيق ياسين وأبي أيوب- والثاني الأخ يونس المصري)، وكان لقاءً حاراً وعناقاً يعبر عن أخوة عميقة وأشواق دفينة لم يتمالك أبو طه نفسه حتى فاضت العبرات وسالت الدموع على الوجه سيلاً.

قال أبو طه: نحن عائدان إلى باكستان، ولكن قدومكم جعلنا نغيّر خطتنا، فلابد من مرافقتكم بضعة أيام حتى نقوم ببعض الخدمة، وكانا مستأجرين لفرس معها صاحبها، وفرس آخر لهما خاصة -ملكاً لهما-، فسرّحا صاحب الفرس ودفعا له الأجرة ثم عادا أدراجهما يرافقاننا هذه الرحلة. وأخبرنا أبو طه: إن الأمير على بعد ساعة، وكلمة الأمير إذا أطلقت في جهة الشمال فإنما تعني أحمد شاه مسعود.

وبعد قليل وإذا بمسعود وأرينبور ونجم الدين ينتظران على تلة، وترجل الأستاذ رباني وترجلنا، وكان عناقاً حاراً بيننا وبين هؤلاء القادة الثلاثة، ووقفت وكأنني لأول مرة أرى الجهاد أمام سرية تعدادها مائة مجاهد منظمة واقفة في طابورين عسكريين بأسلحتهم، ذوي بزة عسكرية متشابهة ووقفة تنم عن العزة، وتحيي في أعماق النفس الافتخار بهذا الدين الذي يضمنا، وبهذه القيم التي تجمعنا وتحت راية لا إله إلا الله التي تلفنا.

سالت من الناب الشبول غلابها لبن اللباة وماج عرق الضيغـــم

لينم أبو الأشبال ملء جفونــه ليس الشبول عن العرين بنــوم

وتقدم قائد السرية وألقى التحية العسكرية للأستاذ رباني، وتكلم الأستاذ أرينبور كلمة حيا فيها القادمين. ثم تكلم الأستاذ رباني كلمة طويلة، وقدمني وتكلمت عن دور الجهاد الأفغاني في صناعة التاريخ الإسلامي من جديد، وكان لقاءً تاريخياً دوى فيه التكبير وعلا فيه الهتاف، وأما أحمد شاه مسعود فلم يتكلم سوى أنه أشار إلى أرينبور بأن يتكلم، ثم ركبنا الجرد الأبابيل من العتاق المذاكي، وانسابت بنا الخيول متجهة إلى قاعدة (كران ومنجان)، وعلى الطريق كان أحمد شاه يتكلم مع رباني وعبد الله أنس يترجم لي ونحن نمتطي صهوات الجياد.

خيول لا تضاع إذا أضيعــت خيول الناس في السنة الجماد

ينازعن الأعنة مضيعـــــات إذا نادى إلى الفزع المنـادي

نقلت للشيخ رباني ممازحاً، قل لمسعود أين ذهب لحمك (فما هو إلا الجلد والروح والعظم). ثم قلت له بيت المتنبي:

كفى بجسمي نحولاً أنني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترني

فابتسم وتكلم مشيراً لعبد الله أنس: لقد قلت له (لعبد الله أنس) إذا رجعت وحدك فلن نسمح لك بدخول "بنشير". وعبد الله

أنس له مكانة مرموقة في قلب أحمد شاه وفي نفوس أتباعه، وكان عبد الله أنس إذا ظهر بين المجاهدين أشارت إليه الأصابع وبدأت الألسنة تردد اسمه، وهو شخصية إسلامية متوازنة ذو أفق واسع، يجد مدخله إلى قلوب مستمعيه، ويختلس أفئدة المحيطين به، ويأخذ بألباب الذين يصغون إلى كلامه، وطوينا ليلتنا في "كران ومنجان"، وفي الصباح خرجنا على الخيول، وبدأ أحمد شاه يشرح لنا عملية احتلال كران ومنجان،

فقال : لقد كان الفتح كرامة ربانية قبل كل شيء، ثم بدأ يرينا الجبال التي تسلقها المجاهدون، وتعجب كيف استطاع المجاهدون أن يتسلقوها وهي قائمة تناطح السحاب كأنها جدار أملس، وكم يشدك تصميم هؤلاء وعزيمتهم، وطاقتهم، قال مسعود: لقد تسلقوا هذه الجبال خمس ساعات متواصلة في التسلق وشدة البرد تجمد الأطراف، وبعضهم يحمل الدوشكا على ظهره، وآخر مدفع (٧٥)، وثالث مدفع (٨٢)، ولولا أني كنت أسمعها من فم مسعود لما كدت أصدق أن طاقة البشر تستطيع القيام بهذا العبء الثقيل. وتحمل هذا العناء وتطيق هذا البلاء، وقال مسعود: لقد كنت لا أستطيع أن أضغط على اللاسلكي لشدة البرد حتى أتكلم فيه، ونفد الطعام، وطلب مسعود من أرينبور أية قطعة خبز أو حبة من الحلوى فلم يجد، ومع أن الحصون التي كان يقبع بها الأعداء جد منيعة لا يخترقها رصاص ولا قذائف، وهي ممتدة على طول خمسة كيلو مترات إلا أن الله قذف في قلوبهم الرعب **{سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين}** الآية(١٥١)آلعمران.

واقتحم المجاهدون على الكفار حصونهم، وكانت مقاومة شرسة، وانقضوا عليهم كالصواعق:

همام إذا ما فارق الغمد سيفه ... وعاينته لم تدر أيهما النصل

ولم تمض سوى ساعتان إلا ربعاً حتى استسلمت جميع المراكز

أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه ... حريصاً عليها مستهاماً بها صبا

فحب الجبان النفس أورده التقى ... وحب الشجاع النفس أورده الحربا

والحق أنك لا تدرك الصعوبات التي يواجهها هؤلاء الأبطال في عملياتهم وفتوحاتهم إلا وأنت تقف فوق أمثال هذه الأرض، وإنك لتدرك البون الشاسع في الاستعداد العسكري والطاقة والتنظيم عندما ترى هذه المنطقة (علاقة داري: كران ومنجان) تتهاوى خلال أقل من ساعتين تحت ضربات المجاهدين، وتقارن بينها وبين قنعة (تشاوني) التي مكثت متمردة شامخة أمام جموع المجاهدين خمس سنوات، مع أنه لا مقارنة بين تحصينات تشاوني وبين كران ومنجان، ويذهلك الأمر عندما تعلم أن الجبال التي تسلقوها كانت مغطاة بالثلوج، قال آرينبور: لقد أكرمنا الله بالضباب تزحف تحته مع أن السماء كانت صافية.

وأما آرينبور فتحسبه لتواضعه أحد الخدم، لا يجلس إلا في طرف المجلس، مع أنه فتح مدينة (كشم) قبل أيام فترك الجرحى وجاء لاستقبالنا، وقد كان فتح "كشم" آية من آيات الله، و"كشم" محصنة أكثر من "كران ومنجان"، وقد كان فيها عشرون مركزاً محصنا حول المدينة وفيها مطار محصن تحصيناً كبيراً، وكل خنادقه تحت الأرض، وقد كان قائد الشيوعيين (عبد الرزاق) يقول عن مركزه المحصن في مدخل المدينة، (إذا استطاع المجاهدون أن يقتحموا حصني هذا فلا شك أنهم يستطيعون فتح كابل)، والحمد لله (لقد أذل الله الكفار: **{فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب}** الآية(٢) الحشر.

ولقد فتح الله "كشم" على يد آرينبور وولى عليها أحد أتباعه وجاء لمصاحبتنا ومرافقتنا.

شخصية آرينبور:

يعتبر هذا القائد أحد أبناء الحركة الإسلامية الأوائل في أفغانستان، ويعده الدعاة أستاذهم ومربيهم، بل يعتبر الآن مفكراً من مفكري الدعوة الإسلامية، ويعتبر الشخص الثاني بعد مسعود في المناطق الشمالية، ويميزه تواضع جم وأدب رفيع عدا ما يذكر عنه من الزهد والعبادة والنوافل.

دخول كشم: واحتل المجاهدون كشم وكأنهم جيش منظم، وذلك لأن الإمارة واحدة في الفتح، ولم يشترك مع أرينبور سوى مجموعة (سرية) من الحزب الإسلامي يقودهم (فداء محمد) الرجل الذي يشار إلى طيبه بالبنان، ويثني على اعتداله واتزانه كل لسان.

فداء محمد وسرية البخاريين:

وسرية فداء محمد من أبناء بخارى الذين هاجر آباؤهم من بخارى قبل ستين سنة، وهم يعدون أنفسهم ويربون أرواحهم لاسترداد بخارى الذي يعتبرونه أهم فروض الأعيان. ومن بين أفراد السرية يلفت نظرك غلامان صغيران أحدهما فيض الله محمد (١١سنة) ونور الله محمد (١٠ سنوات).

قال يونس المصري: قبل فتح كشم سألت نور الله: إلى أين يانور؟. فقال: أنا ذاهب لأقلع شجرة الخلقيين (الشيوعيين) من جذورها وأقطع بذرتهم.

وأما فيض الله الذي كان يخوض المعركة حافياً فكل ما يحلم به بعد الفتح أن يجد حذاء جديداً يلبسه كما قال أبو طه.

وغلام ثالث اسمه خدايداد (عطاء الله) ١٦ عاماً فقد أطلق سبعين قذيفة (آر. بي. جي) على المركز الذي دخلوه مع أبي طه وكان أول المقتحمين على الشيوعيين حصونهم.

في قرية أبي:

وفي هذه القرية قرب بنجشير ضمتنا جلسة ممتعة مع الإخوة رباني ومسعود وأرينبور، وبدأ مسعود يتكلم عن معدن اللازورد الذي يستخرج من الجبال المحيطة، فإنه يستخرج من الجبال المحيطة ثلاثمائة وخمسون طنا سنوياً ومعدل ثمن الكيلو الواحد ٢٠ دولاراً، أي أن دخل اللازورد حوالي سبعة ملايين دولار سنوياً. أما الزمرد الأخضر: فهو من الجواهر الكريمة، وقد بيع قدر الأصبع منه في هذا العام بمليونين ونصف المليون من الدولارات.

إمكانيات أفغانستان:

قال رباني: إنها تزخر بالمعادن: البترول، والغاز في جوزجان، واليورانيوم في قندهار، والحديد في باميان وبإمكان أفغانستان الاكتفاء الذاتي بالقمح والأرز والسكر.

قال أرينبور: إن أزمتنا هي أزمة الرجال من الدعاة الذين يحملون أعباء الحكم الإسلامي، فأجبت: إن في العالم الإسلامي طاقات كثيرة سواء من أبناء الدعوات أو من المسلمين الملتزمين، وبإمكانكم بعد أن تمسكوا بزمام الحكم وتمسكوا بمقود القيادة في أفغانستان أن تستعينوا بهذه الطاقات الضخمة شبه المعطلة في العالم العربي والأدمغة المهاجرة في أمريكا وأوروبا.

إن الخطوة الأولى أن تطيحوا بالحكم في كابل، وعساه أن يكون قريباً، وبعد هذا فالأمر سهل -بإذن الله-.

وإن الذي أعانكم على خوض هذا المضمار المضطرم باللهيب خلال عشر سنوات وقد اجتزتم هذا الخضم المتلاطم من الصعاب والمشاكل والعقبات، هو سبحانه قادر على أن يعينكم في إرساء قواعد الحكم الإسلامي في ربوع أفغانستان **{والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون}** الآية(٢١)يوسف.

قلت لمسعود : نريد أن نخوض معكم عملية افتتاح إحدى المدن أو المراكز الكبيرة. فرد أرينبور: إن حياتك ليست ملكاً لك ولا لأفغانستان، إنما هي للأمة الإسلامية جميعاً، فأجبت: **{وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً}** الآية(١٤٥) آل عمران.

ورددت :

أي يومي من الموت أفر	*يوم لا قدر أم يوم قـــــدر*
يوم لا قدر لا أرهبــــه	*ومن المقدور لا ينجو الحذر*

وأضفت قائلاً : إن كثيراً من الدعاة كانت شهادتهم أفضل للدعوة وللإسلام من حياتهم:

ففي القتلى لأجيال حيــــاة	*وفي الأسرى فدى لهم وعتق*
وللحرية الحمراء بــــــاب	*بكل يد مضرجة يـــــدق*

ثم ذكرت قصة استشهاد سيد قطب وكيف كانت دفعة قوية للدعوة الإسلامية في العالم، وهزة عنيفة أيقظت الكثيرين من

المسلمين من سباتهم، وكانت بداية الصحوة الإسلامية التي أصبحت غامرة في الربع الأخير من هذا القرن.

وأضفت قائلاً: إن تفسير في ظلال القرآن لم يطبع في حياة سيد سوى مرة واحدة، ولكن في السنة الأولى بعد استشهاده طبع سبع طبعات.

فعقب أحمد شاه قائلاً: إن كان لديك وقت ففي مخططنا سلسلة عمليات، ونحن ننتقل وإياك في السيارة، فقلت: إن شاء الله أمشي أو أكثر.

قال الشيخ رباني: نحن هنا جنود عندكم فلا نأمركم بشيء. فقلت: نعرض رغبتنا بالقتال ونحن نلتزم بالأوامر ونأمل من الله أن يرزقنا الشهادة في سبيله.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

البغل بمائة شيوعي*

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد:

يشهد الحزب الشيوعي الأفغاني حالة من الهزال والاحتضار، يعد فيها أيامه ليلفظ أنفاسه الأخيرة.

ولم أشهد في حياتي حالة من الذل والهوان والحقارة يحياها حزب حاكم مثلما يعيش الحزب الشيوعي الأفغاني في هذه الأيام بشقيه(برشم وخلق)، ويرشم هو الجناح الشيوعي الذي أسسه بابرك كارمل، وخلق هو الجناح الآخر الذي أسسه محمد نورتراقي. ومن المعلوم أن الرئيس (نجيب) هو أحد أعضاء برشم.

وقد كتب الله لي ليلة أمس أن ألتقي بمجموعة من القادة حول كابل في مناطق " قره باغ" و"استالف" و" شكردرة " في بيت يقبع في خطم أحد الجبال التي كانت مسرحا لأحداث صنعت التاريخ الإسلامي الحديث. وذلك في منطقة" بارندة" التي تقع في أحضانها قرية " جكدلك" مسقط رأس أحمد شاه مسعود والقائد مسلم، وقرية "مالاصيا" وهما جد متجاورتين، وما بينهما من أكوام الحديد والآليات وعجلات المدرعات وجنازير الدبابات T55,T62 مما خلفته المعارك في سنتي ١٩٨٦و١٩٨٧، ومما لم يستطع الروس أن يسحبوه لتعذر ذلك عليهم تحت حمم المجاهدين المتساقطة عليهم من الجبال المتجاورة، والذين تقذف بهم التلال وقمم الجبال في ساعة الشدة ، مايحسبهم أعداء الله ضربا من الجن قد انشقت عنهم القمم وألقت بهم السفوح، وفي لحظات خاطفة يجرون عملياتهم ثم يختفون في لمح البصر كأنما انشقت الأرض وابتلعتهم وكأن لم تغن الساحة قبل ساعة ببشر .

كأن لم يكن بين الجبال أو الغضى   أنيس ولم يبرز بها أي ضيغـــــم

التقيت بهم وبدأوا يتحدثون بوقائع تحسبها ضربا من المزاح أو نوعا من المجاز لتقريب الصورة إلى ذهن السامع، وليست حقائق تجري أحداثاً يومية في الساحة الواسعة حول كابل التي طالما تهنئ بالشيوعية وبوت أرجازها بشماراتها.

التقيت بالقادة محمد أنور والقاري محب الرحمن وأمير صوفي رسول من استالف وقره باغ، وسلطان محمد من بغرام، وجمعة خان من كوشي وأختر محمد قائد في شكردره فطلبت منهم أن يحدثوا عما جرى على أيديهم أو رأوه بأم أعينهم، وكان البيت ممتلئاً بالقادة والمجاهدين، وكان الأستاذ رباني وعبد الله أنس بين الحاضرين .

وقد ذكرتهم بالله أكثر من مرة وقلت لهم : نحن ننقل الى العالم الإسلامي وأنتم مسؤولون عن كل كلمة بين يدي الله غدا. فافتتح الحديث أختر محمد باللغة الفارسية مع أنه يستطيع أن يتمتع بالعربية ويتكلم بها بصعوبة بالغة . وكان يتناوب الترجمة الشيخ رباني والأخ عبد الله أنس .

قال أختر محمد : كان الروس قبل عدة أعوام يقولون للشيوعيين الأفغان أفغانستان إما أن تحكمها أو يحكمها الباسماش (الأشرار) الذين يعيشون في الجبال -يعنون المجاهدين-، أما أنتم فلن تستطيعوا أن تثبتوا أقدامكم فيها .

وقد جاء الزمن بمصداق ما كان الروس يرددونه. فمنذ أن أعلن "غورباتشوف" عن موعد انسحاب الروس حتى الآن والروس الذين في أفغانستان لا تكاد الدنيا تسعهم فرحا وغبطة و هم يعدون الأيام التي يقطعونها حتى يأتي موعد خروجهم، وهم يتصلون

* - نشر في مجلة الجهاد - العدد التاسع والاربعون - ربيع الثاني ١٤٠٩هـ ديسمبر ١٩٨٨م.

بالمجاهدين قائلين لهم: نحن في هذه الأيام ضيوف عليكم فدعونا ودونكم بني جلدتكم .

بل أخذ الروس يتسلون بمرأى الشيوعيين الأفغان يقادون إلى الموت على أيدي المجاهدين، ويرون في هذا تنفيسا لأحقاد حبيسة وآلام عميقة وجراحات غائرة خلفتها في مسارب نفوسهم هذه المجازر التي شهدوها ، وكانت ثمناً للأمجاد الشيوعية التي كان يحلم بها أمثال تراقي وحفيظ الله أمين وكارمل ونجيب، ثم تبدت سرابا للناظر أو سحابة صيف عن قليل تقشع .

لقد شعر الروس أنهم خُدعوا من قبل الحزب الشيوعي الأفغاني إذ صوّروا لهم أن أفغانستان طعم سائغ وصيد ثمين فيما لو تخطت أقدام الجيش الأحمر نهر جيحون (أموداريا)، فانزلقت أقدام الدب الأحمر الذي تحطم على صخرة المقاومة الإسلامية التي تفجرت في أعماق هذا الشعب الأبي المسلم .

حدثني أحمد شاه مسعود قال : لقد عرض عليّ الروس سنة ١٩٨٢ هدنة مؤقتة لمدة ستة أشهر ، وجاء الدبلوماسي الروسي وجلست معه عدة ليال، وفي الليلة الثالثة وإذا بالكلام ينساب على لسانه ينفس فيه عن آلام حبيسة في صدره فقال :

(أنت لا تعلم الحالة النفسية التي نعيشها ، لقد أدخلنا "بريجنيف " الأحمق هذه الأزمة الخانقة والدوامة العنيفة التي لا نعلم لها حلا . إننا نشعر كأننا مقيدون بالأغلال ونبحث عن طريقة فك هذه القيود) ، ثم قال مسعود:(وهممت أن أسجل هذا الكلام في ليلة لاحقة ولكني رأيت أن علو النفس تأبى عليّ استعمال هذه الأساليب الخسيسة وترفض هذه الوسائل الدنيئة)، وكان مير داد المسؤول الشيوعي البنجشيري في الجلسة فأشار إليه الروسي قائلاً : إن هؤلاء ـ بائعي الوطن ـ يتحملون كل النتائج، والآن أن الأوان أن ينفسوا عما في صدورهم من آلام وأحقاد تجاه هذه الطغمة الشيوعية التي باعت بلادها واستقدمتهم ليكونوا ضحية على مذابح أهواء نجيب وكارمل، وقدموا من الضحايا حسب اعتراف الناطق الرسمي ما يقارب خمسين ألفاً بين جريح وقتيل، ودعك عن الطائرات المحطمة التي بلغت حسب إحصائيات الدوائر الرسمية الأمريكية والباكستانية من خلال أجهزة التنصت والأقمار الصناعية في التقرير الأخير في شهر أغسطس سنة ١٩٨٨م ألفين وثمانين طائرة، ومثلها تقريبا من الطائرات المستهلكة، وسبعة عشر ألف دبابة ومدرعة وإحدى وعشرين ألف ناقلة ، ولا تسل عن الأموال التي أنفقت وذهبت أدراج الرياح .

يحدث أختر محمد ويؤمن القادة على صحة كلامه فيقول : لقد وصلت التسعيرة الأخيرة للحزب الشيوعي الأفغاني عند الروس في الأيام الأخيرة كالتالي :

(١) القادة الكبار الذين يشكلون جهاز المخابرات (خاد) ثلاثة آلاف روبية أفغانية (خمسة عشر دولاراً).

(٢) القادة الصغار : ألفا روبية أفغانية (عشرة دولارات) .

(٣) الجنود الشيوعيون : خمسمائة إلى ألف روبية (دولاران ونصف إلى خمسة دولارات).

فإذا كان ثمن البغل في أفغانستان يساوي خمسين ألف روبية أفغانية، فهذا يعني أن (البغل بمائة شيوعي) .

قال أختر محمد : ففي الأيام الأخيرة كانت (بوستة : مركز) للشيوعيين الأفغان اسمها بوستة (حسين)، وكانت تؤذي المجاهدين كثيراً، فذهب المجاهدون إلى الروس لشراء المركز الأفغاني، فطلب الروس ثمانين ألف روبية (أربعمائة دولار) فلم يتفقوا. وفي اليوم التالي ذهبت مجموعة أخرى من المجاهدين وقدمت للقائد الروسي (مسجلا وثلاثة أحزمة وسط) فتقدم الروس بالدبابة ودكوا المركز بمدافعهم ، ثم تقدم المجاهدون وقتلوا من قتلوا وأسروا من أسروا وغنموا ١٢ "كلاشنكوفا" و" دوشكا" (سلاحاً ثقيلا) ولاسلكي وعاد المجاهدون يحملون الغنائم والروس يهتفون : زنده باد مجاهدين (يعيش المجاهدون).

وحدث لال محمد قائلاً : في قرية (توتم دارة / غوربند) باع الروس للمجاهدين شاحنة قادمة للحكومة الأفغانية مليئة بالملابس والفحم الحجري بصندوقين من العنب .

حدث "سيد ظفر " قائد "سالانج " فقال: قال لنا الروس : دعونا وحالنا وشأنكم مع بني قومكم من الشيوعيين ، خذوا من السيارات من الطريق العام ما تشاؤون .

وحدث أختر محمد قائلاً : لقد اشتريت أكثر من عشرين مرة أنا والمجاهدون مراكز شيوعية بمسجل، ويتقدم الروس يدكون

البوستة بالدبابة فيدكون المركز ونحن نركب معهم، ثم نتقدم ونأخذ الغنائم والروس يهتفون لنا: (يعيش المجاهدون).

وكم من مركز للشيوعيين باعه الروس بثلاث دجاجات أو شاة !!

بيع الطريق العام :

وحدث أختر محمد والقادة يؤمنون أن الروس يضمنون الطريق العام (يبيعون ما يمر فيه من السيارات لمدة يوم أوساعات) للمجاهدين، وقد اشترى عبد الناصر من الحزب الإسلامي الطريق الوطني (الأوتوستراد:العام) بمائة ألف روبية لمدة ساعتين وأخذ عشرين سيارة .

ويشتري نورز وعبد القيوم الطريق العام يومياً - من الروس - بخمسين ألفاً أو ستين ألف روبية (مائتان وخمسون دولاراً). فيأخذ السيارة بما فيها فإن كانت السيارة للحكومة أخذها وما فيها وإن كانت خاصة وفيها صاحبها أخذ ما فيها وأعطى السائق ورقة أني أخذت حمولتها، فيأتي السائق بالورقة التي أمضاها قائد المجاهدين فتعطيه الدولة الشيوعية أجرة سيارته .

قال أختر محمد : وقد اشتركت مع بعض المجاهدين في شراء الطريق العام ذات يوم، ولكن وللأسف كانت السيارة التي أخذناها محملة بالإسمنت فحزنا لذلك .

موقف الحكومة الشيوعية :

وقد أصبح موقف الحكومة (نجيب) والحزب الشيوعي جد هزيل، فصارت تتظاهر بالإسلام، وفتحت باب التجارة الخارجية للتجار على مصراعيه، فأضحت كابل سوقا دولية للبضاعة العالمية، فتجد في أسواقها البضاعة الغربية والشرقية على السواء، ففيها الصناعات اليابانية والبريطانية والكورية والصينية والروسية، وقلّما تتفقد سلعة إلا وتجدها في أسواقها مع أنها دولة اشتراكية تقف دون التوسع الاستهلاكي، وتحول دون التجارة الخارجية إلا في أضيق الأطر، وما ذلك إلا لتخفف على الناس من آلام المعاناة وتنسيهم الواقع الأليم الذي يحيونه.

وقد ذكرنا من قبل أن نجيباً - رئيس الجمهورية أصدر مرسوماً يقضي بفصل أي موظف يتغيب ثلاثة أيام عن صلاة الجماعة.

السيطرة على ممر سالانج :

واستولى المجاهدون على ممر سالانج، وأمسكوا بالزمام، وحطموا في شهر مارس أربعمائة سيارة من بينها عشرون دبابة، وقطعت المواد الغذائية عن كابل، وأصبحت كابل تئن تحت وطأة الجوع ونقص المواد الغذائية ، فصارت الشاحنات الروسية تفرغ حمولتها في بولخمري / بغلان وتتصل بالحكومة الشيوعية في كابل حتى تستلم هذه البضائع، ولكن وزارة التموين في كابل تقول : أنا لا أستطيع أن أوصلها إلى كابل، وتعتذر روسيا عن إيصالها إلى العاصمة، وعندما يعلم المجاهدون بتفريغ الحمولة في بولخمري يتصلون بوزارة التموين في كابل : لئن أفرغت الشاحنات في بولخمري لن تصلكم شاحنة، فترد عليهم الوزارة :(نحن نلتزم بما ترون، اسمحوا لبعضها بالمرور وخذوا بعضها)، هكذا كان يحدث الكومندان عبد البصير قائد من سالانج ونحن نصغي إليهم مندهشين متعجبين . وهذا الوضع جعل الناس في كابل يصرخون في وجه الحكومة (إمّا أن تؤمنوا لنا العيش وإما أن تسلموا البلد لغيركم).

حصاد السنين بالنسبة للشيوعية :

وهكذا عاد الحزب الشيوعي يجتني حصاد السنين، فلا رضي عنه سيده الحاكم في الكرملين **[كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال اني برئ منك إني أخاف الله رب العالمين]** الآية (١٦) الحشر، ولا رضي عنه الجيش الذي يعتبر أن الشيوعية هي الدمار وسفك الدماء وانتهاك الأعراض وتدمير المساجد .

وحيثما سرح الفلاح الأفغاني العادي نظره يجد أن المآسي التي تغمر المجتمع بأسره ليس لها إلا سبب واحد وهو: الشيوعية (برشم وخلق).

فقد كان الأفغاني قبل سني حكم الشيوعية إذا ترامى إلى مسامعه كلمة كفر ينصرف ذهنه إلى اليهود والنصارى والمجوس والهندوس . وما كان يدور بخلده أن الشباب الذين كانوا يملأون جنبات كابل دوياً وصراخاً أثناء المظاهرات ممن يعتنقون الفكر الشيوعي هؤلاء من الكفار، وأما الآن فإذا أطلقت كلمة الكفر فلا ينصرف ذهنه إلا إلى برشم وخلق .

ان الأفغاني يتلفت حوله ليتفقد والده فيتذكر أن تراقي الشيوعي هو الذي دفنه حيا، وأما أمه فقد دفنت تحت ركام البيت أيام حفيظ الله أمين . وأما إخوانه فقد استشهدوا أيام كارمل . وهذه ابنته التي شوهت بالنابالم، وهذا ابنه الذي شل بشظية من الشظايا. كل هذا يغرس في أعماقه احقاداً على الشيوعية الكافرة لا يتفسها إلا الانتقام، ولذا فإذا منّ الله على أفغانستان بالحكم الإسلامي ووقف الحاكم الإسلامي في كابل ليقول اذهبوا فأنتم الطلقاء . فان هذا لن يؤمن الشيوعيين على دمائهم، ولن يحفظ لهم أرواحهم ، لأن كل أفغاني موتور على هؤلاء يريد أن ينفس عن مآسيه بالانتقام من قاتل أبيه . ولذا وكما أظن: لن يبقى شيوعي واحد حياً في داخل أفغانستان .

وكما قال الشيخ يونس خالص (نحن الأفغان إن أخذنا بثأرنا بعد مئة سنة نكون قد استعجلنا).

الحقيقة المرة :

والشيوعيون يدركون هذه الحقيقة أنه لم يعد لهم بقاء في داخل أفغانستان، وأصبحت الحياة شبه مستحيلة بالنسبة لهم خاصة وحكمهم يلفظ أنفاسه محتضراً على فراش الموت .

ولذا فقد أصدر مجلس الوزراء الشيوعي أخيراً قراراً يسمح لكل مواطن أن يأخذ جواز سفر يمنحه حرية التنقل والخروج، وتتوالى الأنباء عن طوابير الشيوعيين المصطفة بباب دائرة للجوازات كل يريد أن يفر بروحه من هذا البلد الذي أغرقه بالدماء وفرشه بالأشلاء . وأخذ الشيوعيون يصفون أملاكهم ويحاولون أن يحصلوا على مبلغ من العملة الصعبة يؤمن لهم بقية حياتهم في دولة من دول أوروبا الشرقية .

محاولة يائسة :

وتقدم مجلس الوزراء يطلب إلى السيدة الحاكمة روسيا أن تتمهل في سحب قواتها من أفغانستان، ويلتمسون بكل وسيلة ذليلة لها أن تحفظ لهم بقيةحكمهم المهتز المترنح .

وقدم الطلب إلى وزيرالخارجية السوفياتي "شيفرنادزه" فيرفض أن يتسلم الورقة بيده .

وهكذا وقف الشيوعيون يتجرعون غصص حصاد عقد ونصف من الزمن ، فيقفون أمام روسيا ناكسي رؤوسهم خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي . والسادة الروس الذين في أفغانستان يطلقون عليهم (وطن فروش : بائعي الوطن)، ومن جهة أخرى أمام شعب يتلمظ غيظاً وغضبا ينتظر الساعة التي ينقض فيها عليهم ليبيد خضراءهم ويهلك حرثهم ويجتثهم من الجذور .

والحق أن الشيوعيين الأفغان فشلوا في بيع أفغانستان للروس فباعهم الروس للمجاهدين.

ولم أر الآية الكريمة: { **لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا يُنصرون** } الآية (١٦) فصلت. متمثلة في مجموعة أكثر منها في الحزب الشيوعي الأفغاني في هذه الأيام .

وما أجمل ما يقوله أبوالطيب فيهم :

ذلّ من يغبط الذليل بعيش   رب عيش أخف منه الحمام

وصدق الله العظيم : { **... ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار** } الآية(٢)الحشر.

مسيرة عقد في جفن الردى *

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده، أما بعد:

فنحن الآن على أبواب عام عاشر منذ الدخول الروسي إلى أرض أبي حنيفة، أما الانقلاب الشيوعي فقد مضى عليه عشر حجج ونيف، وقد كتب الله لي أن أواكب هذه المسيرة المريرة على طول هذا الطريق الدامي نيفاً وسبع سنين ذقت في دربها ما لم أذق قط في حياتي، ذقت الحلاوة في مرارتها، واستعذبت العناء في عذابها، وكنت أحس بأن ثقل الأحداث التي تلقي بكلكلها على عاتقي تصفي النفس من غواشيها، وتنضج الروح على حرارة محنتها:

عذابه فيك عذب ... وبعده فيك قرب

أتيت الجهاد الأفغاني ولم يخط الشيب في عارضي، ولهول ما رأيت فقد اشتعل الرأس شيبا، لقد عايشت الجهاد الأفغاني في هذه الفترة يوماً يوماً بأعصابي وقلبي ومشاعري وأحاسيسي، وصرت أردد مع أبي الطيب:

لم يترك الدهر من قلبي ومن كبدي ... شيئا تتيمـــه عيـــــــن ولاجيـد

وقد درنا مع الدهر فرأيت من رفع ومن وضع، وكنا نتقلب بين أعطاف نعيم النصر أحياناً، ونتجرع غصص الهزيمة أخرى، صاحبنا فيها المجاهدين من القادة إلى الجند، حتى أصبحت أرواحنا واحدة مفرقة في جسوم كثيرة، والشعب الأفغاني بطبيعته قريب إلى القلب، تهواه الأفئدة، لأنه يحمل في طيات جبلته سجايا قلّما توفرت في شعب آخر، ولم تفسد فطرته سيول المدنية الغربية التي تجرف كل ما يواجهها من قيم، وتغسل ما تلاقيه من مبادئ ومثل.

عرفنا في الشعب نخوته وإباءه، وعزته وصفاءه، وكرمه وحياءه، وغيرته ووفاءه، رغم أن البعض كان يعتب علينا أحياناً، ويجد أخرى، ولكن محبة هذا الشعب هي السمة البارزة في شغاف القلب طيلة هذا العقد. تجاوزت فيها عن سفساف الأخلاق، لأني منشغل بالقضية بضخامتها وأهميتها وعلو شأنها في العالم المعاصر (**إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها**) [1].

وكنت إبان هذه الفترة أزداد اعجاباً بهذا الشعب، لأنه رغم الأرزاء الفوادح، والأضاحي التي تقدم لهذا الدين، والذبائح على سفوح الهضاب والصفائح، فإن الإصرار العنيد لا يفارق همته، والعز المجيد لا يغادر لمته. ويواصل المسيرة مع القرح، وحداؤه طول الطريق المرير {**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين**}. الآية (١٣٩) آل عمران

ونشيده في هذه المسيرة المضنية:

أأطرح المجد عن كتفي وأطلبه ... وأترك الغيث في غمدي وأنتجع [2]

والمشرفية لازالت مشرفـــــة ... دواء كل كريم أو هي الوجع [3]

شعب طحنته المصائب، وصبت عليه النوائب، عاش بين فكي الكماشة، وهصرت نضارة حياته رحى الحرب، في تجاعيد جبينه تقرأ ملاحم الآلام العميقة، وفي قسمات وجهه تلمح التاريخ المعاصر كوثيقة.

لقد كانت المسيرة سفينة أشرعت فوق أبحر الدماء، ومركباً تتقاذفه أمواج البلاء، وطريقاً أنداؤه الدموع والعرق، وزاده الغصص والعناء، ولكن:

هي نفرة كالتي من طابة حطمت ... هام الطغاة ودوى بعدها الظفر

تدافعت وحداها المجد واتزرت ... بالبيض تسبقها الخطية السمر [4]

وكنت طيلة المسيرة المريرة أرى بعين البصيرة وكأن يد الله تدير المعركة، وبقيت أحس من أعماقي أن قدرة الله وراء هذا الشعب المسحوق ظلما.

---

*- نشر في مجلة الجهاد – العدد الخمسون – جمادي الأولى ١٤٠٩هـ ، يناير١٩٨٩م.

(١) رواه الحاكم في المستدرك، وهو في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٧٨) وفي صحيح الجامع برقم (١٨٨٩).

(٢) أنتجع : أطلب الكلأ أي كيف ألقي المجد الذي يحققه لي الجهاد ثم أبحث عنه، وأترك الرزق الذي يحققه لي السيف ثم أبحث عنه.

(٣) المشرفية : السيوف.

(٤) البيض : السيوف ، الخطية السمر: الرماح.

القوارع الربانية على روسيا :

أقبلت بخيلها وخيلائها، وصلفها وكبريائها، وجبروتها وانتفاخ علياتها، ثم رأيتها باندحارها وصغارها وذلها وهوانها، بعد أن أعادت ضربات المجاهدين فوق هامها الوعي إلى رأسها، ورأيت الحد التنازلي للعسكرية السوفياتية بعد أن مزقت شر ممزق في أرض البطولة والفداء.

شاركت المجاهدين بفرحتهم بهلاك "بريجنيف"، ثم باندثار "أندروبوف" ثم بفطس "شيرننكو"، ثم بذل "غورباتشوف"، ورأيت يد الله وهي تنتقم بقوارع السماء من جذور البلاء وصانعي الشقاء للأبرياء.

رأيت انفجار المفاعل النووي في شيرنوبل الذي أفسدت آثاره كثيراً، ونغصت على أهل أوروبا عيشهم.

ورأيت الزلزال الأخير في "أرمينيا" الذي لم تشهد له روسيا نظيراً في كل حقباتها التاريخية، وكان الدمار الذي خلفه والخراب الذي أنتجه مئات الأضعاف من انفجار شيرنوبل، هلك مائة ألف، ومات ثلثا سكان العاصمة (لينين كن)، وحمل الزلزال المساكن ثلاثة أقدام وألقاها إلى الجبل فارتطمت به ثم عادت لتخسف بها الأرض، وتشرد نصف مليون من أرمينيا، وافتتحت روسيا حسابات لجمع التبرعات في كل مكان، وجاءت طائرتان للإغاثة فتحطمتا. وهكذا سخط الله يتصبب، ولعنته تتنزل عليهم لأنهم وقفوا أمام ولاية أذربيجان الاسلامية.

رأيت تاجكستان وتركستان الغربية تهتز لأن الحياة قد دبت فيها، والروح سرت في أوصالها بسبب اضطرار روسيا لفتح الجسور مع صنيعتها في كابل، وتسربت الكتب الاسلامية والمصاحف لتقرأها ذراري المسلمين فيرتبطون بدينهم وتاريخهم، ويدخل المجاهدون ويجرون العمليات العسكرية على مشارف بخارى، وتبدأ المظاهرات، ويقتل المئات من تاجكستان، وتضطر تاجكستان أن تبدأ بالاذان باللغة العربية بعد أن غاب هذا الصوت أكثر من نصف قرن، وبدأت الإذاعة تقرأ القرآن وذلك تسكينا لشعب تاجكستان وارضاء لمشاعرهم.

الصنم الذي هوى :

ورأيت ورقة الشيوعية تحترق في أفغانستان نهائياً بعد أن مرغت في الأوحال وديست بأقدام الأبطال الذين يحلو لي أن أنشد لكل واحد منهم:

تلقاه يقطر سيفه وسنانه　　　وبنان راحته ندى ونجيعا (*)

ورأيت الدمار الذي حلّ بالحزب الشيوعي، والتمزق الذي أصابه، والبأس الشديد الذي ألقاه الله بين أفراده يصفي بعضهم بعضاً، ورأيتهم يستجدون رحمة المجاهدين ويستعطفون قادتهم، رسائل بابرك ونجيب تتوالى تترى إلى المجاهدين يتوسلون إليهم أن يجلسوا معهم، وأن يطرحوا أمامهم مشاكلهم، وجند الله يستعلون بإيمانهم، ويأنفون أن ينزلوا مع هؤلاء الأنكاس الأنجاس، ورأيت الروس يبيعون الشيوعيين الأفغان كالكلاب التي يقتلها صاحبها إذا كلت أنيابها عن النهش أو عجزت عن الحراسة.

العزة والشموخ :

ورأيت كيف لفتت بطولة الأفغان وعزتهم أنظار العالم إليهم حتى أصبحت قضيتهم أكبر حدث يشغل العالم ومؤسساته.

وعايشت الأحداث وواكبت المسيرة ورأيت عزة السلف وشموخهم ممثلة في أبنائهم، فرأيت كيف رفض حكمت يار مقابلة "ريغان"، وكيف واجه سياف بعزة المسلم واستعلائه ارماكوست - وكيل الخارجية الأمريكية- والصفعات التي وجهها إليه، ورأيت يونس خالص كيف رفض مقابلة كوردفيز، ورأيت رباني وهو يرد على روسيا بعزة وإباء في داخل أروقة الأمم المتحدة، وسمعنا رده وهو رافع الرأس ناصع الجبين على غورباتشوف، والنشيد العذب على لسان كل واحد منهم:

وإني لمن قوم كأن نفوسهم　　　بها أنف أن تسكن اللحم والعظما

(*) البنان الاصبع، الراحة : الكف، ندى : كرم، نجيع : دم

المكائد والمصائد :

ولست بيدي مؤامرات العالم على هذا الدين، وهم يرتعدون رعباً إذ يرون دين الله قادماً بخطى حثيثة نحو الحياة ليأخذ بيده المقاد، ولتسلس له الناس القياد، رأيت الكيد تجاه الاسلام، وأبصرت أعداء الله يعضّون أصابع الندم إذ لم يخنقوا هذا المولود المبارك قبل أن يولد، وكيف تركوا هذه الشجرة تضرب بجذورها وتستوي قائمة على أصولها دون أن يجتثوها.

سمعنا "نيكسون" يقول على شاشة التلفاز (إن العدو الحقيقي هو الاسلام ولابد لأمريكا أن تتناسى خلافاتها مع روسيا حتى تواجه الاسلام)! وكتب شخترمان-اليهودي الامريكي: (What We have done? We have Awaken the Giant

ماذا صنعنا ؟ لقد أيقظنا العملاق.

ثم كانت مؤامرة جنيف لإيقاف الجهاد، فاشتعلت ناره بعدها وزاد ضراماً ليرى البشر أن المقادير بيد الواحد القهار وليس للبشر من الأمر شيء، ثم قتل ضياء الحق محاولة من الغرب أن يطفئ نور هذا الحق **{يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون}** الآية(٨) الصف.

والآن نحن على أبواب كابل:

وأمل من الله أن يكون هذا العام هو عام الفتح، إذ أن كل المدن في أفغانستان محاطة إحاطة السوار بالمعصم من قبل المجاهدين، وهي تترنح لتسقط بقيادتها الشيوعية تحت أقدام الأباة الكماة الغرّ:

لا أبعد الله عن عيني غطارفة جنّاً إذا ركبوا إنسا اذا نزلوا

ونحن نرى بفضل الله الأمل فوق رؤوس البيــض [٦] والأسل [٧].

روسيا والعد التنازلي :

وأخيرا وبعد أن يئست روسيا أن تحسم القضية عسكرياً فقد طلبت بنفسها أن تقابل المجاهدين وجهاً لوجه في الطائف وعلى قدم المساواة مع المجاهدين، ومبدأ المفاوضات لا غبار عليه من جهة الأصل لا شرعاً ولا مصلحة -ولكن بشروطه الشرعية التي نص عليها الفقهاء والتي لا يتسع لها هذا المقال-.

والآن هذه أفغانستان :

أبطالها لكثرة ما عانوا كأنهم ظلال ، بناؤها لما أصابه من الدمار كأنه أطلال

أنضاء طلّت دمعهم أطلالهم فتخالهم بين الرسوم رسوم [٨]

كم من الأرجل سقطت بسبب الثلوج لأنها لا تجد الحذاء؟ وكم من ثاكل فقدت وحيدها لا تجد رغيفاً يسكت جوعتها؟ كم من بيت تهدم فوق أهله فلم يبق منهم سوى طفلة صغيرة لا تعرف لها أهلاً؟ كم من شاب أو قائد طالما زلزل الأرض تحت أقدام روسيا ومع هذا فعندما جرح لم يجد أجرة توصله إلى مكان علاجه؟ لقد مر عليّ المجاهد شاه سليمان وقد اسقط خمس طائرات في يوم واحد لا يجد العلاج

فتلك ربوعـهم بالدافـق المـوّار تغتسـل
وتلك جماجم الأطفال تسحق وهي تبتهـل
وكل قذيفـة يشـدو علـى أنغامـها الأمـل
ورأس الشعب مرتفع وموج البذل متصـل

ومع هذا فلم تلن لهم قناة ولم تهن لهم شكيمة: **{وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين}** الآية(١٤٦)آل عمران.

---

(٦) البيض : السيوف (٧) الأسل : رؤوس الرماح

(٨) أنضاء : مهزولون ، طلّت: أروت ، أطلالهم : آثار بين بيوتهم ، أي أن هؤلاء القوم قد روّت دموعهم هذه الربوع لكانهم أشباح بين هذه الآثار.

وفزع الناس إثر سماعهم هذا المرض لأنهم خشوا أن يعود سلطان إلى ظلمه وبطشه خاصة وقد رحب الناس بالفتح المبين.

وقابل سلطان محمد خان السيد أحمد، فذكره السيد بالمؤامرات التي حاكها مع إخوانه خلال السنوات الثلاث من شيدو إلى زيدة ثم تورد، فأخرج له سلطان رسالة من بعض علماء الهند المحترفين يحذرونهم من السيد وصحبه، ويغرونهم بالإيقاع به بمجرد الوصول إليهم لأنه خارج عن الإسلام وعميل للإنجليز. فدهش السيد وهو يرى هذا النوع من المحترفين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، وأظهر سلطان ندمه وتوبته، وجدد بيعته وعاهد أن يكون مخلصاً وفيا للسيد وخاضعاً لأحكام الشرع.

تولية سلطان محمد خان على بيشاور :

وولى السيد سلطان محمد خان أميراً على بيشاور، وعين مظهر علي العظيم الابادي قاضيا فيها، وعين المحتسبين والجباة في القرى والمدن، وبدأ شرع الله يسود المنطقة كلها، وأزيلت المظالم، وأعلن السيد وجوب تخفيف المهور لأن غلاءها أدى إلى شر مستطير وفساد كبير.

تعطيل القانون القبلي (الأفغاني) وسيادة شرع الله: وعندما ساد شرع الله تعطلت مصالح الزعماء والرؤساء والمنتفعين من العلماء، وقد عبّر عن هذه النفسيات عناية الله خان السواتي الذي أرسل رسالة إلى محمد اسماعيل قائلاً : (إنكم لا تحيدون عن الكتاب والسنة قيد شعرة، وإن الكتاب والسنة والعلماء في جانبكم، ولكن هذه الأحكام يشق علينا العمل بها، وسنظل متمسكين بتقاليدنا الأفغانية، فإن أبيتم علينا حاربناكم، فإن كان الظفر لكم غادرناها إلى بلد من بلاد الكفار).

المؤامرة الرهيبة (الوهابية):

وعاد سلطان محمد خان مع بعض القوم يتآمرون، واتفقوا مع الانجليز والسيخ وزعماء القبائل فأجمعوا أمرهم أن يشيعوا بين القبائل أن السيد قد جاء بدين جديد هو (الوهابية) الخارجة عن الإسلام، وأرسلوا أموالهم ووزعت على بعض العلماء الموالين للكفار وعلى رؤوس القوم، وتواعدوا فيما بينهم يوماً للقيام على القضاة والمحتسبين وعمال السيد الإمام وقتلهم جميعاً، وجاء اليوم الموعود، وانطلق القوم لا يلوون على شيء ولا يرعون في مؤمن إلا ولا ذمة، وبدؤوا يصادون كالظباء الموادعة، فعملوا فيهم مجزرة عظيمة، فقتل علي العظيم آبادي في بيشاور، ورمضان شاه رئيس القضاة، وقد قتل قسم منهم أثناء الصلاة، وهكذا أبادوا صفوة المهاجرين المجاهدين بهذه الخيانة النكراء التي قلما شهد لها التاريخ مثيلاً بالخسة والنذالة.

الهجرة الأخيرة :

ووقع النبأ كالصاعقة على قلب السيد، وقرر الهجرة من بنجتار خاصة وقد علم أن فتح خان (زعيم منطقة بنجتار) متآمر مع المجرمين، وقرر أن يغادر، وبكى الكثيرون على قراره، وحاولوا أن يثنوا عزمه عن القرار، ولكنه مضى ويمم شطر كشمير ليجاهد الانجليز منها، وعلى الطريق استقر الجيش في (بلاكوت) الحصينة حيث وصلها في رجب ١٢٤٦.

وفي بلاكوت طوي سفر القافلة المباركة : إذ هجم السيخ بجيش كبير عليهم، ورأى بعض أتباع الإمام الانسحاب إلى الجبال بعيداً عن جيش السيخ حتى يعد العدة ويعود للانقضاض، ولكنه أبى وقال (إما النصر على السيخ ودخول لاهور أو الجنة)، وبدأ السيد بالدعاء الطويل وقذائف السيخ تتصبب عليه وهو في المسجد، ويسمع بين الحين والآخر هاتفاً يناديه ويتساءل أدعاني أحد منكم فيجيبه المجاهدون بالنفي، ثم انقض مع أصحابه كالسهم الخاطف، والصواعق المرسلة، وحمي الوطيس، وانتقلت المعركة إلى استعمال السلاح الأبيض والاشتباك، حتى كان المجاهدون يلحقون بالسيخ ويجرونهم بأرجلهم، وفجأة قتل محمد إسماعيل، وأبيد القوم، واختفت جثة السيد أحمد عرفان فلم تعرف، وكان هذا آخر فصول المشاهد العظيمة التي كانت الدنيا كلها تتتبّع أحداثها بلهفة ولوعة وهي تنتظر انتصار الإسلام على السيخ والانجليز، وإعلاء راية الإسلام وشريعته في وسط آسيا كلها، وقد كانت الفاجعة في ٢٤ ذي القعدة ١٢٤٦ الموافق ٦ مايو سنة ١٨٣١، واستشهد في الواقعة ثلاثمائة من صفوة أهل الأرض، ثم أسدل الستار.

مواصلة الجهاد :

وواصل أتباع السيد أحمد عرفان الجهاد ضد الانجليز، واضطروا أن يرسلوا عشرين بعثة عدادها ستون ألفاً لمقاومة

وفي السنة التالية استدعاه (خادي خان) فجاء بعشرة آلاف ليغسل عار الهزيمة الأولى، وتوجه إلى بنجتار (مقر الجيش الإسلامي)، وعندما علم السيد أمر المسلمين أن يبنوا جداراً في مدخل بنجتار الوحيد، ولبس السيد لأمته وخرج بسلاحه وصف الجند الذين بلغوا ثمانية آلاف، وتقدم الشيخ إسماعيل فقرأ آيات بيعة الرضوان من سورة الفتح، وبايعوا السيد على إحدى الحسنين (النصر أو الشهادة) ودعا السيد دعاءً طويلاً مخبتاً ذرفت منه العيون ووجلت فيه القلوب.

وتقدم فينتورة ورأى هذا الجيش الإسلامي فألقى في قلبه الرعب وانسحب ثانية.

النصر المبين:

ولقد كان لهزيمة فينتورة دوي هائل على طول البلاد، وتحدث به الناس بين حاضر وباد، وأقبلت القبائل تبايع السيد وتعاهد على نبذ الشرائع القبلية الجاهلية وعلى التزام الحكم الشرعي إلا "خادي خان" فقد ركب طيش رأسه وأصر على عناده وأبى.

فأرسل إليه السيد محمد إسماعيل على رأس كتيبة عدادها خمسمائة مقاتل، وقبل القتال ذكره بالله وبالتزام الشرع الإسلامي، فرد خادي خان (نحن لنا شرع ولكم شرع).

وبعد انقطاع الأمل استقر الرأي على اقتحام قلعة خادي خان المسماه بـ (هند)، فاقتحموها وقتلوا خادي خان ورجلاً آخر وخضعت القرية الحصينة لحكم السيد.

وهنا انتفض يار محمد خان وقام على رأس جيش لجب من بيشاور مع سرب من الأفيال ووصل إلى (هريانه) يريد أن يقصي السيد عن (هند)، وأرسل رجاله يعيثون في الأرض فساداً، وأطلق المدافع ليقذف الرعب في قلوب الأهالي، وهنا أرسل السيد رسله يمحضونه النصح ويذكرونه بالله، فاستقبلهم باستعلاء وعنجهية وإباء.

معركة زيدة:

وهنا اضطر السيد أن يرسل الشيخ اسماعيل على رأس كتيبة عدادها ثمانمائة، فأقبل المجاهدون على الموت، وعلا التكبير ودوى الزئير. وتقدموا إلى كتيبة مدافع العدو واستولوا عليها واستعملوها ضد يار محمد خان، وهرب الشتات وجموع المرتزقة الذين جمعهم يارمحمد وجرح ومات على الطريق، وكان نصراً عظيماً مؤزراً.

معركة تورد:

بعد مقتل يار محمد خان أمير بيشاور في زيده أقبل أخوه سلطان محمد خان يقود جيشاً عرمرماً يعد ثمانية آلاف فارس وأربعة آلاف راجل للأخذ بثأر أخيه وإراحة المنطقة من الخطر الإسلامي الجديد، فعندما علم السيد بهذا أرسل إليه الرسل وذكره بالله ثم بالإسلام أن لايزج بالناس في حرب يفرح بها أعداء الله من الإنجليز والسيخ، وذكره بالبيعة التي في عنقه، ولكنه قابل النصح بالاستخفاف، وأرسل إليه السيد مرات وعندما علم إصراره على الحرب خرج السيد يقود كتائب الإيمان المكونة من (خمسة آلاف فارس وثلاثة آلاف راجل)، ودعا طويلاً، وكان هذا دأبه قبل كل معركة، وأنشد المجاهدون نشيد الجهاد الذي نظمه (خرم علي)، وتسابقوا إلى الموت، وأبدى السيد بسالة فائقة، وهزم العدو، ودارت الدائرة عليه، وقتل منهم عدد كبير ونصر الله جنده.

فتح بيشاور:

وهنا آن الأوان لفتح بيشاور بعد أن صنع أمراؤها ما صنعوا، فتوجه السيد بجيش قوامه سبعة آلاف من المجاهدين، ومروا على مردان وبقي فيها يومين، ثم توجه إلى بيشاور، وهنا أرسل سلطان محمد خان رسله يعلن توبته وندمه، فأبى السيد إلا دخول بيشاور حتى لايشيع سلطان أن السيد قد انخذل خوفاً ورعباً، وألقى السيد تعليماته ووجه نصائحه ومواعظه إلى الجيش بوجوب التزام آداب القتال، وعدم الغلول، وصيانة حرمات المسلمين وأموالهم وأعراضهم، ودخل الجيش، وهرب سلطان محمد خان وبقي الجيش جائعاً يومين حتى ذهب (بهرام خان) واستدان من الصرافين مالاً واشترى للجيش طعاماً.

وهنا عاد سلطان محمد خان وأرسل يعرض التوبة على السيد، وتجديد البيعة، ونزع يده من كل ثائر على الحكم الإسلامي،

في نوشهره:

وألقى عصا التسيار في نوشهره، وأقام معسكره الإسلامي، ووجه رسالته إلى رنجيت سنغ ملك السيخ في لاهور، فاعتبر هذه الرسالة تطاولاً على سيادته من شيخ من شيوخ المسلمين الذين يعيشون تحت حكمه كالسوائم، إذ أن الرسالة تعرض عليه الإسلام أو الجزية أو السيف، فاستهان بالرسالة وأرسل إلى قائده (بده سنغ) أن يأخذ حذره.

معركة اكورة ختك في ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٢٤٢هـ : وبيّت السيد أحمد (بده سنغ) فهجم عليه ليلاً، وعمل في جيشه قتلاً ونهباً، وقتل منهم سبعمائة، واستشهد من المجاهدين بضعة وسبعون رجلاً، وكان نصراً مؤزراً مبيناً.

البيعة :

وبعد النصر المؤزر الذي أنزله الله على السيد في اكورة أقبل الناس وبايعوا السيد، وقرئت خطبة الجمعة باسمه، ورأى أمراء بيشاور الإخوة الثلاثة (يار محمد خان، سلطان محمد خان، وبير محمد خان) أن هذا أمر قد توجه وإن له ما بعده، فاقبلوا على السيد وبايعوه، غير مخلصين.

معركة شيدو (بلدة قرب نوشهرة):

كان جيش السيد قد وصل ثمانين ألفاً، ولكنه من أخلاط الناس وأوشابها، إذ كثر الغثاء على النواة المخلصة التي كانت تكوّن القاعدة الصلبة ممن تربى على يد السيد وذاق في الله وعلى طريق الهجرة ما أنضج نفوسهم، وجاء أمراء بيشاور بجيشهم البالغ عشرين ألفاً وانضموا إليه، وكان أمراء بيشاور على صلة وثيقة بالسيخ في لاهور، فدفعهم الحسد إلى دس السم في طعام السيد، ثم دخلوا المعركة وقدم يار محمد خان فيلاً أعرج إلى السيد، ورأى أن يشترك السيد في المعركة والسم يأخذ من جسده كل مأخذ بين إغماء واستيقاظ، ودخل السيد المعركة، وطمع إخوة بيشاور أن يسقط السيد أسيراً بيد السيخ، ولكن الفيّال كان رجلاً صالحاً فانسحب بالسيد من المعركة، وانسحب يار محمد خان من المعركة بعد أن لاحت تباشير النصر للمسلمين، ثم انخذل الأخلاط من ورائه، وكانت معركة لها ما بعدها لو صدق إخوة بيشأور، ولغيرت التاريخ في المنطقة، ولكنها الأطماع والأهواء كم أضاعت من شعوب وكم مزمت من أمم.

في بنجتار:

أدرك السيد أن الجيش إذا كثر غثاؤه وطفا زبده فإنه يصبح مصدر شر ومنبع فساد، فلابد من التربية والبناء، وقد علمته معركة "شيدو" الكثير الكثير من هذا، واغتنمها السيد فرصة إذ عرض عليه فتح خان زعيم قبيلة (خدوخيل) أن ينزل في ضيافته في قرية "بنجتار" على أطراف "سوات"، فجاء السيد مع ألف من أتباعه واستقروا فيها، وعملوا على هؤلاء بالتربية على قدم وساق (بالقيام والصيام وكثرة الذكر وطول القيام) مع التدريبات الشاقة، وأقام مصنعاً للذخيرة والقنابل في قرية (قاسم خيل) مع مزاولة الفروسية وسباق الخيل.

البيعة في ١٥ شعبان ١٢٤٤:

وبعد سنة من الدعوة والبناء في "سوات" ومنطقتها وعاصمتها (خهر) فاتح السيد زعيم القبيلة فتح خان بأنه لابد أن يتنازل عن القانون القبلي وأن يبايع السيد على الحكم الإسلامي، وفي جمع غفير من المنطقة بايع فتح خان وبايع الناس، وأقام السيد نظام الحسبة والقضاء الشرعي وجباية الزكاة، وعم العدل وأمن الناس وتوارى الفساد.

في مواجهة القائد الفرنسي فينتورة: كان فينتورة قائداً لرنجيت سنغ، فكان قائداً للجيش الخاص الذي كان يفوق الجيوش الحديثة تدريباً وتنظيماً واستعداداً، وبعد بيعة السيد استدعى خادي خان أحد زعماء القبائل الذين حضروا البيعة فينتورة لعله يسحق السيد أو يزيله من المنطقة، وعسكر فينتورة وطلب الأتاوات التي كان يأخذها من زعماء القبائل، فرفضوا قائلين نحن بايعنا السيد، وأرسل السيد كتيبة عدادها ثلاثمائة، واصطفت في مواجهة فينتورة، فألقى الله في قلبه الرعب، وكثّر الله المؤمنين في نظره، وانسحب من المنطقة.

نفس المكان والزمان بايع السيد أتباعه على الجهاد، وبعد الحج توجه إلى المدينة المنورة وكان محط أنظار العلماء ومرجعهم، وتجمع عليه كثير من عوام الناس وخاصتهم، ثم عاد إلى مكة في رمضان وكانت له حجة ثانية.-ثم قفل راجعاً إلى بلده فوصلها في رمضان سنة ١٢٣٩ (١٨٢٤م).

التحريض على الجهاد:

ومكث في بلده سنة وعشرة شهور ليس له عمل سوى الحث على الجهاد والهجرة، فكان يشعر أن العمل ثقيل والأمانة كبيرة **[أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب]** الآية(٢١٤)البقرة.

فقد كان يرى بريطانيا تلقي بكلكلها على صدر الشعب الهندي، وتمتص خيراته، وتسومه سوء العذاب، فليس لهذه الحالة حل إلا بالهجرة والجهاد وبذل المهج والأرواح: **[فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلا]** الآية(٨٤)النساء.

هدف السيد:

كان أحمد عرفان يرمي إلى تحرير القارة الهندية بأسرها وإقامة حكم إسلامي فيها، وقد صمم أن يبدأ معركته مع السيخ الذين يقيمون في البنجاب تحت قيادة (رنجيت سنغ) في لاهور، وقد اختار المنطقة التي تقطنها القبائل الأفغانية ذات الشكيمة الصلبة والمراس الشديد، عدا عن أن كثيراً من أبنائها قد دخلوا جيشه وبايعوه، فكان يطمع أن يؤدي الشعب الأفغاني دوره في القتال، أما البنجاب فصورها إقبال في بيت واحد قائلاً : (لقد مات الإسلام في هذه المنطقة لأن السيخ قد انتزعوا من المسلمين السيف والمصحف)

الهجرة:

غادر السيد أحمد وطنه في جمادى الآخرة سنة ١٢٤١هـ متوجهاً إلى المنطقة الشمالية القريبة من الهند (بيشاور والحدود)، فاجتاز صحراء بلوشستان المقفرة، وتكبد من عناء العطش ولفح الصحراء ما تكبد، ووصل قندهار، ثم اجتاز أفغانستان إلى بيشاور وكانت آنذاك جزءاً من أفغانستان، ولا يمر ببلدة إلا ويبعث منظر جيشه الأمل في القلوب اليائسة، هذا مع التحريض على القتال وبث روح الحمية الإسلامية واستثارة الغيرة الدينية في نفوس الناس، فكان الجيش يزداد كلما مر بقوم فيندفع البعض لمبايعته ومتابعته.

لقد كانت هجرة شاقة سيما وأن اتباع السيد من علية القوم من دلهي والهند ومن ذوي البيوتات الرفيعة في الثراء بالإضافة إلى العلم والأدب.

فقطعوا صحراء (ماروار) بين الهند والسند التي تمتد على طول ٤١٨ كم، وبعد الرحلة المضنية استقبلهم أهل السند استقبالاً حافلاً، ثم دخلوا صحراء بلوشستان بشعبها الجاف الخشن الطباع، عدا عن انحسار الدين عن الحياة، ودعك عن اللصوص الموزعين على طول الصحراء وعرضها، ثم دخلوا ممر (بولان) الشهير الذي يعتبر المدخل الوحيد بين الهند وأفغانستان وطوله ٥٥ كم، وأخيراً وصلوا مدينة شال (كويته) ثم قندهار فغزني فكابل.

ولقد استقبل في المدن الأفغانية الثلاث بحفاوة بالغة وتكريم كبير، إذ كان الأمراء يخرجون لاحتضانه والاحتفاء به، وكانت كابل في القمة من الفرحة البالغة والحفاوة الرائعة، فاستقبله سلطان محمد خان مع إخوانه الثلاثة، ونزل في قصر الوزير الكبير فتح خان. وقد كان بين أمراء أفغانستان نزاع وخلاف أطمع فيهم الانجليز والسيخ، فمكث السيد شهراً ونصفاً في كابل يحاول أن يصلح بين الإخوة.

وقد كان السيد معجباً بهذا العرق الأصيل (الشعب الأفغاني) ويرى أن فيه من الأصالة وطيب المعدن والمروءة والفروسية ما يمكنه أن يقيم دولة إسلامية تمتد من الهند إلى أسوار القسطنطينية لو اتحدوا، فحاول جاهداً الإصلاح بينهم، ولكنه فشل وواصل مسيرته إلى بيشاور وأقام فيها ثلاثاً، ثم وصل إلى "نوشهرة" في ١٢ جمادى الأولى سنة ١٢٤٢هـ.

في جيش أحمد خان:

كان حب الجهاد يأخذ بمجامع نفس بطلنا، ويحس في أعماقه أن الأمة قد طال عليها الأمد، وغطت طويلاً في منامها، فلابد من إيقاظها، وسقطت بين براثن أعدائها، فحق إنقاذها، فكان لابد من أن يأخذ للأمر أهبته، ويعد للشأن عدته، فعاد إلى شيخه عبد العزيز في دلهي سنة ١٢٢٦هـ، فلفت نظره إلى الانخراط في جيش أمير خان الذي كان يقوم بجهود طيبة في مواجهة الزحف الانجليزي، وأمير خان ذو أصل أفغاني ذو مروءة وهمة عالية، وانضم حوله مجموعة من الفرسان الأسود، ومكث سيد أحمد في جيش أمير خان ست سنوات مربياً وداعية وجندياً وليثاً هصوراً، فارتفع مستوى الجيش التربوي والروحي، فكان يعد ويستعد ويعطي، ولقد كانت أخلاقه ورفعته معلماً عملياً، فكانت أخلاقه مدرسة فذة ومنارة سامقة.

العودة إلى دلهي:

وقعت ظروف قاهرة اضطرت أميرخان أن يهادن الإنجليز ووقع في قبضة الانجليز، فقبل الإمارة تحت نفوذهم، فاهتزت نفس السيد أحمد حزناً وتركه وعاد إلى دلهي، واستقبل استقبالاً رائعاً لدى وصوله.

بيعة الصاحبين : وهنا تقدم إليه اثنان من أسرة شاه ولي الله الدهلوي وبايعاه وهما الشيخ عبد الحي بن هبة الله البرهانوي والشيخ محمد اسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدهلوي، وقد أصبحا أخص خاصته، وكونا جناحين طار بهما إلى الدعوة والجهاد، فأما الأول فقد برع في الخطابة والدعوة، وأما الثاني فقد نبغ في أمور الحرب وفنون القتال، وهذان الشخصان من عمالقة حركة الإصلاح الديني في الهند وأفغانستان، ثم أقبل عليه خلق كثير يبايعونه ويمشون في ركابه ويشاركونه مسيرته ويعيشون معه آلام أمة تعتصر قلوبهم حزناً، وآمالها التي ترفرف بأشواقها المجنحة في صدورهم وأعماق قلوبهم.

بث الروح:

وانطلق الصاحبان يرافقان شيخهما في الدعوة الإصلاحية الجهادية، وبدأت الدماء تجري من جديد في العروق الجافة في الهند، والنبض يقوى فيضخ الدماء إلى الأطراف الميتة، فطفقوا يجوبون القرى والمدن ويتبعهم الآلاف المؤلفة يقبلون على بيعة السيد أحمد عرفان، وقد كانوا بأخلاقهم وسمتهم ودلهم روحاً جديداً تنفخ في القلوب الميتة، فمن دهلي إلى بهلت ولوهاري وسهارنفور ورامفور وبريلي وشاه آباد، فتتبعه جمهرة من العلماء وساروا في ركابه ومضوا على طريقه.

ثم عاد إلى بلده (رائي بريلي)، ثم رجع إلى لكنو وأقام على تل الشيخ بير محمد اللكنوي على شاطئ نهر كومتي، فبايعه آلاف من الرجال.

تحطيم العادات:

وفي بلده تزوج بأيم، وهو أول نكاح بأيم في السادة والأشراف الذين كانوا يأنفون من زواج الأيم.

الحج:

وقد قام بعض المتعلمين وأصدروا فتوى بأن الحج فيه مخاطر، لأن ركوب البحر يعتريه المخاوف، ولذا فالناس لا يستطيعون السبيل، فقام السيد ورد عليهم وأراد أن يهز فتواهم ويزلزل مكانتهم بحل عملي، فأعلن عن عزمه على الحج، ونادى المنادي بالناس من أراد الحج فطعامه وركابه على حساب السيد، فغادر بلده في شوال سنة ١٢٣٦ مع أربعمائة ممن عزم على الحج معه، وكلما مروا بمدينة أو بلدة نادوا بالناس لأداء هذه الفريضة ووجوب إحيائها، وكلما مرّ ببلدة أقبلت الجموع تبايعه، فأقفرت حوانيت الخمر ومراكز اللهو وبؤر الفساد والبغاء، وصارت العادات الذميمة تنمسح تدريجياً ببركة دعائه وإخلاصه، حتى وصل كلكتة عاصمة الحكم البريطاني، ومكث فيها ثلاثة أشهر، ثم غادرها إلى جدة يرافقه سبعمائة وخمسة وخمسون شخصاً، ووصلوا جدة في شعبان سنة ١٢٣٧ (مايو١٨٢٢) وأقام في مكة رمضان إلى الحج، وبايعه جمع من العلماء وعلى رأسهم إمام الحرم ومفتي مكة.

بيعة على الجهاد:

وفي أيام الحج وفي العقبة – حيث كانت بيعة الأنصار (بيعة العقبة) على نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم-، أقول في

وجدير بالذكر أن الصحف وأجهزة الإعلام الغربية أخبرت في تاريخ ٨٩/٤/١١ عن حدوث تمرد ومظاهرات في "جورجيا" تطالب بالانفصال عن الاتحاد السوفياتي، و"جورجيا" هي مسقط رأس "شيفاردنادزه" وزير خارجية الاتحاد السوفياتي ، وقد سقط في هذه المظاهرات (١٦) قتيلاً و (١٦٠) جريحاً باعتراف روسيا، فإذا كانت هذه حال ولاية "جورجيا" -النصرانية الأصل - فما بالك بحال الولايات الإسلامية التي تعيش غلياناً شديداً كأذربيجان وطاجكستان.. وهذا يعني أن الاتحاد السوفياتي يعيش حركة تمزق داخلية قد تكون مسمار نعشه في المستقبل:

والليالي من الزمان حبالى   حاملات يلدن كل عجيب

ما أشبه الليلة بالبارحة*

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فوق هذه الأرض التي نعيش عليها الآن دارت رحى أحداث هذه الملحمة المشرقة المحزنة، وعلى أنجاد هذه البقعة برزت ضراغم وتألقت ضياغم، وشهدت وهاد هذه المنطقة مأساة أسيفة أليمة نكبت بها الأمة الإسلامية التي كادت تتنفس الصعداء والعيش في ظلال هذا الدين لولا قدر الله ثم الخيانة التي ولغ فيها كلاب الطمع وعبيد الدنيا، ونحن الآن نلاحظ أن رياح تلك المأساة عادت تهب من جديد، وأن الكير الذي كانوا يديرونه فيملأون الجو دخاناً يعمي الأبصار عادوا يحركونه من جديد وإن النغم الذي عزفوا عليه فسكرت بلحنه العقول الطائشة التي أجهضت أعظم حركة إصلاح جهادية في القرن الثالث عشر الهجري، ووأدوا دولة إسلامية ناشئة عادوا يعزفون عليه، فما أحرانا أن ندرس فصول هذه المأساة لتكون لنا عبرة: **{لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب}** الآية(١١١) يوسف.

تمهيد:

فمن أعماق الظلام المطبق فوق القارة الهندية حيث المسلمين يعيشون كقطعان الغنم في ليلة شاتية تتناوشها الذئاب، وتجثم شركة الهند الشرقية الانجليزية بثقلها على صدر الهند، وأما الأجزاء التي يحكمها الراجاوات والإقطاعيون والنواب فكلهم يقادون بخطامهم من قبل الانجليز حيث تساق الأمة على مذبح شهوات بريطانيا، وباختصار فإن الانجليز قد أمسكوا بأيديهم لجام السيخ والمرهيتين والحكام المستسلمين، وكل خيرات الهند تصب في جيب السيدة الأم بريطانيا العظمى، ولقد بلغ الانحلال الخلقي بالمسلمين أن بعض نسائهم كن يبعن كالسلع في بيوت تجار الرقيق الأبيض في أوروبا، في هذا الجو المدلهم المكفهر وفي سنة ١٢٠١هـ (١٧٨٦) ولد البطل المنقذ والجواد الملهم، وبرق الحسام الصارم (سيد أحمد عرفان الشهيد) في بيت علم وأدب ودين، فآباؤه الصيد يشار إليهم بالبنان علماً وخلقاً وزهداً ورفعة في بلدة (رائي بريلي).

أخــلاق :

وقد كان متيماً منذ نعومة أظفاره بالفروسية وامتطاء صهوة الجياد والرياضة والسباحة، ولوعاً بخدمة الأمة التي جعل انقاذها نصب عينيه، وكان متعبداً متبتلاً، ذاكراً مسبحاً، فقد قسم وقته بين خدمة الناس والعبادة والتسبيح والرياضة.

فقد والده في الثالثة عشرة من عمره، فخرج إلى "لكنو" (٧٢) كم عن مسقط رأسه في طلب الرزق في رحاب العلم والتربية، ترك أحمد عرفان "لكنو" وتوجه إلى دلهي ماشياً، وكم كابد من وعثاء السفر ومرارة المسير وغصص الرحلة إذ قطعها وحيداً، وواجه من الجوع والعطش والألم الشيء الكثير حتى تورمت قدماه، ووصل الشيخ عبد العزيز ابن الإمام ولي الله الدهلوي، فعندما قدم نفسه إليه وعرفه فرح به كثيراً وأحله بيت أخيه عبد القادر، وبدأ يتلقى الأدب قبل العلم، وجدَّ فيهما، وأخذ نفسه بالعبادات والأذكار مع العلم، وترك الشيخ عبد العزيز وأخوه بصماتهم على نفسية سيد أحمد عرفان وفي وقت قصير أجازه الشيخ عبد العزيز ثم عاد إلى وطنه (رائي بريلي) وأقام عامين في وطنه ثم تزوج.

---

* نشر في مجلة الجهاد – العدد السادس والخمسون / ذو القعدة ١٤٠٩هـ الموافق يونيو ١٩٨٩م.

متحمسون للشيوعية ولنجيب أكثر من أمهم (روسيا) التي تركتهم نهبة للطامعين وصيداً رخيصاً سهلاً للقانصين، وركلتهم بأقدامها خاسئين خاسرين، وهم مع هذا كله يتربصون بالإسلام وأبنائه: [إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها]

الآية (١٢٠) آل عمران.

وهم يعيدون ويبدئون أن القتال في أفغانستان حرب أهلية، فكيف يجوز لمسلم أن يدفع درهماً لتأجيج نار الفتنة الأهلية وسفك دماء المسلمين الأفغان، وكيف يزج مسلم بنفسه وبماله في هذه المتاهة (القاتل والمقتول فيها بالنار)؟!!! وكيف يعد المجاهدون أنفسهم مسلمين وهم يشنون حرباً شعواء ويشعلونها ناراً ضراماً على نجيب الذي يصلي ويصوم، فالإنسان قد يكون ضالاً ويتوب ويهتدي، ألم يسمعوا الحديث الشريف لأسـامـة بن زيد: (أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟! ماذا تصنع بلا إله إلا الله؟ هل شققت عن قلبه؟) !!.[1].

وهكذا تواجهك الأسئلة الكثيرة التي يلبّس بها اليساريون (أصحاب الشمال) على الأمة الإسلامية التي تفاعلت مع الجهاد الأفغاني المبارك وتعده من أخطر القضايا الإسلامية وأهمها شأناً.

يسألونني في الإمارات (أبو ظبي) أويجوز قتال نجيب وهو يصلي؟ فقلت صدق الله العظيم: [وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور] الآية (١١٩) آل عمران.

ولا يغيبنّ عن بال المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدر دماء بضعة عشر شخصاً يوم فتح مكة قائلاً (اقتلوهم ولو وجدتموهم معلقين بأستار الكعبة)[2] وقد قُتل عبد الله بن خطل وهو معلق بأستار الكعبة.

أما الحرب الأهلية:

فإن كانت المعارك بين جند الله وبين الشيوعيين في أفغانستان حرباً أهلية فهذا يعني أن قتال الرسول صلى الله عليه وسلم لقومه حربٌ أهلية، فقد قاتل ﷺ يوم بدر أهله وعشيرته، وقد عاتبه ربه بعد قبول الفدية من أسرى بدر السبعين وعدم قتلهم قائلاً سبحانه: [ما كان لنبيٍّ أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم] الآيتان (٦٧-٦٨) الأنفال، والإثخان هو كثرة القتل.

فقد كان العتاب لعدم قتل الأسرى لأنه لابد من الإثخان في بداية أمر دولة الإسلام ونشأتها في أية بقعة وعبر أي زمان. وقد نزل القرآن مؤيداً لرأي عمر رضي الله عنه في الأسرى إذ قال (يا رسول الله أرى أن تمكني من فلان -قريب لعمر- فأضرب عنقه وتمكّن علياً من عقيل بن أبي طالب فيضرب عنقه، وتمكّن حمزة من فلان -أخيه- فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم).

وبعد نزول الآية: [لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم] الآية (٦٨) الأنفال.

قال ﷺ (لو نزلت نار من السماء لأحرقتنا إلا عمر)، وفي رواية: (لو نزل عذاب من السماء لم ينج منه إلا سعد بن معاذ لقوله: يا نبي الله: كان الإثخان في القتل أحبّ إليّ من استبقاء الرجال)[3].

والإعلام اليساري رغم إصابة الشيوعية بقاصمة الظهر، ورغم أن حوالي عشرين تصريحاً لكبار الشيوعيين في العالم تؤذن بتراجعهم عن الشيوعية واعترافهم (أن الطريق لإنقاذ الاتحاد السوفياتي والشيوعية من الإفلاس هو العودة إلى الرأسمالية)، ومع هذا فلا زالوا يتبجحون صفيق وجعجعة فارغة تسمعها ولكن لا ترى طحناً، أقول: إنهم يحاولون أن يصدوا عن سبيل الله، وأن يطفئوا نور الله بأفواههم، وأن يغطوا الشمس بغربال.

وعبثاً يحاولون أن يصدوا القلوب عن قضيتها، وأن ينفروا الصادقين عن آمال عراض امتزجت بأرواحها، وأمان كبار تعيشها بأحاسيسها، إنهم يعبثون ولن يوقفوا القدر الذي تحقق في هزيمة الشيوعية العالمية، وما هو إلا نعيق بوم ونعيب غربان.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج١/ ص ٢٧١.

(٢) السيرة النبوية/ ج١/ ص ٥١. (٧)

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٨٨٤).

١٩٢٤.

والكل مشدود بكليته إلى جلال آباد أعصابه متوفزة، ونفسه متحفزة، وقلوبهم تود لو تطير من بين جوانحهم لترقب سير المعركة ونتائجها في جلال آباد، ويتساءلون: ما بال الفتح قد تأخر؟

الاعتذار عن المجاهدين :

ونحن إذ نؤرخ لهذه المرحلة نعتذر عن المجاهدين بأمور:

(١) إن المجاهدين حديثو عهد بفتح المدن، إذ أن مسيرة الجهاد المباركة التي مضى عليها بضعة عشر عاماً كانت كلها دفاعية، أو حرب عصابات يربض فيها أُسْد الله في خنادقهم، حتى إذا مرت قافلة انقضوا عليها كالصواعق المرسلة تدمر كل شيء بأمر ربها، تبيد خضراءهم، وتلحي (تزيل اللحاء) شجرتهم. وأما الآن فقد انتقل الجهاد من الدفاع إلى الهجوم، ومن فتح مراكز صغيرة إلى فتح مدن كبيرة.

(٢) إن جلال آباد منبت الشيوعيين، فمردة الكفرة معظمهم من هذه المنطقة، وهم ينافحون بدافع الحفاظ على الحياة، مع كراهية عميقة لهذا الدين، قد استقرت في قلوبهم من خلال التربية الحاقدة على كل القيم الربانية.

(٣) إن الذين لهم أدنى معرفة بالحروب الشاملة يدركون أنه ليس بمستغرب طول حصار المدن. فقد حاصر نابليون عكا ١٧٩٩ في أيام أحمد الجزار ثم ارتد ناكصاً على عقبيه.

وهلك كثير من جيش هتلر في الحرب العالمية الثانية على أبواب (قوس كورسك)، وقد حاول أن يقتحمه بثمان وثلاثين فرقة إلا أن صمود مدينة ستالين جراد ومدن هذا القوس قد أدى إلى هزيمة هتلر، وقد كان (جنرال ثلج) أهم عامل بعد الصمود.

والقوات الإسرائيلية في هجومها على منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت الغربية بلبنان في ١٩٨٢/٦/٤رغم تفوقها في العدد والعدة و أن الهجوم كان برا وبحرا وجوا ، إلا أنها عجزت عن اقتحام المنطقة إلا بعد حوالي (٨٠) يوما من القتال المرير والخسائر الباهظة، في حين كانت قد حددت لذلك مدةً لا تتجاوز الأسبوع الواحد.

أقول: إن حصار المدن وفتحها ليس بالأمر الهين ولا يتم بومض البصر الذي أدى إلى الانتصار الروسي.

ونحن نستطيع أن نقول في حصار جلال آباد: لقد نجح المجاهدون في التكتيك (العمليات الجزئية)، ولم ينجحوا في الاستراتيجية (الحرب الشاملة). حتى الآن.

(٤) لقد فتح المجاهدون خلال الشهرين الماضيين أكثر من مائة مركز حول جلال آباد، وغنموا غنائم كثيرة كانت تصل أكوامها طولاً إلى عدة كيلو مترات، وفتحوا ثمر خيل وكامة، وأغلقوا الطريق بين جلال آباد وكابل، وعطلوا المطار، ونأمل من الله أن يعجل في فتحها إنه سميع قريب.

(٥) أما نجيب وحكومته المنهارة فهم يعيشون حالة من اليأس القاتلة والتردي المزرية البئيسة، فلا يدع ماراً بالشرق إلا ويستنجد به ليتوسط لدى المجاهدين، وقد جاءني أحد القادة مرسلاً إليّ من رسول نجيب لأقابل رسول نجيب فرفضت ورددته إلى أمراء الجهاد، وقد تذرع نجيب بكل الوسائل متوسلاً إلى المجاهدين أن يوقفوا ضرباتهم المتصببة فوق رأسه، ومن المضحكات المبكيات أن نجيب قد أعلن وقف إطلاق النار بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك وكأنه يملك أن يوقف النار أو يحركها.

موقف أصحاب الشِّمال (اليسار) العربي:

والصحف التي يمسك بزمامها أصحاب الشِّمال الذين يتدسسون من خلال أوكارهم الهدامة لتدمر حصوننا من داخلها في العالم الإسلامي، أقول: إن هذه الصحف والدوريات تلعب دورها في تحطيم نفسيات الجيل العائد إلى الله، ولا تني صباح مساء أن تدس سمومها لغرس اليأس في قلوب المسلمين من خلال التلاعب بالألفاظ ومعسول الكلام.

في زخرف القول ترويج لباطله — والحق قد يعتريه بعض تأويل

تقول هذا جنى النحل تمدحه — وإن تعب قلت ذا قيء الزنابير

والشيوعية وأصحاب الشِّمال في العالم الإسلامي يكادون يتفجرون غضباً وغيظاً على هزيمتهم الكبرى في أفغانستان، وهم

إن وجوم العالم الإسلامي إزاء دولة المجاهدين التي وئدت في أجفان الردى وفي أغماد السيوف، وصمت القبور الذي يلف دول العالم العربي حيال دولة الشرف وحكومة المجد ليضع علامة استفهام كبيرة حول هذا الموقف. وكأنه يصرخ بشدة في آذانهم: أويستطيع نظام أن يخرج من إرادة البيت الأبيض أو الأحمر؟ أو يتمرد على إشارات برمجهام؟

وكأن دولة المجاهدين تقول : من يعلق الجرس ؟

لن تطفئوا نور الله*

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد استحر القتل بالمجاهدين المحاصرين لجلال آباد، وروسيا تدفع بكل ما بين يديها من وسائل الفتك والإبادة، وانتقلت من استعمال الـ Mig27، إلى طائرات جديدة يعتقد أنها Back Fire، الروسية الجديدة والتي يظن أنها تقلع من روسيا مباشرة من ترمذ (قرب نهر جيحون في الولايات الإسلامية المحتلة من الاستعمار السوفياتي) لقصف جلال آباد، وكثر الشهداء حتى صرنا لا نتابع الكتابة عنهم، وسقط من الشهداء العرب حتى الآن قرابة الثلاثين في الأسبوعين المنصرمين، فهذا أكثر شهر يسقط فيه على طريق هذا الدين من أبناء عدنان أو من نسل قحطان في أفغانستان .

والشيوعيون قد انتفضوا بكليّتهم يدافعون عن كيانهم الهش الذي بدأ ينهار ركناً بعد ركن، وصيحات النظام لا تتوقف مستغيثة الأمم المتحدة والضمير العالمي، وهم يتعلقون بقشة كغريق يتقاذفه الموج العاتي والأعاصير الهوجاء، وهو يرى مصرعه أمام ناظريه، وحتفه قرب قرنيه ناشباً أظفاره يريد أن يستل الروح الخبيثة من الجسد الخبيث.

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع

وفي هذه المعركة أبدى المجاهدون بسالة لا نظير لها وهم يقتحمون الموقع تلو الموقع، والألغام تحت الأرض تتربص بهم ريب المنون، والسماء لا تكاد تكف عن وابلها، والموت يجمّع نفسه لينقض لا يوفر مؤمناً ولا كافراً، والشباب العرب قد ضربوا مثلاً رائعاً في الإقدام على المنايا خاصة في اقتحام المطار، وكأن المنية بينهم منشار يأكل في الذهاب والإياب، وكأن لسان كل واحد منهم يردد مع عنترة:

ومدجج كره الكماة نزاله ... لا ممعن هرباً ولا مستسلم [1]
جادت له كفي بعاجل طعنة ... بمثقف صدق الكعوب مقوم [2]
فشككت بالرمح الأصم ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرم [3]
فتركته جزر السباع ينشنه ... يقضمن حسن بنانه والمعصم [4]

والجميع مصمم على الموت، أما الكفار فإنهم يدفعون عن أنفسهم بكل ما استطاعوا متشبثين بالحياة: **{ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون}.**

الآية (٩٦) البقرة .

التساؤلات :

والناس الذين يرقبون المعركة وأبصارهم ترنو إلى أرض المعركة، وقلوبهم متلهفة يريدون أن تسقط (جلال أباد) بطرفة عين أو لمحة بصر لشدة تعلقهم بهذا الجهاد، يريدون أن تقوم دولة الإسلام في أفغانستان بين عشية وضحاها، وتمسح الشيوعية من أرض أفغانستان لتقوم مقامها المنارة المفقودة (الخلافة) التي طوّحت بصرحها معاول الشرق والغرب على يد الذئب الأغبر في ٣ مارس سنة

* - نشر في مجلة الجهاد – العددان (الرابع والخمسون والخامس والخمسون) ، رمضان/شوال ١٤٠٩هـ الموافق ابريل/مايو ١٩٨٩م.

(١) مدجج : كامل السلاح ، الكماة: الأبطال

(٢) مثقف: رمح ، صدق الكعوب : صلب.

(٣) الأصم: الصلب. ليس الكريم على القنا بمحرم: أي أن الرماح مولعة بالكرام لحرصهم على الإقدام .

(٤) جزر: جمع جزرة وهي الشاة التي أعدت للذبح ، ينشنه: يتناولنه ، المعصم: موضع السوار .

العروض على المجاهدين :

وقد تعرضت في الافتتاحية السابقة للعروض التي طرحت دولياً ومن قبل روسيا والتي تنازلت فيها درجة تلو درجة.

وكان أول هذه الطروح : العرض الذي جاء يحمله معروف الدواليبي من روسيا بعقد مؤتمر دولي تشترك فيه (روسيا وأمريكا والمجاهدون والمؤتمر الإسلامي والأمم المتحدة)، ويعرض فيه حكومة مشتركة يرأسها نجيب ويشترك فيها قادة الجهاد كوزراء مع الحكومة الشيوعية. وكان الرفض، ثم الحكومة الائتلافية التي لا يرأسها نجيب، وجاء الرد بالرفض كذلك، ثم الحكومة المحايدة وقد طرحها أرماكوست وكيل الخارجية الأمريكية فقال يونس خالص (والله لو التقت السماء على الأرض ما رضينا بحكومة محايدة).

وكانت آخر محاولة : الحكومة ذات القاعدة العريضة Broad Based يكون مجلس شورى من المجاهدين ٥٠٪ ومن المهاجرين في باكستان وإيران ٣٠٪ ومن المهاجرين في العالم ١٠٪ ومن المسلمين في كابل ١٠٪.

في مدينة الحجاج:

والتقى مجلس الشورى في مدينة الحجاج، وجاء وزراء ظاهر شاه السابقون من بين أعضائه مع بعض الأفغان المستغربين وقد ارتدوا الأزياء الغربية الضيقة ورائحة الدخان المنبعثة من أفواههم تزكم أنوف الحاضرين، مع ما ألفوه من تنعم وترهل، وما اعتادوه من حلق اللحى والشوارب كأبناء الغرب الضائعين. واجتمعوا مع المجاهدين الذين أنضجتهم المحنة، وصاغتهم الأحداث الضخمة، وصقلتهم نيران المعارك التي اكتووا بضرامها عبر السنين، جاءوا بشعورهم الشعثاء الطويلة تبدو عليهم الخشونة والبذاذة (الزهد والتقشف)، وكلما نظر إليهم المستغربون تفكروا في أنفسهم : أو يمكن أن نعيش مع هؤلاء تحت سقف واحد؟ وكانت نظرات المجاهدين الشزرة تكاد تزلق هؤلاء المتنعمين، فيسلم عليهم القائد المجاهد وكأنه أسد خرج من بيشة (غابة الأسود)، وقد كسا وجهه طبقة سوداء من آثار المعارك وسبرات الثلوج القارصة، فيبادره المجاهد سائلاً من أين الأخ؟ فيجيب من قندهار أو من هرات أو بروان أو بدخشان؟ فيفاجئه بسؤال مفعم مفحم: وأين كنت خلال هذه السنوات العشر؟ فيطرق بنظره حياء وتعلو وجهه حمرة الخجل و لا يحير جواباً.

ووقف عبد الستار سيرت -أحد وزراء ظاهر شاه- ليشرح للحاضرين عن خطة سياسية معقولة للحل وكأنه يريد أن يجرهم إلى قبول الأمر الواقع الذي لا محيد عنه وهو قبول ظاهر شاه.

وإذا بالمسؤول عن إدارة المؤتمر يصيح (مرده باد) ظاهر شاه (الموت لظاهر شاه)، وإذا بمجلس الشورى كله يدوي بالموت لظاهر شاه، وبهت عبد الستار وكأنما سكب عليه ذنوب (دلو) من ماء بارد. وغادر المستغربون والمنتفعون وتجار الدماء قاعة مدينة الحجاج غير مأسوف عليهم.

ووصل المجاهدون إلى حل : (محمد نبي رئيس للدولة وأحمد شاه رئيس للوزراء)، وزلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت صدور الحاقدين على هذا الدين أثقالها ومكنونات قلوبها، فقال أحد كبار الناصحين : (إن أمريكا والصين وإيران... لا ترضى عن هذه الحكومة). قال سيّاف : نحن شكلنا هذه الحكومة لأفغانستان وليس لأمريكا.

وقال حكمت يار : لن يفرض أحد علينا حكومة، وسنحارب الحكومة التي ترتضيها أمريكا كما حاربنا روسيا. وألقى العالم بثقله وكلكله وفرط العقد ومزّق الكلمة.

وتقدم جلال الدين حقاني : مع سبعين من مجلس الشورى يطلبون من القادة السبعة الحلّ أو يتركوا إليهم تقديم حل، ووافق السبعة، وانتحى جلال الدين مع أربعة عشر من مجلس الشورى في بيت منزوٍ بعيد عن الأنظار، وخرج بالحل الذي أفرز (مجددي) رئيساً للدولة وسيافاً رئيساً للوزراء.

وعلقت أجهزة الإعلام : لقد كان أحمد شاه أصولياً فجاء سياف أشد أصولية منه.

التحدي الكبير:

وقامت الدولة وهي تنتظر اعتراف الأصدقاء وتضع دول العالم الإسلامي أمام امتحان عسير وإزاء تحدٍ كبير، وكأنها تسائلهم: أين أخوة الإسلام؟ بل أين الشعارات واللافتات؟ بل أنّى ذهبت الوعود والتصريحات؟

وبدلاً من أن يرجع المهاجرون إلى بلادهم زادت هجرتهم من الداخل نحو باكستان بسبب اضطرام المعارك واشتدادها.
ووجدت روسيا أن حكومة نجيب ضعيفة لا تستطيع أن تحافظ على أية منطقة تنسحب منها.

موقف ضياء الحق:

وعندما أصر جونيجو على تنفيذ المعاهدة فكّر ضياء ملياً ثم أقدم على إقالة حكومة رئيس وزرائه وقد كان آنذاك في الصين فاتصل به وقال له: عد إلى بيتك فقد قررت طردك من الحكومة. وحلّ مجلس الشورى، وأمسك ضياء بقبضته العسكرية البلد من جديد معلناً:

١- وقوفه بجانب المجاهدين والمهاجرين الأفغان حتى يعودوا إلى بلادهم معززين مكرمين.

٢- أنه سيطبق الشريعة الإسلامية وإن كلفه هذا نفسه وأهله وعرشه.

قال أسلم ختك (وزير الداخلية لضياء الحق) : ستقتلك أمريكا والغرب، فأجاب ضياء الحق (إن الذي يتخذ قرار الموت والحياة في السماء وليس في الأرض).

التراجع الروسي :

وعندما رأت روسيا أن الحكومة الشيوعية هشة أمام ضربات المجاهدين، وأنها تفقد الموقع تلو الموقع إثر الانسحاب وتوالت ضربات المجاهدين وتنزلت الانتصارات بفضل الله وحوله، خشيت روسيا أن تسقط كابل قبل أن يتم انسحابها، فرجعت وأرسلت قواتها مرة أخرى إلى قندهار وغيرها، وصارت توجه طائراتها للإغارة على الحدود الباكستانية وضرب القرى الباكستانية الحدودية، ورفعت باكستان عقيرتها بالشكوى على روسيا التي تعتدي على الآمنين. وقامت الدول الكبرى وأمريكا على رأسها تلوم روسيا وتندد بموقفها بسبب إخلالها بالتزامها وتعهداتها. فقالت روسيا : إن المجاهدين لم يلتزموا بالبنود.

فرد المجاهدون : نحن لا نعترف بالمعاهدة أصلاً وليوفِ الذين التزموا لروسيا بوقف إطلاق النار بما التزموا به.

انتصارات المجاهدين:

ولقد حقق المجاهدون من الانتصارات خلال سنة ١٩٨٨ بعد جنيف أضعاف ما أحرزوه عبر سنوات ماضية.

زيارات كوردوفيز:

وقد حاول كوردوفيز مرتين أن يقابل المجاهدين بعد توقيع معاهدة جنيف فرفض يونس خالص (كان آنذاك رئيساً للاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان) مقابلته في المرة الأولى، وفي المرة الثانية رفض كذلك، فلجأ كوردوفيز إلى ضياء، فاتصل ضياء بالشيخ يونس خالص قائلاً له: إما أن تأتي لمقابلة كوردوفيز وإما أن نأتيك إلى بيشاور. وكان لضياء الحق مكانة في نفوس المجاهدين، فأتى الشيخ يونس وقابل كوردوفيز وقال له : لقد أتيت احتراماً لكلمة ضياء الحق وليس من أجلك، وأنصحك باعتناق الإسلام، واضطر كوردوفيز أن يتصل بالمهاجرين دون إذن القادة، وصرح تصريحات غير مسؤولة بأن المهاجرين يرحبون بظاهر شاه.

وهنا كتب المجاهدون كوردوفيز وشكوه إلى الأمين العام للأمم المتحدة فأوقفت مهمته.

موقف يونس خالص :

والحق أن هذا القائد الذي نيّف على السبعين وقف مواقف لا يقفها إلا أفذاذ الرجال، وحمى بموقفه الصلب المشرف الجهاد الأفغاني من الاهتزاز في تلك الآونة العصيبة التي تداعت فيها الأمم من كل جانب لاقتسام مغانم هذا الجهاد.

وقد حاولت كثير من الدول استدراجه لحضور جنيف حتى تؤخذ صورته مع الوفد الأفغاني، ليستلمها الإعلام الدولي ويلوح بها للعالم أن المجاهدين قد رضوا عن حضور جنيف ومعاهدتها. وعندما رأى الضغوط تتوالى عليه من كل جانب قدم استقالته عن رئاسة الاتحاد.

وعندما بيّن ضياء الحق للحاكم أن روسيا مهزومة في أعماق أفغانستان وأنها منسحبة لا محالة إذ أنها لا تملك الاستمرار بعد أن أثخنت جراحاً، ومن خلال الإحصائيات الضخمة التي بين يدي ضياء الحق عن خسائر روسيا سواء في القوات الجوية أو البرية أو البشرية، فقد كانت الخسائر التي جمعتها أجهزة التنصت الباكستانية والأقمار الصناعية الأمريكية حتى بداية ١٩٨٨ تقول: إن الطائرات الساقطة والمدمرة قد وصلت إلى حوالي ألفين وثمانين طائرة عدا عن التي استهلكت لكثرة الاستعمال والتي لا تقل عن مثل هذا العدد، وعدد الدبابات قد وصل إلى سبعة عشر ألف دبابة، وأما الآليات والناقلات فقد وصلت إلى إحدى وعشرين ألفاً، وأما القتلى فحدّث عنهم ولا حرج.

ففغر الحاكم فمه مشدوهاً مبهوراً وهو يسمع هذه الحقائق، ولم يملك ازاءها رداً، ولم ينبس ببنت شفة، وقفل راجعاً إلى المؤتمر ليحدث بما سمع بعد أن اتصل بالمؤتمرين وأخبرهم بألا يتعجلوا في القرارات إذ أن لديه حقائق ومعلومات.

ضياء مع قادة الجهاد:

ورغم هذا كله فقد استمرت الضغوط على ضياء لقبول توقيع المعاهدة من الأصدقاء والأعداء، وتلفت حوله فلم يجد صديقاً ولا عدواً، وعندما جمع قادة الجهاد وعرض عليهم حاله: أنه قد عيل صبره واستنفذ كل السهام التي في كنانته في رد هذه المعاهدة، وأنه لا يستطيع إلا أن يوقعها، وطلب من إخوانه قادة الجهاد أن يعذروه في التوقيع.

فقال له سياف : ولكنك في قرارة نفسك غير مقتنع بما أنت مقدم عليه، والأولى لك أن تعتذر عن استضافتنا في باكستان خير من أن يسجل التاريخ أنك قمت بتوقيع معاهدة بيع أفغانستان وجهادها المشرف في سوق النخاسة الدولية. فأطرق ضياء برأسه ولم يحر جواباً.

يقول ابن ضياء الحق : لقد عاد والدي في تلك الليلة وأسهد الحزن جفنه وأقض لذع الضمير جانبه ولم يكتحل بالنوم، وقدمنا له الطعام فعافه، وبقي يومه مطرقاً حزيناً وقد كسي وجهه بغلالة من الوجوم والهوم. وسأله أهله عن سر هذا الشرود الذهني والقلق النفسي، فأفصح لزوجته وأولاده: هذه هي المرة الوحيدة التي أخذل فيها إخواني المجاهدين مضطراً.

توقيع المعاهدة

ووقع ضياء المعاهدة بعد أن أضاف استدراكين على المعاهدة وهما:

١- لا أضمن وقف إطلاق النار.

٢- لا أكفل الضغط على المهاجرين ليعودوا إلى أفغانستان.

موقف " جونيجو " و " نوراني " :

ولكن رئيس وزراء ضياء ووزير خارجيته كانا قد وعدا من الدوائر الدولية لكل منهما بميدالية السلام الدولية، فكان كل منهما مستميتاً في تنفيذ معاهدة جنيف حتى يأخذ قطعة ذهبية مكتوباً عليها جائزة نوبل -اليهودية- للسلام، فكان جونيجو متفانياً حتى يبيع أفغانستان وشعبها وجهادها مقابل هذه القطعة الذهبية. [**اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون، لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون**] (الآيتان (٩، ١٠) التوبة .[الإلّ: القرابة] .

، وكم جرت بين نوراني وبين قادة الجهاد من مشادات عنيفة ومساجلات حادة ومن مجادلات ساخنة، وأما جونيجو فقد هدد ضياء الحق بأنه سيقدم تقريراً للعالم - أمريكا وروسيا والأمم المتحدة -أن الرئيس غير ملتزم بتنفيذ المعاهدة، وغير جاد في احترام بنودها، وأخذ يرسل رجالاته إلى المهاجرين ليرغمهم على الرجوع إلى أفغانستان بالضرب والتهديد .

الانسحاب الروسي:

وبدأت روسيا تنسحب من المناطق الحدودية منتظرة رجوع المهاجرين مكانها، وكلما انسحبت من منطقة -بكتيا وننجهار وبكتيكا واللوجر وكونر- انقضت عليها ليوث الله واحتلتها.

من يعلق الجرس ؟*

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد :

فلقد قلب هذا الجهاد بفضل الله ومشيئته الموازين الدولية، وعطّل المعادلات السياسية العالمية، واستطاع المجاهدون -بنعمة من الله- أن يكذبوا كل التنبؤات السياسية والتوقعات العالمية، ولقد كانت النعمة الكبرى التي منَّ الله بها على المجاهدين في إحباط المؤامرات الدولية السياسية لا تقل عن الآلاء العظمى التي أنعم الله بها عليهم في الميادين العسكرية من انتصارات ساحقة وكرامات باهرة.

ولقد نقلت كثيراً من الكرامات الربانية التي تنزلت على المجاهدين ولا زالت إبان احتدام القتال عبر السنين العشر الخوالي، مما كان له الأثر البالغ في استئناس المجاهدين أثناء مسيرتهم واطمئنانهم على استقامة جادتهم. ولقد رأيت أن هذه الكرامات أعطت دفعات قوية لجحافل المجاهدين التي تدك قلاع الكفر وتزلزل الأرض تحت أقدام أحزابه، وكم أثارت هذه الكرامات والخوارق من ضجات لدى الخوالف ممن لا يعرفون سنن الله في الحياة ولم يطلعوا على أصول هذا الدين وتاريخ السلف الكرام، وكانت التساؤلات تنتهي لدى المتشكك إثر وصوله أرض المعركة لأنه ينتقل من السماع إلى الرؤية. ولكن الكرامات في ميادين السياسة قد لا تكون بارزة لدى الكثيرين، بخلاف الكرامات في ميادين القتال، لأن الكرامات في القتال تتعلق بطرفين متقابلين يواجه أحدهما الآخر جهاراً نهاراً في معركة بارزة واضحة لا خفاء فيها ولا مداورة.

أما الكرامة في الميدان السياسي فهي تخفى على الكثيرين لدقتها، ولأنها تتعلق بأطراف كثيرة غير بارزة، وتشل أصابع خفية تدير الأحداث من وراء الكواليس أو من خلف الستائر ومن خلال دمى تحرك بمسرحيات أُتقن إخراجها وصُنع أبطالها وبرعوا في أداء دورهم.

الكرامات السياسية التي تلت معاهدة جنيف :

كانت معاهدة جنيف تتلخص في خنق المجاهدين وقطع شرايين إمدادهم، بإيقاف المساعدات وإغلاق الحدود الأفغانية الباكستانية، ثم انسحاب الروس من المناطق الشرقية والجنوبية، وإعادة المهاجرين إلى المناطق التي ينسحب منها الروس، وإبقاء الحكومة الشيوعية في كابل مع الاعتراف الدولي بشرعيتها، ووقف إطلاق النار، والمصالحة الوطنية.

وأكثر القرارات التي تستحق الضحك والاستهزاء بل السخرية والرثاء بعقلية الغربيين والسياسيين: العفو العام عن قادة الجهاد باعتبارهم مجرمي حرب، ولكن هذا القرار الأخير ألغي من المعاهدة فيما بعد.

وسميت معاهدة جنيف في الإعلام العالمي (بالانفراج الدولي) لأنها عالجت كثيراً من القضايا، وربطت إنهاء حرب الخليج بين إيران والعراق، وحلّ قضية فلسطين، وإيقاف الجهاد في أفغانستان بخيط واحد، ولذا تهالكت كثير من الدول الصغرى على قبولها، وتداعت من كل حدب وصوب للضغط على ضياء الحق لقبول المؤامرة، وذلك لإخماد نار الحرب المضطرمة التي يئست الأطراف المزجوجة فيها أن تجد لنفسها مخرجاً من أتونها بعد أن أتت هذه الحروب على الأخضر واليابس.

وعقد المؤتمر الإسلامي في عمّان، وأوفدت دول العالم الإسلامي أحد الحكام ليتولى عملية اقناع ضياء الحق بقبول المعاهدة التي تمثل المخرج الوحيد والفرصة الذهبية لخروج الدول العربية من ورطة الاصطلاء بنار حرب الخليج التي هزّت اقتصاد العالم كله، وهذه نعمة تتفضل بها الدول الكبرى لإيقاف اليهود عند حدود ثابتة من خلال ضمانات دولية تحول دون ابتلاع اسرائيل لمناطق جديدة، وحتى لا تطيح بكيانات ولا تهدم أنظمة ولا تثل عروشاً.

وجاء الحاكم المبعوث وقضى ثلاث ساعات وهو يحاول إقناع الجنرال الراحل الذي رسم بموقفه معالم بارزة للرجولة الإسلامية يحفظها التاريخ الصادق بين صفحاته للأجيال، فإن تنكر التاريخ ونسي فإن رب العزة لا يضل ولا ينسى.

ولم يكن لدى الحاكم صورة واضحة عن الجهاد في أفغانستان، فقد كان يظنها طلقات تتبادل عبر الحدود الباكستانية الأفغانية كتلك التي تنطلق عبر الحدود اللبنانية الفلسطينية.

*- نشر في مجلة الجهاد - العدد الثالث والخمسون - شعبان ١٤٠٩هـ الموافق فبراير/مارس ١٩٨٩م.

ليساً لمستريب، وأدركت أن الرعب العالمي والفزع الدولي من الإسلام وأبنائه لا يَعدِله شيء في قلوب الكفار وأعوانهم وأذنابهم.

وخرجت بيقين جازم لا يتزعزع بخطورة تولي قياد الأمم من أناس لم يتمرسوا بهذا الدين من خلال معاناة طويلة وبذل وجهد ناصب وتضحيات باهظة، ورأيت كيف تُحمى الأمم وتنقذ الشعوب بفرد فذ من أبنائها، وكيف يمكن للأمة كلها أن تباع بجلسة على مائدة خضراء أو بكأس راح في ليلة حمراء أو بابتسامة من ثغر فاتنة شقراء.

وأيقنت أنه لا نجاة للأمم إلا بأن تسلم قيادها وتسلس مقادها لشباب مسلم قد شبوا على نار الأسى، واكتهلوا في أتون المعارك، ونضجوا على حرارة المعاناة وعلى هدي الكتاب ونور السنة من خلال المواجهة اليومية بهذا الدين مع أعدائه، فمن خلال التكاليف التي يقدمها المسلم لهذا الدين يصلب عوده وتتضح نفسيته.

وتأكدت أن الأفق الذي يصل إليه المرء في هذا الدين يوازي التضحيات التي يقدمها، وأن مستوى المسلم ونضجه يسير جنباً إلى جنب مع التكاليف التي يبذلها وأن هذا القرآن لا يفتح أسراره لفقيه قاعد، وهذا الدين لا يسبر أغواره ولا يدرك معانيه حفظة المتون والحواشي ممن لا يتحركون به ولا يعيشون لنصرته.

وخرجت بيقين جازم وعلم حاسم أن الجهاد بالنفس ضرورة حياتية للمسلم حتى يتحرر من الخوف، ويمزق حجاب الوهم والرعب الذي يغتصب به الطواغيت حقوق الأمم، ويبتزون أموالها، وينتهكون حرماتها، ويدوسون مقدساتها ومثلها.

وأدركت سرّ رعب الطواغيت من الحركات الإسلامية الخالصة، وهلعهم من أبنائها الصادقين، وذلك لأنهم يتمردون على الدنيا التي يملكها الطغاة، ويدوسون المتاع الرخيص الذي بين أيدي الجبابرة، والذي من خلاله يجمعون القطيع ويسوقونه إلى مذابح شهواتهم قرابين رخيصة، إنها عناصر فريدة لا تباع في سوق النخاسة، ولا تذوب في حوامض الجاهلية، فتحافظ على أصالتها ونقائها ومثلها ومبادئها في أي جو عاشت ومع أي قوى التقت.

لقد وجدت أن العلماء المخلصين وأبناء الدعوة الصادقين هم صمام الأمان لدماء الناس وأعراضهم ومبادئهم وأموالهم.

وأيقنت أكثر من أي زمن مضى سر اتفاق الفقهاء البارزين على عدم انعقاد البيعة للفاسق، واشتراط العلم والتقوى لمن يلي أمور المسلمين أو يتصرف في شؤونهم.

ولقد رأيت الأيدي التي تريد أن تعبث بقداسة هذا الجهاد وتود أن تختلس ثماره أو تغتصب بركاته جهاراً نهاراً، رأيت الدنيا بأسرها تقف بخيلها ورجلها وميلها وهيلمانها وثقلها تريد أن تحول بين الصادقين وبين الوصول إلى سدة الحكم.

فوجدوا حفنة من العلماء الصادقين، ومن أبناء الدعوة المخلصين يقفون كالشم الرواسي ينافحون عن عزة هذا الجهاد وشرف هذا الشعب الأبي الكريم، ولا يتزحزحون قيد أنملة عن هدفهم الكبير وهو إقامة دين الله في الأرض.

لقد وقفت هذه الحفنة الصادقة التي يمثل رأس حربتها التي أغمدت في فؤاد الكفر مجموعة لا تصل عدد أصابع اليدين وعلى رأسهم سيَّاف وحكمت يار ويونس خالص وحقاني ومحمد ياسر وأرسلان وغيرهم، أقول: وقفت هذه الحفنة أمام الدنيا بأسرها وأرغمتها أن تخضع لرأيها بعد أن امتدت أيادي الأشرار إلى أعماق خزينة الأسرار.

لقد آن لنا أن نسطر بماء الذهب كلمة حكمتيار عندما قال: سنحارب الحكومة التي تفرضها أمريكا كما حاربت روسيا.

وللحق والتاريخ أن نسجّل موقف محمد ياسر وهو يطرد أكابر القوم الذين حاولوا أن يشتركوا في جلسة تقرير المصير، وكم راهن الكفار على تمزيق شمل المجاهدين، وكم رفعوا عقيرتهم باختلاف كلمة الأبطال، ولكن الله خيَّب فأل الأعداء والتقى المجاهدون على كلمة سواء، وأخرس الله أفواه الحاقدين وأحجر كل نابح، وقامت دولة الجهاد فوق رءوس البيض والسمر. وآن لنا أن ننشد لهذه الدولة:

حسم الإلف ما اشتهته الأعادي	وأذاعته ألسن الحســـــــاد
فيه أيديكمُ على الظفر الحـــق	وأيدي قوم على الأكبـــــاد
هذه دولة المكارم والرأفــــــة	والمجد والندى والأيـــــادي

بمعاهداتها نجمع بإجماع العالم أن نظام نجيب باق، وأن المهاجرين سيرجعون، مغفلة تماماً المجاهدين، ولكن الانتصارات التي تنزلت من السماء في هذا العام أضعاف ما حققه المجاهدون في سنوات عديدة.

وهنا أرسلت روسيا رسولها (أحد كبار رجالات العالم العربي المحسوبين على الدعوة) يحمل في حقيبته طرحاً على المجاهدين كشرط لانسحاب روسيا أن يرجع قادة الجهاد ليكونوا وزراء في حكومة نجيب، فرفض الطلب من قبل القادة وكأنهم يقولون:

ولن أصالحكم ما دام لي فـرس واشتد قبضاً على الصمصام إبهامي

ثم تنازل الروس إلى طلب حكومة مشتركة يشترك فيها المجاهدون والشيوعيين فكان الرفض بالحسام لا بالكلام.

ثم نزل الدب درجة أخرى فطلب حكومة محايدة، فأجاب المجاهدون لن يحكم أفغانستان الأمريكان السمر (يعنون الأفغان الذين تربوا في الصالات الأمريكية ورتبت أوراقهم وراء الكواليس من خلال المحافل الماسونية أو الدولية).

ولقد وقف الشيخ يونس خالص موقفاً مشرفاً واجه به "أرماكوست" -وكيل الخارجية الأمريكية- قائلاً: والله لو التقت السماء على الأرض ما قبلنا بحكومة محايدة، وأما سيَّاف فقد كانت ضربته أشد في المواجهة لأرماكوست حين قال: (نحن نعلم أنكم -الأمريكان- أخبث أمة على الأرض، وأنتم مصاصو دماء، لقد قمتم بإبادة شعب بكامله واحتلال أرضه والنزول مكانه وهم الهنود الحمر، ونحن نعلم أنكم ترهبون انتصار الإسلام وقيام دولته ولذا وقفتم إزاءنا هذا الموقف) وإذا بأرماكوست يحمر وجهه ويريد فبدأ يهذي قائلاً: نحن نحب قيام دولة إسلامية.

ولم ييأس الروس مع الغرب في المحاولات. فطلب "فورنتسوف" وكيل الخارجية الروسية وسفيرها في كابل في مؤتمر الطائف دخول مجموعة من وزراء نجيب المعتدلين (ثلاثة أو أربعة) في حكومة المجاهدين حفظاً لماء وجه روسيا ريثما يتم الانسحاب، ثم أردف "فورنتسوف" قائلاً: وبإمكان المجاهدين طردهم بعد خروجنا، فرفض المجاهدون، وأعلنوا في مؤتمر صحفي: إننا لن نجلس مع الروس بعد اليوم على مائدة المفاوضات، وكانت صفعة سياسية شديدة في وجه روسيا الذي مرغ بالأوحال وديس بنعال الأبطال في ميدان النزال.

أي عزة هذه التي امتطى صهوة جوادها هؤلاء الصيد[1] المرازبة الجحاجح [2]؟ أي قمة تربع عليها هؤلاء الغطارفة المهندة الصفائح[3]؟ أي مجد قد ناله هؤلاء الشم البطارقة المسامح؟إنها عزة المجاهد في سبيل الله.

والعز في صهوات الخيل مركبه والمجد ينتجه الإسراء والسهـر

وكان الطلب الأخير من وزير الخارجية الروسية "شيفارنادزه" أن يشترك بعض الشيوعيين في مجلس شورى المجاهدين الذي انعقد في إسلام آباد.

مؤتمر الشورى:

في مدينة الحجاج (إسلام آباد) المنعقد بين العاشر إلى الرابع والعشرين من فبراير ١٩٨٩: ولقد اجتمع مجلس الشورى الذي يبلغ عداده أربعمائة وأربعين نفراً في إسلام آباد لإقرار حكومة المجاهدين بواقع ستين شخصاً لكل منظمة، وعشرين آخرين من المنظمات الصغيرة.

ولقد قدر لي أن أعيش هذين الأسبوعين على كثب من مجلس الشورى أتابع ساعاته كأي شخص يتحرق على مصالح المسلمين ويحيا من أجل قضاياهم.

المؤامرة العالمية:

ولقد كنت قد أيقنت من خلال الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة العداوة الأبدية بين هذا الدين وأعدائه، وقد خرجت من خلال التاريخ الإسلامي بمصداقية واقعية تطبيقية للقوانين الربانية والنواميس الإلهية في العداء الذي يناصبه أهل الكتاب والمشركون لهذا الدين وأهله، إذ أنه لا لقاء في منتصف الطريق، ولا هدنة ما دام في جسد الكفر عرق ينبض أو نفس يجري.

ولكن في هذه المرة أدركت هول المؤامرة عياناً، ورأيت شخوصها وأبطالها يتحركون ذهاباً وإياباً مما لا يدع مجالاً لشاك ولا

(١) الصيد والشم : الأعزة. (٢) المرازبة والجحاجح والغطارفة والبطارقة: السادة. (٣) الصفائح : السيوف العريضة.

وما رأيت المجاهدين على الموائد الدولية إلا كالأيتام على مآدب اللئام، كل هذا قبل عام، وانقلبت بعد جنيف كل الموازين، وتصببت الانتصارات بعد أن أحكمت القوى الدولية الخناق، وانبرى "جونيجو" (رئيس وزراء باكستان السابق) يتحمل كبر تنفيذ المؤامرة الدولية بعد أن وقع على شرعية نظام كابل، وانطلق الملأ من اليسار الباكستاني يقيم التفجيرات في الأماكن المأهولة بالسكان لتزهق أرواح الكثيرين من المدنيين حتى يعطوا الحكومة مبرراً قوياً وورقة ضاغطة للتعجيل بطرد المجاهدين والمهاجرين وإغلاق الحدود دون عبورهم، حتى استطاعوا أخيراً أن يعبثوا بمخزن كبير للذخيرة في إسلام أباد ويفجروا الصواريخ التي بقيت تنطلق على مدينتي إسلام أباد وراولبندي تروع السكّان وتقتل المارة وتدمر البنيان.

محاولات لانقاذ الموقف العسكري الروسي :

وقد حاول قادة "الكرملين" أن ينقذوا الموقف العسكري بدفع الهند للهجوم على باكستان عبر أعوام الجهاد المبارك، فكانت الكرامات الربانية تنقذ الموقف بعد اشتداده وتأزمه.

– وقد كان أولى هذه الكرامات يوم أن قامت "أنديرا غاندي" تريد إثارة الحرب الشعواء على الباكستان، وبدأت تتجول على المقاطعات الهندية تثير الهمم وتشعل الحماس في نفوس الهنود، وفي اليوم السابع من هذه الحملة قتلت "أنديرا غاندي" على يد أحد حراسها السيخ، وانقلبت المعركة داخلية بين السيخ والهندوس تأكل الكيان الهندي وتمزق وحدته.

– وجاء "راجيف غاندي" وأراد مواصلة الطريق، وقدمت له روسيا الترسانة الحديثة من الأسلحة من الطائرات والدبابات التي وصلت الآلاف، وبدأت القوات الهندية تحتشد على الحدود الباكستانية منتظرة إشارة البدء، فيسوق الله صحفياً غربياً يقابل العالم الذي يشرف على المفاعل النووي الباكستاني فيسأله عن المفاعل، فأجابه: لقد صنعنا مئات القنابل الذرية.

وفي نفس الوقت : أصدر المجاهدون الأفغان بياناً يهددون الهند ويحذرونها بأنهم لن يقفوا مكتوفي الأيدي إذا حاولت الهند أن تعبث بالنار، وكأنهم ينشدون:

مفرشي صهوة الحصان ولكن	*قميصي مسرودة من حديـــد*
عش عزيزاً أو مت وأنت كريم	*بين طعن القنا وخفق البنـــود*
فـــرؤوس الرماح أذهب للغيظ	*وأشفـــى لغل صدر الحقـــود*

وفجأة وإذا بالزئير ينقلب إلى نهيق حمير، وإذا بقعقعة السلاح تنقلب إلى عواء ونباح.

– وانتقلت المحاولات إلى إيران، وحاولوا أن يعقدوا معهم معاهدة صداقة وحسن جوار ليشددوا الخناق على المجاهدين، وكادت المحاولة أن تنجح لولا الله ثم انزلاق روسيا ببيع صواريخ بعيدة المدى إلى العراق ضربت بها طهران وقم، فكانت روسيا **﴿كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا﴾** الآية(٩٢)النحل.

– وحاول العالم أن ينقذ مؤامرة جنيف من خلال باكستان فأبى عليهم "ضياء الحق"، فسلطوا رئيس وزرائه الذي هدد بتقديم تقرير إلى أمريكا وروسيا يفصح لهم فيه عن موقف ضياء الحق المتشدد تجاه المؤامرة، وفكرّ ضياء –كما ذكر لي أحد مستشاريه– قائلاً (أنا لا أستطيع أن أعيش بقية عمري ذليلاً)، فركل حكومة جونيجو بقدمه، وقال مستشاره لي بأن ضياء قبل قتله بأشهر قال: (إن أمريكا قد وقعت أوراق قتلي)، ولعل هذا هو السبب الذي من أجله كان ضياء يصطحب السفير الأمريكي معه في ترحاله ليكون رادعاً لأمريكا عن تنفيذ مؤامرتها.

وقُتل ضياء ومضى إلى ربه رافع الرأس بعد تلك الوقفة المشرفة التي وقفها كالطود الشامخ بجانب هذا الجهاد المبارك، فنرجو الله أن يغفر له ذنوبه بهذا الموقف المجيد.

ولكن القتل كان متأخراً بعد أن تجاوز الجهاد عنق الزجاجة وتعدى مرحلة الخطر وأفلت من قبضة القوى الدولية كلها.

العد التنازلي :

كان أول التنازلات إيقاف إطلاق النار من جانب الروس في الخامس عشر من يناير سنة ١٩٨٧، فقوبل بتصاعد هجمات المجاهدين على الكفار. ثم كان طلب المصالحة الوطنية التي قوبلت بسخرية واستخفاف من قبل ليوث الغاب الخفاف. ثم كانت جنيف

أترى هذه الدول ستقف مكتوفة الايدي، وفيها الآلاف من ضياء الحق، ويجمع شعبها على أن الإسلام هو دين الحياة عقيدة وعبادة ونظام حياة.

وستثير هذه القوى الغربية والشرقية -على السواء- الدول المكتنفة للدولة الإسلامية الوليدة، وقد بدأت ايران تتحرك تطالب بنسبة الربع إلى الثلث في مجلس الوزراء للشيعة، وقد نسيت نفسها أنها حرمت أي سنّي أن تطأ أقدامه مجلس الوزراء الإيراني.

ولكن إيران تعرف من هم الأفغان؟ وقد بقيت المنطقة الشرقية منها تحكم ولفترات طويلة من قبل الأفغان.

وأما الهند فهي ترتجف لمجرد رؤية عمائم الأفغان، وقد صرح غاندي (إن قيام دولة اسلامية متطرفة خطر على أمن المنطقة كلها) والهند أكثر من غيرها ترهب الأفغان الذين كانوا إذا انتفضوا لا يقف لغضبهم شيء حتى يدخلوا دلهي. وحسبك من قادتهم الذين أذلوا الهندوس محمود الغزنوي -الذي حطم صنم سامومناتا- وأحمد شاه بابا.

وأما باكستان فلا أظنها في وقت الحصاد تضيع ثمار المواقف المشرفة التي امتدت قرابة عقد من الزمن بجانب المجاهدين.

وختاما نقول:

إن اطمئناننا إلى رحمة الله بعباده، وحبه لنصرة شريعته، وقوانينه التي لا تتخلف تجعل سرائرنا مرتاحة وصدورنا منشرحة لقدر الله الجاري وناموسه الماضي في خلقه فهو يقول لنا: **{وما كيد الكافرين إلا في ضلال}** الآية (٢٥) غافر

{وما كيد فرعون إلا في تباب} الآية(٣٧) غافر

{ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين}.الآية(١٨) الانفال

{وما كان الله ليعجزه من شئ في السموات ولا في الأرض انه كان عليماً قديراً}، الآية(٤٤)فاطر.

{والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون} الآية(٢١)يوسف.

جاء الحق وزهق الباطل*

حمداً لله يا رب، نصرت عبدك، وأعززت جندك، وهزمت الأحزاب وحدك، سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، ما أدينا حق شكرك، وما عبدناك حق عبادتك، فألهمنا اللهم في النعماء شكراً ، وأنزل السكينة على قلوبنا في البأساء صبراً.

وهكذا هُزم أعداء الله، ونكست راياتهم، ومزقت كتائبهم، وتفرق شملهم، وهتكت أستار الهيبة التي تمثل نسيج العنكبوت حول الأصنام الكبرى والطواغيت العظمى، ودحرت روسيا من أعماق أفغانستان بعد معركة استمرت عشر حجج، لقد كابرت كثيراً طيلة المدة السابقة وهي تحاول أن تكتم آهاتها وتستعلي على جراحاتها، وتخفي آلامها وزفراتها، ولكن الصبر البشري له حدود، ومخالفة الفطرة أمر سريع الزوال يصطدم مع صخرتها ويتحطم على قوانينها ونواميسها، ولقد كان الغزو الروسي لافغانستان (أخسر صفقة من أبي غبشان) الخزاعي الذي باع قصياً مفاتيح الكعبة بزقّ خمر.

البشر والقدر :

إن البشر لا يملكون إزاء القدر رداً، وليس لهم به حول ولا قوة، فقد قدر لي أن أتصفح جولات "كوردوفيز" المكوكية بين واشنطن وموسكو وإسلام آباد وجنيف، ابتداء من يونية ١٩٨٢ حتى كانت آخر الجولات التي وصلت اثنتي عشرة جولة في الرابع عشر من إبريل ١٩٨٨، فوجدت أن المحادثات كلها والاتفاقيات الأربع التي كانت موضوع معاهدة جنيف قد أغفلت ذكر المجاهدين تماماً وكأنهم غرباء عن القضية، بل لقد أشارت إحدى المعاهدات إليهم بوصف المرتزقة المتسللين عبر حدود باكستان إلى أفغانستان، وحقّ لي أن أردد قول الشاعر: -

ويُقضى الأمر حين تغيب تيمٌ ... ولا يستشهدون وهم حضور

*- نشر في مجلة الجهاد - العدد الثاني والخمسون ، رجب ١٤٠٩هـ الموافق فبراير/مارس ١٩٨٩م.

منها العقبات الخارجية وتواكبها المتاعب والمصاعب الداخلية، ولن نستطيع في هذه العجالة أن نتعرض للمشاكل الداخلية، وسنكتفي بذكر العقبات الخارجية: وعلى رأس هذه العقابيل:

- الرعب العالمي من حكومة المجاهدين الأصوليين المتطرفين كما يحلو لأجهزة الإعلام أن تطلق عليهم.

- واليهود أكثر أعداء الله هلعاً من نتائج هذا الجهاد الذي سيفرز قيادات اسلامية أصيلة -إن شاء الله-، وأجتزئ هنا ببعض شذرات مما فلت على ألسنتهم من حقد وما سال على أسنة أقلامهم من غيظ على الاتجاه الإسلامي.

فقد كتبت "الجيروزلم بوست بتاريخ ٧٨/٩/٢٥ مقالا لحاييم هيرتسك (السفير اليهودي السابق في الأمم المتحدة) تحت عنوان (حتى لا نخسر الأصدقاء وتشد على عضد الأعداء)، قال فيه: (إن جهوداً كثيرة بذلت لكبت نشاط الحركات الإسلامية، ولكن الأحداث الأخيرة في المنطقة الإسلامية وعودة الاتجاه الإسلامي يمارس نشاطه على نطاق واسع في مصر وأفغانستان وسوريا وتركيا وإيران وغيرها قد أظهرت أن جميع الأساليب التي اتبعت لكبت نشاط الحركات الإسلامية كانت فاشلة على المدى البعيد رغم ما حققته من نجاح لفترات قصيرة).

وكتبت "يدعوت احرنوت" الجريدة اليهودية في ٧٨/٣/١٨ (هناك حقيقة هامة وهي جزء من استراتيجية إسرائيل في حربها مع العرب، وهي أننا نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طول ثلاثين عاماً، ويجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن المعركة إلى الأبد، ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف والبطش.

وستجد اسرائيل نفسها في وضع حرج إذا نجح المتعصبون أولئك الذين يعتقدون أن أحدهم يدخل الجنة إذا قتل يهودياً أو إذا قتله يهودي).

وكتبت "الصنداي تلغراف" البريطانية في ٧٨/١٢/١٧ مقالاً بقلم "بيرغرين دورستون" قال فيه (إن الغربيين يقعون في خطأ كبير حين يظنون أن الخطر الذي يتهدد مصالحهم في الشرق الأوسط هو خطر الشيوعيين، لأن الخطر الحقيقي الوحيد الذي يتهدد مصالح الغربيين وأصدقائهم في المنطقة هو خطر المسلمين المتطرفين).

ونقلت القبس الكويتية عن وكالات الأنباء العالمية خطابا لموشي ديان – وزير دفاع إسرائيل الهالك – في ٧٩/١/٢٦ قال فيه:

(إن على دول الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة أن تعطي اهتماماً أكبر لاسرائيل باعتبارها خط الدفاع عن الحضارة الغربية في وجه أعاصير الثورة الإسلامية التي بدأت من ايران، والتي من الممكن أن تهب بشكل مفاجئ وسريع ومذهل في أية منطقة أخرى في العالم العربي وربما في تركيا وأفغانستان أيضاً).

ويقول "بريجينسكي" -مستشار البيت الأبيض- (إن الإدارة الأمريكية تشعر بقلق بالغ إزاء تزايد نشاط الحركات الاسلامية المنتشرة في العالم الإسلامي، لأن أمريكا حريصة على عدم السماح للإسلام أن يلعب دوراً مؤثراً في السياسة الدولية)، جريدة الرأي الأردنية ٧٩/١/٢١ نقلاً عن الواشنطن بوست.

ولا ننسى أن الإدارة الأمريكية أوفدت رئيسين سابقين وهما نيكسون وكارتر لدراسة أوضاع الجهاد الأفغاني، فعاد نيكسون وفي مؤتمر صحفي على شاشة التلفاز قال (إن أكبر عقبة تواجهنا هي الإسلام، ويجب أن تتناسى أمريكا خلافاتها مع روسيا لتقف في وجه الزحف الإسلامي).

ولا نستطيع الاستطراد في هذه الشواهد، فمعاهدة جنيف بترتيب اليهودي الأمريكي الروسي الأصل "أرنولد هامر" وذلك لإيقاف الجهاد الأفغاني، وقد وقت بداية الانسحاب بذكرى قيام دولة إسرائيل في الخامس عشر من آيار، وقد قدم تقرير قبلها إلى مجلس الأمن القومي الأمريكي يقول: (إن استمرار الجهاد الأفغاني خطر على مصالح أمريكا).

إن دولة المجاهدين القادمة -والله أعلم- ستواجه الدنيا بأسرها بخططها وأحابيلها ومكائدها وحقدها، ولن يسمح هؤلاء الأعداء للدولة الفتية أن تذوق طعم الراحة، أو تنعم بلحظة استقرار ما استطاعوا، فإذا كانت أمريكا ودول الكفر قد أطبقوا على تصفية الرئيس الراحل ضياء الحق - رحمه الله - لأنه اجتهد في محاولة إخراج القنبلة الذرية (التي يسميها الغرب القنبلة الإسلامية)، ولوقفته الصامدة الشامخة بجانب الجهاد الأفغاني، ولأنه أعلن جاداً قبل مقتله بأشهر أنه سيطبق الشريعة الإسلامية.

ولقد عانى غورباتشوف وجهازه الحاكم الآن في إيجاد تبرير معقول للانسحاب، ومقبول لدى الأمهات اللواتي ثكلن أبناءهن في ملمند وهرات، والنساء اللواتي تأيمن بقتل بعولتهن في بلخ وطالقان، والأفلام الوثائقية التي وصلت تصور لك مدى الحرج الشديد الذي يواجهه غورباتشوف بالانسحاب، ولدينا فيلم يصور النساء اللواتي يندبن حزناً ويذرفن الدموع حسرة على أرحامهن الذين غيبهم الثرى في ذرى الهندوكوش. وأما الحكم الشيوعي في كابل فقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وكأن الشاعر يعنيهم بقوله:

يسائل أهل القلاع عن مـالك ... قد مسخته نعامة شارد

تستوحش الأرض أن تقربه ... فكلما أنّه له جاحـد[4]

والدب الروسي منسحب لا محالة -بإذن الله-، ولا يمكنه الاستمرار أبداً في داخل أفغانستان.

والحكم الشيوعي الأفغاني لن يلقى السلاح لأنه يدرك تماماً المصير الذي ينتظره بعد الهزيمة، ويتوقع كثير من المراقبين أن المعارك التي تنتظرها أفغانستان في الأشهر القليلة القادمة ستكون شرسة ضارية، وذلك لأن الحكم الشيوعي سيضرب ضربات اليائس من الحياة، ولذا فإن طعناته ستكون موجعة، وصفعة الجبان عادة مؤلمة، والقط عندما يحس بالخطر فإنه يصبح أسداً لأنه يتشبث بالحياة بكل وسيلة

وإذا لم يكن من الموت بدٌّ ... فمن العجز أن تموت جباناً

وبعد أن يئس الروس من تأمين انسحابهم ومن تأمين عملائهم فإنهم اشتدوا شراسة، ولكن على الأطفال والنساء، ولقد جاءتني رسالة من كندز تنبئنا أن الروس قاموا بمجزرة هناك في مديرية إمام صاحب ذبحوا فيه بالسكين النساء والأطفال، وقتلوا ما يقارب أربعين إلى الخمسين من العجزة والقواعد.

وكذلك فقد قصف الروس القرى المحيطة بممر سالنج حتى بلغت الضحايا ألف قتيل من العزل المدنيين، وهذه القرى لم تكن قد قصفت من قبل، وقد كان القصف غاية في الوحشية والعنف، والدب الروسي معروف بعنجهيته وصلفه وخبثه

عليـه مـن اللـؤم سروالـة ... فلـيس يـرق لمستعطـف

الذخائر المكدسة :

إن روسيا تحسب ألف حساب لترسانة الأسلحة والذخائر التي كومتها في مخازن الدولة الشيوعية، وهي في المقابل ستدفع الدولة الشيوعية الأفغانية إلى محرقة لا يدرك هولها حتى تضمن انتهاء هذه الذخائر المخزنة التي بين أيديها وبين أيدي المجاهدين، وحتى تبقى دولة المجاهدين القادمة وكأنها منطقة معزولة السلاح.

أما المجاهدون: فهم ينتظرون ساعة الانقضاض ليجهزوا على الحكم الشيوعي الهش، والحق أن هذا الشعب قد حمل من أصيل السمات ما جعله فريداً بين الأمم، وأكثر ما يهز هذا الشعب إعجاباً الشجاعة والوفاء.

ولذا خاب الذين حاولوا قياده من خلال الجيوب، وأسلس القياد للذين خاطبوه بالمحبة من أعماق القلوب.

فلا تستنكرن له ابتسامـاً ... إذا فهق المكرُّ دماً وضاقا[5]

فقد ضمنت له المهجَ العوالي ... وحمّل همّه الخيل العتاقا[6]

ملاقيـة نواصيهـا المنايـا ... معودةً فوارسهـا العناقـا

عقبات الطريق :

ويكاد المراقبون يجمعون كما قال كارلوتشي – وزير الدفاع الأمريكي – على ثلاث قضايا:

١-الانسحاب الروسي.

٢- سقوط الحكم الشيوعي.

٣- وصول المجاهدين إلى الحكم .

ولكن ماذا بعد؟ فهناك العقبات الجمة التي تنتظر دولة المجاهدين القادمة:

---

(٤) الآن : المثقل ، المتعب تحت الحمل الثقيل . (٥) فهق : امتلأ . المكر: محل الكر والفزال . (٦) المهج : الأرواح. العوالي: الرماح . العتاق: الجيدة.

كلمة من الأعماق إلى كل مسلم :

إنه من العار على أمة أن يكون بعض بنيها يخطون تاريخها بالدماء ومع هذا فلا تقدم لهم الأمة ثمن الضمادات التي توقف نزيفهم، ومن الإثم على أهل ملة أن يكون إخوان العقيدة فيهم درعاً لدينهم ودثاراً للتهم وشعاراً لعزتهم ومع هذا فإن أبناء ملتهم لا يقدمون لهم ثمن الطعام، ولا يتكفلون لهم بالكساء ولا بلقمة الغذاء.

فماذا على المسلمين ؟..

ماذا على المسلمين لو دفع كل واحد منهم لإعادة دين الله في الأرض مقدار مصروف ابنته الصغيرة؟ وماذا على المسلم لو اعتبر الجهاد الأفغاني كمولود جديد حلّ على أسرته؟ ماذا على المسلمين لو أخروا تغيير نوع السيارة ؟!! أو تجديد غرفة النوم؟ أو طاقم صالة الضيوف؟ وهل يصوم المسلمون عن المرطبات ويدفعون ثمنها لبناء حصون المجد وقلاع المكرمات ؟

ونحن نهيب بإخواننا المسلمين أن لا يتركونا على أبواب كابل وينكصوا، وأن لا يخذلونا ويدعونا فرادى نواجه المعارك المصيرية واللقاءات الحاسمة.

انها أيام حاسمة في دورات الزمن، وصفحات مشرقة في جبين التاريخ، فاصغوا أيها المسلمون إلى النداء الرباني الجليل

[يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون] الآية(٢٠٠) آل عمران.

والله غالب على أمره*

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فعلى أبواب كابل تصطف الجياد وقد أحكم الفرسان لجمها والمقاد، والطيران لا يهدأ في ليل ولا في نهار، وقلوب القوم مذعورة من الأبرار.

قيام بأبواب القباب خيولهم وأشباحهم في قلب أعدائهم تجري

وقد أشام كل ليث مهنده، يرى في بذل دمه مجده وسؤدده، والحق قد اتخذ أهبته وعدته، وعيون الضراغمة ترمي شزراً وتقدح شرراً، وتتلمظ غيظاً ترقب الساعة التي تقفز قفزتها لتقصم ظهر الكفر بضربتها، ولسان القوم ينشد لحنه العذب الذي تحيا على أنغامه الأمم، وتصقل من خلاله النماذج والقمم

ولن أصالحكم مادام لي فـــرس واشتد قبضاً على السيلان [1] إبهامي

إنها لحظات حرجة يلتقط فيها التاريخ أنفاسه، ويمسك بقلمه منتظراً ماذا يسطر في هذه المرحلة الدقيقة الحرجة من تاريخ الأمة الإسلامية بل تاريخ العالم أجمع.

وعجلة التاريخ تقف على مفرق طريق إمّا أن تطوي الكفر وتمضي على بركة الله لترفع راية الإسلام من جديد، وتحيي طارف[2] مجده والتليد[3]، وإن كانت الأخرى لا قدّر الله فحسبنا الله ونعم الوكيل وهو العليم الحكيم، ينظر إلى القلوب والنفوس ويهبها ويعطيها حسب مايصلحها ويصلح مجتمعها.

ونحن الآن ننعم بأعظم خارقة حصلت خلال القرون الثلاثة الأخيرة تقريباً وهي انتصار شعب مسلم أمي فقير على أشرس وأفتك طاغوت في الأرض.

فهي معركة بين (أشرف شعب وأشرس دب)، ورأس مال هذا الشعب توكله على الله، وأما عزته التي تناطح السحاب فهي فريدة الزمان، وأما إباؤه وأنفته فتلك لا يكبحها عنان، وغوربتشوف وأركان جيشه والجنرالات في أرض كابل الملتهبة يصرحون: أن دخول أفغانستان كان خطيئة -كما صرح غوربتشوف-، وأن الهزة الاقتصادية التي يتعرض لها الاتحاد السوفياتي كانت بسبب القتال في أفغانستان، ويصرح أحد الجنرالات الروس في كابل: أننا خسرنا بدخولنا كابل ولم نحقق السلام الذي كنا نحلم به وننشده.

*- نشر في مجلة الجهاد - العدد الحادي الخمسون - جمادي الثانية ١٤٠٩هـ، يناير/فبراير ١٩٨٩م.

(١) السيلان : مقبض السيف (٢) الطارف : الجديد. (٣) التليد : القديم.

المجاهدين وقد اعترف الدكتور هنتر بأن تكنات الجيش الإنجليزي في البنجاب قد خلت بعض الأيام لانشغالها لمحاربة المجاهدين، وأخيراً أثاروا القبائل باسم (الوهابية) وقضت عليهم، وما انتهى نشاط المجاهدين إلا بعد قرن كامل سنة ١٣٢٠هـ حيث توفي آخر أمير لجماعة المجاهدين عبدالله بن ولاية علي الصادقفوري.

ونسمع اليوم عن حركة وليدة ناشئة في بلوشستان تنادي بالجهاد على خط أحمد عرفان الشهيد. وقد كتب د.هنتر عن قضية السيد أحمد عرفان كتابين هما: THE GREAT WAHABI CASE _ INDIAN MODEL MANS.

ما أشبه اليوم بالبارحة:

واليوم في الجهاد الأفغاني تستعمل بريطانيا نفس السلاح المسموم، فتثير الغوغاء وتحرك الدهماء على القادة الصادقين والعرب القادمين المهاجرين لنصرة الجهاد بهذه الشائعة (الوهابية)، وتصبح الوهابية نغماً لازماً تعزف عليه الصحف الغربية وإذاعة كابل والصوفية المخرفة وصوت أمريكا وإيران الحرة لعلها تفرق بين العرب والأفغان، وتعيد تحجيم القضية مرة أخرى إلى قتال قوم (الأفغان) ضد الروس، بعد أن أصبح الجهاد في أفغانستان جهاداً عالمياً إسلامياً يقض مضاجع أعداء الله في الدنيا كلها، ولكن قادة الجهاد والعلماء الصادقين وقفوا وقفة مشرفة أمام هذه المؤامرة الجديدة، حتى عبّر عنها الشيخ يونس خالص قائلاً (إن حب العرب جزء من ديننا).

{يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون} الآية (٣٢) التوبة.

حضارة الإرث الثالث*

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

قال لي صاحبي معاتباً : أنتم قدمتم القضية الأفغانية في إطار أوسع من حجمها، وبصورة أنصع من واقعها، وبضخامة أكبر من أحداثها، وهذه مسؤولية أمام الله. {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} الآية (١٨) سورة ق.

وقال لي آخر: لقد بدأت صورة العملاق الأفغاني تقزم، وإشراقة الصفحة الجهادية تبهت، وبدأ الجهاد يفقد تلك الجاذبية التي أغرت الجماهير الإسلامية بمتابعته، وجذبت العشاق من كل حدب وصوب فارتمت على عتبته.

وقال لي ثالث : إنك ما تفتأ تذكر أن الشعب الأفغاني شعب فريد في أصالته، عريق في أرومته، فذ في استعداداته وفطرته، مع أننا رأيناه جاهلاً فيه كثير من السقطات والهفوات والانحرافات.

فأجبتهم : رويدكم، لا ترموني شزراً، ولا تزلقوني بأبصاركم ضجراً، ولا ترهقوني من أمري عسراً، فما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين.

أما عن تقديم الجهاد الأفغاني في ثوب فضفاض فهذا أمر غير صحيح، إذ لم يكن في حسبان أحد أن الجهاد سيحقق الأماني العذاب واقعاً ملموساً بمسيرة الآلام والعذاب، فلقد حوّل الجهاد الأساطير إلى أحداث ووقائع، ولقد كانت الإحصائيات التي قدمتها الأقمار الصناعية الأمريكية وأجهزة التنصت الباكستانية أن ما دار في أعماق أفغانستان شيء يشبه الخيال، لا يمكن وجوده إلا في عالم المثال، تدركه الأشواق وتقصر دونه الأفعال.

فلقد كانت التقريرات تثبت أنه قد سقط وحطم للسوفييت حتى بداية سنة ١٩٨٨ حوالي ألفين وثمانين طائرة، وعسكرياً مثلها يكون قد استهلك لكثرة الاستعمال، ودمر حوالي ١٧ ألف دبابة ومصفحة و ٢١ ألف آلية.

وهذه أرقام لم يشهد لها التاريخ نظيراً بعد الحرب العالمية الثانية، بل أستطيع أن أقرر قائلاً:

واقعها أكبر من إعلامها:

ما رأيت قضية واقعها الفعلي أكبر من إعلامها مثل قضية أفغانستان، وأما عن الشعب الأفغاني

---

* نشر في مجلة الجهاد - العدد السابع والخمسون - ذو الحجة ١٤٠٩هـ الموافق يوليو ١٩٨٩م.

فهذه شهادة التاريخ القائلة: بأنه فريد في شدة مراسه وصلابة شكيمته وقوة بأسه، ودعك عن صبره وأنفته، وعزته وشدته وسلامة فطرته، وإبائه وحيائه. وإذا حمل الشعب الأفغاني عقيدة فإنه يبذل لها المهج والأرواح، فقد اعتنق البوذية أولاً وكان وراء نشرها في وسط آسيا وشرقها، ثم اعتنق الإسلام فحمله على رؤوس الأسل وصفاح البيض، وعمّ الإسلام المنطقة، ولم يذعن أهل أفغانستان -التي تشكل جزءاً من أرض خراسان - للإسلام بسهولة، بل بعد جهد جهيد، يقول ياقوت الحموي: (وإذا اندلعت نار الحرب في خراسان أحرقت الأخضر واليابس، وأتت على المدنية والعمران لشدة بأس أهلها وقوة شكيمتهم ودفاعهم عن أمصارهم والتصدي لخصمهم) [١].

قال صاحبي: ولكنك لم تذكر عيوب الشعب الأفغاني، فأجبت قائلاً نحن نتكلم في قضية معينة وهي الحرب والشجاعة والصبر والبطولة، وهي التي فقدتها معظم الأمة الإسلامية.

أتريدوني وأنا أتكلم عن بطولة عنترة الفرسان أن أقول عنه ولكن له رائحة كريهة تخرج من عرقه أثناء المعركة وهو جاهل أمي حتى تكون الصورة صادقة والنقل أميناً، وأقول من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها، فمن كان شعبه خالياً من العيوب فليذكر عيوب الأفغان.

وأما إكرامهم لضيفهم فحسبك ما رواه أبوالجنيد عن أهل فارياب قائلاً: لقد بقينا طيلة شهر رمضان سنة ١٤٠٩هـ كعرب نأكل الرز -بدون لحم- سحوراً وفطوراً، ثم اكتشفت أن القائد قد ألقى أوامره الحاسمة للطباخ أن يشتري لنا الرز ديناً من الأسواق بينما الجبهة تفطر وتتسحر الشاي و الخبزفقط.

أما عن صورة المارد الذي تقزم فهذا شأن الإعلام اليهودي الغربي الأمريكي، إذ أنهم نقلوا بعض الصور الحقة أثناء القتال بين الأفغان والروس، وقد كان الأمريكان جد خائفين من استمرار الاحتلال الروسي لأفغانستان، وكانوا يخشون على آبار البترول في الخليج العربي وعلى المياه الدافئة، فكان يهمهم أن لا تستقر قدم الدب الروسي أيضاً قرب بحور الذهب الأسود، ويهدد مصالحهم في باكستان والدول الصديقة، أما الآن وقد هزمت روسيا وولت على أعقابها مدبرة ذليلة حسيرة، وأصبح المجاهدون قاب قوسين أو أدنى من الانقضاض على عرش نجيب والإجهاز على الشيوعية، انتفضت الدنيا خشية أن يصل المجاهدون الحكم، ولذا ألقيت الأوامر إلى الإعلام أن يبحث عن كل نقيصة فيلصقها بالمجاهدين، ويبرز غورباتشوف بأنه بطل السلام، فبدأت الأوتار الموتورة والحملات المسعورة تعزف على قضايا (الحرب الأهلية) (القتال بين المسلمين) (الوهابية وهدم المذهب الحنفي)، وبدأت الضفادع اليسارية من أهل الشمال والببغاوات التي تقبع وراء كثير من الصحف العربية تردد ما يبدئ فيه اليهود ويعيدون، وتحذّر من دفع المساعدات للمجاهدين لأنها -بزعمهم - تزيد في سفك دماء المسلمين، في حين أن كف الأيدي عن البذل في قضايا مثل أفغانستان إنما يعني عدم دفع الشر عن الأطفال الأطهار وعدم حقن دماء الشيوخ الأبرار.

المؤامرة كبيرة:

ففغر صاحبي فاه قائلاً إذن فالمؤامرة عالمية؟ فأجبت قائلاً: نعم، ألا تسمع اللحن النشاز في مسيرة الشرف والفخار والذي ينادي بعودة ظاهر شاه، فقد نقل إليّ أن الجنرال أكرم قد عاد من عند ظاهر شاه قبل أيام فسئل عن الملك فقال: لقد عرض عليه الأمين العام للأمم المتحدة أن يرجع إلى أفغانستان فأجاب الملك لن أرجع حتى يطلبني القادة السبعة وعلى رأسهم حكمت يار وسيّاف، وذا يكون حين يلج الجمل في سم الخياط.

مقتل ضياء الحق:

فقال صاحبي وهو يتابعني ولعل قتل الرئيس ضياء الحق كان جزءاً من المؤامرة، فقلت: إن قتل ضياء الحق كان الركن الركين في هذه المؤامرة، فلقد قتل ضياء لأنه وقف وقفة الشرف والإباء بجانب ليوث الله، فكان الغرب والشرق يخشون أن يصل المجاهدون إلى الحكم ويحفظوا لهذا القائد الفذ يده البيضاء ويقيموا اتحاداً فدرالياً أو كونفدرالياً مع باكستان، فتلتقي الطاقة البشرية الإسلامية في أفغانستان مع القوة الذرية في باكستان وعندها تصبح مصدراً للرعب يهز أوصال الكفر في العالم أجمع، عدا أن ضياء الحق قد أسدل ستاراً حديدياً من الصمت المطبق حول قضية المفاعل النووي الذي حمّت لوجوده أجهزة الأمن الهندية واليهودية (الموساد)،

---

(١) خراسان لمحمود شاكر / ص ١٢.

والتي أوكلت لأجهزة الرصد الأمريكية بالبحث عنه فباءت بالفشل.

عدا أن ضياء الحق كان يقف صخرة شماء أمام المخطط الأمريكي الذي ينوي ضم الهند إلى المعسكر الغربي، وكان للهند شرط واحد: أن تكون شرطي المنطقة، فيأبى الراحل الفذ أن يعطي الدنية في دينه للهند. ودعك عن الوقفة المشرقة التي يودع بها الدنيا يوم أن أطاح بالحكومة المدنية وآلى على نفسه ليحكمن بالإسلام وإن كلفه ذلك نفسه وعرشه.

ولذا فإن المراقبين يكادون يجمعون أن أمريكا هي التي عبثت بطائرته، وذلك لأن المادة الكيماوية التي استعملت في حادثة اغتياله لا تصنع إلا في دولة متقدمة.

واستدارت عجلة الجهاد:

أما اليوم فقد استدارت عجلة هذا الجهاد كيوم بدأ، وعاد يواجه الصعوبات التي قابلها في تلك الأيام الأولى من ضيق ذات اليد وتنكر الصديق قبل العدو، وبدأ التضييق على الحدود، وجاء قرار منع إخراج الأغذية خارج باكستان كثالثة الأثافي ليحول دون وصول الرغيف إلى يد ليوث الغاب، فإذا وضعت في حسبانك السنين التي حلّت على أفغانستان خاصة شمالها وغربها تحمل معها القحط والفاقة حتى تضاعف ثمن الطحين لهذا العام خمسة أضعاف، وزحفت الآفات مع الجراد لتأتي على ما بقي من حياة، وأضافت القذائف بحرائقها على هذا الجو الكئيب الحزين عمقاً لمأساة الرغيف. ولقد جاءني "نعمة الله" أحد تلاميذ معهد الأنصار من بدخشان يقسم لي أن جبهتي في "شهربزرك" تعرض السلاح للبيع حتى تشتري الطحين للمجاهدين، ولكن أنّى لهم بالمشترين؟

ودعك عن إيقاف الدعم المفاجئ الذي واجهه المجاهدون من الدول الصديقة وهم على أبواب كابل حتى لا تحسم المعركة عسكرياً.

الحائط المسدود:

قال صاحبي: ولكن ألا ترى أن الجهاد الأفغاني قد وصل إلى حائط مسدود ومأزق ضيق، ووقف أمام عقبة يصعب عليه اجتيازها بعد عجزه عن فتح جلال آباد مع مرور هذا الوقت الطويل؟

فقلت له: رويدك قليلاً ولنرجع إلى الوراء قليلاً لندرك حقيقة جلال آباد، فلقد كانت الحكومة تسيطر على مساحة ٧٠×٣٠ كم (٢١٠٠كم٢) تقريباً قبل ثلاثة أشهر في منطقة ننجرهار (جلال آباد)، فلم يبق في يدها إلا (٧×٤كم)، هذا بالنسبة لجلال آباد التي تقع تحت رحمة نيران المجاهدين التي يكفونها عن الأهالي.

أما بالنسبة لأفغانستان: فالمجاهدون يسيطرون تقريباً على معظم الطرق الرئيسية مثل شارع كابل غزني، قندهار هرات، كابل جلال آباد، جلال آباد طورخم، جلال آباد أسعد آباد، كابل لوكر، لوكر جارديز.

ودعنا نقلب معك صفحات التاريخ:

حصار الطائف:

ألم يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبواب الطائف بعد أن حاصرهم بضعاً وعشرين ليلة بعد أن نالت النبال من أصحابه صلى الله عليه وسلم، ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق حتى كان يوم الشدخة عند جدار الطائف، ودخل نفر من أصحابه صلى الله عليه وسلم تحت دبابة (آلة تصنع من خشب وتغطى بالجلود يدخل فيها رجال ليصلوا إلى السور لينقبوه). فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد المحماة بالنار فخرجوا من تحتها، فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالاً فأمر صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف [1].

فتح العراق:

ألم تعلم يا أخي أن المدة التي مضت بين القادسية التي كانت في محرم سنة ١٤هـ وبين نهاوند سنة ٢١هـ (أقدم مدن العراق) سبع سنوات. وكان المسلمون خلالها بين كر وفر وهزيمة ونصر.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام / ج٤، ص ١٢٦.

أما علمت أن الصحابة والتابعين قد وقفوا أمام حصون تستر (مدينة الهرمزان) سنتين كما يروي ابن كثير، وأنهم قد خاضوا مع الكفر فيها ثمانين معركة، وزحفوا ثمانين زحفاً، وما دخلوها إلا بعد أن خرج إليهم رجل من أشراف القوم اسمه "سمينة" ودلهم على الطريق، وأدخلهم بأمان حتى قتلوا الحرس واقتحموا الحصن بعد أن دعا لهم البراء دعوته المستجابة (اللهم اهزمهم واستشهدني)، وقد استشهد خيار الصحابة فيها كالبراء ومجزأة بن ثور.

وفي نهاوند (فتح الفتوح) يرسل النعمان بن مقرن طليعة أمام الجيش، ولهول الموقف يرجع الجميع حتى عمروبن معد يكرب، وينفذ رجل واحد وهو طليحة الأسدي (المتنبئ التائب)، فلما طال الحصار جمع النعمان أهل الرأي يستشيرهم، فقال عمرو بن معديكرب يحرض المسلمين (ناهدهم وكاثرهم ولا تخفهم، فردوا عليه جميعاً: إنما تناطح بنا الجدران والجدران أعوان لهم علينا)[٣].

فقه الأوراق وفقه الحركة:

والذين يزاولون فقه الأوراق اليوم وهم ينقلون عن الصحابة طول مدة القصر يظنون أنهم كانوا مستقرين مطمئنين، ولا يعلمون وهم ينقلون عن الصحابة أنهم كانوا في معارك لا تتوقف، أو جو من الرعب والرهب في حصار أعداء الله وشبح الموت يتراءى أمام نواظرهم صباح مساء.

فقد روى نافع عن ابن عمر (أقام ابن عمر بأذربيجان ستة أشهر يصلي ركعتين، وقد حال الثلج بينه وبين الدخول) وقال أنس: (أقام أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم برام هرمز سبعة أشهر يقصرون الصلاة)، وقال الحسن (أقمت مع عبد الرحمن بن سمرة بكابل سنتين يقصر الصلاة ولا يجمع)، فقد كان الجميع يعيشون المعركة في خضم متلاطم من القبائل، والأعداء يتحفزون للانقضاض عليهم والبطش بهم.

قال صاحبي: إذن لم يفت الوقت، فأجبته بلى: بل إن الجهاد في تقدم، وما من يوم يمر إلا والجهاد يحقق نصراً مهما كان ضئيلا، والمجاهدون الآن يدمرون الحزام الأمني الثاني لكابل، ويوصلون الليل بالنهار لمعركة كابل المقبلة خلال الأشهر القليلة المقبلة بإذن الله، فتراهم مشغولين بحفر الخنادق وتخزين المؤن ونقل الأسلحة **{ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز}** الآية (٤٠) الحج.

وبشرنا حكمت يار بالأمس عن فتح مديرية كبرى من مديريات كابل وهي (ميربجاكوت) مع غنيمة ١٦ دبابة.

أريد حياته ويريد قتلي:

ولو علم الغرب والشرق والأمريكان بالذات ما سيحققه انتصار هذا الجهاد من خير لهم، ومن إنقاذ لإنسانيتهم، وحل لأزمتهم، لبذلوا له الغالي والرخيص والنفس والنفيس، إنهم يريدون الرحمة المهداة، والسكينة والطمأنينة المنشودة والتي فقدوها تهائياً في مجتمعاتهم، إنهم يقتلون الإنسانية بحضارتهم، وانتصار الجهاد وتسلم المجاهدين للزمام يعني تقديم السعادة للإنسان، إن حاجة البشرية اليوم إلى الإسلام أشد من حاجتها إلى الطعام والشراب.

إن حضارة الإسلام هي الوحيدة التي تصلح لإرث الأرض وإنقاذها، إن نداء الفطرة يصرخ: أريد حضارة (الإرث الثالث) كما يسميها جارودي، إن الفطرة تريد الخلاص، وصدق الله العظيم: **{أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون}** الآية(١٢٢)الأنعام.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

---

(٣) البداية والنهاية /٧/ ١٣٩.

الطريق إلى كابل*

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فعلى طول الطريق من بيشاور إلى غند الفتح (جاجي) كان الحديث الذي يدور بيني وبين حكمتيار ويملك ويحتل الأهمية البالغة في وقتنا هو حديث الجهاد، وفي قمة الأهمية البالغة معركة كابل التي أصبحت الشغل الشاغل للمجاهدين قادة وجنوداً، كيف لا وهي فيصل المعركة التي قُدم لها الغالي والرخيص والنفس والنفيس، وعلى حسم المعركة في كابل تتوقف نتائج عظيمة لهذا الجهاد الذي اشرأبت له الأعناق، وهفت له القلوب، فأصبح لها موردها ومثابتها، وسامرها وأنيسها وسلوتها، فما بذلت النفوس، ولا أريقت الدماء، ولا كانت هذه التضحيات إلا لتحقيق هذه الأمنية وذلك بفتح كابل والتي يترتب عليها إسقاط النظام الشيوعي ومن ثم إقامة دين الله في أفغانستان، وبناء المجتمع الإسلامي.

مركز "الفتح":

وصلنا مركز "الفتح" الذي أخذ حبه على حكمتيار كل مأخذ، إذ كانت له في غاباته ذكريات عزيزة إبان المعارك التي احتدمت خلال الأعوام المنصرمة، وقد كان حكمتيار أثناءها يتخذ قمة من القمم الشاهقة التي تناطح عنان السماء مستقراً يربض فيه خلف رشاش مضاد للطائرات، وقد صاحبته في بعض المواقع الساخنة في هذه الأصقاع وكانت يومئذ في الحرب الضروس فئات كأن المتنبي يعنيها قائلاً:

في غلمة أخطروا أرواحهم ورضوا — بما لقين رضا الأساد في الأجم (١)

قد بلغـــوا بقناهم فوق طاقتـه — وليس يبلغ ما فيهم من الهـم (٢)

ولشدة ولعه بحب "الفتح" فقد أوصى حكمتيار: (إذا مت في بيشاور أو في باكستان فادفنوني في الفتح، وإذا استشهدت في أفغانستان فادفنوني حيث مصرعي).

لقاؤنا مع الإخوة العرب:

وقد كان اللقاء في الفتح مع مجموعة من الإخوة العرب في الثاني من ذي الحجة سنة ١٤٠٩هـ يقودهم أبو الحسن ومعه ثلة من الصفوة قد أعدوا أنفسهم ليلقوا بها في أتون معركة كابل، وفي خضم أحداثها، وبدأ أبو الحسن يتكلم عن رحلته قبل أيام إلى خرد كابل حيث زار مع بعض إخوانه مناطق الحوزة الثالثة من كابل (سروبي وبجرامي وتشار آسياب)، وأخرج أبوالحسن خارطة كابل، وكان قد طبع حوالي ثلاثمائة خارطة لأماكن شتى لكابل وما حولها، ودار الحوار حول حوزات كابل وأهدافها الرئيسية، فقال حكمتيار:

لابد من إغلاق الطريق الرئيسي الواصل بين سالنج وكابل، طريق (حيرتان – سالانج – كابل)، هذا هو الهدف الأول الذي يجب أن نضعه نصب أعيننا.

وأما الهدف الثاني فلا بد من ضرب المراكز الحساسة مثل مطار كابل (خوجا رواش)، وبجرام، ودار الأمان.

ثم قال حكمتيار: إن مديريات كابل يمكن ترتيبها حسب أهميتها في المعركة القادمة كالتالي:

(١) الحوزة الأولى الشمالية : ذات الأهمية القصوى وتضم أربع مديريات: قره باغ، مير بتشاكوت، دي سبس، شكردره.

وهذه يوكل إليها مهام ضرب الطريق الرئيسي (حيرتان – سالنج – كابل) ومطار بجرام ومطار خوجا رواش (مطار كابل).

(٢) الحوزة الثانية (حوزة غرب) وتضم بغمان وجاردي، ويوكل إليها ضرب دار الأمان.

(٣) الحوزة الثالثة : (جنوب شرق) وتضم : سروبي وبجرامي وتشار أسياب ويوكل إليها مهمة أساسية وهي: ضرب مطار كابل، ومهام أخرى: كإغلاق طريق كابل / جلال آباد، وطريق كابل / جارديز وضرب بول تشرخي.

وقد أجمع القوم على أن مقتل الحكومة في الحوزة الشمالية التي تستطيع أن تخنق كابل بقطع طريق الإمداد الرئيسي عنها.

القيادة الموحدة أو مجالس الشورى:

وأكثر ما كان يشغل أذهان الإخوة العرب ويتردد على ألسنتهم هو العمل الدائب لإظهار قيادة موحدة للمعركة، وهذا الأمر هو

* نشر في مجلة الجهاد – العدد الثامن والخمسون – محرم ١٤١٠هـ الموافق أغسطس ١٩٨٩م.

الذي استحوذ على اهتمام الإخوة في جولاتهم حول كابل والتي بدأت منذ بضعة أشهر، وهنا قضيتان لابد من الوصول فيهما إلى حل:

(١) الاجتماع على قيادة موحدة.

(٢) الاجتماع على خطة مشتركة بين المجاهدين.

وهناك قضايا أخرى كانت الترتيبات والاتصالات الدائبة تعمل عليها منذ عدة أشهر، وعلى رأسها التنسيق مع القادة الأمراء بشأن المواد الغذائية وتوفيرها للمعركة، وقد كانت التقديرات الأولية أن معركة الصيف تحتاج ستة آلاف طن من المواد الغذائية، وتوفير الغذاء ونقله إلى الخطوط الأمامية كان يشغلنا ويجهد علينا أفكارنا.

ولعل الله قد اطلع على قلوب بعضنا، فعلم صدق النيات وإخلاص الطويات فألان لنا بعض قلوب الصالحين والمحسنين، فبذلوا بسخاء، وقد تجمع بعض المال الذي اشترينا به المواد الغذائية.

وفي المساء وعند هذه القضية بالذات قمت بالتجول مع أبي الحسن بين المخازن التي نصبت سرادقها لتوضع فيها الأغذية (الأرز والطحين والعدس واللوبيا والسمن)، وكانت السيارات الشاحنة الضخمة واقفة أمام هذه الخيام وقد شُحنت هذه الناقلات بالأغذية.

وكانت القافلة الأولى تضم ستاً وعشرين ناقلة كبيرة بدأت مسيرتها بعد طلوع الشمس، وأخذت صيحات التكبير من الإخوة العرب تتعالى وتتردد أصداؤها بين السفوح والأودية، وارتفعت الأكف إلى السماء ضارعة إلى الله أن يحفظ هذه الشاحنات وأن يوصلها على خير.

تبرع سخي :

ولقد ذكر لنا أبو الحسن أن هذه المواد الغذائية قد تبرع بها أحد المحسنين، فضرعت إلى الله عز وجل أن يحفظه في دينه وماله وأهله، وأن يجد بركة هذا التبرع السخي في دنياه وأخراه وذريته وصحته، ولقد ورد في الحديث الصحيح أن بغياً من بني اسرائيل سقت كلباً فغفر الله لها. فكيف بمن يتكفل عشرات الألوف من المجاهدين بالطعام في معركة فاصلة مثل هذه يتوقف عليها كثير من النتائج في المنطقة بل ربما في العالم أجمع .

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي — المجد للسيف ليس المجد للقلم

اسمعتني ودواتي ما أشرت به — فإنما نحن للأسياف كالخدم

من اقتضى بسوى الهندي حاجته — أجاب كل سـؤال عن هل بلم

حديث التاريخ :

ولقد حدثني التاريخ قائلاً: إن بين طيات صُحفي مصداقية كلامك، فمن وسط أسيا خرج المغول وحكموا أرجاء كبيرة من المعمورة، واعتنق أحد أبناء جنكيزخان هذا الدين (وهو بركة خان)، وقامت الدول المغولية الإسلامية التي حكمت تركستان وأصقاعاً كبيرة من الأراضي التي ترزح تحت الاستعمار السوفياتي. ولقد برز من هذه الأرض (وسط أسيا) تيمورلنك الأعرج الذي أنشأ الدولة التترية والتي بسطت سلطانها على مساحات واسعة من الأرض، واعتنقت الإسلام، وأخذت مكانتها خليفة للدولة المغولية.

وبزغ من هذه الأرض الأتراك العثمانيون الذين امتد رواق سلطانهم قرابة خمسة قرون على العالم العربي وعلى أرجاء شاسعة في أوروبا يحكمونها باسم الإسلام، وتعلن إذعانها لهم بدفع الجزية لخلفاء بني عثمان.

فلا تستغربن أن يكون للأفغان دور ينتظرهم في إنقاذ قطاع كبير من البشر باسم الإسلام وبحد الحسام.

قال أبو الحسن المدني: إن أول ما لفت نظري إلى أهمية القضية الأفغانية أستاذ في الدراسات الشرقية في جامعة أمريكية أخذت عنده مادة في التاريخ لمدة أربعة أشهر، وقف فيه الأستاذ شهرين كاملين مع القضية الأفغانية ودورها المنتظر في التاريخ الحديث.

وواصل أبو الحسن حديثه عن متطلبات المعركة فقال: لابد من تنشيط حفر الخنادق، وقد سهّل الله لنا بأن اشترينا مائة حفارة

على حساب أحد المحسنين، وقد دربنا مجموعة كبيرة من الأفغان على هذه الحفارات بحيث يستلمونها ويحفرون بها ويقومون بإصلاحها إذا اعتراها عطل أو خراب.

وواصل الحديث : إن من ضرورات المعركة تأمين الخدمات الصحية : فرق الإسعاف، ومستشفيات الإخلاء (التخلية)، ثم المستشفيات المركزية.

وقد قطع الإخوة العرب شوطاً كبيراً في هذه الميادين.

لغة الواثق المطمئن :

وأثناء الحديث قال أبو الحسن: لقد دار النقاش بيننا وبين القادة في الميدان عن الشتاء المقبل، وأخذنا عهداً على البعض ألا يترك مكانه إذا تساقط الثلج، فقاطعه حكمتيار قائلاً: لا تحدثوهم عن الشتاء، فإننا نرجو - بإذن الله - أن تحسم المعركة في هذا الصيف لصالح المجاهدين، وأملي بالله عظيم أن يطيح بعرش نجيب قبل حلول الشتاء.

وأنا أعلم : أن حكمتيار متفائل دائماً، وقد جاءت الأيام تصدق كثيراً من آماله ، فكثيراً ما كان يدور النقاش بيني وبينه حول انسحاب الروس وقبل سنوات كان يقول لي: ليس أمام الروس أي طريق سوى الانسحاب أو أن يقتحم الجيش الهندي الباكستان، والجيش الهندي دون اقتحامه (خرط القتاد)، فلم يبق أمام الروس سوى الهزيمة والخروج، وصدقت الأيام ظنه.

وقد بدأ حكمتيار بالمعركة مع إخوانه سنة ١٩٧٥ ضد نظام داود، وقد كانت كل المؤشرات تقطع بأن فأل حكمتيار لا محالة خائب، وأن معركته خاسرة، وما عمله إلا انتحار للحركة الإسلامية.

ثم مرت الأيام وصدّقت ظن حكمتيار، واتضح للأذهان بما لا يدع مجالاً للشك أن لولا الله ثم قرار خوض المعركة ضد داود لأصبحت أفغانستان مع الأيام قطعة من روسيا كبخارى وطشقند. ولكن رأيت حكمتيار قد تعجل في تحديد فترة سقوط جلال آباد وقندهار.

أما بالنسبة لكابل: فلقد أخذ حكمتيار يسرد عليّ تفاصيل المعركة وذلك بيني وبينه، مما جعلني أطمئن أنه لا يعيش في أوهام، ولا يتحرك في فراغ، ولا ينعم في عالم الأحلام، وإنما ينطلق من قاعدة صلبة، وضمن يديه أرقام وأسماء ووقائع تجعله واثقاً بفضل الله أن نهاية الشيوعية في أفغانستان قريبة، ولكن علّق الأمر على قدر الله أولاً ثم على توفر الذخائر بشكل كاف.

أما بالنسبة لي: فقد بت جد حذر من التسرع بتحديد مواعيد لسقوط المدن أو نهاية الطاغوت في كابل بعد أن تعجلنا كثيراً في إعلان سقوط جلال آباد التي كانت في نظرنا لا تتعدى الأسابيع القليلة، ثم ظهر لنا فيما بعد أننا لم نكن محيطين بالصعوبات البالغة والعقبات الشائكة التي تكتنف فتح المدن.

القدر لا يخضع للبشر:

وهنالك أسباب يخبئها الله لعباده الصادقين ينزلها الله أثناء الشدة وإبان الأزمات، فقد تستسلم فرقة من الجيش الكافر بالاتصال السري فتنهي وجود الحكم.

التسخير الرباني : وإني لأحس من أعماقي رحمة الله وفضله في تسخير العرب لخدمة هذا الجهاد، ودورهم في إذكاء روح الحماس لدى المجاهدين الأفغان الذين طحنتهم الأحداث، وهصرت عجلة الوغى أعصابهم وأنفسهم وقلوبهم، حتى بات لسان حال الكثيرين يقول:

تعرضت بالآفات حتى تركتها تقول أمات الموت أم ذعر الذعر

ويقول :

جرحت مجرحاً لم يبق فيه مكان للسيوف أو السهام

وعطاء العرب من أنفسهم وأرواحهم أضخم بكثير من بذلهم من جيوبهم، ودعك عن الروح المعنوية العالية التي يقبل بها العربي وهو يتدفق حيوية ويتفجر حماساً مما يرفع معنويات المجاهدين.

ولا تنس الالتزام الخلقي الذي يعتبر سمة بارزة للمجاهدين العرب، عدا المعرفة العميقة للكثير منهم بالسنن والقيام وصيام

النافلة وآداب الطعام والشراب والتزام أذكار الصباح والمساء، وتلاوة القرآن، وآداب السفر، وأدعية القتال، مما ينتقل إلى الأفغان بالاقتداء والتأسي لا بالكلام والتعليم.

هذا عدا المؤسسات التي أشرف العرب على إنشائها داخل أفغانستان للمجاهدين، أو في باكستان للمهاجرين وفي شتى المجالات التعليمية والطبية والاجتماعية وحتى العسكرية.

أمور يتفرد بها العرب :

وهناك مشاكل استعصى حلها على الأفغان، أو أعجم عليهم الاهتداء إلى إزالتها، فكان الفرج على يد العرب؛ كالخلافات الداخلية، وإغلاق الطرق من قبل بعض الجبهات على الأخرى، والتنسيق بين قادة الميدان، أو التقريب بين وجهات نظر الأمراء.

أعداء الله يدركون الخطر:

ولقد أدرك أعداء الله البارزون وأعوانهم المتسترون بأسماء المسلمين ضخامة الدور الذي يقوم به العرب الآن في المعركة، والروح التي تسري في الجهاد والمجاهدين كسريان النور في الظلام بسبب وجود هؤلاء المهاجرين الأنصار العرب، مما جعل الأعداء ينتفضون بكليتهم يشنون حملاتهم المسمومة على الوجود العربي، ويشعلون الفتن ضدهم باسم الوهابية، والتشكيك بالغايات السامية التي طلّق من أجلها المجاهدون العرب الدنيا وهجروا النعيم، حتى جازت الحيلة على بعض الجهلة، وأخذوا يوغرون صدور المسؤولين في باكستان على الوجود الإسلامي بين المجاهدين الأفغان، ويؤزونهم أزاً للتضييق على حركتهم، ومنع إعطائهم الاعتراف القانوني ببعض مؤسساتهم.

ولكن جذور المحبة العميقة التي نمت مع الأيام بين الأفغان والعرب من خلال تسابق العرب على الموت، والتزام خنادق القتال، والإلقاء بالنفوس في أتون المعارك المضطرمة جعل الأفغان وهم أهل رجولة وإباء وشمم وفراسة يدركون أن هؤلاء العرب ما جاءوا لغرض قريب أو متاع زائل أو سفساف من الأمر، وإنما جاءوا لقضية كبرى هي: الشهادة والجنة وإحياء دين الله من جديد، وإقامة المجتمع الإسلامي فوق هضاب خراسان وبلخ وطالقان (وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذووه).

وبعد عن الاحترام العميق الذي يكنه الأفغان بدافع من دينهم للعرب الذين يعتبرونهم أحفاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى قال يونس خالص لنا: (إنا نعتبر حب العرب جزءاً من ديننا).

ولكن لابد أن يكون معلوماً لدى الجميع أن العرب لا يفعلون شيئاً بدون الأفغان ولا يستطيعون (فهم كالملح للطعام).

استدراك مهم: وفي ختام الجلسة الطويلة قال حكمتيار: ولكن علينا أن لا ننسى أننا نواجه مشكلة المدنيين الذين يقطنون المدن، فلابد من إنقاذهم، وعلينا أن نوفر لهم الخيام والمؤن في المناطق المحررة المحيطة بالمدن .

القدر والبشر :

وختاماً لا يغيبن عن البال أن قدر الله جار، وأنه لا راد لمشيئته، ولا معقب لحكمه، إليه يرجع الأمر كله، بيده ملكوت كل شيء، والبشر لا يملكون إزاء القدر شيئاً، إنما وجب علينا الأخذ بالأسباب والنتائج بيد رب الأرباب.

فالمجاهدون يعدون، وهم على طريق كابل سائرون، وأعداء الله متيقظون متحفزون ..

[وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون].

[ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين] .

رجال وأحداث *

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد :

فهكذا وعلى طول الطريق من "سنجت دره" إلى "تشاري كار" حتى مصنع النسيج في "جلبهار" كأنك تسير في بستان واحد، الظلال الوارفة، والثمار الدانية، والأوراق اليانعة، قطعة أرض واحدة على مد البصر تمشي عدة ساعات وكأنك لم تخرج من الروض النضير الذي ابتدأت منه المسير، الشارع العام الموصل بين كابل و"تشاري كار" يمر عنه المار في رابعة النهار فما تجد من العدو أحداً ولا تسمع له ركزاً، ومدينة "تشاري كار" هي (مركز بروان)، ونمشي على هذا الشارع وعلى بعد نصف (كم) أو أقل من مركز بروان، بل إن المواقع العسكرية للمجاهدين لا تبعد أكثر من مائتي متر، وخنادق المجاهدين لا تبعد خمسين متراً عن الشارع استعداداً لقافلة مارة أو دبابات تؤمن الطريق للمواد الغذائية القادمة من روسيا إلى دولة كابل.

شمالي :

ويطلق أهل أفغانستان على هذا السهل الممتد من "شكردره" إلى "جلبهار" اسم (شمالي)، ولعل الإسم قد أُخذ لأن السهل يقع شمال كابل، وهو قطعة أرض واحدة على مدّ البصر ، وكأنها مسطح أخضر، لأن الأشجار المثمرة من المشمش والتوت والبرقوق والكمثرى والدراق والجوز والأعناب والرمان وغيرها من الثمرات التي تشتهيها الأنفس وتلذ الأعين تغطي سطح هذا السهل العجيب. وينتظم هذا السهل الريّان ولايتي (كابيسا وبروان) تخترقه الأنهار ذات الماء الذي يشبه اللجين -الفضة-، وتتدفق هذه الأنهار في الصيف حتى تصبح بأمواجها المتلاطمة البيضاء مع الجداول التي تتفرع منها أو تصب فيها فتشكل لك مناظر ساحرة أخّاذة، تأخذ بمجامع القلوب والألباب.

وفي هذا السهل مطار "بجرام" الذي يحيط به المجاهدون من كل جانب على بعد لا يتجاوز مائة متر.

وجبل السراج الذي لا يختلف عن سابقه (مطار بجرام) من حيث الأهمية، وفيه قوة للدولة في مكان يسمى (قلعة سُرخ) أو (قواي سرخ) أي القلعة الحمراء - والتي تؤمن الطريق أثناء مرور قافلة ضخمة أو شاحنات زاخرة - على مقربة من ممر سالنج الجنوبي أخطر مضيق على القوافل الروسية المارة - وعلى طول ٣ كم-، ثم تسير من ممر سالنج الجنوبي حتى تصل "قره باغ" و"مير بتشه كوت" ثم "شكردرا" (وادي السكر) وهذه الثلاثة الأخيرة ساقطة في يد المجاهدين وهي من مديريات ولاية كابل.

أمّا "شكردرا" فقد اخترق المجاهدون فيها الحزام الأمني (كمربند) الثالث، والذي يحيط بكابل لتأمينها والمكون من الجيش، وكذلك انقض المجاهدون على الحزام الأمني الثاني - حزام الخاد (المخابرات)، ولم يبق سوى الحزام الأول المحيط بكابل وهو حزام الشرطة.

هذه المراكز والتي تعتبر شريان الحياة للدولة لا تحتاج إلا لتنسيق الجهود بين المجاهدين، ثم إنزال ضربات سريعة متلاحقة متتالية عليها لتهوي في يد المجاهدين، وبالتالي تؤدي إلى الإطاحة بالنظام الشيوعي الذي يرأسه نجيب في كابل. وهذه المراكز "تشاري كار"، مطار"بجرام"، "جبل السراج"، "قلعة سرخ" بالإضافة إلى الطريق العام الموصل من "حيرتان" إلى كابل والذي يمثل شريان القلب بالنسبة للنظام، والذي يعتبر إغلاقه المقتل للدولة. وهذا الطريق لو نسقت التنظيمات الجهادية فيما بينها لاستطاعت وبجهود متواضعة أن تحكم إغلاقه.

أمانٍ وليست أحلاماً، آمال وليست أوهاماً:

كان حكمتيار على طول الطريق من "بيشاور" حتى وصلنا "تشاري كار" يحدثني أن أمامنا هدفين رئيسيين الآن :

١- إغلاق الطريق العام (حيرتان - كابل أو روسيا- كابل).

٢- ضرب مطار بجرام.

فكنت أقول له: أوتظن أن الحزب الإسلامي وحده قادر على القيام بهذين الهدفين وتحقيق هاتين الأمنيتين؟ فيقول لي: أظن أننا قادرون بإذن الله -كحزب إسلامي وهو التنظيم الذي يرأسه حكمتيار- على تحقيق هذين الأمرين.

---

* نشر في مجلة الجهاد - العدد التاسع والخمسون - صفر ١٤١٠هـ الموافق سبتمبر ١٩٨٩م.

فكنت أقول له: لعلك بحاجة إلى ألا تغض طرفك عن التنظيم القوي الآخر الذي يشاطرك هاتين القضيتين وهو الجمعية الإسلامية.

ولقد كنت حريصاً وأنا بجانب المهندس حكمتيار أن أقر في قلبه أن ليس بإمكان الحزب وحده أن يضطلع بمسؤولية فتح الثغور المهمة التي ذكرها آنفاً، وليس بمقدوره أن يحمل على كاهله إغلاق الطريق وفتح مطار بجرام.

وبناءً عليه فكنت أريد أن أقرب إلى ذهنه الحكم الشرعي بالنسبة للقائه مع أحمد شاه مسعود (القائد العام لتنظيم شورای نظار الذي يتضمن عشر ولايات شمال كابل والذي يشكل جزءاً مهماً من الجمعية الإسلامية التي يرأسها الأستاذ برهان الدين رباني). لقد كنت أقول لحكمت يار ونحن على مشارف بروان: إن لقاءك مع مسعود الآن فرض شرعي ولئن عدت إلى بيشاور دون اللقاء به فانت آثم. فقال لي : آثم؟ قلت: نعم آثم شرعاً لأنك تفوت فرصة تقرب الإطاحة بالنظام الشيوعي أو تثل عرشه وتزلزل كيانه. ووافق حكمتيار ورحّب باللقاء.

موقف حكومة كابل المتهافت :

ووصلنا بروان وكلنا آمال أن يلتقي حكمتيار بأحمد شاه مسعود وينسقا من أجل اجتثاث الحكم الشيوعي المتهاوي من جذوره، ولك أن تتصور ضعف الدولة من خلال لقاء نجيب مع مجموعة من المزارعين، لقد سمعت نجيباً من خلال المذياع يتكلم مع مجموعة من المزارعين الذين جاءوا يتذمرون من إغلاق طريق بروان - كابل والتي تشكل للفلاحين عصب الحياة، لأنهم يريدون أن يوصلوا ثمارهم التي طابت وحان قطافها إلى كابل، لأن هذا هو موسمهم السنوي كي يبيعوا جني بساتينهم من سائر الثمار في أسواق كابل، ومن أثمان هذه الثمار يعيشون بقية سنتهم.

قال نجيب : أنا لم أغلق الطريق، قولوا للمجاهدين أن يفتحوا الطريق لكم ولنا. وكنت أسمع لغته الرقيقة التي يتوسل بها لدى هؤلاء المزارعين أن يكونوا واسطته لدى المجاهدين، فكان يردد أسماء القادة (سيّاف صاحب -سياف المحترم- المهندس قلب الدين ...الخ). ولقد جاءنا الأخ الدكتور حمزة أمس الموافق ١٩/٨/٨٩م برسالة موجهة من نجيب إلى حاج شير علم - قائد الاتحاد في مديرية بغمان - ليوقف القصف على كابل، وكانت هذه الرسالة إحدى رسائل ثلاثة وصلت إلى الحاج شير علم في هذا الشهر من نجيب.

كان هذا قبل ثلاث ليال في "رخا" (مركز بنشير)، فأقول في نفسي ليت صحف (الوطن) و(الأنباء) و(السياسة) تسمع لغة نجيب فتستعملها مع المجاهدين، لأن لغة أهل الشّمال البترولي (اليسار المتورم بالديزل) أشد فظاظة وأكثر غلظة على الجهاد والمجاهدين من نجيب نفسه، لأنه يتكلم بمنطق الضعيف المهزوم، وأما أهل الشّمال البترولي فإنهم يشعرون بقوة لأن بطونهم منفوخة بالكاز والمازوت.

وكان نجيب يشكو إلى المزارعين وجود العرب في "شكردرا" و"كوهستان" و"جلال آباد" و"ميدان"، ويعيد مرة بعد مرة حول وجود العرب قائلاً: أي مبرر لوجود هؤلاء بعد خروج الروس؟ فالقضية خلاف داخلي بين الأفغان أنفسهم، وبإمكانهم أن يحلوا قضيتهم فيما بينهم، ثم يضيف نجيب لقد أعطي هؤلاء العرب فرصة نشر الوهابية في مساجد المناطق التي يحلون فيها.

أرأيت ضعف حكومة كابل الشيوعية؟ فماذا على المجاهدين سوى التنسيق والتعاون، بعد التوكل على الله تعالى؟

قذيفة حمقاء تبدد آمال العقلاء :

في هذه الأيام التي كنا نتذوق فيها معسول الأماني ونتطلع فيها إلى تحقيق الآمال، وقفت أنا وحكمتيار تحت ظلال الأشجار الوارفة وعبد الله أنس لنرسله إلى الشمال ليبلغ القائد (أحمد شاه مسعود) بقدومنا حتى يأتي إلى بنشير لنرتب اللقاء السار مع حكمتيار.

قال لي حكمتيار: لقد أذاعت الـ (B.B.C.) نبأ كمين أعده سيد جمال آغا وليد لقادة مسعود أثناء عودتهم من اجتماع (شورای نظار)، ولقد قالت الإذاعة: إنه قد قتل ثلاثون منهم أربعة كبار وذكر أن (قاضي إسلام الدين ود حسين) من بين القتلى.

وقد نظرت إلى وجه حكمتيار وقد امتقع بالسواد تأثراً للحادث المروع الأليم الذي اقتُرف، وكتب حكمتيار استنكاراً شديداً لهذا

الحادث المزلزل، وأرسله إلى مكتبه في بيشاور ليقوم بتبليغه إلى الإذاعات والصحف.

كنت قد اتفقت مع حكمتيار أن لا يغادر بروان ولو امتد الأمر طويلاً حتى يتم اللقاء، ولدى تلقيه النبأ الفاجع قرر مغادرة أفغانستان ونصحته شخصياً أن يغادر لأن الخرق قد اتسع على الراقع وقد يطول بنا الأمر.

ثم قال لي حكمتيار: نحن مستعدون أن نقدم سيد جمال للمحكمة الشرعية تحكم فيه حسب الشريعة الإسلامية، وقلت له: لا بُد لي الآن أن أقابل مسعوداً.

نحو بنشير:

وعندها أزمعت السير إلى مسعود وأخذت معي أبا الحارث وأبا هاجر وعبد الله أنس وتوجهنا إلى مقر الجمعية في "جلبهار"، فاستقبلنا (بسم الله) مساعد (عظيمي) مسؤول ولايتي كابيسا وبروان لدى الجمعية، وأعد لنا سيارة وخرج معنا نحو بنشير، وفي "رخا" غربت الشمس فقررنا أن نطوي ليلتنا هذه في بيت (بسم الله)، وفي اليوم التالي توجهنا إلى "بازارك" المقر الرسمي لمسعود فوجدنا الدكتور عبد الرحمن نائبه.

لقد رأيت د.عبد الرحمن يغلي كالمرجل، ويكاد يتفجر ألماً من الحادث المروع، وبدأ يعدد أسماء القادة الذين استشهدوا (ملا ردود، سر معلم طارق، د.حسين، قاضي إسلام الدين، مولوي عزة الله).

قادة أعرف وزنهم ومكانتهم من أقوامهم، ودورهم في تحرير مناطقهم، وقد التقيت بهم جميعاً، وبعضهم لي به صلة متينة خاصة سر معلم طارق الذي يعرف له رفعة مقامه وعلو كعبه في منطقته، عدا دوره الكبير في الإصلاح إذ كان يعتبر حجر الزاوية في إصلاح ذات البين كلما ادلهمت الخطوب وتكالبت النوائب.

خلاصة الحادث:

قال الدكتور عبد الرحمن : لقد أعد الأمير -مسعود- دورتين للقادة، دورة في بنشيرلقادة شمالي (بروان وكابيسا) لمدة أسبوع ليشرح لهم الخطة المقبلة لمواجهة الدولة وتحديد المراكز التي يجب ضربها، ثم افتتح دورة أخرى في فرخار بولاية تخار ثم حدد بدء العمليات الجماعية على الدولة في يوم الجمعة ١٨ ذو الحجة سنة ١٤٠٩هـ الموافق ٢١ يوليو ١٩٨٩م، وأثناء عودة القادة من الدورة في السادس من ذي الحجة ١٤٠٩هـ وفي "تنكي" (مضيق فرخار) وقع هذا الحادث الأليم المفزع، فتعطل البرنامج وتأخر التنفيذ.

لازال في الأمر متسع:

وإن شاء الله تكون النفوس كبيرة على مستوى الأحداث الكبار، ولقد تجرع المجاهدون آلاماً أشد وتحملوا طعنات أعمق من هذا الحادث وتجاوزوه، والحق أن المصائب التي صبت على رؤوسهم من الصعب على النفوس العادية أن تحتملها، وكأن أحدهم يردد قائلاً :

سبحان خالق نفسي كيف لذتها	*فيما النفوس تراه غاية الألم*
الدهر يعجب من حملي نوائبه	*وصبر جسمي على أحداثه الحطم*

من وادي خاواك:

وإني لأكتب مقالي هذا من وادي "خاواك" وقد حجزنا تساقط الثلج ونزول المطر عن مواصلة رحلتنا، وإني إذ أرى نهر خاواك الهادر مسرعاً ليصب في نهر بنشير أمامي، وحولي مجموعة من المجاهدين، وأمامي كانون النار ونحن في تموز ٢٥ (يوليو)، وأعجب كيف يعيش هؤلاء المجاهدون في الشتاء، وكيف صبروا عبر هذه السنين العجاف الرهيبة وليس في الوادي إنس ولا وحش، ولعل الجان يهرب إذا رأى هؤلاء المجاهدين.

الأجهزة الغربية والإعلام المعادي:

ولقد كانت هذه الحادثة الأليمة مادة دسمة ووتراً حساساً عزف عليه الإعلام الغربي، وخنجراً مسموماً يطعنون به وحدة المجاهدين، ويشككون في إمكانية قدرتهم على الإطاحة بالنظام الشيوعي، وضعف طاقتهم عن الوصول إلى الحكم في كابل فضلاً عن قدرتهم على تأسيس حكم إسلامي قائم على قواعد متينة.

مقابلتي مع مسعود:

وأخيراً وصلت إلى (مسعود) في ورسج/ فرخار فوجدته يكاد يقضي أسى ويعتصر ألماً. وصلت إليه بعد أسبوع كامل من تسلق جبال تكسو قممها الثلوج، وقد تساقطت الثلوج علينا في الطريق فأوينا يومين في خضم أحد الجبال حتى تكشفت السحب ثم واصلنا المسير.

بدأت الكلام مع مسعود عن الموقف الدولي والإسلامي والمحلي تجاه الجهاد الإسلامي في أفغانستان، وأن المعنويات في العالم الإسلامي لابد من رفعها بعمليات عسكرية ضخمة سريعة، وأنه لا بد من أن ننسى جراحاتنا العميقة إزاء هذا الطاغوت الذي يجثم على صدور المسلمين في أرض كابل، فقال: أقسم بالله أنني ما رضيت لحظة واحدة عن الخلافات بين الحزب والجمعية، وسيسألني الله يوم القيامة عن هذا فأجيبه أنني ما أعطيت يوماً من الأيام ذخيرة للجمعية وقلت للقائد أن يستعملها ضد الحزب.

ثم قال: وأنا حريص كل الحرص على الصلح مع الحزب الإسلامي، والله يعلم هذا وأقول لك جملة واحدة: لست مؤيداً لهذا الخلاف خوفاً من الله ورهباً من الحساب، ثم حياءً من الناس.

وإنني استحيي من الله ثم من الناس أن أقول : عندي كذا ألف مسلح ونجيب حي متربع على الكرسي. وإن خطتي لهذا العام قطع طريق (سالنج - كابل) وافتتاح بعض المدن، وأعدك بإذن الله أن أشعلها بعد قليل من "حيرتان" على نهر جيحون حتى "كابل".

وقال لي : أعدك -بإذن الله- أن لا تتخطى المشكلة مكانها وموقعها، ولن تتعدى المشكلة سيد جمال.

وأنا حريص أن ألتقي مع حكمتيار في أي مكان في أفغانستان، وقد وكلتك بهذا منذ العام الماضي ولا زلت على موقفي، فتفاهم مع حكمتيار على ما تريد وأنا أقبل بما تصلون إليه.

ومما اتفقنا عليه أنه لا يجوز شرعاً ولا عقلاً أن يُقتل قائد في تخار فيقتل مقابله قائد من "جلبهار".

الراحة النفسية:

ورغم الطعنة النجلاء التي وجهت إلى صميم الفؤاد وفي هذه المرحلة العصيبة إلا أنني عدت مرتاح النفس هادئ البال مطمئن الضمير من داخل أفغانستان، فالوضع أفضل بكثير من بيشاور ومن الصورة الشوهاء التي ارتسمت في أذهان الناس في هذه الآونة عن الجهاد والاستعدادات لمواجهة نجيب كبيرة.

عقبات الطريق:

والعقبات في طريق هذا الدين والمشاكل التي تنشأ داخل الصف المسلم من بعض أدعيائه أو من أعدائه كثيرة ولا تزيد المشاكل النفوس إلا صفاء وجلاء ونقاءً.

حادثتا بئر الرجيع وبئر معونة:

وإن حادثة بئر الرجيع في صفر سنة ٤ هـ بغدر (عضل) و(القارة) بعشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم -كما في رواية البخاري- على رأسهم عاصم بن أبي الأقلح وزيد بن الدثنة وخبيب بن عدي.

ثم حادثة بئر معونة في صفر سنة ٤هـ التي غدرت فيها (رعل وذكوان وعصية) بسبعين من خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدعاة القراء، كل هذه الحوادث لم تفت في عضد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم توهن من عزيمته، بل استمر في مضائه وسنائه وعزمه وتصميمه ومضيه على طريق هذا الدين اللاحب. «**ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين**» الآية (٣٤) الأنعام.

بشائر على طريق العودة إلى باكستان:

قبل أربعة أيام وقرب مديرية (زيباك) المسيطرة على طريق طوب خانة جاءتنا بشائر النصر بفتح نجم الدين لها -أحد قادة مسعود- مع غنائم كثيرة، وانتقل لفتح مديرية (اشكاشم)، ونرجو الله أن يفرح قلوب المسلمين بفتح مدن أخرى على الطريق -إن شاء الله-.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

مسيرة شعب*

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، وبعد .

فقد غطت حادثة تخار وما تبعها على أخبار الانتصارات الجهادية، وقد اتخذ بعض القوم من هذه الأحداث مادة دسمة ومعيناً ثراً لقلمه وكلامه للتنديد بأنداده الذين يحسدهم أو ينافسهم في هذا الميدان، ولقد تابعت الحدث بنفسي فوجدت أن كثيراً من المؤتمرات الصحفية، والتصريحات الإعلامية التي عقدتها اللجان السياسية أو الإعلامية في الأحزاب شابها كثير من التهويل، واعتراها التضخيم والتفخيم، وغطت على بعض المواقف المشرقة سحب الإظلام والتعتيم. فقد بلغت مسامعي - في بعض الأحداث - تصريحات بقتل المئات، والحقيقة أنه لم يقع عشر ما قيل من الخسائر ولا نصف العشر، وقيل قتل ثلاثون قائداً في حين ذكر أنه لم يقتل سوى خمسة من القادة وستة من المجاهدين، وهكذا.. فقلت للأطراف أنتم تخربون بيوتكم بأيديكم، وتهدمون بمعاولكم جهادكم. وخلاصة ما أريد أن أقوله: إن الأحداث في واقعها أقل بكثير من الصورة المشوهة التي ضخمها الإعلام أو رسمتها أيدي اللجان.

ولقد أثرت هذه التصريحات على نفوس المسلمين في العالم أجمع، مما أدى إلى انقباض صدورهم وقبض أيديهم عن البذل، وحسبك في هذا الباب مثال واحد أن أحد المحسنين سأل عن المواد الغذائية التي تلزم معركة كابل في هذا الصيف فقيل له ستة آلاف طن يقدر ثمنها بمليون دولار تقريباً، فتبرع بها وبدأت القوافل التي تحمل المواد الغذائية تتوارد إلى الجبهات حول كابل، ولدى تلقي هذا المحسن لخبر "تخار" دفع ثمن المواد التموينية التي اشتريت بأربعمائة ألف دولار واعتذر عن الايفاء ببقية المبلغ.

أملنا بالنسبة لكابل :

وكان همنا الكبير أن نخزن المواد الغذائية في الجبهات التي تحيط بكابل استعداداً للشتاء الذي تنقطع أثناءه الطرق وتسد المنافذ على المجاهدين، وشغل المجاهدين الشاغل في هذا الصيف الاستماتة للوصول إلى ضواحي كابل حتى يتسنى لهم مواصلة المعركة في أحيائها الخارجية أثناء الشتاء تمهيداً للربيع القادم -إن شاء الله-، والمجاهدون الآن يصلون كابل بوابل نيرانهم، فكل المواقع العسكرية في مدى قذائفهم حتى المطار، ولقد استقبل الوفد الروسي الذي يصاحب وزير الخارجية في كابل وفي فندق الانتركونتيننتال بحمم صواريخ المجاهدين التي أصابت الوفد إصابة مباشرة، ولثلاثة أيام متتالية أصيبت الأهداف العسكرية والحيوية والحساسة في كابل إصابات مباشرة، مما جعل نجيباً يخرج وعلى شاشة التلفاز يصيح (هل يجوز أيها الناس استقبال الضيوف بهذه الطريقة؟).

ولقد كانت الإصابات المباشرة للمواقع دافعاً لتفكير نظام كابل أن هذا التسديد والتصويب لا يمكن إلا أن يكون من ضباط مختصين بهذا الفن، فجأر مشتكياً إلى الأمم المتحدة أن الضباط الباكستانيين هم الذين يوجهون هذه القذائف **(والله يشهد إن المنافقين لكاذبون)**.

حل الألغاز:

ويذهل بعض الناس من المسلمين كيف تحصل أمثال هذه الأحداث بين المجاهدين في سبيل الله؟ وكيف يجرؤ مسلم أن يسفك دم أخيه المجاهد وأمامه الطاغوت الكبير نجيب يتربص به وبإخوانه الدوائر.

ويزول العجب إذا رجعت إلى (البداية والنهاية لابن كثير) أو إلى تاريخ الطبري وتتبعت الفتن التي ابتدأت بالفتنة الكبرى التي أودت بذي النورين عثمان رضي الله عنه في الشهر الحرام في المدينة النبوية الحرام وما تبعها من معركة الجمل بين علي رضي الله عنه من جهة وبين عائشة وطلحة والزبير من جهة أخرى وهؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم من العشرة المبشرين بالجنة، وكذلك معركة صفين بين علي ومعاوية، ولإنهاء الإشكال الذي يدور في مخيلتك حول هذه الأحداث لابد لك أن ترجع إلى كتاب (العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي) لترى كيف كان كل واحد من الصحابة متأولاً، وأن علياً التقى بالزبير وطلحة وانصرفا من المعركة قبل أن يحدث الاشتباك، ولكن المفسدين هم الذين أشعلوا المعركة ليلاً فظن كل من الفريقين أن الطرف الآخر قد نكث عهده..

ومنا وجب الأخذ بالتوجيه الرباني : «وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم

* نشر في مجلة الجهاد - العدد الستون - ربيع الأول ١٤١٠هـ - اكتوبر ١٩٨٩م.

لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾ (النساء٨٣).

ولذا فالأخبار التي تشوه الجهاد الأفغاني وشخصياته لابد أن يرجع الأمر فيها إلى المطلعين ممن يعيشون أرض المعركة ويدركون أبعاد الأحداث.

مفاتيح حل الطلاسم والمعميات في الخلافات عند الشعب الأفغاني:

وإنني أرى أن وقع الأحداث على قلوب الذين يواكبون مسيرة الجهاد في داخل أفغانستان أخف بكثير من وقعه على قلوب الذين يسمعون من بعيد، وذلك لأن الذين يحيون مع هذا الجهاد يعلمون أبعاد كل مشكلة وجذورها التاريخية، ولعلك لو تتبعت بعض المشاكل وجدت بعد عناء كبير في البحث أن السبب قد يكون ماعزاً أو بقرة، وستجد في مشكلة أخرى أن الدافع لسفك الدم هو ثأر قديم انتقاماً لوالده الذي قتل بيد هذه القبيلة قبل أربعين سنة أو أكثر..وستجد مشكلة ثالثة سببها الخلاف بين أبناء عمومة على زواج فتاة، وتجد مشكلة رابعة وراءها قاطع طريق وقف في وجه الروس وأبدى بطولة فائقة في تحطيم دباباتها واغتنام ذخائرها وناقلاتها، وبعد خروج الروس عاد قاطع الطريق مع عصبة من الأشرار حوله يقطعون الطريق على المسلمين المجاهدين.

وتجد كثيراً من المشاكل وراءها مخابرات الدولة وعملاؤها الذين يبيعون الدنيا والآخرة بريال واحد، وهكذا دواليك ، فلا تعجب يا صاحِ من قضايا وحوادث تجري فوق أرض معظم أهلها تقريباً مسلحون، ولعلك ستشده (تستغرب) إذا علمت أن رواتب المالیشیا الحكومية في "كران" و"منجان" ريال واحد شهرياً !

ولجلاء الشك وتوضيح الصورة لا بد لك أن تعلم أن الشعب الأفغاني بطبيعته وأغلبيته شعب صلب المراس، قوي الشكيمة، حاد الطبع، يرفض الذل ويأبى الخنوع، وهو إلى جانب إبائه ورجولته وصلابته وكرمه ووفائه وصفاء فطرته وحيائه يجمع معها صفات أخرى كحب الثأر والانتقام والأنفة والفخر والتعصب إلى ما يعتقده حقاً، وهذه الصفات جعلته يتعصب لمذهبه الحنفي، ولعل هذا من العوامل التي حمته من الفكر الشيعي، فلقد وقف التعصب المذهبي حاجزاً كبيراً أمام المد الشيعي الإيراني، ولذا فقد عجزت المؤسسات الغربية أن تدخل أفكارها مع أموالها؛ فقد صرح مسؤول الإغاثة في الأمم المتحدة : بأن الشعب الأفغاني هو الشعب الذي أعيانا أن نتعامل معه، وعجزت المؤسسات التعليمية أن تفرض عليه آراءً لا يقبلها، بل هو الذي فرض عليها ما تعمله.

فذلكة تاريخية :

فتح أفغانستان وطبيعة الشعب الأفغاني هذه عانى منها الصحابة رضوان الله عليهم كثيراً حتى أدخلوا الإسلام إليه، فلم يتقبل الأفغان الإسلام بسهولة، بل بقي الصحابة والتابعون وتابعو التابعين (القرون الثلاثة الخيرة) يخوضون معهم المعارك تلو المعارك وهم بين كرٍّ وفرٍّ، ينتصرون ويهزمون، ويتقدمون ثم يتقهقرون، والأفغان يأبون أن يقبلوا هذا الدين الجديد عليهم، وصعب عليهم أن يتركوا المجوسية التي وجدوا عليها آباءهم فهم على آثارهم يهرعون.

وأقدم إليك بعض اللقطات التاريخية كنموذج لهذه الطبيعة فأقول:

أقام عمر في العراق إمارتين: إمارة البصرة وكانت تتولى مغازي فارس وخراسان (شمال أفغانستان وبلاد تركمانستان الآن في روسيا وشرق إيران)، وإمارة الكوفة وكانت تتولى مغازي الري (قرب طهران) وأذربيجان.

وسار عبد الرحمن بن سمرة إلى كابل في أيام عمر رضي الله عنه بعد نهاوند (فتح الفتوح سنة ٢١هـ)، وبقي الصحابة والتابعون على أهبة الاستعداد خائفين أن يتخطفهم أهالي البلاد، ولذا ظلوا يقصرون صلاتهم.

قال الحسن البصري (أقمت مع عبد الرحمن بن سمرة بكابل سنتين يقصر ولا يجمع).

وسار الأحنف بن قيس وافتتح "هرات" عنوة، وسار نحو "مرو شاه جيهان" عن طريق نهر هرات فافتتحها، ثم سار نحو مرو الروز(شمال أفغانستان) مع وادي "مورغاب" ليلاحق كسرى يزدجرد حيث فرّ إليها، ووصلت الإمدادات من الكوفة إلى الأحنف بن قيس، وسار المد نحو "بلخ" حيث انتقل يزدجرد إليها، واستطاع أهل الكوفة دخول "بلخ"، وفرّ يزدجرد إلى ما وراء نهر جيحون (بخارى وسمرقند). ثم استعان يزدجرد بملوك التتار في بلاد ما وراء النهر، فرجع إلى "بلخ" واستعادها، وفرّ المسلمون الذين فيها إلى

مرو الروز حيث يقيم الأحنف بن قيس فلحقهم إلا أنه لم يستطع دخولها، فقفل التتار راجعين إلى "بلخ"، بينما سار يزدجرد إلى "مرو شاه جيهان" (عاصمة تركمانستان الآن في جنوب روسيا) فحاصرها وبها حارثة بن النعمان عاملاً عليها من قبل الأحنف، فاستخرج يزدجرد منها كنوزه وانطلق نحو بلخ حيث ينتظره بها ملوك التتار.

ثم نقضت "مرو الروز" عهدها وصالت على المسلمين في أوائل عهد عثمان رضي الله عنه، فعاد الأحنف وفتحها، وأرسل الأحنف الأقرع بن حابس إلى "جوزجان" ففتحها بعد قتال شديد استشهد فيها خلق كثيرون ومات عدد كبير (انظر خراسان وتركستان للاستاذ محمود شاكر).

أجيال القمم السامقة :

وإني وقد عرفت طبيعة الشعب الأفغاني ووعورة مسالك نفسياته، وصعوبة تسلق قمم جباله، لأقف مشدوهاً بإجلال أمام الأجيال الأولى التي فتحت هذه البلاد وثبتت ثبات الرواسي التي تشكل غالبية ساحة أفغانستان.

إن مواجهة الأجيال الأولى لأهل أفغانستان كانت جدّ شاقة، خاصة وأن القوم لا يدعون فرصة ينقضون فيها على الغزاة الجدد إلا واغتنموها، ومن طالع حياة التابعي (صلة بن أشيم) وغزواته حول كابل، والأسود والسباع التي كانت تفترس الفاتحين ليدرك أعماق ما أقول.

ونكثت أفغانستان عهدها في زمن معاوية رضي الله عنه فسيّر إليها سعيد بن عثمان بن عفان ومعه مالك بن الريب الذي استشهد على أبواب مرو، وقال قصيدته اليائية التي تعتبر من أروع ما قيل في شعر الرثاء في الأدب العربي ومنها:

لعمري لئن غالت خراسان هامتي	*لقد كنت عن بابي خراسان نائيا*
تفقدت من يبكي عليّ فلم أجـــد	*سوى السيف والرمح الرديني باكيا*
وطوراً تراني في رحى مستديرة	*تخرّق أطراف الرماح ثيابيــــا*
صريع على أيدي الرجال بقفــرة	*يسوون لحدي حيث حمّ قضائيــا*

وفي زمن عبد الملك بن مروان نقض أهل كابل عهدهم فسيّر إليهم عبد الرحمن بن محمد سنة ٨١ هـ .

وهكذا دواليك، فالحرب دائرة ورحاها تطحن البشر، وما استقر الأمر للإسلام في أفغانستان وخراسان وبلاد الصغد (سمرقند) والشاش (طشقند) إلا حوالي سنة ٩٤ هـ.

شعب يحمل السلاح:

وعندما يمتشق الشعب سلاحه ويهب في وجه أعدائه لابد لك أن تتوقع كذلك أن يستعمل هذا السلاح من قبل بعض الفساق والفجار في وجه النساء والصغار لتنفيذ مآربهم وإرواء شهواتهم وابتزاز الأموال من الضعفاء.

أمّا أن نعيش في أحلام وردية وأبراج عاجية، ونحلق في أمانٍ عسلية، فنتمنى وجود شعب ملائكي نزع من صدورهم الغل والحسد والتنافس والهوى وحب الدنيا والرئاسة وشهوة السلطة والمال، ونتمنى انسحاب هذه الصفات على كل فرد في المجتمع، فهذا أمر لن يكون في الأرض في يوم من الأيام، (ولو أمكن وقوعه لوجدناه في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يحصل هذا).

تجربتي في فلسطين:

ولقد عشنا فترة من الجهاد واكبنا فيها مسيرة الثورة الفلسطينية، ولقد كنت أرى معظم المجتمع في الأردن غير آمن على عرض ولا مال ولا دم من بعض فصائل الثورة.

ولقد كانت تجاور معسكر التدريب - الذي يضم أبناء الحركة الإسلامية - قاعدة للجبهة الديمقراطية -نايف حواتمة- فكنا نخشى أن يأخذونا على حين غرة غدراً أكثر من اليهود، فكانت حراستنا من جهتهم مشددة جداً، وقد كانوا يعلقون صور لينين -فارس دولة الإلحاد في الأرض- على أبواب الصالحين فلا ينبسون ببنت شفة.

تجربة الحركة الإسلامية:

ولقد اعتنى الأستاذ البنا بتكوين جهاز عسكري لمواجهة اليهود وأعداء الحركة، واغتيل سيد فايز أحد أعضاء الجهاز السري

المرموقين. وأشارت أصابع الاتهام إلى بعض أفراده، ثم أسندت رئاسة الجهاز أخيراً إلى عبد الرحمن السندي الذي بلغ به الغرور حداً أن يغضب على موقف اتخذه الأستاذ الهضيبي المرشد العام. فانطلق السندي وحاصر المركز العام مدفوعاً من عبد الناصر ليعتقل الهضيبي، فإذا جرى هذا في إطار جهاز صغير لجماعة إسلامية تعنى كثيراً بالتربية الروحية والبناء النفسي، وتجهد في توثيق الصلة كثيراً بين الفرد وخالقه، فما بالك بشعب أمي قبلي يحمل كله السلاح كأفغانستان؟

ومكلف الأيام ضد طباعها كمكلف الأبحار شعلة نار

ولقد جرت مشاكل في الجهاز السري للإخوان مما اضطر الهضيبي لحل الجهاز.

المبشرات :

مما لا ريب فيه أن معنويات المسلمين تجاه الجهاد الأفغاني قد اهتزت وتأثرت لأسباب كثيرة على رأسها جمود الفتح في جلال آباد، ومرور سنة ١٩٨٩م دون فتح مدن كبيرة، وبروز بعض الخلافات في الداخل والخارج، وتعثر الأمل في فتح قندهار، ومع هذا كله فالأمل بالله عظيم. والكفة راجحة لصالح المجاهدين لأسباب :

١- إن المجاهدين قد قدموا هذا العام تضحيات باهظة، ودفعوا خسائر ضخمة لمحاولة فتح جلال آباد وقندهار، مما أكسبهم مراساً وخبرة ودربة ودراية في فتح المدن، وقد اقتنعوا من أعماقهم أن الفتح لا بد له من جبهة موحدة وقيادة واحدة بعد انتقالهم من الدفاع الاستراتيجي إلى الهجوم الاستراتيجي.

٢- إن الدولة قد فقدت هذا العام معظم طرقها البرية، وشلّت أغلبية مطاراتها، فقد استطاع المجاهدون أن يغلقوا ممر سالنج منذ منتصف شهر أغسطس، ولا تستطيع الطائرات أن تطير على مدرج مطار قندهار، إذ أن خنادق المجاهدين لا تبعد أكثر من مائتي متر عن المطار، ويغلق مطار بجرام وكابل بين الحين والآخر والمطاران في متناول قصف المجاهدين.

٣- إن الدولة قد فقدت عمقها الاستراتيجي فانزوت داخل كابل وفي بعض أرجاء المدن الكبرى، وإن أي مكان في الدولة إنما هو في متناول قذائف المجاهدين وتحت نيرانهم.

٤- معنويات المجاهدين لا زالت مرتفعة، بينما تدرك من خلال النبرة التي يتكلم بها نجيب الضعف والانهيار الذي تعانيه الدولة، بالإضافة إلى الانشقاقات المتوالية والتمزقات الداخلية للصراعات التي يعاني منها الحزب الشيوعي الحاكم بين شقيه (برشم وخلق).

٥- الطمأنينة النفسية التي يعود بها الرجل الواعي الذي يدخل أفغانستان وهو يرى الإعداد الدائب والاستعداد المتواصل للمعارك الفاصلة القادمة، ونحن نتوقع بإذن الله انتصارات طيبة لصالح المجاهدين في الشهرين القادمين قبل سقوط الثلج.

٦- إن الشغل الشاغل للقادة الكبار الذين يقودون هذا الجهاد هو التفكير بالإطاحة بهذا النظام المتهاوي واجتثاثه من الجذور.

٧- إن راية الجهاد لا زالت واضحة ناصعة، إسلامية، وكذلك فالقادة في غالبيتهم ناضجون مؤتمنون على دين الله، وهدفهم من الجهاد أن تكون كلمة الله هي العليا وإقامة المجتمع الإسلامي وتطبيق شريعة الله في الحياة.

ونحن نهيب بالمسلمين أن يسألوا أهل القضية وأبناء مسيرة المعاناة والآلام، فإننا كشهود حاضرين ولهذه المسيرة مواكبين لا زلنا مطمئنين واثقين -بإذن الله- أن النصر للمجاهدين «والعاقبة للمتقين»، «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين» (الآية ٦٩ العنكبوت).

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

حسبنا الله ونعم الوكيل *

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد :

فمنذ أن شعر الاتحاد السوفياتي أنه لا قبل له بمواجهة جند الله فوق أرض أفغانستان، ومنذ أن أحست أمريكا والغرب من ورائها أن روسيا مهزومة لا محالة، إذ لا مجال لها بمناطحة جبال أفغانستان ومنازلة أبطالها، أقول منذ أن أيقنت الدول الغربية أن آبار البترول العربية لم تعد في خطر بعد أن وقف السد المنيع من جماجم الشهداء الأفغان دون تخطي الدب الأحمر لحدود قندهار، وقد كان من قبل متشوقاً لإرواء غليله من آبار النفط التي يتطلع إليها من بعيد وهو يرى الطريق من خلال منطقة بلوشستان الباكستانية ممهدة له، كيف لا؟ وقد بذل جهوداً مضنية حتى استطاع أن يضع بيوضه في مستنقعات قبائل البكتي والمري ومنجل في بلوشستان ففرخت الأفراخ ونمت عبر السنين، مما جعلها تطالب جهاراً نهاراً وبالعناوين البارزة في الصحف الباكستانية بضرورة فتح الطريق أمام الجراد الروسي الذي يأكل الأخضر واليابس حتى يصل الخليج العربي والمياه الدافئة على بحر العرب.

أقول : بعد أن اطمأن الغرب تحت زعامة العم سام أن مصالحه في أواسط آسيا وغربها لم تعد مهددة بدأ يبحث عن البديل لهذا الدب الذي أثخن بالجراح.

وبدأ لحن البطولة الأفغانية الذي عزف عليه الغرب سنين عدداً يخفت تدريجياً ويحل محله لحن جديد وهو إبراز بطل (البيروسترويكا) بأنه رجل سنة ١٩٨٩، إذ تعرضه "التايم" الأمريكية على غلافها مشيدة ببطل السلام -غورباتشوف-، وأما وتر التدمير والإبادة والتشويه والمعوقين الذي استعملته أمريكا قميصاً رابحاً تتاجر به في المحافل الدولية لتحطيم سمعة روسيا فقد اختفى هذا الوتر، واتجه الإعلام الغربي إلى إبراز حاكم الكرملين بصورة مشرقة بعد أن عطرت اليد الغارقة بنجيع الأطفال ودماء النساء بالعطر الذي يعبق شذاه في الأنوف.

دور الإعلام في طمس جهاد الأعلام:

أما الجهاد الأفغاني فقد أضحى في عرف اليهودية العالمية حرباً أهلية وصراعات قبلية، هذه الصحف التي تدوخ البشرية بأجهزة إعلامها وصحفها الدورية التي تصدر بالملايين لغسل أدمغة البشرية، وليست يد اليهودية العالمية بخافية على كل ذي عينين وهي تصب الفكر الذي تريده في أذهان الناس .

البروتوكولات :

جاء في البروتوكول الثاني عشر :

١- سنمتطي صهوة الصحافة ونكبح جماحها.

٢- يجب أن لا يكون لأعدائنا وسائل صحفية يعبرون فيها عن آرائهم.

٣- لن يصل طرف من خبر إلى المجتمع من غير أن يمر علينا.

٤- ستكون لنا جرائد (صحف) شتى تؤيد الطوائف المختلفة من أرستقراطية وجمهورية وثورية بل وفوضوية أيضاً.

٥- يجب أن نكون قادرين على إثارة عقل الشعب عندما نريد وتهدئته عندما نريد.

٦- يجب أن نشجع ذوي السوابق الخلقية (المفاسد الخلقية) على تولي المهام الصحفية الكبرى وخاصة في الصحف المعارضة لنا، فإذا تبين لنا ظهور أية علامة للعصيان من أي منهم سارعنا فوراً إلى الإعلان عن مخازيه الخلقية التي تستر عليها، وبذلك نقضي عليه ونجعله عبرة لغيره، والعلاقة بين الصحافة ووكالات الأنباء كالعلاقة بين البندقية والذخيرة، فالبندقية لا تفيد إذا لم تتوافر لها الذخيرة.

وفي البروتوكولات (لابد لنا من السيطرة على وكالات الأنباء التي تتركز فيها الأخبار من كل أنحاء العالم، وحينئذ سنضمن أن لا يُنشر من الأخبار إلا ما نختاره نحن ونوافق عليه).

---

* - نشر في مجلة الجهاد - العدد الحادي والستون - ربيع الثاني ١٤١٠هـ ، نوفمبر ١٩٨٩م.

اليهود يمسكون زمام الإعلام الغربي :

فمثلاً وكالة " رويتر " أسسها يهودي اسمه "جوليوس رويتر"، وكذلك وكالة " اسوشيتدبرس " يسيطر عليها اليهود ، وكذلك وكالة "اليونايتدبرس إنترناشيونال" أسسها يهود وهم "سكرايبس وهوارد وميرست" سنة ١٩٠٩ وكانت وكالتين ثم اتحدتا سنة ١٩٥٨، ووكالة (أنباء هافاس) الفرنسية أنشأها "هافاس" اليهودي.

أما الصحف : فـ"التايمز" البريطانية يملكها اليهودي "ميرودخ"، ويمتلك كذلك مجلة "الشمس "Sun" و"أنباء العالم News of the world" ، "City Magazine.

وتوزع (١٥) صحيفة بريطانية يومياً حوالي ٣٣ مليون نسخة ومنها " الديلي اكسبريس Daily Express " و" الديلي ميل Daily Mail" و"الاوبزرفر Observer"، و"الغارديان Gaurdian " .

أما في أمريكا : فهناك (١٧٥٩) صحيفة يومية يتلقفها (٦١) مليون أمريكي نصفها لليهود، ولهم عليها السيطرة الكاملة، والنصف الثاني سيطرتهم عليه أقل.

ومن القسم الأول : "نيويورك تايمز" ، "الواشنطن بوست" توزع (٦٢٠ ألف) نسخة يومياً و"الديلي نيوز ، والنيويورك بوست" وتوزع (٧٤٠ ألف) نسخة يومياً.

ومجلة "نيوزويك" الأسبوعية وتوزع ثلاثة ملايين نسخة "والتايم" وتوزع (٤.٥ مليون) نسخة أسبوعياً.

وكذلك شبكات التليفزيون الأمريكي الثلاث كلها يسيطر عليها اليهود N.B.S CBS ABC .

ومن أراد الاستقصاء في هذا الأمر فعليه بكتاب (النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية لفؤاد الرفاعي / الكويت). وقد استطردت في هذه القضية لأبين دور الإعلام الغربي الآن في غسل أدمغة البشر وفي تشويه هذا الجهاد.

المحور الذي تدور حوله أجهزة الإعلام:

ويركز الإعلام الآن على تشويه هذا الجهاد من خلال قضيتين أساسيتين :

١- أولاهما : طمس الصورة المشرقة لهذا الجهاد وإبراز الثغرات وجوانب الضعف فيه، وذلك لمحو آثاره في أعماق الأمة الإسلامية، وتحطيم عقيدة التوكل على الله التي بناها الجهاد الأفغاني عبر السنين من خلال التضحيات والبطولات .

٢- ثانيهما : قطع الصلة بين هذا الجهاد وبين قلوب الأمة المسلمة وتحجيمه من جهاد إسلامي عالمي إلى قتال قومي منحصر بين قومين الأفغان والروس، وكذلك التركيز على قضية الحرب الأهلية في داخل أفغانستان ليحرموا الجهاد من أنصاره ومن المساعدات التي ترد إليه من المحسنين، مما أوصل بعض الأثرياء المخلصين لهذا الجهاد أن يصلوا إلى حد التأثم والتحرج من البذل لهذا الجهاد، حتى لا يشاركوا في سفك دماء المسلمين.

ولقد تغيرت النظرة لهذا الجهاد من كونه فرض عين بالمال والنفس يجب على المسلمين ازاءه البذل والتضحية بالنفس والنفيس، فانقلبت الصورة تماماً في أذهان الطيبين ممن واكبوا هذا الجهاد. فبعد أن كان البذل والتحريض عليه فريضة، صار خيار المسلمين يتحرجون من التفوه بكلمة خير تجاهه والتأثم من حض الناس على البذل له.

نظرة الناس إلى الجهاد الآن :

ولقد التقيت بطبقات مختلفة من الشعوب الإسلامية خاصة العرب في رحلتي الأخيرة، فوجدت الناس كأن على رؤوسهم الطير :

قال لي خطيب مسجد مشهور في جدة : أصبحنا الآن نستحيي أن نتكلم فوق المنابر بكلمة عن الجهاد الأفغاني وأنا أعلم أن هذا الشاب لا زال ممن يعتبرون أنفسهم أحد أبناء هذا الجهاد ممن ينافحون عنه بلسانهم ويحضون الناس على بذل حشاشة نفوسهم وقلوبهم له.

والتقيت بعالم يشار إليه بالبنان ويرجع إليه جماهير الناس في فتاواهم فقال لي أنا الآن مشوش عن الجهاد الأفغاني، ولذا فإني متوقف، فشرحت له حال الجهاد وقلت له : إن الأمل بالله ثم بهذا الجهاد كبير، وحال المجاهدين -إن شاء الله- على خير، وهم يقفون على أبواب كابل، وكابل تعيش في عزلة عن أفغانستان سواء من الطرق البرية أو الجوية، فمطارها (خوجارواش) يُضرب أثناء

الليل وأطراف النهار، وطريقها إلى روسيا (سالنج) مغلق، وطريق كابل قندهار وكابل اللوكر وكابل غزني وكابل هرات وكابل جلال آباد كلها مغلقة أو شبه مغلقة. ودعك عن الضربات المتوالية ضد نظام كابل في أنحاء أفغانستان وما من يوم يمر تقريباً إلاّ ويحقق المجاهدون انتصاراً مهما كان ضئيلاً.

فقال لي فضيلة الشيخ : شرح الله صدرك كما شرحت صدري. ثم ذكرت الشيخ بموقف العلماء الذي لا يجوز المحيد عنه تجاه هذا الجهاد وهو ألا يتركوا المجاهدين على أبواب كابل جائعين عراة.

وهناك رجل من نوع ثالث : يمسك على لحيته الطويلة ثم يقول أثناء تدريسه : إن انتصر الأفغان فاحلقوا لحيتي. وبعد الدرس يأخذه أحد العقلاء الحضور جانباً ثم يقول له: الأولى بك كرجل عسكري متقاعد أن تفيد المجاهدين بخبرتك الطويلة بدل التشهير بهم في المساجد، ولا ينقضي منك العجب إذا علمت أن الشيخ إنما يقول ذلك حسبة لله وهو يحسب أنه يحسن صنعاً.

الإعلام العربي:

والصحف العربية بحجمها الصغير وعددها الضئيل لا تملك أن تتمرد على تيار سدنة الإعلام العارم، وليس لها إزاء هذا الخضم المتلاطم من الصحف اليهودية أن تسبح فيه ضد التيار، أو تجدف لتخلص إلى شاطئ الاستقرار، فالعرب ينقلون عن الصحف الكبرى ووكالاتها التي يدوي ذكرها في الأرض، فيقف الناس مشدوهين أمام هذه الصحف وتجاه وكالات الأنباء، ولا يسعهم إلا أن يرددوا ما يسمعون خاشعين واجمين قائلين : آمين .

قلت لأحد الصحفيين المسلمين : إن جريدة (Sunday times) كتبت عن العرب: أن ثمانية عشر ألف أرملة في مخيم ناصر باغ قد أصبحن محلاً لمطامع أصحاب الشهوات من العرب الذين يأتون ليتزوجوهن أياماً ثم يتركوهن ، وإذا بالصحفي المسلم يأتيني بالجريدة ويقول: إنها نقلت عن امرأة أفغانية، وكأنه يأتيني بدليل قطعي الثبوت والدلالة.

أوليس بإمكان الجريدة أن تذكر اسم امرأة أفغانية أو تأتي بامرأة وتدفع لها مبلغاً مقابل هذه التصريحات.

الانبهار والذوبان :

والصحف العربية مبهورة بالأسلوب العلمي !! الذي تتبعه الصحف الغربية ووكالات أنبائها، ولذا فهي تحاول أن تنسج على منوالها وتقتفي مراسم خطواتها وآثارها، فتجد أحدهم : يعجب بسبق صحفي مهما كانت نتيجته على الجهاد، ومهما كان ثقل وقعه على قلوبهم ومسامعهم ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر أو ذراعاً بذراع حتى لو سلكوا **جحر ضب لسلكتموه. قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟)**. [1]

ولابد أن تعلم : أن الغرب والإعلام الغربي يمكن أن يتبع الأسلوب العلمي والمنهج العقلي التجريبي في كل شيء الآن إلا ما كان بالنسبة للإسلام، فإنهم بدافع الحقد الدفين وبما يكنون من عداوة لهذا الدين فإنهم يتعامون عن الحقائق الناصعة والقضايا القاطعة ويطمسونها ويشوهونها: **«ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير»** الآية (١٠٩) البقرة .

لقد حرّف اليهود التوراة والإنجيل تبعاً لأهوائهم، وتحقيقاً لمصالحهم، أي أنهم غيروا كلام ربهم وكذبوا على ربهم، فكيف لا يكذبون على المسلمين وعلى الإسلام في صحفهم ونشراتهم؟

«فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون» الآية(٧٩) البقرة.

الإسلام أخطر من الشيوعية في نظرهم :

لقد فرح الغرب بادئ ذي بدء وهو يرى الدب الروسي يثخن بالجراح، ويمرغ بأوحال نهر كابل وهرات والهلمند وبنجشير، أما

---

(١) رواه مسلم وأحمد وهو في صحيح الجامع برقم (٥٠٦٣)

وقد خرج الروس فقد عانوا يقارنون بين الفريقين المتصارعين -المجاهدين والشيوعيين- فرأوا أن الشيوعية أقرب إليهم.

وقد كتبت صحيفة (Chicago Sun Times) في ٧٩/٢/٢٢ في مقالها الافتتاحي تحت عنوان (لا تفاهم مع الإسلام إلا بلغة الحديد والنار) فقالت (إن الشيوعية أفضل من الإسلام لأنها في الأصل فكرة غربية يمكن الالتقاء والتفاهم معها، أما الإسلام فلا التقاء ولا تفاهم معه إلا بلغة الحديد والنار).

وقد صرح نيكسون على التلفاز الأمريكي قائلاً لقد آن الأوان أن تتناسى أمريكا خلافاتها مع روسيا لتقفا معاً في وجه الزحف الإسلامي).

إن دور الإعلام الغربي الآن تجاه الجهاد :

١- تحطيم الأمل الكبير الذي بناه الجهاد الأفغاني عبر السنين في قلوب الجيل المسلم.

٢- اجتثاث عقيدة التوكل على الله من أعماق الأمة الإسلامية التي غرسها الجهاد من خلال المواقف والرجال.

٣- تشويه قادة الجهاد وحرق شخصياتهم في أنظار الأمة المسلمة لئلا يبقوا رموزاً تقلد، وأمثلة حية تحتذى، وقدوات فذة تسير بذكرها الركبان، وتشغل حديث السامر في كل حي. وإلا فكيف تفسر الهجوم المستمر على القادة الملتزمين من أبناء هذا الجهاد ممن يسمونهم بالأصوليين؟ وكيف تستوعب الحملة الشعواء على (حكمت يار) لأن لديه (مصنعاً للهروبين) يهرب صناعته إلى الغرب لتخدير جيوشه والفتك بشعوبه !!

٤- اقناع الشعوب الإسلامية أن الحرب في أفغانستان حرب أهلية بين المسلمين، ودعمه إنما يعني زيادة سفك دماء المسلمين المحرمة.

٥- إثبات فشل هذا الجهاد وضعفه أمام الحكومة الشيوعية، وأن لا مخرج من الأزمة إلا بمؤتمر دولي يتقاسم المغانم وينتهب الثمار.

٦- التركيز على الخلافات الأفغانية المتأصلة والتي يستحيل حلّها من خلال قادة الجهاد. وهم يعيدون ويبدئون ويؤكدون على : أن (رباني ومسعود) من التاجك الذين لا يمكن للبشتون طاعتهم، ولذا فإن (مسعود) ينزع إلى دولة فارسية في شمال أفغانستان !!! وأن بقية القادة من البشتون الذين لا يمكن للفرس من التاجك؛ وكذلك الأجناس الأخرى التي تعيش في الشمال خاصة الأوزبك والتركمان أن يذعنوا لها بحال، سيما وقد جربوا مرارة الظلم الذي عانوا منه خلال كل الحقبات التاريخية السابقة، والتي ليس لأفغانستان فيها حاكم سوى العرق الباتاني، وأما الشمال الفارسي التركي فهو محروم من المجد والسلطان والمال جميعاً.

ويثيرون قضايا التوزيع الجغرافي. ومشكلة الهزارة (الذين يضمون كل الشيعة تقريباً) وقضايا المذهبية!!

وهكذا دواليك، وليس لنا ازاء هذا كله إلا أن نقول كما أمرنا ربنا **«الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم»** الآيتان (١٧٣-١٧٤)آل عمران .

أحشفاً وسوء كيلة *

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد :

حول مائدة مستطيلة في مقر لجنة الدعوة بالكويت اجتمعت ثلة من الصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء والمجلات المحلية الكويتية تصب عليّ الأسئلة، وتوجه إليّ الشبهات التي جمعت حول الجهاد الأفغاني، من حرب أهلية تسفك فيها دماء المسلمين، واشتباكات بين صفوف المجاهدين أنفسهم، وتصدع كبير يعتري أسوار حكومتهم. وتجمد الوضع الجهادي حول المدن. وكان من بين الحاضرين: مراسل وكالة الأنباء الكويتية، والإذاعة، والمجتمع، والبلاغ، والوطن، والسياسة، والأنباء... وغيرها.

فأجبتهم بوضوح :

١- إن الإعلام الغربي الذي تتزعمه أمريكا وتحركه أيدي يهود يريد أن يشوه صورة الجهاد الأفغاني، ويلوث سمعته، ويحرق

* نشرت في مجلة الجهاد العدد (٦٢) جمادى الأولى ١٤١٠هـ - ديسمبر ١٩٨٩. وهي آخر افتتاحية كتبها الشيخ رحمه الله.

قادته لأغراض ثلاثة :

- مسح آثاره من نفوس المسلمين في الأرض حتى لا يعود نموذجاً يحتذى وأسوة تقتدى

- عزل الجهاد الأفغاني عن العالم وتحجيمه وإعادته قضية محلية قومية بعد أن أفلت من أيديهم وأصبح قضية إسلامية عالمية

- إقامة الحاجز النفسي بين الجهاد وبين قلوب المسلمين حتى تكف أيديهم عن البذل تمهيداً لخنق الجهاد، وحتى لا يقيموا النكير فيما إذا حاول الغرب والشرق ابتلاع هذا الجهاد من خلال المؤتمرات الدولية.

٢- لقد قدمت لهم أرقاماً تثبت أن الروس لم ينسحبوا بل هزموا شر هزيمة رأوها في تاريخ الثورة البلشفية، فقد لقنهم المجاهدون الأفغان دروساً أنستهم المرارة التي تجرعوها بهزائمهم أمام الشيخ شامل، وغطت على الضعف والخسائر التي تكبدوها أمامه في قفقاسيا والتي علق عليها الجنرال بافلوف قائلاً: (لقد خسرنا في حربنا مع الشيخ شامل من الأرواح والمعدات ما يكفينا لاحتلال الأقطار ما بين مصر واليابان)، فليت شعري ماذا يعلق جنرالات الروس على خسائرهم في أفغانستان، وقد بينت في محاضرة ألقيتها في جامعة الكويت كذلك أن الروس قد خسروا حتى بداية سنة ١٩٨٨م في شعاب أفغانستان ووهادها وذراها ونجودها وبالأرقام التي أحصتها الأقمار الصناعية الأمريكية وأجهزة التنصت الباكستانية ما يلي: ٢٠٨٠ (ألفين وثمانين طائرة ساقطة أو مدمرة فوق أراضي المطارات) ومثل هذا العدد استهلك بالاستعمال، و ١٧ ألف دبابة ومدرعة، و ٢١ ألف آلية، وخمسين ألفاً من الروس ما بين قتيل وجريح، ومائة ألف قتيل من الجيش الأفغاني، ومائة ألف من الأسرى والمستسلمين والهاربين، ودعك عن النفقات التي كانت تبلغ ٤٥ مليون دولار يومياً تدفعها روسيا في أفغانستان.

فلم يكن أمام روسيا من حل سوى التقهقر والهزيمة التي لم يذق الجيش الأحمر لمرارتها نظيراً.

الأدلة القاطعة بين الاحتمالات والتوقعات وبين النتائج الدامغات:

ففي سنة ١٩٨١ نشرت "المجلة العامة للقانون الدولي العام" خبراً مفاده أن خبراء حلف الأطلسي وهم الخبيرون بقوة خصومهم في حلف وارسو توقعوا أن يتمكن السوفييت من السيطرة على الوضع في أفغانستان - وبالتالي من القضاء على حركة الجهاد في أفغانستان- في زمن يتراوح بين ثلاثة إلى ستة أشهر، وبطبيعة الحال، لم يدر في خلد هؤلاء الخبراء - ومعهم المراقبون والمحللون الاستراتيجيون - أن حركة الجهاد في أفغانستان سوف تتمكن من الصمود في وجه الاحتلال العسكري السوفيتي العاتي، بل وإرغامه -بالضغط العسكري أساساً- على جر أذيال هزيمة مخزية لم تعرفها الدولة السوفيتية منذ قيامها حتى الآن.

ولذا فالهزيمة التي تكبدها الاتحاد السوفياتي لم تكن متوقعة من قبل أمريكا والغرب، وإلا فإنه لا يمكن أبداً للغرب أن يدع هذه الفرص مفتوحة أمام الجهاد الأفغاني.

محاولة يائسة:

ولقد حاولت أمريكا في آخر الشوط أن تنقذ الدب الروسي من أن يسقط تحت أقدام المجاهدين، ولكنها فشلت، إذ أن مقتل ضياء الحق جاء متأخراً جداً بعد أن تجاوز الجهاد الأفغاني مرحلة الخطر وعبر المنحنى الحرج.

المقارنات:

ولقد ذكرتُ في الكويت أنه من الظلم الكبير للجهاد الأفغاني أن نقارنه بالقتال في فيتنام أو غيرها مما يسمى بحركات التحرر الوطني.

ولكي تتضح أهمية حركة الجهاد في أفغانستان، سواء في تصور المتعاطفين معها أو بالنسبة لخصومها، من المفيد إجراء مقارنات سريعة بينها وبين بعض حركات التحرر المعروفة، من حيث الحجم، أو دور الدعم الخارجي العسكري والسياسي والإعلامي.

فاللافت للانتباه أولاً أن الحرب في أفغانستان هي الأطول -زمنياً- من جميع الحروب الكبرى التي شهدها القرن العشرون، فهي أطول من الحربين العالميتين الأولى والثانية، وأطول من حربي كوريا وفيتنام، وأطول من الحرب العراقية الإيرانية..

وبالنسبة لفيتنام مثلاً، وهي الأشهر، تمتع الشعب الفيتنامي بالدعم العسكري والسياسي والإعلامي من الكتلة الاشتراكية جميعاً، (الصين - الاتحاد السوفيتي - أوروبا الشرقية)، وكذلك الدعم السياسي والإعلامي لدول العالم الثالث، بل حتى من طرف

أوروبا الغربية، ولعل العامل الحاسم في انتصار الشعب الفيتنامي - إلى جانب مقاومته المسلحة- هو الثقل الهائل للرأي العام الأمريكي المعارض للحرب.. وقد كانت أغلب إذاعات العالم تغطي يومياً أخبار المعارك، حتى أن بعض المقيمين في تلفزتنا العربية كان الناس يطلقون عليهم (فيتنام) لكثرة الأخبار التي يذيعونها عن التفاصيل اليومية للحرب الفيتنامية الأمريكية، ودعك عن المسافات الهائلة التي تقطعها الناقلات الأمريكية لتزويد جيشها بالعتاد والغذاء والكساء، على النقيض تماماً من الاتحاد السوفياتي الذي لا يفصله عن أفغانستان سوى نهر جيحون (آموداريا).

وبالنسبة لكوبا، التي أريد لها -في وقت ما- أن تكون نموذجاً ثورياً رومانسياً للكثير من حركات التحرر الوطنية، لم تتعد ثورتها مقاومة مسلحة محدودة لديكتاتورية محلية في جزيرة صغيرة، ولا يمكن أبداً مقارنتها بما حدث في أفغانستان التي يقاوم شعبها احتلالاً عسكرياً أجنبياً من طرف "دولة عظمى".

ويمكن الاسترسال في عقد مقارنات من هذا النوع، مع "نيكاراغوا" مثلاً، أو مع بعض حركات التحرر الوطنية الإفريقية.. إلا أن المهم في هذا المقام، هو التشديد على أن الحرب في أفغانستان إنما تدور بين قوة عظمى وبلد ضعيف ومتخلف لم يحظ بعشر معشار ما حظيت به الحركات السالفة الذكر من الدعم، ناهيك عن التضحيات الهائلة التي قدمها شعب أفغانستان المجاهد والتي لا يوجد لها مثيل.

الإعلام الغربي :

ولقد نعيت كثيراً على موقف الصحف العربية التي تحمل لواء تحطيم الجهاد الأفغاني وتشويهه في أذهان المحبين والمتعاطفين في العالم الإسلامي فقلت: ليت شعري لو وقفت صحفنا العربية بجانب الشعب الأفغاني كما وقفت بجانب الشعب الفيتنامي.

فموقفها ضد الشعب المظلوم غير مقبول شرعياً ولا إنسانياً ولا أدبياً.

فمن أحب أن ينتصر نجيب الشيوعي (رئيس جهاز الاستخبارات لدولة تراقي وحفيظ الله أمين وكارمل والتي استدعت القوات الروسية فخلفت وراءها من المشوهين والمعوقين والأرامل والأيتام ما خلفت). أقول من أحب من ذراري المسلمين انتصار نجيب على المجاهدين فهو أحد اثنين : إما جاهل فيعذر بجهله حتى يعلم. وإما عالم جاحد لحق الأخوة الإيمانية فهذا كافر خارج عن الملة. إذ لا يمكن لإنسان يحب هزيمة الشعب الأفغاني المسلم أمام الشيوعية أن يكون في دين الله وإن صام وصلى: **«ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين»** الآية(٥١)المائدة.

أما من الناحية الإنسانية:

فإنه لا يمكن لإنسان في قلبه ذرة خير إلا ويكاد يذوب حزناً بسبب المآسي التي خلفتها هذه الحرب المدمرة التي شنتها روسيا على هذا الشعب الأبي الصابر المثابر.

فلقد تحولت البيوت إلى مياتم ومآتم، فقلما تجد بيتاً من بيوتهم (والذي لا يعدو عن خيمة بائسة مزقتها الأعاصير) إلا وملئت هذه الخيمة بمجموعة من الأيتام والأرامل والمشوهين والمعوقين.

فلا يقل الأيتام بتعدادهم عن نصف مليون يتيم، ويناهز عدد الأرامل ثلاثمائة ألف، وعدد المعوقين والمشوهين يقارب المائتي ألف، ودعك عن الأيتام والأطفال الذين لم يبق من أرحامهم أحد، إذ أن غارات الطيران لم تدع أحداً من أهل البيت حياً سوى طفل صغير تناثر دماغ أمه في حجره كما حدث في بغمان حيث أغارت الطائرات على نساء القرية وأطفالها الذين جمعوا في المسجد فسحقتهم جميعاً سوى طفلة صغيرة في حضن أمها تناثر دماغ أمها في حجرها فجُنّت الطفلة لهول المنظر.

أبناء لا يعرفهم أحد ولا يعرفون لهم قريباً :

وكم من القرى قد دمرت بكاملها ولم يبق منها سوى أطفال وزعوا على من يربيهم من قرى مجاورة.

ففي بيت حكمتيار رأيت غلاماً في العاشرة فأشار إليه المهندس حكمتيار قائلاً: لم يبق من أهله أحد فجئنا به إلى بيتنا نربيه.

أمي عربي:

وفي مستشفى النساء / الهلال الكويتي أدخلت إحدى بناتي المستشفى، وبينما كنت واقفاً مع زوجتي أسألها عن حالة البنت

وإذا بطفل في السابعة مشوه اليدين والرجلين، فاستدعته زوجتي قائلة كيف حالك يا عبد الحي؟ فأجاب بلغة عربية ضعيفة الحمد لله، ثم قالت لي: هذا الطفل يعيش منذ ثلاث سنوات في المستشفى، تجرى له عمليات تجميل حتى أصبح بهذه الحالة، فقد حصلت الغارة وأمه تخبز، فقتلت أمه ووقع عبد الحي في التنور، ودمر البيت بكامله على من فيه، وجاء الناس وأنقذوا عبد الحي بعد أن احترق، والآن يجد بعض العناية من زوجتي، ولذا فإنه يقول لها : أمي عربي.

ولو عرف عبد الحي لغة البيان لأنشد مع العشماوي:

فإلى متى تدمي الجراح قلـــوبنا	*وإلـــــى متـــى تتقرح الأكباد*
نصحو على عزف الرصاص كأننا	*زرع وغـــارات العدو حصــــــاد*
ونبيت يجلدنا الشتاء بســــوطه	*جلداً فما يغشى العيون رقـــاد*
وتفرخ الأمراض في أجـــسادنا	*أواه مما تحمــل الأجســـــاد*

تزوجته ليكون معي محرماً:

وكم من النساء عقمن لكثرة المصائب وتوقفن عن الانجاب بعد الهجرة، وكم من القرى حطت فيها الطائرات وانتقت مجموعة من العواتق من خدورهن، ثم حلقت فوق القرية ونزعت جميع ملابسهن ثم انتهكت أعراضهن وألقيت أجسادهن العارية فوق القرية.

وإن نسيت فلا أنس يوم أن أرسلت زوجتي لخطبة فتاة أفغانية لشاب عربي، فردت أختها الكبرى على أهلي بلسان عربي مبين قائلة : أو تظنين أنه بقي لدينا ميل لجنس أو لدنيا؟ فوالله ما تزوجت إلا ليكون زوجي محرماً لي في الذهاب والإياب، ولقد مضى علينا ثلاثة أهلة (شهران) دون أن أرى منه أو يرى مني.

الليل مكتئب وقريتنا يضاجعها الخـــــراب	*ونساء قريتنا على الطرقات يسدلن الحجاب*
يخشين يا أبتي على أعراضهن مــن الذئاب	*ويكاؤهـــــن يشيع في آفاق قريتنا اكتئاب*

كيف لا ترق القلوب لمثل هذه الأحداث، وأنى للفطرة مهما كانت قاسية جاسية أن لا تذوب حزناً؟

أو بعد هذا كله تطالعنا الصحف العربية مهللة فرحة بمشكلة في فرخار، أو بتجمد الوضع على أبواب جلال أباد؟ أو بتراجع المجاهدين عن (ثمر خيل) واحتلال الشيوعيين لها !

الكفة راجحة لصالح المجاهدين :

ثم واجهت الصحفيين بالقول: إن المجاهدين لا زالوا منتصرين، والكفة راجحة لصالحهم، رغم الامدادات التي تتصبب كوابل المطر على حكومة كابل، فقد وصلها منذ خروج الروس في ١٥ فبراير سنة ١٩٨٩م حتى أوائل سبتمبر الماضي ١٤٠٨٥٩ طناً من الذخائر، وبمقابل هذا تجد الشح الهالع الذي أصاب أيدي أصدقاء الجهاد. ولعلك تأخذ صورة عن انقطاع المساعدات عن المجاهدين بالمقارنة بين ما قدّم لهم في شهر مارس ١٩٨٨ أبان حياة الرئيس الراحل ضياء الحق وما قدم لهم في شهر مارس ١٩٨٩ بعد رحيله، فقد تسلم المجاهدون في شهر مارس سنة ١٩٨٨م (ألفين وأربعمائة طن) من الذخائر، بينما لم تتعد هذه الكمية في مارس سنة ١٩٨٩م المائة طن قط .

خسائر الشيوعيين بعد الهزيمة الروسية:

وقد سجلت الإحصائيات أرقام الخسائر التي تكبدها نظام المرتدين (الشيوعيين) المتداعي، فقد خسرت حكومة نجيب منذ خروج الروس حتى أوائل سبتمبر ١٩٨٩م أي في سبعة أشهر: ٢٥ ألف جندي ، ومائتين وخمس عشرة طائرة، ومائتين وستين دبابة، و ٢١٥٩ سيارة، و ١٤٨٥ مدفعاً ثقيلاً.

ودعك عن الصراعات العنيفة التي يعاني منها حزب المرتدين الحاكم بين أجنحته (برشم وخلق)، وعن محاولات الانقلابات المتواصلة والتي اختتمتها المحاولة التي سجن على أثرها قائد الجيش وقتل نائبه وسجن ستمائة ضابط متهم بها.

في أسبوع واحد فقط:

ولو نظرت إلى الانتصارات الساحقة التي ظفر بها المجاهدون في الشهر الأخير من أكتوبر ١٩٨٩م لأدركت قوة وضع

المجاهدين وتألق نجمهم، فقد قام المجاهدون بفتح (سور كي: الحيّ الأحمر) من ضواحي غزني مسقط مؤسس الحزب الشيوعي -خلق- وأول زعيم شيوعي لأفغانستان محمد نور تراقي، وأغلق ممر سالنج الشمالي والجنوبي بالتعاون بين الحزب (صوفي بايندة محمد) الذي يحكم قبضته على سالنج الشمالي وبين الجمعية (أحمد شاه مسعود) الذي يقبض على سالنج الجنوبي، ولا زال الممر مغلقاً حتى كتابة هذا المقال.

وفتح المجاهدون قاعدتين في (بغمان) الضاحية الكبرى التي تسيطر على كابل (بجك ـ تبة)، وأسروا مجموعة من رجالات الدولة، ودعك عن الضربات الموجعة التي تلقتها كابل وأغلق على أثرها مطارها.

عمليات الشيخ تميم العدناني:

وقد ضرب المجاهدون كابل بتسعين صاروخاً سموا عملياتهم باسم (الشهيد تميم العدناني) وقد أجمع المراقبون أنه أعنف وأضخم هجوم صاروخي تعرضت له كابل منذ خروج الروس. وقد أصابوا إصابات مباشرة القصر الجمهوري، وزارة الدفاع، محطة الرادار، قواعد صواريخ سكود (٥ . ٥طن) وصواريخ موشاك، وفندق الوفود (انتر كونتنتال)، والفرقة ٤ (قرغة)، والفرقة ٨ (باغ داود)، والمدنية السكنية للضباط الشيوعيين.

وليت شعري أي طمس للحقائق وتشويه للجهاد هذا الذي يزاوله الإعلام!!

وسألني أحدهم: لم القتال وقد خرج الروس؟ فأجبت خرج الملحدون وجاء المرتدون.

وقال آخر: لماذا لم تعترف الدول الإسلامية بحكومة المجاهدين؟

فقلت لهم: لأنها لم تتلق إشارة ضوئية من أمريكا وروسيا، وبإمكانك أن تقطع بهذا من خلال الاعترافات التي بلغت مائة دولة بالدولة الفلسطينية التي ليس لها شبر أرض تقف عليه، بينما يحكم المجاهدون ٩٠٪ من أرضهم ولا زالت سيوفهم تقطر دماً من أعلى ذروة النصر والمجد ولم يعترف بهم سوى أربع دول.

بعضهم أولياء بعض:

[والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير]. الآية٧٣الأنفال

فإذا كانت الكنيسة جمعت من أمريكا ودول أوربا الغربية لهذا العام فقط: ١٥٩ بليون دولار، وأنشأت لنشر النصرانية ١٩٠٠ إذاعة، ووزعت ١٢١ مليون إنجيل، كل هذا لعام واحد فقط سنة ١٩٨٩.

وجاء كارتر بنفسه ليشرف على إغاثة النصارى في الحبشة وإمداد "جون قرنق" لحرب المسلمين في السودان.

ووقف العالم كله بإعلامه ضد الجهاد. فماذا فعل المسلمون تجاه الجهاد الأفغاني؟

وماذا نقول لذراري المسلمين التي قبضت أيديها عن البذل، وأشرعت أسنتها، وأطلقت ألسنتها على الجهاد الأفغاني سوى ما قاله المثل العربي (أحشفا وسوء كيلة)؟ [(١)]

ونحذر هؤلاء الذين يمزقون أعراض المجاهدين وينتهكون حرمتم بقوله صلى الله عليه وسلم: يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته.

وانتهى المؤتمر:

والحق أني رأيتهم جميعاً ـ إلا أشقاهم ـ قد تفاعلوا مع الكلام، واغرورقت عيون البعض بالدموع، وكبر البعض مستبشرين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) الحشف: التمر الرديء وهو مثال يقال لمن يجمع بين إيذاءين للناس مثل البخل وغيبة المحسنين، أو القعود وإيذاء المجاهدين.

ملاحظات مهمة

تعقيباً على افتتاحية العدد ٤٩ (البغل بمائة شيوعي) (١)

لقد كان الدافع لهذا الموضوع عدة عوامل:

١- تنبيه الأحزاب الشيوعية في العالم التي تعبد السيدة الأم -روسيا- أن نهايتها كنهاية الحزب الشيوعي الأفغاني، إذ أن روسيا تعاملهم كالكلاب، تطعم الواحد منها مادام قادراً على الحراسة وعلى العض بنابه والنهش بمخلبه حتى إذا صارت مخالبه كهاماً، ونابه قضاماً قتلته واستبدلته بغيره، وهذا تاريخ القادة في أفغانستان خير شاهد، فالشيوعية هي التي قتلت نور محمد تراقي (مؤسس الحزب الشيوعي خلق) والشيوعية وروسيا بالذات هي التي قتلت (حفيظ الله أمين) الحاكم الشيوعي الذي خلف تراقي، وروسيا هي التي سجنت (ببرك كارمل مؤسس الحزب الشيوعي برچم)، ولا يدري مصيره، والآن تركت نجيباً تحت رحمة صوارم المجاهدين تتناوشه وتجهز عليه. (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب).

٢- أن روسيا قد وصلت إلى حالة اليأس ولم يعد بمقدور الجنود الروسي أن يقاتلوا بعد أن تحطموا نفسياً ومعنوياً، ولو أرادت روسيا أن تواصل القتال فعليها أن تضع في قلب كل روسي أسداً، ولذا فحالهم الآن مع المجاهدين كما يقول المثل السائر (سلمني ولك عباءة)، فهم يريدون أن ينجو بأرواحهم قبل أن تزهق ولذا فهم يقولون للمجاهدين (اتركونا وحالنا وبونكم بني جلدتكم)، أن الجيش الروسي المنهزم لا يستطيع أن يقف على أقدامه بعد الضربات القاصمة التي تلقاها والخسائر الفادحة التي تكبدها على أيدي المجاهدين.

٣- أن ما يجري الآن من حالات البيع والشراء للشيوعيين الأفغان على أيدي الروس إنما تجري على أيدي صغار القادة أو المجاهدين العاديين وفي حالات فردية، أما القادة الكبار من المجاهدين فإنهم يأنفون أن يفعلوا هذا ويترفعون عنه ويرون أن السيوف هي الفيصل الحق بينهم وبين أعدائهم، ولذا فعندما سألت صوفي رسول، ومحمد أنور، وشفق وهم من القادة المعروفين الذين جلست معهم في بنجشير أفعلتم هذا البيع بأنفسكم قالوا: (إنما يفعله عندنا من لا خلاق له).

٤- أن الانتصار الباهر الذي منّ الله به على المجاهدين إنما جاء نتيجة لحمامات الدم التي غسلت بها ربوع أفغانستان وثمرة طيبة لمسيرة العرق والمرارة والغصص، وبعد هذا كله تنزلت الكرامات وتفضل الله بالنصر.



هذا الكتاب

سجل أحداث نوت سنين عدداً من أعصابنا وأرواحنا وعصارة قلوبنا كان المداد مدداً.

وقائع كالخيال وقصص حقيقية كأنها في عالم المثال، تدركها الأشواق وتقصر دونها الأفعال، ما سمعناها ولكن عشناها وما قرأناها، ولكن بالمرارة عانيناها وبالنفوس المعتصرة ألماً خضناها، فكانت عذبة رغم عذاباتها، وكانت برداً على القلوب مع حرارتها، وخفت على النفوس رغم شدة وقعها.

امتزجت أحزانها بأفراحها، فولدت الآمال الكبار، واختلطت دماؤها بعرق مسيرتها فأنتجت أطيب الثمار.

كتبتها افتتاحيات لمجلة الجهاد بعد أن فتحت كلماتها أعماق قلبي، وأمل أن يتقبلها ربي فهو نعم الوكيل وحسبي، وهذا غاية أمنيتي وأسمى طلبي.

وأبتهل إلى الله أن ينفعنا وأن ينفع بنا إنه سميع قريب.

المؤلف

عبدالله عزام

---

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٠ جمادي الأولى ١٤٠٩هـ ديسمبر ٨٨م/يناير ١٩٨٩م ص ٧.

حتى لا تضيع فلسطين إلى الأبد

(من القلب إلى القلب)

حماس

علـى قـدر جـاءت فهزت مضـاجع النائمين

ونفحـات هبـت فأحيـت قلـوب الغافلين

وأحداث دمدمت فدوت أصداؤها فـي ربوع العـالمين

وأنـوار بـرقت أضاءت لهـا أرجـاء فلسطين

درة الفـاروق رضـي الله عنـه

اهتـزت فـي يـد عماد الدين سيفاً

وانبعثت بيمـين نـور الـدين تـرساً

وأومـضت بيـارق نصـرها

فظلـت صلاح الدين فـي فيئها

ونهـل بيبرس وقطـز من صفاء وردها

وتتبعت خطـا القسـام معالم أقـدام السابقين

ومن نفس المشكاة اقتبس البنـا وفرغلي وأحمـد ياسين

ونحن على مواصلة المسيرة وسلوك الجادة صممنا وأقسمنا اليمين

فيا قوم:

(استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)

الشهيد / عبد الله عزام

بسم الله الرحمن الرحيم

يا جيل الدموع[1]

سلام عليكم، كيف برزتم من بين المحن؟ وكيف ظهرتم من بين المآسي؟ كيف انبثقت الآلام من الآمال؟ وكيف عبقت الأزهار في رمال الجاهلية؟ وكيف خرجت الرجال من أعماق الأوحال؟ إنها قدرة الله الكبير المتعال.

سلام عليكم.. هكذا بعد أربعين سنة تفجرت المآسي فأخرجت أسوداً، وهكذا من بعد مسيرة أربعين سنة من الدموع والعرق والدم؛ انتفضتم ضراغم لا يقف في وجوهكم قوة ولا سلطان، ولا سلاح ولا هيلمان.. بعد أربعين سنة من السير على لظى الكروب، تمخضت المحن فعبر هذا الشعب المظلوم عن جراح القلوب، بعد أن جفاه القريب والبعيد، حتى كاد يودع البشر جميعاً يأساً من يد معين، ولسان حال القوم يقول:

رماني القـــوم بالأرزاء حتـــى ... فـــؤادي في غشاء مـــن نبال
فصـرت إذا أصـــابتني سهـــام ... تكسـرت النصـال علـى النصـــال
فهـــان ومـــا أبـالي بالـــرزايـــا ... لأنـــي مـــا انتفعت بأن أبـالـــي

ما نسيناك يا فلسطين وإن كنا فوق ذرى الهندكوش؛ فجراحنا المتفجرة هنا إنما تبعث دماً في ساح الأقصى.

وأجسامنا التي تدب على حوض الهلمند؛ إنما تبعث أرواحها ترفرف فوق أرضك المباركة، وقلوبنا التي أحرقتها الأشواق حسرة ألا نكون بينكم، وأكبادنا التي أضرمها الجوى واللوعة تود لو تطير إليكم فتشارك في هذا الجهاد المبارك.

هكذا يا أبناء الإسلام في مهبط الوحي ومثوى الأنبياء، بدأ الجهاد في أفغانستان بالحجارة والعصي، وتأيد بقوة الله ونصره حتى أصبح المجاهدون يحملون أحدث الأسلحة من أيدي أعدائهم.

أبناء أمتنا الإسلامية:

أين أنتم؟ أما آن لكم أن تنتفضوا فتسيروا على خطى هؤلاء:

والعـز في صهـوات الخيل مـركبه ... والمجـــد ينتجه الإســـراء والسهـــر

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (آل‌عمران:١٤٢).

سيروا على بركة الله، والشعوب التي تعتصم بربها، وتدفع مقابل نصرة دينها شلالات الدماء وجبال الأشلاء؛ هي التي تصل أخيراً وتنال ما تصبو إليه بإذن رب الأرض والسماء.. عليكم بالذكر، والتوكل على ربكم، والاعتصام بكتاب ربكم وبسنة نبيكم، وائتلاف قلوبكم، والإخلاص إلى بارئكم.

(والله معكم ولن يتركم أعمالكم) (محمد:٣٥).

سيروا أيها الأبطال، ونحن من ورائكم، وبإذن الله سنحطم القيود، ونتخطى الحدود، لنشارك في تطهير فلسطين من اليهود.

يا أبناء أمة الإسلام:

شاركوا في فلسطين جهادها، وإن عجزتم فهيا إلى ساح النزال في أفغانستان إعذاراً إلى الله، وأداء لفريضة الجهاد اللازمة في أعناقكم.

أنا هٰهنا فوق المكبر[2]

كبّلتم يديّ ولكني أكبر من فوق جبل المكبر، قيدتم رجلي ولكني لن أخضع ولن ألين، ولن أذل ولن أستكين، طاردتموني في كل مكان طمعاً أن تحيلوني إلى جثة هامدة، ولكنكم لن تستطيعوا -إن شاء الله- أن تقتلوا نخوتي، أو تسلبوا مروءتي، أو تسحقوا رجولتي، سلبتم أرضي ولكن لن تسلبوا إيماني، ولن تنالوا من عقيدتي التي تجلجل في عروقي، وتزلزل أركانكم وكيانكم، إن نداء

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٠ مارس ١٩٨٨م.

(٢) مجلة الجهاد العدد ٤١ ابريل ١٩٨٨م الموافق شعبان ١٤٠٨هـ. المكبر: الجبل الذي يطل على بيت المقدس وهو الجبل الذي دخل من عنده الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وكبر.

الإسلام في مسارب نفسي يردد:

(وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين)

(آل عمران: ١٤٦).

زرعتم أرضي بنواد ليلية، وملاه جنسية، وصالات للرقيق الأبيض، تطمعون أن يغرق أبنائي في مستنقع الجنس، همهم إرواء النزوات وإشباع الشهوات.

ولكن الحمد لله شب لكم من هذه المستنقعات جيل أسود وليوث غاب، يرددون قول حبيبهم ﷺ: (والذي نفسي بيده لوددت أن **أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل).**

ماذا تصنعون بي، أنا ها هنا فوق المكبر صابر لن أركع ولن ألين، ولن أذل ولن أستكين، لم يبق شيء من الدنيا أحرص عليه أو أخاف فقده.

خيمتي تمزقت، أسرتي تشتتت، بلدتي تدمرت، أبنائي أحدهم سياط جلاديكم تركت في ظهره علة دائمة وأقعدتموه في وجهي.

والآخر: لا أعلم أين أشلاؤه؛ تناثرت في الأغوار من جراء قذائفكم.

والثالث: غاب تحت ركام تل الزعتر.

والرابع: أرسلته إلى أفغانستان، فاتبعتموه بكلابكم وعيونكم؛ خشية أن تتحرك غيرة الرجال في أعماقه.

وطفلي أحمد شربتم نخب النصر بقحف رأسه نشوة في صبرا، ترقصون طرباً على أشلائه، اشتركتم مع أهل الباطنية والمارونية الصليبية وأحفاد النصيرية.

عدتي التوكل على الله والاعتصام بحبله، واستمطار رحمته، واستنزال نصره.

قتلتم كل مسلم جاء لنصرتي، وقطعتم كل يد امتدت لمساعدتي.

قتلتم حسن البنا في (١٢ فبراير ١٩٤٩م)، وعقدتم عرس (رودس) في دار مأتمه بعد يومين.

وعلقتم على الأعواد محمد فرغلي ويوسف طلعت بجريمة الجهاد فوق أراضي (فلسطين).

ولكنني ها هنا أكبر من فوق المكبر قائلاً:

فأنا اليوم مارد يرفض الظلم ويهوى الردى ويأبى الدنية

ينبت الثائر الصلب وتدوي مدافع الحرية

رغم أنف الطغاة تحيا فلسطين وعاش الرشاش والبندقية

هل نحن صادقون[1]؟

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فقد مضى أبو جهاد إلى ربه، بعد عملية انتحارية قام بها اليهود؛ تعتبر من العمليات الجريئة الفذة في سلسلة تصفيات أعداء صهيون.

والحق أن أبا جهاد من الرجال القلائل الذين عاشوا للقضية، وكرسوا حياتهم كلها لها، وسواء قاتل أبو جهاد لاستعادة تربة فلسطين، أم لمسح غبار الكفر عنها، أم لاستنقاذ مقدساتها، فالكل متفق على أنه آثر الفعال على المقال، ورضي أن يختفي عن شاشة المسرح السياسي، ليعمل بجد من خلال الرصاص ولعلعة السلاح وصليل السيوف، اللغة التي يفهم أبناء يهود أنها تقصم ظهورهم، وأنهم لا يستطيعون أن يواجهوا رجالاتها في الميدان فلا بد من تصفيتهم جسدياً وغيلة وغدراً.

لقد فهم أبو جهاد -رحمه الله- اللغة التي يخاطب بها أعداءه، وترك التمثيل والظهور بدور الأبطال لغيره، لقد كان مقتنعاً أن أبطال المسرح. **(كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء)** (النور: ٣٩).

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٦ رمضان ١٤٠٨هـ الموافق ١٩٨٨م

وإن الأبطال الحقيقيين هم الذين يخطّون بدمائهم تاريخ أممهم، ويبنون بأجسادهم أمجاد عزتها الشامخة، ويشيدون بجماجمهم حصونها المنيعة.

ونحن قد نختلف مع أبي جهاد في قضايا، إلا أننا نقول إقراراً للحق: إنه عمل بصمت، فترك بصماته على القضية الفلسطينية واضحة عميقة، وقد كان أبو جهاد -رحمه الله- أحد الوجوه الإسلامية البارزة في المنظمة الفلسطينية، ولذا ترك الدنيا لأهلها واستلم العمليات العسكرية في أعماق فلسطين.

ومن هنا؛ فاليهود يعرفون الرجال الذين يديرون رحى القتال، فكان لا بد من الاغتيال، وتركوا الأطفال الذين يلعبون على الحبال.

ومن جهة أخرى:

فإسرائيل دولة فكرة؛ ولاؤها لمن عاش مع فكرتها، وعداؤها لمن خالف مسيرتها، فهم أعداء النازية، فكان اختطاف إيخمان بعد عقدين من انتهاء الحرب الثانية، وأطاحوا بالسلطان عبد الحميد لأنه عارض دولتهم، وطوحوا بعرش عيدي أمين عندما أعلن عداءهم. وأحرقوا الحاج أحمد (أوبللو) مع أسرته بكاملها -رئيس وزراء نيجيريا- عندما رفض الخضوع لهم. واغتالوا قبل شهرين التميمي والبحيصي: أبرز وجهين إسلاميين من الشباب داخل فتح بعد أن أقضوا مضاجعهم.

والآن:

أين موقف الشعوب من عقيدة البراء والولاء التي تعتبر من صميم الإيمان؟ هل المسلمون مستعدون أن يعادوا أعداء الله؟.

﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله﴾ (الممتحنة:٤).

هل المسلمون والعرب والفلسطينيون خاصة قادرون أن يعلنوا بالكلام عداءهم لليهود وعملائهم؟ أم لا زالت طائرات العال تحمل شبيبة الصداقة العربية الإسرائيلية من القاهرة إلى تل أبيب؟

هل سارت مسيرة -ولو كانت صامتة صمت القبور- في عواصم الدول المحيطة بإسرائيل احتجاجاً أو تأييداً؟ هل الفلسطينيون بالذات مستعدون أن يعتبروا اليهودي حيثما كان محارباً لا بد من اغتياله؟ أين محمد بن مسلمة وعبد الله بن أنيس والقعقاع؟

هل العرب مستعدون أن يقاطعوا البضائع الأمريكية التي تؤخذ من دمائنا وتحول إلى رصاص يصوب إلى صدور أبناء فلسطين؟

هل نحن جادّون في رفض السيارت الأمريكية والغسالات والثلاجات والألعاب؟ هل نحن صادقون؟!

أحلام أم يقظة[١]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فقد تجولت في هذه الفترة التي واكبت الانتفاضة الجهادية المباركة، فترامى إلى مسامعي قصص هزتني من أعماقي، وما كنت أظن أن هذه الأحداث ستجري وبهذه السرعة الهائلة وبهذا التحول العجيب.

في قريتي التي كان فيها مسقط رأسي -السيلة الحارثية- يقوم الشباب بأعمال بطولية رائعة، حيث تحاول سيارات اليهود أن تقتحم البلدة، ولكنها تهوي في الحفر المغطاة بالعشب الأخضر والتي أعدها الشباب، وينزل أبناء القردة جنودهم بالمظلات ليحاصروا القرية التي مضى عليها شهران ونيف في داخل الطوق الرهيب الذي يمنع الحركة، ومع هذا ومع احتلال اليهود لمدرستها الثانوية واتخاذها كقاعدة عسكرية؛ إلا أن أبناء المدرسة ذاتها يأتون بعجلات السيارات ويصبون عليها البترول ويضعون داخلها زجاجة (ملتوف)، ثم يقفون في أعلى الشارع القريب من المدرسة ثم يدحرجونها فتصل إليهم وتتناثر عليهم، ويأتي طالب ويرسل عليهم قذيفته المطاطية (العجلة)، ثم يهرب ويدخل أحد البيوت المجاورة، ويتبعه الجندي الإسرائيلي، ويقتحم البيت على ربته، ويطالب بالشاب، ولكن المرأة كانت قد انتزعت الجاكيت عنه وأخفته بين أولادها، ودارت مشادة عنيفة بين الجندي والمرأة، وأخيراً استاق أحد أبنائها بدل

---

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٣ شوال ١٤٠٨هـ الموافق يونيو ١٩٨٨م

الشاب الذي لم يستطع تمييزه، وهكذا دواليك... قصص عجيبة من الإيثار والتضحية.

وبجانب السيلة الحارثية اليامون، وهي أشد في ضرباتها، وأعجب في تضحياتها من السيلة، والحصار حولها منذ سبعين يوماً؛ بينما كانت اليامون مستنقعاً عفناً للجواسيس، وبؤرة مركزة لعيون اليهود.

وحدث عن (قباطية) التي أمسكت بأكبر الجواسيس وعلقته مشنوقاً على عمود الكهرباء.

وإن شئت فاذكر (تقر السيف، والخليل، والعروب)، ولا تنس (غزة) هاشم أتون الجهاد المستعر، ومحور الشعب المسلم المتحرك.

لقد أيقن أبناء الإسلام في فلسطين أن طريق الحياة هو اختيار الموت فانطلقوا وهم يهتفون:

لنا فرس لم تنجب الخيل مثله ... فتحنا به الدنيا يسمّونه الردى

على ظهره القاني أقمنا سروجنا ... وطرنا إلى الرحمن في إثر أحمدا

تحية إكبار وإجلال لكم أيها العمالقة الكبار.

لك أيها الصبي البطل منا كل إعجاب ومحبة وتقدير..

هذا الصبي المعجزة

خريج مدرسة المحاريب الزكية

قد أعلن الحرب العتية

وهتافه قد زلزل الآفاق في كلم قوية

يا أيها الجند البغاة

أقسمت يا محراب يا قدسي الشريف

لن تنحني منا الجباه

أقسمت أن أسقيكمو كأس الحتوف

بلا مدافع أو قنابل أو سيوف

ولن تناموا .. لن تناموا .. ما دام في كفي حجر

أصوليون ومعتدلون[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

فإن الله عزوجل يصف رعب اليهود من المسلمين قائلاً: **{.. لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله...}** (الحشر:١٣).

والحق أن الذعر العالمي والرعب الدولي من الإسلام؛ لا يمكن أن يزول أبداً ما دام فوق الأرض إيمان ويقابله كفر.

{... ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا} (البقرة:٢١٧)

وما دام المسلمون مسلمين: فالرهبة قائمة، أما إذا تحولت الأجيال إلى الغثائية، وجاءت أجيال الأهواء والشهوات، والرهبة من السلاح والممات، فإن الرهبة تزول، لأن الرهبة انعكاس الإيمان **[ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم]**.

وقد تفنن الإعلام اليهودي في محاربة الإسلام والتنفير منه، فقالوا: الإسلام المتطرف الأصولي، والإسلام المعتدل، ويعنون بالأصوليين الذين يلتزمون بالشعائر والأخلاق الإسلامية، وبالولاء والعداء في الله..

ويعنون بالمعتدلين الذين يتهاونون ببعض الشعائر والأخلاق الإسلامية، ويميعون عقيدة الولاء والبراء، ويسمّون الأصوليين بالمتطرفين والإرهابيين.

وقد كانوا يوصون أن لا يتساهل في محاربة الإسلام المتطرف الأصولي، ولا بأس من التساهل والتغاضي عن الإسلام المعتدل.

أما الآن: وبعد أن ظهرت خيول الله وأسد الإسلام في أكثر من ساحة على البقعة الإسلامية: في أفغانستان وفلسطين والفلبين،

---

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٤ ذو القعدة ١٤٠٨هـ الموافق يوليو ١٩٨٨م

فالتوصية العالمية أن لا مجال لغض الطرف، ولا السكوت ولا التهاون، لا مع الإسلام الأصولي ولا مع المعتدل، وذلك لأن الإسلام المعتدل يولد الأصولي والمتطرف.

سنتكلم بوضوح بدون جمجمة ولا لعثمة...

نحن إرهابيون لأعداء الله، ولكننا أذلة للمؤمنين.

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) (الأنفال:٦٠).

(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم). (المائدة:٥٤).

فيا أبناء فلسطين: لا تلتفتوا إلى النباح الذي يعلو بين الفينة والأخرى، وحققوا في أنفسكم شروط محبة الله لكم.

١- الحب في الله والبغض في الله، وموالاة المؤمنين وعداء الكافرين.

٢- القتال في سبيل الله.

٣- عدم الالتفات إلى لوم اللائمين وعتاب المستعتبين.

سيروا على بركة الله وقولوا:

إن كان الإعداد إرهاباً فنحن إرهابيون.

وإن كان الدفاع عن الأعراض تطرفاً فنحن متطرفون.

وإن كان الجهاد ضد الأعداء أصولية فنحن أصوليون.

ونوصيكم بالذكر الكثير، وتلاوة القرآن، وقيام الليل، وصيام النافلة، والولاء والبراء في الله.

(يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) (البقرة:١٥٣)

رسالة الإخلاص[١]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فالأحداث الساخنة تثير أشجان الذكريات من هناك في فلسطين.

في الأغوار وقرب مشروع روتنبرغ كانت تمر دورية يومية مكونة من كاسحة ألغام ودبابة وعربة مصفحة. ويزمع ستة من الإخوة من قواعد الحركة الإسلامية التي تستظل بلافتة (فتح) أن يتعرضوا لها، ورصد الإخوة الدورية لعدة أيام، ثم دخلوا إلى الضفة الغربية للنهر، وحفروا خنادقهم، وكل واحد منهم يدرك من أعماقه أن خندقه سيكون قبره الذي يلفظ فيه أنفاسه الأخيرة.

وحدد يوم الرابع من حزيران سنة (١٩٧٠م) موعداً لتنفيذ العملية، ويشاء الله أن تتأخر العملية لليوم الخامس من حزيران ذكرى هزيمة العرب قبل ثلاثة أعوام، وصمة العار التي لطخت جبين الأمة، ولم يشهد لها التاريخ نظيراً، ويشاء الله أن يتفق دايان (وزير الدفاع الإسرائيلي) مع صحفي كندي ومصور غربي، ليريهما أن الضجة الإعلامية حول العمل الفدائي لا تتعدى زوبعة في فنجان، أو صيحة في واد، بل سحابة صيف عن قليل تقشع.

حمل الإخوة ألبستهم الجميلة المعطرة في داخل أكياس بلاستيكية؛ حتى لا تتلطخ بأوحال نهر الأردن أثناء خوضه واجتيازه، ولبسوا ألبستهم العسكرية حتى يجتازوا بها النهر، وبعد أن وصلوا خنادقهم خلعوا الألبسة بما علق عليها من غبار وأوحال، ولبسوا الملابس المعطرة التي سيستقبلون بها الحور العين.

كانوا في ثلاثة خنادق؛ كل خندق يضم أسدين، أحدهما يحمل (آر-بي-جي) والآخر يحمل كلاشنكوف حامياً له.

ومرت الدورية... وتنقض الليوث فجأة... وتطايرت أفئدة الكفار هلعاً.. واختفت ألسنة اللهب في سماء العجاجة.. ولا يرى إلا بريق الأسنة، ويصور (بشار) المنظر:

---

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٥ ذو الحجة ١٤٠٨هـ الموافق أغسطس ١٩٨٨م

كان مثار النقع فوق رؤوسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وأصيبت اليّتان وأفلتت الثالثة، وفتحت رشاشاتها على الإخوة واستشهد ثلاثة على الفور، إذ أن المسافة لا تزيد عن مائة وخمسين متراً، ومضى أبو معاذ الحموي وبلال المقدسي وثالث أنسانيه الشيطان أن أذكره. ووقف أبو إسماعيل -إبراهيم- وقد أحدق به الموت، وجاءه الكوماندوز من كل مكان، فأيقن بفوت النجاة، فطفق مسحاً بالسوق والأعناق، ونجاه الله -عزوجل-.

وأما إبراهيم الثاني -ابن بله- فأراد أن يودع الحياة بالنظر في القرآن، فوقع بصره لأول نظرة على آية: **{سلام على إبراهيم}** (الصافات: ١٠٩). فنزلت على قلبه برداً وسلاماً، ووقف الكوماندوز فوق رأسه فأغشى الله بصره ولم يره، ونجا إبراهيم.

وهرع الإعلام المركزي لفتح ليقوم بتحقيق صحفي مع الفئة الناجية، ووصل إلينا -إلى المغارة التي نقيم فيها- بعد أن سمع من إذاعة العدو ضخامة العملية وخسائرها. وأبى الإخوة التصوير، ورفضوا أن يتحدثوا. وحاولوا معهم فأبوا قائلين: لا نحبط أعمالنا ونبطل ثواب جهادنا بظهورنا.

ووقف رجال الإعلام من فتح مذهولين لا يحيرون جواباً وهم يرون فئة تعمل بصمت ثم تختفي.

فإذا أقبل الزمان توارى ... وإذا زاغت العيون تسراه

ويقارنونهم بالكثيرين الذين يملأون الدنيا ضجيجاً (تسمع جعجعة ولا ترى طحناً).

وهكذا الذين يصنعون التاريخ ويبنون الأمم من نماذج هذه الأمة، إنهم لا يريدون أن يقال لأحدهم: **[قاتلت ليقال عنك جريء ثم يلقى في النار]**. إنهم يعلمون أن الله لا يقبل عملاً إلا إذا كان خالصاً صواباً.

رسالة الزهد والتقشف[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

فلقد رأيت أن أخطر داء يودي بحياة الأمم: هو داء الترف، الذي يقتل النخوة، ويقضي على الرجولة، ويخمد الغيرة، ويكبت المروءة، وقد وضح رب العزة هذا قائلاً:

{وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً} (الإسراء١٦).

أقول هذا: وأنا أستعيد في ذهني شريط الذكريات في فترة الإعداد للجهاد في فلسطين، فقد كان مدربنا أبو أسامة يصر على التقشف والشظف، وعلى خشونة العيش طيلة فترة التدريب، عشناها أربعة أشهر في معسكر التدريب -في العلوك- وكان الشاي من المحظورات، لا أذكر أني شبعت طيلة هذه الأشهر إلا مرة واحدة.

كان نصيب كل واحد منا في كل وجبة نصف رغيف من الخبز الشامي الرقيق، ونصطف بعد طابور الصباح العنيف؛ فيقوم الأخ أبو اسماعيل ليناولنا نصف الرغيف، ويجلس قرب (تنكة) الزيتون الأخضر، ثم يعد لكل واحد منا عشر حبات من الزيتون، وكان دقيقاً جداً لا تكاد تفلت من بين يديه حبة واحدة زيادة.

كان معنا في ذلك الوقت الشهيد محمد صالح عمر الوزير السوداني المعروف بأبي معاذ -رحمه الله- الذي استشهد فيما بعد في جزيرة أبا، والسودانيون مولعون بالشاي ولا يأكلون الزيتون الأخضر، لقد التمس أبو معاذ مع إخوانه السودانيين التماساً حاراً من المدرب أن يقدم لنا كأس شاي مع وجبة الفطور، ولكنه أبى بإصرار شديد.

كان الخبز يؤتى به من عمان، ثم يجفف في الشمس، ويحفظ في الأكياس، ونبقى مدة شهر تقريباً نأكل من هذا الخبز. وكنا نستعمل كعوب البنادق لنكسر الخبز، والماء لنبله به ليلين بعض الشيء قبل أن نبتلعه. وقد تكسرت أسنان بعض الإخوة لجلافة الخبز وجفافه.

كان معسكرنا بين أشجار البلوط، فكنا نتحين درساً عملياً للرماية أو التدريب بين هذه الأشجار؛ لعلنا نجد بعض ثماره اليابسة التي نأكلها نسد بها رمقنا، أو نسكت به شوي بطوننا من المخمصة.

---

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٦ محرم ١٤٠٨هـ الموافق أغسطس ١٩٨٨م

كانت مرحلة قاسية، ولكنها ربت النفوس على مواجهة الصعاب، واحتمال أشق الأحوال، فلم تعد النفس بعدها تعاف طعاماً، ولا تأبه بشظف ولا بشدة.

إن في النفس طاقة مدخرة من الاحتمال لا يدركها الإنسان إلا إذا اضطر إليها، ولا يلجأ إليها مختاراً ولكن رغم أنفه.

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

ولقد رأيت أن التقشف والزهد طابع مميز للتربية النبوية الكريمة لنفسه ﷺ، ولأهله من حوله، ثم لأصحابه، وبقي هذا النمط من العيش قمة شامخة فريدة لمن أراد أن يتسلق صاعداً إلى ذروة سنام الإسلام -الجهاد-، فمن عائشة رضي الله عنها قالت: [**ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض**][1].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: [**لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه**][2].

وخطب عتبة بن غزوان قائلاً: [**لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى قرحت أشداقنا، فالتقطت بردة -شملة مخططة- فشققتها بيني وبين سعد بن مالك** -بن أبي وقاص- **فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميراً على مصر من الأمصار، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً**][3].

هذه التربية أبرزت نماذج فتحت الدنيا ولم تتغير. ولولا تقشف الشعب الأفغاني ما استطاع أن يقف هذه السنين الطوال يصارع الموت والجوع والعري والمرض والمتربة، ويتصدى لأقوى قوى الأرض، أما الذين يعكر صفوهم غياب الشاي عن المائدة، أو البيبسي كولا بين المشروبات، أو لا يستطيع أن يأكل إلا والفواكه واللحوم والأرز والتوابل والحلويات تزين موائده، فلا بد لهم أن يبحثوا عن طريق المجد وسبيل العزة والجنة، إنه غير هذا الطريق:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

ويعظم في عين الصغير صغيرها ويصغر في عين العظيم العظائم

رسالة الورع[4]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

سئل الحسن البصري: أي أمر يهلك الدين؟ فأجاب: الطمع، وسئل أي شيء يحفظه؟ فقال: الورع، وفي الحديث الذي رواه أحمد: [**صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل**].

ومن ملف الذكريات في فلسطين: كانت نماذج رائعة تجسد الورع في الحياة اليومية بسلوك وأخلاق. وقد كانت المجموعة الأولى -التي كنت بينها- مدرسة تربوية فريدة تقتبس الأخلاق القرآنية، فأحدهم يعلمك الصدق والوضوح، وآخر تقتبس منه الصبر والصمت، وثالث تتأسى به ورعاً وزهداً، ورابع تحتذي خطاه بالحب والإيثار.. وهكذا.

ومما كان يلفت نظري، ولا زال يشد ذهني، ويثير الأشجان في أعماقي، الورع الذي يعتبر طابعاً عاماً للمجموعة.

كنا نرابط في كهف اتخذناه قاعدة سميناها بيت المقدس في (مرو) من أعمال (إربد)، وكان الكهف في وسط جنة من الأعناب، نضج العنب وأينعت ثماره، فلم نذق ثماره وكنت أميراً للقاعدة، وما أذكر أنه رفع إلي حادثة واحدة في قطف عنقود واحد من العنب من قبل أخ من الإخوة، وذات يوم وإذا بسلتين من العنب داخل القاعدة، فسألتهم عن مصدرها، فقالوا: جاء صاحب البستان وخرف بعض بستانه وأهدى لنا هذه، وقال صاحب البستان: لم أبع في سني حياتي مثل ما جنيت في هذا العام بسببكم.

وفي قاعدة (غزة) في (الرفيد) من أعمال (إربد) كذلك كان مقرنا بين بساتين العنب، وقد كنا حراساً على أموال الناس وبساتينهم وأعراضهم ودمائهم، ومن هنا استحوذنا على اهتمام الناس وانتزعنا إعجابهم من أعماق قلوبهم.

١- متفق عليه. ٢- رواه مسلم، والدقل: التمر الرديء.

٣- مسلم.

٤- مجلة الجهاد العدد ٤٧ صفر ١٤٠٩هـ الموافق أكتوبر ١٩٨٨م

الرصد والمراقبة:

وكانت مجموعاتنا تنزل للمراقبة في غور الأردن؛ تتابع الدوريات اليهودية المتحركة، وترصد أعدادها ومواعيدها. غور الأردن مشهور بالبرتقال، فكنا نفيء عدة أيام تحت ظلال الحمضيات، وكان الجوع أحياناً يأخذ منا كل مأخذ، والبساتين قد هجرها أصحابها لكثرة غارات الطيران، فاذا اشتهت نفس أحد الإخوة حبة برتقال جاء يستفتي: أو يجوز لنا أن نأكل البرتقال الساقط تحت الشجر؛ والذي سيدركه العفن والعطب خلال أيام؟ فأجيبهم بالإيجاب، ومع هذا بقي بعض الإخوة كما أذكر متورعاً عن أكله.

هذه صفحة، وصفحة مقابلة من أولئك الثوريين واليساريين الذين كانوا يأتون إلى صاحب الحائط[1] فيقولون له: أتدفع لنا عشرة دنانير أو ندخل بستانك ونطلق بعض الطلقات من بندقية على دورية بعيدة؟ وهذا يستدعي خروج مجموعة من الطائرات الإسرائيلية تدمر كل شيء من المكان الذي خرجت منه الطلقات، وهذا يعني أن يصبح البستان كالصريم[2] خاوياً على عروشه، فيضطر صاحب البستان أن يعطيهم ما يطلبونه، يؤديها ساخطاً منتظراً قارعة من السماء أو بأيدي البشر تخلصه من هؤلاء الذين أصبحوا مصيبة -في نظره- حلت على قلوب الناس.

والأخلاق الإسلامية كونت لنا رصيداً ضخماً في حياة الشعب الذي يكتنفنا ونعيش في أحضانه، وجدناه أيام الاصطدام العنيف المذهل الذي حصل بين الجيش الأردني والفدائيين، فوجدنا جمهور المسلمين لنا حصناً حصيناً ودرعاً مكيناً، فوقفوا سداً منيعاً دون أن يمس أحدنا بسوء أو يهان بكلمة. فيا أبناء فلسطين وسائر المسلمين: الإسلام الإسلام.. الأخلاق الأخلاق:

فـإنمـا الأمم الأخلاق مـا بقـيت فـإن هـم ذهبت أخلاقهم ذهبـوا

رسالة الأخوة والمحبة[3]

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن شريط الذكريات إذ يلف دورته لمدة عقدين من الزمان قد خلت لتنقلنا إلى أرض فلسطين أيام أن كنا نعيش نعّد أنفسنا للمعركة، ونهيء قلوبنا للقاء الله.

كنا مجموعة قليلة نعيش بين الغابات، ويحس أحدنا بسعادة غامرة، وكانت هذه السعادة انعكاساً للعلاقات الأخوية التي كانت تحكم تصرفاتنا، مستضيئة بضوء الشرع، وعلى هدي من الكتاب والسنة.

وما أحسست بالسعادة في فترة من سني حياتي أكثر منها في تلك الفترة. كانت قلوبنا إذ ذاك تكاد تشق الصدور وتطير فرحاً ترفرف في عالم **(الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف)**.

وكانت هذه السعادة كما أشعر في أعماقي هدية ربانية لقلوبنا يوم أن استوحشت من عالم الناس، واعتزلت دنياهم فآنس الله أفئدتنا بمعرفته، وأراح قلوبنا بالالتجاء إليه.

أبدلنا بآبائنا أباً، وبإخواننا إخوة، وبأمهاتنا قضية نحيا من أجلها ونعيش لتحقيقها، محاولة منا لإقامة شرع الله في الأرض، ونصرة دينه، وإعلاء مبادئه.

كنا نعيش كأننا أسرة واحدة وثيقة الروابط، شديدة العلائق. وكان أحدنا إذا غاب عن القاعدة لعذر من الأعذار نستوحش كثيرا لفقده، بينما الغياب لا يطول أكثر من يومين.

أما إذا غاب الأخ المسؤول فكأن البدر قد تغيب، ونحس في أعماقنا بغربة تنكر إزاءها أرواحنا، وتضيق لها صدورنا.

ما كنا نطيق أن نسمع عن بعضنا إلا خيرا، فضلاً عن أن نتكلم بأية كلمة إلا بخير.

أذكر أنني كنت واقفاً ذات مرة مع مجموعة من الإخوة، فسمعت من أحدهم كلمة لا تليق بمقام الأمير، -وكانت هذه أول مرة أسمع فيها كلمة تخدش هيبة الأمير في قلبي- فاهتز كياني واستنكرت ما سمعت.

كانت أنفسنا بعد هذه الفترة التي تشبه الأحلام سعادة وانشراحاً وغبطة، والقلب يردد بالنشوة لهذه الفترة الذهبية:

أهيـم بهـا حبـاً وعشقـاً وألفة هيـام شجيـرات الحدائق بالطير

١- (البستان). ٢- (كالرماد الأسود). ٣- مجلة الجهاد العدد ٤٩ ص ٤١ ربيع الثاني ١٤٠٩هـ الموافق ديسمبر ١٩٨٨م.

وببركة هذه المودة والمحبة حفظ الله الإخوة كثيراً من كيد الكائدين، فيوم أن تجهمت الدنيا في وجه الفدائيين في فلسطين، ويوم أن اكفهر الجو وتلبد بالغيوم، واحتد النزاع بينهم وبين الجيش الأردني، فما نجا ممن حمل السلاح أحد إلا الإخوة الذين يعملون معنا في القواعد، فلم يمسسهم سوء، وانقلبوا بنعمة من الله وفضل، وهذا من فضل الله العظيم، وببركة هذا الحب أحبنا أهل القرى الذين احتكوا بنا، فوقفوا في وجه الدبابات الأردنية قائلين: (هؤلاء أبناؤنا، علمونا ديننا، وحفظوا أعراضنا، وإيذاؤهم إيذاؤنا).

وتفرقنا بعد أن ضرب الجيش قوة المقاومة فوق ساحة الأردن، ولم يبق في طيات القلوب حب أعمق، ولا مودة أقوى من تلك التي بذرت بذورها ونبتت جذورها تحت ظلال السيوف، وصار مرور طيف أحدهم في خيالنا يؤرقنا، ولسان حالنا يقول:

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا	شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا	يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

ونرجو الله عز وجل أن ينادينا فيمن ينادي يوم الحشر الأكبر: {أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي} وأن نكون على منابر من نور ممن يغبطهم الأنبياء والشهداء على منزلتهم من الله يوم القيامة.

وإن أخبار التكافل الإجتماعي الذي نسمع بأصدائه في انتفاضة الجهاد المباركة في فلسطين هذه الأيام: ما هي -إن شاء الله- إلا انعكاساً للمحبة والأخوة التي استقرت في الأعماق في رحاب الأقصى المبارك فوق الأرض المباركة.

أتواصوا به[1]؟

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فلقد عودتنا التجارب أن نرى التكالب العالمي على كل قضية إسلامية تقترب من النصر، أو على كل داعية أصبح شامة في جبين الدهر، فحيثما برزت شخصية إسلامية عملت عليها المعاول لتحطيمها، وأنى ظهرت حركة إسلامية عمل الكفر على كل المحاور لسحقها، وتحجيمها، وكل من له أدنى دراية بالتاريخ يلمح هذا الناموس الذي نص عليه رب العزة في كتابه الكريم:

{ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا} (البقرة:٢١٧)

{قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون} (المائدة:٥٩).

في هذا القرن شهد الناس إجماع عالم الكفر على إسقاط السلطان عبد الحميد سنة (١٩٠٩م)، ثم تقويض الدولة العثمانية وتمزيقها على أثر هزيمتها في الحرب الأولى حسب اتفاقية سايكس بيكو، ثم إسقاط الخلافة العثمانية سنة (١٩٢٤م) بمعاهدة لوزان، ثم التمهيد لقيام دولة إسرائيل بضرب الحركة الإسلامية (الإخوان المسلمون) في ديسمبر سنة (١٩٤٨م)، ثم قتل حسن البنا في (١٢) فبراير سنة (١٩٤٩م)، ثم عقد معاهدة رودس للاعتراف باليهود ككيان ودولة بعد مقتل البنا بيومين (١٤) فبراير سنة (١٩٤٩م).

وبعدها بشهر في مارس (١٩٤٩م) أقام السفير الأمريكي ستيفن ميد انقلاب حسني الزعيم للاعتراف بإسرائيل. عندما قامت حركة الجهاد المسلح في قناة السويس سنة (١٩٥١م)، وخشيت أمريكا وبريطانيا أن يسقط العرش الملكي ويرثه الإخوان المسلمون، أسرع السفير الأمريكي جيفرسون كافري للاتصال بعبد الناصر سنة (١٩٥٢م) وشلة الضباط الأحرار؟! وأخذ عليهم عهداً بضرب الإخوان، وانهار الأزهر، وحفظ أمن إسرائيل، وأحكموا الخطة، وأطاحوا بالملك، وجاءوا بعبد الناصر سنة (١٩٥٢م)، وضرب الإخوان المسلمون في أواخر (١٩٥٤م) وفي (١٩٥٥م) لتتقدم إسرائيل سنة (١٩٥٦م)، وفي سنة (١٩٦٦م) ضربت الحركة الإسلامية (الإخوان) في مصر، وأعدم سيد قطب، وتقدمت إسرائيل بعدها بتسعة أشهر، وهزمت ثلاث دول عربية، واحتلت أرضها سنة (١٩٦٧م) واستمرت المؤامرة على حركة الجهاد في مصر وإلى يومنا هذا، كلما تجمعت مجموعة من شباب الإسلام وتفتحت براعمهم انقضت عليها سلطة الدولة وهصرتهم.

وفي تركيا أقام حزب السلامة الإسلامي -بزعامة نجم الدين أربكان- مظاهرته التاريخية (٧) سبتمبر سنة (١٩٨٠م)، وأحرق العلم الإسرائيلي، وطالبوا بتحكيم الإسلام، وبعدها بأسبوع قام انقلاب كنعان إيفرين لضرب التيار الإسلامي، والمحافظة على الخط الأتاتوركي العلماني.

---

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٠ ص ٤٧ جمادي الأولى ١٤٠٩هـ الموافق ديسمبر ١٩٨٨ يناير ١٩٨٩م

وعندما أعلن النميري عن تحكيمه لشريعة الإسلام -ولو ظاهراً- حوصر اقتصادياً، وجاءه بوش واشترط عليه ضرب الحركة الإسلامية، والتراجع عن تطبيق الشريعة، ففعل ثم أسقطوه.

(كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك) (الحشر:١٦).

وهكذا دواليك: أحمداوبيلو -رئيس وزراء نيجيريا الشمالية- عندما أسلم على يديه مئات الألوف، رفض أن يكون لليهود موطيء قدم عنده، قتلوه وأحرقوا بيته على أسرته، وعندما وقف الملك فيصل في وجه أمريكا -في أواخر أيامه-، وأصر على إرجاع القدس قتل على يد ابن أخيه وعندما رأوا أن ضياء الحق واقف كالطود الشامخ بجانب الجهاد الأفغاني، وخشيت أمريكا أن يصل قادة الجهاد لإقامة حكم إسلامي، أحرقوا طائرته، وضحوا بسفيرهم الذي يرافقه، وأغدقوا الأموال الطائلة على الانتخابات في باكستان، وجاء مورفي مبعوث أمريكا للشرق، ومكث أسبوعين فيها حتى ركز الأوضاع الجديدة ثم عاد.

وأخيراً في فلسطين: في نفس الأسبوع الذي أعلنت فيه حركة (حماس) أنها جناح من أجنحة الإخوان المسلمين اتفقت دول العالم مع منظمة التحرير، وأعلنت دولة فلسطينية، واعترف العالم بها لسحب البساط من تحت أرجل حماس..

(أتواصوا به بل هم قوم طاغون) (الذاريات:٥٣)

تخففوا يا أبناء فلسطين[١]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ففي أثناء انعقاد مؤتمر رابطة الشباب المسلم العربي الحادي عشر المنعقد في ديسمبر (١٩٨٨م) في (أوكلاهوما) أقام الاتحاد الإسلامي لفلسطين مهرجاناً بمناسبة مرور عام على الانتفاضة الإسلامية في فلسطين.

وانتدبت لألقي كلمة أثناء الحفل الزاخر، حيث اكتظت الصالة الكبرى بالشباب الذي أقبل ليرى ويسمع، وكأن الناس على رؤوسهم الطير، ورأيت الشباب الذي يحترق أسى ويضطرم حماساً ممسكاً أنفاسه وهو يستمع إلى الشيخ محمد صيام خطيباً، وإلى الشيخ أحمد القطان وهو يشنف الأسماع بقصيدة كلماتها كأنها السياط اللاذعة، أو شواظ من نار ملتهبة.

وتكلمت كلمتي، ووضعت أبناء فلسطين أمام مسئوليتهم التاريخية، إذ لم يعد في النفوس منزع، ونفدت سهام الكنانة، وقد آن لكم أن تأخذوا للأمر أهبته، وتعدوا للمصير عدته، ولا بد لأبناء فلسطين أن يجعلوا قضية تحرير المسجد الأقصى نصب أعينهم، وأن يحولوا العواطف والمشاعر إلى سلوك وأخلاق وأحداث يراها كل ناظر.

وقلت لهم: إن الأحداث تتوالى، والزمن ليس في صالحكم، وأعداؤكم يرقبون ليعرقلوا لكم كل حركة، وهم يعدون خططهم، ويرتبون أوراقهم لإخماد أنفاسكم.

الشعار الجديد: ليس من متاع جديد سنة (١٩٨٩م).

وطرحت شعاراً لو كانوا به يأخذون، ولجماح شهواتهم يكبحون، لكان لهم الذي يريدون، وهو أن يوضع صندوق في كل بيت يكتب عليه صندوق الجهاد، وليأخذ على نفسه عهداً أن لا يجدد هذا العام سنة (١٩٨٩م) فراشاً ولا رياشاً، ولا لباساً ولا سيارة ولا أرائك ولا نمارق، و كلما فكر في شيء من هذا وصمم عليه، حسب ثمنه ووضعه في صندوق الجهاد لفلسطين. والحق أن الشهوات قد أذلت الرقاب، والكماليات أفسدت نفسيات العباد.

وطلبت منهم أن يقسم كل منهم شهره إلى أربعة أسابيع، يأخذ لنفسه بنظام الجندية في بعض الأطعمة، وليفترضها حمية من الطبيب.

ليمتنع في الأسبوع الأول مع أسرته عن المرطبات وثمنها لصندوق الجهاد، وفي الأسبوع الثاني لتكن الحمية عن الفواكه، وفي الثالث: ليمنع نفسه عن اللحوم، وفي الرابع لهم أن يعيشوا كما هم الآن يحيون.

فإذا دفع أثمان هذه التوفيرات في صندوق الجهاد؛ فسيجد نفسه أمام مدخر طيب يدفع الله به الجهاد، ويرفع الله به صاحبه

---

(١) مجلة الجهاد العدد ٥١، ٤٧ جمادي الثانية ١٤٠٩هـ الموافق يناير-فبراير ١٩٨٩م

درجات: {وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه} (سبأ:٣٩)

وفي مهرجان النساء:

فجر محمد صيام قنابل شعره، ثم تكلمت والقطان، وقال القطان: من تبرعت بشيء من حليها فلها مني دعوة بأن يبارك الله حياتها وأسرتها ويدخلها الجنة؟؟ وحملت سلة صغيرة ومثلها بيد أحمد القطان.

وبدأت الحلي تنهال على هاتين السلتين وفي أقل من نصف ساعة وإذا بالحلي تملأ السلتين بما يزن (٢-٣) كغم ذهباً.

ولقد ترك الأخ مصطفى رجب السوري أثراً عميقاً في نفسي، إذ كان ينقلني إلى المطار بسيارته من (النجتن) إلى المطار، وإذا به يخرج علبة مليئة بالحلي وقال: هذه هدية زوجتي إلى المجاهدين. وكان زوجته لم تدع لها خاتماً ولا سوارة ولا قرطاً ولا عقداً، واستعد أحد الإخوة لشرائها، فسألت الأخ مصطفى بالتليفون كم ثمن هذه الزينة كلها؟ فأجاب: أنها عشرة آلاف دولار، وهذا مبلغ ضخم بالنسبة لامرأة زوجها كان طالباً ثم عمل ليحفظ ماء وجهه عن تكفف الناس أو سؤالهم.

إنها النفوس التي تخلصت من الشح، وتطهرت من البخل.

{ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون} (الحشر:٩).

وكتبت لي إحدى الأخوات: أدع الله أن يبارك لي في ديني ودنياي وأخرتي، فلقد بعت جميع ما أملك من حلي وتبرعت بها للمجاهدين، وقد كان ثمنها خمسة وأربعين ألف ريال سعودي.

{ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم} (محمد:٣٨).

وقلت أخيراً:

ليحمل القاعد المجاهد، وليجهز التاجر النافر، واقسموا أنفسكم قسمين: قسماً خفيفاً للنفير، وقسماً ثقيلاً للتجهيز والتدبير، وستجدون أنفسكم بعد حين أنكم على جادة العودة سائرين، وفي الطريق الحق سالكين.**{ولتعلمن نبأه بعد حين}** (ص: ٨٨).

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

من كابل إلى القدس[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

لقد كنت صبيحة هذا اليوم -(الخميس٢٢/٢)- على الفطور مع الشيخ سياف والصواف والزنداني؛ ننعم بأخبار انتصارات الجهاد الأفغاني المبارك التي منّ الله بها فوق ما كان يتصور الخيال، ويمر في الخواطر، وما لا يمكن أن يتصور مجرداً في عالم المثال.

ولكنها إرادة الله فوق كل شيء، ومشيئته التي لا ترد، وقدره الذي لا تواجهه قوة.

{وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً} (فاطر:٤٤).

وعرضت لقطة أثناء الحديث من قبل ضيف قادم من الإمارات فقال: لقد رسمت جريدة (الاتحاد) كاريكاتيراً يصور انتصار المجاهدين الأفغان، ويبدو في الصورة مجاهد أفغاني يحمل سلاحه، ويقابله رجل من فلسطين الثورة يرتب أوراقه السياسية ليراجع بها المنظمات الدولية، ويتساءل الثوري مستغرباً: كيف خرج الروس دون أن يكون مع هذا المجاهد أوراق سياسية؟!

قال سياف: لقد حاولت أن أتخفف من أعباء الحكم لعل الله ييسر لي أن أؤدي دوراً في فلسطين ضد أعداء الله اليهود، فرد الشيخ الصواف عليه قائلاً: بل انغماسك في حكم أفغانستان طريق إلى فلسطين. فقلت لسياف: لقد لمست أن غالبية الشعب الأفغاني يرتبط بحب عميق ورباط وثيق بفلسطين والقدس. فرد سياف قائلاً: إن كنت أنسى فلا أنسى في حرب (١٩٦٧م) يوم خرجت كابل عن بكرة أبيها تبكي، وأهلها يطالبون بفتح الطريق إلى القدس، ولقد رأيت الناس حتى الشيوعيين يبكون! وتوجهنا نحو وزارة الخارجية الأفغانية فأغلقت دوننا الأبواب، ثم توجهنا نحو السفارة المصرية فأوصدت في وجوهنا المنافذ، ووقفت فوق سيارة في ساحة السفارة

---
(١) مجلة الجهاد العدد ٥٣ ١٧ رجب ١٤٠٩هـ الموافق فبراير-مارس ١٨٨٩م

وبدأت أخطب وأهتف بالجماهير، ثم صعد شيوعي معروف وبدأ حديثه للناس بالآية القرآنية:

(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) (الصف:١٠)

فلم يخرج إلى الناس أحد سوى خادم يعمل في السفارة المصرية.

وكم سمعت قادة الجهاد -خاصة سيافاً- يرددون قضية فلسطين، وأما سياف فيعتبرها قضية الإسلام الأولى في العالم، ولكنه يضيف: دهمنا بهذه الداهية فشغلتنا عن أنفسنا، ونرجو الله أن يعيننا على دحر هذا العدو ثم أداء واجبنا المقدس تجاه البيت المقدس.

أما حكمتيار. فقد جرى حوار بيني وبينه عن الوجهة التي أعزم عليها بعد كابل، فقلت له: لقد كان جل همنا وغاية أملنا أن تنتصروا، حتى إذا وصلتم كابل ودعناكم، ولعل الله يفتح لنا ثغرة في فلسطين نواصل فيها الجهاد ويرزقنا الله فيها الاستشهاد.

فرد حكمتيار: لا، بل نشترك معاً في بناء أفغانستان المسلمة بدولتها الإسلامية ثم تمضي معاً إلى فلسطين.

وكثيراً ما أقول في نفسي: لقد حق لليهود أن يحسبوا ألف حساب لهؤلاء الشباب من أبناء الدعوة الإسلامية، الذين يقودون مسيرة هذا الجهاد المبارك، ويقدر اليهود وهم يبدون الفزع الشديد والرعب الأكيد من أخبار الانتصارات الأفغانية، وكلما اقترب هؤلاء من منصة الحكم كلما أطلقت الحملات الإعلامية الشعواء من خلال الصحف اليهودية العالمية الغربية -والأمريكية بالذات- على الجهاد وقادته الملتزمين الذين يطلقون عليهم تلك الكلمة التي تفزعهم (الأصوليين).

إن فرائص أعداء الله عامة واليهود خاصة لترتعد هلعاً؛ كلما رأوا هذا الجهاد يقترب من النصر النهائي، خاصة وهم يرون هذا الشعب الذي لم تلن له قناة، ولم يهن له عزم، رغم الأرزاء الفوادح والدواهي الكوابح التي أمطرت عليه.

(فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) (آلعمران:١٤٦).

وكثيراً ما يتردد على ألسنتهم دعاء خاشع مخبت:(اللهم حرر على أيدينا كابل ولا تمتنا إلا في بيت المقدس).

ولقد هزتني تلك القصة الموحية التي سمعتها من الشيخ برهان الدين رباني فماً لأذن؛ وهو يحدثني قصة امرأة دخلت بيتهم، وأصرت على مقابلته، وقطعت له اجتماعه، فعندما جاءها رباني وإذا بها تخرج علبة من حقيبتها قد أودعتها حليها وزينتها وناولتهاربانى قائلة:(هذه حليي جئتك بها حتى تجهز غازياً إلى فلسطين).

ولقد ذهل (نيكسون) وهو يرى رجلاً طاعناً في السن في مخيم (ناصر باغ) يتقدم إليه قائلاً: (لماذا بعتم فلسطين لليهود؟).

هذا شعب أفغانستان المسلم:

تعـــود ألا تقضـــم الحب خيلـــــه	*إذا الهـــام لم ترفـــع جنوب العلائق*
ولا تـرد الغـــــدران إلا ومــــاؤهـــا	*من الدم كالريحــــان تحت الشقائق*

وهذه أفغانستان شعب الشمم والإباء، فهل يقابله شعب فلسطين بالإحسان والوفاء؟

خمس دقائق للقضية أم للطاقية[١]؟

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

في التسعين من العمر، وقد لحب الجنبان، واحدودب الظهر، لا تفارقه العصا التي يتوكأ عليها، لا أهم بالخروج إلى المعسكر أو الجبهة إلا ويبادرني قائلاً: أين يا بني؟ فأذكر له وجهتي، فإن كان الجواب الخروج إلى معسكر التربية والتدريب يسألني: وكيف النور في دورة المياه؟ فإن اطمأن إلى النور في الليل حمل عصاه ورافقني.

دربناه على الكلاشنكوف والرشاش الخفيف، ثم قلت له: نعطيك الكلاشنكوف ليكون سلاحك الفردي، فقال: لا بل أريد البندقية الإنجليزية (لي أنفيلد) التي جاهدت فيها مع تركيا ضد بريطانيا في الحرب العالمية الأولى، فيبتسم سياف قائلاً: هذه هدية مني إليك.

وكنت أحياناً أدعه في معسكر التدريب متوجهاً إلى الجبهة، فألمح في محياه آثار الحسرة وسحابة الحزن، ودعني ذات مرة وعيناه تذرفان ثم قال: لقد فاتتنا الشهادة أيام أن كنا شباباً؛ وكنا إذ ذاك نستطيع أن ندخل المعارك، وتجده أحياناً يحلم بالشهادة

---

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٣ ص ٥٦ شعبان ١٤٠٩هـ الموافق مارس-ابريل ١٩٨٩م

قائلاً: أود أن أرافقك إلى الجبهة لعل رصاصة يسوقها الله ننال بها الشهادة والجنة. فرددت أبيات الشاعر:

عمري بروحي لا بعدّ سنين ... فلأسخرن غداً من التسعين

عمري إلى التسعين يجري مسرعاً ... والروح ثابتة على العشرين

عهوده على القادة:

أما في بيشاور؛ فكلما هممت بزيارة أحد القادة ألح علي أن يرافقني لزيارته، ثم يأخذ بيد القائد ويأخذ عليه العهد أن يجاهد لتحرير الأقصى ويقول: الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين. لقد أخذ هذا العهد على سياف، وعلى حكمتيار، وعلى يونس خالص، وما من مرة يقابل فيها الشيخ سياف إلا ويقول له: العهد، الأقصى، فيؤكد له سياف إصراره على العهد وبقاءه عليه.

وكنت ذات مرة مع مجموعة من الإخوة في زيارة الشيخ جلال الدين حقاني، وكانوا ضيوفاً من العالم العربي، فقال أبو الحسن المدني: أين الوالد ليأخذ العهد على الشيخ جلال الدين؟ فأجبت أنا وكيله بأخذ العهد، فقبضت بيد الشيخ حقاني وأخذت عليه العهد. وعندما عدت إلى البيت بشّرت والدي بأننا أضفنا إلى العهود عهداً جديداً من شيخ جليل مجاهد.

الأفكار والمنبت:

إن التربة الخصبة تنبت نباتاتها بإذن ربها ناضجة شهية:

{والذي خبث لا يخرج إلا نكداً} (الأعراف:٥٨).

وإن أرض الجهاد لتصقل الروح، وتصفي القلب، وتقلب كثيراً من الموازين، فتجدنا في أرض النزال وميدان الأبطال حديثنا الذي يسيطر على نفوسنا ويأخذ بمجامع قلوبنا: الشهداء، الجرحى، الإنتصارات، الجبهات، الأيتام، القوافل، الإمداد والإعداد، السرايا والكتائب، القادة، هزائم الروس، ماذا عن قندهار؟ وكيف حصار جلال آباد؟ وما حاجة القوم في بغمان أو شكردرا.

وهذا الجو الساخن الجاد يسوق الإنسان للكلام عن آلامه وآماله طوعا وكرهاً، ولذا لم يكن مستغرباً من أبي أن تكون هذه المشاعر هي التي تشده، وهذه الأفكار هي التي تسيطر على نفسه وتستحوذ على اهتمامه. أما في المجتمعات الراكدة فلا تجد الحديث يرتفع عن البطون والفروج، هل الأصل التعدد في الزوجات أم الإفراد؟ سعر الدينار والدولار.

قلت لصاحبي وهو من الدعاة الذين نحبهم ونحترمهم: اسمع مني ألخص لك قضية الجهاد؟ فاعتذر لي بانشغاله، فقلت له: خمس دقائق؟ فاشترط علي ألا أزيد عن خمس دقائق ثم قال: على رسلك حتى أبحث عن طاقيتي التي ألبسها تحت (غطرتي)، ومكث قرابة خمس دقائق يبحث عن طاقيته، فقلت له: خمس دقائق لأعظم قضية وخمس دقائق للطاقية؟!.

وكل يرى طرق الشجاعة والندى ... ولكن طبع النفس للنفس قائد

وما أجمل كلام ابن القيم: (الأرواح في الأشباح كالأطيار في الأبراج، وليس ما أعد للاستفراخ كمن هيء للسباق، ومن أراد من العمال أن يعرف قدره عند السلطان فلينظر ماذا يوليه من العمل، وبأي شغل يشغله، فكن من أبناء الآخرة ولا تكن من أبناء الدنيا، فإن الولد يتبع الأم).

حتى لا تضيع فلسطين إلى الأبد (الحلقة الأولى)[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:-

فما رأيت قضية تاجر بها الفجار، وظلم بها أصحابها الحقيقيون مثل فلسطين.

فكل التغييرات التي جرت في الأوضاع السياسية كانت ورقتها الرابحة ولافتتها الرائجة (فلسطين وإرجاعها).

فقد ادّعى العسكر الذين حكموا أجزاء مختلفة من المناطق العربية: أن الأنظمة التي كانت تسود المنطقة العربية إبان معارك سنة (١٩٤٨م-١٩٤٩م) كانت آنذاك عميلة الاستعمار، تأتمر بأمره، وترتهن بإشارته، فجاءت هذه الأنظمة العسكرية (ذات الأحذية

---

(١) مجلة الجهاد العددان (٥٤-٥٥) رمضان-شوال ١٤٠٩هـ ابريل-مايو ١٩٨٩م ص ٥٩.

الثقيلة!!!) لتعيد الحق إلى نصابه، وترد المظلومين إلى ديارهم المغتصبة، وظل شعار العودة الذي يرفعه العسكر أفيوناً يخدر الجماهير المسحوقة في المنطقة؛ والتي أعياها أن تجد حلاً سوى الأماني المعسولة التي يوهمهم بها من يتربعون على الصدور دون الكراسي.

واستيقظ العالم الإسلامي صبيحة الخامس من حزيران (١٩٦٧م) على الهزيمة التي ما سطّر التاريخ لها مثيلاً في تاريخ المعارك العسكرية، وتبدى من خلال الانهيار الكبير في الميدان أن الأماني كانت سراباً خلّباً، وأن الأحلام كانت أوهاماً ما جاوزت أخيلة المغرورين ولا أدمغة المخدوعين، وجاء التجار الثوريون الجدد ولكن باسم الثورة والثوار، وباسم الأرض والتحرير، وفي هذه المرة رفعت مبادىء جديدة وشعارات فريدة، وتسلل اليسار تحت ضجيج الإعلام وهم يركبون مركب الإنقاذ فوق الجماجم والدماء، وخدع الناس مرة أخرى باليساريين، متناسين قوله عز وجل: **{ومن يهن الله فما له من مكرم}** (الحج:١٨)

{إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده} (العمران:١٦٠)

وقول الحسن البصري: (إنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين فإن ذل المعصية لا يفارق رقابهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه).

ففي سنة (١٩٣٩م) أنشأ الشيوعيون عصبة التحرر الوطني، سكرتيرها اليهودي (بنفسكي) ونائبه توفيق طوبي، وكانت مطالب هذه العصبة: جلاء بريطانيا، ثم تشكيل حكومة مشتركة بين اليهود والعرب، وفي حرب (١٩٤٨م) تحول أعضاء عصبة التحرر الوطني إلى قادة عصابات مسلحة، يذبحون الشعب الفلسطيني، فانسحب بعض الشباب المغرر به، في حين وقف الشيوعيون المتحمسون يدافعون عن اليهود، وفي مقدمة هؤلاء إبراهيم بكر -نقيب المحامين في الأردن فيما بعد-، وفؤاد نصار زعيم الحزب الشيوعي الأردني، وبعد نكبة سنة (١٩٤٨م) صار الحزب الشيوعي الفلسطيني اليهودي يشرف على بقية فلسطين غير المحتلة، وكان في رئاسة الحزب إميل توما وتوفيق طوبي وإميل حبيبي، وهذان الأخيران كانا عضوين في الكنيست لفترة طويلة.

وكانت الصلة بين الشيوعيين في قسمي فلسطين المحتلة والضفة الغربية عن طريق (ضابط إسرائيلي وسكرتير صحفي من الشيوعيين يعملان في لجنة الهدنة).

يقول الأستاذ سعد جمعة في كتابه (المؤامرة ومعركة المصير) (ص١٤١-١٤٤): (إن كثيراً من المنشورات الشيوعية العربية كانت تأتينا عبر الحدود من إسرائيل، وإن كثيراً من قادة الحزب الشيوعي الأردني قذفوا علينا من إسرائيل؛ بعد أن تتلمذوا على أيدي دهاقنة الحزب الصهيوني المضللين).

ولقد كشف رفيق رضا (عضو قيادة الحزب الشيوعي اللبناني السوري) -الذي انشق على خالد بكداش وكان مساعداً له- عن المؤامرة فيقول: (كانت قيادة الحزب الشيوعي بمثل حماس ابن غوريون على بعث الدولة اليهودية في فلسطين، فإسرائيل في نظرها واحة من واحات الديمقراطية في الشرق الأدنى).

ولقد وقف الشيوعيون العرب يدافعون عن اليهود المظلومين.

ففي العراق قال الشيوعيون: (إن الشعب العراقي يرفض بإباء أن يحارب الشعب الإسرائيلي الشقيق).

وقال فهد سكرتير الحزب: (مرحباً بإنشاء دولتين عربية ويهودية في فلسطين، وأشترط لها الاشتراكية والتحالف ضد الرجعية الدينية العربية).

وكتبت المنظمة الشيوعية المصرية في (١٥) مايو (آيار) (١٩٤٨م) تحت عنوان (غزت الجيوش العربية فلسطين): وهذه الحرب حرب رجعية تخدم البرجوازية العربية بكبت البروليتاريا الصاعدة -اليهود- الثورية في فلسطين.

ولنا عودة لنرى ما خلف اليسار على رأس فلسطين من الدمار.

حتى لا تضيع فلسطين إلى الأبد (الحلقة الثانية)[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن أعداء الله وهم يخططون لإبعاد هذا الدين عن ساحة الحياة، واجتثاثه من أعماق القلوب؛ ليدركون أكثر من غيرهم أن

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٦ ذو القعدة ١٤٠٩هـ يونيو ١٩٨٩م.

النفس البشرية لا تستطيع أن تعيش في فراغ، ولا أن تحيا بدون أيديولوجية تشغلها في واقع الحياة.

واليهود وهم يكيدون لهذا الدين وأهله قد علموا أن الساحة في الشرق بالذات لا يمكن أن تشغل إلا بالمبادىء، فلا بد من إحلال قيم جديدة مهما كانت في المنطقة ليلهو بها الناس.

ولذا فهم الذين كانوا وراء طرح المبادىء القومية على تركيا لإنهائها، وعلى العرب لسلخهم عن دينهم، وعندما أفلست النظريات القومية وأصبحت باهتة قدموا النظريات الاقتصادية الشيوعية والاشتراكية، ثم النظريات الاجتماعية كالعلمانية.. وهكذا دواليك.

لقد استشار عبد الناصر الأمريكان حول الشعار الذي يرفعه، فكان هناك طرحان:

الشعار الإسلامي: وهذا يضمن بقعة أوسع لإشباع غروره، والشعار القومي، فأجاب الأمريكان: إن رفع الشعار الإسلامي كلافتة يتجمع الناس تحتها يوجب عليك أن تنشىء بعض المؤسسات الإسلامية في البلد، وتحت هذه اللافتات لا بد أن تنمو نوعيات متعصبة متحمسة كالإخوان المسلمين، وهؤلاء سينسفون كل مخططاتك، ويسحقون كل آمالك، فعليك بالشعار القومي، واليهود -وهم يخططون لإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين- فكروا كثيرا في هذا الدين الذي يعتبر الشهيد في درجة عالية في الجنة مع النبيين والصديقين، ولذا فقد نشرت صحيفة يدعوت أحرنوت الإسرائيلية في (١٩٧٨/٣/١٨م) قالت فيه: (إن على وسائل إعلامنا أن لا تنسى حقيقة هامة هي جزء من استراتيجيتنا في حربنا مع العرب، هذه الحقيقة هي أننا قد نجحنا بجهودنا إلى الأبد، ولهذا يجب أن لا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع استيقاظ الروح الإسلامية بأي شكل، وبأي أسلوب، ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال *العنف* والبطش لإخماد أي بادرة ليقظة الروح الإسلامية في المنطقة المحيطة بنا، وستجد إسرائيل نفسها في وضع حرج إذا نجح المتعصبون، أولئك الذين يعتقدون أن أحدهم يدخل الجنة إذا قتل يهودياً أو إذا قتله يهودي.

ولذا فقد اتصلوا منذ وقت مبكر بالشباب الفلسطيني لإشغاله بعقيدة جديدة تنسخ عقيدة الإسلام في ذهنه وتحل محلها، فجاء المنظرون الشيوعيون منذ سنة (١٩٢٠م) لبناء الحزب الشيوعي الفلسطيني، وذلك لتجر إلى حبائلها ولتوقع في شباكها أولئك العمي الذين يبرزون في المجتمع، وذلك لينفسوا عن آلامهم بالنضال الكلامي ضد الإمبريالية والاستعمار، ولتخدر مشاعرهم: أنهم إنما يكافحون من أجل وطنهم، وتشغلهم في قضايا بعيدة كل البعد عن واقع حياتهم، هذا إذا افترضنا أنهم صادقون في وطنيتهم، مع أن الكثيرين يدركون أبعاد المؤامرة، ولكن بعد فوات الأوان، وبعد أن تصبح كل مصالحه مرتبطة بالحزب الشيوعي الذي يحقق له إشباع شهواته، وإرواء نهم نزواته، ويضمن له من خلال أجهزة الإعلام اليهودية أن يكون شخصية مرموقة يشار إليها بالبنان، وترؤس مجالس البلدية كتوفيق زياد، والولوج في مجلس الكنيست كتوفيق طوبي وتوفيق زياد، أو تضمن أن يرتفع في مجاله وتخصصه بأن تحرك أصابع الأخطبوط التي تمتص الحياة من شرايين الأمة المسلمة، فتظهره الشاعر المرموق، والكاتب الموهوب، كما فعلت بأدونيس -النصيري الذي اعتنق الفكر القومي السوري-، والبياتي ومحمود درويش وسميح قاسم ومظفر النواب الذين اعتنقوا الفكر الشيوعي باسم الحداثة في الأدب والشعر المرسل وغير ذلك.

واليهود يدركون أن الإسلام هو عدوهم، وكذلك الغرب والأمريكان، ولذا فهم الذين دفعوا عبد الناصر أن يأخذ الأسلحة الشرقية، وأن ينادي بالاشتراكية، وأن يأخذ قروض السد العالي من روسيا، مع أنهم تكفلوا له بإضعاف هذه، وذلك لأن الدول الغربية مكروهة لدى الشعوب العربية، فلا بد من صناعة الأبطال تحت ضجيج الإعلام الوطني الذي يضر بالمصالح الغربية، ولذا فاليهود يصرحون عن مخاوفهم من الصحوة الإسلامية، ولا يخفون فزعهم من تحول الشباب في المنطقة المحتلة من القومية والشيوعية إلى الإسلام.

أما عن القومية:

ففي (٢) شباط (١٩٧٩م) أجرت جريدة (هاآرتس) مقابلة مع مسؤول يهودي كبير قال فيه: (إن الذي يثير قلقنا هو أن مواقف العرب داخل إسرائيل بدأت تتحول من مواقف مبنية على قواعد قومية، إلى مواقف مستندة إلى قواعد دينية، وإن الشباب العربي بدأوا يتحولون عن زعاماتهم التقليدية إلى الزعامة الدينية، التي يمثلها علماء الدين، وهم في غالبيتهم من الشباب الذين لا يستبعد أن يكون لهم ارتباطات بحركات إسلامية متعصبة).

أما عن الشيوعية فقد جاء في ملحق (هاآرتس) اليهودية (١٩٧٩/٧/١٣م) حديث طويل عن اليقظة الإسلامية في قرى المثلث

العربي في فلسطين المحتلة سنة (١٩٤٨م) جاء فيه: (طوال الثلاثين عاماً المنصرمة، كانت الأقلية العربية في إسرائيل تمارس نشاطاً سياسياً متحفظاً، غالباً ما كان تحت مظلة الحزب الشيوعي الإسرائيلي، أما الآن فإن الأقلية العربية بدأت تتجه اتجاهاً مختلفاً نحو جذورها وأصولها الدينية، ولقد أصبحت ظاهرة تزايد اليقظة الإسلامية في صفوف الأقلية العربية موضع اهتمام السلطات الرسمية التي تنظر -بريبة وخوف- إليها، ومن هم الذين يقفون وراءها؟ فيقول: إنه لاحظ الكثير من رجال الدين الذين لهم نشاط مرموق، غالباً ما يكونون من أعضاء الحركة الإسلامية، التي يصفها الكاتب اليهودي بقوله: إنها حركة دينية متعصبة، أنشئت في مصر عام (١٩٢٩م)، وانتشرت في أنحاء العالم العربي، ولقد أكد ابن غوريون هذا فقال: نحن لا يهمنا القوميات ولا الثوريات ولا الاشتراكيات في المنطقة، وإنما يهمنا الإسلام، هذا العملاق الذي نام طويلاً وبدأ يتململ في المنطقة.

حتى لا تضيع فلسطين إلى الأبد (الحلقة الثالثة)[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد استيقظ العالم العربي صباح الخامس من حزيران على هزيمة لم تعهد البشرية لها نظيراً، ولم يسطِّر التاريخ العسكري اندحاراً أغرب من هذا، تبددت الأحلام التي رسمها القادة الثوريون في أذهان المتحمسين من أبناء فلسطين ممن كانوا لا يزنون بالموازين الإسلامية، ولا يقيسون بالمقاييس الربانية. لقد كانت هزة عميقة أيقظت الواهمين، وفتحت أعينهم على أولئك السادرين في طغيانهم، وأدركت الشعوب أن هؤلاء الطغاة قد زاولوا طيلة عقد ونصف عملية التخدير لمشاعر الجماهير، ووصل الناس إلى حافة اليأس، ولسان الجمهور يهمس:

ونرى الموت راحة إن تعالت	في حمانا زعانف وقرود
حين تغدو الشعوب قطعان ضأن	ويكون العشب الحبيب الوحيد
وديار الإسلام أضحت مزاداً	كل شار بما يشاء يزيد

وكانت فتح هي الفئة الوحيدة التي رفعت شعار القتال لتخليص الأقصى من اليهود، ولقد كانت فتح قد بدأت سنة ١٩٦٥ بداية رائعة، بنماذج من الرجال عندهم المروءة والنخوة، وتحملوا الكثير وهم يصارعون الأنظمة صراع الحياة أو البوار، ويخوضون معركة الوجود أو الاندثار، ولم تستطع الدول العربية آنذاك أن تفتح فمها في وجه الذين يريدون أن يواصلوا الحل العسكري، إذ أنها كانت متردية في هوة من الدمار الاقتصادي والعسكري والسياسي، وتوارت خجلاً من أن تقابل الجماهير المتحمسة التي تود لو مزقتهم إرباً إرباً.

وبدأت فتح تستنفر طاقات الأمة، وتستنهض هِمم المسلمين، وتحرك مشاعرهم، وللأسف العميق: لم يتقدم إليها سوى الذين ضاقت بهم سبل العيش؛ لقد تقدم إليهم: الشباب الهارب من التجنيد الإجباري الأردني، أو الراسبون في امتحان الإعدادية العامة، أو الذين يجدون في حمل السلاح ولبس المرقع متنفساً لأحاسيسهم، ومرتعاً لأحلامهم دون تربية إسلامية ولا خلفية إيمانية.

أما المفكرون والأساتذة والسياسيون والموظفون والتجار؛ فتحول دون وصولهم إلى حمل السلاح الأماني العذبة، والأحلام المعسولة التي تثقل أرجلهم بالقيود دون النفير لمواجهة أبناء الخنازير والقرود، وهكذا ملأ الشباب الغض والفارغون والمغامرون كوادر فتح، دون أن يكون للقيم والمبادىء أثر في حياتهم، أو يكون للإسلام أي وزن في توجيه حياتهم وقتالهم.

وتسلل اليسار (أهل الشمّال) من الأحزاب الشيوعية والقومية والبعثية ودخلوا القضية من جانبها الميسور السهل، واستعملوا الأبواق، وغابت الأصوات الصادقة تحت ضجيج أبواق أهل الشمّال ممن كانوا يفزعون من ذكر الإسلام .

(وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون) (الزمر:٤٥).

كانت أحب الأسماء إلى مسامعهم: كاسترو، جيفارا، هوشي منه، ماوتسي تونغ، وأبغض ما يمكن أن يطرق مسامعهم: قال الله، وقال رسول الله ﷺ، وانهال التجار من أهل اليسار مدفوعين من الأنظمة المهزومة لإسناد هذا الغثاء، وفجأة برز جورج حبش -تلميذ قسطنطين زريق المبشر في الجامعة الأمريكية-، يشكل جبهة سمّاها: الجبهة الشعبية، وطفا على السطح بعده نايف حواتمة يشكل الجبهة الديمقراطية.

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٧، ص ٨١، ذو الحجة ١٤٠٩هـ يوليو ١٩٨٩م.

الشعارات والمزايدات:

وطرحت الشعارات الثورية تلطخ جدران عمان بالدهان الأحمر وبالخط العريض: (كل السلطة للمقاومة)، (عمان هانوي العرب)، (طريقنا إلى فلسطين إسقاط الحكم الرجعي في عمان)، واستدرجت فتح راضية أو كارهة إلى معركة الشعارات واللافتات.

كانت لدينا تجربة مريرة مع هؤلاء، إذ أننا -أبناء الحركة الإسلامية- كنا نعيش تحت لافتة فتح، وكانت تضمنّا أحيانا معسكرات تجمّع: إعداداً لمعركة، أو استماعاً لمحاضرة زائر، فكان أحدنا يقف إذا حان وقت الصلاة يؤذن، فيصطف أهل الشّمال (اليسـار) من الديمقراطية يرددون:

إن تسـألي عنـي فهـذي قيمـي أنـا مـاركسـي لينيني أممـي

لقد كانت بجنبنا في قرية الرفيد في شمال الأردن قاعدة للجبهة الديمقراطية، كان سراليل فيها سب الإله أو الدين أو الرسول ﷺ، وهكذا كثر الغثاء، وزاد البلاء، وتوارى الصالحون، وبرز الحاقدون على هذا الدين، وخفت نداء الصادقين، وبح صوت المخلصين، وأضحت مشاعر الإسلام غريبة في هذا الجو الكئيب، وأصبحت العزلة نداء الأعماق الحبيب، وتبدلت الأرض غير الأرض:

فلا الأذان أذان فـي منـائـره إذا تعـالـى ولا الأذان أذان

حتى لا تضيع فلسطين إلى الأبد (الحلقة الرابعة)[1]

بدأت سنة (١٩٧٠م) والجو جد متوتر بين فصائل المقاومة وبين الحكومة الأردنية: كل يعد للآخر، ويتربص به الدوائر. فالمقاومة من جهة تطاولت على الحكومة الأردنية من حيث التصريحات وانتهاك حرمة الأنظمة والاستهتار بالسلطة. كان نايف حواتمة النصراني يذهب إلى بيروت ليعقد مؤتمرات صحفية يعلن فيها: (إن طريقنا إلى فلسطين هو إسقاط الحكم الرجعي في عمان).

ومن جهة أخرى فإن اليهود قد شدّوا قبضتهم على الحدود، وزرعوها بالأسلاك الشائكة المكهربة وحقول الألغام في كثير من المناطق، وقلت العمليات التي تجري داخل فلسطين، وتركزت معظم العمليات على إطلاق رصاص طائش تنصب فيه الأسلحة الثقيلة شرقي النهر وينهمر الرصاص كالمطر، وفي اليوم التالي ينزل البيان بعملية (موشي منه)، ويضعون من الأرقام الخيالية التي تحلو لهم من خسائر العدو المادية والبشرية، ومن جهة أخرى فالحكومة الأردنية تتخذ ترتيباتها لليوم الذي ستجهز فيه على المقاومة، وتثأر لكرامتها التي أهدرت ومرغت بالأوحال، فأحالت بعض قادة الجيش الكبار إلى المعاش، وأوحت إليهم أن يدخلوا المنظمات: ليكونوا لها العين الصادقة واليد الباطشة إذا حان الحين.

ودارت الدوائر، وقد بلغ الاستهتار قمته بقيم الأمة ومثلها ودينها في (٤) نيسان (١٩٧٠م) الذكرى السنوية لميلاد لينين (غارس دولة الإلحاد في الأرض) -اليوبيل الذهبي-، وأجمعت المنظمات كلها على الاحتفال بهذه المناسبة التي سعدت بها البشرية، وأنقذ بها العمال في الأرض!!

وشكلت لترتيب الاحتفال بهذه الذكرى لجنة يرأسها وزير الأوقاف الأردني؛ الذي أفتى بعض العلماء بتكفيره بسبب هذه الموبقة التي لا نظير لها من الاعتزاز بالكفر وطواغيته. وقررت اللجنة أن يستمر الاحتفال أسبوعاً كاملاً، وحدد مبنى أمانة العاصمة مركزاً للاحتفالات بهذه الذكرى المجيدة! وحشد لهذا الاحتفال الطاقات والأموال والأجهزة، وطبعت مئات الألوف من صور (لينين) حتى لا تترك ناصية شارع ولا مفرق طريق ولا باب حانوت إلا وتلطخ بهذه الصور، والشعب الطيب الأردني والفلسطيني يذوب حسرة من أعماقه لهذه الممارسات التي تنتهك حرمة الأمة وقيمها.

وتم الاحتفال والطيبون يجترون آلامهم، والحكومة تريد للشعب أن يستيقظ على هذه الأفعال التي ما رأتها ساحة الأردن الحزينة، وتجهم الجو، واكفهرت السماء، وأصبحت الدنيا أضيق في نظر الطيبين من كفة الحابل، وصار الصادقون يمرون على القبور فيحسدون أهلها، أنهم غابوا تحت التراب قبل أن يروا هذه المصائب.

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٨ ص ٥١ محرم ١٤١٠هـ أغسطس ١٨٨٩م.

سهم أصاب المقاتل:

وفكرت الحكومة الأردنية في موارد المقاومة البشرية بغية تجفيفها، وقد وصل مستشاروها إلى نتيجة: أن التجنيد الإجباري الذي يفر منه الشباب إلى المنظمات؛ وامتحان الإعدادية العامة الذي يحول دون مواصلة الراسبين لدراستهم الثانوية وحرمانهم من الإيواء تحت ظلال المدارس: هي السبب الرئيسي الذي يضطر الشاب إلى أن يلج باب المنظمات، إذ أن بقية الأبواب قد أوصدت في وجهه، وبقرار واحد صدر عن مجلس الوزراء من شقين جفف أكبر روافد الثورة:

١- إلغاء قانون التجنيد الإجباري.

٢- إلغاء امتحان الشهادة الإعدادية.

وفعلاً فقد كان سهماً أصاب الثورة في مقتلها، وخلال أيام خلت قواعد الثورة من معظم ثوارها.

مقتل الثورة:

والحق أن مقتل الثورة إنما هو الخواء الروحي الذي تعاني منه المنظمة، والفراغ العقائدي أحالها إلى قالب فارغ نخره السوس تحطمه أية هزة، وتطيح به أية عاصفة.

لم تكن هنالك أيديولوجية تجمع الثورة والثوار، ولم تبن الطلائع قاعدة صلبة يحيي أعماقها إيمان بالله، واحتماء بركنه الركين، والتياذ بحصنه الحصين المتمثل بهذا الدين، لقد كان كل شاب يختار لنفسه اسماً حركياً خوفاً من أجهزة الأمن، ولقد اختار سائق السيارة التي توصل إلينا المؤونة اسم أبي جهل، وأما أسماء (جيفارا، وهوشي منه، وماو) فحدث عن كثرتها ولا حرج.

لقد كان أحسن الشباب حالاً من يقاتل من أجل تراب فلسطين وأهلها، وإلا فالكثرة الكاثرة تعيش اضطراباً عقدياً، وعماء فكرياً والتباسا هدفياً لا نظير له.

ملامح المرحلة:

لقد كانت كل المؤشرات توحي أن ساعة الصفر تقترب يوماً بعد يوم، وقد أحست الأردن أن أمريكا مرتاحة لفكرة الوطن البديل، وهي ترتب لهذا بحيث يتخلى الملك عن الحكم ليتسلمها الثوار، ولتكن الأردن هي الوطن البديل للفلسطينيين كما صدع بهذا (بيغن) واليهود، وهم يرون أنه لا بد للفلسطينيين أن يقبلوا بالأردن كوطن بديل.

واليهود بهذا متفضلون على أهل فلسطين، لأنهم يتنازلون لهم عن الضفة الشرقية من (فلسطين المحتلة).

وأصبح الجيش الأردني يحس يوماً بعد يوم أن كرامته تهدر على يد رجال الثورة، فأصبح رجاله نهبة للمغامرين اليساريين من الثوار، وازدادت عمليات الاختطاف من جنوده الذين قد يتعرضون للتشويه وقطع الانف أو الأذن أحياناً، وكانت هذه العمليات تطبع في قيادة الجيش كبيان ويوزع على كل وحدات الجيش، فأصبح الجيش ينتظر اليوم الذي يثأر فيه لشرفه العسكري من هؤلاء الثوار، وأصبحوا يطالبون الحكومة بالانتقام من الفدائيين، وصاروا ينتظرون الضوء الأخضر حتى ينقضوا على الفدائيين ويجهزوا عليهم.

طباعة المصحف:

وطبع الجيش مصحفاً ووزعه على أعضائه، ومهدوا للاصطدام بتوجيه معنوي مركز، حتى استقر في أذهان الجيش أن الفدائيين كلهم كفار شيوعيون بلشفيون، لا يؤمنون بدين ولا يعرفون حرمة.

مبادرة روجرز وعبد الناصر:

وفي أغسطس (آب ١٩٧٠م) قبل عبد الناصر المبادرة الأمريكية للسلام، فانتفض الشعب الفلسطيني في وجهه، وقادوا المظاهرات في عمان ودمشق وبيروت، وهي أول مرة يقف الفلسطينيون فيها غاضبين كالليوث يزأرون في وجه عبد الناصر.

حقد عبد الناصرعليهم، وأغلق إذاعة صوت العاصفة، وطرد الجرحى من مستشفيات مصر، وآن الأوان لتتفق الأردن ومصر على اجتثاث الوجود الفدائي من جذوره.

حتى لا تضيع فلسطين إلى الأبد الحلقة الخامسة(١)

نحن الآن في أغسطس سنة (١٩٧٠م)، كل المؤشرات تشير إلى أنه لم يبق في القوس منزع، وقد بلغ السيل الزبى، وجاوز الحزام الطبيين(٢) لدى الحكومة الأردنية تجاه المنظمات الفدائية، والمنظمات الفدائية لم يبق في نفسها شيء إلا أسفرت عنه... السيارات في عمان تمر محملة بالأسلحة الثقيلة، اللباس المبرقع الذي يرتديه أبناء المنظمات لا يكاد يغيب عن عيني الناظر منتشرين في شوارع العاصمة والمدن، لم يعد للحكومة سيطرة على الأمن، كل يعلق الكلاشنكوف في كتفه لا يحسب حساب أحد.

روجرز الأمريكي يزور القاهرة يعرض على عبد الناصر مبادرة السلام، لأول مرة يقف عبد الناصر ويعلن أنه يقبل الصلح مع إسرائيل، الشعب الفلسطيني يبهت وهو يرى الرجل الذي تعلقت عليه الآمال بضعة عشر عاماً وفجأة يلقيه في مستنقع اليأس محطما، ولم يبق على لسان الشعب الفلسطيني سوى كلمات يتمتمها (حتى أنت يا بروتس)!!

خرجت المنظمات في عمان لتعبر عن صدمتها برجل الشرق، والأمل العريض الذي تبدد فجأة، فأخذوا حماراً ووضعوا عليه صورة الرئيس عبد الناصر وساروا به في عمان، فكانت صفعة شديدة لعبد الناصر، وكأن لسان الشعب الفلسطيني يردد:

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً	*وحسب المنايا أن يكن أمانيا*
تمنيتهـا لما تمنيت أن أرى	*صديقاً فأعيا أو عدواً مداجياً*

كان لا بد لعبد الناصر أن ينتقم لكرامته التي مرغت بالتراب، وكبرياء غروره المنفوخة التي نكثت فباتت ورماً خبيثا، فكان لابد أن يلتقي مع (النظام الأردني) لتوجيه ضربة قاصمة سريعة لكل هذه المنظمات، والتقى المسؤولون، ورسمت الخطوط الرئيسية لإنهاء الوجود الفلسطيني المسلح فوق أرض الأردن.

بسرعة خاطفة تغير الجو، وادلهمّ الأفق، و زمجر الغيظ، وتكاثفت السحب في جو العاصمة الأردنية.

وتقابل الصفان، والتقى الزحفان، ولم يبق إلا عود الثقاب الذي يشعل المنطقة ناراً، وانتظر الطرفان قشة تقصم ظهر البعير، وجاءت المناسبة، لقد اختطف الفدائيون ثلاث طائرات من سماء أوروبا، وجمعوها في يوم أو يومين في مطار الأزرق، وهددوا الحكومة الأردنية بتفجيرها بمن فيها إذا لم تستجب الحكومة الأردنية لمطالبهم.

وهنا يشير بعض المراقبين إلى أن هنالك أصابع خفية لعبت لعبتها لتجهز على العمل الفدائي من خلال بعض العناصر اليسارية المشبوهة، وإلا فأنى للفدائيين هذه القوة السحرية التي تسيطر فيها على سماء أوروبا فتخطف ثلاث طائرات في يوم واحد، ولا يعلم السر إلا الله علام الغيوب.

ولم تستجب الحكومة الأردنية للمطالب خلال مدة الإنذار المعطى، وفجأة وإذا بالطائرات تدمّر بمن فيها، مما أثار الاشمئزاز لدى كثير من العقلاء، وهنا تغيرت الحكومة المدنية... وجيء بحكومة عسكرية... واستلم قائد الجيش منصب الحاكم العسكري العام، وترأس الحكومة العسكرية رجل فلسطيني لتأتي مذبحة الشعب على يد رجل من أبناء جنسه، وأعلنت أحكام الطوارئ... ومنع التجول... وبدأت المذابح بين الجيش والفدائيين....

وجنحت الأصوات تجأر وتستنجد لتوقف حمامات الدم في كل مكان، وتداعى الزعماء العرب إلى مؤتمر قمة في القاهرة يرأسه الذي رتب المجزرة وهو متنسك بمسوح الضأن، ويبكي دموع التماسيح، وقرر المؤتمر إرسال وفد يرأسه النميري رئيس السودان -وقتها- إلى عمان لإيقاف المجزرة، وعبثا حاول النميري في عمان أن يفعل شيئاً، وعاد كما جاء آيساً من الإصلاح، وعقد مؤتمراً في القاهرة هاجم فيه النظام الأردني، فجاء المسؤولون الأردنيون وحضروا المؤتمر، ومن خلال المباحثات والمكاشفات والمعاتبات تبين لدى المؤتمر أن عبد الناصر ضالع في المؤامرة!!

وبهت الرجل إذ ظهرت حقيقته، وفجع الملك فيصل وغادر المؤتمر، ومات عبد الناصر في نفس اليوم.

وتوقفت المجازر، وانتهى الفصل الأول من المسرحية الدامية، وأسدل الستار قليلاً حتى يبتدئ الفصل الثاني.

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٩ صفر ١٤١٠هـ سبتمبر ١٨٨٩م.

(٢)- (الطبي: حلمة الضرع).

حتى لا تضيع فلسطين إلى الأبد (الحلقة السادسة)[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ففي (١٥) مارس سنة (١٩٧٩م) في عهد محمد نور تراقي -مؤسس الحزب الشيوعي (خلق) في أفغانستان- اتفق بعض الشباب من أبناء الحركة الإسلامية وبعض العلماء مع بعض الضباط الكبار في مدينة هرات، فهبوا هبة رجل واحد، وطهروا مؤسسات الدولة من الشيوعيين، وتسلموا إدارة دوائر الدولة.

وفزعت أجهزة نظام الحكم في كابل، واتصلوا بسيدتهم روسيا ينبئونها النبأ المفزع، فارتعدت أوصال الدب المنتفخ بما امتصه من دماء المسلمين، فأرعدت روسيا وأرغت وأزبدت، وقذفت بدباباتها ومصفحاتها، ورفعت أعلامها البيضاء كي تخدع المسلمين معلنة استسلامها، حتى إذا تقدم الشعب لاستلامها فتحت وابل رصاصها على الجموع، وأخذت تحصد الجماهير المحتشدة، ودارت معركة بين الدبابات التي تصب جام غضبها قذائف فتحيل الأرض ناراً، والطائرات التي تأكل حممها الأخضر واليابس؟؟ وتكدست جثث الشهداء في شوارع هرات، حتى أصبحت المدرعات تقري[2] عجلاتها خليط اللحوم والدماء والعظام، تتعثر بحركتها بين ركام الأجساد.

وأسفرت الأيام الثلاثة ذات المعارك الشرسة بين الشعب الأعزل والجنود الحمر عن مقتل (٢٤) ألفاً من الشعب المسلم، وكانت تاريخاً يؤرخ الناس به يوم (٢٤) حوت سنة (١٣٥٨هـ ش).

ولقد كانت قصة هرات حافزاً قوياً ووميضاً منيراً لجادة الشعب الأفغاني الذي هب بأغلبيته وفي معظم أصقاع وطنه يواجه قوى حلف وارسو، مما دفع (كارلوتشي) -وزير الدفاع الأميركي لريغان- أن يجيب على سؤال من وزراء حلف الأطلسي حول سياسة غورباتشوف فقال: (لقد أجبر الشعب الأفغاني غورباتشوف أن يغير سياسته تجاه العالم أجمع).

الأحداث في بيت المقدس:

والآن تطالعنا الأحداث بين الفينة والأخرى عن شباب بدأوا يواجهون أبناء القردة وأحفاد الخنازير بأسلحة ينتزعونها من أيدي جنودهم عنوة، فقد نقل قبل فترة أن شاباً قتل أربعة من اليهود وجرح عشرة بسكين كانت في جيبه وفي رحاب المسجد الأقصى.

وفي نابلس:

توافينا الأنباء عن حدوث اشتباك مسلح في شوارع أكبر مدينة فلسطينية بين ستة من الملثمين (المقنعين) -وغالباً ما تطلق هذه الكلمة على الشباب المسلمين الذين ينتمون إلى حماس -وبين دورية مسلحة من اليهود، ولم تفصح الأخبار عن تفاصيل الخسائر التي لحقت بشعب اليهود الحاقد.

وفي بلدة بورين-نابلس:

نقل القادمون من الأرض المباركة قصة بطولية عن شاب اسمه (حمدان النجار) كان يسيم (يرعى) ماشيته قرب مستعمرة يهودية، فتعرض له أحد الجنود اليهود وزجره وهدده إن عاد إلى هذا المكان أن يؤذيه، وعاد اليهودي في اليوم التالي ليجد الشاب مصراً على موقفه وكأنه يردد:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى ... فما انقادت الآمال إلا لصابر

فتصارع معه وأخذ الشاب حجراً ضخماً ورضخ به رأس اليهودي، ثم أخذ سلاح اليهودي، فأبصر يهودياً آخر فأرداه قتيلاً، ثم كمن حمدان وراء جدار فمرت سيارة تقل دورية يهودية، فأطلق عليها النار فقتل ضابطاً وجندياً، فقفز جندي من السيارة ودارت بينه وبين حمدان معركة جرح فيها اليهودي واستشهد فيها حمدان. وقد جن جنون اليهود لهذه الحادثة فأتوا إلى بيت حمدان ونسفوه.

أما آن الليوث فلسطين أن تقتفي آثار ضراغم هرات؟ ونتساءل متلهفين: ألم يأن لأبناء الأرض المباركة أن يستبدلوا السلاح بالعصا والقنبلة بالحجر؟

إني لأدرك الأهوال التي تنتظر الصفوة إن غيرت أسلوبها، وأعلنت عن استعدادها للموت في مواجهة أعدائها، ولكن:

١- مجلة الجهاد العدد ٦٠ ربيع الأول ١٤١٠هـ أكتوبر ١٩٨٩م ص ٥١.

٢- (تطحن).

إذا لم يكن إلا الأسنة مركباً ... فما حيلة المضطر إلا ركوبها

فطوبى للبادئين بالخير: [خير الناس رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه].

والنصر يجيء بالدماء وبالعناء وبالصفاح ... والفوز فوز الخاضبين جسومهم بدم الجراح

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

حتى لا تضيع فلسطين إلى الأبد (الحلقة السابعة)[1]

المنظمة (من عجلون إلى لبنان)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

لم تكن الضربة التي وجهت للعمل الفدائي في الأردن في أيلول سنة ١٩٧٠م كافية لإنهائه تماماً أو لإخماد أنفاسه كلياً في عمان، وتحولت عمان من أيلول سنة ١٩٧٠ إلى نهاية سنة ١٩٧١م إلى مسرح للأحداث التي لم تهدأ طيلة تلك الفترة، وقد عشت تلك السنة في عمان ولطالما روع دوي المدافع الرشاشة وأزيز الرصاص وانفجار القنابل الواتق (النساء) والأطفال بعد الهزيع الأول من الليل، ولقد سمعت أحد علماء علم النفس التربوي يقول:

(ستظهر آثار هذه الأحداث في الأطفال أمراضاً نفسية وعصبية بعد لأي من الوقت) وما أجمل بيت شوقي في هذه المناسبة:

سلي من راع غيدك بعد وهن ... أبين فؤاده والضجر فرق؟

وبعد وساطات كثيفة من جهات عربية توصلت المنظمة مع الأردن إلى وقف إطلاق النار واشترطت الأردن خروج الفدائيين من المدن إلى غابات عجلون وجرش وقبل الفدائيون، وهناك شهدت المنظمة آخر مشهد من المجزرة حيث اشتبكت مع الجيش المدجج بالسلاح المحمي بالدبابات والطائرات، وتفرق الفدائيون أيدي سبأ، فهرب قسم منهم إلى فلسطين المحتلة (الضفة الغربية) وأعلنوا استسلامهم لليهود، وهرب قسم آخر إلى سوريا -حيث النصيرية الرعناء والباطنية الحاقدة على المسلمين وعلى أهل فلسطين- فضاقت سوريا بهم ذرعاً وقيل لهم: مالكم لا تخرجون إلى ساحة مفتوحة وحدود مشرعة المصاريع على اليهود هناك في لبنان تجدون الأمن والأمان.

وتجمع الفلسطينيون في لبنان...

ولكن لبنان قطعة عزيزة غالية على أمريكا والغرب ويدخرونها لتكون ردءاً لليهود في فلسطين وجناحاً آخر لدولتها، فلا بد أن يكون للغرب خنجر مسموم ذو حدين في الشرق لتمزيق وحدة المسلمين وتشتيت كلمتهم: الحد الأول هو دولة إسرائيل اليهودية والحد الثاني دولة لبنان النصرانية المارونية.

واليهود لهم أحلام قديمة في لبنان:

يقول ابن غوريون في مذكراته سنة ١٩٣٧ (إن لبنان هو الحليف الطبيعي لأرض إسرائيل اليهودية فإن شعب لبنان المسيحي يواجه مصيراً مشابهاً لمصير الشعب اليهودي في هذا البلد!! مع فارق واحد هو أنه ليس بإمكان مسيحيي لبنان التزايد بواسطة الهجرة الآتية من الخارج.. سيقوم جوار لبنان للدولة اليهودية حليفاً مخلصاً من اليوم الذي ستتأسس فيه وليس من المستبعد أن تتاح لنا الفرصة الأولى للتوسع -عبر الحدود الشمالية- في منطقة جنوب لبنان المتاخمة للدولة اليهودية وذلك بالاتفاق الكامل مع جيراننا لأنهم بحاجة إلينا).

وجاء في مذكراته في ٢١ مايو ١٩٤٧:

(إن نقطة الضعف في التآلف العربي هي لبنان، وإن السيطرة الإسلامية في هذه الدولة مصطنعة ويمكن الإطاحة بها بسهولة

(١) مجلة الجهاد العدد (٦١) ص ٤٧ ربيع الثاني ١٤١٠هـ نوفمبر ١٩٨٩م

ويجب إنشاء دولة مسيحية هناك تكون حدودها الجنوبية على نهر الليطاني وسوف نوقع معاهدة تحالف مع هذه الدولة.

وهكذا سوف نتمكن من القضاء على شرق الأردن بعد أن نحطم الفرقة العربية ونقصف عمان بالقنابل، وبعد ذلك ستسقط سوريا وإذا تجرأت مصر بعد ذلك على شن حرب ضدنا سنقصف بورسعيد والاسكندرية والقاهرة، وهكذا سنتمكن من إنهاء الحرب ومن الانتقام من مصر عن أجدادنا الآشوريين والكلدانيين) (١) .

وسنلتقي في الحلقة القادمة مع فصل آخر من مسرحية الملحمة الفلسطينية بين أشجار الأرز إن شاء الله.

حتى لا تضيع فلسطين إلى الأبد (الحلقة الثامنة)(٢)

وصل الفلسطينيون لبنان وبدأت المخيمات الفلسطينية في لبنان تتنفس الصعداء إذ جاءتهم قوة من إخوانهم ترفع من شأنهم وتعزز وجودهم ولكن القوى اللبنانية كلها ترمي هذا الضيف الجديد شزراً ١- فالمارونيون يرون أنهم خطر على سلطتهم المطلقة التي استأثروا بها منذ جثمت فرنسا بثقلها فوق أرض لبنان حتى طاردوا المسلمين في كل مراكز القوى ولم يعد للمسلمين أي وزن في شتى الدوائر. ٢- واليهود يرون فيهم خطراً جديداً بإمكانه أن يتخذ من الحدود منطلقاً لمواصلة القتال ضدهم لتعود مرة أخرى تلك السيمفونية التي أخرست في الأردن والتي كانت تعزف على أنغامها من خلال العمليات التي تتم عبر نهر الأردن . ٣- والدروز والشيعة يرونهم قوة سنية ذات بأس وشوكة جاءت تدعم أهل السنة من أبناء فلسطين المشردين هذه القوة مدججة بالسلاح وهي في أي وقت تنشب بحلوقهم وتأخذ بخناقهم. ٤- والنصيرية السورية ترى فيهم داهية جديدة تضاف إلى الرزايا التي يعاني منها الحكم النصيري كثيراً.

وهناك الصحف التي تجد متنفساً في بيروت تأخذ على عاتقها كشف خبايا النصيرية ونشر فضائحها وتبين حقائقها. هذا بالإضافة إلى الحل السلمي الذي ترتب له أمريكا واسرائيل والذي يدع إليه حكام المنطقة دعاً ويأبى عليهم ذلك الشعب الفلسطيني الذي يكون لحمة واحدة ممتدة متصلة من جبال القلمون مارة بدمشق ثم انتهاء بالأردن، هؤلاء يرفضون بإباء الصلح مع اسرائيل والتنازل عن أي جزء من الأرض، وزيادة على ذلك، الخصومة المستحكمة بين جناحي البعث النصيري والعفلقي إذ أن عفلق وهو يقبع في مدينة هارون الرشيد يكوّن بعض التنظيمات في لبنان لتكون مصدر قلق وإزعاج للنصيريين الذي طردوه من دمشق فله منظمة فدائية فلسطينية بالإضافة إلى الحزب اللبناني الذي يتزعمه عبدالمجيد الرافعي. ودعك من حدود لبنان المفتوحة التي تعتبر محضناً دائماً ومستقراً آمناً للشباب المسلم الذين يعارضون الحكم في دمشق ويحاولون أن يهزوا الأرض تحت كراسي حكمه حتى إذا ضاقت عليهم أرض الشام فروا ليجدوا مستراحاً تحت ظلال الأرز، ولذا كان على النصيرية أن تعيد حساباتها بالنسبة للقوة الجديدة التي حطت في أرض الإمام الأوزاعي -لبنان-

وقد كتبت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بياناً في ١٩٧١/٩/٦ قالت فيه (إن حرب الإبادة ضد المقاومة هي الشرط الوحيد الذي يمكن أن يقبل به العدو لتنفيذ مشاريع الولايات المتحدة الأمريكية أو مشاريع التسوية).

إن أكبر عامل يزعج النصيرية السورية هذه الصحف التي تصدر يومياً بمئات الألوف تنشر على العالم ما يدور وراء الكواليس وبين الدهاليز المظلمة من خبايا ونوايا ضد الشعب المسلم.

ففي ١٩٧٤/٩/١٠ نشرت صحيفة الثورة السورية حديثاً للرئيس السوري مع نزيه البزري وزير الاقتصاد اللبناني جاء فيه: (في لبنان مؤامرات رفض موجهة ضد سوريا التي أبلغت رئيس الحكومة اللبنانية ذلك أكثر من مرة، وأجهزة الدولة السورية تعرف أنه يوجد في لبنان أوكار لمثل هذه المحاولات الفاشلة والصحف اللبنانية تنشر يومياً أكثر من قصة وخبر مختلق وملفق وهذا لا يجوز ويجب وضع حد له).

الترتيبات بين الكتائب والنصيرية:

كان بيار الجميل زعيماً لحزب الكتائب فبدأ يرفع عقيرته -صوته- في مجلس النواب اللبناني يندد فيها بالمشاكل التي تثيرها

---

(١) الصراع العربي الاسرائيلي لحمد التوابي ص ٣١٢ (٢) مجلة الجهاد العدد (٦٢) جمادي الأولى ١٤١٠هـ ديسمبر ١٩٨٩م ص ٣٣.

منظمة التحرير في لبنان وفي ٧٥/٥/٢٢ طالب بنقل مخيم تل الزعتر من بيروت الشرقية.

وأوعزت سوريا لعملائها في لبنان -زهير محسن / رئيس قسم الصاعقة السورية في لبنان، وعاصم قانصوه زعيم حزب البعث في لبنان- أن يوثقوا علاقاتهم مع الكتائب وبدأ "بيار جميل" يصرح أن عاصم قانصوه صديق قديم نتعاون معه دائماً لتقريب وجهات النظر بين حزبينا. وفي ٧٥/١٢/٧ قبل دخول القوات السورية إلى لبنان بشهر واحد زار الجميل سوريا استجابة لدعوة من الرئيس السوري واستقبل هناك استقبالاً حافلاً دونه استقبال رؤساء الدول، وفي نهاية الزيارة صدر بيان جاء فيه (يوجه حزب تحية الشكر والإكبار لسيادة الرئيس السوري ومن جهة أخرى يحز في نفس الحزب أن يرى عملاء السوء وزبانية الفتنة -المنظمة الفلسطينية- يصرون على إبقاء البلاد في دوامة الفوضى والضياع والاقتتال وقد عمدوا إلى افتعال حوادث اجرامية جديدة أدت إلى ردات فعل عشوائية غير مسؤولة) وهكذا فالجو كله مهيأ لبدء المجزرة الفلسطينية الجديدة.

* ملاحظة: كل أقوال الصحف أخذتها من كتاب الصراع العربي الإسرائيلي/ محمد النواوي.

قضية فلسطين والحل الإسلامي[1]

(إنهم لهم المنصورون، وإن جندنا لهم الغالبون) (الصافات:١٧٢-١٧٣).

أيها الأخوة:

إن قضية فلسطين قضية إسلامية سواء من الناحية التاريخية أو من ناحية السكان والدفاع والحماية.

فالإسلام هو الذي افتتح فلسطين وعربها، وجند الله هم الذين ضمخوا تربتها بنجيعهم الطاهر، فلهم فوق كل رابية شهيد، وعلى كل بقعة علم، وهذه أضرحتهم على مشارف الغور شاهدة أن الله عز وجل هو صاحب الفضل والمنة في تخليص هذه البلاد من ظلم الروم وخشبة الصليب.

ولقد خرجت هذه الأرض مرتين من يد المسلمين، وتقدم الاسلام لينقذها، المرة الأولى يوم أن غزاها الصليبيون، وكتبوا أن سيقان خيولهم تخط في دماء المسلمين والكفار في القدس، وقتلوا سبعين ألفاً في غداة واحدة، وكان المنقذ رجلاً كردياً هو صلاح الدين الذي كان يقول: (إني لأستحي أن أبتسم والقدس في يد الصليبيين).

والمرة الثانية في غزو التتار، ووقفوا على مشارف الشام، فتقدم الظاهر بيبرس والمظفر قطز -من المماليك المسلمين-، وخر قطز من فوق جواده ساجداً لله شكراً.

وهذه هي المرة الثالثة، ولن ينقذها إلا الإسلام بإذن الله، فلقد حافظ الإسلام على فلسطين بضعة عشر قرناً، وحافظت تركيا المسلمة على الأقصى خمسة قرون ولم تستطع القومية العربية حمايته نصف قرن.

إن من تصفح القرآن يجد أن الله عز وجل أفرد صفحات كثيرة وهو يتتبع تاريخ اليهود، ونقضهم العهود، وقتلهم الأنبياء بغير حق، ووصف خبايا نفوسهم، ومسار طواياهم وسجاياهم التي لا تتغير وهم يقاتلون رسالات النور والهدى، ولعل هذا -والله أعلم- حتى يحذر الأمم وعلى رأسها خير أمة أخرجت للناس من مكائد هؤلاء.

فاليهود بتوراتهم المحرفة الحاقدة وتلمودهم يرون أن البشر قد خلقهم الله لخدمتهم، وقد قال عنهم القرآن بلسانهم: **(وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه، قل فلم يعذبكم بذنوبكم).**

ومن نظر في التوراة يجدها تنضح بالحقد على البشرية، وتطفح بإلصاق أبشع الجرائم بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، -فلوط عليه الصلاة والسلام زنا بابنتيه، وراوبين بن يعقوب اعتدى على زوجة أبيه، وداود اعتدى على زوجة أحد أصحابه، وأمنون بن داود زنى بأخته ثامار، ومن قرأ صور الدعارة في شعر نشيد الإنشاد يعلم أن نزار قباني لا يقدر على مثل هذا الوصف الفاضح للجنس، فالتوراة كتبت أثناء السبي الأول ببختنصر (٥٧٦م)، والتلمود كتب أثناء الثاني (تيطس سنة ٧٠م)، ويسميها اليهود (المشنا والجمارا) أي الشريعة وشرحها.

وما آراء فرويد في الجنس إلا انبثاقة توراتية ورؤيا تلمودية، فاليهود يرون أن الأرض كلها لهم، وكل ملك إنما هو غاصب لملك

١- هذا الموضوع كتبه الشهيد -رحمه الله- أثناء وجوده في الأردن أي قبل سنة (١٩٨٠م)، وقد وجدناه بين أوراقه في بيته الكائن في الأردن.

صهيون، وهم يحلمون أن يحكموا العالم من أورشليم كما يريدون من فوق عرش الهيكل الذي يجلس عليه ملك من نسل داود، ولذا فهم خططوا لضرب العالم على ثلاثة محاور:

١- ضرب فرنسا الكاثوليكية.

٢- ضرب روسيا الأرثوذكسية.

٣- ضرب تركيا الإسلامية.

أولاً: ضرب فرنسا الكاثوليكية بإقامة الثورة الفرنسية سنة (١٧٨٩م) حيث تحولت فرنسا بعد ذلك إلى مزرعة يهودية، وماخور للدعارة يعج بالجنس وبالآراء التي تدمر كيان الإنسان، كالمذاهب الوضعية والوجودية والمادية.

ثانياً: ضرب روسيا الأرثوذكسية للانتقام من الشعب الروسي الذي يحتقر اليهود، وللثأر لمذابح اليهود في روسيا، خاصة بعد اغتيال القيصر اسكندر الثاني سنة (١٨٨١م)، ففي (٦) نوفمبر (١٨٨٤م) لأول مرة في تاريخ الصهيونية اجتمع ممثلوا اليهود في (كانوتش)، تعاهدوا فيها على سحق القومية الروسية، ونفذت فيما بعد على يد (بروتشتين أي تروتسكي) سنة (١٩١٧م) حيث قامت الثورة البلشفية التي أصدرت في الأسبوع الأول قراراً (يعترف لليهود بوطن قومي في فلسطين) وكان هذا في شهر أكتوبر سنة (١٩١٧م)، وفي شهر نوفمبر (١٩١٧م) صدر وعد بلفور، أي بعد قرار الشيوعيين بأقل من شهر.

جاء في بيان الشرق الأعظم سنة (١٩٠٤م) ص(٢٣٧): (الماركسية واللاقومية هما وليدتا الماسونية، لأن مؤسسها ماركس من ماسون درجة (٣١)، ومن أعضاء المحفل الإنجليزي، وإنهما كانا من الذين أدارت الماسونية السرية وبفضلها صدر البيان الشيوعي).

(الماسونية التي هيأت الجو للثورة الفرنسية سنة (١٧٨٩م)، عليها أن تهيء للثورة الماركسية، وعلى الماسونيين أن يعملوا بالاشتراك مع العمال لأنهم القوة التدميرية، ولم يعد خافياً على أحد أن الثورة الشيوعية يهودية من ألفها إلى يائها).

فالقائد لينين جاء معه (٢٢٤) ثائراً من مجرمي نيويورك وألمانيا، منهم (١٧٠) يهودياً، وكان المكتب السياسي الأول للثورة الشيوعية مكوناً من سبعة أشخاص هم:

١- لينين: أحد أبويه يهودي وزوجته كروب يهودية.

٢- ستالين: زوجته يهودية.

٣- كامنيف: يهودية.

٤- زينوتيف: يهودي.

٥- سوكولنكوف: يهودي.

٦- تروكسلي يهودي.

٧- يبنوف: روسي ليس يهودياً.

وفي أول حكومة بعد الثورة كان عدد الوزراء اليهود (١٧) يهودياً من (٢٢) وزيراً، وعدد كبار الموظفين (٥٣٢) موظفاً يهودياً.

ثالثاً: ضرب تركيا الإسلامية، وكلنا يعلم كيف تحرك العالم بأيدي اليهود لإسقاط السلطان عبد الحميد من الوجود سنة (١٩٠٩م)، و بسقوط السلطان سقطت فلسطين، وغاب الإسلام الفعلي عن الشهود، وفتحت الطريق أمام اليهود إلى أرض الميعاد كما يدعون، هذا بعد أن عرض على السلطان (١٥٠) مليوناً من الدنانير الذهبية، وبناء أسطول، وإقامة جامعة عثمانية، والدفاع عن الحكومة العثمانية في أوروبا، فقال: (إن فلسطين أخذها المسلمون بالدم، ولن تنتزع منهم مرة أخرى إلا بالدم).

إن القضية بالنسبة لليهود قضية عقيدة ودين، ومسألة حياة أو موت، ولذا كان هذا التخطيط الطويل في أوربا حتى ينفذوا منها إلى الشرق حيث (يقيموا دولتهم من الفرات إلى النيل)، ولذا فلا يمكن مساومتهم عليها، ولا يمكن أن يتنازلوا عن أرض الميعاد، ولا عن أرض التوراة (سيناء)، وقد يتنازلون مؤقتاً عن سيناء ريثما يتم استصلاحها وإحياؤها بمياه النيل بأنابيب تحت قناة السويس الذي رسم لعبد الناصر ويتابعه خلفه من بعده.

ولذا فمن السذاجة والبلاهة أن يطلب من اليهود أن يتنازلوا عن الضفة الغربية التي يعتبرونها أرضاً محررة كما قال بيغن.

إن القضية دينية قبل كل شيء لدى اليهود، ولذا سموا دولتهم (إسرائيل) باسم نبي من الأنبياء، وهو يعقوب عليه الصلاة

والسلام، مع أنه ثابت تاريخياً أن (١٠/٩) اليهود الآن في العالم هم من يهود الخزر، وهم قوم وثنيون كانوا يعيشون حول بحر الخزر، وقامت لهم دولة في القرن التاسع الميلادي، واعتنقوا اليهودية لأنهم كانوا على احتكاك مع روسيا النصرانية والدولة الإسلامية، ومن هنا فقد أسقط اليهود كلمة خزر من معظم المعالم الأوروبية، وسموا بحر الخزر ببحر قزوين، حتى لا تذكر العالم بأصل اليهود فينكشف زيف ادعائهم وافترائهم أنهم أبنائه.

هذا النسب التاريخي ليهود العالم بينما نجد أبناءهم ممن تسلموا أسمى المراتب في العالم العربي يريد أن يثبت أصالة اليهود، ويرجع كل حضارة وتقدم للبشرية إليهم، فهذا طه حسين ينفي صلة العرب بسيدنا إسماعيل وإبراهيم عندما قال: (للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل إلا أن هذا لا يكفي لإثبات وجود الاسمين، فضلاً عن أن تلك القصة التي تقول برحلة إبراهيم وإسماعيل إلى مكة، وما القصة إلا حيلة لإثبات صلة العرب باليهود).

وليس عجيباً من طه حسين تلميذ (دوركايم) أستاذ الاجتماع اليهودي الذي كان يشرف على رسالته (ابن خلدون)، ولذا فإن طه حسين لم يتكلم كلمة واحدة ضد اليهود رغم أنه عاش القضية الفلسطينية من بدايتها، وليس بمستغرب هذا من طه حسين الذي يرجع رقة القرآن المدني إلى تأثير اليهود على رسول الله ﷺ، والذي كان يعتبر جهاد الجزائريين بربرية ووحشية تقف أمام مدنية أوروبا.

ونحن هنا لسنا بصدد مناقشة القضية تاريخياً، وإثبات حقنا من خلال مدة سكن اليهود أو نسبهم، فهذا يضيع حقنا، ولقد هالني ما سمعته على لسان أحد الزعماء العرب، وهو يريد نفي شرعية الوجود الإسرائيلي في فلسطين بدليل أن العبرانيين ما سكنوا فلسطين إلاّ سبعين سنة أيام داود وسليمان.

فنحن نعتقد أننا أولى بموسى ويعقوب وإبراهيم منهم بنص الكتاب والسنة، فالله عز وجل يقول:

(ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين، إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) (آل عمران: ٦٧-٦٨)

ويقول الله عز وجل: **(أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله)**. **(أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون)** (البقرة: ١٣٣).

وقال ﷺ عندما سئل عن صيام اليهود لعاشوراء، فقالوا هذا اليوم الذي نجى فيه موسى، فقال: **(نحن أولى بموسى منهم، وأمر المسلمين بصيامه)**.

فاليهود ليس لهم صلة بالأنبياء بعد أن شوهوا صورتهم، وحرفوا كتابهم، وبدلوا دينهم بالشرك، وأنكروا اليوم الآخر في كتابهم. وعلى هذا فالقضية لا تبحث إلا على أساس الإسلام.

فالإسلام حررها أول مرة، والإسلام يحررها في كل مرة يراد بصدق إنقاذها وتخليصها.

واليهود يعرفون: أن الإسلام هو الخطر في المنطقة، فابن غوريون يقول: (نحن لا نخشى الاشتراكيات ولا الثوريات ولا الديمقراطيات والملكيات في المنطقة، إنما نخشى الإسلام، هذا المارد الذي نام طويلاً وبدأ يتململ في المنطقة).

ويقول شمعون بيريز: (إنه لا يمكن أن يحدث سلام في المنطقة ما دام الإسلام شاهراً سيفه، وسيمضي وقت غير قليل حتى يغمد الإسلام سيفه ويعود إلى موقفه الإنساني الذي وقفته اليهودية والنصرانية).

وكتبت روث كاريف سنة (١٩٤٨م) في الصنداي ميرور تحذر أمريكا من الإخوان المسلمين: والآن قد أصبح الإخوان المسلمون ينادون بالاستعداد للمعركة الفاصلة التي توجه ضد التدخل المادي للولايات المتحدة في شئون الشرق الاوسط، وأصبحوا يطلبون من كل مسلم ألا يتعاون مع هيئة الأمم المتحدة.

فقد حان الوقت للشعب الأمريكي أن يعرف أي حركة هذه... إن اليهود الآن في فلسطين هم أعنف خصوم الاخوان المسلمين، ولذلك كان اليهود هم الهدف الأسمى لعدوان الإخوان المسلمين .. وطالبوا بانسحاب العرب من هيئة الأمم المتحدة، وإذا كان اليهود يطالبون الآن بإرسال قوة دولية فإنهم يطلبونها لتواجه رجال الإخوان المسلمين وجها لوجه، وبذلك يدرك العالم كله الخطر الحقيقي الذي تمثله هذه الحركة، وإذا لم يدرك العالم هذه الحقيقة فإن أوروبا ستشهد ما شهدته في العقد الماضي من القرن الحالي، إذ

واجهتها حركة فاشية نازية، فقد تواجهها في العقد الحالي إمبراطورية إسلامية فاشية تمتد من شمالي أفريقيا إلى الباكستان، ومن تركيا إلى المحيط الهندي)(1).

وعلى هذا الأساس كان اليهود يعتبرون الإخوان المسلمين مجرمي حرب لا يعاملون معاملة الأسرى.

وقد قدم جونستون -مبعوث إيزنهاور- سنة (١٩٥٤م) مشروع ملء الفراغ في الشرق الأوسط، وحل المشكلة اليهودية- العربية، وأنهى تقريره بقوله: (ولكنه لن يتم سلام في المنطقة ما دامت دعوة الإخوان المسلمين قائمة، هذه الجماعة التي تعد مليوناً من البشر داخل مصر وخارجها).

ولذا ففي كل مرة يريد اليهود أن يقفزوا قفزة جديدة، تضغط واشنطن وموسكو أو لندن بإشارة من اليهود على مخالبها في العالم العربي لتضرب الحركة الإسلامية.

ففي سنة (١٩٤٨م) قامت دولة إسرائيل بينما كان النقراشي مشتغلاً بمطاردة الإخوان ومصادرة أموالهم وإغلاق دورهم، وفي سنة (١٩٤٩م) وقع العرب معاهدة رودس مع اليهود، وأضافوا لهم أرضاً جديدة بعد مقتل حسن البنا باثني عشر يوماً.

وفي سنة (١٩٥٦م) تقدم اليهود بينما كان الشباب من الإخوان المسلمين يرسفون في أغلال، مختفين وراء القضبان في سجون عبد الناصر، حيث يقول لهم (حمزة البسيوني) وهم يناشدونه الله أن يخفف السياط عن ظهورهم (لو جاء الله لوضعته في الزنزانة). وكان خيارهم قد سبقوهم إلى الله شهداء.

وفي سنة (١٩٦٧م) ولما يمض تسعة أشهر على إعدام الشهيد سيد قطب وأصحابه، وأعلن الطاغوت المصري انهم اعتقلوا (١٧) ألفاً في يوم واحد، تقدم الجيش الإسرائيلي ليقف على شفاف القناة.

لقد هال اليهود بطولات الإخوان وتضحياتهم، وهذا الذي اعترف به ضابط يهودي لأحد ضباط الإخوان -معروف الحضري- وكان قد وقع في الأسر، وأثناء تبادل الأسرى بساله معروف: لماذا تهاجمون المعسكرات كلها سوى معسكر كذا (أحد معسكرات الإخوان)؟ فقال: (إننا جئنا هنا لنعيش ونحيا، وهؤلاء جاءوا للموت، ولذا فهم لا يهزمون، ومهاجمتهم تكلفنا خسائر كثيرة).

مع أن الإخوان حيل بينهم وبين الإلقاء بثقلهم في المعركة، لقد جن جنون أوروبا وعملائها وهم يسمعون البرقية التي أرسلها الإمام الشهيد حسن البنا سنة (١٩٤٨م) إلى زعماء الدول العربية المجتمعين في عالية يقول: (أنه يريد أن يدخل فلسطين بعشرة آلاف مسلح).

فوقف النقراشي والإنجليز في وجه الإخوان يصدونهم بكل وسيلة، ولذا فمعظم الإخوان دخلوا فلسطين متسللين عبر سيناء، أو بعد قطع مسافات طويلة، أو مع الكتائب التي نظمتها الجامعة العربية مثل كتيبة أحمد عبد العزيز، والكتيبة الثانية بقيادة عبد الجواد طبالة، ومعظم أفراد الكتائب الثلاث من الإخوان، ولقد منعت الحكومة السعدية الإخوان من قضاء إجازاتهم عند أهلهم في مصر فلم يضرهم هذا.

ولقد كان الشباب الجامعي المسلم يتحرق وهو يسمع أخبار حصار الجيش المصري في الفالوجة، وفي الحال تطوعت مجموعة وملأت طائرة وطارت إلى مطار عمان لتتلقى إشارة من عمان التي يقود جيشها جلوب الإنجليزي بالعودة، ولم ييأس الشباب، وقطعوا سيناء طمعاً في الشهادة وحباً بلقاء محمد ﷺ وصحبه.

لقد تدم الإخوان أروع الأمثلة في تضحياتهم، ولقد قدموا صبيحة ذاك اليوم أواسط شهر مايو سنة (٩٤٨م) (٧٠) شهيداً إلى الملأ الأعلى مع (٥٠) جريحاً في معركة كفار ديروم.

ولقد صاح عمر عبد الرؤوف عندما أصابته رصاصة في صدره (أترون ما أرى؟ هذه هي الجنة! إنني أراها وأشم رائحتها).

وفي (١٩) أكتوبر سنة (١٩٤٨م) هاجم اليهود تبة اليمن واحتلوها من الجيش المصري، وصمم الإخوان احتلالها، واحتلوها، فأمرت قيادة الجيش المصري بتسميتها بتبة (الإخوان المسلمين)، وفي هذا الوقت أعلن النقراشي قراراً بحل الجماعة، وجن جنون الإخوان، فجاءت الرسالة من المرشد البنا: (أيها الإخوان، لا يهمكم ما يجري في مصر، فإن مهمتكم هي مقاتلة اليهود، وما دام في فلسطين يهودي واحد فإن مهمتكم لم تنته).

(1) - قتال الفدائيين لكامل الشريف (ص ١٨).

ولقد علم البنا أن الحكّام العرب لا يريدون القتال، وكان يتصل بقواده في فلسطين يقول (ما فيش فايده، دول مش عايزين يحاربوا)، وبدأ يستعد للتعبئة العامة والجهاد المقدس: إلاّ أنهم عاجلوه بحل الجماعة في (٧) ديسمبر (١٩٤٨م)، وقبول الهدنة ولذا نفي زيارة أحمد عبد العزيز لمصر فاتحه بالقضية وخيانة الحكومات العربية وأوصاه بالمحافظة على دماء الإخوان ورجع أحمد عبد العزيز إلى فلسطين بعد أن آمن أن الإخوان هم القوة الحقيقية الصادقة، وبدأ يمدح الإخوان، فدس إليه فاروق من يغتاله وهو داخل إلى المعسكر.

ثم اغتيل البنا بعد هذا بشهر ونصف تقريباً، واعتقل الإخوان المجاهدون من أرض معسكراتهم في فلسطين وأعيدوا في دبابات فاروق ليلقوا وراء القضبان من المعسكر إلى المعتقل.

ولقد شهد لهم العدو والصديق، ومن ذلك قائد الجيش المصري المواوي الذي قال: (كان الإخوان يتزعون ألغام اليهود وينسفونهم بها في النقب)، وقال فؤاد صادق -القائد الذي خلف المواوي-: (كان الإخوان المسلمون جنوداً أبطالاً أدوا واجبهم كأحسن ما يكون).

وأقبلت سنة (١٩٦٧م) تطوي في لياليها هزيمة الخامس من حزيران، وبدأت المقاومة الفلسطينية، وقدمت الدعوة جهداً متواضعاً بسيطاً، إذ أن جراحها لا زالت، ولا زال ضياغمها رهينة السجون أبت أن تشل بقيد الإماء، وإعلام عبد الناصر يطاردهم في كل مكان، ويفصلهم عن الشعوب، ويشوه صورتهم. واضطرت الدعوة أن تستعير اسم إحدى المنظمات حتى تغطي على عملها، ومع ذلك فقد كاد عبدالناصر يجن إذ ترامى إلى مسامعه أن بعض شباب المنظمات يصلون، فأرسل مستفسراً إن كان الإخوان المسلمون قد حملوا السلاح، ونفى قادة المنظمة ذلك، وأعاد الاستفسار بست برقيات، وأرسل رجال المخابرات يتتبعون حركة الإخوان وجهاز الشباب المسلم.

وقدم الإخوان في هذه المرة قافلة من الشهداء، تودعها القلوب والعيون قبل أن يواريها التراب، وقد استطاع الإخوان أن ينتزعوا إعجاب الجيش الأردني ومساعدته، رغم الاحتكاك الشديد بين المنظمات والحكومة، إلا أن قادة الجيش المسؤولين عن خط الغور كانوا يأخذون على عاتقهم تغطية انسحاب الإخوان بقذائف الدخان، بل إن بعضهم يخاطر بنفسه لينزل تحت لهيب القنابل وأزيز المدافع ليحمل جريحاً من الإخوان أو ينقذ بطلاً من أبطالهم.

ووقف الناس بجانب الإخوان وهم يرون عزة نفوسهم وأنفة أفرادهم، فبساتين البرتقال التي يخيم الإخوان بجانبها، أو حدائق العنب التي تحوي المغارات التي تضم جنودهم كلها محروسة، وأنا أعرف الكثيرين عاشوا فترة طويلة داخلها ولم يعرفوا لها طعماً.

فإذا أقبل الزمان توارى   وإذا زاغت العيون تراه

لو لغير الإله ذلت جباه   لانحنت عند راحتيه الجباه

وإن كنت أنسى فلا أنسى صورة أبي مصعب وقد غمر الدمع وجهه وهو يقول: إن طاعة الأمير فرض، ولكن لن أطيعه في هذه المرة التي يريد فيها أن يحرمني من الجنة ويمنعني من النزول في عملية.

وكذلك صورة الإخوة الذين لبسوا أجمل ملابسهم وتعطروا قبل أن يدخلوا المعركة استعداداً لاستقبال الحور العين، وقد رأى أحدهم نفسه في آخر ليلة يتزوج في الجنة.

وجاءت فتنة أيلول السوداء بين الجيش والفدائيين، واعتزل الإخوة الفتنة، كما وقفوا (٤٨) ساعة، فما سلموا من الجيش والفدائيين، وكادت الثورة تعدم بعض الإخوان لأنهم لم يصوبوا رصاصهم إلى صدر الجيش، والحق أن كثيراً من أهالي القرى وقفوا بجانب إخواننا يرجون الجيش أن لا يؤذيهم، لقد كان الإعلام الثوري يأخذ صور بطولاتهم ليحيك فيها أجمل القصص، ولكن للأسف يقدمها باسم النضال الثوري والكفاح ضد الإمبريالية والطبقية.

ولا زالت الحركة الإسلامية تتصدر تحريك الجماهير للوقوف في وجوه الطواغيت واستنقاذ حقوقها من بين براثن البغاث الذي استنسر، وما تني الحركة صباح مساء تهز الجموع المستضعفة لتوقظها من سباتها العميق الذي تغط فيه حتى لا تباع بيع السوائم تساق إلى مذبح الشهوات على أقدام الصهيونية والصليبية وأبنائها في الداخل والخارج.

ولا زالت الحركة الإسلامية تحذر الحكام من مغبة الحل السلمي وتستنكره على المنابر وفي الصحف، رغم أن الأفواه كلها مكممة، والأيدي كلها مكبلة، والناس قد استناموا تحت دغدغة الشهوات، وضاعوا بين رقصات الأنغام واهتزاز السيقان وبريق الذهب والهلع على الحياة.

والناس أحد فريقين بالنسبة للصلح أو التوسع:

١- ففريق يرى أن اليهود سيصلحون، وإن يقطعوا نهر الأردن، معتمدين أن مذبحة اليهود ستكون في فلسطين، ومستندين إلى الحديث الصحيح: {**لتقاتلن اليهود أنتم شرقي النهر وهم غربيه، حتى يقول الشجر والحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله**}، والرواية الأخرى التي رواها البزار بإسناد رجاله ثقات {**أنتم شرقي الأردن وهم غربيه**}، ويقول راوي الحديث: وما كنا نعرف أين الأردن من الأرض يومئذ.

وهذا يعني أن دمشق كذلك لا تسقط بأيدي اليهود، ولهم دليل من حديث أبي الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في الملحمة الكبرى: {**إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام**}[1].

وحديث عن أبي الدرداء مرفوعاً: {**بينما أنا نائم، رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوب به، فاتبعته بصري فعمد به إلى الشام ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام**}[2].

وإذا تم عقد الصلح مع اليهود فإن اليهود سيستقدمون رؤوس الأموال العالمية من يهود أمريكا وأوربا لتشتغل في العالم العربي، وعندها سيكون العرب خدماً لدى اليهود، تصب أموالهم وبترولهم في جيوب اليهود، وذلك بعد أن يطمئن الامريكان والأوربيون إلى الأمن على أموالهم، وهذه تكون فترة بسيطة (لمدة قد تكون عشر سنوات كما يقول دايان) حتى يتم احتلال جميع النقب وسيناء، وسيستقدم اليهود المهاجرين بالملايين، وستبقى الهدنة هذه على دخن كما جاء في سنن أبي داود (١٣٦/٤).

ومعنى على دخن: صلح منطو على حقد.

٢- والفريق الآخر يرى أن اليهود يحلمون بالتوسع، ويتحفزون لقفزة جديدة، ويدل على هذا قول دايان سنة (١٩٦٧م): (من أورشليم إلى يثرب)، وقول جولدا مئير وهي تقف في العقبة: (إني لأتنسم نسامات أجدادي من خيبر)، وقول جمع من جنود اليهود وهم في المسجد الأقصى: (يا لثارات خيبر)، وقد طلبوا من الملك عبد العزيز (١٩٤٤م) عن طريق الرئيس الأمريكي روزفلت السماح بإقامة مستعمرات حول خيبر فرفض الملك.

ويستند هذا الفريق الى حديث ابن عمر مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ: {**ويوشك المسلمون أن يحاصروا إلى المدينة حتى يكون أبعد مسالحهم سلاح**}[3].

وهذا لا يصطدم مع الأحاديث التي سبقت بقتال اليهود: {**أنتم شرقي الأردن وهم غربية**} فالمعركة الفاصلة والضربة القاصمة لليهود والله أعلم حيث ينحصرون في آخر الأمر في فلسطين بعد كر وفر وانتصار وهزيمة.

يقول دايان في (٢٥/٦/٦٩): (سنتعدى هذه الحدود إلى الأردن، ويمكن أن نتوصل إلى أواسط سوريا ولبنان) واليهود يرون الضفة الشرقية من الأردن هي الضفة الشرقية من الجزء المغتصب من إسرائيل، خاصة وهم يعتقدون أن أراضي جلعاد (البلقاء) ومؤاب (الكرك) هي من تراثهم المفقود، ولهم أناشيد وتراتيل في هذه الأشياء.

والآن ما الحل:

١- أهو تحريك الأجيال النائمة المخدرة.

٢- أم بالحرب الفدائية.

٣- أم المقاطعة الاقتصادية.

٤- أم بالعمل الإسلامي لإقامة دين الله في الأرض، ثم الانطلاق من فوق أرض صلبة.

أما تحريك الأجيال وجمهرة الناس فهو صعب جداً إن لم يكن مستحيلاً في الوقت الحاضر، بعد أن أوصلوها بإعلامهم ومناهجهم إلى حالة اليأس القاتل، والناس كما وصفهم البروتوكول التاسع: (لقد خدعنا الجيل الناشئ من غير اليهود وجعلناه فاسداً متعفناً بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها التام، ولكننا نحن أنفسنا الملقنون لها).

١- رواه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي ووافقه المنذري أنظر مختصر أبي داود (١٦٥/٦)، وأخرجه أبو داود في كتاب الملاحم في سننه، وقال ابن معين ليس من حديث الشاميين شيء أصح من حديث صدقة بن خالد عن النبي ﷺ (معقل المسلمين أيام الملاحم دمشق) كذا في تخريج السنة (١٦٥/٦)، أنظر جمع الفوائد لمحمد بن محمد سليمان (٥٩٧/٢).

٢- رواه البزار ورجاله رجال الصحيح والحاكم وقال صحيح على شرطهما، أنظر مجمع الزوائد (٢٨٩/٧).

٣- رواه أبو داود حديث (٤٢٥) ص(١٣٨/٤).

وكما وصفهم زويمر كبير المبشرين: (لقد سيطرنا في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر على المناهج أنشأنا جيلا كما يريد الإستعمار، لا صلة له بالله، ولا صلة له بالأخلاق التي تقوم عليها الأمم، لقد أنشأنا جيلاً همه الكسل والشهوات، فإن تعلم فللشهوات، وإن جمع المال فللشهوات، وإن تسلم المناصب ففي سبيل الشهوات) إذن فهذا الجيل الذي يصفه الله بقوله:

(فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) (مريم)

لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعًا:

(نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) (الحشر:١٩)

فجيل الهزيمة والشهوات لا يحرك جماهيريا، إنما يُستنقذ فرداً فرداً من تحت الركام، ويربى على التضحية والجهاد.

أما الحرب الفدائية:

فكانت عملية ناجحة لتدمير قوة اليهود لو تعاون الحكام مع شعوبهم، ولكن ماذا يمكن أن ترجو ممن تربوا في أحضان الغرب يدينون لهم بالولاء، ولا يملك أحدهم من أمره شيئاً؟ ماذا عسى أن ترجو ممن جعل مستشاريه من أعداء أمته يخططون له ليل نهار، أو ممن ارتمى في أحضان أعداء أمته سواء في مواخير كوهين (ضابط المخابرات الإسرائيلي صاحب القصة المعروفة مع البعث)، أو ارتبط نهائياً بأبناء جيفركافري (السفير الأمريكي الذي كان في مصر) ومايلز كوبلاند (رجل المخابرات الأمريكي وصاحب كتاب لعبة الأمم)، أو ممن أمسكتهم الماسونية بخناقهم تدمر بلادهم وتسحق القيم لدى شعوبهم وتمهد لقدوم دايان وبيغن؟!

لا يمكن أن ينجح العمل الفدائي الآن وحراب إخوانهم من أبناء جلدتهم في ظهورهم ورصاص اليهود في صدورهم وعمليات السحق تبيد خضراءهم.

لقد دخلت الحركة الإسلامية المعركة سنة (١٩٤٨م) وكان بالإمكان -لو قدر الله- وسمح لها بالإلقاء بثقلها أن تقود الجماهير في معركة شعبية ثم تهزم اليهود وتحطم الخفافيش في الظلام، ولكن حيل بينها وبين أداء واجبها على الوجه الأكمل، وكانت النهاية أن سيقوا إلى السجون والمشانق.

ودخلت الحركة الإسلامية في معركة القناة (١٩٥١-١٩٥٤م)، وقدمت زمرة شبابها شهداء، وجنى ثمارها عبد الناصر، وعلق أبطالها على الأعواد، وكانت الحرب الفدائية بعد (١٩٦٧م)، فكانت النتيجة ما عرفه العام والخاص: ملاحقة فوق كل أرض، وإبادة على كل بقعة، وحرمان من حقوق الحياة، وزج في أعماق السجون.

أما المقاطعة الاقتصادية:

ولا ترجى ممن فرطوا بأكثر من هذا، فلا يمكن إرغام المسؤولين الآن الذي يصرحون بأن إسرائيل حقيقة واقعة أن يقاطعوها، كيف يمكن إرغام الماسونيين الذين سموا أنفسهم (FREEMASONS) بناة الهيكل أن يحرموا أمهم اليهودية العالمية من حق الحياة.

والآن فتحت القناة وخليج العقبة أمام التجارة الإسرائيلية لتغزو آسيا وإفريقيا وأروبا.

٤- وختاماً لم يبق إلا الحل الإسلامي، ونعني به: بناء القاعدة الصلبة باستخلاص الناس من الجاهلية، وتربيتها على التوحيد الذي يبني العزة والإنفة ويربي حب الشهادة ويغرس التفاني والتضحية في الأعماق.

هذه القاعدة الصلبة من الشباب المسلم الذي ينطلق أولاً من عقال الشهوات، ويبصر بأبعاد المعركة، ويهب لاستنقاذ حق الله عز وجل المسلوب من قبل المسؤولين، حق الله عز وجل في حكم عباده، والتشريع لخلقه، فتتحرر من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الحكام الى عدل الإسلام. وبعد أن تعيد الحاكمية لله عز وجل وحده، وتتجه إلى شريعته وحدها، وترفع راية (لا إله إلا الله) وحدها.

شعارها في رحلتها الطويلة المفروشة بالدماء والأشلاء، المفروشة بالجماجم والشهداء، حديث رسول الله ﷺ الذي رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل بسنده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً:

(ألا إن رحى الإسلام دائرة فدوروا مع الكتاب حيث دار، ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب، ألا أنه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم، إن عصيتموهم قتلوكم، وإن أطعتموهم أضلوكم. قالوا يا رسول الله: كيف

نصنع؟ قال: كما صنع أصحاب عيسى بن مريم، نشروا بالمناشير، وحملوا على الخشب، موت في طاعة الله خير من حياة في معصيته](١).

فلا بد أن يستقر في أعماق الشباب أنه لا بد من العمل الجماعي الإسلامي حتى تتربى القاعدة الصلبة التي ترفع راية التوحيد على أرض صلبة تكون منطلقاً لتحرير البشرية كلها **(من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة]**(٢).

فانطلق أيها الأخ للعمل لدين الله، وضع يدك بيد أخيك المؤمن، وليكن أنيسك القرآن، اقرأ كل يوم جزءاً، وسلوتك حديث رسول الله ﷺ، وجليسك الصالحون، واستعن بالقيام والذكر والصيام، وكف لسانك وجوارحك، وتذكر حديث رسول الله ﷺ: (ألا لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه أو شهده، فإنه لا يقرب من أجل ولا يباعد من رزق]**(٣).

ولا تنس قول ابن مسعود رضي الله عنه: (اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله، ولا تحمد أحداً على رزق الله، ولا تلوم أحداً على ما لم يؤتك الله، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره، فإن الله بقسطه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط)(٤).

وتذكر أن الله لا بد ناصر دينه:

(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (التوبة:٣٢-٣٣).

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على ... ه فهو حسبه إن الله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شيء قدراً) (الطلاق:٢) .

(ففروا الى الله إني لكم منه نذير مبين) (الذاريات:٥٠).

اتجه إلى الله، واجعل عملك خالصاً لوجهه الكريم، واحذر الغرور وحب الظهور فإنه يقصم الظهور، لتكن نيتك صادقة. وتذكر قول الحسن البصري: إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير في أمر دينه، المداوم على عبادة ربه)(٥). ونوصي الشباب المسلم أخيراً بما يلي:

١- قراءة جزء من القرآن يومياً.

٢- قراءة تفسير الجلالين أولاً، ثم مختصر ابن كثير.

٣- المطالعة في رياض الصالحين يومياً، ثم مختصر صحيح مسلم، ثم البخاري أو اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.

٣- اقتناء كتاب فقهي مثال فقه السنة أو المهذب للشيرازي أو منار السبيل.

٤ - قراءة تهذيب سيرة ابن هشام لعبد السلام هارون

٥- قراءة الكتب التالية لسيد قطب: أولاً: هذا الدين، والمستقبل لهذا الدين والإسلام ومشكلات الحضارة ثم المعالم، ولا تنس (الظلال).

٦- قراءة الكتب التالية لمحمد قطب: الإنسانية بين المادية والإسلام، التطور والثبات في حياة البشرية، جاهلية القرن العشرين.

٧- قراءة : الحجاب للمودودي، ونظرية الإسلام وهدية للمودودي.

٨- قراءة : الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية للندوي.

٩- قراءة : كتاب (الإسلام) لسعيد حوى.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

١- حلية الأولياء لأبي نعيم (٤/١٦٥).

٢- رواه أحمد في مسنده، وصححه العلامة أحمد شاكر كما في (الرسالة) للشافعي عارضة الأحوذي (٩/١٠).

٣- حديث صحيح في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٦٨).

٤- جامع بيان العلم وفضله (١/٢٠٤).

٥- أخلاق العلماء ص(٨٢).

كلمات
من خط النار الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمه*

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد :

فما كنت أظن أن ارتباط الأمة بقضية مصيرية بهذا الشكل الذي رأيناه في قضية أفغانستان التي أجمعت الأمة الإسلامية على اعتبارها قضيتها الحية التي اشتدت إليها نفوسها، وتهفو إليها قلوبها، وترنو إليها أبصارها، حتى أصبحت الحوادث التي تدور رحاها حول كابل وجلال آباد محط أنظار العالم أجمع، وحديث الركبان، وقصص السامر في أنحاء العالم الإسلامي .

أوراق عادية منشورة غير مصقولة ولا مزخرفة ولا ملونة ، وما كنت أعلم أنها ستحظى باهتمام العالم الإسلامي بهذا الشغف العجيب، بحيث يواجهك أبناء الصحوة الإسلامية في الجزيرة وغيرها يسألونك عن آخر التطورات وكأنهم يقفون في مواجهة العدو، وينقلون الأخبار ساخنة من أرض المعركة.

كثير من الناس يفاجئونك بأنهم يقومون بتصوير خمسين نسخة أو مائة نسخة من لهيب المعركة ويوزعونها، ولقد استحوذت هذه الأوراق على اهتمام الكثيرين لما تحويه من أخبار ساخنة كانت عصارة آلام وآمال ودماء وأشلاء وأحزان وتسهيد (سهر) ، لقد كانت الدماء التي أريقت أضعافا مضاعفة من هذه الكلمات التي كتبت، وما رأيت قضية إسلامية جهادية واقعها الحقيقي أضخم من إعلامها مثل قضيـــــة أفغانستان، ومهما كتب بها من مقالات أو نشر من مجلات أو وزع من دوريات فإنها لا تفي عشر معشار الأحداث الهائلة التي تجري فوق هذه الأرض .

والحق أن الشعب الأفغاني لا تزيدني الأيام به إلا إعجابا، ويحلو لي أن أنشد له:

أحبك يا شمس الزمان وبدره ... وإن لامني فيك السها والفراق

وذاك لأن الفضل عندك باهر ... وليس لأن العـــيش عندك بارد

وإنه لمن الصعب على الكلمات أن تنقل ثقل المعاناة، وتصور مرار المسيرة، وهول المأساة، وحقيقة الانطباعات التي تتركها الوقائع في أعماق القلوب، وإنه لبون شاسع بين ما يكتبه الإنسان عن هذه الأحداث وبين ما يتجرعه في أعماقه من آلام، وما يواجهه في مسيرته من أهوال .

وبي ممـــا رمتك به الليالي ... جراحات لها في القلب عمق

فمعذرة البراعة والقوافي ... جلال الرزء عن وصف يدق

وجماع الأمر في القضية أني كتبت هذه الكلمات بعدما عشناها في واقع الأمر آمالا عراضا نحلم بتحقيقها ، وآلاما شدادا تكبدناها، وغصصا مريرة تجرعناها قبل أن تخرج كلمات تصور واقعنا في الأسبوع الذي كتبت فيه الكلمة .

وقد كانت هذه الكلمات تكتب بعد مطاردات وملاحقات شديدة من قبل أبي عادل لي، فأحيانا يأتيني وأنا بجوار سرير الوالدة رحمها الله في المستشفى يلح علي أن العدد متوقف على كلمتك ، وأخرى وأنا في الجبهة، وثالثة يلاحقني بالتلفون والفاكس أثناء سفري، فتصل الكلمة مساء الخميس، والعدد لابد أن يخرج صباح الجمعة، وهكذا دواليك، إلا أنها كانت في خلاصتها معبرة أصدق تعبير عن مشاعر النفـــــس وأحاسيـــــــــسها، وواقع المعركة وأبعادها، وترسم الكيد العالمي، والمواجهة الرائعة المشرفة الصادقة من أبطال المسيرة الذين يخطون تاريخ الإسلام بالدماء، ويبنون صرح مجده بالجماجم والأشلاء.

ونحن رضينا أم أبينا فقد أصبحنا جزءاً من هذه المسيرة، وكلمات من هذه الأنشودة الجميلة العزيزة ، ولحنا في هذه السيمفونية الحزينة الساخنة .

ونرجو الله عز وجل أن يرزقنا صدق النية، وإخلاص الطوية، واستقامة المسيرة والنهج.

هذه الكلمات كانت محاولة لنقل انطباعات النفس ونحن نؤرخ لهذا الحدث الجلل الذي هز الدنيا بأسرها، وشعر كل مسلم في الأرض من جرائه أنه قد ولد من جديد، فإن أصبنا فمن الله، وإن أخطأنا فمنا ومن الشيطان

{ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا} (١).

كتب قرب جلال آباد في السابع عشر من رمضان ١٤٠٩هـ الموافق ٢٢ ابريل ١٩٨٩م.

د. عبدالله عزام

---

* ـ (كلمات ساخنة من خط النار) هذه الجملة كانت عنوانا لهذه المقدمة (١) الكهف (١٠)

خير الأعمال أدومها وإن قل[1]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وبعد:

لم يبق إلا وقت قليل حتى نرى بيارق النصر خفاقة فوق كل ربوع أفغانستان – إن شاء الله–، ولقد حقق الجهاد الأفغاني بفضل الله في الأشهر الثلاثة الأخيرة ما لم يكن يدور بخلدنا، كنا نظن أن الجهاد سيختنق بعد معاهدة جنيف، فإذا به ينطلق ويزداد لهيبا واضطراما، لقد تضاعفت الانتصارات، وخارت عزائم الكفار، ووقع الانفصام الشديد بين الشيوعية الروسية والشيوعية الأفغانية، حتى صار الروس يعيرون الشيوعيين الأفغان بأنهم بائعو الوطن (وطن فروش)، وكلما رأوهم أخذوا يلمزونهم بالإشارات المعبرة والضحكة المجلجلة والسخرية اللاذعة.

وقد باع الروس الضابط الشيوعي الأفغاني بما يعادل ستين ريالاً، والجندي بما يعادل عشرين ريالا.

والآن ونحن– إن شاء الله – على أبواب النصر النهائي، ونرجو الله أن يكون عام (١٤٠٩هـ) هو عام الفتح بعد سقوط بدخشان وطالقان وتخار وكندز وباميان.

ولذا فإننا ننبه المسلمين أن الجهاد في هذا العام يحتاج إلى دعم كبير، ومساعدات ضخمة ومؤسسات كثيرة، وتكاليف باهظة، ولذا فإنا نهيب بالمسلمين أن يبسطوا أيديهم بالبذل

{**مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم**} البقرة ‹ ٢٦١ › . فالدرهم في الجهاد بسبعمائة درهم، فهنيئا لمن وفقه الله لفعل الخير وألهمه البذل وحبب إليه النفقة {**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**} الحشر‹ ٩ ›.

والنفقة على الجهاد مقدمة على إطعام الجياع ولو ماتوا كما أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية.

فاقبلوا على الله، وافعلوا الخير، وطهروا أنفسكم، وأعينوا في قيام حكم إسلامي في أفغانستان.

انفرط عقدهم[2]

لقد مضت سنة الله أن يمحق الكافرين وأن لايصلح عمل المفسدين، وأن يجعل الزبد جفاء، وأن يقر الحق في الأرض {**ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون**} الأنفال‹٨›

والشيوعية وقد انتفشت في عقد من الزمن، وانتفخت وتورمت كالأورام السرطانية، ثم بدأ الحق ينهش جوانحها، ويحطم أركانها، ويمضغ قلبها حتى استحالت في هذا العقد شبحا خاويا، وهيكلا هشا سرعان ما تنهار نهائيا لضربة أو صفعة {**ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا**} (الإسراء: ٥١)

والآن وقف الشيوعيون في كابل في حالة بئيسة حزينة لا يحسدون عليها ، ساداتهم الروس يتسلون بالسخرية بهم، ويتفكهون باحتقارهم وبيعهم، فرجالاتهم الكبار الذين يعملون في الخاد ‹مخابرات الدولة› وصل ثمنهم النهائي خمسة عشر دولارا، والضباط ثمنهم عشرة دولارات، والجنود خمسة دولارات .

هكذا أصبح ثمن البغل يساوي ثمن مائة شيوعي يبيعهم سادتهم الروس بثمن بخس دراهم معدودة، والرقيق الأبيض والأسود أغلى منهم بكثير، بل الحمار تستبدله بستين شيوعيا ، ليجمع سادتهم بعض العملة الصعبة قبل أن يغادروا أفغانستان .

والآن بدأت مراكز الولايات والمديريات تسقط تبعا في أيدي المجاهدين، فقد سقطت طالقان ‹مركز تخار › دون أن يسقط فيها سوى شهيد واحد . وسقطت جرم /بدخشان/دون أن تطلق فيها طلقة واحدة، وذلك بمجرد سماع تحرك نجم الدين قائد المجاهدين لاستقبال رباني، وتحرك مسعود من بنجشير، فظن الشيوعيون أنهم أحيط بهم فهربوا وولوا على أعقابهم مدبرين، فجئت نجم الدين لأهنئه بفتح جرم، فوجدته حزينا لأن الروس قد نجوا بأرواحهم وسلموا بأسلحتهم ، وسقطت بهارك في هذا الأسبوع،

١– لهيب المعركة العدد ١٧ التاريخ ١٤٠٩/٢/٦هـ الموافق ١٩٨٨/٩/١٧م

٢ ـ لهيب المعركة العدد ٢٣ التاريخ ١٤٠٩/٣/١٩هـ الموافق ١٩٨٨/١٠/٢٩م

نرجو الله أن تسقط فيض آباد/ مركز بدخشان، واليوم سقط مركز كابيسا، وقندهار تحتضر لتلفظ أنفاسها، والانتصارات متوالية، وعزائم جند الله تحتد وتشتد، والروس منهارون، والشيوعيون يرتجفون هلعا، ويبحثون عن محيص أو ملجأ وأنى لهم هذا، فبدأوا يخرجون جوازات السفر ليكونوا أول المغادرين للأرض التي فشلوا أن يبيعوها للروس **{ كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال }**. الرعد«١٧»

ولا بديل للشيوعية سوى المجاهدين الذين يحملون دين الله بين جوانحهم لينقلوه واقعا مطبقا فوق أرضهم **{ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم }** الروم«٤-٥».

فعلى المسلمين أن يركزوا جهدهم وجهادهم ، وأموالهم وأعصابهم، وأن يصبّوا طاقاتهم في هذه الأشهر القريبة ليشاركوا في قيام دولة قامت بالبيض والأسل (١)

أغلى الممالك ما يبنى على الأسل والطعن عند محبيهن كالعسل

لن تغلبوا القدر(٢)

لقد دخل الروس أفغانستان يحادون الله ورسوله بصلفهم وكبريائهم وغرورهم وغطرستهم **{وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب}**. الحشر«٢»

واستمرت روسيا تدفع بجندها، وتقذف بأساطيلها الجوية والبرية، ونفد مخزون الذخائر المكدس في مستودعاتها، حتى صارت تستعمل قذائف مصنوعة في نفس العام، وما ادخرت من وسعها شيئا، وما وفرت من أسلحتها نوعا ، فقد استعملت كل الأسلحة التي تملكها عدا الأسلحة الذرية، ومع ذلك عادت تجني المرارة، وتحصد الذل، وتتجرع غصص الهزيمة والهوان.

لقد كانت الحرب في أفغانستان عالمية من جهة، تدور رحاها فوق رأس شعب مسلم واحد، وتتلقى أهوالها قطعة أرض واحدة -أفغانستان -، ولك أن تتصور معي المصائب التي صبت فوق أفغانستان وشعبها المسلم من مثال واحد :أنه مرت على بنجشير أيام تغير عليها الطائرات ستمائة غارة في اليوم الواحد، وقد يصل تعداد الطائرات في كل غارة ثلاثين طائرة، كل طائرة تحمل ثماني قذائف، وزن كل قذيفة نصف طن، فإذا أخذنا معدل الطائرات التي تغير في الغارة الواحدة فلن يقل عن عشر طائرات، فهذا يعني أن ستة آلاف طائرة تغير في يوم واحد، وبالتالي يكون معدل ما يلقى على بنجشير من المتفجرات يوميا أربعة وعشرين ألف طن، وهذا رقم هائل يأخذ رأسك الدوار وأنت تريد أن تتملى الحقيقة وتتصور الواقع .

والآن : وبعد أن بدأ الروس بالانسحاب شعروا أن دولة نجيب الشيوعية لا تستطيع أن تقف على قدميها حتى يتـــم انسحابها، فهي تطلق التصريحات السياسية إرهابا للمجاهدين، وإعطاء الدفع للانتخابات الباكستانية التي تعتبر بعض الجهات حصانها الرابح فيها، والتي يعقد الغرب وروسيا والهند على فوزها آمالا عراضا وأماني كثيرة.

فروسيا تدلي بتصريح تلو التصريح أننا أدخلنا صواريخ (SCUD B SS1) وطائرات ميج ٢٧ ، و(BACK FIRE BOMBARDING)، ولكن هذه كلها لن تصنع شيئا، ولن تستمسك روسيا نفسها ، ولن تستطيع - إن شاء الله- أن تواصل في أفغانستان إلا إذا ركبت لكل جندي أرجلا من حديد، وأدخلت في كل قلب واحد أسدا لترتفع معنوياته المتحطمة .

إنهم لا يعلمون أنهم يواجهون القدر، ويحاربون الله، والله - سبحانه - لا يقهر، ومشيئته لا ترد، وإرادته لا تهزم

{وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا} (فاطر ٤٤)

كناطح صخرة يوما ليوهنـــها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

لقد كدست روسيا ذخائر للحكومة الشيوعية تكفيها خمس سنوات، وهذه كلها - بإذن الله - غنائم المجاهدين التي ساقها رب

١- بالرماح.

٢- نشرت في الحركة العدد ٢٤ بتاريخ ٣ ربيع الثاني ١٤٠٩هـ الموافق ١٢/١١/١٩٨٨م

العاملين لهم.

{ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون} التوبة:٣٢

شرقات الموت للرجل المريض(١)

فقد أعلن الروس وقف انسحابهم من كابل وذلك ليعطوا بعض الجهات دفعا في الانتخابات الباكستانية، وكانت مناورة ومزايدة على الانتخابات الامريكية، لان بوش الذي يمثل خط ريغان وحزبه يمكن أن يتأثر بهذا، وكذلك فإن التصريح محاولة لوضع الأوكسجين في أنف الحكومة الشيوعية التي تحتضر وتلفظ أنفاسها الأخيرة على فراش الموت، ونفخا فـــي رماد الهشيم الشيوعي الذي اشتعل بسرعة ثم انطفأ وتحول نارا هامدة .

ومقابل هذا قام أحمد شاه مسعود (أشهر قادة أفغانستان على الإطلاق والذي تعرف روسيا ضرباته القاصمة في بشغور وبنجشير وسالنج ونهرين وكلفغان وكران ومنجان..) وأعلن مسعود: إغلاق ممر سالنج المنفذ الوحيد على الطريق الرئيسي بين روسيا وكابل، وأمر بفتح المعركة على روسيا من بلخ قرب نهر جيحون (أمو داريا) على الحدود الروسية إلى كابل، ومن المعلوم أن سالنج الجنوبي بيد أحمد شاه (بيد محمد ظفر وعبد البصير من قادته).

وما أجمل أن يحمي القرار السياسي بالقوة العسكرية التي تنقل الكلمات إلى معارك ووقائع وأحداث، يعلن الأستاذ رباني في أمريكا رده على الروس عندما صدر قرارهم بوقف الانسحاب فيقول رباني: (أوقفوا الانسحاب، فنحن نخنقهم بإغلاق ممر سالنج)، وإذا بمسعود يستجيب لإعلان رباني فيقوم بإغلاق الممر .

ليث بنجشير غير خاف بـلاؤه ... تزدهي أرضـه بـه وسمــاؤه

رقّ حتى قيل تلعـة روض ... كللت وشي زهـره أنـــداؤه

وسطـا فالحمام أحمـر لا ... يؤمن بالليل والنهار لقاؤه

فاتاهـم تحت العقاب همـام ... ليس يخزيه في الهياج مضاؤه

عـاث فيهم فهارب وأسيـر ... وقتيل تناثـــرت أشلاؤه

وفي المقابل ضرب المجاهدون ضربات موفقة في منطقة ننجرهار فسقط ممر خيبر بأيديهم (بوابة خيبر أو طورخم)، واحتل المجاهدون غني خيل ولاند خيبر، ومنّ الله عليهم بغنائم ضخمة يصل طول أكوام الغنائم بضعة كيلو مترات.

وكان افتتاح حصن لاند خيبر من الكرامات الكبرى، إذ أنه حصن يقع تحت الأرض بين مجموعة من الجبال تحيط به، وعلى رأس كل منها مركز للشيوعيين لحراسته، وسقوطه يدل على الروح المعنوية التي تردت كثيرا لدى الشيوعيين، فلم يبق في الكنانة سهم، ولم يبق في القوس منزع .

وللأسف الشديد أن صحيفة منظمة التحرير الفلسطينية باللغة العربية وجدت في قواعد الشيوعيين - ويعني هذا أن بعض اليساريين من الفلسطينيين في داخل القواعد - وهذا مما يندى له الجبين حياء، وتطرق له الهامة خجلا، وبدأت كابل تئن تحت وطأة ارتفاع اسعار المواد الغذائية، فقد وصل ثمن كيلو الطحين دولارا (٤ ريالات) أي مائتي روبية أفغانية، وفقدت الحاجات والضروريات من أسواق كابل، وارتفعت صيحات الشكاوى في كل مكان في العاصمة الأفغانية .

وهنا حاولت حكومة كابل أن تستجمع بقية قواتها لعلها تفتح منفذاً لكابل بعد أن اختنقت، ودفعت بقواتها نحو لاند خيبر وغني خيل، واستطاعت أن تصل إلى بوابة خيبر الشهيرة (طورخم)، ولكن المجاهدين عادوا من الحصار حول جلال أباد ليحاصروا القوة المتقدمة، وأصبحت القوة محصورة بين الحدود الباكستانية والمجاهدين، وليس لها إلا أن تلقي بنفسها بين أيدي المجاهدين مستسلمة يائسة، أو تدفع إلى الأمام وتستسلم لباكستان ، وإذا فقد استسلموا للحكومة الباكستانية .

لا يمكن نفخ الروح والحياة في أطراف الرجل المريض (حكومة كابل) .

لقد وصلت روسيا والشيوعية إلى يقين حاسم جازم أن الحل العسكري مع المجاهدين أصبح مستحيلا ، وأن الشيوعية في

١- لهيب المعركة العدد ٣٦ التاريخ ١٠ ربيع الثاني ١٤٠٩هـ الموافق ١٩/١١/١٩٨٨م

أفغانستان تهوي الآن إلى جحيم الذل في الدنيا {ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون } (فصلت ١٦).

ولذا فإنهم يحاولون محاولات يائسة أن يجدوا منفذا من خلال الحلول السياسية، فطرحوا في هذه الأيام قضية المفاوضات المباشرة من أجل تبادل الأسرى، والأسرى الروس لا يستحقون أن تتجشم روسيا بهذه المفاوضات، لأن عددهم لا يزيد عن المائتين، وإنما هي محاولة لحفظ ماء الوجه - إن بقي ماء - بإجراء مفاوضات كاملة شاملة حول آثار الحرب لعلها تخرج بشيء.

{حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين }. يونس (٩٠).

الحسم للحسام(١)

يقول الله عز وجل:

{ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون..} التوبة(١١١)

فالبيعة تمت بين رب العزة وبين هذا الإنسان الفاني ، وعقد العقد والمبيع هو النفس والمال، والمشتري هو الواحد القهار، والبائع هو المؤمن الصادق البار، ويا لها من كرامة ورفعة أن يتفضل العلي الكبير فيعقد عقدا مع هذا الإنسان الصغير، والثمن هو الجنة، والتفسير العملي الواقعي لتنفيذ هذه الصفقة هو القتل والقتال، إذ لم يدع الله عز وجل للبشر أن يفسروا عملية البيع والشراء بأنها أنواع العبادات وحسب الأذواق والأهواء، بل فسرها رب العزة بالنص الفصل المحكم فقال عز شأنه:

{يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون} التوبة(١١١)

ولأمر ما أراده الله عز وجل لم ترد كلمة يجاهدون في سبيل الله ، بل كلمة القتل والقتال، وردت ثلاث مرات في مقطع واحد من الآية، والمقطع مكون من ست كلمات كريمات :

{يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون} التوبة(١١١)

فإذا علمنا أن -في سبيل الله- شبه جملة فهذا يعني أن الجملة الفعلية كلها قتل وقتال.

وذلك لما يعلم الله سبحانه -والله أعلم- من أهمية القتال في الحياة البشرية، ولذا خاطب رسول الله ﷺ بقوله: {فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا} النساء(٨٤).

وصدق الله العظيم: إذ أن شوكة الكافرين لا تخضد، وجموعهم لا تفل، وجحافلهم لا تشتت إلا بالقتال .

ومن كان في شك من هذا فلينظر مصداق هذه الآية في قضيتين تشغلان المحافل الدولية : قضية الجهاد الأفغاني ، والقضية الفلسطينية .

فالمجاهدون الأفغان يتعاملون مع القوى الدولية جمعاء بمنطق القوة ومن عل ، لأن الصوارم لازالت بأيديهم تقطر من دماء الكفار .

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

وهم يقفون على أرض صلبة، ولازالت العوالي التي تحملها السواعد لها في كل قمة شاهد، ولذا فهم يرفضون كل العروض الدولية والأطروحات العالمية لحل مشكلتهم، والغرب في تنازل مستمر، وقد أفلت الزمام من أيدي القوى الكبرى، لأن اللجام لم يسلم الى اللئام في يوم من الأيام، لأن شمس الحق أمام أعين المجاهدين ساطعة ، ومعالم الطريق واضحة، فالحق منذ كان أبلج، والباطل أبدا لجلج ، والروس بعد أن أعياهم المخرج لجأوا إلى المفاوضات المباشرة مع المجاهدين بحجة قضية الأسرى ، ولسان حال الدنيا كلها يردد لهم بإكبار وإعجاب مع أبي هلالة :

لنا اسمح أن نقبل في ... يديك السيف يا بطل

ونمسح عن حذائك ما ... عليها يطرح السفل

هذه صفحة مشرقة في جبين الزمن في هذا العصر الهابط، ويقابلها العماء الذي تتخبط في دياجير ظلمته منظمة التحرير

١ـ لهيب المعركة العدد ٢٧ التاريخ ١٧ ربيع الثاني ١٤٠٩هـ الموافق ٢٦/١١/١٩٨٨م

الفلسطينية التي كل عزمها عن مواصلة الطريق، وشمت بها اليأس، وما تركت بابا للكفار إلا طرقته، ولا منفذا إلى التوسل والرجاء إلا سلكته، فتراها تدفع عشرات الملايين من الدولارات لتأييد الحزب الاشتراكي اليوناني في انتخاباته، وتنفق الملايين من أجل عقد مؤتمر في أثينا اسمه(سفينة السلام)، وتبحر السفينة بعد إنفاق الملايين، ويدمرها اليهود في قبرص، وتقوم لجنة إعلامية كبرى وتساعد حزب العمل اليهودي ضد حزب الليكود ، ويدفع لطاغوت النصيرية مئات الملايين ليستمر في غطرسته وسفكه لدماء المسلمين، وكل هذا من زكاة أموال المسلمين وصدقاتهم، وتسألهم عن هذا فيجيبون: كسب الضمير العالمي.

وأخيرا ارتموا على أقدام أعداء الله أجمعين، وأعلنوها صريحة مدوية اعترافا بإسرائيل وبيع فلسطين لهم، وذلك مقابل اعتراف بجنين أجهض وسقط ميتا على غير أرضه، وظن كثير من الناس أن قطعة القماش البيضاء التي اشتريت ليكفن بها السقط الميت هي وشاح الفرحة ولافتة التهنئة ، وما أجمل قول أبي الطيب:

إذا كانت الدولات قسما فإنها   *لمن ورد الموت الزؤام تدول*

لمن هون الدنيا على النفس ساعة   *وللبيض في هام الكماة صليل*

قانون ثابت(١)

فلقد كتب الله للشعب الأفغاني المسلم أن يدخل أتون هذا الصراع المحتدم، والذي خرج منه الشعب الأفغاني صافيا صفاء العسجد [٢] ، ونقاء العقيان [٣] ، وكان لابد من طول هذه المحنة حتى يثمر هذا النقاء، وحتى تتغير نفسيات القوم، وتصغر في أعينهم الدنيا، وتنتج جيلا لا يعرف الخوف ولا يخشى الموت .

ولقد رأيت أن هذه سنة من سنن الله في الحياة البشرية، وناموسا من نواميسه في واقع الإنسانية، أن التغيير لا يمكن أن يتم إلا من خلال المحن، وأن الذين غيروا واقع أرضهم كانوا قد مروا بتجربة عنيفة، ومحك شديد من البلاء، تخرج منه النفس وقد خلعت من شوائبها، ونقت من غواشيها.

ناموس إقامة المجتمع الإسلامي

وقانون تغيير المجتمعات نحو الإسلام يمر بمراحل :

١- **المرحلة الأولى:** الدعوة الى الله – عز وجل –، يعلن بها مدوية رجل باع نفسه لله، فيلتف حولها عصبة تكون رأس الحربة التي تواجه الجاهلية حولها ، والداعية الذي يقود الزمرة الأولى من الصفوة لابد أن يبدأ بجمع الناس وتربيتهم على عقيدة التوحيد (توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات) .

٢- **المرحلة الثانية:** (مرحلة الحرب الباردة) اشتعال المعركة بين الفئة الرائدة وبين قومهم من حولهم، تسلك فيها الجاهلية كل وسيلة مهما كانت رخيصة، وتسري في كل جادة مهما كانت معوجة، ولا تدع أسلوبا للتنديد والتنفير إلا واستعملته ، الدس والكذب والافتراء والتشويه والاختلاق، ويبقى الداعية نظيف المسلك، صادق اللهجة، عفّ اللسان، ناصع الجبهة ، ثابت الجنان، ويعلم أن طريقه هو الحق ، وأن العاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين **{كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال }** الرعد/١٧.

وعبر هذه المرحلة تفتح غياهب السجون لزج الدعاة في أعماقها ، والتشريد ، والاعتداء على الأعراض وانتهاكها .

وعندها لذ طعم الموت لشاربه   *أن المنية عند الذل تنديد* [٤]

وتخرج الدعوة من هذه المرحلة وقد اشتد ساعدها، وصلب عودها، وصفا معدنها، وتساقط رعديدها.

وتتركز الحرب الباردة في هذه الفترة على شخصية القائد لتحطيمه وتشويهه، واختلاق التهم التي يمكن أن تشغله عن الخط الذي يسير عليه، والهدف الذي نذر نفسه له، وتوجه اللكمات الوحشية في نهاية المطاف لتصفيته جسديا مع الطليعة التي تلتف حوله، والصفوة التي تنتظم كنفيه ممن يشكلون الصف الأول من أبناء الدعوة .

١- لهيب المعركة العدد ٢٨ التاريخ ٢٤/ ربيع الثاني ١٤٠٩هـ الموافق ٢/١٢/١٩٨٨م

٢- العسجد: ٣- العقيان : الذهب. ٤- قنديد: عسل السكر

وفي نهاية هذه المرحلة: يبلغ الجهد مداه، وتتجمد الدعوة لكثرة المصائب التي تتهال على هامتها، وعوامل السحق التي تنصب فوق كواهلها .

وفي هذه الفترة الأخيرة من هذه المرحلة في مكة نزلت سورة يوسف عليه السلام كإلماحة للصحابة بين الأخشبين (أبي قبيس والأحمر) أن النصر يأتي بعد طول المحن وشدة الابتلاء . وفي خاتمة السورة جاءت الآيتان الكريمتان **{حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنُجّي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين * لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون}** يوسف١٠٩ – ١١٠.

والآيتان توضحان أن هذه هي سنة جارية في الدعوات، وناموسٌ ماض، ولقد جاء الفرج بعد نزول هذه السورة، وساق الله الأنصار الذين بايعوا البيعة الأولى والثانية في العقبة..

٣- **المرحلة الثالثة** (مرحلة الجهاد) مرحلة الحرب الساخنة والمعركة الطاحنة : وتبدأ الدعوة الإسلامية لتشعل الفتيل، وتكون الدعوة فيها كصاعق يفجر طاقات الأمة تدريجيا .

ويلتف الناس في هذه المرحلة تدريجيا كلما حققت الدعوة نصرا ، وفي نهاية هذه المرحلة يزداد الإسلام شدة، ويرفع المسلمون أعناقهم عزة ، والشعب يكتنفهم ويشاركهم معركتهم، لأن الناس بطبيعتهم يرقبون المعركة ويقفون مع الواقف، والناس يمقتون الضعيف ، ويكرهون الاستخذاء، ويتيهون إعجابا بالقوي والجريء، وهذه الفطرة البشرية.

وأنت ترى مصداق هذا في عدد المسلمين بعد الحديبية، ازداد كثيرا فكانوا ألفاً وأربعمائة في الحديبية سنة (٦هـ) ، وعشرة الآف في فتح مكة سنة(٨هـ) ، وثلاثين ألفا في غزوة تبوك سنة (٩ هـ) ، وفي حجة الوداع سنة (١٠ هـ) مائة وأربعة وعشرين ألفا .

٤- مرحلة النصر النهائي: بدخول الناس في هذا الدين زرافات ووحدانا **{إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا}** «الفتح١-٣».

فالناس يدخلون في هذا الدين أفواجا بعد نصر الله والفتوح، وهذه المراحل مرت بها الدعوة في أفغانستان، ونحن الآن على أبواب النصر النهائي ، ونرجو الله أن لا يخيب فألنا، وأن يصدق ظننا إنه سميع قريب .

أليس الصبح بقريب؟! (١)

وأخيرا تنازل الاتحاد السوفياتي من علياء أبهته ، ومن انتفاخ سلطانه ، ولكن تحت ضربات المجاهدين التي أعادت الوعي إلى رأسه ، وردته في هذه القضية إلى صوابه ورشده ، وجلس فرنتسوف مع الأستاذ رباني ، وطلب غورباتشوف وقف إطلاق النار ابتداء من العام الجديد سنة (١٩٨٩)، وأن يحتفظ المجاهدون بما تحت أيديهم من أراضي وكذلك حكومة كابل .

والحق أن هذه النقلة البعيدة ما كانت لتحصل لولا التفوق العسكري الذي أحرزه المجاهدون في الميدان ، ولقد كان للانتصارات الباهرة والفتوحات العجيبة التي منّ الله بها على المجاهدين بعد معاهدة جنيف أكبر الأثر في تغير موقف الاتحاد السوفيتي، وكما قال عنترة:

وسيفي كان في الهيجا طبيبا يداوي رأس من يشكو الصداعا

لقد عرض الأمين العام للأمم المتحدة على الأستاذ رباني اللقاء بالروس سرا فرفض إلا أن يكون الموقف معلنا، وكان الإقتراح أن يكون اللقاء في فينا فرفض إلا في بلد إسلامي، واشترط الأستاذ رباني (رئيس الاتحاد الأسلامي لمجاهدي أفغانستان في هذه الدورة):

١- أن يكون اللقاء معلنا .

٢- أن يتم البحث حول انتقال السلطة من الروس إلى المجاهدين، وعن تأمين الانسحاب للقوات الروسية دون أن تدمر على الطريق أثناء تراجعها .

١- لهيب المعركة العدد ٢٩ التاريخ ١/ جمادي الأول ١٤٠٩هـ الموافق ١٠/١٢/١٩٨٨م

٣- أن لا يمس البحث أمور الحزب الشيوعي الأفغاني وشكل الحكومة القائمة .

وسقط في أيدي نجيب وحكومته حال ترامي أخبار هذا الاجتماع إلى مسامعه ، ويعقد اجتماعا عاجلا لبقايا المنتفعين من الحكم الشيوعي من وزرائه وحاشيته وبطانته ، واستطاع أن يجمع على شفتيه بعض كلمات وألقاها بين الحاضرين، والقوم جميعا ينظرون إليه تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت ، قال نجيب: (لقد جاءت ساعة الموت التي كنت أتوقعها، وإن كأس السم الزعاف الذي أعده الروس منذ زمن جاء وقت تجرعه ، لقد تجاوزنا الروس وأخذوا يتباحثون مع المجاهدين) ونجيب نفسه لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، ولو كان الأمر بيده لغادر البلاد منذ زمن، ولكن حرسه الخاص من الروس الذين يحصون عليه أنفاسه ويعدون عليه نبضاته .

ومصيره - والله أعلم - لن يعدو مصير أسلافه ممن قتلوا أو سحبوا بيد سادتهم، ولا يعنينا كثيرا مصير نجيب ولا مصير رفقاء طريق الخيبة والضياع الذين غرهم فيها سراب خلب خادع ، أما الشيوعية فقد حكم عليها بالموت، واقتلعت من جذورها من أرض أفغانستان، لأنها نبتة غريبة شاذة لا يمكنها أن تعيش إلا إذا أردنا أن يعيش الموز في بلاد الأسكيمو ، وما كان يمكن أن يصل حال الشيوعية ولا الروس إلى هذا الوضع في أفغانستان

قوم إذا مطرت موتا سيوفهم حسبتها سحبا جادت على بلد

ولا بديل للشيوعية سوى الإسلام، ولا وارث لحكم الشيوعية الطارئ على أفغانستان سوى حكم المجاهدين إن شاء الله ، والناس متخوفون من بعض المشاكل في داخل أتون المعركة بين الأحبـــة والإخوة ، وهلعون لنتائج الانتخابات الباكستانية، ويخشون من المؤامرات الدولية .

ونحن - إن شاء الله - نقول : لقد تعدى الجهاد الأفغاني نقطة الخطر ، وأفلت الزمام من أيدي القوى العالمية ، ولن يكون بعيدا - والله أعلم - ذلك اليوم الذي تصبح فيه كابل مهوى الأفئدة، ومحط الرحال لشباب الصحوة الإسلامية الذين يقضون إجازاتهم الصيفية في ربوع الإسلام، ويتفيأون ظلال حدائق بغمان، ويسمعون دوي التكبير وهالات الفرح على الوجوه في كل مكان :

{{ ويسألونك متى هو قل عسى أن يكون قريبا }} «الاسراء٥١»

خمدت نارهم وفقد كيرهم(١)

خطب غورباتشوف في الأمم المتحدة وطالب:

١- بوقف إطلاق النار ابتداء من (١/١/١٩٨٩م) .

٢- احتفاظ المجاهدين وحكومة نجيب كل بما لديه من أرض.

٣- تكوين حكومة ذات قاعدة عريضة.

٤- إرسال قوة من الأمم المتحدة في فترة قريبة إلى كابل.

٥- وقف إمداد السلاح للطرفين - المجاهدين ونجيب.

٦- عقد مؤتمر دولي لتحييد أفغانستان وجعلها منطقة منزوعة السلاح .

٧- مساهمة روسيا في معالجة جرحى الحرب .

٨- إعادة تعمير أفغانستان .

والمقصود من الخطاب كله :

١- حفظ ماء وجه روسيا بأنها انسحبت حسب مؤتمر دولي.

٢- محاولة مستميته لإبقاء أفغانستان منزوعة السلاح حتى تبقى مسرحا لعملاء روسيا، ولقمة سائغة تحت رحمتها ورحمة جيرانها من الدول .

١ ـ لهيب المعركة العدد ٣٠ / التاريخ ٨ / جمادى الأول ١٤٠٩هـ الموافق ١٢/١٧/ ١٩٨٨م

٣- تأمين انسحاب الروس دون أن تحطم قواتهم أو تهلك جنودهم .

٤- ضمان نظام غير معاد للروس أو موال له .

٥- المحافظة على حكومة نجيب حتى لا تسقط قبل الانسحاب.

ولكن: (في فمي ماء وهل ينطق من في فيه ماء) . ليس في يد روسيا أية ورقة ضاغطة على المجاهدين -أبدا- سوى التأخر أو التلكؤ في الانسحاب من أفغانستان، أما أن تذكي ضرام المعركة مرة أخرى فهذا أمر شبه المستحيل (بعد أن خمدت النار وغاب الكير وشلت يد الحداد)، وكل ناب كلبها عن العض، وقلمت مخالبه، وخسرت في المقامرة والرهان كل براقينها[1].

ليس أمام روسيا سوى الانسحاب إلا إذا قامرت ببقية جنودها في أفغانستان وغامرت بحياتهم، وأما حكومة نجيب فهي لا تملك أي مقوم من مقومات الحياة، ولذا فقد نقل نجيب أسرته إلى مزار شريف -كما يشاع -.

رد المجاهدين:

وعقد زعماء المجاهدين مؤتمرات صحفية للرد على خطاب غورباتشوف، فشجب الخطاب حكمتيار والمجددي وخالص وسياف ورباني، وأعلن الجميع من موقف العزة والاستعلاء الإيماني قالوا: روسيا المعتدية وهي التي يجب أن تلقي السلاح، وأصروا بأنفة وإباء: ان الجهاد مستمر حتى خروج آخر جندي روسي من أفغانستان، وسقوط حكومة كابل، وإقامة الحكم الإسلامي فيها.

وما لهم لا يعلنون هذا وهم يقفون على أرض صلبة ؟ ويطلّون على الدنيا من المرتقى السامي والقمة الشامخة ، وما لهم لا ينشدون:

قالوا لنن شـح العطـاء ... فنحن للدين الأضاحي

وعلى الطريق شدا الرجال ... بألسن البذل الفصاح

والنصـر يجنى بالدمـاء ... وبالرماح وبالصفـاح

إنهم منتصرون:

كابل تئن تحت ضرباتهم، جلال آباد تترنح على أقدامهم، طريق طورخم (طرخيبر- كابل) بيد المجاهدين، طريق سالنج في قبضة الكماة الأباة، قندهار المدينة قطعة من النار، جارديز أحكم الخناق حول عنقها، ووضعت الحبلة حول رقبتها، ولم يبق إلا شدها، وهكذا دواليك، فكل الطرق في أفغانستان تقريبا بيد المجاهدين، لقمة الخبز التي يأكلها نجيب وعملاؤه لابد أن تمر بإذن المجاهدين، غزني متهافته ساقطة تقريبا بيد المجاهدين، ولم يبق سوى تأمين الأهالي {ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطأوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما} «الفتح:٢٥».

ولذا فكل الأوراق الضاغطة بأيديهم: النصر العسكري، تسعون بالمائة من الأرض تحت قبضتهم، التأييد الإسلامي والعالمي معهم، القدرة على سحق جزء كبير من قوات الروس المنسحبة، التأييد الشعبي داخل أفغانستان بجانبهم، إمساك الزمام وإحكام المقاد العسكري والسياسي بأيديهم، تمردهم على كل قوى الأرض الباغية، القدرة على صناعة القرار داخل المسجد وليس في أروقة الهيئات الدولية.

إنهم يرتلون:

{ فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم} «محمد:٣٥».

---

١ ـ الخيول غير العربية

كل نفس ومسؤوليتها (١)

فالذي ينغمس في خضم المعركة ويحيا مشاكل الجهاد يدرك أكثر من غيره أن الجهاد قمة سنام الإسلام، ولا يمكن للنفس البشرية أن تفهم الإسلام إلا بقدر المعاناة التي تقدمها في طريق هذا الدين، إذ يكون فهمها لدين الله غالبا موازيا للتضحيات التي تبذلها، وكلما ابتلي الإنسان على جادة هذا الدين فإن فهمه لهذا النور يزداد عمقا ، ورؤيته للحقائق الإيمانية تزداد وضوحا وإشراقا .

ولذا جاءت الآية:

{فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون} «التوبة١٢٢»

ولذا فإنك تلمس الفارق الهائل بين شخصية الإنسان قبل ولوجه طريق المرارة والمعاناة، وشخصيته بعد أن يمر في أتون المحن ومرارة المعاناة ، وتجد هذا البون الشاسع بين نفسية سيدنا يوسف عليه السلام في بداية السجن:

{وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين} «يوسف٤٢» .

وبين نفسيته في آخر فترة محنة السجن عندما جاءه رسول الملك:

{فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم} «يوسف٥٠» .

ففي البداية طلب من أحد السجناء أن يذكر قصته أمام الملك، وفي نهاية المطاف يرد رسول الملك حتى تبرأ ساحته وتبدو أمام الملك طهارته .

إنه بون هائل ، ومسافة شاسعة بين هذه الأيام وبين أوائل أيام السجن، وقد أنضجت نفسه غصص المسيرة، وطول البلاء ، وشدة المعاناة، وتجرع مرارة الظلم الكبير الذي أصابه على يد الطغمة الحاكمة.

وفي أفغانستان الآن: هنالك قادة انغمسوا في المشاكل التي شابت لها نواصيهم، ولا يمكنهم التهرب من الميدان، فاضطلعوا بحمل هذه الأعباء الضخمة التي لابد لهم من مواجهتها ، وطحنت هذه المصائب أعصابهم ولحومهم، وأذابت شحومهم، وأنقت عظامهم ، ومع الأيام صار أحدهم يردد:

رماني القوم بالأرزاء حتـــى ... فؤادي في غشـــاء من نبـــال

فصرت إذا أصابتني سهـــام ... تكسـرت النصـال على النصـال

فهـان ومـا أبـالي بالرزايـا ... لأنـي مـا انتفعت بـأن أبـالـي

وكان أشد بنات الدهر على القلب تلك التي تحلق الدين بفساد ذات البين :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند

وهذا من أعظم المحن التي تزلزل النفس البشرية ، وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سمع

{قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم} «الأنعام٦٥»

فقال أعوذ بوجهك، **{ أو من تحت أرجلكم }** «الأنعام ٦٥»، فقال أعوذ بوجهك، **{أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض }** «الأنعام ٦٥» قال : هاتان أهون .

وقد أفتى إمام الحرمين الجويني في الذي يترك ميدان الجهاد خوفا من الفتن : أنه يرتكب أكبر من الكبائر .

ولقد واجهت بعض النفوس الصافية مشاكل فلم تطق لها اصطبارا، وتركت أرض النزال، والبعض الآخر واجه الواقع بحجمه وأحداثه وواقعيته وإنسانيته وأخطائه وهفواته، فما كان منه إلا أن ردد بلسان الحال :

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا ... فـــأهون مايمـــــر به الوحول

ومضت السفينة بين العواصف الهوج، وثبت الربان، واقترب شاطىء الأمان، وأشرقت الوجوه بقرب النصر وموعد النزول وفرحة القدوم(١).

١ ـ حذف من هنا موضوع (الحق بالقافلة) لأنه سبق ذكره في كتاب الحق بالقافلة من المجلد الأول من الموسوعة.

محاولات يائسة [1]

فقد اجتمع فورنتسوف وكيل وزارة الخارجية السوفياتية مع المجاهدين في الطائف وفي إسلام آباد، وكان جلّ همه أن يميع صلابة القيادة القادمة لحكم أفغانستان، بحيث تنتقل من الأصوليين إلى المعتدلين، وكذلك حاول فورنتسوف أن يزج ببعض الوزراء الشيوعيين في الحكومة التي ترثهم فوق سدة الحكم في أفغانستان .

وتجد الإصرار العالمي على تشكيل حكومة ذات قاعدة عريضة، أملا منهم أن يفلت الزمام من النفر الذين ترتجف لرؤيتهم أوصال العالم . وهؤلاء النفر الذين يمثلون في نظر العالم كله شبحا رهيبا يقض على أعداء الله مضاجعهم، ويورق عليهم أجفانهم .

وقوف بأبواب القباب خيولهم وأشباحهم في قلب أعدائهم تجري

إنه الخوف من الإسلام ، الرعب من القيادة الإسلامية ، الذعر الشديد من عودة الخلافة الإسلامية التي عملت عليها معاولهم ثلاثة قرون حتى أطاحت بهذا الصرح الشامخ.

ولقد يئس فورنتسوف أن يستمر في مناطحة الجبال الشماء التي لا تتزحزح عن موقفها، أو ينقل الرواسي الشامخات من أماكنها، فغادر إسلام آباد ساخطا على كل شيء، يائسا من أن يحقق أي طرف من أحلامه، فصرح أثناء المغادرة : (لا حل لقضية أفغانستان إلا بدخول الوزراء الشيوعيين، وإلا فإننا مضطرون لمواصلة دعمنا للحكومة الشيوعية حتى تبقى قائمة على أقدامها).

ولقد أدرك العالم كله وروسيا بالذات أنها لا قبل لها بمواصلة المعركة العسكرية في ميدان القتال، ولذا لابد من محاولة اختلاس ما استطاعوا من الغنائم التي فقدوها في ميدان المعركة من وراء الكواليس التي يكون التحرك فيها في الظلام بعد أن يعمىّ على الصادقين كثيرا من الحقائق في هذا الجو الدامس الداجي .

والمسلمون لا يستطيعون الحركة إلا في جو كالمحجة البيضاء ليله كنهاره، ولذا فتجدهم منتصرين في الميدان العسكري، حتى إذا أحيلت القضية إلى موائد المفاوضات ضاع الحق الذي وصل إلى المسلمين على بحور الدماء وفوق تلال الجماجم والأشلاء .

فلا صلح حتى تعثر الخيل بالقنا وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم

فالمسلمون منتصرون في الميدان العسكري، منهزمون في الميدان السياسي الغامض ، وذلك لأن المسلم لا يتحرك إلا بوضوح ، ويكره الغموض، ونفسه لا تطيق الالتواء والتدليس والدس والمكر والخديعة ، فالإسلام علم المسلم أن المواثيق والعهود مع الكفار واجبة التنفيذ، والتزامها ومراعاتها فريضة شرعية، وفي البخاري (**لكل غادر لواء يوم القيامة**) ، وفي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي:

(كان بين معاوية وبين الروم عهد، وكان يسير نحو بلادهم، حتى إذا انقضى العهد غزاهم، فجاء رجل على فرس أو برذون وهو يقول: الله أكبر، وفاء لا غدرا فنظروا فإذا عمرو بن عبسة، فأرسل إليه معاوية فسأل، فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء، فرجع معاوية).

وفي صحيح مسلم أن حذيفة بن اليمان وأباه كانا متوجهين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فألقت قريش القبض عليهما وسألتهما، فقالت إنكما ذاهبان إلى محمد لحربنا، فأنكرا، فقالت قريش نفلتكما على ألا تقاتلانا مع محمد، فقبلا، وكان ذلك أثناء التوجه إلى بدر، فذكر حذيفة وأبوه الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (**نفي بعهدهم ونستعين الله عليهم**) .

أما الدول الكبرى فمعاهداتها مع الدول الصغرى تعني أنها لن تنفذ لهم شيئا، ولن تعطيهم قطميرا، ومثاله لورنس (في أعمدة الحكمة السبعة)، وقد كان يطلق عليه ملك الصحراء العربية في الحرب الأولى، ويقود الثورة العربية ضد الأتراك، فيقول (لو كنت ناصحا مخلصا للعرب لقلت لهم: إن عهودنا لكم ستكون حبرا على ورق ولن ننفذ منها شيئا)، ويقول (إنني جد فخور أنه في المعارك الثلاثين التي خضتها لم يرق فيها الدم الإنجليزي، لأن دم إنجليزي واحد أحب اليّ من جميع الشعوب التي حكمناها) .

ولذا فقد قرر المجاهدون قطع المفاوضات مع الروس، و استمرار المعركة حتى يحكم الإسلام، فالسيف أصدق أنباء من الكتب، لا مجال لبقاء الحزب الشيوعي فوق أرض أفغانستان، ولا يمكن لأي منهم أن يجلس مع الوزراء المسلمين في حكومة المجاهدين . وهنا

---

١ - لهيب المعركة العدد ٣٤ التاريخ ٧/ جمادي الثانية ١٤٠٩هـ الموافق ١٤/١/١٩٨٨م

هو الحق المبين .

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي *** المجد للسيف ليس المجد للقلم

ما ظننتم أن يخرجوا[1]

لقد بدأ الروس ينسحبون من كابل، بل بدأوا يخلون القواعد الكبرى، مثل قاعدة شندند الرابضة بين هرات وفرح، والتي كانت تعتبر أكبر قاعدة متقدمة نحو الخليج العربي، إذ كانت تضم بين جنباتها صواريخ بعيدة المدى ، وكانت تحوي طائرات تحتاج ربع ساعة فقط حتى تحط في الخليج، ولقد كانت الأوصاف التي تردنا من مصادر المجاهدين ترهب الأوصال وهي تطلع على تصميم هذه القاعدة، وترى أن الجزيرة العربية بكاملها تحت رحمة الأساطيل البرية والجوية والصواريخ البعيدة المدى.

وبدأ الإنسحاب كذلك من القاعدة الثانية في أفغانستان (كلكي) والتي حصل فيها تفجير في هذا العام ، فجّر في يوم واحد (٧٥٠) طنا من المتفجرات، وقتل قرابة ألف من الروس، وقد كانت هذه القاعدة (في بغلان) تؤمن الذخائر للولايات الشمالية، بل تضم مصنعا للأسلحة الثقيلة وذخائرها، وهي تسيطر على الطريق العام (الأوتوستراد) الواصل بين روسيا وكابل.

بل بدأوا ينسحبون من واخان التي توصل أفغانستان بالصين، وتشكل حاجزا بين باكستان والاتحاد السوفيتي، وكانت روسيا قد اشترتها من بابراك كارمل بمعاهدة لقطع صلة أفغانستان بالصين، ولتكون روسيا ذات حدود مع الصين.

وعندما سئل مسعود : هل ينسحب الروس من واخان؟ قال : لقد انسحبوا، وإن لم ينسحبوا سنقاتلهم حتى نرغم أنوفهم على الانسحاب .

ويذهل المرء وهو يرى نعمة الله، ويبصر التفسير العملي الواقعي لقوله تعالى:

{ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار} «الحشر٢».

لقد كان هذا الأمر قبل سنتين أبعد من الخيال، فأصبح حقيقة بأمر الواحد المتعال .

ويتساءل المرء: كيف تنسحب روسيا من القواعد ولها فيها مصالح حيوية ومنافع ضرورية؟! وأما الجواب فعند خالد بن الوليد رضي الله عنه :

بحد يماني إذا ما جذبته *** تذل له كل العداة وتخضع

إنه الجهاد الذي يذل به الله أقواما ويرفع آخرين، وصدق الله العظيم:

{فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا} «النساء ٨٤» .

إن بأس الكفار لا يكف إلا بالسيف والقتال، ولقد صدق السلاح المجاهدين، وصدق المجاهدون السلاح :

كأن الظبا مما لزمن أكفهم *** مخالبهم أو هن فيهم جوارح .

ولقد كانت معجزة القرون الثلاثة انتصار شعب مسلم رغم فقره وأميته على قوة كبرى طالما ارتعدت لذكرها الفرائص، واهتزت تحت أرجلها الأرض.

ولكن المجاهدين واصلوا طريق الجهاد وكأنهم يخاطبون الروس قائلين :

ولن أصالحكم ما دام لي فرس *** واشتد قبضا على الصمصام إبهامي

لم يكن أمام الروس أي طريق سوى الانسحاب وإلا فالإبادة تنتظرهم، كما كانت عاقبة الإنجليز من قبله، لقد عبر وزير الدفاع

---

١ ـ لهيب المعركة العدد ٣٥ التاريخ ١٤/ جمادي الثانيه ١٤٠٩هـ الموافق ٢١/١/١٩٨٩م

الأمريكي كارلوتشي عن هذا في نقاش له مع وزراء دفاع حلف الأطلسي (الناتو) وهم يقولون له: يبدو أن غورباتشوف قد غير سياسته تجاه الغرب، فقال كارلوتشي: (أهكذا تظنون؟ إن غورباتشوف لم يغير سياسته ولكن المجاهدين الأفغان أجبروه على تغيير سياسته تجاه العالم كله).

تصفية نجيب وحكومته :

وانسحاب الروس الذي نأمل أن يتم خلال شهر لا يعني انتهاء المعركة ، بل يأتي دور الحرب العوان مع الحكومة الشيوعية العميلة، وستشهد أراضي كابل وجلال آباد وبغلان ومزار شريف معارك ضروسا خلال الأشهر القليلة القادمة، معارك حياة أو موت بالنسبة للشيوعيين، وذلك لاجتثاث الشيوعية وإلى الأبد -إن شاء الله- من أرض أفغانستان الإسلامية .

فيا أنصار الجهاد وأحبابه، ويا أيها المسلمون في كل مكان: لا تتركوا المجاهدين على أبواب كابل، ولا تخذلوهم في آخر خطوات الدرب المرير..

(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة) متفق عليه.

هدية العروس :

فيا أيها الأحبة المسلمون في كل مكان: هبوا (افرضوا) أن الجهاد الأفغاني عرسا وجاءت حفلة الزفاف وهو النصر فأرسلوا هدية العرس، واحسبوا أن الدولة الإسلامية التي ستقوم إن شاء الله مولودا جديدا فقدموا هدية المولود، وهذا أقل القليل، ولكن الواجب ثقيل فأين المستجيبون؟

على أبواب كابل[1]

فالآن تصطف الجياد في أرجاء كابل تحيط بها إحاطة السوار بالمعصم، وفرسانها يأخذون بأزمتها من بغمان إلى شكردرا واستالف وبغرام:

قيام بأبواب القباب خيولهم وأشباحهم في قلب أعدائهم تعدو

وهؤلاء الفرسان وتحتهم خيولهم :

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

وفوق هذه الخيول ليوث قد انتضلت البيض، وشرعت الأسنة، يتلمظون غيظا ينتظرون الانقضاض.

يتطهرون يرونه نسكا لهم بدماء من علقوا من الكفار

والشيوعيون تركهم سادتهم تحت رحمة المجاهدين، وقد عجزوا أن يوفروا لهم حماية، ولطالما بحثوا عن مخرج لعملائهم، وعرضوا على المجاهدين في لقائهم معهم في الطائف وإسلام آباد- والذي توفر لهم بعد لهاث طويل وراء المجاهدين -، أقول : عرضوا أن يدخل المجاهدون ثلاثة من وزراء نجيب، وترغيباً للمجاهدين أن يقبلوهم قال الروس : اقبلوهم ولو لشهرين ثم أخرجوهم بعد خروجنا، ولكن المجاهدين فاجئوهم بصفعة شديدة قائلين بالإجماع على لسان رئيس الإتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان -صبغة الله المجددي- لن نلتقي مع الروس أبدا .

وأين يولي الشيوعيون؟ وأنى لهم بالفرار ولات حين مناص؟ وأين يمكنهم اللجوء؟ إن سيوف المجاهدين لم ترتو منهم، والمجاهدون ينتظرون الساعة التي يشفون بها غليلهم من مصاصي الدماء عملاء روسيا .

نفر إذا غابت غمود سيوفهم عنهـــا فآجال العباد حضور

١- نجيب المركة العـــدد : (٣٦) التاريــــخ٢١ / جمادى الثانية/ ١٤٠٩هـ - الموافــق :٢٨/١/١٩٨٩م.

ونطاف انهمـــرت بماء أحمر　　　فــي تمرتيه جدجد وبحور

وتجمع المصادر السياسية الدولية الآن على ثلاث قضايا - كما صرح بهذا وزير الدفاع الأمريكي كارلوتشي - قائلا :

١- لاشك أن الاتحاد السوفياتي جاد في الانسحاب وسيغادر أفغانستان لا محالة ·

٢- لاشك أن حكومة كابل آيلة إلى السقوط بعد انسحاب الاتحاد السوفياتي ·

٣- لاشك أن المجاهدين قادمون إلى الحكم ·

ثم يعقب قائلا: ولكن كيف يكون الوضع في أفغانستان بعد أن يحكم المجاهدون؟ وما هي قدراتهم على استقرار الوضع؟ هذا ما يرقبه الجميع ·

إنها حقائق كبرى لايستطيع أحد أن ينكرها لأنها قائمة مجسدة لا تخفى على كل ذي عينين، ولكن الرهان حول إمكانية المجاهدين أن يقيموا دولة، ويثبتوا أركانها، ونحن نعلم الكيد العالمي، والغيظ الدولي على الإسلام وأهله خاصة على المتطرفين أو الأصوليين٠٠!!! لقد حاولوا كثيرا أن يحولوا بين المجاهدين وبين الوصول إلى سدة الحكم، ولكنهم باءوا بكل محاولاتهم بالفشل الذريع والخزي الشنيع ·

ونحن لا ننكر أن هنالك مكائد تنتظر المجاهدين وتنتظر الدولة الإسلامية القادمة ·

ونحن نعلم أن هنالك مشاكل داخلية تنتظرهم والتي سيثيرها أعداء الله ·

ولكننا نقول : إن كانت النيات صادقة، والنفوس مخلصة، فسينصرهم الله عز وجل كما نصرهم في هذا الجهاد المشرف ، وهذا الدين دينه، وهذه الشريعة شريعته، وهذا الشعب الأصيل خلقه:

{إن الله بالناس لرؤوف رحيم} «الحج٦٥»

فعلينا الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل أن يحفظ المجاهدين وينصرهم، وعلينا أن لا نغادر ثغورنا، وأن لا نتخلى عن واجبنا وهو دعم المجاهدين، وأن لا ندعهم على أبواب كابل جائعين ·

وعلينا أن نتوقع الكثير من المشاكل لهم، وأن لا نستغرب ما يحصل، ولكن:

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا　　　فأهون مـــــا يمر به الوحـول

{والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون} «يوسف٢١»

أليس الله بكاف عبده ؟![1]

فروسيا الآن آخذة بالانسحاب تجر ذيول الهزيمة والخذلان، والانسحاب كله عن طريق الناقلات الجوية الضخمة، ويبدو أنها جادة في تنظيف أرض أفغانستان من أرجاس خلوفها ممن ضجت الأرض والسماء من جرائمهم وركسهم، وما كان لشيء من هذا أن يتم لولا عناية الله ووعده لعباده بالنصر والتأييد، وقد كان هذا حلما يداعب الخيال، وما كان المسلمون يظنون أنه سيكون في يوم من الأيام شاخصا في عالم الواقع، وأحداثا في دنيا الناس، إنه هو الله الواحد القهار: **{فعال لما يريد}**

والأمـــــــر لله رب مجتهـــــد　　　ما خاب إلا لأنـــــه جاهـــــد

ومتى والسهـــــام مرسلـــــة　　　يعيص[2] من حابص[3] إلى صارد[4]

وتصدق كلمة ابن المعتز في روسيا (تذل الأشياء للتقدير حتى يصير الهلاك في التدبير)، وأما المجاهدون فأسنتهم مشرعة، ونفوسهم بالعز مترعة، رغم العواصف الهوج التي تكتنفهم، والمكائد الخبيثة التي تحيط بهم، ويمشون على جراحاتهم من بعد ما أصابهم القرح **{فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين}** «آل عمران١٤٦».

---

١ ـ لهيب المعركة العدد ٣٧ التاريخ ٢٨/ جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ الموافق ١٩٨٩/٢/٤م ·

٢ـ يعيص: يهرب　٣ ـ حابص: سهم ضعيف　٤ ـ صارد: سهم قوي؛ أي أنه يهرب من سهم ضعيف إلى نافذ.

ضربات الروس أم ضربات العروس:

ولكن روسيا تشعر بأن قواتها داخل كابل محصورة، ولابد لها أن تسحب آلياتها الثقيلة، ولكن أنىّ لها ذلك وقد سدت عليهم المنافذ، وضاقت بهم السبل، وصدر النظام الحاكم ضيق حرج كأنما يصعد في السماء .

ولذا فقد بدأوا يقصفون القرى الآمنة في هذا الأسبوع قصفا وحشيا، ويخبطون خبط عشواء يحاولون أن يفرغوا بعض ما في صدورهم من حقد، وما في نفوسهم من مقت.

ولذا بدأوا يقصفون المناطق المدنية بصواريخ سكود التي يصل وزنها خمسة أطنان ونصف، والتي تدمر مساحة قطرها كيلومتراً كاملاً، وقتلت المئات من سالنج وبنجشير في خنج وأشابة وشتل.

ثم إنهم يريدون أن يفتحوا ممر سالنج، وأن يشكلوا ضغطا ثقيلا على بعض القادة للقاء بهم، ولقد جاءني مندوب أحمد شاه مسعود، فقال: إن أحمد شاه قد رفض استلام رسالة أرسلها له وزير الدفاع السوفيتي (ديمتري ياسوف)، وكان رباني قد صرح لي أن الروس ناقمون على أحمد شاه مسعود: لأنه رفض اللقاء مع وكيل الخارجية السوفياتية فورنتسوف، وقد تحركت ثلاث كتائب روسية تحاول فتح الممر .

الأحابيل السياسية: وقد لجأت روسيا الآن إلى محاولات الضغوط السياسية المكثفة، فنائبها الأول لرئيس الوزراء (يوري ماسليوكوف) الآن في كابل، وكذلك وزير الدفاع، وسيزور وزير خارجيتها (شيفرنادزه) إسلام أباد غدا بعد أن أفلت الزمام العسكري من أيديهم، وبدأت السفارات تغادر كابل التي تقف على فوهة بركان، والرعب يتملك كل سكانها من أهوال تنتظرها، ومصير غامض يكتنفها، والجوع يزداد، والصيحات تتعالى، والمجاهدون على أبوابها .

وكل المحاولات العالمية الآن تحاول أن تحول بين المجاهدين الصادقين -الأصوليين- وبين سدة الحكم، والأيام المقبلة والأشهر القليلة القادمة تخبئ بين الخوافي وتحت القوادم أنباء لا يعلمها إلا الله .

أما المعركة فمضطرمة -والله أعلم- بتأجج لم تشهد لها المنطقة مثيلا، وأما الشيوعيون فهم مقبلون -بإذن الله- على أيام لم يروا مثل حلكتها نظيرا، ولا لسوادها الداجي شبيها . وأما الغرب والشرق وأعداء الإسلام حول أفغانستان فلن يسلموا للإسلام المجاهد الناصع أن يعتلي قمة المجد مادام في كنانتهم سهم، ومادام في أيديهم حيلة .

إن اليهود يرتجفون من الجهاد الأفغاني الفقير، فكيف بأئمة الجهاد إذا أمسكوا بالسلطان وصار لهم الجاه والحكم؟ وقد صرح بهذا دايان قبل عشر سنوات.

إن الأمريكان يحذّرون منذ عشر سنوات من وصول هؤلاء القادة الذين يوجهون محور القيادة في الجهاد، فأنى لهم الآن أن يسكتوا؟

إن السعار الذي يجرى في عروق الغربيين ضد الإسلام قد بلغ الآن مداه ، ووصل منتهاه ، ولكننا نقول:

{أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد} «الزمر٣٦».

ويل للمطففين[1]

وهكذا خرج جروموف قائد القوات السوفياتيه في أفغانستان وودعها وداع غير وامق **{فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين}** «الدخان٢٩».

خرج بعد أن ضجت الأرض والسماء من بغيهم، وعقد مؤتمرا صحفيا في ترمذ (مدينة الإمام الترمذي)، وهي أول مدينة بعد النهر من المستعمرات الإسلامية التي ترزح تحت وطأة استعمار التنين الروسي منذ بداية هذا القرن .

لقد كان آية من آيات الله الكبرى في هذا الزمان الذي تردى فيه المسلمون في الحضيض أن تكون هذه الصفعة العظيمة لهذا الطاغوت الأكبر -الاتحاد السوفيتي-.

١- لهيب المعركة العدد ٢٨ / التاريخ ١٢ / رجب / ١٤٠٩هـ - الموافق ١٨/ فبراير / ١٩٨٩م.

خرج جروموف وخرجت معظم القوات الروسية التي دخلت بصلفها وكبريائها تحاد الله ورسوله، وكأنها لشدة غرورها تقول:

واقف تحت أخمصي قدر نفسي   واقف تحـــت أخمصـــي الأنام

وصدق الله العظيم:

{سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين} آل عمران ١٥١.

وعلى يد هذا الشعب الكريم العميق الاعتزاز بربه، الذي استساغ بذل كل ما يملك منافحة عن دينه، وصيانة لعقيدته، ويحلو لنا أن ننشد له :

وربتما حملة في الوغـــى رددت   لـــه الذبل السمر ســـــودا (١)

وهول كشــفت ونصـــل قصـــفت   ورمـــح تــركت مبادا مبيدا (٢)

بهجر سيـوفك أغمادها مـــنى   الطلى أن تكون الغمــــودا (٣)

قتلت نفـوس العدا بالحديـــد   حتـى قتـلت بهـن الحديدا (٤)

كأنك بالفقر تبغي الغناء وبالموت   في الحــرب تبغي الخلــودا (٥)

الاستسلام: وبمجرد أن خرج جروموف بدأت الانهيارات بالجملة في أركان الكيان الهش المتداعي، إذ أن بنيان الحكم الشيوعي أقيم على شفا جرف هار، فبدأ منذ فترة يتساقط، وقد كان الروس للحكم الشيوعي بمثابة فسطاط الخيمة، فسقطت الخيمة، ولكن لابد من تمزيق الخيمة الساقطة على الأرض، ومنذ عام تقريبا سرى الشلل في كيان الشيوعيين، وأخذوا يرسلون عائلاتهم إلى الخارج، حتى أن عائلة حسن شرق رئيس الوزراء هربت إلى الهند، وصارت السفارة تلو السفارة تغادر كابل .

ونصح دبلوماسي بريطاني وهو يغادر كابل نجيبا أن يخرج مع آخر طائرة روسية، وقد كان ناصحا أمينا له إلا إذا قدر الله له أن يقع في قبضه المجاهدين ليحاكموه مع زبانيته على شاشة التلفاز أمام الشعب المسلم الذي أعمل فيه قتلا وتشريدا وانتهاكا وسلبا منذ عقد ونصف، متجاهلا أقل القيم الإنسانية، متجافيا أبسط المبادئ البشرية.

وقام الجند على قادتهم الشيوعيين في سالنج وذبحوهم عن بكرة أبيهم وانضموا إلى المجاهدين، وفي مير بجاكوت انسحب الروس وتركوا خنادقهم ودباباتهم وعدتهم وعتادهم للشيوعيين، فاستولى المجاهدون عليها قبل أن يستطيع الشيوعيون دخولها.

وكل يوم سنسمع جديدا، وكل هذا ضئيل بجانب حال كابل

فدع عنك نهبا صيح في حجراته   وهات حديثا ما حديث الرواحل

المؤامرة السياسية:

أما روسيا فقد حاولت أن تسرق ما استطاعت من ثمار الجهاد المبارك، فزرعت الأرض شرقا وغربا وجنوبا حول أفغانستان، ولكنها كانت تنفخ في رماد وتصيح في واد، فعادت صفر اليدين بخفي حنين.

وفجأة في جزيرة الغنائم المحمولة فوق تلال الأشلاء المحفوفة ببحور متلاطمة من الدماء برزت إيران بثمانية أحزاب شيعية تريد أن تتقاسم الغنائم، ومدت يدها إلى العناقيد الدانية العالية مطالبة بثلث مجلس الوزراء والشورى، مدعية أن الشيعة ثلث أفغانستان، فرد عليهم رد جميل بأن إحصائيات الأمم المتحدة تقول بأن شيعة أفغانستان ٨٪، ونحن نلتزم بالنهج الذي سلكتموه من قبل، لأنكم ضربتم المثل الذي يحتذى في هذا المضمار، فبقدر ما أعطيتم لأهل السنة عندكم من وزارات ومناصب ستكون نسبة الشيعة في حكومة الجهاد المسلمة القادمة ، علما بأن نسبة السنة في إيران الى النصف كما أخبرني بعض المطلعين على تقارير إحصائية من قبل المسلمين .

---

١ ـ الذبل الرماح : جمع ذابل: أي رددت هجمات العدا بالضرب، وأرجعت رماحه السمر سوداء بما جف عليها من دم.

٢ ـ هول رهيب، نصل : سيف، كم من رعب كشفته كم من سيف وكم من رمح حطمته.

٣ ـ تنسيها فلا تراها في الحرب.

٤ ـ قتلت أعداءك بالحديد وقتلت الحديد بأعدائك.

٥ ـ مثل يضرب لمن يحدث عن أمور صغيرة وأمامه أمر عظيم .

فاذا علم أنه لم يدخل الوزارة ولا وكالاتها ولا الشورى ولا رئاسة المؤسسات الكبرى في جمهورية إيران الإسلامية رجل واحد من أهل السنة ، فهل نقول لهم إلا ما قال ربنا عز وجل :

{ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون }

وكما قال عز شأنه:

{أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم} «البقرة٤٤».

ثم قيل لهم أخيرا :

لقد صمدنا أمام الروس عشر سنوات عجاف أنقت العظم وأنصلت اللحم ، ولم نعط الدنية في ديننا :

فما نل الإبساء بنـا   وما احتفى بنـا الفشل

ورأس الشعب مرتفـع   وموج البذل متـصـل

ونحن لا نحب أن تضع إيران نفسها عدوة لهذا الجهاد، وإن أبت فإننا لم نضع السلاح بعد، وسنواصل عشر سنوات أخرى، ولن نسمح لأحد أن يمس عزة هذا الجهاد المبارك.

لابد للمخاض من آلام[1]

فإن النفوس مشدودة، والعيون متسمرة، والكلمات جفت على شفاهها، والقلوب زاد نبضها ووجيبها، والأجساد تكاد تمنع لهاثها المتقطع لتحسن الاستماع، وأطرقت الأعناق لتحسن الإصغاء، لأنها تنتظر خبر الميلاد.

والناس كلهم كمن له زوج في عنفوان مخاضها، وما حملت زوجه إلا بعد أن بلغت سن الإياس، ولم يبق إلا ساعة أو دقائق على الوضع، واشتد الطلق، وفرائص الحامل كلها تنتفض تريد أن تلقي الجنين وتتخلص من آلامها التي تكاد تزهق روحها، وزوجها يراقب الوضع، واضعا يده على قلبه، يكاد يتوقف عن النبض خوفا على روح زوجه أن تتلف، وخشية على المولود الذي طال انتظاره لرؤيته، وتقدمت به السن، ولم ير قبله، ولا يأمل أن يرى شيئا بعده، إنه يؤمل أن يكون المولود ذكرا.. هكذا كل مسلم في الأرض الآن ممن يحس بأدنى حرقة لهذا الدين، أو يعتلج في أعماقه شيء من الآلام على حال المسلمين، أو يراود قلبه أمل من آمال أبناء هذا الدين، إنهم يتابعون الجرائد والتلفاز والمذياع دقيقة دقيقة، ويسألون عن أخبار اجتماع المجاهدين في إسلام أباد، إنهم يلاحقوننا بالتلفون وبالفاكس ويقولون: إننا لا نبكي الدموع فقط انتظارا لرؤية المجتمع الإسلامي، بل إننا نبكي الدماء!

والمسلمون معذورون، إن قلوبهم مثخنة بالجراح، ولازالت كلومهم تنزف دما، والمصائب التي حلت بهم، والدواهي التي ألمت بهم أصبحت لا تطيقها نفوسهم، وكأن لسان حالهم يردّد مع أبي الطيب:

تمرست بالآفات حتى تركتها   تقول أمات الموت أم ذعر الذعر!

وبعضهم ينشد البيت الآخر :

لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدي   شيئا تتيمـــــــه عين ولا جيد

المسلمون يبكون، وحق لهم أن يبكوا، فالشواهد الشاخصة في أذهانهم الآن ثورة الجزائر وتحرير سوريا، والجهاد في ليبيا وفي تونس والسودان و ما آلت إليه من نتائج، يدفع المسلمون الضرائب الفادحة من التضحيات، ويقطف الثمار العلمانيون والملحدون واللادينيون.

إن المسلمين يتابعون التحركات العالمية، والأصابع الخفية التي تريد أن تعبث بأقدس قضية يخوضها المسلمون في هذا العصر.

إنهم يرون إيران وقد كشرت عن أنيابها، وشمرت عن سواعدها بعد أن تفرغت من حرب العراق لتعكر صفو المجاهدين وتقاسمهم الغنائم، إن وزراءها وسفراءها لا تتوقف حركاتهم المكوكية بين طهران وإسلام أباد، وأحيانا يلوحون بالوعيد والتهديد.

١ ـ لهيب المعركة العدد ٣٩ التاريخ ١٢/رجب/١٤٠٩هـ الموافق ١٨ فبراير ١٩٨٩م

وأخرى بالإغراء والإطراء والتحميد .

واستطاعوا أن يستميلوا بعض القادة ليعقدوا معهم صفقة سرية، ولا ندري الثمن المدفوع أو الموعود ، وانبرى هذا المسؤول الذي شذ بالاتصال، وانفرد بالاتفاق يعكر صفو الائتلاف، ويقاطع اجتماعات الإخوة على مسمع ومرأى من مئات الصحفيين الذين يحفون بمدينة الحجاج حيث الاجتماع التاريخي الذي ينتظر نتائجه العالم أجمع.

ولكنني من هنا أطمئن المسلمين في كل أنحاء الأرض بما يختلج في صدري ووقر في نفسي :

١- إن حكومة نجيب آيلة إلى السقوط خلال شهرين أو ثلاثة، وأرجو الله أن لا يخيب ظني وظن جمهرة المجاهدين أن عيد الأضحى لهذا العام في كابل .

٢- إن الوارث الوحيد للحكم القائم هو الإسلام والمسلمون فقط .

٣- ان الجهاد الأفغاني يتفرد من بين كل التجارب السابقة في هذا العصر في بلدان المسلمين أن قادة الجهاد الأفغاني الحقيقيين إما من أبناء الحركة الإسلامية أو من العلماء . وكل واحد منهم يطالب بالحكم الإسلامي سواء الموصوفون بالتطرف والأصولية، أو المنعوتون بالاعتدال والمرونة . بينما لم يكن قائد واحد في جبهة التحرير الجزائرية يرفع عقيرته ويعلي صوته بوجوب تحكيم الإسلام . ولذا لم نر كلمة واحدة حتى في اسم دولة الجزائر تنبئ أنها تمت إلى عروبة أو إسلام : الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية .

٤- إنني أطمئن المسلمين وأبشرهم بإذن الله أن الجهاد الأفغاني لن تقف آثاره عند هزيمة الروس وباجتثاث الشيوعية من جذورها من أرض أفغانستان، بل ستتعداها - إن شاء الله -، وإن قلبي ليحدثني أن أفغانستان ستكون بداية خط التحول التاريخي للعالم أجمع، إنه غيب لا يعلمه إلا الواحد القهار ، ولكنه غالب ظني، وأرجو الله أن لا يخيب ظني ، وأن يصدق فألي .

٥- ولكن هنالك مشاكل وعقبات تعترض قيام الدولة الإسلامية القادمة، وتكتنف ميلادها ، سواء من الداخل أو من الخارج ، وهذا ناموس إلهي وقانون سماوي، ولكن { و العاقبة للمتقين } { ولا عدوان الا على الظالمين }

وختاما نردد كلمة الأستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله :

لابد للمجتمع الإسلامي من ميلاد ، ولابد للميلاد من مخاض، ولابد للمخاض من آلام .

فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب[1]

حمداً لك يارب، أنعمت فأجزلت، وأنعمت وأفضلت ، صدقت وعدك، ونصرت عبدك، وهزمت الأحزاب وحدك، لا إله إلا أنت، مرغت كرامة الطاغوت الأكبر على يد جندك بالأوحال فولى منهزما يحدث للأجيال عن جيشه :

وإذا صيح فيه بالرجل فهتكت — على عجل أستـــاره وستائـــره

صريع تقاضاه السيوف حشاشة — يجود بها والموت حمر أظافـــره

ولقد عبّر جروموف (قائد القوات الروسية) بلسان كل جندي مدحور من أرض النزال (هذا هو اليوم الذي كنا ننتظره منذ سنوات) وما ذاك إلا لكثرة الويلات والنكبات التي ألمت به في أرض الثبات والرباط .

ولقد أحدثت هزيمة الروس هزة عنيفة للأرض كلها، وتفجر السرور وطفح الحبور على وجه كل من في قلبه ذرة خير، أو يحس بأدنى حرقة تجاه هذا الدين وأهله.

ومقابل هذا ترى أولئك الذين ينظر إليهم نظرة رثاء لولا أنها نظرة استخفاف وازدراء لتلك الببغاوات التي لازالت تردد الحملة المسعورة الشعواء على هذا الدين، وتنم عن أعماق الحقد الدفين الذي يعكس الرعب العالمي والهلع الدولي من انتصار الإسلام من خلال أسنة المجاهدين .

١- لهيب المعركة العدد ٤٠ التاريخ ١٩ / رجب / ١٤٠٩هـ ـ الموافق ٢٥ / فبراير / ١٩٨٩م.

ونحن نعلم من وراء هذه الحملة الإعلامية، وندرك الأيدي التي تحرك هذه الدمى، إنهم اليهود أصحاب بيوت الأموال الذين يديرون رحى الحرب على هذا الدين، ويصوبون سهامهم نحو أبنائه المسلمين .

إن الحقد اليهودي الذي تجمع في صدور هذه الشائفة الموتورة، والذي نفّس عنه اليهود بالانتقام من بني الإنسان في أرجاء الأرض من خلال معارك الهدم التي أعملت في كل المواطن وعلى الجبهات الأخلاقية والدينية والإنسانية .

فلقد رتب حكماء صهيون لتحطيم النصرانية، وصرحوا قائلين في البروتوكول الرابع (سننزع فكرة الله من أذهان المسيحيين ونضع بدلها أرقاما مادية)، فأشعلوا نار الفتنة بين الكاثوليكية والبروتستانتية، وتبنوا كلفن الأب الروحي للبروتستانت، وحطموا عرش البابوية، ورعوا قيام الثورة الفرنسية سنة(١٧٨٩م) ، وجعلوا شعارها كلمات ميرابو (سنشنق آخر ملك بأمعاء آخر قسيس)-

وتبنوا الثورة البلشفية سنة(١٩١٧م) من خلال لينين اليهودي، وأطلق شعاره الذي سحق به الإيمان بالله: (لا إله والحياة مادة) .

وأشرف اليهود برعاية الحاخام (ناحوم حاييم) في استانبول على تحطيم الصرح الشامخ والمنارة السامقة (الخلافة) على يد أتاتورك سنة (١٩٢٤م)، وانتقل ناحوم ليوجه الثورة المصرية سنة (١٩٥٢م) في القاهرة ، فماذا عساك قائلا إذا علمت أن عباس العقاد بقي محروما من جائزة الدولة حتى إذا زار ناحوم حاييم تفضل عليه عبدالناصر في اليوم التالي بالجائزة؟!

واليوم: وبعد أن أعز الله المسلمين في أفغانستان بعد هذا النصر المبين الذي يعتبر معجزة العصر، وخارقة من خوارق الدهر التي تكرم الله بها على الأفغان، انطلقت أجهزة البث تراهن على تمزيق شمل المجاهدين، وعلى اشتعال ضرام المعركة القادمة بينهم ، وتسلط الأضواء على (اجتماع مدينة الحجاج حيث شورى الجهاد)، وتركز على الخلاف، وتبرز صورة الجهاد المشرف المنتصر الذي أصبح غرة في جبين الدهر بصورة التمزق والشتات التي يعيشها البلد الصابر -لبنان- بفئاته المتناحرة ، وتعيد إذكاء حرب داحس والغبراء، وأيام بعاث، فترسم صورة حكمتيار مصافحا رباني وتعلق تحتها (اليوم أصدقاء وغدا أعداء والقتال ينتظرهم)، وتعيد مرة أخرى لعبة اليمين واليسار التي مزقت بها العالم العربي وفرقت شمله في هذا القرن، ولكن اللعبة الجديدة تحت اسم جديد وبشعار برّاق : «« لعبة الأصوليين والمعتدلين»» .

أنا أعذر الإعلام اليهودي الذي يلهب بسياطه ظهور العالم الغربي، لأن اليهود يدركون أكثر من غيرهم قوة هذا الدين وحيويته وقدرته على تجميع الطاقات وتوجيهها نحو الخير، وللإطاحة بأصنام الفساد، وتجفيف مستنقعات الرذيلة التي لا يعيش اليهود إلا فيها، ولا يفرّخون إلا في أمثالها، بعد أن أغرقوا الأجيال في أوحال الجنس، وأشغلوهم بسعار الشهوات و حمأة النزوات.

وأعذر اليهود مرة أخرى لأنهم يحسون أكثر من غيرهم بخطر الإسلام على مصالحهم، وأثره إذا استوى قائما على دولتهم وعلى أذرع أخطبوطهم الذي يطوق البشرية ويمتص دمها ويزدرد خيراتها.

وأعذر اليهود ثالثة: لأنهم أكثر الناس إدراكا لمعنى قيام دولة إسلامية قامت على رؤوس البيض والأسل.

أما المسلمون الطيبون في مشارق الأرض ومغاربها فالنفس معهم وهم يضعون الأيادي على القلوب، وكلهم آذان صاغية حول المذياع ، أو كلهم عيون مسمّرة على شاشة التلفاز، يتابعون بلهف عجيب أنباء ولادة الدولة الإسلامية من خلال اجتماع شورى الجهاد في مدينة الحجاج في (إسلام آباد) .

إن المسلمين يعيشون مرارة الذل وحياة الخسف من خلال غياب الإسلام ودولته، يرون أن أبناء جنسهم هم الذين يوجهون لهم الكلمات الوحشية والضربات الساخنة بسبب التزامهم بدينهم :

{وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد} «البروج٨»

لا يرون دولة في الأرض كلها تتبنى مصالحهم، وتؤوي مشردهم، وتشجع تقيهم، وتقرب صالحهم، وتنطق باسمهم، وتدافع عن حقوقهم.

وقد حق للمسلمين أن يعدوا الأنفاس، وأن يبكوا دما لا دمعا كما يقول الشباب المسلم المغترب في أمريكا وكندا وهم يتتبعون كلمة المجاهدين وقيام دولتهم بعد هذا النصر العزيز المشرف الذي منّ به الواحد القهّار سبحانه .

لكنني لا أعذر اليساريين والعلمانيين والشيوعيين ممن يتولون توجيه الإعلام ، والذين يظهرون شماتتهم بتأخير اتفاق المجاهدين في إسلام أباد، لقد كان لهزيمة الطاغوت الأكبر سيدهم – الاتحاد السوفيتي – أكبر عبرة وأعظم درس وموعظة:

{ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد} « ق ٣٧ »

لقد كانت فرصة كبيرة للذين يريدون أن يرجعوا بعد أن رأوا روسيا تترك الحكومة الشيوعية الربيبة طعماً سائغا وصيدا سهلا لأسنة المجاهدين وحرابهم، فإن لم يتعظوا فليستحوا وليربئوا على أنفسهم، لقد كان الأولى بكل شيوعي في الأرض أن يتوارى خجلاً ويغطي وجهه استحياء مما جرى على أرض البطولات في أفغانستان .

لقد كان انتصار المجاهدين بابا واسعا لعودة الشيوعيين لهذا الدين، وفرصة سانحة ليخلع كل شيوعي ربقة الشيوعية من عنقه، ولينسلخ من ثوب الاشتراكية البالي، وأسماله القذرة التي أكل الدهر عليها وشرب، ولكن صدق الله العظيم :

{ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور} «الحج٤٦»

وأطمئن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها –بإذن الله وأمره– أن الجهاد سينتصر، وأن دولة الإسلام ستقوم ، وأن المارد الجبار سينطلق، وأن المستقبل لهذا الدين {والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون} «يوسف٢١».

مسرحيات الذئاب أم قضية كتاب[1]

في مطعم في إسلام أباد وعلى مقربة من اجتماع مجلس شورى الجهاد الذي ينتظر منه كل مسلم نتيجة الميلاد، بعد هذا النصر المؤثل والمجد الرفيع الذي ورثته الأسنة فوق سماء أفغانستان المسلمة .

أقول: في هذا المطعم أرى أفواجا تتداعى، وأمواجا من الجماهير الهائجة تتهادى، فتساءل الشيخ عبد المجيد الزنداني وكان بجانبي: ما بال القوم يهتفون؟ وما شأنهم يهدرون ويرعدون ويزبدون؟ وانتظرنا الخبر، وتمخض الجبل فولد فأرا، وإذا بهذه الجموع المحتشدة على أبواب السفارة الأمريكية وتشعل أعلامها قامت بهذه المظاهرات ضد رجل في لندن اسمه سليمان رشدي يصدر كتاباً اسمه (أشعار الشيطان) يهاجم فيه القرآن.

واتصلت بالأخ الحبيب أحمد زكي رئيس اتحاد الطلبة المسلمين في أمريكا أبشره بالانتصارات الرائعة التي سطرتها الدماء المتدفقة:

سطر الأسفار من دمـــع ودم	*يا أخانا إنها لحــــن الخلـود*
سوف تبقى في فؤاد الشيخ نورا	*وستذكي النار في قلب الولـــيد*

وبشرته بالانهيارات المتوالية في جبهات ربائب روسيا في داخل أفغانستان، وكيف أن ستة عشر ألفا من أعداء الله قد استسلموا في رستاق للمجاهدين مع غنائم لم يشهد تاريخ حرب العصابات لها نظيرا أبدا .

ستة عشر ألف كلا شنكوف وخمسة عشر دبابة ومائة وعشرين سيارة صالحة والمدافع والرشاشات والذخائر التي يصعب حصرها ويضنيك إحصاؤها وعدها هذا كله في مديرية رستاق في تخار، وطلبت منه أن يقيم المسلمون في أمريكا احتفالات تعبر عن فرحتهم بهذا النصر المبين، وابتهالات تعبر عن شكرهم لرب العالمين، وإذا به يقول لي: الناس مشغولون بكتاب سليمان رشدي والثورة عليه .

واعترضت إيران على الكتاب، وأهدرت دم الكاتب وعرضت ثلاثة ملايين دولار لمن قتله، وأحدث هذا التصريح رد فعل لدى دول السوق الأوروبية والغربية، وأعلنت مقاطعتها لإيران.

وهكذا تغطي أحداث الكتاب على أضخم نصر للمسلمين في هذا القرن بل في القرون الثلاثة الأخيرة، ليت شعري أي يوم مر على هذه الأمة في هذه القرون أعز عليها من يوم اندحار روسيا من أفغانستان؟ أي فرحة تغمر الجوانح أعظم من فرحة المسلم الذي يرى بعين البصيرة كيف سارت الأحداث، وكيف كانت النتائج تبهر حس كل مسلم صادق في قلبه ذرة حرقة على هذا الدين .

---

١ ـ لهيب المعركة العدد ٤١ التاريخ ٢٦ / رجب / ١٤٠٩هـ ـ الموافق: ٤ / مارس / ١٩٨٩م.

أليس الأولى بكل مسلم في الأرض أن ينشد للمجاهدين وقد أثخن الدب الروسي جراحا بأسلحته وطعنه بذخيرته ؟

فتكت به في القطر سمر رماحـــــه ... بأكف أسد نوخت أسد الشرى[1]

أمسى صريعا والدمـاء سلافـــــة ... أتراه سكرا مال مـن تلك الطلا[2]

لكن ألسنة القواضــــب أظهــرت ... ما أضمرت جنباه من سر الحشا[3]

كم من الكتب تصدر شهريا في أوروبا وأمريكا تطعن في الإسلام، وتحارب الله ورسوله، وتغمز جانب سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم؟ ما هذه الضجة الكبرى؟

كنت أحسب أن المسلمين يخرجون إلى الشوارع يهزجون أناشيد النصر، ويهتفون بذكر ليوث العرين التي نصرت هذا الدين، لقد حق لكل مسلم أن يضع على مفرقيه أكاليل الغار، وأن ينثر في كل مكان الأزهار، إظهارا للفرحة والشكر للواحد القهار .

كنت أتوقع من كل جمعية إسلامية في الأرض كلها أن تقيم أسبوعامن الاحتفالات تسميه أسبوع النصر العظيم، وترسل وفدا لتقديم التهنئة لقادة الجهاد.

كنت أود أن يقيم كل قطر إسلامي مؤتمرا لعلماء الإسلام يحيون فيه هذا الشعب الكريم بهذا النصر العظيم وبالجهاد المبارك ، وهذا أولى من أي مؤتمر آخر يقيمه العلماء سواء كان للفقه أو المساجد أوالدعوة .

كنت آمل: أن يقدم كل موظف مسلم في الأرض كلها ١٠ ٪ من راتبه لشهر رجب هدية للدولة الإسلامية الأفغانية، وإسهاما في تقويض الحكم في كابل، وإعمارا لأفغانستان، أما أن يغطيّ كتاب على أحداث هزت الأرض كلها فهذا مما يحزن أولي الألباب أظنها مسرحية من ألاعيب الإعلام اليهودي الذي يدوخ البشرية ويدعها في عالم التية دعًا، ويزجها في دوامة الضياع زجا .

{إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد } «ق ٤٧»

التحدي الكبير[4]

وهكذا كتب الله لنا أن نعيش معركة الإسلام مع أعدائه ، وأن نرى الأيدي التي كانت تحرك يد الكير الذي يؤجج النار ويوجه الأشرار في معركتهم مع الأبرار، وكلما اقترب النصر انزاح الستار شيئا فشيئا، وبانت المخالب الحادة والأنياب المكشرة التي تمزق كبد الأمة المسلمة، وتوجه سهامها الى نحرها، وتغرز خنجرها المسموم في قلبها .

انتصر الجهاد وهزم أكبر طاغوت في الأرض مدحورا أمام جند الله ، وعادت روسيا إلى جحورها تحدث للأجيال من خلال جراحها العبر التي جنتها، والأشواك التي حصدتها، ورأى العالم كله هذا النصر المبين الذي تفضل به رب العالمين، وقيل للمجاهدين هل أنتم مجتمعون حتى تختاروا من خلال قاعدتكم العريضة الممثلة بمجلس الشورى الذي ينيف عدده على الأربعمائة والخمسين نفرا قيادة لدولتكم ووزارة لبلدكم ؟

واتفق المجاهدون بعد أيام على اختيار محمد نبي رئيسا للدولة، وأحمد شاه رئيسا لوزرائها، وإذا بالأرض تزلزل زلزالها، وأخرجت الصدور مكنونات صدورها، وتقاسمت: لن يكون للأ صوليين منبر عليه يخطبون، ولا أرض صلبة عليها يقفون، وأفصح القوم عما يجول في أعماقهم ، وذهل المجاهدون إذ يرون الدنيا بأسرها تأبى عليهم دينهم ، وترفض منهم التزامهم ووضوح مواقفهم تجاه عقيدتهم، وتساءل المجاهدون: أمن مخرج لدى القوم الساخطين ؟ أم من سبيل لطمأنينة العالمين ؟

فأجاب بعض الناصحين ممن لم يتذوقوا طعم المجد بعد مرارة الجهد ، ولم يستعذبوا حلاوة العزة من خلال الأثمان الباهظة بالدماء والأشلاء، فقال قائلهم : لن ترضى أمريكا ولا إيران ولا الصين، ولن يعترف بكم أحد ما لم يروا حكومة قوية بأن يرأس دولتها قائد من السبعة، ويقود وزاراتها قائدا آخر ، فأجابهم سيّاف : (هذه الدولة لأفغانستان وليست للأمريكان)، وانبرى لهم أصولي آخر يشكل شوكة في حلوق الحاقدين وأجابهم حكمتيار قائلا: المسألة بسيطة: هذا محمد نبي رئيس الدولة، وذا سيّاف نرشحة رئيسا للوزراء، وكأنه الصاعقة حلت عليهم من السماء، إذ كانوا يغصون برؤية أحمد شاه المهندس الذي تخرج من أمريكا، وكان أستاذا

١ـ الشرى: الغابات ٢ـ الطلا: الرؤوس ٣ـ الحشا: الأمعاء

٤ـ لهيب المعركة العدد ٤٢ التاريخ ١ / شعبان / ١٤٠٩هـ ـ الموافق ١١ / ٣ / ١٩٨٩م.

في جامعة الملك فيصل، وإذا بالاقتراح يضع سكيناً حاداً في أعناقهم ، فبدل شوكة أحمد شاه جاء مسمار سيّاف الأزهري الأصولي المتعصب، وبدل أن تكون لحية أحمد شاه دون القبضة جاءت لحية سيّاف التي تناطح الصدر.

والأمريكان يعرفون أكثر من غيرهم «سيّافاً»، وقد عجموا عوده فما جنوا إلا وبالا وما خرجوا من مجلس معه في كل مرة إلا وقلوبهم تقطر سماً زعافا، وأفواههم تزبد وترعد، وفرائصهم تهتز وترتجف غيظاً وحقدا.

وعملت الأيدي بالخفاء والعلانية، وألقى العالم بثقله وكلكله حتى أنشل الاتفاق، وفرق الكلمة، ومزّق الشمل، وأغلق القادة السبعة أبوابهم يحاولون أن يلموا شعثهم ويخرجوا على كلمة سواء، وإذا بالباب يقرع، وأطل ليث من علماء أفغانستان تعرفه خوست وبكتيا وبكتيكا منذ بضعة عشر عاما، ونظر القادة إلى الشيخ جلال الدين حقاني مستفسرين من جرأة الشيخ الذي يقتحم عليهم خلوتهم، فأجاب الشيخ: جئتكم ممثلا لمجلس الشورى الذي ينتظر كلمتكم الموحدة التي يرقبها العالم كله ، فإن وصلتم إلى حل فعلى الرأس والعينين، وإلا فدعونا نصل إلى حل ترضونه ويرضاه الجميع .

وكانت فرصة ساقها الله من السماء ينتهزها سيّاف ليقف قائلا: أعلن أنني لا أستطيع الوصول إلى حل، وأسلمكم الأمانة، وواقع الحكم أنني أرضى بأي حل ترونه، وتبعه حكمتيار مؤيدا لما قال، وتتابع السبعة وكتبوا لجلال الدين صكا موقعا بأسماء السبعة.

وحمل جلال الدين مع إخوانه السبعين الذين اختارهم مجلس الشورى بالسند الموثق الممهور بإمضاء القادة السبعة، ثم أشار على مجلس الشورى أن يختار كل حزب اثنين من بين أعضائه ليشكل الأربعة عشر عضوا الذين يختارون لجنة تبحث الحل .

وانتحى جلال الدين بلجنة الأربعة عشر في مكان بعيدا عن الأنظار، وأخلى المكان من التلفونات، وأغلق باب البيت، وبعد هنيهة قرع أحد كبار القوم الناصحين من الأصدقاء الباب الموصود يستأذنهم في مشاركتهم النصح وتبادل الرأي، فهرع إليه محمد ياسر أحد الأصوليين المتشددين !!! ورده عن الباب معتذرا .

وبعد ثلاثة أيام خرجت اللجنة بالرأي المجمع عليه بأنه لابد من الانتخابات، بحيث يتسلم الفائز الأول من القادة السبعة رئاسة الدولة، ويحظى الفائز الثاني برئاسة الوزراء، وهكذا دواليك، وكانت اللجنة قد أعدت خلال الأيام الثلاثة أوراق الانتخابات عليها صورة القادة السبعة، والاختيار يكون بتسليم المنتخب ورقة عليها ختمان مقابل صورتي الشخصين المختارين.

وأغلقت أبواب القاعة، وأعلن القرار، وطلب جلال الدين إلى القادة السبعة البدء بالانتخابات، ثم تتابع القوم بحيث يضع المنتخب ورقته ويغادر القاعة، وأفرزت الأصوات، وخرجت النتائج التي اختارها رب العالمين، فقد حظي المجددي برئاسة الدولة بعد أن نال ١٧٤ صوتا وفاز سيّاف برئاسة الوزراء بمائة وثلاثة وسبعين صوتا، وكانت الخارجية من نصيب حكمتيار، والداخلية من سهم يونس خالص، والتعمير حقيبة رباني .

ولقد كان فوز المجددي حلا لكثير من المشاكل التي تنتظر الدولة، مما سيثيرها في وجهها أعداء الله، فانتهت مشكلة الأصوليين والمعتدلين، وانتهت معضلة الشمال والجنوب، لأن مجددي من الشمال وسيّاف من الجنوب، وانتهت بقية النعرات الجنسية بين التاجك الذين ينتسب إليهم مجددي والبشتون الذين يمت إليهم سيّاف، وانتهت مشكلة وهابي وحركي، وعلماء ومولويين إذ ينسب سيّاف إلى الأول والمجددي مع الفئة الثانية.

وعلقت الصحف وأجهزة الإعلام على هذه النتيجة بأن قد ذهب أحمد شاه الأصولي وظهر سيّاف الأصولي المتشدد .

التحدي الكبير :

وجاءت دولة المجاهدين ذات القاعدة العريضة والتي يتربع على رأسها رجل معتدل كما تصفه الصحف الغربية، ونالت ثقة مجلس الشورى، وهي تنتظر الاعتراف لأنها تستحث خطى الدول العربية للاعتراف، وتستجيش أخوة الإسلام في أعماق المسلمين ، وتمتحن صدق الذين يعلنون الشعارات، ولا يفتأون يصرحون صباح مساء بأنهم حماة المستضعفين ، وعون المظلومين، ومنقذو المسحوقين :

وما أكثر الإخوان حين تعدهم ولكنّهــم في النائبات قليل

فإذا كانت الدولة الفلسطينية التي ولدت معلقة في الهواء وأرجلها في الفضاء دون أن يكون لها أرض تقف عليها، وهي مكتوفة

الأيدي من أن تستعمل أسنتها، أو تمتشق أسلحتها، قد نالت اعتراف خمسين دولة خلال أسبوع، ووصلت الاعترافات الآن إلى المائة تقريبا . فما سر صمت القبور الذي يطبق على العالم أجمع إزاء دولة قامت على بحور الدماء، وعزة أصحابها تناطح عنان السماء وتطاول الجوزاء؟ أم ينتظرون الإشارات السرية من البيت الأبيض أو من برمنجهام أو البيت الأحمر .

إذا كان الخوف من عودة الإسلام إلى الأرض هو الذي يحمل كل أعداء الله على أن يحجموا عن الاعتراف بدولة المجاهدين، فما عذر الذين يرفعون لافتات الإسلام ويعلنون أخوة الإيمان ؟ وكيف نصف الذين يخذلون المسلمين في ساعاتهم العصيبة وفي أزماتهم الرهيبة؟ أولا يحق للمجاهدين أن ينشدوا قائلين :

وحيد من الخلان في كل بلدة ... إذا عظم المطلوب قلّ المساعد

أو يقولوا :

إني لأفتح عيني حين أفتحها ... على كثير ولكن لا أرى أحدا

{والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير} الأنفال ٧٣.

في الصباح يحمد القوم السرى[1]

فقد اشتد أوار المعركة وزاد ضرامها، والمجاهدون حول جلال آباد وكابل يتحفزون لإقتحامها، وأعداء الله في ذعر مفزع ، قلوبهم تكاد تطير هلعا من صدورهم، والمدفعية لا تكاد تتوقف، والرصاص يشق ظلام الليل بألسنة اللهب، فيمزق السكون ويبدد الدجى، والألغام عدو المجاهدين الأول لا تميز بين ولي ولا غيره ، والأقدام تتطاير في الهواء، وقد غصت المستشفيات بالجرحى فلا تكاد تجد مكانا إلا لجريح لازالت كلومه تقطر دما .

ما لك ياجلال آباد؟ أما ارتويت ربوعك بدماء الأطهار؟ عطشى تشربين النجيع شرب الهيم أما ترتوين؟ غصت نجودك بالأشلاء ، حفت وهادك بالبلواء، والجحافل من بنيك الصادقين يتسابقون على الموت :

يستعذبون منا ياهم كأنهم ... لايخرجون من الدنيا إذا قتلوا

سيارات الإسعاف لا تكف عن الهدير ، وأضواؤ ها لا تتوقف عن النذير والصفير ، لم يبق في اليد سيارة إلا وقد شغلت ، ومع هذا كله فليوث الله تطارد أعداءه في الجبال ، ويبقى الشيوعي نفسه بين النساء والأطفال لعله ينجو من الموت الزؤام الذي ينتظره، يهربون تاركين وراءهم كل متاعهم، حتى طعامهم ما يستطيعون أن يأكلوه وقد نضج فيدخل جند الله ليجدوه وكأنه أعد لهم ساخنا ناضجا، عجبا لإقدام هؤلاء القوم، أما يخشون موتا ولا رصاصا ؟! أما يحذرون مدافع ولا ألغاما ؟! لقد عظم البلاء بحيث لا يطيق القلم له نقلا، ولكن القوم ما لانوا وما استكانوا وما ذلوا :

{وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين }} وآل عمران ١٤٦ء

أقل بلاء بالـرزايا مـن القنـا ... وأقدم بين الجحفلين من النبـل

أعز بني الدنيا وليث إذا انبـرى ... فإنك نصل والشـدائد للنصل

مقيم من الهيجاء فـي كل منـزل ... كأنك من كل الصوارم في أهـل

قال صاحبي: إن هنالك زمرة طيبة من الأساتذة في الجامعة الفلانية مما يسرّ القلب ويبهج النفس ، فقلت له : كيف بك إذا رأيت الجامعة كلها للإسلام يقودها خيار الناس؟ والمحكمة لهذا الدين يتولى زمامها صفوة المجتمع ، والوزارة تضم أتقى الناس وأوعاهم وأزهدهم وأشجعهم، وترى البلد بكاملها خيارها حكامها ، والفاسق فيها كالبعير المعبد، أو الشاة الجرباء ينفر منه الناس ويشمئزون لرؤيته، ويتقززون لذكر اسمه.

ولذا فإن التضحيات مهما جلّت ، والتكاليف مهما غلت ، بأن ارتويت الأرض دماء، وأطبقت بنات الدهر ورزاياه على القلوب

---

١ ـ لهيب المعركة العدد ٤٣ التاريخ ١١ / شعبان / ١٤٠٩ هـ الموافق ١٨ / مارس / ١٩٨٩م.

والبيوت ، فإن هذا كله لا يمكن أن يقاس بالنتائج الطيبة والثمار الناضجة التي تقطفها الأجيال من بعدنا بأن تحكم شرع الله، وتتفيأ في ظلاله، فتختفي في المجتمع الرذيلة، ويتوارى الفساد، وتلقي الأرض ببركاتها، وتصب السماء خيراتها، وينعم الأبناء بالحياة في فيء هذا الدين وفي ظلال قرآنه .

كيف بك إذا رأيت العلماء قادة، والصالحين سادة، والزاهدين يشار إليهم بالبنان من قبل أبناء الأمة إكراما وإجلالا واحتراما؟ وكيف بك إذا رأيت حامل القرآن مقدماً في المجتمع على خريج أوروبا وأمريكا ممن يحملون أعلى الشهادات وأرفع الأوسمة العلمية؟

لعلك معي يا صاحبي : أن المجتمع الطاهر ، والسعادة الغامرة التي تلف جوانحه ، والقيادة الربانية وما تبعها من بركات وخيرات تعم البلاد والعباد ، والجيل النظيف النقـــي الذي يستنقذ من بين براثن الفساد ومن مستنقع الرذيلة ومن وحل الجنس.

وهذا مع الأمن الذي يلف المجتمع كله برداء الطهارة والعفاف ، وكل فرد فيه آمن على دينه ونفسه ودمه وعرضه وماله .

أقول : لعلك معي أن كل هذه التضحيات لا يمكن أن تقاس، وهذه المصائب لا يمكن أن تذكر بجانب هذا الخير العميم الذي تنتظره الأجيال القادمة .

إذا كان اليساريون في فلسطين يقولون :

أنا يا أخي آمنت بالشعب المضيع والمكبل وحملت رشاشي لتحمل بعدنا الأجيال منجل

أي تحمل الأجيال المنجل والشاكوش شعار الشيوعية، أليس الأولى بنا أن نقول :

أنا يا أخي آمنت بالله العزيز الناصر، وحملت مدفعي لتحمل بعدنا الأجيال مصحفا؟

لقد آن لنا أن نستنشق رياح الأسحار لتفيق القلوب السادرة ، ومن استطال الطريق ضعف مشيه .

وما أنت بالمشتاق إن قلت بيننا طوال الليالي أو بعيد المفاوز

أما كان لنا بالسابقين أسوة، وبآلامهم سلوة.

إذا هم ألقى بين عينيه عزمــه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

وإذا نزل آب (الصيف والحرارة) القلب حل آذار (الربيع والحلاوة) في العين، ومن لاحت له سعادة الآخرة هانت عليه لأواء طريق الدنيا . ومن تذكر نعيم الجنة استعذب على جادتها بأساء ضرتها، ومن بدت له معالم دار الوصال نسي ما يتكبده في ميدان القتال، فيا أقدام الصبر احملي بقي القليل . وفي الصباح يحمد القوم السرى.

شهر الشهداء[1]

فلقد اشتد القتال وحزب الأمر ، وغص المكر بالرجال وتسابق القوم عشّاق الحور إلى الميدان ، فإذا أشرت لهم بالمنع تحدرت العبرات كالجمان ، وكأن أحدهم عاشق ولهان، أو واجم هيمان، إن نفسه قد تعلقت بأخيه الذي سبقه ولسان حاله يردد :

وكنا كندماني جذامة برهة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنــــي ومالكا لطول اجتماع لـم نبت ليلة معا

كبيرهم وصغيرهم ، ثقيلهم وخفيفهم ، الكل مقبل على المعركة، نحاول أن نردهم عن الموت وكأننا نحاول أن نرد ليوثا عن فريستها، وعبثا نحاول، ولولا الخوف من عصيان الأمر لانكبوا على الردى انكباب الأكلة على قصعتها، وأسامة بن لادن يشدها إلى الوراء كأنما يسحب الخيل العطاش بلجمها يمنعها من الماء، وقف الشيخ تميم العدناني على السلك الشائك لمطار جلال آباد، ودار الحوار بين قائد الأساد وبين الشيخ تميم ، القائد خالد أعرج فقد رجله في إحدى المعارك، وبقي يقود القوم برجل واحدة، يتكلم مع الشيخ تميم على استحياء إغضاء ومهابة وكرامة ومحبة ، يرجوه أن لا يتقدم، مبررا قوله بمصلحة المسلمين والإسلام، قائلا : يا شيخ تميم وزنك مائة وأربعون كيلو غراماً، فإذا جرحت فإنك ستعطل ثمانية عن المعركة، وتعرضهم للموت من أجل نقلك، ويطرق الشيخ تميم منيبة والدم يكاد يتدفق غليانا، وقلبه يكاد يطير هيجانا، ثم يضبط أعصابه ويسكت على مضض

١ ـ لهيب المعركة العدد ٤٤ التاريخ ١٨ / شعبان / ١٤٠٨هـ ـ الموافق : ٢٥ / مارس / ١٩٨٩م.

بصير بأخذ الحمد من كل موضع — ولو خبأته بين أنيابها الأسد

ضروب لهام الضاربي الهام في الوغى — خفيف إذا ما أثقل الفرس اللبد

والشيخ تميم مسعر حرب، إذا شهد الوغى لا يتمالك نفسه، خاصة وهو يرى جند الله يتساقط الواحد منهم تلو الآخر، الرشاش مفتوح عليهم ، الطيران لايكل من الحركة، ولا يفتر عن القصف، ولا يحجزه إلا الله ثم الغيوم التي ساقها الله في الأسبوع الأخير حماية للمجاهدين من (ميغ ٢٧) التي تلقي قذيفتها على بعد ٢٥٠ كم بإصابة دقيقة، لأنها توجه قذيفتها على أشعة الليزر، ولكن من الذي يرد المجاهدين عن حديقة الموت، خاصة العرب الذين يردد لسان حالهم :

أي يومي من الموت أفر — يوم لا قدر أم يوم قدر

يوم لاقدر لا أرهبه — ومن المقدور لا ينجو الحذر

والشيخ تميم يرى هذه المناظر، شبابا يتطايرون إلى الموت ، تعلقت أرواحهم بالملأ الأعلى، ويود لو يقطع لحمه ليخف كما خفوا ، وينفر كما نفروا ، ويقفز كما قفزوا .

تقدم أبو حسام (رضوان إبراهيم المرعي) وهو يحمل كامرته – الفيديو –، ويوصي الشيخ تميماً: إن استشهدت فلا ترجعوا أهلي إلى سوريا، لأني أحب أن ينبت أبنائي في جوٍّ نظيف وأرض طيبة، وكأنه يودع الشيخ تميماً، ثم تأتي الطلقة التي تودي بحياة أبي حسام شهيدا – إن شاء الله –، ويتدفق الدم الموار، ويعبق المسك في الأنوف، ويعطر عرفه (رائحته) الطيبة الجو، ويحمل أبو حسام إلى مستشفى الفوزان، ويدخل غرفة في المستشفى ليحدث المدير العام للمستشفى –د.عبد اللطيف– بأن غرفة الاستقبال كلما نحت انتشر الأريج الطيب في الأرجاء .

ثم يقتحم الفوج تلو الفوج، وكأن الهاتف الداخلي الذي يحرك أشواق هؤلاء يقول:

ردي حياض الردى يا نفس واتركي — هياب ورد الردى للشاة والنعم

إن لم أسقك على الأرمساح سائرة — فلا دعيت ابن أم المجد والكرم

ويدخل المجاهدون القسم الشرقي من المطار، ويقتربون تدريجيا من هؤلاء الشيوعيين الذين يتشبثون بالحياة ولو بقشة

{ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون} «البقرة ٩٦».

السماء تمطر المجاهدين بوابل من القذائف والرصاص، و هدير الطيران يكاد يصك بآذان الناس ، والأرض بألغامها أعدى أعداء المجاهدين، إذ قلما تنجو قدم ممن يمر بها من القطع والتطاير في الهواء، والهاون بشظاياه يطارد المجاهدين وهو دلال المنايا يخوض غمارها فشرى وباعا .

ولكن كيف يجد الخوف إلى قلوبهم سبيلا وقد طارت أفئدتهم فرحا بلقاء الحور، وكل واحد منهم يدخل ظانا أنه لن يحور (يرجع) إلى أهله .

ويدخل أبو الدرداء (إسماعيل عبدالله المطوع)، وأبو بدر الحربي (خالد معلا الأحمدي الحربي) ويقتحمون مع جمع غفير من المجاهدين الأفغان مع نفر من العرب المطار، ويدمرون ست دبابات فيه، وتأتي القذيفة بينهما وتنتزع أرواحهما لاحقين بالسابقين ممن مضوا على الطريق .

وتأتي الكرامة التي لا يملك ردها جاحد ولا مصدق، إذ أن دم (خالد معلا الحربي) الذي تدفق على قطيفته يعبق مسكا وينفح طيبا، وجيء به إلى بيت ضيافة المهاجرين والأنصار، وستّي ومائة أو يزيدون ينعمون قرب النافذة بما يفيح من دمه الطيب، وما ينتشر في الأفق من عطر، واقترب أبو ابراهيم منه وأخذ الدم الذي ينزف من رأسه ثم عاد إلى البيت، وقرب يده من أنف أم إبراهيم، تفغرت فاها بما تنسمت ونعمت به من طيب ، وحتى كتابة هذه الكلمات ولليوم الرابع من استشهاده لازالت القطيفة في غرفتي وبجواري وأنا أكتب هذه الافتتاحيات، وكلما فتح الغرفة أولادي أو زوجتي تعجبوا من جو الغرفة المعطر بدم الشهداء .

إنها دماء يحبها أهل الأرض والسماء، يتخط التاريخ الإسلامي الذي بدأ يتيه على الدنيا بهذه النماذج الرفيعة التي أقامت أسس البناء، ويتوجه بالمجد والعزة والبهاء والسناء، ولكن لم تشغلها أمواج البلاء ولا نشوة النصر عن الحمد لله والثناء.

وهكذا فضرائب المجد غالية، ومهر الحور كبير ، والوقود الذي تحتاجه معركة الإسلام من لحم ودم [illegible]

غالية، ألا إن سلعة الله الجنة) ولكن هذا هو الطريق.

يوم الأقصى[1]

قبل بضعة عشر عاما اجتمع اليساريون في الأرض المحتلة واتفقوا أن يكون اليوم الثلاثون من مارس (آذار) يوما للأرض، وأطلقها توفيق زياد / بلدية الناصرة، وانطلق الملأ أبناء الثورة الفلسطينية يحتفلون بهذا اليوم في كل مكان، ويسموه (يوم الأرض)، ولكن الشباب المسلم سموه (يوم الأقصى) .

ومما يشرح الصدر أن يستغل أبناء فلسطين كل مناسبة لتذكير الأجيال بمأساتهم ، وتربيتهم على العزم والتصميم على الانتقام لشرفهم وأعراضهم، والثأر لقيمهم، والانتصار لمبادئهم ، ومما يجب أن يذكر إحقاقا للحق أن الثورة الفلسطينية قد بدأت بداية لا نظير لها من حيث التضحية والبذل والصبر والاحتمال، ولقد كان أحدهم يحمل تحت ثيابه لغما يمشي به مئات الكيلو مترات من الهامة في دمشق حتى يصل الى الضفة الغربية، ثم يقطعها حتى يصل إلى المنطقة المحتلة سنة ٤٨، ينام في النهار ويمشي طول الليل لعله يظفر بأحد أبناء صهيون أو بسيارة من سياراتهم فيفجرها ، كانت جهودا رائعة ومحاولات رائدة يقف الإنسان مبهورا بصبر الطلائع وإصرار الرواد ..

فما ينفع الأسد الحياء من الطوى ... ولا تتقـى حتـى تكون ضواريا

ولكن الذي يفتت القلب حزنا، ويمزق الكبد أسى أن يرى اليسار يتسلق على ظهر الجنود الصادقين، ويمسك بكلتا يديه أبواق الإعلام في فتح ذات البداية الرائعة، ثم في الثورة كلهـا يوجه أبناء فلسطين، ويكتب بالدماء الزكية تاريخا مزورا يربط فيه أبناء القضية بلينين وستالين وجيفارا وماو وكاسترو ، ولقد استطاع اليسار أن يرفع في إعلامه كل من يكن حقدا عميقا لهذا الدين، أو يحمل تحت جوانحه ضغينة ومقتا للمبادئ الإيمانية والقيم الربانية.

وما شهد التاريخ الحديث تزويرا أعظم من تزوير هؤلاء الذين يمسكون بأجهزة التوجيه في المنطقة، إذ أنه اغتصب جهارا نهارا أبناء فلسطين المباركة، وأجيال المسجد الأقصى المهج جادة هذا الدين، واجتالهم بعيدا عن منهجه القويم، مع أن الذين يسترخصون الأرواح على الأرض المباركة شباب على فطرتهم، خرجوا غيرة على الأعراض، ودفعا عن الأوطان ، وفي مأتمهم بنيت أمجاد لينين، وبدمائهم خط تاريخ ماركس ويوميات جيفارا، وما رأينا في خضم المعركة وعلى أرض الأبطال ذلك اليسار المزعوم، فأووا كالخفافيش بعيدا عن النور يحركون القضية من خلف ستار، وتحت ضجيج المهرجان الذي يحتفل بذكريات الأبطال تغيب الأصوات الصادقة، وتختفي الصور الناصعة المشرقة، ويعلو نعيق البوم ونعيب الغربان .

ولقد برز فوق جماجم شهداء أبناء فلسطين شخصيات ما عملت معظم حياتها إلا لصيانة النبتة الغربية اليهودية من الأعاصير الإسلامية، ولحماية الجسم الغريب الذي زرع في جسد الأمة الإسلامية من التآكل والذوبان ، وقال فؤاد نصار زعيم الحزب الشيوعي الأردني :{إن اليهود شعب كباقي الشعوب له حق الحياة، وأنا أعترف باليهود كدولة لأن الشمس لا تغطى بغربال }.

وبرز توفيق زياد وسميح القاسم ومحمود درويش الذين يتصدر قسم منهم مجلس الكنيست اليهودي وأعضاء وأركان محترمين. وهؤلاء مع غيرهم من اليساريين

فكل الجرائد والصحف اليسارية على الإطلاق كانت تمثل محامي الدفاع عن اليهود الشرفاء ؟؟؟ وإنما تقاوم الصهاينة المستعمرين !!! وتوفيق زياد صاحب فكرة يوم الأرض هو الذي كان يجمع التبرعات من أمريكا بالعلم الإسرائيلي سنة ١٩٧٨م، ومحمود دريش وسميح القاسم هما اللذان كانا يحملان العلم الإسرائيلي في مؤتمر صوفيا الدولي ، ومحمود درويش هو الذي قال: (أنا من قرية عزلاء منسية وكل رجالها في الحقل والمعمل يحبون الشيوعية) .

وهم الذين وضعوا نشيد فتح والثورة الذي يردده كل أطفال فلسطين وأبنائها (أنا يا أخي آمنت بالشعـب المضيع والمكبل وحملت رشاشي لتحمل بعدي الأجيال منجل)

ولذا كان القتال في فلسطين من أجل المنجل والشاكوش شعار الماركسية والشيوعية.

لقد كان دفع هؤلاء إلى مقدمة الصفوف الفلسطينية، وإبرازهم على قمة هذا القتال كارثة وقاصمة ، ما نكبت الثورة بمثلها،

---

١ ـ لهيب المعركة العدد ٤٥ التاريخ ٢٠ / شعبان / ١٤٠٩هـ ـ الموافق ١ / ابريل / ١٩٨٩م.

ملاحظة: كتب هذه الإفتتاحيه في قطر وأرسلها بالفاكس حيث كان الشيخ في رحلة هو والشيخ تميم للتحريض على الجهاد.

وما أصيبت فلسطين بمصيبة أشد منها.

لقد افتقدت الثورة نفسها فوجدت أنها تعيش بلا محتوى، وتحيا بلا عقيدة، وتسير بلا استراتيجية، ولذا فقد أطاحت بهذا الكيان الهش ضربات سريعة من معاول الأنظمة المجاورة لإسرائيل . ووجدت الثورة نفسها تعيش انفصاما قاتلا بين قيادة تحيا على الشعارات، وتقتات العناوين والكلمات . وبين قواعد ما استطاعوا أن يخرجوها عن دينها فتتنكر له، ولا هي تعرف دينها فتعمل له، فبقي لديها الولاء العاطفي الغامض لهذا الدين الذي لم يستطيعوا أن يجتثوه من أعماق القلوب، ولا أن يسلخوه من ثياب الفطرة ولا من بنية الصبغة .

ولذا فعندما تشتد الأزمة وتكشر الكروب عن أنيابها تجد القاعدة تتخلى عن قيادتها وتتنصل من مسؤولياتها .

الدرس النموذجي:

لقد كان الأولى بالثورة الفسطينية أن تدرك أن أبناء فلسطين لايحركهم إلا الاسلام، ولا يجمعهم إلا هذا الدين . وكان الأجدر لها أن تنتهج هذا الدين ملة وشريعة وسياسة وعقيدة ونهج حياة . كما فعل المجاهدون في أفغانستان الذين تكالبت عليهم الدنيا للتنازل عن هذا الشعار المرموق، واحتفى بهم الناصحون أن يخففوا ويواروا هذا الإعلان: (بأن الجهاد في أفغانستان لإقامة دولة إسلامية فيها)، ولكنهم أبوا وأصروا فانتصروا ووصلوا .

لقد كانت الأيام كفيلة أن تعلم من أراد أن يتعلم، ولقد كان في الأخطاء القاتلة التي ارتكبتها الثورة والخسائر والضربات التي تلقتها نتيجة لهذه المسيرة المهلكة عبرة لكل من أراد أن يعتبر، وموعظة لمن أراد أن يذكر أو يتبصر.

ولكن يبدو أن الطوفان لايدع فرصة للإنقاذ أو الاتعاظ:

{ **لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب** } «يوسف ١١١».

الحرب الأهلية(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

في بيتي حيث تمت أودع مجموعة من الشباب القادمين لزيارة أرض العزة والفخار، انتحى بي أحد الشباب جانباً وأسر في أذني: أني ذهبت إلى أحد العلماء أعرض عليه جمع الأموال للجهاد المبارك فأمسك بيدي وهمس في أذني قائلا: أنصحك أن لا تجمع الأموال لأفغانستان، وبلغ نصيحتي من يليك من أقربائك ومعارفك المتفانين لخدمة هذا الجهاد أن يتوقفوا عن جمع الأموال، لأن روسيا ناكصة على أدبارها، وتحول الجهاد الآن إلى حرب أهلية، فلا تكن ممن يزيدون نار الفتنة ضراما، ويسكبون البترول على نار مشتعلة، ولئلا نشترك في سفك دماء المسلمين.

قال الشاب: فانقبض صدري، وضاقت الدنيا في عيني، ثم خرجت والدوار يأخذ برأسي، ثم وجدت بعد ذلك أن هذه المقالة نغمة تعزف عليها الصحف والإعلام في كثير من أجزاء العالم العربي، وخاصة الصحف التي يدير محورها اليسار، ويقصد اليساريون من إطلاق هذه الشائعة إلى أمور:

١ ـ أن تكف أيدي المحسنين عن البذل وتمنع النفس من المشاركة في هذا الجهاد المبارك حتى لحظة الانتصار النهائي.

٢ ـ إقامة الحواجز النفسية بين الأمة وبين جهادها المتمثل في المعارك الضارية التي تدور رحاها حول جلال آباد وكابل وقندهار وسالنج.

٣ ـ الدفع بكثير من ذوي النفوس الطيبة الذين لم يطلعوا على حقيقة الأمر ولم يتابعوا مسيرة هذا الجهاد بخطواته إلى اليأس أو الاستيئاس من كل جهاد صادق إذ أن أول سؤال يقفز إلى مخيلة كل واحد ممن لبس عليه ومن شارك من ذي قبل في البذل والعطاء هو: إذا كان جهاد أفغانستان قد انتهى بعد هذه الصفحات المشرقة في جبين الزمن، ومن بعد هذه التضحيات الوضيئة الفذة في تاريخ الإسلام قد انتهى إلى حرب أهلية، وأن يسفك المسلمون دماء بعضهم البعض، فعلى الدنيا السلام، وبطن الأرض خير

---

١ ـ لهيب المعركة العدد ٤٦ التاريخ ٢ رمضان ١٤٠٩هـ ـ الموافق ٨/١/١٩٨٩م

للمسلمين من ظاهرها.

٤ ـ زرع اليأس في قلوب الكثيرين من أي عمل خير، وبخاصة الجهاد ودفعهم إلى عزلة قاتلة يعيش فيها الإنسان الطيب فردية انطوائية منهنة، واجتثاث الأمل من قلوب الناس من أي عمل جماعي خير وذلك كما حصل للرهبان في العصور الوسطى عندما عم الفساد، وأسست أوروبا وغرق الناس في مستنقع جنسي عفن، وأصبح المجتمع جحيما لا يطاق، تؤزه الشهوات وتحركه النزوات، وحصل لدى الكثيرين في أوروبا، رد فعل عنيف هجروا فيه الحياة، وعزفوا عن الزواج، وانطووا على أنفسهم في أديرة معزولة عن الحياة منقطعة عن الدنيا، مبتورة عن رسالتها في إصلاح الناس ومحاولة انقاذهم.

٥ ـ اشتغال الأمة عن قضاياها الكبرى وأحداثها المصيرية، وصرف نظرها عن مشاركة المسلمين في أفراحهم وأتراحهم، وتمزيق الروابط الروحية بين أفراد هذه الأمة التي تمثل البنيان الواحد:

(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)

(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا).

٦ ـ زعزعة عقيدة البراء والولاء لدى المسلمين، وتقطيع أواصر المحبة، وفك عرى الإيمان، ففي الصحيح:

(أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله)

وفي الصحيح:

(حقت محبتي للمتحابين فيّ، وحقت محبتي للمتواصلين فيّ، وحقت محبتي للمتناصحين فيّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيّ، وحقت محبتي للمتباذلين فيّ، المتحابون على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء).

وهنا لا بد أن ننبه المسلمين إلى قضيتين كبيرتين:

أولاهما: أن هذا الجهاد قد قام منذ اليوم الأول بين الأفغان أنفسهم، لأن الجهاد قد بدأ منذ الخطوة الأولى واضح الراية، ناصع الهدف، بارز الغرض وهو: إقامة دين الله في الأرض، وإنشاء مجتمع إسلامي، لقد كان جهادا بين إسلام وكفر، بين إيمان وإلحاد، وبين حركة إسلامية وحركة شيوعية.

بدأ بين أبناء الدعوة الإسلامية والعلماء من جهة (حكمتيار ورباني ونصر الله منصور) وبين داود العلماني الذي أتى محمولا على الأكف الشيوعية الحمراء من أجل تصفية التيار الإسلامي في أفغانستان من جهة أخرى، ثم استمر الجهاد مع الشباب المسلم والعلماء الذين يقودون الشعب المسلم من جهة وبين تراقي مؤسس الحزب الشيوعي من جهة أخرى، واستمر القتال من إبريل سنة (١٩٧٨م) إلى سبتمبر سنة (١٩٧٩م).

وواصل الشعب المسلم قتاله ضد حفيظ الله أمين الشيوعي من سبتمبر (١٩٧٩م) إلى ديسمبر (١٩٧٩م)، ثم تدخلت روسيا في ٢٧ ديسمبر سنة (١٩٧٩م) بأساطيلها الجوية والبرية حاملة معها بابرك كارمل، وقتلت حفيظ الله أمين بعد أن قتلت الشيوعية من قبل رفيقيه تراقي وداود.

واستمرت المعركة بضرامها ما خف لها أوار، ولم يعرف المسلمون راحة ولا استقراراً حتى ١٥ فبراير (١٩٨٩م)، حيث هربت روسيا ممزقة ذليلة، انحدرت شر انحدار، وعادت المعركة سيرتها الأولى بين المجاهدين وبين الشيوعيين الأفغان.

٢ ـ إذا كان القتال بين المجاهدين وبين حكومة نجيب الشيوعية حرباً أهلية إذن فالقتال بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين قومه في بدر وأحد والخندق وفي فتح مكة كلها حرب أهلية، لأن أهل مكة هم أهله وعشيرته وبنو عمه وأقاربه، ولم تكن روابط النسب وأواصر اللون والجنس في أي دين من الأديان هي الدافع للقتال أو الكف عنه.

إن العقيدة هي الرابطة الوحيدة بين أبناء هذا الدين، وهي الدافع الوحيد للتضحية من أجل إقرارها في واقع الأرض **(بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له)**.

وعندما استشار النبي صلى الله عليه وسلم في أسرى بدر قال أبوبكر:

(يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا).

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما ترى يابن الخطاب؟ قال: قلت والله ما أرى ما رأى أبو بكر، وإني أرى أن تمكنني من فلان -قريب عمر- فأضرب عنقه، وتمكن عليا من عقيل بن أبي طالب فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم، فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبوبكر، ثم جاء عمر وهما يبكيان، فقال يا رسول الله أخبرني ما يبكيك أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء، فقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة -شجرة قريبة-

وأنزل الله تعالى:

(ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) (الانفال:٦٧-٦٨)

ومعنى الإثخان: الإكثار من القتل.

لقد كان العتاب وعرض العذاب بسبب قبول فداء الأسرى وعدم قتلهم، فهل ينتبه المسلمون ويعلمون أن الإثخان في الاقارب من الشيوعيين فرض على المجاهدين؟

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

صناعة التاريخ (١)

وتاريخ الأمم إنما يجري بقدر من الله على أيدي أفذاذ يسطرون بدمائهم ويشيدون بمواقفهم وصلابتهم أمجاد الأمم وحصون عزتها وقد بدت صناعة التاريخ الإسلامي جلية في أفغانستان، فبدأت معاقل الإسلام الحديث ترتفع، ولكن بالجماجم لا بالحجارة والطوب.

وكان المجاهدون الأفغان جزء من قدر الله لهذه الأمة التي بدأت تنهض من كبوتها، وتستيقظ من سكرتها وترتفع من مستنقع وهدتها وارتكاسها.

والأمم تحرص على كتابة تاريخ أفذاذها لتربية مقبل أجيالها، وبناء الناشئة من أبنائها على القيم التي ضحى من أجل غرسها أبطالها وقممها.

وأفضل طريقة لتربية الأجيال هي: تدريسها تاريخ أمجادها من خلال سير مصلحيها وقادتها وأبطالها، فنحن نتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ونسير على هديهم، ونقتبس من النور الذي جاء به، ونقتفي أثرهم **(أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)**.

وكلما كانت الأمثلة شاخصة حية، وأحداثها ساخنة جديدة، فإن واقعها في القلوب يكون أعمق، وأثرها في النفوس وتوجهها أشد وأقيم وذلك لأن الشواهد الحاضرة دوافع ومحركات للقلوب أن تشابه وتباري، لأن نداء الأعماق من القلوب ينادي بقوة هذا شاب مثلكم يعيش كما تعيشون، ولفته البيئة التي لفتكم، وأظله الجو الذي يظللكم، فما باله قد سبقكم؟

أوليس بإمكانكم ان تسلكوا كما سلك، وتسيروا كما سار؟

الخيار الصعب :

وكثيراً ما نواجه ونحن نفتح وصايا كثير من الشهداء بمشكلة أنهم يحرجون علينا أن لا نكتب عنهم كلمة، فقد كتب سعد الرشيد: لا أسمح لمجلة الجهاد ولا البنيان المرصوص أن تكتب عني كلمة، وأبو دجانة (عادل فارس): أوصي أن لا يكتب عني شيء.

١ ـ لهيب المعركة العدد ١٧ التاريخ ١٠ رمضان ١٤٠٩هـ ـ الموافق ١٧ / ابريل / ١٩٨٩م.

وأبو مسلم الصنعاني: من كتب عني شيئا فأنا حجيجة يوم القيامة. وسألت نفسي كثيراً: وهل يحق لهم أن يمنعوا الناس أن يتكلموا عنهم بخير ، إن هؤلاء أصبحوا جزءًا هاما وشريطا حيا من تاريخ هذه الأمة، فليس لأحد أن يقص شريط التاريخ المشرف بحجة أن صورته وردت فيه أو ذكره مر خلاله، أن دماء هؤلاء الشهداء قد روت شجرة هذا الدين، وسطروا بأحرف من نور تاريخ هذه الأمة . فكم ستحرم أجيال لو أخفى التاريخ النماذج المشرقة، والقمم السامقة من أبناء هذه الأمة ابتداء بأبي بكر والخلفاء الأربعة والصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، والأبطال الأفذاذ أمثال سعد ومصعب وحمزة والقعقاع وعاصم والمقداد والنعمان وعكرمة وخالد وأبي عبيدة ، وكم ستخسر الأمة من رصيدها الثري الذي يكون المعين العذب الذي تنهل منه الأجيال عبر العصور، لم تعد سير هؤلاء الصادقين ملكا خاصا يورث من قبل ورثته، أو مالاً يوصى به إلى جهة خيرية ويصرفه كما يشاء، لقد خرجت سيرهم وقصصهم من ملكهم الخاص إلى رصيد أمة تحيا بذكرى أفذاذها، وتعيش أجيال مقتفية الجادة القويمة التي قضى عليها أسلافها وائمتها، لقد أوصى كل واحد بأن لايكتب عنه بعداً عن الرياء، واختفاءا عن مواطن الضوء إلـــــى الظل، وذلك حرصا منهم على تمحيص النية، وتقرير الإخلاص، فمضوا بإخلاصهم وصدقهم وثوابهم، وكم يحز في نفسي أني لم أكتب عن سعد الرشود، ذاك كنت إذا جلست إليه أشعر أنني أمام قمة شامقة، وعملاق ضخم مع أنه في ثقافته لا يتعدى الثانوية العامة .

والآن واجهنا أبو مسلم الصنعاني بوصيته التي تعني تمزيق صفحة وضاءة من تاريخ الأمة الإسلامية الحديث، وقطع جزء من الشريط الحي الذي يخصه البهاء وينيره السناء وتكون له المهابة إطارا جميلا فريدا .

إن الكلام عن الشهداء فرض من رب العالمين، لأنه جزء من التحريض على القتال الذي افترضه الله على كل مسلم: **(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين).**

ولو علم الشهيد كم سيسوق الله له من الخير، ويصله إلى قبره من الثواب بذكر قصته لأمسك عن الوصية، فكم من القلوب الميتة أحيتها قصص الشهداء، وكم من الشباب قد وفدوا إلى الجهاد لقراءة قصة شهيد ، وكم من تائه رد إلى الله وكم من فاسق أب بها

ففي القتلى لأجيال حياة وفي الأسرى فدى لهم وعتق

إن هؤلاء الإخوة ينسون أنه **(من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة)** كم نفع الله بوصية الشهيد عبدالوهاب صالح الردة الغامدي ؟

فعندما سمعت بوصية أبي مسلم (عبدالله النهمي) قلت سأكتب عنه، وعندما نلتقي بين يدي الله سأقول له: (يارب إن عبدالله النهمي يريد أن يحرم الناس الخير بعدم الكتابة عنه، ويريد أن يمنع الأمر بالمعروف والتحريض على القتال بمنعه لنا أن نكتب عنه)، ولذا فإني سأكتب عنه وعن كل شهيد ولو أوصى بعدم الكتابة عنه، لأنه جزء من التاريخ، وإذا كان الله قد أباح لنا تبديل وصية الميت في ماله الخاص عند خوف الميل والظلم فما بالك بسيرته الصالحة التي هي حق للأمة المسلمة كلها؟ **(فمن خاف من موص جنفا أو اثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم)** «البقرة ١٨٢»، أي لا يلحقه إثم التبديل، لأنه تبديل مصلحة، والتبديل الذي فيه إثم هو تبديل الهوى/انظر القرطبي (٢/٢٧٠).

الحقد اليهودي الصليبي[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإننا نواجه كمجاهدين عرب في هذه الأيام حملة إعلامية شرسة تشنها علينا أجهزة الإعلام الغربية وتتولى كبرها BBC وصوت أمريكا وصوت إيران الحرة ومونتي كارلو، فلقد اشتدت الحملات الصليبية التي يحركها بطرس الناسك على المجاهدين العرب في داخل أفغانستان.

فلقد نشر مركز المعلومات الأمريكي في بيشاور تقريرا نقلا عن الواشنطن بوست الأمريكية اليهودية تحت عنوان (نشاط الأصوليين العرب في حرب أفغانستان) يقولون فيه: (يلعب الأصوليون العرب من الشرق الأوسط دورا مؤثرا ومعاديا للغرب بدرجة

١ ـ لهيب المعركة العدد ١٨ التاريخ ١٧ رمضان ١٤٠٩هـ ـ الموافق: ٢٢/ إبريل / ١٩٨٩م.

كبيرة، وذلك عن طريق جهود تقوم بها العصابات الفدائية الأفغانية من أجل بناء مستقبل سياسي في أفغانستان، ولقد أبدى كثير من الأفغان وبعض الدبلوماسيين الغربيين اهتماما في الأسابيع الأخيرة بما يقوم به العرب من استخدام للأموال والمتطوعين والرموز والشعارات الإسلامية من أجل إشعال ثورة أصولية اجتماعية وسياسية في أفغانستان).

ويقول دبلوماسي غربي في إسلام أباد (أن حجمهم أكبر مما نتوقع، ومعظم أعمالهم هي ضد الغربيين)، ونشرت التايم الأمريكية مقالاً عن مستشفى الفوزان الذي تديره لجنة الدعوة، وجاءتني رسالة من الأخ عبدالله أنس عند القائد أحمدشاه مسعود يقول فيها : لقد تعرضت لك محطة الـ BBC بالإسم وأنا سمعتها بالفارسية تقول : هو بروفسور جاء قبل ست سنوات إلى أفغانستان، من قيادات الإخوان المسلمين المتطرفة، وجمع الشباب المتطرف من جميع العالم الإسلامي وقد ادعوا أنهم جاءوا للشهادة في سبيل الله، ولكن ليس الأمر كذلك، جاءوا لنشر الوهابية عن طريق القادة الأصوليين الثلاثة (سياف وحكمتيار ورباني) بالفارسية.

وقال لي الدكتور أبو ذر : لقد سمعت تعليقا من محطة صوت أمريكا بالفارسية عنك بالاسم نقلا عن الواشنطن بوست تقول فيه: إنه جاء لنشر الوهابية ويوزع كتابه آيات الرحمن في جهاد الأفغان .

وقد نشرت جريدة المسلم الباكستانية (ذات الإتجاه الشيعي الشيوعي) مقالا حاقدا ينضح بالسم والكذب تقول فيه : لقد جاء العرب للاغتصاب والنهب والسلب ...الخ ، ثم تثير حفيظة النظام الباكستاني علينا فتقول: (وقال مسؤول باكستاني في إسلام آباد إذا استمر العرب في النهب والقتل والاغتصاب حتى بعد سقوط جلال آباد فستكون هذه نهاية جهادهم).

وفي جريدة الهيرالدتريبيون الأمريكية مقال كذلك وتعرض لي بالاسم: أنه بروفسور فلسطيني يجمع حوله الشباب المتطرف .

ويحدثني الثقة قائلا لقد حدثني أنه سمع بأذنه السفراء الغربيين في إسلام أباد يتحدثون قائلين: إن هذه هي الأداة الجديدة للإجهاز على الحركة الإسلامية في أفغانستان وهي استعمال سلاح الوهابية (THISIS THE NEW INSTRUMENT...).

وبسبب الحملة الشعواء المسعورة التي يدير كير نارها الحقد الصليبي اليهودي الأعمى ضد هذا الدين الآن هو الفزع العالمي من قيام حكم إسلامي في أفغانستان، إذ أن كل الأساليب الغربية الأمريكية لسرقة ثمار الجهاد وفي زحزحة هذا الجهاد عن مساره القويم كلها والحمد لله قد باءت بالفشل، فقد فشلت العروض المطروحة: عودة ظاهر شاه، ثم الحكومة الائتلافية، ثم الحكومة المحايدة، ثم الحكومة ذات القاعدة العريضة، وكلها عادت عليهم بالوبال والخسار، وهم الآن يرون ليوث الله شاخصة على أبواب جلال أباد وقندهار وكابل، ويرون حكومة نجيب تترنح للسقوط، والحكومة الجهادية القادمة على رأسها الأصوليون المتطرفون (سياف وحكمتيار ورباني وخالص) .

وسقط رهانهم الذي كانوا يقامرون به أن الحرب ستتحول حربا أهلية بين المجاهدين، وأنها ستأكل الأخضر واليابس، فرأوا أن الجهاد حول المدن يتم من خلال قيادة موحدة وتنسيــق تام.

وهم يرون حكومة نجيب ستسحق عما قريب -إن شاء الله- تحت أقدام ليوث الغاب التي تتلمظ غيظا على أعداء الله كيما تفترسها وتمزق أوصالها، والشعب الأفغاني يواصل زحفه تحــــت رايات الظفر، وكأن لسان المراقبين تنشد لهم:

تحمي السيوف على أعدائه معه كأنهــــــن بنــوه أو عشائره
إذا انتضاهــا لحرب لم تــدع جسدا إلا وباطنه للعين ظاهــره

إن الغرب لازال يطمع أن يصل إلى الأفغان ولو عن طريق الإعمار، وفي يد صدر الدين أغا خان بليونان (ألفا مليون دولار : للمرحلة الأولى والثانية) لإعمار أفغانستان .

وهم يجدون العرب حجر عثرة أمامهم حيثما حلوا وأينما نزلوا أو ساروا، ومن السهل إشعال قلوب الغرب غيظا وحقدا، فالأطباء الغربيون منبوذون رغم الوسائل الحديثة والأموال التي بين أيديهم، فالعيون الزرقاء مع الشعر الأشقر يثير اشمئزاز الأفغاني من الأعماق ، وهم يرون العرب يتدافعون على الموت كأنهم في حفلة عرس :

يستعذبون مناياهــم كأنهــم لا يخرجون من الدنيا إذا قتلوا

ويرون روابي الهندوكوش وكوه بابا وسليمان قد توجت بقبور المجاهدين العرب من جميع الجنسيات، ويرون أن جلال أباد قد

ضمت بين حناياها وشهدت أنجادها ووهادها حوالي أربعين شهيدا عربيا في شهر واحد .

ويرون أن العرب يقفون مع المجاهدين الأفغان في خندق واحد يشرعون هاماتهم وأعناقهم للرصاص متسابقين على الجنة والحور، ويرون العرب يقومون بعملية ضخمة كبيرة وهي إصلاح ذات البين بين فصائل الجهاد مما لا يقوم به غيرهم .

ويرون الدكتور صالح الليبي يحل في بلخ فيطرد القائد محمد علم بعثة طبية فرنسية كاملة مكونة من تسعة أشخاص، ويستغني عن المستشفى والأدوات التي أخذوها عند طردهم ، ويرون عبدالله أنس يوقف نار فتنة عمياء في اشكمش كاد يشعل فتيلها شاب أحمق مدفوع من أيادي قذرة، ولو اشتعلت النار لأكلت الأخضر واليابس بعد أن قدح الزناد واشعل الفتيل فاطفأها الله بعبد الله أنس وإخوانه .

ويرون العربي قد ترك ثراءه ووظيفته وشركته في السعودية أو في الخليج أو الأردن... وجاء يعيش على الخبز الجاف والشاي في ذرى الجبال، ويرون أسامة بن لادن قد ترك مشروعه في توسيع الحرم المدني لإخوانه وعطاؤه (ثمانية آلاف مليون ريال سعودي) وألقى بنفسه في آتون المعركة .

فماذا يقولون عن العرب وهم ركن حماية ثمار جهاد يثيرون به حفيظة الأفغان؟

يقولون الوهابية التي جاءت لتهدم المذهب الحنفي وعلاماتها حركة الإصبع ورفع اليدين كثيرا عند الصلاة .

إنهم يرفعون عقيرتهم قائلين للأفغان : انتبهوا انتبهوا من خطر الاستعمار الوهابي الجديد الذي سيهدم مذهبكم الحنفي الذي ضحيتم من أجله، وأسلتم الدماء أبحرا في أفغانستان . ولكن **(والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)**

أما نحن فماضون إن شاء الله على هدى كتاب ربنا وسنة نبينا والمذهب الحنفي احتراما على رؤوسنا وفي قلوبنا حبا، ونحن نعتبر أن أبا حنيفة هو الإمام الأعظم، ونردد كلمة الشافعي:

(الناس في الفقه كلهم عيال على أبي حنيفة)

ونقول للصليبيين :

(قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور)

ولن تستطيعوا أن تحركوا قلوب المجاهدين ضدنا لأن القلوب بيد صانع القلوب وعلام الغيوب، ونزداد إيمانا بقول ربنا سبحانه:

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) .

دور بريطانيا في محاربة الإسلام[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده :

إن المتتبع لتاريخ بريطانيا في القرنين الأخيرين يرى بجلاء لا غبش فيه ، ووضوح لا غموض يلابسه أن الإنجليز قد أدوا دوراً كبيراً في تدمير الإسلام وتحطيم المسلمين في كل مكان ، فهم حيثما حلوا وأينما ساروا يدركون أن أمامهم شبحا رهيبا وغولا مفزعا لابد من التخلص منه والإجهاز عليه – وهوالإسلام – .

فقد كان لبريطانيا القدح المعلى في رسم سياسة إسقاط الصرح الشامخ الذي تجمع حوله المسلمون بضعة عشر قرنا ، فالجنرال اللنبي هو الذي اتصل بمصطفى كمال أتاتورك ومناه بحكم تركيا فيما لو فسح له المجال لضرب الجيوش التركية في فلسطين، وفعلاً تقدمت خيالة الإنجليز وطعنت مؤخرة الجيوش التركية الأربعة، وسقط في أسرها (قرابة مائة ألف أسير)، ودخل اللنبي القدس في (١٧/١١/ ١٩١٧) وقال : (الآن انتهت الحروب الصليبية) .

وكرزون (وزير خارجية بريطانيا) هو الذي عقد معاهدة لوزان مع عصمت أنينو مندوب أتاتورك والتي استمرت ثلاثة أشهر

[1] مجلة المركة العدد ٤٩ التاريخ ٢٤ / رمضان ١٤٠٩هـ الموافق: ٢٩/ ابريل/ ١٩٨٩م

(من أكتوبر سنة ١٩٢٢ - فبراير ١٩٢٣) واشترط فيها مندوب أتاتورك الشروط الأربعة :

١- إسقاط الخلافة.

٢- محاربة أية محاولة لاستعادة الخلافة.

٣- محاربة الشعائر الإسلامية .

٤- اتخاذ قانون أوروبي بدل الشريعة الإسلامية.

وبريطانيا هي التي زرعت اليهود في فلسطين، ورعت جنين السفاح اليهودي حتى تم نموه وولد فوق أرض فلسطين، وهي التي أمدت الأراضي للوكالة اليهودية، ومد هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني اليهودي في فلسطين أجنحته ليخفي التسلل اليهودي والهجرة إلى فلسطين .

وبريطانيا هي التي دمرت قلب البلاد العربية النابض (مصر)، ودنلوب/ المستشار التعليمي البريطاني في مصر هو الذي رسم الخطة المتكاملة لتغريب مصر وإنهاء دور الأزهر، وهي التي أبرزت الزعانف والرويبضات التي أعملت معاولها في تدمير مصر والعالم العربي مثل : سعد زغلول وطه حسين ولطفي الخولي وقاسم أمين ومحمود المويلحي ...

وبريطانيا هي التي أسقطت الحكم الإسلامي الذي بقي يحكم الهند حتى سنة (١٧٥٧م)، ثم عملت على إفساد المسلمين في القارة الهندية، وسحقت النفسية الإسلامية، وربت جيلا علمانيا لا هو إسلامي ولا هو نصراني، وجعلت مدرسة أحمد خان الفكرية راشـدة الجيل من خلال جامعة عليكرة .

وقال مستشارهم التعليمي في الهند (نريد أن ننشيء جيلا هندي البشرة غربي العقل والتفكير)، وبريطانيا هي التي خدعت الشريف حسين وزجت به في أتون الحرب الأولى، وأشهر حسامه في وجه تركيا مقابل وعودها له أن يكون ملك العرب، ثم أخذته ونفته إلى قبرص، ومزقت أملاك الدولة الإسلامية التركية في معاهدة سايكس بيكو .

وبريطانيا هي التي جاءت بالحكم البعثي إلى العراق سنة (١٩٦٨) عن طريق العبيدي وميشيل عفلق ، وبريطانيا هي التي نشرت زراعة الحشيش والأفيون في أواسط آسيا (حدود أفغانستان وباكستان والصين)، وأقامت شركة الهند الشرقية حربا على الصين عندما رفض إمبراطورها زراعة الأفيون في بلاده وتدمير شعبه بيده .

وبريطانيا هي التي جاءت بالشيوعيين إلى عدن واليمن الجنوبي قبل خروجها .

والآن (تشكل المخابرات البريطانية العقل المفكر والمستشار لكل معسكر الكفر الغربي والشرقي)، فبريطانيا هي عقل هذا المعسكر وعضلاته أمريكا، ولذا فإن أمريكا ترجع إليها في الأمور التي تختص في محاربة الحركات الإسلامية، وتحجيم الصحوة الإسلامية وإخفات صوت انتفاضة الجهاد في بيت المقدس، وذلك لأن بريطانيا قد خبرت الشعوب الإسلامية من خلال حكمها لها، وهي التي تعرف الثغرات التي يمكن أن تدخل منها لضرب الإسلام في الصميم ولطعنه في الأعماق .

وفي أفغانستان: حاولت بريطانيا من خلال ثلاث حروب سنة (١٨٤٢ ، ١٨٨٠، ١٩١٩) أن تضع لها موطيء قدم فيها، فتكبدت خسائر ضخمة لن تنساها ، ففي سنة (١٨٤٢) فقدت جيشا بكامله عداده ستة عشر ألفا، ولم ينج منه سوى د. برايدون ، وفي الثانية سنة (١٨٨٠) فقدت جيشا عداده أربعة آلاف في خرد كابل، وفي الثالثة (١٩١٩) هزمت ودخل الأفغان شمال غرب الهند يطاردون فلول الجيش الإنجليزي المنهزم، مما اضطر تشرشل أن يعلن استقلال أفغانستان من لندن .

دور إذاعة BBC

والآن تعتبر BBC هي ببسي الشعب الأفغاني، فهي تبث يوميا أربع ساعات ونصف بالبوشتو، وأربع ساعات ونصف بالفارسي، وهي تحاول أن تبث سمومها من خلال نشراتها وتعليقاتها ، وتجد الأفغاني واضعا سماعة المذياع على أذنه واللقمة في فمه، ، وتستعمل الآن سلاح الوهابية محاولة منها للتفريق بين المجاهدين العرب وبين إخوانهم المجاهدين الأفغان ، وكذلك الغض من مكانة قادة الجهاد الحقيقيين مثل سياف وحكمتيار ورباني وخالص، وتود التفريق بين هؤلاء وبين الشعب الأفغاني باتهام الثلاثة الأوائل بتهمة الوهابية .

وبريطانيا ترى الجهاد الأفغاني يقترب من النصر، ويبدأ يقيم دعائم الحكم الإسلامي، وحكومة نجيب قاب قوسين أو أدنى من السقوط، ولذا فقد خرجت الـ BBC عن طورها، ورفعت عقيرتها، وأصبح كذبها صراحا وافتراؤها واضحا .

فقد أذاعت يوم الإثنين (١٩ رمضان (٤/٢٤) أن معركة جلال أباد يخطط لها (المخابرات الامريكية .C.I.A والاستخبارات الباكستانية I. S.I).

ثم أردفت لقد قتل من العرب في جلال أباد (٩٤) شخصا و(٢٦٠) (مائتان وستون من الجيش الباكستاني)، وهذا محض افتراء، إذ أنه لم يقتل حتى الآن جندي واحد من الجيش الباكستاني .

وتقول BBC محذرة من سقوط جلال أباد : (إن سقوط جلال أباد سيكون خلال يومين)، وذلك لاستثارة همم أهل الكفر في كل مكان، واستنهاض الشيوعيين في روسيا لعلهم يقدمون شيئا لإنقاذ الحكم المتهاوي .

وأنا – إذ أكتب هذا المقال – على بعد (٣ كم) فقط من جلال أباد أشهد أن الـ BBC كاذبة **(والله يشهد إنهم لكاذبون)** .

حرمة الاستماع إلى إذاعة الكفر وغيرها:

وإذا كان الله عز وجل قد نهى عن الاستماع إلى المثبطين والمرجفين ولو كانوا مسلمين، فكيف بالاستماع إلى المخذلين المرجفين من الكافرين؟! إن الاستماع إلى هذه الإذاعات حرام على الأميين وأشباههم الذين تخدعهم الدعاية وتؤثر بهم .

وصدق الله العظيم :

(إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط) «آل عمران ١٢٠»

مغامرات فرين دايزر[1]

الحمدلله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده :

فقد شهدت الساحة المحيطة بجلال أباد معارك عنيفة وانتصارات رائعة في العشر الأواخر من رمضان ، وحقق الإخوة المجاهدون (أفغان وعرب) انتصارات كبيرة، وفتح الله عليهم فتوحا عظيمة في هذه الأيام المباركة والليالي الفاضلة .

وخرج العدو عن طوره وفقد صوابه، وأخذ يضرب ضربات جنونية ، فالطيران لا تعرف له الهدوء ولا الاستقرار لا في ليل ولا نهار ، طائرات MGC ٢٧ (سرعتها ثلاثة أمثال سرعة الصوت)، مع أن صاروخ ستنجر سرعته لا تصل إلى ضعف سرعة الصوت ، وطائرات اليوشن الناقلة الكاشفة القاصفة التي تصل حمولتها (٩) أطنان . إلقاء قنابل الغازات السامة نراها تلقي علينا ، الغازات الصفراء وغاز الخردل ، صواريخ سكود تطلق بغير حساب . ثلاثة منها أطلقت ووقعت دفعة واحدة على مقربة من مقرنا ، ويطلق صاروخ (اسكود) ويقع على بعد مائة وخمسين مترا من سيارة تقل بعض الإخوة ، وكان أبو محجن المكي في مؤخرة سيارة البكب 4X4 ، ويحمله هواء الصاروخ ويلقيه بعيدا عن السيارة وينجيه الله – عز وجل –.

محمد قاسم الكردي يقود سيارتنا ويحمل معه أحد القادة الأفغان مع مجموعته، ويضلون الطريق ليلا، ولا يجدون أنفسهم إلا بباب الفرقة (٨١) التي تحمي جلال أباد، ثم يتراجعون بسرعة ، وفي الصباح يعودون ويضلون الطريق مرة أخرى، وإذا بهم بين مراكز الشيوعيين، وفتح العدو عليهم رشاشاته، وظن محمد قاسم أن بعض إخوانه العرب يطلق عليه مازحا، وانهمر الرصاص فأدرك أنه في قبضة العدو، وبسرعة خاطفة يرجع بسيارته إلى الوراء والرصاص يتصبب عليه، وهو بين نارين، نار الرصاص ونار الرجوع الذي يتوقع منه التدهور بسيارته في حفرة أو هاوية، ويصل بالسيارة إلى حفرة تغطي معظم السيارة، ويتركها ويجري بين المراكز

---

١ ـ لهيب المعركة العدد ٥٠ التاريخ ٦/ شوال ١٤٠٩هـ الموافق: ١٩٨٩/٥/٦م . يلاحظ القارئ هنا أن هذه الافتتاحية كتبت في ١ شوال أي أول أيام عيد الفطر السعيد حيث كنا نسابق الزمن حتى لا تضيع على المسلمين من التاريخ شيئاً لذا فقد كانت أيام العطل الرسمية عندنا عمل باستمرار.

المختلطة – مراكز المجاهدين من جهة ومراكز الشيوعيين من جهة – ويتوقع الموت من رصاص المؤمنين ورصاص الكافرين .

ويعز على محمد قاسم أن يترك السيارة غنيمة للكافرين، ويرجع أدراجه إلى السيارة لتأمينها في مكان تطمئن نفسه عليها، وبمجرد أن يقترب من السيارة تفتح عليه الرشاشات، وأما لسان حال محمد قاسم فهو يردد:

دع المداد وسطر بالدم القاني وأسكت الفم واخطب بالفم الثاني

فم المدافع في صد العداة لـه من البلاغة مـــا يزري بسحبان

وفتح السيارة وساقها وأرجعها ووضعها في حفرة تغطيها عن رصاص العدو، وعاد ومشى بين المراكز، واتصل بجهاز اللاسلكي بأسامة، فرد عليه وطلب منه أن يصف له مكانه، ومشى في الطريق المزروعة بالألغام يتوقع الموت من كل جهة، وبدأ يتلفت ليرى إخوانه العرب، وإذا برصاص المجاهدين ينهمر عليه يظنونه من جنود الكفر، وصاح ولم يسمعه أحد، وأخيرا اضطر أن يقف ويرفع يديه ويرفع عقيرته بالصياح لتوقف رصاص المجاهدين .

وأخيرا وصل مركز أسامة الأوزبكي، وتشاوروا فيما يمكن عمله لإنقاذ السيارة، وتحرك يوسف طلعت (عبد الأول) وأبو قتيبة ومحمد قاسم نحو السيارة ، وقبل وصولهم السيارة انهمر الرصاص عليهم، فاختبئوا وتقدموا إلى السيارة، وبدأوا يمهدون طريق السيارة بالمعاول التي أخذوها معهم ، وبعد التشاور قام عبد الأول ليسير بنفسه، فإذا انتبه العدو توقفت السيارة، فسار عبد الأول ولم يفتح عليه الرصاص، فشغل أبو قتيبة السيارة واتصل بالجهاز براجمة المجاهدين أن تشغل العدو حتى يمر من أمام مراكزهم، وانطلق الصاروخ الأول، واختبأت الفئران في جحورها، وانطلقت السيارة تنهب الأرض، ووصل الإخوة بسلام .

أبو فاروق الجدلوي: وهذا أبو الفاروق ينام في خندقه وبجانبه أخ حارس، فما راعه إلا وأفعى الكوبرا تلعب على صدر أبي الفاروق، فأسقط في يده لأنه لم يكن بإمكانه أن يطلق النار عليها، فأسلمه لمصيره بين يدي هذا التنين، فنجاه الله ومضت الأفعى .

عوض العرادة: وتدور المعركة في الثاني والعشرين من رمضان، ويفتح الله فتحا عظيما على المجاهدين الذين يقودهم خالد الأعرج (التابع للشيخ يونس خالص) والقائد سازنور التابع (للشيخ سياف)، ويبدأ أعداء الله يفرون أمام المجاهدين، وكان أبو طارق (عوض بن علي بن مبخوت العرادة) يقود سرية الأسلحة الثقيلة، ولدى رؤية هذه المناظر طارت نفسه شوقا لمطاردتهم وهو يرى الدبابات فارة مدبرة (كأنها حمر مستنفرة فرت من قسورة)، ويستأذن المرة تلو المرة في الانقضاض على أعداء الله، بعد إلحاح شديد يأذن له أبو عبدالله، وينطلق عوض كالسهم، ويمتشق قاذفه الصاروخي ويتبع الدبابات التي لا تلوي على شيء، ويقدر من الله يتدلى جنزير إحدى الدبابات المولية، وتوقف وراءها مصفحة، ولم يجد طاقم الدبابة بدا من الدفاع عن نفسه، ودار فوهة مدفعه نحو أسد (عوض)، ويطلق القذيفة التي تناثرت شظاياها، فطارت إحداها إلى لبته (نحره) وأودت بحياته، وما لنا لا نودعه مع إخوانه بنشيد نردد فيه :

دينـنا خنجـر يمزق وجــه الليل إن قـام للـــظلام وجــــود

همــة تقرع الزمـــان وعــزم لا ارتخـاء وخيبـــة وركـــود

هاتف والصعــاب تحـــدق فيه وهو في ساح الزمان وحيــــد

مسلم يا صعاب لـــن تقهرينـي صارمي قاطــع وعزمــي أكيـــد

من دمائي فـي مقفرات البراري يطلع الزهـر والحيـــا والورود

وحمل البطل المسجى في السيارة وحوله إخوانه الذين كانوا يشاركونه هذه الرحلة المصيرية (أبو علي المثنى ، وأبو عيسى ، وأبو معيص ، وأبوعبدالله المأربي)، ويؤكدون لي وأنا أسألهم المرة تلو الأخرى: أو قد شممتم له رائحة طيبة؟ وهم يقولون : شهادة؟ فأقول لهم شهادة تلقون بها بين يدي الله – عز وجل –! فيعودون ويصرون أنهم كانوا يشمون رائحة نفاذة كالمسك يعبق شذاها بالأنوف، ويضوع عرفه في الجو تهب بين الحين والآخر .

وهكذا تستمر رحى الإسلام في دورتها تختطف من بينـنا خيارنا بأمر الله وقدره، ويبقى النزيف مستمرا يخط تاريخ الأمة الإسلامية الحديث .

وبالأمس (٢٦ رمضان ١٤٠٩هـ) كانت المعركة حامية الوطيس مضطرمة الأوار بعد أن أحرز المجاهدون نصرا جديدا واستولوا

على مركز، وجمعت الدولة قوتها وألقت بثقلها، وحاولوا أن يستعيدوه، ولكن دون ذلك خرط القتاد، وردوا على أعقابهم خاسرين، ولا زالت الطائرات تحوم فوق مركزنا حتى كتابة هذه الكلمات، وتلقي بقنابلها المنثارية (العنقودية) التي تنفجر في الجو وتحتوي على مائتين وخمسين قنبلة تتساقط عليك، لا ينجيك إلا الله ثم مغارة أو خندق مسقوف، وما سوى ذلك فلا نجاة ولا مناص، وعلى مقربة من أحد الإخوة تلقي الطائرات بقذيفتين وينجيه الله منها، فيعلق قائلا: كاد قلبي من هول المنظر يتوقف عن النبض، كل هذا وكأن الإخوة في عرس، بعضهم يضحك، وآخر يبتسم، وثالث يصور المناظر بنكات، ورابع قائم يصلي، وخامس حامل مصحفه يتلو وهو يسابق ساعات الأيام الأخيرة لهذا الضيف الكريم الذي بدأ يلم أذياله ليودعنا .

وفوق هذا كله تقوم الطائرات ليلا أو نهارا بنثر الألغام الفردية (كالفراش أو الجرادة حجما ولونا) حتى تذهب بأقدام المجاهدين أثناء تنقلهم، وكلما أغارت الطائرات أو تساقطت الحمم أو تفجرت الصواريخ أو نزلت الصواريخ المنطلقة من راجماتها نردد قوله – عز وجل–

[قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد] (آلعمران:١٢).

ومع هذا كله ورغم هذه الانتصارات التي وصلت في يومين قرابة (٧ – ١٠) كم في العمق، وتكشفت لهم مدينة جلال أباد، ورغم أن المجاهدين يقفون على أبواب الفرقة (٨١) وقد هاجموها قبل عدة ليال، ورغم أننا نطل على جلال أباد وطريق كابل (سرخ رود) شبه معطل، ومع هذا كله فقد قام أحد المراكز بصد هجوم سرية من المجاهدين عليه، فيطير نجيب فرحا ويأمر بترقية جميع العسكريين في جلال أباد، ويصرح غورباتشوف أن المعركة لا تحسم عسكريا .

وصورت الصحافة المسعورة أن معركة جلال أباد كانت استدراجا من الدولة خاصة جرائد الوطن والسياسة والخليج المتحمسة لنجيب –الذي يعد أيامه الأخيرة– أكثر من نجيب نفسه ..

[أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون] (التوبة:١٢٦).

ولكثرة ما نقنقت ضفادع العرب الحمراء أن معركة جلال أباد استدراج صدق بعض الطيبين هذه المقالة وخففوا من قواتهم وضغطهم على جلال أباد، إلا أن المعركة مستمرة، والانتصارات متوالية، وتبدت عورات الكافرين، وتكشفت جوانب المدينة، والقضية أيام وأسابيع وستسقط بإذن الله جلال أباد ومن بعدها قندهار وكابل، ونحن نرى هذا قريبا بإذن الله ..

[وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا] فاطر٤٤.

التربية الجهادية : هذه بعض قصص خلال يومين جرت لبعض الإخوة الذين معنا في المركز، فما بالك لو تتبعنا القصص الكثيرة التي تشبه الخيال يوميا على أرض الواقع؟

وهنا يقفز في أذني اقتراح على المربين من رجالات الإعلام الذين يربون أطفالنا على قصص جرين دايزر الخيالية، حبذا لو انتبه الكتاب والأدباء ممن ينسجون المسرحيات الخيالية إلى هذه القصص الجهادية، وماذا عليهم لو قدموها على شكل مسلسلات قصصية واقعية جهادية تبني نفسية الطفل بناء واقعيا يربطه بدينه، ويعمق صلته بأمته الإسلامية، وينشأ معها الطفل والغلام نشأة جهادية لحمتها الرجولة وسداها العزة والمجد، حتى يصدق على الشاب المسلم قول الشاعر :

لو كان في الألف منا واحد فدعوا   من فارس ظنهـــــم إياه يعنونا

المومياء(١)

فلازالت الجثة المحنطة في روما تسترعي أنظار العالم كحل بديل للحل الإسلامي في أفغانستان ، ولقد بقيت هذه المومياء محط الآمال بالنسبة لكل أعداء الإسلام، ليحولوا بين المسلمين الملتزمين وبين الوصول إلى سدة الحكم، لئلا يعود القرآن مرة أخرى لتوجيه الشعوب وبناء الأمم وتربية الأجيال .

ولقد حاول الغرب والشرق خلال السنوات الماضية أن يلعبوا بهذه الورقة ويلوحوا بها لأولئك اللاهثين وراء خروج روسيا وإيقاف الحرب، فصرح آنذاك الشيخ سياف وكان رئيسا للاتحاد الإسلامي لتحرير أفغانستان (ترحب بالملك ظاهر شاه بشرط أن نقتله في

١ – لهيب المعركة العدد ٥، التاريخ ٨ / شوال / ١٤٠٩هـ – الموافق: ١٣ / أيار ١٩٨٩م

المطار)، وكان حكمتيار يهدد باستمرار محذرا الملك من القدوم، ويحذر أنه سيقتل الملك فيما لو وصل إلى باكستان، وكانت آخر هذه التهديدات في مجلس الشورى الذي اجتمع في مدينة الحجاج في إسلام آباد، والذي أسفر عن انتخاب حكومة المجاهدين الحالية، فقال حكمت يار: (كل من نطق باسم ظاهر شاه فلن أصوب الرصاص إلا إلى زعيم حزبه وليس إلى صدره هو) .

وكانت آخر المحاولات في شهر رمضان المنصرم حيث ذهب بعض تجار الجهاد إلى الملك ظاهر شاه، وعملوا اتصالات كبيرة نشطة مع بعض الأنظمة العربية، حيث زار وفد من تجار الدماء عاصمتين عربيتين، وتوسلوا بحكامها ليزجوا بأنفسهم في هذه المؤامرة التي يباع فيها الدين والدماء والأعراض على الموائد الخضراء في الليالي الحمراء .

وتتلخص المؤامرة بأن يحاط مطار قندهار بمجموعة من المنتفعين بالجهاد ممن كانوا منذ أول يوم ثقل على صدور المخلصين رغصة في حلوق الصادقين:

[إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط] آل عمران ١٢٠-١٢١ .

{وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا، ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما} النساء٧٢-٧٣.

هذه المجموعة المرتزقة التي أوكل إليها الإحاطة بالمطار تطلق نيرانها في الهواء، ثم يستسلم لها المطار، وبعدها يأتي دور محافظ قندهار ليستسلم لمجموعة المرتزقة التي استطاعت أن تقتحم المطار وتدك الأسوار، بينما عجزت عمالقة الرجال أن تفتحه .

ثم تأتي طائرة ظاهر شاه بتنزل في مطار قندهار، وتتبـــــل المجموعة التي جمعها الرغيف ويفرقها السوط لتحتفي بقدوم المومياء (الجثة المحنطة)، وتحملها مبتهجة فرحة، وتتقدم نحو كابل، وعندما علم الصادقون بهذه الخطة توجهوا نحو مطار قندهار ليحبطوا كيد هؤلاء المغرضين التجار، ويحرروهم بعيدا عن المطار، ولسوء طالع هؤلاء القوم التجار أنهم اختاروا قندهار البلد المعروف بعدائه الشديد للملك ظاهر شاه، ولازالت ذكريات اجتياح جيش الملك بقيادة (خان محمد) شاخصة في أذهانهم، يوم أن اقتحمت دبابات الملك سنة ١٩٥٩م) قندهار من أجل نزع حجاب النساء، ولازالت صورة النساء اللواتي تدفقن في الشوارع يحملن المصاحف فوق رؤوسهن في مواجهة المؤامرة الملكية، ولازالت جراح تلك الحادثة تعتمل في جوانبهم كرها وحقدا على الطاغية الذي حكم أفغانستان أربعين عاما متواصلة من سنة (١٩٣٣م إلى ١٩٧٣م)، وتحول مع السنين وبفعل الخمرة والنساء إلى مومياء محنطة وجثة شاحبة جامدة لا حياة فيها ولا حركة، ولازالت جثث ألف وسبعمائة شهيد من قندهار حاضرة في أذهانهم وقد قضوا نحبهم وهم يواجهون جيش الملك الزاحف لنزع الحجاب.

ولكن أحلام العودة لاتزال تراود مخيلة الملك المخلوع، ولازال يعيش أوهام اليقظة، ويطمع أن يدور الزمان دورته ويعيد سيرة والده (نادر خان) الذي حملته الأيادي البريطانية من سفارة أفغانستان في فرنسا بعد أن مهدت له بحملة إعلامية ضخمة بأنه قائد موهوب وبطل عسكري مظفر، وأخذوا يعيدون ويبدئون ويعزفون على نغمة الحرب الأفغانية سنة (١٩١٩م) (بين أفغانستان وبين بريطانيا)، والتي أدت إلى هزيمة بريطانيا النكراء، وأثمرت استقلال أفغانستان.

وقد كان النجم المتألق في هذا الجهاد المشرف هو بطلنا الذي تزفه بريطانيا حاكما لأفغانستان سنة (١٩٢٨م).

لقد هال بريطانيا أن يستلم دفة الحكم حبيب الله (ابن السقا) الرجل البسيط الذي يحمل أنفة الأفغان وإباءهم ، وعزتهم ورجولتهم، وصفاءهم وأصالتهم، وفطرتهم وحياءهم، وصدقهم وعمق اتصالهم بهذا الدين، بالإضافة إلى الفتوة والفروسية التي تكون معلما بارزا من شخصية حبيب الله (ابن السـقا) .

وفتشت بريطانيا في جعبتها، فوجدت أحد أبناء الأسرة المالكة (نادر خان) والذي ربته على عينها وشب تحت رعايتها، واتصلت بريطانيا بالقبائل، ومهدت السبيل الجديد بعد أن شنت حملة مسعورة على ابن السقا، وصورته في أذهان العامة قاطع طريق من كبار اللصوص وسفاكي الدماء .

ووصل نادر خان (والد ظاهر شاه)، إلى براجنار، وتلقفته قبائل مسعود ووزير بعد أن نثرت بريطانيا الذهب بين يديه، وحملته القبائل ووصلت به كابل، وخرج حبيب الله من كابل مع مجموعة من فرسانه، وكان حبيب الله يردد باستمرار: (لن يقر لي قرار حتى أحطم بريطانيا واحتل موسكو)، وكأن لسان حاله يردد:

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه ومركوبه رجلاه والثوب جلده

ولكن قلباً بين جنبي ما له مدى ينتهي بي في مراد أحد

يرى جسمه يكسى شفوفا [1] تربه [2] فيختار أن يكسى دروعاً تهده

وأرسل إليه نادر شاه الأمان مع العلماء، إذ وقع على مصحف، وهذا أعظم ما يمكن أن يقدمه الإنسان في أفغانستان، وعاد حبيب الله إلى كابل، فالقى نادر شاه القبض عليه وأودعه غياهب السجون، وقرر إعدام حبيب الله، فقال له (دعني حيا وسأخرج من أفغانستان أجاهد في سبيل الله حتى ألقى ربي) ولكن نادر شاه خان العهد الذي أشهد عليه الله وكتابه وعلماء أفغانستان وأعدمه .

ومضى حبيب الله إلى ربه، وباء نادر خان بإثمه وحمل دمه، وبشر القاتل بالقتل، وبشر الزاني بالفقر، فساق الله له من يقتله في حفل عام وبين ملاه وفي زينته، وجاء ابنه ظاهر شاه وواصل طريق أبيه.

أما بريطانيا فلا زالت أعطياتها التي تغدقها على زعماء القبائل جارية، إذ أن الميزانية التي كانت ترصدها لزعماء القبائل وقد وصلت في أواخر عهد ظاهر شاه إلى اثني عشر مليون جنيه استرليني ، و ذلك لأنها تعدها ليوم كريهة وسداد ثغر ، وتدخرها لمثل هذه الأيام حتى تحركها لاحتضان ظاهر شاه وحمله على الأكتاف للسير به نحو كابل، ولكن الأرض غير الأرض، والأهل غير الأهل .

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائهم

إن طبيعة الشعب الأفغاني قد صقلتها المعارك، وصاغتها الأحداث، ونفسيته قد شفت مع التضحيات الباهظة والضرائب الفادحة التي قدمها من أجل الوصول إلى حكم الإسلام في أفغانستان .

وإن رصاص المجاهدين ينتظر ظاهر شاه فيما لو سولت له نفسه بالعودة إلى أفغانستان، ولازالت الـ BBC والصحف الغربية وعلى رأسها البريطانية والأميركية تمهد لأمثال ظاهر شاه، وخرجت عن طورها وأصبحت تكتب الكذب الصراح الذي لا يحتمل، ولا يصدقه العقلاء، وتطلق افتراءاتها، حتى ادعت الصحف الأمريكية أنه قتل في جلال آباد من المجاهدين ثمانية آلاف، بينما لم يصل عدد الشهداء أربعمائة على أكثر الإحصائيات، وعندما صرح نجيب قبل يومين أننا على استعداد للانسحاب من جلال آباد إذا فسح لنا المجاهدون المجال وفتحوا لنا الطريق سقط في أيدي المرجفين، وإذا بهم يطلقون كذبة أعظم وأضخم فيقولون إن نجيبا يعد العدة لاستعادة ممر خيبر (تورخم) من جديد، بينما لا تستطيع دبابة الآن أن تخرج من حدود جلال آباد وضواحيها .

ولقد تكشفت المدينة وجوانبها للمجاهدين، وأخذت جلال آباد تعد أنفاسها وتحصي أيامها للسقوط في أيدي المجاهدين . فلم يبق حارس للمدينة سوى الفرقة (٨١) التي أصبحت تحت رحمة قذائف المجاهدين وفي مدى نيرانهم الرشاشة .

إنها بريطانيا الحية الرقطاء التي لازالت تتلمظ غيظا على الإسلام، وتحرك العالم الغربي، وتستثير حفيظته، وتتعاون مع كل شياطين الأرض للحيلولة بين الإسلام وبين الوصول إلى الحكم .

{{ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون }} (التوبة: ٣٢-٣٣).

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

---

١ ـ الشفوف: الثياب الرقيقة ٢ ـ تربه: تنعمه

المعادلات الصعبة[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

لقد علمنا ربنا من خلال كتابه ومن خلال سنة نبيه صلى الله عليه وسلم أنه يتولى عباده الصالحين :

{إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين} «الأعراف١٩٦».

وهو يدافع عن عباده:

{إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور} «الحج٣٨».

ورسم لنا سبحانه قانونا يطمئننا في رد كيد الكافرين:

{وما كيد الكافرين إلا في ضلال} «غافر٥٠».

وتولى سبحانه إحباط مخططاتهم ورد مكائدهم:

{إن الله لا يصلح عمل المفسدين} «يونس ٨١».

{ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله} «فاطر٤٣».

ويؤنسنا سبحانه بمعيته لعباده المتقين والمحسنين:

{إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون} «النحل١٢٨».

ولقد عودنا سبحانه من خلال رؤيتنا لأحداث المعركة في أفغانستان أن يحبط مؤمرات أعدائه، ويتولى بنفسه سبحانه رد كيدهم في نحورهم.

وأعداء الله وعلى رأسهم الأمريكان في هذه القضية الإسلامية الكبرى واقفون أمام معادلات صعبة، فهم أمام شعب مسلم يواجه عدوا تقليديا لأمريكا وهو الاتحاد السوفيتي، فهم يريدون أن يمرغوا كرامة الاتحاد السوفيتي في الأوحال، ولكنهم في نفس الوقت يفزعون من انتصار المسلمين ووصولهم إلى الحكم، لأن هذه طامة كبرى أعظم بكثير من بقاء الاتحاد السوفيتي في أفغانستان.

وهم منذ سنوات كذلك أمام معادلة صعبة أخرى وهي: إنهم يدركون أن قادة الجهاد الحقيقيين هم أبناء الدعوة الإسلامية أو الصادقون المخلصون الذين لا يباعون في أسواق النخاسة الدولية، ولا يشترون في جلسات الموائد الخضراء والليالي الحمراء، ولسان كل واحد كأنه يقول:

غريب من الخلان في كل بلدة ... إذا عظم المقصود قل المساعد

فهم لا يريدون أن يكون هؤلاء في مقدمة الصفوف، ويودون أن يكون صنائعهم هم القادة والسادة، ولكنهم في المقابل يدركون أن ثقل المعركة وإدارة دفتها بأيدي هؤلاء الصادقين الذين يرون الجهاد فريضة لازمة في أعناقهم، ولذا فهم يبذلون النفس والنفيس لمواجهة أعداء الله وطرد العدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا.

فكلما فكروا في اغتيالهم خافوا على الجهاد أن يتوقف أو يتزعزع، وعندها يضرب الروس بجذورهم في أعماق أرض أفغانستان على مقربة من الخليج والبترول العربي وباكستان.

أما الآن وقد خرج الروس فلا بأس من اغتيال الأصوليين المتطرفين من أبناء الحركة الإسلامية والعلماء المخلصين وفي مقدمة هؤلاء حكمتيار وسياف.

يقول لي الأستاذ رباني: لقد جاءني أحد الطبيبين الباكستانيين وقال لي: لقد دفع لي ستون مليون روبية لاغتيالك، فخذ حذرك من أعدائك.

وتتلخص المؤامرة التي يدير رحاها أعداء الله وما أكثرهم

يدير رحاها ألف كسرى وقيصر ... وألف مدير للمدير مدير

[1] ـ لهيب المعركة العدد ٣٢ التاريخ ١٥ شوال ١٤٠٩هـ ـ الموافق: ٢٠ أيار ١٩٨٩م

أقول خلاصة المؤامرة :

١ ـ قتل القادة الأصوليين والمتزمتين.

٢ ـ إمداد المعتدلين بكميات هائلة من السلاح والمال.

٣ ـ الضغط على الحكومة الباكستانية لتقبض يدها وتقلل تأييدها للاصوليين!!

٤ ـ الإيقاع بين الحكومة الباكستانية وقادة الجهاد.

٥ ـ العزف على نغمة الوهابية لضرب الاتجاه الإسلامي الصحيح، وإيقاع الفجوة بين الشعب الأفغاني وبين هؤلاء الصادقين، وكذلك إيغار صدر الشعب الأفغاني الطيب الأمي على العرب الذين أقبلوا على الشهادة وتسابقوا على الموت، فأحدثوا دويا هائلا في أعماق أفغانستان.

٦ ـ تحريك الجيش الهندي ليلقي بثقله في المعركة، وليحول دون سقوط نجيب، وبضغط من روسيا.

٧ ـ محاولة إرجاع ظاهر شاه كحل مقبول لدى بعض المنتفعين.

٨ ـ تدريب أعداد كبيرة ممن يتبعون بعض المعتدلين تحت إشراف الأمريكان وإمدادهم بأحدث الأسلحة.

٩ ـ الاتصال المباشر بقادة الجهاد «الميدانيين» في أفغانستان دون الرجوع إلى أمراء الأحزاب وإمدادهم مباشرة.

١٠ ـ فتح الطريق أمام صدر الدين أغاخان الذي يحمل مليارى دولار لتقوم المؤسسات التبشيرية بتنفيذ مشاريعها.

أما عن قتل القادة الأصوليين: فقد أخذت المخابرات البريطانية على عاتقها تنفيذ عمليات الاغتيالات، وقد تستعين ببعض الدوائر الغربية.

أما عن تقليل المساعدات المالية: فقد كانت الحكومة الباكستانية تمد الأحزاب الجهادية ببعض المال ليعينهم على نقل معداتهم ومؤنهم إلى داخل أفغانستان، وفجأة وإذا بالحكومة الباكستانية تقلل المساعدات إلى الثلث، وأضحت الأحزاب الجهادية أمام معضلة نقل مهماتها إلى الداخل.

وقد فاتحني الأستاذ رباني بهذا قائلا: نحن نقف أمام مشكلة صعبة بشأن المهمات التي نريد نقلها إلى الداخل، وهي تكلف ملايين الروبيات، فقلت له: ماذا عن الحكومة الباكستانية؟ فقال: لقد خفضت المساعدات المالية البسيطة إلى الثلث، فجاء بذهني المثال العربي: (أحشفا و سوء كيلة؟!) ثم قلت له: لقد كانت لجنة الإغاثة تتكفل بهذا الترحيل من قبل، وقد قدمت مشكورة خلال السنوات الماضية من خلال مكتب الخدمات كأجرة للترحيل ثلاثمائة مليون روبية باكستانية تقريباً، أي حوالي ١٥ مليون دولار ، فأجاب الأستاذ رباني: لم نستلم منذ ستة أشهر تقريباً درهما واحداً من لجنة الإغاثة، ولقد أكد المهندس حكمتيار هذا الكلام.

والحق أنها معضلة محيرة وفي هذه الظروف الصعبة التي تحسم فيها المعركة، والمجاهدون يقفون على أبواب كابل، والحكم الشيوعي يؤذن بالسقوط والانهيار، ونرجو الله أن يكون قريبا.

وقال الشيخ رباني: هنالك مشكلة أخرى وهي مشكلة إطعام المجاهدين خاصة في المناطق التي أصابها القحط وعلى رأسها الولايات الشمالية والغربية من بدخشان إلى بادغيس وهرات.

أما عن محاولة الإيقاع بين الصادقين وبين الحكومة الباكستانية: فقد حدثني المهندس حكمتيار قائلاً:

طلب مني السفير الأمريكي قبل أيام أن أقابله في إسلام آباد فاعتذرت لضيق الوقت، فجاء السفير بنفسه إلى بيشاور وطلب مقابلتي، فأرسلت له أحد أعضاء الحزب، وإذا به يقول: إن هناك إشاعات أنكم تقومون بتدريب الاتحاد الاسلامي الجمهوري المنافس لحكومة بي نظير بوتو! فأمريكا تريد الإيقاع بين حكمتيار وبين الحكومة الباكستانية.

أما العزف على نغمة الوهابية: فهو الشغل الشاغل لأجهزة البث الغربية المرئية والمسموعة والمقروءة وعلى رأسها(BBC)، وقد أطلنا الكلام في افتتاحيات سابقة حول هذا الموضوع، حتى صار بعض المستغربين من الأفغان يطالبون صراحة بوجوب طرد العرب، وقد قام بعض المنتفعين أو المغفلين بإصدار الفتاوى بهذا، ولكن الصادقين من العلماء والقادة وقفوا بصرامة بالغة ليوقفوا هذا النغم النشاز، حتى قال الشيخ يونس خالص (إن حب العرب جزء من ديننا).

يقول لي الأخ عبدالسلام: كنت عائدا من قندهار فإذا بشخص أفغاني حليق اللحية يلبس نظاراته، فسألني من أين أنت؟ فقلت: أنا عربي، وأين كنت؟ فقلت في قندهار، وماذا تصنع هناك؟ فقلت: أساعد المجاهدين وأكفل الأيتام، فقال: لماذا لا ترجع إلى بلادك تجاهد فيها؟ فأجبته: من أين أنت؟ فقال: من قندهار، وأين تعيش؟ فقال: في ألمانيا، ومنذ متى؟ فقال: منذ ثماني سنوات، فقلت له: أنا أحمل الجنسية الأمريكية وأنا مهندس، وكان دخلي السنوي خمسة وعشرين ألف دولار، فتركت ذلك كله وجئت لخدمة المجاهدين في أفغانستان لأنها قضية إسلامية، وأما أنت فقد تركت أمك وأختك وأهلك يذبحون من قبل الروس وهربت تعيش في ألمانيا مع دنياك، فأي الفريقين أحق بأفغانستان؟! فبهت الذي ظلم نفسه.

وفي كابل وعلى لافتات عريضة مكتوبة: حكمتيار زعيم الوهابية.

أما الجيش الهندي فليس بمستغرب عليه، لأنه منذ قرن تقريباً والدول الغربية تحركه ليذبح على مذابح شهواتها، فيوم أن انسحبت المانيا من مالطة تقدمت بريطانيا، ومن عادة الجيوش المنسحبة أن تزرع الألغام، وأما الجيوش التي تحل مكانها فإن من عادتها أن تشتري قطيعا من الحمير أو الأغنام فتسوقها أمام الجيش لتتفجر بها الألغام، وبدلا من أن تشتري قطيعا من الحمير فقد ساقت أمامها فيلقا هنديا وتفجرت به الألغام، وفي اليوم التالي كتبت الجرائد الإنجليزية: (دخلنا مالطة، خسائرنا لا شيء، هلك الفيلق «الفرقة» الهندي بكامله) .

أما عن إرجاع ظاهر شاه: فلازالت الوفود تتردد بين روما وعمان وبغداد وموسكو، ويقوم بهذا أناس ممن تربوا على بلاط ظاهرشاه، ولعل هذه الأنظمة تسهم بدورها وتدلي بدلوها لإرجاع المومياء المحنطة في روما إلى كابل، والعجيب أن ظاهر شاه متحمس للعودة مع أن الموت ينتظره.

هذه أحلام الكفار التي سيبددها ضوء النهار

{ وما كيد الكافرين إلا في ضلال} «غافر،٥٠».

ومع هذه المؤمرات كلها فإننا واثقون بفضل الله ويقرب نصره وتأييده، ومطمئنون بإذن الله إلى قرب قيام دولة إسلامية في أفغانستان بعد سقوط كابل -إن شاء الله-

{ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً} «الإسراء،٥١».

تبعة ثقيلة[1]

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

في (كجا) مركز مديرية خوقياني أشار إلي الشيخ عبدالمجيد كدي خيل بالتوقف قليلا ليريني المسجد الجامع الذي كان يخطب فيه حتى أيام تراقي، فأقبلت عليه مع المهندس حكمتيار وحرسه، ودخلنا مسجدا واسعا رحبا يحيط به ساحة واسعة معدة لجلوس المصلين، ولا زالت ساعة المسجد معلما شاخصا تثير الأشجان في أعماق الزائرين، وكأن لسان الشيخ يقول:

ذكر الصبا ومرابع الأيام   جلبت حمامي قبل وقت حمامي

هنا كانت الآلاف المؤلفة تؤم هذا الجامع الطهور تنهل من العلم، وتستفسر عن حكم هذا الدين في شؤون حياتها، وفي مقابل المسجد بقيت آرام وأطلال لبيت واسع كان سكنا للشيخ الذي كان لدى المنطقة حديث سامرها وحداء ركبانها، مناطق جميلة رغم أنها صوحت من سكانها، فالدار سانحة والطير بارحة ومنازلها كأن لم تغن بالأمس.

وعلى الطريق يرافقك نهر" سرخ رود (النهر الأحمر) "، وقد اشتبكت حوله البساتين بأشجار الجوز والتوت والمشمش التي تضخمت على مر السنين مصطافا ومتربعا، كنا نستروح ظلالها بعد عناء السفر فنقول: إذا كانت الدنيا هكذا فكيف بالظل الظليل في الجنة؟! وكنا نفتتنها دقائق قد تصل الساعة والساعات، نتفيأ ظلالها ونأكل ثمارها، حيث يتسابق الأهالي إلى تقديم التوت والأسكي دنيا كما يسميه الأفغان (لوكات)، وتضع رجليك في الماء البارد النمير، وتجدد وضوءك، وتستلقي على ظهرك، وكان الشيخ عبدالمجيد

١ـ لهيب المعركة العدد ٥٢ التاريخ ٢٢ / شوال / ١٤٠٩هـ الموافق ٢٧ / أيار / ١٩٨٩م

تسبقنا إلى الإستلقاء على ظهره، ويضع رجلا على رجل كي يجد طعم الراحة بعد وعثاء السفر.

وفي هذه الأجواء تتوارد الخواطر وتتزاحم الأسئلة. كيف أطاق هؤلاء القوم أن يهجروا هذه المواطن والبساتين التي تجري من تحتها الأنهار ويعيشوا في خيمة ما كانوا بالغيها إلا بشق الأنفس بعد التردد الطويل على أبواب الأهلة ومكاتب الإغاثة الإسلامية كيما يحصلوا عليها؟! لقد كانت هجرة شاقة خاصة على أصحاب الهيئات والمروءات -ومعظمهم ذو مروءة-، ولقد كانت نقلة واسعة أن يدعوا هذه الأماكن والأجواء الرومانسية ويعيشوا في حر بيشاور، بحيث يموت في اليوم الواحد من أطفالهم أحيانا مائة لشدة الوهج الملتهب والحر المتقد.

فقلت للشيخ: أما كان بإمكان هؤلاء الأهالي أن يصمتوا عن الدولة الشيوعية لتقابلهم بغض الطرف عنهم وتركهم في مخادعهم الوادعة وبساتينهم الرائعة؟

فقال حكمتيار: لو سكت هؤلاء عن الدولة لما مسهم أذى وما نالهم سوء، ولكانوا محل رعاية الدولة، بل غاية ما تسعى إليه الدولة هو هذا، ولكن أنى لهم أن يصمتوا وأبناؤهم يمتشقون الأسلحة ليطوحوا بها عروش الملحدين، وكأن لسان حالهم ينشد:

لا افتخار إلا لمن لا يضام	*مدرك أو محارب لا ينام*
ليس عزما ما مرض المرء فيه	*ليس هما ما عاق عنه الظلام*[1]
واحتمال الأذى ورؤية جانيه	*غذاء تضوى به الأجسام*
من يهن يسهل الهوان عليه	*ما لجرح بميت إيلام*

هجرة العقيدة:

لذا فهي هجرة جديدة في التاريخ الحديث: هجرة الوطن والديار والمرابع والحدائق والبساتين فراراً بالعقيدة وحفاظا على الدين، لقد ترك خمسة ملايين نسمة أفغانستان، ونصبوا خيامهم في باكستان، وربعهم تقريباً في إيران، وذلك لتحيا عقيدتهم:

{فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض، فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب} (آل عمران: ١٩٥).

ولذا فإنهم يصرون على اسم الهجرة، ويعتبرونه وساما ربانيا ما كان لهم أن يدعوه وقد أهداهم إياه رب العالمين ، إنهم يرفضون اسم اللجوء، لأن اللاجئ إنما يلتجئ إلى مكان (REFUGEES اسم اللاجئين) يؤويه من الحر والقر والفقر، وإن اللاجئ ليهرب خوف القتل وخشية السجن، وأما هؤلاء فالحكومة منذ سنتين أو أكثر تعلن عن ترحيبها بعودتهم إلى مواطنهم آمنين مطمئنين، وتعيد وتبدئ صباح مساء في إعلامها كي تستدرجهم للعودة، ولكن الهجرة مستمرة من الداخل إلى الخارج، والمعركة مضطرمة، والكفار في إدبار، ولا تجد من المجاهدين إلا العزم والإصرار.

إنها تذكرنا بهجرة الحبشة الأولى والثانية، هجرة المدينة المنورة التي بقيت معلما بارزا لأتباع هذا الدين وإلى يوم الدين، وهم كذلك يصرون على اسم الجهاد والمجاهدين، ويرفضون اسم الثورة والثوار، وقد فرضوا استعمال هذا الاسم على كل الدنيا، إذ كل الدوريات وأجهزة البث العالمية تسميهم مجاهدين عدا الصحف اليسارية في الكويت والخليج !!!!!!

جولة واسعة:

وقد كتب الله لي مرافقة الأخ المهندس حكمتيار أسبوعا بكامله وهو يتجول في أرجاء ننجرهار (منطقة جلال آباد)، يستحث الخطى، ويتفقد الجبهات، ويشعل الحماس، ويشحذ العزائم في النفوس، ويأخذ العهود والمواثيق على الناس، وكان يأخذ العهد على أربع قضايا:

١ ـ استمرار الجهاد لإقامة حكم إسلامي في أفغانستان.

---

١ ـ معنى البيت: أن العزم الذي يقصر الإنسان في تنفيذه ليس عزماً وأي هم يقعد من أمن تنفيذه فليس هماً.

٢ ـ الوقوف في وجه التحديات العالمية والمؤامرات الدولية.

٣ ـ رفض الأدعياء الذين تحاول الأيادي الخفية دفعهم إلى السطح .

وكان الناس مندفعين بحماس عجيب على البيعة وإعطاء العهد والميثاق.

ولكن ماذا عن فتح جلال أباد؟ وكأن لسان حالك يقول ما بالك تطوف حول الحمى وتدور بي بعيدا عن القضية التي تؤرقني؟ فماذا تقول عن فتح جلال آباد؟

فأقول وبالله التوفيق: إن كثيرا من الناس لا يعلمون أن منطقة جلال أباد في مساحتها تقرب من مساحة فلسطين، فجلال أباد ثلاث عشرة مديرية ويضع نواحي: (سرخ رود، كجا، حصارك، به سود، رودات، ده بالا، باسول، كامه، خيوه، جوشته، نازيان، أجين، غني خيل، دوربابا، بتي كوت كبرباز، لال بور).

وقد فتح خلال الأشهر الأربعة الأخيرة مراكز كل هذه المديريات عدا مركزي أجبين ودور بابا فقد فتحت من قبل.

ولم يبق أمام المجاهدين سوى مركز سرخ رود (سلطان بور) الذي يعتبر ضاحية من ضواحي جلال أباد، وفي مديرية سرخ رود ناحية (علاقة داري) تسمى (به سود)، وتعتبر هذه الناحية جزءًا من مدينة جلال آباد، وقد فتح منها أربعه مراكز: كاريز كبير، خوش كمبت، اده، سمر خيل، وتعتبر سرخ رود البوابة الغربية لجلال أباد، وبه سود البوابة الشمالية.

إن الناس وهم يتكلمون عن فتح جلال آباد لا يدركون أن المجاهدين قد فتحوا من منطقة جلال آباد خلال شهر واحد أكثر من مساحة الضفة الغربية من فلسطين.

ولا يعلم كثير من المسلمين أن المجاهدين الآن رغم ضيق ذات اليد، وشح الذخائر، وكثرة الجراح، ونقص الطعام، وشراسة الوسائل التي يستعملها العدو من طائرات، واليوشن، وصاروخ سكود، وأن إعداد الصاروخ الواحد للإطلاق (BACK FIRE) يحتاج ساعة كاملة.

أقول رغم هذه كله: فهم على أمل عظيم أن يفتح الله عليهم قريبا جلال آباد، لقد كان حكمتيار وهو يعد للمعركة ويعقد الجلسات مع قادته مستشيرا مقررا موجها ليمر عليه أحيانا الليلة بكاملها لا ينام فيها سوى دقائق معدودة، وكنت أدعو الله له، وقد شكى لي في بداية الرحلة من آلام يعاني منها في ظهره وجنبيه، ثم قال لي في نهاية الرحلة بعد أن قطعنا ما يقارب مائة كيلومتر على الأقدام أو يزيد أنها بركة الجهاد، ما كنت أظن أني أستطيع أن أمشي نصف ساعة على قدمي، وهذه المسافة معظمها على الأقدام، مع آن الآلام أحيانا كانت تقض عليه مضجعه فلا يهجع سوى دقائق معدودات، ثم قال أخيرا: لقد ذهبت معظم الآلام التي كانت تعتصرني إرهاقا.

وكنت إبان هذه الرحلة مشفقا كثيرا عليه، وكان أول سؤال أبادره به غالبا صبيحة اليوم: هل نمت هذه الليلة؟ وكنت أدعو له بعد أن رقيته.

ولقد كانت الخيول ترافقنا الرحلة على طول الطريق، ومع هذا كله فإن نفسه الكبيرة تأبى عليه أن يركب وأن أمشي، فكنت أفطن أحيانا إلى هذا، فأركب رغم عدم حاجتي للركوب، رحمة به لعله يرفق بنفسه فيركب بعد أن بلغ به الإرهاق مبلغه.

وفي غني آباد: (وفي اليوم الأخير / الخميس ٢٠ شوال) قلت له: أتعود في بداية المعركة قريبا؟ فقال: إن كنت في بيشاور سأعود، ولكن يهمني كثيرا أمر قندهار، فالمؤامرة كبيرة، وشبح ظاهرشاه لازال ورقة يتاجر بها التجار، ويلوح بها الفجار، ويخشى مغبة عاقبتها الأبرار:

(فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) (المائدة:٥٢).

عونك اللهم فإن الحمل ثقيل، والأمانة غالية، والمؤامرة كبيرة، والزاد قليل، والكاهل كليل، وحسبنا الله.

حرب الأفيون(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فمنذ أن اخترمت ضياء الحق المنية وأعداؤه يريدون نبش تاريخه لتحويل الصحف البيضاء في هذه الفترة الوضيئة من الزمن إلى صحف مسودة تقشعر لذكرها الأبدان، وتقزز لسماعها الآذان.

فمن الأيادي البيضاء التي قدمها ضياء الحق للجهاد الأفغاني الذي يعتبر شامة في جبين الدهر فتح الحدود الباكستانية على مصراعيها، بينما جند الله يحملون ما تستطيع دوابهم أن تقله، ويمضون في الطريق المشرق المرير الذي أدى إلى أصابة الشيوعية في مقتلها، وأدت إلى صدمة عنيفة في تفكير قادة الكرملين، فعادوا يقلعون الشيوعية من جذورها.

والآن بدأ الغرب الذي يميل إلى إغلاق الحدود الباكستانية الأفغانية يعزف على نغمة جديدة: أن إبقاء ضياء الحق للحدود مفترحة قد فتح الباب لتهريب المخدرات وتسريبها وانتشارها، وغدا يفتتح المؤتمر الإسلامي العالمي الثاني لمكافحة المخدارات في إسلام أباد ويستمر ثلاثة أيام.

والعالم كله الآن واقف أمام معضلة استعصت، فلا يجدون لحلها سبيلا، ولا من مغبة أوضارها وأضرارها مخرجا.

والعالم الغربي بالذات الذي تقوده أمريكا يرتجف هلعا من النتائج الوخيمة التي يعانون منها بسبب تسرب المخدرات وتهريبها إلى بلادهم، والجيوش الغربية الآن وعلى رأسها الجيش الأمريكي أصبح مهددا بهذا الخطر الرهيب الذي ينتشر فيه انتشار النار في الهشيم.

وقد أصبح أعداء ضياء الحق السياسيين يرددون النغمة التي تعزف عليها الدوريات وأجهزة الإعلام الغربية، وكلها تجمع على الإنحاء باللائمة على ضياء الحق الذي فتح الحدود الباكستانيه على مصراعيها أمام المجاهدين الأفغان، مما أدى إلى تسرب المخدرات عبر إيران فتركيا إلى أوروبا فأمريكا، ولقد تجاوزت الأجهزة الغربية كل حدود المعقول والإنسانية معبرة عن أحقادها الدفينة على الإسلام وأهله، مفسرة الجهاد الإسلامي المشرف أنه قتال القبائل للدفاع عن مزارع الأفيون.

فهذا مستوى هابط من الوحل غرقت فيه أجهزة البث الغربية والشرقية، والأجيال الغربية الآن إنما تجني ما غرسته أيدي آبائها، وتحصد محاصيل ما زرعه أجدادها يوم أن شنت بريطانيا حربين طاحنتين من أجل الأفيون ونشره في الصين، إشباعا لنهمهم للمال، وإرواء لتعطشهم للذهب.

الحرب الأولى سنة (١٨٣٩ - ١٨٤٢) والحرب الثانية سنة (١٨٥٦ -١٨٥٧)، فعاقبهم الله عز وجل بالانتقام من أبنائهم جزاء ما كسبت أيدي آبائهم.

وبريطانيا حتى الآن تريد أن تحافظ على النظام القبلي الذي بلغت ميزانيته في نهاية حكم ظاهر شاه (١٢) مليون جنية استرليني ... تدفعها بريطانيا لتبقي ولاء هذه القبائل بأيديها تحركها متى شاءت ليوم كريهة وسداد ثغر.

إفرازات الأنظمة الجاهلية:

ومادام النظام القبلي قائما يحكمه القانون الجاهلي القبلي فزعيم القبيلة ينفرد بالمجد والمال، وبقية الناس محرومون منها جميعا، ولذا فإنك تجد زعماء قبائل الأفريدي يأبون على الحكومة الباكستانية أن تعبد الطرق في المنطقة، أو أن تدخل الكهرباء أو المدارس، حتى لا تحكم الحكومة قبضتها على المنطقة من خلال سياراتها ودباباتها ورقابتها، فيحرم الشعب من العلم والنور والحياة حتى تبقى جيوب شيخ القبيلة منتفخة بما يصب فيها من أموال الأفيون والحشيش، فهذه بعض إفرازات الأنظمة الجاهلية، ولا يمكن أن يطلب من الجيفة القذرة أن تكف عن إطلاق الروائح الكريهة التي تزكم الأنوف لأنها ضريبة لازمة لوجودها.

وقضية المخدرات ترتبط بالدين والقيم، فإذا تأصل الدين في أعماق النفوس فإنها تنتهي طبيعيا تماما، كما حل الإسلام مشكلة الخمر في مجتمع يعتبر الخمر جزءًا لا يتجزأ عن حياة الإنسان، فبعد أن ربى الإسلام العقيدة، وتدرج في منع الخمر وتحريمه نزلت الآيات القرآنية:

١- لهيب المعركة العدد ٤٥ التاريخ ٢٩ / شوال/ ١٤٠٩هـ - الموافق ٣ / يونيو ١٩٨٩م

(يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون)(المائدة ٩٠ـ ٩١).

شركة الهند الشرقية البريطانية (قاتلة الشعوب):

أما ما اقترفته أيادي بريطانيا على يد شركة الهند الشرقية البريطانية ثم على يدي جيشها مباشرة في نشر المخدرات في الشرق وخاصة في الصين فتتلخص قصتها بما يلي:

لم تكن الصين تعرف الأفيون إلا بعد أن تسلل التجار البرتغاليون والهولنديون ونزلوا في مدينة كانتون -في جنوبي الصين في القرن السابع عشر -، فأخذت هذه السلعة تظهر في البلاد بالتدرج، وفي نطاق محدود جداً، إلى أن دخل رجال من بريطانيا الميدان، وأخذوا ينقلون الأفيون كسلعة تجارية من الهند إلى الصين مقادير متزايدة عاما بعد عام.

ويلاحظ أن الهند كانت أكثر الدول إنتاجا للأفيون، وكان حكام الهند سواء على عهد شركة الهند الشرقية البريطانية أو على عهد تبعيتها المباشرة للحكومة البريطانية (وزارة الهند) حريصين على التوسع في إنتاج الأفيون، وعلى إيجاد أسواق ضخمة لاستهلاكه، ورأت بريطانيا أن الصين بلاد مترامية الأطراف، كثيفة السكان، تعد خير سوق للاتجار فيه، وقد اضطرت حكومة بكين إلى إصدار أول مرسوم سنة (١٧٣٩) يمنع الاتجار في الأفيون واستهلاكه، وتوالت المراسيم في هذا الصدد دون أن تعبأ بها شركة الهند الشرقية البريطانية التي اشتركت في هذه التجارة بعد أن كانت مقصورة على أفراد وجماعات من التجار، وتظاهرت أنها لا تقر هذه التجارة، ولكنها ما لبثت أن كشفت عن وجهها القبيح، فزادت من مساحة الأراضي الهندية لزراعة الأفيون، ومضت في تصدير معظم محصول الأفيون إلى الصين في سفن مجهزة بالمدافع، حتى اذا اقتربت من شواطئ الصين انطلقت منها زوارق سريعة تحمل صناديق الأفيون في حماية رجال مسلحين، ولما اعترضت حكومة بكين لدى بريطانيا على إصرارها في تصدير هذه السلعة شنت بريطانيا حربا على الصين (١٨٣٩) من أجل حرية الاتجار بالأفيون، واستطالت هذه الحرب التي تسمى حرب الأفيون الأولى إلى عام (١٨٤٩)، وكانت عبارة عن مذابح ارتكبتها القوات البريطانية مدججة بأحدث الأسلحة وأفتكها، وتساقط الصينيون قتلى، وانتهت هذه الحرب بهزيمة ساحقة للجيش الصيني الذي لم يكن لديه أسلحة ذات خطر، وأبرمت معاهدة «نانكين»، وتقرر بمقتضاها أن تستولي بريطانيا على جزيرة هونج كونج، وهي ذات موقع استراتيجي هام، وأن تدفع حكومة الصين غرامة حربية ضخمة لبريطانيا، وتعويضات مالية للتجار الذين أصيبوا في تجارة الأفيون بسبب العمليات الحربية ... كما تضمنت المعاهدة نصا يقرر تهريب الأفيون، وهو خروج عن القانون، وهو نفاق بريطاني تجاه الشعوب الشرقية غير المسيحية، لأنه على الرغم من إدراج هذا النص في المعاهدة مضت الحكومة البريطانية تضغط على حكومة الصين كي توافق السلطات الصينية أن استيراد الأفيون عملا تجاريا مشروعاً، وكتب في هذا الصدد اللورد بالمرستون إلى المندوب البريطاني في الصين يطلب منه السعي بعقد اتفاقية مع الصين تسمح بدخول الأفيون إلى البلاد كسلعة تجارية، وأن تفرض حكومة بكين رسوما جمركية عالية على الأفيون المستورد حتى تزداد حصيلة الرسوم الجمركية، وبالتالي تتضاعف موارد الحكومة، ولكن رفض إمبرطور الصين هذا الاقتراح بشقيه قائلا: (قد أكون عاجزا عن منع هذه السموم أن تدخل بلادي على كره مني، لأن بعض الناس تدفعهم شهواتهم وحبهم للمال الحرام إلى عصيان أمري، ولكن ليس في العالم قوة تستطيع أن تغريني على أن أستمد للدولة إيراداً من تسمم شعبي ونشر الرذيلة).

وأصرت الحكومة البريطانية على موقفها، وأعدت مستعمرة هونج كونج لإيواء التجار والمهربين، وحصنتا قويا، وأعدت فيها مستودعات لتخزين صناديق الأفيون، ريثما تنقلها زوارق التهريب، وهي زوارق مسلحة تمنحها السلطات البريطانية في هونج كونج ترخيصا رسميا لمزاولة التهريب في حماية العلم البريطاني.

وافتعلت بريطانيا حادثا لإشعال حرب ثانية ابتغاء إكراه حكومة الصين على إباحة تجارة الأفيون، وهذه هي حرب الأفيون الثانية سنة (١٨٤٦ - ١٨٥٧)، وأغارت القوات البريطانية على بلاد الصين، وأمطرت سكانها بالقنابل، ودمرت المدن والقرى، ولم يكن في مقدور الجيش الصيني أن يقاوم القوات البريطانية، وأسفرت هذه الحرب عن هزيمة الصين، وكان من أهم نتائجها اتساع مستعمرة هونج كونج، بحيث لم تعد مقصورة على الجزيرة المواجهة للساحل، بل على قسم كبير من الإقليم الساحلي المجاور، وبذلك أصبحت المستعمرة البريطانية متصلة اتصالاً مباشراً ببلاد الصين، لا تحول بينهما مياه البحر الضيق كما كانت الحال من قبل.

واضطرت حكومة بكين في عام (١٨٥٨) إلى إصدار أمر ببيع استيراد الأفيون ويفرض ضريبة على المستورد منه.

ويعلق على إشعال بريطانيا حربي الأفيون كاتب إنجليزي بقوله (ليس في التاريخ التجاري الإنجليزي صفحة تلصق ببلادنا عارا أشنع مما ألحقته بنا وبتجارنا وساستنا قصة الاتجار في الأفيون مع الصين إذا سردناها ببساطة تامة من غير تهويل).

فقد شنت إنجلترا أكثر من حرب واحدة على الشعب الصيني الأعزل وذلك من أجل الفوائد التي يجنيها المتجرون في هذه السموم ، وقد استولت إنجلترا عنوة على أرض صينية اغتصبتها اغتصابا لكي تجعل منها مرفأ يعتصم به المهربون الذين لم يلبثوا أن اتسعت تجارتهم، وتزايد نشاطهم رغم أنف السلطات الصينية، وحسب أي رجل انجليزي أن يطالع هذه القصة لكي يدرك السبب في أن الأجانب يحكمون على هذه البلاد بأنها مع ادعائها التمسك بالمبادئ السامية لا تسمح للاعتبارات الإنسانية أن تحول بينها وبين مطامعها.

والآن: الدول الغربية تجني حصاد ما اقترفت يدا بريطانيا، وقد طلبت من ضياء الحق أن يحاول الحد من تسرب الأفيون، ولكن الأمر لا يمكن علاجه بالضوابط الأمنية، ولا بشحن الثغور بالحراسات والدوريات.

إنما علاج ذلك كله:

بغرس العقيدة الإسلامية في أعماق قلوب أبناء منطقة القبائل، وإقرار الإيمان في مسارب نفوسهم، وهذا لا يتم إلا بالتربية والتوجيه المصون بالقوة والسيف، فإذا كانت الدولة إسلامية، واشتغلت في بناء النفوس، ومن تمرد على المبادئ فالسلطان حاضر يزع الله بأمره ما لا يزع بالقرآن.

الإسلام هو الحل:

والدولة الإسلامية الحقة هي العلاج وأمريكا التي تواجه عدوا شرسا يهدد وجودها وهو الأفيون، وتبحث عن مصادره فترى أن الحدود الباكستانية الأفغانية والهندية من أكبر المصادر التي تصدر هذا الداء الوبيل والسرطان الوبيء إلى البشرية، فتحاول جاهدة أن تمنعه بكل الوسائل.

وفي نفس الوقت تسعى بخيلها ورجلها، وتواصل مكر ليلها بنهارها لتحول دون وصول الجادين الملتزمين بدينهم إلى منصة الحكم، وهي تشن عليهم حربا لا هوادة فيها، وتسميهم: الأصوليين، الوهابيين، وتنتقي كل لفظ يمكن أن يحول بينهم وبين قلوب الناس الصادقين الطيبين من الأميين، وتستثير عليهم الجهلة والغوغاء والدهماء، ويتولى كبر هذه المؤامرة إذاعة بريطانيا بي بي سي.

ولن يقيم الإسلام في أفغانستان إلا هؤلاء الشباب الصادقون، والإسلام هو الحل الوحيد لأزمة المخدرات التي تعاني منها البشرية.

مع حكمتيار حول جلال آباد:

وقد كنت في جولة في شهر شوال الحالي مع حكمتيار، فمررنا على مزرعة من مزارع الأفيون، ووقفنا هنيهة مع صاحب المزرعة، فطلبت من حكمتيار أن يسأله عن الدافع لزراعته، فرد الفلاح ببساطة نحن نبيعه للكفار.

فقلت لحكمتيار أن يقول له: إن هذا حرام، وأنت تطعم أولادك من مال حرام (وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به)، فأطرق الرجل حياء ولم يحر جوابا، قلت لحكمتيار: إن مشكلة المخدرات والقبائل غدا سيتعبكم القضاء عليها، فقال: الأمر يسير مع هؤلاء القوم (القبائل)، سنشجعهم على زراعة الطيبات وترك الخبائث.

عقد ضروري:

أما بالنسبة لأمريكا والغرب فسنبرم معهم عقدا يتعهدون فيه أن يكفوا عن محاربة أخلاقنا وتدمير أجيالنا بتصدير الصور العارية والأفلام الجنسية والدوريات الماجنة والأدب الرخيص وقصص الفراش، مما أدى إلى تهديم كيان الأخلاق في العالم الإسلامي، ومقابل ذلك نتعهد لهم أن لا يصدر لهم هؤلاء أي شيء من المخدرات أو الحشيش وغيرها.

الجهاد قضى على الكثير منها:

ولقد رأيت هذه المزارع في المناطق التي يسيطر عليها المجاهدون وقد خربت وهجرها أهلها، وكفوا أيديهم عن بيع الدمار والأضرار إلى العالم.

ونحن كأصحاب دين وقد خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم معلما واضحا في هذا الباب بتحريم الضرر والإضرار بأي إنسان **(لا ضرر ولا ضرار)**.

ونرى كما بين لنا هذا الدين أن ما حرم أكله حرم بيعه، وفي الحديث الصحيح عند أحمد وغيره:

(لعن الله اليهود، إن الله حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها وإن الله إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه).

فلا حل لقضية المخدرات إلا بترسيخ عقيدة الحلال والحرام في المجتمع، وحمايتها بهيبة الدولة الإسلامية وسلطانها التي تعلم أن من أهم واجباتها تنفيذ ما جاء به صلى الله عليه وسلم:

(الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث....) (الاعراف:١٥٧).

فقد جاء هذا الدين لإحلال الطيبات وتحريم الخبائث، فلا حماية للبشرية ولا مناص لها إلا بالرجوع إلى هذا الدين، والسماح لدولته أن تأخذ مكانها الحقيقي حتى تنقذ الأرض التي تتفيأ ظلاله وتستسلم لأحكامه.

لا نكول عن الطريق[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. . . وبعد:

فقد طال الانتظار على أبواب جلال آباد، وعيون المسلمين في الأرض كلها مسمرة نحوها، وقلوبهم لاهثة، وهم يمسكون بأنفاسهم ينتظرون الفتح، وعيل صبر النظارة، خاصة وأن أجهزة الإعلام العالمية تركز على هذه القضية تريد أن تغرس في قلوب الناس أن المجاهدين قد أعياهم عدوهم، ووقف صامدا أمام زحوفهم، وليس أمام المجاهدين سوى القبول بمؤتمر عالمي يحل القضية سلميا، ويرضى المجاهدون فيه ببعض الفتات الذي يتساقط من موائد اللئام الذين يمثلون الخصم والحكم في وقت واحد.

وأصبحت المؤتمرات الصحفية تعقد للسياسيين من قادة وحكام الدول الصديقة للمجاهدين يصرحون فيها:

بأن العالم كله يفخر بالأفغان كعرق صلب صمد أمام الجحافل الروسية، وكبدها الخسائر الفادحة، وضربها الضربة القاصمة، مما جعلها تعيد تفكيرها من جديد بالعقيدة التي قام عليها هذا الكيان الضخم الذي أصبح في هذا القرن يمثل أحد التنينين الضخمين اللذين يبتلعان كل خيرات البشرية، ويمسحان كل ما يقف في وجهيهما من مبادئ، ويكتسحان ما يتراءى أمامهما من قيم ومثل، ويضيف الأصدقاء قائلين: أما وقد اندحر الروس، والقتال بين أبناء الشعب الواحد، ومن الصعب أن يذعن أحد الطرفين للآخر، فلابد من عقد مؤتمر دولي يفصل في القضية، وهذا الذي تنادي به أمريكا وروسيا ومعظم الدول في العالم.

ومن أجل إحكام الخطة لا بد أن يشدد الخناق على المجاهدين، فتوضع نقاط الأمم المتحدة لمراقبة المنافذ الحدودية الباكستانية إلى أفغانستان، ثم تخرج قرارا بمنع تصدير المواد الغذائية خارج باكستان، وتنقبض الأيدي عن العطاء والبذل للمجاهدين، بينما تتدفق الأموال والأسلحة من روسيا إلى النظام العميل، وقد ذكر المراقبون أن حوالي ثمانمائة دبابة حديثة وصلت **(كلكي)** في بغلان من الترسانة الروسية.

وفي الوقت نفسه يقوم بعض أدعياء الجهاد ويجوبون العالم ليحكموا مؤامرة إعادة ظاهر شاه عن طريق قندهار، مما اضطر المجاهدين أن يعلنوا أن أي مجاهد يلقى عليه القبض متلبسا بجريمة الدخول إلى قندهار للاتصال بالدولة فإنه يحكم عاما، والمجاهدون

---

١ ـ لهيب المعركة العدد ٥٥ التاريخ ٧ / ذوالقعدة ١٤٠٩هـ ـ الموافق: ١٠/٦/ ١٩٨٩م.
كتبت هذه الافتتاحية في بيت الشيخ من بعد ظهر يوم الخميس ٨/٦/١٩٨٩م الواقع في أرباب رود.

إزاء هذه المؤامرات يتلفتون فلا يجدون أحداً فيقولون:

ولو كان سهما واحداً لاتقيته ولكنـــه ســــهم وثان وثالث

ونحن إزاء هذه المؤامرة العالمية على الجهاد، وإجابة على علامات الاستفهام الكبيرة التي ترتسم في أذهان قراء الجهاد الأفغاني وعشاقه وأنصاره وأحبابه نضع الحقائق التالية:

١ ـ لقد تعجلنا مع قادة الجهاد بالإدلاء بالتصريحات المتتالية عن ضرب مواعيد قريبة لسقوط الدولة، فقد صرحنا والقادة كذلك أن سقوط جلال آباد سيكون خلال شهر أو دونه، أو سقوط كابل سيكون بين رمضان وعيد الأضحى، وتبين لنا أنا كنا جد متعجلين في إعطاء النتائج، ولم نكن محيطين بالأمور من كافة أنحائها، ولم يكن هذا حدسنا فحسب، بل كان ظن الدوائر العالمية كذلك، إذ أن كارلوتشي (وزير الدفاع الأمريكي السابق) قد صرح إثر خروج الدفعة الأخيرة من الجيش الروسي بأن الحكم الحالي -حكم نجيب- ساقط لا محالة، وأنه قد يكون في غضون ثلاثة أشهر، وأن المجاهدين قادمون للحكم لا محالة.

والحق أن سقوط المدن يصعب الحدس عليه، فقد تضع له في ذهنك مدة زمنية تستغرق عاماً فتسقط المدينه خلال شهر باستسلام حامية أو فرقة في المدينة للمجاهدين، وقد يخلف الظن فتزيد المدة عن عام.

والمتتبع للتاريخ الإسلامي والفتوحات يدرك هذه القضية بوضوح، ففي فتح العراق مثلا: حصلت معركة الجسر (في شعبان سنة ١٣ هـ)، وقد كان يقودها أبو عبيد الثقفي، وهزم بها المسلمون، وتحطم الجسر، وانكشف ظهر المسلمين للفرس، واستحر القتل بهم، فغرق من غرق، وقتل من قتل.

ثم حصلت معركة البويب في رمضان (سنة ١٣هـ)، وقد انتصر فيها المسلمون، ثم التقى الفرس وأجمعوا أمرهم على قتال المسلمين ، وحشد كسرى يزدجرد ملك الفرس جيشا لجبا قوامه مائة وعشرون ألفا، وولى عليه رستم، وأبطأ رستم بالخروج من المدائن إلى القادسية مدة أربعة أشهر عسى أن يضجر سعد بن أبي وقاص ومن معه من المسلمين.

وجرت القادسية في (١٤/ محرم/ ١٤هـ)، وكان النصر فيها حليف المسلمين، وقتل فيها من الفرس عشرون ألفا، واستشهد ألف وخمسمائة شهيد.

ثم كان فتح المدائن في صفر(سنة ١٦) ، والمعارك لا تتوقف بين المسلمين والفرس، فكان ما بين فتح القادسية والمدائن سنتان، وعجب عمر رضي الله عنه من هذه الحرب السجال بين الفرس والمسلمين، فترى النصر يوما للمسلمين فيدين لهم أهل البلد، ثم ينقض الأهالي العهد ويطردون المسلمين، وهكذا دواليك، واستعجم الأمر على عمر رضي الله عنه، وأشكل عليه الحل، وهو يخشى على المسلمين الدوائر، فعندما وصل الأحنف بن قيس يسوق الهرمزان قائد الفرس إلى عمر -رضي الله عنهم أجمعين- سأله عمر -إذ كان عمر يخشى أن المسلمين يلحقون حيفاً بأهل الذمة مما يجعلهم ينقضون العهد- فقال عمر: لعل المسلمين يفضون بأذى ويأمور لها ما ينتقضون بكم؟ فأجاب الأحنف: ما نعلم إلا وفاء وحسن ملكة، قال: فكيف هذا؟ فقال له الأحنف: يا أمير المؤمنين أخبرك أنك نهيتنا عن الإنسياح في البلاد، وأمرتنا بالاقتصار على ما في أيدينا، وإن ملك فارس حي بين أظهرهم، وإنهم لا يزالون يساجلوننا مادام ملكهم فيهم، ولم يجتمع ملكان يتفقان حتى يخرج أحدهما صاحبه، وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلا بانبعاثهم، وإن ملكهم هو الذي يبعثهم، ولايزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فلنسح في بلادهم حتى نزيله عن فارس ونخرجه عن مملكته وعن أمته، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس، فقال عمر: صدقتني والله وشرحت لي الأمر حقه.

وعليه فمادام نجيب على سدة حكمه، وكابل قائمة تتصبب عليها الأسلحة والأموال من روسيا كأنه الوابل المنهمر حتى قال المراقبون: إن نفقات روسيا الآن على أفغانستان قد تزيد على نفقاتها أثناء وجود قواتها، فما دامت العاصمة كابل لم تسقط بعد بيد المجاهدين فإن القوافل التي تخرج تباعا لإمداد جند الكفر في جلال آباد وقندهار وبغلان ستبقى مستمرة، مما يجعل سقوط المدن صعبا ويحتاج فترة أطول.

٢ ـ القضية الثانية: نحن بإذن الله نرى أن الحكم الشيوعي آيل إلى السقوط، وإنما القضية لا تعدو أن تكون زمنية، وقد يطول الزمن أو يقصر حسب تقدير الله وعلمه.

٣ ـ الأمر الثالث: أن معنويات الشيوعيين متحطمة، بينما تجد معنويات المجاهدين مرتفعة رغم القرح الذي اصابهم:

{الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا أجر عظيم} (آل عمران: ١٧٢)

٤ ـ ما من يوم يمر في أفغانستان إلا ويحقق المجاهدون انتصارا وتقدما مهما كان جزئيا.

٥ ـ إن المدن كلها في أفغانستان في حصار شديد، والمجاهدون يحيطون بها إحاطة السوار بالمعصم، والإمداد معظمه جوي بالطائرات، والحياة خانقة في المدن الأفغانية، وارتفاع الأسعار في ازدياد مستمر، والروبية الأفغانية في هبوط دائم، ولغة نجيب في مخاطبة المجاهدين والشعب الأفغاني في ذل وضعف واستكانة.

ولكننا نهيب بالمسلمين أخيرا أن لا ينكلوا عنا، وأن لا يعيل صبرهم فيكفوا أيديهم عن البذل. فالنصر قادم بإذن الله: {والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون}

وأما نحن وهو لسان حال كثير من القادة فإننا نردد ما قاله أبو بكر يوم الردة لعمر بن الخطاب وهو يقول له يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم، فأجابه أبوبكر: (رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك: أجبار في الجاهلية وخوار في الإسلام؟ إنه قد انقطع الوحي، وتم الدين، أوينقص الدين وأنا حي؟!! والله لو خذلني الناس جميعا لجاهدتهم بنفسي، والله لو منعوني عناقا (سخلة) وفي رواية عقالا (رباط الدابة) لقاتلتهم على منعه).

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى   فما انقادت الآمال إلا لصابر

وما لنا لا نقول:

ولن أصالحكم مادام لي فرس   واشتد قبضا على الصمصام إبهامي

((فإنما هي إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة))، فلا نكوص عن الطريق، ولا تراجع عن الغاية، ولا محيد عن إقامة الدولة الإسلامية في أفغانستان بإذن الله.

بين جلال آباد وتستر[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فالعالم كله في ذهول يبحثون عن مخرج من الأزمة الكبرى، إنها معضلة مذهلة تكاد تفقد الكفر صوابه، وكأن لسان حالهم يخاطب نفوسهم (يداك أوكتا وفوك نفخ)، جند الله قد أعدوا أنفسهم ونصبوا سرادقهم، وأخذوا مواقعهم من خنادقهم، وهم جادون يوصلون جهد الليل بكد النهار، لا يشغلهم إلا توفير الطعام، وتخزين الذخيرة، وجمع الدواء، والمحافظة على طرق الإمداد إلى كابل وجلال أباد وقندهار.

وأما أعداء الله فقد أشغلتهم الدواهي، وحيرتهم المصائب التي يتوقعونها من وصول ليوث الله إلى الحكم.

فماذا عساهم يفعلون؟ أو بأي صارم يضربون؟ وفي أي جادة يسلكون؟ أونؤلب عليهم الدول المحدقة بهم؟ أم نصرم المودة بينهم وبين الدولة المضيفة لهم؟ أو نقطع حبال المودة بينهم وبين من يتعاطف معهم من العالم الإسلامي؟

قال قائلهم: سلطوا أجهزة البث على صوتهم فاخنقوه، وعلى طريقهم الواضح فشوهوه، وعلى ذيلهم الطاهر فلطخوه.

ومن قائل يقول: لا بل ابحثوا عن الملك الغابر فلمعوه، وعن المومياء المحنطة فانشروها بثوب الأحياء، واتفق كبار القوم وأئمة الكفر على حكومة علمانية.

فأمريكا وروسيا قد بيتوا أمرهم وأجمعوا كيدهم أن يرجعوا ظاهرشاه أو رجلا من حاشيته ممن تخموا من أكل الفتات على موائده، ويشموا لكثرة ما عبوا من سؤره وكؤوسه، مثل محمد يوسف وعبد الحكيم طبيبي.

ولقد اتفق الجميع على ظاهر شاه، ولكن الخلاف بين التنينين الأكبرين حول شكل الدولة:

١ ـ فأمريكا تريدها دولة محايدة ليس فيها من الأصوليين ولا من المجاهدين ولا من الشيوعيين. إنما يشغلها ربائب الغرب ممن

[1] ـ لهيب المعركة العدد ٥٦ التاريخ ١٤ ذو القعدة ١٤٠٩هـ ـ الموافق: ١٧ / ٦ /١٩٨٩م

عاشوا تحت الأكناف، وتربوا وراء الكواليس على عين أمريكا وتحت سمعها وبصرها، وكانت آخر تقليعة سمعناها بالأمس أننا نريد دولة {تكنو قراط: أي دولة الفنيين والمختصين} أي دولة الأطباء والمهندسين والاقتصاديين والسياسيين الذين نالوا شهاداتهم من هارفارد وكولومبيا وتورث كارولاينا وساوث كاليفورنيا ... ممن تتلمذوا على يد كيسنجر وصفروني وبيربانتي وغيرهم والموساد ببرامجهم ومؤتمراتهم ليكونوا CIA ممن تدعمهم يده الأمينة الضاربة وعيبة نصحها (مستشارها وخزانة أسرارها) إذا ادلهمت الخطوب واشتدت الكروب، ويقول الأمريكان وصنائعهم: نحن لا نريدها دولة دائمة مستقرة، إنما نريدها دولة انتقالية تشرف على الانتخابات، وتستلم الحكم من نجيب لتسلمها آليا وأتوماتيكيا إلى المجاهدين، ولعمر الحق إن هذا إلا اختلاق.

ب ـ وأما روسيا فهي تصب مساعداتها وذخائرها بالجسور الجوية التي لا تكاد تنقطع، وهي تريدها دولة ائتلافية: تشترك فيها جميع الأطراف وعلى رأسها حكم نجيب القائم وحزبه الشيوعي.

وأمريكا إنما ترفض بقاء نجيب لأنها تعلم علم اليقين أن هذا يحيل الهزيمة الروسية وانحسار قواتها إلى أمر صوري، ويبقى أفغانستان لعبة في يد روسيا تقيم فيها قواعدها، ويعود مطار شندند برهبته التي تخيم على سماء المنطقة البترولية العربية، إذ لا يبعد شندند عن الخليج أكثر من ١٥ دقيقة بالطائرة، ودعك عن قندهار التي تلتصق بإقليم بلوشستان الذي يقع الخليج العربي والبحر العربي على حافتيه.

كل هذا والصحف التي تدور في فلك الإعلام الغربي و الشرقي جاهدة في تصوير الجهاد الأفغاني أنه حرب أهلية، وأنها سفك دماء المسلمين بعضهم لبعض، وكل من يقدم درهما في هذا الطريق فإنما يساهم في إراقة دماء المسلمين وانتهاك أعراضهم.

وأما المجاهدون: فهم في طريقهم سائرون، وهم عن لغو الغرب معرضون، وعن لهو الشرق صفحا مضربون، إنهم منشغلون بمعركتهم التي لا تتوقف، وبحصارهم المضروب حول كابل وجلال آباد وقندهار، أحكم الخناق على قندهار، فجأر السكان إلى حكمتيار؟ ما بالكم تقتلوننا جوعا بطوقكم؟ أما آن لهذا الليل أن ينجلي؟ فيشير عليهم بالخروج بعد أن تعهد بتوفير الطحين والخيام لهم.

محافظ لغمان يستمهل المجاهدين أسبوعين للاستسلام، والطريق ما بين كابل وجلال آباد أحكمت إغلاقا -تقريبا-، فحاولت قافلة أن تشق طريقها لإطعام البائسين والأشقياء من المحرومين في الدنيا والآخرة، فلقي من فيها مصرعهم حرقا قبل نار يوم القيامة. والمجاهدون مطمئنون أن الله سيفتح عليهم جلال آباد وكابل، وأن دولة الكفر ستنهار مهما اشتد القتال وطال الحصار.

إن الطمأنينة التي تغمرهم، والسكينة التي تغرق جوانحهم عجيبة، حتى في أشد الساعات العصيبة، وأحرج الأوقات الرهيبة، لنا في السابقين عبرة وكأن لسان حالهم يقول:

إن وقفنا أمام أسوار جلال آباد شهرين فقد وقف آباؤنا من الصحب الكرام على أبواب حصن بابليون بمصر ستة أشهر وتحت قيادة عمرو بن العاص.

وإن تأخر فتح قندهار عدة أشهر فقد حاصر السلف من الصحابة والتابعين تستر (مدينة الهرمزان) سنة ونصف إلى سنتين كما يروي ابن كثير، وما سقطت إلا بعد أن لجأ المسلمون إلى الله ثم إلى البراء بن مالك -رضي الله عنهم أجمعين- قائلين يا براء: أنت الذي قال فيك رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره، فأقسم على ربك ليهزمهم لنا، فقال: اللهم اهزمهم لنا واستشهدني، فهزموا وقتل البراء شهيدا)[1] .

وقد خاض المسلمون ثمانين معركة وزحفوا لتستر، ثمانين زحفا كانوا بين كر وفر، وكأنهم يقولون: ولو طال الزمن لأشهر أو لعام أو أكثر بين الهزيمة الروسية وبين سقوط حكم عميلهم نجيب، فلقد كانت القادسية في (١٤ محرم ١٤هـ)، وكان فتح الفتوح (معركة نهاوند) سنة (٢١ هـ)، فهي سبع سنوات متواصلة من القتال الدائب حتى سقطت معظم أصقاع العراق وبقاعها.

١- البداية والنهاية ٩٦/٧.

التوكل على الله ومواصلة الطريق:

إن المجاهدين بإذن الله ماضون على طريقهم، لا يلتفتون إلى الكيد العالمي، وإنها لتذكرنا بالصفحات المشرقة التي فتح بها الشرق -العراق وإيران وخراسان- أول مرة.

فلقد كتب عمر إلى سعد رضي الله عنهم: (لا يكربنك ما يأتيك عنهم ولا ما يأتوك به، واستعن بالله وتوكل عليه)، فرد عليه سعد (ليس شيء أهم عندي ولا أكثر ذكرا مني لما أحببت أن أكون عليه من الاستعانة والتوكل)(1)

وعندما أرسل سعد وفدا إلى رستم منهم النعمان بن مقرن والمغيرة بن شعبة وفرات بن حيان فقال لهم رستم: (ما أقدمكم؟ فقالوا: جئنا لموعود الله إيانا أخذ بلادكم وسبي نسائكم وأبنائكم وأخذ أموالكم، فنحن على يقين من ذلك) (2) ، ونحن -بإذن الله- على يقين من وعد الله لعباده المجاهدين بالفتح والتمكين: **(ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا)**.

المسلمون قادمون(3)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ففي الوقت الذي تنهار فيه حضارة الغرب تدريجيا، ويعلن فيه فلاسفتها وصناعها أن هذه الحضارة بقدر ما قدمت للبشرية من إمكانيات مادية تشبه الخيال فإنها أفلست في عالم القيم، وفشلت فشلا ذريعا أن تقدم السعادة للإنسان.

أقول في هذا الوقت وعلى قدر من الله جاءت الصحوة الإسلامية، وبدأ الجهاد الإسلامي الذي لا يمكن لأي مجتمع إسلامي أن يقوم إلا على أثره، ونتيجة طبيعية وثمرة منطقية له.

لقد أعلن (برتراند رسل) قبل ثلاثة عقود تقريباً قائلا: (انتهى دور الرجل الأبيض)، ولقد أعلن الرئيس نيكسون في أول خطاب رسمي له بعد انتخابه رئيسا للولايات المتحدة قائلا: (إننا نجد أنفسنا أثرياء في البضائع، ولكن ممزقين في الروح، ونصل بدقة رائعة إلى القمر، وأما على الأرض فنتخبط في متاهات ومتاعب كثيرة).

ويقول العالم الإسباني فيلا سبازا: (إن جميع اكتشافات الغرب العجيبة ليست جديرة بكفكفة دمعة واحدة، ولا تقديم ابتسامة واحدة، وليس أجدر من أمم الشرق المتحفظة بالثقافة العربية الإسلامية بوضع حد نهائي لتدهور الغرب المشئوم الذي يجر الإنسانية إلى هوة التوحش والتسلط المادي).

وما أجمل ما قاله الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري فيها:

حضارة الطين تستوفي نهايتها	*في الشرق والغرب من قانونها الوبق*
عاشت وعشنا بها القرنين في كبد	*حرب الفناء وسلم الهم والأرق*
نضيع في تيه ما تمليه من نظم	*من صنع مؤتفك للزور مختلق*
تطوي مراحلها النكداء في قلق	*وقد تخدره بالخمر والشبق*

فالرأسمالية قد سقطت في جحيم الشهوات، وفي مستنقع النزوات، حتى أصبحت بأموالها تقتل نفسها، وهرب الإنسان من نفسه إلى الخمر، فلم ينسه همومه، ثم إلى المخدرات التي تأكل جسده بعد روحه، وأصبحت شبحا رهيباً يسيطر على الغرب والشرق، ثم إلى التمرد على المجتمع، والجريمة التي لا طائل من ورائها سوى أنها ردود فعل داخلية يريد أن ينفس فيها الشقي عن قلق، وليس بعد هذا كله سوى الانتحار.

ففي إحصائية نشرت في الولايات المتحدة جاء فيها ما تقشعر له الأبدان لهول الكارثة، لأنها تصور الدرك الهابط الذي سقط فيه الإنسان:

(جريمة واحد تتم كل ٢٤ دقيقة، ويجري في كل عشر ثوان اقتحام منزل وسرقة، ومع ذلك يوجد السلاح المعروض للبيع الحر مسدس لكل أربعة أمريكيين، وتباع قطعة سلاح في كل ١٣ ثانية، أما الاختطاف والإجهاض والانهيار والانتحار والإدمان والتمرد والشذوذ الجنسي فحدث عن موج البحر ولا حرج) الإسلام وأزمة الحضارة للأميري ٢٩.

وأما الإنسان وراء الستار الحديدي الأحمر فحدث عن شقائه وضنكه وحيرته واضطرابه ولا حرج، عدا عن الضغط النفسي

١- البداية والنهاية لابن كثير ٤٣/٧. ٢-البداية والنهاية ٤٢/١.

٣- لهيب المعركة العدد (٥٧) التاريخ ٢١/ ذو القعدة / ١٤٠٩هـ - الموافق ٢٤/ يونيو/١٩٨٩م.

الذي يعيشه الآدمي تحت سياط الحكم الإرهابي، ونفسية الإنسان المسحوقة بين المطرقة والسندان في الجو البوليسي الرهيب الذي تزاوله عصابات قطاع الطرق على سعادة الإنسان باسم الحزب الشيوعي وكوادره، حتى تجد أساتذة الجامعات بإمكانك أن تشتريهم ببنطال جينز أمريكي، أو صندوق دخان غربي.

طريق الخلاص:

وليس أمام الإنسان المنكود من طريق الخلاص سوى الرجوع إلى الله، ولا يمكن للإنسان الغربي أن يرجع إلى الله بهذه السهولة، فهو كمن يسبح ضد تيار نهر متدفق بأمواج متلاطمة لا يمكن مقاومتها.

ورجوع البشرية إلى الله له طريق واحد: أن تقوم جماعة إسلامية تدعو إلى الدين الخالص، فتقوم الجاهلية في وجهها تشن عليها كل وسائل التشويه، وتسلك حيالها بكل السحق والإبادة، ثم تعلن الجماعة الإسلامية الجهاد، وتشعل فتيله، وينضم الشعب إلى الحركة الإسلامية تدريجيا، ويكون الشعب وقود هذه المعركة الطويلة، ويدخر الله بعض أبناء الحركة الإسلامية أحياء لقطف ثمار الجهاد وحصد زرعه.

وعندها يستلم أبناء الحركة الحكم، ويقيمون المجتمع المسلم، ويطبقون دين الله فوق أرضه، فإذا رأى الناس المجتمع المسلم يفيئون إلى دين الله ويدخلون في دين الله أفواجا.

التجربة الضخمة:

والآن قام الجهاد الأفغاني، وسار في نفس الخطوات السالفة الذكر، وقرب قطف الثمار، والآن المجاهدون حول كابل قد بدأوا يدمرون الحزام الأمني الثاني، وقد أخبرنا حكمتيار قبل يومين أن المجاهدين قد افتتحوا مديرية كبرى من مديريات كابل وهي (مير بجاكوت)، وينتظر هذا الصيف معارك ساخنة شرسة حول كابل، وأحكم المجاهدون الحصار حول قندهار وجلال آباد.

وهنا قام الغرب والشرق وتقاسموا فيما بينهم أن لا يصل المجاهدون الحكم، فكانت هذه الإجراءات الصارمة التي تراها في الساحة يوما بعد يوم، من وضع نقاط الهدنة على الحدود، ومنع تصدير المواد الغذائية من باكستان (أي منع وصول الطعام إلى المجاهدين)، وقبض اليد الصديقة من مد المجاهدين بالضروريات، والمؤامرات العالمية لإرجاع ظاهر شاه، والحكومة العريضة والمحايدة، وإثارة فتنة الوهابية، ومحاربة العرب المجاهدين على قدم وساق لتحجيم قضية الجهاد وردها من معركة جهاد إسلامي عالمي إلى قتال إقليم اسمه أفغانستان، والحرب الأهلية، والحملات الإعلامية الشرسة التي يشنها الغرب على المجاهدين الصادقين، وطمس معالم الحقيقة، وإظهار الجهاد بصورة باهتة، وتقديم المجاهدين بصورة العاجز أن يواجه الحكم الشيوعي الذي أثبت جدارته، وهكذا دواليك وكانت آخر صيحة (حكومة التكنوقراط) التي تريدها أمريكا من صنائعها الذين تربوا فيما وراء الكواليس.

إنها أمريكا :

التي تبحث عن حل لأزماتها النفسية ومشاكلها الاجتماعية المعقدة، وعن دواء ناجع لأدوائها وأمراضها، وهذا العلاج موجود في صيدلية واحدة وهي الصيدلية الإسلامية التي قرب فتحها -إن شاء الله- في أفغانستان، ولكننا نجدهم يحاولون أن يبتروا كل يد تمتد إليهم بالإحسان، ويكسروا كل زجاجة فيها علاجهم، أريد حياته ويريد قتلي، إنهم يتخبطون كالذي يتخبطه الشيطان من المس، إنهم يحاولون أن يوقفوا النواميس الإلهية، ويصادموا القوانين الإلهية، فهذا الدين قادم -بإذن الله- آجلا أو عاجلا، ونأمل أن تكون أفغانستان هي (بوابة التاريخ الإسلامي الحديث)، وهذا أمل المسلمين في أرجاء العالم أجمع، وكأن لسان حال كل مسلم يردد منشدا:

بني الأفغان شدو العزم لا تلقوا السـلاح

صقر سينبت ريشه من رمسه شجر الرماح

ليل بهيم مدلهم بيد أن الديك صـــــاح

الصبح موعدكم بكم ستعود تزدهر البطاح

ويهزكم ويهز كل الكون حي على الفلاح

فالمسلمون قادمون بإذن الله .

دعم الجهاد إنقاذ للبشرية[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. أما بعد:

فكل مراقب لمسيرة البشرية اليوم وتياراتها يدرك أن هذه البشرية جامحة نحو الهلاك، ميممة شطر الدمار الذي ينتظرها، ما لم يتداركها الله برحمته.

وعقلاء القوم من أبناء الحضارة الغربية ممن لم يجرفهم التيار، ولم تطرحهم أعاصيرها في مهاوي الردى ومستنقعات البؤس والشقاء لاحظوا منذ بداية هذا القرن أن شجرة الحضارة الغربية بشقيها الرأسمالي الليبرالي (الفردي الحر)، وفرعها الاشتراكي الجماعي الشيوعي آخذ بالاضمحلال، وفي طريقه إلى الزوال.

ولا يمكن لحضارة تتعامى عن فطرة الإنسان، وتتجاهل صبغته وتركيبه النفسي والروحي والجسدي، لا يمكنها أن تعيش طويلا، لأنها تصطدم مع قوانين الله التي أودعها الفطرة البشرية، و هذه القوانين غلابة، ستتحطم عليها كل الأنظمة التي لا تقوم على مراعاتها أو تتجاهلها.

[فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون] (الروم: ٣٠) .

إن قوانين الله التي أقام عليها النفس البشرية تتوافق مع القوانين التي خلق بها الوجود، وهي تتناسق جميعاً مع القوانين التي أودعها الله كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم في هذا الدين .

ففطرة الإنسان وناموس الكون، ودين الله كلها من عند الله، وخرجت من مشكاة واحدة، وهي جميعاً متوافقة متناسقة تسير في خط واحد.

فإذا استقام الإنسان على هذا الدين فقد استقام مع قانون جسده وروحه، وتوافق مع قانون الكون والحياة.

فإذا انحرف الإنسان لشهوته عن هذا الدين، وتنكب الجادة القويمة بنزواته، فإنه يصطدم لا محالة بقوانين فطرته وخلقته وصبغته، وهنا يقوم الصراع بين فطرة قائمة على قانون الله، وبين نفس يقودها الهوى من خطام شهواتها، ويسيرها بلجام نزواتها، وتكون نتيجة الصراع قطعاً تحطم النفس على صخرة قوانين الفطرة التي لا تهزم ولا تتحطم، فتنشأ الأمراض النفسية والعقلية والعصبية، ويتبعها الجنون، ويتخلل مسيرة الشقاء الهرب إلى الكحول والمخدرات، وقد تنتهي المسرحية بالانتحار.

وقد تحطمت الحضارة الأوربية بشقيها بسبب تجاهلها لفطرة الله التي أودعها هذا الإنسان، وذبلت شجرتها بفرعيها بسبب تجاوزها لصبغة الله في هذا الإنسان وفي هذا القرآن.

وقد كتب الفلاسفة الغربيون والشرقيون رواياتهم وكتبهم حول تحطم الحضارة، وعن محاولة إنقاذ سريعة للبشرية ببديل يشفي العليل.

فمن أوائل الذين كتبوا: شبنجلر الألماني حينما كتب كتابه (تدهور الغرب)، والروسي هلكسلي (جسور في طريق الانهيار)، كابوت وقد كتب (الأماكن المسمومة). وميشيل روناك وله رواية (الغزو المجهول)، وكتب بوزنس رواية (أوروبا بعد المطر)، من اشهر الكتب التي غاصت في أعماق المأساة كتاب ألكسيس كاريل (الإنسان ذلك المجهول).

وكتب جارودي الفيلسوف الفرنسي الشيوعي الذي رجع إلى الله كتبا كثيرة منها (حوار بين الحضارات).

يقول كاريل: (إلى أولئك الذين يجدون من أنفسهم شجاعة كافية ليدركوا ليس فقط ضرورة إحداث تغييرات عقلية وسياسية واجتماعية، بل أيضاً ضرورة قلب الحضارة الصناعية وظهور فكرة أخرى للتقدم البشري)، فجاء جارودي واثقاً مخلصا ينادي بإيمان: إنها الإسلام.

ويصف الأستاذ سيد قطب حالة البشرية المتردية اليوم في كتابه (خصائص التصور الإسلامي) ص ٨٩ فيقول: (والعاقل الواعي الذي يأخذه الدوار الذي يلخذ البشرية اليوم حين ينظر إلى هذه البشرية المنكودة، يراها تتخبط في تصوراتها وأنظمتها

---

١ ـ لهيب المعركة العدد ٥٨ التاريخ ٢٨ / ذوالقعدة ١٤٠٩هـ ـ الموافق: ١ / ٧ / ١٩٨٩م

وأوضاعها وتقاليدها وعاداتها وحركاتها تخبط خبط عشواء، يراها تخلع ثيابها وتلقيها كالمهووس، وتتشنج في حركاتها، وتتخبط كالممسوس. يراها تغير أزياءها في الفكر والاعتقاد، كما تغير أزياءها في الملابس وفق بيوت الأزياء!

يراها تصرخ من الألم، وتجري كالمطارد، وتضحك كالمجنون، وتعربد كالسكير، وتبحث عن لا شيء! وتجري وراء أخيلة! وتقذف بأثمن ما تملك، وتحتضن أقذر ما تمسك به يداها من أحجار وأوضار، لعنة! لعنة كالتي تتحدث عنها الأساطير، إنها تقتل الإنسان وتحوله إلى آلة لتضاعف الإنتاج، إنها تقضي على مقوماته الإنسانية، وعلى أحاسيسه بالخلق والجمال والمعاني السامية لتحقيق الربح لعدد قليل من المرابين وتجار الشهوات ومنتجي الأفلام السينمائية وبيوت الأزياء، وتنظر إلى وجوه الناس ونظراتهم، وأزيائهم وحركاتهم، وأفكارهم وآرائهم ودعواتهم، فيخيل إليك أنهم هاربون مطاردون لا يلوون على شيء، ولا يثبتون من شيء، وهم هاربون فعلا، هاربون من نفوسهم القلقة الحائرة، التي لا تستقر على شيء ثابت، ولا تدور حول محور ثابت.. وحول هذه البشرية المنكودة زمرة من المنتفعين بهذه الحيرة الطاغية، وهذا الشرود القاتل.. زمرة من المرابين، ومنتجي السينما، وصانعي الأدعياء والصحفيين والكتاب... يهتفون لها بالمزيد من التخبط والصراع والدوار، كلما تعبت وكلّت خطاها وحنت إلى المدار المنضبط والمحور الثابت وحاولت أن تعود.

زمرة تهتف لها: التطور.. الانطلاق.. التجديد بلا ضوابط ولاحدود.. إنها الجريمة.. الجريمة المنكرة في حق البشرية كلها.. وفي حق هذا الجيل المنكود.

مستشفيات الإنقاذ وفرق الإخلاء :

ولذا لابد للبشرية من إنقاذ سريع، ولا بد من توفير سيارات إسعاف، وفرق للتخلية لتخليص الجرحى وتقديم الدواء العاجل لهذه البشرية المحزونة المنكودة.

طبيعة أوروبا :

وأمريكا وهي أشد أبناء أوروبا تمردا وعنجهية وإيمانا باستعمال العضلات هي وأمها أوروبا وريثة الحضارة الرومانية، والحضارة الرومانية قائمة على القوة، ولذا كانت مشاهد مصارعة الثيران الإسبانية، وصراع الأسرى مع الأسود التي تجوّع ثم تفت عليهم من أحب المناظر إلى الجماهير التي كانت ألوفها المؤلفة تهيج منتشية بالتصفيق الحاد كلما انتزع الأسد شلوا من أشلاء الأسير، أو حطم جمجمته، أو بقر بطنه ببراثنه واندلقت أقتابه.

ولذا فأحب الأفلام إلى الأمريكان هي أفلام رعاة البقر (COWBOY)، وأفلام المغامرات البوليسية، ولذا فالضعيف ساقط في أنظار الغرب ولا وجود له، بل لا يستحق الحياة.

إن قانون الحياة عندهم (تنازع البقاء وبقاء الأصلح) (وصراع الأقوياء مع الضعفاء).

من يقدم الدواء:

ونحن المسلمون هم الجهة الوحيدة التي تملك دواء أمراض الغرب، ونحن أهل هذا الدين فقط الذين يمكننا أن نقدم سيارات الإسعاف لإخلاء جرحى الحضارة الغربية المتساقطين على شوارعها، والذين تضمهم مستشفياتها النفسية والعقلية والعصبية، ولكن الغرب لا يأخذ الدواء من الضعيف، بل لابد له من القوي الذي يحترمه فيتناول العلاج الذي فوقه راحته.

الأفغان نالوا احترام الغرب:

قال وزراء دفاع حلف الأطلسي لكارلوتشي وزير الدفاع الأمريكي السابق (يبدو أن غورباتشوف قد غير سياسته تجاه الغرب! فقال كارلوتشي: لقد أجبر الأفغان غورباتشوف أن يغير سياسته تجاه العالم).

وقد أقبل أرماكوست وكيل الخارجية الأمريكية على برهان الدين رباني، فوقف رباني ليسلم عليه، فقال أرماكوست: (يا سيدي لا تقم! أنت يقام لك ولا تقوم). ولذا فإن الأفغان الآن هم أقدر الناس على تقديم هذا العلاج للغرب.

وزن الجهاد الأفغاني:

ولذا فإن وزن الجهاد الأفغاني ثقيل في ميزان الغرب، بل في ميزان العقلاء في العالم أجمع. ومن هنا نحن ننظر للجهاد الأفغاني كعملية إنقاذ ليس للأراضي الأفغانية فحسب، ولا الأمة الإسلامية فقط، بل محاولة جريئة لإنقاذ البشرية جمعاء، أما الغرب فهم ينظرون إلى الجهاد نظرة خوف ورعب، لأنهم يدركون أن له ما بعده، ولذا فالدراسات على الجهاد قائمة على قدم وساق.

نظرتي إلى الصحف اليسارية (أهل الشمال):

ولذا فإنني أنظر نظرة رثاء وحزن للكويتيين الذين يكتبون في صحف الوطن والسياسة والأنباء، وهم يحاولون أن يجهضوا أضخم نصر حققه المسلمون في هذا القرن، وينتقون محاولين أن يبتروا اليد القوية التي تحمل الدواء لهم أولا، وللأمة المسلمة كلها، وللإنسانية المعذبة الشقية فوق المعمورة.

أنظر إليهم وهم يلعبون لعب الأطفال، ويلتفون لثغ الأطفال، أنظر إليهم من عل وإلى اهتماماتهم الصغيرة الهزيلة، وأعجب، ما بال هؤلاء الناس يعيشون في المستنقع الآسن، والدرك الهابط، وفي الظلام البهيم، ويتركون في هذا المرتع الزكي والمرتقى العلي الوضيء؟! وقديما قيل:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

وما أجمل قول أبي الطيب في أمثال هؤلاء:

وقد يلقبه المجنون حاسده ... إذا اختلطن وبعض العقل عقال

وإني لأحمدالله أن جعلني ممن ينظر إلى هؤلاء باستخفاف واستعلاء، ولا يحلو لي إلا أن أردد لهم:

ذل من يغبط الذليل بعيش ... رب عيش أخف منه الحمام

ثم أقول لهم:

وهبني قلت هذا الصبح ليل ... أيعمى العالمون عن الضياء

دعم الجهاد الأفغاني هو إنقاذ للبشرية:

ولذا وبعد أن حقق الجهاد الأفغاني ما حقق، وليوثه تربض على أبواب كابل تتربص الانقضاض على فرائسها

لا يدرك المجد إلا سيد فطن ... لما يشق على السادات فعال

القائد الأسد غذتها براثنه ... مثلها من عداه وهي أشبال

القاتل السيف في جسم القتيل به ... وللسيوف كما للناس آجال

ولذا فإن الذين يدعمون الجهاد الأفغاني إنما هم أفراد من فرق الإسعاف لإنقاذ البشرية.

عقوبة المثبطين:

أما المشوشون والمرجفون والمثبطون والمبطئون والمعوقون عن الجهاد الأفغاني فحسبهم قول الله فيهم:

[الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم] (التوبة:٧٩)

[ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين، لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين)(التوبة:٤٦-٤٧).

فكفى المثبطين قول الله:

[سخر الله منهم، ولهم عذاب أليم]. [كره الله انبعاثهم] (اقعدوا مع القاعدين]

وسماهم ظالمين وأصحاب فتنة ووضيعة، والتي تدل على السقوط والدناءة.

ونحن نكل هؤلاء إلى الله الذي سينزل عليهم قوارعه في الدنيا والآخرة كما وعدنا في كتابه.

لاتنكروا بالشتاء[1]

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فمن غرفة لاصقة بسفح الجبل الأبيض (سفيدكوه بالفارسية) أو سبين غر (بالبشتو) والذي يتصل بين ولايتي بكتيا وننجرهار ، من هذه الغرفة التي تبدو وكأنها عش الصقور البازية، أكتب هذا المقال، ومن داخل معسكر الفتح الذي له في أعماق النفس ذكريات عزيزة، فالنفس ذاتها تعرضت للمخاطر كثيرا في هذا السفح وفي القمم المجاورة لها في جاجي التي تعد عاصمة دولة المجاهدين في أفغانستان ، ولقد شهدت بنفسي معارك شرسة بجانب (حكمت يار) و(سياف) مع القوى الروسية التي طالما استماتت لتضع لها موطيء قدم في هذا المكان، طمعا منها أن تغلق هذا الطريق الذي يعد من أكبر منافذ أفغانستان بلا منازع، ولكنها كانت تعود في كل مرة خائبة ، ولأهمية الأحداث الضخمة التي دارت رحاها في هذا المعسكر وفي المعسكرات التي حوله، ولأنها حفرت بسخونة وطئها، ولما لها من أخاديد في أعماق نفوسهم، فقد قال لي حكمتيار:

(لقد أوصيت أبناء الحزب الإسلامي إن وافتني المنية في باكستان أن يجعلوا جـــــــدثي (قبري) في الفتح، وإن استشهدت في أفغانستان أن يجعلوا رمسي (قبري) حيث مصرعي).

وأما سياف فلشدة حبه لهذه المنطقة فقد اتخذها مقرا لدولته ومركزا لوزارته.

وعندما حطت بنا السيارة أمام هذه الغرفة قال لي حكمتيار : هنا مقر وزير خارجية دولة المجاهدين ، ولازالت الثلوج تغطي المنطقة المحيطة بها، إذ أن الثلج قلما يذوب من فوق هذه الذرى التي تأخذ روعتها وجمالها ومنظرها الأخاذ من اللون الأبيض الذي يلف العمامة البيضاء لقمم هذا الجبل الشماء .

وهذه القمم تشدنا بذكرياتها العزيزة إلى شهداء المأسدة، إلى أبي الذهب، وهشام منصور، وعبد المنان (بسيد الكلشة)، وحمدي البنا ، وأحمدالزهراني ، ومنصور المصري المدرب

ثم انقضت تلك السنون وأهلها   فكأنها وكأنهم أحــــــلام

ونمنا ليلتنا التي لا يختلف زمهريرها عن أي مكان بارد آخر في ديسمبر أو يناير ، وأنها ليلة نابغية كانت شديدة على جسدي، حتى إذا أذن الفجر كنت أبحث عن إبريق ماء دافيء بحث الهيم العطاش إلى ما يبل صداها أو يروي ظمأها ، وصلينا الفجر وراء عبدالله أنس، وما تمنيت قصر الصلاة واختصار تلاوتها بمثل هذه المواقف، ثم وضعت رأسي على النمرقــة (الوسادة) لعلي أجد بعض الراحة.

وفي صباح اليوم التالي الأربعاء في الثاني من ذي الحجة سنة (١٤٠٩هـ) حضر حكمتيار مع أبي الحسن المدني ومحمد صديقي ومجموعة من الإخوة العرب، ودار الحديث حول فتح كابل والإعدادات التي تتخذ من أجل معركتها ، ورأيت حكمتيار متفائلا جدا بالنسبة للفتح، وأنه إن شاء الله سيتم خلال هذا الصيف ، إذ أن ابا الحسن كان يتكلم وتحيط به ثلة من الإخوة العرب المسؤولين في كابل ، ويعرض بين يدي المهندس الإعدادات التي تم إجراؤها وتنفيذها من أجل معركة كابل القادمة.

قال أبو الحسن: وقد أخذنا على المجاهدين حول كابل عهدا ألا ينسحبوا هذا العام بسبب الثلوج، لئلا يدعوا خطوط النار التي وصلوها على تلال الأشلاء وبحور الدماء .

فقال المهندس حكمتيار مقاطعا : لا تفكروا في الشتاء، ولا تفاتحوهم الآن إلا بمعركة الصيف، لأن الأمل بالله – عز وجل – كبير أن يكون الفتح خلال هذا الصيف .

الموازين المنظورة:

إن القوى المنظورة لدى المراقب تبدي له أن حسم المعركة في هذا الصيف قد يكون أمرا جللا، ومعضلة عويصة دونها عقبات كئداء لا تطيقها طاقات المجاهدين ، ولا تقدر على اجتيازها، خاصة وقد شح العطاء، وقبضت الأيدي، وانطلق الملأ من المرجفين في

---

١ ـ لهيب المعركة العدد ٥٩ التاريخ ٥ ذوالحجة ١٤٠٩هـ الموافق: ٢٢/يوليو ١٩٨٩م.

ملاحظة: أرسلت هذه الافتتاحيه من داخل أفغانستان حيث كان الشيخ في رحله تاريخية مع حكمتيار.

الخليج يعيدون ويبدئون أن المجاهدين قد وصلوا إلى حائط مسدود، وأصبح حسم المعركة عسكريا بعيد المنال، والمجاهدون إن كانوا يحلمون أنهم سيطيحون بحكم نجيب فهم كساع إلى أسد الشرى يستبيحها ، بالإضافة إلى أن كثرة العزف على لحن (الحرب الاهلية) في أفغانستان، وأنها دماء المسلمين تراق بقتال شديد من أجل المصالح الذاتية والأهواء الشخصية والمطامع الفردية التي تؤجج نارها التنافس على كرسي الحكم، والخصومات التي يضرم نارها اللعاب السائل لاستلام سدة السلطان وصولجان الملك، وليس للإسلام في هذه الحرب الآن ناقة ولا جمل !!!

ولقد استطاعت أجهزة البث والتوجيه في الخليج (القبس ، السياسة ، الوطن و...) أن تشكك الناس بهذا الجهاد الصادق، وببراعته وبأصالته وبإسلاميته، حتى كاد الناس ينسون أن هذا الجهاد قام منذ اليوم الأول في أيام داود سنة (١٩٧٥م) لتكون كلمة الله هي العليا، ولإقامة دين الله في الأرض عندما أطلق حكمتيار رصاصته الأولى وصوبها نحو عرش داود، ولم يكن في الساحة روس أبدا ، بل كان القتال بين الأفغان المسلمين والأفغان الكافرين الملحدين من الشيوعيين والعلمانيين واللادينيين .

قوة الله:

والذين ينظرون بالمنظور المادي البحت معذورون، ولكنهم ينسون أن هذا الجهاد قام منذ اليوم الأول مخالفا للقوانين المادية البحتة التي تغفل قوة الله التي تنزل النصر وترفع القسط وتخفضه، وينسون دعاء القنوت اليومي الذي يرددونه في الصلاة :

{ إنـــه لا يعز من عاديت ولا يذل من واليت }، ويغفلون عن الدعاء المخبت الذي يتلونه في سورة آل عمران :

« قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك عن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب »

آل عمران ٢٦-٢٧.

التكالب العالمي:

إن الذين واكبوا مسيرة هذا الجهاد من بدايتها لا يهولهم أمر التكالب العالمي الذي أجمع كيده وحزم أمره أن يحول بين المجاهدين وبين قطف ثمار جهادهم ، وأصبحت الأمور تضيق عليهم يوما بعد يوم ، فقد أصبح أقرب الناس إلى هذا الجهاد يبدون أحيانا تجهمهم بالمجاهدين، ويعرضون أحيانا ويلوون أخرى، ويضيقون الخناق، وقد أعدوا الاعتذار مسبقا إذا حان العتاب .

إن قادة الجهاد يدركون أكثر من غيرهم أن يسر الله يسوقه في أشد الساعات العصيبـــة **{[فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا]}**، والقاعدة الأصولية تقول : [إن المعرفة إذا كررت فهي الأولى، وأما النكرة فإذا تكررت فهي غير الأولى ، ولذا فقد ورد في الأثر (لن يغلب عسر يسرين) ،وفي الصحيح **(واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا)**.

وقد عودهم الله سبحانه على أنه : كلما ازدادت الأزمات شدة كلما فتح لهم الله رحمته من أوسع أبوابها، وإن آياته في نصر المجاهدين وإنقاذهم لدليل قاطع أن البشر لا يملكون إزاء قدرة الله شيئا، وإن الكرامات الباهرة في الميادين السياسية لتفسير عملي لقوله تعالى:

{وماكان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض إنه كان عليما قديرا}. (فاطر:٤٤)

ولذا فإننا نرى المجاهدين وخاصة قادتهم المسمين بالأصوليين لم يطأطئوا رأسا رغم اشتداد العواصف، وأمام الأعاصير الهوجاء في السياسة العالمية التي تريد أن تلحي عودهم وتبيد خضراءهم .

آية باهرة تدعم المقال بواقع الحال:

وأثناء كتابة هذا المقال دخل علينا المهندس حكمتيار في أصيل هذا اليوم ومعه شاب أفغاني اسمه عبد العزيز بن عبد الرحيم، وقدم لنا هذا الشاب قائلا: قصة هذا الشاب عجيبة، فقد كان يعمل في الجيش الأفغاني في الكتيبة (٦٦٦) التابعة للفرقة (٢٤) في خوست ، وقد فكر هذا الشاب أن يسلم كتيبته للمجاهدين، فاتفق مع شاب آخر من القبائل العربية في كندز اسمه علي مراد، واتصلوا بالمجاهدين، وأخبروهم باستعدادهم على تسليمهم الكتيبة بأسرها ، وشك المجاهدون في الأمر، وبعد مداولات كثيرة بين المجاهدين

قبلوا بالخطة، وفي ليلة عيد الفطر قاد هذان الشابان المجاهدين إلى مهاجع الجند والضباط، واقتحموا عليهم مخادعهم، وقتلوا (٣٨) شخصا معظمهم من الضباط، وقد استعمل المجاهدون المسدسات ذات الكواتم للأصوات، وأسروا (١٢٠) شخصا و(١٧) ضابطا، وغنموا (٤٧٧) كلاشنكوفاً و (١٤) جرينوفاً ثقيلا، وأحرقوا ثلاث دبابات ومخزنا للذخيرة، وغنموا راجمـــــة للصواريخ، كل هذا دون أن تراق قطرة دم واحدة من المجاهدين .

قال حكمتيار : وأنا أريد أن أقدم له جائزة مقدارها خمسون ألف افغاني (ستمائة ريال)، فقلت له : لتكن مضاعفة .

للقصة نظائر قد تتكرر:

والذي حدث في خوست يمكن أن يتكرر في جلال آباد وقندهار وكابل ، وقد تستسلم فرقة من الدبابات، أو يتصل بالمجاهدين قائد سرب من الطائرات ويقوم بنفسه بدك قصر نجيب ودار الأمان – وزارة الدفاع –، أو قد يكون المطار نفسه في كابل أو بجرام، وهذه أمور تتكرر يوميا وإن كانت على نطاق ضيق وبأعداد محدودة.

وفي المساء أصر ابو الحسن المدني على أن أتوجه معه إلى بيروجيا حيث يستعد حوالي خمسين عربيا للارتحال نحو كابل، ونفوسهم تهفو للشهادة وتتوق للقاء ربها في ميدان العزة والمجد والكرامة، وفي الطريق ما بين الفتح وبيروجيا كانت السيارات التي ملأها أبو الحسن المدني وإخوانه بالمواد الغذائية، اذ كانت عشرون شاحنة زاخرة بالأرز والطحين والسكر واللوبيا والشاي متأهبة للانطلاق في فجر اليوم التالي نحو كابل .

تاجر صادق تبرع بها:

قال أبو الحسن هذه المواد الغذائية بأنواعها أغدقها تاجر من الجزيرة، وما أحب أن يذكر اسمه ، ولقد كان تبرعه سخيا، إذ أن هنالك مئات الشاحنات تنتظر دورها لتشحن بالمواد الغذائية، ولتحظى برؤية أسد كابل .

وطلب أبو الحسن أن ندعو لهذا الرجل، فدعونا له أن يخلفه الله خيرا في دينه وماله وأهله، وأن يسبل عليه جلابيب ستره فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض .

وهكذا تسير القافلة وتقترب يوما بعد يوم من كابل، والكل متلهف أن يتلو في يوم من الأيام:

{{ كم تركوا من جنات وعيون، وزروع ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين، كذلك وأورثناها قوما آخرين }} الدخان٢٥-٢٩.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

أمطرت السماء صواريخ[1]

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد .

فقد وصلنا مركز المجاهدين في ميدان الساعة السادسة صباحا عند طلوع الشمس صباح الأحد، بعد أن قضينا طيلة الليل على الطريق بين جك – وميدان ، والطريق خطيرة، لأن بعض مراكز العدو جدّ قريبة من الطريق ، ولقد ترامى إلى مسامع العدو أن المهندس حكمتيار في المنطقة، ولذا كانت قذائف الإنارة التي تشبه القناديل المعلقة في الفضاء تطلق معظم الليل، وكان اسم مركز المجاهدين عند المؤمنين (جبهة مشعل الحق) ، ولقد كان لقائده أمان الله وعزة الله صولات وجولات مع الروس عبر السنوات الماضية، ، والحق أن مكان المركز يدلك على جدية الأمر وأنه موقع قتالي محصن قريب من قمة جبل من الجبال لمواجهة غارات الطائرات والقصف المدفعي الذي يعتبر وجبات ضرورية يومية :

أيدرك المجد إلا سيـــد فطن لما يشق على الســادات فعال
القائد الأسد عنتها براثنه[2] بمثلها من عداه وهي أشبال

---

١ ـ لهيب المعركة العدد ٦١ التاريخ ١٩ ذوالحجة ١٤٠٩هـ ـ الموافق: ٢٢ / يوليو / ١٩٨٩م.
كتب الشيخ هذه الافتتاحية داخل أفغانستان برفقة المهندس حكمتيار حيث وصلتنا مع الإخوة القادمين إلى بشاور.
٢ ـ البراثن: المخالب.

لقد كانت المسافة بين مدينة ميدان وبين غند المؤمنين قريبة جدا ، وأما المسافة بين الغند وبين مراكز العدو فلا تتعدى نصف المسافة ، ومسؤول الإخوة العرب في المنطقة يسمى أبا الدرداء اليماني، شاب بسيط قد قضى ستة عشر شهرا في ميدان، ولذا نجده رغم بساطته محبوبا محترما لدى المجاهدين الأفغان .

والشعب الأفغاني إنما يحبون الشجاع الذي يشاركهم مسيرة الدم والعرق في خنادق القتال، (ويخطىء الذين يظنون أن الشعب الأفغاني يقاد من خلال البطون والجيوب ، إنه شعب شهم عزيز لا تأسره إلا مودة القلوب)، ولذا فقد أقبل بعض الناس بحزم من البرسيم يظنون هذا الشعب كغيره من الشعوب، وحاولوا أن يفرضوا عليه آراء بعيدة عن تفكيره وحياته فنبذها ونبذهم .

إن أعداء الله حاولوا أن يستغلوا فقر الهجرة وعوز اليد لهذا الشعب، وعرضوا عليهم إغراءات الدنيا فركلوها بأقدامهم، إذ لو كانت زينة الحياة وزخرفها تعدل في ميزانهم شيئا لظلوا في بساتينهم ودورهم التي تشبه في جمالها الأحلام رغم بساطتها . إن دورهم تفجر ينابيع الشعر لدى الشعراء، والأدب لدى الكتاب والأدباء . إنها غرف تجري من خلالها الأنهار، والثمار دانية على النوافذ، ولا تحتاج ربة البيت سوى أن تزيح الستار وتقطف الثمار، ثـم هجروا هذه الحياة الشاعرية الحالمة، وهاجروا بدينهم. تعيش الأسرة والأسرتان في خيمة ما وصلت الى أيدي هؤلاء الأعزة الكرام إلا بشق الأنفس، وبعد تردد عدة أشهر على أبواب المنظمات الإغاثية، وبين صد ورد ودفع وتجهم حصلوا على الخيمة .

هجرة من أجل العقيدة :

فهي أول مرة في هذا القرن يغادر خمسة ملايين مسلم بيوتهم ومعظمهم مطمئنون غير خائفين، وادعين إلا أنهم رفضوا أن يعيشوا في ظلال الكفر، مع أن النظام الشيوعي يقدم لهم الإغراءات للبقاء، ويصرون على ترك ديارهم التي جمعها في مرارتها وشدة وطئها على النفس مع القتل في كتابه:

((ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم)) (النساء٦٦).

ونرجو الله عز جل أن يتقبل هجرتهم، وأن يأجرهم على المعاناة الأليمة التي تجرعوها على هذا الطريق المرير الدامي .

ففي الحديث الصحيح الذي رواه الحاكم وابن حبان عن فضالة بن عبيد قال صلى الله عليه وسلم:

(أنا زعيم[1] لمن آمن بي وأسلم ببيت في ربض الجنة،[2] وببيت في وسط الجنة، وببيت في أعلى الجنة ، وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة وبيت في وسط الجنة وبيت في أعلى غرف الجنة، فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطالبا ولا من الشر مهربا[3]، يموت حيث شاء أن يموت [4])).

وجاء أبو الدرداء وأبوالحسن مع مجموعة من الإخوة العرب وعندهم برنامج كبير:

١ - في الإصلاح بين المجاهدين .

٢- توفير الذخائر والقذائف للمجاهدين بشرائها من داخل أفغانستان، وذلك لأن المليشيا والضباط الشيوعيين يبيعونها.

٣- التنسيق بين المجاهدين من أجل اقتحام المدن وافتتاحها وعلى رأسها كابل، وقام أبوالحسن من عندنا، وإذا بالمجاهدين التابعين لموسى أحد قادة الحركة وهذا بينه وبين القائد حكمتيار خلافات إلا أن أباالحسن أقنعه بضرورة تناسي الخلافات ولقاء حكمتيار ، وإذا بالمجاهدين التابعين لموسى مصطفين على جانبي الطريق يحيون حكمتيار، فعجبنا من هذا الاستقبال الحافل، وسبحان الله كم يقدم الإخوة العرب لهذا الشعب من خدمات، وندعو الله أن يوفقهم وأن يحقق الخير على أيديهم ، ونرجع لنرى كيف قضينا يومنا في المراكز، لقد حمّت الحكومة في ميدان وكأنها ملدوغ يبحث عن علاج، وما هدأت الاتصالات في كابل، فأرسلت حوالي خمسين صاروخا مـن نـوع (أوريغان)، وبإمكانك أن تتصور ضخامته إذا علمت أن مداه ثمانون كم .

وبدأت القذائف تصب على المركز، وأخذت الطائرات تحوم ، كانت الطائرات تريد أن تحدد هدفها، وألقت قذائفها ، وأما مدفعية D C٣ . فما كانت لتكف عن القصف قبل صلاة الفجر حيث استيقظت على وقع قذائفها التي كنت أحس أن الجبل يهتز عندما

---

١ ـ زعيم: كفيل وضامن

٢ ـ ربض الجنة: أدناها .

٣ـ لم يدع الخير مطلبا ولا من الشر مهربا: أي فعل كل وجوه الخير وترك كل وجوه الشر .

٤ـ يموت حيث يموت: أي له الجنة حيث مات

تتفجـر القنبلـة، وأما وقع قذائف الطائرات فحدث عنه ولا حرج، إذ أنك تحس أن الجبل يميد لدى انفجارها، وقد قدم لنا أحد المجاهدين الغذاء، فقال حكمتيار : هذا المجاهد جرحت ابنته بشظايا في ثلاثة أماكن، وكذلك جرحت ابنة أخيه، فسألت ومتى حصل ذلك؟ فقالوا هذا اليوم، فعجبت لصبر هذا الشعب وكأنه يقول :

سبحان خالق نفسـي كيف لذتهـا فيما النفـوس تراه غاية الألــم
الدهـر يعجب من حملي نوائبه[1] *وصبر جسمي على أحداث الحطم*[2]

قال لي أبو الشهيد اليماني : لا يمكن للشعب اليماني أن يصبر كما صبر الأفغان، مع أنه أقرب الشعوب طبعا ومناقب وسمات إلى هذ الشعب، فقلت له : لا بل لا يمكن لأي شعب أن يصبر عشر ما صبروا ، تصور نفسك أنك منذ تسع سنوات وأنت تعيش تحت صخور من صخور هذا الجبل ، لا تستيقظ إلا على دوي الطائرات، ولا تأكل وجباتك إلا على أنغام القذائف وأزيز الرصاص، ولا تنام إلا على عزف المدافع وقعقعة السلاح ، فكيف إذا جمعت مع هذا الجوع يعضك بنابه، والأم وقد دفنت تحت ركام البيت الذي سقط عليها ، والابن وقد تشوه وجهه بالحروق، والبنت التي طارت قدمها، والابن الذي ندت عينه، والأخت التي جنّت لكثرة ما توالى فوق رأسها من مصائب، وما تصبب على جسدها الناحل من النوائب؟!

قال مرزوق الجزائري : إن بعض الإخوة الذين يودون الرجوع إلى بلادهم ليقولون إن القاعدة الصلبة في أفغانستان غير موجودة، وأن عقيدة البراء والولاء غير واضحة لدى قادة الجهاد الأفغاني ، لأنهم يتلقون المساعدات من بعض الدول، ويذهب حكمتيار بنفسه يطلب من الطواغيت الاعتراف بحكومة المجاهدين .

فقلت لحكمتيار أجب ، فقال : نعم نحن لا نعلم البراء والولاء، ومن أجل هذا تحاربنا أمريكا وروسيا والغرب ، ولأننا لا نعلم البراء والولاء لم يعترف أحد بحكومة المجاهدين إلا من رحم الله ، ولهذا رفضت أن أقابل ريغان مع أن السفير الباكستاني مكث إحدى عشرة ساعة وهو يحاول إقناعي فرفضت، رغم أن ضياء الحق -رحمه الله- كان ينتظرني مع ريغان، ثم قال حكمتيار: فهذه المقالة التي كان بعض الإخوة يتكئون عليها لمحاولة تعطيل الجهاد فـي بداية المسيرة، ثم لحقوا بنا بعد أن سار الركب وبارك الله في مسيرته، أما أنا فرددت قائلا : أما بالنسبة للقاعدة الصلبة فهذه كذلك كلمات يجترها الإخوة الذين كانوا يعترضون مسيرة الجهاد في فلسطين عام (١٩٦٩م)، وظلوا في الخليج يربون القاعدة وتركناهم في أحلامهم يغطون ، وفي أبراجهم العاجية ينظّرون ، ويناقشون ويجادلون .

وأما البراء والولاء فليت شعري لو فهم الإخوة التطبيق العملي لهذه العقيدة، وكأنهم يجهلون أو يتناسون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل أصحابه إلى الحبشة معللا ذلك أن فيها ملكا نصرانيا لا يظلم الناس عنده، وقد ثبت في الحديث الحسن أن النجاشي قد خرج عليه رجل آخر يقاتله فقام المسلمون يدعون للنجاشي بالنصر، وأرسلوا الزبير ليرى نتيجة المعركة، فرجع يلوح بثوبه مؤذنا بانتصار النجاشي، وقد جاء في الرواية أن الزبير قاتل مع النجاشي .

ولعل هؤلاء الشباب الذين لا يشك في إخلاص الكثيرين منهم يجهلون أن كثيرا من الصحابة قد دخلوا في جوار الكفار في مكة، فدخل عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة، وأبو بكر في جوار ابن الدغنة، ودخل الرسول صلى الله عليه وسلم في جوار المطعم بن عدي لدى عودته من الطائف إلى مكة .

وأوى في الطائف إلى بستان لشيبة وعتبة ابن ربيعة هاربا من السفهاء والغلمان الذين يتابعونه بالحجارة ، وكذلك فإنهم يجهلون أن قبيلة خزاعة كانت عيبة (خزانة) نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمهم وكافرهم .

أما بالنسبة لأخذ المساعدات فقد اتفق الفقهاء الأربعة على جواز أخذ المساعدة عند الضرورة من الكفار، على أن لا يكون هنالك شروط، وقد سئل أحمد بن حنبل عن رجل جائع امتنع عن أكل ميتة حتى مات، فقال أحمد : إنه مات آثما .

هناك قضايا لم يساوم عليها الأفغان خاصة الأصوليون (الملتزمون بالكتاب والسنة)، وهي: اللافتة يجب أن تكون إسلامية ، الراية يجب أن تكون واضحة ، الهدف واضح لا تقاعس عنه ، وهو لتكون كلمة الله هي العليا ، الحكومة يجب أن تكون إسلامية ليست ائتلافية ولا محايدة ولن يدخلها الشيوعي .

---

١ ـ النوائب المصائب ٢ ـ الحطم المحطمة

ورفضوا قبول المساعدات من أمريكا، وقالوا : نحن نقبل مساعدات من باكستان والسعودية والشعوب الإسلامية، أما أمريكا فلا.

أما بالنسبة للشباب فنقول لهم : إنما دواء العي السؤال: {[فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون]} (النحل:٤٣).

إنما الأمر كما قال سيدنا علي – رضي الله عنه – : (قصم ظهري رجلان : عالم فاجر وعابد جاهل)، فكثير من هؤلاء الشباب عابد جاهل .

وإنما افسد الدين أنصاف المتعلمين، فلا هم جهلة حتى يسألوا، ولا هم علماء حتى يفقهوا ويدركوا، ولذا لا يسأل عن القضايا الإسلامية من لم يسبر غورها، ومن لم يخض غمارها، ومن لم يدرك أسرارها، ولا يسأل القاعدون الذين لا يدركون طبيعة هذا الدين، لأنهم لا يتحركون من أجل إقراره في الأرض، ولا يضحون لنصرته في الحياة .

وليت شعري كيف ينصر دين الله شاب لا يستطيع أن يواصل مع المجاهدين عاما ؟! فأين الصلابة التي تجري في عروقك حتى تنقلها إلى الآخرين ؟! وأين هو من القاعدة الصلبة حتى يبني بنفسه القاعدة الصلبة ؟!

ثم قلت لحكمتيار : توضأ لنصلي العصر، وبعد الصلاة انطلقت بنا السيارات من ميدان جليز بين الدعاء والتكبير .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

أفغانستان بين الخوف والرجاء[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد :

لابد وأن يكون للإسلام قوة جاهزة مستعدة، حتى إذا حصل خلل أو خداع تحرك الجيش ليعيد الإثخان مرة أخرى ليخضد شوكة الكفار أينما كانوا، ولينسف زعامتهم، وليحطم كبريائهم ، وليمرغ كرامتهم بالتراب .

ومن هنا جاء انسحاب الروس من أرض أفغانستان يجرون أذيال الخيبة بين سيقانهم، تاركين وراءهم ذيول الخزي والخذلان والخسارة والهوان ، من أي بقعة ينسحبون ؟ إنهم ينسحبون من قواعد كان المسلمون يظنونها لا تزول، من (شندند) القاعدة التي تنطلق منها الطائرات النفاثة التي تجوب الآفاق، والتي بإمكانها أن تصل إلى الخليج بخمس عشرة دقيقة، والصواريخ التي يمكن أن تطلق منها لتضرب الكويت والرياض وصنعاء في اليمن، والدبابات التي لا يفصلها عن الخليج إلا مسيرة يوم واحد .

كما انسحب الروس أيضا من كلجي القاعدة التي تمد شمال أفغانستان بالذخيرة ، وتضم بين حناياها مصنعا للأسلحة الثقيلة، والتي تسيطر على الطريق العام الواصل بين روسيا وكابل .

كما جاء انسحاب الروس من (واخان) ذلك الأصبع الذي يجمع أفغانستان بالصين، فأراد الروس أن يقطعوا صلة أفغانستان بالصين، فاشتروا هذا الأصبع من بابراك كارمل بمعاهدة دولية ، وزرعوها بالصواريخ العابرة للقارات:

{[ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار]}.(الحشر ٢).

وبعد انسحاب الروس من أرض أفغانستان بات الخوف والهلع يسيطر على بعض الناس من مكر الروس التاريخي وخداعهم من أن يرجعوا مرة أخرى إلى أفغانستان بلعبة يحكمون بها قبضتهم الحديدية بعد أن يشغلوا المجاهدين بفتن داخلية أو بحسرب أهلية .

وأنا أطمئنكم بأنه لن يرجع الروس مرة أخرى إلى أفغانستان إلا إذا أحبوا أن يبادوا عن بكرة أبيهم ، لأن الروس منذ ثماني سنوات ونيف وهم يشعرون أنها غلطة تاريخية استدرجهم اليها الشيوعيين المحليين الأفغان، وبدأوا يؤدون ضرائبها باهظة عالية،

---

[1] ـ لهيب المعركة العدد ٦٢ التاريخ ٢٦ ذوالحجة ١٤٠٩هـ ـ الموافق ٢٩ /٧ /١٩٨٩م.
نظراً لسفر الشيخ إلى أفغانستان فلم يتمكن من ارسال الافتتاحيه لصحوبة المواصلات حيث اخذنا هذه الافتتاحيه من الشرطة السمعية.

وخسائرها فادحة، بتحطيم أساطيلهم الجوية والبرية، ويدفن فلذات أكبادهم على حوض الهلمند وفي وادي بنجشير وعلى ضفاف هاري رود .

نعم، لا يمكن للروس أن يرجعوا إلى أرض أفغانستان، يمكنهم أن يشتغلوا من بعيد عن طريق قصف الطيران ، ويمكنهم أن يحاولوا إثارة الفتن ، هذا لن يكف الروس عنه، وسيحاولون كثيرا أن لا يقبض الزمام أناس من أهل الإيمان والإسلام، ممن سيكون لنبأهم ووجودهم نبأ ولو بعد حين .

لذلك نجدهم يحاولون مع أمريكا منذ أربع سنوات، ومع الغرب قاطبة أن ينتزعوا البساط من تحت الأرجل المجاهدة القوية، وأن يأخذوا محور القيادة من أولئك المتطرفين المتشددين الأصوليين ، ولكنهم يريدون والله يفعل ما يريد .

إن الله تعالى يريد للفئة المؤمنة أن تتسلم الأمانة لتكون أمينة على الأمانة، حتى لا تضيع منها بعد أن يسلمها إياها، ويضع تاج الملك على مفرقيها ، يريد أن يمكن لدينه في الأرض، وأن تتفيأ البشرية ظلال دينه ، وتستريح من لفح الهاجرة، ومن صحراء التيه الذي طالما ضلت فيه كثيرا، ودفعت الضرائب عالية من أعصابها ومن نفسها ومن قلبها وأجسادها وقيمها وأعراضها ، والناس كذلك متخوفون من أن أفغانستان ستتعرض كما تعرضت إليه السودان من حصار اقتصادي عالمي فيما لو أحكمت الفئة المؤمنة قبضتها على الحكم وبدأت تطبق دين الله كما أنزل .

وأنا أطمئنهم بإذن الله أن أفغانستان لا يهمها الحصار الاقتصادي ، فقد عاشت طيلة حقباتها التاريخية معزولة عن العالم، تستطيع أن تقوم بذاتها، وعندها قمحها وأرزها وسكرها، كل ذلك من أرضها، ولا حاجة لها بعد ذلك في العالم كله .

وإذا كانت أفغانستان قد استطاعت أن تعيش معزولة قائمة على ساقيها فيما مضى فهي في هذه الأيام أجدر وأحرى أن تقف تواجه العالم كله، خاصة إذا كانت الحرب اقتصادية فقط.

إنها تواجه العالم كله بخيله ورجله، وبأساطيله البرية والجوية، وبحصاره السياسي والاقتصادي والعسكري، ومع ذلك ما وهنت وما لانت لها قناة:

{{فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين}}.(آل عمران١٤٦)

وأفغانستان حسب تقرير الأمم المتحدة الذي قدمه عبدالمجيد وزير التخطيط السابق للملك المخلوع ظاهر شاه تكفي أرضها لإعاشة خمسة وسبعين مليونا من البشر .

إن أفغانستان ثرية بمعادنها وبمخزون ذخائرها من البترول والغاز والذهب على شواطيء نهر جيحون ، وفي وادي بنجشير وبدخشان، واليورانيوم في قندهار، والحديد في باميان .

إنها تستطيع أن تعيش دولة من أغنى الدول فيما لو استغلت زراعتها وصناعتها، واستخرج مكنوز ذخائرها من باطن أرضها .

وبعض الناس يخافون على أفغانستان من الدول المحيطة بها، وأنا أطمئنهم، فهيبة أفغانستان ليست طارئة في قلوب الدول المجاورة لها ، إن رعب الأفغان في قلوب الدول المجاورة تاريخي قد امتدت جذوره في أعماق قلوب المجاورين، فإذا كان أحمد شاه بابا سنة (١٧٤٧م) قد استطاع بقبائل قندهار التي جمعها بصيحة في ليل أو نهار أن يخترق بلوشستان ويصل إلى بحر العرب، ويجتاز بيشاور والبنجاب ولاهور ويصل إلى دلهي، وحطم الهندوس على أبواب دلهي، فكيف تستطيع الهند الآن أن تحتك بأفغانستان المجاهدة التي يقودها ليوث الله ؟! وإذا أردت أن يغمى على الهندي فلوح له من بعيد بعمامة أفغاني ، فقد يستفيق بعدها أولا يستفيق.

وأما إيران فلن تستطيع أبدا أن تحتك بأفغانستان، لأنها تعلم من هي أفغانستان التي بقيت ولردح كبير من الزمن تحكم المنطقة الشرقية من إيران – منطقة خراسان – هذه كانت تابعة لفترة ليست بسيطة تحكم من قبل أفغانستان .

إن أفغانستان ليس لها بحار على جوانبها، فهي ليس من السهل أن تستسلم لقوة آتية من الخارج ، ولا تستطيع قوة أن تخترقها سوى روسيا التي جنت ما جنت من حصاد الأيام شوكا وضياعا وحسرة وندامة .

فروسيا لن ترجع إلى أفغانستان إلا إذا فقد الروس عقولهم مرة أخرى ، وأظن أن السيف الأفغاني أعاد الصواب إلى رؤوسهم.

فالأمل بالله عظيم، ومهما كان هذا الغبار الذي يعلو سماء أفغانستان، وإذا كان العجاج يغطي أرض أفغانستان فهذه طبيعة من طبائع المعركة، ونتيجة من نتائجها، هذا شيء منطقي وطبيعي عبر التاريخ بين الإخوة الذي يسيرون خاصة على طريق القتـــال، لأن القتال ثقيل، وكثير من الناس تضعف نفوسهم، وتهون عزائمهم، وتشترى ضمائرهم إذا سقطوا على جوانب الطريق ، وهؤلاء بنو الجلدة وأبناء البشرة يكونون غصة في حلوق إخوانهم الذين يشاركونهم المسيرة، وكانوا معهم قبل قليل ينادون بنداء واحد، ويهتفون بهتاف واحد، ويرفعون راية واحدة.

إن أفغانستان ستعيش بإذن الله تعالى بدينها وقيمها، بقياداتها التي عرفت بطهارتها منذ نعومة أظفارها، إن هؤلاء القادة والجند الذين رفع الله بهم رأس كل مسلم في الأرض كلها، وأعز الله عز وجل بهم دينه، ورفع رايته وشريعته هم الذين سيمسكون بالزمام، وهم الذين سيكونون الأمناء على الأمانة التي سلمهم الله إياها، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

من چاري كار إلى جلبهار[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد :

فإن الذين يكتوون بالنار لم يعودوا يعبأون بحرها، وإن الذين يعيشون الهموم المتكالبة عليهم لم تعد تورق عليهم أجفانهم وتخز مضاجعهم كأولئك الذين يرقبون من بعيد، وإن الذين جراحاتهم لازالت تنزف دما لم يعودا يفكرون كثيرا بأن تزداد هذه الجراح فتقل أو تكثر، وكأنهم يقولون: (أنا الغريق فما خوفي من البلل).

وكما قال الله عز وجل:

(فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون) آل عمران١٥٣.

أي فجزاكم غما على غم، وذلك كما تقول العرب : نزلت ببني فلان ونزلت على بني فلان ، ومعنى الباء هنا على ، قال ابن عباس : الغم الأول بسبب الهزيمة، وحين قيل قتل محمد صلى الله عليه وسلم، والثاني حين علاهم المشركون فوق الجبل ، وعن عبد الرحمن بن عوف الغم الأول بسبب الهزيمة، والثاني حين قيل قتل محمد صلى الله عليه وسلم ، كان ذلك عندهم أشد وأعظم من الهزيمة ، وقال محمد بن إسحق (**فأثابكم غما بغم**) أي كربا بعد كرب (**لكيلا تحزنوا على ما فاتكم**) أي على ما فاتكم من الغنيمة والظفر بعدوكم (ولا ما أصابكم) من الجراح والقتل ، أي أن المصيبة الثانية كانت ثوابا وعطاء لإزالة أثر الأولى .

توالي المصائب:

إن المصائب ينسي بعضها بعضا، فسماع المسلمين قتل الرسول الله صلى الله عليه وسلم أنساهم مصيبة الهزيمة وفوات الغنيمة بعد النصر ، لأن النفس البشرية تصبح منيعة محصنة لكثرة الآلام التي تغزوها وتتعود على مقاومتها (وداوني بالتي كانت هي الداء) .

فالجسد حينما يصاب بمرض تقوم المعركة بين جراثيم المرض وبين كريات الدم البيضاء، وتستمر المعركة، ويشتد وطيسها بالحمى، وينتصر الجسد في كل معركة يدخلها مع الجراثيم الغازية ، وأما الخسائر التي تسقط في المعركة من كريات الدم البيضاء والجراثيم فيلفظها الجسم على شكل دمل فينبذها خارجه ، ويخرج الجسم معافى سليما، وقد تحمل من المعركة مناعة ضد الجراثيم فيما إذا غزته مرة أخرى .

وعليه فإن الجسم يتورث مناعة ضد الجراثيم بسبب الأمراض ، كذلك النفس البشرية كلما حلت بها مصيبة أو نزلت عليها نازلة فإنها تتركها وقد ازدادت صلابتها ومناعتها ضد الأحداث والنوائب .

رماني القوم بالأرزاء حتى   فؤادي في غشاء من نـــبال

فصرت إذا أصابتني سهام   تكسرت النصال على النـصال

فهان وما أبالي بالرزايـــــا   لأني ما انتفعت بأن أبـــالي

١- لهيب المعركة العدد ٦٣ التاريخ ٤ محرم ١٤٠٩هـ الموافق ٥ أغسطس ١٩٨٩م، كتبت هذه الافتتاحية من داخل أفغانستان حيث أرسلها الشيخ لنا مع الإخوة القادمين إلى بيشاور

والشعب الأفغاني لا تسل عن الرزايا والبلايا التي انصبت على عاتقه وتوالت على كاهله. فإن تسأل الأطفال تنبئك أعصابها المضطربة وعقولها الشاردة عن القذائف التي تنزلت فوق بيوت أبنائهم ، وعن أمهاتهم اللواتي انتثرت أدمغتهن أمام نواظرهم وهم في حجورهن وبين أحضانهن .

وإن تسل الأشجار تنبئك أغصانها المجردة عن أوراقها التي تساقطت حزنا على أهل الديار الذين غابوا تحت الركام.

وإن ناجيت مساجدها أجابتك أعمدتها البالية وأطلالها الشاخصة عن الأئمة الذين دفنوا وهم أحياء تحت ردمها .

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة حتـــى المنابر ترثـــي وهي عيدان

وإن وقفت على الجدران المتهاوية الخابية، والحدائق التي جفت كأن لم تغن بالأمس، وشوهت بعد أن كانت بالأمس ناضرة غناء، وأقفرت من أهلها بعد أن كانت من قبل عامرة بالأحياء.

وإن سألت الحيطان – البساتين – ما سر جفاف أشجارها، و ضمور أغصانها، وذبول أوراقها، تخبرك كيف غاضت السواقي -الجداول -، وغابت الأيادي التي كانت تتعهدها وتوليها عنايتها .

ومع هذا كله فقد واصل الشعب سيره مع الجراحات النازفة ، والعبرات الذارفة، والأجسام الضاوية ، والبيوت المتهاوية ، والبطون الخاوية ، والأقدام الحافية، ونصره الله بالصبر : (واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب). **(إنه من يتق ويصبر فإن الله لايضيع أجر المحسنين).**

كأن الشعب يقول :

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبري وأصبر حتى يحكم الله في أمري

وأصبر حتى يعلم الصبر أننـــــــــي صبور على شيء أمر من الصبر

الحراب الخفية والأسنة المسمومة :

ومع اقتراب المجاهدين من كابل، وتوالي الانتصارات في كل مكان، يتلفت أعداء الله – خاصة الروس والشيوعيين – فيرون أن أولى الجبهات التي يجب أن تعمل عليها هي الجبهات الداخلية لدى المجاهدين، فيخصصون الأموال الطائلة والميزانيات الضخمة لإشاعة الفرقة بين المجاهدين، وبث الفوضى خلال الإخوة الصادقين، واستعملوا مجموعات كبيرة من طلقاء الفتح (الذين شملهم العفو العام لأن المجاهدين أصدروا العفو العام عن كل من يأتيهم تائبا)، فصار كبار رجال المليشيا من عملاء الدولة يلقون أسلحتهم، ويطلقون لحاهم ويحملون مسابحهم، ويأتون تائبين عابدين خاشعين منيبين، ويتخللون صفوف المجاهدين يبثون الفتن وينشرون الأراجيف، ويروجون الإشاعات التي تطبخ في أجهزة الدولة، وتسلم لهم جاهزة لإشاعتها، ويقترب بعضهم إلى كبار القوم ناصحين بثياب الناسكين، يؤلبون ويبلبلون، وكلما سكنت القلوب أو تقاربت النفوس فرقوا ونشطوا وتحركوا .

خبر شاس بن قيس :

وهنا يحضرني في الذهن المجتمع الأول الذي رعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وألف الله به بين قلوب بني العمومة (الأوس والخزرج) بعد حروب طاحنة كان يستغلها اليهود ويبقون سادة الموقف. فعندما آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، ووحد الله على يديه المدينة، أكل الغيظ بقلوب اليهود، فقاموا يثيرونه عصبية جاهلية .

فقد روى ابن إسحق عن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال : (مر شاس بن قيس وكان يهوديا شديد الطعن على المسلمين على نفر من الأوس والخزرج بعد أن نزع الإسلام ما بينهم من أحقاد وضغائن، فغاظه ما رأى من ألفتهم و صلاح ذات بينهم، فجلس إليهم، وأخذ يجادلهم شيئا فشيئا إلى أحداث الماضي المشحون بالعداوة والخصومة ، وأخذ ينشدهم بعض ما قيل في حروبهم من الشعر، فحرك وجدانهم، وهاج من عصبيتهم ، ومازال بهم حتى تنادوا فيما بينهم : السلاح السلاح ، وكاد يقع الصدام ، فبلغ رسول الله عليه وسلم، فخرج إليهم مخاطبا : (أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟) بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به .. واستنقذكم من الكفر وألف بين قلوبكم، فعرف القوم عندئذ أنه نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدوهم، وفي هذه الحادثة نزل

الوحي:

(قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون، يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم) آل عمران ٩٩-١٠١ .

وشاس بن قيس هاجها جاهليـة — تطير لذكرها الحلوم الرواجـف
يلقب بين الأوس والخزرج القـرى — وقد وشجت فيه العروق العواطف
يذكـرهم يوم البعاث وما جـنت — رقاق الحوافي والرماح الـرواعف

الأمل المرتقب:

وفي الوقت الذي كنا نغذ فيه السير ونحث الخطى نحو بروان، وبعد أن دخلنا بروان وفي مركزها (جاري كار)، حيث ارتفع الأمل بقرب سقوط الدولة، إذ كنا في خنادق تبعد مائتي متر فقط عن مركز الولاية التي سقطت فرقها بيد المجاهدين ، وكنا نهفو أن يلتقي العملاقان (حكمتيار وأحمد شاه مسعود)، لعل شجرة الخلاف تجتث من جذورها، وتقطع دابر الفتنة من أصولها .

وبعد أن سطرنا بنود الطرح الذي طرحه المهندس حكمتيار كاقتراحات لإزالة خلافات بين الإخوة، والتي عملت الدولة بعملائها طويلا حتى أصلتها، وبدت أنها مستحيلة الحل في نظر بعض الناظرين ، في هذا الوقت الذي كنا نطمع أنه أنسب وقت لافتتاح مطار بجرام وسد الطريق الوحيد الذي يمثل شريان الحياة لكابل والحكومة العميلة (خط حيرتان - سالنج - كابل)، في هذا الوقت وقع في روعنا أنه يوم الصفاء والمودة بين أوس أفغانستان وخزرجها قد قرب، وأن أوان قطف ثمار الجهاد جنية دانية، قد آن لتقطف بيد سعديها ومهاجريه من نسل الصديق والفاروق وذي النورين وحيدرة الفرسان .

في هذا الوقت الذي كنا نفكر فيه بأقصر طريق للإرسال وراء مسعود القدوم للسلام على أخيه القائد حكمتيار ، وكنت أفكر أيهما أنجع وأقصر: هل أذهب بنفسي، أم أتصل باللاسلكي، أم نرسل عبدالله أنس بطروح قدوم مسعود لطرح المشاكل التي طغت على سطح بحر الدماء المزبد ، ولإزالة الغثاء الذي عكر صفو البحر الرائق، وللغوص لإخراج كنز الدقائق؟!

في هذا الوقت وإذا بخبر يتنزل على قلوبنا كالصاعقة .

النبأ المزلزل:

بعد الغداء تحت أشجار التوت و المشمش في قرية قرب قرية رباط من مركز بروان انتحيت جانبا بحكمتيار نتشاور في أفضل الطرق الممهدة للقاء والموطئة لإزالة الخلاف، وإذا به يخبرني: أذاعت BBC أن آغا وليد قد عمل كمينا لقادة مسعود أثناء عودتهم من مجلس شورى نظار وقتل حوالي ثلاثين شخصا ومنهم أربعة كبار.

فما تلقيت خبرا منذ سنوات أثقل على قلبي وأفجع لنفسي من هذا النبأ ، وإنها بداية قد تأكل نارها الأخضر واليابس .

وهنا صممت أن أرد النهر بنفسي، وأشرب الماء بحفناتي ، فاستأذنت من حكمتيار أن أتركه وأيمم شطر الشمال لعلي أقف بنفسي على حقيقة هذا الحادث المروع، ونحاول ما استطعنا أن نوقف نذر الشر المستطير ،وأن نطفيء ما قضاه الله ويسره على أيدينا من لهب النار الكبير الذي يبدو منه شرر النذير، وها أنا أعد حقائبي وأجهز نفسي للسير نحو مسعود وقادة الشمال من الحزب والجمعية .

وقد كتبت هذا المقال من مصنع النسيج في جلبهار قبل التوجه إلى الشمال، ويخامر رأسي الظنون من وراء الحادثة ؟!

أهي الدولة التي بدت تترنح لتهوي تحت مطارق المجاهدين ؟

أم هي فعلة أحمق لا يدري النتائج ولا يقدر العواقب على كل المسلمين ؟

أم هي تنفيس أحقاد عن صدر ضيق يثأر فيه لضغن عميق دفين ؟

ولا أدري أنحن على أبواب أعاصير تعصف بالآمال التي ترقبها الأجيال أم تكون بداية لقاء بين الإخوة يتجاوزوا فيها آلامهم

ليطيحوا بنجيب النجال ؟

إن هذا غيب يعلمه **(عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال)** . (الرعد:٩).

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

حرب الشائعات[1]

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده :

فيقول رب العزة :

{{ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به و لو ردوه إلى الرسول و إلى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم و رحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا و الله أشد بأسا وأشد تنكيلا }} . (النساء ٨٣ - ٨٤)

يرشدنا رب العزة سبحانه و تعالى من خلال هذه الآيات البينات إلى الآداب الإسلامية تجاه الشائعات في المعركة وأثناء احتدامها، فهناك جهة و حيدة تستقى منها المعلومات، و تتلقى منها الأوامر هي أولو الأمر .

و الناس في الساحات الجهادية قسمان : قسم عرف هذا الأدب فأخذ به فلا يردد كل ما سمعه ، بل يمحصه تمحيصا و يرجعه إلى أصحابه ، و بعد ذلك إن سئل أجاب ، و إن لم يسأل فرحم الله امرأً قال فغنم ، أو سكت فسلم ، ومن صمت نجا . أما القسم الثاني : فهم الذين لم يتلقوا تلك التربية، و لم يع الثقافة الجهادية، فتراهم يرددون كل ما سمعوا :

جرب البهتان فيــه وانطلى الزور عليه

يا لـــه من ببغـــاء عقــله فـــي أذنيه

وقد يكون الفريقان صادقين، و لكن منهم بصدقه يطعن الدين طعنة نجلاء ، ومنهم من بصدقه ينفع المسلمين وينقذهم من البلاء.

من هم أولو الأمر ؟:

يقول الحسن و قتادة وابن أبي ليلى: أهل العلم و الفقه، و قال السدي: هم الأمراء، قال الجصاص: لا بأس بأن يكون الفريقان مقصودين، فأهل العلم من ولاة الأمر، و الأمراء من ولاة الأمر... و ذلك لأن العلماء مأمورون بأن يبينوا الحلال والحرام للناس، والناس مأمورون وجوبا بأن يتبعوهم ، فهم أولو الأمر حقا .

وفي حال المعركة ترى أعصاب الناس و نفوسهم و قلوبهم كلها مشدودة لاستعمال القوة، وكلها مصوبة معلقة بالنصر الذي يطمعون، ومن أجله دماءهم يهرقون و أموالهم يدفعون، والأعصاب البشرية لا تتحمل -و هي مشدودة- الضربات المتتالية أو الساخنة أو الثقيلة، ومن هنا يحرص الأعداء أثناء المعركة على نشر أسوأ الأخبار بين أفراد الجيش المقابل فيتفرق، فعندما صاح ابن قميئة في أحد أني قتلت محمدا ، قعد الصحابة عن القتال، و قالوا ماذا نفعل بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم، حتى إذا مر بهم أحد الفقهاء الذين نور الله بصائرهم بعلمه فقال لهم : ما بالكم ؟ قالوا : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : قوموا فموتوا على ما مات عليه ، فلا شأن لكم بالحياة بعده .

و الأعصاب أثناء المعركة لا تتحمل الأخبار السيئة ، فيوم أن أشيع أن عبد الرحمن الغافقي قتل في معركة بلاط الشهداء على نهر براتيه و هزم المسلمون و هم على بعد مائة كيلومتر تقريبا من باريس ، وتفرقوا، و لحقهم سيف شارل مارتل، و كان ذلك هو سبب وقوف المد الإسلامي و عدم تقدمه نحو أوروبا ، فبقيت معظم أوروبا تغط في دياجير الظلام .

أرجوفة واحدة أثناء المعركة حرمت العالم كله من دين الله الذي نزله رب العالمين ليكون رحمة للناس أجمعين ، لذا ترى أن رب

١- لهيب المعركة العدد ٦٤ التاريخ ١١ محرم ١٤١٠هـ - الموافق ١٢ أغطس ١٩٨٩م.
نظراً لسفر الشيخ إلى أفغانستان فلم يتمكن من إرسال الافتتاحيه لصعوبة المواصلات حيث أخذنا هذه الافتتاحيه من أشرطة الشيخ السمعيه.

ولكنه وهو صانع هذه النفس البشرية و يعلم أنها يهمها القوة و تحب في مواطن النزال الكثرة يكثرهم ربهم بالملائكة ، بل يقلب رب ويزة الحقائق في ذهن رسول الله صلى الله عليه و سلم وفي ذهن الصحابة حتى لا تهتز مشاعرهم، و حتى لا ترتجف أوصالهم (إذ يريكهم الله في منامك قليلا و لو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور، وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور) .(الانفال٤٣-٤٤).

رب العزة غير الحقائق في ذهن أشجع الناس وفي بصره وفي رؤياه ، ورؤيا الأنبياء حق، ولكن المعركة تقتضي أن يقل الجمع، وأن يقل الأعداء، حتى ترتفع الهمم، وتتشحذ العزائم، وتنقض الضراغم وتمضي وهي مطمئنة لقدر الله متوكلة عليه ، ولكن الأسباب المادية لها أثرها في نفس المؤمن خاصة إبان المعركة وأثناء احتدامها .

قال لي بعض الإخوة : لماذا لا تنقل الصورة كما هي في داخل أفغانستان ، نحن نجعل الناس من خلال كتاباتنا وخطاباتنا وأشرطتنا المسموعة والمرئية يعيشون في جو رومانسي غربي ، وعندما يصطدمون بالحقائق أنت تتحمل النتيجة ، وهذا في الدين لا يجوز ، فقلت لهم لنراجع دين الله كيف تنقل المعارك في كتاب الله، وكيف كانت تنقل سير الأبطال والصحابة والتابعين في كتب المناقب والسير والمغازي وغيرها .

ويوم أن علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قريظة قد نكثت عهدها دعا غطفان وقال لهم إن رأيتم أن ترجعوا ونعطيكم ثلث ثمار المدينة؟ فوافقوا. ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، وأمرهما أن يذهبا إلى بني قريظة، وكان بين الأوس -قوم سعد بن معاذ- وبين بني قريظة ولاء وحلف في الجاهلية، صداقات ومودات، فذهب إليهم السعدان، فوجدا أن القوم قد أصروا على النقض والنكث، أوصاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهما إن نكثوا فلا تشيعوا ذلك بين المسلمين، وإن لم ينكثوا فأشيعوا ذلك، وعندما علم السعدان أن قريظة قد نكثت عهدها رجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا عضل والقارة، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعضل والقارة تشير إلى غدر قبيلتي عضل والقارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أن قتلوا كتاب الوحي، فعندما وصلوا إلى ماء الرجيع لهذيل قالوا: لا حاجة لنا بالقراءة والقرآن، جئنا بكم لنبيعكم لقريش، فدارت معركة، وقتل ثلاثة وأسر ثلاثة، وكانوا ستة يوم الرجيع، فقالوا: عضل والقارة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر، فشعر الناس أن هناك خبرا سارا وبشرى مفرحة قد وصلت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الجو خانق ، ادلهم الظلام ، الكروب أخذت بخناق المسلمين:

(إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) (الاحزاب١٠-١١)

في هذا الجو يجد المرجفون صيدهم الثمين، ووسيلتهم لتثبيط عزائم المؤمنين .

النفوس لا تحتمل كلمة سيئة ، ولا يشاع في هذا الجو إلا كل خير، وإلا فالهزيمة للمسلمين، وقد نكون مخلصين ولكننا نطوي الخنجر المسموم في أعماق هذا الدين ونحن لا نعلم ، ونتصرف بإخلاص ويقين .

ويوم أن جاءت رسالة عمر رضي الله عنه في غير توقيتها بعزل خالد وهو يستعد لمعركة اليرموك الفاصلة التي وقف بعدها هرقل يلوح بيديه لسوريا قائلا (وداعا يا سوريا وداعا لا لقاء بعده) ، يوم أن جاءت تلك الرسالة بعزل خالد وتولي أبا عبيدة ، طواها خالد ووضعها في جيبه حتى لا يفت في عضد المسلمين، وبعد أن خاض المعركة بغير ولاية خاضها وهو معزول حتى لا يطعن هذا الدين في أعماقه، وبعد أن نصر الله جنده وأعز دينه وهزم الكفر وولت جموع الروم هاربة تلقي بنفسها في نهر اليرموك أخرج الرسالة من جيبه وقرأها على جموع المسلمين، وولى أباعبيدة أمارة المؤمنين .

ماذا كان سيحصل في التاريخ لو سلم خالد رسالته أبي عبيدة قبل اليرموك ، والنفوس تعرف من هو خالد البطل الذي لم يهزم في جاهلية ولا في إسلام ، ويوم أن طلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لافتتاح مدينة بيت المقدس وليتسلم مفاتيحها من صفرونيوس ورأى أعمال خالد بن الوليد قال : رحم الله أبابكر لقد كان أعلم مني بالرجال .

فماذا نقلنا وماذا غيرنا من صورة الجهاد الأفغاني؟! وكيف خدعنا المسلمين؟! ألم يقفوا أمام دولة من أكبر دول الأرض زنيمة خلف وارسو؟!

ألم يكسروا ظهر روسيا الامبرطورية السوفيتية؟! ألم يصرخ قائد الجيش الروسي إثر انسحابه قبل أشهر [هذا اليوم الذي ننتظره منذ سنين]؟! أروني بالله عليكم أي جيش في بلاد المسلمين قد حقق ما حققه الشعب الأفغاني! أروني شعبا قد أذاق المسلمين حلاوة الأمل، و استعذبت بسببه و رأت بوارق النصر! أروني شعبا من الشعوب بالله عليكم قد رفع رؤوس المسلمين في الارض! يقصم الجهاد ظهر الشيوعية؟! ألم يضرب الضربات المتتالية في رأس جورباتشوف حتى غير عقيدته تجاه المجتمع كله؟! ألم يدفع غورباتشوف بنفسه يقلع الشيوعية من جذورها؟! غورباتشوف يعلن أنني سأسحب مليوني جندي من أوروبا الشرقية، فيقول زعماء ووزراء دفاع الأطلسي لكارلوتشي وزير الدفاع الأمريكي أن غورباشوف قد غير سياسته تجاه الغرب، قال: لا، لقد أجبره الافغان أن يغير سياسته تجاه العالم أجمع.

أنتم لا تدركون الآثار البعيدة التي أوقعها الله في الأرض بسبب هذا الجهاد المبارك .

أي إحياء للأمم بسبب الدماء التي تسيل فوق سطوح الهندكوش ، أي إرواء للأمل بسبب الجثث و الأشلاء التي تتناثر على الطريق في هريرود و في سرخ رود ؟! أي حياة أودعها الله في أعماق النفوس بسبب هؤلاء الأسود الذين أعادوا للإسلام صفحاته البيضاء الأولى التي غابت منذ قرون ؟! أي دماء جرت في العروق بسبب هؤلاء الذين أعز الله بهم دينه و رفع رايته ، وأعز شريعته ، وأحيا أمة الإسلام ؟! وأنتم في الميدان عليكم أن ترددوا ما ردد أبو بكر ، وإن لم ترددوا سأردد: والله لو خذلني الناس جميعا ، لنصرت الافغان وبقيت على هذا الطريق ، ووالله لقد قلتها قبل سنوات ونقولها لله عندما رأيت أن خطى الجهاد قد توقفت قليلا عن التقدم سنة (١٩٨٤م -١٩٨٥م)، قلت لن يسقط هذا الجهاد وأنا حي ما دمت أستطيع أن أتنفس ، سأثير الدنيا كلها، وسأستنفر العالم، وسأستنجد بالعرب والعجم، وسأنتشر ما أنتشر حتى يقف الناس بجانب هذا الجهاد المبارك لمواصلة الطريق واستمرار المسيرة.

فالذين يريدون من هذا الدين أن يخوض معركة ضد الظالمين وضد أعدائه المتربصين الذين يصوبون سهامهم من كل حدب وصوب، ويريدون شعبا ذا صفات **(لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)** (التحريم ٦).

فليبحثوا لهم عن شعب يعيش في السماء، أما في الأرض فقد أبت ذلك **(وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)** (يوسف ١٠٣).

من عبر الأيام[1]

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده :

فلقد تأخر فتح جلال آباد، بل اضطر المجاهدون أن يتراجعوا عن سمر خيل، اللهم فنعم، ولقد وقف المجاهدون على أسوار قندهار دون تقدم ولا تأخر ولا انتصار ، اللهم نعم ، حدثت مأساة فرخار وقتل فيها زمرة من القادة الكبار، هذا صحيح لا جدال فيه ، ولم تستطع ليوث الله من أبناء أفغانستان أن يغلقوا طريق كابل - حيرتان ، فهذا مما لاشك فيه .

ومع هذا كله : فالطمأنينة النفسية لا تفارق قلبي ، والسكينة تغشاني، والراحة تلف كياني أن النصر – إن شاء الله – قادم ، فالتكاليف باهظة، والأيام دول، والحرب سجال، والأمر بيد الكبير المتعال:

(وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين)

آل عمران ١٤٦.

النهج الحق:

من نعمة الله العظمى على البشر إرسال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، ووظيفة الرسل تجسيد المنهج الرباني، وتحويله من جمل وعبارات إلى سلوك وأخلاق وحركات، وإن من الأمور التي يطلع عليها المسلم من خلال تصفحه لسير الصّحب الكرام والتابعين لهم بإحسان فيراها أحيانا غير متناسقة مع الإشراقة التي تلف معظم الصورة، ولا تتناسب مع إطارها، ويود لو أن هذه الصفحة أو الصفحات القاتمة في هذا السفر المشرق لم تكن ، ويتمنى المرء من أعماقه لو توارت هذه النقاط من هذه الصورة الرائعة الوضيئة ،

---

١ ـ لهيب المعركة العدد ٦٠ التاريخ ١٨ محرم ١٤١٠هـ ـ الموافق: ١٩ أغسطس ١٩٨٩م.

ولكن الله – عز وجل – وهو العليم بطبيعة البشر، ويعلم أن النفس البشرية يعتريها نقص ، ويصيبها فتور، ويعتري مسيرتها هفوات، ويرى في جادته الكبوات، وهذا كله :حتى لا ييأس البشر إذا وقعوا في نفس الهفوات، وإذا اعترى مسيرتهم نفس الكبوات .

منهج رباني بجهد بشري:

إن الله – عز وجل – يقيم منهجه في الأرض من خلال الجهود البشرية والنفوس الإنسانية، ولذا وهو سبحانه يريد أن يبقى طريق الإيمان عامرا بالسالكين الذين يتدفقون حيوية ويفعمون أملا:

(والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله و لم يصروا على ما فعلوا و هم يعلمون) آل عمران : ١٣٥ .

إن رب العزة لا يريد أن يغص طريق الإسلام باليائسين و المشلولين، كلما رأى بعض الخلل في مسيرة الجماعة أو كبوة من قبل بعض قادتها ، و لذا جاء الحديث الصحيح : **(أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم)** و في رواية أبي داود: **(فو الذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثر و يده بيد الرحمن)**.

ومن هنا كان في التاريخ الإسلامي يوم صفين ، و يوم الجمل، و قتل في هذه الأيام خيرة الصحابة اثنان من العشرة المبشرين بالجنة و من البدريين طلحة و الزبير ، و قتل عمار ، و ترى في سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم يوم الرجيع و بئر معونة، فلم يفت في عضد الرسول صلى الله عليه و سلم قتل خيرة أصحابه ، ولم يهن صلى الله عليه و سلم بقتل سبعين من أصحابه يوم معونة في عشية واحدة .

و هذا كله لغرضين بارزين – و الله أعلم –:

١- حتى لا تيأس الإمارة إذا فقدت قادتها في أرزاء فادحة و كوارث كبيرة .

٢- حتى لا تيأس الأجيال إذا و قعت أمام نواظرها مثل هذ الهفوات.

لكن النفوس تبقى متطلعة للقمة السامقة التي احتلها هؤلاء الصحابة الكرام، و تحاول بكل جهودها أن تمضي صعدا نحوها .

طريق الدعوة و البناء:

لا بد أن يعلم السالكون على طريق هذا الدين أن هذ الجادة مروية بالدماء، و محفوفة بالأشلاء، و مفروشة بالأشواك و العقبات.

ولا بد أن نواجه – قيادة و جنودا – عقبات و صعوبات ومشاكل من داخل الصف ومن خارجه، فتنا من الأعداء بكيد الحاقدين، و من الأصدقاء بإخلاص البسطاء، وليس لها علاج إلا الصبر و الصلاة:

(يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) البقرة(١٥٣).

و لذا فإن و اقعة أحد تركت عبرها ودروسها في أعماق نفوس الصحابة أكثر من بدر، و بقيت جراحها معالم واضحة طيلة الطريق، و أضحت محنتها منحة و نقمتها نعمة ، و بقي احد الذي قال عنه صلى الله عليه و سلم **(هذا أحد يحبنا و نحبه)** يمثل قمة شامخة في جادة التربية الإسلامية ، و ما أحرانا و نحن نسمع بالأنباء الجارحة أن ندرس قضية يوم الرجيع و يوم معونة في صفر سنة ٤ من الهجرة .

بعث الرجيع:

في شهر صفر من السنة الرابعة من الهجرة قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم قوم من عضل و قارة ، و ذكروا أن فيهم إسلاما، وسألوا أن يبعث معهم من يعلمهم الدين ، و يقرئهم القرآن ، فبعث معهم ستة نفر في قول ابن اسحاق – و في رواية البخاري أنهم كانوا عشرة –، وأمر عليهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي في قول ابن اسحاق، و عند البخاري أنه عاصم بن ثابت جد عاصم بن عمر بن الخطاب ، فذهبوا معهم ، فلما كانوا بالرجيع – و هو ماء لهذيل بناحية الحجاز بين رابغ وجدة – استصرخوا عليهم

حيا من هذيل يقال لهم بنو لحيان ، فتبعوهم بقرب مئة رام، و اقتفوا آثارهم حتى لحقوهم ، فأحاطوا بهم -وكانوا قد لجئوا إلى فدفد- و قالوا : لكم العهد و الميثاق ، إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلا ، فأما عاصم فأبى من النزول و قاتلهم في أصحابه، فقتل منهم سبعة بالنبل، و بقي خبيب و زيد بن الدثنة و رجل آخر فأعطوهم العهد و الميثاق مرة أخرى فنزلوا إليهم ، و لكنهم غدروا بهم وربطوهم بأوتار سيهم ، فقال الرجل الثالث : هذا أول الغدر، و أبى أن يصحبهم، فجروه و عالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه ، وانطلقوا بخبيب و زيد،

فباعوهم بمكة، و كانا قد قتلا من رؤوسهم يوم بدر ، و أما خبيب فمكث عندهم مسجونا، ثم أجمعوا على قتله قال : دعوني حتى أركع ركعتين، فتركوه فصلاهما ، فلما سلم قال : والله لولا أن تقولوا إن ما بي جزع لزدت، ثم قال اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تبق منهم أحدا، ثم قال :

ولست أبالي حين أقتل مسلما   على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشـــأ   يبارك على أوصال شلو ممــــزع

فقال له أبوسفيان : أيسرك أن محمدا عندنا نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ فقال لا والله ما يسرني أني في أهلي وأن محمدا في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه .

ثم صلبوه ووكلوا به من يحرس جثته، فجاء عمرو بن أميه الضمري فاحتمله بخدعة ليلا، فذهب به فدفنه، و كان الذي تولى قتل خبيب هو عقبة بن الحارث، وكان خبيب قد قتل أباه حارثا يوم بدر ، وفي الصحيح أن خبيبا أول من سن الركعتين عند القتل، وأنه رئي وهو أسير يأكل قطفا من العنب ، وما بمكة تمرة.

وأما زيد ابن الدثنة فابتاعه صفوان بن أميه فقتله بأبيه، وبعث قريش إلى عاصم ليرجعوا بشيء من جسده يعرفونه – وكان عاصم قد قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر -، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر – الزنابير -، فحمته من رسلهم، فلم يقدروا منه على شيء، وكان عاصم أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا، وكان عمر لما بلغه خبره يقول : يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما يحفظه في حياته .

مأساة بئر معونة:

وفي نفس الشهر الذي وقعت فيه مأساة الرجيع وقعت مأساة أخرى أشد وأفظع من الأولى، وهي التي تعرف بوقعة بئر معونة ، وملخصها أن أبا براء عامر بن مالك المدعو بملاعب الأسنة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فدعاه إلى الإسلام فلم يسلم ولم يبعد، فقال: يا رسول الله لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك لرجوت أن يجيبوهم، فقال: إني أخاف عليهم أهل نجد، فقال أبو البراء أنا جار لهم، فبعث معه أربعين رجلا في قول ابن إسحاق، وفي الصحيح أنهم كانوا سبعين رجلا، -والذي في الصحيح هو الصحيح -، وأمر عليهم المنذر بن عمرو بن ساعدة الملقب بالمعتق ليموت، وكانوا من خيار المسلمين وفضلائهم وساداتهم وقرائهم ، فساروا يحتطبون في النهار يشترون به الطعام لأهل الصفة ، ويتدارسون القرآن ، ويصلون بالليل ، حتى نزلوا بئر معونة، وهي أرض بين بني عامر وحرة بني سليم، فنزلوا هنالك، ثم بعثوا حرام بن ملحان أخا أم سليم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلم ينظر فيه ، وأمر رجلا فطعنه بالحربة من خلفه، فلما أنفذها فيه ورأى الدم قال حرام : الله أكبر فزت ورب الكعبة .

ثم استنفر عدو الله لفوره بني عامر أي لقتال الباقين ، فلم يجيبوه لأجل جوار أبي براء، فاستنفر بني سليم فأجابته عصية ورعل وذكوان ، فجاءوا حتى أحاطوا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد بن النجار فإنه ارتث من بين القتلى ، فعاش حتى قتل يوم الخندق .

وكان عمرو بن أميه الضمري والمنذر بن عقبة بن عامر في سرح المسلمين، فرأيا الطير تحوم على موضع الوقعة ، فنزل المنذر فقاتل المشركين حتى قتل مع أصحابه، وأسر عمرو بن أمية الضمري ، فلما أخبر أنه من مضر جز عامر ناصيته وأعتقه عن رقبة كانت على أمه .

ورجع عمرو بن أميه الضمري إلى النبي صلى الله عليه وسلم حاملا معه أنباء المصاب الفادح ، مصرع سبعين من أفاضل

المسلمين فذكر نكبتهم الكبيرة بنكبة أحد، إلا أن هؤلاء ذهبوا في قتال واضح، وأولئك ذهبوا في غدر شائن - الرحيق المختوم ٣٣٢٢ وسيرة ابن هشام ١٧٨/٣ -١٩٣. ارتث : لم يمت مباشرة من الجرح

والآن ماذا عن فرخار وأفغانستان ؟

لقد وجدت أن القادة الكبار جادون في حل المشاكل التي تعتري المسيرة، ورأيت أن حكمتيار ومسعودا كلا منهما يبحث عن أفضل الوسائل لتجاوز المشاكل التي يحدثها المنتفعون والمرجفون، والذين لا يمكن أن تخلو منهم منطقة أو منظمة أبدا ، قال رباني: لقد بقيت خمسة أيام مترددا عن إعلان أنباء الكارثة لأني أعلم أن هذا يسيء إلى الجهاد .

لقد اتفقت مع حكمتيار أن يلتقي بمسعود فوافق، فحال الحادث الجلل دون اللقاء، والتقيت بمسعود فأخبرته بأن حكمتيار موافق على لقائك، ففرح بهذا ورحب أيما ترحيب رغم المصاب الأليم، وقال لي : أنا مستعد أن ألتقي بحكمتيار في أي مكان في أفغانستان .

لقد حدثني حكمتيار أنه عازم أن يغلق طريق كابل- سالنج، فوجدت نفس الأفكار تراود ذهن أحمد شاه مسعود وقد رتب لها أيما ترتيب .

وقال حكمتيار بأنه ينوي أن يضرب مطار بغرام، فوجدت مسعودا قد أعد العدة لفتح بعض المدن .

لقد رأيت أن القضية الكبرى التي تسيطر على أعصابهم وتشغل أذهانهم هي الإطاحة بالحكومة الشيوعية في كابل، وكل منهم يحاول أن يسلك الطريق العملية الواقعية للوصول إلى هذا الهدف ، وما أجمل كلمة رباني : (إنني لأعلم أن الإساءة إلى حكمتيار إساءة إلينا وإلى الجهاد) .

والتنسيق ممكن، والأمل بالله كبير، واللقاء مقبل - إن شاء الله -، والشيوعية - والله أعلم - لا يمكنها البقاء، إن هذا عبث ضد طبائع الأشياء ، وبهذا الدين ننتصر، وعلى هدي نوره نسير.

ديننا ثورة عـلى كل حـيف	*ويوجه الزحف الشديد صمـود*
ديننا خنجر يمزق وجـه الليل	*إن قـام للظلام وجـود*
همة تقرع الزمان وعـزم	*لا ارتخاء وخيبة وركـود*

بشائر :

ونحن نتوقع فتوحات طيبة خلال الشهرين القادمين، وقد فتحت مديرية زيباق، وأمنت طريق طوب خانة، وبدأت كابل تميد تحت أقدام الطواغيت، وخرجت الجماهير تهتف بسقوط نجيب - هذا اليوم في شوارع كابل -، وأضربت بعض أحيائها عن الطعام، وأول الغيث قطر ثم ينهمر .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

العبث بالمقدسات

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد :

إن من أعظم الأمور وطأة على النفس الاستمرار على طريق الحق في العمل لإقامة دين الله في الأرض ، وعلى العامل للإسلام - إن كان صادقا جادا في مواصلة الطريق- أن يوطن نفسه على احتمال الأذى الذي يواجهه من داخل صفه أكثر مما يواجهه من مواطن أعدائه، والفتن الداخلية أشد وقعا على الأفئدة من الفتن التي يثيرها أعداء الله :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة   على المرء من وقع الحسام المهند

والسيرة النبوية أكبر شاهد أنه لا يمكن لصف أن يخلو من المغرضين والمنتفعين والمتربصين بقادة المسيرة الدوائر ، ولو خلا صف من جموع المرجفين لخلا منه صف سيد المرسلين أكمل الناس خلقا وأرفعهم أدبا وأطهرهم سيرة .

فمنذ أن بدأت شجرة الإسلام الغضة ترسل بأغصانها في الفضاء، أو تضرب جذورها في الأرض، واجهت أعاصير تريد اجتثاثها، وزوابع تود اقتلاعها، خاصة من أولئك الطامعين في ملك المدينة قبل أن تطيب المدينة بساكنها عليه الصلاة والسلام .

وكلما حقق رسول الله صلى الله عليه وسلم خطوة نصر على الطريق كلما شرق هؤلاء الحاسدون بالنصر، وغصوا بالتقدم والقوة التي يخطو بها القائد العظيم صلى الله عليه وسلم ، ففي أحد انخذل عبدالله بن أبي بثلث الجيش قائلا (لو نعلم قتالا لاتبعناكم) ، وفي غزوة المريسيع (بني المصطلق) قال : (أما والله يا معشر الخزرج ما أعدنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأولون: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) .

وفي يوم بني النضير في صفر سنة ٤ هـ وعندما عد رسول الله صلى الله عليه وسلم عدته ليعاقبهم على غدرتهم بعد أن حاولوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ووضع يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (يا محمد اعدل في حوالي، ستمائة دارع وحاسر لا أدعك تحصدهم في غداة واحدة)، ونزل فيه:

(ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون) الحشر(١١).

ويوم الخندق سنة (٥هـ) كانوا يقولون محمد يعدنا بملك كسرى وقيصر وأحدنا لا يستطيع أن يقضي حاجته .

وحتى تبوك سنة (٩ هـ) أعدوا قبلها مسجد الضرار لهدمه على النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات أثناء الإعداد للغزوة، وبعضهم كالجد بن قيس يقول يا محمد: (ائذن لي ولا تفتني فإني أخشى على نفسي من بنات بني الأصفر- الروم -) وفي طريق العودة أعدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كمينا في عقبة أحد الجبال ليلقوا بناقته في الوادي لتحطيمها، وأخبره الوحي بهذا .

والآن مع أفغانستان:

أقول باختصار وعلى شكل نقاط :

١-ما رأيت قضية إسلامية في هذا القرن أنجح ولا أعظم ولا أربح للمسلمين من هذه القضية.

٢- وما علمت قضية إسلامية في هذا العصر واقعها أعظم وأضخم بكثير من إعلامها مثل هذه القضية .

٣- ما عهدت حركة إسلامية في قطر من الأقطار الإسلامية استطاعت أن تحقق جزءاً مما حققته الحركة الإسلامية الأفغانية، إذ أن الحركة الإسلامية الأفغانية هي الوحيدة التي استطاعت بفضل الله ونعمته أن تخوض معركة ضد قوة كبرى وتنتصر عليها .

ولذا فإنني أرى أن الحركة الإسلامية في أفغانستان هي أنفع حركة إسلامية، لأنها خاضت أعمق وأكبر تجربة جهادية مع أطول مدة زمنية، وامتداد زمن المعركة لبضعة عشر عاما أعطى الحركة نضجا في التفكير، وعمقا في الرؤية، وصفاء في النفس، وشفافية في الروح، خاصة في المواضيع الكبرى للعقيدة: الصبر والتوكل على الله، خاصة في المحورين الكبيرين محور الرزق ومحور الأجل .

٤- ما أنجبت الحركة الإسلامية قيادات عسكرية في قطر من الأقطار أكثر ولا أنضج منه في أفغانستان ، وما قدمت شهداء من فلذات أكبادها أكثر من أفغانستان .

٥- إن العمل العسكري والتعامل مع ميدان الواقع وطبقات الشعب يختلف كثيرا عن الدراسة في الكتب، والاستمتاع النفسي والروحي بقصص السابقين، فيحلق الإنسان في جو نظيف وأمان عذبة، ويظن أن قصص هؤلاء خالية من الهفوات الشخصية والكبوات الإنسانية، حتى إذا رأى الكبوات من الأحياء يئس منهم وهجرهم وشن حملة عليهم .

وليس من رأى كمن سمع ، وليس من عاني وذاق مرارة التجربة كمن ينظر من بعيد ، وليس من خاض غمار المعارك واصطلى بلهيبها كمن يقرأ صحيفة وهو متكئ على أريكة أو مستلق على سريره . (ولا ينبئك مثل خبير) ولقد عشت المرحلة النظرية العذبة بين صفحات الكتب ، وعشت مرحلة المعاناة المريرة والمسيرة التي تضيء جوانبها الدماء والعرق والآلام والآمال .

٦- لم يمر في التاريخ الإسلامي المعاصر قضية واضحة المعالم في إسلاميتها ورايتها، وقادتها أنقى ولا أصفى من القضية

الجهادية في أفغانستان .

ومن أراد قضية إسلامية بدون شوائب في الطريق، ولا معكرات ولا كبوات، فليبحث عنها في السماء، لأنها لا يمكن أن تكون في الأرض .

٧- إن التسلي الإعلامي والتشفي الصليبي للصدور الحاقدة على هذا الدين بدأ يستمتع بنشر أخبار الخلافات بين المجاهدين، وصاروا يعيدون ويبدئون عن قتال المجاهدين بين بعضهم، واتخذوا من حادثة فرخار معينا ثرا ومادة دسمة لمداد أقلامهم وعناوين صحفهم . وقد نسجت كثير من الصحف العربية على منوال الصحف الغربية، وسلكت نهجها بالتشكيك بالمجاهدين وبصدق نياتهم، وأخذ الناس يستريبون بالجهاد ويظنونه حربا أهلية يسفك المسلمون دماء بعضهم البعض .

٨- إنني كشاهد في هذه القضية الإسلامية وقد مضى علي في خدمتها ثماني حجج (سنوات)، ولا تزيدني الأيام إلا ثقة بكبار رجالاتها وبأهدافها، ولم تزدني المعارك إلا طمأنينة على مسيرتها ونتائجها ، وإني لأرى أن النصر بإذن الله قادم قريبا أم بعيد ، وإني لأرى -إن شاء الله- أن هؤلاء القادة الذين يوجهون دفة الجهاد ويمسكون بزمامه أمناء على دين الناس وأموالهم وأعراضهم، وإن الدولة الإسلامية قادمة بإذن الله بعد النصر، ولابد من وقت لتربية الناس على الإسلام من خلال أجهزة الإعلام .

٩- إن تشويه القادة المعروفين أو الطعن فيهم إنما يعني طعن الجهاد نفسه، وتحطيم آمال المسلمين، وإلقائهم في مهاوي اليأس، وإني لأظن أن من يحاول تشويه هؤلاء الرموز البارزة على طريق هذا الجهاد آثم يرتكب محرمات كثيرة بالغيبة التي تؤدي إلى إعاقة المسيرة وتأخير النصر، والتقليل من فعالية المسلمين و بذلهم وإسهامهم بالنفوس و الأموال في هذه المعركة الجهادية المشرفة .

وإن عملية إظهار عيوب القادة والأمراء بقصد أو بدون قصد إنما هو صد عن سبيل الله، ومنع للخير أن يصل إلى أرض المعركة ، وصرف لقلوب المسلمين وأيديهم عن التوجه إليها .

ولا يزيد هذا العمل المسلمين إلا حزنا وجراحا فوق جراحاتهم، ويصبح لسان حال المسلمين يردد قول المتنبي :

رماني القوم بالأرزاء حتـــى	*فؤادي في غشاء من نبــــال*
فصرت إذا أصابتني سهـــام	*تكسرت النصال على النصال*
فــــهان وما أبالـي بالرزايا	*لأني ما انتفعت بأن أبالـــي*

١٠- إن قتل أي قائد أو أمير من قادة الجهاد إنما يعني اخلاء ثغر من ثغور الإسلام من ليث من ليوثه شهد له الأعداء والأصدقاء بالصولات والجولات، وكم أذل الله على يديه من الكفار، وكم حمى به من الديار، وكم حفظ الله به من الأعراض وحقن من الدماء .

فماذا لو سقط الجهاد الافغاني ؟ أليس من الممكن أن تذهب الجزيرة العربية نفسها وتغرق بالطوفان الأحمر ؟

فليتق الله أولئك الذين يتبرعون بنقل الخلافات، ونشر السلبيات، وإشاعة الأخبار المحزنة للمسلمين من صحفي أو كاتب أو غيره: **{إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون}** (النور:١٩).

ولقد حدث من المعارك التي تسر القلب وتشرح الصدر خلال هذا الشهر الكثير، وعلى الطريق أخبار مفرحة وأنباء سارة وعمليات ضخمة -إن شاء الله-، ونرجو الله أن يتمم بالنصر والتسديد والتمكين والتأييد .

وما أجمل أن ننهي مقالنا بكلمات من إمام الحرمين الجويني وكأنها ترد على أولئك الذين يعيبون على القادة بعض أخطائهم .

فضل المجاهدين:

ويتكلم إمام الحرمين الجويني عن فضل الذين يدافعون عن الحرمات فيقول : فمن استمسك بالحق ولم يمل به مهوى الهوى عن الصدق تبين على البدار والسبق أن خزائن العالمين وذخائر الأمم الماضين وكنوز المنقرضين لو قوبلت بوطأة من الكفار لأطراف ديار الإسلام لكانت مستحقرة مستنزرة ، فكيف لو تملكوا البلاد ، وقتلوا العباد ، وقرعوا الحصون والأسداد، ومزقوا عن ذوات الخدور حجب الرشاد، ومال إليهم من لا خلاق له من حثالة الناس بالارتداد، وتحلل الحرائر العلوج وهتك حجالهن، وانقطعت الجماعات والأذان، وشهرت النواقيس والصلبان، وتفاقمت (زادت) دواعي الاجتراء والافتضاح، وصارت خطة الإسلام بحرا (طافحا) بالكفر الصراح ؟؟

فالقول في أقوام بذلوا في الذب عن دين الله حشاشات الأرواح، وركبوا نهايات الغرر (المخاطر)، متجردين لله تعالى في الكفاح، وواصلوا الإمساء بالصباح، والغدوة بالرواح، وركبوا إلى الموت أجنحة الرياح، متشوقين إلى منهل المنايا على هزة وارتياح، حتى وافوا بحرا من جمع الكفار لا ينزفه إدمان الانتزاع، فركنوا للموت، وتنادوا أن لا براح (مغادرة)، وألموا بهم إلمام القدر المتاح، وما وهنوا وما استكانوا وإن عضهم السلاح، وفشا فيهم الجراح ، حتى أهب الله رياح النصر من مهابها ، ورد شعائر الحق إلى نصابها ، وقيض من ألطافه بدائع أسبابها .

أيتقل هؤلاء على أهل الإسلام بنزر من الحطام وهم القوام والنظام؟!!

رد على أصحاب البروج العاجية:

يرد الجويني على الذين يظنون العمل الإسلامي صفوا من الأكدار فيقول: لو فرضنا خلو الزمان عمن تشكون من الأقوام، وتعري الخواص والعوام عن مسيطر بطاش قوام، أهذا أقرب إلى السداد والانتظام ؟ أم قيامهم على الثوار والطغام مع امتداد الأيدي إلى نزر مما جمعوه من الشبهات والحرام ، مع استمساكهم من الدين الحق بأقوى عصام، ووقوفهم في وجوه الكفار كأنهم أسود آجام ؟

فالوجه رؤية أنعم الله في مثارها، والابتهال إليه في عوائل الطرق ومضارها، ومن طلب زمانا صافيا عن الأقذاء والأكدار فقد حاول ما يند عن الإمكان والأقدار .

(ومكلف الأيام ضد طباعها   متطلب في الماء جذوة نار) (الغياثي للجويني) ص ٣٥٠ - ٣٥١

ونحن نقول أخيرا:

أقلوا عليهـــم لا أبـــا لأبيكـــم   من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

صبر جميل[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده :

وصلتني بالأمس رسالة من أحد الإخوة في جدة يقول فيها : إن عدم تعرضكم لذكر حادثة فرخار يجعلنا نشك في نشرتكم -اللهيب - بأنكم لا تنقلون الحقائق كلها .

ويبدو العتاب الشديد من خلال الخطاب المؤدب الذي وصلنا من هذا الأخ، فرداً على هذا نقول:

{صبر جميل والله المستعان على ما تصفون}.(يوسف١٨)

ثم نفتح صفحة قلوبنا لإخوتنا الذين يشاركوننا مسيرة الآلام والآمال من وراء البحار ، فنقول كما قال السلف :

(ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لهم)، ونردد مقالتهم:

(حدثوا الناس بما يعقلون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟!).

ونقرر قبل أن نبدأ بتصفح المسيرة وتتبع خطوات السلف :

إن الإعلان عن حادثة فرخار والإفصاح عن تفاصيلها كان خطأ كبيرا ظن فاعلوه أنهم يترجمون النص الكريم عمليا:

{لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم}. (النساء١٤٨)

ولكن الأعداء والحساد استغلوا الحادثة استغلالا بشعا لتشويه الجهاد وتحطيم بعض الشخصيات الجهادية في جادته .

لقد كانت حادثة فرخار مادة دسمة ومدادا رتقا (شانئا) غزيرا لأقلام الذين يتربصون بهذا الجهاد الدوائر، ويقعدون له كل

---

١ ـ لهيب المعركة العدد ٦٧ التاريخ ٢ صفر ١٤١٠هـ ـ الموافق: ٢ سبتمبر ١٩٨٩م.

مرصد ، يتتبعون خطواته ، ويعدون هفواته ، ويحصون كبواته، ولا أظن أحدا ممن نقلوا هذا الخبر الفاجع أدرك أبعاده ولا سبر أغواره ، فكل من قرأ الحادث أو نقله أو تسلى به في المجالس إنما رأى أعراض حادثة ولكنه لم يدرك حقيقتها .

ولعلي من أوائل الواصلين الى فرخار ممن قدموا من خارج المنطقة، ولقد مكثت شهرا كاملا في رحلة (تقصي الأخبار وتحقيقها)، ولم يشف صدري بحث أيام متواصلة من الاتصال بشهود العيان ممن أسروا في الحدث الجلل، أو من العلماء والوجهاء الذين وفدوا ليكونوا شفعاء للأسرى قبل قتلهم ، ومع هذا كله فلم أشف غليلي ، ولم أستطع سبر أغوار الحدث وتتبع جذوره، وعدت دون أن أستطيع أن أقول قولا فصلا لا لبس فيه ولا تلعثم، فكيف بالذين قرأوه في صحيفة أو طالعوه في مجلة ؟!

إن كثيراً من الأحداث التي تجري أحيانا في مسيرة الجهاد لها جذورها العميقة البعيدة كل البعد عن الاستراتيجيات العسكرية والتنظيمات الجهادية .

لابد أن يعلم الناس:

أن هذا الجهاد جهاد شعب ، وكل شعب له طبقاته المختلفة ، فمنهم من يباري ماء المزن طهارة وصفاء ، ويزاحم الكرام البررة منزلة عند رب العالمين، و منهم سابق بالخيرات بإذن الله، ومنهم المقصر (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) ، ومنهم ظالم نفسه ، وقوم قست قلوبهم ، وآخرون مردوا على النفاق ، وقوم غرقوا في ذنوبهم واشتد عودهم فلم يعد ينفع معهم نصح ولا موعظة، وأناس كانوا قبل أن يدخل الروس لصوصا وقطاع طرق .

وقام الانقلاب الشيوعي برئاسة تراقي سنة (١٩٧٨م) ، ثم دخل الروس في ديسمبر سنة (١٩٧٩م)، وامتشق كل أفغاني حسامه، واخترطت كل طبقة سيفها، ووقفوا في وجه الروس بعد أن ظنّ بعض المخلصين أن أفغانستان انتهت إلى الأبد، وضمت أفغانستان إلى روسيا كبقية الولايات الإسلامية مثل بخارى وسمرقند وطشقند والقرم وسيبيريا .

حدثني محمد ياسر قائلا : كنت مع مجموعة من المجاهدين في بدخشان عند دخول الروس، فبكى بعضهم حتى أغمي عليه، نقلت لهم مقالة أنس بن النضر لبعض الصحابة الذين ألقوا بأيديهم فقال ما يجلسكم؟! فقالوا : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ فقوموا فموتوا على ما مات عليه ... ثم استقبل فقاتل حتى قتل ووجد به بضع وسبعون ضربة ولم تعرفه إلا أخته .

وبدأ الجميع يواجهون الروس سواء كانوا قطاع الطرق أو من خيار القوم، فهب أستاذ المدرسة مع تلاميذه وأنطلق يواجه الروس، وقام الشيخ مع مريديه يقاتل، وطفق عمدة القرى ووجهاء الدساكر والمديريات يخوضون المعركة، والتف حول كل شخص بارز فئته وجماعته، وأبدوا بطولات رائعة وشجاعة فائقة، وكان البعض يردد

(وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) . (النساء٧٥).

والآخرون يرددون :

المجد للسيف ليس المجد للقلم ... حتى رجعت وأقلامي قوائل لي

أجاب كل سؤال عن هل بلم ... من اقتضى بسوى الهندي حاجته

ولدى الإنقلاب الشيوعي الذي يرأسه تراقي هب الشعب بأغلبيته يقاتل لإعلاء كلمة الله، والبعض حمية لقومه، أو دفاعا عن أفغانستان الحبيبة، ولم يكن بارزا في الساحة آنذاك سوى قائدين : حكمتيار ورباني .

فرباني شكل الجمعية الإسلامية، وحكمتيار نظم الحزب الإسلامي ، فعندما قام الناس بالجهاد قام حكمتيار بمد البعض بالسلاح فانضموا إلى الحزب الإسلامي ، ورباني أمد البعض الآخر فانضموا تحت لواء الجمعية الإسلامية .

ثم جاءت التنظيمات الأخرى تباعا .

أما الراية المرفوعة فوق رأس الجميع فهي الراية الإسلامية .

أما الهدف المسطر في دساتيرهم فهو : إقامة حكم الله في الأرض، وبناء المجتمع الإسلامي، وأما الذين يمتشقون السلاح :

لكنهم مسلمون.

ولكن الغثاء موجود، والزبد متوافر، وفي المسيرة مجموعات كثيرة تتفاوت في صفاتها وفهمها وصدقها وإخلاصها . ومعظمهم أميون، مع صفاء الفطرة، ونبل المحتد (الأصل)، وكريم الخصال من غيرة زائفة وعزة وإباء ورجولة وحياء ، ووضوح وصفاء وكرم ووفاء، مع هذه الخصال : حدة الطباع ، وسرعة الغضب ، وحب الثأر والانتقام .

والمجاهدون من عروق مختلفة وأجناس متنوعة، فالبشتون يشكلون أغلبيتهم بما يصل إلى ٦٠٪ تقريبا، ثم التاجك (الفرس)، ثم الأزبك والهزارة والتركمان والنورستان .

وتجد في كل تنظيم من كل هذه العروق والأقوام، فتجد من قادة الجمعية البارزين في الشمال (أرينبور و مسعود من التاجيك، وعارف خان من البشتون، وعبدالحي حقجو من الهزارة (السنة)، وقاضي إسلام الدين من الأوزبك) .

وكذلك تجد في الحزب الإسلامي هذه التركيبة وتلك التشكيلة، فذابت الفوارق الجنسية تحت الراية الإسلامية المرفوعة، وهدمت الحواجز القبلية، وانطوت الحدود الجغرافية، وذلك لأن قادة المسيرة الكبار تربوا على الفكر الإسلامي، ورفعوا لواءه، واتخذوه قاعدة واستراتيجية .

ولكن لابد أن تضع نصب عينيك أنه ما من تنظيم إلا وفيه من الأبرار والأشرار والخيار والأغرار . ولا تنس أن كثيرا من المجاهدين لم تحظ نفوسهم بقسط من الصقل والتثقيف والتطهير والتنظيف .

ولا تنس أن قاطع الطريق قد أبدى بطولة فائقة في تدمير الدبابات الروسية، وحرر قريته، وبقي قائدا أو أميرا لقريته. وقد بهر الناس بشجاعته، وتغنوا ببسالته، لأنهم يريدون أن يتخلصوا من الدب الروسي ، وخرج الدب الروسي ذليلا مهينا مثخنا بجراحه، وبقي قاطع الطريق قائدا لقريته .

وقاطع الطريق هذا سواء التف حول الجمعية أو أوى تحت لواء الحزب فقد بقي قاطع طريق له خلال السوء وصفات الشر، وزادته الحروب شراسة وحدة، وزاده السلاح الذي بين يديه غرورا وصلفا وكبرا .

وقاطع الطريق هذا له مطامعه وطموحاته ، وعنده حاجاته وضروراته، فلابد من نفقة على نفسه وحرسه وجنده . وهذا لا يتأتى له إلا من خلال (الزكاة) التي يجمعها من سكان قريته، فإن لم تكف نصب كوخا على الطريق المجاور يأخذ ضريبة على الناقلات المارة، ويقتطع حصته من البضائع المحمولة والخضروات والفواكه المنقولة .

وقاطع الطريق هذا ما لم يجد قائدا أكبر منه في تنظيمه يأخذ على يده ويقيد تصرفاته فإنه يصبح وبالا وأذى على قريته نفسها وعلى القرى المجاورة، فيغير عليها ليضمها إلى قريته حتى تزداد العشور ويؤمن النفقة، وفي الإغارة قد تقتل بعض النساء أو الأطفال، فيقوم التنظيم الآخر المعتدى عليه فيرفع عقيرته ويجأر بالشكوى قائلا: لقد اعتدى علينا التنظيم الأول وقتل منا ونهب قريتنا، وتحمل تبعة العمل للجمعية أو الحزب أو أي تنظيم مشترك.

والأحزاب براء من هذه الممارسات الإجرامية غالبا، وأمراء التنظيمات في بيشاور من هذه المفاسد بعيدون كل البعد، بل يتجرعون الغصص ويتقلبون على مثل شوك الغضا هما وسهودا وحزنا وقلقا.

وأكبر إجراء يمكن أن يعمله الزعماء في بيشاور أن يقطعوا السلاح عمن يشترك في الفتن ، ولكن الذخائر تملأ السوق لمن أراد أن يشتري أو يتسوق، وهذه الذخائر سواء كانت من الغنائم أو من الشيوعيين وعملاء الدولة أو من التجار الذين يتمسحون بالجهاد ويتاجرون بالدماء والأعراض فهي متوافرة موجودة.

والسؤال الكبير:

كيف يرضى أمراء الأحزاب في بيشاور بأمثال هؤلاء في تنظيماتهم ؟ أليس من الواجب عليهم أن يعزلوهم ويولوا أصلح منهم، ويطهروا الأرض من شرهم ؟ ولكن الأمر ليس بهذه السهولة ، إن قرار العزل الذي يسطر على ورقة من بيشاور والمتضمن تعيين قائد جديد للقرية لا يتم تنفيذه ولا إقراره بهذه السهولة ، هنا تبرز مشكلة القوم الذين يقطنون القرية، فليس من السهل على نفوسهم أن يقبلوا قائدا من غيرهم ، وقد يكون القائد الجديد من قومهم، ولكنه لم يبرز في المعركة عبر السنوات العشر الماضية ، وإن ساغ الأمر

وتيسر من جهة القوم وأسبقية الجهاد فهنالك مشكلة القائد القديم الذي يرفض قرار العزل غالبا، ويناصب التنظيم نفسه والقائد الجديد العداء، وبدلا أن نكون بمفسد واحد أصبحنا الآن أمام مشكلة أكبر وهي تنظيمان متواجهان يحمل كل منهما السلاح في وجه الآخر ، ولذا يضطر كثير من الأمراء في بيشاور أن يأخذوا بقاعدة أهون الشرين، وقاعدة (الأمير الظالم لا يقام في وجهه إذا أدى تغييره إلى فتنة أكبر)، وعندها لسان حالهم يردد : (حنانيك بعض الشر أهون من بعض) ، وتجد أحيانا بعض المجاهدين يحمل في طياته حقدا على قاتل أبيه قبل ثلاثين سنة، فيشفي غليله ويثأر لأبيه ويحمل حزبه جريرة عمله .

كيف الخلاص: ويتساءل كثير من المخلصين: وإذن سندع هؤلاء المفسدين يهلكون الحرث والنسل؟ فكيف يقوم على هؤلاء مجتمع مسلم آمن على دمائه وأعراضه وأمواله ؟! وكيف يمكن أن نطبق شرع الله في المستقبل على الشعب كله .

فنقول وبالله التوفيق:

نحن الآن في مرحلة انتقالية وليست دائمة، والقادة الكبار رايتهم إسلامية، وتربيتهم في محاضن الدعوة الإسلامية ، والهدف الكبير هو إقامة دين الله، ولاحل إلا بالإطاحة بالحكم الشيوعي، ونقول : لا يمكن أن تطهر الأرض من هؤلاء المفسدين الآن ،لابد من الانتظار ريثما تقوم حكومة مركزية قوية في كابل فتأخذ بالزمام، وتستلم مقاليد الأمور، وتعيد تنظيم البلاد على ضوء الكتاب وعلى هدي السنة المشرفة، ويعود الأمن إلى نصابه، وتستقر الأمور تدريجيا، ومع البناء والتربية والتوجيه والصبر، ومن خلال الأجهزة المتاحة بالتلفاز والمذياع والجامعة والمدرسة والمحراب والمنبر والصحيفة والمجلة يتم البناء التدريجي، والتطهير التدريجي، ولا بد من مراعاة عامل الزمن والصبر على المحن وانتظار الفرج : (**سيجعل الله بعد عسر يسرا**).

بشائر :

ونبشر المسلمين بفتوحات كبيرة في خوست (دراكي وغيرها)، وإغلاق مطار قندهار و بجرام، وسد طريق سالانك، ونحن نتوقع بإذن الله فتوحات كبيرة في شهري صفر وربيع الأول قبل نزول الثلج، فصبر جميل .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

صيف ساخن

الحمدلله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده :

فلقد بدأت الأرض تهتز تحت أقدام الشيوعية في معظم المناطق في أفغانستان، وبدأت قندهار تزلزل زلزالها ، وأما فراه وهرات ففجرت براكينها وأخرجت أثقالها، وأما كابل فهي تنتظر أياما ساخنة في شهري سبتمبر وأكتوبر، لأن المجاهدين يتواعدون ليصبوا جام غضبهم على كابل قبل سقوط الثلج، وشل الحركه فوق جبال بغمان وشكردره .

والذين يعرفون قندهار وفراه يدركون أكثر من غيرهم مدى المعاناة التي يتكبدها المجاهدون، والقصص التي يتجرعونها، إنهم يتحركون في مفازة مهلكة مكشوفة لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، إذ أن منطقة جنوب غرب بولاياتها الثماني تقع ضمن بيداء قاحلة قلما تجد فيها جبلا أو صخرة، وكم شهدت هذه الصحراء من مشاهد حمراء قضى فيها المجاهدون نحبهم، أو أفضوا إلى ربهم بسبب غارات الطائرات على القوافل المارة، أو انتظار كمائن الدبابات لمجموعة سارية.

وتشدنا الذكريات بأشجانها، وتسوقنا الخواطر سوقا فتنكأ جراحنا، إذ أن هذه الصحراء قد ضمت في رمالها أجساد الكثيرين من الشهداء، واحتضنت في طياتها جسدي أول شهيدين في مكتب الخدمات: أبي حمزة (ماهر جودة أبو شلبك الفلسطيني) وأبي عثمان(عبدالله رجب الفيلكاوي الكويتي).

أما الكويت فقد عقمت بعد أبي عثمان فلم تقدم شهيداً، ثم سبقتها معظم البلدان العربية بعدد رجالها وعدد شهدائها ، فهناك

في صحراء هلمند مضى ذانك الليثان إلى ربهما بعد معركة مشرفة قال الأفغان معلقين (ما رأينا أشجع من هذين العربيين) ! إذ مجرد أن اصطدم المجاهدون بالكمين أنزل أبو حمزة الدوشكا ونصبه، وبدأ يمطرهم بوابل رصاص هذا الرشاش، فتارة يوجهه إلى الدبابات المحيطة، وأخرى يصوبه نحو السماء يواجه طائرات الهليوكبتر، ثم قضيا ومضيا إلى ربهما وكأن لسان الحال يرد

ولما تراءت عنـــد هلمند منيتـــي	فطابت بها نفسي وحانت وفاتيـــا
صريع على أيدي الرجال بقفـــرة	يسوون لحدي حيث حم قضائـــيا
وقد كنت عطافا إذا الخيل أحجمت	سريعا إلى الهيجا إلى من دعانيا
خذاني فجراني ببردي إليكمــــا	فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا
وخطا بأطراف الأسنة مضجعـــي	وردا على عينيّ فضــــل ردائيـــا

ونعود إلى الجهاد في قندهار وفراه وهرات ، فالمجاهدون يواجهون مطارات كبيرة في هذه البيد ، وهذه المطارات مدججة بأنواع السلاح والصواريخ ، مصونة بسور من الدبابات وحقول الألغام ، زاخرة بأنواع الطائرات في مكانها تحت الأرض، وحسبك علما أن مطار شندند / فراه) كانت تعده روسيا وتجهزه لضرب الخليج العربي، لأن بترولها بدأ يشح عن حاجتها ابتداء من أواسط هذا العقد التاسع من هذا القرن ، ثم أذل الله روسيا وخرجت مهينة صاغرة، وبقيت المطارات بتحصيناتها، وبقي شندند بمنشآته وقواعده في صحراء هرات وفراه وتحت الشمس اللافحة والبرد اللاذع القارص .

أما مطار قندهار فالمجاهدون حفروا خنادق الموت على بعد مائة متر فقط منه استعدادا لاقتحام حومة الوغى و ساحة المنايا، وهم يستعدون لخوض غمارها وتجرع كؤوسها ، وقد قدمت الوثائق بالصور للمجاهدين - كما أخبرني أكبر قادة قندهار القائد عبدالله- تثبت أن ٨٠٪ من أرض المطار قد دمرت، ومن الصعب الآن على الطائرات أن تحوم فوق أرض المطار أو تدرج على مدرجاته إلا في حالات قليلة يغامر فيها ربان الطائرات بالهبوط أو الصعود وهو يتوقع أن يتحول مع طائراته إلى حطام خلال دقائق، ولعل الأيام القادمة تخبئ لنا مفاجآت تشرح صدور المسلمين وتريح قلوبهم .

أما مطار شندند فقد شن عليه المجاهدون هجوما دمروا فيه برج المراقبة، وفجروا المخزن الرئيسي للذخائر التي بقيت تشتعل لعدة ساعات تمتد ألسنة اللهيب تطاول عنان السماء، ودمروا طائرة جت، وتعطل نزول الطائرات وصعودها .

وأرسلت الدولة قوة من تورغندي على حدود روسيا، وهذه القوة قافلة من الدبابات والشاحنات لإنقاذ قندهار، وقد نصب لها المجاهدون كمائن على طول الطريق، وأدى أول اصطدام بأول كمين في (شورواك) في هلمند دمر المجاهدون من القافلة (١٨) دبابة و(٨) شاحنات، وفقدت مائتي جندي من قوتها، أما الجرحى فحدث عن كثرتهم ولا حرج .

أما الشمال (من كابل إلى جيحون) فنتوقع منه الكثير، وقد بدأ بإغلاق ممر سالنج منذ أواسط شهر أغسطس الماضي، فانقطع الشريان البري الوحيد الذي يمد النظام بالحياة، فإذا وضعت نصب عينيك أن مطار كابل تحت رحمة قذائف المجاهدين وأغلق في الأسبوع الماضي، وقد يعطل المجاهدون بإذن الله حركة الطائرات فيه .

وأن مطار بجرام لا يبعد عنه المجاهدون أكثر من مائتي، متر وعندما يجد الجد يقع في قبضة المجاهدين، وقد بلغنا أنه عطل في الأسبوع الماضي، عندئذ تدرك المأزق الحرج الذي وقعت فيه حكومة نجيب .

ودعك عن التمزقات الداخلية والصراعات الحزبية التي تعيش أزماتها حكومة الشيوعيين فتجعل استمرار بقائها أمراً في غاية الصعوبة .

لكن إسقاط النظام الشيوعي في كابل إبان هذا الصيف الحالي يبقى بعيدا إلا أن ينعم الله على المجاهدين بكرامات خارجة عن حسباننا، فيزلزل النظام من داخله، أو يهتز بسبب انقطاع الإمدادات عنه، فهذا غيب مستور وقدر مقدور لا يعلمه الإنسان.

نماذج فائقة وبطولات خارقة:

والحق أن مسيرة المجاهدين لازالت تطالعنا في كل يوم ببطولات يحسبها الإنسان مغامرات (ارسين لوبين)، أو أفلام ورقية

لتسلية الأطفال .

ففي هرات الجبل يعرف الحاج زاده ببطولته الرائعة، إذ أن الأخ عبدالله طاهر يؤكد ويصر أن هذا الرجل قد دمر وحده بالألغام والقاذفات الصاروخية خمسين دبابة . ويصعب على الحاج زاده أن يطأطئ رأسه أثناء المعركة أو يتوقف، رغم وابل الرصاص الذي يتصبب عليه .

وكان حول هذا الرجل ثلاثة من الإخوة العرب، منهم محمد عمر ومحمد فاروق وأحمد التركي ، وكأنهم من نبعه نهلوا، أو من حدبه نسلوا، فأما الدكتور محمد فاروق فقد كان يسابق الحاج زاده في المعركة، وأحيانا يمتشق رشاشه ويتربع على الشارع في هرات- منطقة شفاخانه حيوانات (مركز الطب البيطري)- ويوقف الحركة بالجرينوف التعرضي ، بل كان يواجه الطائرات بهذا الرشاش، أما محمد عمر فكان في بداية قدومه هرات يسأل عن المسافة بين المجاهدين وبين الروس الذين يقبعون في مركزهم على الجبل الأسود (كوه سياه)، فيرد المجاهدون ساعة ونصف، ويقول ليس بيننا وبين الجنة سوى ساعة ونصف .

وذات يوم حمل قنبلتين وهجم على دبابة في داخل مركز للشيوعيين بعد غروب الشمس مباشرة، فزحف حتى وصل الدبابة، وكان سائقها يستمع شريط أغان، وما كان يتصور أن بشرا يجرؤ على الوصول إليه ، فألقى محمد عمر القنبلة الأولى فلم تصب السائق، فنزل السائق بسرعة داخل الدبابة، وصعد محمد عمر فوق برج الدبابة وداس بقدمه سائق الدبابه، ثم رمى القنبلة الثانية على المركز، وأدار محمد عمر بنظره فلم يجد سلاحا، فأخذ الشريط (الكاسيت) وهمّ على المركز الثاني قابضا بيده الكاسيت موجها الجنود الشيوعيين أن بيده قنبلة، فرأى ثلاثة من الشيوعيين فأمرهم بالاستسلام وإلقاء أنفسهم على الأرض وإلقاء السلاح، وتقدم وأخذ السلاح وقتل الثلاثة، وعاد إلى مركز المجاهدين، وفي اليوم الثاني جاء أحد الجنود المرتبطين سرا وقال: لقد هجم علينا مائة يلبسون البياض بالأمس وضربونا ووصلوا الدبابة وصعدوا عليها.

أما أحمد التركي:

فقد هجم على مركز وحده، ودارت بينه وبينهم معركة، واستشهد أحمد بعد أن أردى عددا منهم قتلا، ولشدة غيظ الشيوعيين مزقوا جسده وأخذوه إلى المستشفى العسكري في هرات .

وجلس انجنير ضياء واجما حزينا بين جموع المجاهدين تكتنفه بعد أن تلقى نبأ استشهاد أحمد، فتفترت شفتا هذا القائد ضياء عن كلمات جارحة قائلا : (إن من العار علينا أن تؤخذ جثة ضيفنا بيد عدونا! فأيكم يأتيني بجثته ؟) فتبرع اثنان لمهمة تنفيذها أقرب إلى الخيال، واستقلا سيارة وتوجها إلى المستشفى العسكري، وبحثا عن جثة أحمد حتى عثرا عليها ووضعاها في السيارة وعادا بها، وعندما وصلت جثة أحمد كبر المجاهدون مذهولين مبهورين المفاجاة العجيبة .

هؤلاء الذين يصدق فيهم قول المصطفى صلى الله عليه وسلم (خير الناس رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه)

يستعذبون مناياهم كأنهم لا يخرجون من الدنيا إذا قتلوا

فعلى طريق هذه الصفوة اللهم اقبضنا، ومعهم في الفردوس احشرنا، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، وثبت أقدامنا على سبيلك إنك نعم المولى ونعم النصير.

أفغانستان بين الرزايا والعطايا(١)

الحمدلله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد

فما رأيت قضية أبدا استحوذت على اهتمام العالم أكثر من قضية أفغانستان، وما قرأت عن قضية تكالبت عليها المكائد العالمية أكثر من أمر الجهاد الأفغاني، اللهم إلا المؤامرات العالمية التي جرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين لإسقاط الخلافة الإسلامية في إسلام بول (القسطنطينية سنة ١٩٢٤)، وكذلك الكيد الغربي والشرقي الذي أثمر قيام دولة اليهود في فلسطين سنة (١٩٤٨م).

وعدا عن قضيتي الخلافة وفلسطين ما شهدت ولا علمت في التاريخ الحديث أمرا كان له ثقله في الموازين الدولية أعظم من الجهاد الأفغاني، وذلك بسبب بسيط وهو : أن الجهاد الأفغاني محاولة لإعادة الخلافة الإسلامية، الأمر الذي أقض مضاجع الغرب قرونا حتى أجهزوا عليه على يد الذئب الأغبر أتاتورك .

وإنني كأحد الشهود الذين عايشوا الجهاد الإسلامي في أفغانستان، وامتصر هذا الجهاد زهرة شبابي، واعتصر نفسي وأعصابي، رأيت صعوبة العمل لهذا الدين، والمشقة الضخمة التي تنتظر العازمين على إعادته إلى واقع الحياة.

إن الكلام عن الإسلام أمر سهل مريح فوق المنابر ومن خلال صفحات الجرائد أو الدوريات، أما العمل للإسلام بجد من خلال تجمع إسلامي جهادي فهذا أمر لا تحتمله إلا النفوس الكبيرة، ولا تثبت على صراطه إلا القمم الفذة الفريدة.

لقد صليت بالشباب في معسكر صدى بالأمس فجرا وقرأت:

{وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين} (آل عمران: ١٤٦)

فخنقتني العبرة، وذرفت عيناي وأنا أتذكر أولئك الصفوة من الشباب الذين مضوا إلى ربهم بعد أن نالوا شهادتهم، وفازوا برضوان ربهم إن تقبل الله منهم قتلهم في سبيله وميتتهم ابتغاء مرضاته.

وتمتزج هذه الغبطة لأولئك الذين سبقونا على الطريق إلى الله بالخوف الكبير والرهبة التي يحس بها القلب من أعماقه أن يحرم الإنسان هذه الخاتمة، ويعود ليعمل في خضم الحياة العادية، وغمار العيش الدنيوي، ويموت فوق مكتب من المكاتب، أو بين رفوف الكتب، أو بجلطة قلبية في شارع إحدى المدن العربية، وتفوته فرصة العمر التي ساقها الله له في أفغانستان وهو يطمع أن يدخل الجنة وقد وصل على أعتابها، وعاشها بروحه، أو قاربها وهو في ظل السيوف بأبوابها .

والحق أن الثبات على طريق الجهاد أمر شاق على النفوس، ولذا جعل الله ثواب الجهاد أعظم ثواب ، وبوأ الجهاد قمة سنام الإسلام لصعوبته ومشقته. ليس من السهل على النفوس أن لا تهتز وهي تواجه مشاكل أضخم من الجبال، وصعوبات تزلزل الأوصال .

فالعقبات التي تنشأ في طريق السالكين على الطريق لإقامة دين الله في الأرض جد كثيرة، واجتياز هذه العقبات أمر دونه خرط القتاد. خاصة المشاكل الداخلية التي تعتري المسيرة إلى الله، ولا يمكن أن تنفك عنها ، ولو خلت مسيرة من هذه المشاكل والفتن الداخلية لخلا منها ذلك الموكب الفريد الذي يقوده سيد البشرية وأكمل الخلق صلى الله عليه وسلم .

والمشاكل التي تواجه الجهاد الأفغاني الآن تتولى كبر مؤامراته الخارجية أمريكا وروسيا .والمشاكل الداخلية يؤجج نارها وينفخ بكيرها (طلقاء الفتح) الذين اتخذوا من الأمان الذي أعطاه المجاهدون للشيوعيين والميليشيا جنة حتى ينفذوا مكائدهم، وجعلوه ستارا لنصب أحابيلهم للمجاهدين المخلصين .

ولقد لاحظنا في الفترة الأخيرة أن القتل قد استحر بالقادة الصادقين الذين عاهدوا الله أن لا يدعوا نجيبا ولا حكومته يهنئوا

١ـ لهيب المعركة. العدد ٦٩ التاريخ ١٦ صفر ١٤١٠هـ ـ الموافق: ١٦ سبتمبر ١٩٨٩م.

لسان تقول :(إن في أعماقي أحزانا لا يعلمها إلا خالق القلوب علام الغيوب)

وتكلمت مع حكمتيار ورباني بشأن قضايا ومشاكل فوجدت حال القوم يقول:

(ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) البقرة٢٨٦

أما المشاكل الخارجية التي تؤجج نارها وتدير رحاها أمريكا التي تزعم أنها نصيرة الجهاد وحليفة المجاهدين، وهي تحاول أن تقطع كل يد تمتد بالعون الصادق لهذا الجهاد، وتدأب جاهدة لتشديد الخناق على الجهاد، وتجفيف الموارد التي تصب في نهره الدافق، وتكسر الأيدي التي تحمل لواءه الخافق، وتنحي عن طريقه كل مجاهد صادق.

ومع هذا كله فالكفة راجحة لصالح المجاهدين .

البشائر:

وقبل اختتام هذه الافتتاحية جاءتنا البشائر السارة عن معارك وانتصارات كبيرة في ممر سالنج ومطار بجرام وقلعي سرخ، (جبل سراج : القوة الكبرى التي تحافظ على ممر سالنج وبروان وكابيسا) غنم فيها المجاهدون (١١) دبابة ودمروا أكثر من ضعفها، وعطلوا مطار بجرام، وغنموا راجمتين للصواريخ BM21 ، ودعك عن الانتصارات الكبرى في خوست، وتعطيل مطار شندند، وفتح مديرية شندند، وشل حركة مطار قندهار

(والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون). (يوسف ٢١)

بنسما جزيتم العضباء[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد :

فلقد كثرت السهام التي استهدفت صورة المجاهدين في الأشهر الأخيرة، ولقد أخذت أجهزة الإعلام تعيد وتبدىء تشوه صورة القادة، وتحرق أوراقهم، وتحطم شخصياتهم، وتجهز على ما تبقى من أمل في أعماق المسلمين بهم .

ولقد طفقت الصحف العربية في الفترة الأخيرة تنسج على منوال الصحف الغربية، وتقتفي أثرها حذو القذة بالقذة ، وتنهل من مواردها، وتعزف ألحانها على أوتار الأجهزة الغربية .

والهدف الوحيد الذي تداعت عليه سكاكين الجزارين هو: القادة المخلصون في الجهاد الإسلامي المشرف .

ولقد اتخذت وسائل الإعلام الغربية من بعض الأخطاء في ساحة الجهاد مبررات لهذه الحملة الشعواء ، ومتكأ لانطلاقتها التي تستهدف أن تقطع أواصر الصلة بين هذا الجهاد وبين القلوب التي أحلته سويداءها ، وجرت محبته في أعماق جوانحها، وسرت ضرورة نصرته في عروق الأمة مع دمائها.

ونحن نعلم الدوافع الحقيقية وراء هذه الحملات الإعلامية المسعورة ، نعلم أن الغرب يرتجف من الجهاد الأفغاني الآن كما ترتعد أوصال الأطفال من الغيلان والجن .

لقد رحب الغرب بادىء ذي بدء بالجهاد الأفغاني ليدحضوا به الدب الروسي، ويحطموا كبرياءه، ويستنزفوا دماءه، ويدمروا اقتصاده على سفوح جبال الهندكوش- دون أن يراق الدم الغربي الأزرق النبيل !! في هذه المعركة- فنتائج المعركة لصالحهم على أي الجهتين مالت كفتها، أو انكفأت موازينها .

فسواء تحطم الشعب الأفغاني الأصيل بفطرته، المعتز بإسلامه، العريق بأرومته، المتمرس بمعاركه، الشديد بعريكته وشكيمته، أو تدمرت روسيا العدوة التقليدية للغرب ، فالمعركة في صالح الغرب.

ولقد أفلتت نتائج الجهاد الأفغاني من جميع المعادلات السياسية الدولية، واختلفت كل التقديرات البشرية والحسابات الإنسانية.

---

١ ـ لهيب المعركة العدد ٧٠ التاريخ ٢٢ صفر ١٤١٠هـ ـ الموافق: ٢٢ سبتمبر ١٩٨٩م.

بعيش ولا ينعموا باستقرار، ومعظم عمليات القتل جاءت غيلة على يد أناس اندسوا في داخل الجبهة تائبين مختبئين ريثما يطمئن القائد إليهم، وبعد أن ينفذوا مؤامرة القتل يعودون من حيث بدأوا على أدراجهم إلى كابل.

وهناك ظاهرة أخرى أن طلقاء الفتح هؤلاء قد أخذوا طريقهم إلى النفوس الضعيفة للقادة الصغار الذين بدأوا يرخون قبضتهم ويوقفوا حملاتهم على الدولة بسبب الأموال الكثيرة التي تتصبب عليهم من الدولة، ووصل الأمر بالبعض أن يقطع عرق الحياء بين عينيه ويرفع عقيرته بوجوب المصالحة الوطنية مع نجيب وحل القضية سلميا. وإن كانت نسبة هؤلاء لازالت غير مؤثرة كثيرا على مسيرة الجهاد، والحمدلله إن هذه الفتنة لازالت لم تأخذ طريقها إلى قلوب القادة الكبار ذوي الثقل المعروف.

وهناك مشكلة ثالثة أن دولة نجيب المهترئة قد بدأت تثير المشاكل العرقية والقضايا المذهبية، فبدأ نجيب يعد لواء من الشيعة (الهزارة) في داخل كابل وضواحيها، فسلح الشيعة في بغمان، وبدأت كذلك إيران تدس بأصابعها، وعقدت معاهدة مع روسيا صرح بعدها أحد كبرائها (لا مانع لدى إيران من بقاء حكومة نجيب إذا كان هذا هو اختيار الشعب الأفغاني).

وهناك مشكلة الشيعة الإسماعيلية - سيد كيان - في دوشي بغلان الذي يشكل شوكة في حلوق المجاهدين بعد أن أصبح قوة مدججة بالسلاح، محمية بالدبابات، واحتضنته الدولة بأن عينت ابنه محافظا لولاية بغلان، وقدمت له مائتين وخمسين دبابة.

موقف قادة الجهاد:

وأما لسان حال أمراء الجهاد فهو:

(الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) آل عمران(١٧٣).

وكأنهم يقولون:

ولو كان سهما واحداً لاتقيته ... ولكنه سهم وثان وثالث

المخلصون من أنصار الجهاد:

ويسمع الصادقون من المسلمين في أرجاء العالم الإسلامي بعقبة عويصة تعترض سيل هذا الجهاد الدافق، فيتداعون من شتى الأصقاع مشفقين على هذا الجهاد، متألمين لقادته، يريدون أن يلقوا بدلائهم في القضية، ويصبوا ثقلهم لإزالة هذه العقبة، وإني لأكبر في الكثيرين غيرتهم وتحرقهم على هذا الجهاد، وتعطيلهم لمصالحهم وتجارتهم في بلادهم، فتراهم يعتصرون ألما ويذوبون حسرة وهم يعرضون حلول القضايا أمام القادة الكبار (الأمراء)، فلا يجدون منهم تجاوبا يعدل الغيرة التي تؤجج النار والحزن في نفوسهم، وإنك لتكاد تسمع صوت أعماقهم يتهم هؤلاء الأمراء بالتواني والتهاون في حل المشاكل، ولا يجدون لهذا تفسيرا سوى اتهام القادة بالهوى وحب السيطرة والنزعة الجامحة للحكم والملك.

والأمراء يستحيون أن يقولوا لهم: ليس من السهل عليكم أن تقوموا بسبر أعماق القضية، ولئن استطعتم أن تغوصوا إلى أغوارها فستقفون أمامها حائرين كما وقفنا، ولقد كنت أرى القوم الصادقين الوافدين للوقوف بجانب إخوانهم لمشاركتهم آلامهم وآمالهم ولو لفترة قصيرة، أراهم وهم يضربون أخماسا بأسداس، ويحدسون ويسمرون يفكرون، فيهتدون إلى حل ينتظرون انبلاج الفجر حتى يعرضوه على القادة، فيطرق القادة برؤوسهم لا ينبسون ببنت شفة، ويشدد الزائرون بالموعظة والنصيحة للقادة، ويتلون أمامهم آيات الأخوة والمحبة والتعاون والتعاضد، وأحاديث التكاتف والاتحاد وغير ذلك.

وأما أنا فأحس بسر الوجوم المطبق والصمت الغامض الذي يلف نفس القائد أمامهم، ولو أجبتهم لما قلت لهم سوى أبيات أبي فراس:

أتعذلوه فإن العذل يوجعه ... قد قيل حقا ولكن ليس يسمعه

فاستعملوا الرفق في تأنيبه بدلا ... من عنفه فهو مضنى القلب موجعه

راجعت سيافا في مشكلة بشأن جبهة من جبهاته، فأدار بعينيه متفرسا في وجهي ثم صمت، فقرأت في نظراته لغة أبلغ من

فما كان يدور بخلد الغرب وهو يتهلل فرحا بهذه المعركة في بداية أمرها أن هذه الانتصارات ستتنزل على الجهاد الأفغاني بهذا الشكل الخيالي ، وما كانوا يحسبون أن الجهاد سيتطور إلى حد تفلت نتائجه من أيديهم، ويتمرد قادته على أوامرهم .

كنت ذات مرة مع مجموعات من المجاهدين قرب الحدود، وعلى مقربة منا مخزن من مخازن الذخيرة للمجاهدين، وهم قد جمعوا قطيعا من البغال والخيول والحمير لنقل بقايا الذخيرة المتبقية في المخزن من العام المنصرم، وكان هذا قبل شهر ونصف تقريبا من هذا اليوم ٢١/صفر /١٤١٠هـ الموافق ٢١/٩/١٩٨٩.

وقد كنت ذات صباح في إحدى الخيام، فجاءني أحد الإخوة المرافقين لي ، وقال : لقد وصل مجموعة من كبار ضباط هذه الدولة برفقة القنصل أو السفير الأمريكي، ودار بينهم وبين المجاهدين حوار، ونقل لي الأخ الحوار :

قال القنصل : هل أنتم بحاجة إلى شيء ؟ فقالوا : نحن بحاجة إلى الله ولسنا بحاجة إلى أحد

قال القنصل : هل أنتم قادرون على مواصلة الجهاد إذا نفدت ذخائركم ؟

قال المجاهدون : نعم لقد بدأنا بالعصي والحجارة أولا، ونحن مستعدون أن نرجع إلى تلك الحالة التي بدأنا منها ، فذهل القنصل وهو يسمع هذا الكلام، وعاد الوفد أدراجه .

لقد كان الغرب يظن أن بإمكانه أن يطوع هذا الجهاد بالإشارة ببنانه، ويحتوي قادة الجهاد مع الأيام والممارسات والمحاولات، ولكن خاب فـأله وخـسر ظنـه .

وما كان الغرب يحسب أن الجهاد الأفغاني سيضطر غورباتشوف في يوم من الأيام لإعادة الحسابات في النظرية الشيوعية ذاتها ، وأن الهزائم المريرة التي مني بها الجيش الأحمر في هرات وقندهار وسالنج وبنجشير وكابل قد أصاب رأس سيد الكرملين بالدوار إزاء هذه الأرقام الحقيقية التي تواجهه يوميا من خسائر الجيش الأحمر ، إن الاتحاد السوفياتي قد عاش خلال سبعة عقود منصرمة وراء سراب خادع، وجرى يطلب الري من المفازة (سراب صحراء) متأثرا به حقد ماركس على الأغنياء .

ولقد دفعه هذا أن ينطلق محاولا أن ينقذ مركب الاتحاد السوفياتي من الغرق المحقق بعد أن دمرت أمواج الحياة ألواحه، وخلخلت صلابة الفطرة دسره.

في اجتماع ضم كارلوتشي (وزير الدفاع الأمريكي) السابق مع وزراء دفاع الناتو (حلف الأطلسي) يقول الوزراء لكارلوتشي : يبدو أن غورباتشوف قد غير سياسته تجاه الغرب لأنه قرر سحب مليونين من جنوده من أوروبا الشرقية ، فرد كارلوتشي : لقد أجبر الأفغان غورباتشوف أن يغير سياسته تجاه العالم أجمع .

لقد هزم الجيش الروسي من أفغانستان، وانتهت أسطورة الجيش الأحمر الذي لا يهزم دون أن يحمل ورقة واحدة في جيبه من المجاهدين الأفغان تحفظ له بقية من ماء وجهه، بعد أن استماتت في الحصول على هذه الورقة ليلوح بها للعالم أنه خرج بمعاهدة وميثاق.

لقد أصبحت القبعة الأفغانية والعمامة القندهارية مفخرة للعالم أجمع ، ولقد زرت أمريكا أكثر من مرة بدعوة من الشباب المسلم في أمريكا وأنا ألبس هذه القبعة، فكنت أرى وجوه القوم تتهلل فرحا لرؤيتها، إذ أن هذه القبعة هي التي شفت صدور الشعوب الغربية من الدب الروسي المتوحش .

وبعد الهزيمة الروسية في أرض أبي حنيفة النعمان انقلبت نظرة الغرب تجاه الجهاد الأفغاني، كانوا يريدون من الجهاد أن يمرغ كرامة روسيا في الأوحال فحصل لهم ما أرادوا.

وكانوا يريدون من الجهاد قميصا يلوحون به في المحافل الدولية والمنتديات العالمية لتحطيم روسيا معنويا وسياسيا ليفقد أنصاره في العالم، فكان لهم ما أحبوا .

وكانوا يخشون من الدب الروسي المتعطش لآبار البترول في الخليج أن يرد آباره، فتبدد خوفهم، وزال شبح الرعب من الزحف الروسي الذي كان يعد قاعدة شنشنة كرأس حربة لانطلاقه، ولكن الجهاد الأفغاني أوقف الزحف، وقلم أظافر الدب وحطم مخالبه.

أما الآن فقد قلب الغرب ظهر المجن لهذا الجهاد، لأن المعادلات قد تغيرت، إذ أن المعركة التي تدور رحاها حول كابل وكبرى

المدن الأفغانية تستهدف الإطاحة بالنظام الشيوعي واجتثاثه من الجذور وإنشاء مجتمع إسلامي مكانه، وهذا الأمر الذي لا يطيقون مجرد مروره على الأذهان، أو رؤيته كأضغاث أحلام في المنام، وهم يرونها حقيقة تقترب يوما بعد يوم للظهور في واقع الحياة .

لقد كانت التغييرات في أواسط أسيا من قبل الغرب تضع أمام نواظرها هدفا لا يغيب وهو: عرقلة قيام مجتمع إسلامي في أفغانستان، وتأخير حسم المعركة عسكريا ريثما يرتب الغرب أوراقه من جديد، ويبحث عن البديل لهذا النظام الشيوعي المتداعي .

. إن قتل ضياء الحق – رحمه الله –، والتقارب الروسي الإيراني، وتوثيق الصلات بين الهند وباكستان ، والتقارب الإيراني التركي الباكستاني الصيني الهندي ، وإنهاء الحرب العراقية الإيرانية، وتغيير مراكز القوى لدى الدولة الحليفة للجهاد ، والطروح الغربية لمؤتمر غربي عالمي يحل مشكلة أفغانستان ، والتلويح بورقة ظاهرشاه، والدولة ذات القاعدة العريضة في أفغانستان ، وحكومة التكنوقراط ، والدولة الائتلافية ، ومؤامرة (معاهدة) جنيف، والعزف على نغمة السلام في أفغانستان ، والحرب الأهلية ، واستعمال لحن الوهابية باستمرار، واستعمال جمود الوضع في جلال أباد كدليل قطعي على أن المعركة لا تحسم عسكريا بين المجاهدين والشيوعيين ، والضجة الإعلامية الكبرى عالميا بعد حادثة (تخار) التي ما تعدت عن كونها جريمة ارتكبت من أحمق بحق خمسة من القادة وستة من المجاهدين.

كل هذه الأنغام التي عزف عليها الإعلام الغربي، ورقص على هذه الألحان الإعلام العربي، كل هذه تحولت إلى ألغام موقوتة نسفت كثيرا من أواصر الصلة الإسلامية العميقة بين الشعوب الإسلامية وبين هذا الجهاد، والتي أقيمت جسورها بجماجم مليون وثلاثمائة ألف شهيد .

. لقد كان الأولى بالأمة الإسلامية أن تضع أحداث أفغانستان العزيزة شعاراً لعزتها، ورمزا لصمودها، ووساما لحريتها . لقد كان الأحرى بأبناء الإسلام في كل أنحاء المعمورة أن يكتبوا معارك أفغانستان بماء الذهب – وقليل عليها أن تكتب بماء الذهب – .لأن المعارك أديرت بماء القلوب، وسطرت التاريخ الإسلامي بدماء سويدائها .

لقد كان الأجدر بكل مسلم في الأرض أن يضع نصب عينيه قادة الجهاد كنماذج للإصرار، وكأوسمة للفخار، وأمثلة حية على أن هذا الدين لن يموت، وأنه قادر أن يخرج النماذج الرفيعة في كل مكان وزمان .

قالوا لي سائلين عن رأيي في قادة الجهاد في الداخل والخارج ، فقلت لهم : من أنا حتى أحكم على هؤلاء ؟! ولكني ألخص لكم إحساسي من الأعماق في كلمات : إنني لأشعر بالشرف العظيم عندما يسمح لي أمثال هؤلاء أن أجلس معهم وأناقش قضاياهم ومشاكلهم. لأنهم صنعوا التاريخ ، وأقاموا صروح المجد ، وعمقوا عقيدة التوكل على الله في أعماق كل مسلم ، وشعر كل مسلم يواكب القضية بالعزة وبالتفسير العملي لقوله تعالى:

{ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين} (المنافقون٨)

لقد جسد الأفغان لنا في كثير من المواقف تاريخ السلف ورفعتهم ، وعزتهم وشموخهم، وهوان الدنيا على المؤمن، واستصغار الأموال، وإن كانت كالجبال .

لقد علمونا الكثير الكثير { **لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب** }، { **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** }. (يوسف١١١)

لقد كان لسان حالهم أبلغ من لسان مقالهم وهم يرددون مع أبي الطيب :

وأورد نفسي والمهند في يدي — موارد لا يصدرون من لا يجالد

وحيد من الخلان في كل بلدة — إذا عظم المقصود قل المساعد

فيا أبناء الإسلام:

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم — من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

فيا أحفاد خالد وصلاح الدين: لا تتركونا على أبواب كابل وحدنا وتنكصوا على أعقابكم.

يا جيل الصحوة الإسلامية: لا يخدعنكم الإعلام اليهودي العالمي عن قضية الإسلام الرابحة في أفغانستان.

يا حملة هذا الدين ويا دعاة الإسلام : أنزلوا الناس منازلهم ، واعرفوا لقادة المجاهدين أقدارهم، ولا تنظروا إليهم من عل لأن

بين أيديكم بعض الدريهمات، ولانكم جمعتم من حطامها ولعاعاتها شيئا في جيوبكم وبيوتكم، لأنتم دونهم بكثير، فلا تقلبوا الموازين والمعايير.

أيها المسلمون:

لا تنحروا العضباء بعد أن نجاكم الله عليها فبئسما جزيتموها ، ولعلكم بحاجة أن نسوق لكم قضية العضباء – ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم – حتى تكون لنا عبرة في هذه الآونة.

روى مسلم عن عمران بن الحصين قال: (أسرت امرأة من الأنصار وأصيبت – أخذت – العضباء، فكانت المرأة في الوثاق ، وكان القوم يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم، فانفلتت ذات ليلة من الوثاق فأتت الإبل، فجعلت إذا دنت من البعير رغا فتتركه، حتى تنتهي إلى العضباء فلم ترغ، وهي ناقة منوّقة –مدللة–، وفي رواية مدربة، فقعدت في عجزها ثم زجرتها، فانطلقت، ونذروا(علموا) بها فاعجزتهم، قال: ونذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنّها، فلما قدمت المدينة رآها الناس فقالوا: العضباء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: إنها نذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك، فقال:

(سبحان الله! بئسما جزتها ، نذرت إن نجاها الله عليها لتنحرنها، لا وفاء لنذر في معصية، ولا وفاء فيما لا يملك العبد).

يا أبناء الأمة الإسلامية:

واصلوا مسيرتكم مع هذا الجهاد، فلقد حان القطاف، وقرب المرفأ، وبان الشاطىء، ولم يبق إلا القليل حتى تلقي عصا الترحال، وننعم بالثمار، ونتفيأ الظلال.

لكن حمزة لا بواكي له[1]

من خارج أفغانستان وباكستان أكتب افتتاحية اللهيب ، والكلمات التي تخرج من القلب لا يمكنها أن تطاول في سخونتها وحرارة جملها تلك الجمل التي تخرج من أرض اللهيب لافتتاح لهيب المعركة.

شتان شتان بين طعم الحياة هناك في أرض الجنة تحت ظلال السيوف، وبين طعم الحياة في عيش رغيد رتيب هادىء وادع تحت ظلال المكيفات .

شتان شتان بين تجاوب القلب للقرآن الكريم، والتفاعل مع معانيه، والعيش مع مدلولاته وإيحاءاته هناك حيث تتجرد النفس من غواشيها، وتخلص لبارئها، وتتعرى الفطرة لخالقها فوق أرض النار والفخار، وبين القلب الذي أشغلته مشاغل الدنيا وألهته حتى عن الأذكار بعد الصلاة.

شتان شتان بين استعذاب الصلاة وتذوق حلاوتها والثلوج تغطي القمم والآكام، وبين الصلاة الرتيبة في أضخم المساجد ولو كان في المسجد الحرام ، وصدق الله العظيم:

{أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين ، الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون}

التوبة ١٩–٢٠.

إنه من الصعب على النفس التي تذوقت حلاوة الجهاد، واستعذبت المعاناة على طريقه، وسعدت بتجرع الغصص على جادته أن تستريح إلا بين أنغام الرصاص وعزف المدافع ودوي الطائرات.

وإنه لمن الصعب على القلب البشري أن يتفتح إلا مع سخونة الأحداث، وغليان الدم في العروق، فتحرك في القلب الحياة

١- لهيب المعركة – العدد٧١ – التاريخ ١ ربيع الأول ١٤١٠هـ – الموافق ٣٠ سبتمبر ١٩٨٩م

والحركة بعد الجمود والركود والهمود.

إن النفس البشرية مع الأهوال تطاوع (كالحديد المطاوع) فتكون عندها قابلة للطرق، مستعدة لتلقي الأوامر الربانية والتوجيهات النبوية.

لقد أيقنت أنه من الصعب على الإنسان أن يفهم دين الله وأن تحل لديه كثير من الألغاز التي تعجم عليه في إدراك هذا الدين إلا من خلال الحركة لإقرار هذا الدين ونصرته ، وإعلائه وعزته.

الجهاد مفتاح الأسرار:

إن من أكبر النعم الربانية على الإنسان أن يحبب إليه الجهاد ويزينه في قلبه مع الإيمان، لأن الجهاد هو مفتاح أسرار النفس الإنسانية ، ومفتاح الخزائن الربانية ، فالمعارك لإعلاء كلمة الله تفتح مغلق النفس الإنسانية، وتفتح المعجم من الخزائن الربانية، لتسكب طمأنينتها وسكينتها وحكمتها ورشدها وزكاتها على القلب والنفس، وصدق الله العظيم:

{يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون} (الأنفال ٢٤).

والحياة المقصودة بالنداء في النظم الكريم هو الجهاد كما ذهب إليه ابن القيم رحمه الله وغيره.

الجهاد للمجاهدين كالماء للسمك:

ويصمت أرينبور واجماً وكأنه في عالم آخر عمن حوله، ثم يواجه الحاضرين قائلا: كيف لنا أن نعيش بلا جهاد، ثم يتابع قائلا: نحن الآن طيلة نهارنا وليلنا نبحث عن تأمين الطعام أو الذخيرة، أو نأوي إلى صخرة نكتب ردا على طلب ، ونفكر في علاج الجرحى، أو مواساة أهل القتلى، فكيف غداً إذا انتصرنا وصمتت المدافع وهدأت المعارك؟! فكيف لنا أن نعيش بدونها؟

أما أنا فكثيرا ما أدعو الله أن لا يحرمنا من الجهاد، لأن الإنسان يخشى أن يحرمه الله نعمة الجهاد بغفلته أو قلة إخلاصه، أو ذنوبه، والجهاد منزلة عظيمة لا يهبها إلا لمن يستحقها من أحبابه وأوليائه، ولا أكاد أطيق أن يمر في مخيلتي أنني أعود في يوم من الأيام إلى الحياة الرتيبة الناعمة الهادئة من الفطور إلى الغداء إلى العشاء إلى المنام.

إنني أحس بالضيق الشديد عندما أدع الجبهة أو المعسكرات وأعود إلى بيشاور - رغم أن فيها أهلي وأمراء الجهاد -، ويزداد صدري حرجا كلما بعدت الشقة وطال العهد عن أرض الرباط والنزال ، وكلما زرت بلدا أمسك بي الإخوة الأحبة يودون أن أطيل زيارتهم، فأقول لهم: إن نفسي لا تطيق فراق أرض الجنة وعشاق الحور .

الناس تجاه الجهاد:

والناس هنا يلفون مع عجلة الحياة وتدوخهم بدوامتها، وكلما أراد أحدهم أن يمسك بنفسه لئلا تدوخه بحركتها تدافعت أمواجها وجرفته مع تيارها، (وحال بينهما الموج فكان من المغرقين)، والناس تجاه الجهاد فئات، وينظرون إليه بمختلف النظرات: فمنهم الذين يرون أن الجهاد الإسلامي غائب تماما عن الساحة الأفغانية، وإنما الصراع لحماية (حقول الأفيون) وتأمين تجارة الحشيش التي تكثر في مناطق الحدود القبلية، وقد جهد التلفاز البريطاني لإخراج فيلم يظهر فيه أحد (تجار الأعراض والدماء) وهو يدخن الحشيش، ثم يهجم بعدها على مركز للشيوعيين في قندهار.

وفئة أخرى:

ترى أن الجهاد قد انتهى بخروج الروس من أفغانستان، والصراع لا يعدو أن يكون مطامع على كراسي، وقتالا على مصالح شخصية وأهواء حزبية، ولو كان يحفظ سورة (المؤمنون) لتلا: { فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون }.

وطبقة ثالثة: ترى أن الجهاد الآن عبارة عن حرب أهلية يسفك فيها المسلمون دماء بعضهم بعضاء والأولى ببقية المسلمين أن لا يلوثوا أيديهم بهذه الدماء، وأن يترفعوا عن هذه الفحشاء.

وطبقة رابعة: ترى أن الجهاد قد وصل إلى حائط مسدود، ولا يمكن للسلاح أن يحسم المعركة، لأن الفريقين من الأفغان مسلمهم وكافرهم أشداء صابرون على البلاء، فلا بد من اللقاء حتى يحسم النزاع ، وتحل القضية بالمؤتمرات الدولية.

وطبقة خامسة: وهي قريبة من الرابعة ترحب من بعيد بعودة ظاهرشاه، ويقولون: لتكن على الأقل خطوة على طريق البناء وإعادة المجتمع الأفغاني المتماسك، ريثما يلتقط الشعب أنفاسه، وبعدها يحاول الصادقون أن يبعدوا ظاهرشاه ويطبقوا دين الله .

وطبقة سادسة: من أنصار هذا الجهاد ولكنهم مستحيون أن يرفعوا رؤوسهم أو يجهروا بأصواتهم ليسمعوا الناس، لأن مطارق الإعلام فوق رؤوسهم تتابع الجهاد تشويها ومسخا، ولقادته وأبطاله حرقا .

قال لي بعض أنصار الجهاد (جزاكم الله خيرا أن وضحت الصورة في أذهاننا وشرحت صدورنا، فالآن نستطيع أن نتكلم دون جمجمة ولا تلعثم).

الحقيقة تختلف تماما عما في أذهان هذه الطبقات جميعا:(الحقيقة أن ظاهرشاه يستحيل أن يعود إلى أفغانستان ويحكم فيها، لأن ٨٠٪ من المجاهدين تقريبا يتواعدون بيات(قتله) فيما لو وصل) .

ولقد أطلقها الشيخ سياف منذ ثماني سنوات -وكانت ورقة ظاهرشاه مطروحة على بساط البحث آنذاك- ، فقال سياف: (نرحب بظاهرشاه لنقتله في المطار).

لقد قتل د.مجروح بمجرد أن أخرج احصائية تشير أن كثيراً من الأفغان يرحبون بظاهرشاه، وقتل الحاج عبد اللطيف أحد القادة في قندهار قبل شهر من هذا التاريخ بمجرد أن أعلن تأييده لعودة الملك المخلوع، إن ظاهرشاه مقتول بإذن الله قبل أن يصل الحدود، فكيف إذا دخل أفغانستان؟! وأنىّ لظاهرشاه أن يحكم بلا جيش ولا شعب؟!

إن نجيبا يعيش أزمة خانقة في الحكم من خلال الحصار الذي فرضه المجاهدون حول العاصمة كابل وعزلوها براً وجواً، مع أن حوله ثمانين ألفا من الشيوعيين، وأربعين ألفا من المجندين.

ومع هذا كله فالصراعات بين أجنحة الحزب الحاكم - خلق وبرشم- لا تتوقف عن الدمدمة والنباح .

وحول نجيب جهاز الاستخبارات الذي ربّاه على يده وصنعه على عينه، فكيف يحكم ظاهرشاه بلا جيش ولا أمن ولا حزب؟!

أما حقول الأفيون والحشيش: فلقد أنهى الجهاد كثيراً منها ، ولا يمكن في بعض المناطق أن يدخن المجاهدون، فكل من يثبت عليه أنه باع دخانا في دكانه فإنه يعرض نفسه لعقوبة سجن خمسة عشر يوما.

وبيع الدخان في مديريات كثيرة ممنوع فضلا من أن يستعمله المجاهدون، أما تدخين الحشيش فهو عملية غريبة كل الغرابة عن حس الواقع الجهادي، أما أن المجاهدين قد يئسوا من فتح المدن ومن حسم المعركة عسكريا فاسأل نجيبا عن حال عاصمته وعن طرقها البرية والجوية فإن لديه النبأ اليقين .

أما عن الحرب الأهلية والتمزقات الداخلية : فلعلك أيها القارىء الحبيب تعلم أن الشعب الأفغاني عشرون مليوناً، وأن أكثر من مليون يحملون السلاح، فهل تنتظر أن تجد هؤلاء يمتشقون السلاح بأيديهم شعباً ملائكياً؟

{ لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون }! (التحريم ٦).

ولكن الحقائق معماة عن أذهان معظم الناس بسبب تسليط الأضواء على هذه المخالفات والأحداث، وينحون باللائمة على الأحزاب الجهادية، وقادة الأحزاب يعتصر الأسى قلوبهم ويفتت الحزن أكبادهم بسبب هذه الأحداث التي لا تمت إلى التنظيمات بصلة، وقد تجد مسببها بعد البحث أهواء طامع في سرقة بقرة أو الثأر من قاتل أبيه.

أماني الطيبين وأحاديثهم: وتستمع إلى صفوة الناس في المجتمعات الراكدة فتراها لا تتعدى قصصاً عن دعاة بلادهم، أو شيوخ في مناطقهم أو مشاكل الاقتصاد في أقطارهم، وتجد بعضهم يعيد ويبدىء حول قصة لخطيب مسجد أمام فتات يعمل في

أجهزة الأمن، أو كلمة شديدة قالها وقت التحقيق، أو فصل موظف من وظيفته، وتسمع عن أخبار الضابط استخذ فيه فتجد الناس يطيرون فرحا بوضع لغم أمام سيارة كل شهر مرة، فقلت في نفسي: (لكن حمزة لا بواكي له).

إن جميع الأحداث الساخنة في الأرض لا تعد عشر معشار ما يجري في يوم واحد فوق أرض كابل وقندهار.

وليت المسلمين يتخلصون من رواسب القومية فيعدلون في وزن كل قضية، ويرتبون الأولويات لعمل لدين الله ونصرته، متجاوزين الحدود الجغرافية والحواجز الإقليمية والنزعات العرقية.

إن العرب يلعبون بأقدس قضية، وما أجمل كلمة المستشرق المهتدي (ليوبولد فايس): إن العرب يلعبون بقضية أفغانستان المقدسة، ولو اعتنوا جيداً بهذا الشعب العريق لفتحوا به العالم.

وهذا هو الحق: إن كثيرا من الناس ينظرون إلى المجاهدين الأفغان بل إلى قادتهم من عل، وتراهم وأنت تطلب منهم مساعدة الأفغان يمزقون لحومهم وينتقدون مسيرتهم، فأقول لهم:

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

وأعجب للأقزام كيف يتطاولون ويترفعون عن العمالقة، وأما حاجة المجاهدين للطعام واللباس والأحذية وأجرة النقل (الكراية) فحدث عنها ولا حرج، وهذا أمر لا يغض من مكانتهم، ولا يقلل من قدرهم، وهي حال المجاهدين من صفوة البشرية رضوان الله عليهم، وهي حال صانعي التاريخ عبر القرون البشرية.

فعن فضالة بن عبيد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة -الجوع- وهم أصحاب الصفة، حتى يقول الأعراب هؤلاء مجانين، فإذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف إليهم فقال: لو تعلمون ما لكم عند الله تعالى لأحببتم أن تزدادوا فاقة -فقراً- وحاجة) رواه الترمذي وقال حديث صحيح.

وعن عتبة بن غزوان : لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت -جرحت- أشداقنا فالتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك فاتزرت -اتخذتها كالإزار- بنصفها واتزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميراً على مصر من الأمصار، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً) رواه مسلم.

اللعبة الدولية[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

فما كان أحد يتصور أن هذا الجهاد المبارك سيؤتي هذه الثمار الزكية في الأرض كلها، وما دار بخلد أحد أنه سيهز المعمورة كلها، ويعيد ضخ الدماء في عروقها التي جفت، ولذا كانت نتائجه باهرة للأمة الإسلامية، ومذهلة للغرب الذي فرح بادىء ذي بدء بتمريغ الدب الروسي في أوحال كابل وهرات وهلمند وجيحون.

ولكن الغرب وهو يغص الآن إذ يرى تجمع الأمة الإسلامية بأسرها حول هذا الجهاد، وإعجابها بإشراقته وآثاره ما كان ليدع هذه الأمة تنعم بهذه التجربة الرائدة الضخمة، ولا أن يتخذها أسوة في حياته، ولذا فقد وضع نصب عينيه الآن أمرين:

١- تحطيم آثار هذا الجهاد في نفس الأمة الإسلامية بالتشكيك ببواعثه، وتشويه صورته، وتحطيم الشخصيات التي برزت من خلاله، حتى لا يبقى في أذهان الجيل أمثلة حية تقتفى، ونماذج رائعة تقلد وتحتذى.

لابد الآن: من حرق الشخصيات التي برزت من خلال فوهات المدافع وألسنة النيران.

وبعض المخلصين يساهمون في عملية حرق هذه الشخصيات بسذاجة عجيبة، مع الغيرة التي يريدون بها تصحيح المسيرة أو الصورة -كما يظنون وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا-.

---

١ ـ لهيب المعركة العدد ٧٢ التاريخ ٨ ربيع الأول ١٤١٠هـ ـ الموافق: ٧ أكتوبر ١٩٨٩م.

إن أمريكا وأوربا تدرك أن إحساس المسلمين في أنحاء المعمورة أن بإمكان أي شعب أن يقف أمام الوحوش الضارية التي تسمى بالدول الكبرى، فلئن وقف الشعب الأفغاني الآن أمام روسيا، وكسر حاجز الرهبة من أشد الوحوش الأرضية ضراوة، فإنه من المتوقع من أي شعب مسلم أن يقف نفس الوقفة أمام أمريكا أو الغرب، وهذا مثال حي آخر وهو جهاد الشعب الفلسطيني أمام اليهود وفي داخل الأرض المحتلة بعد صمت مطبق دام أربعين عاماً.

٢- عزل الجهاد الأفغاني في هذه المرحلة عن قلوب الأمة الإسلامية وتحجيمه وإعادته إلى داخل حدود أفغانستان ليزول قضية قوم أشداء وهم الأفغان قاتلوا عدواً لهم دخل بلادهم وهو الروس قتالاً قومياً لا صلة له بالجهاد الإسلامي وعالميته.

وهذا يتم من خلال التضييق الشديد عليه، وقطع أواصر الصلة بين هذا الجهاد، وبين محبيه حتى تكف أيديهم عن البذل، ونفوسهم عن العطاء والتفاعل معه.

وعزل هذا الجهاد عن الأمة الإسلامية حتى لا تتألم إذا ضرب، ولا تحزن إذا ابتلع من خلال المؤتمرات الدولية والمؤامرات العالمية.

ولذا فالإعلام العالمي الآن لا يبحث إلا عن كشف سوءات هذا الجهاد، وتبيين عيوبه، وتضخيم ثغراته، وإخفاء سماته وميزاته، وللأسف أن الإعلام العربي حلقة من حلقات التآمر العالمية، لأن وكالات الأنباء الكبرى والصحف العظمى التي لها دوي هائل في ساحة الأرض بيد أعداء الإسلام، وأما المسلمون الذين يعملون في الصحف والإعلام العربي فهم لا يملكون إلا أن يرددوا ما يقوله سدنة الإعلام وكهنة الأنباء أبناء يهود ممن نذروا أنفسهم لتحطيم القيم البشرية في الأرض كلها.

ومن هنا: وأنت تذرع الأرض في رحلاتك يتابعك الناس بأسئلة عن الخلافات والمذابح!!!! وتخار، وخروج حكمتيار من الحكومة، بدلاً أن يسألوا عن الانتصارات.

وأحياناً تنزل الاهتمامات عن هذا المستوى إلى درك هابط، فيسألك عن منشور وزع، أو شريط سجل يمس فيه بعض الشخصيات ويتناول قصة عائلية أو غير ذلك.

وإن كنت أظن -من أعماقي- أن كثيراً من المتسائلين مشفقون على أمر هذا الجهاد، يتحرقون عليه ويودون أن لا يسمعوا كلمة واحدة تمس رجاله أو تؤذي أبطاله، بل يود الكثير لو يفتدون أبطال الجهاد ورموزه بأنفسهم، ويحبون أن تبقى هذه القمم الشماء دون أن يمسها شيء من العناء أو البلاء أو الوباء.

موقفنا تجاه التشكيك:

إن الذي نفكر به ليل نهار كيف نزيل الحكم الشيوعي من كابل ونجتثه من جذوره.

أما بالنسبة لهذه الأمور التي تمس مسيرتنا، وتشوه حركتنا، وتحاول أن تنال من هذا الجهاد أو من أشخاصنا فهذه جميعها يتولى الرد عنها رب العالمين إن كنا صادقين.

{إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور} (الحج٣٨).

{قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون * إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين} الأعراف١٩٥-١٩٦.

{{ فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم}} هود ٥٥-٥٦.

القواعد التي ننطلق منها ونحن نتعامل مع الجهاد الإسلامي في أفغانستان:

نحن نوقن أن الله عز وجل بين من خلال قوانينه التي أودعها كتابه أنه يتولى عباده الصالحين، ويحارب أعداءهم، ويكيد لهم:

(من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) البخاري.

ولذا فالقضية الأساسية التي تشغلنا هي: إخلاص النية مع صالح العمل (لأن الله عز وجل كما قال الفضيل بن عياض لا يقبل عملا إلا إذا كان خالصاً صواباً)، فإذا كنا صادقين فهو يتولانا وهو نعم المولى ونعم النصير، وإن كنا غير ذلك -ونعوذ بالله من الفتن والرياء- فهو يكلنا إلى أنفسنا وإلى أعدائنا.

ولذا فإنا إن صدقنا فنحن نتعامل مع أولياء الله وأعدائه من خلال قوانينه، وننطلق من خلال نواميسه التي لا تتخلف وعلى رأس هذه القوانين :

١- (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض).

٢- (إن الله يدافع عن الذين آمنوا)٠

٣- (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله)، قيل لابن عباس رضي الله عنهما إنا لنجد في التوراة من حفر حفرة لأخيه وقع فيها ، قال وهي في القرآن (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله)٠

٤- (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) - كافيه -٠

٥- (إن الله لا يصلح عمل المفسدين) ٠

٦-(إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين

كلمة إلى أنصار الجهاد :

ولذا نهيب بإخواننا أحبة الجهاد وأنصاره أن لا يلقوا أذناً صاغية للمرجفين والمخذلين والمثبطين، وأن يتحققوا مما تنشره الصحف ، وأن لا يقبضوا أيديهم عن البذل ٠

فالجهاد بخير، ورموزه لا زالوا على الطريق، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين٠

في السيرة العبرة[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فلقد عاد الجهاد الأفغاني يواجه نفس الصعوبات التي كان يواجهها في بدايته، من ضيق ذات اليد ، والمجاعة التي تهدد الولايات الشمالية والغربية من بدخشان حتى هرات، بعد أن قل المطر، وأجدبت الأرض، وزحف الجراد وأكل الأخضر واليابس ، وأضحى أمراء الجهاد يواجهون أياماً عجافاً، فلا يجدون بين أيديهم شيئاً يدفعون به قادتهم الذين يتكبون على أبوابهم زرافات ووحداناً، كل يعرض مشاكله وقضاياه في جبهته بعد أن يئس من حلها بنفسه، فترك خندق القتال وجاء إلى أميره لعله يجد لديه حلا أو مشاركة في حل ٠

فما من يوم أجلس فيه في مكتبي إلا ويراجعني كبار القادة وصغارهم يقولون : لقد حل الشتاء ولا بد من أن نواجه الزمهرير بشيء من الإعداد، لابد من توفير الطعام حتى لا نضطر إلى ترك مواقعنا على خطوط النار الساخنة، ولا جرم أن القضية جد ملحة، ونخشى أن يفاجئنا الثلج بالسقوط فيغلق الطرقات ويشل الحركة وتتقطع الاتصالات٠

وفي كل مرة ينزل فيها الثلج دون تدبير حاجات ليوث الله الذين يربضون بين فكي الموت، هذه الحاجات التي تتضمن الأساسيات التي لا يمكن لحياة أن تستمر دونها: الطعام، الغطاء، الحذاء والكساء، والخيام، ولو على ذرى الجبال بين الجليد القارص إن لم تتوفر الكهوف الدافئة الآمنة٠

أقول: في كل مرة لا تتوفر هذه الضروريات الحياتية فان المجاهدين يضطرون لا محالة لترك مرابضهم والانسحاب إلى الخطوط الخلفية التي يجدون فيها مأمنا وطعاماً وأمناً، مما يترتب عليه تقدم الدولة واحتلال مراكز المجاهدين ، وهذا يعني أن المجاهدين بحاجة

---

١ ـ لهيب المعركة العدد ٧٣ التاريخ ١٥ ربيع الأول ١٤١٠هـ ـ الموافق: ١٤ أكتوبر ١٩٨٩م.

بعد ستة أشهر (بعد ذوبان الثلج) أن يخوضوا معارك جديدة يقدمون فيها فلذات أكبادهم من إخوانهم شهداء لعلهم يسترجعون مراكزهم التي تركوها مضطرين لفقدان لقمة الغذاء وقطعة الكساء في السنة الماضية، ولذا فقد أهبنا بالمسلمين أن يبذلوا ما تجود به أنفسهم لتوفير الغذاء والكساء للمجاهدين الذين يحاصرون المدن ويقفون على أبوابها، وبدلاً من أن يقف المسلمون بثقلهم وراء المجاهدين ويجانبهم بالمال والنفس فإنهم عادوا يتتبعون عثراتهم، ويحصون زلاتهم، ويتلقفون أخبارهم من أقلام أعدائهم وأفواه ألدائهم.

لقد ذكرنا للمسلمين أننا قلقون جداً على كابل خاصة، إذ أننا نود أن لو استطعنا أن ندفع بالمجاهدين ليقفوا قبل نزول الثلج في ضواحي كابل حتى يستطيعوا أن يواصلوا عملياتهم العسكرية أثناء الشتاء في شوارع كابل بأسلوب قتال المدن وحرب الشوارع.

فكان لابد أن يتخذ للأمر أهبته، ويعد للشتاء عدته، وأول جواب يواجهك به المحسنون: لماذا خرج حكمتيار من الحكومة؟! وهل القتال لازال مستمرا بين رباني وحكمتيار ؟! وماذا عن حادثة تخار؟!

لقد توالت على المجاهدين المصائب من كل جانب:

ولو كان سهماً واحداً لاتقيته ولكنه سهـــم وثـــــان وثالث

الإعلام العالمي يشنّ حملة شعواء، يريد حرق هذا الجهاد، وتحطيم القيادات التي برزت من خلاله، ومسح آثاره من أذهان الأمة المسلمة وقلوبها، والتركيز على أنه حرب أهلية وقتال داخلي لا يجوز لمسلم أن يساهم فيه أو يدعم أهله.

وقد أقبلت هذه الكروب، واشتدت الخطوب على الجهاد في وقت واحد ، فمن جهة أمسك الأصدقاء أيديهم عن البذل .

وحصل الفراغ الكبير:

في المناطق المحررة، إذ جلس المجاهدون في أماكنهم بعد المعاناة الشديدة التي بذلوها، والجهود المضنية التي قدموها لتحرير ولاياتهم، فوجدوا أنفسهم الآن دون عمل يملأ حياتهم ويومهم، بيوتهم ليس فيها طعام، هزمت الشيوعية وتركت مكاتبها فارغة، ومدارسها ومؤسساتها ومصانعها ومستشفياتها خاوية على عروشها.

واستلم المجاهدون هذه المراكز، ولكن أنى لهم براتب الطبيب ودواء المستشفى ، ورواتب المدرسين ؟! ومن أين لهم المواد الخام التي يشغلون بها المصنع؟! إنهم لا يستطيعون أن يدبروا رواتب العمال الذين يحافظون على صيانة المصنع فقط دون تشغيله أو حراسة المستشفى .

وأمراء الجهاد لا يملكون أي حل لهذه المشاكل، فهم في همّ تدبير جبهاتهم الساخنة التي لو تفقد مواطىء أقدامها فيما لو افتقدت لقمة طعامها أو نفدت ذخائرها.

وذخائرهم قسم منها من أيدي أعدائهم، وقسم آخر من أيدي أحبائهم مساعدات، وقد أصبح أحباؤهم المجاورون يقطرون عليهم بالقطارة.

(قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا) الإسراء، ١٠٠.

ففي شهر مارس سنة (١٩٨٨م) حيث كان العملاق البطل على قيد الحياة ويمسك بزمام الأمور قدمت باكستان إلى المجاهدين ألفين وأربعمائة طن من الذخائر مساعدات للمجاهدين، بينما لم يقدم للمجاهدين في شهر مارس من سنة (١٩٨٩) سوى مائة طن .

وفي شهر حزيران(يونيو) سنة (١٩٨٨) قدم للمجاهدين سبعة آلاف وتسعة وثلاثون طنا، بينما كانت المساعدات في حزيران سنة (١٩٨٩) أربعمائة وستة وتسعين طنا .

بينما الروس يصبون المساعدات صباً من خلال الناقلات الجوية، فقد سجلت الدوائر المختصة عدد رحلات الناقلات الجوية بين روسيا وكابل خلال شهرين فقط (من يناير مي/ مارس سنة ١٩٨٩) أربعة آلاف رحلة، ودعك عن الأموال الضخمة التي تنهال على

حكومة كابل بمعدل سبعة ملايين دولار يومياً.

ففي الوقت الذي لا يجد قادة الجهاد أجرة الخيول التي تنقل أغذيتهم أو ذخائرهم المتبقية من العام المنصرم حتى قال لي د. نجيب وزير الإعلام في دولة المجاهدين: إن الجمعية مدينة بمائة وعشرين مليون روبية أجرة ترحيل (أي ٦ مليون دولار)، وهذا مبلغ ضخم لا قبل لهم بسداده.

وإني لأعلم أن مسؤولي الترحيل قد فروا في الفترة الأخيرة من وجه أصحاب البغال والخيول الهائجين عليهم، لأن قسم الترحيل لا يستطيع أن يوفي الأجراء حقوقهم، فالحملة الإعلامية المسعورة من الغرب على الجهاد، ويقابله الشح في العطاء من الأصدقاء والمحسنين، أضف إليه الفراغ في الولايات المحررة التي لا يملكون لها شيئاً، عدا عن المساعدات التي تتدفق على كابل من روسيا من الذخائر وخاصة من الأسلحة الثقيلة، حتى أطلقت كابل على المجاهدين في جلال أباد وحدها (٤٩٧) (أربعمائة وسبعة وتسعين) صاروخاً من نوع سكود الذي يزن الواحد (٥ر٥) طن والذي يدمر دائرة قطرها كيلو متراً.

وأما الأموال التي تنهال على كابل فإن النظام الشيوعي يشتري بها ضمائر القادة الذين لا يجدون قوت يومهم لأنفسهم ولجنودهم المجاهدين حولهم، يشترونهم لا ليقاتلوا بجانبهم، بل لتخفيف الضربات أو لإيقاف القتال ضدهم.

والحق أن تخفيف الضربات على الدولة يعني إعطاءها فرصة لالتقاط أنفاسها ريثما تعد نفسها فتضرب ضربتها بآلياتها الأرضية وقاصفاتها الجوية.

وإن تخفيف الضربات على كابل له آثاره البعيدة المعنوية، ونتائجه السياسية العميقة، إذ أن الهدوء إذا عم كابل فإن هذا يعكس صورة عن وضع الاستقرار والأمن الذي تعيشه الدولة لدى الدوائر السياسية والسفارات الأجنبية والصحافة العالمية التي ترقب العاصمة عادة، وتنقل إلى العالم ما تشاهده وتراه، ودعك عن الفتن الداخلية الناشئة عن الفراغ، أو يشعل فتيلها عملاء الدولة وطلقاء الفتح، أو يفجرها بعض الحمقى والمغفلين.

وأمام هذا كله يقف بعض القادة معجبين ممن كلّ بهم المسير أو وهنت عزائمهم كأنهم يرددون:

عجبت لمن له قد وحد	*وينبو نبوة القضم الكهام*
ومن يجد السبيل إلى المعالي	*ولا يذر المطي بلا سنام*
ولم أر في عيوب الناس شيئا	*كنقص القادرين على التمام*

القانون الرباني:

ويبدو لي -والله أعلم- أنه كلما اشتدت الأزمة يقرب الفرج (اشتدي ازمة تنفرجي)، إذ أن أشد ساعات الليل حلكة ما قارب الفجر، وأثقل أيام الدعوة الخانقة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم هي الأيام التي سبقت بيعة العقبة الأولى والثانية، إذ أنه في العام العاشر للبعثة توفي أبو طالب، وقبضت خديجة، واشتدت الأحزان على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى سمي العام عام الحزن، وكانت رحلة الطائف التي ما شهد صلى الله عليه وسلم صداً ولا رداً أعنف منها. {واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا} حديث صحيح رواه الترمذي.

قال ابن اسحق: ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتابعت على رسول الله صلى اله عليه وسلم المصائب بهلك خديجة، وكانت له وزير صدق على الإسلام، يشكو إليها، وبهلك عمه أبي طالب، وكان له عضداً وحرزاً في أمره، ومنعة وناصراً على قومه وذلك قبل مهاجرته بثلاث سنين، فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً، فدخل بيته والتراب علىَ رأسه، فقامت إليه احدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها:

{لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك] قال: (ويقول بين ذلك ما نالت قريش مني شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب).

ولذا كانت السنوات الثلاث الأخيرة من المرحلة المكية من أحرج الفترات وأشقها، وبلغت الحرب المعلنة على الدعوة أقساها

وأقصاها.

ولذا كانت السور التي تنزلت في هذه المرحلة بالترتيب: الفرقان ثم الإسراء ثم يونس ثم هود ثم يوسف، وكلها تتضمن التسرية عن نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم المفعمة بالآلام، المعتصرة بالأحزان، وكان سورة يوسف عدا عن تسريتها عن النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيتها له فإنها تومىء من بعيد إلى اقتراب الفرج كما فرج الله عن يوسف عليه السلام، ولذا اختتمت بآيات:

{حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجيّ من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين * لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون}

يوسف عليه السلام ١١٠-١١١.

فهذا هو القانون الرباني: عند اشتداد الأزمة واستيئاس الدعاة يتنزل النصر وينجي الله المؤمنين، ويهلك المجرمين، وتكون عبرة للمؤمنين[١].

فرائض منسية[٢]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد بدأت الحلقات تضيق على القادة المخلصين للجهاد، وبدأت السهام تتناوشهم من كل جانب، وصارت الأفواه تلوك لحومهم من كل صوب، والفارغون يتسلون بتعداد أخطائهم، وشددت الأجهزة العالمية حملتها عليهم، فطفقت لا تلوي على شيء، تحرق أفلاذ الجهاد، وتشوه نماذجه، وتلوث منهجه، وتقلب حقائقه، وكشرت بعض الدول المحيطة عن أنيابها، وضربت بعض الدول الصديقة صفحاً عنهم، وتلفت الميدان ليجد أعز أبنائه قد اصطفاهم الواحد تلو الآخر، ومعظمهم مضى إلى ربه غيلة وغدراً على يد طلقاء الفتح من الشيوعيين الذين أعلنوا توبتهم، وحملوا مسابحهم، وأطلقوا لحاهم بعد أن نالهم العفو العام الذي أصدره المجاهدون عن الشيوعيين والعملاء الذين يعلنون توبتهم قبل أن يقدر عليهم .

فلقد زارني قبل أيام مخدوم عطية الله أحد القادة المشهورين بخوض المعارك في ميمنة فارياب، وقال لي: بعد أن انتصرنا في (كروان باشي)، وصارت الطريق إلى مركز فارياب (ميمنة) أمامنا مفتوحة، وأدركت الدولة أن المركز ساقط بأيدينا لا محالة، أرسلت أوامرها إلى المحافظ أن يستعد لنقل المركز إلى دولة آباد . ولقد بدأت الدولة ترتب أمرها للرحيل بعد أن رأت تصميم علاء الدين ومخدوم عطية على اقتحام حصونهم عليهم ، فألقت الدولة بآخر شباكها لعلها تنقذ به الموقف، فأرسلت بسبعة ملايين ونصف مليون روبية أفغانية (عشرين ألف دولار) حتى تقتل خيرة قادة علاءالدين الميدانيين الذين تعتز بسيرتهم الأرض، وتزدهي بذكرهم السماء، وتفخر بهم الجبال والأرجاء، وتتشرف بهم السهول والأحياء، وكأن أحدهم البدر بن عمّار الذي قتل الأسد بسوطه، وتغنى به أبو الطيب مازحاً:

أمعفر[٣] الليث الهزبر بسوطه	*لمن ادخرت الصارم المصقولا*
متخضب بدم الفوارس لابس[٤]	*في غيله من لبدتيه غيلا[٥]*

هؤلاء القادة أمر غلاء وصبغة الله وهبة الله، فتناول أحد مرضى النفوس المبلغ وهو صوفي عبد الصمد، وأغرى بعض الحراس الذي يحفون بهؤلاء، وفي ليلة واحدة قتلوا هؤلاء القادة الثلاثة، ومن قبلهم قتل بنفس الطريقة (يارمحمد) الذي كانت القذائف تتابعه خطوة خطوة، والطائرات توجه ضرباتها بناء على توجيه اللاسلكي الذي يحمله أحد العملاء حول (يار محمد)، وهكذا استشهد هؤلاء الليوث الثلاثة في ليلة حالكة الظلام، وتقدم حفيظ الله أرباب واستلم المنطقة، وانسحب علاء الدين إلى رؤوس الجبال، ثم هجم المنافقون والعملاء تحت قيادة حفيظ الله ارباب على أمير المنطقة سيد محمد يوسف واحتلوا المنطقة، وهكذا وفجأة دارت العجلة دورتها لتجد

١- حذف من هنا موضوع (لم أصب بمثلك قط) وأثبت في عشاق الحور من هذا المجلد.

٢ ـ لهيب المعركة العدد ٧٥ التاريخ ٢٩ ربيع الأول ١٤٠١هـ ـ الموافق: ٢٨ أكتوبر ١٩٨٩م.

٣- أمعفر يا من عفرت الأسد بالتراب بعد قتله بعصاك (سوطك) لمن أبقيت صارمك (سيفك)؟

٤- هذا الأسد نفسه ملطخ بدماء الفرسان حتى اصبحت لبدته(شعره على كتفه) بسبب الدماء كأنها غابات، فاصبح كأن الأسد لابس غابات من الشعر في داخل غابته.

٥-الغيل . الغابة الكثيفة.

(ميمنة) نفسها مستقرة، وسكتت مدافع المجاهدين التي أقضت مضاجعها فترة طويلة من الزمان لا تهدأ فيها ، ونامت ميمنة لأول مرة ملء جفونها ، وغفت بعد أن وارى التراب ليوث الغاب وهم على طريق الصفوة الذين وصفهم سعد في رسالته إلى عمر رضي الله عنه بعد نصر القادسية قائلاً: (. . . وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القاري وفلان وفلان ورجال من المسلمين لا يعلمهم إلا الله، فإنه بهم عالم ، كانوا يدوون بالقرآن إذا جنّ عليهم الليل كدوي النحل، وهم آساد في النهار لا تشبههم الأسود، ولم يفضل من مضى منهم من بقي إلا بفضل الشهادة إذا لم تكتب لهم) البداية والنهاية لابن كثير٤/٤٧.

وهكذا ينقذ الشيوعيون في فارياب مركز ولايتهم (ميمنة) بعشرين ألف دولار، وميمنة كان لها تاريخها الذي شرف بأسماء الصحابة والتابعين ممن فتحوها وقطنوها، وكم من قائد قد مضى غيلة وغدراً لقاء ثمن بخس ولقمة نجسة يبسها منافق في جوفه ناراً.

لقد حدثني بعض الإخوة أن المليشيا في (كران ومنجان / مديرية في بدخشان) كانوا يتقاضون راتباً من دولة كابل مائة روبية أفغانية شهريا أي (ريال واحد في الشهر).

هؤلاء المليشيا لو كان بين أيدي المجاهدين مال لاشتروهم بثمن أرخص ومال أبخس.

هي نفس الطريق:

إن المجاهدين الآن يسيرون على نفس الجادة التي سار عليها السلف الصالح الذين فتحوا هذه البلاد من حيث المعاناة والضيق والمحن والزلازل والبلابل (الأحزان).

فإذا أضفت إلى الكروب التي تصب عليهم صباً ، والمصائب التي تتنزل عليهم كالمطر ، ما يواجهونه من معاناة في توفير لقمة الطعام تدرك أن آلام الطريق واحدة.

في فارياب نفسها:

ويحدثني أبو الجنيد مسئول الإخوة العرب الآيب من فارياب قائلاً: لقد فاتحت مخدوم عطية الله في مبلغ من المال بين يدي: أنوزعه على المحتاجين في المنطقة أم ندفعه إلى الجبهة؟ فأجابني بحياء: سأضطر الآن أن أفاتحك بسر استكتمت عليه الطباخ، فلقد أوصيته في رمضان أن يشتري للعرب الرز ديناً حتى يطبخ لهم يومياً الرز، بينما كانت الجبهة كلها محرومة منه، ثم عقب أبو الجنيد قائلا: لقد كان يستدين، وسيسد أصحاب الحوانيت من ثمن السلاح الذي يبيعه (من الغنيمة)، وإلا فأنى له بسداد الدين؟!

الثلوج على الأبواب:

ونحن الآن على أبواب الشتاء الذي سيداهمنا بثلوجه، فتقل الحركة، وتبطيء السير، وتغلق المنافذ ، فأعان الله الجبهات التي ستواجه هذه الثلوج ، وأما الدولة فربيعها هو الشتاء بثلوجه وجليده ، وغالباً ما تواجه الدولة في الشتاء خاصة حول عاصمتها جبهات المجاهدين يعوزها الطعام، وينقصها الخشب الذي يستعمله المجاهدون للتدفئة، ودعك عن الضيق الشديد الذي يواجهه المجاهدون من حيث الذخائر والمعدات .

مقابلة التجار:

ويقابلك التجار وأنت تذكر ضيق ذات يد المجاهدين بقولهم: (لازلتم تتسولون؟! لقد انتهى الجهاد وخرجت روسيا).

وقد يواجهك البعض ممن يعيش مغسول الدماغ بإعلام الغرب وصحفه ووكالات أنبائه قائلاً: (أنا لست مستعداً أن أشترك في الإثم بأن أزيد الحرب الأهلية ضراماً بأن أقدم الوقود لنار مستعرة تحرق المسلمين).

وهكذا يصبح القتال ضد الشيوعية الأفغانية حرباً أهلية يأثم بعض المسلمين من البذل لها، ويتحرجون من مساعدتها.

وما ذاك إلا لأن بعض الصحف العربية ما تني تطالع القراء بحوادث الخلافات والقتال بين الاحزاب لأنها بوق للغرب أو للشرق.

حكم الجهاد بالمال:

يقول ابن تيمية في الاختيارات العلمية / الفتاوى الكبرى ١٨٣/٤: (ولذلك قلت لو ضاق المال عن إطعام الجياع والجهاد الذي يتضرر بتركه قدمنا الجهاد وإن مات الجياع).

وجاء في حاشية الدسوقي على الشرح الكبير في فقه المالكية في كتاب الزكاة ١١١/٢: (وأما إذا ترك تخليص النفس متى قتلت فإنه يضمن الدية في ماله إن ترك التخليص عمداً، وعلى عاقلته إن كان متأولاً، ولا يقتل به، ولو ترك التخليص عمداً، هذا مذهب المدونة، وحكى عياض عن مالك أنه يقتل به، قال الأبيّ في شرح مسلم مازال الشيوخ ينكرون حكايته عن مالك ويقولون أنه خلاف المدوّنه).

ويقول ابن تيمية (الفتاوى الكبرى ١٨٤/٤) : (فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه). ويقول عند قوله تعالى:

{انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكمْ خير لكم إن كنتم تعلمون} (التوبة ٤١).

(فيجب على الموسرين النفقة في سبيل الله، وعلى هذا فيجب على النساء الجهاد في أموالهن إن كان فيها فضل (زيادة عن الحاجة)، وكذلك في أموال الصغار ، ولا خلاف في هذا إذا هجم العدو، فإن دفع ضررهم عن الدين والنفس والحرمة واجب إجماعا) أ. هـ

قال القرطبي في تفسيره(٢٤٢/٢) : { اتفق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة فإنه يجب صرف المال إليها ، وقال مالك : يجب على الناس فداء أسراهم وإن استغرق ذلك جميع أموالهم ، وهذا إجماع أيضا}.

وبناء على ما تقدم:

يجب الجهاد بالمال الآن وجوباً عينياً (فرض عين) على كل قادر حتى تسد حاجة الجهاد.

فإذا علم المسلمون أن المجاهدين بحاجة إلى أحذية فلم يقوموا بكفاية المجاهدين فكلما قطعت رجل مجاهد بسبب الثلج وجب عليهم دفع دية الرجل لأنهم تسببوا عمدا أو متأولين بذلك، وإذا علم المسلمون أن المجاهدين بحاجة إلى أكياس نوم ثم مات قسم منهم بسبب الثلج والبرد فعلى المسلمين بناء على رأي المالكية دفع دياتهم، وإذا علم المسلمون أن المجاهدين بحاجة إلى ذخيرة أو إلى حفر خنادق أو ملاجيء في الجبال ولم يؤمنوا لهم المغارات فإن المسلمين يدفعون دية كل مجاهد يقتل بسبب التقصير في هذه النواحي.

وإذا كان الإمام مالك والحنفية يوجبون فداء الأسير أو الأسيرة من الكفار ولو استغرق الفداء جميع أموال المسلمين، فكيف بافتداء شعب بكامله معرض للوقوع في أسر الشيوعية وفي مستنقع الكفر ؟

وماذا يحكم الإمام مالك والحنفية في شعب فلسطين الواقع بأسره في أسر اليهود منذ أربعة عقود ؟ فليتق الله الأغنياء في أموالهم، وعليهم أن يبادروا إلى دفع ما فرضه الله عليهم لسد حاجات الجهاد والمجاهدين. وليعلموا أن كل ما ينفقون فهو مخلوف عليهم معوض من قبل رازقهم سبحانه..

(وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين). [سبأ ٣٩].

هدية إلى الأغنياء:

وإني أقدم للموسرين هدية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بشرى، ففي الحديث الحسن (أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعاً ، ولئن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً ، ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام)[1].

---

١ ـ رواه الطبراني عن ابن عمر.

طريق المآسي:

وإنا لنرى أن الطريق إلى الأمجاد واحدة ، ولا يبني الأمم إلا الجماجم والأجساد:

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) آلعمران١٤٢،

ولقد حدثتنا السير أن الذين حجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع أكثر من مائة ألف (ما بين ١٢٤- ١٣٠ ألفا من الصحابة)، بينما لم يصل عدد الذين ماتوا في المدينة ثلاثمائة صحابي ، وأما الآخرون فيجمعهم الله من بطون السباع وحواصل الطير وأعماق الأنهار . . .

طاعون عمواس:

ولقد حدثنا ابن كثير في البداية والنهاية ٩٥/٤:(نقلا عن الواقدي أن عدد الذين توفاهم الله في طاعون عمواس سنة (١٨هـ) من الصحابة والتابعين يتراوح بين(٢٥-٣٠ ألفاً)، وفي نفس العام سنة (١٨هـ) حدثت المجاعة وسمي العام بعام الرمادة، وألزم عمر نفسه أن لا يأكل سمناً ولا سميناً حتى يكشف ما بالناس، فكان في زمن الخصب يبث له الخبز باللبن والسمن ، ثم عام الرمادة يبث له بالزيت والخل، وكان لا يشبع مع ذلك، فاسود لون عمر وتغير جسمه، حتى كاد يخشى عليه من الضعف، واستمر هذا الحال في الناس تسعة أشهر).

دعاء للمجاهدين:

وختاماً نحن ندعو للمجاهدين بالدعاء الذي دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابة الجياع، فعن عبدالله بن حوالة الأزدي قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لنغنم على أقدامنا، فرجعنا فلم نغنم شيئا، وعرف الجهد في وجوهنا، فقام فينا فقال: **(اللهم لا تكلهم إليّ فأضعف عنهم، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها ، ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم)**

سكت عنه أبو داود والمنذري وحسنه الحافظ.

وكذلك نردد دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم الذي دعاه لأهل بدر: **(اللهم إنهم حفاة فاحملهم ، اللهم إنهم عراة فاكسهم، اللهم إنهم جياع فأشبعهم)** أخرجه أبو داود عن عبدالله بن عمرو .

صنائع المعروف تقي مصارع السوء[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد جاوز عقرب الساعة الثانية ظهراً، وبدأت مع أبي عبدالله في الفندق ألمّ أغراضي، وحولي زمرة من الرجال جاءوا لوداعي، وليس لهم من حاجة سوى الاستمتاع بالحديث إليّ، والقيام بخدمتي في آخر ساعة أغادر فيها الكويت، وإذا بجرس الهاتف يرن: فأجبت من أنت؟ فقال أخ مسلم يريد أن يسدي إليك نصيحة قبل مغادرتك، وذلك تعقيباً على محاضرتك بالأمس، فقد كنت أحد شهودها في جمعية الإصلاح الإجتماعي، فلم يكن لي أن أرده رغم ضيق الوقت، والانشغال الشديد، فأجبته تفضل ولكن لا تتأخر.

ودخل رجل حليق اللحية، قصير القامة، يبدو أنه في العقد الخامس من عمره، يدلف إلى الخمسين، فجمع بعض كلمات على لسانه ينقصها النحو وحسن الربط وقوة السبك، فقال: أنا الذي اتصلت بك، فسألته عن اسمه فأبى عليّ ذكره، ثم قال: سمعتك تقول: المجاهدون بحاجة إلى غذاء وكساء، ثم أخرج من جيبه رزمة نقود قائلا: هذه ثلاثة آلاف دينار كويتي:ألف للطعام، وأخرى للكساء، وثالثة للجهاد.

ثم قال : لقد سمعتك تقول: لقد أحببت هذا الجهاد الأفغاني بملء نفسي، ولعله يشير إلى بيتين من الشعر تغنيت بهما معبراً عن أحاسيسي:

١- لهيب المعركة العدد ٧٦ – ٦ ربيع الآخر ١٤١٠هـ الموافق ١٩٨٩/١١/٤م.

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي — متأخـــر عنـــك ولا متقدم
أجـد الملامــة فـي هـواك لذيــذة — حبا بذكرك فليلمني اللوم

ثم قال: إن المحبة يجب أن تكون خالصة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، أما الناس والجهاد الافغاني وغيره فإنه يتغير ويتحول، فقلت: صدقت.

ثم عدت ألحّ عليه في ذكر اسمه فأبى، ثم قال لي: هناك كتاب طبعناه اسمه (الدليل إلى القرآن الكريم) وهو كتيب صغير يشير إلى مواضيع في القرآن الكريم بطبعة أنيقة فاخرة، ثم قال: (عندي كرتونه منه إن شئتم أن تأخذوها، ثم أخرج من جيبه عشرين دينارا كويتيا وقال: هذه أجرتها).

الإخلاص في الإنفاق:

وقد تركت فيّ هذه القصة أثراً كبيراً، إذ لا زال الخير في هذه الأمة كثيراً، والحق أن الجهاد قد كشف لنا عن طاقات خيرة، وكنوز مدخرة لازالت الساحة الإسلامية تزخر بها، والجهاد خير كشاف ، فقد كشف عن الطاقات في الشعوب، وعن مكنونات الخير في أعماقها، ونحن نزن بميزان الجهاد، فهو أصدق ميزان، وأروع مؤشر على مدى تيار الخير الذي يسري في أوساط الأمة المسلمة.

ولقد كان لسان الميزان يميل مؤشراً على مصداقية الحديث الشريف **(إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها)** وفي رواية إلى الحرمين .

وهذا شهد الله أنا وجدناه الحق المبين في حياة المسلمين وواقعهم، فلازالت الجزيرة العربية -بما فيها اليمن والحجاز ونجد والخليج – تنعم بكثير من النعم الإلهية التي أودعها الله في قلوب كثير من السكان في هذه البقعة قياسا إلى غيرها من الأقطار .

قصص هزتني من أعماقي

وتطالعني يومياً من خلال زياراتي لأرض الجزيرة مع أنني لا أزورها إلا مضطراً لحرصي الشديد أن أبقى على مقربة من لهيب النار المضطرمة فوق أرض العزة والفخار بين ألسنة النار وزلازل الدمار في أفغانستان. وإني لأحس بالاختناق الشديد كلما ازداد بعدي عن القوم الذين يطاولون عنان السماء عزة وإباء، ويبارون ماء المزن نقاء وصفاء – في أفغانستان–.

أم عبد اللطيف:

وقصة أم عبد اللطيف إحدى القصص التي هزتني، وما أكثر هذه القصص، إذ خطبت الجمعة مكان الشيخ أحمد القطان فوق منبر الدفاع عن المسجد الأقصى، وأهبت بالناس أن يتبرعوا لهذا الجهاد، ونوهت بالدور المشرف الذي قامت به (لجنة الدعوة) في الميدان الصحي، وإذا بامرأة ترسل إليّ بعد الخطبة برسالة مغلقة سطرت على غلافها مع رجاء الدعاء إلى أم عبد اللطيف، ففتحتها فوجدت فيها (٢٠٥٧) ديناراً كويتياً. فعجبت لامرأة ترسل بعد الخطبة مباشرة هذا المبلغ مع إغفال اسمها ، وقد بدا لي أن هذه المرأة قد دفعت بحصيلة مدخرات العمر دفعة واحدة للجهاد، فنرجو الله – عز وجل – أن يسبل عليها جلابيب ستره في الدنيا والآخرة، وأسأله تعالى لها : الحفظ والبركة في الدين والدنيا والأهل والمال والولد .

الشعب الفلسطيني:

ومما اعتصر قلبي ألماً حالة الشعب الفلسطيني، لقد انطبع في نفسي وأنا أراه في مهجره في الكويت خاصة وفي الجزيرة عامة، إذ أنه يشكل أغلبية سكانية في الكويت تقريباً انطباعاً عميقاً يحمل الألم والأمل، وينطوي على الحزن والعزة معاً .

إذ رغم نكبات الدهر التي واجهته ولازالت تطارده حيثما حل وأينما سار ، ورغم الكنود الشديد الذي يواجهه من القريب والبعيد، ودعك عن الغصص التي يتجرعها في مسيرته، والآلام التي تعتمل بين جوانحه وفي طياته إلا أنه: مصمم على المسيرة نحو الأقصى، يمشي على جراحه، ويخطو على الجمر، فالأسرة الفلسطينية لا تكاد تستطيع أن تلم شتاتها فوق أي أرض ولا تحت ظلال أي نظام، ولا تطيقها بقعة، والسهام تتناوشه من كل مكان ، والحراب تعمل في جسده فتعمق جراحه، وتتوالى الأيام لترش على جراحه الملح.

كلما أنبت الزمان قناة ركب الدهر في القناة سنانا

ومع الجهد الكبير الذي يحاول به الفلسطيني أن يجمع الفتات الذي عنيه العائلة تقتات، ورغم العناء الشديد الذي يبذله ليوفر به المبلغ الذي يدفعه آخر الشهر أجرة الشقة (القفص) الذي كتب له الحياة فيه، وهو يزيد – غالبا- عن نصف راتبه، والأقساط الشهرية التي سيدفعها للمدارس الخاصة والتي وصلت في بعض المناطق الى (١٥٠٠) ألف وخمسمائة دولار سنوياً على كل ابن من ابنائه، بعد أن ضاقت بهم المدارس الرسمية، فنبذتهم في الشوارع ترشيداً للاستهلاك، وتوفيراً على الميزانيات، ولا تنس الإقامة التي يفقدها البالغون من أبنائه الواحد تلو الآخر، إلا أن هذا الشعب لازال رافع الرأس، عالي الهامة، مشمخر الأنف، لا يذل عنقه للأعاصير، ولا يريق ماء وجهه أمام الخلق، ورغم هذا كله:

فما ذلّ الإباء بهم وما احتفى بهم فشل
ورأس الشعب مرتفع وموج البذل متصل

ولسان حال الصالحين ردد :

(وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون)إبراهيم:١٢.

أبناء فلسطين يتبرعون لأفغانستان :

ومع هذه الآلام التي يتكبدها على هذا الطريق الشاق نحو فلسطين إلا أنه يتفجر حماساً للأرض المباركة، وتراه يعتصر نفسه اعتصاراً وهو يدفع مبلغاً آخر الشهر لحماس، أو للجنة مناصرة فلسطين، أو لطبع كتاب أو شرائه يتضمن القضية، وترى أبناء فلسطين منتشرين في كل ساحة في ردهات الفنادق، وداخل المكاتب، ولجان الإغاثة، كل واحد فيهم يتأبط تحت ذراعه مجموعة من الملصقات والصور وإحصائيات عن الانتفاضة الجهادية التي تزلزل الأرض المباركة تحت أقدام اليهود، وتراهم يطبعون قصص الشهداء، ويتناقلون روائع الأمثلة من أحاديث الإيثار والتكافل الذي يلف الضفة الغربية وقطاع غزة .

البذل لأفغانستان :

ومع هذه المآسي التي تشيب لها النواصي إلا أن هذا كله لم ينسهم قضية أفغانستان، فترى بعضهم مقبلا عليك يجمع للجهاد في أفغانستان كقضية إسلامية أصبحت بعد بحور الدماء وتلال الأشلاء معجزة القرون الثلاثة الأخيرة، يقبل ابن فلسطين نحو أفغانستان بماله أو بنفسه ولسان حاله يردد:

أخي المسلم يا من أنت لم تسعدني بالرؤيا وبين عروقنا تجري دمـــاء أخوة عليا
تحفزني لدفع الشر إن ناديتني حـيا فاطوي الأرض غضبانا أقاتل دونك البغيا

إخوة الإيمان:

وهذه هي حقيقة المحبة وسمة الأخوة الحقة دون مطامع، ولا أرحام تجمع، ولا أموال تدفع، ففي الحديث الذي رواه الترمذي وقال حسن صحيح من حديث معاذ رضي الله عنه يقول:

(قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء).

كيف لا يبذل المسلم ماله لفلسطين ولأفغانستان وأبو سعيد الخدري يروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

(من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له)، قال أبو سعيد فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصنافا من المال حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل)] رواه مسلم ١٧٢٨

وفي الحديث: **(من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسرّ على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه).**

مختصر مسلم ١٨٨٨

ولم أر كالمعروف أما مذاقه فحلو وأما وجهه فجميل

مصارع السوء:

وفي طريق عودتي وفي مطار البحرين يجلس بين يدي في مسجد المطار شاب خليجي يكاد يذوب في ثيابه خجلا، وتمتم بكلمات يتلعثم بها من خلال الحياء الذي جعل محياه يقطر عرقاً، وقص قصة يتفطر لها القلب أسى، وتتفتت الكبد حزناً، فقال لي: والدي في الحادية والستين من عمره، مات في بانكوك بالأمس ميتة السوء، وأنا متوجه لإحضار جثمانه من مستنقع الرذيلة، فماذا عليّ أن أفعل له ؟ وسألني عن الغسل والتكفين والصلاة ... ولاحول ولا قوة إلا بالله.

فأقول: لو كان الرجل الهالك من أهل المعروف لما مات ميتة السوء هذه، ونعوذ بالله من سوء الخاتمة، وأسألك اللهم العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

ففي الحديث الصحيح الذي رواه الحاكم عن أنس قال صلى الله عليه وسلم:

(صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة)

صحيح الجامع ٣٦٨٩

فهل يتنبه أصحاب الثراء والغنى إلى حاجات المجاهدين في أفغانستان وفلسطين وغيرهما من بلاد المسلمين ؟

أنفقوا تنعموا ولا تمسكوا فتحرموا :

ففي الحديث الحسن الذي رواه الطبراني عن ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم:

(إن لله تعالى عباداً يختصهم بالنعم لمنافع العباد، ويقرهم فيها ما بذلوها، فإن منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم)

٢١٦٠ صحيح الجامع .

اللهم أحينا سعداء وأمتنا شهداء واحشرنا في زمرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

يا أقدام الصبر احملي[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فلفترة غير قصيرة بقي ممر سالنج مغلقا، كما دك المجاهدون أسوار الحي الأحمر (سور كلي) في غزني مسقط رأس مؤسس الحزب الشيوعي الأفغاني – محمد نور تراكي –، كما افتتح المجاهدون (تبة بجك) في بغمان، وتعتبر آخر حصون العدو في بغمان التي تشكل أكبر ضاحية تسيطر بجبالها الشماء على كابل، وتقصف يوميا مؤسساتها الحية، ومراكزها العسكرية، ابتداء من دار الأمان –وزارة الدفاع– وانتهاء بقرغه (الفرقة العسكرية)، مارة بالسفارة الروسية والقصر الجمهوري ومكروريان (المدينة السكنية للروس وكبار الشيوعيين)، ولم تكن الغنائم قليلة، ولا خسائر العدو ضئيلة ، بل كانت المعدات والآليات التي فقدها العدو كثيرة، ناهيك عن القتلى والأسرى الذين بلغوا الآلاف .

وإغلاق ممر سالنج عندما يسمعه الناس يمر على أذهانهم كحدث عابر، ولا يستطيع أحد وهو بعيد عن أرض الجهاد أن يدرك المعاناة الضخمة، والمشقة الهائلة التي يتحملها المجاهدون لإغلاقه ، إذ أن إغلاقه يعني أن يقف مئة من المجاهدين أو مئات على الأكثر، كل يحمل مدفعه الصاروخي (آر. بي. جي٧). وعلى بعد لا يزيد عن مائتي متر على جانبي الشارع العام الواصل بين روسيا وكابل (حيرتان – كابل) ينتظرون قدوم القافلة التي وصلت في الأسبوع الأخير ألفاً وخمسمائة ناقلة وآلية.

وتقدم الدبابات رهن بكفالة الطيران، والصواريخ كفيلة أن تبيد كل ما في المنطقة من أحياء، تهلك الحرث والنسل، وتحول المنطقة إلى ركام من الرماد مجللة بالسواد، كأنها تلبس ثياب الحزن على سكانها الغابرين الذين تواروا تحت الركام .

١ ـ لهيب المعركة العدد ٧٧/ ١٣ ربيع الآخر ١٤١٠هـ ـ الموافق ١٩٨٩/١١/١١م.

فتقوم الطائرات أولا بتطهير المنطقة بالقصف المدمر، وبالقذائف التي قد تخرج نبع الماء من أعماق الأرض – وقد رأيت ذلك بنفسي – ، وتستمر الغارات المتواصلة أياما متتالية، حتى تفر الأحياء من المنطقة، وليت شعري لو شهدت معركة من المعارك لترى بأم عينيك نواح الكلاب وبكاء الخيول وهي تواجه هذه الأهوال المروعة والأحداث المزلزلة .

ثم تطلب الدولة من سكان القرى التي تحف بالشارع من الجهتين أن يغادروا رساتيقهم (قراهم) وأحياءهم، ثم تنهال صواريخ موشاق (طولها ٩،٤م) بحيث ينزل ثمانون صاروخا دفعة واحدة – أحيانا –، وصواريخ سكود (طولها ١١م ووزنها ٥,٥طن) ويدمر منطقة قطرها كيلومترا، وبعد هذا كله يبقى بعض المجاهدين رابضين في خنادقهم :

وإذا نظرت إلى الجبال رأيتها	*فوق السهول عواسلا وقواضبا*
وإذا نظرت إلى السهول رأيتها	*تحت الجبال فوارسا وجوانبا*
فكأنما كسي النهار بها دجى	*ليل وأطلعت الرماح كواكبا*
أسد فرائسها الأسود يقودها	*أسد تصير له الأسود ثعالبا*

تعاون الحزب والجمعية:

[(صوفي قائد محمد) يقود الحزب، و(مسعود) يقود الجمعية] والحمد لله لقد تعاون في إغلاق ممر سالنج الحزب الذي يحكم قبضته على سالنج الشمالي، والجمعية (مسعود) الذي يمسك بقبضته الحديدية سالنج الجنوبي، وقد وصلنا خبر في الليلة الماضية مفاده أن ممر سالنج لازال مغلقا ، وقد تلقت القافلة الروسية في خنجان (سالنج الشمالي) ضربات شديده دمر فيها مجموعة من الدبابات، وغنم المجاهدون مجموعة كبيرة من الغنائم .

حملة التشكيك :

وبعد هذا كله يكاد الناس يصدقون الإعلام الغربي أن الجهاد في خطر، وأنه انتهى، وأن الدولة الشيوعية من القوة بمكان بحيث لا يستطاع إسقاطها من خلال القتال بين فريقين من قوم واحد.

ولشدة التركيز الإعلامي على سلبيات المجاهدين كاد الذين يتعاملون مع الجهاد ويخدمونه يشكون في أنفسهم ويصدقون أجهزة الغرب ووكالاته وأضواءه .

الصدمات النفسية:

وقد أثرت هذه الأضواء المسلطه على سلبيات المجاهدين ، وزعزعت هذه الحملة الشعواء من ثقة بعض الناس بهذا الجهاد المبارك، وأوهنت من عزائمهم، خاصة بعض أنصار الجهاد الذين أكرمهم الله بالقرب منه، فصاروا يسر بعضهم لبعض أن الجهاد من الصعب أن ينتصر ، واتخذ البعض من بعض المشاكل التي لا يمكن لأي مجتمع مهما كان نظيفا مستقيما ملتزما أن يخلو منها، أقول : اتخذ من بعض المشاكل مبررا لانسحابه من الميدان .

الواجب الشرعي:

(١) والواجب الشرعي بالنسبه للمسلم أنه كلما ازدادت المشاكل كلما تضاعفت الجهود للتغلب عليها، وقهر الصعوبات، وتجاوز العقبات التي تعترض مسيرة الدعوة والجهاد

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (آل عمران ١٤٢)

(أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الإنسان على قدر دينه، فإن وجد في دينه صلابة زيد له في البلاء)

حديث صحيح .

وقد جاء رجل إلى العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس فقال له : جئتك بحاجة صغيرة، فقال : اطلب لها رجلا صغيرا (تاريخ بغداد ١٢/١٢٥).

(٢) أكثر الناس حسابا يوم القيامة الذين فرطوا في هذا الجهاد بعد أن عرفوه وذاقوا حلاوته، ولقد كان السلف يقولون : (ويل للذي لا يعلم مرة وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات).

(٣) لقد خاطب الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله:

(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا).

وقد فهم الصحابة الآية على ظاهرها، فعن أبي إسحاق قلت للبراء بن عازب رضي الله عنه:

(الرجل يحمل على المشركين أيلقي بيده إلى التهلكة؟ قال: لا، لأن الله بعث رسوله صلى الله عليه وسلم فقال:

(فقاتل في سبيل الله لاتكلف إلانفسك) (النساء٨٤)

إنما ذاك في النفقة) • رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي/ الفتح الرباني ١٤/٨.

وقد قال ابن العربي في أحكام القرآن ٢/٩٥٤(وقد تكون حالة يجب فيها نفير الكل إذا تعين الجهاد على الأعيان بغلبة العدو على قطر من الأقطار، أو لحلوله بالعقر، فيجب على كافة الخلق الجهاد، فإن قصروا عصوا ، فإذا كان النفير عاما لغلبة العدو أو استيلائه على الأسارى كان النفير عاما ووجب الخروج ••• ثم قال : فكيف يصنع الواحد إذا قعد الجميع؟ يعمد إلى أسير واحد فيفديه، ويغزو بنفسه إن قدر، وإلا جهز غازيا)•

وفي الحديث الحسن الذي رواه أبو داود وأحمد:

(عجب ربنا من رجل غزا في سبيل الله فانهزم أصحابه فعلم ما عليه فرجع حتى أهرق دمه، فيقول الله عز وجل لملائكته انظروا إلى عبدي رجع رغبه فيما عندي وشفقه مما عندي حتى أهرق دمه)•

(٤) لنفرض جدلا أن الجهاد في أفغانستان فرض كفاية، فإنه يصبح فرض عين على من وصلها، لأن فرض الكفاية ينقلب فرض عين إذا التقى الصفان وتزاحف الجيشان •

(٥) إذا كانت المشاكل تؤدي إلى ترك الجهاد فلن يقوم للناس دين ولا دنيا قال الحسن بن زياد : كلمة سمعتها من الفضيل بن عياض:(لا تستوحش طرق الهدى لقلة أهلها – السالكين –، ولا تغتر بكثرة الهالكين).

وقد استعمل عمر بن عبد العزيز ميمون بن مهران على الجزيرة وعلى قضائها وعلى خراجها، فمكث حينا ثم كتب إلى عمر يستعفيه عن ذلك، وقال معتذرا: كلفتني ما لا أطيق، أقضي بين الناس وأنا شيخ كبير رقيق ، فكتب إليه عمر :(اجب من الخراج الطيب ، واقض بما استبان لك، فإذا التبس عليك أمر فارفعه إلي ، فإن الناس لو كان إذا كبر عليهم أمر تركوه ما قام لهم دين ولا دنيا)البداية والنهاية ٩/٢١٧•

(٦) من أراد أن يحرم أفغانستان من نفقة ماله أو المشاركة بالجهاد بالنفس طمعا منه أن يجد مكانا آخر أفضل للعمل الإسلامي فليبحث له عن مكان في السماء وليس في الأرض، لأنه ليس في الأرض مكان الآن أفضل للعمل لدين الله من أفغانستان، ولا يمكن أن ينتج أي جهاد في الدنيا – فيما نحسب والله أعلم – ثمارا أطيب ولا أشهى من ثمار أفغانستان، ولا يمكن لأي جهاد يبدأ في أية بقعة من المعمورة أن ينتهي إلى نهاية أفضل مما انتهى إليه الجهاد الأفغاني، وكذلك لا يمكن – والله أعلم – لأي جهاد أن تواتيه ظروف سانحة وفرص مناسبة أفضل من تلك التي ساقها الله لهذا الجهاد المبارك •

(٧) أن أفضل مكان لنصرة دين الله في الأرض الآن هو أفغانستان، وأقرب جهاد من هدفه هو جهاد أفغانستان – والله أعلم–، ولا يجوز ترك المرعى الخصب الذي تسيم فيه أنعامك إلى مرعى مجدب ليس فيه عشب لها، ونحن مأمورون أن نأخذ بالأسباب، ومحاسبون عليها ، وترك الفرص إثم يحاسب المفرط في اغتنامها **(فاستبقوا الخيرات).**

٨–إن أفضل الشعوب التي تصلح لنصرة هذا الدين وإشادة صرح مجده هو الشعب الافغاني، لصلابة عوده، وشدة مراسه، وصفاء فطرته، وقوة شكيمته، وقوة احتماله وصبره•

وإذا كان البعض يرى أن بعض الهفوات والبدع تنتشر في الشعب الأفغاني، فهذا لا يجيز لنا أن نتركه في الميدان وحده .

ولنسمع فتوى ابن تيمية في وجوب الغزو مع البر والفاجر ومع الأمراء الفجرة: يقول ابن تيمية رحمه الله :(ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار، أو مع عسكر كثير الفجور فإنه لابد من أحد أمرين : إما ترك الغزو معهم، فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضررا في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين، وإقامة أكثر شرائع الإسلام، وإن لم يمكن إقامة جميعها ، فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها، بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه.

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم:

(الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم) فهذا الحديث الصحيح يدل على معنى ما رواه أبو داود في سننه من قوله صلى الله عليه وسلم:

(الغزو ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل).

وما استفاض عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : **(لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة).** إلى غير ذلك من النصوص التي اتفق أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف على العمل بها في جهاد من يستحق الجهاد مع الأمراء أبرارهم وفجارهم، بخلاف الرافضة والخوارج الخارجين عن السنة والجماعة.

هذا مع إخباره صلى الله عليه وسلم بأنه: (سيلي أمراء ظلمة خونة فجرة، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم فليس مني ولست منه، ولا يرد عليّ الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وسيرد عليّ الحوض)، فإذا أحاط المرء علما بما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الجهاد الذي يقوم به الأمراء إلى يوم القيامة، وبما نهى عنه من إعانة الظلمة على ظلمهم علم أن الطريقة الوسطى التي هي دين الإسلام المحض جهاد من يستحق الجهاد كهؤلاء القوم المسؤول عنهم مع كل أمير وطائفة هي أولى بالإسلام منهم، إذا لم يكن جهادهم كذلك، واجتناب إعانة الطائفة التي يغزو معها على شيء من معاصي الله، بل يطيعهم في طاعة الله، ولا يطيعهم في معصية الله، إذ لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق) جـ ٢٨/٥٠٦- ٥٠٨ مجموع الفتاوى.

فاللهم ثبت قلوبنا على دينك، ويا أقدام الصبر احملي فقد قرب الوصول .

عمليات الشيخ تميم العدناني (رحمه الله)[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: نزل خبر وفاة الشيخ تميم العدناني على قلوب المجاهدين الذين يعرفونه نزول الصاعقة، فحزنوا عليه حزنا شديدا، واهتزت نفوس الصادقين ألما لفراقه، ولقد حدث ياسر النجل الأكبر للشيخ تميم قال : زرت قبر الوالد ذات يوم قبيل الغروب فوجدت الشيخ سياف جالسا وحده بجانب القبر يذرف الدموع.

وعلم المجاهدون في بغمان بالخبر، وهذه ضاحية مطلة بشموخها وعليائها على كابل، وتصليها بين الحين والآخر شواظا من نارها، وتحب أن توفر على أحياء الشيوعيين وقودهم في بعض الأيام والليالي فتشعل المنطقة نارا .

ووفاء للشيخ تميم كان لابد من إجراء عمليات مؤثرة، وتوجيه ضربات موجعة لأذناب روسيا – نجيب وعصابته –، ولقد تولى شير علم / الاتحاد قيادة هذه العمليات، إذ أن بينه وبين الشيخ تميم علاقات وثيقة، ووشائج محبة متينة ، فجاء المجاهدون بمجموعة من الصواريخ وكتبوا عليها بأقلام (الفلومستر) بالخط العريض: {هدية من الشيخ تميم إلى كلب الروس نجيب}.

بدء العمليات : كتبت هذه العبارات على الصواريخ، ثم أعطى المجاهدون أوامر حازمة أن لا يغادروا خنادقهم وملاجئهم، لأن من عادة الحكومة أن ترد على مكان الإطلاق بكل صاروخ مائة، إذ أنهم يطلقون صواريخ (الموشاك ٢ر٣م) بغير حساب، وقد تزيد

---

١ ـ لهيب المعركة العدد ٧٨ التاريخ ٢٠ ربيع الآخر ١٤١٠هـ ـ الموافق ١٨ نوفمبر ١٩٨٩م.

الدفعة الواحدة عن المائة ، وأطلق المجاهدون الصواريخ الأربعة الأولى .

الدكتور حمزة: ورغم الأوامر المشددة الحازمة فلم يتمالك الدكتور حمزة نفسه ويحبسها دون أن ترى آثار عمليات الشيخ تميم ، قال د.حمزة: فقلت في نفسي (الشيخ تميم لقي أحبابه فنسي أصحابه هنا، ولعله معلق بقنديل من قناديل العرش)، لأن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش.

ودعا د. حمزة ربه أن تكون هذه العملية مبيدة -مهلكة- للعدو ، إنها عملية الشيخ تميم، وما استطاع أن يحبس نفسه في عيادته في أورغندي / بغمان، فانطلق خارجا من غرفته يحدوه الشوق ليرى مواقع إصابات المجاهدين، قال حمزة فإذا بسماء كابل قد اكتست بغمام أسود، وكذلك منطقة الأعداء في بغمان، يالله! لقد كانت الإصابات مدمرة، والنتائج باهرة، إذ أن هذا الدخان الأسود لم يكن ليخرج إلا بحرائق كثيرة وخسائر كبيرة.

وأخذ د. حمزة كمرة الفيديو وأخذ يلتقط الصور التي تثلج صدور المؤمنين وتغيظ أعداء الله الكافرين .

الـــــرد:

وردت الحكومة بصواريخها المزلزلة، ومرّ الموشاك مدمدما يئز أمام أعين المجاهدين، وجاوزهم بأزيزه، وأصاب مواقع الأعداء في المنطقة:

{يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين}.(الحشر٢).

مواقع العدو التي قصفت : لقد كانت ضربات موجعة أنّ لها نجيب ولم يستطع أن يكبت غيظه وآلامه، فكان ينفس عن أحقاده وأحزانه بالبث المباشر عبر شاشة التلفاز .

مواقع الضربات: لقد ضرب المجاهدون :

١- قرغة – الفرقة الرابعة.

٢- باغ داود – الفرقة الثامنة.

٣-القصر الجمهوري ، وحيّ الوزارات الواقعة في منطقة أرك.

٤- حي الضباط.

٥- محطة الرادار وقاعدة الدفاع الجوي المدججة بصواريخ سام .

٦- فندق الانتركونتيننتال حيث تقيم الوفود الدبلوماسية وضيوف الدولة.

٧- معهد البولتكنيك – كلية الهندسة – وقد أنشأته روسيا وفيه الشيوعيون ولغته روسية ، وقد أصيب كادر الأساتذة وقسم غير قليل منهم من الشيوعيين ومن خريجي روسيا والدراسة فيه باللغة الروسية ، وقد نزل الصاروخ على الأساتذة أثناء اجتماعهم.

٨- دار الأمان: وهي مجموعة بنايات ضخمة متوزعة في منطقة واسعة فيها رادارات وزارة الدفاع – قصر الأمان – ومحطة صواريخ سكود، وتبة تاج بيك التي تشكل ادارة الاستخبارات – خاد –.

٩- شهرناو – الحي الجديد سكن كبار الموظفين الذين يدينون بالولاء للدولة .

١٠- مراكز الباجاك : وهي عبارة عن خمسة من القواعد العسكرية المتناثرة فوق جبل اسمه باجاك، ولو احتل المجاهدون هذه القواعد فإنهم يصلون إلى حدود كابل، وتصبح بغمان آمنة، وتشل حركة الدولة، وتصبح الفرقة الثامنة في قرغة والفرقة الرابعة في باغ داوود تحت رحمة نيران أسلحتهم المتوسطة، ويمكن للدوشكا والزيكويك أن تفعل بأعداء الله الأفاعيل، وقد أعدت الدولة مجموعات انتحارية من الشيوعيين لحماية هذه القواعد انتقتهم من بلخ وجوزجان وفارياب – من الشمال -، ودربتهم تدريبات خاصة، وعبأتهم تعبئة حاقدة على الإسلام والمجاهدين، ويسمون (الجوزجانيين)، واسمهم عند الدولة (جولام جمع – أي جامع البساط أو ساحب البساط)، أي أن مهمتهم سحب البساط من تحت أقدام المجاهدين، ولذا فهم يعدون للاقتحام السريع ولا يستسلمون أبدا حتى الموت.

ولدى اشتداد القصف على هذا المراكز هاجت نفوس المجاهدين، واقتحموا هذه القواعد، واحتلوا ثلاثة منها، ودمروا (٣) دبابات، وأسروا مجموعة من الشيوعيين، وقتلوا قائد المعسكر ونائبه، بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الجنود قد هلكت .

وقد كان اقتحام هذه المواقع الحصينة واحتلال ثلاثة منها صفعة شديدة للدولة، إذ أنها كانت تتباهى بحصانتها وقوتها، وإذا بالمجاهدين يصولون عليهم ويعملون فيهم قتلا وأسرا .

في قصر نجيب:

ولقد تلقى قصر نجيب عبر هذا الصيف ضربات شديدة أقضت مضاجعه وأرقت أجفانه ، إذ أن نجيبا كان ولازال يحلم بالمصالحة الوطنية، ولذا فهو يجمع ذوي الشأن من العلماء الذين استسلموا للدولة، ورضوا بالدنية في دينهم، وكبار السن من أهل الجاه في أقوامهم، عدا عن زعماء القبائل الخاضعة للمناطق التي تسيطر عليها الدولة ، أقول يجمعهم ويشكو إليهم المجاهدين الذين يرفضون حلّ الأزمة الخانقة التي تقتل الشيوعية تدريجيا .

وذات مرة جمع العلماء برئاسة ككاني من مير بجاكوت مع مجموعة من الصحفيين، وأعد رجال التشريفات والمستشارون للأمر عدته، ووصل المستشار الخاص لنجيب ردهة القصر قبل دخول نجيب بخمس دقائق، فجاءه صاروخ الموت، وتناثرت أشلاؤه مع أشلاء بعض القوم في ساحة القصر، ودخل نجيب ورأى هذا المنظر المفزع حيث الدماء والأشلاء، فذهل ودخل وجلس مع كلاب الطمع وفراش النار واجما ساهيا يكاد يتفجر أسى وغما ، والصمت المطبق يحيل المكان كله إلى كهف مظلم موحش وقبور مفزعة .

ثم انفجر ينفس عن آلامه، شكا لهم ضعف قوته وقلة حيلته وهوانه على الناس، وقال لهم انظروا! نحن نريد الصلح معهم ويقابلوننا بالقتل .

لماذا لا يحرر العرب الأقصى؟:

ثم خرج نجيب على التلفاز وبدأ يبث همومه للشعب الأفغاني قائلا: نحن نعلم أنه في كل سنجر (خندق) أبو فلان وأبو فلان، هؤلاء العرب قد عجبنا من نخوتهم وغيرتهم وإقدامهم إذ أقبلوا ليعينونا على طرد الروس ! أما الآن وقد خرج الروس فماذا يصنع العرب في بلادنا ؟! يدمرونها ويقتلون الأبرياء والأطفال والشيوخ والنساء؟! (لماذا لا يحارب هؤلاء العرب في فلسطين حتى يحرروا المسجد الأقصى ونصلي فيه ركعتين)؟!

وختم حديثه قائلا: إني أهيب بالقادة الأفغان وأناشد فيهم غيرتهم الأفغانية وحميتهم القومية حتى يهبوا هبة رجل واحد فيسحقوا هؤلاء العرب ويطهروا بلادنا منهم.

من شكردرا:

هذه الصفعات المؤلمة واللكمات الموجعة توجه للدولة من منطقة واحدة بغمان، ومن قائد أو قائدين (الحاج شير علم ونائبه د. عبدالله) و(بلال نيرام / نجاتي علي)، أما من شكردرا فلك أن تحدث عن بطولة قادتها ولا حرج، وخاصة (آمر أنور/ جمعية ، وملا تاج محمد/ اتحاد) وكذلك (آمر ناصر/الحزب)، وقد دمروا في يوم واحد خمس طائرات فوق أرض مطار كابل.

إغلاق مطار كابل:

ونتيجة للحمم الملتهبة التي صبها المجاهدون على مطار كابل في عمليات الشيخ تميم أعلن اغلاق مطار كابل، وارتدت بعض الطائرات الهندية على أعقابها بعد تلقي الإشارات اللاسلكية بعدم استعداد المطار لنزول الطائرات .

كلمة لابد منها : بعد هذا كله قل لي بربك كيف يمكن لنظام تعيش عاصمته في هذا الرعب الرهيب أن يستمر ؟! وأي ظلم للجهاد والمجاهدين أن نتركهم على هذا الوضع – منتصرين –، ولكن يفترسهم الجوع والبرد، وتقطع أناملهم الثلوج، وتمزق أحشاءهم الفاقة؟!

فليتق الله المسلمون في هذا الجهاد، وليحذروا من غضب الله بسبب نكرانهم للجميل الذي أسداه هذا الجهاد للأمة المسلمة في أنحاء الأرض .

انتهى الطعام فرجعنا إلى بيشاور:

لقد رجعت أعداد غير قليلة من ليوث الله عن أبواب كابل، وعندما تسألهم عن سر عودتهم إلى بيشاور يجيبونك (نزل الثلج وليس عندنا غذاء " طعام " ولا كساء ولا غطاء) .

فهل تنقذ أمة صانعي أمجادها وحماة طارفها وتليدها بدراهم معدودة ؟!

وختاما : رحم الله الشيخ تميم فلقد كان يقض مضاجع الكفر حيا، ولازال يزلزل الأرض بهم بعد أن أفضى إلى ربه . وندعو الله أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى.

الأســـود الجائعـــة[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد :

فكثيرا ما تستوقفني قصص بعض الصحابة والتابعين بشجاعتهم الخارقة، فتشدهني هذه القمم الفذة التي سطرت بدمائها تاريخ الإسلام أول مرة، وأقامت صرح أمجاده في الأرض، فالزبير وحصن بابليون، والبراء بن مالك ويوم الحديقة في اليمامة، والقعقاع والقادسية، وهكذا دواليك ، ولقد أعجم تفسير الفتوحات المذهلة على المستشرقين، وأذهلهم فتح نصف المعمورة خلال نصف قرن.

ولقد حل الجهاد الأفغاني كثيرا من الألغاز المعماة في السيرة والتاريخ الإسلامي في أنظار الجيل الذي عاش هذا الجهاد أو واكب أخباره ، فلقد رأيت أن للشجاعة أسبابا ووقودا:

١- ولقد رأيت أن الشجاعة في المعركة عمادها القلب، فإذا امتلأ القلب بالإيمان فإن الخوف من الموت يقل ، بل أحيانا تجد البعض يقبل على الموت بشوق عجيب كما وصفهم أبو تمام :

يستعذبـــون منايـــاهم كأنهـــم   لا يخرجون من الدنيا إذا قتلوا

فالشجاعة وقودها الإيمان:

{هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما}

(الفتح ٤)

٢- ومما يزيد وقود الشجاعة النماذج الحية على الطريق، فإذا رأى من أقرانه من يسلك طريق الإباء والفخار، ويلقي بنفسه في ضرام النار، فإن هذا من أكبر الدوافع له على التضحية والبذل حتى يتألق نجمه كما تألق نجم أنداده، ويبزغ بدره كما فعل أشياعه من قبل.

٣- ومن وقود الشجاعة الحماسة ، ومن أكبر دوافع الحماس الغيرة التي تشكل رؤية النماذج رافدا كبيرا من روافدها، وكذلك التحريض وله ألوان كثيرة: أهمها الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الكريمة، وما أعده الله عز وجل من جزيل الثواب للمجاهد والشهيد كما ورد في الأحاديث الصحيحة: **(رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها)** ، في الصحيحين: **(لأن أرابط ليلة في سبيل الله أحب إليّ من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود)** صحيح روي مرفوعا وموقوفا عن أبي هريرة. **(قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة)**[2] .

وأما الأشعار فلقد كان لشعر حسان أثر عظيم في إذكاء روح الحماسة في نفوس الصحب الكرام :(اهج قريشا فإنه أشد

---

١ ـ لهيب المعركة العدد ٧٩ التاريخ ٢٧ ربيع الأول ١٤١٠هـ ـ الموافق: ٢٥ نوفمبر ١٩٨٩م. وبهذه الإفتتاحية تكون لهيب المعركة قد ودعت قائد المسيرة وأمير المجاهدين العرب إلى مثواه الأخير ، نسأل الله أن يجمعنا معه في الفردوس الأعلى. وقد دقق الشيخ هذه الإفتتاحية ليلة استشهاده في المقر الرئيس للمكتب وذلك بعد أن التقى مع الشيخ نورالله عماد (مساعد الأستاذ برهان الدين رباني) في نفس المكتب تلك الليلة

٢- صحيح الجامع ٤٢٠٥

عليهم من رشق النبل) متفق عليه عن البراء.

وأما شعر المتنبي الذي خلد به سيف الدولة من خلال المعارك التي خاضها معه من سـنة ٣٣٧ - ٣٤٥ هـ ، فقد حفظ الله به حدود الدولة الإسلامية الشمالية (الثغور) مع الروم .

ولازال المجاهدون عبر التاريخ يتغنون في المعارك بأشعار حسان وكعب بن مالك وحتى بشعر عنترة ومالك بن الريب وعمرو بن كلثوم ... الخ.

ولقد أراد سيف الدولة ذات مرة أن يرجع وهو يرى جموع الروم المتلاطمة كأمواج البحر، فانبرى المتنبي وقال له بيتا من الشعر، وإذا بسيف الدولة يأمر الجيش باقتحام المعركة وركوب أهوال الحرب، وانتصر .

٤- وأهم ما يكسر حاجز الخوف لدى الإنسان بعد الإيمان خوض غمار الحروب ، فهذا العامل ينتزع الرهبة يوما بعد يوم من النفس البشرية، ويجتث الفزع من أعماق القلب ، ولقد عشنا هذه القضية في أفغانستان، وأضحى الخوف من ولوج المعارك يقل تدريجيا، حتى أصبح اقتحام الأهوال من أسعد الأمور لقلوبنا ، وأضحى العزف على الرصاص من أحب الأشياء إلى أسماعنا، وصرنا نردد :

يلذ لأذني صليل السـلاح ويبهج نفسي مسيل الدما

فكيف اصطباري لكيد الحقود وكيف احتمالي لنيل الأذى

ولقد رأينا بعض المجاهدين الأفغان يستحيون من الانبطاح أو التخفي أو طأطأة الرؤوس حينما تنفتح عليهم الحمم كوابل متدفق من السماء .

الاقتداء بالنماذج:

ولقد رأينا كثيراً من أعلام الأئمة وأفذاذ هذه الأمة يتأثرون بموقف من المواقف ولو كان من كافر فيدفعهم للبذل والتضحية .

أبو نعيم الحداد:

كان أحمد بن حنبل كثيرا ما يقول رحم الله أبا نعيم الحداد، فسأله ابنه من هذا يا أبت أبو نعيم الذي تلهج بذكره ؟ فقال : أبو نعيم أحد الطرارين (النشالين الذين يشقون الجيوب)، عندما اقتادني جند الخليفة في السجن في المحنة - محنة خلق القرآن - سمعت هاتفا من ورائي: يا أحمد يا أحمد.. أنا أبو نعيم الحداد، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني جلدت ثمانية عشر ألف سوط وصبرت من أجل الدنيا، فاصبر أنت من أجل الآخرة ، قال أحمد : فصبرت، حتى إذا وصل عدد السياط ثمانية عشر جاء أمر الخليفة بإيقاف الجلد .

افتتاح مركز المراقبة في شكردرا:

وبطولات شكردرا الآن تعيد إلى أذهاننا قصص حمزة والمقداد وقتيبة وطارق ، وتعتبر مديرية شكردرا من أشد المديريات حربيا مع العاصمة كابل ، فهي تعد بحق لا مراء فيه أنها الثانية بعد مديرية بغمان في هزّ كابل وإذاقة سدنتها وحكامها سوء العذاب، وهي مع بغمان تجرع الشيوعيين - طبقة المرتدين - كؤوس الهوان وغصص المرارة والذل عبر السنين التي فاقت في عدادها عدد إخوة يوسف عليه السلام.

وشكردرا أقرب منطقة بالنسبة لكابل، ولقد أصلت بشظاها هذا العام معظم القواعد العسكرية في العاصمة، أما مطار كابل فحدّث عن ضربه وتدمير بعض أجزائه ولا حرج ، ولقد دمرّ القائد (أنور) في يوم واحد ست طائرات فوق مدرج المطار.

ولقد استطاع المجاهدون أن يكسروا الحزام الأمني الثالث لكابل، واخترقوا كذلك الحزام الأمني الثاني، ولم يبق سوى الحزام الأمني الأول، وأصبح المجاهدون في بعض النقاط على بعد ٥ر١(كيلومتر ونصف) من طرف كابل.

والحق أن قادة شكردرا يعتبرون نماذج رفيعة في الشجاعة والإقدام، وعلى رأسهم القائد الشهيد - وسيل - وقد استشهد في هذا الصيف ، وتاج محمد / الإتحاد ، وناصر / الحزب الإسلامي ، وأنور / الجمعية.

تاج محمد:

أما تاج محمد فيشهد له الإخوة العرب بالبسالة الفائقة، وأكتفي بضرب مثال مما شاهده الإخوة العرب ، فلقد علم الشيوعيون أن بعض العرب قد حلّوا ضيوفا على (تاج محمد)، فبدأ القصف الذي تدوي أصداؤه في الأرجاء ، فما كان من تاج محمد إلا أن أخذ البوق وصاح بالشيوعيين قائلا: إما تسكتوا مدافعكم بسبب وجود الضيوف وإلا سأصليكم نارا، وإذا بالرصاص يخرس فجأة .

أسد دم الأسد الهزبر خضابه موت فريص الموت منه ترعد

أما آمر أنور :

فانه يقود المعارك بنفسه، وأحيانا يقتحم الأهوال كما حصل في فتح لواء الصواريخ الذي غنم منه المجاهدون مغانم كثيرة، وكانت آخر عمليات أنور فتح مركز المراقبة في شكردرا ، وقد سبب هذا المركز للمجاهدين متاعب جمة، إذ كان يحصي عليهم أنفاسهم، ويعد عليهم خطواتهم وتحركاتهم .

وفي منتصف الليل اختار أنور ثمانية من المجاهدين، وسار بهم صاعدا إلى قمة الجبل ، وقبل أن يصلوا ذروة الجبل واجههم المركز الأول، وكانت عقارب الساعة تشير إلى الرابعة صباحا، فرأوا بندقية الحارس تطل برأسها من مشكاة – نافذة صغيرة – لخندق الحراسة كأنها شجاع أقرع (أفعى) له زبيبتان، فتقدم مجاهد وسحب بندقية الحارس، فخرج الحارس من خندقه يقول من ذا الذي يمزح بسلاحي ؟ فواجهه المجاهدون، ثم ساقوه ليدلهم على مهاجع الجنود تحت رهبة السلاح، وأسروا الجنود بعد أن جردوهم من أسلحتهم، ثم ساروا إلى المركز الأعلى الذي يقبع في ذروة الطود الشامخ، فقاوم المركز، فقذفوه بقذيفة مدفع **٨٢** فاشتعل نارا، فاستسلم كلاب الشيوعية.

الاتصالات بين القيادة وبين مركز المراقبة:

واتصلت القيادة بالمراقبة إنا لنرى نارا مشتعلة عندكم، فاجاب جندي اللاسلكي – وتحت رهبة السلاح – وكما قال له المجاهدون: ليس لدينا شيء، والنار خطأ بسيط حصل فاشتعلت بعض الأغراض في المركز .

ثم عادت القيادة فاتصلت ، وكان الرد الأمر بسيط ونحن بصدد إطفاء النار وحصرها، ولم تطمئن القيادة للإجابة، فقام القائد الشيوعي للمنطقة بنفسه وأخذ معه ثلاثة من الضباط وتوجهوا نحو الجبل، حتى إذا انتهت طريق السيارة ترجلوا على أرجلهم وأخذوا يشقون طريقهم صاعدين إلى القمة، وفجأة وإذا بأسد الله تزأر وتطلب من الضباط أن يلقوا السلاح، قاوم القائد العام فقتلوه، ثم استسلم الضباط الثلاثة الآخرون .

طائرة الهليوكبتر:

وبقيت القيادة لا تعلم بحقيقة النبأ، وعصيرة ذلك اليوم أرسلوا طائرة تموين إلى قمة الجبل، وأخذت الطائرة تحط للهبوط في المراقبة، ولكن أحد المجاهدين تعجل وأطلق عليها النار، فعلم الكفار لمن عقبى الدار ففرت الطائرة .

وختاما فما لنا لا ننشد لهؤلاء قائلين :

وصن الحسام ولا تذله فإنه يشكو يمينك والجماجم تشهد
جف النجيع عليه وهو مجرد من غمده فكأنما هو مغمد
ريان لو قذف الذي أسقيته لجرى من المهجات بحر مزبد
ما شاركته منية في مهجة إلا وشفرتها على يدها يد

وختاما:

فلقد رأيت من خلال الدراسات في تاريخنا الإسلامي ومن خلال مشاهداتي واعتراكي في معمعان هذا الخضم في أفغانستان أن النصر يتوقف على فئة باسلة تكون في الكتيبة، هذه الفئة الشجاعة هي التي تغير موازين المعركة، وترجح كفتها لصالح المجاهدين،

هؤلاء الذين يقول فيهم ابن العضيب :

سأطلب حقي بالقنا[1] ومشايخ كأنهم من كثر ما التثموا مرد[2]

ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا قليل إذا عدوا كثيرا إذا شدّوا

إنهم حفاة جياع:

هذه النماذج التي سطرت عزة المسلمين على جبين الزمن علم الله أنهم كثيرا ما يقفون بأبوابنا يعوزهم الغذاء والكساء والحذاء، فأي إثم وأي عار على أمة لا تشبع أبطالها.

تموت الأسد في الغابات جوعا ولحم الضأن تأكله الكلاب

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

يا علماء الأمة من يسد مكان الشهيد!؟[3]

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، وبعد:

فإن كل من مر بالساحة الأفغانية يدرك حاجتها إلى الرجال، وهل من ضرورة أشد من ضرورة الرجال؟! وهل من حاجة أشد من الحاجة إلى أولئك الذين يحملون الأثقال وتقوم على أكتافهم الأمجاد؟! ولكن بدون دوي أو ضجيج، ودون أن تشعر بوجودهم أو تلفت أنظارك نحوهم، هؤلاء هم الذين تقوم الأمم على كواهلهم، لا يضجرون من ثقل الحمل، ولكنهم يدعون الله دائما شدة المنكبين، وكلما اشتدت الحاجة إلى هذا النفر تتذكر الأقوال المأثورة في الرجال.. ففي محكم التنزيل :

{من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه}. (الأحزاب ٢٣)

وتتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: **(تجدون الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة).**

وقوله صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث عن الجهاد ثم يشير بيده الكريمة: **(وأين المجاهدون في سبيل . . .)**

وتتذكر قول أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وهو يقول للصحابة حوله تمنوا، فتمنى بعضهم المال حتى ينفقه، وتمنى بعضهم التوفيق في العبادة والاعتمار وغير ذلك، فقالوا تمن يا أمير المؤمنين، فقال: «أتمنى أن يكون لي ملء هذا البيت مثل أبي عبيدة».

إنني أدرك الآن هذا المعنى وأنا أرى التخلي عن حمل المسؤولية، ونأي الناس عن اقتسام الأعباء والتكاليف، أتلفت حولي فلا أرى أحدا من أولئك الذين يعتلون المنابر ويتصدرون الصحف ويملأون الدنيا دويا وضجيجا وهم يتكلمون عن الإسلام.

من بين الذين افتقدتهم الساحة الأفغانية رجل جاء بصمت ومضى بصمت، رجل خاض ميادين القتال في فلسطين (١٩٤٨)، واصطلى بنار المعركة في قناة السويس ضد الإنجليز، ثم لقي على يد الطغمة الغاشمة في أيام عبد الناصر ما لقي، ولكنه بقي كالجبل الأشم لا يتزعزع، ثم كان قتله على يد طاغية من زبانية العذاب الذين رباهم عبدالناصر.

ذاك الرجل هو كمال الدين السنانيري، إنسان ليس من أصحاب الأقلام ولا من أرباب المنابر، رجل صنعته الأحداث بإذن خالقه، ونضج على نار المحنة من خلف قضبان السجون، وكان قد حكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة من (١٩٥٤)، وكانت الأخت أمينة قطب قد رفضت الخطاب الذين تقدموا لها من الدول العربية، ثم اختارت أن تعقد عقد زواجها على كمال السنانيري، رغم أنها تعلم أنه محكوم بالأشغال الشاقة المؤبدة، وانتظرت عشر سنوات متواصلة، ولطالما خيرها قائلا أن الأولى أن تطلق وأن تتزوجي غيري، وهي تقول له: هذه بعض مشاركتي لكم تضحيات الطريق وآلام المسيرة، وانتظرت أطول فترة خطوبة في التاريخ الحديث، انتظرت عشر سنوات حتى منّ الله على كمال بالإفراج من السجن بقدر الله عز وجل.

---

١ ـ القنا : الرماح ٢ ـ من كثر ما التثموا مرد: يدخلون المعركة ملثمين ليظنهم الناظر بدون لحى.

٣ ـ هذا المقال كتبه الشهيد عبد الله عزام عن الشهيد كمال السنانيري ونشر في مجلة البنيان المرصوص.

لازلت أذكر تلك الأيام العصيبة التي مرت على بيت الأستاذ محمد قطب سنة (١٩٧٣)، فقد كان يريد مغادرة مصر، وأخته حميدة تزوجت أو على أبواب الزواج، وليس في البيت أحد من المحارم غير الأستاذ محمد، وأمينة تعيش ظروفا نفسية تفتت الأكباد وتذيب لفائف القلوب، وسافرت مع أخيها محمد إلى السعودية، وعلى جبل عرفات ترتفع الدعوى من القلب الواله الذي يحترق، فيخرج كمال السنانيري ولعله في نفس اليوم (يوم عرفة).

وعندما ترامى إلى مسامع كمال أن في أواسط آسيا جهادا عاوده الحنين إلى أيام فلسطين، وبرح به الشوق إلى مداعبة الأسنة. فشد رحاله إلى أفغانستان، والتقيت به في جدة وهو ذاهب إليها، فتحدثت معه وكنا على صلة وثيقة من أيام مصر، فقال لي: ليست هذه الأرض بدار قرار لك، احزم أمتعتك وأقبل إلى أفغانستان، فبدأت أهيء نفسي للحاق به، وجاء إلى بيشاور، ومكث أربعين يوما يعمل ليل نهار لجمع كلمة المجاهدين ولم شعثهم، واستطاع أن ينتزع توقيعات الأربعة من قادة الجهاد (سياف وحكمتيار ورباني ويونس خالص)، في الوقت الذي كانت الدوائر الغربية الأمريكية تسعى حثيثا لتلميع قيادات بديلة، جاء بيشاور يلبس اللباس الأفغاني، ولم يخلع هذا اللباس حتى غادر بيشاور، وفي طريق عودته إلى مصر التقيت به في المسعى معتمرا، فأخبرني أنه عائد إلى مصر ليرتب أموره ويعود بعد أن ارتبط قلبه ببيشاور وبالجهاد، ولكن يد المنون كانت بانتظاره لتقطع هذه الشجرة الطيبة، ولعل سبب قتله أنه كان يفسد على طواغيت مصر مخططاتهم الأمريكية التي تود شراء الجهاد الأفغاني وتحتويه لحساب أمريكا، فأجهزوا عليه في غياهب السجون على يد زبانية العذاب الجهنمية.

لقد كان يحدثنا عن أثر الإسلام في النفس البشرية، وكيف أن الإخوان في السجون رغم مرور عشر سنوات عليهم في الستينات يقضون يومهم بالحبور، وليلهم بالسرور، راضين بقدر الله، وكيف كان كمال يشرف على التضامن الاجتماعي الإسلامي فيما بينهمٌ، بحيث تتداول حبة الشكولاته سبعة نفوس، كل يقدم أخاه بها ويؤثره على نفسه، لا يأكلون إلا سواء، ولا ينفقون إلا سواء، حتى كأس الشاي لا يمكن أن يزيد واحد كأس شاي عن الآخر، وكيف أن كبار الشيوعيين من أساتذة الجامعات الذين ألقي عليهم القبض بتهمة المؤامرة بالقيام بانقلاب ضد عبدالناصر، يقول هؤلاء الذين كانوا يمسكون بزمام دفة الحكم كان الواحد منهم إذا جاءته دجاجة في زيارة من زوجته يضعها داخل ثيابه ثم يأتي إلى عنبر الإخوان يختفي بزاوية ليأكل الدجاجة بعيدا عن أنظار الشيوعيين حتى لا يشاركوه مضغة أو لقمة منها.

ومضى كمال إلى الله عز وجل، وحزن المجاهدون الأفغان عليه أيما حزن، وأقاموا تأبينا له في بيشاور حضره آلاف، وانتظرنا أربع سنوات حتى الآن ونحن نترقب البديل يقوم بدور كمال، ولكن مكانه لازال شاغرا، وبديله لازال غائبا، ولذا حق لنا أن نتذكر كمال «وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر»، لقد كان كمال ذا شكيمة وباع، وذا عزيمة حادة وصريمة محكمة، وهمة شماء، ومقدام على العظائم، يروض الصعاب، ويركب ظهور العواتق، حاسر عن ساقه، ومشمر عن ساعده، ونحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا..

فأين الرجال الذين يسدون مسده ويقومون مقامه؟!

إني لأفتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا

التجربة العملية

إن الحمد لله نحمده، و نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.. وبعد:

يقول الله عز وجل:

{ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز} (الحديد: ٢٥)

إن دعوة الله تبدأ بعرض الحجج والأدلة الدامغة التي فطر الله الناس على التجاوب معها، لابد أن يعرض على القلب آيات الله البينة، ومن يتفاعل معها بعد أن ينفض عن نفسه ركام التقاليد وأثقال الموروثات.

وبعد فترة من تبليغ هذا الدين للناس لا بد من استعمال الحديد الذي قرنه الله بالكتاب، فالكتاب والحديد مقترنان، والكتاب

للبيان ، والحديد لحماية الكتاب بالطعن والسنان.

والنفس البشرية التي تتلقى عقيدة وتتملاها، وتستقبل مبدأ وتتفاعل معه، لابد أن تتحرك لتبليغ هذه العقيدة للناس، وهنا لابد أن يقف المجتمع الجاهلي حولها ممثلا بأرباب السلطان والأموال والشهوات .. لابد أن يقف هذا المجتمع في وجه الدعوة الجديدة، وتنتفض الجاهلية تدافع عن كيانها بسلطانها وخيلها ورجلها.

فهنا يقوم الكتاب بوظيفة البيان لدحض العقيدة الجاهلية، ثم يقوم الحديد بتوجيه السنان ضد القوة التي تسلطها الجاهلية على أصحاب العقيدة الجديدة.

ونظام الدفع والتدافع الرباني يقوم عليه صلاح البشرية، وبدون الدفع تفسد الأرض:

{ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين} (البقرة:٢٥٢).

ونظام الدفع الرباني تحمى به الشعائر:

{ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز} (الحج: ٤٠)

فالدعوة الإسلامية بالكتاب وحده دون استعمال الحديد تبقى نهبة للناهبين، وقصعة للآكلين، والدعوة الإسلامية بالحديد وحده تتحول إلى عصابة مسلحة لحزب سياسي يضرب بعضهم رقاب بعض، ويسفكون الدماء، ويشيعون الرعب لدى الضعفاء.

الدعوة الإسلامية في أفغانستان:

ونحن أيها الإخوة نتكلم لكم عن تجربة في الدعوة الإسلامية في أفغانستان:

لقد بدأ العمل في جامعة كابل بعد أن أعلن الملك ظاهر شاه الثورة الثقافية في أفغانستان، والثورة الثقافية تعني: الثورة على القيم والمبادىء التي تعارف وعاش عليها هذا المجتمع المسلم، ولقد حمل الملك حجاب امرأة في مؤتمر عام وداس عليه وقال: (انتهى عهد الظلام إلى الأبد).

وعندما أصر أهل قندهار على نقاب المرأة المسلمة سيَّر إليهم الملك جيشا أدار رحى معركة حامية الوطيس سقط على أثرها حوالي الألف من أهل قندهار العتيدة.

واستمر الملك في ثورته الثقافية ضد الإسلام، وسلم رئاسة الوزراء لابن عمه وزوج أخته محمد داود الرجل العسكري لضرب التيار الإسلامي، وليهز القيم الإسلامية ويزلزلها في أفغانستان.

وقرب داود كبار الشيوعيين في البلد، وتربوا في بيته الخاص، فقد تربى تراقي، وحفيظ الله أمين، وبابرك كارمل على فتات موائد دواد، وأبرزهم في المجتمع، وكانت تصدر لهم صحف مثل خلق (الشعب) التي كان يصدرها تراقي باسم الجناح الشيوعي الآخر، وبرز حفيظ الله وكارمل كأعضاء في مجلس الشورى.

واستمر التضييق على المشاعر الإسلامية، وأضحت أنفاس المسلمين تعد، وحركاتهم ترصد، وحصل فراغ كبير في هذا التضييق، فنمت الشيوعية تسد هذا الفراغ، ودخلت روسيا لرعاية الحزب الشيوعي من خلال مشاريعها الإنمائية والمستشارين، وأنفقت حوالي (٣ بليون) مليار روبل في داخل أفغانستان.

وإزاء هذا كله وردا عليه نشأت الحركة الإسلامية في جامعة كابل كحركة طلابية (جوانان مسلمان " الشباب المسلم") .

وصاحب هذه النشأة في نفوس الشباب المشتعلة حماسا للإسلام، وغيظا على صنيع الملك احتكاكه بالحركة الشيوعية وبالنظام الذي يدعمه ولو من وراء ستار، فكانت هذه الحركة الإسلامية محل احترام الجميع، لأنها نشأت منذ اليوم الأول في محنة قاسية، تكاد لها المكائد، وتنصب لها الأحابيل والمصائد، فكانت عواطف الناس ومشاعرهم مع هؤلاء الشباب الذين يمثلون دين هذه الأمة وعزتها، وتنظر إليهم الأمة بأنهم المعين الذي سيروي أفغانستان التي بدأت شجرتها تذوي وعروقها تضمحل بعد أن بدأ الملك يجفف منابع الري لهذه الدوحة الباسقة.

ثم نما التيار الإسلامي في داخل الجامعة، وفاق التنظيم الشيوعي، وانتصر عليهم في احتلال مقاعد اتحاد الطلبة سنة (١٩٧٣). مما أدى إلى تدخل السفير الروسي ليحرك دواد ليطيح بابن عمه الملك ظاهر شاه ويستولي على الحكم .

كان داود جسرا ضخما عبرت عليه الشيوعية وروسيا إلى داخل أفغانستان، وبمجرد وصول داود إلى الحكم قرر التيار الإسلامي المقاومة المسلحة لحكمه.

وبقيت الحركة الإسلامية تقاوم، وبجهد المقل مع فراغ ذات اليد وقلة العدة والعدد حتى قتل مير أكبر خيبر فيلسوف الحزب الشيوعي، وكان قتله القشة التي قصمت ظهر البعير -داود- وثلت عرشه في ٢٧ / ابريل / سنة ١٩٧٨م

وجاءت الشيوعية الحمراء، واستلم تراقي رئاسة الجمهورية، وهب كثير من أبناء الشعب المسلم لمقاومة الشيوعية التي أفتى العلماء بأنها كفر بواح يجب إزالته واقتلاعه من جذوره.

ثم قتل تراقي على يد رئيس وزرائه حفيظ الله، وأصبح حفيظ الله رئيسا للجمهورية، ثم دخلت روسيا وقتلت حفيظ الله في ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩، وجاءت بكارمل، ثم أطاحت روسيا بكارمل وجاءت بنجيب البقر الذي يمثل الآن قفازا تضرب به روسيا الشعب الأفغاني، ويذبحون على يديه الأطفال والشيوخ والنساء.

وبعد دخول روسيا انفجر بركان الجهاد الإسلامي في كل أفغانستان، واستمر هذا البركان يقذف بحممه ويلقي بكتله النارية إلى يومنا هذا على رأس روسيا وحلف وارسو.

دروس وعبر من خلال الدعوة الإسلامية الأفغانية:

١ـ أن الذين يستعملون الاتجاهات القومية والتجمعات الشيوعية والعلمانية لضرب الحركة الإسلامية هؤلاء يستفيدون مؤقتا في التضييق على الدعوة الإسلامية، ولكنهم لا يعلمون أنهم يضعون في جيوبهم أفاعي، وفي بيوتهم ذئابا سرعان ما تنقض هي بدورها عليهم لتفترسهم، وكما قال الأولون: (سمن كلبك يأكلك)، ولذلك فإن تراقي هو الذي قتل داود.

٢ ـ إن الدعوات التي تنشأ في خضم المحن وفي أتون الابتلاء هي التي تكسب ثقة الشعوب الإسلامية، وتنال ثقتها واحترامها، وتكسب حبها وولاءها. ولذلك بقي أبناء الحركة الإسلامية محط الأنظار بالنسبة للشعب الأفغاني، وميزان التعديل الذي لا يختل ولا يتأرجح الآن في أفغانستان هو (سابقة القائد أو المجاهد في الحركة الإسلامية)، فسابقته هي تعديله وتوثيقه.

٣ ـ إن التوكل على الله مع الإخلاص والصدق هو سر النجاح والفلاح والفوز بالنسبة للدعوات في الدنيا، ولأفرادها في الآخرة.

لقد كان كثير من الناس يعتبرون مقاومة داود ضربا من الانتحار، لأنهم قرروا المقاومة المسلحة لهذا الطاغية وعددهم أقل من ثلاثين شاباً.

ولقد كانت الأصوات ترتفع من هنا وهناك من بعض المتعقلين تنادي بالتفاهم مع داود والرضا ببعض الوظائف الصغيرة في الحكومة مقابل الصمت المطبق عن التيار الشيوعي الذي بدأ ينتشر كالنار في الهشيم إثر استلام داود، ولكن كم كنا نخسر لو رضينا بهذا الرأي؟

كانت الخسارة: المنهاج كله، وفقد الطريق كله، وتضييع الشعب كله، وما كان هذا الجهاد المبارك يبرز إلى الوجود:

{ويريد الله أن يحق الحق بكلماته} (الانفال٧).

ولذا فعندما هب الشعب أيام تراقي ينافح عن دينه ويكافح عن عقيدته لم يجد راية مرفوعة سوى راية أبناء الحركة الإسلامية، فانضوى تحتها وأوى إلى لوائها.

٤ ـ إن دور أبناء الدعوة الإسلامية هو دور ريادي قيادي، فهم يشكلون طلائع بعث لإحياء الأمة، ويمثلون البادىء (الصاعق) المحرض الذي يفجر طاقات الأمة الإسلامية، ويخرج ينابيع الخير والبر من أعماقها.

والدعوة الاسلامية التي لا تستطيع أن تكسب ولاء الشعب، ولا تحظى بمحبته تولد ميتة، وتعيش منغلقة على نفسها، تأكل بعضها بعضاً، وتتآكل إلى أن تموت.

والحركة الإسلامية التي تظن نفسها أنها تستطيع مواصلة حرب طويلة الأمد مع الطواغيت، وبمعزل عن الشعب وعن طاقات هذه الحركة -إن كانت تظن هذا- فإنها تعيش في أوهام وتسبح في أحلام.

إن الحركة الإسلامية وحدها لا تستطيع الوقوف طويلا أمام الطواغيت، لأن أعداد أفرادها منحصر منحسر، فكيف يمكن لدعوة أو حركة أن تقف أمام قوة كبرى أو دول عظمى أو أحلاف دولية ضخمة؟!

إن وقود الحروب المستمرة من الشعب، ولا يمكن لحركة إسلامية أن تكفي كوقود لرحلة حرب طويلة الأمد ممتدة المسافة.

٥ - إن التربية الإسلامية ضرورة ماسة قبل حمل السلاح، إذ أن حمل السلاح يحتاج إلى قلوب صادقة تراقب ربها، وتخبت لخالقها، ويحتاج إلى سواعد متوضئة حتى تحكم أصابعها على الزناد فلا تطلقها إلا في صدور أعداء الله.

وإن امتشاق السلاح قبل فترة كافية من التربية يحيل الجهاد إلى عصابات مسلحة تقطع الطريق على السابلة، وتشيع الرعب في قلوب المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، ويتحول الأمر في النهاية إلى قطاع طرق يبتزون الأموال وينتهكون الأعراض ويسفكون الدماء.

والرقابة لله -عز وجل- مع خشيته وخوفه من أشد الضرورات التي يجب أن تصاحب السلاح.

ومن هنا: فإننا جد مرتاحين من الجبهات التي يقودها شباب من أبناء الحركة الإسلامية الذين نالوا قسطا وافرا من التربية، أو يتأمر عليها عالم رباني يخشى الله ويتقيه، فالناس آمنون مرتاحون يبذلون له مهجهم، ويقدمون حشاشة قلوبهم له فداء.

أما إذا كان القائد غير مربى على الإسلام فإننا نعاني كثيراً من شكاوى الشعب عليه.

٦ - إن التربية الإسلامية ضرورة ماسة كذلك لاستمرار مسيرة الدعوة الإسلامية، ولمواصلة جهادها وكفاحها ضد أعداء الله.

والشباب الذين يشبون على نار المحنة، وينضجون على حرارة الابتلاء، هؤلاء -بإذن الله- هم الذين يثبتون إلى نهاية الشوط حتى ينالوا إحدى الحسنيين: إما الشهادة على هذا الطريق، أو إقامة المجتمع الإسلامي الذي يستظل بظلال القرآن.

ومقابل هذا: وجدنا أن الذين لم يتلقوا قسطا كبيرا من التربية سقطوا على الطريق بعد أن كل متنهم، وأعياهم المسير، وأضناهم ثقل التضحيات، وغص في حلوقهم مرارة التجربة، بل نواجه أكثر من القادة العاديين الذين قاموا حمية ضد روسيا في بداية الأمر، ودمروا لروسيا مئات الدبابات، وفجأة يأتي بأحد المسمين بالعلماء الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا يفتيهم أن هذه الدولة مسلمة، وتبني المساجد، ونرى رجالاتها على التلفاز يصلون، وبقرار واحد ينضم مع جبهته وقريته إلى الدولة.

٧ - ومن خلال مسيرتنا الإسلامية في أفغانستان وجدنا: أن الأسماء اللامعة الضخمة، والهالات الكبيرة التي ترسم للدول الكبرى والعظمى لا تساوي شيئا أمام قوة الله وجبروته، وجدنا من خلال توكلنا على الله: أن القوة العظمى هي قوة الله -عز وجل- هذه القوة التي لا تقهر ولا تغلب:

{وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديراً} (فاطر:٤٤).

والله أيها الإخوة: إن روسيا التي يطلق عليها العالم العملاق الكبير لتبدو أمام المجاهدين هزيلة ضعيفة حسيرة كليلة، وما أحقرها وما أصغر شأنها في نظر المجاهدين الصادقين.

وما يكاد يمر شهر إلا ويتلقى قائد مغمور لا يذكر اسمه من رئاسة الدولة الشيوعية ترجوه أن يخفف الضربات على قوافل الدولة المارة، أو تطلب هدنة ولو لفترة قليلة.

٨ - وعلمتنا تجربة الدعوة في أفغانستان أن الذي يحترم مبدأه ويضحي من أجله يفرض احترامه على الناس جميعاً كافرهم ومسلمهم، لأن الناس يحترمون الصادقين مع شعاراتهم، والذين يفنون كلماتهم بدمائهم.

٩ - وأثناء هذه الرحلة المضنية على طريق هذا الدين تعلمنا أن كثرة الثقافة الإسلامية، ووفرة المعلومات الشرعية، دون أن يصاحبها حركة عملية، وتنفيذ متواصل، وبذل وتضحية بالعرق والدم خطر كبير على الدعوة، خطأ كبير يرتكبه أصحاب الدعوات يقتلون به أنفسهم كالماء الكثير الذي يعطى للنبتة الصغيرة فيخنقها ويغرقها.

وأن الغيرة الإسلامية تكبت أولا، ثم تذوي، ثم تضمحل، ثم تموت، فإذا انهار هذا السد في أعماق النفس انهارت وراءه جميع

الحواجز، ويتحول الإنسان بعدها إلى جثة هامدة باردة جامدة، لا حرارة في كلماته، ولا صدق في نبراته، ولا حيوية في عروقه، لا يعرف إلا الجدل في الحقائق، وفلسفة الأمور حسب أحلامه التي يعيش بها، لا ينجو من نقده عامل لهذا الدين، ولا يخلص من لسانه متحرك في سبيل الله، يعيش في شرنقته متقوقعا على نفسه، من خلال البرج العاجي الذي يسبح فيه مع أوهامه.

١٠ ـ وقد استنتجت الحركة الإسلامية بعون الله من خلال هذا الواقع الذي عايشته أن النتائج لا تترتب حتما على الأسباب، بل الذي خلق الأسباب هو الذي خلق النتائج، والله أمرنا بأن نعد ما استطعنا من قوة، فبدأت الحركة الإسلامية جهادها والحمد لله بالمسدسات الصغيرة، بل خرج الشعب المسلم بالعصي والحجارة امام الدبابات الشيوعية، وهذا مبلغ فهمهم أن أقصى ما تستطيعه هو الحجارة والعصي.

لقد هجم د. محمد عمر بمسدسين وقنبلتين على مركز كبير في بدخشان ونصرهم الله، وأخذ بأيديهم، والآن والحمد لله أسلحة ضد الدبابات والطائرات، وأبشركم أيها الإخوة أنهم منتصرون.

لقد سقط لروسيا في الأشهر الأربعة الأخيرة (مائتا طائرة) بمعدل طائرتين يوميا.

إن روسيا تخسر يوميا حوالي أربعين مليون دولار، يسقط لها بمعدل طائرتين، ويدمر لها يوميا ٥-١٠ آليات، ويقتل ويؤسر ويستسلم ويهرب من الجيش الشيوعي ٣٠-٥٠.

لقد ضرب لروسيا حتى الآن من الطائرات من بين ساقط ومستهلك ألفان وثلاثمائة طائرة، و ١٢ ألف دبابة وآلية، وقتل لروسيا حوالي خمسين ألفاً من الروس، ومائة ألف من الميليشيا والشيوعيين والمجندين، وهرب إلى المجاهدين مائة ألف تقريبا، ولكن مقابل هذا يسقط كل (٤) دقائق شهيد، ويهاجر كل دقيقة شخص من بيته إلى الجبال أو الأدغال أو الدول المجاورة لأفغانستان.

أيها الإخوة:

هذه تجربة الحركة الإسلامية نضعها بين أيديكم لعلكم تنتفعون بها (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى)، وتلفت أنظاركم أخيراً:

إن المجاهدين بحاجة إلى دعاة صادقين، وأطباء ماهرين، وأصحاب كفاءات وخبرات وتجار غيورين.

مقابلة مجلة الموقف مع الشهيد عبدالله عزام[1]

الموقف: تعلمون أن موسم الشتاء قد اقترب، فهل هناك من استعدادات اتخذت من قبل المجاهدين للتغلب على صعوباته؟

الشيخ: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحقيقة أن اقتراب نزول الثلج يشغل بالنا، لأننا قلقون جدا حتى نوفر الطعام والكساء والأحذية للمجاهدين قبل نزول الثلج، فلابد أن يخزنوا ما يكفيهم للشتاء القادم، وخصوصا المواد الغذائية، وأكثر ما يقلقنا أمره هو معركة كابل، لأننا حريصون كل الحرص أن يصل المجاهدون إلى ضواحي كابل قبل نزول الثلج، حتى يتسنى لهم مواصلة جهادهم كحرب عصابات داخل المدن أثناء الشتاء القادم، وإن لم نستطع توفير الطعام وحفر الخنادق لهم خلال هذه الفترة (فعلى الأقل توفير الطعام وأكياس النوم)، هاتان القضيتان لابد منهما بالإضافة إلى الأحذية.

ولذلك نحن أهبنا ونهيب بالمسلمين أن يوفروا للمجاهدين من الأموال ما يكفي لسد حاجتهم من المواد الغذائية.

الموقف: أستاذنا الكريم، العالم الإسلامي قلق على مصير هذا الجهاد، فهلا تفضلتم بتوضيح الوضع الحالي للجهاد والمجاهدين؟

الشيخ: أما عن مصير الجهاد فإنا أبشر المسلمين في العالم الإسلامي بأن وضع الجهاد الآن على خير، وأن الكفة راجحة لصالح المجاهدين، فكابل محاصرة ومحاطة بالمجاهدين إحاطة السوار بالمعصم، والمجاهدون يضربون أي هدف يريدونه داخل كابل في أي ساعة يريدونها، وكابل مقطوعة من الناحية البرية، فطريق الشريان الوتين الذي يمدها بالحياة مقطوع، وممر طريق (حيرتان - كابل) وروسيا - كابل فهو مقطوع الآن.

---

١ ـ مجلة الموقف العدد: ٦٦-٦٧ السنة العاشرة- جمادي الأولى ـــ ١٤١٠هـ

ومنذ أواسط شهر أغسطس الماضي (١٩٨٩م) حاولت روسيا أن تدخل بعض القوافل البرية إلى كابل، ولكن تحطم منها أعداد كثيرة، وكابل تحاول إدخال بعض القوافل إلى المدن المحاصرة، ولكنها تحطمت أيضاً.

إن طريق (هرات - كابل)، (قندهار -كابل)، و (جلال آباد - كابل)، و(جريكار - كابل)، و (روسيا - كابل)، و(بغلان - كابل) كلها مغلقة، وأيضاً فهي مقطوعة عن العالم من الناحية البرية.

أما الطرق الجوية فكذلك هي معاقة بوضعها مشلول، ومطار كابل يضرب يوميا إذا أراد المجاهدون ذلك، وكذلك سائر المطارات.

من هنا تبيّن لنا أن العاصمة تقريبا شبه مغلقة أو منقطعة ومنعزلة، أما الرحلات الجوية فقد أدخلت روسيا منذ بداية هذا العام وخلال شهرين حوالي أربعة آلاف رحلة جوية، وصبت المساعدات على نظام كابل صبا، بينما المجاهدون فقد شح العطاء لديهم.

ومن جهة قندهار فإن المجاهدين على بعد كيلومتر واحد من المطار.

وفي مزار شريف فقد احتل المجاهدون في الآونة الأخيرة حوالي خمس وعشرين قرية، واحتلوا المركز المشرف على مثلث (حيرتان - مزار شريف - بغلان)، وفي كل مكان فإن المجاهدين يحققون انتصارا جديدا، وفتح الله على أيديهم مناطق واسعة في هذا العام كما في جلال آباد وقندهار وكابل وهرات وفي المناطق الأخرى.

الموقف: تعلمون أن الإعلام الغربي قد شوّه صورة الجهاد في أفغانستان في أذهان الأمة، فماهي السبل التي يمكن من خلالها إرجاع تلك النظرة الناصعة لجهاد أفغانستان المبارك؟

الشيخ: والله يا أخي إن إعلامنا قاصر جدا بالنسبة للإعلام العالمي، إذ أننا ليس عندنا إلا مجلات محدودة، مثل مجلة (الجهاد) الشهرية، (والبنيان) الشهرية (والمجاهدون) التي من المفروض أن تصدر شهريا، ومجلة (الموقف) كذلك، ولدينا أيضاً نشرتان اسبوعيتان نشرة "لهيب المعركة" و"نشرة الثبات"، فهذه المجلات والنشرات لا يمكن أن تقابل الإمكانيات البشرية والمالية لدى الإعلام الغربي، وله أجهزة وأدمغة تفكر وتخطط، وسياسات ودول تدعمه.

نحن لا نملك إلا أن نكون مقام [**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل**] (آل عمران ١٧٣).

إن اليهود هم الذين يتحكمون بالإعلام العالمي، وأما موقف الصحف العربية إزاء ذلك فهي لا تملك إلا أن تقول آمين، ونحن نأمل من الصحف العربية على الأقل ألا تردد ما يردده الإعلام الغربي.. هذا الذي نملكه، ونقول للصحف العربية أن تتكرم بنقل المقالات بعد أن تتخذها من المصادر الموثوقة، والتي هي في تماس تام مع الجهاد.. مثل مجلة البنيان المرصوص والجهاد والموقف، وكذلك من الناس المتواجدين في أرض الجهاد.

ولقد وجدت وللأسف أن هناك صحفاً عربية قد تهالكت لمساعدة نجيب وتشويه حقيقة الجهاد الأفغاني المبارك ، ولا يفوتنا أن نذكر بأن هناك بعض الصحف العربية تكتب عن الجهاد وتقف معه، وتنقل الحقيقة عن الجهاد.

الموقف: نسمع ونرى أن الإعلام الغربي يلح ويصر على إمكانية رجوع ظاهر شاه ليتسلم السلطة، فإلى أي حد ممكن أن يتحقق هذا الحلم؟

الشيخ: هذا الأمر في نظري شبه خيال، وإنما هي ورقة تلعب بها أمريكا بأعصاب الناس الطيبين، وتريد أن تلوح بها لبعض ضعاف الناس حتى يقبلوا بالأمر الواقع وبالحلول الأمريكية.

أنا لا أدري كيف يحكم ظاهرشاه وكيف يدخل؟ قد تحمله طائرة وتدخله، لكن نجيب يرفض أن يتنازل، ونفرض أن روسيا وأمريكا ضغطتا عليه واستلم مكانه ظاهر شاه، فأنى لظاهرشاه أن يحكم؟! وإذا كان نجيب لا يستطيع الآن أن يتماسك واقفا على قدميه، وعنده جهاز المخابرات الذي رباه بنفسه، فهو الذي صنع جهاز المخابرات الذي يحكم البلد الآن، فكيف يمكن لظاهرشاه أن يحكم بدون شعب وبدون جيش وبدون جهاز استخبارات؟! وكيف يمكن له أن يبقى حاكماً في كابل و ٨٠-٩٠٪ من المجاهدين يعارضون دخوله، بل يتوعدونه، ويهددونه بالقتل ؟وبعض الناس يقولون أن رجال القبائل مع ظاهر شاه، فمن هم رجال القبائل؟

إنهم هم المجاهدون، لأن الجهاد قد قدم قيادات جديدة وزعامات، وأصبح زعماء القبائل هم حكمتيار ورباني وسياف وخالص

وغيرهم، أما زعماء القبائل التقليديين فليس بأيديهم مال، وليس بأيديهم سلاح، فالسلاح والقوة والأرض كلها بأيدي قادة الجهاد، فكيف يمكن أن يحكم على أرض ليست بيده، وجندها ليسوا بيده، وشعبها ليس بيده ؟! هذا مستحيل!

الموقف: نرجو توضيح موقف كل من أمريكا وباكستان وإيران حول الجهاد والمجاهدين؟

الشيخ: أمريكا فرحت كثيرا عندما دخل الروس أفغانستان، لأنها أرادت أن تنفس عن أحقادها، وهي تعرف من هو الشعب الأفغاني، وكانت قد فرحت باديء ذي بدء أن يثخن الدب الروسي بالجراح وتهان كرامته، ومع ذلك فأمريكا وخلال السنوات الأربع الأولى لم تقدم أي شيء، بل ولا دولة قدمت ووقف بجانب الجهاد خلال السنوات الأولى إلا دولة باكستان التي وقفت وقفة صادقة ومشرفة وعظيمة سيحفظها لها التاريخ بين جنباته صفحات مشرقة، وكان ضياء الحق واقفا بجانب الجهاد الأفغاني وقفة مسلم يعتبر موقفه واجبا، وبعد أربع سنوات من صمود المجاهدين أمام الزحف الروسي وجد الغرب صمود المجاهدين من جهة، وانهيار معنويات الجيش الأحمر من جهة ثانية، وقد تكبد الروس الخسائر الفادحة بالأرواح والمعدات، عندما قال الغرب وقال الشرق نقف بجانب الجهاد الأفغاني، ولا ننسى أن نذكر بأن السعودية حكومة وشعبا وقفت مع الجهاد الأفغاني منذ سنة (١٩٨٣م)، وهي الحكومة الوحيدة من الدول العربية مع الحكومة الباكستانية من الدول الإسلامية، هاتان الحكومتان اللتان وقفتا بجانب هذا الجهاد بالأموال والدعم.

أما الشعوب فقد قدمت، فالشعب الكويتي على الرأس والعين، وكذلك الشعب الإماراتي، والشعب اليمني الذي قدم كثيرا بالأنفس والأموال ... فأقول إن موقف أمريكا قد تغير بعد أن خرجت روسيا، لأن أمريكا كانت خائفة على آبار البترول، خائفة من الدب الروسي العطشان على آبار البترول، وقد كانت تظن أن الجهاد الأفغاني لا يمكن أن يقف أمام روسيا.

وروسيا كانت قد وضعت مخططها في (١٩٨٠م) للاجهاز على أفغانستان ثم الوصول إلى الخليج سنة (١٩٨١م)، وأعدت لهذا الغرض مطار (شندند) إذ يبعد حوالى ١٥ دقيقة عن الخليج.. وكان كل شيء جاهزاً، ولكن الله رد كيدهم في نحورهم، وخاب فألهم، وفشلوا في مقاومة الجهاد الأفغاني.

فعندما تلاحقت انتصارات المجاهدين كانت أمريكا تريد أن تنقذ الدب الروسي حتى لا يسقط تحت ركبان المسلمين، ولكن ما استطاعت، ولذلك خططت لمؤامرة (جنيف) عن طريق اليهودي (أدمر همر)، ثم شاء الله أن يتأخر قتل ضياء الحق الذي كان يسند الجهاد.. فانتصر الجهاد، ولم يعد بإمكان روسيا أن تواصل أبداً، لأنها كانت تدفع في كل يوم ٤٥ مليون دولار، ودمر لروسيا ٢٧٠٠ طائرة، وحوالي ١٩٠٠٠ دبابة ومدرعة و ٢٥٠٠٠ سيارة وناقلة، وقتل من الجيش الأفغاني حوالي ١٠٠ ألف، وأسر ١٠٠ ألف آخر، وتدهورت المعنويات، وانحطت همم الجيش الروسي، بعد هذه المرحلة تريد أمريكا أن تزيل آثار موقفها وتحجمه، ولكن بعد أن تحركت مشاعر الأمة الإسلامية وتيقظت من سباتها، وبعد أن أعيدت الثقة في نفس الأمة، ولزمت الأمة عقيدة التوكل على الله في كل مكان، ولذلك نجد أن الإعلام الأمريكي يرمي إلى قضيتين وهما:

١ ـ إزالة آثار الجهاد في نفس الأمة المسلمة، وتشويه قادته، وتشويه صورة هذا الجهاد، وتحويله إلى النقطة الثانية، وهي تحجيم الجهاد الأفغاني، وتحويله إلى قتال قومي ضد قوم آخر، وقتال أهلي بين أفغان وأفغان، وأن الدماء التي تسيل هي دماء المسلمين، والصراع الآن هو صراع على المناصب، وصراع أهواء بين قادة الجهاد الأفغاني، وكل ذلك ظلماً وعدواناً.

أما بالنسبة لباكستان فقد قبضت يدها منذ قتل ضياء الحق، ففي العام الماضي مثلا عندما كان ضياء الحق يحكم قدمت باكستان حوالي ٢٤٠٠ طن من الذخائر للمجاهدين، بينما في هذا العام قدمت باكستان (١٠٠) طن فقط، والمساعدات الباكستانية في طريقها إلى الانتهاء .. بينما المساعدات الروسية لكابل مستمرة ومتدفقة..

فالحقيقة أن موقف باكستان تغير، وأصبحوا يعزفون على النغمة السياسية لغة الحل السلمي الذي يتمثل بالمؤتمر الدولي أو الدولة ذات القواعد العريضة.. وكل هذا مرفوض من قبل المجاهدين.

أما إيران فلا نرى أنها قدمت شيئا لا سابقا ولا لاحقا.. ولحد الآن لم تقدم شيئا.. ولكنهم قدموا أسلحة لبعض المنظمات الشيعية التي تمشي في ركابهم، كما أن إيران فيها أكثر من مليون ونصف مليون مهاجر أفغاني يعيشون حياة صعبة... وإن الحكومة لا تسمح للمؤسسات الإسلامية لمساعدة المهاجرين، ولا الأجنبية، فإيران لا تطعمهم ولا ترعاهم، ولا تسمح لمن يطعمهم ويرعاهم، وكما ورد في الحديث (دخلت امرأة النار في هرة حبستها، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض).

الموقف: نرجع إلى ساحة أفغانستان ونقول: إن بعض الأطراف في الساحة تثير بأن القائد حكمتيار هو السبب الرئيسي في أحداث فرخار وغيرها من الحوادث داخل افغانستان، فما تعليقكم؟

الشيخ: حكمتيار بريء من القضية، ورأيته حريصا على وحدة الصف، ورأيت في المقابل كذلك مسعود بريء من القضية، وحريص على الصف والصلح واللقاء مع حكمتيار . نسأل الله أن يجمع بين المجاهدين بالخير، وأن يكونوا يدا واحدة على أعدائهم.

الموقف: نعود الآن إلى دور العرب، فما هو الدور الذي يمكن أن يقوم به العرب في هذه المرحلة؟ وكيف تجدون الموقف المحلي والعالمي تجاه تواجدهم في الساحة؟

الشيخ: نسأل الله أن يثبتهم في داخل أفغانستان، وقد جاء دورهم الآن، ومن أهم الأدوار التي لابد أن يقوم بها العرب هو حل الخلافات والمشاكل بين الإخوة الأفغان أنفسهم، ورفع معنوياتهم، وتعليمهم، وإيقاف سيل الهجرة، وصب جهودكم في بوتقة الجهاد، فالعربي هو الذي يحرك المعركة رضي أم أبى، وكل هذا يسرع في الإجهاز على الحكومة الشيوعية.

ووجود العرب يعرقل سير المخططات الاستعمارية، ووجودهم كفيل بهزيمة الصليبيين في داخل أفغانستان، بمشاريعهم وأموالهم وكوادرهم.. ووجود العرب يمنع من تحجيم القضية الأفغانية وتحويلها إلى قضية قومية، ويعطي للقضية الأفغانية صفتها الإسلامية العالمية، وهذا الذي لا يرضاه الغرب، ونجد أن الأعداء يحاولون جهد إمكانهم أن يفرقوا العرب ويشتتوا تأثيرهم على الساحة.. فأحيانا تسرق سياراتهم، وأحيانا يمنعون من دخول أفغانستان، وأحيانا يحاولون اغتيالهم، كل ذلك من قبل أعداء هذا الدين الحاقدين على الإنسانية.

الموقف: وجدنا في الفترة الأخيرة قلة المساعدات للمجاهدين، فهل من كلمة توجهها للإخوة المحسنين الذين ساهموا في نصرة هذا الجهاد؟

الشيخ: نحن نهيب بالمحسنين أن لا يدعوا إخوانهم على أبواب كابل حفاة عراة جائعين، فكما وقفوا هذه السنوات التسع الماضية فليقفوا، وإن شاء الله النصر قريباً، فما بقي إلا القليل من هذه المسيرة المشرفة، والحمد لله فإن معنويات المجاهدين عالية جداً، وإن معنويات أعدائهم منهارة، ونطلب من العالم أن يسمعوا الحقائق من الذين يعايشون الساحة في أفغانستان، ولا يسمعوا ويرددوا ما تردده الصحف المعادية لهذا الجهاد.

الموقف: بعض الإخوة العرب تعرضوا لانتقاد فضيلتكم في الفترة الأخيرة، ومن اعتراضاتهم عدم اهتمامكم بأمر العقيدة؟

الشيخ: أقول سامح الله الجميع، وغفر لي ولإخوتي الذين تكلموا في شأني، أما العقيدة السلفية فهي عقيدة أهل السنة، وإني تربيت على هذه العقيدة، ولازلت عليها من فضل الله، وأرجوه سبحانه أن يثبتني ويميتني عليها، وإن الذي يعادي عقيدة السلف الصالح يعادي هذا الدين، بل هو ليس بمسلم، وهدفنا هو نصرة هذه العقيدة -بإذن الله-، وما قيام هذا الجهاد المبارك إلا لإعلاء كلمة الله وتوحيده ونصرة دينه، وإقامة شريعته على ربوع أفغانستان، وإن شيوخ السلفية كأمثال الشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ بن عثيمين والشيخ الألباني وغيرهم أحب إلينا من أبنائنا وآبائنا، ولكننا أبينا أن تتحول المعركة من دفاع عن هذا الدين وعن الأمة بأسرها إلى التصدي لبعض الأخطاء التي تمارسها كل الشعوب الإسلامية فضلاً عن شعب أفغانستان، فإننا لا نقاتل لأجل أن ينتصر الشرك وأهله، بل نقاتل لأجل أن ينتصر أهل الحق وهم كثير في أفغانستان بفضل الله، أتمنى أن تحل خلافات المسلمين بالتناصح بينهم، وعدم كشف عورات بعضهم البعض:

(فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في بيته).

ولابد من التجرد لله، والتحرز من نزغ الشيطان، فإن الله سبحانه يقول:

(وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً).(الاسراء:٥٣)

والتشهير بالمسلمين لا ينفع إلا أعداءهم، وأدعو الله أن يغفر لي ولإخواني، ويجمع شملنا ويوحد صفنا، ورحم الله امرأ أهدى إليّ عيوبي، وختاماً، جزى الله الإخوة المسؤولين في مجلة (الموقف) إذ أتاحوا لي هذه الفرصة للقاء بهم، ونبتهل إلى الله أن تواصل الموقف مسيرتها، وأن تقف على أقدامها، وأن ينفع الله بها الإسلام والمسلمين.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

مقابلة جريدة عكاظ مع الشهيد عبدالله عزام

الشهيد الدكتور عبدالله عزام نذر نفسه للجهاد، وللدفاع عن الجهاد، عاش وسط المجاهدين الأفغان، يحارب معهم، ويشد أزرهم، ويعلمهم أحكام العقيدة الإسلامية، ويصقلهم للمهمة العظمى التي شرفوا بها، وهي كسر شوكة الشيوعية، وتمريغ أنف الإلحاد في التراب.

أعطى الكثير للجهاد والمجاهدين، ولم يأل جهداً في الدفاع عن عقيدتهم في كل المحافل والأوساط..

وفي آخر زيارة له للمملكة لأداء العمرة كان لـ (عكاظ) هذا الحوار الساخن معه، إذ رد خلاله على كل ما تشيعه وسائل الإعلام الغربية عن الجهاد، ودحض كل الأكاذيب التي رددتها، وبدا غضباً من أجل هذا الجهاد الذي شبهه بالوصول إلى القمة، وشبه الصمود فيه الثبات عليها، ونعى على المشككين في الجهاد أنهم يحاولون النيل من رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.. وأوضح كل الحقيقة حول ما حدث في (تخار)، مشيراً إلى أنها مجرد حادثة عادية نفخ فيها الإعلام الغربي لتشوية صورة الجهاد.

* * * *

شتان بين القول والعمل:

عكاظ: في بداية حديثه انبرى الشهيد للرد على المشككين في الجهاد والمجاهدين قائلاً:

الشيخ: ميدان العمل يختلف عن ميدان القول.. وميدان العمل الجهادي أصعب العبادات على الإطلاق، والصبر على الجهاد أمر لا تحتمله إلا أفذاذ النفوس.. والوصول إلى أرض الجهاد أمر قد يكون سهلاً، كما أن الصعود إلى القمة أمر صعب، الثبات على القمة من أشق الأمور على النفوس، فكيف إذا طالت المسيرة، وشح الزاد، وقل الأنصار، وثقل الحمل، وتكالبت الذئاب، وفوقت السهام تتناوش هذا الذي وقف فريداً وحيداً يقول:

وحيد من الخلان في كل بلدة إذا عظم المقصود قل المساعد

والحقيقة أنه من السهل على الإنسان أن ينتقد وهو جالس من بعيد، ولا يتعثر ولا يخطيء، أما الذي في الميدان فهو الذي يتعثر ويخطيء، لأنه هو الذي يتحرك.. وشتان شتان بين أن تعيش في البروج العاجية والأحلام تريد أن تطبق الإسلام في المدينة الفاضلة التي يتخليها (الفارابي)، وابن رشد ، السير فوق الجمر على أرض الواقع، تواجه المجتمع كله بنقائصه وعيوبه، تحاول أن تسدد وترشد وأنت في خضم المعركة، لذلك لا يستطيع أحد أن يفهم مشاكل المجاهدين إلا من عاش بينهم، ومن السهل على أي صحفي أن ينتقد ويردد ما تتناقله وكالات الأنباء الغربية من أخبار عن المجاهدين..

مذبحة في (تخار)، وحادثة في (فرخار) و... الخ، ولكن من الصعب على أي صحفي في العالم، بل لا يوجد الصحفي الذي يفهم ويعرف حقائق وخبايا الوضع الصحيح لدى المجاهدين الأفغان.

لامكان لـ (روسو) في الإسلام"

عكاظ: وعن مناداة الصحافة بضرورة المصارحة لمواجهة الحقائق ليعيش الجهاد في جو إيجابي بعيد عن التضليل، وإخفاء المعلومات. قال الدكتور عبدالله عزام:

بعض الناس بحجة نقل الحقيقة الصادقة ذكرّ السيئة والحسنة عن الجهاد، ويفتنون الناس الذين لا يعلمون ما هو الجهاد، وما من امريء يحدث الناس حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لهم (أتريدون أن يكذب الله ورسوله..؟)، وهؤلاء الذين يأخذون بنظرية جان جاك روسو الوضوح في نشر المعلومة عن النفس وعن الأهل وعن الأم والأب.. وانظر لنفسك وأنت تعيش في وسط أسرة مكونة من عدة أفراد، وقد يرتكب أخوك بعض الموبقات، بل وقد يترك الصلاة، ولكن ما رأيناك باسم الصراحة والوضوح من أجل الإسلام تقف يوماً في المسجد تذكر الناس عن أخيك هذا.. وأنت تعرف عيوب وأخطاء أمك وأبيك، ولكنك تتجرعها داخل نفسك، وتصمت عنها، فهذا نستوفي أكيلتنا على الناس وإذا كلنا للناس ننقص..؟ لماذا لا نستخدم نفس القاعدة ونطبقها على أشرف قضية في الأرض

تعلقت بها أمة بأكملها؟! أتخشى أن تفضح أسرة صغيرة ولا تخشى من ربك أنك تحطم آمال أمة بكاملها تعلقت بهذا الجهاد.

إن الإسلام لا يقبل أنماط الاعترافات التي كان يطبقها (جان جاك روسو) بحجة الصراحة.. هذا ليس في الإسلام.. الإسلام يقول:

(وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا). (النساء ٨٣)

عيب كبير أن ننتقد الجهاد:

عكاظ: أحمد شاه مسعود أنشأ حكومة داخل حكومة.. هذا ما يقال، ويتجه الكثيرون إلى القول بأنه يعمل لحساب فرنسا، ما صحة هذا الكلام..؟

الشيخ: عيب عليّ أن أقيم أحمد شاه مسعود.. من أنا حتى أقيمه..؟! والله إني لأشعر بالشرف عندما يسمح لي مسعود أن أجلس بجانبه ليناقشني في أمور الجهاد، شخص زلزل الله على يديه الكفر، واهتزت من ضرباته الشيوعية كلها، وتطلبون مني تقييمه.. والله إني لأعتبر مسعود أعظم من نابليون، لأن مسعود هزم القائد الذي هزم نابليون وهو ((زاخاروف)) الروسي.. والله يا أخي عيب كبير أن ننتقد الجهاد الأفغاني بهذه الصورة.. وعيب كبير أن نتهم رجلاً كمسعود بأنه عميل لفرنسا وأنه.. وأنه..!

أقلـــوا عليهـــم لا أبـــا لأبيكمُ   من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

لقد رجعت من عند أحمد شاه مسعود قبل أربعين يوماً تقريباً، والله إنه ليسكن في غرفة بأحد الجبال مع عشرة من رجاله ووسط الثلوج.. حياة لا يعلمها إلا الله.. والله حياة لا يصبر عليها إلا أفذاذ الرجال.. طعامهم دَين.. وأجرة نقل طحينهم وذخائرهم دَين.. والله لقد قال لي مسعود بعد أن عاتبني بأدب قائلا: لعلك تظنني غنياً- لأنني لم أخذ له بيدي مساعدات-. وأضاف قائلا: هل تصدق يا أخي أن عليّ مائتي مليون روبية أفغانية ثمن طعام دَيناً ((مليون دولار))، لإطعام هؤلاء الرجال، ومع ذلك:

ورأس الشعب مرتفع   وسرج البذل متصل

فما ذل الإباء بهـم   وما احتفى بهم فشل

والله يا أخي لا يعرف قدر الرجال إلا الرجال، والذي يزور أماكنهم يدرك من هؤلاء..

عكاظ: أول مدرسة لحرب العصابات، في الوقت الذي أجاد فيه أحمد شاه مسعود تنظيم وحداته العسكرية، وأنشأ ما سميت بمدرسة العصابات الإسلامية كأول ظاهرة عسكرية في العالم الإسلامي؟

الشيخ: نعم، أول مدرسة جهادية في حرب العصابات الإسلامية أنشأها هذا الشاب أحمد شاه مسعود.. وقد درس الكتب العسكرية كلها الخاصة بحرب العصابات، تجارب الفيتناميين، وهوشي منه، وكاسترو، وجيفارا، كلها درسها لأنها علوم **[قد خلت من قبلكم سنن فسيروا..]** ، ثم بدأ ما يوافق أفغانستان بأسلوب منظم جداً.. والذين مع مسعود واسمهم ((بابا)) و ((كدا)) أميون لا يعرفون القراءة والكتابة، ولكن الروس يطلقون عليهم (جنرال بابا)، و(جنرال كدا) لأنهم ذاقوا على أيديهم الهزائم المريرة، وقد سألني عبدالله أنس مساعد مسعود إن كنا نستطيع توفير ألف روبية شهريا (٢٠٠ريال) كراتب (بابا) لأنه فقير لا يملك شيئا، هذا هو الجنرال ((بابا)) أكبر القادة لدى مسعود.

أما عن قولك بأن أحمد شاه مسعود قد أوقف عملياته القتالية فإنا أتساءل كيف؟ كيف وقد رأيت في سبتمبر الماضي أكثر من ألف آلية ودبابة في وادي بنجشير وقد دمرت تماما، مع العلم أن هذا الوادي قد مشطته روسيا مرتين قبل انسحابها من أفغانستان..! كيف وقوات مسعود تتولى السيطرة على أعلى منطقة بممر (سالانج) الشهير، وهو الطريق الرئيسي المؤدي إلى كابول، وتواجه يومياً آلاف الأطنان من القذائف والمتفجرات جوا وبراً من قبل القوات الشيوعية لاستعادة السيطرة على هذا الممر الاستراتيجي، ومنذ فترة استطاع مسعود ورجاله أن يغلقوا ممر (سالانج) بعمليات عسكرية ضخمة، ولكن أين الإعلام الذي ينصف الحقائق عن هذا الجهاد..؟ والله يا أخي إن مخالطة الأحياء حياة ، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذووه.

«تخار» حلقة من مخطط:

عكاظ: وعن حادثة تخار التي صنع منها الإعلام العالمي قضية عظمى لتشويه صورة الجهاد الأفغاني قال الدكتور عزام موضحاً الحقائق:

الآن يجب أن تعلموا أن المؤامرة العالمية هدفها شيء واحد، وهو: عزل الجهاد الأفغاني عن الأمة الإسلامية لتبتلعه بصمت، وللعلم يا أخي فالحملات الإعلامية المحمومة التي بدأ يركز عليها الإعلام الغربي لتحطيم صورة هذا الجهاد بدأت تزداد في الفترة الأخيرة، و لن تكون حادثة «تخار» هي الأخيرة في هذا المسلسل. فقد نشرت الصنداي تايمز منذ فترة مقالا عن وجود ثماني عشر ألف أرملة أفغانية في مخيم «ناصر باغ» أصبحن صيداً سهلا للشباب العربي ليقضوا شهواتهم منهن، لماذا يشاع كل ذلك عن الجهاد والمجاهدين؟!

ألا نفكر بعقولنا في هذا الخبث الذي يهدف لتقطيع الأواصر بين الإخوة؟!! وإذاعة الـ(بي بي سي)تبث يومياً تسع ساعات للأفغان بلغتي البشتو والفارسية، تثير النعرات بين القبائل، وتتهم المجاهدين بأنهم يسعون لحرب أهلية في بلادهم مع إخوتهم الأفغان الشيوعيين.. أية أخوة هذه التي تدعيها الـ (بي بي سي)..؟!

هذا يا أخي غيض من فيض عن المؤامرات العالمية الإعلامية ضد الجهاد والمجاهدين، علموا أن الحل العسكري ليس بأيديهم وأن الحل السياسي الماكر لا ينطلي على المجاهدين.. فبدأوا في نشر الفتن بطريقتهم المعروفة (فرق تسد)، والدنيا كلها اليوم تشتغل ضد الجهاد الأفغاني لتشويه صورته.. !!

هذه حقيقة (تخار):

وأضاف الشيخ قائلاً:

أما عن قضية تخار فتفاصيلها أمانة للتاريخ أرويها لكم بصدق كما حصلت، وكنت أول المطلعين عليها كالتالي:

منطقة -أربع قرى- يحكمها (سيد جمال وشقيقه)، وهؤلاء الإثنان إخوة، ولكن سيد ميرزا وهو الأخ الأكبر وهو القائد العسكري لهذه المنطقة، وهو رجل معروف بشراسته وتهوره، وهو شبه أمي، وكان لدى أحمد شاه مسعود دورة لقادة الولايات الأربع الشمالية: (بدخشان-تخار- قندز-بغلان) من أجل أن يحدد لهم المعركة بعد عيد الأضحى المنصرم، وحددها في ١٨ذي الحجة، وشرح لهم الخرائط والبوصلة، وبعد انتهاء الدورة عاد هؤلاء القادة ومعهم بعض المجاهدين كل إلى منطقته، وكان طريق كل هؤلاء يمر من نقطة التفتيش التي يسيطر عليها (سيد ميرزا)، وعند مرورهم بهذه النقطة طلب منهم النزول للتفتيش، وقال لهم: تعالوا معنا إلى المسجد، وبقوا هناك حتى جاء الليل، ففرقوا القادة عن المجاهدين في تصرف أهوج ليس له مبرر، وفي اليوم الثاني جاء مائة من العلماء لأمير المنطقة سيد جمال ونصحوه بعدم المساس بهؤلاء القادة، فوعدهم خيراً، ولكن في نفس اليوم نفذ حكم الإعدام في خمسة من هؤلاء القادة، وهذا العمل لا يقدم عليه رجل عاقل حتى ولو لم يكن عنده دين، ولكن سيد ميرزا معروف أنه مجرم، وفي نفس الوقت أحمق، لأن منطقته جزيرة في بحر مسعود.. فهو في منطقة "سد بورقان"، وتحيط به مناطق «طالقان، واشكمش، ونماكا ووقار» وكلها تتبع لأحمد شاه مسعود، وبمجرد أن علم العلماء بتصرفه هذا أصدروا فتوى بأنه قاطع طريق ويجب قتله، فقال مسعود: «سنحاصره ولن نقاتله، لأننا لو قاتلناه سنقتل الكثير»، وأعلن مسعود أنه لا يريد سوى القبض على سيد جمال وأخيه سيد ميرزا، فحاصروهم حتى لم يعد معهم سوى ثلاثة أشخاص منهم نور آغا واثنان آخران هربوا من «سدبورقان» واختبئوا في داخل «طالقان»، فحاصروهم ثانية، وطلبوا منهم التسليم، ولكنهم رفضوا التسليم إلى أن جاء أحمد شاه مسعود وكان في (ورسج) إحدى ضواحي (فرخار) واستلمهم، وقال سنقدمهم للمحكمة الشرعية، وكنت أول المطلعين على هذه القضية، لأنني كنت بنفس المنطقة مع حكمتيار جالسين تحت شجرة نرتب عقد اجتماع بينه وبين أحمد شاه مسعود للتوفيق في بعض القضايا بينهم، فلما سمع حكمتيار بالخبر اسود وجهه وغضب، وقال لي: نحن مستعدون لتقديم سيد جمال وأخيه للمحكمة الشرعية، وهؤلاء الإثنان تابعان لحزب حكمتيار، وفي هذه الأثناء كلمت أحمد شاه مسعود وطلبت منه ترك سيدجمال الآن وتوجيه مجموعه لفتح إحدى المدن، فقال لي: لا أستطيع، فالمطالبون كثيرون، وهؤلاء القتلى ليسوا من أهلي، والقضية تشعبت، وأصدر فيها أربعون عالماً رأيهم، وفي آخر الحكم قالوا إن طاعة مسعود ساقطة إذا لم يقتلهم، فكان حصارهم وتقديمهم للمحاكمة هو الحل، وإلى الآن لم يتم إصدار الحكم في القضية، وأنا أحد أعضاء اللجنة التي

شكلت لدراسة هذه المشكلة

. إلى هنا توقفت مشكلة تخار التي قالت عنها إذاعة الـ بي بي سي وصوت أمريكا وغيرها أنها كانت مذبحة سقط خلالها أكثر من ثلاثمائة شخص، ووالله ما سقط ثلاثمائة ولا ثلاثون ولا نصف الثلاثين، بل هم خمسة أشخاص فقط.. هذا كل ما في الموضوع عن قضية تخار التي ظل الإعلام الغربي (٧٨) يوماً يضخم فيها ويضيف عليها الكثير من الأكاذيب.

عكاظ: الوضع العسكري حول المدن المحاصرة وبالذات العاصمة كابول لم يتغير منذ فترة طويلة، كيف ترون الأمور هناك؟

الشيخ: الوضع العسكري جيد والحمد لله، والحكومة محاصرة داخل العاصمة، واستطاع المجاهدون أن يكسروا حزامين أمنيين حول المدينة، دولة طريقها البري مسدود، طريق سالانغ مغلق، طريق قندهار هيرات مغلق ، طريق كابول قندهار مغلق، طريق كابل جلال أباد شبه مغلق ، طريق شريكار كابل مغلق ، طريق بغرام كابل مغلق، دولة هكذا كيف تعيش..؟!

وأيضا معظم مطاراتها مشلولة، مطار كابول ومطار بغرام ومطار شندند ومطار قندهار، هم أناس يعيشون على الجمر الآن وأيامهم معدودة، وقد كنت داخل بنجشير قريباً، وكان التلفزيون ينقل مقابلة المزارعين لـ (نجيب) وهم يشكون له إغلاق الطرق إلى كابل ورغبتهم في بيع ثمارهم التي يعيشون عليها، فقال لهم: (أنا لم أغلق الطريق بل هؤلاء المجاهدون، ولا أدري لماذا يعمل البروفيسور سياف هذا بنا وبكم! ولماذا يصر المهندس حكمتيار ويوافق عليها، مع أن الروس خرجوا وأصبحت قضيتنا عائلية نحلها بيننا).

الغذاء هو المهم:

عكاظ: دخل موسم الشتاء، وكلنا يعلم صعوبة التحرك في الشتاء القارس الذي تشتهر به أفغانستان، ما هي خطة المجاهدين للمحافظة على المكاسب الحالية في ضوء انخفاض معدل الدعم بصورة شاملة؟!

الشيخ: خطتنا حالياً هي توفير الغذاء للمناطق الساخنة حول المدن المحاصرة، وتخزينها طيلة فصل الشتاء للمحافظة على المواقع التي سيطرنا عليها، لأننا نخشى في حالة عدم توفر هذا الغذاء أن ينسحب المجاهدون إلى الخلف حتى ينتهي فصل الشتاء، فتبدأ عملية استعادة المواقع التي انسحبوا منها من جديد، ونحن نأمل الآن أن نسدد مبلغ مليون دولار لشراء طعام لندخره للمواقع والخنادق الرئيسية حول كابول التي يسيطر عليها المجاهدون حالياً، وقد تبرع أحد التجار العرب بمبلغ (٤٠٠) ألف ريال، ولكنه أوقف الدعم بعد سماعة لحادثة تخار، كذلك نحن بحاجة لمبلغ مائتي ألف دولار لنقوم بنقل الذخائر وتموين المواقع الأمامية بها لفصل الشتاء حول كابول ولو بالدين، ولله خزائن السماوات والأرض سبحانه بيده مقاليد السموات والأرض وهو صاحب هذا الجهاد، وهو ييسر ويدبر وإليه يرجع الأمر كله.

عكاظ: لا يزال نجيب يلعب بكل الأوراق لكسب اللعبة، إلى أي مدى نجح في ذلك؟

الشيخ: نجيب الآن قام بإدخال لواء كامل من الشيعة في جيشه الذي يدافع عن العاصمة كابول، وهدف خطته هذه واضح وهو استمالة الأحزاب الشيعية الثمانية في إيران، ونجيب مستعد لاتباع كل الطرق للمحافظة على بقائه مدة أطول، ولكن إلى أمة معدودة إن شاء الله.

إلى كل مسلم في الأرض[١]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أيها الإخوة الأحبة:

لقد كان بودي أن أكون بين ظهرانيكم لأبلغكم رسالتي هذه فما لأذن، ولكن أما وقد عجزت الأجساد أن تلتقي فلا أقل من أن نبثكم أشجاننا، ونبلغكم أشواقنا لتشاركونا همومنا التي تأكل حياتنا وأعصابنا.

أيها الإخوة :

أوصيكم بتوثيق الصلة بالله، وإجلاله وخشيته في السر والعلن، وأوصيكم بكلمة الحق في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى، وأوصيكم بكثرة الدعاء، إذ لا يرد البلاء والقضاء إلا الدعاء، وبالقرآن الكريم تلاوة وحفظا وتدبرا وفهما، وأوصيكم بالأخوة

١- نشرت في مجلة الجهاد بتاريخ ١ رجب ١٤٠٥هـ الموافق: ٢٢ مارس ١٩٨٥م العدد الرابع.

الصادقة، والمحبة العميقة لكل مسلم، تبذلونها فتأسرون بها القلوب، وتلتقي عليكم النفوس، وأوصيكم بالسنتكم، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، وعليكم بالصحبة الطيبة، لأن المرء يحشر مع من أحب، وأوصيكم بأن تبيتوا النية على الجهاد، فمن لم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق.

أيها الإخوة:

لقد أكرمني الله عز وجل أن أزور الجبهة .. جبهة (جاجي) التي تعرضت لهجوم الروس .. فأحببت أن أكتب في صفحة أعمالي وفي طي كتابي ليالي من الرباط " ورباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل" ، وأرجو الله أن يتقبلها ونجدها في سجل أعمالنا يوم تبلى السرائر، والحمد لله لقد مني الروس بهزيمة كاسحة في هذه المعركة، فقدت سبعمائة قتيل ، بينما لم يفقد المسلمون سوى سبعة شهداء، والحمد لله لقد حاولت روسيا أن تسد بضعا وعشرين طريقا موصلة من باكستان إلى أفغانستان كطرق للمجاهدين، ولكنها لم تحظ بنجاح واحد في سد طريق واحد .

أيها الإخوة :

إن المعركة شديدة، وتحاول روسيا أن تحسم هذه المعركة وتنهيها، وهي تراهن على إنهائها منذ ثلاث سنوات، وما من مرة تضاعف قوتها فيها إلا وتكبدت خسائر أضعاف ما كانت في أعوام سابقة .

أيها الإخوة :

لا تظنوا أننا قد نسينا فلسطين ، فإرجاع فلسطين جزء من ديننا يجري في عروقنا ويسرى في كياننا، ولا ذكرنا الله إن لم نذكر فلسطين، ولكني أعلم علم اليقين أن العمل في أفغانستان إحياء لروح الجهاد في نفوسنا، وتجديد للعهد والبيعة مع ربنا على مواصلة الطريق، وإن جلت التضحيات، وعظمت الخسائر، وبهظت التكاليف.

ولكن إذا كنا قد حرمنا من الجهاد في فلسطين بسبب الحدود ، وفرض القيود، وسجن الأسود بالأصفاد والأغلال، فلا يعني هذا أننا تركنا الجهاد، ولا نسينا البلاد.. إذ لابد من الإعداد في أي بقعة من أرض المسلمين ، وأبشركم أن قضية فلسطين تعيش مع أرواح المجاهدين الأفغان، ولا تذكر فلسطين إلا وترى العبرات تنهمر على الوجوه المشرقة التي تردد بألسنة صادقة إن شاء الله (اللهم ارزقنا النصر في أفغانستان والشهادة فوق الأرض المباركة حول مسرى نبينا صلى الله عليه وسلم) .

أيها الإخوة :

إن المعركة تحتاج إلى مشاعر المسلمين تشارك، وجيوبهم تساهم، وطاقاتهم تبذل، وأياديهم تعمل .. تحتاج إلى عقول مفكرة، وأياد فنية عبقرية باذلة، وأرجل طالما انتصبت بالقيام لخالقها في جوف الليل، ومساعدة هؤلاء المجاهدين الصادقين إن شاء الله لا تضيع لا في الدنيا ولا في ميزان الله يوم القيامة .

أما في الدنيا، فهو إحياء لقضية المسلمين الأولى .. قضية فلسطين، وتجميع لطاقات المجاهدين فوق أرض المعمورة على قضايانا الإسلامية التي أصبحت نهبا مقسما بين الأسياد والعبيد، إذ المعركة التي يدور رحاها ضد الإسلام شديدة وتشترك فيها معظم أيادي الكفار .

يدير رحاها ألف كسرى وقيصر ... وألف مدير للمدير مدير

لك الله يا أقصى تقنعت باكيا ... وحولك عجل السامري يخور

وأما في ميزان الله يوم القيامة ، فوزن الجهاد ثقيل، وفي الصحيح (قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة).

﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما﴾. النساء(٤)

أيها الإخوة :

إن أرض الإسلام واحدة، وأمتكم أمة واحدة .. فأقبلوا على الله بخدمة دينه وحماية أرضه ورفع رايته، وابذلوا الخير تجنيه ، إن الجهاد الأفغاني على مفرق طريق وهو يعاني من قلة الإمكانيات، وندرة الطاقات ، ولقد نادينا طويلا نستنهض همم المسلمين .. نستحث خطاهم على القدوم .. فلم يستجب لنا إلا أفراد قليلون .

لم يعد هنالك عذر بعد أن فتح باب الجهاد، وأفتى أهل العلم بفريضة الجهاد فرض عين، وعلى رأسهم أصحاب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ حسن أيوب والشيخ سعيد حوى والشيخ عبدالله علوان والشيخ محمد نجيب المطيعي والشيخ عمر أحمد سيف و .....الخ

أيها الإخوة :

إن الباب لازال مفتوحا، والفرصة لازالت سانحة لإقامة دين الله فوق بقعة أرض إسلامية اسمها (أفغانستان)، فإن سقط الجهاد الأفغاني لا سمح الله فالعالم الإسلامي كله مسؤول عن هذا السقوط، وعن تضييع هذه الفرصة الذهبية التي لم يمر نظير لها في القرون الأخيرة .

لقد أضعنا الفرصة في فلسطين، وها هي الفرصة تكاد تضيع في أفغانستان إن لم نتداركها بإذن ربنا .

إن المسؤولية التاريخية عظيمة، والفترة جد عصيبة، والزمن لا ينتظر، وعجلة الزمان دائرة، والوقت ليس في صالحنا ، ولا بجانبنا .

أقبلوا وإلا ...

ألا هل بلغت .. اللهم فاشهد

أخوكم/ د. عبدالله عزام

بيشاور – ١٤٠٥/٦/١٧

الموافق : ٨ مارس ١٩٨٥

الرسالة الأولى[1]

الأخ الحبيب أبا الجنيد البغدادي وإخوانه أجمعين ...... حفظهم الله ورعاهم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

أبتهل إلى الله – عز وجل – أن يكلاكم بعين رعايته، وأن يحفظكم بعنايته ، وأن يسوق إليكم الخير ويرضيكم به ، وأن يحبب إليكم الإيمان ويزينه في قلوبكم، ويكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان، وأن يجعلكم من الراشدين .

إخوتي الأحبة:

إن مهمتكم هي الوقوف بجانب هذا الجهاد حتى يقضي الله أمره بالنصر – إن شاء الله – أو يرزقكم الله الشهادة ، إذ أن الجهاد فريضة العمر ، وإذا نصرنا الله في أفغانستان فإن جبهتنا – إن شاء الله – ستكون في فلسطين أو الفلبين حيث يفتح الله علينا ، إذ أن فرض العين قائم في رقاب المسلمين حتى تحرر آخر بقعة كانت إسلامية في يوم من الأيام، وتعود إلى رحاب الإسلام، وترفرف عليها راية لا إله إلا الله من جديد، وهذه مهمة عظيمة لا يحملها إلا الأفذاذ من الرجال، لأنها أمانة كبيرة ميدانها الحياة كلها، ورحابها المعمورة بأسرها ، والمكلفون بها هم كل من خوطبوا (يا أيها الذين آمنوا) .

إن ثواب الجهاد عظيم، ومقام صاحبه رفيع، إذ أن: **(رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها) ، (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل يقام ليلها ويصام نهارها).**

أما القتال فثوابه أعظم (قيام ساعة في الصف خير من قيام ستين سنة) ، ومن مات مرابطا لم يختم على عمله، ونمي له عمله إلى يوم القيامة ، ومن مات مرابطا أو مهاجرا فهو شهيد، وأن له الجنة **(من وضع رجله في الركاب فاصلا فرقصته – ألقته – دابته أو لدغته هامة فمات، أو مات بأي حتف مات فهو شهيد وأن له الجنة).**

---

١ ـ نشرت في لهيب المعركة عدد (٢) ١ جمادى الأول عام ١٤٠٩هـ ـ الموافق: ١٠/١٢/١٩٨٨م

– إلى أمير المجاهدين العرب في فارياب.

{ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون} آل عمران: ١٥٧.

ولكن المسيرة مريرة، والدرب شائك، والطريق مفروش بالأشلاء، مروي بالدماء، لا يصبر عليه إلا الصابرون.

{أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب} (البقرة:٢١٤).

والصبر على هذا الدرب المرير، وتجرع الغصص عبر هذا المأزق الكئود يحتاج إلى توكل على الله، ومجاهدة النفس، وتقوية الصلة بالعلي الحكيم، من خلال النوافل، وقيام الليل، وصوم الإثنين والخميس، وكثرة الذكر، وتلاوة القرآن، و حفظ اللسان، ومراقبة الله -عز وجل- في السر والعلن، وحب المؤمنين، وتبييت النية على مواصلة الجهاد وطلب الاستشهاد، والتعاون مع المؤمنين على البر والتقوى، وموالاة أولياء الله، ومعاداة أعدائه، والاطلاع على الكتب الشرعية، والوقوف عند الأوامر الربانية.

والذنوب سبب الهزائم:

{إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم}

(آل عمران: ١٥٥).

أيها الإخوة المجاهدون، أيها الأحبة الأفغان، أيها الأحبة العرب، لقد شرفكم الله بحمل رسالته يوم أن تخلى الناس، وانتدبكم الله لحماية دينه بعد أن نكص الناس على أعقابهم، وبوأكم ذروة سنام الإسلام بعد أن غرق الناس في مستنقع آسن يبحثون عن لقمة الخبز، ومتاع قليل، ونزوة الجنس، وسعار الشهوة، فكونوا حيث تحبون أن يراكم الله.

قد أهلوك لأمر لو فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وهذه المهمة تحتاج إلى عزيمة عالية، وهمة عالية لا تعرف الكلل، ونفوس لا يشمت لها الملل:

وإذا كانت النفوس كبارا ... تعبت في مرادها الأجسام

يا أيها الإخوة الأحبة:

لم يبق على السفينة حتى ترسي شراعها على شاطىء الأمان في أفغانستان إلاغلوة -رمية سهم-، وقد لم نهار الجهاد في أفغانستان أذياله ليودعها إلى صقيع آخر إن شاءالله، فالنصر قريب.

{ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم} (الروم:٤-٥).

وحق الآن لنا ولجميع المسلمين أجمعين أن ينشدوا مع الشعب المجاهد الأفغاني:

سلوا عن سيرتي فرسي وسيفي ... ورمحي والهملعة الدقاقا
يكون لهم إذا غضبوا حساما ... والهيجاء حين تقوم ساقا
فلا تستنكرن له ابتساما ... إذا فهق المكر دما وضاقا
فقد ضمنت له المهج العوالي ... وحمل همة الخيل العتاقا
وإن نقع الصريخ إلى مكسان ... نصبن له مؤللة دقاقا
فكان الطعن بينهما جوابا ... وكان اللبث بينهما فواقا
تبيت رماحه فوق الهوادي ... وقد ضرب العجاج له رواقا

أيها الإخوة:

ركزوا على القرآن مع الأفغان، وخيركم من تعلم القرآن وعلمه، وكونوا خير إخوة لهم، واعلموا أنكم جنود لقادتهم، فلا تنازعوا الأمر أهله، ورحم الله امرأ عرف حده فوقف عنده ولتكونوا **{أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين}**.

وعليكم بحب بعضكم وطاعة أميركم العربي، ثم أميركم الأفغاني الذي هو أمير أميركم العربي، وليكن أميركم العربي -أبو الجنيد- صلة الوصل بينكم وبين قادة الأفغان، وإياكم والاجتهادات الفردية، فإن أكبر المصائب (هوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب كل

ذي رأي برأيه) . ونستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم عملكم .

أخوكم/عبد الله عزام

الرسالة الثانية[1]

إلى أمير سرية حمزة بن عبد المطلب في فارياب على حدود روسيا .

أخي الحبيب أبا الجنيد.. إخواننا الأحبة في سرية حمزة بن عبد المطلب حفظهم الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو، و وأصلي وأسلم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم سيد المجاهدين وقائد الغر الميامين، الذي بعث بين يد الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، والذي جعل الله رزقه تحت ظل رمحه، والذي نصر بالرعب مسيرة شهر، ورضي الله عن أصحابه البررة الأطهار الذين يتردد ذكرهم مع ذكره ما بقي الليل والنهار، والذين بذلوا الغالي والرخيص، والنفس والنفيس لنصرة دينه وإعلاء شريعته، والذين قال فيهم صلى الله عليه وسلم: **(لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه).**

ولقد مضوا بالأجر والنصر ، وكل من جاء بعدهم من التابعين بإحسان وإلى يوم الدين فمثل أجورهم يصل ذلك الرهط الكريم الذين نصروا هذا الدين، وأنشأوه واقعا عمليا في دنيا الناس، وترجموا القرآن والسنة سلوكا وأخلاقا، ونظاما وآدابا ، فكان الواحد منهم كأنه مصحف يمشي على الأرض، يراهم الناس فيرون القرآن متمثلا بشخوص من لحم ودم.

أيها الإخوة:

اعلموا أنكم طلائع أمة إسلامية عدادها ألف مليون مسلم، ورواد جيل قد أطبق الظلام عليه طويلا، وفرضت عليه القيود، وغلت أطرافه بالأصفاد، فأنتم وأمثالكم ممن يجددون للناس دينهم ، ويحيون الأمل في قلوبهم، ويجرون الدماء في عروقهم بعد أن جفت، وتبعثون الأمة من موات بعد أن استيأس الصالحون، واستوحش المخلصون، وقل النصير لهذا الدين، وخلا مدرج السالكين إلى درب رب العالمين إلا بقية ممن أنجى الله بعد أن اتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين .

فمسئوليتكم عظيمة، وتبعتكم ثقيلة، وأمانتكم غالية:

قد أهلوك لأمـــر لو فطنت لـــه ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

ولذا لا بد أن تدركوا الطريق الذي فيه تسلكون ، والجادة التي على صراطها تدرجون، والعبء الذي بحمله تضطلعون.

لقد بدأتم بأمر تخلت عنه الأمم، وسرتم في طريق تساقط على جوانبه القمم، ووفقكم الله لعمل لا يدانيه أي عمل من أعمال البر أو الخير، إنه ذروة سنام الإسلام، إنه الحصن الحصين الذي يأوي إليه هذا الدين، والركن الركين الذي يأرز إليه الإسلام

[لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز] (الحديد:٢٥)

فرب العزة أنزل الحديد من أجل نصرته ونصرة رسله، فلابد من الحديد والبأس الشديد لإعلاء كلمة الله وإقرار التوحيد في الأرض، ولقد جعل الله الجنة تحت ظلال السيوف، فالزموا هذا الطريق، فهو طريق الفردوس الذي سلكه النبيون والصديقون والشهداء والصالحون:

[وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين] آل عمران١٤٦-١٤٨.

---

١ ـ نشرت في لهيب المعركة العدد ٣٥ بتاريخ ١٤ جمادي الثانية ١٤٠٩هـ ـ الموافق: ١٩٨٩/١/٢١م.

لقد ارتقيتم مرتقى صعبا، وسلكتم طريقا شاقا مضنيا، ولذا فعندما جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعه على الهجرة فقال صلى الله عليه وسلم: (**ويحك إن أمر الهجرة شديد**) متفق عليه.

نعم إن أمر الهجرة شديد وشاق، إنه انسلاخ من الحياة بمتاعها وزخرفها، وتحطيم لأغلال الأرض وقيود الدنيا التي تشد المسلم إلى الأرض، وانطلاق من أرهاق الضرورة، وارتفاع من حضيض المستنقع الذي يغرق فيه كثير من الأنام .

اخي أبا الجنيد:

لقد استمعت إلى الشريط الذي أرسلتموه لنا، وكنت أصغي إليه أنا والشيخ عبد المجيد الزنداني والشيخ مصطفى مشهور، وكانت عينا الزنداني تذرفان وهو يستمع إلى أحوالكم وإنجازاتكم . وسننسخ منه نسخا نرسلها إلى المسلمين لعلهم يحسون بما يعانيه أبناء ملتهم ، وما يكابده إخوان دينهم وشريعتهم . سنحاول أن ندبر لكم طبيبا على الأقل، ونرسل إليكم الأدوات الطبية .

إخوتي الأحبة:

لقد ضرب الله مثلا بالشعب الأفغاني المسلم الذي آثر أن يسحق بين عجلات الدبابات، وتحت حمم الطائرات التي وصلت في الفترة الأخيرة طنين للقنبلة الواحدة، ولقد آثروا أن يدفنوا في حفر الصورايخ بكرامتهم من أن يعيشوا أمواتا وهم أحياء، ولقد بلغ وزن صاروخ سكود الذي يستعمله الشيوعيون خمسة أطنان ونصف، ويدمر دائرة قطرها كيلو مترا، ويحطم الزجاج في دائرة قطرها خمس كيلومترات و:

لا تحسبن المجـــــد زقا وقينـــــة فما المجد إلا السيف والفتكة البكر

لقد ضرب الشعب الأفغاني المثال الحي لكل شعب أراد أن يحطم القيود، أو ينفض غبار الذل عن رأسه مهما كانت القوى والأسلحة التي تدمره و:

إذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

ومن أراد أن يسلك هذا الطريق فلابد أن يعلم ضخامة التكاليف وفداحة الخسائر وأهوال هذه المسيرة .

ولا تستطيع النفس البشرية بطاقتها المحدودة، وإنسانيتها الفانية أن تواصل السير على هذا الطريق إلا بتوفيق الله وتسديده ، وإمداد العظيم وإرشاده .

{**واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون**} (الحجرات:٧).

واستعذاب العذاب، وتذوق الحلاوة في مرارة المعاناة إنما هو توفيق من الله، وبدون تأييد الله لا يستطيع المرء مواصلة الطريق ولا تحمل تكاليفه .

لقد أصبح الجهاد بحرا والمجاهدون هم سمكه، فلا حياة للسمك بدون ماء البحر، وكثير من المجاهدين الآن حائرون ماذا هم صانعون بعد النصر، ولا يمكن تصور حياة بدون جهاد

وكنت أصغي إلى شريطكم وتود روحي لو انفلتت من بين جنبيَّ لترافق مسيرتكم، وتحوم فوق الربوع التي فيها تجاهدون، علم الله أن نفسي ما عادت تطيق أن تعيش في بيشاور، ولولا التكاليف التي لا يقوم بها غيري ما أطقت أن أبقى هنا ، لقد تعلقت روحي بالجبهات وبالسلاح وبالنزال وبالقتال، وأما أنتم وأمثالكم فهنيئا لكم، ويحلو لي أن أردد لكم :

فدت نفسي ومـا ملكت يميني فــوارس صدقت فيهم ظنوني
فـوارس لا يهابـــون المنايـا إذا دارت رحى الحرب الزبـون

أيها الإخوة:

إذا أردتم مواصلة هذه المسيرة المريرة فعليكم بالإخلاص، وقيام الليل، وتلاوة القرآن، وصحبة الأخيار، وصوم الإثنين.

والخميس، وطاعة الأمير، وحسن الخلق مع إخوانكم، والمطالعة في السيرة النبوية وحياة الصحابة، [illegible] الذي رواه أحمد وأبوداود (**الغزو غزوان، فأما من غزا ابتغاء وجه الله تعالى، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد في الأرض فإن نومه ونبهه أجر كله، وأما من غزا فخرا ورياء وسمعة، وعصى الإمام، وأفسد في الأرض، فإنه لن يرجع بالكفاف**).

أيها الإخوة:

اعلموا أنكم تجاهدون مع شعب كريم أصيل، فاحفظوا له مقامه، وارعوا حق الله فيه، وقد أبى أن يحني هامته أو يذل لأعتى قوى الأرض، فكونوا لهم خير إخوة، واعلموا أنكم أهل هجرة وأهل نصرة، فأنتم مهاجرون وأنصار، ولكنهم أهل السابقة، وهم الذين فتحوا للعالم الإسلامي الطريق إلى هذه العبادة العظيمة (عبادة القتال وفريضة الجهاد)، فاحفظوا لهم هذه اليد لديكم ولدى العالم الإسلامي أجمع، فهم كمن بنى مسجدا لقوم حتى يقيموا فيه جمعتهم وجماعتهم، فمن الإساءة بمكان أن يأتي الناس المسجد ليغتابوا بانيه وينهشوا لحمه ويلمزوه ويتتبعوا عوراته ويتسقطوا هفواته، ورحم الله امرأً عرف حده فوقف عنده، فهم أهل البلاد أصلا، ونحن نزلنا ضيوفا عليهم، وللضيف آداب أن لا ينازع الأمر أهله، وأن لا يعكر عليهم صفوهم .

فأميركم دائما هو أمير الجبهة التي بها تنزلون .

ولا تقيسوا همتكم ونشاطكم بنشاطهم، فهم بدأو قبلكم بسنوات عشر، فإذا أمضيتم عشر سنوات في الجهاد فعندها يمكنكم المقارنة بين عزيمتهم وعزيمتكم، وشوقكم إلى الشهادة والقتال وحماسهم .

أيها الإخوة :

أكثروا من شكر الله على إنعامه عليكم بأن أوصلكم إلى أرض الجهاد، حيث يتصبب الأجر عليكم، أجرا إن أخلصت النية واستقام العمل، ولا يمرن على خواطركم لحظة أن لكم فضلا، فالفضل منه وإليه، ورحم الله شيخ الإسلام حيث كان يقول : (ليس مني شيء وليس لي شيء وليس فيَّ شيء).

{**فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**} الانفال١٧.

أخي الحبيب أبا الجنيد:

أوصيك بإخوانك خيرا، فارفق بهم، ولا تعرضهم إلى المهالك، كونوا في معارككم مع الأفغان، ولا تكونوا جميعا في الصف الأول، وعندها فمن كتب الله له الشهادة فهنيئا له برزق الله والجنة .

ووالله إن المحروم من وصل إلى أبواب الجنة ثم عاد من أبوابها، أو طرد ومنع من دخولها، فهنيئا لمن رزقه الله الشهادة، وزوجه اثنتين وسبعين حورية، وشفعه الله بسبعين من أهل بيته، إنها ذنوب فماذا يغسلها سوى الشهادة؟!

أبا الجنيد وإخوانه:

لا تنسو أنكم عرب مسلمون قدمتم لنصرة إخوانكم المجاهدين وإصلاح ذات بينهم، فإياكم أن تكونوا طرفا في أية قضية، بل كونوا مفاتيح للخير مغاليق للشر، وفي الحديث الحسن الذي رواه ابن ماجه: (**إن من الناس ناسا مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس ناسا مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعله الله مفاتيح الخير في يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه**) .

وذكروا الإخوة المجاهدين بأخوة الإسلام التي تجمع بينهم، والتي تحرم عليهم دماءهم وأموالهم وأعراضهم، فلا تحل غيبتهم، ولا يجوز أن ينم أحد على أحد، ولا يسخر منه، ولا يظن به إلا خيرا، وفي الحديث الصحيح: (**قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا**) رواه النسائي

وفي الحديث الصحيح الآخر الذي رواه الترمذي والنسائي:

(يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده، وأوداجه تشخب دما، فيقول يا رب سل هذا فيم قتلني؟ حتى يدنيه من العرش).

وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي:

(لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لكبهم الله -عز وجل- في النار).

وحذروهم من الغلول، ففي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري:

(كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة، فمات، فقال صلى الله عليه وسلم هو في النار، فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها).

وفي الصحيحين (**بينما مدعم -غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم- إذا سهم عائر (لا يدرى من رماه) فقتله، فقال الناس هنيئا له الجنة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (كلا، والذي نفسي بيده إن الشملة [1] التي أخذها يوم خيبر من الغنائم لم تصبها المغانم تشتعل عليه نارا)** .

فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: **(شراك [2] من نار أو شراكان من نار)** .

وأعلمهم: أن أكل الطعام من الغنائم ليس غلولا، ففي البخاري **(كنا نصيب في مغازينا العسل والعنب فنأكله ولا ترفعه)** وهذا محل اتفاق الفقهاء الأربعة على جواز الأكل من طعام الغنائم قبل القسمة، ولا يشترط استئذان الأمير في أكل الطعام من الغنائم، ويجوز ركوب الدواب ولبس الثياب واستعمال السلاح من الغنائم دون إذن -عند الحاجة- ثم يرجعوها.

قتل الشيوعي:

وأخبرهم أن قتل الشيوعي الأسير وإن تاب جائز، وهذا راجع إلى الإمام، لأن الشيوعي زنديق ويجوز قتله تاب أم لم يتب .

وأمر الأسير راجع إلى الأمير: إن شاء أطلقه، وإن شاء فاداه أو بادله بغيره من الأسرى .

وأما قتل الجاسوس الشيوعي:

فجائز باتفاق الأئمة الأربعة، أما قتل الجاسوس المسلم فيرجع أمره إلى الأمير، فإن كانت المصلحة في قتله يقتل اعتمادا على رأي الإمام مالك وابن القيم، وإن كانت المصلحة في تركه فيترك حسب رأي الأئمة الثلاثة .

هديه صلى الله عليه وسلم في تقسيم الغنائم:

وكان صلى الله عليه وسلم إذا أظفر بعدوه أمر مناديا فجمع الغنائم كلها، فبدأ بالأسلاب **(من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه)** فأعطاها لأهلها، ثم أخرج خمس الباقي فوضعه حيث أراه الله، ثم يرضخ من الباقي لمن لا سهم له من النساء والصبيان والعبيد، ثم قسم الباقي بالسوية بين الجيش، والرضخ: إعطاء قسم للأولاد الصغار دون مقدار السهم.

وكان ينفل من صلب الغنيمة بحسب ما يراه من المصلحة (والنفل تخصيص بعض المجاهدين بزيادة عن سهمه بسبب بلائه في الحرب أو عمله عملا جليلا).

أخي أبا الجنيد:

سلامي إلى روحكم الطاهرة، وإلى إخوانكم جميعا، وآمل أن لا تنسونا من الدعاء بالاسم، وأوصوا المجاهدين أن يدعوا لي

---

(١) الشملة : الإزار (٢) الشراك . رباط الحذاء .

باسمي، وسلامي إلى كل القادة عندكم، ابتداء من مولوي محمد يوسف، وعبد الكريم، وانجنير نسيم، وعلاء الدين، وجميع الإخوة المجاهدين عندكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ونستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم عملكم .

أخوكم / عبد الله عزام

٨/٦/١٤٠٩هـ ١٥/١/١٩٨٩م

الرسالة التي وجهها الدكتور عبدالله عزام

إلى الأخ / أحمد شاه مسعود (أسد الشمال) بعد عودته من شمال أفغانستان

الأخ /الحبيب أحمد شاه مسعود حفظه الله ورعاه....

أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، وأصلي وأسلم على نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

أيها الأخ العزيز: لقد من الله عليك بتوفيق لم يحظ غيرك به إلا القليل، ولقد كان التأييد الرباني والتسديد الصمداني الذي واكب مسيرتك وحالف جادتك طيلة السنوات الماضية التي قاربت عقدا ونصف أكبر دافع لك أن تشكر نعماءه وأن تذكر آلاءه، (وليس منك وليس لك شيء) إنما هو من الله وإلى الله:

(ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون) هود: ١٢٣

(قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون، سيقولون لله قل فأنى تسحرون) المؤمنون: ٨٦-٨٩.

(إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) يس: ٨٢.

أخي الحبيب:

إن لله سننا وقوانين تجري على خلقه أودعها الله -عز وجل- في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، وهذه القوانين لا تتخلف ولا تتبدل، ومن هذه القوانين:

(إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) محمد:٧.

ومن هذه القوانين كذلك:

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) الأنفال: ٦٠.

فالإعداد يؤدي إلى رهبة العدو، وقد أخذت من هذه القوانين بطرف، فأعطاك الله ثمار هذا الاتباع .

لقد أعددت فرهبك أعداؤك، وهذا فضل من الله ونعمة، ومن هذه القوانين:

(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) الأنفال:٤٦.

فلا بد من الانتباه إلى هذا القانون، خاصة ونحن على أبواب كابل ننتظر النصر أن يتنزل من عند رب العالمين، فحاول ما استطعت أن تنسق مع إخوانك، وأن تلتقي معهم على قاعدة مشتركة، وإياكم من الاختلاف الذي يؤدي إلى ضياع ثمار جهادكم، وذهاب قوتكم، وتشتت شأنكم وجمعكم : وإياك إياك من الانفراد بحل القضية، أو الاستئثار بفتح كابل، أو التفرد بالغنائم، فهذا يورث العداوة، ويجعل البلد كلها على فوهة بركان، وإن إخوانك يرون أنك قد غبنتهم حقهم، وبغيت عليهم، وإنما يكثر الخلاف على الغنائم

(١) من أكبر قادة الجمعية الإسلامية على الاطلاق (الشيخ رباني).

بعد النصر، (والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تفتح عليكم الدنيا).

وإنما يكثر التحاسد والتباغض والتنافس عندما يكثر المال، ويفيض الخير، وتسيل الغنائم، وإذا كان أهل بدر قد اختلفوا على الغنائم فما بالك بقومك الذين لم يحظوا بقسط وافر من التربية ولم يجدوا اليد الحانية الراعية المعلمة لهم؟!

قال عبادة ابن الصامت رضي الله عنه (نزلت فينا أصحاب بدر حين اختلفنا وساءت أخلاقنا، فنزع الله الأنفال من أيدينا وجعلها لرسول الله ﷺ فقسمها على بواء - يعني السواء -)(١).

أخي العزيز :

لقد كان للزيارة التي قمنا بها إليك أطيب الأثر وأعمقه في قلوبنا ولقد تركت في أغوار نفوسنا ارتياحا كبيرا، وفي صدورنا انشراحا عظيما.

ولقد وقفنا على آثار جهادكم المبارك في بنجشير خاصة، فأدركنا الجهد الكبير والعناء العظيم الذي كابدتموه في مواجهة الروس، وما كان إذلال روسيا وهزيمتها إلا بفضل الله العظيم ثم بأمثال هذه الجهود الضخمة التي بذلت منكم ومن إخوانكم المجاهدين في أنحاء أفغانستان كلها.

فما اقتربتم من النصر إلا على بحور الدماء، وما ارتفعتم إلى قمة المجد إلا على تلال الأشلاء وجبال الجثث والجماجم والشهداء.

ولا يبني الممالك كالضحايـــــا ... ولا يدني الحقـــوق ولا يحـــق

ففي القتلى لأجــيال حيــــــاة ... وفي الأسرى فدى لهم وعتـــق

وللحرية الحمـــــــراء بـــــاب ... بكل يـــد مضـــرجة يـــــــدق

أخي الحبيب:

وكان من أعمق ما رأيت أثرا في نفسي تلك الفئة الطيبه التي جمعتها حولك، والصفوة الفاضلة التي أوكلت إليها كثيرا من أعمالك مثل أرينبور وسارنوال محمود، ووكيل بسم الله، وسيد يحيى ومسلم وقبلهم بانا وجادا، ود.عبدالله ود.عبد الرحمن، وأمير مجاهد وسرمعلم طارق وإكرام الدين، والكثيرين ممن رأيت حولك وتعلق القلب بهم، ولا يتسع المجال لسرد أسمائهم كل واحد باسمه، ولا أنسى شاه محمد والي طالقان، وتاج الدين حارسك.

أخانا العزيز :

نوصيك أيها الأخ الحبيب بتقوى الله، وتلاوة القرآن، وحب الصالحين، وحفظ اللسان، والصبر على إخوانك، ودع أذاهم، ونوصيك بحسن الظن بالمسلمين، وبالإخلاص لله في كل حركة وكلمة وضربة وتقدم، ونوصيك بقيام الليل، وصيام الإثنين والخميس، وكثرة الذكر، ولا تنس أيها الأخ العزيز الهدف الذي قمتم من أجله منذ اليوم الأول، ولقد ذكرت لي وأشهدت الله على قولك (أنكم ما قمتم إلا لله -عز وجل- ومن أجل نصرة الإسلام، ورفع راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وذكرت أننا ما قمنا حتى لتحرير أفغانستان، ما قمنا إلا لله ولدينه، ثم ذكرت أننا لو قمنا لغير الله ما استطعنا أن نبذل هذه التضحيات ولا أن نحتمل هذه الخسائر). فليبق الهدف - الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا - نصب عينيك، وإياك إياك أن تتجاوز الهدف أو تتنازل عنه وأنت ترى بعض المتسابقين على الدنيا:

(فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون).

ولا يحملنك ارتكاب الآخرين لمخالفات شرعية أو لتجاوزهم لأوامر ربانية أن تفعل كما فعلوا، ولا يحدثن هذا عندك رد فعل فتقابل السيئة بالسيئة وتتنازل عن مبادئك، فإن الله لا يمحو السيء بالسيء، ولكن يمحو السيء بالحسن، ولكن وطنوا أنفسكم إن احسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا إن تجتنبوا إساءتهم.

إني لأعلم صعوبة الموقف في داخل أفغانستان وفي مثل هذه الظروف، والكل يحمل السلاح بيده، ولكنك قد صبرت عشر

(١) رواه الامام احمد وهو صحيح.

سنوات فليكن فوقها عشرة أشهر .

إن هذا الجهاد الإسلامي قد قام منذ اليوم الأول لإقامة دولة إسلامية، وهذا هو الصواب الشرعي الذي يجب أن تنصب له جهود المسلمين عامة وجهود الجهاد الأفغاني خاصة، لأن الله -عز وجل- يقول:

(وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون) المائدة: ٤٩.

يقول عز من قائل:

(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) النساء: ٦٥

ولقد أجمع الصحابة على وجوب تنصيب الخليفة أو رئيس الدولة الإسلامية، حتى أنهم قدموه على دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واعلم أيها الأخ الحبيب:

أنه لا بد للناس من حاكم يحفظ الثغور، وينفذ الحدود، ويرتب السرايا والجنود، ويقسم المغانم والفيء، ويحفظ أموال الناس ودماءهم وأعراضهم حسب الشريعة الإسلامية، وإقامة العدل، لأن إنزال الكتب وإرسال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ما كان إلا لإقامة القسط.

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) الحديد: ٢٥.

بل ما خلقت السموات والأرض إلا بالحق ولإقامة الحق، ولقد قال شيخ الإسلام: (إن دولة الكفر العادلة تعمر وتبقى أكثر من الدولة الإسلامية الظالمة) .

ولقد حذر الله -عز وجل- من البغي والظلم، وإن انفراد أي قائد بمحاولة إقامة دولة إسلامية فانه ولو فرض جدلا أنه نجح في إقامتها فإن هذا افتراء على الآخرين وتعدياً عليهم. فهنالك قادة كثيرون بذلوا الغالي والرخيص والنفس والنفيس من أجل حماية المستضعفين في الأرض في أفغانستان.

(وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) النساء: ٧٥

وكذلك هنالك العلماء وأبناء الحركة الإسلامية الذين صبوا جهودهم ودفعوا كل ما يملكون من أجل رؤية دين الله منتصرا في أفغانستان.

واعلم أيها الأخ الحبيب:

أن أقصر الطرق للوصول إلى إقامة دين الله في الأرض هو التنسيق بين الإخوة المجاهدين لدخول كابل، وتأمين أعراض الناس وأموالهم ودمائهم وعدم ترويعهم.

فحاول ما استطعت، وابذل غاية جهدك في الوصول إلى حل مشترك بين القادة الذين يؤمل فيهم الخير، ويملكون من وسائل القوة ما يستطيعون أن يسهموا به في إسقاط الحكم الكافر الشيوعي وإقامة الشرع الإسلامي مكانه .

ونحن ننصح أخانا الحبيب أحمد شاه أن يطيع أمير الدولة فيما لو التقى أهل الحل والعقد على رجل منهم ونصبوه رئيسا للدولة الإسلامية، ونحن نحب لكم أن تضربوا المثال الرائع الحي في تجسيد أخلاق المجاهد الحق الذي قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، والذي لا يقدم أهواءه على الشرع الحنيف، وضع نصب عينيك تلك الكلمة الخالدة التي سطرت في جبين الزمن والتي أطلقها سيف الله المسلول خالد: (أنا لا أقاتل من أجل عمر)، وإذا فشل العلماء والعقلاء والمجاهدون أن يصلوا إلى اختيار ثقة من بينهم

ليكون أميراً للمؤمنين وحارسا أمينا للشرع الحكيم فعندها يأتي دور القادة أمثالك أن يتعاونوا وينسقوا من أجل الإطاحة بنظام كابل ثم إقامة شرع الله في أفغانستان.

وإذا بذل القادة المخلصون جهودهم للتعاون والتنسيق فيما بينهم، ثم فشلوا بعد ذلك، وفشل القادة بعدها في إسقاط الحكم الشيوعي، فهنا لابد من الانتظار فترة معقولة، ثم استفتاء العلماء في أمر الإقدام على إسقاط الحكم الشيوعي، وإقامة دين الله في الأرض، الذي ترنو إليه عيون المسلمين في المعمورة، وتهفو إليه قلوبهم، وتتطلع إليه نفوسهم .

أيها الأخ الحبيب:

عليك أن تصبر إخوانك المجاهدين من حولك ومن تليق عليهم من مغبة الولوغ في دماء المسلمين وتلويث الذمة بتجيمهم .

ففي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي والنسائي: **(لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم)** .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: **(من حمل علينا السلاح فليس منا ، ومن غشنا فليس منا)**.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أبوداود وابن حبان والحاكم وصححه ووافقه الذهبي:

(كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركا أو قتل مؤمنا متعمدا).

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري:

(لايزال العبد في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما)، وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي: **(لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لكبهم الله -عز وجل- في النار)**.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود:

(من قتل مؤمنا فاعتبط بقتله لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا).

ومعنى لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا: لا يقبل الله منه فريضة ولا نافلة .

وحذر إخوانك من الغلول، ففي صحيح البخاري عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: **(كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فمات، فقال صلى الله عليه وسلم لي: هو في النار، فذهبوا ينظرون فوجدوا عباءة قد غلها)**.

وفي صحيح البخاري:

(أن «مدعما» -غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم - قتل وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الناس هنيئا له الجنة، فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريكم: أن الشملة التي غلها يوم خيبر لتشتعل عليه نارا).

وأعلمْهم: أن الأكل من طعام الغنيمة ليس غلولا، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: **(كنا نصيب في مغازينا العسل والعنب فنأكله ولانرفعه)** (١)

أخي الكريم :

إن قلوب العالم كله متعلقة بكم، وكل عيون المسلمين في الأرض ترنو إليكم، ونفوسهم تهفو اليكم، ولقد أمسك التاريخ قلمه والتقط أنفاسه وينتظر ماذا يسجل بعد هذه المآثر التي أشرقت بها صفحاته، والتضحيات الجليلة التي توجت وتابعت تليده (قديمه)، وإن عجلة التاريخ الآن تقف على مفرق طريق تنتظر أين تدفعها أيديكم، لقد كان الجهاد الأفغاني نداء القرون، وصوت الملايين المعبر عن آلامهم، والناطق بآهاتهم، والمجسد لآمالهم، والمواسي لأحزانهم.

ادفعوا عجلة التاريخ نحو الحق والإسلام، وواصلوا زحف جنود الله لرفع راية الإيمان، ولعل الله يقيم في أفغانستان شريعته، ويعلي رايته بعد هذا النصر المبين الذي من به رب العالمين عليكم، (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز

(١) رواه البخاري.

الرحيم) وتوصيك بمواصلة تربية جندك وتدريبهم ورفع مستواهم الإيماني والعسكري والثقافي، ونستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم عملكم .

أخوكم / عبدالله عزام
الأربعاء في الثاني عشـــر من جمادي الآخر سنة ١٤٠٩هـ
الموافق للخامس والعشـــرين من كانون الثاني سنة ١٩٨٩م

رسالة إلى أنصار الجهاد الأفغاني

أخي الحبيب :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أبتهل إلى الله أن يجعل ما تعمله لصالح الجهاد الأفغاني في ميزانك يوم القيامة، وأن يرزقنا وإياك الإخلاص والاستقامة ، وأن يحبب إلينا الإيمان ويزينه في قلوبنا، وأن يكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، وأن يجعلنا من الراشدين .

ولقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (الدال على الخير كفاعله)، فهنيئا لمن جعله الله مفتاحا للخير ومغلاقا للشر، وتعس امرئ نكس على وجهه ومشى القهقرى وصار مفتاحاً للشر .

أيها الأخ الحبيب :

إنه عار على أمة أن يكون بعض بنيها يكتبون تاريخها بالدم ومع ذلك لا تقدم لهم الأمة قيمة الضمادات التي توقف نزيفهم، من الإثم على أهل ملة أن يكون إخوانهم درعا لدينهم ودثارا لملتهم وشعارا لعزتهم ومع هذا فإن أبناء ملتهم لا يقدمون لهم ثمن الطعام، ولا يوفون لهم بقطعة الكساء التي تستر عوارتهم وتقيهم شر القر والحر، وبلقمة الغذاء التي تملأ بطونهم، وتعينهم على القيام على أقدامهم .

ولقد مر عليّ شاه سليمان من بنجشير شاب في نضارة الشباب وفورة في الحماس وقد أسقط خمس طائرات في يوم واحد وبالروايات الصحيحة وأصيب في الجهاد، ومع هذا مرّ يطلب ثمن الدواء وأجرة الطريق إلى الطبيب فلا يجد يدا حانية تدفع، ولا عينا صادقة تدمع إلا من رحم الله وقليل ما هم .

فكم من الأرجل قد قطعت لأنها لا تجد الحذاء الذي يقيها عضة الثلج ؟

كم من المجاهدين يبارون ماء المزن طهارة وصفاء تجمدوا فوق الجبال لأنهم لا يجدون غطاء يحميهم من الثلوج التي تأبى الذوبان في ذرى الجبال معظم العام ؟

وكم من أيم قتل زوجها، وثاكل فقدت وحيدها باتت طاوية لا تجد من يتفقدها ليؤنس وحشتها ويسد جوعتها؟

ماذا على المسلمين لو دفع كل واحد منهم لإعادة بناء دين الله في الأرض من جديد قدر مصروف ابنته الصغيرة في الابتدائية؟

ماذا على المسلم لو حسب الجهاد الأفغاني كطفل من أطفاله، وكأحد أبنائه، وحسب له نفقة كفرد من عائلته ؟

ماذا على المسلمين لو أخروا عاما واحدا تغيير نوع السيارة التي يركبونها ؟ أو تجديد غرف النوم أو طاقم صالة الضيوف التي بها يستقبلون ضيوفهم، وقد يلجها والج في الأسبوع مرة بل في الشهر مرة أحيانا ؟

ماذا على المسلم لو اكتفى بثياب السنة الماضية وجعل ثمن البزة الجديدة ليكتسي بها يوم القيامة ثياب سندس وإستبرق ؟

هلا اكتفى المسلم بحذائين في السنة أو بثوبين في العام وجعل البقية في الميزان الذي لا يخس شعيرة ولا تظلم فيه نفس شيئا؟

تموت الأسد في الميدان جوعا ولحم الضأن تأكله الكلاب

أيها الأخ الحبيب :

إن آلوف المسلمين الذين تهمهم قضايا العالم الإسلامي تناطح السحاب عزة، وتباري الجوزاء شموخا وتيها وفخرا بأخبار قوم دفعوا الغالي والرخيص والنفس والنفيس في سبيل الله، محافظة على دينهم، وصيانة لأعراضهم، وحماية لمجدهم .

لا أبعد الله عن عيني غطارفة　　جنا إذا ركبوا إنسا إذا نزلوا

إن الناس يسمعون كل يوم على شاشة التلفاز أو من خلال أجهزة البث المتطورة والمسموعة والمقروءة ما يثلج الصدر ويريح القلب، ولكن أيمد أحدهم يده إلى جيبه ليخرج مصروف يوم في الأسبوع يساهم فيه لتأسيس قواعد المجتمع الإسلامي؟!

إن الصحف لتكتب يوميا عن تنازل الدب الروسي من كبريائه وشموخه المتورم، ونزوله على رغبة المجاهدين بعد أن جثا على ركبتيه، وانهزم ذليلا كليلا حسيرا ، ونصر الله عبده وهزم الأحزاب وحده .

أبى الله الشم الأنوف كأنهم　　وارم يجلوها بكابل صقيل

ولكنهم ينتشون فرحا ويكادون يطيرون نشوة، أيسألون أنفسهم كم من الأعين الباكية من خشية الله في أعماق الخنادق ندت من آماقها ؟

كم من الأرجل المتوضئة طارت مع شظايا الألغام وهي تقتحم جحور الكفار؟

كم من الأيتام خلفوا على أثر كل اقتحام ؟

فإني قد طويت وطار شوقي　　طراد الخيل عارضة الرماح

أيها الأخ الحبيب :

إن حاجات المجاهدين قد تضاعفت باشتداد المعركة واضطرام لهيبها ، وعلم الله أننا صرنا نستحي أن نقابل كثيرا من المجاهدين وهم يطلبون البطانيات التي تقيهم من شر البرد ، وصرنا نتوارى خجلا من طلبات المجاهدين التي تراها ضرورية ملحة ولا نستطيع أن نلبي بعضها مع أنهم حول المدن يربضون كأسد الشرى وقد خرجت تطلب فرائسها بعد أن عضها الجوع بنابه .

كأن الظبا معا لزمن أكفهم　　مخالبهم أو من فيهم جوارح

كفالة الأيتام :

لقد أعار المسلمون بعض الاهتمام لكفالة الأيتام، وهذا عمل جليل ذو ثواب جزيل (**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بأصبعيه**) في الصحيحين. ولكن المسلمين قد أعطوا كشحا وضربوا صفحا عن المجاهدين الذين يصنعون تاريخ هذه الأمة من جديد، وكأن الشاعر يتألق بذكرهم ويتغنى بمدحهم:

ويعطي القنا الخطي في الحرب حقه　　ويبري بحد السيف عرض المناكب

فلماذا غل كف البذل؟:

أعلى أبواب التمصر غلت الأيدي، وكفت أكف الندى، وقدر العطاء وقل السخاء؟ وطبيعة النفس خلاف ما جرى، فالنفس إذا ترى بوارق الأمل، وتلمح رؤوس البيض والأسل فإنها تزيد في العطاء أملا بمردود الثمر والجناء، وطمعا في الحصاد الطيب وعطر الثناء .

ألم يعد الله عز وجل أن يثيب على الدرهم في سبيل الله بسبعمائة درهم:

{مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم} (البقرة:٢٦١)؟

ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا وتصديقا بوعده فإن شبعه وريه وروثه في ميزانه يوم القيامة)، (وإن فرسه ليستن بطوله[1] وتكتب له الحسنات) .

أخي ناصر الجهاد وحبيب الجلاد وناصر المجاهدين - بإذن الله - اصبر قليلا فالنصر صبر ساعة ، لا تدعنا على أبواب كابل وتنكص عنا، فقد تفوتك مشاركة المؤمنين فرحة النصر لدين الله .

أخي الكريم :

ألم تعلم أن الطريق الموصل من روسيا إلى كابل من حيرتان على نهر جيحون في ولاية بلخ حتى خير خانه - الجزء الشمالي من كابل - بيد المجاهدين ، وأنه لا تدخل شاحنة قمح إلى كابل إلا بإذن المجاهدين، وعندما أنت كابل تحت وطأة الجوع وثقل الفاقة حتى نقع صراخ الناس في كابل سمح المجاهدون للشاحنات التي تحمل الغذاء دون السلاح أن تمر من سالنج ولكن تحت أعلام الأمم المتحدة، ونكست روسيا أعلامها، وأشرعت أعلام الأمم المتحدة لتدخل بعض الغذاء . ألم تعلم يا أخي بضربيات قندهار وفتوح طالقان ، وزحوف بدخشان ، وأسود بنجشير ، وليوث كابل ويغمان ؟

أخي الحبيب :

لا تخذلنا في نهاية الطريق:

{يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون} آل عمران:٢٠٠.

أخوكم/الدكتورعبدالله عزام

رسالة إلى أمير المجاهدين العرب في شكردرة (كابل)[2]

أخي الحبيب أبا على المالكي وإخواني الأحبة ممن يشاركونه مسيرة الجهاد في شكردرا (كابل) السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

أرجو الله أن يتقبل جهادكم ورباطكم وهجرتكم وإعدادكم ، وأدعو الله عز وجل أن يرزقنا وإياكم الاخلاص والاستقامة وأن يلهمنا السداد والرشاد، وأن يوفقنا لخير الدين والدنيا والآخرة إنه سميع قريب مجيب .

أخي الحبيب :

ما كنت أعلم أنكم رغم صغر سنكم وقلة تجاربكم وندرة تنقلكم أنكم ستحققون هذا الخير الكبير، وتصبرون هذا الصبر الطويل، ولولا توفيق الله وتأييده ما كنتم تستطيعون الصبر على هذا الشعب مع اختلاف العادات واللغة والبيئة وتباين المسافة والزمن:

{ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم} (النور:٢١).

{ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون } الحجرات:٧.

إن نعمة الرباط فضل عظيم يمن الله به على من يشاء من عباده ، كيف لا واليوم بألف يوم ، وخير من صيام شهر وقيامه ، ومن مات مرابطا لم يختم على عمله، وأمن الفتان، وأعماله تضاعف ، وأجر الهجرة عظيم: (من وضع رجله في الركاب فاصلا فرقصته دابته أو لدغته هامة فمات ، أو مات بأي حتف مات فهو شهيد وإن له الجنة)[3].

واعلم أن القدرة على الاختلاط بالناس والصبر على أذاهم منة كبرى يتفضل الله بها على من اصطفاهم من عباده لحمل دعوته ونشر دينه:(المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم) [4].

وكذلك اعلم على أن الذي استطاع أن يعيش مع أحزاب مختلفة دون أن يتحيز أو يتعصب فهذه نعمة كبرى من الله عز وجل،

١ـ نشرت في لهيب المعركة عدد (٥٤) بتاريخ ٢٩ شوال ١٤٠٩هـ ـ الموافق: ٣ يونيو ١٩٨٩م.

٢ ـ يستن بطوله . يلعب بحبله . ٣- (حديث صحيح) ٤-(حديث صحيح)

فإذا ساق الله على يديه الإصلاح بينهم، وساق الله على يديه إصلاح ذات البين فهو خير من الصلاة والزكاة ، لأن (**فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين**) .

والحق أن الجميع مسرور منكم لما يرى من سهولة تحرك العربي في شكردرا، مع حبهم له وتقديرهم الكبير لجهوده ، ولقد وفقكم الله في مكان ليس فيه خلاف، وألقى عليكم الصبر فأحبكم الناس واحتفوا بكم .

إخواني الأحبة :

إن الله ليفجر بالإخلاص طاقات النفس البشرية ، ويعطيها دفعة قوية إلى الإمام، ويحبب القلوب بالمخلص، ويفتح له آفاقا، ويدفع عنه في الضراء

{إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا} مريم:٩٦ أي محبة في قلوب الناس.

{إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور} الحج٣٨

فعليكم بالإخلاص والصدق، وإياكم والرياء، ولا تحرصوا على مدح الناس وثنائهم، خذوا بالأسباب واتركوا البقية لله عز وجل، وعليكم بذكر الله (لايزال لسانك رطبا بذكر الله)، وإذا اشتدت الكروب ففتشوا في أنفسكم عن العيوب لأنها نتاج الذنوب **{واستعينوا بالصبر والصلاة}** ، واحفظوا السنتكم ، وأحبوا إخوانكم، وعليكم بالإيثار، آثروهم على أنفسكم بالراحة والطعام والمنام ، وأحبوا لله وأبغضوا لله، وأعطوا لله وامنعوا لله، بذلك تنال ولاية الله، ولاتنال ولاية الله، إلا بذلك .

وإذا كثرت المشاكل فأصلحوا أنفسكم، وتصدقوا، واذكروا الله، والجأوا إلى الصلاة، واستعينوا بالذكر والإخلاص .

أخي الحبيب :

إعلم أننا أرسلنا إلى الولاية شبابا نظنهم على خلق ودين وسلمناهم الإمارة، فسلمنا إمارة ولاية كابل للأخ أبي الحسن المدني وهو أمير الولايات الشمالية ، وأما الأخ عبد الله أنس فهو أمير بروان ، وأما الأخ أبو هاجر فهو أمير كابيسا ، ولذا فأنت مرتبط بالأخ ابي الحسن المدني ، وهو نعم الأخ والمعين والمصاحب والمسؤول ، نوصيكم بطاعته وإعانته على جهوده،

{وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان} المائدة:٧

{وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين} الانفال:٤٦.

وكن رفيقا بإخوانك، ولا تزجوا بهم في المخاطر، وليكن العرب ذوي عدد قليل بين جمع غفير من الأفغان أثناء الهجوم والمعارك، لأنكم ملح الطعام، فالأفغان هم الطعام وأنتم ملحه .

عليكم بجلسات القرآن الصباحية، اقرأوا كل يوم جزءًا ، وبصيام الإثنين والخميس ، واقرأ لهم من رياض الصالحين ومن حياة الصحابة بعد الصلوات ، ولو لعشر دقائق ، وناموا مبكرين ، واعتنوا بأسلحتكم، وارفعوا كفاءتكم العسكرية بالتدريب والقتال .

أما بالنسبة للمجاهدين الأفغان فقد عرفتموهم قوم ذوو بأس وشكيمة ، وصلابة وعزة، ومروءة وحياء، وغيرة وكرم ، فاستنبوا من هذه الصفات، وهذبوا أنفسكم بالعلم الشرعي والقرآن الكريم والأخلاق الإسلامية (الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) .

ولقد تكالبت الدنيا عليهم الآن يريدون الحيلولة بين المجاهدين الصادقين وبين الوصول إلى تحكيم شرع الله في الحياة **{والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون}** .

وأعداء الله من كل جانب يفكرون ويخططون ليل نهار يبحثون عن السبل التي يمكنهم بها أن يقطعوا أواصر هذا الجهاد بالعالم الإسلامي ، فيثيرون في هذه الفترة فتنة الوهابية ليوغروا صدور الأميين من هذا الشعب، ويثيرون حفيظتهم على العرب المهاجرين المرابطين الذين تركوا الدنيا بما فيها وأقبلوا على الله طمعا بالجنة، وحبا بالثواب إرضاء لله وابتغاء رضوانه .

والعالم الغربي الآن يعزف على آخر نغمة سولت بها إليهم شياطينهم وهي (**المرتزقة العرب**) .

فانتبهوا إلى المزالق التي في طريقكم، وإياكم والمصائد التي تنصب لكم لتقعوا في شباكهم وتسقطوا في حبالهم ، وبصروا

الشعب الأفغاني بمواطن الخطر وبأبعاد المؤامرة العالمية ، إنهم يريدون أن يعيدوا معنى الجهاد الإسلامي العالمي الذي انبعث من أفغانستان إلى قوم مسلمين من أهل الجبال بين جيحون وبين نهر كابل ، إنهم يريدون إعادة الجهاد الإسلامي العالمي في أفغانستان إلى قتال أفغان ضد أفغان فقط ويسمونها حربا أهلية .

واعلموا أن المعركة الكبرى ستكون في البقاع التي أنتم فيها، فمعركة إسقاط النظام نهائيا هي معركة كابل ، وأنتم ستكونون جزءًا مهما من المعركة، ولعل الأخ نور الدين قد وصل إليكم من جهتنا، فنأمل أن تستفيدوا منه خيراً كثيراً وعلماً غزيراً وشجاعة وإقداماً، فنرجو الله أن يرزقه الإخلاص وأن ينفع به الناس .

لستم بحاجة إلى توصية لإظهار الاحترام العميق للمذهب الحنفي الذي يتبعه الأفغان، فهذه وصيتنا لكم منذ الخطوات الأولى في الطريق، وهذا جزء من ديننا، وأنا أعلم أنكم من أتباع المذهب المالكي، لكن لابد في هذه المرحلة وأنتم تعيشون بين الأفغان أن تصلوا حسب المذهب الحنفي، وهذه فتاوي شيخ الإسلام والإمام أحمد ومالك والشيخ الألباني بوجوب ترك هيئات الصلاة المخالفة للمذهب الحنفي إذا كان الإمام حنفيا .

يقول شيخ الإسلام (مدار الشريعة على أن الواجب تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فإذا تعارضت كان تحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، ودفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما هو المشروع) [1].

وهذه قاعدة عامة يقررها الإمام ابن تيمية، وهو يفصلها بعد ذلك ويضرب لها أمثلة عملية كبيرة تجدها في ثنايا مجموع الفتاوي، ونقتطف بعضها ليزداد الأمر وضوحا وبياناً.

ففي إجابة على سؤال حول صلاة الإمام بقوم يستحبون الجهر بالبسملة وهو لا يرى الجهر بها، أو لا يقنتون في الصلاة ومذهبه القنوت، وغير ذلك من المسائل أن المسلك الرشيد تركه لما يراه صحيحا تأليفا لقلوبهم ... فيقول الإمام ابن تيمية (وقد استحب أحمد أيضا لمن صلى بقوم لا يقنتون في الوتر وأرادوا من الإمام أن لا يقنت لتأليفهم فقد استحب ترك الأفضل لتأليفهم ...)، ثم قال عن الجهر بالبسملة: (ويستحب أيضا الجهر بها إذا كان المأمومون يختارون الجهر لتأليفهم ... وهذا كله يرجع إلى أصل جامع وهو أن المفضول قد يصير فاضلا لمصلحة راجحة) [2] .

وفي موضع آخر يتكلم عن بعض هيئات الصلاة ومستحباتها إذا اقتضت مصلحة التأليف تركها فقـــــــال : (ويستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف القلوب بترك هذه المستحبات، لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا، كما ترك النبي صلى الله عليه وسلم تغيير بناء – أي الكعبة – لما في إبقائه من تأليف القلوب، وكما أنكر ابن مسعود على عثمان إتمام الصلاة في السفر ثم صلى خلفه متما وقال الخلاف شر) [3]

وقال في موضوع آخر (إنهم متفقون على أن من جهر بالبسملة صحت صلاته، ومن خافت صحت صلاته، وعلى أن من قنت في الفجر صحت صلاته ومن لم يقنت صحت صلاته، وتنازعوا فيما إذا ترك الإمام ما يعتقد المأموم وجوبه، مثل أن يترك قراءة البسملة والمأموم يعتقد وجوبها، أو يمس ذكره ولا يتوضأ والمأموم يرى وجوب الوضوء من ذلك، أو يحتجم ولا يتوضأ والمأموم يرى الوضوء من الحجامة ، والصحيح المقطوع به أن صلاة المأموم صحيحة خلف إمامه وإن كان مخطئا في نفس الأمر، لما ثبت في الصحيح (يصلون لكم فان أصابوا فلكم ولهم وإن أخطأوا فلكم وعليهم)، وكذلك إذا اقتدى المأموم بمن في الفجر معه سواء قنت قبل الركوع، أو الوتر قنت قبل الركوع أو بعده، وإن كان لا يقنت لم يقنت معه ، ولو كان الإمام يرى استحباب شيء والمأمومون لا يستحبونه فتركه لأجل الاتفاق والائتلاف كان قد أحسن) [4].

وقال في موضوع آخر (ومثل هذه المسائل هي من مسائل الاجتهاد، والأقوى أن متابعة الإمـام أولى من التخلف لفعل مستحب)[5] .

وقال عن السنة قبل الجمعة – مع أنها لم ترد في السنة– ولكن (إن كان الرجل مع قوم يصلونها ، فإن كان مطاعا ورأى أن في صلاتها تأليفاً لقلوبهم إلى ما هو أنفع للخصام والشر لعدم التمكن من بيان الحق لهم وقبلهم له ونحو ذلك فهذا أيضا حسن،

١- مجموع الفتاوي ٢٨/ ٢٨٤ . ٢- مجموع الفتاوي ٢٢/ ٣٤٤. ٣- أخذ من مجموع الفتاوي ٢٢/ ٤٠٧ .

٤- مجموع الفتاوي ٢٢/ ٢٦٧ . ٥- مجموع الفتاوي ٢٢/ ٤٥٢.

فالعمل الواحد يكون فعله مستحبا تارة، وتركه تارة، باعتبار ما يترجح مصلحة فعله وتركه بحسب الأدلة الشرعية، والمسلم قد يترك المستحب إذا كان في فعله فساد راجح على مصلحته، ولذلك استحب الأئمة وأحمد أن يدع الإمام ما هو عنده أفضل إذا كان فيه تأليف المأمومين)[1].

ويقول الشاطبي في الموافقات :(إن ترك السنة واجب إذا أدى فعلها إلى تضييع واجب، لأن الواجب مقدم على السنة المندوبة قطعا).

وقد أفتى الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله بأن ترك المستحبات والهيئات المسنونة لتحقيق واجب الائتلاف أمر مشروع .

بل أن المحدث الشيخ ناصر الدين الألباني حفظه الله يتعدى في الفتوى درجة استحباب ترك السنن خلف الإمام الذي لا يرى سنيتها ولا يفعلها ويوجب على المأموم وجوبا لا يسعه تركه أن يدع ما لم يفعله الإمام من الهيئات المسنونة، ودليله في ذلك حديث البخاري ومسلم [إنما جعل الإمام ليؤتم به]، فيرى أن اتباع الإمام عامة أوجب من فعل في مخالفته وإن كان مسنونا وهذه الفتوى ثابتة عنه ومسجلة فلا يتطرق الشك اليها .

فبأي حديث بعد فتاوي الأولين والآخرين تأخذون ؟

أما بالنسبة للأمور الصحية فقد أرسلنا الدكتور حمزة وأقام ثلاث عشرة نقطة في منطقة كابل، ولعلكم قابلتموه وحظيتم ببعض الخدمات الصحية في المنطقة.

أما بالنسبة للأسرى الشيوعيين الذين ينطقون بالشهادتين بعد أسرهم فالأمر راجع إلى الأمير والمحكمة الشرعية عندكم، إما القتل او الأسر والسجن أو الفدية، والمصلحة الشرعية هي الـتي تحدد الأرجح، والحكم يدور مع المصلحة الشرعية حيث دارت، ولقد بحثت هذا الأمر في كتابي في الجهاد آداب وأحكام والأمر مفصل هناك، وأما النطق بالشهادتين بالنسبة للأفغان فليس حاقنا لدمائهم دائما . إذ أنهم ليسوا كفارا أصلا بل يعاملون معاملة المرتدين أو الزنادقة.

أما بالنسبة لغنيمة السلاح فلا تجب توزيعها على المجاهدين إذا كان السلاح يباع في الأسواق ويسقط في أيدي الشيوعيين، وأرى والله أعلم هذا الأمر ينطبق كذلك على غنائم الدبابات والمدافع والراجمات إذا أضر بيع السلاح بالجهاد أن يبقى السلاح الثقيل والخفيف للجبهة، وتسترضى أنفس الغانمين بمال، فإن لم يكن لدى الأمير مال فلا بأس أن يسجل قيمته دينا على نفسه حتى إذا فتح الله على المسلمين كابل وقامت الدولة سددهم هذه الديون ، وقد استرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفوس المجاهدين يوم حنين وأعاد السبي من النساء والأطفال والأولاد إلى هوازن ، مع أنها حقهم وأصبحت ملكا لهم بعد الفتح.

وهذه الحالة من الضرورة، والضرورات تقدر بقدرها، وأرى أن يؤخذ في هذه الحالة برأي المازري والمالكي والفزاري والشافعي وغيرهم من الفقهاء الذين يعتبرون أن أمر الغنائم المنقولة وغير المنقولة راجع إلى الإمام يتصرف بها حسب المصلحة الشرعية.

وفي هذا قياس الغنائم المنقولة على الأراضي واسترشاد بفعل عمر رضي الله عنه في سواد العراق – والله أعلم –.

وختاما اجعلوا شعاركم:

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) آل عمران: (٢٠٠).

وأسوتكـــــــم :

(وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين، وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) (آل عمران:١٤٦-١٤٨)

وفقكم الله وسدد خطاكم ونصرنا وإياكم، ونسأل الله لنا ولكم حياة السعداء وخاتمة الشهداء والحشر مع النبي صلى الله عليه وسلم، ونرجو الله أن يرفع راية الإسلام في أفغانستان وفي كل مكان، وأن يحكم دولة القرآن، وأن يجعلنا من جنود القرآن ، إنه سميع مجيب .

أخوكـــم

الدكتور/ عبدالله عزام

بيشاور في ٢٧/شوال/١٤٠٩هـ الموافق ١/٦/١٩٨٩م

١- هـ من مجموع الفتاوى ٢٤/ ١٩٤ ، ١٩٥ .

إلى فضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري[1]

شيخنا الكبير أبا بكر الجزائري حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فلا يخفى عليكم النصر العظيم الذي من الله به على المجاهدين في أفغانستان، والضربة القاصمة التي وجهها الله على يد المسلمين الأفغان للشيوعية الدولية التي باتت حائرة كيف تتخلص من القواعد الوهمية، والأبراج العاجية التي عاشت فيها الشيوعية عبر العقود الماضية.

وخرج الروس، وانتقل المجاهدون من دور الدفاع ألى دور الهجوم الاستراتيجي واحتلال المدن ، واحتلال المدن أمر في غاية الضخامة والصعوبة، ويحتاج الى تنظيم دقيق وإمكانيات كبيرة وقيادة موحدة .

وبعد خروج الروس توقف الصديق قبل العدو عن الامداد والتأييد، وأصبح الإعلام العالمي يركز على بطولة الاتحاد السوفيتي وجرأته باتخاذ قرار السلام والانسحاب، وأن الجهاد الأفغاني قد تحول إلى حرب أهلية . فإذا كان الاعلام الغربي في الفترة السابقة يركز على هزيمة روسيا في أعماق أفغانستان، ويبرز بطولة المجاهدين الذين وقفوا كالعمالقة أمام الدب الروسي، فإن السياسة الآن قد تغيرت .

إن السياسة العالمية الآن وأجهزة الرصد الدولية تدرك أن وصول قادة الجهاد إلى الحكم سابقة فريدة لم تحصل في الأرض بعد أن طرح أعداء الإسلام بالصرح الشامخ في إستانبول (الخلافة) ٣/مارس/١٩٢٤م على يد الذئب – عدو الله ورسوله– أتاتورك، وهذا الأمر وهو محاولة إعادة الخلافة أو الدولة الإسلامية قضية في نظر الغرب والشرق دونها خرط القتاد وشلالات الدماء، مما لا يمكن لأعداء الله أن يهادنوا فيه مادام فيهم عرق ينبض أو نفس يجري ، وهذه قضية مجمع عليها دوليا وهي عدم السماح للإسلام أن يعود مرة اخرى لمزاولة نشاطه في الحياة وكما أنزله الله {{ عقيدة وشريعة ونظام حياة }} .

إنهم يسمحون للإسلام المجمد في قوالب من الشعائر التعبدية دون أن تمتد يده إلى شؤون الحياة بالتسيير، أو نظام الحكم بالتغيير ثم التنفيذ على هدي من الوحي الإلهي ، ولذا فالمؤامرة العالمية الآن : محاولة خنق الجهاد الأفغاني وإعادته مرة أخرى إلى تمقمه القبلي والإقليمي، بعد أن تحول إلى جهاد إسلامي، ولذا فالمؤامرة على خنقه وقطع الشرايين التي تمده بالحياة من قبل العالم الإسلامي، أصبحت شغل الكفار الشاغل، يتنهجون بها كل سـبيل، ويسلكون بها كل وسيلة، فكلمات الحرب الأهلية الأفغانية وتعمير أفغانستان ، وقضية الوهابية والدولة ذات القاعدة المريضة ، والمؤتمر الدولي لحل القضية الأفغانية، كلهـا شعارات براقة، وعناوين بارزة لهذه المؤامرة الخبيثة التي تنسج خيوطها أيادي كل العالم المعادي للإسلام .

أخي الحبيب : أعود الى قضية فتح المدن : إنها قضية ضخمة شائكة تحتاج إلى أن تتكاتف لها إمكانيات المسلمين وطاقاتهم، تحتاج إلى خطط محكمة من قادة كبار لفتح المدن، تحتاج إلى تموين يكفي للأعداد الضخمة من المجاهدين الذين يحاصرون المدينة وأفضلها الوجبات الجاهزة المحفوظة كالهريس، تحتاج إلى اسلحة وذخائر كثيرة معدة قبل البدء بالمعركة ، تحتاج الى مستشفيات ونقط إسعاف ميدانية، تحتاج إلى علماء ودعاة يثبتون الناس ويبثون في قلوب المجاهدين الحماس وتذكيرهم بالثواب والجنة تحتاج الى كميات كبيرة من الأدوية معدة للحصار الطويل، تحتاج إلى سيارات اسعاف وسيارات نقل ، تحتاج إلى مبالغ نقدية كافية لنقل المؤن والذخائر ، تحتاج إلى عدد كاف من الخيول والبغال والحمير لتنقلات المجاهدين في ميدان المعركة الواسعة.

أيها الأخ الحبيب : الآن حمي الوطيس، وجاء دور الدعاة والتجار والمحسنين والفنيين من العسكريين والأطباء والمدرسين، فهل يكون لكم وللصفوة من تلاميذكم في هذه المرحلة الدقيقة الحساسة والحاسمة في تاريخ هذه الأمة ؟.. إن الأمر عظيم ، والخطب جلل ، والوقت ثمين ، والفرصة سانحة ، والظروف مواتية مهيئة ، فلا تفقدوها فتعضوا أصابع الندم .

١- نشرت في لهيب المعركة عدد (٥٦) بتاريخ ١٤/ذو القعدة عام ١٤٠٩هـ الموافق ١٩٨٩/٦/١٧م.

الساحة في انتظاركم وانتظار أمثالكم ، فهل تدلون بدلوكم وتسهمون بجهدكم أم يفوتكم القطر والأجر ؟

{{ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيرا }} ، {{قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين }} التوبة ٢٤.

وختاما نريد أن تطمئن قلوبكم فنقول لكم :

١-ما من يوم يمر على أفغانستان إلا ويحقق المجاهدون نصراً جديداً وتقدماً ملموساً -مهما كان جزئيا- .

٢- إن معنويات الشيوعيين متحطمة ويعيشون في ذعر عجيب وخوف رهيب، بينما معنويات المجاهدين تناطح السحاب، ونفوسهم تباري الأسود عزة وإباء ورجولة وشمما .

٣- إن الحكم الشيوعي آيل الى السقوط بإذن الله، والقضية لا تعدو أن تكون قضية زمن قد يطول أو يقصر بقدر الله وعلمه .

٤- لقد فتح المجاهدون خلال هذا العام(الأشهر الخمسة الماضية) ما لم يفتحوه خلال خمسة أعوام، ولم يبق سوى مراكز الولايات المحاطة بالمجاهدين إحاطة السوار بالمعصم.

وأما كابل العاصمة فهي محاصرة حصارا شديداً، وتنتظر أياما شديدة قد يحكم فيها المجاهدون الخنادق فيمنعون وصول رغيف الخبز إلى كابل الذي تنتظره شهرا بشهر من موسكو.

ونأمل من الله عز وجل أن يكون عام ١٤١٠هـ هو عام الفتح والتأييد والتمكين (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم)، وعندما يقبل الجيل على دين الله فيطمئنون (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) .

أسأل الله العظيم أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، وأن يمكن للمؤمنين في الأرض، ونسأله عز وعلا حياة السعداء، وخاتمة الشهداء، والحشر مع النبي - صلى الله عليه وسلم -، ونفع الله بكم وبقلوبكم المسلمين، وجعلكم مفتاحا لكل خير ومغلاقا لكل شر .

أوصيكم بتقوى الله، وتلاوة القرآن، والذكر، وحفظ اللسان، وقيام الليل، وصيام الإثنين والخميس، وحب الصالحين، وتبييت النية على الجهاد وحب الاستشهاد، وتحريض المؤمنين على القتال :

(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا) . النساء :٨٤.

ونستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم عملكم . . .

أخوكم الصغير/ عبد الله عـزام

الجمعة ٥/ ذي القعدة /١٤٠٩ هـ

الموافق: ٩ - ٦ - ١٩٨٩ م

من أمير المجاهدين العرب

الشيخ عبدالله عزام إلى قافلة الشمال

إلى الأخ الحبيب أبي الشهيد وإخوانه د. صالح ود. أبي الدرداء حفظهم الله أجمعين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لقد غادرناكم وبقيت قلوبنا عندكم ، وكم حزّ في نفسي أننا لم نستطع أن نحمل د. صالح معنا في السيارة حتى يبقى معنا حتى آخر لحظة. ولقد أودعناكم قلوبنا وعدنا أشباحا، وأما الأرواح فتركناها تحلق فوق سماء طالقان، وتطوّف بينجشير وورسج وفرخار، ونرجو الله أن يفتح عليكم بقية المدن، وأن يجعل سقوط كابل جد قريب .

أخي أبا الشهيد وإخوانه:

نوصيكم بتقوى الله، وتلاوة القرآن، وحفظ اللسان، وحب المسلمين، والصبر والثبات على هذا الطريق الذي اختاره الله رحمة للعالمين ولحماية هذا الدين ، وهو الذي تكون الجنة تحت ظلاله: و(**الجنة تحت ظلال السيوف**)[1] .

والجهاد أعظم العبادات أجرا، وأكثرها ذخرا، وهو قمة سنام الإسلام، واليوم عندكم بألف يوم فيما سواه من المنازل :(**رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل يقام ليلها ويصام نهارها**)[2] .

(**قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة**) [3] .

إن مهمتكم هي الإصلاح في داخل أفغانستان، فكونوا معتدلين في حكمكم، فلا تميلوا مع جهة فتفقدوا مهمتكم. إن إصلاح ذات البين خير عند الله من الصلاة والصيام، لأنه كما جاء في الحديث الصحيح (**لأن فساد ذات البين هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين**).

ونوصيكم بصيام الإثنين والخميس، وقيام الليل، وكثرة الذكر، والمطالعة في الكتب الإسلامية.

أخي الحبيب(أبا الشهيد):أقول بصفتي رئيسا للهيئة التأسيسية لمشروع التحدي ما يلي:

١-يوقف التوسع في مستشفى سد بوركا لأنه في منطقة قروية، ويبقى أبوالدرداء يزاول عمله.

٢-يبدأ الدكتور صالح بإنشاء مستشفى في طالقان .

٣- هناك ثمانية ملايين مع القاري سعيد نأمل أن تأخذوها وتستعملوها في مستشفى طالقان الجديد .

٤-ستصلكم أدوات وأدوية جديدة وتستعمل الأدوات-إن شاء الله- في مستشفى طالقان.

إخواني الأحبة: يزاول الأخ أبو الشهيد عمله كأمير للإخوة العرب في تخار وبدخشان وكندز وبغلان ريثما يرجع الأخ عبدالله أنس قريبا ويستلم الإمارة في الشمال، ويكون أبو الشهيد مساعدا له ويبقى أميرا في المناطق المذكورة.

وتكون الأموال بيد الأخ أبي الشهيد ينفق منها على المستشفى في طالقان، وسيسلم الأخ أبو أكرم (زكي) الفلسطيني مبلغ(٣٦٠)ألفا باكستاني (كلدار) لأبي الشهيد تستعمل في الجهاد (أي مبلغ ثلاثة ملايين وستمائة ألف أفغاني) .

هناك مجموعة من الإخوة الناصحين يصلون إلى داخل أفغانستان قريبا .

أخي أبا الشهيد:

إن الشيخ عبدالمجيد الزنداني يرى أن يرجع أخوك بسرعة إلى أهله، وكذلك جاءنا رجاء من الإخوة في اليمن أن يرجع أخوك، فنأمل أن ترسل أخاك بسرعة.

أما أنت فتبقى حتى يأتي أخ ناضج يستلم مكانك، ولعل الأشهر القادمة تكون حاسمة.

١- رواه الترمذي. ٢- صححه الحاكم ووافقه الذهبي. ٣- حديث صحيح .

ونأمل أن تكلف أخوين من الإخوة عندكم أن يقوموا بملء استمارات الأيتام من بنشير مع الصور (وأهم شيء هو صور للأيتام)، وإذا لم يكن لديكم كمرة فنرجو شراء كامرة من الأموال التي معكم وتصوير الأيتام، وباسم مكتب الخدمات نحن بخير هنا، وإن كانت نتائج الانتخابات الباكستانية غير مرضية، وإن لم يكن عندكم استمارات تكتب المعلومات وترسلونها هنا.

وفقكم الله و رعاكم و سدد خطاكم .

سلامي إلى كل الإخوة حولكم ، د. صالح ، أبا الدرداء ، أبا ذر آل اليمان أهل الإيمان و البركة.

أخوكم: عبد الله عزام

رسالة من عبدالله عزام إلى القائد فريد[1]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو الله أن يتقبل منكم وجهادكم، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، وأن يرزقك الإخلاص والاستقامة ، والصبر والتقوى، لأنها خير عدة (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) ، فالله – عز وجل – يحميكم من عدوكم، ويحفظكم بالصبر والتقوى ، وبالصبر والتقوى تتنزل عليكم الملائكة بالنصر ..

(بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين). آل عمران: ١٢٥

قال كثير من المفسرين: هذه الخمسة آلاف من الملائكة عدة لكل عسكر صبر واحتسب إلى يوم القيامة.

أخي فريد:

إن صورتك مشرقة في أذهاننا، ونحن نعلم أنك من أبناء الحركة الأوائل، والمسلمون يعولون – يعتمدون – على الله أولا ثم عليكم في المنطقة ، لأنهم يعلمون أنكم أكثر الناس تابعا وقوة في منطقتكم . ولقد كتب الله لكم الفتح في عاصمة كابيسا – محمود راقي – فزادت فرحة المسلمين بكم .

أيها الأخ الحبيب:

أنتم الآن على أبواب النصر النهائي ، ويعقب النصر الغنائم، والغنائم سبب من أسباب الاختلاف، حتى أن أهل بدر صفوة هذه الأمة المسلمة قد اختلفوا على الغنائم ، وهنا يمتحن الله ورع الناس وإخلاصهم . والرسول صلى الله عليه وسلم عندما قسم غنائم حنين أعطى كثيرا منها لطلقاء مكة وحرم منها الأنصار، مع أن الأنصار هم الذين كسبوا النصر وغيروا مجرى المعركة، فكانت هزيمة المسلمين أولا، ثم منّ الله عليهم بالنصر على أيدي الأنصار، فحرم الأنصار من الغنائم وأعطاها لطلقاء الفتح الذين كانوا سبب الهزيمة أولا، فوجد – عتب – الأنصار، فجمعهم وقال لهم :

(يا معشر الأنصار، ما قالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم؟! ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟! قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله ولله ولرسوله المن والفضل؟! قال: أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم! أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فآسيناك، أوجدتم عليّ يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم؟! ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعون برسول الله إلى رحالكم؟! فوالذي نفس محمد بيده لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وواديا وسلكت الأنصار شعبا وواديا لسلكت شعب الأنصار وواديها، الأنصار شعار والناس دثار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار، قال فبكى القوم حتى أخضلت لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسما وحظا، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا) [2]

١– من اكبر قادة الحزب الاسلامي (حكمتيار).

٢– حديث صحيح رواه أحمد عن ابن إسحق.

أخي فريد:

فها أنت ترى الأنصار الذين نصروا هذا الدين قد حرموا من الغنائم وأخذها الذين لم يجاهدوا كثيرا لهذا الدين، فانتبه يا أخي الكريم فهذا العام عام الانتصارات، وهو عام الغنائم، وعند الغنائم يكثر الاختلاف، وأنت مسلم عاقل ومن أبناء الحركة الأوائل، فحاول أن تحقن دماء المسلمين ما استطعت، وإذا كان الخلاف على متاع ودنيا فاترك لأهلها واكسب الأجر والذخر في الدنيا والآخرة.

أخي الكريم:

هنيئا لكم الجهاد والفتوح، ونرجو الله أن يجعله في ميزانكم يوم القيامة، وحاول أن تكون مفتاح خير ومغلاق شر، واتصل بمن حولك من الأحزاب الأخرى ونسق معهم، فعدوكم واحد (الشيوعية)، وأنت ومن حولك من الأحزاب مسلمون وإخوة، وحق على المسلم أن ينصر أخاه ويحفظه في دمه وماله وعرضه، إياكم وظلم المسلمين واغتصاب أموالهم أو ترويعهم وإيلامهم، وإياكم ودماء المسلمين، ففي الحديث الصحيح: **(لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرىء مسلم).**

أخي الكريم:

لقد كنت حريصا عندما زرت بنشير أن أصل إليكم وأزوركم في جبهتكم أنت وإخوانك، وكنت مشتاقا لأراك، وطلبت ذلك، ولكن لم أستطع أن أصل إليك، فأمل المعذرة، وأدعو الله أن يمكنني من زيارتك في فرصة قادمة ، وقد كانت خطتي أن أزور قادة الحزب وقادة الأحزاب كلها، ولكن جاءت مفاجأة.

أوص إخوانك ومجاهديك بأن يحفظوا أموال الناس وأعراضهم ودماءهم ، وفي الحديث الصحيح :

(لو اجتمع أهل السموات والأرض على قتل امرىء مسلم لكبهم الله جميعا في النار).

سلامي إلى إخوانك شفق يار ، وأحمدي ، وفتيح محمد ، والمهندس هاشم .

نوصيك وإخوانك بتقوى الله والإخلاص وتلاوة القرآن والأذكار وصوم الإثنين والخميس ، وقيام الليل وحفظ اللسان ، وعدم غيبة المسلمين ، وترك النميمة، وحب المسلمين ، وتعلم أحكام الشرع الإسلامي.

ندعو الله عز وجل أن يجعل نصركم قريبا، وأن يقيم دولة الإسلام على أيديكم إنه سميع قريب مجيب .

أخوكم / الدكتور عبدالله عزام

نموذج رسائل إلى قادة الجبهات

من العبد الفقير إليه تعالى عبد الله عزام إلى أخيه المجاهد........ قائد جبهة .... حفظه الله:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد:

فإن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، وبعد :

لقد أكرمك الله بأشرف منزلة وأفضل عمل، إذ يسر لك الجهاد في سبيله..

﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾. المائدة : ٥٤.

ولقد تفضل الله عليك بأن جعلك من المجاهدين في ساحة القتال ، ولقد من الله عليك بنصر من عنده ..

﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم ﴾ الأنفال ١٧.

فالفضل لله أولا وآخرا وله المنّة، والحمدلله من قبل ومن بعد، فنوصيك يا أخي بتقوى الله ومراقبته، وإياك أن يدخل إلى نفسك

عجب، أو يداخلك تفكير أن هذا النصر بفضلك ومهارتك، فليس لك من الأمر شيء، (قل إن الأمر كله لله) وإليه يرجع الأمر كله، واعلم أن العجب والغرور يحبط العمل ويهلكه كما تأكل النار الحطب. فأوصيك يا أخي بالإخلاص لأنه عز وجل لا يقبل عملا إلا بشرطين :

أولا: كونه صوابا موافقا للسنة.

ثانيا : أن يكون خالصا لوجه الله من الرياء، ففي الحديث الصحيح «من عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه».

فعليك بمراقبة الله وخشيته في السر والعلن، وأكثر من الصالحات ظاهرا وباطنا يحفظك الله في الشدائد ، ويلطف بك في النوازل ظاهرا وباطنا «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة».

«ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب» الانفال : ٤١

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه» . الكهف : ٢٨

وأوصيك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض، وذخر لك في السماء، وهو عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، وهو الهدى والنور والشفاء والروح، وأوصي المجاهدين أن يتلوه و يكثروا من تلاوته

<<يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا و اذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون>>. السجدة ٢٤

وأكثر من الاستخارة و الاستشارة، فما ندم من استشار و ما خاب من استخار ، وفي الصحيح

‹كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها› .

واجعل أهل الشورى عندك ممن تظنهم من المخلصين الصادقين ، وإياك أن تجمع حولك أهل الذنوب و الغافلين

‹ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه وكان أمره فرطا›.

واعلم أن أصل الفساد في هذه الدنيا يرجع الى اتباع الشهوات و الشبهات، فلا بد من دفع الشهوات بالصبر، ومن دفع الشبهات بالعلم واليقين، حتى تصبح إماما في الدين، لأن الإمامة في الدين لا تنال إلا بالصبر و اليقين

‹وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون›

فأكثر حولك العلماء، و حارب الشهوات بقطع الطمع، لأن الطمع و الحرص على الدنيا يفسد دين المرء و دنياه، و في الحديث الحسن

‹ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على الشرف والمال لدينه› .

و إياك والاستعانة بالظالمين ، أو استشارة الكافرين، أو الركون إليهم، أو الاعتماد عليهم

‹يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين› آل عمران : ١٠٠

‹يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين›. آل عمران :١٤٩

وعليك بمحاربة البدع صغيرها وكبيرها، ونبه المجاهدين ألا يحملوا الرقى و التمائم، ولا يتمسحوا بالقبور، وألا يضعوا عليها الاعلام والزهور، وألا يبنوها فإن بناء القبور حرام، وأن لا يبنوا عليها المساجد، وأن لا يوقدوا عليها السرج، لأنه كما جاء في الحديث <<أولئك شر الخلق عند الله>>، وفي الحديث <<شر الناس اثنان: الذين تدركهم الساعة أحياء، والمتخذين على قبورهم المساجد والسرج>> .

وأوص المجاهدين بصوم النافلة، و بقيام الليل، فإنه عون لهم في أمر جهادهم، ولا تجمع كل الصلاحيات بيدك، بل وزع المسئوليات على أعوانك، فإن هذا يريحهم ويزيدهم ثقة بك وحبا لك، وهو راحة لك، وأجدى للعمل، وأنفع للجهاد، وهذا يقلل من التمرد على أوامرك، أو التفلت من قبضتك، ويحفظ الصف من الانشقاق والتمزق، وإياك والتجسس على جنودك أو تتبع عوراتهم، فإن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم أو كاد أن يفسدهم «ومن تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته وفضحه ولو في جوف بيته »، وكم أفسدت هذه القضية من قلوب، وكم مزقت من صفوف، وتحبب إلى جنودك بالابتسامة الصادقة ، وتغاض عن هفواتهم ، واعف عن مسيئهم، واقبل محسنهم، ولا تجعل ظنك بهم سيئا .

واعلم أن العالم الإسلامي كله يرنو ببصره إلى الجهاد الأفغاني، ويتابع أخباره باهتمام بالغ، وهو يستحوذ على اهتمامهم ، ونرجو الله عز وجل أن ينصركم ويثبت أقدامكم، وأن يقيم دولة الإسلام على أيديكم، إنه نعم المولى و نعم النصير .

أخوكم / عبد الله عزام

رسالة مفتوحة إلى العلماء[1]

مداد العلماء ... ودماء الشهداء ؟

إنما تحيا الأمم بعقائدها وأفكارها، وتموت بشهواتها ولذاتها، وبقدر ما ينتشر في الأمة من مبادئ خيرة وعقائد صحيحة، بقدر ما تضرب بجذورها في أعماق الأرض، وترسل مجموعة سيقانها وأوراقها يانعة تستظل بها البشرية من لفح الحياة وسعيرها المادي، ومن لظى الحقد والحسد والتنافس على المتاع الحقير والعرض القريب.

والأمة المسلمة إنما عاشت على مر التاريخ البشري بالعقيدة الربانية، وبالدماء التي أريقت من أجل نشر هذه العقيدة وغرسها في واقع الحياة.

فحياة الأمة إنما ترتبط بمداد العلماء ودماء الشهداء، وما أجمل أن نخط تاريخ الأمة بمداد العالم ودمه، فتصبح خارطة التاريخ الإسلامي ملونة بخطين أحدهما أسود، وهو ما خطه العالم بمداد قلمه، والثاني أحمر وهو ما خطه الشهيد بنجيعه ودمه.

وأجمل من هذا ، أن تكون اليد واحدة، والريشة واحدة فتكون يد العالم التي تبذل المداد، وتحرك القلم، هي نفس اليد التي تنزف الدم وتحرك الأمم.. وبقدر ما يزداد عدد العلماء الشهداء ، بقدر ما تنقذ الأجيال من رقادها، وتنقذ من ضياعها، وتستفيق من سباتها.

ولقد قاد الأنبياء عليهم السلام هذه المسيرة الخيرة، فخطوا للبشرية بعرقهم ودمائهم خطوطاً بقيت بصماتها ضاربة في أعماق الزمن، وفي أرجاء الكون ، غائرة في ثنايا القلوب.

فهذا الطريق: تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورمي في النار الخليل، واضطجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس ولبث في السجن بضع سنين، ونشر بالمنشار زكريا، وذبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضر أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد صلى الله عليهم جميعا وسلم تسليما كثيرا.

وعلى هذا الطريق سار العلماء والربانيون من هذه الأمة.

فهذا أبو ذر رضي الله عنه يقول: (لو وضعتم الصمصامة – أي السيف الصارم –على هذه –قفاه– ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن تجهزوا علي، لأنفذتها)، فهو طريق الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين ومن تبعهم أمثال أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، والعز بن عبد السلام، وابن تيمية.

ولقد دفع نفس الضرائب عزالدين القسام وحسن البنا وسيد قطب ومحمد فرغلي وعبدالقادر عودة وصالح سرية وكارم الأناضولي وعبد العزيز البدري وخالد الإسلامبولي ومروان حديد وصلاح حسن ومحمد باعباد.

إنه طريق واحد لابد من عبوره لإنقاذ الأمم.. إنه جسر واحد لابد للعلماء أن يجتازوه آخذين بحجز الأمة وأيدي أجيالها حتى لا تتيه أو تضل أو تغرق في تيار الحياة العارم الجارف.

لا مفر للعلماء الجادين أن يلجوا هذا الخضم المتلاطم، ولابد أن تكون دماؤهم وأعمالهم سفنا ينقذون بها الأمم من الضياع المحقق، وإلا فالخزي في الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون .. ففي الحديث الحسن الذي رواه الترمذي (**أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينتفع بعلمه**). (**إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**)[2].

وكان سفيان الثوري يقول: (نعوذ بالله من فتنة العابد الجاهل وفتنة العالم الفاجر ، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون) .. وقد كان سفيان بن عيينة يقول :(ليس شيء أنفع من علم ينفع ، وليس شيء أضر من علم لا ينفع ..) وكان صلى الله عليه وسلم يدعو بهذا الدعاء :

(اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ودعاء لايسمع ، ومن نفس لاتشبع ، ومن علم لا ينفع، أعوذ بك من هؤلاء الأربع)[3]

١– نشرت في مجلة الجهاد بتاريخ ١ شعبان ١٤٠٥هـ – الموافق ٢١ ابريل ١٩٨٥م العدد الخامس

٢– رواه الترمذي .   ٣– حديث صحيح رواه الأربعة .

فيا علماء الإسلام:

لقد ضاعت بلاد المسلمين بقعة بقعة، وابتلعت قطعة قطعة، وتسلط على رقابنا الطغاة، واستنسر في أرضنا البغات -صغار الطيور- ونحن ننظر كالمتفرجين، ضاعت فلسطين، وانتهكت أعراض المسلمين في الفلبين وفي لبنان وفي أرتيرية وسورية وفي كل مكان ولا غير لدينا ولا نكير .. وهذه أفغانستان وقعت في فم الدب الروسي ويكاد يبتلعها فهل تتحركون لإنقاذ الأمة ؟

فيا علماء الإسلام:

هلموا واحملوا الراية حتى تجتمع حول رايتكم الأمة ..

« وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ... » النساء-(٧٥).

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

رسالة عاجلة إلى أطباء المسلمين[1]

إن الحمد لله.. نحمده ونستعينه ونستغفره.. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله .. أما بعد:

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا .

بقدر من الله وفي يوم الخميس ١٨ ابريل ١٩٨٥م كنت في زيارة لكويتا، وقمنا بزيارة مستشفى مرضى المجاهدين، وقد أذن لنا دون استئذان مسبق ، إلا مستشفى الصليب الاحمر الدولي، فإنهم في العادة يرفضون دخول الزوار لولا الله ثم استئذان الدكتور الذي يعمل مديرا للهلال السعودي.. فأذنوا مع اشتراط الموعد المحدد والعدد القليل .

دخلنا المستشفى، ومما يلفت النظر فيه أن معظم الذي يعملون في داخله من النصارى الغربيين وبعض النصارى الباكستانيين. كانت مناظر الجرحى تدمي القلب و تفتت الكبد، وقمنا بالطواف على المرضى والجرحى، وأثناء تجوالنا حدثت قصة حفرت آثارها في أعماق القلب، ولا أظنني أنساها ما حييت .. شيخ من قندهار اسمه عبد المقصود، قد خط الشيب عارضيه، هجم علينا يقبلنا ويحتضننا ويذرف الدموع الحرى وهو يضم صورنا إلى صدره، فذرفت عيناي .. كان المنظر عجيبا كأنما امرأة يئست من لقاء ابنها بعد فقده وإذا بها تجده بين يديها وتحضنه بحرارة .. إنها عاطفة الإسلام تلك التي جعلته يندفع بلا وعي وهو يرى مسلمين لأول مرة في هذا المستشفى، لقد التقط الصليب الأحمر ابنه عن الحدود، ونقلوه إلى غرفة العمليات، وهو الآن في دور النقاهة ، وطيلة هذه الفترة لم ير مسلماً واحداً ..فذهل عندما رأى منظرنا.

انتحى بي جانبا (أبومازن) رجل غيور على الجهاد -نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا- وله مكانته في بلده، وكان يبكي، قال لي ودموعه تغرق عينيه ما قيمة العيش يا أخي ونحن نرى إخواننا الذين هم بين الموت والحياة بين أيدي الصليب الدولي؟ قال لي بصوت متهدج : أما رأيت الغلمان تقطع أيديهم وأرجلهم ؟

أين العرب؟ أين المسلمون .؟ وهي لفته قيمة .. إذ أن قطع رجل المجاهد أمر ميسور، ولعله محبوب لدى هؤلاء الغربيين حتى لا يعود إلى الجهاد .

ففي مركز الصليب الأحمر الدولي في بيشاور قطعت عام ١٩٨٣ ٢٥٠٠ قدم للمجاهدين، فسألهم الدكتور يوســـف (أحد الأطباء المسلمين) ما سر هذا القطع الكثير ؟ فاعتذروا إليه أنه لا يوجد عندنا أسرة زيادة حتى نرعاهم لفترة طويلة ريثما تشفى الإصابة في أصبعه أو مشط قدمه، فيبترونها ثم يضعون له القدم الصناعية الجاهزة، فيعيش طيلة حياته بعيدا عن أرض الجهاد .

كنت ذات مرة أحضر مناقشة بين عربي مسلم ومسئول باكستاني، وكان العربي يطالب بفتح نقاط طبية قرب الحدود، وكانت سيما الصلاح تبدو على وجه المسئول وهو يرد بالنفي قائلا : لقد كانت هنالك نقاط كثيرة للصليب الأحمر الدولي على الحدود، لكن

١ ـ نشرت في مجلة الجهاد بتاريخ ١٥ شعبان ١٤٠٤هـ ـ الموافق: ٥ مايو ١٩٨٤م العدد السادس.

الآن عادت النقاط، وكانوا يتقون الجريح بالتثبيط والتخذيل، يقولون له ستعيش بقية عمرك عاطلا عن العمل، مشلولا عن الحركة، لأنك قد فقدت قدمك أو ساعدك، من أين تعيش منذ الآن ؟! أنتم هل تستطيعون أيها الأفغان أن تواجهوا روسيا وحلف وارسو ، فيؤدي هذا إلى آثار سلبية على نفسه، قال المسؤول فحاولنا كثيرا حتى أبعدنا هذه النقاط عن الحدود، وللصليب الأحمر في كويتا طائرتا هليكوبتر لنقل الجرحى لأنهم لا يعالجون إلا جرحى الحرب .

فإذا استقر هذا في ذهنك فإليك المعلومات التالية : للسويديين تسعون عيادة في أرض أفغانستان، ويتعاون معهم ١١٠ أطباء أفغانيون، بالإضافة إلى هذه العيادات الفرنسيون لهم ١١٦ طبيبا داخل أفغانستان، ولهم ثلاث جمعيات، من المتوقع أن يصل في هذا الصيف عدد الأطباء في إحدى هذه الجمعيات ٦٠ طبيبا، وقد شهدت بنفسي في يوم الثلاثاء ٥ مارس ٨٥ إسلام (إفيلين غوي) وهي من جمعية الطلبة الفرنسية الدولية لخدمة إنسانية في مكتب الدعوة في بيشاور، وكان قبل قد أسلم إيتي ميلسون صديقها في نفس الجمعية، وكانا قد جاءا لعلاج الجرحى في أفغانستان، فعندما رأى ميلسون أن بنادق بسيطة تقابل الأساطيل الجوية والبرية والصواريخ بأنواعها هزه منظر الجهاد من أعماقه فأعلن إسلامه، وسمى نفسه الدكتور عبدالله والسويديون داخل أفغانستان يزرعون الأرض ويحصدون بواسطة الأفغان، ولهم مدارسهم الخاصة .

هنالك جمعية الأمصال الواقية الغربية تذهل لإصرارهم واستعمالهم لكل وسيلة لإبقاء الأمصال صالحة للوصول لأرض أفغانستان، يضعون الأمصال الواقية في ثلاجة صغيرة في الخرج، وفي الناحية الأخرى من الخرج (الكيس ذو الجيبين الذي يوضع على ظهر الحمار) توضع بطارية تشغل الثلاجة، وهنالك حمار آخر وراء هذا الحمار يحمل مولدا ليعبئ البطارية التي تفرغ شحنتها كل ثلاثة أيام، ويقومون بتطعيم الأطفال من الأمراض ضد الأمراض الستة المعروفة (السل والحصبة والدفترية والمثايل والسعال والتيتانوس)، ويطعمون الرجال ضد التيتانوس .

لقد أعلن أنه في هذا الصيف سيدخل مائتا طبيب أمريكي للعمل داخل أفغانستان .

هنالك في بيشاور ما لا يقل عن خمسمائة غربي يعملون بدأب لا ينقطع بين المجاهدين الجرحى ! فهنالك منظمات: كاراتاس سيرف - جين أغلاص - انترايد - ميشن هوسبيتال، وغيرها .

حدثني الدكتور محمد قاسم قال : جرح شاه محمد من بانجشير في عينه، فعملوا له عملية في تكسلا في .... (أي هوسبتال)، وهذا المستشفى تابع له (مشين هوسبتال)، وعندما أنهوا العملية قالوا له بالطريقة التبشيرية البدائية : قل يا محمد اشف لي عيني- بعد أن غسلوها بماء عادي- فلم ير شيئا، ثم غسلوها بالدواء وقالوا له قل يا عيسى فأبصر النور.

أضف إلى هذا أن الصليب الأحمر الدولي له مراكز إسعاف أولية (فيرست ايد موبايل تيمز) وعددها خمسة في بارشينار وميرام شاه ووانا وشامان وأباريتي .

وهنالك مركز لتأهيل المشلولين في بيشاور في حيات آباد افتتح سنة ١٩٨٤م يتسع لمائة سرير، وهنالك دورات إسعاف أولية .

وفي بيشاور أجرى الصليب الأحمر ١٠١٥١ عملية جراحية لجرحى الحرب، و أجرى في كويتا ٣٢٨٩ عملية جراحية، ودرب ٢٣٠٧ في دورات على الإسعاف الأولي في بيشاور ، و٢٧٢ في كويتا .

لقد مكث طبيب أسكتلندي ١٨ شهرا في بلخ (مزار شريف) لعلاج المجاهدين .

هذه المعلومات نضعها بين يدي الطبيب المسلم لتكون حجة عليه يوم القيامة ، ولا يبقى لأحد عذر أمام ربه .

إننا إن قارنا هذه الأرقام المذهلة لعمل الغربيين نقول : لم يعمل في داخل أفغانستان سوى طبيب عربي واحد هو الدكتور صالح، ليس في مستشفيات الجرحى في باكستان التي يديرها العرب والمنظمات العربية طبيب تخدير واحد، ويموت الكثيرون نتيجة خطأ تخدير .

ألسنا أولى من الغربيين بمساعدة هؤلاء الإخوة المسلمين من الجرحى الذي يحمون أعراض الأمة الإسلامية وأموالها ودماءها من السرطان الأحمر ؟!

ألسنا أولى بهذا العمل حتى ننال أجرا وذكرى في الأولى والآخرة ؟! ألسنا أطمع بمودة هؤلاء وبتوثيق الصلة بقلوبهم الكسيرة الحزينة؟! ألسنا أولى أن نهدهد آلامهم ونواسي جراحهم؟!

هل يطمع الغربيون كما نطمع نحن بالنعيم المقيم في جنات النعيم ... ففي صحيح مسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) .

أيها الأطباء .. أدوا زكاة علمكم .. أدوا زكاة أوقاتكم .. فالله سائلكم عن علمكم ماذا عملتم به ، وعن مالكم من أين اكتسب وأنى أنفق.

أيها الإخوة:

إنه ليثلج صدورنا هذه الجيوش الجرارة من الشباب المسلم الذي يدرس الطب في الغرب وهو معتصم بدينه، متمسك بإسلامه .. ملتزم بمبادئه، ولكن .. ألا تؤدون شيئا من أوقاتكم لله رب العالمين ؟ أما ترابطون مع هؤلاء المجاهدين شهرا في السنة وتأخذون إجازة بلا راتب لمدة سنة؟ ونحن مستعدون بإذن الله أن ندفع للمتخصص ألف دولار في الشهر، وللطبيب العام ستمائة دولار في الشهر، من شاء أن يتقدم لخدمة الجهاد والمجاهدين فعليه أن يتصل بنا على عنوان المجلة:

بيشاور ص .ب ٨٠٢، رقم التلفون ٧٦٢٩٤ أو مكتب خدمات المجاهدين(بيشاور- باكستان٤٢٩٢٢ - ٤٣٧٠٨)، أو اسلام اباد ص .ب (١٦٣٨) ت ٨٥١٨٠٥ ، أو يتصل في بيشاور مكتب لجنة الدعوة - أرباب رود ت : ٤٢٢٢٢ .

﴿انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾. التوبة: ٤١.

أيها الإخوة الأطباء نحن في انتظاركم .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

أخوكم

د. عبدالله عزام

رسالة إلى الشباب[1]

كثير من الإخوة المتحمسين والمندفعين للمشاركة في الجهاد مع الإخوة الافغان ، كثير من هؤلاء الشباب يرسل إلينا يسأل عن طريقة الوصول إلى هناك ، وقد وجد الدكتور عبدالله عزام أنه لابد من الإعداد النفسي للشباب القادم إلى أفغانستان حتى يكون على علم وبصيرة بالأرضية التي سينزل فيها، ويعيش عليها، فإنه أدعى للثبات وأعون على الصبر .

وإليكم هذه الملاحظات السبع من أستاذنا الدكتور عبدالله عزام :-

* * * *

إن الحمد لله .. نحمده ونستعينه ونستغفره .. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده رسوله .... أما بعد :-

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا .

أولا:- إن الجهاد في سبيل الله هو من أشق الأمور على النفس وأصعبها ، ولا يحتمله إلا أفذاذ من البشر ، ولذا فقد جعل الله الجزاء مقابلا للجهد والمشقة، فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(أي العمل أفضل؟ قال : الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله)** [2].

وقال عليه الصلاة والسلام: **(الغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها)** [3].

وقد أجمع العلماء أن الجهاد في سبيل الله أفضل من جوار الحرمين، وهذا هو تفسير الآية:

﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله و الله لا

١ - نشرت في مجلة الجهاد ١٥ رمضان ١٤٠٥هـ - الموافق: ٣ / يونيو/ ١٩٨٥م. ٢- رواه البخاري ومسلم . ٣- رواه البخاري ومسلم.

يهدي القوم الظالمين ، الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون»

التوبة (١٩-٢٠).

ثانيا :- إن الجهاد في أفغانستان أروع صورة للجهاد في العصر الحديث خلال القرون الثلاثة الأخيرة ، ويعتبر خارقة من خوارق الدهر، ولكن الذين يجاهدون هم بشر كبقية الناس، وشعب كبقية الشعوب، لهم أخطاؤهم، ولهم مخالفاتهم، وقد يذنبون الذنوب الصغائر والكبائر، وهو شيء طبيعي في البشر، فلن يكونوا مثل مجتمع المدينة في أيام رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومع ذلك فقد كان في صف جيش الرسول (صلى الله عليه وسلم) طابور من المنافقين يروجون الإشاعات، وينشرون الأراجيف، ويكرهون الإسلام وقيادته المتمثلة برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد يظن بعض الناس أن الشعب الأفغاني شعب نزل من السماء كالملائكة طاهرين مطهرين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، حتى إذا جاء إلى ساح القتال وأرض النزال ورأى هؤلاء الأبطال ببشريتهم الناقصة، ورأى أخطاءهم يصدم صدمة عنيفة، ويفكر بالعودة من حيث أتى .

فالشعب الأفغاني شعب كبقية الشعوب، فيهم الكاذب، وفيهم الصادق، وفيهم المدخن، ولكنه بالمقارنة مع بقية الشعوب يبقى شعبا فريدا في الأرض اليوم من ناحية البطولة والرجولة والعزة والأنفة والنخوة والوفاء والحرية والإباء، ويكفي أنه تحدى أكبر قوى الأرض، ووقف أمامها هذه المدة الطويلة .

ثالثا: - إن الجو العام في أفغانستان هو ثقيل جدا على النفس البشرية، قد تحتمله النفس البشرية العادية شهرا أو شهرين، ثم يخبو الحماس ويبدأ الوسواس ، ولا يحتمل تكاليف الطريق ومشاقه إلا القليل من الناس، فالطعام قليل، إذ أنه قد يمر عليك شهر كامل لا ترى فيه إلا الخبز والشاي ، وسترى حولك أناسا تستوحش برؤيتهم ، فلا لغة بينكما للتفاهم، ولا تجد أنس الصحبة، ولا صور المودة التي كنت تألفها في بلدك، وقد ترى صلاة سريعة، وجهلا ببعض التعاليم الإسلامية، وهنا يأتي دورك في الصبر والمصابرة.

رابعا: - إن الشعب الأفغاني يحب العرب كثيرا ويحترمهم، ويعتبر خدمتهم عبادة، بشرط واحد وهو أن يثق بهم ، فإذا وثق بهم قدم لهم نفسه وروحه فداء، ولكن إذا شعر أن العربي يستعلي عليه فإنه يحتقره ويزدريه ، إذ أن نفس الأفغان لا تطيق الاستعلاء ولا الاستعباد ولا الذل ، إذ أنه يفضل الموت على الذل .

فعلى العربي الذي يأتي هنا أن يعرف حدوده ، ولا يضع نفسه فوق المنزلة التي تستحقها ، فهو قادم كالجندي وليس قائدا للقادة وموجها للسادة، فلقد رأينا بعض العرب ليس له رأي في أسرته الخاصة، وليس له أية مكانة علمية في بلده أو قريته، وجاء هنا وبدأ الانتقاد لقادة الجهاد، ويشكك في مسيرة الجهاد ، قد أصبح الانتقاد عندنا علامة على حب الرجوع ، وأصبح التشكيك عندنا قرينة على العزم على الإياب .

خامسا:- إن فوق أرض الجهاد أناسا من مشارب شتى ومدارس مختلفة، كثير منهم يخالفك في الطريقة التي تربيت عليها ، والنهج الذي نهلت منه، وبعضهم لم يتلق العلم على يد عالم، كل علمهم من الكتب ، لا يعرف أدب الدعوة، ولا يعرف أدب المحادثة، وأنت مضطر للمعاملة مع هؤلاء جميعا، والقاعدة التي نسير عليها ها هنا (نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه)، فلا بد لك من الصبر على إخوانك الذين يشاركونك في الجهاد، وإن الصبر على هؤلاء أشد على النفس من وقع قذائف الأعداء، ولا مناص لك ، لن ترى في أرض الجهاد أناسا كلهم على ذوقك، ولابد لك من الصبر على اختلاف المشارب والأذواق والطبائع والجبلات، وإلا فلن تستطيع أبدا الجهاد .

سادساً- إن الصورة في بيشاور غير الصورة في داخل أفغانستان، وسوف تسمع الكثير من الغثاء مما ينقبض له صدرك من المتنافسين على الرئاسة ضد بعضهم البعض ، فلا يصدنك هذا عن الدخول إلى أرض المعركة لترى بنفسك الصورة المشرقة للجهاد تخالف هذه الصورة تماما، الصورة التي رسمتها في ذهنك من كلام الأنداد في بيشاور .

سابعا: - أخي الكريم: إن الجهاد (صبر وثبات واستقامة واحتمال الشدائد كلها)، وعليك بتقوى الله والذكر حتى تبقى سائرا على الطريق، لأن الله عز وجل يقول: «إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله

عنهم إن الله غفور حليم» آل عمران - ١٥٥. وكما قال عمر في رسالته إلى سعد رضي الله عنهم جميعا (إن ذنوبكم أشد عليكم من سيوف أعدائكم)، وكما قال أبو الدرداء : (إنما تقاتلون بأعمالكم) .

إن الجهاد لا يعدله شيء، فهل تؤثر على الجهاد عملا من الأعمال ؟ وإذا ضعفت نفسك عن الإقدام والمبادرة إلى المشاركة في ميادين الجهاد فلا تبرر لنفسك واقعا تعلم انحرافه وتدرك مدى خطورته .

رسائل متبادلة بين داعية وقائد[1]

يحرص الدعاة المتبعون دائما على إبداء النصيحة والموعظة الحسنة في أمر الدين والدنيا لعامة الناس وأئمتهم، لأن نصيحتهم وانتصاحهم فيه الخير كل الخير لهم ولمن يتولون أمرهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم **(الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)** [2].

وهل هنالك تعاون أسمى من تعاون العلماء والدعاة مع الأمراء والقادة على رعاية مصالح الأمة وبالأخص في أرض الجهاد على أساس أحكام الجهاد .

في هذا الباب رسائل متبادلة بين الداعية عبدالله عزام أستاذ (في كلية الشريعة) في الجامعة الاسلامية في إسلام اباد والقائد أحمد شاه مسعود أمير جبهة وادي بنجشير المشهورة، وهو من الذي انتظموا في الحركة الإسلامية على يد الشهيد حبيب الرحمن، مما جعله يترك دراسته الهندسية في السنة الجامعية الثانية فارا بدينه بعد ملاحقة الحكومة له، ومازال في الجهاد منذ ما يقارب العشر سنوات، يقارع قوى الكفر والشيوعية، وهو صاحب اثنين وثلاثين عاما.

* * * *

رسالة الداعية عبدالله عزام

بسم الله الرحمن الرحيم

من العبد الفقير إليه تعالى عبدالله عزام إلى أخيه المجاهد قائد جبهة بنجشير حفظه الله:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فإن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، وبعد:

لقد أكرمك الله بأشرف منزلة وأفضل عمل إذ يسر لك الجهاد في سبيله: **[يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم]** . المائدة٥٤.

ولقد تفضل الله عليك بأن جعلك من المجاهدين في ساحة القتال، ولقد من الله عليك بنصر من عنده:

«وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم » الأنفال ١٧.

فالفضل لله أولاً وآخراً وله المنة، والحمد لله من قبل ومن بعد، فأوصيك يا أخي بتقوى الله ومراقبته، وإياك أن يدخل إلى نفسك عجب أو يداخلك تفكير أن هذا النصر بعلمك ومهارتك، فليس لك من الأمر شيء (قل إن الأمر كله لله) و (إليه يرجع الأمر كله) واعلم أن العجب والغرور يحبط العمل ويهلكه كما تأكل النار الحطب، فأوصيك يا أخي بالإخلاص لأنه عز وجل لا يقبل عملاً إلا بشرطين:

أولا : أن يكون صوابا موافقا للسنة .

ثانيا : أن يكون خالصا لوجه الله خاليا من الرياء، ففي الحديث الصحيح «من عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه».

١- نشرت في مجلة الجهاد في ١ صفر ١٤٠٥هـ - الموافق ١ / اكتوبر العدد الثاني عشر.   ٢- رواه مسلم .

فعليك بمراقبة الله وخشيته في السر والعلن، وأكثر من الصالحات ظاهرا وباطنا يحفظك الله في الشدائد ، ويلطف بك في النوازل «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة».

{ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب } ، الانفال: ٤٥.

{ ومن يتوكل على الله فهو حسبه} آل‌عمران: ١٠٠

وأوصيك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض، وذخر لك في السماء، وهو عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، وهو الهدى والنور والشفاء للروح ، وأوص المجاهدين أن يتلوه ويكثروا من تلاوته:

{يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون}. آلعمران١٤٩.

وأكثر من الإستخارة والإستشارة، فما ندم من استشار وما خاب من استخار، وفي الصحيح «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها).

واجعل أهل الشورى عندك ممن تظنهم من المخلصين الصادقين، وإياك أن تجمع حولك أهل الذنوب والغافلين: {ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا }.

واعلم أن أصل الفساد في هذه الدنيا يرجع إلى اتباع الشهوات والشبهات، فلا بد من دفع الشهوات بالصبر، ومن دفع الشبهات بالعلم واليقين حتى تصبح إماما في الدين، لأن الإمامة في الدين لا تنال إلا بالصبر واليقين [وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا لماصبروا وكانوا بآياتنا يوقنون]

فأكثر حولك العلماء، وحارب الشهوات بقطع الطمع، لأن الطمع والحرص على الدنيا يفسد دين المرء ودنياه ، وفي الحديث الحسن «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على الشرف والمال لدينه ».

وإياك والاستعانة بالظالمين ، أو استشارة الكافرين، أو الركون إليهم، أو الاعتماد عليهم ، {يا أيها الذي آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين } .

{يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين }.

وعليك بمحاربة البدع صغيرها وكبيرها، ونبه المجاهدين ألا يحملوا الرقى والتمائم، ولا يتمسحوا بالقبور، وألا يضعوا عليها الأعلام والزهور، وألا يبنوها، فإن بناء القبور حرام، وأن لا يبنوا عليها المساجد، وألا يوقدوا عليها السرج، لأنه كما جاء في الحديث «أولئك شر الخلق عند الله، »وفي الحديث:«شر الناس اثنان: الذي تدركهم الساعة أحياء، والمتخذين على قبورهم المساجد والسرج ».

وأوص المجاهدين بصوم النافلة، وبقيام الليل، فإنه عون لهم في جهادهم، ولا تجمع كل الصلاحيات بيدك، بل وزع المسئوليات على أعوانك، فإن هذا يريحهم ويزيدهم ثقة بك وحبا لك، وهو راحة لك وأجدى للعمل، وأنفع للجهاد، وهذا يقلل من التمرد على أوامرك، أو التفلت من قبضتك، ويحفظ الصف من الانشقاق والتمزق ، وإياك والتجسس على جنودك، ولا تتبع عوراتهم، فإن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم أو كاد أن يفسدهم ، « ومن تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته وفضحه ولو في جوف بيته »، وكم أفسدت هذه القضية من قلوب، وكم مزقت من صفوف .

وتحبب إلى جنودك بالابتسامة الصادقة ، وتغاض عن هفواتهم ، واعف عن مسيئهم، واقبل محسنهم، ولا تجعل ظنك بهم سيئا.

واعلم أن العالم الإسلامي كله يرنو ببصره إلى الجهاد الأفغاني ويتابع أخباره باهتمام بالغ، وهو يستحوذ على اهتمامهم، ونرجو الله عز وجل أن ينصركم ويثبت أقدامكم ، وأن يقيم دولة الإسلام على أيديكم، إنه نعم المولى ونعم النصير .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

أخوكم

عبدالله عزام

من القائد الأستاذ غلام محمد آرين پور [1]

إلى الداعية الدكتور عبدالله عزام

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الكبير والداعية والعالم المدبر الحنون وخادم الإسلام والمسلمين الدكتور عبدالله عزام .. المحترم ! [2]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فنرجو الله الواحد الأحد الفرد الصمد أن تكونوا بخير وعافية ، وأن تنالوا سعادة الدارين.

تسلمت خطابكم الموقر الذي كان يبشر عن صحتكم، وكان يحتوي بين طياته المفاهيم القيمة التي لا غناء عنها لأي فرد مخلص، وإنكم ما تركتم شيئا مفيدا إلا ذكرتموه ، وأنا أريد أن أكتب باختصار عن أفكار ونيات حاملي السلاح في أفغانستان ، عن أفكار أناس يؤدون رسالتهم الإسلامية، ويلعبون دورهم البارز، ويزينون صفحات تاريخنا الإسلامي المجيد، وتاريخ بلادنا بحماسهم الفريد، وأن أذكر خواطر وذكريات تسطع في جبين التاريخ .

أنا شاهدت تلاطم الأحداث الاجتماعية والسياسية والعقبات في سبيل شعبنا المؤمن منذ عام ١٣٤٧هـ ش (١٩٦٨م)، حيث كنت في جلسات رجال بدأوا العمل الإسلامي، ولكني لا أدعي بأنني لعبت دورا حاسما مثل هؤلاء الرعيل الأول، وأعني بهم: الأستاذ برهان الدين رباني، والشهيد السعيد المهندس حبيب الرحمن، والشهيد السعيد المهندس سيف الدين نصرتيار، والشهيد العزيز عبدالرحيم نيازي، والشهيد السعيد غلام رباني عطيش، والشهيد السعيد الدكتور محمد عمر، وعشرات غيرهم من أبناء الإسلام الصادقين المجاهدين، وأما في الظروف الموجودة أشكر الله العلى القدير بأن أرى جسمي النحيف بين إخواني المجاهدين، وأبذل كل ما في وسعي بطيب خاطر لخدمة الجهاد، وما أكتبه لكم هو عصارة تجاربي من جهادنا العملي والفكري .

من المعلوم بأن سيل الحوادث المختلفة أثر في تقاليد وأعراف وفكر الناس أثرا إيجابياً أو سلبياً، مثل هجوم جنكيز الوحشي، وثلاث هجمات من قبل إنجلترا، وبعدنا الزمني عن ينبوع الوحي، وعدم مبالاة السلاطين والملوك في الأمور المتعلقة بالثقافة الإسلامية، وما لعبت من دور خطير الأيادي المجرمة وعملاء الملحدين في الماضي والحاضر، ولاسيما وجود دولة روسيا الملحدة في الستين سنة الأخيرة .

وقد أراد أبناء الحركة الإسلامية المخلصين في بداية السبعينات بأن يجهزوا أنفسهم باستفادتهم من كتاب الله وسنة رسوله، ويهيئون الظروف العينية والذهنية لتحركاتهم، ولكن مع الأسف الشديد لم تتح لهم الفرصة، وبدأت الثورة الإسلامية في أفغانستان قبل أوانها ، وعدم تجربتنا والتعليم الكافي في هذا المجال أفضى بأن يدخل في صفوف الحركة أشخاص آخرون، ويحمل السلاح أناس غير مخلصين ، ومن العقبات التي يواجهها جهادنا الإسلامي المبارك عقبة هؤلاء الرجال، بالإضافة إلى ما يرتكبه عملاء الدولة العميلة، وعملاء كي - جي - بي في صفوف الجهاد .

وفي الظروف الراهنة الحساسة نحن نعتقد على الرغم من وجود العقبات التي يواجهها المجاهدون المخلصون ، نقول بأن النصرة الإلهية التي لا نهاية لها تشملهم ، ولكن نعرف ونتيقن بأن انتصاراتنا منوطة بأعمالنا وأفعالنا ، وكلما طابقنا أعمالنا وأفعالنا مع كتاب الله وسنة رسول الله ، كلما ننال حظا وافرا عن مدد الله الغيبي وعنايته الوافرة .

ولكن إذا عصينا ربنا، وأفسدنا في أعمالنا، وابتعدنا عن طاعة الله وأوامره، فحصول الهدف والغاية أمر مستحيل لا نناله أبدا.

نحن قبل ثورتنا الإسلامية كنا نترصد ما فعله وما ستفعله القوة الاستعمارية الشيوعية الشرقية والغرب الرأسمالي، نحن نعرف ما فعله الطواغيت باسم السلام والمساعدة للشعوب المستضعفة من المسلمين وغير المسلمين في ألمانيا وكوريا وفيتنام والفلبين وسوريا ولبنان وليبيا وفلسطين الغالية ، ونحن نعرف ما يفعله جنود سوريا وإسرائيل والعملاء بحيل كثيرة باسم المساعدة والإصلاح ، ويهجمون على أرض لبنان، ويدوسون الشيوخ والشباب والأطفال والرجال والنساء مثل النملة .

---

١ ـ استشهد في تحطم طائرة في أوائل سنة ١٩٩٣ في بدخشان التي عين والياً لها.

٢ـ الرسالة جاءت باللغة الفارسية وهذه ترجمتها باللغة العربية.

المجاهدون يعرفون عن مصير عشرين مليون مسلم ومئات المدارس وآلاف المساجد في بخارى وسمرقند وتاجكستان وتركمنستان، ونعرف المخططات الآثمة الإجرامية التي تواجهها الدول الإسلامية، ولا ننسى ما فعله معتنقو عقيدة التثليث وحاملو راية الكفر والشرك على الأندلس الإسلامية، وما قدموه تحت شعار المسيحية الكاذبة وأعمال يندى لها الجبين خجلا بذكرها .

ونعرف عن المخططات التي ينوي الاستعمار تنفيذها في الفلبين وفلسطين ولبنان ومصر والأردن و . . .

نعم ! الإمبريالية الغربية والشرقية والصهيونية العالمية وتجار وسرقة ومصاصو دماء الإنسان المظلوم وجميع الطواغيت اتحدوا معا، وشمروا عن ساعد الجد لتدمير الإسلام العزيز وإبادة الأمة الإسلامية بالحيل والخداع، ولكن ليس لمكرهم أي مستقبل إلا مستقبل جيش الأحزاب حينما حاصروا المدينة المنورة في عهد الرسول ﷺ، حيث أرادوا القضاء على دولة الإسلام الفتية، فهؤلاء الاستعماريون والذين قلدوا الدجالين مثل: ماركس وإنجلز ولينين وستالين وماو وفرويد وداروين واسبنسر لا يستطيعون أن يعملوا شيئا، وسيدفنون في مزبلة التاريخ بإذن الله العزيز المنتقم المقتدر، ويخيم عليهم غضب الله -إن شاء الله-.

اترك قيصر العصر ويزدجرد الزمان في الكرملين والبيت الأبيض وقصر الأليزيه أن يستهزئوا بجهادنا، جهاد حفاة صنعوا تاريخهم في الجبال الشامخة والوديان، اتركهم يفرحون دموع العرائس اللاتي استشهد أزواجهن في ليالي الزفاف، مسرورين يستمعون لآهات الأمهات اللاتي فقدن فلذات أكبادهن، دعهم يزدرون قوافل مهاجرينا وآلاف الجرحى والمرضى والمعوقين، وليتذكروا برؤية هؤلاء المستضعفين همجية الحرب بين " غلاديوتوريين " ويرضوا بتلك السادية الفكرية السائدة بينهم.

ولكن أبناء جبال هندوكوش وسليمان والجبل الأبيض الغيورين الشجعان، وأساد ضفاف كنر وهلمند وهريرود وأمو وكوكتشة الرابضين، قد رفعوا رؤوسهم مثل الجبال الشامخة والأمواج الهائجة، لا ينحنون إلا لخالقهم العزيز المقتدر الواحد المدبر، ولا يركعون أمام أية قوة جبارة في العصر، وهم متيقنون بزوال جميع الجبابرة، لأنهم يعرفون بأنه **"وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض"** فيبقى لواء الإسلام المجيد يرفرف على أرجاء الوطن .

أخي العزيز:

إننا نعتقد بأن معصية الله سبحانه وتعالى، والبعد عن سنن رسول الله، وتفشي النفاق، وحدوث الشقاق – تحت أي اسم كان- يعد من العوامل التي تقصم ظهر جهادنا المبارك، ومن العوامل التي تفشل الجهاد، ولا ننتصر إلا بالوحدة في العمل على الجمع بين المجاهدين، ولا تستطيع أية وسيلة مادية أن تملأ هذه الفجوة ، ومن أضرار النفاق الأمور التالية:

(١) يمحو روح الترابط بين المجاهدين.

(٢) يورث التذبذب الفكري والعملي .

(٣) يخلق العداوة والحسد والتعصبات المختلفة ويكثرها .

(٤) يمنع الحرب المتفق عليها من جميع الجهات .

(٥) يورث الخلل في الحروب المتحركة، وتعرف بأن الحرب المتحركة عامل مؤثر في قصم ظهر العدو.

(٦) يضعف المساعدة المتقابلة بين الناس والمجاهدين .

(٧) إضعاف الابتكارات والأعمال الحيوية التي يريد المجاهدون العمل بها.

(٨) تثمر تحركات العدو ودعاياته.

(٩) يطفيء روح الجهاد تدريجيا .

كما يفعل الشقاق المجاهدين نتيجة هذه الأفاعيل، وفي مقابلة ذلك يعد الاتحاد والوحدة حربة نافذة ومؤثرة تؤدي إلى إنهيار العدو وتحقيق أمنياتنا الإسلامية .

أخي العزيز:

نحن لا نوافق على هجرة المواطنين من الوطن، بل نراها غير منطقية وغير مفيدة.

ونحب أن تساعد الجهات المختصة الجبهات في الداخل، وبدل أن تساعد المهاجرين خارج ثغور البلاد يجب مساعدتهم داخل

أفغانستان، لأن ترك المهاجرين بلادهم يؤدي تدريجيا إلى قطع جذور الجهاد، ومن جانب آخر فالدول الغربية تؤثر على تقاليد وقيم المهاجرين ، وبعد الانتصار سنواجه مشاكل أخرى، و الآن و بعد هجرة كثير من أبناء الوطن إلى الخارج ، نرجو الله العلي القدير أن تكون أسوتهم إبراهيم وموسى و سيدنا محمد عليهم الصلاة والسلام.

أخي المحب للإسلام:

نرجو من فضيلتكم أن تبعثوا الإخوة العرب إلى جبهات الجهاد بعد تحليل شخصيتهم وكفاءتهم وأهليتهم و تفهمهم للأمور، وأن يكون الأخ .... واسع الأفق يصرف همه في الأمور الأساسية، وأن يكون حر الإرادة و العمل ، سليم الفكر والتصميم، ولا ينسى رسالته الإسلامية، وأن لا يدافع عن منظمات أفغانية كأحد أعضائها المتعصبين، وأن يكون مصلحا بعيدا عن الإفساد، ولا يخرج عن دائرة هذه الشروط و هذا ما نتوقعه و ننتظره منهم.

ونقترح في موضوع مساعداتكم وإدارتكم الخيرية الأخرى ألا ينس فعالية الجبهات الجهادية ونظمها وظروفها وتعهدها وإخلاصها ومدى تمسكها بكتاب الله و سنة رسوله، و مواقفها في المسائل الجهادية والدولية لتكون المساعدة في شكلها المناسب الإسلامي حتى لا يستفاد منها في النفاق والشقاق والأهداف الشخصية والقبلية والإقليمية .

وفي الختام أرجو العفو من تطويل رسالتي، و أذكركم بأن الأخ عبد الواحد قد مكث معنا في جبهة كشم وغيرها زهاء سنة ، وهو خير من يشرح لكم الوقائع والأحداث، و لله العزة ولرسوله و للمؤمنين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم في الله /محمد أرين بور

المسؤول التعليمي في جبهات شمال أفغانستان/ جمعية

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة زوجة الشهيد

رسالة موجهة من زوجة الشهيد عبدالله عزام إلى المؤتمر الإسلامي النسائي في أمريكا والسويد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أخواتي في الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كنت أود أن أكون معكن في هذا الاجتماع المبارك الذي أرجو الله أن يكون خالصا لوجهه الكريم ، وأن تكون فوائده وحسناته في ميزانكن يوم القيامة إنه سميع مجيب، ولكن مشيئة الله حالت بيني وبين اجتماعي بكن، أسأله جل وعلا أن يعوضنا عن اجتماعنا بكن خيرا .

أخواتي الحبيبات :

إن العمر قصير، وإن الحياة لأنفاس معدودة ومحسوبة، فهل أعدت كل واحدة منا نفسها لهذا اليوم، يوم فراق الأحبة والأصحاب ، وفراق الدنيا الفانية، والانتقال إلى يوم الحساب وإلى دار البقاء، ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم؟! وهل أعدت كل واحدة منا نفسها لضمة القبر التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها يوم أن دفن الصحابي الكريم سعد بن معاذ رضي الله عنه (لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ)؟! أرجو الله تعالى أن نكون ممن صدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهن (خير متاع الدنيا المرأة الصالحة)، وصلاحك أختي المؤمنة بصلاح دينك، وصلاح عقيدتك، وصلاح تربيتك لأولادك الذين هم أمانة في عنقك، والذين هم شباب المستقبل وحماة الدين، والوقود المستمر لهذه الدعوة الخالدة .

أخواتي الحبيبات :

يا حفيدات الخنساء ، ويا أخوات سمية وخولة بنت الأزور..

يا من رضيتن بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا وبالقرآن دستورا..

يا من تردن أن ترفعن راية لا إله إلا الله خفاقة عالية..

يا من تردن أن تعشن على ربوع أرض يسودها العدل والطمأنينة ..

يا من تردن أن تعشن حياة سعيدة عزيزة وكريمة..

يا من اتبعتن نهج الرسول في حياتكن..

يا من اتخذتن القرآن دستورا،

يا نساء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ادفعن الرجال للجهاد في سبيل الله، لأنه لن يكون لكن كما تتمنين إلا في ظل رجال أقوياء يحملون السلاح ويدافعون عن دينهم وعقيدتهم ووطنهم وعرضهم، وتكون لهم مهابة في قلوب أعدائهم .. يقدمون الشهيد تلو الشهيد، وعند ذلك تكون العزة والكرامة والرفعة في ظل السيوف، وفي ظل أناس أقوياء لهم مهابتهم في قلوب أعدائهم، ولكن لن يكون ذلك إلا اذا قامت كل واحدة منا بدفع الزوج والولد والأخ والأب لساحات النزال وساحات الشرف والقتال، ولن يكون ذلك كذلك إلا بصبر المرأة على غياب الزوج والأخ والأب، وبأن تخلفهم في نفسها وأولادها وبيتها خيرا، وتكون من ورائهم الصخرة الصلبة التي يتكئون عليها، وتكون الساعد الأيمن للرجل، وأن تهيء -بكل ما تملك من صبر وتحمل- الظروف المناسبة للرجل في سبيل تحقيق ذلك، وأن تترفع عن الدنيا وسفاسفها، وأن لا تكلف زوجها ما لا يطيق، وأن ترضى بالقليل الذي ييسره الله لها، وأن لا تشغله بنفسها وبطلباتها الدنيوية، التي لو تتبعتها وتتبعت شهواتها ستؤدي بها في النهاية إلى التهلكة، وستنفذ كل طاقاتها وجهدها ووقتها، ولن تنتهي من هذه الدنيا إلا بعد أن تهلكها.

ويجب عليك أختي المسلمة:

أن تدفعيه للجهاد بكل ما تملكين، ولا تترددي بذلك لأي سبب من الأسباب، لأن الأعمار بيد الله، وأن الجهاد لا ينقص من أعمارهم ولا من أرزاقهم شيئا، وترك الجهاد في سبيل الله لن يزيد في أعمارهم شيئا ولا في أرزاقهم، فكل ذلك بقدر من الله، والله يقول: (**إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**).

وانني أختي المسلمة:

أسألك سؤالا: ألا تحبين أن تكوني مجاهدة في سبيل الله؟ بالطبع ستجيبين بـ«نعم»، فكيف يكون لك ذلك في أيامنا هذه حيث تغيرت أساليب الجهاد في سبيل الله، فلا تستطيع المرأة الآن أن ترافق زوجها إلى ساحات المعركة، فكيف تكون مجاهدة إذا لم تدفع زوجها للجهاد، وتشاطره الأمر بصبرها على غيابه وإخلافه في بيته؟! فإن كتب الله له الحياة في ظل الجهاد فستعيشي معه سعيدة، وإن كتب الله له الشهادة فستحشري معه شهيدة -إن شاء الله-، لأن الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته، فماذا بعد هذا الأجر؟ وماذا بعد مرافقة الشهداء والصالحين في الجنة؟ نرجو الله أن يحشرنا في صحبتهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وإنني والله لأقول لك أختي في الله عن تجربة أنك إن توكلت على الله في حياتك فلن يضرك شيء بإذن الله، فمهما كبرت المصيبة فهي صغيرة جدا مادامت في سبيل الله، ووالله الذي لا إله إلا هو أنني تلقيت خبر استشهاد زوجي وأولادي بكل رضا بقضاء الله وقدره، ونزلت المصيبة عليّ بردا وسلاما، وقد أحسست أن السعادة تفيض عليّ من الداخل، وتغمرني، وقد مضى على استشهادهم الآن شهرا ومازلت ثابتة راضية مطمئنة، فكل هذا من الله وبقدره، وليس هذا باستطاعتي لولا تثبيت الله لي، ولكنني واثقة أن عمرهم قد انتهى، وأن أجلهم جاء، فماذا ينفع الجزع والحزن، فالرضا بقضاء الله خير من الجزع، والصبر جزاؤه الجنة، فاللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم، وإني لأستشعر السعادة باستشهادهم أكثر منها في حياتهم، وإني أرى والله أعلم بأنهم فازوا وفزت معهم -أدخلهم الله فسيح جناته وألحقنا بهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر إنه سميع مجيب-.

وأخيراً أختي المسلمة:

أوصيك ونفسي بتقوى الله، وقراءة القرآن، وحفظ اللسان، ومصاحبة الأخيار، والبعد عن الأشرار، وإياك والترف، فإنه يميت القلب، والقلب الميت لا يستطيع أن يربي الأحياء، وإننا بحاجة أختي المسلمة إلى تجديد النماذج من الصحابيات رضوان الله عليهن، فضعي نصب عينيك أن تكون أم سلمة وخولة والخنساء رضي الله عنهن قدوة لك، فاعملي كي ترتقي إلى الدرجة السامقة التي ارتقت إليها أخواتك رضوان الله عليهن، واجتهدي كي تجعلي من نفسك نموذجا حيا يتحرك على الأرض، فالتأثر بالنموذج الحي أوقع في النفس وأجدر بأن يقتدى به، وفقك الله لما يحب ويرضى.

واعلمي أختي المسلمة:

أن لك أخوات في الله يعشن على أرض باكستان من أخواتك المهاجرات الأفغانيات اللواتي قدمن الغالي والرخيص والنفس والنفيس في سبيل رفعة هذا الدين، وهن بحاجتك كي تمدي لهن يد العون بكل ما تستطيعين، سواء بالمال أو باللسان أو بالدعاء، كما يجب عليك أن تتذكري دائما كلما وضعت في فيك أو في فم أولادك شيئا من الطعام أن هناك نساء وأطفالا على أرض باكستان لا يجدون ما يسدون به رمقهم، وحقهم على إخوانهم المسلمين في كل مكان أن يقفوا معهم في محنتهم، ونحن أختي المسلمه نهيب بك أن تمدي يد العون لأخواتك المهاجرات على أرض باكستان عن طريق اللجنة النسائية العربية في بيشاور التي لديها كثير من المشاريع الخيريه بحاجه إلى الدعم، وتستطيعين أن تقدمي مساعدتك في أي منها، وإليك هذه المشاريع:

١ – مشروع كفالة اليتيم ويكلف شهريا خمسة عشر دولاراً .

٢ – مشروع كفالة معلمة وقيمته خمسون دولارا شهريا .

٣ – دعم المراكز القرآنية التي تشرف على تعليم الأطفال القرآن الكريم والفقه الإسلامي، وتقوم بتقديم المصاحف والأقلام والكراسات مرتين في السنة، ورواتب المعلمات وبعض المكافآت للطلاب .

٤ – راتب ممرضة وقيمته ١٠٠ دولار شهريا .

٥ – راتب طبيبة ما يعادل ٤٠٠ دولارا شهريا.

٦ – تقديم المساعدات للمستشفيات مثل الأدويه والشراشف –الأغطية– والطعام للمرضى.

٧ – دعم مشروع توزيع الإعانات المادية والعينية على المهاجرين في المخيمات.

٨ – دعم مشروع توزيع الخيام وثمن الخيمة ما يعادل ٧٠ دولاراً.

٩ – دعم توزيع الحجاب الإسلامي على المعلمات والممرضات والأخوات المهاجرات في المخيمات.

١٠ – دعم مشروع توزيع الحليب على الأطفال الرضع في المخيمات.

١١ – دعم المشاغل ودور الخياطة بأدوات الخياطة وماكينات الخياطة التي تعمل بها أرامل الشهداء وبنات الشهداء وأمهات الشهداء، وتقوم اللجنة النسائية بالتسويق، والأرباح التي تنتج عن هذه المشاريع تنفقها اللجنة النسائية على المهاجرين أنفسهم.

١٢ – التبرع بالأموال المخصصه لترجمة الكتب الفقهية إلى اللغة الفارسية وتوزيعها بين المهاجرين والمدارس من أجل تنمية الوعي الديني بين الشعب الأفغاني، وذلك لتفشي الجهل بين الشعب وذلك بسبب الحرب.

واخيراً أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أختكم في الله / أم محمد عزام

رسالة من زوجة شهيد الأمة الإسلامية

إلى قادة الجهاد الأفغاني

أيها الإخوة في مشارق الأرض ومغاربها ، الإخوة الأفاضل قادة الجهاد الأفغاني... حفظكم الله وسدد خطاكم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون]. آل عمران:١٦٩-١٧٠

لقد رحل عنا الشيخ ونحن أحوج ما نكون إليه بعد الله، وفي هذه الظروف الحالكة، وحالة المجاهدين تقترب من النصر الذي حرم رؤيته، والذي استهلك منه جميع ما يملك من قوى، بل وملك عليه مشاعره وأحاسيسه وفكره وخلجات قلبه، بل وأنساه بلده وأهله وأسرته وعشيرته، وملك عليه فؤاده، حتى أصبح لا يتكلم إلا عنه، ولا يكتب إلا عنه، ولا يشد الرحال إلا إليه، وفي سبيله، والذي طالما كان يحلم أن تقام الدولة من خلال هذا الجهاد، وأن تكون أفغانستان هي قاعدة الانطلاق للمجاهدين في سبيل الله لنشر دين الله في الأرض، ولتحرير المسجد الاقصى من اليهود، ولتحرير الأرض من الكفر والطغيان، ولإعادة العباد إلى عبادة رب العباد، ونبذ ما عودتهم عليه هذ الدنيا من البحث عمّا تصدره إليهم دول الكفر والإلحاد لهدم وتشويه مبادئ دينهم الحنيف، وللسيطرة على عقولهم وأفكارهم من خلال إشغالهم بسطحية الأمور، وغفلتهم عن جوهرها، وإغراقهم بالدنيا وملذاتها.

ولقد رحل الشيخ وأخذ قلوب الأمة الاسلامية جمعاء معه، ولكن عزاءنا أنه قضى شهيدا ونال ما سعى إليه، وفاز بشرف عظيم في الدنيا والآخرة، ونال أحسن الدرجات من الجنة إن شاء الله، وأملنا بالله كبير بأن الذي ذهب به قبل رؤية النصر في الدنيا أن لا يحرمه مشاركتنا الفرحة بالنصر وهو في عليين، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا، لأن الله أخبرنا بهذا حيث قال في كتابه العزيز:

[والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين. ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم] الحج ٥٨-٥٩ صدق الله العظيم .

اخوتي في الله قادة الجهاد:

لقد مضى شيخنا إلى الله، وعزاؤنا أن له إخوة في الله سائرين على خطاه، مكملين طريقه، وسيثأرون له، ويخلصون له حقه، ويشفون له غليله من أعداء الله المجرمين، وإنهم بإذن الله سينهجون نهجه، وسينفذون ما اتفقوا عليه معه كاملا دون نقصان بإذن الله تعالى.

إخوتي في الله، إنكم أعلم الناس بالشيخ، وبما كان يسعى إليه، وما كان يأمل منكم أن تفعلوه لصالح الجهاد، فنرجو من الله أولا ثم منكم ثانيا أن تعملوا على تحقيقه، وأن تنبذوا ما بينكم من خلافات، وأن تبذلوا ما في وسعكم من جهد كي توحدوا الصفوف، وتبدأوا بتحرير المدن، وتضربوا ضربة رجل واحد كي تطهروا أرض أفغانستان من الرجس الأحمر ومن الطغيان، وإننا لنشعر بأن الدولة الشيوعية تختنق، وأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة، ولولا الاختلافات التي بينكم وعدم اتحادكم لما استطاعت دولة الكفر أن تستمر وتواصل، ونشعر بأن نصر الله قريب، وأنه مرتبط باتحادكم وصفاء قلوبكم ونفوسكم، لذا نضرع إلى الله.أن تكونوا قد عزمتم عزما أكيدا أن توحدوا الصفوف والكلمة وتكونوا بنعمة الله إخوانا.

إخوتي في الله:

أستحلفكم بالله وأقسم عليكم بالله أن تتقوا الله في هذا الجهاد، وأن تتنازلوا عن حب الدنيا وحب المناصب لوجه الله تعالى. وأن تتقوا الله في دماء الشهداء، وتتذكروا أنكم في يوم من الأيام مغادرون، ولهذه الدنيا تاركون، وللأمل والمنصب مفارقون، ولا يصعد معكم إلا الذي كنتم تعملون، ولا يذكر لكم في هذه الدنيا إلا ما كنتم عند الله تدخرون، ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

إخوتي في الله:

نريد منكم أن تأخذوا على أنفسكم ميثاقا على أن تستمروا على ما عاهدتم الله عليه ثم ما عاهدتم عليه الشيخ، لأن فيه عز الدنيا والآخرة، وفيه رضا الله، وفيه الخلود في الآخرة في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

نسأل الله عز وجل أن يتغمد الشهداء بالرحمة والغفران، وأن لا يحرمنا أجرهم ، ولا يفتنا بعدهم، وأن يربط على قلوبنا كما ربط على قلب أم موسى، وأن ينصر المجاهدين الصادقين في سبيله، وأن يثبت أقدامهم، وأن يؤيدهم بنصر من عنده وبملائكته، وأن يلهمنا وإياكم الصبر والثبات، وأن لا يحرم الأمة الإسلامية من قيام الدولة الإسلامية على أرض افغانستان، وفقكم الله لما يحب ويرضى، وسيروا على بركة الله، واستمدوا قوتكم من الله، ونحن من ورائكم، وندعو لكم بقلوب يملأها الإيمان والثقة بنصر الله [ينصر من يشاء إنه على كل شيء قدير]. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أختكم في الله / أم محمد عزام

مقتطف من كلمة الدكتور عبدالله عزام

في أسبوع التضامن مع حركات التحرر العالمية (١)

وبعد أن أنهى الأستاذ برهان الدين رباني كلمته تكلم الدكتور عبدالله عزام عن قضية فلسطين... وقد بدأ كلمته بقوله: بالجهاد.. الجهاد فقط، تقوم دولة فلسطين ويقوم للأمة كيانها وأنه لا وجود للحق بلا قوة تحميه وهكذا علمنا التاريخ ثم قال: إن انشغالنا بالجهاد الأفغاني ليس نسياناً لفلسطين وإن فلسطين تعتبر جزءاً مقدساً من ديننا وإن تخليص المسجد الأقصى أول فرض على المسلمين في الأرض فإذا تغيرت المواقع فليس معنى هذا أننا نسينا موقعنا الأول، ولكن إذا اشتدت الحدود فلابد من تغيير الموقع حتى تبقى شعلة الجهاد مشتعلة. وقال الدكتور عبدالله عزام: إن فلسطين أرض عربية قبل مئة قرن وإن اليهود يريدون أن يلبسوا علينا هذه القضية وأثبت ذلك بأدلة كثيرة وأثبت أيضاً بأن حائط المبكى إسلامي باعتراف الامم المتحدة بأن حائط المبكى من الأوقاف الإسلامية وأن الدول العربية هي التي ساعدت إسرائيل على قيام كيان لها ثم ذكر بأن الفلسطينيين قد قدموا خلال ١٣ قرناً ما يقرب من ١٠ ملايين مسلم وإن الفلسطينيين قد ارتموا في حضن الشرقي عندما لم يجدوا يداً اسلامية تساعدهم. وقد تكلم عن مساعدة أمريكا للنصارى في لبنان وإبادة المسلمين إبادة جماعية. ثم ختم كلمته بقوله «إن فلسطين لن ترجع إلا بالإسلام».

مقابلة مع الشيخ عبدالله عزام

في الذكرى التاسعة للتدخل الروسي في أفغانستان(٢)

* ما هي انطباعات الشيخ عبدالله عزام مع بداية العام العاشر للغزو الروسي لأفغانستان وكيف تقيمون هذه المرحلة الآن؟

سيخرج الروس إن شاء الله ولن يستطيعوا المواصلة داخل أفغانستان ولو وضعوا أسداً في قلب كل روسي فلن يستطيعوا لأن الجيش محطم معنوياً ونفسياً ولا يستطيع جيش مثل هذا أن يواصل المعركة، إلا إذا ركّبوا لكل واحد أرجلاً من حديد، ووضعوا في قلب كل واحد أسداً من أسود الغابات، فهذا يمكن أن يثبتوا داخل أفغانستان، إذا كان الجندي الروسي يعلن من خلال الرائي (التلفيزيون) الروسي عندما يقولون له: كيف حالكم داخل أفغانستان؟ فيقول عندما نسمع الله أكبر نبول على ثيابنا، وقد حدثني أحد المسلمين الثقات في أميركا أنه خلال اجتماع لوزراء دفاع حلف الأطلسي قال الوزراء لكالرلوتشي (وزير الدفاع الأميركي) يبدو أن غورباتشوف بعد خطابه الأخير قد بدأ يغير سياسته تجاه الغرب بعد أن سحب مليوني جندي روسي من أوربا الشرقية، فقال لهم: هل تظنون ذلك؟ فقالوا: نعم، فقال: أما أنا فأقول إن غورباتشوف لم يغير سياسته تجاه الغرب وإن الذين أجبروه على ذلك هم المجاهدون الأفغان!!

فالمسلم يقدم دمه وروحه في سبيل الله من أجل الجنة، أما الشيوعي فعن أي شيء يدافع؟ هل يدافع عن الكيان الشيوعي الذي

---

(١) البنيان المرصوص العدد الخامس ٥ فبراير ١٩٨٦م ص ١٣.

(٢) مجلة البنيان العدد ٢٦ شعبان ١٤٠٩هـ مارس ١٩٨٩م.

يكرمه؟ أم يدافع عن الطغمة الشيوعية التي امتصت عرقه ودمه وحياته وأعصابه وهو لا يكاد يصل إلى لقمة الخبز، ويعمل كالحمار ليلاً ونهاراً من أجل أن تنصب جهوده في جيوب الطغمة الشيوعية التي يكرهها، فضلاً عن أنه لا يؤمن بالآخرة.

فإنه عندما بدأت الولايات الإسلامية المحتلة في داخل الاتحاد السوفيتي تتأثر بنور ونار الجهاد الأفغاني مثل أذربيجان وطاجكستان فإن غورباتشوف قد بدأ يوزع الأناجيل التي يؤمن بها على أرمينيا النصرانية من أجل أن تقف أمام أذربيجان.

فروسيا منسحبة -إن شاء الله- وقد فقد بريقها وهيبتها التي كان يروج لها الشيوعيون في العالم العربي عن الأم روسيا، وهم الآن مختبئون في جحورهم... فأين أصبحت نظرياتهم؟ الدين أفيون الشعوب... الدين علقمة تمتص دماء الشعوب، أما نحن فقد وجدنا أن الدين يحرك شعباً أمياً ضعيفاً ليقف في وجه أعظم قوة في العالم، وهذا يعني أن الشيوعية هي التي تمتص دماء الشعوب وأن الدين دافع أساسي، ومحرك حياة لا يمكن أن يستغني عنه شعب يريد العزة والكرامة والحياة... وقد أثبت هذا الجهاد للعالم أن هناك قوة عظمى غير قوة روسيا هي قوة الإسلام، الذي بدأ يتدافع للأمام يتّزي بالمجد ويحمل بأيديه البيض والسمر (الرماح) ويتقدم للعالم بهذا الدين وبالرحمة القوية المحْمية بالسلاح.

* ما رأيك فضيلة الشيخ بالمفاوضات التي جرت مؤخراً بين وفد من المجاهدين ووفد الروس في كل من الطائف واسلام أباد؟

عندما فشل الروس في المعركة العسكرية لجئوا إلى الدهاليز السياسية لعلهم ينالون شيئاً ويخرجون ببقية من ماء وجوههم وطلبوا الاتصال بالمجاهدين، وفي البداية حاولوا أن يتصلوا مع أحمد شاه مسعود سراً فاستأذن مسعود الأستاذ رباني وقال له: إن الروس وفورنستوف بالذات يحاولون الاتصال بي، فقال له الأستاذ رباني: لا تلتي بهم فاعتذر أحمد شاه مسعود، فألحوا عليه ولكنه رفض ذلك. فما كان من فورنستوف إلا أن طلب من الأمين العام للأمم المتحدة أن يلتقي بربانى سراً فرفض رباني إلا أن يكون اللقاء علنياً وبشروط منها: ألا يطرح شكل الحكومة القادمة للنقاش وكذلك الحزب الشيوعي الأفغاني، فقط نتباحث كيف يمكنكم أن تخرجوا من أفغانستان دون أن نتعرض لقوافلكم المنسحبة، فوافق فورنستوف وقال نلتقي في فيينا فرفض رباني إلا أن يكون اللقاء في بلد اسلامي، وأثناء وجود رباني في السعودية اتصل به الأمين العام يخبره بموافقة فورنستوف على اللقاء في السعودية فكان ذلك، ثم انتقلت المباحثات إلى اسلام أباد وكل الذي يريده الروس أن لا يقال عنهم أنهم تركوا أصحابهم وتخلوا عنهم صيداً سهلاً للمجاهدين، وقد أصروا : كثيراً على أن يدخلوا بعض الوزراء الشيوعيين في الحكومة، وقال فورنتسوف بنفسه: تدخلونهم وبعد ذلك بشهرين تطردونهم حتى لا يقال أمام العالم أننا تخلينا عن حلفائنا، لكن المجاهدين رفضوا بشدة فخرج فورنتسوف غاضباً وهاجم المجاهدين وقال: إننا سنبقى ندعم الحزب الشيوعي الأفغاني بعد الانسحاب، فأوقف المجاهدون المفاوضات وأعلنوا مواصلتهم الجهاد حتى قيام الدولة الإسلامية.

* ما هو دور المترتب على العلماء بعد قيام الدولة الإسلامية في أفغانستان؟ وهل سيزيد العبء الملقى على عاتقهم أم ماذا؟

أجاب الشيخ قائلاً: طبعاً سيزداد دورهم لأنه الآن سيبدأ التقنين والتشريع والحكم بما أنزل الله، والقضاء وكل مؤسسات الدولة ستبنى على العلم والإسلام وهو محتاج إلى معرفة، لذلك فهم بحاجة الآن إلى كل الجهود والمتخصصين بالقضاء الإسلامي والشريعة الإسلامية والدعوة الإسلامية، فسيتوجه التلفا الآن إلى تثقيف الشعب إسلامياً، كذلك الصحافة والإذاعة والأوقاف والمساجد والتربية والتعليم والمناهج، كلها تحتاج إلى مفكرين وإلى دعاة وإلى جهود ضخمة جداً وهذا يستدعي من الدعاة والمفكرين أن يتداعوا لكي يؤدوا دورهم لبناء أفغانستان، لأنهم قصروا في الجهاد في أفغانستان ففرض عين عليهم أن يأتوا لبناء الدولة الإسلامية التي قامت على رؤوس الرماح بعد طول زمن من الضياع والهوان والتأخر والتقهقر لهذه الأمة وهي أول مرة تقوم فيها الدولة بعد تضحيات جمة باهظة ومعركة مشرفة طويلة.

ذات النطاقين(١)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،

وأخيراً خرجت ذات النطاقين بفضل الله ومنّته بعد مخاض استمر عدة أشهر، وقد اخترنا لها هذا الإسم -ذات النطاقين- ولم نخترلها تسمية المازنية (أم عمارة) لأن ذات النطاقين تشرفت بخدمة أشرف مهاجرين في هذا الدين، فقد أكرمها الله بأن تسعد بخدمة

(١) ذات النطاقين، العدد الأول السنة الأولى ١٢/١٩٨٩م، تقديم الدكتور عبدالله عزام

سيد البشرية ﷺ ووالدها الصديق (رضي الله عنه) في تلك المرحلة التي غيرت تاريخ البشرية، وأنقذ الله به الإنسانية من دياجير الظلام إلى نور الإسلام.

ولقد بقيت ذات النطاقين علماً شامخاً تهز بمواقفها عروش الظالمين، وتشهد مع زوجها الزبير الأحداث الجسام التي زلزلت الأرض آنذاك وقوضت عرش قيصر.

ولا زالت كلماتها وهي تخاطب الحجاج في ابنها عبدالله بن الزبير مسطرة في جبين الزمن بأحرف من نور تسير على هديها الناسكات العابدات إلى يوم الدين.

وبما أن قسم النساء الذي يتعاون مع مكتب الخدمات ولجنة الدعوة شرفه الله برعاية شؤون المهاجرات في بشاور- على قدر الجهد القليل والطاقة الضئيلة- فإننا أحببنا أن تكون ذات النطاقين نبراسا لهذا القسم ولكل الأنصاريات اللواتي أقبلن ليشاركن بالجهد القليل للتخفيف من مأساة هذا الشعب المروعة فيواسي جراحه ويمسح على رؤوس بعض أيتامه.

ولا زالت كلمات عبدالحي -أمي.. عربي- ترن في أذني وتترك بصماتها في قلبي.

هذا الطفل الذي يعيش في المستشفى منذ ثلاث سنوات تجرى له عمليات التجميل بعد أن أبيد أهله وكان مع أمه عند التنور فوقع فيه فاحترق.

أقول: إن كلماته لا زالت تدوي في أعماقي لأنه يخاطب أهلي (أم محمد) أمي عربي بسبب يد الإحسان التي تمتد إليه.

وبعد إلحاح شديد من أهلي افتتحت هذه المجلة بهذه الكلمات مع دعائي لهذه الصحيفة بالتوفيق والبركة والنفع.

بسم الله الرحمن الرحيم

حسن البنا ورسالة المأثورات

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فلقد اطلعت في مجلة المجتمع العدد (٦١٢) المؤرخ في ٣٠ جمادي الأولى سنه ١٤٠٣هـ الموافق ١٥ مارس سنه ١٩٨٣م على مقال للأخ عبدالرحمن الجميعان بعنوان (التفاتة القلم المبارك).

ورد فيه (انظر كتاب المأثورات للإمام (حسن البنا) رحمه الله تجده مليئاً بالأحاديث الضعيفة والمنكرة بل والموضوعة).

وكم يسرني أن يلتفت الجيل المسلم إلى النصوص الصحيحة ويهتم بها وينفر من الكتابة بدون الإشارة إلى المصادر، وكم يبهج نفسي أن أرى هذا الإهتمام بتخريج الأحاديث التي يستشهد بها الكتّاب دون أن يشيروا إلى مصدرها ودرجتها من الصحة إن هذا الأمر دين فلابد أن نتلقى ديننا بالرواية الصحيحة الدقيقة، لا أن نتلقفه من أفواه القصاص وألسنة الأدباء الذين لا يلقون بالاً لصحة الرواية التي يوردونها.

إن هذا المنهاج -الاهتمام بدقة النصوص التي تروى- تيار بدأ يشتد في السنوات الأخيرة، وهذه نعمة من الله وفضل قد فاتت الكثيرين من الجيل السابق ولم تحظ باهتمامه كثيراً، وكم عاتبت بعض الإخوة الكتّاب -جزاهم الله خيراً- على هذه القضية.

ومع هذا السرور الذي يغمر جوانحي فلابد من أن نذكر الجيل المسلم بأن منهاج التلقي وأصول الرواية قد سبقنا إلى تأصيل قواعدها وترسيخ أسسها علماء التقت الأمة على اجلالهم وأجمعت على علو شأنهم في علومهم وتقواهم، فلا نستطيع أن نغمض أعيننا عما كتبوه وأصلوه إذا أردنا أن نلج في خضم علومهم، فإذا اقتحمنا بحارهم دون أن نتعلم طريقة العوم فإننا نغرق ونهلك لا محالة.

فقد تجد شاباً متحمساً يحمل الشهادة الثانوية لا يفرق بين الصفة والحال وعطف البيان والمفعول الثاني ولا يفرق بين نائب المفعول المطلق والتمييز، ولم يفتح كتاب أصول، ولا الناسخ ولا المنسوخ ولا يعرف استعارة ولا مجازاً ولا يفرق بين الكناية والصريح والحقيقة والمجاز.

وتجده بعد هذا كله يقول لك: أخطأ الشافعي في هذه المسألة ورأي أبي حنيفة مرجوح في تلك المسألة، ولو سألته هل فتحت كتاب الأم للشافعي؟ وهل تعلم كم مجلد هو؟ وهل تدري ما كتب ظاهر الرواية؟ لفغر فاه وأجاب كما يجيب المفرط للملائكة في القبر ها، ها.

نحن نريد الاعتدال فلا إفراط ولا تفريط

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد　　　　*كلا طرفي قصـــــد الأمـــــور ذميم*

فلا اهمال للنصوص ولا تهاون في صحتها ودقتها من ناحية وكذلك لا تفريط في ذلك التراث التشريعي الفقهي الكبير الذي يعد مفخرة من مفاخر الانتاج الفكري الشرعي واعظم مأثرة للعلماء على طريق هذا الدين عبر الحقبات التاريخية المتعاقبة في خط سير هذه الأمة المسلمة.

وانطلاقاً من هذه المقدمة نرجع إلى الأخ الحبيب عبدالرحمن.

لا أريد أن أتعرض إلى شخصية البنا وأثره في التغيير الكبير الذي أيقظ هذه الأمة من سباتها بعد أن كادت تفقد أصالتها واعتزازها بدينها وربها، ولا أود أن أشير إلى الأثر الكبير الذي تركته دعوة البنا في جميع المسلمين في العالم، ودعك عن الصحوة الإسلامية التي تعم أجزاء كثيرة من المعمورة كان الفضل فيها أولاً وآخراً لرب العالمين ثم لتأثير جنود البنا الذين يرددون في أعماق أرض الجاهلية -الله غايتنا والرسول قدوتنا والجهاد سبيلنا- وذلك التأثير مباشرة أو غير مباشرة من قريب أو من بعيد.

وأظن أن الأخ عبدالرحمن الجميعان يتفق معي في هذه القضية التي لا مجال للدخول في تفاصيلها.

ولكنني سأتكلم عن شخصية البنا العلمية وخاصة من جهة الحديث، فمن هذه الناحية لا يختلف اثنان ممن عرفوا البنا أنه كان معنياً بخط السلف وبوضوح العقيدة وتقديم الحق على الخلق والخروج من قوقعة الجمود على النصوص الفقهية مع أن بعضها يخالف الأحاديث الصريحة جهاراً.

ولذا فقد أشار على سيد سابق بتأليف فقه السنة وقدم له بخط يده، وفقه السنة في الزمن الذي صدر فيه كان حدثاً ضخماً أحدث دوياً هائلاً في مصر خاصة في الأوساط العلمية التي ترى هذا العمل بدعاً في عالم الفقه الذي لا يجوز أن يخرج عن النسق الذي ارتضته الأمة عبر الحقبات التاريخية الإسلامية بالتأليف ضمن اطار مذهب فقهي معين دون خروج.

ولكن لابد أن نشير أن البناء غض الطرف عن التزام أفراد الجماعة بمذاهبهم الفقهية لأنه لم يرد أن يحوّل الخلافات الفقهية إلى قضية كبرى تشتغل الجماعة عن هدفها الكبير وهو اقامة دين الله في الارض، وحذراً من أن تتحول الخلافات الفقهية والاصرار عليها إلى خلافات في القلوب تصد الناس عن الاقبال إلى الدعوة الإسلامية التي كانت وما زالت -إن شاء الله- أملاً كبيراً في اخراج الأمة من شفير الهاوية.

وكذلك لابد من التنبيه إلى قضية هامة وهي:

أنه ليس من أحد إلا ويؤخذ منه ويرد عليه إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم، فحسن البنا بشر يخطيء ويصيب ويذنب ويستغفر. فليس من مسلم مقدم على النص، فالنص فوق الأشخاص، والمنهاج الإلهي فوق البشر، وأن نشير إلى خطأ الأفراد خير من أن ينحرف المنهاج فتسير الأجيال مع منهاج معوج أو مشوه فتخرج الأجيال ذاتها شوهاء حسب القالب التي نمت فيه عقليتها وطريقة تفكيرها.

وهنا لابد أن نقول كذلك: إن الحركة الإسلامية العالمية بحاجة إلى:

١- خط ابن تيمية في الوضوح العقدي وإثبات الأسماء والصفات دون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل.

٢- خط حسن البنا في التربية الحركية لأنه أثبت كفاءته في التربية وتجميع الشباب المسلم ضمن اطار هذا الدين، ولأن التربية العقدية تتم من خلال البناء الحركي (فالجماعة تبنى بالعقيدة والعقيدة -تظهر في واقع الحياة- من خلال البناء الجماعي والحركي)، إن العقيدة الإسلامية ليست نظرية تؤخذ مجردة للدراسة الذهنية، لابد أن يتم بناء العقيدة مع بناء الجماعة والحركة، لابد أن تتمثل العقيدة في بناء حركي وجماعي يعبر بنفسه عن نمو العقيدة ذاتها. (وخطأ أي خطأ -بالقياس إلى الإسلام- أن تتبلور العقيدة في

صورة نظرية مجردة للدراسة الذهنية والمعرفة الثقافية، بل خطر أي خطر كذلك).

وبإمكانك أن تدرك الفرق الهائل بين مجموعة درست هذه العقيدة بتفاصيلها ووضوحها من خلال المناهج الدراسية الجامعية ونالوا بها الشهادات العالية، ومجموعة أخرى تلقت هذه العقيدة من خلال التربية الحركية في الجماعة المسلمة.

إن انتاج كليات الشريعة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي كان في غالبيته فجاً هشاً متهافتاً، ليس للعقيدة أثر يذكر في سلوكه أو اخلاقه أو تعامله في واقع الحياة، فحامل الشهادة يعيش في برجه العاجي يبلغ الناس التوكل على الله وعدم التوسل بالبشر أحياء وأمواتاً، ويعلم الناس اللجوء إلى الله والاستعانة به، وكم ذكر الناس بكلمات ابن القيم: إن الدين عبادة واستعانة (انابة وتوكل) ولكنك لا تجد له موقفاً واحداً صلباً في حياته يعبر عن هذا التوكل ويشعر بثقته بالله وحده وأنه -سبحانه- إليه يرجع الأمر كله.

يقول الاستاذ سيد رحمه الله (إن كل نمو نظري يسبق النمو الحركي الواقعي ولا يتمثل من خلاله هو خطأ وخطر كذلك) المعالم ص ٥٣.

٣- ولابد مع البناء العقدي الواضح من خلال الحركة الإسلامية الهادفة لبناء دين الله في الأرض -إلى جانب هذا لابد من الاعتناء بالتربية الروحية وتوثيق الصلة بالله- عز وجل حتى يصبح الفرد المسلم يتعامل مع هذا الدين وينفذ منهجه وكأنه يرى الجنة والنار رأي العين كما كان علي رضي الله عنه يصفهم بقوله: صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى.

لابد أن تسير هذه الخطوط الثلاثة متوازية في وقت واحد (الخط العقدي السلفي الواضح + الخط الحركي العملي الجاد + التربية الروحية الصافية العميقة).

لقد رأيت الكثيرين ممن تلقوا هذه العقيدة الواضحة السلفية ولكن بعيداً عن البناء الحركي العملي، فما وجدت في كثير منهم النماذج التي تحتذى بل سرعان ما يسقط أحدهم من الأفق العالي الذي أحلته إياه مكانته العلمية لبارقة خلابة أو أمام امتحان بسيط لا يسقط أمامه تلميذ صغير من تلاميذه، ولقد استلم هذا النوع من حملة الشهادات الذين تلقوا العقيدة وتفاصيل هذه الشريعة من خلال البرامج الدراسية والكتب المدرسية فخرجت الأجيال على أيديهم مشوهة ممسوخة إلا من رحم ربك -وقليل ما هم-.

شخصية البنا العلمية:

يعلم الجميع أن أحمد عبدالرحمن البنا -والد الإمام حسن البنا- كان ذا باع طويل في علم الحديث ويعتبر كتابه (الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني) عملاً رائعاً أفاد طلبة العلم في جميع أنحاء الأرض، إذ أنه قام بنشر أحاديث مسند الإمام أحمد وأعاد ترتيبها حسب الأبواب الفقهية فيسّر الاستفادة من هذا السفر العظيم، وكذلك قام بجمع وترتيب مسند الإمام الشافعي والسنن في كتابه (بدائع المنن)، وكذلك أعاد ترتيب مسند الطيالسي أبي داود في كتاب (منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود)، وقد أعان الإمام حسن البنا والده في هذه الأعمال العظيمة ولذا فليس الإمام البنا غريباً عن علم الحديث ورجاله، بل كان من أهل هذا الفن وممن يحملون قصب السبق في هذا الميدان خلال هذا القرن، وإن كان وقته لم يسعفه في التأليف في الحديث لانشغاله كما قال هو (سنعمل على تأليف الرجال دون تأليف الكتب).

أما حظه من العربية والبيان فقد كان من حفظة الكتاب العزيز وتقدم إلى امتحان دار العلوم لشهادة الليسانس يحفظ سبعة عشر ألف بيت من الشعر بالاضافة إلى الأراجيز والنثر وقد كان لماحاً ذكياً واسع الأفق إذ أنه كان في ترتيبه في امتحان الشهادة............(١).

(١) الموضوع لم يكتمل في الأصل وكان الأجدر أن يوضع في مقدمة كتاب "المأثورات" في المجلد الأول من الموسوعة إلا أننا وجدنا هذا الموضوع في أوراق الشيخ فيما بعد وربما أخذ الأوراقا في مرحلة الجمع فلم نجد مكاناً له إلا في نهاية هذا المجلد (الجزء الثاني من الموسوعة).

قالوا عن الجهاد الأفغاني وقلنا[1]

كثرت الاقاويل حول الجهاد الأفغاني وانتشرت البلبلات والناس بين مصدق ومتشكك ومكذب وبدأت الألسنة تلوك سمعة الذين يكتبون عن الجهاد وتمزق لحومهم، يتهمونهم بالتهويل والتفخيم ويرمونهم برسم صور مثالية وبنقل صور خيالية وأخبار أسطورية عن الجهاد.

قال بعض الناس:

١- إن الجهاد الأفغاني على وشك السقوط والانتهاء.

٢- وقالوا: إن قيادة الجهاد الأفغاني مختلفة ومتناحرة على مناصبها.

٣- وقالوا: إن الشعب الأفغاني شعب قبلي ويتأمل بحمية قبلية وعصبية عرقية وليس للاسلام دور في الجهاد الأفغاني أو هناك تخليط في الجهاد.

٤- وقالوا: إن الكلام عن قضية افغانستان قد صرف النظر عن قضية فلسطين.

٥- وقالوا: لم يثبت في التاريخ أن حصل التغيير من الأعاجم بل التغير طيلة حقبات التاريخ يحصل على يد العرب ومن خلال بلدان الشرق الاوسط.

٦- وقالوا: لقد قلتم: إن الجهاد الأفغاني فرض عين مع أنه فرض كفاية.

ونحن نرى لزاما علينا أن نوضح الصورة بما نعتقده حقا وليس ادعاء ولا فخراً فلا أظن -والله أعلم- أن عربياً واحداً في أرجاء الأرض يعلم من خبايا الجهاد الأفغاني وخفاياه ما أعلم.. إذ هذه هي السنة الرابعة التي أعيشها بين المجاهدين وعلى صلة وثيقة بجنودهم وقادتهم في الداخل والخارج.

أقول هذا فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمني ومن الشيطان وأرجو الله - عز وجل - أن يغفر لنا بحسن ظننا وسلامة قصدنا.. إنه سميع قريب مجيب.

روسيا مختلفة داخل أفغانستان:

أما ان الجهاد الأفغاني على وشك السقوط فزعم تكذبه الأرقام وينفيه الواقع إذ أن الواقع يشهد أن روسيا مختنقة في داخل افغانستان وهذا الذي جعلها تقرر ان تنقل العاصمة كابل إلى مزار شريف (بلخ) على الحدود الروسية إذ أنها تيقنت أن استقرارها فوق أرض أفغانستان مستحيل ويكلفها ثمنا باهظاً في الأنفس والمعدات، عدا أن كابل كمستقر للدبلوماسيين ومقر للشعارات لم يعد ممكنا، إذ لم تعد أكثر السفارات حراسة وهي الروسية بمأمن من قذائف المجاهدين التي تنهال عليهم من كل جانب.. وكذلك وزارة الدفاع (دار الأمان) وقصر الرئاسة (خلق خانة) (دار الشعب) (وميكرويان: مساكن الضباط) أصبحت هدفاً للمجاهدين ان روسيا والشيوعيين يتمنون أن تمر ليلة واحدة على كابل دون أن تروع بالتفجيرات وتدوي في أرجائها القذائف.

ولم تعد الدولة قادرة على المحافظة على السجناء من المجاهدين في سجونها إذ تم في عام ١٩٨٣م اطلاق سراح آلف من المجاهدين بقوة سلاح المجاهدين الذين أغاروا على السجون التالية وأطلقوا سجناءها (غزني، جارديز (مركز بكتيا) قندهار، فراه، لغمان، مرغاب في بادغيس).

احصائيات:

وأما الأرقام فاني أضع بين يدي القاريء الكريم الاحصائية التي استلمتها من إذاعة المجاهدين رغم أن البعض قد يرى أن هذه الأرقام فوق الحقيقة وأقل من الصورة الواقعية إذ أن الأخبار التي تصل الاذاعة لا تتعدى ٢٠٪ من الوقائع والأحداث التي تجري فوق أرض أفغانستان... حقائق حية ومشاهد واقعية مرئية تخط بالدماء وتشهد لها الجماجم والاشلاء.

وأرجو من الذين يتشككون في الجهاد أن يروني مركزاً واحداً للروس في أفغانستان بعيداً عن متناول أيدي المجاهدين مطاراً

(١) نشر في مجلة المجتمع في أوائل الثمانينات وغالباً في عام ١٩٨٤م.

أو قاعدة أو سفارة أو غير ذلك وسل مطارات كابل، قندهار، غزني، شندند/ فرح، وجلال أباد وخوست/ بكتيا وترينكوت / أوروزجان كم شهدت من هجمات المجاهدين وكم تحطم فوق مدرجاتها من طائرات.

إن روسيا تحاول جاهدة منذ سنتين سد الحدود أو طرق المجاهدين فهل استطاعت؟ لقد راهنت روسيا وأعلنت كابل أن سنة ١٩٨٢ هي آخر سنة للجهاد فهل استطاعت أن تفعل شيئا؟ لقد ضاعفت روسيا قواتها حتى وصلت إلى (٢٠٠-٢٥٠) ألفاً ولكن كما قال الله عز وجل:

﴿قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد﴾ (آل عمران ١٢) وقال:

﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾ (الأنفال :٣٦).

إن كارمل من قرية (كمري) ضاحية من ضواحي كابل ولا يستطيع أن يأكل من ثمار بساتينه لأن المجاهدين يسيطرون عليها.

الجهاد فوق أرض الواقع:

إن القيادات في بيشاور مختلفة فهذا لا ننكره ونقر به ولكن لو دخلنا إلى الداخل ورأينا الجهاد فوق أرض الواقع لرأينا النفوس المتآلفة ورأينا جميع الأحزاب متكاتفة أمام العدو لا يخلو الأمر من بعض المنغصات مما يعكر صفو الأخوة في بعض المناطق. وهل يمكن أن تجد شعباً كاملاً لا ترى فيه عوجاً ولا أمتا شعب تعمل عليه كل الأجهزة العالمية وتسلط عليه الاضواء الدولية وكم من الاموال تنفق لبث الفرقة بينهم ولغرس الشقاق بين ظهرانيهم.. ودعك عن الفقر المذل ومرارة الحاجة الملحة التي تعتبر معبراً سهلا الى النفوس الضعيفة التي تشترى.

وأما بالنسبة للقيادات السياسية فنحن لا نقرهم على هذا الخلاف ونحاول معهم ونضرع إلى الله أن يؤلف بين قلوبهم مع أن ذوبانهم تحت قيادة واحدة من أصعب الامور على انفسهم اذ يعتبر كل واحد منهم كانه رئيس دولة ووراءه حوالي مائة ألف مجاهد رهن إشارته. انه يصعب على النفوس التي خلصت من حظ نفوسها. وقبل هذا علينا أن ننظر إلى أنفسنا وإلى حالة التمزق والتشتت التي يعيشها المسلمون في العالم العربي.

ليس الجهاد حربا قبلية:

وأما ان الجهاد الأفغاني حرب قبلية فهو مردود من نواح:

١- إن الجهاد لم يبدأ ضد الروس الذي يعادي القومية الأفغانية بل بدأ الجهاد ضد أبناء أفغانستان انفسهم من الشيوعيين.. لقد بدأ الجهاد ضد داود ثم اشتد أيام تراقي وازداد اشتعالا أيام حفيظ الله أمين ثم انفجر الجهاد الأفغاني المسلم ضد بابرك كارمل وهؤلاء كلهم أفغان.

إن بابرك كارمل من قرية قرب كابل اسمها (كمري ويفصلها عن جكري نهر صغير وأهل (كمري) يقاتلون كارمل وجنوده تحت قيادة محمد صديق جكري.. (شاب في العشرينات تخرج من الجامعة الاسلامية قبل اربع سنوات).

وإذا كانت الحرب قومية فلم يرفض قادة الجهاد الأفغاني أن يمدوا أيديهم لمساعدة الدول الغربية؟

بل لماذا يرفض المجاهدون عودة الملك ظاهر شاه الذي اصطلح عليه الروس والأمريكان ليكون شرطاً لانسحاب روسيا من أفغانستان؟

حدثني حكمت يار قال : إن عجوزاً في قندهار جاءت إلى المجاهدين وقالت إن ابني يتعامل مع الشيوعيين ودلتهم على مكانه فالقى المجاهدون عليه القبض ثم جاؤوا بأمه وقالوا لها: ماذا نصنع به؟ فقالت اربطوه واعطوني سكينا ثم جاءت إلى ابنها وقالت له: اتذكر يوم نلت من رسول الله ﷺ بالسباب والشتائم ثم انقضت عليه وذبحته بيدها.

أهذه غيرة قومية؟ أم عصبية جاهلية؟ أم روح الاسلام تحرك شعبا بكامله؟ إنها أول امرأة في التاريخ بقدر اطلاعي تذبح ابنها بيدها انتصاراً لدينها وعقيدتها.

الغيرة الاسلامية:

وحدثني مولوي حليم (أمير ميدان) قال: لقد دخل الروس قرية في ميدان وفي أحد البيوت اثناء تفتيشهم عن الرجال ألقى غلام بنفسه تحت السرير لينجو من أنظارهم.. وبينما كان الجنود الروس يفتشون البيت وجدوا مصحفا شريفاً فالقوه بازدراء وإذا بالشاب ينتفض من تحت السرير كالليث واحتضن المصحف صائحاً: لن أسمح لكم أن تهينوا كتابنا العزيز ولو قطعتموني.. وإذا بالروس يخرجون من البيت احتراماً لغيرة هذه الغلام.

فهل هذا شعب يقاتل من أجل قوم أو جنس؟

الهدف من الجهاد إقامة دولة اسلامية:

لقد نص دستور الاتحاد الاسلامي لمجاهدي أفغانستان في المادة الثانية: أن الهدف من هذا الجهاد اقامة دولة اسلامية في افغانستان.

فان قلتم: ليس كل المجاهدين على المستوى المطلوب.. أقول لكم نعم إن فيهم من يتعاطى الدخان والنسوار (مسحوق الدخان المخلوط) ومنهم من يكذب ويسرق ومنهم من يتهاون في الصلاة وان كانت نسبة الذين يتهاونون في الصلاة لا تصل ١٪ ولكن تبقى روح الاسلام هي التي تسير المجموع العام وتسيطر على الجهاد وتهون عليهم التضحيات التي وصلت إلى مليون ونصف شهيد. ومن جهة أخرى فهذا يضاعف واجبنا تجاههم بالتربية والاعداد وأريد أن أسأل الذين ينتقدون من بعيد متى خلص الجهاد بكليته من المرجفين والدخلاء؟ وهل تريدون من شعب بكامله أن يكون مبرءاً من العيوب والنقائص؟ ان هذا محال.

لقد نص شيخ الاسلام ابن تيمية في فتاواه ٢٨/٥٠٦ (ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر فان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وباقوام لا خلاق لهم كما اخبر بذلك النبي ﷺ لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار أو مع عسكر كثيري الفجور فإنه لا بد من أحد أمرين: إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الأخرين الذين هم اعظم ضرراً في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الافجرين.

قضية فلسطين والجهاد الأفغاني:

وأما الذين يرون أن الجهاد الأفغاني قد صرف النظر عن قضية فلسطين فأنا أخالفهم في هذا وأرى أن الجهاد الأفغاني فيه إحياء لروح الجهاد وفتح نوافذ الأمل العريض في نفوس الشباب المسلم الذي يهفو لتحرير الاقصى وفيه اذكاء لروح الغيرة الاسلامية على المقدسات.. ثم ماذا نجني من الكلام فقط عن فلسطين؟ هل نسبق الاعلام العربي في النواح والمزايدات والتباكي على فلسطين التي خذلوها وتركوها تذبح بيد الصهيونية والصليبية؟ وأريد أن أتساءل أين كان هؤلاء الذين يملأون الدنيا دويا بالكلام عن فلسطين؟ أين كانوا سنة (١٩٦٨-١٩٧٠) عندما كانت الحدود مفتوحة على مصراعيها لمن أراد أن يجاهد عبر نهر الأردن؟ وأضيف قائلاً هل يأتي تحرير فلسطين إعتباطاً وصدفة أم لا بد له من إعداد طويل للأرواح والأبدان في كل ميدان.. وأي ميدان أفضل من أفغانستان؟

من كابل إلى القدس:

ومن جهة أخرى أن معظم المجاهدين يرددون العبارة التالية (من كابل إلى القدس) بعضهم يدعو (اللهم يسر لنا الجهاد في أفغانستان وارزقنا الشهادة على أرض فلسطين المباركة).

لقد كانوا يبكون عندما اكلمهم عن فلسطين، والكلام عن قضية أفغانستان كلام عن قضية فلسطين واحياء الحنين والأشجان لها وما أجمل أبيات متمم بن نويرة:

لقد لامني بين القبور على البكا	*رفيقي لتذراف الدموع السوافك*
وقال اتبكي كل قبر رأيته	*لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك*
فقلت له: ان الشجى يبعث الشجى	*فدعني فهذا كله قبر مالك*

وأما الذين يقولون إن التغيير لا يمكن أن يتم إلا عن طريق العرب وهذا شهادة التاريخ فاذكرهم بالدولة الاسلامية العثمانية

التي حكمت قسماً كبيراً من المعمورة لمدة أربعة قرون (١٥١٦- ١٩١٧) ولم يستطع العرب ان يحافظوا على الاقصى نصف قرن، ولعلهم يذكرون أن تركيا المسلمة وصلت إلى لينين غراد (بطرسبرغ) ودخلت فينا ولا زال شارع الطابور (حيث اصطف الجيش العثماني المسلم فيها) شاهداً حتى الآن.

وأذكرهم بدول خوارزم والدولة الغزنوية حيث دخل محمود الغزنوي الهند قرابة عشر مرات وأسلم على يديه الكثير.

الجهاد فرض عين:

وأما الفتوى بان الجهاد فرض عين في أفغانستان.. فالجهاد فرض عين ليس في افغانستان فحسب بل في فلسطين وفي كل بلاد المسلمين. فمن استطاع أن يقوم بدور القتال في بلده فبها ونعمت وإلا فلا يسقط عنهم إثم التخلف عن الجهاد الأفغاني.. ومن كان في شك من قولي فليعطني مثالاً واحداً لقول عالم يعتد به في التاريخ الاسلامي كله يقول: إن الجهاد في مثل هذه الحال (الاعتداء على أرض المسلمين) فرض كفاية ويحتاج إلى إذن الوالدين مقابل هذا أنا أقدم لهم أكثر من مائة كتاب معتبر في الفقه والتفسير والحديث ينص أن الجهاد فرض عين إذا دخل الكفار أرض المسلمين حتى تخرج المرأة دون إذن زوجها والولد دون إذن والديه.. بل لم أجد كتاباً فقهياً واحداً يخلو من هذا النص فإن قلتم تريد أن تخرج المرأة دون إذن زوجها وتريدنا أن نترك بلادنا ونأتي إلى أفغانستان فنقول: ليس هنالك بلادنا وبلادكم فأرض المسلمين واحدة وكلها بلادي.

الهند لنا والصين لنـا — والعرب لنا والكل لنـا

اضحى الاسلام لنا دينا — وجميع الكون لنا وطنا

(وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)

ثم يعترض علينا آخر فيقول: أتريد من الطالب أن يترك مدرسته وجامعته والموظف أن يترك مكتبه ومن المعلم أن يترك مدرسته فتضيع المصالح والأجيال وهنا نقول: إن هذه العلة هي التي يتعلل بها المسلمون في الأرض، يتركون كل قطر اسلامي يلاقي مصيره وحيداً فريداً فابتلعت أرض الاسلام قطعة قطعة ووصلنا إلى ما وصلنا إليه من حال بئيسة.

ثم ترتفع الاصوات علينا مستنكرة أتريدنا أن نرجع إلى بيوتنا فلا نجد أزواجنا ولا أولادنا فنسأل عنهم لنجاب أنهم ذهبوا إلى أفغانستان فنقول للمستنكرين رويدكم لا تعجلوا علينا لو طبق المسلمون هذا الحكم الشرعي ونفروا من كل أنحاء الأرض كما أمر الله كم يوماً يحتمل اليهود أمام المسلمين؟ هل يحتملون أسبوعا أو أكثر؟

دفع الصائل عن أرض الاسلام أهم فروض الأعيان:

وختاماً أرجع فأقول مؤكداً الفتوى التي ذكرتها: أن دفع الصائل عن أرض الاسلام أهم فروض الأعيان وهذه فتوى جميع العلماء في الأرض، يقول ابن تيمية: (ليس بعد الايمان أهم من دفع الصائل) فالجهاد اليوم فرض عين كالصلاة والصوم والزكاة إن لم يكن أهم منها.. وليس هناك فرق بين ترك القتال والافطار في نهار رمضان بغير عذر أو ترك الصلاة كسلاً بل ترك (القتال اليوم) أشد خطراً من تضييع الصلاة والصوم لأن ترك الجهاد فيه ضياع الصلاة والدماء والاعراض والأموال. ولا إذن لأحد على أحد لا إذن للوالدين على الولد ولا للزوج على الزوجة لأن فروض الأعيان لا إذن فيها فمن أراد صلاة الصبح فلا يستأذن من والده ولا من أحد من العالمين.. وإذا تركنا الأمر لعواطف الآباء فلن يسمحوا بذهاب أبنائهم إلى الجهاد، لقد شهدت شاباً من احدى الدول البترولية جاء للجهاد ومتحمساً فجاء والده الى بيشاور ومعه اثنا عشر شخصاً من أفراد أسرته لارجاع ابنهم، وكنت جالسا مع حكمتيار فأخذ والده يتوسل بالحسنى أن نقنع إبنه فسأله حكمتيار كم ولداً لك؟ قال: سبعة ذكور فقال: أعطاك الله سبعة أولاد أفلا تعطيه ولداً واحداً، وعندما فشل الاسلوب اللين بدأ الوالد يتهدد ويتوعد ان يسبب ولده سوء العلاقة بين الجهاد وبين بلده ثم هدد بالشكوى إلى بوليس الانتربول ثم بدأت التلفونات والاتصالات من بلده إلى الشيخ سياف ولم يزل يفتل لسياف بين الحبل والغارب حتى أعطاه سياف وعداً بإرجاع ابنه بعد فترة فهل تريدون من أب أو أم أن يسمحوا لابنهم بالجهاد.

كارثة ١٩٦٧:

لقد هزمنا في فلسطين سنة (١٩٦٧) تلك الهزيمة النكراء التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً وخرجنا مهاجرين إلى الضفة الشرقية من نهر الأردن فحاولت أن أؤدي بعض الواجب فاشتركت مع المجاهدين وحاول والديّ أن يثنياني عن الجهاد وعندما يئسوا من اقناعي التجئوا إليّ البكاء الذي كان لا يفارقهم طيلة مشاركتي في الجهاد حتى ازداد الضغط عند أمي التي طعنت في الثمانينيات.. وختاماً أعود فاقول: لا زلت مصراً على أن الجهاد فرض عين ولا إذن لأحد على أحد وإن الجهاد الأفغاني الآن أوضح جهاد في الأرض ورايته أنصع راية ولا زلت أقول: ان الجهاد الأفغاني خارقة من خوارق العصور الحديثة ولقد علمت بيقين أن الجهاد الأفغاني يدرس الآن في الأكاديميات العسكرية وعلى أعلى المستويات كأسطورة من الأساطير فوق أرض الواقع أعيت العقل البشري ان يجد له تفسيراً سوى أن : يد الله عز جل هي التي تدير المعركة فهل يقبل المسلمون رأينا ويقبلون إلينا **(يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم)** (المائدة:٥٤).

«وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك».



هذا الكتاب[1]

دقات قلب انسابت على أسنة الأقلام كلمات وومضات فكر نقلت أحداث الأسنة عبارات، وأشجان نفس ترجمت ضرام الوقائع مقالات.

مسيرة شرفنا الله بمواكبة كواكبها، وملحمة قدر الله لنا أن نشهد دوران رحاها وهي تطحن الأعصاب واللحوم والعظام، ودرب قد تجرعنا غصصها فاستعذبناها، وجادة قد تكبدنا أهوال سراها فاستحليناها.

هي أحداث سجلناها وقد كانت صفحات مشرقة توجت هام التاريخ الإسلامي الحديث، وأضحت معالم عزة وقمم مجد، وقد افتتحنا بهذه المقالات لهيب المعركة فنقلت لهيب الشجى والجوى الذي يشتعل في أعماق النفس فكان كل مقال عصارة ما يعتمل بين الجوانح من آلام وآمال ممزوجة بالدماء والدموع والعرق.

فنرجو الله القبول والنفع لنا وللمسلمين.

المؤلف

د. عبدالله عزام

(١) هذه الكلمات كتبها الإمام الشهيد عبدالله عزام على الغلاف الأخير من كتاب كلمات من خط النار الأول وهي عبارة عن افتتاحيات نشرة لهيب المعركة

عشاق الحور

بسم الله الرحمن الرحيم

معاً على الطريق

أبو عثمان وأبو حمزة[1]

مضيتما إلى الله والقلوب معلقة بكما، ما من لسان إلا ويلهج بالثناء، ما من فؤاد إلا ويشعر بالوفاء، ما من نفس الا وملؤها الرجاء أن يجمعها الله بكما في مستقر رحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

أما أنت يا أبا عثمان.. فالذي يشد القلب إليك مزايا كثيرة.. الحياء الجم، والرجولة الصادقة، والأدب الرفيع، والحرص على معرفة الحكم الشرعي، خاصة لقمة الحلال، ولقد وجدت (غالباً) أن الحياء والرجولة والكرم صفات متلاصقة لا تراها مفترقة.

حيثما رأيته وأنّى لقيته كنت أجده يحمل في يمينه كتاباً به يدرس.. كتاباً من كتب العلم القديمة النافعة، عظيمة الفائدة.. كان يبحث عن الأصول ويغوص إلى الأغوار يستخرج كنوز الدقائق من البحر الرائق، أو يأخذ التهذيب من المذهب، ويجمع العلم من شرحه المجموع.. وتراه شغوفا بكتب الشافعية وبأبي إسحاق الشيرازي تأثراً بشيخه في الفقه محمد حسن هيتو الذي كان قد قدم رسالة الدكتوراه في أبي إسحاق الشيرازي في الأصول.

وكان يبحث عن العلم الحقيقي، ولا يريد الشهادة بكرتونتها.. ولقد سجل الدكتوراه في جامعة السند، ولكنه كان يبحث عن بحر العلم أعمق، فاستشارني أن يسجل البحث في ندوة العلماء في الهند، وشجعته على هذا، وشد مئزره، وحزم أمتعته، وكان يعد العدة لرحلة الهند حيث يتلقى العلم على يد بقية السلف -فضيلة الشيخ أبي الحسن الندوي-، ولكن سبقت رحلة الهند رحلة الأبد إلى الله، وكانت الشهادة الكبرى التي فتحت بها أبواب السموات كما وعد الله، ولن يخلف الله وعده، ونرجو الله أن يرزقنا الشهادة في سبيله ونلتقي بك يا أبا عثمان في الملأ الأعلى.

أما أنت يا أبا حمزة فرغم حداثة سنك، كنت كبيراً في القلوب، إن كنت أنسى فلا أنسى تلك الصورة التي قابلتك بها لأول مرة في بيتي في إسلام آباد، شاب يميل إلى الطول، أسمر، لعينيه بريق، نحيف، ودخل البيت وجلس بحياء شديد في إحدى زواياه، وقدم نفسه إلي: لقد قدمت من يوغوسلافيا -كنت أدرس الهندسة فيها- فتركت الدراسة طمعاً في الجهاد والاستشهاد، ثم وصل إلى بدر.

كنت كلما زرت مخيم بدر أجد هذا الشاب النشيط الذي اختلط مع الأفغان يخدمهم ويستفيد من كل دقيقة من حياته، سألت عنه من حوله فانطلقت الأفواه تثني عليه، كان الكل مجمعا أن أبا حمزة أول عربي مسلم يختلط بالأفغان هذا الاختلاط، ويعيش صابرا على لأواء حياتهم وشدة ظروفهم وخشونة طعامهم ولباسهم.

كنت أدخل فتراه يقوم من بيننا ويعود بعدها يحمل الطعام أو الشاي يقدمه لنا ثم يجلس بأدب ينتظر انتهاء الطعام ليرفعه ويغسله.

كان كل واحد ممن حوله يستحي منه بسبب تفانيه في خدمة إخوانه، استمعت إليه القرآن فوجدته يتقن أحكام التجويد، فسألته: أو تحفظ شيئا من القرآن؟ فقال: لقد كنت أحفظ القرآن على يد شيخنا محمد قاسم شاور في منطقة رام الله، ففرحت كثيراً.

ثم مضى أبو حمزة إلى ربه، هكذا كالبرق الخاطف افتقدناه من بيننا فافتقدنا أخاً حبيباً، ومجاهداً صادقاً، ورجلاً صامتاً قلما يجود الدهر بمثله.

إن الشهادة درجة عالية لا يهبها الله إلا لمن يستحقها، إنها اختيار من العلي الأعلى للصفوة من البشر ليعيشوا مع الملأ الأعلى (ويتخذ منكم شهداء)، إنها اختيار واتخاذ واصطفاء للأفذاذ من البشر ليكونوا في صحبة الأنبياء (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا).

مضى كل منهما إلى ربه رافع الرأس، ناصع الجبين بعد أن بلغ الشهادة في الأرض ونال الشهادة في السماء.

يا رب قد أخلصتهم فنجوا   فمتى تمن علي يا ربي

---

(١) مجلة الجهاد عدد ٤ ص ٣٦ مارس ١٩٨٥م

مضيتما كلمح البصر وتركتما حسرة الفراق في القلوب، ولقنا إن شاء الله فرحة اللقاء بعلام الغيوب.

وتردد أخيراً الأبيات التي رددتها أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- على قبر أخيها عبد الرحمن -رضي الله عنه-:

وكنا كندماني جذامة برهة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا   لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

اللهم أحينا سعداء وأمتنا شهداء واحشرنا في زمرة المصطفى ﷺ واجمعنا مع أبي عثمان وأبي حمزة في الصالحين.

آمين... آمين... آمين...

تهنئة شهيدين:

تحية وفاء، وتهنئة ورثاء إلى الشهيدين الأخوين (أبي عثمان وأبي حمزة).

من أخيكم في الله محمد إسماعيل -قائد الولايات التسع الجنوبية الغربية- قال تعالى: **(ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لاتشعرون).**

إخواننا المجاهدين وجميع منسوبي ومحبي شهدائنا العظام:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

إن كافة أعضاء ومنسوبي الإمارة العامة، والقيادة العامة للقوات المسلحة في هرات، يهنئون ويباركون شهادة إخوانهم أبناء مدرسة الإسلام وعاشقي الشهادة في سبيل القرآن وعلى رأس هؤلاء الشهداء الأخوان الشجاعان البطلان أبو حمزة وأبو عثمان رحمهما الله.

والتلميذان المخلصان اللذان جاءا لزيارة إخوانهم المجاهدين في هرات، نبعث إليكم وإلى أقربائهما وإلى كافة محبيهما ومنسوبيهما أحر التهاني، ونسأل الله للجميع الصبر الجميل ولكافة شهدائنا الأجر الجزيل.

أخوكم في الله

العقيد محمد إسماعيل

وداعاً يا يحيى[1]

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)

هذه الكلمات الأخيرة التي ودعت بها الحياة في رسالة وجدناها في جيبك، قال رفيق رحلتك والذي لفظت أنفاسك الأخيرة ورأسك على صدره، أقول: قال لي محمد أمين محدثاً: لقد كتبها يحيى آخر ليلة عاشها فوق هذه الأرض.

كل شيء كان يلقي في روعك أنك مقبل على الشهادة، ولطالما أقسمت يا يحيى لإخوانك الذين يشاركونك آلام الطريق البذل والتضحية والعرق والدم تحت أزيز الرصاص ودوي المدافع لتوقظوا أمة دب الوهن في أعماقها، وأصبحت لا تغفو إلا على مواطئ كل جبار غشوم، وإذا صحت فعلى خطى الذل خاشعة الرسوم.

لطالما أقسمت لهم أنك شهيد، وهم يقولون لك: يا يحيى لا تزك نفسك، وأنت تقول معاذ الله أن أزكي نفسي، ولكنه إحساسي الذي أشعر به في أعماقي.

كانت ليلة عرفة والروس قد أقبلوا عليكم من فوقكم ومن أسفل منكم، وبلغت القلوب الحناجر، فقمت مع إخوانك للسحور من أجل صيام عرفة في أرض المعركة، لأن صيام عرفة يكفر عامين، فكيف صيام عرفة تحت الحمم المتناثرة من السماء كأنها وابل المطر، فهذا لاشك أن أجره أعظم بكثير، وفي الحديث الصحيح **(من صام يوما في سبيل الله باعد الله بينه وبين النار سبعين خندقاً).**

فصاح إخوانك يا يحيى لتدرك السحور، فقلت لهم: أنا ذاهب للاستحمام، ثم استدركت قائلاً: والله ما بي من جنابة ولكني أستحم لاستقبال الحورية التي رأيتها في المنام، إذ أنني لم أر في حياتي امرأة في منامي، وهذه الليلة أقبلت إلى بدلها ودلالها

[1] مجلة الجهاد عدد ١٢ س ٣٢ أكتوبر ١٩٨٥م

وجمالها ووضاءتها ودعج عيونها، إنها الحورية!!

وانتهت معركة جاجي ولم تحظ يا يحيى بالشهادة، وأخذ الإخوة يمازحونك قائلين: أين ذهبت الحورية، وأنت تصر على قدومها.

حدثني أحد الإخوة العرب قائلاً: لقد وقف يحيى على قبور الشهداء العرب الثلاثة التي تحتل قمة جاجي فأخذ يخاطبهم قائلاً: عما قليل أنا قادم إليكم بإذن الله.

وجاء اليوم السابع من محرم الموافق لليوم الثالث والعشرين من أيلول وكنت على موعد مع الشهادة التي ما فتئت تتمناها صباح مساء وعلى يد مجموعة من عملاء الشيوعية الذين فتحوا رشاشاتهم عليك على أبواب جاجي، ففزت بها وربحت البيع -إن شاء الله- يا يحيى، وبدأ الدم الزكي يتدفق، وما بقي أحد ممن مس جسدك أو تضمخ بقطرة من دمك إلا والمسك يعبق في أنفه، حتى صار كل من حضر جنازتك يتساءل لم نشهد في حياتنا ولم نشم رائحة أزكى ولا أطيب من هذه.

حدثني أبو الحسن المقدسي قائلاً: لقد شممت أنا وأبو معاذ دم الشهيد على بعد خمسمائة متر وهو في السيارة التي تقله نحو مثواه الأخير، إلى الحضرة التي سعدت بضم جسده الطاهر والتي نرجو أن تكون روضة من رياض الجنة.

وحدث الدكتور أحمد قائلاً: لقد تلقيت كثيراً من الشهداء فما شممت رائحة أطيب ولا أزكى من هذه الرائحة، وحدثني الدكتور أبو محمد: لقد دخلت الغرفة التي سجي فيها يحيى في المستشفى بعد ثلاثة أيام وإذا رائحة المسك تنبعث في أرجائها، وحدثني أبو حمزة قائلا: لقد بادرتني زوجتي بعد عودتي من الجنازة: أي عطر هذا الذي نشمه؟ لقد بلغت عزاء لا يقرع الدهر مروته، ولا يفصم عروته، ولا ينقص مرته، ولم تلن قناتك لغامز، وأبيت أن تستباح الذمار، أو يوطأ الحمى، أو تداس الحوزة، فلم تصبر على خسف، ولم تقم على مذلة، لقد أقبلت على الله رابط الجأش ثبت الجنان صلب العود شديد الشكيمة.

لقد كنت تحب وردك (ولاية في أفغانستان) لأنك طفتها بكاملها! ولم تدع مستقراً للمجاهدين فيها أو تجمعاً لهم إلا ودخلته وتعرفت عليه، ونقلت حاجاتهم وضروراتهم من أجل سد نقصهم وخلتهم، ولذا كنت تطلق على نفسك عبد الرحمن عبد الكبير الوردكي.

وهكذا وبلمح البصر مضى يحيى إلى ربه، نرجو الله أن يقر عينه بمقعد صدق عند مليك مقتدر.

لم تكن أيامك طويلة بيننا يا ابن العشرين عاماً، ومضت روحك لتترك في الدنيا مجداً وعزاً مؤثلاً ولسان صدق فوق هذه الأرض، ونرجو الله أن يكون حبورك وسرورك أعظم بلقائك مع الملأ الأعلى.

وندعو الله عز وجل أن يحيينا سعداء ويميتنا شهداء، وأن يحشرنا في حضرة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وندعو الله عز وجل أن يعوضنا عنك خيراً، وأن يجعل أمك وأباك وإخوانك يحتسبونك عند خالقهم، ونبتهل إليه تعالى أن تكون شفيعاً لهم يوم القيامة...

وختاماً نردد الذكر الحكيم ندياً: **(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون)**.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

أخوك أبو محمد

الرسالة الأخيرة من الشهيد يحيى سنبور[1]:

المجاهد المسلم يعرف هدفه جيداً، ولذلك تراه يسير على بصيرة من أمره، و يمشي بخطى ثابتة لا يعرف التراجع.. و لا يعبأ بالمحن و العقبات، بل يجد فيها غاية راحته لأنها في سبيل الله:

ومن يقف آثار النبيين لـــم يبل   على الشوك يمشي أم على الشفرات

و الرسالة الأخيرة التي خطها الشهيد الحي لأهله أكبر دليل على صدق ما ذهبنا إليه، فاستمع إليه و هو يقول: (أنا هنا.. رغم الطائرات، رغم الدبابات، رغم القصف المستمر ليلاً ونهاراً، ورغم البرد الشديد، ورغم الجوع، إلا أني في قمة السعادة وراحة الضمير، لأني أشعر أني أفعل أحب الأعمال إلى الله، وأن الله لا يضيع أجر العاملين، وهذا الجهاد هو الوحيد الذي يستطيع به الإنسان أن يقدم أعمالاً ترضي الله وترجع لهذه الأمة أمجادها).

---

(١) مجلة الجهاد عدد ١٢ ص ٣٩

بوابة المجد(١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، وبعد.

فلقد شاءت إرادة الله أن تحيا الأمم بالنماذج الفذة، وأن تبنى الأمجاد بالقمم، وأن تنتصر المبادئ بتضحيات الأفراد الأفذاذ هؤلاء الأفراد يكونون غرباء في مجتمعاتهم، ولكن المجتمعات بهم تحفظ وبأمثالهم تنتصر وترزق.

هؤلاء الأذكياء لأنهم عرفوا طريقهم إلى الله، وإن كان غيرهم يرثي لحالهم ويسخر من تفكيرهم، هم السادة وإن كان أهل الدنيا المحرومون من لذة العيش الحق يردون هؤلاء عن أبوابهم ويدفعونهم من مجالسهم.

هم القادة لأنهم يملكون نياط القلوب ويأسرون الأفئدة بحبهم، وقادة الدنيا هم المتبوعون حقا لأنهم كما قالت أم هارون الرشيد عندما رأت الآلاف المؤلفة تجتمع حول رجل فقالت: من هذا؟

قالوا: هذا عبد الله بن المبارك عالم خراسان، فقالت: هؤلاء هم الملوك وليس أمثال هارون الذي لا يستقبل الناس إلا بجنود وشرط.

هم الملوك كما قال ابن المبارك عندما سئل: من الملوك؟ قال: هم الزهاد، فقيل له: فمن السفلة؟ فقال: هم الذين يصلحون دنيا غيرهم بإفساد دينهم.

هم الذين يخطون تاريخ الأمم: لأن صروح المجد لا تبنى إلا بالجماجم والأشلاء، هم الذين يحفظون شجرة هذا الدين من أن تضمحل أو تذوي لأن شجرة هذا الدين لا تروى إلا بالدماء، هم الخالدون بذكرهم في الأرض والسماء: لأن بذكرهم تحيا القلوب، وإذا رؤوا ذكر الله.

وفوق هذا كله جنة عرضها السموات والأرض تنتظرهم، وحور تشتاق للقائهم وتتحرق للقرب منهم.

هؤلاء هم المجاهدون في سبيل الله، يأتون في المرتبة بعد النبيين والصديقين، بل تمنى رسول الله صلى عليه وسلم الشهادة في سبيل الله.

ففي الصحيحين (**والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل**)، وفي الصحيحين (**لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها**).

وفي البخاري: (**طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع**).

ونلاحظ العبارة النبوية الكريمة إن كان في الحراسة كان في الحراسة: أي حيثما أقامه الأمير أقام، وحيث أمره أن يبقى لزم مكانه وصبر، والأحاديث في فضل المجاهد كثيرة لا نستطيع أن نلم بها في هذه العجالة، وقد شهد له الرسول ﷺ بأنه خير الناس: (**ألا أخبركم بخير الناس؟ رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله، ألا أخبركم بالذي يتلوه؟ رجل معتزل في غنيمة له يؤدي حق الله تعالى فيها، ألا أخبركم بشر الناس؟ رجل يسأل بالله ولا يعطي به**) رواه مالك والترمذي والنسائي.

هؤلاء يقتلون لتحيا أممهم ويحيون هم أنفسهم، هؤلاء عشاق الموت لتوهب لهم الحياة، وكما أخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه (**من قتل منا صار إلى الجنة، فلنحن أحب في الموت منكم في الحياة**) أخرجه البخاري تعليقاً.

هؤلاء يبحثون عن الموت، وكما قال ﷺ في صحيح مسلم: (**من خير معاش الناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل والموت مظانه**).

ولنلاحظ معي ممسك بعنان فرسه: فهو لا يرخي العنان كناية عن تمام استعداده، يطير على متنه: فهو في سرعة استجابته كالطير لا يركض ولا يسرع فقط بل يطير طيراناً.

كلما سمع هيعة: أي فزعة ترعب الأمة وترهبها فهو يفزع ويسرع ويهرع من أجل أمن الأمة واطمئنانها.

يبتغي الموت مظانه: أي حيثما ظن مكان الموت أسرع اليه ومضى مسرعا يطلب الموت.

ومن هؤلاء إن شاء الله شهداؤنا الذين مضوا بعد أن بلغوا أمتهم ومجتمعهم وأسرهم واحبابهم بالدم لا بالمداد. إن المبادئ

(١) مجلة الجهاد العدد السادس عشر ص ٧ جمادي الآخرة ١٤٠٦هـ يناير ١٩٨٦م.

أثمن من الحياة وإن العقائد أثمن من الأجساد وإن القيم أعظم من الأرواح.

ورأيت معظم الشهداء الذين عشت معهم تجمعهم صفات على رأسها:

١- حفظ اللسان عن المسلمين.

٢- سلامة الصدر على المسلمين .

٣- العمل بصمت والبعد عن ضجيج الإعلام .

٤- طاعة الأمير -إن كان في الساقة كان في الساقة-.

٥- قلة النقاش فيما يوجهون إليه.

٦- الحياء الجم والأدب الرفيع والاحترام الشديد للعلماء والكبار والمسؤولين.

٧- الحرص الشديد على البقاء داخل الجبهة والنفور من جو الراحة والدعة والاستقرار.

٨- ألسنتهم لا تلهج إلا بذكر محاسن المسلمين، ولا يرون للجبهات ولا للمجاهدين إلا فضلاً عليهم، ويرون أنفسهم صغاراً بجانب هؤلاء الذين صمدوا صموداً تنوء به الراسيات، ورحم الله امرأً عرف حده فوقف عنده.

من هؤلاء عرفت:

- أبا حمزة (ماهر شلبك) عمل بصمت وبأدب رفيع وحياء وأحب الأفغان وأحبوه فاختاره الله شهيداً بينهم.

- أبو عثمان (عبد الله الفيلكاوي) لا يعرف النقاش، سألني سؤالاً واحداً ما عقب عليه: ما رأيك أذهب أم أبقى؟ فأشرت إليه بالذهاب، فلم يلفظ ببنت شفته ومضى في رحلته وإلى الأبد.

- يحيى كان فرحاً بما يوكل إليه من أعمال، سعيداً بتنفيذ الأوامر، مع سلامة صدر ومرح بريء ومزاح مؤدب فاختاره الله.

أما شهيدنا اليوم فهو:

الشهيد عبد الوهاب بن عبدالله بن سعيد

هجر الدنيا وعاف المقام بين أعطاف النعيم، استقال من وظيفته وهو من أسرة ذات منزلة اجتماعية وثراء لا بأس به، أدبه رفيع حتى بت أتساءل: كيف يربى هؤلاء؟

من أين لهم هذا الحياء الجم؟ كيف نال هؤلاء هذه الدرجة من الحرص على الجهاد والطاعة والانضباط مع الأدب والتنفيذ والعمل؟

قابلته منذ عام فقال: علمت أن الجهاد فرض عين فنفرت في سبيل الله لا إذن لأحد علي، وقد حسمت القضية في قلبي وذهني.

كان يتحرق على المسلمين ويتأرق لمصائبهم، لقد أقض انتهاك الحرمات جنبه فجافى مضجعه وأقبل بكله ونفسه وقلبه على الجهاد.

طلب الموت مظانه: من جاجي -بكتيا، لوجر، كونر، ننجرهار وأخيراً كان اللقاء مع الشهادة في -شلمان- على أرض ننجرهار.

صامت لو تكلما لفظ النار والدما

قل لمن عاب صمته خلق الحزم أبكما

وصية الشهيد عبد الوهاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

هذه وصيتي أنا عبد الوهاب بن عبد الله بن سعيد الردة من المملكة العربية السعودية.

- مالي وملابسي في قسم الأمانات هنا تعطى للمجاهدين أو المهاجرين فور استشهادي.

- إلى الوالدة والإخوان والأخوات: لن أطيل الكلام، وأنتم بالتالي يجب أن لا تكثروا الملام.. أنا لم أجاهد في أفغانستان بنفسي ومالي إلا باقتناعي التام بأن الجهاد فرض عين، ولهذا أقدمت على الجهاد طائعاً مختاراً.

- إلى بنتي: لقد عاش أبوك وحيداً وغريباً برغم كثرة المال والأهل والخلان، ولكني كنت بفكر متميز وصاحب مبادئ و قيم لم أتنازل عنها أبداً، ولذلك جفاني الناس وجفاهم فكري، ومن أفكاري وما أنا عليه يا عزيزتي: أن الإسلام دين ودولة، ومصحف وسيف وأني لا ألدغ من جحر مرتين.

إنني أكره الطواغيت وأحاربهم بقلمي ولساني وقلبي هم وأتباعهم وألعنهم صباحاً ومساء وكل يوم لأنهم....

عزيزة نفسي من غير كبر إن شاء الله، شاعر عنيد ومجاهد صنديد.

عيشي هنيئة وموتي شهيدة، كوني مؤمنة صابرة مجاهدة بكل ما أوتيت من وسائل، واعلمي سبب وجودك في الحياة واعملي به واحفظي كتاب ربك وإلى اللقاء في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

- إلى إخواني في الله في كل مكان: كثير من الناس من يتخذ الحياة طريقاً إلى الموت، وأنا اخترت الموت طريقاً إلى الحياة. عليكم جميعاً التمسك بالإسلام قولاً وعملاً وحركة وجهاداً، والإسلام ليس كما يتصوره البعض ركيعات في المسجد ولكنه دين شامل.

كفاكم غواية إبليس وشهوات أنفسكم ومكر الطواغيت بكم وضحك الشرق والغرب عليكم.

- العنوا الطواغيت وعادوهم بكل ما أوتيتم من قوة هم وأذنابهم من حثالة البشر ولعنة الله على الظالمين.

الوصية الشرعية:

أوصي بثلث مالي أن يعطى للمجاهدين في أفغانستان عن طريق أميرهم الشيخ عبد رب الرسول سياف. والباقي يقسم قسمة شرعية واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، فالنصف لابنتي، والسدس لأمي، والباقي يوزع على إخواني وأخواتي.

اللهم إني عفوت ما بيني وبين الناس فاعف ما بيني وبينك.

رسالة الشهيد عبد الوهاب إلى والدته:

الحمد لله مالك الملك وجبار السموات والأرض العزيز القدير، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين وقائد الغر المحجلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

والدتي العزيزة.. إني أكتب هذه الكلمات وأنا أؤمن بقضاء الله وقدره، فحياتي جرت كما تعلمين غريبة عجيبة بآلامها وآمالها وحلوها ومرها حتى انتهى بي المطاف هنا وما أدراك ما هنا؟

هنا عبادة فرضها ربي علينا من زمان وأضعناها، وعادت اليوم الفريضة الغائبة فجزى الله خيراً الرجال الذين أعادوها والرجال الذين قدموا أنفسهم رخيصة في سبيل الله وعلى درب الجهاد نلتقي..

أمي يا ست الحبايب، والله لست بقاس ولست بعاق ولست ساذجاً ولست بمعقد وليس بي ضلالة... أنا آسف على عدم ملاطفتكم ومجاملتكم أنت وإخواني وأخواتي والأصدقاء، ولكن هذا ليس بيدي فالطامة كبيرة والحدث عظيم، الإسلام يدمر والأعراض تنتهك والحرمات تدنس وكرامة المسلم وحريته أبيدت، والجميع صامت كالإعلام العربي العميل، الجميع يأكل ويشرب ليعيش، ويعيش ليموت، بئست الحياة، أما أنا وغيري من أقراني وإخواني في الله بذلنا وسنبذل كل ما في وسعنا لإعلاء كلمة الله خفاقة في مشارق الأرض ومغاربها بإذن الله تعالى أو ترق منا الدماء مقبلين غير مدبرين، فمن كان هذا فكره لا تلوموه على عدم ضحكه وعدم ملاطفته، فجراح الأمة أثقلتنا ولهذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان، ولكن لا بأس علينا نحن سعداء جداً في هذا الطريق، عندي كلام كثير وددت أن أقوله، ولكن أرجو من الله أن أكون باستشهادي قد قلت كل ما عندي ولا أبالي.

والدتي، إخواني، أخواتي، أقاربي، ابنتي، إخواني في الله مع كل خشوع وتفكر بآية قرآنية أو ذكر شهداء أو شهادة اذكروني، ومع كل إشراقة نهار جديد اذكروني، ومع كل... ومع كل موجة من التيار الإسلامي اذكروني واعتبروا يا أولي الأبصار. لقد عجزت عن التفكير وقد يخونني التعبير، ومع ذلك لا أبالي وسأمضي إلى حيث أخوتي الشهداء وإلى يحيى وسنكون جميعاً في ضيافة الكريم عز وجل، فقد رحب بنا في بيتنا عندما أكرمنا بدينه ويكرمنا في أخرانا بإذنه سبحانه وتعالى، فإلى لقاء هناك وما أدراك ما هناك؟ حيث الرضوان والنعيم والجمال والخلد فلا إله إلا الله والله اكبر.

الشهيد الذي لم يستشهد بعد وهو عند الله شهيد
عبدالوهاب عبدالله

رثاء الشهيد عبدالوهاب(١):

أكبرت يومك أن يكـون رثـاء	*الخالدون عهدتهـم أحيـاء*
كنت ابن أرضك من صميم ترابها	*تعطي الثمار، فلم تكن جدبـاء*

(١) مجلة الجهاد العدد ٢٠ ص ٤٤ ذو القعدة ٦-١٤هـ يوليو ١٩٨٦م.

وجهت أن تمضي سنيك عبرها	لتشيد مجتمعاً يفيض هناء
ولقد حملت من الأمانة ثقلها	لم تلقها سخطاً ولا أعياء
فعليك يا فخر الجهاد تحية	في مثل روحك طيبة ونقاء
ثم أمنا ستمد روحك حسرة	وسط الجهاد بصحبة الأمناء

كتبها القارئ صلاح السلمان/الدمام-السعودية

الشهيد عبد الصمد مفتاح

فهو من النماذج: أدب، صمت، وعمل، لا يعرف الكلام، طاعة لا يخالطها نقاش، تصميم لا يمازجه تلعثم ولا تردد، كأن لسان حاله يقول:

إني لأفتح عيني حين أفتحها   على كثير ولكن لا أرى أحدا

سألني في الصيف ما حكم الجهاد؟ قلت: فرض عين، فقال: إذن نزول بلا رحيل، هنا طاب المقام، فالحياة حياتكم والممات مماتكم.

وهو وحيد أمه، ولقد ذرفت عيني عندما اطلعت على رسالتها بالأمس وهي تناشده بحنانها وعطفها وفؤادها وأعصابها تناشده الرحم أن يرجع وأن لا يدعها تموت شوقاً إليه وجوى عليه.

وفي (شلمان) جرح، وفي (ورسك) ثوى في مرقده الهادئ بجانب الشهداء حوله حتى يبعث معهم -إن شاء الله- يوم القيامة.

وأما الشهيد...... فنكف عن الكلام عنه وإن كان في النفس كلام كثير أتحرق لذكره لأنه نموذج فذ ما تفتحت عيناي على شاب ممن مضوا على هذا الطريق مثله.

نكف عن الكلام عنه لأنه أوصى أن لا يشار إليه بتصريح ولا تلميح، فاحتراماً لوصيته نمسك ألسنتنا، وأخيراً حق لنا أن نقول (هذا شلمان جبل نحبه ويحبنا).

وفي النفس حاجات وفيك فطانة، ونرجو الله أن يجمعنا بهم في الجنة.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

رسالة الشهيد عبد الصمد إلى أهله:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى والدي الأعزاء:

من ابنكم الفقير إلى رحمة الله وعفوه (الخميس (٤) يوليو (١٩٨٥م).

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على خير الأنام، أما بعد:

إليكم أحر سلام وأقول لكم عيد مبارك إن شاء الله، وأسأل الله تعالى أن يعيده عليكم كل سنة وأنتم بخير وفي صحة وعافية.

وأتأسف على هذا التأخر في إرسال الرسائل إليكم، واعذروني على ذلك لأنني كنت في شغل بعيد عن البريد، وهذا الشغل هو جداً هام، وهو أنبل من حياتي، معذرة مرة أخرى وأقول لكم لا تحزنوا ولا تهنوا وارفعوا رؤوسكم وقولوا الحمد لله هو نفس الذي خلقكم من أجل أن تعبدوه وأنا خلقني من أجل أن أعبده، ولقد بعت نفسي لله رب العلمين.

سبحان الله في هذه الدقيقة وأنا حامل القلم لكتابة هذه الرسالة فإذا بأمر يأتيني في هذه الدقيقة بالذهاب إلى منطقة من المناطق الربانية لأداء واجب من الواجبات، الرجاء من الجميع السماح والدعاء.

وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

أبو سلمان (١٥/٨/١٤٠٥هـ)

كان بالأمس بيننا

خاطر في أفغانستان[1]

بسحنته الصعيديه وسمته المصري ذي السمرة المائلة إلى الدكنة قابلته لأول مرة والسيارة تقلنا تنهب الأرض نحو(كونر). إنه الأخ حمدي البنا أول شهيد مصري فوق أرض أفغانستان، كان صامتاً لا يتكلم إلا بقدر، ينبئك صمته عن ليث يغلي صدره كالمرجل حزنا على آلام المسلمين ومشاكلهم.

سألته ممن الرجل؟ قال: من مصر، اسمي حمدي، وفي حوار مؤدب عرفت أنه مهندس تخرج من مصر ثم واصل دراسته في لندن ولم يكمل دراسته العليا هناك وعاد إلى مصر ولم يطق العيش متنعماً بين أعطاف الترف وألوان المطاعم والمشارب، فقرر أن يخلع ربقة الدنيا من عنقه وأن يدوس على ترفها ويمم وجهه شطر أفغانستان، وبدأ يطلب الموت مظانه محاولاً تمثل الحديث الشريف حياً بخطوات وأخلاق وسلوك، وفي الحديث الصحيح (من خير معاش الناس رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أوفزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه).

تجول من جبهة الى جبهة يبحث عن أشد خطوط النار التهابا وأقواهاً اشتعالاً، ذهب إلى قندهار واشترك في شعبان بعملية فتح كبيرة تحت قيادة مولوي غلام محمد غريب ونصرهم الله نصراً مؤزراً.

وقد نشر تقرير مرسل منه باسم (عبد الله غريب) في العدد الماضي عن تلك المعارك (أنظر: بشائر من قندهار، صفحة ١٦).

وعاد ليشارك في معركة جاجي في رمضان حيث اشتد أوار المعركة وطائرات (T22) و (T28) تدمر كل شئ بأمر ربها.

كان لي شرف مرافقته أيام الجمعة والسبت والأحد (الأول والثاني والثالث من رمضان)، وقد ساهم في تسوية أرض لمسجد المخيم في جاجي، فكان يعمل بصمت ولا ترى منه إلا حركة دائبة دون أن ينبس ببنت شفة، أو تسمع له ركزاً، لا تلمس عليه مللاً ولا تحس منه تضجراً، يتفجر حيوية ويلتهب حماساً وكان متفانيا في خدمة إخوانه.

استلم فترة من الفترات خدمة إخوانه في مكتب الخدمات، كان يأكل بعد أن يشبع إخوانه، كان ينتظر انتهاء إخوانه من طعامهم فيجمع بقايا كؤوس الشاي ويجلس ليشرب الشاي فوق فتات الخبز المتبقي، وكان كثيراً ما يحاول تطبيق السنة يلعق بقية الصحون أخذاً بالحديث فإنك لا تدري في أيها البركة، وأمرنا بلعق الأصبع والصحفة، وقد كان يصوم الإثنين والخميس أكثر أحيانه، وصام شعبان كله (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) القصص.

وفي الخامس من رمضان الساعة العاشرة صباحاً في إحدى الغارات الجوية ومن جراء القذائف الضخمة حيث تدحرجت صخرة عظيمة على رأسه فأسلم الروح إلى خالقها ولحق بركب الأفذاذ أمامه على طريق يحيى وسعود وعبد الوهاب وعبد الصمد يضيف الى قائمة الشهداء بطلا تسطر تاريخ الإسلام بدمائه وتروي شجرته بنجيعها.

فنرجو الله أن يجمعنا به في الصالحين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

رسالة الشهيد حمدي البنا إلى أهله:

من عبدالرحمن ابنكم حمدي إلى الوالد الكريم والأم الحبيبة والإخوة الأعزاء: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد الذي جعلنا مسلمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وأشهد إن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله.

مولاي صل وسلم دائماً أبداً　　　على حبيبك خير الخلق كلهم

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: (فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون، يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين، ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون، ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المفلحون)، (ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون)، (ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم

(١) مجلة الجهاد العدد التاسع عشر ص ١٦ شوال ١٤٠٦هـ حزيران ١٩٨٦م

ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لايضيع أجر المؤمنين) ، (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلامتاع الغرور) ،(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) .

روى الترمذي عن المقداد بن معد يكرب عن رسول الله ﷺ قال: [للشهيد عند الله ست خصال يغفرله في أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر وأمن من الفزع الاكبر] وفي رواية أخرى [ويضع على رأسه تاج الوقار الياقوته منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج باثنتين وسبعين من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه] .

غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه

قولوا لأمي لا تنوحي واصبري	*أنا عند خالقي الذي يهديني*
إنا أن حرمت وداعكم لجنازتي	*فملائك الرحمن لم يدعوني*
ان لم يصل عليّ في الأرض	*امرؤ حسبي صلاتهم بعليين*
أنا في ربا الفردوس أقفز شاديا	*جذلان كالعصفور بين غصون*
أنا في جوار المصطفى وصحابه	*أحيا حياة الحر لا المسجون*

ابنكم حمدي

وصية الشهيد:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا مسلمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

مولاي صل وسلم دائماً أبداً على حبيبك خير الخلق كلهم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إلى الإخوة الكرام: فهذه وصية العبد الفقير إلى الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا صالح الأعمال ويتجاوز عن السيئات.

أوصيكم بتقوى الله عز وجل وأتبعوا السيئة الحسنة وخالقوا الناس بخلق حسن.

١- عند وفاتي أدفن في أقرب أرض ولا أنقل بعيداً.

٢- يسوّى قبري بالأرض ولا توضع له علامات.

٣- أن يكون الكفن لباسي الذي أموت فيه.

٤- أن يؤخذ من على جسدي كل ما هو نافع للمجاهدين.

٥- جميع متعلقاتي ملابسي في حقيبتي فهي لليتامى والمساكين.

٦- جميع أموالي التي أمتلكها مناصفة بين المجاهدين الفقراء والأخ أبي عبيدة (علي الرشيدي المصري).

٧- أن يكتب خطاب عن يوم وتاريخ وفاتي (استشهادي) ويوضع في الخطاب مع التواريخ بعد غلقها بأسرع وقت.

رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم في الله

(عبد الرحمن عبدالله البنا)

أهل الشهيد (١):

لما استشهد المجاهد حمدي البنا -رحمه الله- وأردنا أخبار أهله كان العيد يطل على المسلمين فرأينا تأجيل تبليغهم إلى ما بعد العيد واكتفينا بارسال رسالة كان قد كتبها الشهيد لأهله، يتكلم فيها عن الشهادة والشهيد وما له من الأجر والمقام العالي عند الله

(١) مجلة الجهاد العدد ٢٤ ص ٤٠ ربيع الأول ١٤٠٧هـ نوفمبر ١٩٨٦م.

سبحانه.

وما كنّا نعرف الكثير عن هذه العائلة الطيبة الصابرة.فبعد أن علم أهل حمدي باستشهاده كتبت لنا أخته رسالة تعبر فيها عن اعتزازها باستشهاد أخيها، وتطلب عدداً آخر من مجلة الجهاد الذي تحدثنا فيه عن الشهيد، لتحتفظ به لأولادها حتى يكبروا ليقرأوا عن استشهاد خالهم ويكونوا مجاهدين مثله.

ثم جاءتنا رسالة من والدة الشهيد -نشرناها في هذا العدد ركن المجاهدات-، فقرأنا فيها صبرها واحتسابها، وإيمانها بالله سبحانه، وأعادت إلى ذاكرتنا سيرة الخنساء وغيرها من السابقات.

رسالة أم الشهيد فيها عزاء لكل أم رزقها الله أولاداً مجاهدين وفيها دروس في الصبر والرضا بالقضاء.

رسالة من أم الشهيد حمدي البنا(١):

كل نفس ذائقة الموت، إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم اجعلنا من الصابرين الذين تنالهم البشرى التي وعد الله سبحانه بها.

لقد ذهب إليكم الشهيد حمدي بائعاً نفسه لله، رافعاً راية الجهاد فداء للإسلام.. تركني وأنا حزينة على أخت لي ماتت أثناء الولادة وقال لي: لا تحزني إنها شهيدة، ولسوف أذهب للجهاد عسى أن ألقى الشهادة مثل خالتي.

كنت أتمنى أن يرجع لزيارتي كي أراه ولكنه كان على موعد مع الشهادة، فلله ما أعطى ولله ما أخذ **(رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه)**.

لا أبالغ لو قلت: إنه كان من عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً.. كان رجلاً قلبه معلق بالمساجد لا يترك الصلاة بها.

لا زلت أذكر يوم ولادته إذ كانت في فجر يوم بارد من أيام الشتاء ولم أشعر إلا برعشة برد ليس معها أي ألم من آلام الوضع وخرج للدنيا صغير الحجم، ضعيف الجسم، فحملته والدتي وذهبت إلى والدي كي يؤذن في أذنه، وقالت له: هل يعيش هذا؟ فقال: يعيش ويكون رجلاً إن شاء الله تعالى.

وكبر (حمدي) بعد تعب وجهد كبير -أحتسبه عند الله سبحانه- وكنت أرى فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم **(وشاب نشأ في طاعة الله)**، لم يغضبنا يوماً ولا ساعة لا بقول ولا بعمل، كان مثال الأدب والأخلاق تخرج مهندساً وعمل في المساحة الجيلوجية، وكان ناجحاً في عمله، أكتشف خلال بعثاته في جبالنا عنصر (اليورانيوم) ولا ندري لمن ينسب هذا الاكتشاف ونسكت عن الكلام.

وحظي ببعثة لمتابعة دراساته ثم رجع قبل اكمالها وهو عازم على المضي للجهاد، لا أنكر أنني -وكأي أم- عرضت عليه الزواج من أي فتاة يريدها، وحدثته عن مكانته وعن المال، والشهرة التي تنتظره، فرفض وقال لي: (متاع الدنيا قليل، الجهاد أولاً، والجهاد -يا أمي- سياحة المؤمن).

كنت أتمنى أن يطول به المقام بينكم لتروا همته وتفانيه في العمل لقد كان شعلة مضيئة لمن حوله (خدوم، صادق، جاد في عمله) ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين، ولا نقول إلا ما يرضي الله، إن العين لتدمع، والقلب ليحزن، وإنا على فراقك يا ولدي لمحزونون.

ويزول حزننا بنصركم أيها المجاهدون الأبطال، والسلام.

أم حمدي البنا الشهيد المصري

---

(١) مجلة الجهاد العدد ٢٤ ص ٤٠ ربيع الأول ١٤٠٧هـ نوفمبر ١٩٨٦م.

تونس تجود بأول شهدائها على أرض أفغانستان[1]

مزيداً من التضحية، مزيداً من الدماء الطاهرة الصادقة، مزيداً من الشهداء لك أيتها الأرض المجاهدة، وها هم يهرعون اليك من كل حدب وصوب يشكل الاستنفار ملامحهم، نزلوا من طائرات الترحال والاغتراب منتظرين أن يتخذوا مقاعدهم في حواصل طير خضر في الجنة.

أبو عقبة.. أول دماء زكية تحملها أجنحة الشوق لجنات الخلد، من سهول تونس المؤمنة إلى جبال أفغانستان المجاهدة لتسطر بحرارتها صدق الوعد وحماسة الإنطلاق.

في تونس العاصمة كان المولد والنشأة، ومن بنزرت كان العمل بأحد مصانعها، لنلتقي اللقاء الأول في مسجد (المدينة) حيث كنا نشارك في الدروس والمحاضرات، ومن تونس يحمله شوقه العارم إلى تركيا ومنها إلى فرنسا، والحيرة تنبعث في ملامحه، والقلق والخوف يخطان جذورهما في مغاور عينيه، القلق على عقيدته، والخوف من أن تظل راية الإسلام ساكنة لا حراك، كان هذا قبل عشرة أشهر خرج بعدها من دوامة التيه والترحال ليتخذ القرار الملهم.

ترك الأهل والأحباب ليجد له أحباباً وأهلاً لا يجمعه بهم غير صفاء الأرواح وعذوبة الإخاء وحنين الشهادة، وبين هتافات (الله أكبر) التي ماتزال تردد حروفها وتتنقل أصداؤها من جبل لآخر، إنهم هنا.. في أفغانستان حيث كان لنا لقاء ثان أفترقنا بعده ليدخل كل منا في جبهته، ثم التقينا مرة ثالثة في شهر رمضان الماضي وتعانقنا قبل أن نفترق من جديد عناقاً حاراً كان له مذاق المعانقة الأخيرة، وافترقنا على أمل أن يعود بعد ثلاثة أيام ليسافر إلى باريس كي يحضر زوجته، لكنه في هذه المرة كان على موعد آخر غير الموعد الذي أعطاه لزوجته، ودون أن يدري، كان على موعد مع الشهادة!.

ففي اليوم الثاني عشر من شوال أتاه الوعد الإلهي، وانتقل إلى جوار ربه ليتخذ مكانه الجديد في حوصلة طائر أخضر في الجنة بإذنه تعالى، مسجلاً رقمه السادس عشر في قائمة الشهداء العرب على أثر قصف جوي على منطقة شناري-قندهار، بينما كان يهم ليتوضأ.

لقد كان أبوعقبة (محمد بن إبراهيم) صافي النفس، صامت اللسان، قليل الكلام، ولطالما رأيته فما أذكر أني سمعت صوته، سليم الصدر على إخوانه، لا يغبن أحداً ولا يقل في قلبه حقداً ولا يكن ضغينة على من حوله، كان ملازماً للشهيد حمدي البنا، لم يطق فراق صاحبه فلحق به في موكب الشهداء الماضي إلى قيام الساعة، رحم الله أخانا أبا عقبة وسائر الشهداء من مضى منهم ومن ينتظر وأعطاهم ما وعدهم، وجعلنا منهم، هو مولانا فنعم المولى ونعم النصير، وهنيئا لك أبا عقبة على منحك وسام الشهادة الرباني، فقد تنسم الإخوة رائحة المسك المنبعثة من جسدك الطاهر عند استشهادك وعند دفنك.

فقوافل الشهداء تمضي تبذل الأر	*واح ترفل في الجنان وفي النعيم*
نشوى بتكريم الإله لسعيهـــا في	*صحبة الأحبـــاب والملأ الكريم*

وصية الشهيد:

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

الإسم محمد بن إبراهيم

الوصية: إذا من الله علي بالشهادة فأرجو أن تعلموا زوجتي وعائلتي أن يقوم بمراسيم دفني إخواني من العرب حتى لا يقوموا ببعض الغلطات التي يقوم بها الأفغان كأن يدفنوا مع الشهيد أشياءه التي يلبسها.

أن يكون قبري مسوًى بالأرض، وأن لا يوضع عليه علم أو غيره من الترهات.

رسالة الشهيد إلى زوجته:

زوجتي العزيزة، إذا أتاك نبأ شهادتي فاحذري أن تظني أن الله قد أخلفك وعده، بل العكس اثبتي وليبقى أملك الوحيد هو الله، لأنه لا يخيب قاصده، وخذي عني عن تجربة أن الله هو أرحم الراحمين، وهو الحنان المنان، حيث لا صدر يحنو ولا قلب يعطف،

---

(١) مجلة الجهاد العدد العشرون ص ٢٠ ذو القعدة ١٤٠٦هـ يوليو ١٩٨٦م

فاهربي إليه ولوذي بحماه، فسيكلاك برعايته، ويجزل لك العطاء إلى يوم القيامة لصبرك واحتسابك إليه كل شيء.

احتسبي على ما أصابك ويصيبك في سبيله لأنه هو الذي أمرنا بالجهاد وحثنا عليه وحذرنا وتوعدنا من مغبة تركه، فإذا كان ما حصل لك هو في سبيل هذا الإله العظيم وصبرت على ذلك. تستطيعين بعد ذلك أن تختلي حب الله لك والعلاقة الطيبة التي تكون بينك وبينه، ومن هناك يكون المنطلق بالضبط كما حدث لي أنا حين أتيت إلى هنا، فكنت كلما تذكرت أنني عملت هذا في سبيل الله يسعد قلبي وأحس بعلاقه طيبة بيني وبين ربي، فأشعر برغبتي أكثر للقرب منه والابتعاد عما يبعدني عنه، وأنني لم أنسك يوماً يا حبيبتي ولن أنساك إن شاء الله أبداً، سأذكرك في العالم الآخر، وأسأل عنك دائما وأدعو ربي أن يجمعني بك في الجنة بفضله ورحمته.

والسلام، وكان بودي أن أكتب لك أكثر ولكني لا أجد الوقت كافياً لأني غداً صباحاً أتوجه إلى خوست.

الأحد (٧) مارس (١٩٨٦م)

محمد

والد الشهيد أبي عقبة يتحدث للجهاد:

كان لما نشرته (الجهاد) من خبر استشهاد (أبو عقبة) صدى بعيد المدى، وفرصة لاتساع الحديث عن الحرب الأفغانية في تونس، ولقد أقبل الناس على تهنئة أبويه وأهله عند اطلاعهم على العدد العشرين من (الجهاد)، وتناوبوا قراءة النسخ المحدودة التي وصلتهم منها.

ولما زار والده مدينة القيروان التي هي موطنه الأصلي توجه إليه مراسلنا بالأسئلة التالية:

(الجهاد): بمناسبة التكريم الإلهي لابنكم محمد هل تسمحون أن تحدثوا قراء (الجهاد) عن شيء من حياته؟

* لقد رزقني الله –فيمن رزقني– ولداً سميته محمداً فتوفاه الله، ثم رزقني آخر فاستأثره الله به كأخيه، ثم رزقني آخر بعدهما ثالثا فأبقاه لنا، وكنت سميته محمداً كأخويه السابقين، ولقد أنبته الله نباتاً حسناً، وكتب له أعظم مراتب التكريم في موكب الشهداء بالأراضي الافغانية، والحمد لله على فضله العظيم.

(الجهاد): وفيما بين ذلك كيف كان محمد؟

* كان محمد باراً بأبويه، عفيفاً أميناً كل الامانة على أي عمل يقوم به في المصنع وغيره، صموتاً، كتوماً، وكان أكثر ما يسره من حديث رفاقه وأقربائه هو ما كان ذا صلة بالله وبمصير الإنسان، يحمل هموم المسلمين، ويطيل التفكير في أوضاعهم، ويتمنى أن يجمع الله شمل الأمة على نصرة دينه.

(الجهاد): هل راسلكم الشهيد بعد وصوله إلى جبهات القتال؟

* نعم، وطلب مني أن أرضى عنه، وألح عليّ أن أسترضي أمه لأنه لم يعلمها بنيته عند سفره، كان يظن أنه لو استأذنها لترددت في الإذن له، أو لحملته على التريث على الأقل لأنه حديث عهد بعرس.

(الجهاد): وماذا كان من أمه لما بلغها نبأ استشهاده؟

* امتزجت في عينيها دموع الحزن بدموع المسرة، فهي باكية ضاحكة، بكت لفراق محمد زوجه على قرب عهده بعرس، وضحكت مستبشرة بجهاده لأنها قدمت من بنيها من فاز برضوان الله والتحق بقائمة الشهداء.

(الجهاد): وهل كانت زوجه على علم بخروجه للجهاد؟

* نعم وكانت تعتزم اللحاق به لتقوم بأي دور يسند إليها من خياطة أو تمريض أو تعليم أو حضانة أو أي عمل فيه نصرة الافغان المجاهدين في سبيل الله.

(الجهاد): كيف تلقت زوجه نبأ استشهاده؟

* تلقت الخبر بمنتهى الثبات والصبر والحمد لله، وما زال يشتد بها التفكير في نصرة المجاهدين الأفغان، وأمنيتها أن ترى أفغانستان محررة في القريب –إن شاء الله– من كل أثر لأمة الكفر.

(الجهاد): هل لك من الأبناء الأحياء غير محمد الشهيد؟

* لي من الأبناء من هو أكبر منه ومن هو أصغر.

(الجهاد): كيف كان وقع استشهاد (أبو عقبة) في نفوسهم؟

* كان الصغير يبتسم استبشاراً، أما الكبير فقد اغتم كثيراً، لأنه لم يكتب الله له حتى الآن ما كتب لأخيه الأوسط، أما أخواته فلا تسأل عن ابتهاجهن.

(الجهاد): وهل يفكر إخوته في اتباع سبيله؟

* التفكير شيء، والعمل شيء آخر، أو تظن أن المؤمن حقاً لا يفكر في أن تكون كلمة الله هي العليا؟ ولعل الله يسمح بالوسائل المتاحة لذلك، وما أشد سعادتي أنا لو بقيت مني قوة فأفوز بما فاز به ولدي.

(الجهاد): إن إخواننا الافغان يحتاجون إلى المال أكثر من حاجتهم إلى الرجال، فما هي الفائدة من انضمام غيرهم إليهم في هذا القتال على ما يبدو لكم؟

* صحيح أنهم في حاجة ملحة إلى مساعدة المسلمين لهم بالمال أكثر، ولكن وجودنا نحن العرب معهم في هذه المحنة الطاغية يشعرهم بأن إخواتهم لم ينسوهم، يذكرهم بأن الجسد الإسلامي في هذا العصر ما يزال يحس العضو منه بما يشتكي منه بعض الأعضاء، ولو تناءت بهم الديار، ويؤكد لهم أن الرباط الذي بين قلوبهم جميعاً هو أقوى من رباط الجنس واللغة والتراب ومن أي رباط آخر.

(الجهاد): هل تسمحون فتعرفونا بالرباط الذي تقصدونه؟

* إنه الرباط الذي أقره الله في كتابه العزيز، وعرف به الأمة الإسلامية فقال سبحانه:

(إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) (الأنبياء:٩٢).

تفاصيل مثيرة عن استشهاد أبي عاصم (محمد عثمان)[(١)]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فإن أسباب الشرف في الدنيا كثيرة، فمنهم من ترفعه قبيلته بأعدادها، ومنهم من تظهره ثروته بذهبها ودنانيرها، وبعضهم من يبرزه علمه ومداد قلمه، وقليل هم الذين يرفعهم النجيع والمداد الأحمر الذي يخط التاريخ ويصنع الأمجاد ويشيد الممالك.

ومن بين الذين رفعهم دمهم وأظهرتهم شهادتهم فكان موتهم حياة وفراقهم لقاء وغيابهم حضوراً شهداء، ورأينا أجسادهم في فلسطين وأفغانستان، ومن بين من عرفت (أبو عاصم).

أبو عاصم (محمد عثمان) شاب يافع مثقف ولد في أسرة متوسطة في مستواها الاجتماعي والعلمي والمالي، وشب كباقي الشباب ولكن في جو مكفهر يطارد المسلمين ويلاحق الإسلام، فكانت نشأته عادية، لم تتوله يد حانية بالتربية، ولم تتعهده عناية معلم بالتوجيه الروحي والثقافي والخلقي.

ومن جراء السياط اللاهبة لظهور المسلمين كان أبو عاصم من بين الذين هربوا ببقية إنسانيتهم حفاظاً على روحه التي بين جنبيه، وبدأ التحول في هجرته المضنية، من خلال لفح طريقها وشدة محنتها بدأت النفس تتجه إلى الله، واتجه أولاً إلى القرآن ينهل من نعيمه العذب، ويتعلم القراءات وأحكام التلاوة والترتيل، وبدأت نفسه تتأدب بآداب القرآن، قال لي من سكن معه: كنا أحياناً نتحدث بأمور الدنيا وهو صامت، فينسل من بيننا دون أن نشعر، فنفتقده وإذا به اعتزل في غرفة أخرى يقرأ القرآن.

وكان يحب صيام الإثنين والخميس، ويقوم الليل، شغفت نفسه بطلب العلم في ملتان، وحفظ القرآن ولم يبق منه إلا جزءان عندما قابلته لأول مرة في بيشاور، ولكنه أتم حفظ القرآن في بنجشير.

كانت المقابلة قبل عام ونصف، رأيت على وجهه إشراقة، أشقر الشعر، باسم الثغر، رزين السمت، وإذا تكلم فبقدر، ويفتر عن مثل حب الجمان.

قال لي: أريد أن أواصل تعلم القرآن، فقلت له تكفيك الآن رواية حفص، إذ أنه حل بالمسلمين ما شغلهم حتى عن أولادهم

---

(١) مجلة الجهاد المصدر السابق.

وأنفسهم. . الآن جاء دور الجهاد.

وراجعني بكلمة أو كلمتين، فقلت له: هذا هو السبيل في المرحلة الراهنة.

وبدأ رمضان فأخذ الشباب يجتمعون إليه في صلاة التراويح، وكأننا نسمع القرآن غضاً طرياً كما أنزل.

وفي هذه الفترة كان أهله يلحون عليه بالعودة إليهم، فقال لهم لن أعود إليكم، وجاءوا بخطيبته لتكلمه في التلفون قائلة: لن أتزوج ما دمت حياً، فرد عليها قائلاً: تزوجي غيري منذ عودة إليكم، هنا الحياة وهنا الممات.

وانتصف رمضان، وتحركت قافلة بنجشير ليرافقها أبو عاصم، وودع بيشاور وداعه الأخير.

وصل أبو عاصم إلى (أحمد شاه مسعود) بطل بنجشير وأسد الشمال، وعندما رآه تمسك به وقال لا تفارقني في حل وترحال ولا سفر ولا حضر، علمني القرآن واللغة العربية.

وانطلق أبو عاصم في مسيرة الجهاد المباركة، وبدأ أحمد شاه يعد له الدورات التربوية القرآنية الروحية من القادة الذين حوله ومن خيار المجاهدين عنده، وخلال عام كان قد ربى مائتين من القادة والجنود! على كتاب الله تلاوة وتجويداً، وعلى صيام الإثنين والخميس، وعلى قيام الليل، قال لي عبد الواحد -أحد الإخوة العرب في بدخشان-: استمعت إلى شاب أفغاني يتلو القرآن تلاوة صحيحة مع مخارج الحروف، فسألته من أي جامعة عربية تخرجت؟ فقال تخرجت من جامعة أبي عاصم العراقي!

وتعلق المجاهدون به تعلقاً عجيباً، فصار لا يتحرك إلا ويقولون: جاء قارئ صاحب (أي القارئ المحترم)، وذهب قارئ صاحب، وأقبل رجب وبدأ أبو عاصم يعد الأيام حتى يأتي رمضان، ويفرك يديه قائلاً: آه على شهادة في رمضان، وجاء اليوم الرابع عشر من رمضان (١٤٠٦هـ)، وجاءت معه معركة أندراب-بغلان، واستأذن أبو عاصم ليشترك في المعركة، ويفجر باب القلعة التي يهاجمونها، وأذن له.

وسجل المسؤول أسماء الإخوة المشتركين فكانوا مئة وعشرة من المجاهدين، وسجل بجانب اسم أبي عاصم كلمة شهيد.

قال عبد الله أنس: قلت للأخ الذي سجل الأسماء (صفي الله): أنت مستعجل على العرب؟ نحن اثنان تريدون أن يذهب واحد الى ربه ويبقى واحد؟ قال صفي الله: أقسم أنه لن يرجع، أولا ترى نور الشهادة بين عينيه؟ أنظر إلى وجهه، ثم أقسم ثالثة ورابعة أن أبا عاصم شهيد في هذه المعركة.

وأفطر المجاهدون جميعاً استعداداً للمعركة عدا أبي عاصم (وشاه قلندر)، ووصل المجاهدون القلعة، وفتحت الرشاشات، وكان لابد لابي عاصم أن يقوم بدوره تحت نيران الرشاشات، وتقدم كالليث، وبسرعة خاطفة وضع الألغام تحت باب القلعة وفجرها، فانهار الباب وقسم من الجدار، وانهارت معه معنويات الكفار، ودب الرعب في قلوبهم، وانطلق المجاهدون يكبرون، وكان من أوائلهم أبو عاصم وشاه قلندر، فأصابتهم رصاصات واستشهدا، فكانا هما فقط الصائمين الشهيدين دون أن يستشهد غيرهم.

مضى أبو عاصم إلى ربه:

ولقد كانت صاعقة نزلت من السماء على نفوس المجاهدين عندما رأوا أستاذهم وإمامهم ومقرئهم قد مضى وتركهم، وقد كان وقع المصاب شديداً على أحمد شاه وعلى المجاهدين، وبدأت الذكريات الحبيبة تحول المكان كأنه طلل خارجي قد عبثت به رياح الدهر، فخيم الوجوم وساد الصمت وأطبق الحزن وعمت الوحشة، وأنكر المجاهدون أنفسهم وهم يتساءلون كيف الحياة بدون أستاذنا.

يقبل الفجر وتقام الصلاة ومن يسد مكان أبي عاصم في الإمامة، يجلسون بعد صلاة الفجر لحلقة القرآن ولكن مكان أبي عاصم خال:

سرى صوت المؤذن في حمانا وقـــد فقدت مآذننـا بلاله

فيبدأ البكاء وينفض القوم.

إذا وضع الطعام فهذا (صحن) أبي عاصم، فتنغص النفوس بالطعام، وإذا جاء المنام فهذا (فراش) أبي عاصم، فتتارق الأجفان وتتجافى الجنوب عن المضاجع.

وكاد القوم يصابون بالهذيان حزنا على الفراق. . مع أنهم فارقوا من قبله آباءهم وأشقاءهم. . ورأوا آلاف القتلى، ولكن أي

مصاب جلل حل بالقوم بعد أن ذهبت روحهم من بين ظهرانيهم؟

واضطر أحمد شاه أن ينقل المجاهدين بعيداً من المكان ثماني ساعات لينسيهم ذكريات إمامهم، وما من معركة تحصل بعد "أندراب" إلا ولسان كل مجاهد يقول: اللهم ألحقني بأبي عاصم في الصالحين.

رب ارحم أبا عاصم فلقد بلغ المنزلة إن شاء الله، ورقد في مثواه الأخير هناك فوق قمة جبل شامخ حفر قبره أحمد شاه مسعود بنفسه مع المجاهدين، وكانت جنازته مهيبة مشهودة ودع بها أبو عاصم هذه الدنيا الزهيدة ومضى بعد أن أخذ القلوب في رحلة الخلود الأبدية.

إن قبره في ثرى الهندكوش ليشهد أن هذا الجهاد جهاد إسلامي عالمي وليس قتال قوم خاص بالأفغان.

فهنيئاً لك يا أبا عاصم، ونرجو الله أن يجمعنا بك في الفردوس الأعلى إنه سميع قريب مجيب، ونقول هذا أبوعاصم فعلى منواله فانسجوا، وعلى طريقه فاسلكوا.

ولحق أبو عبد الحق بالركب(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

فكلما مضى أخ شهيد إلى الله أخذ معه جزءاً من قلوبنا وفلذة من أكبادنا وسار بها إلى ربه، وتبقى بعده الذكريات الجميلة التي تؤرق أجفاننا من جهة أخرى، يمضي وتبقى روحه الشفافة وهمته العالية ودأبه الناشط وحركته التي لا تعرف الكلل والملل حوافز تؤجج في صدورنا ناراً على أعداء الله، ونوراً تضيء لنا الجادة إلى الله.

هذا المهندس من بين الذين تركوا في نفسي أثراً عميقاً وبصمات واضحة، أحسبه من خيار الناس الذين يصفهم رسول الله ﷺ: (أنهم الأخفياء الأتقياء الأبرياء).

قدم من أمريكا -مهندساً كهربائياً الكترونياً- من بقعة هي من أكثر البقاع ترفا في الأرض، حيث الرفاهية والمتعة ووسائل الراحة التي قدمت خدمات لا يكاد العقل البشري يتصورها، وانتقل إلى أرض الجهاد حيث 'نسراب والثلوج والجبال، ولعل أقدام البشر لم تطأها من قبل.

منعت زوجته أن تلحق به لأسباب، ولكن هجرته إلى الله لا رجعة فيها ولا تردد ولا تلعثم، فإن كانت الزوجة عائقا وعقبة كؤوداً تحول دون الهجرة أو تقطعها، فلنضح بالزوجة ولنطأ على قلوبنا ومشاعرنا ونصبر ونصابر ونحن نكابد أشواقنا ونقاوم خلجات أفئدتنا (إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم)، ويبقى أبو عبد الحق على الطريق يبحث عن الشهادة ويتشوق إليها، مضى إلى بكتيا يعمل في تركيب الأجهزة اللاسلكية، ودخل اللوكر، وفوق قمة جبل (سلطان سيف) الذي يشرف على المناطق المحيطة بكابل أقام أبو عبد الحق يتربص بالأعداء ويستشرف الشهادة، ولكن لم يكتب الله أن يقتل فوق أرض المعركة.

عاد أبو عبد الحق ودخل مخبره ليعمل على إصلاح الأجهزة وتركيبها وحلها، وكنت أراه داخل مخبره كأنه الراهب في صومعته أو العابد في زاويته، وكان لا يسمح للناس بزيارته، فكنت إذا دخلت عليه علت وجهه ابتسامة مشرقة، وترى السرور من خلال بريق عينيه الذي يتراءى لك من وراء نظراته، وكنت لا أطيل عليه كزيارات المريض، لأني قطعت عليه حبل تفكيره مع جهازه الذي يرى أن العمل فيه خير من صلاة النوافل، لأنه يعتبر الإعداد فرضاً، أما صلاة النافلة فهو مندوب، ولا شك أن الفرض مقدم على النافلة.

كان لا يتكلم إلا بقدر، وكثيراً ما كان يواجهني بأسئلة يتحرى فيها لأمر دينه، وهذه الأسئلة يعدها في ذهنه ريثما يهتبل فرصة لقائي.

كنت لا أراه إلا خالياً مع أجهزته أو يطالع في كتاب فقهي أو فكري. يسأل وأجيبه ولا يناقش، يسأل بأدب وعيناه في الأرض كأنك تعيش مع تلميذ وأستاذه في القرن الثاني الهجري في المسجد الأموي أو في دار الحكمة، بذلك الأدب الرفيع والتواضع الجم والاتزان المهيب تعرف آداب العالم والمتعلم وحق العلم والتعلم.

لا يعرف الجدل ولا يعتب على كلام المجيب ولا يتمحل ولا يتشدق، سألت أحد الإخوة المجاهدين من بلده، هل تعرف أبا عبد

(١) مجلة الجهاد العدد ٢٤ ص ٢٢ نوفمبر ١٩٨٦م

الحق وأنت معه في الساحة؟ قال: أعرفه ولكن لم أجلس إليه.

ويبقى المهندس عاماً كاملاً يأكل ويشرب وينام في زاويته التي يتعبد الله بها من خلال أجهزته، ومن الله عليه أخيرا بقدوم زوجته ورؤية ابنته فاطمة التي ولدت ولم يرها بعد.

وقسم دهره قسمين ليلة لزاويته وليلة لزوجته، وكان يعود قرب العشاء وبيده جهاز، ويجلس مع زوجته فتبدأ الكلام معه وعقله مشغول بجهازه، فكانت تغار من أجهزته وتغضب وتقول: أنت تحضر ضرتي لتأخذ من ليلتي، هذه الليلة لي وليست لضرتي -تعني جهازه-، كان أبو عبد الحق زاهداً، فكان يخصص لنفسه سبع روبيات مصروفاً في مخبره أي حوالي ريال وربع، وكنت تدخل بيته فأول ما يثور في خاطرك قصص أبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي في الزهد -رضي الله عنهما-.

وذات يوم جاء من يخبرني أن المهندس في المستشفى، وذهبت لزيارته فوجدت الصفرة قد علت محياه فزادته إشراقة على إشراقة، وجسست جبهته فوجدت عليها قليلاً من الحرارة، ولكن حالته لم تكن في النظرة البشرية خطيرة، وقرأت عليه الأذكار الواردة في الاسترقاء.

وفي هذا المرض رأى أبو عبد الحق رسول الله ﷺ وناوله ورقة وإذا بها (الشهادة مع اسمه الصريح)، فنادى صاحبه وكان إلى جواره معظم أيام مرضه وقال: اكتب وصيتي جاءت الشهادة يا أخي، فبدأ صاحبه يحاوره إبعاداً لهواجس الموت وشبحه عن ناظريه وفكره، فقال: اين الشهادة؟ الشهادة في المعركة وأنت في المستشفى، قال المهندس: أنا هنا مرابط رغم أنفي مع أن قلبي معلق في المعركة، ألم تسمع قوله تعالى:

(والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسنا وإن الله لهو خير الرازقين، ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن الله لعليم حليم) (الحج:٥٨-٥٩)

وكان الصحابي فضالة بن عبيد في غزوة فتوفي مجاهد واستشهد آخر فجلس فضالة عند قبر المتوفى، فقيل له: تركت الشهيد فلم تجلس عنده، فقال: ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت، إن الله تبارك يقول: **(والذين هاجروا في سبيل الله... لعليم حليم)** فما تبغي أيها العبد إذا دخلت مدخلاً ترضاه ورزقت رزقاً حسناً؟ والله ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت، رواه الطبراني بإسناد صحيح.

وقد روى الإمام أحمد الحديث قال ﷺ: **[من وضع رجله في الركاب فاصلاً في سبيل الله فلدغته هامة أو وقصته دابة أو مات بأي حتف مات فهو شهيد]** رجاله ثقات والحديث صحيح.

وأذعن صاحبه لطلب أبي عبد الحق وسطر الوصية ومما جاء فيها: (... وقد نذرت روحي ومعرفتي وجسمي لله حتى كلفني ذلك ترك فلذة كبدي وزوجتي الودود لمدة سنة كاملة كانت سنة تمحيص... بعدها أمرت بالرباط الطويل في نفس المكان، كنا نعمل ليلا ونهاراً، فكنت أركب وأجمع وأدرس وأتعلم ولا أعطي لأهلي إلا القليل من وقتي، ذلك لقلة المهندسين المسلمين في أفغانستان، ولم يمنعني هذا أن أجد لذة إنفاق بدني في سبيل الله، وكانت الأخبار تمسح عنا التعب إذا هبت ريح مسك لشهيد قرأتي فكانوا غذاءنا وشرابنا وعطرنا وكلنا يلهج ليأخذه معهم...

وإذا توفيت أخبروا الشيخ عبد الله عزام ليخبر زوجتي، واختتم الوصية بالآية **(وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد)** ورأت زوجته قبل وفاته بأيام قليلة رسول الله ﷺ يحمل جنازة، وكان زوجها فيمن يحمل مع رسول الله ﷺ فسألته من هذا المحمول الذي نال هذا الشرف؟ فقال: إنه شهيد ليتني مكانه، وأخيراً فاضت الروح إلى بارئها، وكانت لحظات عصيبة جدا تمر علي كيف أواجه زوجته بالخبر، وصليت الفجر وتوجهت مع زوجتي إلى بيتها، وأخذتها إلى المستشفى، وفي الطريق صرت أمهد السبيل بالأحاديث النبوية والآيات القرآنية والمرأة لا تتمالك نفسها وترتجف أوصالها وهي تحس أن الأمر جلل.

ودخلت مع زوجته وزوجتي لتلقي عليه النظرة التي لن تحظى بغيرها بعد اللحظة، وكانت مفاجأة مذهلة ومصابا عظيما أن ترى زوجها جثة هامدة، إلا أن ابتسامة وإشراقة وجهه لم تفارقه، فبدأت تمرغ وجهها على وجهه وتقول: حرام عليكم نظرة واحدة، لو أعطيتموني قبل أن يموت...أبا عبدالحق، أبا عبدالحق.

وسارت جنازته في موكب مهيب، وبجانب يحيى وفي بابي دفن أبو عبد الحق حيث المكان الذي أحب، وبجانب الشهيد الذي عشقه وتعلقه.

ولشدة ما كانت دهشة زوجته عندما علمت أننا دفناه بجانب يحيى فقالت: قد كانت هذه أمنيته.

وتكلم الشيخ سياف كلمة، وتكلمت كلمة كانت من عصارة قلبي وحرقة كبدي، وما بكيت على أحد بكائي على أبي عبد الحق رحمه الله وألحقنا به في الصالحين.

غاب الطود الشامخ (الشهيد أبو دجانة)[1]

من عروس البحر (الاسكندرية) إلى أرض الجهاد والشهادة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

حدث ابن اسحاق قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجانة -سماك بن خرشة- أخو بني ساعدة فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحني، قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه، فأعطاه إياه وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت، وكان إذا اعتم بعصابة له حمراء فاعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل- فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه وجعل يتبختر بين الصفين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموقف.

قال الزبير فوجدت في نفسي إذ أعطاه أبا دجانة وتركني، والله لأنظرن ما يصنع، فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار أخرج أبو دجانة عصابة الموت، وهكذا كانت تقول إذا تعصب بها، فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لـدى النخيل

ألا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله. سيرة ابن هشام ٣/ ٢٠.

قد قيل: أن لكل اسم من مسماه نصيباً، فصاحبنا أبو دجانة الذي اهتصرته يد المنون في ميعة (شدة) نشاط الشباب منذ فترة وجيزة في (نهرين) إحدى مناطق بغلان، له من صفات الصحابي الجليل أبي دجانة أسوة حسنة. كان صاحبنا ذا زهوة لا تفارقه ولكنها في تواضع، رأيته لأول مرة سنة ١٩٧٦ في معسكر جامعة الإسكندرية ثم غابت صورته عني.

اختلاف النهار والليل ينسي اذكرا لي الصبا وأيام أنس

ثم رأيته للمرة الثانية في أرض الرباط في بكتيا، كان قمة في النشاط والحيوية، أعطاه الله بسطة في الجسم وآتاه الله القرآن فكان حافظاً ذا صوت ندي، فكنت أحب أن أقدمه للصلاة لأسمع صوته، ولكنه كان لا يطيل في الصلاة، قدمته ذات مرة لصلاة الفجر فقرأ في كلتا الركعتين سورة الزلزلة كاملة، فسألته عن هذا فقال: ثابت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يتتبع الآثار ويلتزم السنة فبقي يقصر الصلاة مدة سنة ونصف حتى وهو في بيشاور ما أتم الصلاة قط إذ كان يعتبر نفسه مسافراً مرابطاً، كان حساساً للبدع صغيرها وكبيرها، كنا ذات مرة في بكتيا فأطلقت طلقة قريباً منا، فقال أحدنا بصوت مرتفع: ابن محمد وكان الصائح والداً لمحمد فعلاً، فكان في أوقات الشدة يقول: أنا ابن محمد -اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم أنا ابن عبد المطلب- فظنه أبو دجانة يقول يا محمد فصاح قد أشرك الرجل.

كان نجماً لامعاً حيثما سار وكوكباً ساطعاً أينما دار، ومن لا يعرف أبا دجانة في مدينته، خاصة من أبناء جيله، فقد كان مهيباً مهاباً!

نزل إلى ننجرهار (مارو) نازيان، فأقام بين المجاهدين شهرين أو ثلاثة فألف الله على يديه قلوبهم وجمع ببركته صفوفهم فشكل الأحزاب الأربعة مجلس شورى، وانتخبوا أميراً، وأصبحوا وكأنهم منظمة واحدة لا تحس بينهم فرقاً وتغبطهم على ألفتهم وتقارب صفوفهم واختفى الدخان والنسوار -الشمة- والتمائم من بين صفوف المجاهدين وأصبح المجاهدون يطبقون السنن والأذكار خاصة

---

(١) مجلة الجهاد العدد ٢٥ ص ١٧ ربيع الثاني ١٤٠٧هـ ديسمبر ١٩٨٦م.

الواردة بعد الصلوات المفروضة.

كان ذا نكتة حاضرة يغير المنكر بالنكتة، ويخفف عن اخوانه بالدعابة البريئة وبالمزاح الصادق فكان إذا رأى حليقاً من المجاهدين مسك بيده وأجلسه بين المجاهدين مع ابتسامته المشرقة يرفع يديه إلى السماء ويقول "دعاء دعاء" وهذا يعني عهد لدى الأفغانيين فإذا رفع الحليق يديه فهذا عهد ألا يحلقها بعد وهكذا في التمائم والدخان.

كان رياضياً فهو يحمل شهادة جامعية في الرياضة فكان يدرب إخوانه التمارين السويدية فلا يحس أحد منهم بتعب رغم أنها عنيفة شديدة لأن النكتة تصاحب التمارين كلها.

كان عالي الهمة مع التواضع، حازماً مع اللين، شديداً مع الرأفة، لا ينزل إلى الأمور الدنية، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفسافها) رواه الطبراني والحاكم وهو صحيح، انظر صحيح الجامع ١٨٨٦.

كان يحب إخوانه ويحبونه، لا يحمل بين جوانحه لهم إلا تقديراً وحباً، يكره الخلاف ويترفع عن التعصب الحزبي الذي مزّق الجماعات وأوغر صدور الدعاة على بعضهم «كل حزب بما لديهم فرحين»، كل خمسة يتجمعون ويختارون أمير المؤمنين ويجعلون له منبراً ويحسبون أنفسهم جماعة المسلمين، "وإذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما" ويكفر بعضهم بعضاً ويعطون القسم الآخر صكوك غفران في دخول الفردوس والجنان ويحسبون أنفسهم شعب الله المختار.

كان أبو دجانة مترفعاً عن هذا كله، فكان يربطه بسماك بن خرشه -أبو دجانة الصحابي- علو الهمة قال ابن اسحاق: وقال أبو دجانة سماك بن خرشه رأيت إنساناً يخمش الناس خمشاً شديداً فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة -هند بنت عتبة- فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اضرب به امرأة.

كان صواماً قواماً، فكان أغلب دهره صائماً الاثنين والخميس، وشهد لي من كان لهم شرف صحبته في الجبهات أنه كان يقوم الليل، ويصوم يوماً ويفطر يوماً.

كان شديداً في دين الله دخل الجيش الجاهلي ورفض من بين أقرانه جميعاً أن يحلق لحيته خلافاً للأنظمة الجاهلية التي تسود الجيوش وتحكمها.

رجع من ننجرهار لألم في ظهره وأقام فترة في بيشاور ريثما يتم علاج ظهره، وكان يقول: سأطأ بعرجتي هذه الجنة -إن شاء الله- مردداً كلمة الصحابي عمرو بن الجموح رضي الله عنه.

واستلم إدارة مكتب الخدمات أثناء مرضه، فوضع له نظاماً دقيقاً وعلق لائحة على الحائط، فحزم الأمر وأصبح كل أخ يحسب له ألف حساب وكان يقول: مكتب الخدمات (جماعة الجماعات) لأنه ينصهر فيه كل الاتجاهات والمدارس وتذوب فيه كل الحواجز الحزبية والجغرافية والإقليمية.

ذهب إلى سرانه وأقام في هذا الوادي -الذي يمتد قرابة سبعين كيلومتراً بين خوست وجارديز- سبعة أشهر، أصبح الحاكم الفعلي فيها وتوارت أمام شخصية أبي دجانة كل القيادات الجهادية ولم يعد على طول الوادي ذكر سوى لأبي دجانة، وتطهر الوادي من كل البدع والمخالفات الشرعية، وبقي فيه معلماً مربياً وإماماً عادلاً وقارئاً ماهراً حتى دخلت العشر الأوائل من ذي الحجة سنة ١٤٠٦هـ، كتب الله له الحج دون توقع ليجمع بين الغزو والحج وكان ذلك آخر عهده بالبيت الحرام جاءني ذات يوم بعد الحج ونحن في الحجاز متهلل الوجه فقال لي: لقد اتصلت بوالدتي اليوم وطلبت منها الدعاء لي بالشهادة فدعت لي بالشهادة وبعد الحج توجه إلى بنجشير التي طالما تاقت نفسه لرؤياها وكثيراً ما كان يردد وهو في بكتيا: بنجشير متى نراها؟ بنجشير متى نلقاها؟

وسار إلى بنجشير مع العصبة المؤمنة مع الصفوة الذين كتب الله لهم شرف مشاهدة أسد الشراة.

بأيديهم بيض إذا حمش الوغى ... فلابد أن يردى لهن صـــريع

فلم يبق إلا موقد النــار حوله ... رواكد أمثال الحمام كنـــوع

كان لي شرف وداع هذه الصفوة في شترال حيث اتجهوا نحو بنجشير..

نفسي ليوم أمسي غداة *الروع إذ يمشون قصوا*

سيرا إلى كبش الكتيبة *إذ جلته الشمس جلوا*

وصل أبو دجانة بنجشير ثم توجه إلى الشمال حيث التقى بأسد الهضاب والجبال -أحمدشاه مسعود-، وصار يتقلب على الظى متشوقاً لهيب معركة يختم بها هذه الحياة بشهادة.

وكان الموعد مع القدر في نهرين -بغلان- وفي معركة ضارية اشتركت فيها كتائب مختلفة نظمها أسد بنجشير وولى قيادتها عبدالحي حقجو وسار أبو دجانة في الكتائب.

وتراه يرفل في الحديد كأنه *ذو لبدة شثن البراثن أربد*

والتارك القرن الكمي مجدلاً *يوم الكريهة والقنا يتقصد*

وافتتح المجاهدون مقاطعة بكاملها ولم ينج من أعداء الله واحد وكانوا أربعمائة وخمسين كافراً، وغنم المجاهدون ثلاث دبابات صالحة، ومجموعة من الأسلحة الثقيلة، وألف قطعة سلاح خفيفة...

وتوج النصر بمجموعة من الشهداء من بينهم (عبدالجبار و أبو دجانة) وثوى أبو دجانة في جبال الهندوكش قريباً من جدث (قبر) أخيه أبي عاصم وذبيح الله (أبو حامد)، ولحق هؤلاء جميعاً بقافلة الشهداء التي تسطر في صفحات الزمن أن الجهاد في أفغانستان جهاد إسلامي وليس حرباً قومية إذ ضمخ ثراها الدم الطاهر من مصر وفلسطين والحجاز ونجد والكويت والجزائر وتونس والعراق والشام...

لهفي لشبان رزئناهم كأنهم المصابيح *شم غطارفة بطارقة خضارمة مسامح*

المشترون الحمد بالأرواح إن الحمد رابح *والجامزون بلجمهم يوماً إذا ما صاح صائح*

ونحن نبتهل إلى الله عز وجل أن يرزقنا الشهادة كما رزقهم ويجمعنا بهم في الفردوس الأعلى ويعطينا جميعاً ما وعدنا به على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث المقدام بن معديكرب المرفوع:

(إن للشهيد عند الله خصالاً: أن يغفر له من أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلية الإيمان، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه) رواه أحمد وصححه الترمذي واسناده صحيح.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصية الشهيد -أبو دجانة- لقادة الجهاد:

بسم الله الرحمن الرحيم

... وانقل هذه الوصية لقادة الجهاد الأفغاني بأن يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم، فالتنازع وأهواء النفوس لا تأتي بالنصر، بل تأتي بالفشل والعياذ بالله، وإذا كانوا هم صادقين فما الذي يؤخرهم عن الاتحاد؟ وإذا ما ادعى أحد منهم الاخلاص فما الذي يضيره أن يصبح جندياً تحت قيادة أخيه، فإذا ماكان أحدهما صادقاً فليتق الله ولا يخشى الناس، فإنه مسؤول في يوم عظيم أمام الملك الديان، ولا يضع للناس ولبطانته اعتباراً بجانب طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي توجب له النصر بإذن الله، فالله تعالى قد جمع أسباب النصر في الآية الكريمة من سورة الأنفال حيث يقول سبحانه:

(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)

وبعد: فإذا عرفتم فالزموا...

(واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون).

فإنكم ورب العباد مسؤولون عن كل نفس ماتت أو استشهدت وتوبوا إلى بارئكم توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم

سيئاتكم ويغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار.

كتبت في نمكاو

في ولاية تخار في ١٩٨٦/١١/٨م

الشهيد أنس (تركي الهذلي)(١)

لا زال عودك أيها الشبل غضاً، ولا زال أمثالك يا تركي يكون على لقمة العيش، ما الذي جاء بك يا صاحب الصوت الندي؟ من ذا الذي يؤذن بعد اليوم في مسجد الشركة التي كنت فيها؟

سرى صوت المؤذن في حمانا وقــــد فقدت مآذننا بلالــــه

من ذا الذي يجمع الناس بصوت ندي كصوتك.

هكذا وبنون مقدمات من أعطاف النعيم على شاطيء الخليج إلى قمم الجبال في بروان تسابق الأفغان في غدوهم وجهادهم وتسلقهم للقمم، وأكبر من ذلك كله الوقوف أمام أشرس قوى الأرض وأعتاها، ليس متوقعاً من أمثالك أن يواجه الدبابات بقذائفها الرهيبه ودويها الذي يصك الآذان، إن أمثالك يفزعون من رؤية عقرب أو صرصور.

إنه اختيار رب العزة لك ولعبد الرحمن أن تكونا ممن اصطفاهم الله -إن شاء الله- لتكون أرواحهم في حواصل طيور خضر في الجنة تسرح حيث تشاء ثم تؤوي إلى قناديل معلقة تحت العرش.

لقد كبر أهلك وأهل عبد الرحمن في أعين الناس عندما بدأوا يفتخرون بأنهم قد قدموا لهم فرطاً على الحوض، وحق لهم أن يفخروا لأن أمثالك ولعل بعض أرحامك يموتون وهم يفحطون بالسيارات وأنتما ممن يشفع بسبعين من أهل بيته، ويلبس تاج الوقار الياقوته منه خير من الدنيا وما فيها، ونرجو الله أن يجمعنا في الفردوس الأعلى.

الشهيد عبد الرحمن (عبد الله الجماز)(٢)

من أرض الجزيرة، عرفته ببشرته السمراء وسماحة وجهه، تلمح بين عينيه براءة الفطرة وسماحة البادية وبساطة النفس.

عرفته في جاجي في رمضان سنة (١٤٠٦هـ)، كان البرد شديداً، والهول يلف المنطقة بردائه بسبب الغارات الجوية التي أحالت الأرض كلها قطعة من النار المشتعلة، ودوي الانفجارات المتتابعة تذهل المرضع عن وليدها، وكانت لديه عباءة فاشتملت بها، وبعد يوم أو يومين تأثر عوده الرقيق وجسده الناحل بالبرد فجاء يطلب العباءة وعلى استحياء شديد، ثم ظن أنه ما كان له أن يطلبها، وذات يوم وإذا به يذهب ويشتري عباءة ويقدمها هدية، وأصيب عبد الرحمن بشظية قنبلة كسرت فخذه، ونقل إلى المستشفى، وانتظر حتى عافى الله ساقه ثم عاد ليرى أهله في الجزيرة، وكم يهز مشاعرك وإخوانه يحملونه مكسور الفخذ وهو يعتذر إليهم قائلاً أتعبتكم.

وعاد عبد الرحمن مرة أخرى وتوجه إلى بروان مع -سيد باس- قائد الحزب الإسلامي، وسيد باس هذا من العلماء الذين يشهد لهم بالإصلاح والصلاح، وقد دوخ الروس في منطقة بروان المركز، وأثناء وجوده في بروان توجهت قوة ضخمة من الطائرات والدبابات وهاجمت المنطقة، ووقف سيد باس مع المجاهدين ليواجهوا القوة، ولأول مرة لا تجرؤ القوة أن تدخلّ القرى لتفتيشها، ودقت رحا الحرب المنطقة بثفالها (الحجر الأسفل في الطاحون).

غير أن الفتى يلاقي المنايا كالحات ولا يلاقي الهوانا

وبرزت الأسود من غيلها، ويحدث الأفغان عن شجاعة -عبد الرحمن- أنس الذي لم يصل إلى الثامنة عشرة ما يشرح القلب ويثلج الصدور.

وكان القدر بالمرصاد، والشهادة مطوية في علم الغيب، حيث تنتهي المعركة الشرسة باستشهاد عبد الرحمن واستشهاد أنس واستشهاد القائد سيد باس.

١- مجلة الجهاد العدد ٢٩ شعبان ١٤٠٧هـ إبريل ١٩٨٧م.

٢- نفس المصدر ص ٣٣.

الشهيد أحمد التونسي (نبيل مبارك)[1]

وهكذا ساقتك الأقدار لتتوج خوست -سناكي- بنزول شهيد عربي على أرضها، كم جاهد قبلك مع الشيخ جلال الدين وفي أرض خوست؟ إنهم كثيرون، ولكن تاج الكرامة لم يتوج به أحد من قبلك من أبناء جلدتك ولسانك.

حتى في وسط المعركة أنت صائم [من صام يوماً في سبيل الله باعد الله بينه وبين النار سبعين خريفاً] حديث صحيح.

يا صاحب الوجه المشرق والجبين الوضاح، كيف خلصت من أفسد أرض؟ من إيطاليا بلد الجنس والخمر والهوى، والدنيا فيها امرأة وكأس، *إلى أرض الجهاد*، هكذا انسلخت من الدنيا وجفوتها، وفارقت زخارفها إلى أجادب من الجبال وقفار من الهضاب لا ترى فيها العيون الزرقاء والشعور الشقراء التي كانت تزخر بها شوارع روما.

من ذا الذي يقود الطائرة التي تعلمت عليها؟ ومن يحل في مقعدك في كلية الطب؟ أم أن أهل الدنيا في واد وأنت في واد.

هكذا تستوحش من الدنيا وزخرفها، وتطلق الأرض بزينتها ونعيمها، وأصبح حبيبك قرآنك الذي يرافقك، وأصبحت عشيقتك بندقيتك التي ملأت عليك حياتك وأملك ومحط أنظارك.

ماذا سيقول والدك الذي نشأ في مهنة الطب وكان يؤمل أن يكون غدك مكللاً بزهور الدنيا، وكان جل همه أن يراك أستاذاً لامعا في كلية الطب، وإلا فلا أقل من طبيب ماهر مختص له عيادة يشار إليها بالبنان، كيف سيتلقى خبر استشهادك؟

لقد تركت حسرة عميقة في نفس كل أفغاني رآك، ثلاثة أيام متتالية والوحشة تخيم على المنطقة ألماً لفراقك وحزناً على غيابك.

لقد حدثني عنك شيرين جمال -قائد الجبهة- ومنصور وعثمان أنهم شموا رائحتك الزكية التي فاحت من دمائك.

وهل كنت على موعد مع الموت في أحاسيسك حتى تقول لمنصور: (سلام عليك نراكم وإلا فموعدنا الجنة)!

وهكذا بسرعة البرق الخاطف تمضي من بيننا ويواري التراب وجهك الصبوح المشرق لتلقى ربك صائماً شهيداً.

فسلام عليك يا نبيل، وندعو الله أن يجمعنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

الشهيد عبد الجبار (أيمن كمال عباس)[2]

الشهيد الصائم الذي يدخل المعركة وهو صائم حيث يلتزم بصيام السنة في السفر والحضر، أما لك أن تأخذ بالرخصة وأنت تتسلق جبال نور ستان وشواهق اشكمش ومرتفعات بغلان؟ هلا اقتفيت أثر أخيك الأكبر أبي دجانة الذي شاركك مسيرة الطريق إلى عالم الخلود؟ أم أردت أن تحلق منطلقاً من ثقلة اللحم وحمأة الطين.

يا صاحب الإشراقة الوضيئة لم نشبع من النظر إلى محياك الطاهر، ولم نمتع أبصارنا بالنظر إلى أهل الجنة الذين يدبون على الأرض – كما نظنهم ولا نزكي على الله أحداً- لقد فارقتنا أنت وإخوانك ولم تكن أيامكم بيننا طويلة.

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا — شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا

نكاد حين تناجيكم ضمائرنا — يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

وكان اللقاء الأخير في نهرين -بغلان-، وبعد ذلك الفتح العظيم في نهرين تأتيكم قذيفة فتصيبكم شظية فيبدأ الدم ينزف.

أقبل أبو خالد واحتضن عبد الجبار ليلثم ذلك الجبين المضمخ بالدم، فيشير إليه عبد الجبار وبصوت خافت متهدج قائلاً: اسقني، فأشار الطبيب أن لا تسقه، وأسلم الروح الطاهرة الخالدة بين يدي أبي خالد.

فسلام عليكم أيها الأبرار -ولا نزكي على الله أحداً-، ونبتهل إلى الله أن تكونوا شفعاء لنا يوم القيامة، ونأمل من الله أن يكون قد تقبل شهادتكم.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

١، ٢- المصدر السابق ص ٢٢-٢٦.

ومضى منشد الطائف(١)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد:

ففي كل يوم تخطف يد المنون بقدر من الله شاباً، لا تعرف قدره إلا بعد أن يمضي، فإذا به عملاق يلبس أثواب شاب عادي بسيط.

في الطائف وفي عائلة فيها شباب متجه إلى ربه نشأ أحمد وترعرع، وأصبح الجهاد الأفغاني حديث السامر في الطائف بل في معظم المدن الإسلامية، ولم تكن أسرة أحمد بمعزل عن الأحداث العظام التي تهز الأرض بأسرها.

وأصبح الكلام عن الجهاد الأفغاني شغل هذه الأسرة الشاغل، خاصة وقد علم أبناؤها الحكم الشرعي للجهاد بأنه فرض عين بالنفس والمال، ولا حاجة لاستئذان الوالدين، ولإخوة أحمد مكانة اجتماعية ووظائف حساسة في بلدهم.

واقبل أخ يكبره ليرى واقع الجهاد الأفغاني وطبيعته والدور الذي يمكن أن يؤديه، فرأيت أحمد لأول مرة في مخيم صدى في رمضان سنة (١٤٠٦هـ) كان معه أخوه الذي يكبره وهو موظف صاحب عيال، جاءني وجلس في خيمتي التي تجاور خيمته وسألني عن حكم الجهاد الأفغاني بالنفس بأجبته: انه فرض عين ولا حاجة لاستئذان الوالدين، واكتفى بهذا وعاد إلى بلده مزمعاً على الاستقالة ثم التفرغ للجهاد، وكان بجانبه شاب صغير دائم الابتسامه، فسألت عنه فعرفت أنه أخ لذلك الموظف المتزن الجاد، فقلت له: أنت ليث، وسميته ليثاً.

وتفارقنا في أواخر رمضان، ودارت الأيام، ورأيت أحمد في جاجي في المأسدة، وفي وسط الثلوج عاد والحنين يشده إلى الشهاده، والشوق يؤرقه للقاء الحور العين، وبقيت الابتسامه والدعابة البريئة والمزاح الفطري الذي ينبعث من قلب بسيط ونفسية صافية لا تعرف التكلف ولا الالتواء، ولا تتصنع الابتسامة الصفراوية، فطرة سليمة وبساطة واضحة، وهمة عالية، هذه كانت خلاصة نفسية أحمد –نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً–، وهذا قوام شخصيته.

والذين رأوا جاجي في وسط الشتاء يدركون ضخامة العناء الذي يكابده من يعيش هنالك، إن درجة الحرارة لتصل الى –٢٠– تحت الصفر المئوي، ولقد رأيت الماء الساخن يتجمد مباشرة على وجهي، ويتحول شعر اللحية بمجرد ملامسته الماء إلى قضبان جليدية على الوجه.

إن الحياة في تلك المنطقة في الشتاء من القساوة والشدة بحيث لا يحتملها إلا أفذاذ الرجال.

ولقد عشت بينهم قرابة عشرة أيام كنت أغبط هؤلاء الشباب على احتمالهم وصلابتهم وصبرهم، وكنت أعجب لاحتمالهم هذا الزمهرير الذي تلفح سمرات الوجوه حتى أثناء سطوع الشمس وقت الظهيرة.

وكنت أكبر في هؤلاء الشباب نشاطهم ودأبهم، لا يتوقفون منذ طلوع الفجر حتى غروب الشمس.

ترامم في أقرب نقطة إلى العدو ليس بينهم وبين مراكز الشيوعيين سوى ثلاثة كيلومترات ونصف، في قمة منعزله عن المجاهدين حوالي (١٤) كيلو متراً.

كنت أخشى أن يتخطفهم العدو، والعدو أمامهم قوي وبأسه شديد، وكانت التوجسات تقلقني عليهم، وكانت المخاوف تنتابني كثيراً أن تحدث عملية إنزال مفاجيء عليهم فيمسكونهم أحياء، فكنت أرجوهم أن يرجعوا قرب مقر المجاهدين، ولكنهم يصرون على البقاء مهما كان الثمن ومهما جلت التضحية.

سألت أحدهم: ماذا لو هجمت القوة (والقوة تعني مئات الدبابات والناقلات تساندها الطائرات وراجمات الصواريخ) هل تنسحبون؟ فنظر إلي مبتسماً وقال: سنتصدى لها بإذن الله ونرجمها، وعندها: جزيت على ابتسام بابتسام، وسألت آخر: ماذا لو جاءت القوة؟

فقال: الله في السماء ثم أبو عبد الله في الأرض، وتركتهم وهم يوصلون الليل بالنهار ويعجلون في تحصين موقعهم، شباب مترفون، لم تعركهم الحياة بعد، ولم يصلب عودهم كما يجب، ولكن الهمم تطاول السحاب وتناطح السماء.

وإذا كانت النفوس كباراً   تعبت في مرادها الأجسام

كانوا يقولون: لابد من إزالة قواعد الشيوعيين هذه، ولا بد من تأمين الطريق المؤدي إلى لوجر وإلى كابل، وقلما تجد واحدا من

١- مجلة الجهاد العدد ٣٠ رمضان ١٤٠٧هـ مايو ١٩٨٧م.

هؤلاء الأبطال لا يشتغل، نزل سبعة منهم ونصبوا خيمة على بعد مائتي متر من قواعد العدو وأخذوا يترصدونه، فعجبت من جرأتهم وصبرهم وثباتهم، ومكثوا طويلاً والألسنة تلهج لهم بالدعاء:

كأنما يرون الموت عن ظمأ   أو ينشقون من البارود ريحانا

كان أحمد يبحث عن الموت، لقد انتظر طويلاً يريد أن يخوض معركة، فدفعه الشوق إلى البحث عن مكان آخر غير جاجي، فكان يقول: (هذه العملية ثم إلى قندهار) ولكنه كان يعلم أن الله يريد غير ذلك أن يختاره إلى جواره -إن شاء الله-، وكما نأمل وندعو أن يكون الله قد تقبل شهادته.

كان ذا صوت ندي بالقرآن الكريم، وذا لحن شجي بالأناشيد، فكان يروح عن إخوانه ويخفف من ثقل اللأواء عليهم ببعض الأناشيد كانت غرفة الطائف تشتاق إلى إمامته لهم في الصلاة، وكان الشيخ تميم يحب سماع صوته ويرتاح الصلاة وراءه، وعرفت فيما بعد أن له أشرطة تباع في الأسواق في الطائف وغيرها، وما أجمل الأذان من فم أحمد.

وقبل العملية بيوم كنت معهم، وبت عندهم، وحدثني أحد زملائه الذي حرس معه أن فترة الحراسة -ليلة الجمعة- قضاها بالتهجد.

وحدثني أبو فيصل: رأيت أحمد قبل شهر فأهداني مصحفا وقال بشرط: أن تدعو لي بالشهادة كلما فتحته للتلاوة، لقد كان أحمد وأخوه محمد يعرفان في الطائف كلها بأنهما الدعاة، فكانا دائبين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي صباح الجمعة (١٩) شعبان سنة (١٤٠٧هـ) الموافق (١٧) أبريل (١٩٨٧م) مر على شباب يتحدثون ويمزحون فقال لهم: اشتغلوا بذكر الله.

وقال لآخرين: اليوم الجمعة لا تنسوا قراءة سورة الكهف، كان أحمد يحس -والله اعلم- أن هذا اليوم قد يكون آخر عهده بالدنيا، فودع أخاه أبا حذيفة -من الطائف- قائلاً سلم على والدي فإني اليوم شهيد.

واصطفت الجموع لتنطلق للعملية، وبدأت الدموع الحرى تهطل من العيون، وما أحر وما أمر لحظات الوداع، خاصة وكل واحد يتوقع ألا يرى أخاه بعد تلك اللحظة، ولكن بعض الشباب لم يستكملوا تدريبهم واستعدادهم بعد للقاء العدو، فحرمهم المسؤول أن يشاركوا، وصاروا يبكون ويرجون هذا وذاك أن يتوسط لدى المسؤول لعله يسمح لهم بالمشاركة.

ومضت الجموع، وفي ساعة الاستجابة يوم الجمعة في السادسة مساء انفتحت النيران تحرق كل مكان، وبدأت أرقب العملية والنيران تحرق مراكز العدو وتلتهم بألسنتها المتطاولة قواعدهم، وكان أحمد في النقاط المتقدمة يرقب رماية مدفع (٨٢) ويطل على أماكن سقوط القذائف، ويطلق أحياناً على المدفع، وانطلق إلى الأمام ليشفي صدره باحتراق أعداء الله، وصاح (خوب) أي ممتاز، ومع غروب شمس يوم الجمعة انقطع صوت أحمد، وناداه إخوانه ولم يرد عليهم، واقترب يحيى من أحمد فوجده مضرجاً بدمائه معفراً بالتراب **[طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع].**

ومضى ليث المأسدة، ووصل الخبر ونحن ننتظر أنباء المعركة عن كثب بأن أحمد على مدفع (٨٢) قد استشهد، وانفجر أبناء الطائف باكين لأنهم يعرفونه منذ نعومة أظفاره، ثم بدأ الشباب يهنئون بعضهم بعضاً باستشهاده ويتمنون أن يلقوا الشهادة ويتقبلها الله منه ومنهم.

واصطف الشباب يطالبون بإحضار الجثة في بهيم الليل الداجي والقذائف تمطر المنطقة بوابل نيرانها، وأصروا على إحضاره ليودعوه، فقلنا لهم: من الخطر الآن أن تتحرك بسبب عدم وضوح الطريق، ولأن المعركة شديدة، وكذلك فإن السنة أن يدفن القتلى في مصارعهم (أماكن قتلهم)، جاء في زاد الميعاد (٢١٤/٣): (إن السنة في الشهداء أن يدفنوا في مصارعهم ولا ينقلوا إلى مكان آخر، فإن قوماً من الصحابة نقلوا قتلاهم الى المدينة فنادى منادي رسول الله ﷺ: بالأمر برد القتلى إلى مصارعهم).

وتحت قذائف نيران العدو وفي جنح الظلام يتسلل بعض الشباب ويحضرون جثة أحمد، فوجدوه مبتسما كحالته التي فارق عليها الحياة.

ويشهد لي أبو حنيفة أنه شم رائحة طيبة تخرج من جسده، وهناك ومقابل الغرفة التي كان يقيم فيها أحمد أثناء رباطه حفر الجدث (القبر)، وحمله أبو حذيفة ليواري جثمانه الطاهر في التراب ويخلي بينه وبين رب العالمين، والعيون لا تملك أن تمسك دموعها الهاتنة، وإن كانت القلوب مستبشرة فرحة بهذا المصير الذي لقيه أحمد، وحق لأبي حذيفة وأمثاله ممن عرفوا في حياة أحمد الناعمة

والوادعة الهادئة، وفي هذه اللحظات أن يمر في خيالهم صورة مصعب بن عمير، وأن يودعوه بتلك الكلمات الخالدة التي ودع بها رسول الله ﷺ مصعب يوم أحد: (لقد رأيتك في مكة وما في مكة شاب أرق حلة ولا أحسن لمة منك، وها أنت الآن أشعث في بردة)، فهنيئاً للطائف بشهيدها ومنشدها ومؤذنها، وهنيئا لوالديه وأقاربه الشهادة والشفاعة إن شاء الله، ومضى ليث المسدة، فهنيئا لأبيه وإخوانه الشفاعة، فهي مفخرة الدنيا وعزها، ونعيم الآخرة وخلودها -إن شاء الله-.

فيا أشقاء أحمد، طلال ويحيى وسعيد وعمر وعبد الوهاب ومحمد وبندر، هذا الليث (أحمد) قد شق الطريق أمامكم، فهل أنتم على أثره سائرون؟ ويا أصدقاء أحمد هذا أحمد قد مضى بعد أن شهد عليكم وأقام الحجة عليكم فليس لكم في القعود بعده عذر.

ويا أرحام أحمد ما كان لكم أن تتخلفوا عن السبيل الذي ضمن الله سالكه في الدنيا والآخرة.

وندعو الله أن يجمعنا بأحمد في الفردوس الأعلى.

رسالة إلى أهل الشهيد:

بسم الله الرحمن الرحيم

العم الكريم عبد الله بن الزهراني حفظه الله ورعاه.

العمة الكريمة والدة أحمد الزهراني حفظها الله.

الإخوة الكرام أشقاء أحمد، طلال، يحيى، سعيد، عمر، عبد الوهاب، محمد، بندر، حفظهم الله ورعاهم.

شقيقات أحمد، أعانهن الله وألهمهن الصبر.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

إن الناس كلهم يموتون، ولكن الشهداء هم الذين ينفردون بالمجد في الدنيا وبالفوز في الملأ الأعلى، إن الشهادة اختيار من رب العزة لصفوة خلقه (وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء).

إن الأمم تحيا برجالها الذين يضحون في سبيل نصرة مبادئها وارتفاع رايتها وصيانة مقدساتها وحماية أعراضها، ولا خير في أمة تهضم حقوق مستضعفيها، وتداس قيمها، وتهدر دماءها ولا تحمى نساءها وظعائنها.

وكثير من القبائل أحيا ذكرها شاب ذو نخوة وحفظ لها وجودها وأدخلها سجل التاريخ.

وأنتم جميعا كعائلة يعرفكم الناس بأحمد الذي جعل الله له لسان صدق في الآخرين فبذكره تذكرون، وبه تعرفون.

لقد نامت الأمة طويلاً وغطت في سبات عميق، ولا يمكن أن تستيقظ هذه الأمة إلا على صوت السلاح وسيلان الدماء، فدماء هؤلاء الشباب الأطهار تحيي الأمة من جديد، وتعيد الحياة إلى عروقها التي كادت تجف.

إن شجرة هذا الدين القويم لا تنبت ولا تترعرع إلا إذا رويت بدماء الصادقين وبعرق المخلصين، فطريق هذا الدين طويل مفروش بالأشلاء، مروي بالدماء، وإن أقرب طريق إلى الجنة هو الشهادة في سبيل الله، وإن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله.

إن الجهاد اليوم باتفاق العلماء والفقهاء والمحدثين والمفسرين (فرض عين بالنفس والمال، ولا إذن للوالدين ولا للدائن على المدين ولا للزوج على زوجته) مع أنه لا يجوز أن تخرج الزوجة والأمرد إلا بمحرم.

إن المقدسات التي سلبت، والأموال التي نهبت، والأعراض التي انتهكت، والديار التي اغتصبت، كل هذه تستغيث همم الشباب وعزائم المسلمين.

كيف القرار وكيف يهدأ مسلم والمسلمات مع العدو المعتدي

أتسبى المسلمات بكل ثغر وعيش المسلمين إذن يطيب؟

إذا كان أتراب أحمد وأنداده (جيله) يلهون بتفحيط السيارات فإن أحمد لا يلهو إلا بمدفعه ورشاشه.

لئن كان الشباب يقضون إجازاتهم في عواصم الدول الكبرى في خضم بحر الجاهلية الآسن غارقين في وحل الجنس وسعار الشهوات، فإن أحمد كان يقضي حياته على الثغور على قمم الجبال يستروح أريج الآفاق العليا ويبحث عن الموت مظانه.

أعز مكان في الدنى سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

ولئن كان الشاب في طيش الشباب لا ينام إلا على الألحان الراقصة والموسيقى الصاخبة والصور المتحركة في الأفلام الماجنة، فقد أبت عين أحمد إلا أن تسهر في سبيل الله تحمي أعراض المسلمين، ولا يقطع أناء الليل إلا بتسبيح أو تهجد أو استغفار.

وإن كان الناس يبحثون عن المجد بالتزلف إلى أهل الدنيا وبالتردد على أعتابهم، فإن أحمد وجد أن المجد بأن يدوس على الدنيا بأسرها، فقد صغرت في عينه ولم يبق لها في قلبه أي تعلق، لقد علم الحديث الشريف جيداً: **[ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد بما في أيدي الناس يحبك الناس]**.

وختاماً ففي القلب حاجات كثيرة وفي النفس كلام كثير.. وفي الفؤاد آهات وحسرات نريد أن نبثها لكم، وحسبنا هذه العجالة قائلين: أن القتل في سبيل الله أتمناه لأبنائي جميعاً فنرجو الله أن يرزقنا الشهادة في سبيله، فهنيئاً لكم ابنكم في الدنيا عزاً وثناء وفي الآخرة شفاعة ورفعة -بإذن الله تعالى-، وأختم رسالتي بحديث رسول الله ﷺ في الشهيد: **[للشهيد عند ربه ست -أو سبع خصال- يغفر له مع أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويلبس تاج الوقار الياقوتة فيه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج باثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع بسبعين من أهل بيته]** حديث صحيح.

وإن شاء الله على هذا الطريق لسائرون، ونرجو الله حسن الخاتمة.

أخوكم/ عبد الله عزام

الثلاثاء (٢٣) شعبان (١٤٠٧ هـ) الموافق (٢١) ابريل (١٩٨٧م)

من والد الشهيد أحمد الزهراني إلى الدكتور عبدالله عزام:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى أخي في الله الشيخ المجاهد عبدالله عزام .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصلتني كلماتك الطيبة التي نعيت إلي فيها ابني (أحمد) رحمة الله.. وهنأتني في استشهاده، فالحمد لله وإنا لله وإنا اليه راجعون.

وجزاك الله عني وعن المسلمين خيراً، وبارك في جهودك الطيبة التي تسعى فيها إلى انتشال الأمة من وهدتها وإيقاظها من رقدتها.

أخي في الله.. أنا ضابط قديم شاركت في حرب اليهود منذ (٤٨)، ومع ما كان في بعض تلك الحروب من أمثلة بطولة لكنها لا تعدو أن تكون حالات فردية قليلة، أما هذا الجهاد المبارك فإنه بالنسبة إلى تلك الحروب جملة كالعملة الصحيحة والمزيفة، فالهدف هنا واضح والراية واضحة، ولا أحتاج هنا إلى مزيد تفصيل فلعلك عايشت في بعض فترات حياتك بعض تلك الحروب.

قدر الله عز وجل أن يكون هذا الجهاد كالغيث الطيب في زمن أسنت فيه المشارب، فتلقفته أفئدة آمنت بالله ورضيت به سبحانه رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً، وبالجهاد طريقاً، وبالقرآن منهاج حياة، فهنيئاً لكل من وفق للجهاد في سبيل الله، فإنها والله التجارة الرابحة، وهي عز الدنيا وكرامة الآخرة، وهي التخفف من جذب الطين وثقلة اللحم، وهي الطمأنينة والثقة وذروة سنام الإسلام، قال تعالى **(إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين)** فأوصيك يا أخي ونفسي بتقوى الله والسلام عليك.

عبدالله بن يحيى الزهراني

وصية إلى أولياء الشهداء:

يا أم الشهيد... لا تجزعي بل افخري بابنك بطلاً شهيداً، وفارساً فريداً، ونرجو الله أن يتقبل شهادته فيكون لأهله شفيعاً يوم القيامة. ولا تجزعي فأمثال ابنك مفخرة للأجيال ونبراس للفتيان.

لا تقتلي النفس إذ حانت منيته — في طاعة الله يوم الروع والباس

وأما شقيقاته فلهن أن يرفعن رؤوسهن اعتزازاً ورفعة، ولا تسكبن عبرات الواله الفاقد، بل افرحن فرح الحبور الوافد الواجد.

أما الوالد الكريم، فهنيئاً لكم هذا الليث الهصور الكاسر الذي نكل بأعداء الله، وعرفنا بكم وبالعائلة جمعاء من خلال جهاده، وابنك من هؤلاء الذين يطلبون الموت مظانه.

فج يكاد صهيل الخيل يقذفه عن سرجه فرحاً بالغزو أو طرباً

فافخر ولا تجزع، وافرح ولا تحزن، وابعث إخوانه ليسلكوا جادة العزة وجدية الفخار، ولولا أنهم خير منا لما اختارهم الله قبلنا وتركنا نتجرع حسرتنا ولا ندري ما خاتمتنا، فاللهم أحينا سعداء، وأمتنا شهداء، واحشرنا في زمرة المصطفى ﷺ.

ضيوف الرحمن في يوم الجائزة

وصلنا (جاجي) في مساء الثلاثين من رمضان، استماتت العدو في محاولة الاستيلاء على المركز وكلما اقتربوا أصلاهم الشباب بوابل قذائفهم ونيران مدافعهم، حاولت الدبابات أن تدفع مع شاحنات الغذاء والسلاح للوصول إلى المراكز الشيوعية، ولكن راجمات الصواريخ التي بيد المجاهدين اضطرتها للتقهقر والفرار، وحاول أعداء الله مرة أخرى أن يوزعوا مجموعات من الصاعقة (الكوماندوز) ووضعت مجموعات منهم على التلال المقابلة للمركز الجديد (المأسدة)، ولكن قذائف (أر، بي، جي، ٧) حصدت منهم مجموعات بالإضافة إلى قذائف مدافع (٨٢) ملم، و (٧٥) ملم التي لا تدعهم يلتقطون أنفاسهم لحظة، وكانت طائرات الهليوكبتر تحوم لتلتقط جثث أهل النار، وهؤلاء كما يشاهدهم الإخوة من خلال التلسكوب كلهم من الروس ذوي الوجوه الحمر المائلة إلى الزرقة وذوي العيون الزرقاء الضيقة.

أمر قائد المأسدة الشباب بالانسحاب، فقال سيف الله (قائد مجموعة مضاد الطائرات): لن يتقدموا إلا على جثتنا، ولن ننسحب، فصاح به القائد: أنا بريء منك أمام الله يوم القيامة إن عصيت أمري، فقال سيف الله وقد رأيته في الليل -ليلة العيد-: ما انسحب الا طاعة للأمر.

ولكن المجموعات من الإخوة عادت في الليل لتحافظ على المركز، وصلينا الفجر، وتحرك سيف الله مع مجموعته بعد صلاة الفجر، وكان معه علي وحسين المتحابين اللذين لايفترقان.

وبعد طلوع الشمس كنت مستريحاً في فراشي وبجانبي الشيخ تميم العدناني، فسمعنا هدير الطائرات وأصوات المدافع المضادة تدوي من كل مكان، فصاحوا بنا: انهضوا واخرجوا من هذه الغرفة لأنها لا تحتمل القذائف، فقلت للشيخ تميم قم وأسرع، فقال الشيخ تميم: شهادة في يوم العيد يا شيخ، فقلت انهض، وخرجنا من باب الغرفة لنرى القذائف التي ألقتها الطائرات، وسرعان ما غطي الجو بسحاب أسود فقال الشيخ سياف: (يحتمل أن تكون القذائف من الغازات السامة) وبدأ السحاب الأسود الذي عقب الانفجار يسير:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

جلسنا حول اللاسلكي نترقب أخبار المعركة دقيقة دقيقة، جاء أبو الحسن المقدسي وقال: استشهد ثلاثة من العرب، وانتظر تأكيد الخبر من أبي محمود الذي يرسل على اللاسلكي من عقر المركز الجديد (المأسدة)، فقال: لقد أسلم ثلاثة من العرب أرواحهم إلى خالقهم وهم: (الشهداء الثلاثة علي وحسين ونور الحق)

كانوا مع الشهادة على قدر، لقد رأيت علياً جاداً في البحث عن الشهادة، كان يقول لعل الله يرزقنا الشهادة، وقلما كان يفارق أرض المعركة:

مقيم مع الهيجاء في كل منزل كأنك من كل الصوارم في أهل

وحسين منذ عام مع علي لا يفترقان، كأنه ظل له، لا تفتقد حسيناً إلا مع علي، وحسين من مواليد سنة (١٩٧٠م)، شاب صغير صامت مؤدب صوته ندي بالقرآن، أوتي مزماراً من مزامير داود.

ولا أذكر أني رأيت عليهما ثوباً نظيفاً لأن الطين والمازوت وزيت السلاح يرسم على ملابسهما نقوشاً كأنما هي خارطة لبقاع مختلفة من الأرض:

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا فأهـــون ما يمـــر به الوحول

١- مجلة الجهاد العدد ٣١ شوال ١٤٠٧هـ حزيران ١٩٨٧م ص ١٣.

فلم تعد الشدائد ولا الكروب، ولا البرد وزمهريره، ولا السهر وشدة وطأة الجوع وآلامه، ولا العطش وشدته، لم تعد هذه شيئ في أنظارهم:

أقل بلاء بالرزايا من القنا   وأقدم بين الجفلين من النبل

واستشهد علي وحسين ودفنا في خندق واحد.

هي المسيرة تدور دورتها وتقفز إلى الذهن قصة عبد الله بن حرام -والد جابر- وعمرو بن الجموح اللذين استشهدا في أحد فأمر رسول الله ﷺ بدفنهما معاً: **(ادفنوا المتحابين في قبر واحد)**.

وهكذا كانت مسيرة واحدة أدت بهما إلى جدث واحد يبعثان منه **(إذا بعثر ما في القبور)**، وصدق الله كلمات علي: نريد أن نعيَّد، وعيد علي في ضيافة الرحمن.

أما نور الحق المغربي فقد كانت هجرته خالصة إلى الله -كما نحسبه ولا نزكي على الله أحداً- لا رجعة فيها، جاء أول مرة براً عن طريق الدول الأوروبية، حتى إذا وصل إلى حدود سوريا ردته الطائفة النصيرية ومنعته من اجتياز الحدود، ثم جاء إلى الحج، وبعد أن قضى مناسكه في أم القرى يمم شطر أفغانستان، وهنا في بيشاور يجد الشيخ سياف قد أنشأ مدرسة لتعليم أبناء الأفغان سماها حراء، فنذر نفسه لتربية أبناء الأفغان على لغة القرآن، وكان يقوم بتدريب أبناء المدرسة على ألعاب الكارتية، وعندما علم بنشوب معركة في جاجي توجه نحو الجبهة، وكان اللقاء مع الشهادة، فزادت إشراقة وجهه نوراً، وكان يقول: لا رجعة إلى بلادنا..

وتتابعت الأخبار والمجاهدون ملتفون حول جهاز الاتصال، أبو سلمان يمسك الجهاز، والشباب يلقون السمع ويشنفونه بكل كلمة تخرج عبر اللاسلكي، الشيخ سياف يرد على الجهاز، المعركة شديدة، القصف متواصل، رجال الصاعقة الروس يريدون اقتحام المركز الجديد (المأسدة)، والشباب مستميتون بالدفاع عنه، راجمة الصواريخ تمطر الشباب بوابل القذائف.

صاعقة على رجال الصاعقة:

من المعلوم أن روسيا قد أعدت خمس كتائب من رجال الصاعقة (الكوماندوز) ودربتها طويلاً، وهذه الكتائب قد هيئت للانقضاض على قواعد المجاهدين، ودفعت بمجموعة كبيرة منها لدخول المركز، أجسامهم كبيرة، وهؤلاء من اللقطاء تهيئهم روسيا لإبادة المجموعة الخطيره المعادية لها، وتباهي بهم روسيا كما تباهي أمريكا برجال المارينز، وفقد واحد منهم يعتبر خسارة كبيرة لروسيا، لقد ضربت الطائرات المركز، ثم نشطت المدفعية وراجمات الصواريخ، ثم تقدمت مجموعة من هؤلاء وصاروا على بعد سبعين متراً من المركز، ودارت المعركة مواجهة مع هؤلاء، المعركة غير متكافئة أبداً سواء في الإعداد أو الأعداد أو الوسائل أو الأسلحة.

وضرب مختار برشاشه (الدكتريوف) وأفرغ مخزنه مائة طلقة، فأصاب ستة منهم دفعة واحدة فأرداهم قتلى، وضرب خضر أحدهم بقذيفة (آر، بي، جي ٧) فأحالت الكافر إلى قطع متناثرة.

وهنا كانت المفاجأة التي لا يتصورها الخيال، التفاف من قائد مجموعة من الشباب المهاجر المجاهد على الكوماندوز، إذ تقدمت مجموعة عكرمة -التي تذكر بعكرمة رضي الله عنه يوم اليرموك- من يبايع على الموت، كان في المقدمة منصور، وأبو الفضل، وعبدالله، ودارت المعركة بالقنابل اليدوية للتطهير، قال لي أحد الإخوة: لقد ألقيت قنبلة أمامي وإذا بروسي يحني ظهره ليتلقى بوجهه شظايا القنبلة، وبيني وبينه شجرة فقط، فعلوته بالرشاش فتردى هالكاً لا حراك فيه جسمه كالبغل: جسم البغال وأحلام العصافير.

شباب متعطش للموت، يبحث عن الشهادة وإلا فكيف الهجوم على الكوماندوز وكل واحد منهم تلقى أعلى مستويات التدريب، ولكن الإيمان يصنع المعجزات، والروح أقوى بكثير من الأجساد.

وانتهت هذه المقابلة السريعة بين الشباب والكوماندوز بالإجهاز على كثير من الكفار، وفر الباقون يحدثون لقومهم مغبة مقابلة أبناء الإيمان وضراغم الإسلام، وعاد كل شاب من هؤلاء يعد أن خوض في دماء أولئك.

وقفت وما في الموت شك لواقف   كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة   ووجهك وضاح وثغرك باسم

منصور الشهيد[1]

يقول لي أحد هؤلاء الشباب: رأيت منصوراً وقد سقط شهيداً أثناء الاشتباك، ورأيت أحد العمالقة الروس آخذ يقلب جثة منصور يتفحصها.

منصور الشهيد (أبو دجانة الثاني) عشت معه أربعة أشهر فأحببته، قلت له من اللحظة الأولى التي أبصرته بها: أنت تشبه أخانا أبا دجانة، فقال أين نحن من أبي دجانة؟ وكما هو معروف أن أبا دجانة قد استشهد في معركة نهرين هذا العام، فارع الطول، ذو جسم رياضي، رجولة مع كرم، شجاعة مع حياء، والرجولة عادة مقترنة بالحياء والكرم، وفي الصحيح: (الحياء والإيمان مقترنان فإذا رفع أحدهما رفع الآخر).

هو الشجاع يعد البخل من جبن — وهو الجواد يعد الجبن من بخل

وفي منصور كثير من صفات أخينا أبي دجانة، فإذا أضفت إلى هذا أن كليهما حافظ للقرآن، عجبت لتوافق كثير من صفات المظهر والمخبر لكليهما.

كان منصور قليل الكلام، حييا، ومع هذا كان إذا رأى عبد الرحيم في معسكر (صدا) يقول لي: ادع الله لي أن يرزقني أدب هؤلاء.

كان متقناً بارعاً للسلاح، أقام في جبهة الشيخ جلال الدين حقاني ثلاثة أشهر فأحبه المجاهدون وجعلوه إماماً، وكان منصور متتبعا للسنن، يحاول أن يلتزم الآثار، ويكره الابتداع، ويحارب الخرافات، فكان إذا سمع قصة عرضها على ما يعرف من قصص السلف، فإن وافقت قبلها، وإن خالفت رفضها، وكان يسره أن نصلي التراويح ثماني ركعات، وكان ألمعيا ذو ذكاء لماح، يحفظ الآثار، فإذا كتبت لهم الحديث أو الدعاء يكون أول من يحفظ.

ولد هذا الشاب الذي يناهز السابعة والعشرين من عمره في المنيا في صعيد مصر، وقد رضع رجولة أهل الصعيد وشدتهم منذ حداثة سنه، وعاش فترة ليس بالقليلة في القاهرة ودرس في كلية الآداب في القاهرة، وتخرج فيها من قسم اللغة العربية.

كان لا يراني إلا وعلت وجهه ابتسامة مشرقة مع إغضاء الطرف حياء وأدباً اشترك في المعركة الأولى في (١٩) شعبان في المأسدة وكان في فرقة الاقتحام، ونجاه الله لأن منيته تنتظره حتى يكمل رمضان، فتضرع إلى الله أن يكون من عتقاء شهر رمضان، وفي يوم عيد الفطر يوم (الجائزة) نال منصور جائزته وفي موقف بعد أن خوض في لبة الصنديد (حلقوم البطل).

ومضى منصور إلى ربه وترك في أعماقنا حسرة ونشوة، حسرة بفقده، ونشوة بفوزه بالشهادة -كما نظن ولا نزكي على الله أحداً-، فهنيئاً لك يا منصور ونأمل أن تلتقي بأبي دجانة في عليين.

شهيدنا الخامس في يوم عيد الفطر الرجل الصامت (أبو الفضل)[2]

صامت لو تكلما — لفظ النار والدما

قل لمن عاب صمته — خلق الحزم أبكما

وأخو الحزم لم تزل — يده تسبق الفما

ولكثرة صمته يحسبه الجاهل عييا، كان لا يتكلم إلا إذا سمع رأياً يحسبه يخالف حديثاً صحيحاً قال: ألا يخالف هذا الحديث الصحيح، كان دائب العمل، يوصل ليله بنهاره، لا يهدأ ولا يقر إلا إذا ظن أن أمور مجموعته التي أمر عليها على خير ما يرام.

كنت لا تراه إلا حاملاً قلمه ينتظر أمر قائد المخيم لتسجيل ما يلقى إليه من توجيهات.

ذو وجه مشرق ولحية طويلة خفيفة، مؤدب يجلس في المجلس مستمعاً، فإذا سمع شيئاً من اللغو قام وغادر المجلس، يحفظ من القرآن ولا أعلم أن كان يحفظ القرآن كاملاً أم لا.

كان يعد نفسه للدخول في أعماق أفغانستان منذ فترة، ولكن أحداث جاجي منذ (١٩) شعبان حتى الآن أخرت رحلته، وشارك في العشر الأواخر من رمضان في المعركة، وفي اليوم الثلاثين من رمضان جاءه الأمر بالانسحاب من موقعه، فاستأذن القائد أن يبقى في مكانه إن كان ممكناً، وفي يوم الفطر نال الجائزة ودفنه الإخوة مجاوراً لأخيه منصور.

بضرغامهم صمت اللسان كغيره — ولكن في أعطافه منطق الفضل

١- المصدر السابق ص ١٦. ٢- المصدر السابق ص ١٧.

الشهيد عبدالله المصري[1]

وفقيدنا السادس عبد الله المصري عرفته لأول مرة في مكتب الخدمات هو وهارون صاحبه الذي رافقه مسيرة الطريق، ودخل معه الجبهة في قندهار، وكان يزمع العودة من حيث أتي، ولقد بشثت في وجهه، وشكا إليّ بعض المتاعب التي لاقوها، فسريت عن أنفسهم وروحت عنهم.

وواصل المسيرة، ثم جاء إلى صدا وتمكن من كثير من الأسلحة التي يستعملها الكفار ليواجههم بسلاحهم، وتوجه الى جاجي للرباط، ثم رجع إلى خوست، ثم إلى صدا، ثم إلى جاجي، وحيثما سمع باشتداد أوار الحرب ووطيس المعركة طار شوقاً إليها ولسان حاله يردد:

ولقد نخرت لكل أرض ساعة تستعجل الضرغام عن أشباله

لقد اتخذ أخيراً قراره النهائي الذي لا رجعة فيه وهو الموت في سبيل الله أو ينصره الله، فإنما هي أحدى الحسنيين.

سمح الوجه، قليل الكلام، يبحث عما ينفعه في دينه ودنياه، إن تكلم فبقدر وأدب، كثيراً ما تراه يحمل في يده كتابا يلخص ويقرأ وهو يقول: (أريد أن أنقل فائدة إلى الجبهة).

وكان الوداع الأخير في المأسدة حيث قابل هؤلاء الكوماندوز، ولا نعلم حتى الآن مصيره أضل في شعب من الشعاب !! أ م أسر بيد هؤلاء الذئاب الكلاب؟! أم لقي الله مصون الجناب؟.

فنرجو الله أن يكتب لنا وله الشهادة، وأن يجمعنا وإياه في الصالحين.

ملاحظة: (وصل نبا استشهاده بعد ذلك).

التعطش للشهادة الشهيد (أبو خالد الجزائري)[2]

الشباب يبكون فرحاً طمعاً في لقاء الله شهداء، فما غادروا أوطانهم، ولا تركوا الترف الذي بين أعطافه يتقلبون، ولا طلقوا النعيم الذي فيه يترعرعون إلا حبا في الشهادة، وكثيراً ما يقول أحدهم: متى اللقاء مع الحور؟

اللاسلكي بيد أحد الشباب، لا تكاد النداءات تنقطع، المجاهدون ملتفون حول الجهاز، الشيخ سياف واقف يرد على الأمور الهامه، ويوجه الأوامر، والقادة العسكريون حوله. فيأمر هذا، ويهمس في أذن هذا، ويشير إلى ذاك، ويطمئن المجاهدين، وتشكل السرايا، وتتحرك السيارات، الإعياء ظاهر على وجه الشيخ، ينام الناس ولا ينام، آلام قرحة المعدة برحت به، لا وقت للراحة، ولا ساعة للخلود بالنفس، أعصاب الشباب مشدودة، قلوبهم تكاد تقفز من صدورهم، آذانهم تتشنف وهي تستمع الكلمات، لايكاد أحد هم يلتقط أنفاسة وهو يتابع الأخبار.

تقدم الكوماندوز، تصدى الإخوة الرابضون على جبل الرماة لهم، خرجت مجموعة من الدبابات من شاوني (القلعة)، قذائف المجاهدين تسقط على تجمع الدبابات، هربت بعضها متجهة إلى ناراي، انتهت قذائف الهاون.. وهكذا دواليك لا يتوقف الجهاز عن البث والتلقي إلا في ساعة متأخرة من الليل، يقول الشيخ سياف: إن الله ذو القوة المتين وإلا فمن نحن؟ نحن بأربع سيارات نقابل حلف وارسو.

الجرحى:

وانطلقت سيارات الإسعاف تنهب الأرض تريد أن تحقن بقية النجيع في أجساد هؤلاء الإخوة، أبو خالد الجزائري إصابته شديدة، والمسافة بعيدة، وفي الطريق يسلم أبو خالد الروح، ويصل أبو سهل الصغير مغمى عليه، أصابت الرصاصة دماغه ولا زال فاقداً وعيه في غرفة الإنعاش (استشهد أبو سهل بعد كتابة المقال رحمه الله).

لم أكن أصدق أن هذا الرجل جاء للجهاد، عمره في العقد الخامس، جسده ناحل، لا يظهر عليه آثار العلم أو التربية الإسلامية العميقة، وما كنت أصدق أنه يستطيع مواصلة المسيرة على طريق الشوك المفروش بالدماء والأشلاء، لأن كثيراً من الهالات قد سقطت

١- المصدر السابق ص ١٧. ٢- المصدر السابق ص ٢٠.

على هذا الطريق اللاهب المضني.

إلا أن في الرجل وفاء وحياء ورجولة وإباء، كان حليقاً أول الأمر ثم أطلق لحيته، إن تكلم معي يغض الطرف أبداً، كان لا يطيق الثرثرة ولا اللغو، الجميع راض عنه، لسانه قصير لا يلغ في أعراض الناس، وفمه طاهر من أن يأكل لحوم المسلمين، وكان لايعرف بالتعصب لأية جهة، ولا ينتسب لحزب من الأحزاب، إنه مسلم عادي فطرته سليمة يحب المسلمين جميعاً، ولذا عندما خرجت روحه إلى بارئها عبقت رائحة المسك تضوع.

الشهيد أبو الوليد السعودي[1]

لم يتكبد الروس في معركة من المعارك كما تكبدوه في هذه المعركة، فقد هرب ثلاثة من السائقين وانضموا إلى المجاهدين، قال أحدهم: لقد أخذ الروس شاحناتنا الثلاث ورأيت شاحنتي مليئة بجثث القتلى.

كنت أنام في غرفة غير محمية لا تستطيع أن تدفع عمن فيها قذيفة طائرة ولا صاروخ، وقد اعتدنا كل يوم أن نستقبل قذائف الطائرات التي تبدأ وجبتها الأولى الساعة السادسة والثلث صباحاً، وترجع لوجبتها الثانية الساعة التاسعة، إلا أن المجاهدين تصدوا لها بالمضادات التي لا تزيد في أثرها من أن تبعد الطائرة عن الأرض أثناء القصف، وقد أسقط المجاهدون أكثر من طائرة بالصواريخ.

وفتح الجهاز في مساء يوم عيد الفطر فقال أبو عبد الله: نعزيكم بفقدنا أخينا أبي الوليد السعودي، فكان فقيدنا الثامن أبو الوليد السعودي.

شاب على الفطرة، ذو ثقافة بسيطة، وعشق للجهاد لا يكاد يوصف، طوف أفغانستان من جنوبها إلى شمالها حيث ألقى عصا الترحال في بلخ (مزار شريف)، ومكث هنالك عدة أشهر، ثم عاد وزا[illegible] في المنطقة الشرقية، ولم يطق المقام طويلاً بين القاعدين لأنه يصعب على من تذوق حلاوة الجهاد أن يستسيغ العيش بين الخوالف **(رضوا بأن يكونوا مع الخوالف)**، إن النفوس الأبية ليعز عليها أن ترى أبناء دينها يذبحون، وأن يبصروا لحوم العذارى تأكلها جنازير دبابات الروس وهم باردون لا تسمع لهم ركزا.

أتسبى المسلمات بكل ثغر — وعيش المسلمين إذن يطيب

[illegible] والإسلام حق — يدافع عنه شبان وشيب

وفي يوم الفطر يهجم حوالي خمسة وعشرون سهم فيتصدى لهم ثلاثة: فقط أبو الوليد وياسين وخضر، وأما ياسين فهو منطلق كالسهم لا يعرف للموت رهبة.

يستعذبون مناياهم كأنهم — لا ييأسون من الدنيا إذا قتلوا

وأما خضر فقد مزق أحدهم بقذيفة (آر، بي، جي ٧)، وما هي إلا لحظات وإذا بأبي الوليد تختطفه يد المنون، وإذا به في العالم الآخر **(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً)**.

وما الموت إلا سارق دق شخصه — يصول بلا كف ويسعى بلا رجل

كان أبو الوليد متشوقاً للشهادة، وبعد أن بلغني نبأ شهادته فتحت رسالتين يكتبهما لأصحابه يقول فيها: (أخي ثامر: ولا ينقصنا سوى رؤياكم بيننا في أرض الجهاد ومن أجل إعلاء كلمة الله... إن كان عيدكم في السنة مرتين فعيدنا والحمد لله كثير، وهذا عندما ننتصر على أعداء الله يعتبر عيداً وهذا بفضل الله تعالى).

وكان آخر الكلمات التي يخطها في الرسالة: هبي يا رياح الجنة هبي وربي... لبيك إسلام البطولة كلنا نفدي الحمى.

فنبتهل إلى الله أن تكون أبا الوليد قد فزت بالشهادة ونلت الدرجات العلى.

١- المصدر السابق ص ٢١.

الشهيد بشير المصري وسراقة[1]

واستمرت المعركة، والأحداث تتوالى، والمجاهدون يواصلون جهادهم، يرابطون في الخط الأمامي، والقذائف فوق رؤوسهم لا تكاد تهدأ، الجهاز مفتوح، الأخبار لا تنقطع، مجموعة تلتف حول الجهاز تريد أن تتابع أخبار المجاهدين أولاً بأول. وجاء البيان: سقوط شهيدين آخرين: بشير وسراقة..

بشير المصري: على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، لم تتلوث نفسيته، بسيط دون تعقيد، واضح دون غموض، يقول عن نفسه: كنت سلفياً ثم انتقلت إلى جماعة التبليغ وأخيراً جئت إلى الجهاد، فرد أحد الحاضرين على الفور: ما طفت هذا الطواف إلا لتوافي الشهادة. وعاش بشير في مخيم صدا يعد نفسه ونفسيته لملاقاة الكماة ومنازلة الطغاة.

كان إذا ناقش أحد إخوانه كثيراً ما يقول صلِّ على النبي، فصار إخوانه يرددون هذه الجملة كلما واجهوه أو ناقشوه، وكثيراً ما كانت تقوم بينه وبين عادل مداعبة رقيقة ومزاح لطيف مستساغ، وكان يتسع لإخوانه ويتجاوز عن هفواتهم، وكان يطلقون عليه: (ذو القلب الأبيض).

أنهى بشير إعداد نفسه وانتقل إلى أرض الرباط، وكان يعد نفسة لمرافقة إحدى القوافل التي تدخل أفغانستان، وداهمتنا أحداث الأيام الأخيرة من رمضان، واشترك بشير، وكان على قدر في اليوم الثالث من شوال مع الشهادة.

فندعو الله أن يجعله في الفائزين، وأن يجمعنا به في الفردوس الأعلى.

وأما سراقة (أحمد الحزامي) فهو من الشرقية-الدمام، شاب يدخل قلبك بلا استئذان، قليل الكلام، على وجهه إشراقة لا تفارقه، وعلى ثغره ابتسامة لا تغيب، تسأله فيجيبك بقدر، فإن كررت عليه السؤال تريد الاستفسار لايزيد عن الأجابة الأولى فتضطر للسكوت لأن ابتسامته وأدبه تمتص كل غضب (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق)، كان يحمل ساعة في جيبه يعلق خيطها في عنقه، فسألته عن سبب هذا فصرفني عن الإجابة المباشرة بقوله إنها رخيصة جداً.

ووافته المنية بعد أن تم رمضان، وحدثني من رآه: أن ابتسامته لم تفارق محياه، مضوا إلى ربهم وتركونا وراءهم، بأعمار أبنائنا سبقونا إلى ربنا، ولكن الرحمة ليست بالعمر، والشهادة ليست بالشهادة، فإن شهادة رب العالمين غير شهادة الجامعات **(أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون)** الزخرف.

ثم ذهب أبو الذهب[2]

الحمد لله الواحد القهار....

فبعد أسبوع فقط من مضيِّ منشد الطائف ليث المأسدة أحمد الزهراني يمضي على أثره وفي نفس الجادة أسد آخر هو أبو الذهب.

هناك وعلى شاطيء البحر وقريبا من الإسكندرية تتفتح عينا هذا الطفل على الحياة، والداه قد هاجرا من السودان ليقيما في مرسى مطروح، كل شيء في المنطقة باسم لاه، المرح ديدن هذا الشعب، وخاصة على رمال البحر حيث يحلو الكلام ويعذب السمر ويمر الوقت خلسة.

المتاع، واللعب، واللهو، والمزاح والنكتة هو الطابع العام لكل من يعيش هناك، ولا يغيب عن بالك أن المنطقة سياحية تكون في الصيف غاصة بكل المصطافين الذين يفدون إليها من كل حدب وصوب.

كل شيء يمكن أن تتوقعه في هذا المجال سوى الجد، وكل أمر يمكنك أن تتخيله أو تفكر فيه عدا الجهاد والزهد والتقشف وتحمل المتاعب والمشاق.

في هذا الجو اللاهي الصاخب ينشأ شهيدنا، وقد ورث روح الفكاهة طبعاً دون تكلف، وسليقة دون تصنع، فما تكاد النكتة تفارق شفتيه، وأخذ مكانه بين الجماهير التي لا تلوي على شيء ولا يهمها شيء، ولا تؤثر فيها الأحداث، ولا تستوقفها المصائب التي

١- المصدر السابق ص ٢٢.   ٢- المصدر السابق ص ٣٢.

تتوالى على رؤوس المسلمين.

وفي الجامعة وفي كلية الزراعة يرجع شهيدنا إلى الله من خلال بعض إخوانه الناشطين للعمل الإسلامي، ويأخذ الأسلام بقوة، ويحمل الرسالة بجد، ويتلفت حوله ليرى مكاناً يصب طاقته الإسلامية ويري الله منه حسن المصنع وصدق الرجوع، فلا يجد في الأرض منتجعا سوى أفغانستان حيث قامت الحرب على ساقها بادية نواجذها مملوءة أخلافها (أضلاعها)، فحمل الصحيف الأبلج (السيف الأبيض)، والقويم الأملج (الرمح الأسمر)، وتوجه إلى أفغانستان، ولك أن تتصور معي كم يعاني الشاب الناشيء في مجتمع فقير لتوفير ثمن التذكرة التي تصل إلى ألف جنيه!؟؟

ويصل الشاب إلى أفغانستان، ويعد نفسه بسرعة، ثم يتوجه مع قافلة إلى تخار هناك على حدود روسيا.

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

عود رقيق، وجسم نحيل، ولكن الروح وثابة، والعزم نفاذ، وبقي هناك بصحبة أخيه ذبيح الله وعبدالرحمن، وقريبا من نهر جيحون (أموداريا) وساعاته التي يقطعها يتشوق للشهادة ويتطلع لها، وفي أحرج الساعات ما كانت النكته الحاضرة تفارقه، وروح الفكاهة أصبحت تجري في دمائه.

وأيامه التي انسلخت عنه وما داره سوى الهيجاء (ليس له دار سوى الحرب)، وبما أثرت صوارمه البيض له في جماجم الأعداء (وأثرت سيوفه في رؤوس الأعداء)، ورجع من تخار إلى بيشاور، ثم يترامى إلى مسامعه هجوم الروس على ننجرهار، ويمتشق سلاحه ويهب كالريح لنجدة إخوانه الأفغان، ثم يعود ويشد الرحال في هذه المره مع أخويه (عبد الرحمن وذبيح الله) إلى جاجي، ويحط رحاله هناك، ويبدأ ببناء قاعدة جديدة للجهاد وأين؟ على بعد أربعة كيلو مترات من معسكرات العدو، ويواصل عمل الليل بكد النهار.

سألتهم من إمامكم؟ قالو: أبو الذهب وهو يحفظ كتاب الله، كان صوته ندياً ومع نبراته شجي، كنت أراه يصلي معنا الفجر ثم يغادر ولا أراه إلا بعد العشاء، بين الثلوج التي لا يكاد شخص يقف لها ويصبر عليها.

ترى هذه المجموعة ولا يكاد أحدهم يزيد عن الثالثة والعشرين فيخيل إليك أنك تواجه أرواحا في أشباح النمور ومخالب النسور قد تحفزت للوصاب، وانقضت للاختلاب، ولا فتى مثل أبي الذهب، يجمع بين الأدب الجم والإخلاص -كما نحسبه ولا نزكي على الله أحدا- الذي تلمسه من خلال جلوسه بين يديك كالطفل الصغير يطلب منك الدعاء له بالشهادة، وقد حسبت أنه لا يمزح أبداً، ولم أسمعه ذات مرة يضحك بملء فيه أو يهزل، وإذا ببعض من عايشه يقول لي: النكتة لا تفارقه، فعلمت أنه الأدب الرفيع مع الكهول.

وطالت المدة وزمهرير الشتاء لا يؤثر على صلابة الرأي ومضاء العزيمة، إنهم مصممون أن يحرروا المراكز التي تواجههم ويفتحوا الطريق الواسع إلى كابل، ولا يكلون من مراقبة العدو ولا من جمع المعلومات ولا من الاستعداد للانقضاض.

ثم تقدم ونصب خيمة على بعد مائتي متر قرابة شهرين، ويحدثني أبو خالد الذي كان يساكنه في الخيمة: كنت أحس من أعماقي أن الرجل ماض إلى الله وأنه سيغادرنا عما قريب، كان يعمل في نصب الصواريخ وإعداد السلاح وتبين الأهداف حتى الساعة العاشرة ليلا، ثم يأتي يتجافى جنبه عن المضاجع ويغالبه الكرى وتأخذه سنة من النوم ثم يستيقظ الساعة الواحدة ليلاً وينهض ليواصل عمله والشباب هجع.

ويقبل يوم العملية وأبو الذهب يتمنى أن ينال الشهادة، ولكن الشهادة قدر مقدور وغيب مسطور **(قد جعل الله لكل شيء قدرا)** **(لكل أجل كتاب)**.

ولم يغادر الفتى خيمته، ولم يقطع استعداده، وواصل العمل، وبعد أسبوع بالضبط وفي اليوم السادس والعشرين من شعبان سنة (١٤٠٧هـ) الموافق اليوم الرابع والعشرين من ابريل سنة (١٩٨٧م) كانت المنية للفتى بمرصد، فخرج يرافقه شفيق وأسامه للاستطلاع وبعد العصر أخذ الشهيد يمهد الأرض بقدمه لأداء صلاة العصر وإذا بلغم يتفجر تحت قدميه، وطارت قدماه حتى الركبة تقريباً، وأخذ الانفجار أصبعين من أصابع أسامة، وأصابت شفيقاً شظية صغيرة، لقد تحققت الرؤيا التي رؤيت له بالجلوس مع امرأة جميلة غراء الجبين فيبشر في صباح هذا اليوم بالشهادة.

وبدأ الدم ينزف من رجليه المقطوعتين ويده البتراء وهو يردد حسبنا الله ونعم الوكيل، وبقي على هذا الحال قرابة الساعتين ثم أسلم الروح، وكان آخر ما ودع به الدنيا يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، وحمل جثمانه الطاهر ثم واراه التراب، شهادة لله أنه ما قصر تجاه دينه، وشهادة على زملائه وإخوانه وأحبابه ومعارفه أنه بلغ حكم الجهاد لهم وخط بدمه الطاهر أسطر الخلود لتبقى أحرفاً

من نور في سجل الخالدين وديوان العارفين، فهل يؤثر دمه الفوار الذي روى هضاب أفغانستان على من عرف هذا الطريق فيدرك أن أمر الجهاد جلل، وأنه فرض، عين وأنه لا إذن للوالدين ولا لأحد من العالمين في تلبية نداء رب العالمين؟

فتى الخيل قد بل النجيع نحورها   يطاعن في ضنك المقام عصيب

يعاف خيام الريط في غزواته   فيا خيمة الإغبار أنت حروب

ومضى أبو الذهب إلى ربه وأصبح حديث السامر، فسلام عليك يا أبا الذهب في الخالدين.

عاشق الحوراء (الشهيد ياسر أبو النور - عبد الرحيم العرجة -)[1]

أما ياسر أبو النور (عبد الرحيم العرجة) فلأول مرة رأيته في مكتب الخدمات، مشرق الوجه، ناصع الجبين، لا يكاد يجاوز الثامنة عشرة من عمره، فسألته: ممن الرجل؟ فأجاب: من فلسطين ولكن أعيش في الكويت، جئت أبحث عن قبول في إحدى الجامعات الباكستانية، ولكني أود الجهاد.

كانت قافلة متوجهة إلى بلخ (مزار شريف) فنصر أن يكون أحد جنودها، وتوجه هذا الشاب الرقيق الذي لم يذق للشظف لوعة ولا للحرمان مرارة، ولم تعجم الحياة عوده فيصلب، ولم يكشر له الزمان عن أنيابه فيذوق المحن ويجرب بنات الدهر، ما كنت أظن أن هؤلاء الشباب يستطيعون أن يقدموا العطاء الجزيل للجهاد الأفغاني، ولكنها بركة الإخلاص وحرارة الصدق تذيب الغواشي عن قلوب الناس فتدخلها هذه النماذج بلا استئذان.

يحدثني عنه أسد الله أبو أسيد (شاب عربي) رافقه السفر وعاش معه فترة في بلخ (مزار شريف) فقال: كان محبوبا من قبل المجاهدين الأفغان، وكان يتميز بصفتين بارزتين جعلتا حبه يخترق شغاف القلوب أولاهما: بسط الوجه وحسن الخلق (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق)، فبشاشة وجهه وسعة صدره وسعت الناس فوسعوا له قلوبهم، وثانيهما شجاعته الخارقة وحرصه الشديد على الشهادة **[خير الناس رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كل ما سمع هيعة أو فزعة -ضجة مخيفة- طار إليها يبتغي -يطلب الموت مظانه).**

كان الأمير العام لجبهات مزار شريف (محمد علم) يسميه (ديوانه) أي (مجنونا) لشجاعته الخارقة النادرة، وكان ياسر يوقع رسائله دائما (أول شهيد عربي في مزار شريف) وبجانبه (عاشق الحوراء -الحورية-).

كان مرحاً، دمث الأخلاق، وكان لا يسمع بمعركة إلا طار إليها فرحاً:

فع يكاد صهيل الخيل يقذفه   عن سرجه فرحاً بالغزو أو طرباً

ولسان حاله يردد دائماً:

يلذ لأذني سماع الصليل   ويبهج نفسي مسيل الدما

أهوناً وعندي تهون الحياة   وذلاً وإنـــي لــرب الإبا

وكان كثير التلاوة للقرآن الكريم، وكان يصوم الإثنين والخميس غالباً، وكانت رؤاه كفلق الصبح، رأى نفسه عدة مرات شهيداً، ورأى الحور العين في منامه، وكان يكتب لإخوانه بالرؤيا التي كان يراها، ويقص الرؤيا في رسائل طويلة لإخوانه العرب في مزار.

كانت بداية صلته بالجهاد نزوله إلى كونر عند أسد الله في معسكر أسامة بن زيد، وكان كثير الكلام بعدها عن أسد الله وعن كونر:

كم منزل في الأرض يعشقه الفتى   وحنينــــــه أبداً لأول منـــــزل

ومضى عبد الرحيم يبحث عن الموت، يتتبع أخبار المعارك، ويتحرق لأنباء الجبهات الساخنة ليصطلي بنارها طمعا أن يحميه الله من نار الآخرة.

وجاءت العشر الأواخر من رمضان سنة (١٤٠٦هـ) حيث يترقبها كل مؤمن ليغسل ذنوبه ويضرع إلى الله بالدعاء ليقبل توبته ويمحو حوبته، ولكن ياسراً جمع بين الدعاء والعمل، فسمع أن هنالك عملية في هشدا نهر (الثمانية عشر نهراً)، وتوجه إليها ياسر وكان على موعد مع القدر المبروم والوعد المحتوم، وفوجىء ياسر مع مجموعته بقوة من الدبابات والطائرات، وحاول ياسر أن يرد عن

١- مجلة الجهاد العدد ٣٦ شوال ١٤٠٧هـ حزيران ١٩٨٧م، ص ٣٧.

نفسه، ولكن قدر الله نافذ، فأحاطت به مجموعة من الأعداء واستطاعوا أن يلقوا القبض عليه، وقيدوا يديه، فافلت من بين أيديهم وهرب، فلحقوا به وألقوا عليه القبض ثم زجوا به في داخل طائرة الهليوكبتر، وقبل أن تطير الطائرة ألقى بنفسه من الطائرة وهرب، فدخل بستاناً لفلاح وخبأه الفلاح، وانطلقت كلاب الصيد تبحث عن فريستها ودل بعض المنافقين على بستان الفلاح فجاءوا به وضربوه فدلهم عليه.

وأخذوه إلى مركز الولاية (مزار شريف)، وفي اليوم التالي نقلوه إلى كابل.

حب المجاهدين الأفغان للعرب:

وخيم الحزن على جبهات الولاية، وعندما يبلغ النبأ لجبهة فكأن صاعقة خرت عليها من السماء، لقد أسر ليث النزال ديوانه (مجنون) الشجاعة، واختفت من بينهم دندنة القرآن الخاشعة التي يرتلها ياسر (عبد الرحيم)، وغابت الابتسامة المشرقة التي اعتادوا أن يروها مرتسمة على وجهه، وكان قتل مجموعة من خيارهم أحب اليهم من أسر ضيفهم العربي الشجاع، ولقد كان وقع المصاب عظيماً على نفس (محمد علم) أمير المجاهدين هناك والذين بلغ تعدادهم ستة عشر ألف مجاهد، وكيف يواجه إخوان ياسر من العرب بالخبر، ولأن يسقط مائة من الشهداء بين يديه أحب إليه من فقد ضيفه، ولكن:

إذا أراد الله إنفاذ أمــر سلب من ذوي العقول عقولاً

تبادل الأسرى:

وكان لدى محمد علم ضابط روسي، فطلب الروس مبادلته بمجموعة من الأفغان الأسرى لديهم، فرد عليه محمد علم: نحن نريد عربيا واحدا مقابل تسليمكم القائد الروسي، فقالوا له: اطلب من الأفغان ما شئت دون هذا العربي، فرفض إلا العربي مقابل الروسي، وأخيرا قال له الروس، لقد قتلناه، فطلب محمد علم أحد عشر قائداً من المجاهدين الأفغان مقابل هذا الضابط الروسي، وتم التبادل.

فإن كان حقاً ما قاله الروس -وهذا هو الغالب- فنرجو الله -عز وجل- أن يكون لقي الحوراء التي عشقها وطالما تمنى لقاءها، وكما قال ابن القيم في وصف الحور (حادي الأرواح ١٤):

ولله كم من خيرة إن تبسمت	*أضاء لها نور من الفجر أعظم*
فيا لذة الأبصار إن هي أقبلت	*ويا لذة الأسماع حين تكلم*
ويا خجلة الغصن الرطيب إذا انثنت	*ويا خجلة الفجرين حين تبسم*
فإن كنت ذا قلب عليل بحبها	*فلم يبق إلا وصلها لك مــرهم*
فيا خاطب الحسناء إن كنت راغباً	*فهذا زمان المهر فهو المقدم*

والخيرة: هي الحورية كما قال الله -عز وجل- **(فيهن خيرات حسان، فبأي آلاء ربكما تكذبان، حور مقصورات في الخيام).**

خاطب العيناء (أبو حامد مروان)[1]

كان خاطب العيناء نبيح الله أبو حامد مروان (مصطفى الحاج خليل) صادقاً مع نفسه، صريحاً مع أصحابه، واضحاً مع عقيدته ومبادئه، حمل المبدأ الرباني وعاش من أجله، وضحى بكل ما يملك حتى لقي الله -عز وجل- شهيداً.

تفتحت عيناه في أدلب في أرض الشام المباركة التي وصفها رسول الله ﷺ: **[بأن ملائكة الله باسطة أجنحتها على أرض الشام]** حديث صحيح.

هناك ترعرع ولا يسمع إلا أن الطائفة النصيرية آخذة بخناق المسلمين، تحارب القيم وتدمر الأخلاق، لقد كان يسمع من آبائه أن هؤلاء الطغاة قبل سنوات كانوا يبيعون بناتهم ليعملن خادمات في بيوت المسلمين، لقد كان عمره سنتين عندما كانت محطة دمشق تردد:

آمنت بالبعث رباً لاشريك له	*وبالعروبة ديناً ما له ثاني*
هات سلاح وخذ سلاح	*دين محمد ولى وراح*

١- المصدر السابق ص ٣٩.

لقد كان يسمع قصص الحرائر والمحصنات اللواتي كانت ثيابهن تمزق في شوارع الشام، وأنباء المسلمات الصابرات اللواتي حملن سفاحا من جنود الطغيان في سجن تدمر.

كانت هذه الأخبار تعتلج في نفس هذا الغلام فتلتهب مشاعره وتحترق أعصابه، يتلفت حوله في هذا الظلام الدامس لعله يرى بارقة أمل أو بصيص نور، وكان يبحث مع من يبحثون عن مخرج، وبدأ يسمع عن مروان حديد، فأصبح مروان البطل الذي يملأ عليه حياته من بعيد، يسمع قصص البطولة والفداء، يسمع وقوف مروان أمام الدولة سنة (١٩٦٤م) بعد أبيات الشعر أنفة الذكر، ويترامى إلى مسامعه تلك المحكمة الأسطورية التي شكلت لمروان آنذاك ووقفته الشامخة المشرقة أمام الطغيان، ثم يصدر حكم الإعدام على مروان، ثم يعفى عن مروان ومن معه بعد أن تدخل شيخ مشايخ حماة -رحمه الله محمد الحامد.

وتأتي أحداث الدستور في بداية السبعينات، ويقف مروان كالطود الشامخ، ثم يختفي الشيخ مروان، ثم يلقى القبض عليه بعد مقاومة شبه خيالية، ويعرض عليه الطاغية المهادنة فيرفض بإباء، وتكون نهاية الشيخ مروان في السجن بعد أن بلغ الأمانة ودفع لها أغلى ما يملك.

سمى مصطفى نفسه (مروان)، وتأتي كتيبة الشيخ مروان الصامته يقودها عبد الستار الزعيم وبسام أرناؤوط وعدنان عقلة، ويأخذ ذبيح الله (مروان) مكانه في الكتيبة الخرساء، ويشترك ضد النظام الطاغوتي بعمليات كثيرة، وأخيراً يلقى القبض عليه ويحكم عليه مع سبعة عشر من إخوانه بالإعدام، وتبدأ النفوس تستعد ليوم اللقاء وهي تنشد:

الروح ستشرق من غدها وستلقى الله بموعدها

ولكن الأجل قدر مقدور وغيب مسطور: **(فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)**.

والهرب من سجن البرامكة يكاد يشبه الخيال إن لم يكن ضرباً من المحال، ولكنه ليس بعيداً عن الكبير المتعال، واستطاع أحدهم أن يرى قريباً من كوة (نافذة) المرحاض منشاراً صغيراً صدئاً فأخذه، وصاروا ينشرون كل يوم من نافذة السجن الرهيبه ملم واحداً، وذات ليلة وفي الساعة الثانية ليلاً قفزوا من النافذة التي تعلو عدة أمتار فوقعوا في الساحة، ثم اخترقوا الساحة إلى ساحة أخرى، ثم قفزوا من فوق السور إلى الساحة الثالثة حيث يرون جندياً من حرس الطاغوت، فقال: من أنتم، قالوا: (نحن الإخوان المسلمون)، فجف لعابه وضاقت الدنيا في وجهه وارتبك وقال: دعوني أنا صاحب عيال، فأخذوا بندقيته ومضوا، وقفزوا عن السور فوجدوا ضابطاً بسيارته فأوقفوه وسألهم من أنتم؟ فأجابوه: نحن الإخوان المسلمين فخارت قواه وطلب منهم ألا يقتلوه، فطلبوا منه أن يوصلهم إلى أي مكان بعيد واستلم أحدهم قيادة السيارة، ووصلوا الحدود، وانطلقت الطائرات تبحث عنهم، ووصلت في اللحظة التي عبروا فيها الحدود، وكادوا يمسكونهم لولا كتاب من الله سبق.

وأخيراً وصل أبو زياد إلى باكستان للدراسة وقبل في الجامعة ورأيته ذات يوم فسلم علي وهش في وجهي، وسألته من أنت؟ فأجابني بقصته.

ثم بادرني بالسؤال: ما رأيك في دراستي هنا؟ فأجبته: لا يليق بك أن تنزل من قمة المجد والعزة وتعيش بين المقاعد الجامدة أربع سنوات تموت فيها نفسيتك تدريجياً، وتقتل فيها غيرتك ببطء، وتحكم على نفسك بالموت هذه المدة، فقال: إذن اترك الجامعة، فقلت: لا ترجع إليها غداً.

وقبل النصيحة بنفسية الصادقة، وكان أبو أسيد كذلك قد قبل في الجامعة فاستنصحني فنصحته بالذهاب إلى الجهاد، وكان أبو أسيد قد عاد من مزار شريف وبلخ قبلها بشهرين تقريباً، وصمم الإثنان على التوجه نحو بلخ، وسارت القافلة تضم بين رجالها هذين البطلين.

والطريق إلى مزار شريف تستغرق شهراً كاملاً على الأقل مشياً على الأقدام، وقسم ليس بالقليل منها تكسوه الثلوج، وكم سقطت في هذه الثلوج من أظافر، وكم تجمدت من أصابع، وصل أبو زياد بلخاً وكان يلقب نفسه بأبي حامد مروان لأنه يعشق مروان حديد رغم أنه لم يره، وفي مزار شريف صار يستمع إلى قصص البطولة والفخار عن ذبيح الله الذي أسس الحركة الجهادية في مزار وأصبح قائداً عاما للجهاد هناك، فلقب نفسه بذبيح الله.

كان أبو حامد (أبو زياد) حريصاً على الشهادة، وكان بطلاً مقداماً وأسداً هصوراً، ولكن الأمر الذي يؤرقه أنه لم يشف صدره من أبي عبد الله المنافق الذي سلم عدنان عقلة، فكان يردد أنه لا بد من قتل هذا الرجل.

وكان أبو حامد يتقن الرماية على السلاح خاصة الزكوياك (مضاد الطائرات)، فربض كالليث في قمة جبل وأمامه الزكوياك ينتظر الموت، واستطاع بفضل الله أن يدرب مجموعة من الأفغان على هذا السلاح، وأحبه الأفغان لبطولته وعبادته، فقد كان يصوم الإثنين والخميس مع الدكتور صالح الذي يدير مستشفى بجانب تلك الرابية، واستطاع بفضل الله أن يسقط طائرتين، يقول لي أبو أسيد: لقد رأيت حطامهما. كان حريصاً على الموت فقد اقترب ذات مرة من المطار حتى أصبح على بعد ثلاثمائة متر، وزرع الألغام فانفجرت دبابة من دبابات الكفار.

وفي اليوم السادس عشر من محرم سنة (١٤٠٧هـ) الموافق اليوم الثاني عشر من سبتمبر سنة (١٩٨٦م) كان أبو حامد على موعد مع القدر، فقد أغارت الطائرات عليه فأصابه صاروخ فأفاضت روحه إلى بارئها، وهنالك وفوق تلك القمة في زاري وبجانب المستشفى رقد أبو حامد (ذبيح الله)، ولعله لقي العيناء التي كثيراً ما كان يردد ذكرها ولا يسقط اسمها عن شفتيه، وقصة العيناء قصة عجيبة طريفة يرويها ابن المبارك في كتابه الجهاد ص(١٤٤).

قصة العيناء:

يروي ابن المبارك في كتابه الجهاد بسند صحيح عن ثابت البناني أن فتى غزا زماناً وتعرض للشهادة فلم يصلها. فحدث نفسه فقال: والله ما أراني لو قفلت إلى أهلي فتزوجت، قال: ثم قال (أي نام قبل الظهر) في الفسطاط (الخيمة)، ثم أيقظه أصحابه لصلاة الظهر، قال: فبكى حتى خاف أصحابه أن يكون قد أصابه شيء فلما رأى ذلك قال: إني ليس بي بأس ولكنه أتاني آت وأنا في المنام فقال: انطلق إلى زوجتك العيناء، قال: فقمت معه فانطلق بي في أرض بيضاء نقية، فأتينا على روضة ما رأيت روضة قط أحسن منها، فإذا فيها عشر جوار ما رأيت مثلهن قط ولا أحسن منهن، فرجوت أن تكون إحداهن، فقلت: أفيكن العيناء؟ قلن: هي بين أيدينا ونحن جواريها، قال: فمضيت مع صاحبي، فإذا روضة أخرى يضعف حسنها على حسن التي تركتها، فوجدت فيها عشرين يضاعف حسنهن على حسن الجواري التي خلفت، فرجوت أن تكون احداهن، فقلت: أفيكن العيناء؟ قلن: هي بين أيدينا ونحن جواريها، حتى ذكر ثلاثين جارية، قال: ثم انتهيت إلى قبة من ياقوتة حمراء مجوفة قد أضاء لها ما حولها، فقال لي صاحبي ادخل، فدخلت، فإذا امرأة ليس للقبة معها ضوء، فجلست فتحدثت ساعة، فجعلت تحدثني، فقال صاحبي: اخرج انطلق قال: ولا أستطيع أن أعصيه، قال: فقمت، فأخذت بطرف ردائي فقالت: أفطر عندنا الليلة، فلما أيقظتموني رأيت أن ما هو حلم، فبكيت، فلم يلبثوا أن نودي في الخيل (يا خيل الله اركبي)، قال: فركب الناس، فما زالوا يتطاردون حتى إذا غابت الشمس وحل للصائم الإفطار أصيب تلك الساعة، وكان صائماً، وظننت أنه من الأنصار، وظننت أن ثابتاً كان يعلم نسبه.

رحم الله ذبيح الله خاطب العيناء، ونرجو الله أن يجمعنا في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً:

فحي على جنات عدن فإنها	*منازلنا الأولى وفيها المخيم*
ولكننا سبي العدو فهل ترى	*نعود إلى أوطاننا ونسلم*
فيا بائعاً هذا ببخس معجل	*كأنك لا تدري ولا أنت تعلم*
فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة	*وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم*

يحدث عنه أحد معارفه فيقول: كم كان يقول لي: أتمنى تطأ رجلي بلاد الإمام البخاري عندما أصل بلخ.

بعض صفات الشهيد:

عزوفه عن الدنيا: لقد عزفت نفسه عن الدنيا، فيقول في إحدى رسائله من الجبهة: (لقد تركت الدنيا ووطئت كل الطواغيت بقدمي وترفعت عنهم).

رؤيته الثاقبة لحقيقة الجهاد: لقد أدرك الشهيد الوضع الحقيقي للجهاد، وأدرك أساليب الروس الماكرة في أرض الجهاد. فيقول في إحدى رسائله يصف الواقع الأفغاني: (يا أخي إن الشعب الأفغاني أحوج ما يكون إلى الشباب العرب، لأن الحرب الطويلة أثرت فيهم، ويتابع رسالته ليقول: فيا شباب العرب حي على الجهاد قبل فوات الأوان، ويا شباب الأسلام أدركوا الإسلام ببقية الجهاد في أفغانستان تعالوا وعلموا الأفغان وأرشدوهم حتى يستمر الجهاد ويصلح الحال الخطير. الحاجة ماسة جدا إلى التعليم وإدارة المدارس

قبل السعي الى المشاركة في المعارك.

ويقول في رسائله مخاطباً شباب ما وراء الحدود: (إلى كل ظامئ لنور الله، إلى كل صابر محتسب: تعالوا إلى حيث النور، إلى الحياة الصحابية، فالليل والجبال والسفر والمركب والحمار والزبيب، والجوع والعطش والخبز والسفر على الأقدام بالساعات والأيام والأسابيع لتربطنا بحياة الصحابة ربطا عمليا مباشرا كما ربطتنا بهم روحيا وفكريا)، ويقول: (إننا بحاجة الى الجهاد الذي يصقل النفوس ويهذبها ويطبعها بطابع الإسلام العملي الذي يختلط مع الدم والجوارح، فيجعل كل ذرة في جسدك خلية حية إسلامية تتخلص من أمراض النفس والدنيا)، ويقول أيضاً: (وأما حديث الزكوياك -المضاد للطائرات- فهو ألذ وأطيب وأنعش من الدخول على مائة عروس، كل عروس أجمل من التي قبلها).

الشهيد أبو حفص (هشام هاني منصور)[1]

من الأرض المباركة مهبط الوحي، وفي ظلال أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، نشأ والد هشام وتعلم وأصبح والده من القضاة المعروفين، وقد سمعت أهل الفضل يثنون عليه بالنزاهة ونظافة اليد، واستقر والد هشام في الأردن في عمان، وسكن في أحد أحيائها الراقية، وأحبّ أن يربي أولاده على التعاليم الإسلامية منذ نعومة أظفارهم، فوجههم إلى المسجد، وقد كان في المسجد شاب من أبناء الحركة الاسلامية قد نذر وقته لتربية الناشئة، فساقهم الله إلى يد هذا الشاب -الشيخ نظمي-، وقد أوتي حلماً وحكمة ورغبة في بناء الجيل على هذا الدين، وكان هشام في العاشرة من عمره، ورغبهم الشيخ نظمي بتعلم الرياضة والدفاع عن النفس.

توجه هشام إلى نادي اليرموك، وقد حاول أن يجمع بين القوة وبين معرفة الدين، فكنت تراه وهو في العاشرة يحب الجهاد وترتسم في ذهنه صور البطولة لأسلافنا وللمعاصرين من علمائنا ودعاتنا الذين قضوا نحبهم على هذا الطريق اللاهب الطويل الشاق، ومنذ نعومة أظفاره وهو يحلم بأن يكون مجاهداً، وكم داعبه حلم أن يكون أحد جنود الشيخ مروان حديد، ولكن هشام كان آنذاك صغيراً، كان هشام يرى أن السلاح هو الطريق الوحيد إلى نيل المأرب وبلوغ الهدف، وكأنه يتمثل بيت أبي الطيب:

لا أكسب الذكر إلا من مضاربه   أو من سنان أصم الكعب معتدل

وواصل هشام مسيرته، وكان حوله مجموعة من الشباب المتحمس من أبناء جيله، وكان أربعة منهم يترددون على بيتي ويطالبون بالجهاد بأية وسيلة ومهما كان الثمن، ونحن نقول لهم: (ولكنكم تستعجلون).

ودارت الأيام، ونفرت المجموعة، وكان أحد أفرادها قد ذهب إلى الثورة الفلسطينية واشترك في العملية الجريئة الرائعة التي هزت الكيان اليهودي -عملية القارب المطاطي الذي وصل إلى شواطئ فلسطين- واستشهد هناك.

إلى أفغانستان:

وأما هشام فقد اتفق مع أبي أسيد أن يمما شطر الهندوكوش حيث أوار المعركة الإسلامية المشتعل، وذات يوم وأنا في بيشاور وإذا بهشام وبأبي أسيد، ولا يعلم إلا الله كم سعدت بلقائهما، فسألتهما عن حالهما فأجابا بأنا كنا في أرض المعركة مع فيض محمد أحد قادة الحزب الإسلامي في بكتيا، كان هذا منذ أربع سنوات تقريباً.

ثم عاد هشام إلى الكويت، وبقي فترة يتقلب على الشوق إلى مواطن النزال، ولقد كانت صور الآلام التي شهدها في أفغانستان وأنات الثكالى وآهات اليتامى تقض مضاجعه وتؤرق أجفانه.

كأن الجفون على مقلتي   ثياب شققن على الثكالى

فما زال أبو حفص بين عذاب الضمير ورغد العيش الوفير والنوم على الفرش الوثير حتى استجاب لنداء الإيمان في أعماقه أن لابد من النفير فراراً من عذاب السعير.

إلى بلخ:

وأقبل والشوق يحدوه يسأل عن أخيه أبي أسيد الذي سبقه إلى مزار شريف (بلخ)، ويسر الله له قافلة متوجهه إلى بلخ فسار معها بين الثلوج المتراكمة على طول معظم الطريق، ووصل إلى بلخ، واستقبله أبو أسيد وقدمه إلى أمير الجبهة العام (محمد علم)،

١- مجلة الجهاد العدد ٣٢ ذو القعدة ١٤٠٧هـ يوليو ١٩٨٧م ص ٢٠.

وأحبه المجاهدون، لقد كان يحمل بين حناياه قلباً كبيراً، وكان يطيب لي أن أذكر بيت المتنبي عندما أرى أبا حفص وأمثاله:

كفى بجسمي نحولا أنني رجل ... لولا مخاطبتي إياك لم ترني

كان هادئاً ولكن صدره يغلي كالمرجل ألماً على حال المسلمين.

وادع كالحمام في حرم البيت ... وكالليث يستبـــــــاح حماه

كان لا يتكلم إلا بقدر، ولو أراد العاد أن يعد كلماته لعدها، إذا جلست معه تشعر أنك جالس مع شاب في حكمة الشيوخ، وكان كلامه منبعث من صاحب تجربة نيف على الأربعين، مؤدب يصغي إليك حتى تنهي ما تقول، ثم يعقب إن أراد بكلمة أو كلمتين تعبر عما جال في صدره.

حكمة الشيوخ بحماس الشباب:

قال لي ذات مرة قبيل استشهاده بشهر: لقد توفي والدي في الكويت حيث كان يعمل مستشاراً قانونياً، وبقيت أمي وشقيقتي هناك فأريد أن أستقدمهما إلى بيشاور حتى نعرفهما بالجهاد من فوق أرض الواقع، وأريد منك أن تختار لشقيقتي شاباً مجاهداً، مع العلم بأنها خريجة كلية التمريض، وبإمكانها العمل في مستشفى مساهمة منها في هذا الجهاد الإسلامي المبارك، فأحسست أن الشاب يحس بمسؤوليته تجاه أسرته رغم أنه غارق في نار الجهاد ونوره، لقد كان أبو حفص يزمع السفر إلى مزار شريف، فما جاء ابتداءً وتكبد مشاق السفر في الرحلة الطويلة التي تستغرق شهراً إلا من أجل الحصول على بعض متطلبات الجبهة خاصة الصحية والتعليمية منها، وكان يلح عليّ أن أسرع في تجهيزه بما أستطاع من مساعدات طبية وكتب دينية لأن نفسه ضاقت ذرعاً في بيشاور وهو ينتظر القافلة، وأثناء انتظاره ما كان يطيق الجلوس، إذ أن القعود عن القتال يمرضه.

يقول لي الطبيب أكلت شيئاً ... وداؤك فــــي شرابك والطعام

وما في طبه أني جواد ... أضر بجسمه طول الجمام

تعود أن يغبر في السرايا ... ويخرج من قتام فــــي قتام

وقد اشترك في العملية التي قام بها الإخوة العرب في (١٩) شعبان (١٤٠٧هـ) قبل شهرين تقريباً، وكان يألف المأسدة ويحب الحياة بين المجاهدين.

رحلة الخلود:

وأخيراً سافر سفره الأخير ولم نشبع من رؤيته، وكم يحز في نفسي أنه عندما وصل جاجي قبل أن يستشهد بأيام ومرّ علي وأنا أراقب المعركة، أقول: حز في نفسي أني لم أعانقه العناق الأخير، وجاء الخبر على اللاسلكي فلم أتمالك أن أكفكف دموعاً هاتنة وأنا أتذكر تاريخ هذا البطل ومسيرته في ركاب الغزاة، قال أبو محمود: لقد استشهد أشقائي الثلاثة ولم تنزل لي دمعة، وعندما تلقيت نبأ استشهاد أبي حفص فاضت عيناي، ثم عقبت قائلاً: على مثل أبي حفص فلتبك البواكي، وأخيراً ندعو الله عز وجل أن يتقبل أخانا وابننا هشاماً في الصالحين، ولقد كان مصابنا بك يا هشام وبإخوانك عظيماً، ويعزينا أنك سرت في قافلة الخالدين، وندعو الله أن يحشرنا معك في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، والحمدالله رب العالمين.

(حدثني شاكر الزنداني قال: عندما استشهد أبو حفص كنت حاضراً، فكان وجهه أسمر، وبعد الشهادة استنار وجهه فظننت أنه مغبر بالتراب، وإذا بهالة نور تكسو وجهه كأنه البدر، وقد دفنوه في اليوم التالي فكان طرياً يتثنى كأنه نائم، وكان بجانبه كافر منتفخ مسود).

رسالة من والدة الشهيد أبي حفص :

بسم الله الرحمن الرحيم

إخوتي وأبنائي المجاهدين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يمضي ركب الأبطال، ويمضي معهم الشهداء تباعاً (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر

وما بدلوا تبديلا).

مضيت يا هشام.. يا أبا حفص.. يا فارس.. على طريق الخلود طريقك الذي اخترته بمحض إرادتك، لأنك كنت كبيرا في نفسك، كبيرا في طموحك، لترسم مع إخوان لك طريق التحرير، تحرير النفس أولاً ثم الأرض، ترفعت عن الالتصاق بطين الأرض وزخرفها واخترت العلو في آفاق السماء.. الطريق التي رسمها الله لعباده الذين أحبهم وأحبوه.

إذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

لقد كنت ترسم طريق التحرير وأنت لم تتجاوز عامك الثالث من العمر عندما احتل الصهاينة بيت المقدس، وراعك ما سمعت وما رأيت، فكنت تدمرهم وتقضي على جحافلهم وتسقط طائراتهم بخيالك الطفولي البريء لتنتقم من الذين دنسوا المقدسات وانتهكوا الحرمات في الارض المقدسة التي بارك الله حولها.

وعندما صرت في سن تمكنك من ذلك وجدت طريقها مسدوداً مليئاً بالحراس، ووجدت باباً لجهاد قد فتح وإن كان بعيدا.. فيممت شطره لعلك تجد فيه ما يطفيء نار الشوق للتحرير والجهاد فاخترته.

فإلى جنات الخلد مع إخوان لك مضوا، وآخرين ينتظرون.. وندعو الله لهم بالنصر ليفوزوا بإحدى الحسنيين التي وعدهم الله بها. والدتكم/ أم هيثم

سبع الليل (أحمد محمد الأحمدي) فاتحة شهداء اليمن في أفغانستان[1]

كتلة من النشاط، لا يعرف الهدوء ولا الاستقرار، حضر إلى الجهاد قبل سنتين ونصف، وهو في العقد الثالث من عمره، من أبناء اليمن، ثقافته بسيطة، لكنه يحب أن يتعلم، ولد في لواء -إب-، ذكي الفؤاد، الجواب حاضر على رأس لسانه، ويعطي كل إنسان من الأجوبة ما يناسبه، فإن كان السؤال هازلاً كان الجواب لاذعاً مفحماً، قال له أحد الشيوخ: أين جنبيتك (خنجرك) التي على بطنك، فأجاب أنا لم آكل مال أحد حتى أشد معدتي.

تناقش مع أحد الشباب الذين يشككون في الجهاد فقال الشاب: أنا لا أرى أن الجهاد فرض، فرد عليه سبع الليل: لقد أفتى العلماء أن الجهاد فرض عين فلان وفلان من العلماء، فقال الشاب: أنا لا آخذ برأيهم، فقال سبع الليل: إذن نسأل لك أحمد عدوية (وهو مغن مصري).

أطلقت عليه اسم سبع الليل لشجاعته، وكنت معه قبل سنتين في رمضان، إذ أن الله أكرمني أن أقضي ثلاث رمضانات متتالية مع بعض الشباب المجاهد العربي، وكان سبع الليل في الأشهر الثلاثة شاهداً، فكان قبل سنتين يصل إلى حدود القلعة -تشاوني- مع مجموعة تحمل مكبرات الصوت، وعندما يصل إلى حدود القلعة تبدأ المجموعات بمكبرات الصوت تنادي: اخرجوا أيها الجبناء، أطلوا برؤوسكم يا أبناء الخنازير. ولا يستطيع أحد أن يطل برأسه، فيطلقون نيرانهم ثم يرجعون.

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكـر العواقب جانبا

حضر إلى الجهاد في رجب سنة (١٤٠٥هـ)، كنت ألاحظ عليه كثرة التلاوة للقرآن في رمضان، سأله ابني إبراهيم وكان في المعسكر في رمضان فقال: كم مرة ختمت القرآن؟ فقال: هذه المرة السادسة، قلما كان ينام في رمضان، كانت وظيفته أن يوقظ الشباب للسحور، وكان يردد وهو يتجول بين الخيام: (يا صايم وحد الدايم)، وكان يعمل مع مكتب التوجيه والإرشاد في اليمن، وكان يسخر وظيفته وعمله من أجل الدعوة إلى الجهاد وجمع التبرعات للجهاد الأفغاني.

جرأته:

كان رحمه الله جريئاً يقول الكلمة التي يعتقدها مهما كلفه ذلك، فمن ذلك قصة حصلت له مع نائب رئيس الجمهورية ووزير الداخلية اليمنية وبحضور مجموعة من الوزراء والأعيان وبحضور الشيخ عبد الله الأحمر، فكان سبع الليل يحمل الكلاشنكوف مرافقا لأحد العلماء، فقال له الحرس عندما أراد أن يدخل بالسلاح: ضع سلاحك، فقال: لن أضعه، وأصر أن يدخل بسلاحه، ودخل، وعندما دخل وجه سبع الليل حديثه نحو نائب الرئيس قائلاً: كيف تسكتون عن المقالح -رئيس الجامعة اليمنية- الذي يقول: (كان الله سحاباً،

١- المصدر السابق ص ٢٦.

أضحى الله رماداً) استغفر الله؟ فقالوا هذا كذب. فأخرج لهم سبع الليل صورتين للجريدة التي نشرت القصيدة، وبقية القصة تتعلق بالجهاد الأفغاني ويعرفها أهل اليمن. ثم بدأ يتكلم عن الجهاد الإسلامي في أفغانستان، فاشتكوه إلى رئيس الجمهورية.

أسد دم الأسد الهزبر خضابه — *موت فريص الموت منه ترعد*

جف النجيع عليه وهو مجرد — *من غمده فكأنما هو مغمد*

كان يحب مقابلة العلماء والمسؤولين لنقل الصورة الحقيقية عن مأساة أفغانستان، والواجب الإسلامي العظيم الملقى على عواتق المسلمين تجاه هذه القضية الإسلامية، فقد قابل الشيخ عبد العزيز بن باز أكثر من مرة وشرح له القضية، وكان يقابل الشيخ عبد المجيد الزنداني ويتردد عليه ويوضح له القضية وأبعادها وخطورة التهاون فيها.

خطبته:

خطب امرأة فسأله أخوها: أعندك شهادة؟ نعم عندي شهادة أن لا إله إلا الله، ثم سأله: ما عملك؟ فأجاب الجهاد، ثم سأله: ألك بيت؟ فأجاب: الجنة خير دار. وأنا لا أريد امرأة تسأل عن البيت، بل أريدها رفيقة سفر، تكون معي حيث سرت إلى أرض الجهاد، وقد كانت أمنيته أن يدخل زوجته إلى أرض المعركة.

غيرته على الجهاد الأفغاني:

كان لا يطيق أن يفتح شخص فمه ببنت شفة ينتقد فيه الجهاد الأفغاني، أو يلمز في جانب قادته، أو يشكك في أصالته وإسلاميته، فكان يتصدى لكل من يتفكه بنشر عيوب المسلمين، ويتسلى بذكر مآسيهم في أفغانستان.

إعجاب الأفغان به:

كان العقيد (بائنده محمد) أحد أركان الحرب لدى الجمعية معجباً به، وكذلك القائد (عبد الرحمن) مسؤول راجمة الصواريخ الذي استشهد معه (سبع الليل)، فكان بائنده محمد يقول: (بسيار بهلوان بسيار ديلاور) شجاع جداً بطل كبير، وكم تأسف عليه هؤلاء، فيقولون يماني يماني يهزون رؤوسهم حسرة وألماً.

جسور لا يروع عند هم — *ولا يثني عزيمته اتقاء*

وأخيراً أصيب بدماغه وأغمي عليه مباشرة وهو بجانب راجمات الصواريخ في يوم الإثنين (١٢) شوال سنة (١٤٠٧هـ)، ونقل إلى مستشفى باراشنار، وقبل أن يصل إلى هناك انتقل إلى جوار ربه، وأمر الشيخ سيّاف به أن يدفن في -بابي- هنالك بجانب الشهداء يحيى وأبي عبد الحق والدكتور أحمد الفلسطيني، وفي موكب مهيب سارت الجنازة يشيعها الذين يعرفون سبع الليل ومن لا يعرفه من العرب وغيرهم، وهنالك وارى التراب جثة أحمد، سار فجأة بعد أن أخذ قلوبنا، ومضى وقد نزل الخبر علينا كالصاعقة.

فهل نلتقي -إن شاء الله- على الحوض ونشرب من بين يدي سيدنا محمد ﷺ شربة هنيئة لا نظمأ بعدها؟ هذا في علم العليم الخبير وما ذلك على الله بعزيز فإنه جواد كريم.

رائحة دمه:

شهد الأخ أبو أحمد والأخ صالح اليمني (عدو الطواغيت) أنهما استروحا رائحة المسك من دمه، -وإن شاء الله- يأتي يوم القيامة: (اللون لون الدم والريح ريح المسك).

وصية الشهيد سبع الليل:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فإني أترك في هذه الورقة وصيتي للإخوان والأصدقاء، وأترك فيها نصيحتي إن كان هناك من يقبلها ألا وهي: أن على كل شاب مسلم أن يقف أمام الباطل، وأن لا يخاف في الله لومة لائم، وأن يجاهد في الله حق جهاده، وأن لا يطأطىء رأسه لكائن من

كان، لأن في ذلك مرضاة ربه، وها أنا ذا على باب من أبواب الله لا أدري ماذا سيكون الشهادة أم النصر، إنما سأترك هذه الوصية وذلك للاحتياط العام، وأقول فيها إن على الإخوة الذين هم في صنعاء الأخ محمد المؤيد وفي مكة الشيخ عبد المجيد الزنداني أن يستلموا من الأخ قايد حمادي في باب السباح (١٧٨٠٠) سبعة عشر ألف ريال وثمان مائة ريال سعودي على أن يعطوا ثلث المبلغ للوالد والوالدة وكذلك لدي وفي حوزة الوالد جنبية تقدر بثلاثين ألف ريال، وكذلك جنبية لدى القاضي محمد النزيلي، تباع هاتان الجنبيتان ويرسل ثمنهما إلى المجاهدين الأفغان، أما المبلغ المذكور يستلم بواسطة أحد الأقرباء، وكما ذكرت أن يسلم ثلث المبلغ أو نصفه للوالد والوالدة، وبقية المبلغ يرسل إلى المجاهدين الأفغان.

هذا بالنسبة لي، أما بالنسبة لبقية الأسرة وعلى وجه الخصوص الوالد والوالدة أقول لهم إذا كتب لي الشهادة عليكم بالصبر وأن لا تجزعوا، ويكون يوم عيد لا يوم حزن، هذا وأسأل الله أن يتقبلنا بعفوه إنه سميع مجيب.

أحمد محمد مرشد الأحمدي

أحقاً قضى أسد هرات؟!

الشهيد (صفي الله أفضلي)[1]

في يوم السبت الخامس عشر من ذي القعدة سنة (١٤٠٧هـ) حيث أصيل الشمس يسكب على صفحات جبال (صدا) بريقاً ذهبياً، وبعد صلاة العصر بالضبط جلست أصغي لأبي صادق وهو يحدثني عن حاجات المجاهدين ويطالب بقضائها.. وجرى فجأة على لسانه خبر نزل على فؤادي كالصاعقة، قال: لقد استشهد صفي الله أفضلي في هرات. فما كادت أذناي تصدق ما أسمعه، فاستفسرت منه عن الخبر -أحقاً- ما تقول؟! أم تراك سمعت إشاعة ترددت على بعض الألسنة؟ فعاد مؤكداً لقد استشهد (صفي الله)، ولم أتمالك دموعي الهاتنة التي غمرت عيني وحاولت أعصابي الكليلة أن تحتمل هول النبأ الذي صمتت له كل أوتار النفس، ولكن ثقل الخبر على قلبي أضفى على نفسي وجوماً موحشاً وحيرة مذهلة.

أحقاً ذوى ذلك الغصن الرطيب الذي كان يضفي على هرات نضارة وبهاء وإشراقة ورواء؟ أحقاً مضى ذلك الأسد الهصور الذي ترهبه روسيا الأيام والشهور؟

كنت لهرات بفضل الله قلبها النابض، وشريانها الدافق، وظلها الوارف، ومعينها العذب الذي تنهل منه الأدب والرجولة والعز والشرف والكرم. فرحمك المولى عز وجل مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

نشأتـــه:

في بيت عز ومحضن تربية ولد صفي الله سنة (١٩٥٤م) في مديرية غوريان التابعة لهرات في قرية -قيسان- وترعرع مع نبل محتد، وأصالة معدن، وكريم عرق، فلقد سبقه على طريق الدعوة إلى الله شقيقه حفيظ الله أفضلي الذي كون مع أخيه في الله سيد نورالله عماد بعون الله النواة الأولى للحركة الإسلامية في هرات.

كان كل منهما مشعلاً من مشاعل النور في جامعة كابل، وتخرج حفيظ الله أفضلي من كلية الآداب-قسم الإعلام، وأقبلت أيام داود، وقررت الحركة مواجهة نظام داود بالقوة المسلحة، وكان أول من اعتقل من أبناء الحركة الإسلامية (سيد نور الله)، ثم ذهب الداعية الكبير (سيف الدين نصرت يار) إلى هرات، وأخذ يتنقل بين البيوت محرضاً الأمة على القيام ضد داود وخاصة القادة ذوي الإتجاه الإسلامي أو الذي لم يعهد منهم عداء لهذا الدين أو لأبناء الحركة الإسلامية.

وحمّل المهندس حكمتيار راية الكفاح المسلح بعد أن اعتقل الأمين العام للحركة الإسلامية المهندس حبيب الرحمن، ونظم حكمتيار مجموعات تقوم بالهجوم على مرافق الدولة لتشل حركتها وتربك مسيرتها، فنظم مجموعة توجهت نحو بدخشان أميرها د.محمد عمر، وأخرى إلى لغمان تحت إمرة مولوي حبيب الرحمن، وثالثة بإمرة أحمد شاه مسعود إلى بنجشير، وكان حفيظ الله وأخوه صفي الله ضمن جنود أحمد شاه حين استولى على مديرية بنجشير وبقي فيها ثلاثة أيام يديرها، واستشهد حفيظ الله أفضلي في (٢٩/٦/١٩٧٥م)، وكان صفيّ الله آنذاك في الحادية والعشرين من عمره، ولكنه رضع لبان الدعوة الإسلامية منذ نعومة أظفاره، إذ انضم إلى الحـركة الإسلامية وعمره (١٧) عاماً، عشق العلياء، وكانت الرجولة مع الإباء مما نهله من بيتهم وهـو يحاول أن يتأسى

[1]- مجلة الجهاد العدد ٣٣ ذو الحجة ١٤٠٧هـ أغسطس ١٩٨٧م ص ١٦.

خطى أخيه الشهيد الراحل، وواصل صفي الله مسيرة البيت الجهادية وجادته التربوية البناءة، فقد تخرج من جامعة كابل- كلية العلوم، ثم حمل الراية التي بقيت مرفوعة بيده حتى خر شهيداً.

كارثة هرات:

وشهدت هرات المأساة المروعة في (١٥/٣/١٩٧٩م) أيام تراقي، إذ انتفض الشعب بتحريض أبناء الحركة الإسلامية، وكان لصفي الله القدح المعلى في القضية، ووقف الجيش بجانب الشعب المسلم في هرات ضد الحكومة الملحدة العميلة، واستولى الجيش على جميع مرافق الدولة، وطهر جميع مؤسساتها من الشيوعية وأذنابها ومنتفعيها، وأقبل الشعب معبراً عن فرحته بهذا النصر المبين، وأقبل الدب الأحمر بأساطيله البرية والجوية وحول الأرض إلى براكين من النيران المشتعلة، وبقي يسحق هذه الجماهير المتجمعة حتى قتل في يوم واحد من أهل هرات (٢٥) ألفاً، وعاش صفي الله الكارثة المزلزلة بأعصابه ودمه، وصمم أن ينازل الطواغيت مهما جلت التضحيات وغلت الأثمان، وأخذ الناس يتجمعون حوله وفاء لدم أخيه حفيظ الله، ورمزاً لعهدهم بإجلاء الذين ابتدأوا المسيرة وأرسوا أحجار الأساس لميثاق الدم الغالي، وقد عين الأستاذ رباني صفي الله قائداً لعدة جبهات في هرات وأطلق عليها اسم أخيه الشهيد حفيظ الله أفضلي، وشارك في المسيرة أخوه (جكتوران) الرائد عزيز الله أفضلي الذي يكبر الإثنين سناً، ولكن صفي الله كان محط أنظار أبناء الدعوة ووجهة حماتها ومجمع الشم العرانين من مجاهديها.

رأيتك لو لم يقتض الطعن في الوغى إليك انقياداً لاقتضته الشمائل

كريم متى استوهبت ما أنت راكب وقد لقحت حسرب فإنك باذل

وسار صفي الله في هذا الطريق اللاحب الطويل لا يلتفت ولا يتردد، والمجاهدون حطوا رحالهم عنده، وألقوا بمقاليد الأمور بين يديه.

طبيعة هرات:

هرات مدينة أقيمت في سهل فسيح لا تجد فيها أكمة (تله) ولا أجمة (غابة)، والحرب العوان (الشديدة) التي دارت رحاها خلال هذا العقد في أفغانستان تحتاج إلى الجبال الشم التي تؤوي المجاهدين، وإلى الغابات الكثيفة التي تواريهم وتسترهم عن أعين الحاقدين والمارقين يتحركون بين أدغالها وأشجارها، ولكن:

إذا لم يكن إلا الأسنة مركباً فما حيلة المضطر إلا ركوبها

وفي داخل هرات يقيم قواعده ويبني مراكزه، ينازل الروس صباح مساء، ويتملك الإنسان العجب وهو يرى هؤلاء الأبطال يواجهون الشيوعية في ميدان فسيح وسهل مكشوف لا ترى فيه عوجاً ولا أمتا.

وكنت وما زلت لا ينقضي عجبي من استمرار الجهاد في مناطق الصحارى وخاصة هرات وقندهار، وقد شهدت هاتان المنطقتان عبر السنين العشر العجاف أشرس المعارك وأشد المواجهات، وأقول دائماً: (لكم الله أيها المجاهدون وخاصة أبناء هرات وقندهار)، ففي هرات مديرية اسمها انجيل فيها حوالي ألفي قرية يعجزك أن تجد بيتا من بيوتها سالماً، ويصعب عليك أن ترى سقفاً قائماً على جدرانه، ومع ذلك فالمعركة مستمرة يقودها هؤلاء الشباب الذين نذروا أنفسهم لله.

وتزداد مشقة الجهاد بسبب الصحاري الشاسعة التي يضطر المجاهدون لقطعها لا ينتظرون إلا طائرة تباغتهم، أو دبابات تصادمهم أو كميناً في عماية الصبح يحصد عدداً كبيراً منهم، وقد يضل بعض المجاهدين في هذه المفاوز المترامية والقفار الواسعة فيهلكون جوعا وعطشا.

المجـــاعـــة:

قام الروس بهدم السدود المعدة للري، وقد شهدت هرات في الفترة الأخيرة سنوات عجاف، أقفرت الأرض، وأجدبت السماء وأمسكت قطراتها، وعم الجفاف، وعز الطعام، وصار الرغيف كالبدر لا يحظى به إلا القليل، وأخذ صفي الله مع جنده يكابد الجوع ويغالب المخمصة، ونظروا إلى العالم الإسلامي فلم يجدوا يداً حانية ولا قلباً رحيماً، وانقلبوا يبحثون عن مخرج لسد مجاعتهم فلم يجدوا سوى بقايا الإقط الذي تبقى في السنوات الماضية من اللبن الجاف، وبدأوا يسكتون الجوع بالتهام بعض قطع الأقط، ولقلة

الخبز وانقطاع الأرز أصاب كثيراً منهم القرحة المعدية، فجاءوا إلى بيشاور في هذه المره يبحثون عن العلاج والدواء، واستطاع صفي الله أن يجتاز هذه المحنة بعون الله، ووصله في السنة الأخيرة بعض المساعدات التي خففت من المصاب.

استشهاد أصحابه:

واصل صفي الله مسيرته الجهادية، ونصره الله عزوجل ... يتنقل من نصر إلى نصر، وعندما تلفت حوله لم يجد من الذين شاركوه المسيرة منذ بداية الطريق إلا القليل فقد سقط قبل سنتين ساعده الأيمن وركنه الأول قاضي عبد الرحيم رحماني الذي كان يعد الأب الروحي والفقيه القاضي والداعية المربي، وتم عز علي استشهاده، واستشهد عبدالله جان الذي قتل شير آغا زعيم الميليشيات الذي فجعت بقتله روسيا، وقتل ماما عبد العلي والمهندس مير أحمد، وقبل عام تقريباً هجمت روسيا هجوماً كاسحاً على الحدود ككري وعلى ششما شيرين (العين الحلوة) وكان قاسم ابن عم صفي الله قائداً فيها واستشهد قاسم فتقدم خليفة سبحان قائد الحزب الإسلامي وقال لصفي الله: (أنا جندي من جنودك، واعتبر أن قاسماً ممثل بي)، وجاء صفي الله وكان غائباً عن أرض المعركة، فجاء متحاملاً على نفسه، وعلم باستشهاد ابن عمه قاسم وسقوط قاعدته (ششماشيرين) بيد الشيوعيين، وأقسم بالله ليصلين العصر في ششماشيرين، وسار وحيداً مع طاهر من ككري إلى دوآب، والبر بهذا القسم أمر دونه خرط القتاد، وبقي صفي الله يقاتل حتى دخل القاعدة وصلى بها العصر، ولم يكن أمراً هيناً أن يتحدى القوة الروسية وينازلها في ميدان مكشوف.

استشهاد عتيق الله ابن عمه:

وعتيق هذا قد نذر نفسه على أن يصطاد كل يوم شيوعياً في أسواق هرات، وأراد والد عتيق الله أن تقر عينه بزواج ابنه، واشتريت الحلويات، وجاءوا بها، وفي اليوم المحدد وصل عتيق الله شهيداً، ووزعت الحلوى فرحاً بالشهادة، وقد استشهد في دوآب بعد نصر احتل به (٦) مراكز شيوعية وكان صائماً.

دخول قزل إسلام:

قزل إسلام قلعة من قلاع الكفر اتخذها الشيوعيون مركزاً لإقامتهم وحصناً لحماية أنفسهم، فأقاموا فيها الخنادق والملاجيء الإسمنتية المستورة مع التحصينات الشديدة التي تجعل اقتحامها دخولاً في أهوال نار مستعرة لا تنطفيء، وقرر صفي الله مع محمد إسماعيل خان (القائد العام للجمعية) وخليفة سبحان قائد الحزب الإسلامي غزوها واقتحامها، وفي يوم واحد شدوا عليها شدة رجل واحد، وكان صفي الله في مقدمة المجاهدين الذين عبروا السراديب تحت الأرض يطهرونها من أرجاس الشيوعيين وأدناس أذنابهم، وبينما كان في أعماق الملاجيء المظلمة وهو يصيح بالكفار أن يسلموا أنفسهم وإذا بشيوعي -يحمل رشاشه- يسأل من أنت؟ فقال: أنا صفي الله، فقال الشيوعي: خذ بيدي أسيراً فلأن تأسرني أنت أحب إلي من أن يأسرني غيرك، وكان هذا قبل أربعة أشهر تقريباً.

استشهاد فقير أحمد:

وقبل شهر واحد استشهد ابن أخته فقير أحمد أحد قادة جبهات صفي الله رغم أن عمره لا يزيد عن اثنين وعشرين عاماً، إلا أن أشهر القادة في هرات يحترمونه، فإن فقير أحمد لا يشق له غبار، فإن زاغت العيون لهول الحرب تراه مع أدب رفيع وشجاعة منقطعة النظير وحماسة متفجرة، فرحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

تواضع صفي الله مع شجاعته:

جلست إليه عدة مرات فكأنه تلميذ صغير مؤدب يجلس في حضرة مدرسيه، صامت لا يتكلم إلا بقدر، يصغي مطرقاً رأسه ولا يقاطع محدثه، فإن سئل أجاب بقدر كلمات معدودة تود لو زادت لأنها تخرج من قلب فتنزل على القلب كأنها الروح والريحان، وضمتنا ذات ليلة جلسة أنسة ملك فيها القلوب بحديثه العذب الساحر، ولشدة سيطرته على النفوس لم يتمالك أبو مازن نفسه فقام وخلع عليه عباءته البيضاء الثمينة الجميلة وشمله بها ثم طوقه بذراعيه حباً وإعجاباً، وقال أبو مازن: لا أملك أثمن منها أهديكه.

ومع هذا الحياء الجم والأدب الرفيع كانت أسماله تنشق عن أسد عرين، ولشدة هيبته في الصدور فقد أعد له أعداؤه كميناً، وعندما أقبل صفي الله عليه جمدت أصابع عدوه عن الزناد، وتقدم صفي الله وأخذ السلاح من يده.

سلاحي من عدوي:

كان يردد: أنا لا أريد مساعدة من أحد لأن سلاحي وذخيرتي مما أغتنمه من يد عدوي، وقبل أن يستشهد أرسلت إليه قريتان من الشيوعيين واستسلمتا له.

هذا وقد غنم خلال ثمانية أشهر في داخل هرات -في العام الماضي- مائتين وستين قطعة سلاح بين خفيفة وثقيلة، وهذه الكمية ليست بالقليلة في تلك المناطق.

إعجابنا بـــه:

كان يختلس القلوب التي تخالطه، ويسحر الألباب التي تصغي إليه، والعيون التي ترمقه، أقام الأخ سيد نور الله عماد على شرفه حفل عشاء حضره مجموعة من أبناء افغانستان والعرب، فكان محل إعجاب الجميع، وحديث السامر في بيشاور، ولشدة إعجابنا به فقد توجّت كتابي (عبر وبصائر) بصورة له.

شفافيته:

كان معه أحد المجاهدين اسمه محمد التركي (من تركيا)، وكان لا ينظر إليه إلا ويقول: أنت (شهيد)، وكان حديث القلوب صادقا مع القدر: لقد استشهد (محمد التركي) ولحقه صفي الله بعد خمسة أشهر، وهناك تلتقي الأحبة - إن شاء الله-، وقد اتصل به سيد نور الله قبل استشهاده بأيام قائلاً له: لقد اتصلت بك مراراً فلم أجدك، فرد صفي الله: لقد كنت مشغولاً باستئجار الحمير لنقل مهمات الجبهة، فقال: سيد نور الله إن روسيا تنقل ذخائرها ومهماتها بالطائرات وأنت تنقلها على الحمير، فقال صفي الله: سنهزم روسيا بإذن الله وطائراتها بحميرنا، ثم أضاف صفي الله: أنا أحس أن المنية قد اقتربت، وسأتصل بكم إن شاء الله، وكان الشعور الذي يسيطر عليه أن أيامه تمر مثل لحظ البصر، وأن الدنيا سقطت نهائياً من عينه، وأنه لم يبق في العمر بقية، وأن رياح الآخرة تهب نسائمها.

أجرة بيتــــه:

ومع هذا الصدى الواسع الذي تحدثه عملياته في المنطقة الغربية وترددها الألسنة في كل مكان يحسب الإنسان أن أسرته تعيش عيش الطبقات المترفة، ويذهل الإنسان فاغراً فاه عندما يعلم أنه استأجر لأسرته مع أربع أسر أخرى تعيش معهم منزلاً بخمسمائة روبية (مائة ريال سعودي) شهرياً، تكسو جدرانه الأعفان والطحالب التي تنمو مع الرطوبة والتي تكاد تتحول إلى مستنقع، ففاتحني طاهر بهذا الأمر وأشار عليّ بأنه لابد من استئجار بيت جديد لأسرته حتى لا تفترسهم الأمراض وينشغل بعلاجهم عن معاركه.

وقد قررنا له مصروفاً شهرياً ولجميع الأسر التي تعيش في كنفه قدره ألف روبية (مائتي ريال سعودي).

ثم قال: أنا مريض وأخشى أن أموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء، وسأسير إلى الجبهة لأنه من العار أن أموت على فراشي، سار إلى الجبهة ولم يعد إلا شهيداً.

وكم يدهش الإنسان أن صفي الله منذ ثماني سنوات وهو يصطلي بنار الحرب، وقلما يدخل معركة إلا ويكون في الصف الأول منها وفي خط المواجهة الساخن، ومع هذا كله لم يجرح جرحاً واحداً، لقد حفظ الله جسده طيلة سني المعركة ليواصلها وهو يتمتع بصحته ويحظى بعافيته حتى قبضه الله إليه.

وفي رمضان: حاول أعداؤه اغتياله فوضعوا لغماً في سيارته، وتفجر اللغم ونجى الله صفي الله لأنه كان في صلاة التراويح! ثم أصلح السيارة نفسها -السيارة الحمراء- ليلقى بها مصرعه في الأجل المحدود وفي القدر الموعود.

وكانت الخاتمة:

أن كميناً أعد له في (١٩٨٧/٧/٧م) لأن أعداءه لايجرؤون أن يواجهوه في ساحة النزال، فلا بد من الدس والمؤامرة والاختفاء، فتربصوا به، وبينما كان في سيارته ماراً على طريق عام فاجأه أعداء الله بوابل رشاشاتهم، فانقلبت سيارته وسقط مضرجاً بدمائه.

ومضى البطل الذي زلزل الأرض من تحت أقدام الروس.

مضى القائد الداعية إلى ربه بعد أن خلف في كل قلب حسرة، وحق لكل مجاهد أن يذرف دموعه حزناً على صفي الله، وماذا على نساء آل أفضلي أن يسفحن دموعهن على الأسد المغوار (دون لطم ولا صراخ)، ولشدة بكاء سيد نور الله انتفخت عينه وكادت تنفجر.

سارت سفائنهم والنوح يتبعها ... كأنها إبل يحدو بها الحادي

وختاماً ندعو الله أن يجمعنا في الفردوس الأعلى

فدت نفسي وما ملكت يميني ... فوارس صدقت فيهم ظنوني
فوارس لا يهـــابون المنايا ... إذا دارت رحى الحرب الزبون

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

أسد هرات

شعر: شاعر طيبة

يا(شهيداً) قضى الحياة جهاداً ... و الشباب الريان في العنفوان
يا(شهيداً) روى الثرى بدماه ... أنت لحن الوفا وكهف الأماني
كم تباهت بك البطولات حقاً ... وتغنت بساح الوغى بالتفان
أسد هرات قد قضى لهف نفسي ... كان والله فارس الميدان
عاث في أرضه الكلاب فساداً ... وطغى الروس أيما الطغيان
كان والله شعلة من كفاح ... ليس يقوى على احتمال الهوان
زلزل الأرض تحت أقدام روس ... ثائر النفس ثورة البركان
و (صفي) وقته من جهاد ... يتحدى صولة العدوان
يقذف الرعب في قلوب الأعادي ... لا يبالي بطغمة الشيطان
واثقاً من نصره وهداه ... شامخ الروح راسخ الإيمان
إنه الطود جرأة وثباتاً ... وهو رمز الجهاد للأفغان
عقد العزم أن يحرر أرضاً ... دنستها أرجل الجملان
همه نجعل الطغاة عبيداً ... ورؤوس الطغاة كالفئران
كم له من مواقف رائعات ... يتغنى بصدقها المشرقان
قد بكته (هرات) حزناً عليه ... وبكت قبله (قاضي رحمن)
هو في موته انبثاقة فجر ... شيعته ملائك الرحمن
لم تفارق عيونه نضرات ... وعلى وجهه نفيف الأماني
وعلى ثغره ابتسامة بشر ... وعلى صدره وسام التفاني
وقلوب الشباب ذابت عليه ... غمرتها عواصف الأحزان
كلنا في محنة واغتراب ... ونعاني من همومنا ما نعاني
أهرام على بلابله الدوح ... حلال للبوم والغربان
كم شهيد على الجبال مدمى ... ينزف الجرح بالنجيع القاني
يا (صفيا) قضى الحياة كفاحاً ... يزرع الرعب في فؤاد الجبان
لا يبالي بعاديات الليالي ... يتحلى بقوة الإيمان
سوف أبكيك يا (صفي) وأبكي ... (شهداء) من كتائب الشجعان
ملء أعماقنا ينابيع حزن ... فجرتها كوامن الأشجان

ذكره خالد بكل فؤاد والبطولات ملء سمع الزمان

كلما لاح ذكره في خيالي طاولت عزمتي قوى الكفران

في رحلة الخلود الشهيد عثمان (خالد الكردي)[1]

فقد كانت النفوس لا زالت متعلقة بمناسك الحج، أرواحها تطوف بالبيت بعد أن طافت أجسادها صور مواكب الحجيج من كل فج عميق لازالت عالقة في أذهانها، خيام منى، مسجد نمرة، ومسجد الخيف، ومآذن المسجد الحرام التي تناطح عنان السماء، وفود الرحمن التي تتوق لسماع أخبار المسلمين خاصة قضية أفغانستان، كل هذه الأشباح والأرواح والصور لا زالت تسيطر على القلب والنفس والروح، فاتصلت بالدكتور أبي حذيفة في بيشاور لأسأله عن أخبار الجهاد والقوى الروسية وأنباء الإنتصارات، وإذا به يفاجئني بنبأ استشهاد أخينا خالد الكردي (عثمان)، وبعدها بيوم أو يومين وإذا بالإخوة يخبروننا بالهاتف وأنا لا زلت في البلد الحرام بنبأ استشهاد سيد القلشي (عبد المنان) وسيد محمد عبد المجيد (عبد الرحمن المصري)، وهكذا سقطت أعمدة ثلاثة من حملة المأسدة.

واهتزت القاعدة لفقدان ثلاثة من أحجار الأساس الذي ترتكز عليها هذه القاعدة التي ضمت صفوة أبناء العالم الإسلامي، كان جرحاً عميقاً في أحشائنا وكلماً أليماً في أعماقنا.

لقد نكأتم جراحاً في جوانحنا وقد افضتم دموعا من مآقينا

وذكرني استشهادهم بمن سبقوهم على الطريق، وقلت في نفسي هؤلاء الذين بنوا هذا المركز بعرقهم ضمخوا تربته أخيراً بدمائهم.

مضى أولاً أبو الذهب، وجرح أسامة، ثم سقط هؤلاء الثلاثة دفعة واحدة، وكانوا تلاد المأسدة (تراثها ومالها القديم)، وكانوا لها جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، لقد كانوا عمادها وتلادها وأثافيها، وهنا أردد.

أننسى أم نقيم على الجراح ونرثي أم يمد من النواح

ونشكوا بثنا أم قد كفانا بأن الرزء أكبر من قصاح

لقد جل المصاب فكم رزئنا ورزء اليوم جل عن البواح

قلت سبحان الله، كان الثلاثة يريدون أن يتوجهوا للبيت العتيق فحالت دون ذلك مشاكل الطريق، كان الثلاثة قد أعدوا أنفسهم للزواج، فقد خطب عبد المنان، ونوى عبد الرحمن، وأما عثمان فكان يقول: الزواج فرض عين، وأنا لابد أن أذهب لأتزوج ثم أرجع، **(وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة)**.

كم حاول الثلاثة أن يصلوا إلى بيشاور في رحلتهم نحو بلادهم للحج أولاً ثم للزواج، ولكن الله يختار لعبده خيراً مما يختاره لنفسه. أرادوها سفرة ليطفئوا ظمأهم وشوقهم لبيت الله، فأبى الله إلا أن تكون السفرة النهائية، وبهذه الخاتمة المشرقة، والنهاية المشرقة ونرجو الله أن تكون الجنة هي دار المقام في مقعد صدق في دار السلام مع رضا الله السلام.

أرادوها زواجاً من امرأة من نساء الدنيا يتحملون على كواهلهم يون الزواج ونفقات العرس، فأبى الله أن يزوجهم -أن تقبل شهادتهم- إلا باثنتين وسبعين من الحور العين. **(فيهن خيرات حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام)**. بلا مؤنة مكلفة ولا تكاليف باهظة هناك حيث **(ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين)**.

لقد ضاقت نفوسهم وصدورهم وهم يصدون على أبواب بارشنار يريدون أن يقضوا لبانة نفوسهم وينفذوا أمانيهم، ولكن الله عز وجل يريد لهم مقاماً أميناً -كما نأمل من الله ونرجو- يلبسون من سندس واستبرق متقابلين على سرر مصفوفة.

لقد تمنوا أن يحضروا أيام التشريق في منى ليروا لحوم الهدي مشرقة (معرضة الشمس للمشرق لتجف وتحفظ) فكانت لحومهم هي الهدي في يوم الجمعة (١٣) ذي الحجة في آخر أيام التشريق يجمعها الله من حواصل الطيور وبطون السباع.

وأنفس قد شراها الله صادقة أقوى من الموت والتشريد والألم

شباب في طهر الملائكة يلبسون أردية بشر، أحلامهم، أمانيهم، خطواتهم، كلماتهم، تحمل في طياتها آلام أمة الإسلام وآمالها.

أحلامنا الطهر لا رجس ولا كدر إذا نشاها الصبا رقت رياحينا

١- مجلة الجهاد العدد ٣٥ صفر ١٤٠٨هـ أكتوبر ١٩٨٧م ص ٢٢.

نظروا إلى الأمة الإسلامية تمزق أشلاء وتعمل بها مخالب الظلم، وتتناوشها الذئاب في كل مكان، فأبوا على أنفسهم أن يموتوا كما يموت البعير على فرشهم الوثيرة .

في مخالب الظلم من أكبادنا مزق وفي النيوب بقايا من أمانينا

شباب عشقوا الموت في سبيل الله كما جاء في الحديث الشريف [**خير الناس رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه**] أي يبحث عن الموت حيث يظنه موجوداً فلا يسمع ضجة ولا صوتاً مخيفاً إلا وطار إليه بفرسه.

والآن تعالوا معنا نفتح صفحات من حياة كل شهيد من الثلاثة؟

الشهيد عثمان (خالد الكردي) فاتحة سجل الخالدين من أبناء طيبة:

في الأرض الطاهرة وفي الحرم المدني ما بين عير وثور (جبلين في المدينة) كان مسقط رأس خالد، شب وترعرع وهو يعيش الحياة الإسلامية، من خلال أكمامها وتلالها، فهنا قزح، وهناك أحد، وما بين وادي العقيق وبطحان تتراءى صور الصحب الكرام في مخيلته، وكل ذرة تراب، أو شجرة نخيل، أو كثيب من كثبان الرمل يثير في أعماقه التاريخ المشرق الذي خطه رسول الله -ﷺ- وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم بعرقهم ودمائهم، فهنا قباء، وهناك قصر كعب بن الأشرف، ومنازل بني قريظة كلها تفتح آفاقاً عريضة أمام الداعية وكيفية تخطي عقبات الطريق وعقابيل المسيرة.

دخل خالد المدرسة حتى إذا وصل الثانوية صار يطرق مسامعه أصداء الرصاص ودوي المدافع التي تردد من بعيد في جبال الهندكوش فتقض مضاجعه وتورق أجفانه، وانتظرها لحظة العمر بفارغ الصبر حينما نفر أستاذه أبو البراء إلى الجهاد فخف ولحق به.

والتقيت بخالد في جاجي في رمضان سنة (١٤٠٥هـ)، فسألته عن اسمه فقال خالد، فقلت: بل أنت عثمان، إنه في حياء يذكرنا بسيدنا عثمان رضي الله عنه، على الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها، بسيط تلمح البراءة في وجهه كأنها براءة الأطفال، فلا التواء ولا دس ولا خبث، وبعد رمضان أوغل عثمان في الداخل.

إلى خرد كابل:

وسار إلى جكري، وأمضى عدة أشهر ثم عاد إلى المدينة المنورة، ودخل معهد الجامعة، ولكن نفسه التي تذوقت حلاوة الجهاد أنى لها أن تستطعم العيش بين جموع القاعدين حتى ولو كان في أرض طابة المباركة وبين أروقة الجامعة الإسلامية حيث ينهل العلم من خلال كتب التفسير والحديث، وبقي يتقلب على الشوك، عافت نفسه مخالطة الناس فأصبح غريباً بين أهله، واستأجر بيتا قديماً يذكرك ببيت أبي ذر الغفاري رضي الله عنه واتخذه مقراً لعزلته بعيداً عن صخب أهل الدنيا وأحلامهم، هارباً من تمنياتهم وآمالهم وكلامهم، جسده في مدينة المصطفى ﷺ وروحه تطيف بيغمان وكابل وميدان وجاجي.

بغمان هيجت الذكرى لواعجنا وأرخصت دمعها الغالي مآقينا

ولم يطق البقاء في المدينة، فخف للنفير مرة أخرى، وجاء خالد والشوق يحدوه إلى الجهاد مرة أخرى.

في المأسدة: ووصل خالد المأسدة يعيد إلى نفسه ما فقدت بعيداً عن ميدان الرجولة والإباء ولسان حاله يردد:

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما

فلسنا على الأعقاب تدمي كلومنا ولكن على أقدامنا يقطر الدم

وأصبح عثمان كأنه شجرة من أشجار المأسدة أو أكمة من آكامها لا يحب فراقها.

حبه لاسم عثمان:

كنت أداعبه أحياناً قائلاً أنت عثمان أم خالد؟ فيجيب بل عثمان، هذا اسم أعتز به لأنك أطلقته علي،

وكنت إذا رأيته ساهياً أحياناً أسأله أأنت غاضب علينا يا عثمان؟ فيقول: معاذ الله أن أكون من الجاهلين.

وإن سألته مسلياً: ألا تود أن ترجع إلى المدينة؟ فيجيب: كلا لن أترك الجهاد ما دمت حياً.

حب أبي عبد الله له:

كنت مع أبي عبد الله (أسامة) في معركة شوال، فكنا إذا اشتد البأس وحمي الوطيس قال أبو عبد الله: أرسلوا لنا عثمان حتى يحرسنا ويسلينا ويصنع طعامنا، فكنا نحب أن يحرسنا ويكون على باب الغرفة التي نأوي إليها.

استشهاده:

نزل عبد المنان وعبد الرحمن ولم يرجعا، فأرسل أبو عبد الله مجموعة في أثرهما، وكان معهم عثمان لأنه عرف الأرض شبرا شبرا، وسار عثمان مع سعد مع د. صالح، وعندما وصلوا إلى مفرق طريق فتقدم عثمان، وما أن سار عدة أمتار حتى انفجر تحت قدمه لغم فقطعت قدمه وانبعج بطنه واندلقت أقتابه وجرح جرحاً بسيطاً في يده.

مس القرصة: روى الامام أحمد والترمذي والنسائي الحديث الحسن: **(ما يجد الشهيد من القتل إلا كما يجد أحدكم مس القرصة).**

أي أن الشهيد لا يحس بألم السلاح إلا كما يحس الذي لدغته نحله، وهذا الذي جرى لعثمان، فعندما اندلقت أقتابه وطارت قدمه إلى منتصف ساقه أقبل الدكتور صالح يرد أمعاءه إلى بطنه ويلفها ببطانية، وذرفت عينا الدكتور وهو يحاول لف بطن عثمان، فقال عثمان: لماذا تبكي يا دكتور؟ أنها جراح بسيطة في اليد، ولم يكن يعلم عن إصابة قدمه وبطنه ولا يحس بأي ألم فيهما.

أحب الشهادة ولكن بعد أن تشيب ناصيتي وعوارضي في الجهاد:

هذه الكلمات التي كان يرددها عثمان يهدىء بها نفوس إخوانه من حوله.

وحمل عثمان ودمه ينزف، وبقي بكامل قواه العقلية حتى فاضت روحه الشريفة، وفاح المسك من دمه، ولقي الله وهو لا يعلم أن قدمه قد طارت وبطنه قد شق. ومضى عثمان بعد أن خلف في قلوب كل من عرفوه جرحاً غائراً.

دفن عثمان: وهناك في تبة الشهداء يثوي جثمان عثمان بجانب أحمد الزهراني ومحمد منير العتيبي وعبد الله المصري.

الشهيد عبد المنان (سيد القلشي)[1]:

فالعين بعدكم كان حداقها — سملت بشوك فهي عور تدمع

النفس الرضية: دائم الابتسامة، لا تراه عابساً، وفي أحلك الظروف وأحرج المواقف لا يغضب ولا تتوتر أعصابه.

نشأته: من بركة السبع (طوخ طنبشا) خرج هذا السبع وترعرع في المنوفية محافظته، ثم دخل كلية الزراعة وتخرج مهندساً زراعياً، ثم توجه إلى البيت الحرام، ومن هناك بدأ يفكر بالجهاد وبأرض أفغانستان، ويسر الله له السفر إلى إفغانستان فوصلها قبل ثلاث سنوات.

من أخلاقه: كان يكره ضياع وقته سدى، كان دائم المطالعة في كتب الجهاد وفي كتب ابن القيم وابن تيمية، وكان الكتاب لا يفارقه في حل ولا ترحال، فإن أقام أقام في مكتب الخدمات فهنالك الكتب الخاصة بعبد المنان، وإن ذهب إلى الجبهة اصطحب كتبه معه، ويعوزه أحياناً بعض الكتب فيرسل إلي وأنا في صدى يطلب: زاد المعاد المجلد الثالث والمغني المجلد السابع (الأجزاء التي تتكلم عن الجهاد)، وكان هذا قبل استشهاده بأقل من شهر، وهذا آخر عهدي به في هذه الدنيا.

يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يكره الغيبة ويمقت النميمة، تراه إذا اغتيب أحد إخوانه أمامه تمعّر وجهه غضباً.

قيام الليل وصيام النافلة: كان عبد المنان يتناوب مع سيف الله على إمارة الزكويك، وكان الشيخ تميم في مجموعة الزكويك، فيقول كان يداوم على صيام الإثنين والخميس ويقوم الليل بعد الحراسة.

عقد قرانه: عقد قرانه غيابياً وكان يزمع السفر إلى الإسكندرية بلد زوجته من أجل أن يبني (يدخل) بزوجته ويصطحبها إلى أرض الجهاد.

١- المصدر السابق ص ٢٧.

إحساس وشفافية: يسمع أبو عبد الله أصوات الدبابات فيحرك عبد المنان وعبد الرحمن نحو الهدير، ويمر عبد المنان بأسد الله السندي فيسأله أسد الله متى ترجعون؟ فيجيب: لن نرجع إن شاء الله.

والاحساس بقرب الشهادة كثيراً ما حدث به الشهداء، فهذا أسد هرات صفي الله أفضلي الذي استشهد في (١٩٨٧/٧/٧م) عندما دخل السيارة قال للجالسين فيها إني أشم رائحة غريبة لعلها رائحة الجنة، رائحة الشهادة، وفعلاً كانت الشهادة التي أعدها الله بعد ساعات من شم رائحة الجنة، وهذا يحلق بنا فنعيد في أذهاننا قصة أنس أبن النضر يوم أحد إذ يقول لسعد بن معاذ (واها يا أبا عمرو الجنة، إني لأجد ريحها من دون أحد)، وهذا الذي حصل مع شهيدنا الثالث: عبد الرحمن أمير المأسدة (سيد محمد عبد المجيد) إذ يرسل إلى أبي محمود رسالة يطلب فيها أشياء قائلاً في الرسالة: (احتملنا يومين فقط ثم تسترح منا) ومضى عبد الرحمن بعد يومين إلى ربه.

شهادة عبد المنان وعبد الرحمن:

سار الأخوان يقتحمان الموت ويقتربان من أم الخنادق (مركز كبير للشيوعيين).

الناظرين بأعين محمرة كالجمر غير كليلة الأبصار

يتطهرون يرونه نسكا لهم بدماء من علقوا من الكفار

وانطلق صوت من جهاز اللاسلكي، صرخ عبد الرحمن قائلاً: (دابة دابة سقط عبد المنان ثم اختفى الصوت).

وحار الإخوة في تفسير ما وقع، هل وقعا أسيرين؟ أم سارا شهيدين؟ وأخذ الإخوة يبحثون عنهما، وأخيراً وصل الإخوة قرب حقل الألغام الذي سقطا فيه، لقد كانت جثة عبد المنان قسمين، وأما عبد الرحمن فلم يعثروا إلا على قفصه الصدري، لقد كانت الألغام عديدة مشركة ببعضها.

وصية الشهيد عبد المنان :

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى والديَّ الأعزاء ... إلى إخواتي هدى وزينب ويسرية. إلى إخواني محمد وسليمان .. إلى جميع أفراد العائلة إلى الإخوة ممن عرفتهم ويعرفونني.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد عشت فترة جاهلية مضت من عمري اثنين وعشرين عاماً كنت خلالها أصلي بعض الفترات، وكان الوالد دائماً يقول لي خلالها ان لم تصل لا تأكل معي، رغم أنه أميّ لا يقرأ ولا يكتب إلا أنه يحب الإسلام، ودائماً يحافظ على الصلوات، صرت أتخبط من الشيطان، وصراع عميق بين الدين واللادين، والحمد الله الذي هدانا للإسلام .

جاء وقت الهداية وهو وقت العشاء من يوم الأربعاء (١٨) رمضان (١٣٩٨هـ) الموافق (١٩٧٨/٢٢م)، كنت أجلس مع بعض الشباب، أحدهم قال قم فصل معنا إنك لم تركع لله ركعة، سخرت منهم ومن قولهم، واستهزأت بهم، وانصرفوا هم في الحال وتركوني في صراع مع نفسي، أيهما أصح الدين أو اللادين؟ الانحلال الخلقي الذي يعيشه الشباب أم...أم... تساؤلات لم أجد لها إجابة، غير أن الله في السماء والعباد خلقوا لعبادته.. فأسرعت خلفهم أناديهم حتى وصلت المسجد والكل ينظر لي نظرة تعجب، تحملت ذلك وبدأت أبحث وأقرأ عن الإسلام الذي كنت بعيداً عنه، قرأت كتاب فقه السنة، وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقتها شعرت بقيمة المسلم وقيمة الإسلام، ولا حياة لنا إلا بظهور هذا الأمر، وكم حدثتني نفسي عن الجهاد قبل أن أعرف أفغانستان من خلال قراءة كتب السيرة والبكاء لما حدث للرسول ﷺ أثناء الغزوات والصحابة الكرام، فهم قدموا للإسلام الكثير، ولم نقدم شيئاً، ضحوا بأرواحهم ولم نضحي بشيء، مع ذلك نقول سيغفر لنا، وغلبت علينا أماني المغفرة، والآن ونحن في وقت أصبح المسلم ذميماً منبوذاً مقهوراً .. لماذا؟ لأنه يقول ربي الله ويدعو إلى الله، أصبحت حياة المسلم ليل نهار وصبح مساء فتن تلاحقه كي تصرفه عن دينه القيم، حب الذات، الماديات، الشهوات، ضيق ذات اليد، اضطهاد حكومي، فهي خلاصة القول فتن الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من دنيا زائل، نسأل الله العفو والعافية .

أمي الحبيبة ست الحبايب، والدي الحبيب: أقول لقد عشت بينكم لا أحمل هم شيء، كانت حياة شبه مدللة، ثم عرفت قدر الدنيا وقيمتها فماذا بعد الدنيا؟ الموت يرضى عنّا به الله رغم ما حملنا من أوزار اكتسبتها أيدينا ..

المسلمون في سجون الطواغيت رؤوس الشياطين ولا أحد يسمع بهم، ولا أحد يفكر فيهم بالدعاء لهم إلا من رحم الله، إذا كانت العاطفة تتحكم فينا كي نخذل دين الله فتبًا لنا وسحقاً لنا وبطن الأرض خير لنا من ظهرها، وليستبدل الله قوماً غيرنا يكونوا أهلا لنصرة دينه .

أمي عليك بالصبر والفخر حال استشهادي، فإنني لم أمت بل حي أرزق عند الله، بعت دنياي واشتريت بها الآخرة، أذكر أول مرة خرجت فيها من مصر عام (١٩٨٣م) في إبريل كان الهدف الأول منه ليس اكتساب الرزق فقط، بل كان طاغوت مصر السابق يقوم بحركة استدعاء للجيش الحشد على حدود ليبيا للقتال، وكنت ممن استدعي لهذا، ففررت بديني ولم أخبر أحداً، فحياة المسلم الذي يحب الله لا يعرف أحداً فهو دائما في حالة استعداد للرحيل عن الدنيا الفانية لأنه عرف قدرها، لم يعش بها كأنه خالد فيها و .. مرت أيام كنت أخاف النوم ليلا .. وأخيرا اخترت لنفسي الطريق ألا وهو أفغانستان بغية كل مسلم يخشى الله ويباع نفسه لله ولنصرة دين الله، سافرت مرة واستهوتني الشياطين بالتخبط فيها وفي رجالها الذين لم أعرف قدرهم إلا بنزولي أرض مصر، ووجدت اللوم من إخوة لنا في الله سواء باللسان أو بالعين وكأنهم شكلوا لي محكمة .. عفوك يارب أين غيرة المسلم لنصرة دين الله؟ أين شعور المسلم تجاه إخوة له شرد أبناؤهم وانتهكت أعراضهم أيعقل هذا؟ !

قررت السفر كي أكون ضمن الركب: يحيى الحبيب، عبد الصمد، عبد الوهاب، سعود، حمدي البنا الحبيب، أبي دجانة الذي عرفت فيه أصالة وصدق وإخلاص المسلم لله عز وجل، فمثل هؤلاء ومن سار على دربهم باع نفسه لله عز وجل.

حتى لا أطيل عليكم أقول إنني أبرأ إلى الله من كل فعل تفعلونه يخالف الشرع والدين حال وصولكم الخبر باستشهادي إن شاء الله، وعليكم بالاسترجاع وتربية الأطفال على حب الإسلام والالتزام به والعمل بأوامره واجتناب نواهيه، وعليكم بأفضل الذكر وهو القرآن العظيم دواء القلوب وشفاؤها، وكثرة الاستغفار والترحم والدعاء لي، وجزاكم الله عنا خير الجزاء، وأرجو السماح والمغفرة لي إن كنت قصرت في حقّ والدي، وأدعو الله أن يجمعني بكم في جنة الخلد إنه سبحانه جواد كريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمي كان بودي أن يجعلني الله سبباً لك في أداء فريضة الحج لتلمسي شيئاً من العرفان بالجميل إن لم أعطك قدرك، ولكني أدعو الله أن يجمعنا بالجنة.

ابنكم الشهيد

السيد أحمد سليمان القلشي

الشهيد عبد الرحمن المصري (سيد محمد عبد المجيد)(١)

فهو سيد حقاً، من مرسي مطروح، حياء مع رجولة، عمل دائب ولسان صامت، خلق رفيع وأدب جم، وصل إلى حدود روسيا إلى تخار مع أبي الذهب وذبيح الله، وعاد إلى ننجرهار حيث اشترك في محاولة صد الهجوم عليها، ثم انتهى به المطاف إلى المأسدة.

ما كان يفارق المأسدة (المركز الجديد) إلا لماماً، أحد الأعمدة الخمسة التي بنيت عليها المأسدة.

أمير ولكنه لايأكل إلا من فتات إخوانه، يصنع الطعام ويأمر بالأكل، ولكنه ينتظر ريثما يشبع إخوانه ثم يأكل.

الحياء: كان يكلمني مع إغضاء النظر إلى الأرض أدبا وحياء، قلت له إن هجمت القوة ماذا تصنعون؟ قال: لا انسحاب ولا تتقدم الدبابات إلا على جثثنا.

وكان لا يقابلني إلا ويبش في وجهي، لاتلمس منه مللاً رغم كثرة العمل، ولا ترى عليه سأما رغم وحشة الجو وقساوة الظروف:

ومنه تظل سباع ضافرة ولا تمشي بواديه الأراجيل

وهكذا مضى الثلاثة إلى الله، وفي مثل لحظة البصر مضو إلى الله بعد أن بلغوا بدمائهم دعوة الله، وخطوا بنجيعهم تاريخ الإسلام الحديث، وقد كان بإمكانهم أن يعيشوا كما تعيش الجماهير التي تتمتع وتأكل وهمها ثوب أو رغيف، وكان بمقدورهم أن يجدوا أماكنهم بين صفوف الذين ينتظرون حزمة البرسيم أو قطعة القماش أو لقمة الطعام، ولكن كم كانوا يخسرون؟

١- المصدر السابق ص ٢٨.

(كم كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعنى الكبير: معنى زهادة الحياة بلا عقيدة، وبشاعتها بلا حرية، وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح بعد سيطرتهم على الأجساد) سيد قطب الظلال (٣٨٧٤/٦).

إن دم خالد قبل أن يسقط على الأرض قد جرى في عروق الأمة الإسلامية التي كانت تجف فأعاد إليها الحياة.

وإن أنفاس عبد المنان الأخيرة قبل أن يلفظها قد انتقلت إلى جسد الأمة الذي كاد يموت فيعيد إليها أنفاس الحياة.

وإن روح عبد الرحمن التي فاضت في جاجي دبت في جثمان الكثيرين فأعادت إليها الروح بعد أن كانت هامدة لا حراك فيها.

وصية الشهيد عبدالرحمن:

بسم الله الرحمن الرحيم

أبي وأمي وإخوتي: سلام الله عليكم جميعاً، أودعكم لكي ألحق بمجموعة الشهداء بالفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، أسأل الله أن يجمعني بهم بحسن الظن بالله ...وإنها بشرى لكم أنكم ستجدون شهيداً يشفع لكم في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون **(يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه)**، وأرجو أن تسامحوني على عدم إخباركم بذهابي إلى أرض الجهاد، وإنما قد أمرني الله تعالى وأمر كل مسلم مؤمن بالجهاد، فقدمت إلى الله ... رضي الله عنكم، وأسأل الله أن يجمعنا في الجنة كي تعرفوا سبب إسراعي إلى الجهاد.. ولا تنسوا أن تدعوا لي دائما بالمغفرة والرحمة والله الوكيل.

والدي العزيز: أرجو أن تعطي أخي مجدي عشرة جنيهات ثمن إيجار الفيديو، وأن تقول لعبد الحكيم أن يسأل جمعة مفتاح كم يريد مني، ويعطيه حوالي (٣١٢) جنيه.. وأرجو أن تسامحني على تقصيري في حقوقكم كثيراً، وخاصة أنت يا أبي، فقد عرفت فضلك وتعبك معي وعلى عندما تركتك، وكذلك والدتي الحنونة عرفت قدرها وتعبها عند الفراق، ولكن ربنا يسامحني ويغفر لي على تقصيري معكم، كذلك إخوتي الأحباء وحنيتهم الخفية هداهم الله جميعاً وجعلهم من الصالحين ..

أرجو ألا تحزنوا، بل افرحوا، ولا تصنعوا شيئاً مخالفاً للسنة، وقولوا إنا لله وإنا إليه راجعون، حفظكم الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إبنكم/ عبدالرحمن المصري

مسك أهل القرآن هشام وزكريا الفلسطيني(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، ففي المسجد حيث الدعاء بعد صلاة العصر قد توجه إلى الله من قلوب ضارعة إلى ربها أن يتقبل، ومن نفوس مخبتة إلى خالقها أن يثيب، وكانت الأفئدة لا زالت تعيش محلقة في الأجواء تحاول أن تعيش مع الشهداء الذين سمعت قصصهم العجيبة في خطبة الجمعة قبل ثلاث ساعات، وإذا بأبي عمار اليماني يقبل من بعيد ولا يزال نقع (غبار) المأسدة يغطي وجهه يتأبط حقيبته التي لا تعرف لها لوناً تحمل معها طين المأسدة وغبار الفخار ووحل الرباط الحبيب، وروى الخبر المروع الذي هز النفوس من أعماقها: لقد استشهد اثنان من إخواننا إثر تفجر مدفع الهاون بهما وجرح أخ ثالث، وأمسكت النفوس بأنفاسها، وقبل أن تلتقط لهاثها قال: استشهد حمزة اليمني وأبو مصعب الفلسطيني (الطائفي) وجرح سياف المصري، واستغرب الإخوة الذين لديهم علم عسكري، كيف ينفجر الهاون؟ لا بد أن يكون هنالك خطأ في تلقيم القذيفة، فرد أبو عمار: لا بل أنا متأكد أن وضعها صحيح، وأنا كنت معهم مع صابر، ويأتي أخ آخر ليؤكد أن مدفع الهاون المصري قد انفجر في جاجي ميدان وفي خوست وفي ماروا، وهنا بدأ الإخوة المختصون يراجعون الحسابات، لعلها مقصودة أن يلقى في السوق مجموعة من قذائف الهاون لتنفجر بأصحابها، وأول ما طاف في مخيلتي وتبادر إلى ذهني سؤال يلح على كل من يسمع القصة، ما حكم من انفجر به سلاحه؟ أو قتل نفسه خطأ في أرض الرباط أو الجهاد؟ وقد كان الجواب حاضراً في نفسي: وهو قصة عامر بن الأكوع في خيبر.

وقلبت صفحات البخاري ومسلم لاستخرج قصة عامر التي رواها الشيخان: فقد كان عامر شاعراً وشعره حداء للركبان ورواية البخاري في قصة عامر يرويها أخوه الصحابي الجليل البطل المغوار سلمة بن الأكوع، فيقول رضي الله عنه: (خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر، فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر ألا تسمعنا هنيهاتك، وكان عامر رجلاً شاعراً، فنزل يحدو بالقوم يقول:

١- مجلة الجهاد العدد ٣٦ ربيع الأول ١٤٠٨هـ نوفمبر ١٩٨٧م ص ٢٠.

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقـــنا ولا صلينا

فقال رسول الله ﷺ: من هذا السائق؟ فقالوا: عامر بن الأكوع، قال يرحمه الله، قال رجل من القوم قيل أنه عمر وجبت يا نبي الله لولا أمتعتنا به، فأتينا خيبر فحاصرناهم... فلما تصاف القوم كان سيف عامر قصيراً، فتناول به ساق يهودي ليضربه فرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبة عامر، فمات منه، قال: فلما قفلوا قال سلمة: رآني رسول الله ﷺ وهو آخذ بيدي قال: ما لك؟ قلت له: فداك أبي وأمي زعموا أن عامراً حبط عمله، قال النبيﷺ: **{كذب من قال: إن له لأجرين، وجمع بين إصبعيه، إنه لجاهد مجاهد، قل عربي مشى بها مثله}** مختصر البخاري -التجريد الصحيح- رقم (١٦٤٤)، والنووي -مسلم- (١٦٧/١٢).

أو قد سمعت شهادة النبي ﷺ لعامر بن الأكوع -أخي سلمه- الذي قتل نفسه خطأ: إن له لأجرين... إنه لجاهد مجاهد، أي مجاهد جاد في طاعة الله والغزو في سبيله.

وقد اتفقت نصوص الأئمة الثلاثة المالكية والشافعية والحنبلية على أن قاتل نفسه خطأ في أثناء القتال لا يغسل ولا يصلى عليه، وهو كمن قتل بيد الكفار، قال المالكية في حاشية الدسوقي (٤٢٦/١): (لا يغسل شهيد معترك ولو قتل بدار الإسلام... أو داسته الخيل، أو رجع عليه سيفه أو سهمه، أو تردى في بئر، أو سقط من شاهق في حال القتال).

قصة الاستشهاد:

والآن دعنا ندع أبا عمار اليمني – شاهد العيان- يكمل قصة الاستشهاد ويروي لنا آخر ما شهد من مشاهد هذين البطلين في هذه الحياة.

يقول أبو عمار: كنا أربعة نطلق قذائف الهاون على مركز العدو، وكان أبو مصعب الفلسطيني يلقم الهاون بالقذائف، وكنت أناوله، وكان حمزة اليماني (هشام بن الدكتور عبد الوهاب الديلمي) يمسك بأرجل الهاون، وفي القذيفة الخامسة بالضبط وبدلاً أن تنطلق على مراكز العدو تفجر المدفع ذاته، وحمل أبا مصعب الفلسطيني وألقاه على بعد مترين أو ثلاثة حيث أسلم الروح لخالقها وعلى الفور، وأما حمزة اليماني فقد مكث عشر دقائق ثم فاضت الروح الطاهرة إلى مولاها، وجرح سيّاف المصري.

رائحة المسك:

ولففت أبا مصعب الفلسطيني ببطانية، وبدأت رائحة المسك تفوح في الأرجاء، ويقسم أبو عمار عدة أقسام أنني لم أرح (أشم) عرفاً (رائحة) أطيب من هذه في حياتي وللمرة الثانية، إذ كانت الأولى هي التي استنسمتها من دماء خالد الكردي الذي استشهد في (١٣) ذي الحجة قبل شهر تقريباً.

دماء الشهداء حياة شجرة الإسلام:

وعدت لأحمل حمزة اليماني الذي يسكن سويداء قلبي، والذي ملك حبه عليّ نفسي ومشاعري وشد إليه إحساسي وأنفاسي، حمزة الذي عرفته في صنعاء، وكم طعمت في بيته وهو صائم، وكم تعلمت منه ومن والده ! ورائحة المسك تعبق مسكاً في الأرجاء، وفاح الطيب، وطاب من طيب الدم المكان كله، ووقعت قطرة من دم حمزة على قميصي، وأخذت الرائحة طريقها إلى أنوف كل الحاضرين، وصرت أشهد كل من أرى على طيب رائحة الدماء الزكية التي روت أرض المأسدة لتروي بدورها عروق شجرة الإسلام التي كانت تجف عندما انقطع رواؤها بانقطاع ماء حياتها وهو دم أبنائها.

ثم أوصلت سياف إلى المستشفى (بارشنار) وعدت في الثامنة مساء إلى المأسدة والكل يتحدث عن الدماء الزكية والأرواح النقية.

الكل يلهج بذكر رائحة المسك، وأصبحت القضية من المسلمات لدى العرب والأفغان، ولا يناقش في صحتها انسان، لأنها تتكرر فلم يعد لمنكر مبرر، ولا لعلماني محيص أو مهرب.

وفي الصباح عدت إلى اليرموك الموقع الذي استشهد به الأخوان، وغمست إصبعي في دمائهم، لا زال الدم سائلاً لم يجمد، ولازال المسك عبقا لا ينفد، وصار أحمد البيشي وجنود اليرموك يرددون ويؤكدون طيب الدماء وطيب الأشلاء، وانهال الثناء، وضرعت الأكف بالرجّاء إلى فاطر الأرض والسماء أن يتقبل الشهداء، وأن يلحق بهم الأحياء، فمن الشهيدان؟؟

الشهيد هشام بن عبد الوهاب الديلمي:

من عائلة يمانية، وفي بيت علم ودين ودعوة وأدب ينبت هشام، فقد ولد في الطائف حيث يسكن والده، وقد تلقى والده العلم في جامعات السعودية، والدكتور عبد الوهاب سكن جدة فيما بعد فتلقى ابنه دراسته الابتدائية والإعدادية في مدارسها، وحرص والده أن يحفظه القرآن الكريم فأدخله حلقات القرآن، ثم نال الشيخ عبد الوهاب شهادة الدكتوراه وعاد إلى مسقط رأسه ليأخذ دوره أستاذاً في جامعة صنعاء لتربية الجيل، وعاد هشام مع أبيه ليواصل دراسته الثانوية في المعهد العلمي في صنعاء، وفي أثناء الدراسة جاء ليشارك بنفسه في الجهاد الأفغاني.

كان في الثامنة عشرة من عمره عندما أقبل في السنة الماضية، وتوجه شطر خوست وجاردين، وكان معه بعض أقرانه وأترابه (أجياله)، فلم يطيقوا ما أطاق، وعادوا أدراجهم، وصمد هشام ثم عاد لينهي الثانوية العامة.

شاب في عمر الورود ولكنه ثقيل في ميزان الناس، كبير في أعين العقلاء، لا يتكلم إلا بقدر، ولا يخف إلا للخير.

قال لي أقرانه: لم نجرب عليه سوءاً، وليس في صفحاته المشرقة صفحة واحدة مظلمة أو غائمة.

أخلاقه ناصعة، سلوكه نظيف منذ الصغر، يعلم الناس القرآن في مسجد التقوى-صنعاء، يرتب الرحلات الإسلامية ويديرها ويحث عليها ويدعم في تشجيعها من مصروفه البسيط.

وصدق أبو الدرداء (إنما تقاتلون بأعمالكم) وصدق الله عز وجل قبل أبي الدرداء **(ويتخذ منكم شهداء)**، فالقضية اختيار واصطفاء، والذي يختار هو الله علام الغيوب المطلع على القلوب **(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)**.

وأما والده فمن ذا الذي لا يعرف الدكتورعبد الوهاب الديلمي من أهل اليمن؟

متشابهي ورع النفوس كبيرهم   وصغيرهم عف الإزار حلاحل

اللقاء في حج سنة (١٤٠٧هـ): والتقيت به قبل شهر في الحج وقال: إني قادم إليكم، ثم ألقيت محاضرة في مخيم يماني فالتقيت به مع والده، فقدم أحد الإخوة والده لي قائلاً: أوما تعرف الدكتور عبد الوهاب؟ رجل مجاهد، فقلت أنا أعرفه وأعرف ابنه المجاهد، وأشرت إلى هشام الذي كان بجانبه.

وأقبل بعد الحج، والتقيت به في (صدا)، فقال لي أنا متوجه نحو المأسدة لأنك تعلم أني تدربت وتربيت في العام الماضي، سار إلى المأسدة وكانت آخر النظرات التي ودعت بها هذا البطل الكبير.

رؤيا واستشفاف:

قال لي أبو عمار وعبد الله اليمنيان: لقد أخبرنا قبل أيام أنه سيستشهد لأنه رأى في المنام ذلك، ثم أوصاهم وكتب إلى أبيه هذه الكلمات التي وجدتها في حقيبته: **(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)** اللهم اجعلنا منهم، والدي الكريم: بعد أن رأيت في منامي هذه الليلة أني أودعك فلمست أني مودع هذه الدنيا بأكملها، ومقابل ربي -إن شاء الله-، وفي البداية وصيتي هذه: أرجو منك والدي الكريم أن تسامحني وتدعو لي بخير، وإني لئن شفعني الله في أحد من أهلي لأجعلنك أول من أشفع لهم.

مناجاة النفوس:

ومضى هشام اليماني يتبع هشاماً الأردني، وسألت نفسي ابن الزهراني وأبو الذهب وعبد المنان وعبد الرحمن وخالد الكردي أين الذين بنوا المأسدة على أكتافهم؟ أين الأوائل من سكانها؟ لقد مضوا، ووردت بيت أبي الطيب:

لك يا منازل في القلوب منازل   أقفرت أنت وهن منك أواهل

فقد خلت المأسدة من بُناتها الأوائل، وأقفرت منهم، ولكنها عامرة بذكرياتهم، ثم سألت نفسي: أين أنت من هؤلاء يا نفس؟ أخشى أن تحرمي من منازلهم التي وصلوا اليها، ويكل سيرك ويثقل خطوك في الوصول إلى الشأن العظيم الذي نالوه، ولكني أعزي نفسي أني تشرفت بمعرفتهم وجددت حياتي بشبابهم:

أحب الصالحين ولست منهم   لعلي أن أنال بهم شفاعة

شهادة و شهادة

أحقاً قضى ذلك الفتى الغض (هشام)؟[1]

الآن عرفت لماذا كان يلح علي في الاعتذار، كلما كنت أعاتبه على كثرة تغيبه عن الدراسة في المعهد... أقول له: يا هشام.. اتق الله إنك أمير فصلك... والطلاب يشكونك كلما وبخت أحدهم أو قاصصته.. من ينضبط في الفصل إن لم ينضبط الأمير؟ وكان يقول لي: يا أستاذي، (أنا مربوش جداً) يقصد مشغول، أريد السفر إلى الخارج وقد لا أرجع إذا حصلت على تأشيرة.. وأنت تعرف أنها تحتاج إلى سعي وجهد ما بين السفارة والجوازات والخارجية... وأقول له: حيرتني يا هشام.. إلى أين تريد السفر؟ فيقول لي: سامحني يا أستاذ... فإذا وفقت في الحصول على التأشيرة وتهيأ السفر سأقول لك، و بقيت محتاراً بين كثرة الكلام عليه من زملائه واعتزازي به وثقتي بصدقه...

وتمر الأيام و لا يسافر هشام... وأفتقده حيث كان يمر عندي يومياً ليأخذ الإذن بالغياب.. ثم تأتيني عنه شكوى ثانية من زملائه.. هشام يتغيب عن الحصة الأخيرة باستمرار.. فأبعث إليه وأسأله: فيجيب بحرارة تشعرك بعمق إيمانه وبجدية لم أعهدها في أقرانه: (لا أستطيع يا أستاذي أن أسمع الأذان وأبقى جالسا في مقعدي وتفوتني صلاة الجماعة).

وتنتهي السنة الدراسية، ويحصل هشام على شهادة الثانوية العامة، وأبحث عنه فإذا هو هناك على ذرى الهندكوش، وسريعا سريعا كأنه على موعد مع شهادة أخرى لا تعدلها شهادة في الحياة، رحمك الله يا هشام، ونسأل الله عز وجل أن يلحقنا بك، وأن يمن علينا بالرضى والسكينة، وحقا يا هشام: من خان (حي على الصلاة) يخون (حي على الجهاد)!!

أبو مازن

والد الشهيد هشام -الدكتور عبد الوهاب الديلمي- يتحدث للجهاد[2]

الجهاد: نرجو إعطاءنا فكرة عن الشهيد هشام.. عمره، دراسته، تربيته.

د. **عبد الوهاب:** الشهيد هشام ولد في يوم عيد الفطر من عام (١٣٨٩) للهجرة، وتوفيت أمه وهو في سن الطفولة، فتنقل في صغره في أيدي الحواضن، وفقد حنان أمه وعطفها اللذين لا غنى عنهما للطفل. فلما أوى إلي بعد أن تزوجت، وبعد أن بلغ السابعة من عمره أدرك من حناني عليه وعطفي وحبي مالم يجده عند غيري، وكان بعد ذلك إذا سئل أي الأماكن التي تنتقل فيها أفضل، يرد قائلاً: المكان الذي أكون فيه مع أبي.

ومما يلفت النظر إليه أنه أصيب وهو في مرحلة الرضاعة وفي عهد أمه بمرض كاد أن يلفظ فيه أنفاسه الأخيرة، ولم يعد لنا أمل في حياته، ولكن الموت والحياة بيد الله، فقد شاء الله سبحانه أن يموت شاباً جلداً قوياً مجاهداً في سبيل الله تعالى.

وكان من سمات هشام منذ الطفولة الحياء الذي كان محل غرابة عند كل من عرفه، فقد كان إذا رأى امرأة أجنبية يلوي عنقه منها في خجل شديد وهو لم يبلغ التاسعة من عمره، وكان إذا تكلم لا يرفع صوته حياء حتى لايكاد يسمعه أحيانا من بجانبه.

وكان من يجالس هشاماً ويحسن معرفته يرى أن عقله أكبر من سنه بكثير، وقد تم له الالتحاق بمعهد صنعاء العلمي في أثناء المرحلة الإعدادية حتى نهاية المرحلة الثانوية (قسم أدبي)، ولا أنسى هنا أن أعترف بالفضل والجميل للمسؤولين والمدرسين بالمعهد لما بذلوه من جهد مشكور في تعليم وتربية الشهيد هشام رحمه الله، وقد نشأ بحمد الله نشأة طاهرة زكية، فما علمت عليه في حياته أنه تلوث بشيء مما يشين خلقه، ويطعن في سلوكه، كما نشأ سليم العقيدة محافظاً على العبادة، بعيداً عن مجالس السوء، وكان كثير التتبع لأخبار العالم الإسلامي، شديد التعلق بكتب الدعاة البارزين: كسيد قطب، وأبي الحسن الندوي، والمودودي وغيرهم، وكان كلما ازدادت معرفته بالإسلام وما فيه من كنوز عظيمة يتقطع ألما للواقع الذي يعيشه المسلمون بعيداً عن منهج الإسلام وهديه، يختم حياته بالأمنية التي كان يرددها على لسانه عشرات المرات شهيداً في سبيل الله تعالى.

الجهاد: كيف تلقيتم خبر استشهاد ابنكم هشام؟

د. **عبد الوهاب:** في يوم السبت (١٩) من المحرم الحرام جاءني جماعة من إخوانه في الله قبل الظهر، وقد تلقوا الخبر عن طريق الهاتف من باكستان باستشهاد هشام، وكانت زيارتهم لي في ذلك الوقت يكتنفها الاستغراب، وتحيط بها علامات الاستفهام،

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢.

(٢) مجلة الجهاد العدد ٤٢ ص ٣٤ رمضان ١٤٠٨هـ الموافق مايو ١٩٨٨م.

فازالوا أن يخففوا وقع الحدث في نفسي، وظلوا يتحدثون عن أفضل الأعمال، وعن الجهاد في سبيل الله والشهادة... إلخ. فعرفت أنه قد حدث شيء، فسألتهم هل جاءكم نبأ باستشهاد أحد؟ (وأنا أريد ابني) فقالوا عظم الله أجرك. فحزن القلب، وذرفت العين، واسترجعت، وحمدت الله سبحانه على قضائه، وكانوا قد أخبروني أن الحادث كان في يوم الجمعة، لكن تلقيت بعد ذلك مكالمة هاتفية من باكستان كانت أكثر تفصيلا للحادث، وقد تضمنت الآتي: الاستشهاد كان في الساعة السادسة والنصف قبل مغرب يوم الخميس (٧) من شهر محرم الحرام (١٤٠٨هـ).

كان الشهيد هشام مع زميلين له يرمون بالمدفع الهاون، وبعد الاستمرار في الرمي انفجر بهم المدفع، فاختار الله سبحانه عبده هشاما وجرح زميلاه.

كلمني أحد زميليه وهو عبد الله بن علي القبيسي عن صورة الحادث وشهد له شهادة يسأله الله تعالى عنها أنه شم من هشام بعد موته رائحة زكية لم يسبق له أن شم مثلها في حياته.

الجهاد: رزقكم الله بولدين، الشهيد هشام أحدهما، والآخر محمد (١١ سنة)، ماذا كنتم تتمنون لأبنائكم لو كان عددهم كبيراً؟

د. عبد الوهاب: الذي أرجوه من الله عز وجل لأولادي -قل عددهم أو كثر- أن يمنحهم الله تعالى العلم الذي يعرفون به غاية وجودهم في هذه الحياة، وأن يصدقوا في الالتزام بالإسلام عقيدة وعملاً، وأن يحملوا هذا الدين للناس، ليسيروا في نفس الطريق التي رضيها الله تعالى لأنبيائه ورسله، وهذا أمر أرجوه لكل شباب المسلمين، لأنه الطريق الذي لا خلاص للأمة بدونه، وقد كان الذي منحني الله عز وجل في ابني هشام فوق ما كنت أتوقعه، فما كنت يوماً ما أحسب أن الله عز وجل سيكرمني باختيار ابني شهيداً في سبيله، وهذه من أعظم منن الله علي التي تستوجب مني مزيداً من الشكر له سبحانه، فلله الحمد والمنة، ولعل الله أن يكرمني ويكرم أخاه بمثل ما أكرمه، ولعله سبحانه يكرم بناتي بأن يكن أمهات شهداء إنه على كل شيء قدير.

الجهاد: الشباب في عمر الشهيد هشام لهم اهتمامات غالباً ما تكون سخيفة، ناتجة عن تأثرهم بوسائل الإعلام المختلفة.. بجلساء السوء وانعدام التربية في مراحل التعليم.. وهذه النتيجة ترضي الصهيونية العالمية، وتعمل جاهدة لتثبيتها. كيف يمكن لفت نظر الشباب إلى الطريق الصحيح الذي يضمن لهم العزة والكرامة؟

د. عبد الوهاب: قد أخبر ﷺ عن تأثير عوامل التربية والبيئة على الناشئة تماماً، فأبناء المسلمين المفروض فيهم أن يسيروا على نهج السلف الصالح، وأن يعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وأن يعايشوا سيرة المصطفى وصحابته حتى يستوحوا منها المنهج الذي يوصلهم إلى ربهم، ويضمن لهم سعادة الدارين، فيعيشوا في قوة في إيمانهم، وسلامة في خلقهم، واستقامة في سلوكهم، وشباب اليوم هم الذين يعول عليهم في حمل أعباء الحياة في المستقبل، المستقبل ينظر إليه من خلال استقامة الشباب أوعدمها، فالشقاء في الأمة لا يأتي إلا من فساد النفوس وانحراف الأخلاق، فتضيع كل معايير الحق والعدل في الأمة، ويتحول الناس إلى وحوش، لا يسعدهم مال ولا حضارة مادية، لأنهم فقدوا أغلى ما يملكه الإنسان في هذه الحياة.

الجهاد: ما رأيك في حجم التبرعات التي يتقدم بها المسلمون في مواجهة متطلبات الجهاد واحتياجاته؟

د. عبد الوهاب: لا شك أن حجم المساعدات ضعيف جداً أمام متطلبات الحرب الشرسة التي يشنها الشيوعيون على العزل المستضعفين، ومتطلبات الحرب تتصاعد من يوم لآخر، فضحايا الحرب تتصاعد أرقامها، ومنكوبو الحرب من الجرحى والدمار للبيوت والتشريد تتصاعد أرقامها كذلك، والمهاجرون من الأفغان بلغوا الملايين، ومثل هذه المشكلات لا يحلها تبرعات الأفراد، أقل ما ينفع فيها وقوف الدول الإسلامية إلى جانب إخوانهم، مع هذا فإن هذه التبرعات لها تأثير طيب من ناحيتين:

الأولى: يشعر من خلالها المجاهدون بأن لهم إخوة في الدين، يعيشون قضيتهم، ويمدون يد العون لهم، ويواسونهم بقدر طاقاتهم، وهذا مفيد من الناحية المعنوية، فهو يشد من أزرهم، ويقوي عزائمهم على الاستمرار في الجهاد.

الثانية: أن الله عز وجل يبارك في هذه التبرعات على قلتها، لأنها تصدر من نفوس مؤمنة لا تبتغي بهذا العطاء سوى وجه الله سبحانه وتعالى.

الجهاد: بعض الآباء يخافون من ذهاب أبنائهم إلى أفغانستان خشية الموت، ما قولكم لهؤلاء؟

د. عبد الوهاب: هذه الخشية تتنافى مع عقيدة الإسلام، فالموت والحياة بيد الله عز وجل، والجهاد لا يقرب الأجل. كما أن القعود عن الجهاد لا يطيل العمر، وقد حذر الله سبحانه المؤمنين أن يقعوا فيما يقع فيه الكفار والمنافقون. فقال سبحانه في شأن الكافرين:

(يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزّى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم، والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير) آل عمران.

الشهيد أبو مصعب الفلسطيني:

أما أبو مصعب الفلسطيني (زكريا ...) فهو من مواليد الجزيرة، شب على القرآن، وتربى في المسجد في الطائف، وكان يحلو له أن يسمي نفسه أبا مصعب الطائفي، عشق الجهاد، كيف لا وقد أخرج من دياره وحرم من رؤية المسجد الأقصى، فقلبه معلق بالأقصى وبالإعداد له.

من قراء القرآن، انتظر أن يفتح الله باباً للجهاد ففتح له باب أفغانستان، لم يمض عليه سوى ثلاثة أشهر في أرض الجهاد، قضى منها شهرا ونصف في الإعداد، وشهراً ونصف في الرباط والجهاد.

نزل في موقع اليرموك في المأسدة مع الدكتور أبي هشام فارتفعت همته والتهب حماسه وتفجرت طاقته.

وفي صباح الخميس كتب عدة رسائل حيث يسافر الدكتور ليرسلها معه إلى أهله، وكتب فيها: (أرجو الله أن لا يمسي هذا اليوم إلا بعد استشهادي)، وكان الذي أراد زكريا، فما غربت الشمس إلا بعد أن بكت على فراقه ورحيله عن هذه الأرض.

ورائحة المسك يشهد بها كل الإخوة السبعة الذين كانوا في موقع اليرموك منهم أبو عمار وأبو الزبير الذي كان معه في اللحظات الأخيرة.

الشهيدان في عمر واحد: والعجيب أن هشام الديلمي وزكريا بنفس العمر في التاسعة عشرة من أعمارهما.

كان عابداً صائماً قائماً، فشهد له أقرانه بصيام الإثنين والخميس.

فهنيئاً لهما الشهادة ونرجو الله أن يتقبل الإثنين ويجمعنا بهما في الفردوس الأعلى.

رحلتم فكم باك بأجفان شادن ... عليكم وكم باك بأجفان ضيغم

وداعاً أبا مصعب (زكريا أبو الهنود)[1]

الحمد لله الذي أنعم علينا فاختار واحداً منا واصطفاه شهيداً.. الحمد لله الذي أحيا قلوب هذه الأمة بدماء هؤلاء الشهداء الطاهرة الزكية، فغدت لا تطيق صبراً عن أرض الجهاد والكرامة، وصلى الله على إمام المؤمنين وقائد الغر المحجلين... وبعد:

إخوة الجهاد في سبيل الله.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. من الطائف الحبيبة التي قدمت شهيدين من أبنائها هما الأخ/ أحمد الزهراني، والتي لا زالت أرجاء الطائف تتجاوب مع أصداء نشيده صباح مساء، والأخ العزيز زكريا (أبو مصعب) الذي ما أن علمت بنبأ استشهاده حتى أرسلت عيني دمعاً حاراً لا حزناً ولا جزعاً -معاذ الله-، فالشهادة أتمناها لي ولكل إخواني، ولكني تذكرت نفسي وتذكرت تقصيري والأيام تمضي والأحبة يمضون واحداً تلو الآخر إلى الله في مواكب الشهداء الأطهار.

أخذت بعدها أتذكر ذلك الشاب الذي لم يمض على فراقه سوى مدة قصيرة، أتذكر حماسه الذي تجلله هالة من الهدوء والطمأنينة.. تذكرت جده وبساطته، فكان -تقبله الله عنده- مثالاً نادراً بين أقرانه، كان فيه حماس الشباب المتدفق، وحكمة وهدوء الشيوخ والكبار. عرفته شابا صغيراً اتجه في سنواته الأخيرة إلى الله بنفس صادقة مطمئنة، وكأنني به يشعر باقتراب أجله. وكان كغيره من إخوانه يتوق للجهاد في سبيل الله ويتحرق لذلك. فقرر أن يذهب ويرى بعينه ما يحدث على أن يعود لإكمال دراسته بعد انتهاء الإجازة. وزاد من اندفاعه تلك الرؤيا التي رآها له أحد إخوانه في المنام. فقد رأى زكريا مضرجاً بدمائه قد قضى شهيداً في سبيل الله في أفغانستان، فما كان منه بعد أن سمع ذلك إلا أن حزم حقائبه ومضى في رحلته إلى الله.. ولقد نقل لي من رآه هناك أنه لم يكن يضيع أي لحظة أو فرصة للعمل، بل إن الأعمال التي كان ينجزها غيره في أشهر ربما أنجزها في أيام. وكتب أثناء فترة

[1]- مجلة الجهاد العدد ٣٦ ربيع الأول ١٤٠٨هـ نوفمبر ١٩٨٧م ص ٣٢.

تدريب رسالة لأحد إخوانه يحثه فيها على الجهاد، ويذكر له ما رأى وشاهد، وكان مما كتب في هذه الرسالة إن عداد الحسنات يعمر منا ليل نهار لا ينقطع، ولا عمل لعداد السيئات إن شاء الله.

وبعد أن انتهى من التدريب اتجه إلى جاجي، إلى حيث استشهد إخوانه. وقضى فيها أياماً جادة يعمل فيها بصمت وصدق وإخلاص، نحسبه كذلك والله حسيبه.

وحينما استروح عبير الجهاد والعزة كتب لإخوانه: أن أقبل ولا تتأخر، وأخذ يحثه على الجهاد، ويذكر له ما وجد من نعيم وراحة نفسية. وحينما دخل شهر محرم هذا العام وفي أول خميس منه وبعد أن فرغ زكريا من صلاة العصر مر عليه القائد وقال له: ما رأيك أن ترمي على الهاون؟ (ولم تكن نوبته إلا أنه كان يتقن الرماية عليه)، فاستجاب وأخذ مكانه وكان معه الشهيد أبو حمزة (هشام الديلمي) -رحمه الله- من اليمن. وحينما وضع أول قذيفة في الهاون انفجر الهاون انفجاراً شديداً فقذف بزكريا مسافة عشرين متراً في منحدر ولم يوقف اندفاعه إلا جذع شجرة، ولما وصل إليه إخوانه وجدوه قد أسلم الروح لباريها وقد تضرج بدمائه وبالتراب تماماً كما كان في الرؤيا التي رآها أخوه، واستشهد بعده بدقائق أبو حمزة. وشهد لي اثنان ممن رآه بعد صلاة المغرب من ذلك اليوم وهو مسجي قبل أن يدفن أنهما استروحا رائحة المسك الشديدة المنبعثة من زكريا وأقسما على ذلك. بل قالا زيادة في التثبت: فتشنا ملابسه خشية أن تكون في جيبه زجاجة طيب قد انكسرت فلم نجد شيئاً. وقال لي من قام بإدخاله إلى قبره: والله لقد رأيت لوجهه نوراً ما رأيته عليه من قبل.

وكان رحمه الله قد كتب ليلة استشهاده رسالة لأحد إخوانه في الله يطلب منه أن يأتي ولا يتأخر، ويذكر له ما وجد من عزة في الجهاد، ويذكر له طرفاً مما يحدث للمجاهدين من أعدائهم، وأخبره فيها أنه قرر أن لا يدرس السنة القادمة، وأنه سيقضيها أيضا في الجهاد. رحم الله أبا مصعب، فلقد ذهب هو وأخوه أحمد بقطع من قلوبنا معهم.. وتقبلهم وجميع الشهداء عنده سبحانه.. وألحقنا بهم وجمعنا بهم في الجنة، والحمد لله رب العالمين...

أخوكم / الواثق بالله أبو عبد الرحمن الطائف

تألق فرسان الجزيرة [1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لانبي بعده.

إن الناظر في أرض النزال فوق أرض أبي حنيفة النعمان ليجد دماً غريباً بين المجاهدين الأفغان معظمهم من أرض الجزيرة، وقد بدا طرفا الجزيرة الآن شمالها -أرض الحرمين وجنوبها -أرض اليمن والإيمان والحكمة- وكأنهما فرساً رهان في عدد المجاهدين الذين نفروا إلى الله وهم يسمعون صيحات الله أكبر تدوي فوق ذرى الهندوكوش.

ويحاول أبناء اليمن أن يزحموا أبناء الحرمين هذا الشرف العظيم الذي تخلت عن نيله الأمة الإسلامية التي كادت تنسى فريضة الجهاد (القتال) في سبيل الله.

إلا أن قصب السبق لا زال في يد أبناء الحرمين الذين فازوا بتقديم ستة عشر شهيداً في ميدان البطولة وساحات الرجولة، وأما أبناء اليمن فقد بدأوا يزاحمون إخوانهم عدداً بعد أن ألقى (الشيخ عبد الله الأحمر) بثقله في هذه الساحة حين رجع من زيارته الأخيرة لمعسكرات المجاهدين وكأنه شعلة مضطربة ونار ملتهبة، ففتح مضافته التي تصل إلى خمسين متراً ليبث التلفاز فيها صور البطولة والفداء ويحكي قصص العزة والإباء.

وبدأ يدعو إلى المشاركة بالنفس والمال في هذا الجهاد الذي شرف الله به جبين الإمة الإسلامية وأحيا به مواتها. وقد انتفض غاضباً كالليث وهو يسمع احتجاز بعض الشباب الذاهب إلى المعركة وأطلقهم، وأعلن أنه سيجهز الغزاة النافرين في سبيل الله ويكفل أسر شهدائهم.

ومن بين الشهداء الذين وفدوا إلى الله في الشهر الأخير ثلاثة: اثنان من أبناء الجزيرة وثالثهم من مهاجر أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام من أرض الشام.

١- مجلة الجهاد العدد ٣٩ جمادي الثانية ١٤٠٨هـ فبراير ١٩٨٨م ص ١٨.

أبو شهاب (شاكر حسن قرشي)[1]:

قريباً من مسجد ابن عباس رضي الله عنه ولد هذا الليث، وترعرع فوق أرض الطائف، حصل على الشهادة الثانوية ثم توجه إلى أمريكا يحقق طموحه في نيل شهادة دارسيه منها، وهناك استعصى على حوامض الجاهلية الغربية أن يذوب فيها، بل وعلى العكس من هذا قبض على دينه كالجمر، وبدأ يبحث في هاجرة الجاهلية اللافحة هناك عن واحة يتفيأ ظلالها، وعن سفينة ينجو من خضم الفتن المتلاطمة في (عاصمة الشيطان) في الأرض.

وفي تلك الصحراء المقفرة انطلق يدعو إلى الله من خلال رابطة الشباب المسلم العربي، وبقي سنتين في أمريكا لا يكل عن الحركة، ولا يفتر عن الدعوة، ولكن نفسه ضاقت ذرعاً بالحياة الناعمة الهادئة -حياة الهمبورجر والكوكا-، فطلق أمريكا ثلاثاً لا رجعة فيها وعاد إلى أرض الحرمين حيث عمل في إحدى مؤسسات الدولة، ولكن عينه لا تغمض عن الأحداث المدوية على ضفاف كونر، فأزيز الرصاص ودوي المدافع ودخان القذائف يقض عليه مضجعه خاصة وقد اقتنع بالحكم الشرعي للجهاد الآن في أفغانستان: (فرض عين بالنفس والمال ولا إذن للوالدين)، كيف لا وشيخ الإسلام ابن تيمية يقول: إذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب، إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلد الواحد، وأنه يجب النفير إليه بلا إذن والد ولا غريم) الفتاوى الكبرى (٦٠٨/٤).

فبات يحدث نفسه بالجهاد، وبدأ يمزق الحبال التي تشده إلى الأرض، ويتخلص من القيود التي تثقل رجليه في داخل مستنقع الطين.

وجاء شاكر ويسمي نفسه (أبا شهاب)، وهو شهاب محرق للأعداء، ومنير للطريق إلى الله، وكم تحس وأنت تستمع اليه أنك جالس مع إنسان ناضج يدرك أبعاد المؤامرة على الإسلام.

رأيته في المعسكر في صدا دائب الحركة، صامتاً، كلامه عمل، ما رأينا له مخالفة لأمير، ولا مشاكسة لرفيق طريق، ولا مضايقة لأخ من إخوانه.

وقد حفظت اسم أبي شهاب من أخيه عبد الرحمن النجدي طالب الهندسة الذي توجه إلى بلخ، ولذا كان يردد (جئت لأتلقاها رصاصة ههنا فاندخل ههنا) وهو يشير إلى قلبه وإلى السماء.

قال لي عبد الرحمن: نريد أبا شهاب أن يرافقنا في مسيرتنا إلى بلخ.

وقضى الله أن يسير عبد الرحمن ليخلف وراءه في المعسكر أبا شهاب، لأن الله عز وجل يقول **(قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم)**. لقد قدر الله أن يكون مصرعه ومضجعه هناك في جبال خوست.

وجاء **أهل شاكر**: وذات ليلة وإذا برجلين يبدو عليهما الوقار وتعلوهما الهيبة يدخلان علينا في صدا، والتقيت بهما مع شاكر كان أحدهما والده والآخر خاله، فأما خاله فيعمل موجها تربويا في الطائف.

ودار الحوار بينهم، وحاولا أن يرجعاه ليرى أمه التي أذهلها المرض في المستشفى، وبعد حوار عنيف حظياً بوعد منه أن يرافقهما إلى بيشاور ليتصل بأمه ليطمئنها. وفي الصباح قلت لهم وهم يغادرون المعسكر: لا تحرموا ابنكم الجنة، ولا تحرموا أنفسكم الشفاعة. ومضى شاكر إلى الله عن عمر يناهز السادسة والعشرين.

شاكر والحور: كان شاكر يحلم بالشهادة دائماً ويتحدث عن الحور، وأحياناً قد ينام متأخراً فيوقظه أبو خالد القطري إلى الصلاة فيرفع الغطاء ببطء فيقول له أبو خالد: أنت تقوم متباطئاً والحور تناديك وتنتظرك، فيهب سريعاً قائلاً: قد أقبلت قد أقبلت، انتظروني.

رحلة الشمال: وبدأ شاكر يعد نفسه لرحلة الشمال مع إبراهيم نحو بدخشان، إلا أن أحداث خوست عاجلتنا ونفرنا إليها، وقد اشترك فيها أكثر من مائة وخمسين شاباً عربياً، وكان أبو شهاب من بين هؤلاء، وهناك في ستي كانداو حيث استحالت الأرض براكين متفجرة والسماء إلى حمم وشهب منقضة.

---

(١) مجلة الجهاد العدد ٣٩ فبراير ١٩٨٨م ص ١٨

رابطة شاكر مع إخوانه: وكان شاكر مع القدر الذي ينتظره، وجاءت القذيفة التي طالما تمناها وحلم بها قذيفة (BM41) فأصابت رجله إصابات بالغة، وكذلك إصابات في صدره، وجرح معه أربعة.

كرامة عجيبة: حصلت لشاكر كرامات عجيبة منها:

١- أنه عندما أسلم الروح كان واضعاً يده على جرحه، فأنزلها الإخوة وأسبلوها على جانبه، ثم تركوه لشدة المعركة ولتعبهم، وبعد ثلاثة أيام عادوا إليه فوجدوه قد أعاد يده ووضعها على مكان الجرح.

٢- عادوا إليه بعد ثلاثة أيام وكان الزمهرير شديداً والبرد قارساً والمفروض أن الميت بعد قليل يتصلب، فكيف في جو يتجمد فيه الماء في لحظات؟ فوجدوه ليناً يتثنى كأنه نائم.

٣- رآه أحد الإخوة العرب في المنام مدفوناً على يمين رسول الله ﷺ، فحلفت الشاب الذي رآه في المنام على صدق الرؤيا فحلف على ذلك.

تلقي أهله لخبر استشهاده: اتصلت زوجتي بأمه فكان رد أمه: (إني صابرة محتسبة، وهذا شرف عظيم لنا، لن أبكي، وسأمنع النساء أن يبكين في المجلس) وأما والده فقال: نأمل من الله أن يكون قد نال الشهادة حقاً حتى يشفع لنا يوم القيامة.

قرأت في مذكرته: اللهم شجع جبناءنا، واجعلنا مع شجعاننا، وألحقنا بشهدائنا.

الشهيد حمزة (جبران شريف ناصر)[1]:

فر من جحيم الجاهلية المتلظى في ديترويت في دير بورن (المولد العزيز)، وعندما علمت باستشهاده وأنا في الولايات المتحدة أزمعت على السفر إلى ديترويت لأهنئ أمه وأباه ويممت شطر ديترويت حيث تقيم أمه وأبوه، وخطبت الجمعة هناك، وبعد الصلاة طلبت والده والتقيت به في غرفة في داخل المسجد وهنأته بشهادة ابنه، فكان صابراً محتسباً ما تفوه ببنت شفه إلا أن قال: (الموت والحياة بيد الله والقدر بيده)، ووالده تبدو عليه البساطة الفطرية.

وبعد العشاء وبعد أن ألقيت محاضرة في المسجد أسررت في أذن إمام المسجد محمد موسى (الرجل الذي يحظى باحترام الجميع، وتبدو عليه الرزانة والوقار، مع علم واعتدال دون إفراط ولا تفريط، وهو يمثل المنارة التي يلتف حولها أبناء الجالية الإسلامية واليمنية بالذات) فقلت للشيخ: نريد أن نذهب نهنئ ونواسي أم الشهيد.

وتوجهنا نحو منزل أمه، ودخل الشيخ محمد موسى أمامي، وكنت أظن أمه قد علمت من والده، ولكن الشيخ قال لي: إن أمه لم تعلم من قبل باستشهاده، وقد كانت الوالدة: صابرة محتسبة، لم تنبس ببنت شفة سوى أن قالت الحمد لله، رضينا بقدر الله، أما شقيقته فقد انفجرت باكية.

ثم حدثت والدته قصة جبران معي قلت: رأيته مشرق الوجه كأنها إشراقة الشهادة، وضياء رأيته مشرق الوجه قبل اللقاء، فاقتربت منه من بين السبعين شاباً وسألته ممن الشاب؟ فقال من اليمن وأهلي يقيمون في ديترويت، (ففررت إلى الله) من أمريكا إلى اليمن ثم إلى السعودية، وأخيراً سعيت لأؤدي فريضة الجهاد في أفغانستان وأطلت معه الحديث ولا أدري لماذا اخترته من بين الجموع، وكان هاتفاً يهتف في أعماقي أن هذا مسافر ماض من الدنيا، فاستمتعت بالحديث إليه قبل أن يودع الدنيا، وأظنني ودعته قائلاً: أرى نور الشهادة على وجهك.

قالوا الحقوق فقلت لفظ لم أجد	*عنه كألسنة اللهيب معبراً*
الحرب جند يصبرون على الطوى	*يوم اللقاء ويلبسون الفيبرا*
ويرون جوف الرمل أجمل فندق	*وروائح البارود تنفح عنبرا*
ويرون أن من استبيح له حمى	*يلقى المنايا أو يعيش محررا*

الرؤيا الحقة: كثير من الإخوة يرون أنفسهم مع الحور العين، أو يراهم إخوانهم مع نساء جميلات قبل الشهادة فيستبشرون بالشهادة، وقد حصل هذا مع كثير من الإخوة مع أبي دجانة ويحيى سنيور وأبي عاصم وعبد الوهاب الردة الغامدي وسعد الرشود

(١) المصدر السابق ص ٢٠.

وأبي عبد الحق وكثيرين آخرين من العرب والأفغان.

وقد رأى جبران نفسه مع امرأة جميلة، فبشر إخوانه أن الشهادة قادمة، وقد رزقه الله الشهادة ونرجو الله القبول.

الشهيد أبو جعفر الشامي[1]:

وشهيدنا هذا أكبرهم سنا، فهو في الثلاثين من عمره، ويختلف عن سابقيه أنه خلف وراءه أرملة مع ابنتيه وولد.

فر من الدنيا إلى الله، رأى الطاغوت النصيري جاثماً على صدر هذا الدين يريد اجتثات جذوره من أرض الشام، وشارك بجهد المقل هناك، ثم أقبل إلى هنا إلى قندهار البلدة المعروفة بالتزامها الإسلامي، وبحصانة نسائها، وبكثرة علمائها، البلد الذي قدم حوالي ألف شهيد وهو يدافع عن النقاب الذي يغطي وجوه المخدرات والعواتق عندما سير له الملك ظاهر شاه جيشا لجبا بقيادة خان محمد وهو يعلن انتهاء عهد الخمار إلى الأبد.

أبو جعفر وأخوه في أرض المعركة: وأقبلا إلى هنا إلى أفغانستان طمعاً في الذود عن حياض الإسلام وحرمات المسلمات.

وصل أرض المعركة ومكث تسعة أيام فقط كان يردد أثناءها:

جاهد بالله أخيه	*جاهد إن كنت تقيا*
تملك آفاق الدنيا	*وتلاقي الله رضيا*
جد بالمال وبالنفس	*إن تطمع بالفردوس*
فهناك أحلى عرس	*المؤمن والحورية*

المعركة النهائية: وعلم بمعركة قادمة ولكنه كان بين مجموعة من الإخوة العرب، فخشي أن لا يسمحوا له بدخول المعركة، وانتقل إلى قائد آخر، وأعد القائد الثاني لعملية ورفض القائد أن يدخله فيها، فجاء بأبي خبيب من الإخوة القدماء في المنطقة وأصر على القائد بالدخول.

وسارت المجموعات حيث تفتح الجنة أبوابها لتلقى الذين يختارهم الله شهداء، وانتقل إلى المجموعة الأولى المهاجمة، وهرع أخوه ليخبره أن مجموعتهم متأخرة، إلا أنه غاب عن ناظري أخيه لعله ينال الشهادة **[آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أوفزعة طار اليها يبتغي الموت مظانه]** إنه يبحث عن الموت في المواطن التي يظنها فيه.

الإصابة: كان القصف على المجاهدين جد شديد، وانسحب المجاهدون، وفي أثناء الانسحاب أصابته قذيفة (R . P . G.7) في يده اليمنى، كما أصابته بحروق في صدره، ولم يكن بجانبه غير شقيقه الذي أصيب في يده، فحمله وخرج به من أرض المعركة والدم ينزف منه ولمدة خمس ساعات حتى استشهد.

كرامات: قال أحد المجاهدين: رأيت نور الشهادة على وجهه ولكني لم أخبره، واستنار وجهه بعد الشهادة وأصبح كأنه النور.

والحمد لله، لقد كانت شهادته يوم الجمعة (١٨/١٢/١٩٨٧م) وهو سيد الأيام، وقد حزن عليه المجاهدون حزناً شديدا كأنما عاش بينهم دهراً رغم أنه لم يعش بينهم سوى تسعة أيام، كان دائم الابتسامة، مرحاً، قريباً إلى النفوس، محبباً إلى القلوب، ولذا مضى وأخذ معه القلوب.

ونحن نضرع إلى الله أن يتقبل شهداءنا، وأن يلحقنا بهم في الفردوس الأعلى، وأن يمن على الأمة الإسلامية بنصر عاجل قريب، وأن يقرّ أعين المؤمنين بنصرة الإسلام في أفغانستان وفي فلسطين، وأن يسعد البشرية بالهدية التي تنتظرها بفارغ الصبر ألا وهي (دولة الإسلام).

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك.

---

(١) المصدر السابق ص ٢١.

تسلل الدم حتى عانق الكلمات:

وصية الشهيد أبي جعفر وجدت في جيبه وقد خضبتها الدماء:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وقائد المجاهدين، السلام عليكم ورحمة وبركاته:

أكتب هذه الوصية... نفسي وإياكم بتقوى الله في السر والعلانية، والنهي عن معاصيه والعمل بطاعته، وجعلني الله وإياكم إن شاء الله عباد الله الصالحين، أوصي والدي ووالدتي بتقوى الله والصبر، أن الموت حق والأجل من عند الله وأن لا تحزنوا ولا يتقبلوا عزاء لأن الشهيد عند ربه حي يرزق، وأن تعرفوا مكانة الشهيد وما له من محبة من الله وأوصيكم على أولادي أن تربوهم على تقوى الله وأما زوجتي فهي تعرف أن الجهاد فرض عين وجزاها الله ألف خير على صبرها وحسب أمرها عند الله، وما أطلب منها إلا تقوى الله وتربية الأولاد على الإيمان والتقوى والجهاد، وتحث ابنها كما حثت زوجها على الجهاد، وأن تربي بناتها تربية إسلامية وتزوجهن من مجاهدين، وأرجو منها السماح، ولها الحرية في نفسها أن تفعل ما تريد، وأما أقربائي وإخواني فأقول لهم نصيحة وللشباب خاصة إن الجهاد ذروة سنام الإسلام، وهنا في أفغانستان يرى بأم عينيه حياة الجهاد والصبر، وأقولها أن كل من يستطيع أن يجاهد وهو جالس بجوار بذخ الدنيا فهو آثم، فيا شبابنا وإخواننا هبوا لنصرة دين الله، إن المجاهدين في أفغانستان حين يرون مدداً عربياً لهم تشتد عزيمتهم ويستحيون أن يتركوا جبهات القتال والذهاب إلى أهليهم. وبالنسبة لما أملكه فهو في وصية أخرى موجودة لدى زوجتي فيها توضيح لذلك، وأرجع وأقول: لا تحزنوا واصبروا، وإن شاء الله يا زوجتي ستكونين أميرة الحوريات العين بإذن الله هناك دار الاستقرار لأننا نقول لا إله إلا الله، نصيحة للشباب في بلادي يا شباب إن أعداء الله في كل مكان والجهاد يسمى في... فتعالوا إلى أرض أفغانستان بدلاً من الجلوس في الترف وملذات الأكل واللباس وجزاكم الله كل خير فها هو كما تعلمون جهاد في أفغانستان في الفلبين وأرتيريا ومصر وفلسطين فالعدو واحد، هبوا للجهاد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم العبد الفقير إلى الله تعالى

أبو جعفر (١٩٨٧/١٢/١٦م)

من أسد الله... إلى شقيقه أبي جعفر:

أخي الشهيد، ونحسبك عند الله كذلك، يا ابن أمي ورفيق الطفولة والصبا والشباب، والعمل والجهاد... جمعتنا أخوة الرحم.. وأخوة الجهاد.. ولقد اجتمعنا على الله وها نحن نفترق عليه. أنت قد رحلت في زورق الدماء وأنا خلفك. نعم قد تأخرت عنك.. لكني إن شاء الله لن أترك هذه الطريق.

لقد أتيت يا أخي من بعيد، وبعد أن عرفت أن الجهاد فرض عين ولم تؤول ما عرفت، ولم تبحث عن مبرر القعود.. قد كنت أرقبك وأحس بما تحسه، وأشفق على قلبك الذي أصبح بركاناً لا يهدأ.. فصرخات الأطفال وبكاء اليتامى وأنين المرضى وصيحات النساء قبل الموت أو السبي كل هذا كان يحرق داخلك، وكنت لا تهدأ إلا حين تسمع صيحات الله أكبر، وترى انتصارات المجاهدين عبر شاشة (التلفاز).. وها أنت قدمت بعد أن دفعك قلبك، وها أنت تحمل روحك وتقتحم أفغانستان لعلك تنقذ ما يمكن إنقاذه.. تركت زوجتك وأولادك.. تركت خلفك فتن الدنيا وإغراءاتها، وأيضاً تركت شباباً أضاعتهم الدنيا، حيث لم يعد لهم أمل إلا اللحظة التي يعيشونها، بعد أن تركوا ذروة سنام الإسلام.. وتركت هذا وأتيت هنا طالباً حياة العزة، وأن تسقي روحك إباء الجهاد التي افتقدناها في هذا الزمن.

هل تذكر عندما حملت الرشاش الروسي الذي غنمه المجاهدون وذهبت لمقابلة العدو بسلاحه.. لقد رأيتك في تلك اللحظة شامخاً، وعلمتك جندياً من جند الإسلام، رأيتك بعمامتك السوداء فقلت: ليت إخواننا يعلمون.

لقد قضيت بين إخوانك الأفغان أياماً معدودات فأحبوك لمرحك وابتسامتك، فأخبروني بأنهم رأوا في وجهك نور الشهادة.. كنت لا أصدق أنك ستمضي بهذه السرعة.. لقد قاسيت برودة الشتاء، وتقاسمت مع إخوانك الخبز والشاي وغذاءهم المعتاد (البطاطس)، تقاسمت ضحكاتهم وآلامهم وحزنهم.. ثم رحلت.

لقد سقطت أمامي في أرض المعركة، ودمك الطاهر يسيل.. قلبي يرى ذلك قبل عيني.. وحملتك على يدي، وذرفت دموعي.. ليس لانقضاء أجلك، ولكن لأنني فقدت أخاً حبيباً، وصديقاً عزيزاً على قلبي.. كان ينصحني، ويؤثرني على نفسه.. قضيت معه كل

طفولتي وشبابي.. فقدت ابتسامتك لي وقت المحن.. لقد اختارك الله وقبلك وما قبلني رغم أني كنت وإياك في وقت الشهادة في خندق واحد.. أنت صرت في الراحة والجنان.. وأنا بقيت في دنيا زائلة، القاعد فيها خير من *الواقف*.. وكل أملي ودعائي أن ألحق بك.

أخي: لقد أصبحت فخوراً بك.. بشهادتك، لقد أصبحت هنا أعرف بأخي الشهيد.. لقد نسي الناس اسم الحي، ولم ينسوك!! هل تعلم أن الشباب الذين كنت تعرفهم عندما علموا باستشهادك في أرض العزة والإباء استيقظوا من غفلتهم ولزموا طريق الحق، وأصروا على اللحاق بك.. لقد أرشدت بدمك من لم ترشد الكتب ولا الخطب، وبنيت بجسدك جسراً يعبر عليه هؤلاء الشباب إلى أرض الجهاد.. ولقد تعاهدنا على أن نسقي شجرة الجهاد بدمائنا، ونمد من أجسادنا معابر لكل شباب العالم الإسلامي.

أخي الحبيب: لا تظن أنني تراجعت بعدك أو لانت عزيمتي أو أني فكرت بالتباطؤ.. كلا إنني أشهد الله أني على دربك سائر، وسأمزج دمي بدمك بإذن الله، وندعو الله لك ولكل شهيد أن يسكنكم فسيح جناته.

أخوك: أسد الله

رسالة من زوجة الشهيد أبي جعفر:

قال تعالى: **(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون)**.

إلى إخواني المجاهدين على أرض أفغانستان المسلمة، وإلى كل زوجة استشهد زوجها في سبيل الله لإعلاء كلمة الله.

لقد بلغني خبر استشهاد زوجي في جبهة القتال ضد الغزاة الروس إلى جانب إخوانه المجاهدين في معركة قندهار، مما أثار في نفسي بعض الحزن في بادئ الأمر، ولكن سرعان ما أنزل الله على قلبي برداً وسكينة.

فأصبحت أحمد الله على ما ناله، وفوزه بالجنة والشهادة في سبيله، وتذكرت ما أعد الله للشهيد من أجر وثواب، وذلك في قول قائد المجاهدين رسول الله ﷺ: **[للشهيد عند ربه ست خصال: يغفر له في أول قطرة من دمه، ويرى مقعدة من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويؤمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج باثنتين وسبعين من الحور العين ويشفع في سبعين من أهله]**.

إخوتي المجاهدين في كل مكان.. إن هذا العمل الذي قام به زوجي وأدى واجبه تجاه ربه ودينه يشرفني أنا وأولادي وأهله.

وليشهد الله على ما نويت بتهيئة أولادي الثلاثة ليلحقوا بدرب أبيهم وإخوانهم المجاهدين، فهنيئاً لك يا أفغانستان بهذا الجهاد، وهنيئاً لنا في هذا الشهيد الغالي.

أننا ندعو الله أن ينصركم ويثبت أقدامكم في هذه المعركة، والنصر حليف المؤمنين، فتذكري يا أختاه ما أعد الله للشهيد الذي يقاتل في سبيله، ولنقدم أرواحنا، ولنهيء أبناءنا للجهاد في سبيل الله.

وبذلك يتم النصر بإذن الله ويدحر الكافرين والمشركين، سائلين الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المجاهدين في سبيله.

قال رسول الله ﷺ: **[أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت]** والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أختكم: أم جعفر

أصداء الشهادة: (١)

إلى الإخوة القائمين على مجلة الجهاد:

لقد راودتني نفسي أن أكتب إليكم نبذة عن الشهيد أبي جعفر لأنه كان في حياته يرفض الحديث عن أي عمل أو نشاط له ولكنه الآن في الفردوس الأعلى -إن شاء الله- وليس عليه أي اثم أو تبت بما ينشر لأن مصلحة الجهاد فوق أية مصلحة فذلك لا لشهرة، بل لما نعرفه في فائدة تعود على المسلمين ليكون مشعلاً وقدوة تنير درب الأجيال المتعاقبة لرفع راية الجهاد ولاعادة الخلافة إن شاء الله على الأرض، وقد نشرتم ذلك فقد كان خبر استشهاده مؤثراً جداً لما له من علاقات اجتماعية كثيرة في مجال عمله وأقربائه وحين بلغ

---

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٣ ص ٤٥ شوال ٨-١٤هـ يونيو ١٩٨٨م.

ابنة أخيه -طالبة ابتدائي- كتبت بعض السطور المعبرة في رثائه ووعدها بمتابعة الطريق رغم أنها ليس لها أية محاولة كتابة سابقاً.

أخوكم/محمد صادق

إلى شقيق الشهيد

أخي في الله أبو عبدالحكيم:

لقد تنبأت خبر استشهاد زوجي في جبهة القتال وسرعان ما أثر ذلك في نفسي ولكن أنزل الله على قلبي برداً وسلاماً عندما تذكرت ما أعد الله للشهيد وأهله يوم الآخرة في الجنة. وإنني أهنئك في شهادة شقيقك أبي جعفر. الحمد لله الذي كتب له الشهادة. وإن هذا والله ليشرفني أنا وأبناء الشهيد ويرفع رأسنا جميعاً طول الحياة فما عليك إلا أن تفرح بشهادته وما ناله من الله تعالى سائلين المولى أن يجعلنا في هذا الطريق لرفع كلمة الله والنصر حليف المؤمنين. وفي الختام الصلاة والسلام على سيد الأنام.

زوجة الشهيد

عهداً يا شهيد

شهادة اسلامية.. لا قومية لا غربية لا شرقية..

اسلامية.. اسلامية.. يتمنى حور العين.. من جنة الفردوس.. شهيدنا اليوم يبكينا ويفرحنا.. في جنة النعيم.. مع الأبرار.. مع الشهداء.. شهيدنا اليوم.. حي في الجنة.. عهداً يا شهيد... أنا على الطريق.. جيلاً بعد جيل.. نسير إلى الأمام.. لتعلو راية الحق.. الله أكبر لتزول الحدود والطواغيت. عهداً يا شهيد.

ابنة أخيك (ذات النطاقين) طالبة ابتدائي

صقور مهد الرشيد[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فإن الشباب المسلم في سائر العالم الإسلامي الآن تتنازعه أشواق، وتحفزه رغبات قوية تقطع الجواذب التي تشده إلى الأرض، وتنشله من وهدة الحياة الرتيبة الغارقة في صنوف النعيم، وشتى أنواع الترف. النفوس تهفو إلى الجهاد، والأرواح ترفرف تريد الوصول إلى أرض الشرف والنزال. ويعيش الشباب بين هذه الأشواق المحلقة وبين حاجات الحياة اليومية التي ربطته بها القيود الثقيلة من خلال الوظائف الحكومية والشركات الأهلية والدراسات التي تستنزف طاقات العمر، ومع هذا فقد استطاع كثير من الشباب أن ينتشل نفسه من هذه الحياة الهادئة الوادعة ليعيش مشاكل المسلمين ومحنهم بأعصابه وقلبه وماله.

ورغم المحن التي حلت في أصقاع العالم الإسلامي وما تعانيه الأقطار في بلاد المسلمين من رزايا ناءت بحملها الشعوب إلا أن الشجى يبعث الشجى، والجراح تنكأ الجراح، وكم من باكية على ميت لا يمت إليها بصلة قرابة ما أنزل عبراتها وما أهمر دموعها سوى الأشجان لميتها الذي وارته الثرى منذ زمان.

والأشواق إلى الجهاد الأفغاني تؤرق أجفان المحبين، ونار الغرام في الصدور للمشاركة في ميدان الشرف يلهب المشاعر، ويرفع الاهتمامات، ويقطع جذور الانشغال بالحياة، ويحطم القيود، ويمزق روابط الأثقال الجاذبة إلى الأرض.

وبلاد الرافدين من اكثر بلاد الإسلام ابتلاء، وأشدها مصائب، وأفدحها خسائر عبر التاريخ الإسلامي كله، وحسبك بمأساة التتار سنة (٦٥٦هـ) حيث سقطت دار الخلافة وذبح من المسلمين ما لا يقل عن ثمانمائة ألف حسب أقل الإحصائيات التاريخية لتلك الحقبة.

وأما داهية الثمانينات التي حلت بالعراق فحدث عن المآسي ما تشيب له النواصي في فتنة عمياء أمسى فيها الحليم حيراناً، وهذه المصائب التي ألمت بهذا الجزء العزيز من أرض الإسلام لم تنس الشباب واجبهم تجاه الجهاد المبارك المشرف الذي تجري فصوله الرائعة أحداثاً دامية فوق أرض أفغانستان، وممن قدموا إليه وشرفهم الله بالقتال والاستشهاد في سبيل الله:

---

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٠، رجب ١٤٠٨هـ مارس ١٩٨٨م.

الشهيد محمد فاروق (علي مصطفى):

ولد الشهيد في منطقة كفرى التابعة لمحافظة كركوك سابقاً سنة (١٩٦١م)، وهو من أسرة فقيرة جداً، وقد تابع دراسته رغم الظروف القاسية التي مر فيها.

وقد شب داعية إلى الله، ونال بعض الابتلاء الذي هو سنة أصحاب الدعوات: **(أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون)**.

وألقي في غياهب السجون قرابة عام حيث حفظ شهيدنا عشرة أجزاء من القرآن، وضرب مثلاً رائعاً بالتضحية والإيثار لإخوانه الذين يشاركونه المحنة، وكان يصوم الإثنين والخميس.

ويحدث عنه صاحبه الذي يشاركه لأواء الطريق: (كنت عندما أنهض لبعض الحاجة في جوف الليل أراه في الغالب إما قارئاً للقرآن أو قائماً يصلي).

كان شديد الشوق للجهاد، ولذا صمم على ترك أرض العراق إلى موطن يشم فيه رائحة الجنان ويعيش تحت ظلال السيوف.

درس في المعهد الطبي، وكانت نفسه تراوده كثيراً أن يدع الدراسة ليواصل مسيرة العرق والدم، ولكنه -وتحت إلحاح إخوانه- أكمل الدراسة لتكون خدمته للجهاد أعمق أثراً.

ولقد كانت مجموعة تبحث عن مخرج في أعماق هذا الليل الدامس، وذات يوم وإذا بأمير هذه المجموعة يفاتحهم أن المال الذي بين أيديهم قد نفد، ولا بد لأحدهم أن يغامر حتى يحضر لهم مالاً، وما تحرك أحد لأن الموت يرقبهم في كل مرصد، والمنون تنتظرهم عند كل مفرق طريق، إذ لم يكن مع أي واحد منهم ورقة تثبت هويته وتحدد شخصيته، وأي واحد منهم معروف من قبل السلطات التي تطاردهم، فليس له مصير سوى الموت الفوري.

وهب علي يحمل على عاتقه مسؤولية إنقاذ إخوانه، وقرر تنفيذ أمر الأمير، ويذكرني هذا الموقف بموقف حذيفة بن اليمان ليلة الأحزاب عندما انتدبهم رسول الله ﷺ أن يخرج واحد منهم ليرى خبر الأحزاب فلم يتحرك منهم أحد.

ويتحرك علي ولم يكن يحمل في دقات قلبه إلا ترقب الموت.

يحدث صاحبه قائلاً: كنت معه في السيارة حيث وقفنا عند نقطة التفتيش المهمة، فسألته ماذا عندك؟ فأجابني ليس عندي سوى التوكل على رب العالمين وتفويض الأمر إليه، ولقد طلب منا رب العزة الإعداد فأعددنا ما استطعنا، ولم أستطع أن أعد من الوسائل المادية شيئاً، وليس لدي سوى الإيمان برب العالمين.

لقد أحدثت هذه الكلمة دوياً هائلاً في أعماقي، وتركت أصداؤها أثراً بالغاً في فؤادي.

لقد كان التفتيش شديداً في هذه النقطة عن الهويات والحاجيات، وما هي إلا لحظات وإذا بيد مسؤول النقطة تشير للسيارات كلها بالعبور دون تفتيش، فكان هذا هو التفسير العملي لقوله عز وجل: **(ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً)**.

ووصل الشهيد إلى أرض إيران ثم اخترقها إلى حيث تمتزج البطولة بالدماء وبالحديد، ووصل هرات، وبدأ يزاول الطب فوق أرض المعركة، وهنا في أرض الرازي وابن حبان صمم على الموت.

فأثبت في مستنقع الموت رجله — وقال لها من تحت أخمصك الحشر

تردى ثياب الموت حمراً فما دجى — لها الليل إلا وهي من سندس خضر

حتى لقي الله ولحق بمن سبقه على طريق الله مع أولئك النفر الذين تنتشر أجداثهم (قبورهم) في أرجاء أفغانستان شهادة أمام الله ثم أمام التاريخ أن هذا الجهاد جهاد إسلامي عالمي، وليس قتالاً قومياً، وإن كان لأبناء أفغانستان القدح المعلى في التضحية والإيثار والصبر والإباء والجماجم والأشلاء.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

قافلة الغرباء(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

ومكذا مع قافلة الغرباء التي تنهب طريقها إلى ربها لحقت باقة جديدة بهذا الركب الغريب، غرباء في تفكيرهم، غرباء في اهتماماتهم، غرباء عن أصحاب دنياهم، طلقوا الدنيا التي فتنت ألباب الكثيرين، عافوا الزينة التي تهافت على حطامها فراش النار. غرباء عن مسقط رؤوسهم، فطوبى للغرباء، العيون ترمقهم من بعيد إكباراً وإجلالاً، وبعضها تذرف عليه الدمع رثاء وإشفاقاً، القلوب تود لو انشقت فضمتهم بين حناياها، والصدور تتابع التقاط أنفاسها شغفاً في معرفة محطتهم الأخيرة.

غرباء سعداء بغربتهم، مطاردون من قبل الذين يحسبون كل صيحة عليهم، ومع هذا فهم في غمرة النشوة وهم يشقون طريقهم في صحراء الجاهلية المقفرة، كل واحد يترقب منيته بين طرفة عين وانتباهتها، يحرصون على الموت كما يتكالب أهل الدنيا على الحياة. (فوق صهوة جواده يبتغي الموت مظانه).

مجاهدون في العلا على المدى مجاهدون　　　لنا أزمة الردى وفي الكفاح صامدون

ولقد طالت الحياة وتجاوز العمر الخامسة والأربعين، وكنا نود لو لقينا أحبابنا قبل سنين، إنها حياة طويلة تلك التي تفصلنا عن الحور العين، وتحجزنا عن جنات النعيم، وإن كان البعض يحس أنه في الجنة قبل أن يدخلها **(إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة)**.

الشهيد مرزوق(٢):

لحظات لن تنمحي من مخيلتي ما جرت الدماء في عروقي.

تلك الدقائق الأولى التي قابلت فيها هذا الشاب، على باب الرابطة في مكة المكرمة، قابلني لأول مرة مع طبيبين، شاب يتفجر حماسا ويتدفق حيوية، فسألته ممن الرجل؟ فقال: من ذرى الأوراس.

فواصلت السؤال مستغرباً: منذ كم تعيش وأنت بهذه الطاقة العجيبة المتدفقة؟ كان الأولى بك أن تكون هناك منذ سنوات بين أسود القمم، فأجاب على الفور: أنا جاهز، وأجبته غداً ترافقني في الطائرة، فرد قائلاً مهلاً ولعدة دقائق ريثما أحضر حقيبتي ومرت السيارة بنا على الغرفة التي فيها يقيم، وحمل متاع الراكب وهذا حصيلة ما جمع من الدنيا، وانطلقت بنا السيارة نحو جدة.

وبدأ يرتب حقائبي ويضع أمتعته وملابسه بين أمتعتي، فقلت له: لو وضعت أمتعتك في صندوق كرتون منفردة لكان أولى لأني لا أظنك تسافر معي؟ فأجاب بلهجة الواثق المطمئن: لا بل أنا مسافر -إن شاء الله-، فقلت له: عوارض كثيرة تعترض طريقك فلا تأشيرة، ولاحجز، ولاتذكرة، مع أن الدنيا أيام حج والطائرات مزدحمة، فقال: إن شاء الله سيسهلها جميعا!!؟ وبقيت عقبة كؤود وهي أنه متأخر في البلد بدون إقامة قانونية لعدة أشهر، ثم سهل الله الأمر، ورق له قلب الموظف، ومضى مرزوق معي، ووصلنا مطار إسلام آباد، وسهل الله أمره كذلك.

وكان أحد الإخوة من ذوي المكانة في قومه يستقبلنا، وعندما رأى مرزوق تفاني هذا الأخ في خدمة هؤلاء الشباب الوافدين على الله، قال: (اللهم انقص من عمري وأضفه إلى هذا الأخ حتى يستمر في خدمة المسلمين).

وجلس مرزوق شهراً في بيشاور، وفقد جوازه منذ الأيام الأولى، ولم تحظ هذه القضية من اهتمامه شيئاً، إن قلبه هناك يطير ليسبقه إلى الجبهة، ومر شهر كطرفة عين بالنسبة لنا، كان ملء وقت مرزوق الإعداد للقافلة التي تتجهز لتعبر إلى الشمال.

ولقد فرح عبدالله أنس بمرزوق فرحاً كبيراً جداً وكأنما عثر على هدية نزلت عليه من السماء، وقلما دخلت مكتب الخدمات إلا ومرزوق مشغول بما يعنيه من أمر القافلة، وعبدالله أنس يجمع يود لو أخذ بيشاور كلها معه، وأنا أقول له (لملم: إجمع) وهو يقابلني بتلك الابتسامة التي قلما تفارقه حتى في أحلك ساعاته.

ومضى مرزوق، ووصل تخار، واشترك في فتح فرقة نهرين، وجاءت الرسائل منه وكلها نار تتأجج، وأشواق تضطرم، ينتظر ساعة لقائنا، ووصل مرزوق وقال: (لم آت إلا لرؤيتك)، ومكث فترة وكان يود أن يجدد جوازاً بدل الضائع، ولكن الحنين إلى الجبهة لا

---

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٢ ص ٣٠ رمضان ١٤٠٨هـ الموافق مايو ١٩٨٨م.

يدعه يستقر لحظة، والشوق إلى العودة إلى أرض البطولة والفخار في تخار تملك عليه تفكيره وأحاسيسه ومشاعره، ومضى مرزوق، وما كنت أعلم أن تلك الوقفة التي وقفتها معه في مكتب الخدمات هي آخر لحظات الدنيا التي تراه فيها.

وقد كان على قدر مع أجله حيث انقلبت به السيارة ففاضت روحه إلى خالقها في (أعظم ورسك)، وفي الحديث الصحيح: [من وضع رجله في الركاب فاصلاً فوقصته دابته فمات، أو لدغته هامة فمات، أو مات بأي حتف فهو شهيد] وقد وقصته دابته (أي رمته فاندقت عنقه) فمات، فنرجو الله أن يكون شهيداً، لقد كان كمية من المتفجرات متجمعة على شكل إنسان تنتظر إشعال الفتيل حتى تبدأ انفجاراتها، لقد كان من الدعاة المطلعين على ما كتبه المفكرون المسلمون في هذا العصر.

وكان من بين الطلبة البارزين في العمل الإسلامي في جامعة الجزائر.

سلام على تلك الدماء التي مضت — تـراق لكي تلقاك قانية حمرا

سلام على ذاك الشباب الذي انطوى — فاثر دون المجد أن يسكن القبرا

فحيوا الألى باعوا العقيدة أنفساً — وفوق قبور الخالدين ضعوا الزهرا

وهناك في(أعظم ورسك) أهيل التراب على جثمان مرزوق، وطوي البيرق ونكس، وانفض عنه السامر الحزين.

الشهيد أبو الحارث اليماني(1):

صامت لا يتكلم إلا بقدر، مؤدب، يغضي حياء، ولا يكاد يرفع طرفه لينظر إلى من يكلمه، على جبينه إشراقة زادها الحياء جمالاً ومهابة. قارىء لكتاب الله ذو صوت ندي شجي، وقفت معه ومع عبد الحميد أوصيهم وأنا أودعهم وهم يزمعون المسير إلى بروان، وقام بدور ملموس في بث نور القرآن بين أسد الرحمن في بروان.

قال إخوانه: (لم نر منه إلا الخلق الإسلامي الرفيع، وقلما تلحظ عليه سقطة أو زلة).

عليه سكينة أهل اليمن وحكمتهم وزاده الجهاد أدباً وسكينة.

مكث في غوربند قرابة ستة أشهر، ثم كانت شهادته مع مرزوق في نفس السيارة، مصباح أشرق ثم اختنق، وزهرة زهت وانتلقت ثم ذبلت وصوحت، وحلم جميل طاف بنا ثم مضى وسلب معه بعض العقول.

ولد في ذبحان -تعز-، وتعلم في المعهد العلمي في صنعاء، وهو نفس المعهد الذي تخرج منه هشام الديلمي.

ولقد أفاد كثيراً من المنهج الإسلامي الخالص الذي يدرس في المعهد وخاصة القرآن والقراءة والتجويد والتفسير.

فنقل ما درسه في سورة التوبة إلى واقع حياتي في أرض بروان.

فما الحق إلا قوة وعزيمة — يعوزه رمح وبرقبه باتره

ونار تذيب القيد في جمراتها — فليس لفك القيد إلا صواهره

الشهيد أبو جهاد (أحمد أبو غوش)(2):

لأول مرة رأيته في معسكر صدى، شاب وسيم، تزين وجهه استنارة الوضاءة مع جلال الحياء، وبدأ يحدثني أنني كم عانيت حتى قدمت هنا، وكم لامني العذال وأنا أعد قارب النجاة من حياة ليس عليها أية سمة من نداوة الروح أو شفافية النفس أو صفاء القلوب !! غرق الناس في الدنيا فلم يعد لكلامهم طعم. ولا تتجاوز الكلمات الشفاه فلا تلامس أوتار الأفئدة ولا تخترق شغاف القلوب.

وعجبت له وهو يحدثني بهذه الحرقة والمرارة كيف لا يزين وجهه جمال اللحية؟ واكتشفت السر أنه كان ملتحياً ولكن السفارة رفضت منحه التأشيرة.

شهيد من مسجد الشهيد: كان جاداً في أمره، تخرج من الثانوية، وتخصص في الكهرباء، وعمل فترة في هذا المجال، ثم طلق الدنيا عندما سمع محاضرة واحدة في مسجد الشهيد في جبل التاج في عمان للشيخ تميم العدناني، فانطلق لا يسأل عن شيء إلى أرض الشهيد والشهادة، طمعاً أن يلبس تاج الوقار الحقيقي الياقوته منه خير من الدنيا وما عليها {إن للشهيد عند ربه سبع خصال: يغفر له مع أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويلبس تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما عليها، ويزوج باثنتين وسبعين من الحور العين ويشفع بسبعين من أهل بيته} حديث صحيح.

(1، 2) المصدر السابق.

مسجد صدى هو مسجد الشهيد الخليلي: هذا المسجد الطيني فريد في نوعه، فكم شهدت أعمدته من قانتي الليل، وذارفي الدموع السخينة، وتنهدات المشتاقين إلى الجنة، وكم تربى بين جدرانه من أسود صانت العهود وأعادت سيرة الجدود، وكم من رجال مروا عليه ثم سطروا بدمائهم أروع ملاحم البطولة وكتبت أسماؤهم في سجل الخالدين.

وقد سميناه مسجد الشهيد انجنير حبيب الرحمن أول شهيد من الحركة الإسلامية في أفغانستان، والحق أنه مسجد الشهيد، لا بل مسجد الشهداء.

في الطريق إلى تخار: ومع مجموعة من إخوانه صمم أن يخترق أفغانستان من جنوبها إلى شمالها، وانطلق أحمد وقلبه يسبقه إلى الشمال، ولكن قدر الله جاء بالثلج التي حالت دون استمرار مسيرة القافلة، ورجعوا من الطريق بعد أن كادوا يلقوا حتفهم بين جبال الجليد في نورستان.

ثم إلى ننجرهار: وهذه منطقة قد طوت بين شعابها فلذات من أكبادنا. ففي شلمان احتضنت سعد الرشود وعبد الوهاب الغامدي في بداية انطلاقتنا. ثم لثمت هذه الأرض فم أحمد أبا جهاد تبركا وتطيبا.

وبعا ذلك الشخص أيها الحفيان	*إن الوداع أيسر زاد*
واغسلاه بالدمع إن كان طهراً	*وادفناه بين الحشا والفؤاد*
واحبواه الأكفان من طي القلب	*كبراً عن أنفس الإبراد*

وهكذا وبطرفة عين أسدل الستار على صفحة من صفحات الخلود، نبتهل إلى الله أن يجمعنا جميعاً في الفردوس الأعلى، إنه سميع قريب.

من وصية الشهيد:

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله رب العالمين، القائل: **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل..)** والقائل سبحانه **(وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم)**.

والصلاة والسلام على قائد المجاهدين وإمام المتقين.. وبعد، هذه وصيتي أنا الشهيد -إن شاء الله- أحمد محمد تمر أبوغوش المكنى (أبو جهاد)، أوصي والدي ووالدتي وإخواني وأخواتي بتقوى الله عز وجل، والمحافظة على حرماته، والقيام بالطاعات التي أمر بها، وأرجو من الجميع الدعاء بالمغفرة والرحمة، وأن يسامحوني عما بدر مني.

والدي، والدتي إخواني، أخواتي الأعزاء:

اعلموا أن هذا الطريق الذي اتبعته إنما هو الطريق الذي أمرنا به سبحانه بأن نتبعه **(وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)** والصراط هو هذا الدين، وهذه العقيدة التي يغذيها الناس بحياتهم فتوهب لهم الحياة.

وهذا الصراط قد عبره موكب من النبيين والصديقين والمجاهدين، وهذا الموكب سائر إلى يوم القيامة، ولابد لهذا الموكب من ضحايا.. لا بد أن تمزق قافلة الرقيق بعض جوانب الموكب، لابد للحرية من تكاليف، ولابد أن تصيب سياط العبيد بعض ظهور الأحرار، إن للعبودية ضحايا وهي عبودية، أفلا يكون للحرية ضحايا وهي حرية.

فهذا هو الطريق.. طريق العزة والكرامة والجهاد.

وفي الختام أرجو من الجميع الدعاء بالمغفرة والرحمة.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفقير إلى الله: الشهيد أبو جهاد

(١٩٨٧/١١/٢-١٠ ربيع الأول ١٤٠٨هـ)

الشهيد اليماني أبو محمد (خالد علي محمد الشرحبي)[1]

إن الداعية نعمة يمن الله بها على عباده، وهو في مكان قطب الرحى ومحط الأنظار ومهوى الأفئدة، إليه يفزع الناس في الملمات، وإليه يهرعون إذا تكالبت المشكلات، وحاجة الناس إلى الدعاة أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أوجب من طاعة الآباء والأمهات، كما يقول الإمام أحمد عن الدعاة والعلماء، لهم يستغفر السمك في البحر وأهل السموات والأرض، فما أكثر خيرهم على الناس، وما اكثر شر الناس عليهم!! من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، شاب نشأ في طاعة الله، ومعلق روحه في المساجد، غضيضة عن الباطل أعينهم، كليلة عن الشر أرجلهم، أنضاء عبادة وأطلاح سهر، متحنية أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقاً إليها، وكلما مرّ بآية عن ذكر النار زفر زفرة كأن جحيم جهنم بين أذنيه.

بأبي هؤلاء الشباب وأمي حيث يسهرون وقد نام الناس، ويصومون إذا أفطر القوم، صامتون تقرأ من قسمات وجه احدهم وبريق عينيه كأن هموم المسلمين كلها ملقاة على عاتقه، لا يتكلم إلا بقدر.

كان أبو محمد -كما نحسبه ولا نزكي على الله أحداً- من بين هؤلاء الذين يعملون بصمت، يأسرون القلوب بابتساماتهم المعبرة، ويدخلون الأفئدة دون سابق استئذان، شخصية قيادية، كان كلما رأى ملأ بين الصفوف طفق يحدث عن الصبر في الشدائد وهو دأب الصالحين، وإذا أبصر تراجعاً بدأ يحدث عن الثبات وعن مواقف الرجال والأبطال.

عمله تربية الشباب وربطهم بالله وشدّهم إلى صراطه -بإذن الله-، ولد في تعز وكان نابغاً ألمعيا ذكياً، وقد كان متفوقاً خاصة في الثانوية العامة، فقررت الحكومة إرساله مبعوثاً إلى جامعة الملك سعود (الرياض) فدخل كلية العلوم، وبدأ الإقبال من أبناء الجزيرة إلى أرض البراكين والحمم والشهب النارية في خراسان، وكان من بين المقبلين في إجازة الشتاء، فتعلقت روحه بالجهاد، عاد إلى الجامعة ولكنه أودع قلبه بين جنبات المعسكر، وأصبح شبحا في الرياض، يأكل ويشرب ويتحرك بين الناس ولكن أعصابه وروحه وقلبه بكليتها -تقريباً- مشدودة إلى هناك، حيث تمتزج البطولة بالدماء وبالحديد، فأصبح غريباً بين أصحابه، وكما يقول ابن الرومي:

أعاذك أنس المجد من كل وحشة ... فإنك فـــي هذا الأنام غريب

فهناك مفارقات هائلة بين الموجود والمنشود، بين الواقع الذي تحياه الناس، والمثال الذي يحققه الأبطال في الجبال.

ولم يطق الصبر بين أعمدة الجامعة التي لا يسمع فيها سوى أحاديث الطعام، وتعدد الزوجات أهو أصل أم لا، أهو واجب على الكفاية أم مندوب، والشباب يتهامسون: لقد أنقصوا الأعطيات الشهرية، وقطعوا التذاكر، ومنعوا استقدام الزوجات، إلى غيرها من الأحاديث المكررة التي أصبحت كأنها مبضع يعمل في جسده، ولابد لهذه الحال من حسم، وترك الجامعة وانطلق إلى المأسدة، وأقام في حطين – أحد مواقعها – يعيش مع إخوانه بخلقه الرفيع، وصمته الدائم، وذكره الكثير، وقرآنه أنيس حياته وقلبه، فأسر القلوب، واستهوى النفوس، كان كثير الخدمة لإخوانه، متواضعاً.

واختار حطين -كموقع متقدم- حبّاً للشهادة واستعجالاً للقاء ربه.

ونفس الشريف لها غايتان ... ورود المنـــايا ونـــيل المنى

وجاءت الساعة التي يرقبها منذ زمن، وانطلقت قذيفة الهاون وتفجرت في الجو وأصابته مع أخوين له، وهرع الدكتور أبو البشر صهر الداعية عدنان سعد الدين واحتضنه، وبدأ يحاول أن يقدم له الإسعافات الأولية، ويجري له التنفس، كانت الإصابة في قدميه وفي صدره، وجيء بالسيارة، وانطلقت تنهب الأرض، وأخذ يذكر الله، ثم دخل في غيبوبة، وكان ذلك في التاسع عشر من رمضان.

قد وصلت قد وصلت: كانت هذه هي الكلمات الأخيرة التي ودع بها الدنيا بعد كلمة التوحيد، قال استجابة لسؤال أبي البشر كيف حالك؟ فقال: قد وصلت قد وصلت، وفاحت رائحة زكية في الجو كرائحة الآس والإذخر، كما يقول الدكتور أبو البشر قال: فعرفت أن روحه قد فاضت إلى بارئها، وجاشت مشاعر أبي البشر بهذا الموقف الخاشع المعبر الذي يصغر الدنيا في عيني صاحبها، ففاضت أحاسيسه بكلمات شاعرية على لسانه فقال:

أودعته أرض الجنان مزغرداً ... وبقيت ارتشف المرارة في صدا

لما أتاه الموت أعـــرض قائلاً ... إني الشهيد مخلد طول المدى

[1] مجلة الجهاد العدد ٤٣ ص ٢٠ شوال ١٤٠٨هـ يونيو ١٩٨٨م.

أذهب فغيري في المذلة قابع	*من قبل أن تأتيه بات مسهداً*
لا تدانى للـــــوداع سألته	*فأجابني أبشر وصلت موفدا*

فندعو الله أن يجمعنا وإياه في الصالحين.

هنيئاً لك الشهادة(١):

قالوا استشهد وما علم الناعون أنه كان ومضا لعيوني، وأملا ترعرع عوده في وجداني، ما كنت أحسب أنه ينمو على كتف المنون، ذاك الذي كان في صدره حلماً أخضراً.. طوراً كان يعبر عنه بزمجرة، وأطواراً يشدوا به كقيثار حزين، فلقد كان كالأتون.

لقد توج الشيب رأسه برغم عمره الذي لم يتجاوز الثالثة والعشرين، وعلى جبينه تركت أناملها السنون، متوضيء الخطوات والكلمات.. صوام العيون.. والابتسامة لا تخطيء طريقها إلى شفتيه أبداً.. وكان كأروع ما يكون الأصدقاء، وكان كالصفي الرقيق.. (فتياً، أبياً، ذكي البريق، شفيفاً، رهيفاً، كطل رقيق).

يطل من عينيه عزم كالنهار، وفي صدره دائماً أمل يستفيق، وفي أعماق أعماقه ثورة تستعر، كان كتلة من النشاط والحيوية والحركة، يتنقل من مسجد إلى مسجد في منطقته، يلقي فيها ما فتح الله عليه من الدروس والعبر، ويربي البراعم على مائدة القرآن، ويحبب للشباب الذين في مثل سنه إسلامهم، وعندما كان في خدمة الجيش لم تفتر له همة، ولم تكل له إرادة، اندفع يعلم الجنود أصول عقيدتهم، ومبادئ دينهم، حتى نال رضى ضباطه، وجعلوه مشرفاً على المعلمين، وحاز على حب الجند فصار كل فرد منهم ينظر إليه نظرة إجلال وحب وتقدير.. كان عملاقاً بإيمانه وآماله وطموحه، وفي طرحه الموضوعي عند مناقشته لخصومه، فلم يخدش أحداً بكلمة نابية، وإذا حضر أي مجلس أو مقيل ينكر الجالسين بالله ويهموم أمته وجراحات المسلمين في شتى بقاع المعمورة.

رفض أن يعيش في عصر اللافتات، يلوك الكلمات ويمضغ الشعارات، فنذر نفسه لله، فكان في الصفوف الأولى مع المجاهدين والمرابطين، كان سفراً من آلام الكفاح، ونبعاً صافياً يتدفق بالحب والإخاء والإيثار.. وذكاء يتألق من خلال سيرته الدراسية، نال شهادة الدنيا بتفوق فلم يرض بها، وأحس أنها شهادة الحطام، فلقد حملت نفسه طموحاً عالياً وهمة سامية، فتتطلع إلى شهادة عالية، تعلي دعوته، خالدة كخلود رسالته، رفيعة كرفعة عقيدته التي يحملها بين جنبيه، فبحث عن هذه الشهادة، فوجدها في الجهاد، وفي أرض الجهاد أرض الأفغان الطاهره.

أواه -أيها الشهيد- كنت تلميذاً فصرت لنا اليوم أستاذاً تعلمنا معاني العطاء والبذل في سبيل الإسلام الغالي، علمتنا أن جنسيتك هي عقيدتك، ووطنك هو دار الإسلام، وغايتك الله، وقدوتك رسول الله، ودستورك هو القرآن، وطريقك هو الجهاد.

علمتنا أن نفرتك للجهاد في سبيل الله إنما هي انطلاقة من قيد الأرض، وارتفاع على ثقلة اللحم والدم، وتحقيق للمعنى العلوي في الإنسان، وتغليب لعنصر الشوق المجنح في كيانك -أيها الشهيد- على عنصر العقيدة والضرورة، وتطلع إلى الخلود الممتد، وخلاص من الفناء المحدود.

وها أنت ترحل قبل أن تستحم بضوء الخلافة بعد، ولكن لن تستطيع الدموع أن تخذلنا، وستكون التعازي زيتا يدفعنا لتقديم المزيد من الشهداء من أحفاد الأنصار، ولأن آية الشهادة في كتاب ربنا تتلى على مسامعنا كل يوم **(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله)** فتهدأ كل الأحزان، لأننا نعلم أن الناس يموتون كل يوم.. ولكن الشهيد لا يموت أبداً، ونؤمن أن الله لا يختار للشهادة إلا من يطرد الدنيا خارج حدود بدنه، فهنيئاً لك الشهادة يا أبا محمد، ولكل الذين سبقوك، وليكن استشهادك قمة محترقة، تقذف حمماً وباروداً وناراً على التتر الحمر الهمجيين، وأن تشرب الأرض الطيبة العطشى دمك الزكي.

هنيئاً لك الشهادة يوم القيامة، اللون لون الدم والريح ريح مسك، ولئن كتبت بدمائك العبقة وثيقة الشهادة، وأذبت فيها روحك بنبل وفائك لدعوتك الراشدة، وحلمت بحلمك الأخضر قيام الخلافة الراشدة والدولة الإسلامية في أفغانستان، فلتهنأ ولتطمئن، فإنا نلمح اليوم طير ينقر غيمات حبلى تستنزف منها بعض الطل، وبشائر النصر تلوح في الأفق، وبنزيفك الجاري بأطباق الثرى رويت شجرة الحرية المنشودة، وكانت تلك الشظية التي أصابتك نبع زلال يروي كل الظامئين للعزة والإباء والكرامة.

(١) في رثاء الشهيد أبي محمد اليمني -رحمه الله- مجلة الجهاد العدد ٤٨ ربيع الأول ١٤٠٩هـ اكتوبر/نوفمبر ١٩٨٨م ص٣٥.

فلنبتهل وندعو الله صادقين أن يتقبل الذين انتصروا رغم الإبادة.. للذين عبروا فوق درب الشهادة.. للذين كتبوا بدمائهم الزكية فوق ربى الأفغان.. إنما الموت أحلى ولادة.

الشهيد حذيفة المدني (محمد عبد الحميد شحاته)(1)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

نقف اليوم صامتين خاشعين أمام قدرة الله وعظمته وآلائه ومنته على بعض الأفراد الذين ذهبوا مع دنياهم كل مذهب، وخاضوا في الأوحال، وركبوا لها كل مركب، وكأني بأبي نواس يقول فيهم:

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم — وأسمت سرح اللهو حيث أساموا

وبلغت ما بلــغ امرؤ بشبابه — فإذا عصـــارة كـــل ذاك آثام

ثم ذهبت نفحة ربانية وحملتهم إلى الجهاد، وتغيرت حياتهم، وصاغتهم أهوال الحرب صياغة جديدة، وفي أتون القتال صلب عودهم، وصفت أرواحهم، وسمت نفوسهم.

ومن هؤلاء نموذجان: عبد الحميد البحريني، وحذيفة المدني، وقد استشهد برفقة حذيفة أخوان آخران في قندهار (أبوطارق الفلسطيني، وأبو الحسين السوري).

من أهل ينبع أصلاً ثم سكن أهله المدينة، وطاف في الأرض هائماً مع هواه، ليس له غاية يحققها ولا أمنية ينشدها، ووصل المغرب وأعجب بجمال بنات المغرب، وتزوج منها، وكان يتردد عليها من أجل زوجته، ثم طلقها، وسمع بافغانستان وعن الجهاد فيها، فاهتزت أوتار الإيمان في أعماقه، وسار إلى حيث تضطرم النار ولا يخف لها أوار حيث أرض الأبطال بقندهار.

مع القافلة إلى قندهار: حدثنا أبو ثابت قال: وسارت القافلة تتهادى في هذه المفازة المهلكة التي لا ترى فيها أثرا للحياة، وكم سقط فوق هذه المفازة من أجساد، وكم تشربت رمالها من دماء، وكم دفن بين تربتها من أشلاء. كانت غولاً مفزعاً، وشبحا رهيبا بالنسبة لقوافل المجاهدين، وتكاد القلوب تعد نبضاتها لكثرة انتباهها، وتكاد الآذان تلتقط النسمات الهادئة فتحسبها هدير دبابة أو أزيز طائرة، وتكاد الأنوف تحصي أنفاسها، فالكمائن كثيرة، والدبابات لا يقابلها شيء إلا أولئك الذين باعوا أنفسهم لله يخاطرون بأرواحهم ويغامرون بحياتهم، والطائرات تسرح وتمرح غدوا وعشياً تنتظر قافلة مارة أو جمعاً متحركاً، والطريق تستغرق ثلاثة أيام، وفي السرا يحلو السمر، وبدأ حذيفة يحدث عن إحساسه الداخلي بقرب الشهادة، وبدأ يقص رؤيا رآها عن أخية الميت وكان أخاه يستحث خطاه إليه.

كان أبو ثابت آخذ بيد حذيفة وفي الليلة الثالثة، وعلى بعد ثماني ساعات فقط من مطار قندهار كــــان لا بد للقافلة أن تمر في شعب الموت، حيث تنحسر الطريق وتضيق بين تبتين متقابلتين، وفجأة وإذا بالرشاشات تلعلع فاتحة أفواهها علينا ومن الجانبين، واشتغلت وسائل الإبادة المتعددة.

يقول أبو ثابت: وقعت قذيفة هاون بيننا وأصابت شظاياها جوارحنا، أما حذيفة فقد كان الجرح غائراً، وصار يئن من الجراح، وتحاملت على نفسي، وزحفت على بطني حتى التصقت بسفح التبة، ثم سرت بين الزحف والمشي، ووصلت إلى راع للغنم، ومرت طائرة، وألبسني عمامته لأنه من الغريب جداً أن يضع القندهاري عمامته، ثم أخذني إلى بيته، وهناك عرف أني عربي.

كرم أهل قندهار: وعندما أدرك الراعي أني عربي قام إلى شاة وذبحها إكراماً لي، وكان بإمكانه أن يسلمني للشيوعيين مقابل مئات الألوف، ولكن إكرام الضيف، من أكبر الواجبات وقبول الواجبات فرض بالنسبة لهم، والشاه لها قيمتها.

كنا قريبين من المطار، بعضهم قد لحق بربه، وطفقنا نبحث عن إخواننا العرب حذيفة وأبو طارق الفلسطيني وأبي الحسين السوري وأنا متلهف لأرى مصيرهم

ونو الظما المشتاق لا يعرف الوغى — ولا الضعف حتى يستبين له الورد

وكان لابد من التأكد، ودلونا على جدثيهما، ورأيت حذيفة بعد ثلاثة أيام ودمه لزج وجسده لم يحصل له أي تغيير رغم أن

(1) مجلة الجهاد العدد ٤٤ ص ٣٢ ذو القعدة ١٤٠٨هـ يوليو ١٩٨٨م.

الشيوعيين مسودة وجوههم منتفخة أجسادهم والصديد يسيل من أنوفهم وأفواههم.

هكذا مضى محمد عبد الحميد إلى ربه رغم أنه لم يتم الأشهر الثلاثة في ساح الجهاد، ونرجو الله أن يكون هذا دليل القبول، إذ أن عمرو بن ثابت بن أقيش -الأصيرم- دخل الجنة ولم يركع لله ركعة، كما كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول، على أبواب قندهار ومنذ الأيام الأولى خلع محمد أثواب الجاهلية وتدثر بالأخلاق الإسلامية من شجاعة وأخلاق وتضحية وإصرار.

أصهر بنارك غل عنقك ينصهر فعلى الجماجم تركز الأعلام

واقم على الأشلاء صرحك إنمـــا من فوقه تبنى العلا وتقام

الشهيد أبو طارق الفلسطيني[1]:

رأيته في المكتب، تلمح في عينيه بريق المضاء وعزما وسناء، ذهب إلى قندهار وعاد يطلب المساعدات للجبهة

لفت الـــورى منك الزئير فزمجر من حوله غاب

عرف الطريق لحقه ومشى له الجند الصواب

شاب أصله من غزة، ولد بعيداً عنها في جدة، وترعرع فيها، ولكنّ قلبه معلق بالأقصى ووجد أن الطريق الجاد نحوا الأقصى هو الإعداد والاستعداد، فلا بد من البحث عن ساحات غير منابر الكلام وميادين الخطابة، فاتجه إلى ساحة النزال، وكان على قدر، وقد كتب الله لي أن اودعه بتلك الدقائق العشر التي وقفتها معه في مضافة سعد الرشود(مكتبنا)، وكان اللقاء في الله مع أخويه حذيفة وأبي الحسين السوري في السادس عشر من شعبان سنة (١٤٠٨هـ).

وجسم تجدل في الصحصحان تناوشـــه جارحات الفلا

فمنه نصيب لطيــــر السماء ومنه نصيب لأســـد الشرى

ولولا حزن بنات غزة لتركناك يجمعك الله من بطون السباع وحواصل الطير.

الشهيد أبو الحسين السوري[2]:

اسمه الحقيقي عبد الفتاح محمد عبد الرحيم السواري، سوري الأصل، سعودي الجنسية، من مواليد جدة حيث تعيش أسرته، أنهى الدراسة الثانوية ثم دخل الجامعة، وفي السنة الثانية من دراسته الجامعية صار يتقلب على الشوك، وأرق أجفانه صرخات المظلومين وأنات الثكالى وصيحات العذارى التي تدوي في سفوح الهندكوش، فلم يطق الحياة مع الكلمات الباردة التي يخزنها قوالب في ذهنه ثم يفرغها على ورقة كيما ينال ورقة يعمل بها -إن تيسر الأمر- معلماً بألفي ريال.

عاش أحداث حماة التي لا تحتمل مرارة العيش من قبل، وأخذت لواعج صدره تشتعل غيظاً على الظالمين.

كان أليفا مألوفاً محبوباً من قبل الصغار والكبار، يزين وجهه اتزان صامت وهدوء ملحوظ، كان مواظباً على صلاة الجماعة، وجاء القدر المقدور لانطلاقة الخلود فيمم شطر قندهار.

نفسه طوع همـــة وجمت دونها الهمم

وانطلق يرفرف بأجنحة الشوق، ويطير بوقود الصدى مع قافلة حذيفة وأبي طارق حيث الردى ينتظرهم بمرصد.

وفي كويتا سرى النبأ سريان النمي في يوم عرس، ووجم الجميع وهم يستقبلون نبأ وداع ثلة من الآخرين.

الشهيد عبد الحميد عبد الله البحريني:

وهكذا كان وقع نبأ استشهاد عبد الحميد البحريني على قلب إبراهيم كالصاعقة، لقد كان وقع الصدمة عنيفاً على قلب إبراهيم

(١، ٢) المصدر السابق.

الرفيق الرؤوف اللطيف، لم يتعود إبراهيم أن يواجه أنباء مزلزلة لكيانه وهازة لأركانه كهذه، ما كان يتصور أن يفارق عبد الحميد في رحلة طويلة لا لقاء بعدها إلا فوق السرر الموضونة إخواناً متقابلين إذا كتب الله لهما ذلك اللقاء.

وكان الخبر عنيفاً على فؤاده، فبدأ يستعيد شريط ذكريات طويلة لرحلتيهما فوق أرض البراكين والشهب والزلازل والجماجم:

بدأ نا المسير معاً باحثين عن قضاء إجازة ممتعه مريحة، ننطلق مع أماني الشباب التي لا تتعدى نسمات عليّة بين أشجار غابة جميلة تمسح عن أنفسنا عناء حرارة البحرين وتنسينا جوها الحار الخانق.

وتهب علينا نفحة ربانية لإنقاذنا من أوضار الجاهلية التي نتقلب في أوحالها، إذ تقع في أيدينا صحيفة تتحدث عن أخبار الجهاد وأنباء انتصاراتهم. وتستثيرنا الأنباء، ويبدأ التفكير باللحاق بقوافل الأفذاذ، وتحول التفكير إلى تصميم.

في سفارة كابل: وبدأ التنفيذ، وتوجهنا إلى السفارة الشيوعية في إسلام آباد، وسألناهم عن إمكانية أخذ تأشيرة للذهاب إلى كابل، فسألونا عن السبب، فقلنا نريد الجهاد مع المجاهدين، وأخذ موظفو السفارة يبتسمون وينظرون إلى بعضهم، وأدركنا أننا أخطأنا المعبر، فخرجنا بعد أن عرفوا أننا من البحرين.

ومن فضل الله علينا أن مكتب المجاهدين كان قريباً، ورتبوا أمر إرسالنا إلى بيشاور، ومن هنا طلبنا التوجه إلى جبهة ساخنة. طاحون الموت لا يتوقف فيها من الهدير، وكانت أقرب الجبهات الساخنة جبهة لوجر حيث الدكتور ولي الذي التقت القلوب على احترامه، واتفقت الناس على إجلاله.

في اللوجر: ونزلنا على الدكتور ولي في خير دار، ووقعنا على أحسن جوار وأنسانا حبه ذكر الأهل والخلان، وفي مرابع لوكر سلونا المنشأ والجيران، وبدأت حياتنا تصاغ على لحن الكفاح، تصغر في أعيننا تلك الهالات الضخمة التي كانت تهز المنابر، وصار مثل الدكتور ولي وأمثاله من الشباب الذين يصنعون حياة الأمم بأرواحهم، ويخطون تاريخها بدمائهم، ويبنون أمجادها بأشلائهم، كان لابد لنا أن نردد.

تقضي على حد الأسنة   لا النمارق والوسائد
لسنا كمن يرغي على   الأعواد بالخطب الرواعد

وقضيناها فترة شاعرية وليال مرت كأحلام الصبا، عذبة المذاق، حلوة الطعم، وظننا أن رحلتنا ستطول مع هذا البطل، ولكن:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه   تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وما هي إلا أيام قلائل حتى أقبلت قوة العدو بأساطيله الجوية والبرية، ودارت رحا الحرب الزبون، وكان معنا الشهيد عبدالوهاب الردة الغامدي، ويعقوب، وأبو العز السوري، وخرج البطل د. ولي ليدافع عنا ويطمئن على سلامتنا، ودارت معركة المواجهة، واختطفت يد المنون قائدنا، وأصيب عبد الحميد برصاصة كسرت يده وكذلك يعقوب، وعدنا نحمل عبد الحميد ليتلقى علاجه في أفغان سيرجكال، ولم تسطع المستشفيات الباكستانية أن تتقن علاجه، وتوجه إلى لندن وعلى حساب بعض المحسنين، ومن الله عليه بالشفاء، وعادت يده إلى حالتها الطبيعية.

إلى قندهار: وتحسسنا أخبار الجبهات مرة أخرى فكانت الألسنة تتداول أخبار الأحداث المجلجلة التي تدور رحاها في قندهار، وشددنا إليها الرحال، وهنالك ترى من الأهوال ما يدق عن الوصف، وهناك المجاهدون.

قيام بأبواب القباب جيادهم   وأشخاصهم في قلب خائفهم تعدو

معارك تدور في وسط الشوارع لا تبعد عن العدو مائة متر.

والمجاهدون فيها كما يصفهم ابن القيم: (تلمح القوم الوجود ففهموا المقصود، فاجمعوا الرحيل، وشمروا للسير في سواء السبيل، فالناس مشتغلون بالفضلات، وهم في قطع الفلوات، وعصافير الهوى في وثاق الشبكة ينتظرن الذبح).

وعمل مع المجاهدين في قندهار وهو ينتظر الشهادة كل لحظة، وعمل مع قائد الاتحاد توران عبد الستار واستشهد.

القائد جانان: وهنالك شاب لايتجاوز السادسة والعشرين، سيماه الحياء، صدره يغلي كالمرجل، ولكنه لايرفع عينيه في جليسه حياء وأدباء، شجاع:

همام إذا ما فارق الغمد سيفه   وعاينته لم تدر أيهما النصل

ومع جانان وبين أهل قندهار وجد عبد الحميد نفسه، وأهل قندهار لهم سمات يتميزون بها عن أهل أفغانستان، فالشجاعة دثارهم، والكرم سجيتهم، والحياء فطرتهم، والصلابة لحمتهم، والصبر سداهم، وتتميز نساء قندهار باحتشام عجيب في جميع البيوت، سواء متدينهم أو فاسقهم، ولذا فإن الملك ظاهر شاه عندما أصدر مرسوما بكشف النقاب عن الوجوه أبت نساء قندهار ووقفت بصلابة أمام المرسوم الملكي، واتبع الملك هواه وأصر.

وكان لابد من إرسال جيش بقيادة خان محمد لتنفيذ القرار الملكي، ودارت رحى معارك سقط نتيجتها قرابة ألف رجل، وعاد الملك يجر ثياب الخزي والخذلان ويعض أصابع الندم والحسرة.

أضف إلى هذا أن أهل قندهار من الجنس البشتوني (الباتاني) المعروف بصلابته وخشونته وشجاعته.

كرام إذا أعطوا شموس إذا بدوا كثير إذا نوبوا قليل إذا عدوا

عمليات جريئة في قندهار: وفي قندهار جرت عمليات جريئة، ولك أن تأخذ صورة عن كثرة العمليات أن أحد زملائه حدثني: إنه مر شهر لا يمر فيه يوم إلا ويدخل عملية تستمر من الصباح إلى المساء، وأعدوا سيارة متفجرات وأرسلوها إلى كابل، وأحدثت انفجارا هائلا سبب خسائر ضخمة، وتناقلته وكالة الأنباء العالمية، وأحدث دوياً كبيراً في الأوساط السياسية والإعلامية.

وجاء اليوم الموعود، وصار عبد الحميد مع جانان يعدأن لعملية أخرى شبيهة بسابقاتها، وانفجرت الألغام، وتمزقت أجسادهم، وتناثرت لحومهم، وحاول الإخوة أن يجمعوا من لحومهم، ومضى عبد الحميد مع جانان لحوقاً بالشهيد عامر الأكوع الذي بارز مرحباً زعيم خيبر، ورجع سيف عامر عليه فقال ﷺ: **[إنه يؤتى أجره مرتين]**.

المثال الحي: ومضى عبد الحميد مثالاً حياً لمن أراد أن يمن الله عليه بالتوبة ويعلي مرتبته بالجهاد بعد جاهلية وضياع.

فهنيئاً لعبد الحميد الشهيد، ونرجو الله أن يكون قد تقبله في الصالحين، وأعلى مكانته في عليين، وهنا يتوقف شريط الذكريات في ذهن إبراهيم ويدرك النقلة الهائلة بين ذلك اليوم الذي دخل فيه السفارة الشيوعية في إسلام أباد، أو عندما قابل سير فراز المسؤول في الحزب الإسلامي، وسأله سرفراز عن الإسلام وعن بعض الكتاب اللامعين من المسلمين كسيد قطب فأجاب إبراهيم: نعم إنه كان يدرسنا في العام الماضي في الجامعة في البحرين، وهو يرى رحمه الله في هذه النقلة الكبيرة والمسافة الشاسعة التي قطعتها نفسه بين الأيام الأول في اللوجر حيث تعلم الصلاة عند د. ولي، وبين هذه الأيام وقد نضجت نفسه وارتفعت اهتماماته وصلب عوده وأصبح من رجال أعظم قضية في الأرض.

الشهيد عبد الرحمن المصري (الركن الذي ثوى)(١)

وهكذا عاش عبد الرحمن غريباً، وجاهد غريباً، واستشهد غريباً، وهكذا كان أبو ذر رضي الله عنه [طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع] البخاري.

سبق الشباب العرب إلى أرض المعركة، والتقى مع الشيخ جلال الدين، وتعلقت روحه بجبهة خوست وجور، وأصبح الشيخ جلال الدين قدوته على هذا الطريق -بعد رسول الله ﷺ-، لم يكن يطيق فراق الجبهة ولايغادرها إلا لحاجة ماسة أوضرورة بارزة.

كنت أراه بين الحين والآخر فأعاتبه عتاباً رقيقاً لأني أطمع أن أظفر برؤيته والتحدث إليه، فكان يغضي حياء، إذ أن طبيعته الصمت، ومن سماته الحياء، هذا إلى الشجاعة التي كانت من معالم شخصيته البارزة في جاهليته وإسلامه.

في الإسكندرية: ولد وترعرع، وكان يهوى البطولة، ويعشق القوة، وفي عرصتها كان هذا الفتى يحمل سكينا به سلسال يلوح به كرمز من رموز الصعاليك **[الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا]**.

رجل تمرس في الصعاب ولم تنل منه الصعاب
لو همه انتاب الهضاب لدككت منه الهضاب

إلى أفغانستان: وسمع بدوي القذائف وزلزلة الأرض وتفجير البراكين فوق أرض الغزنوي، وصمم أن يكون بين هؤلاء القوم الذين يكاد الخيال يحسبهم جنا في ثياب أنس.

(١) المصدر السابق ص ٣٥.

وترامى إلى مسامعه في بيشاور خبر الشيخ جلال الدين حقاني، وصمم أن يكون في جواره، وأن يواصل معه المسيرة التي تصنع التاريخ وتبني الأمجاد وتحيي الأمم.

عبس الخطب فابتسم ‏ ‏ ‏ ‏ وطغى الهول فاقتحم

وفي هذه المنطقة وبين جبهاتها ارتبطت روحه وتعلقت نفسه فما يستطيع لها فراقاً، ولا يصبر عنها بعداً، يستوحش عن بيشاور حيث يأنس القاعدون، وينفر من مجالس القيل والقال حيث القوم راتعون يحللون الأحداث السياسية ويرتبون المجاهدين في مراتب ودرجات كما تسول لهم أنفسهم.

ومنذ قرابة خمس سنوات وعبد الرحمن هنالك في أرض الجبهة، لا تسأل عنه إلا قيل لك عمل عملية على باري، ضرب مطار خوست، في جور وماني كانداو، مع صاحبه أبي حفص، ومصطفى وأبي عبيدة.

ثم انشغل أبو حفص بأعمال أخرى في إسلام أباد، في المأسدة، وبقي عبد الرحمن بجانب الشيخ جلال الدين.

كم منزل في الأرض يعشقه الفتى ‏ ‏ ‏ ‏ وحنينـــه أبــــــــدا لأول منزل

الزواج: وجاءني الإخوة وقالوا نريد بيتاً لعبد الرحمن فهو يريد الزواج، فقلت لهم أعطوه بيتا وافرشوه بما تيسر من متاع وأدوات، وتزوج عبد الرحمن، وصار يعطي أهله بعض وقته الذي كان خالصاً للجبهة من قبل، ووجد أن هذا الوقت قد أصبح يضيع على الجبهة، وعرض الأمر على الشيخ جلال الدين حقاني، فوفر له بيتاً في ميرانشاه وانتقل إليها وودع بيشاور وداعاً غير وامق، وعاش على قرب ساعة من الجبهة، يأتيه أحيانا بعض إخوانه العرب ومعظم أوقاته وحيداً، وهو يتقن الفارسية، فعاش بين الأفغان كأنه أحدهم، وكثيراً ما كان رجال الأمن من باكستان يمسكون بعض العرب أما هو فيتركونه بسبب لغته ظناً منهم أنه أفغاني، لا يستوحش إلا البندقية، ولا يأنس إلا بوحدته وسلاحه.

فيم انفرادك لا أنيس ‏ ‏ ‏ ‏ تــسراه في القفر المخيف
في ربقة الوهج الحرور ‏ ‏ ‏ ‏ وغـــل عاصفة عصوف
و صبرت للهوج اللوافح ‏ ‏ ‏ ‏ في الضحى صبر الأنوف
وطلبت وحدة راهب ‏ ‏ ‏ ‏ فيهـــا وعزلة فيلسوف

الشهادة: (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً)، لقد تعرض عبد الرحمن عدة مرات للموت المحقق ولكن الله ينجيه إلى القدر المحدود، وكان آخر الحوادث التي تعرض لها حادثة سيارة استشهد من فيها ولم ينج إلا عبد الرحمن وآخر، وقبل أيام جاءت سكرة الموت التي لا مفر منها، وسقط الركن القوي مجندلاً بدمائه، وغادر عبد الرحمن دون تحية وداع ولا عناق أحبة.

كسا دمه الأرض بالأرجوان ‏ ‏ ‏ ‏ وأثقل بالعطر ريح الصبا
وعفر منـــــه بهي الجبين ‏ ‏ ‏ ‏ ولكن عفاراً يـــزيد البها
وبان على شفتيه ابتسام ‏ ‏ ‏ ‏ معانيه هزء بهذي الدنى
ونام ليحلم حـــــلم الخلود ‏ ‏ ‏ ‏ ويهنأ فيه بأحلى الـــرؤى

ليث بروان وشهيد رمضان (موحد)(1)

رجع أبو سيف من هرات يحدث عن بطولات أرض الفخر الرازي والأحنف بن قيس، وعن ضراوة القتال الذي تدور رحاه في مفازة واسعة لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا.

وكان اسم موحد من بين الأسماء التي تتردد على لسانه، ويقول قدم من بروان يجوب أفغانستان يحاول أن يلم شعث المجاهدين ويوحد بين صفوفهم، ومنذ ذلك الوقت ونفسي تتوق للقاء موحد.

والتقيت به شاب يتفجر حماساً ويتدفق حيوية وينضح غيرة، يتكلم العربية رغم أنه لم يتخرج من جامعة إسلامية أو عربية.

همام إذا ما فارق الغمد سيفه ‏ ‏ ‏ ‏ وعاينته لم تدر أيهما النصل

في معهد الأنصار: وكان اللقاء الأول في معهد الأنصار وعرضت عليه أن يعمل مشرفاً في معهد الأنصار، لبث روح الحماس

(1) مجلة الجهاد العدد ٤٤ ص ٣٧ ذو القعدة ١٤٠٨هـ

في نفوس الطلبة وإذابة العصبية الحزبية إن ظهرت بين الطلبة، بالإضافة إلى العلم الشرعي الذي بإمكانه أن ينهل منه وهو يعيش بين جدران هذا المعهد، ويصاحب إبان إقامته أساتذته من حملة القرآن ومدرسي الفقه والتفسير والعقيدة.

ولكنه استمهلني، وإذا بأبي الحسن المدني يفتح له معهداً خاصاً يقوم بالإشراف عليه لتربية نماذج جهادية خالصة من روابط الطين وأواصر القوم والجنس.

في اللقاء التاريخي: في جارصدا الذي ضم قادة الجهاد السبعة يعاهدون المئات من الألوف على استمرار الجهاد ورفض المؤامرات العالمية على هذا القتال المبارك. وبجانب حكمتيار شاب قد ضحل (بح) صوته وهو يهتف بالوحدة وضم الصفوف ولم الشتات. كانت الجماهير المسلمة المجاهدة تلتهب حماساً، ولكن هذا الشاب قد لفت انتباه الجميع، وتسمرت العيون نحوه، وشد القلوب إليه بما كان يفيض على لسانه وعلى قسمات وجهه من غيرة وحماس.

وعندما تكلمت عن موحد قال أحمد شاه رئيس حكومة المجاهدين المؤقتة: إنه فتى ذلك اللقاء التاريخي.

نحو بروان: وأعد موحد قافلته وبدأ يجهزها، ولم يرد له أبو الحسن طلباً طمعاً منه أن يكون لهذا الشاب دور في توحيد صفوف بروان، وانسابت الكلمات على لسان موحد: إن كتب الله لي الشهادة وشفعني في أحد من خلقه فسأقول له: إن أول مسلم اشفع فيه هو أبوالحسن المدني.

القافلة: وسارت قافلة الإيمان ومعها مائتا جمل محملة بكل شي، وحادي الركب فتى الفرسان -موحد-، وسبقت الأخبار من المنافقين إلى القيادة الشيوعية في كابل. وانطلق الطيران محموماً يصب جام غضبه على هذه الجمال، وبدأ يطاردها بين السفوح والهضاب والوهاد والشعاب. وبدأت الجمال تتساقط وتتفجر ما عليها من ذخيرة ويحترق ما فوقها من متاع، وموحد يواكب القافلة تحت الحمم المتساقطة والشهب المنقضة، ويصر على المواصلة، وأخيراً وصل موحد إلى مركز بروان (جاري كار).

أسد فرائسها الأسود يقودها　　　أسد تصير له الأسود ثعالبا

وبدأ نشاطه الجهادي، واستلم إمارة المنطقة، وبدأ بالتعليم والتوحيد.

محور العمل ومحط الأمل: كان موحد في نظر الجميع قطباً متعادلاً يمكن أن تلتف حوله القلوب، وأملاً أن يجمع الله حوله النفوس، وكانت الوحدة بينه وبين القائد شفق (في بجرام) والقائد فتحي وعلى أيدي الإخوة العرب.

وكان يطمع أن يمتد به الأجل حتى ينظف المنطقة من الجواسيس وعيون الدولة المنافقين الذين نجحوا -إلى حد ما- في الإيقاع بين الإخوة المجاهدين، وغدت سيارة (الجارود) لا تتوقف عن الحركة، ولا تكف عن التنقل تذرع بروان من شرقها إلى غربها والعيون تتابعها أينما سافرت، لأنها بإذن الله صارت محط الأمل في لم الصفوف وجمع الكلمة، وكان موحد والجارود عمودين صلبين بارزين في هذه المحاولة التي هي خير من نوافل الصلاة والصيام، وهي إصلاح ذات البين، (لأن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين).

واستمر موحد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في داخل معسكره بدأب لا يعرف الملل، وهمة لا تعرف الكلل، مع محاولة جادة في المنطقة لإزالة الخلافات التي أظهرها المنافقون.

الحتف مع الفتح: وبدأ موحد يعد الخطة لفتح المنطقة المحيطة وإزالة القواعد الشيوعية منها، ولابد أن يقود المعركة بنفسه، ففتح ثلاث قواعد، وبعد الفتح أصابته قذيفة هاون كانت فيها نفسه ولقي فيها حتفه.

يزدري الأعادي في سماء عجاجة　　　أسنته في جانبيها الكواكب

تسفر عنه والسيوف كأنما　　　مضاربها مما انفللن ضرائب

هول النبأ: ونزل النبأ على قلوب المجاهدين سواء في الجبهة أو في خارجها نزول الصاعقة.

فعلق المهندس حكمتيار وهو يتلقى الصدمة بالنبأ المزلزل وقال: ما أحببت أحداً في الدنيا كموحد، وددت لو فقدت أبنائي فداء لموحد.

وسرى النبأ سريان النعي في يوم عرس، وتداعت الأحزاب لتأبين الفارس الذي ترجل وتوسد التراب.

صيامه وقيامه: يقول أنس رضي الله عنه: [ما كان أبو طلحة يصوم في عهد رسول الله ﷺ، فلما توفي رسول الله ما رأيت الدخان في بيته نهاراً قط، فقد كان أبو طلحة يفطر من أجل الجهاد، وإذا كان في المدينة ما كان يفطر].

وهكذا موحد في بيشاور: يقول أبو الحسن المدني: كثيراً ما كان يزورني موحد في بيشاور، وما أذكر أنه ذاق طعاما في بيتي نهارا بسبب الصيام، ونام ذات ليلة في بيتي فراقبته، فقام من الليل طويلاً، ثم صلى بنا الصبح، فكنت أحس أن القرآن غض طري يفهمه ولو من كان أعجميا.

لم يدخل مدرسة شرعية ولا عربية، ومع ذلك فقد كان يتقن العربية ويتكلمها بطلاقة.

هاجر وعمره (١٣) عاماً أيام داود، ومنذ ذلك الوقت بدأ مسيرة العرق والدم، يتجرع الغصص ويتكبد المرارة، وبقي يحمل راية الجهاد حتى سقط في التاسع عشر من رمضان شهيداً، وقد كان سبب الفتوح أن الشيوعيين أعدوا العدة للاحتفال بالعيد العاشر للثورة في السابع من ثور، فآلى على نفسه أن لا يسمح لهم بالاحتفال، وأن يؤرق عليهم أجفانهم، وأن يحرق عليهم بيوتهم، فنسق مع المجاهدين في المنطقة، وفتح المراكز المحيطة، ولقي الله في رمضان، وندعو الله عز وجل أن يجمعنا به مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

ومضى موحد وترك على درب اليتم الطويل زوجة وولداً وبنتاً يتقلبون بين فكي اليتم والفقر، وبين حجري الجوع والنوى.

لهم الله هؤلاء أشبال الشهداء وأبطال غد العزة والسناء.

الشهيد خالد علي القبلان (أبو الوليد)[1]

أقبل الصيف واشتدت ضراوة المعركة، واضطرم أتون القتال، وبدأت الساحة تشهد سقوط الشهيد، تلو الشهيد، ونحن اليوم أمام كوكبة من فرسان المعركة، ودماء الشهداء هي التي تمد هذه الكلمات التي نكتبها، وتعطيها حيوية وحرارة ونبضا ومضاء وسناء، ويحلو للقلم أن يكتب عن الشهداء، لأن دماءهم هي التي تخط تاريخ الإسلام عبر المراحل التاريخية.

ليس في موطني الكبير عظيم ... يستحق الثناء غيـــــر الشهيد

أو إمام يقود ـــــــــا لجهاد ... في رحاب الأقصى لدحر اليهود

في صباح هذا اليوم كنت متوجهاً نحو قاعدة عبد الرحمن المصري الشهيد في (باري)، وعلى الطريق التقينا بأخوين عائدين من القاعدة، فانتحى بي على جانب الطريق (أبو سعد النجدي) وأسر في أذني أن الأخ أبا الوليد قد استشهد بالأمس الجمعة في الساعة الثانية والنصف في (١٩٨٨/١١/٢٤م)، فأجبته قائلاً: هنيئاً الشهادة.

وهذا الخبر جعلني أغذ الخطى نحو القاعدة، ووصلنا القاعدة، وتلقانا الأباة الصيد من أبناء يعرب ولسان حالهم يقول:

قد هجرت الفراش غير جزوع ... ومن الشوك قد اتخذت غذائي

أرقب الفجر في الظلام وأرجو ... عبقري السنا كريم الضياء

وسألناهم متلهفين عن أحوال أبي الوليد، فطفقوا يحدثوننا قصصاً وكأنها أوصاف لرجل من القرون الثلاثة الأولى المشهود لها بالخير. قالوا كان يختار حراسته من الثانية عشرة إلى الواحدة ليبقى بعدها قائماً حتى الفجر، وقلما ينام بعد الحراسة إلا إذا كان مرهقا.

وفي ليلة الجمعة حرس في موعده المحدد، وبقي قائماً حتى الفجر، وكان ينازعنا دائماً على الأذان، ثم أذن الفجر وصلينا، وقرأ أذكار الصباح، ثم اختار قذائف الهاون، وانطلقنا –نحن الثلاثة– (أبو سعد النجدي، وأبو دجانة الريمي الصنعاني، وثالثنا وهو الشهيد أبوالوليد)، وطيلة الطريق كانت شفتاه تتحركان بالقرآن والصلاة على النبي ﷺ، وعندما وصلنا بادرته قائلاً: أتممت سورة الكهف؟ فأجابني بالإيجاب.

لقد كتب الله الخاتمة التي نحسبها طيبة في هذه الساعة المباركة، إذ اعتاد الإخوة أن يبادلوا المركز الشيوعي القريب القذائف، وبينما كان خالد يهم بإيقاف المعركة لهذا اليوم استعداداً للغد وإذا بقذيفة الموت تأتيه لتكون حياته الأبدية.

فموتي في الوغى عيش لأني ... رأيت العيش في أرب النفوس

---

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٦ ص ٢٠ محرم ١٤٠٩هـ أغسطس ١٩٨٨م.

صيام خالد: لقد عرف خالد بكثرة صيامه للنوافل، فكان يصوم الإثنين والخميس والأيام السته من شوال والأيام البيض من كل شهر (الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر).

موقف الوالدين: ومن البركات أن تكون والدته ممن يشجعه على الجهاد وترسل الرسائل بهذا الشأن.

مولده ودراسته: لقد كان (الرس) في القصيم هو البلد الذي رأى فوق أرضه النور، وبعد دراسته الثانوية التحق بجامعة الملك سعود في الرياض بكلية الهندسة -قسم العمارة-، ولكن نفسه عافت حياة الترف والتقلب على الفراش الوثير، وضحى بالرسوم الجافة التي لا تفارق لوحة الدرس، وأصبحت كميات الحديد والإسمنت أبغض المسميات لمسامعه.

يتردد على المسجد فلا يسمع الحديث الذي يعزف عن أوتار قلبه، فصار يسائل نفسه:

أين السيوف التي في كف معتصم ... صالت على البغي من فرس ورومان

فلم تجبني من القعقاع نخوته ... ولم أجد في جموع القوم شيباني

وأخيراً قرر أن يطلق الجامعة ثلاثاً لا رجعة فيها، فانطلق وهويردد:

الرأي رأيك يا مدافع ... فانطلق واحمي الثمار

الشهيد مازن ملوش (أبو عمرو المكي) -مؤذن الجامعة-(١):

وهكذا صرّح السكن الجامعي في الكيلو (٦) في جدة من شاب رافع الهامة، تتوج رأسه قبعة أفغانية لا يخلعها في المنزل ولا بين حجرات الدراسة، وافتقد مسجد السكن ذلك الصوت الندي الشجي الذي كان ينطلق مع انبلاج الفجر، وكأن جدرانه تهمس في أذن السامعين

ناح قيثاري الحزين فحنت ... لصدى النوح قاسيات الصخور

بلبلي ضاق بالنشيد فولى ... وتخلى عن عشه المعمور

نعم إن مازناً يقوم الليل ويجاور في الحرم المكي طيلة شهر رمضان، يسمع ترتيل القرآن من فم الحذيفي والسديس وعلي جابر، ولكنه لا يستعذبه تلك العذوبة التي كانت تترك حلاوتها في قلبه أيام أن كان في أرض الجهاد، نعم يتحدث عن الجهاد الأفغاني، ولكن شتان شتان بين الأقوال والأفعال.

حقاً إنه لا يدع مقاماً يقوم فيه لله إلا ويقفه وينكر المنكر، ولكن سورة التوبة تقض عليه مضجعه وتؤرق عليه أجفانه، إن آيات القتال تأبى عليه أن يقعد بين النساء والأطفال، شأنه شأن المقداد بن الأسود عندما رآه أحد التابعين جالساً على تابوت -طاولة- أمام أحد الصرافين في حمص وقد زاد جسمه عن التابوت، فسأله مستغربا: ألا تقعد هذا العام؟ فأجاب المقداد: أبت البحوث (التوبة)، أي رفضت سورة التوبة القعود.

الخروج: لقد راع مسؤول قسم التسجيل في جامعة الملك عبد العزيز انسحاب الطلاب وبهذا العدد الملفت، ومما هاله انسحاب مازن من الفصل رغم أنه لم يبق له سوى ساعات قليلة حتى يأخذ شهادة الهندسة، فنصحه وجهد في النصح ولكنّ المحب عن العذال في صمم، إن قلبه في أفغانستان مع حبيبه الجهاد:

ما بال عينيك قد أزرى بها السهد ... كأنما جال في أجفانها الرمد

أمن فراق حبيب كنت تألفه ... قد حال من دونه الأعداء والبعد

في حي النزهة في مكة: واشتاق حي النزهة -الذي ضم هذا الشاب منذ نعومة أظفاره- إلى طلعة هذا الشاب.

لقد كانت ملامحه معروفة لأبناء هذا الحي، فكم من منكر أوقف سيارته ليزيله على يديه، وعرفه الحرم المكي عابداً مجاوراً معتكفاً وخاصة في أيام رمضان، ولربما اعتكف الشهر كله.

حدثني أبو حمزة المؤذن: دخلت ذات ليلة في السحر مسجد السكن لأسبق إلى أذان الفجر، فوجدت مازن ملوش قد سبقني إلى المسجد يقوم الليل ينتظر الفجر أن ينداح.

---

(١) المصدر السابق.

ويواصل أبو حمزة: كان اسم مازن يتردد على ألسنة الطلبة الجامعيين، وكان في أعماقي رغبة أن أجمع بين الاسم والصورة حتى رأيته في ذلك اليوم.

كان صامتاً ولكن صمته بيذ الناطقين، وفي صدره مرجل يغلي حسرة على هذا الدين الذي تتناوله معاول الأعداء من كل جانب، ويتناوش أشلاءه الأقارب والأجانب.

كان يحن لصليل السلاح ودوي المدافع ودمدمة الرصاص وهدير الطائرات. ويتلفت مازن في الأرض فلا يرى شعباً رافع الرأس مشمخر العرنين يناطح السحاب سوى الشعب الأفغاني الأبي.

مجلحين ولا يلوون قد ملئوا   عزاً ودونهم العوصاء والكؤد

الرخصة: وقبل أن يغادر مازن الجامعة كتب كلمة كانت كلماتها الشهب الحارقة وعلقها على لوحة السكن، وأوجرت كلماتها القلوب فتركت فيها مجلاً (دملاً) من الصعب أن يندمل.

ووصل إلى صدى ليوم أو يومين، ثم كتب الله له أن يشارك في قافلة متجهة إلى الشمال إثر أبي عمر، وفي الشمال حمله أبو عمر مبلغاً من المال معه وكان يتجول بين الجبهات وعرفه العرب والأفغان لا يحل في مكان إلا ويترك فيه أثراً طيباً.

يدخل الجبهة لأيام ويرى بأم عينيه حاجتهم، ثم يتوجه إلى السوق ويشتري لهم الطحين والسكر والأرز، ثم يغادرها إلى غيرها، وانتشر ذكره وشاع اسمه بين المجاهدين، وبقي مازن كما هو لا يدع منكراً إلا ونبه إليه، وبقيت عبادته وصيامه وقيامه، وتقبل من الناس واحتل حبه شغاف القلوب.

وقد يسر الله له الأمور بتقواه -كما نحسبه ولا نزكي على الله أحدا- **(ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا) (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا)**.

والكلمة التي تحيا إنما تقتات قلب إنسان حي، وتصل إلى أعماق القلوب، لأنها خرجت من القلوب. أما الكلمة التي تخرج من الفم فإنها تولد ميتة، والناس لا يتبنون الأموات.

وحانت شعوب (المنية): وعندما حان الأجل خرج مازن بمجموعة من المجاهدين ليقوم بجانب عمله الجهادي بمهمة أعظم وهي الإصلاح بين بعض الفئات المجاهدة، ودخلت المجموعة مسجد القرية، وعلم بعض أعداء الله بهم، ودخلوا عليهم المسجد وقتلوهم.

وسرى النعي في قواعد المجاهدين، ونزل الخبر كالصاعقة على قلوبهم، وحق لهم أن يقولوا:

يا عين جودي بفيض غير إبساس   على كريم من الفتيان أباس

صعب البديهة ميمون نقيبته   حمّال ألوية ركّاب أفراس

أقول لما أتى الناعي له جزعاً   أودى الجواد وأودى المطعم الكاسي

صرخة بقلم/ الشهيد أبي عمرو المكي (مازن ملوش):

قال الله تعالى: **(قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)**.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فهذه الصرخة لك يا أخي المسلم العزيز، لك وليس لغيرك.. نعم لك أنت يا صاحب اللحية الطويلة.. يا من ترتاد بيوت الله في كل يوم.. إنها صرخة الجهاد والتي تدعوك للمشاركة فيها، إنها فريضة قد فرضها الله عليك. إن الجهاد في أفغانستان اليوم أصبح فرض عين على كل مسلم، كالصلاة والصوم وسائر العبادات.

أخي الحبيب: راجع نفسك وتأكد من إيمانك قبل فوات الأوان، واعلم أن الإسلام ليس صلاة وصوماً وحجاً فقط، ولكن قول وعمل، وعقيدة وتطبيق، وإخلاص وجهاد.

أخي: إن المعركة في أفغانستان لا تحتمل ترددك وبعدك عنها أكثر من هذا، ألا تعلم ماذا أعد الله للمجاهدين في سبيله من جنات النعيم، ومرافقة للأنبياء؟! هل زهدتم في الجنة وما وعدكم ربكم به ورضيتم بدنيا فانية ملعونة ملعون من فيها إلا ذكر الله أو

عمل صالح؟! أخي: إن ندائي لك من باب الرحمة والشفقة عليك، لأنك سوف تسأل في يوم القيامة عما قدمت لهذا الجهاد.

فماذا تجيب إذا سئلت عن ذلك؟ أخي الكريم.. لا زالت الفرصة بين يديك سانحة بأن تلتحق بصفوف المجاهدين على قمم أفغانستان، فإن أبواب الجنة مفتحة هناك تدعوك، فلا تبطئن وتأتي بأعذار واهية وتبقى مع المتخلفين وتتركها لغيرك.

أخي.. أرجوك.. أرجوك أن ترحم نفسك وتستجيب لربك، وترفع عنك أقنعة الجبناء، فإنك سوف تموت يوماً ما، ولكن شتان بين أن تموت في منزلك وتحت مكيفك وبين أبنائك وفوق فراشك، أو تموت مجاهداً مرابطاً شهيداً حياً عند ربك، إنك يوم العرض تود لو كنت من المجاهدين، وهذا هو رسولك ﷺ يقول: **(والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل)** هذا قول رسولنا وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

أخي لقد أمهلك الله ولم يقبض روحك حتى الآن، فانتهزها فرصة في أداء واجبك الذي فرضه الله عليك، وأعط ربك من وقتك ما تشكر به نعمه عليك.

إن الوضع في أفغانستان يحتاج إلى وجودك بين المهاجرين والمجاهدين فلا تبخل عليهم بذلك، وانفض عنك ثياب الكسل والوهن، والبس رداء الاسلام الحقيقي وكن من جند الله.. أخي ليس بالضروري عندما تذهب إلى أفغانستان أن تدخل جبهات القتال، ولكن هناك أعمال وأمور أخرى تستطيع أن تقوم بها في معسكرات المجاهدين.. كأن تساهم في تعليم أطفال المجاهدين.. أخي هناك أعمال كثيرة جدا تحتاجك فلا تقف ساكنا جامدا أو تتركها لغيرك من الصليبيين والكفرة من أعداء الله، المهم يا أخي تثبت وجودك بين إخوانك هناك.. أخي.. لقد قال رسول الله ﷺ: (سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله، فاذهب واسع هناك مع إخوانك مؤدياً واجبك، مروحاً عن نفسك من عناء الدنيا وثقلها، وأخيراً أقول لك يا أخي أن بوابة أفغانستان مفتوحة الآن لك ولغيرك من قبل أن تغلق فتندم ولا ينفع الندم.. أقول لك يا أخي أن تقرأ هذه بقلب المؤمن الصادق المنفذ لأوامر الله، وأن تختبر إيمانك، وتؤدي ما أمرك الله به..

وفي الختام: أرجو أن تفكر في الأمر جيداً وتضعه نصب عينيك، وتذكر بأن الجنة حفت بالمكاره، والنار حفت بالشهوات. وأدعو الله أن يجعلك من جنده المجاهدين في سبيله لرفع كلمة: لا إله إلا الله، لتكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وما هذه الصرخة إلا لأني أحبك في الله.

الشهيد أبو فهد المكي(1)

ملت النفس الرمال المالحة على شاطيء جدة، ومناظر السفن القادمة والمغادرة من الميناء تثير فيك إيحاء عميقاً في مسارب النفس وهي تثير أشجاناً تجعل النفس ضارعة خاشعة وهي ترهب من تلك الرحلة الأبدية التي لا عودة منها.

فهل من سفينة أمنة توصلني إلى شاطيء السلام إلى دار السلام عند الملك العلام؟

إن منظر البحر يبعث في الحنايا شجي وشجوا إلى بحر الدماء الذي جرت فوقه بارجة العزة والكرامة فوق نجود أفغانستان ووهادها.

هنالك روابط متينة وحبال غليظة تشد أبا فهد إلى الأرض، وتربطه بالوظيفة، وهي الزوجة والوليد الصغير.

وعلى شفاه صغارنا عذبت ... دنيا من الآمال تدخر

في كل ثغر من براعمنا ... روض من الأحلام يزدهر

ولكن لنا في قصة سعيد بن المسيب عبرة (خرج سعيد وقد كبر في السن وذهبت إحدى عينيه وهو عليل، فقيل له: إنك عليل، فقال: استنهض الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع).

وقرر أبو فهد أن يغادر البلد الحرام ويترك الطفل والأهل والعيال، وجاء إلى مكان الإعداد، وأعد نفسه، ثم رابط في معسكر (جهاد وال) في خوست -بكتيا-، وهنالك أصابه مجل(دمّل).

الرؤيا: خلال وجوده في المستشفى في بيشاور لعلاج الدمل رأى الملائكة تحمله في نعش وتدخل به الجنة، فاستبشر خيرا

(1) المصدر السابق ص ٣٦.

واستيقظ وهو يضحك.

مشاركته في المعارك: رابط فترة بين الكماة الأفغان وبين الشم الغطارفة العرب، وحالهم وهم من حول القائد الشهيد عبدالرحمن المصري وكأنهم يتغنون بشعر كعب بن مالك:

إنا بنو الحرب نمريها ونتنجها — وعندنا لذي الأفغـــان تنكيل

يمشون تحت عمايات القتال كما — تمشي المصاعبة الأدم المراسيل

دخل في عملية في باري، وفتحوا المركز، وغنموا (١٧) كلاشنكوفاً وأسروا (٥٢) أسيراً.

إلى بروان: ومع زيد الخير (أحمد قاسم العراقي) الذي ترعرع في أمريكا كأمير للمجموعة يسير أبو فهد والبشر يطفح على وجهه، والأمل يحدوه أن تصدق رؤياه في المستشفى.

وهناك كان له القدر بمرصد، وكان على موعد مع الشهادة في معركة أفغانستان التي توجت جبين البشرية بالشرف والعزة.

الشهيد علي قدري صالح الجوهري[1]:

إن سماحة النفس وبساطة النفس والتواضع مع الأنفة والعزة والرجولة تعتبر سمات مشتركة بين الأخوة اليمانيين عامة.

وقلما أرى يمانياً إلا وينفتح له قلبي، وتنبسط له أساريري، وقديماً وصفهم ﷺ: **[أتاكم أهل اليمن أرق أفئدة وألين قلوبا، فالإيمان يمان والحكمة يمانية]**.

وأنت تراه يجمع إلى الرقة العزة، ومع التواضع الشجاعة، ويحق لليماني أن يقول:

إنا لمن قـــوم أفنى أوائلهم — قيل الكماة ألا أين المحامونا

فإذا عز النصير للضعفـــاء — رأيت اليماني هو المنـــافح

والمنافح (شديد الدفاع)، وتراهم مطاعين في الهيجا مطاعيم في المحل.

وشهيدنا من بلد الصنعاني ومن مواليد (١٩٦٢م)، ورغم وجود ثلاثة من الأفراخ الزغب إلا أن داعي الجهاد وخوف التفريط بفريضة أوجبها رب العزة على الناس قد دفعته لترك الدنيا وزهرتها، والزهد في الزوجة وصبيتها، وقدم إلى أرض المعركة، ويفتقده الصغار، ولعل الصباح والمساء يذكرهم بذلك العمود الذي يحمل خيمتهم ويظللهم إذا اشتد القيظ ولفحت الهاجرة، ويدفئهم إذا صردت الأنواء واشتد الزمهرير، ويطول الانتظار وكأنهم يرددون مع مالك بن الريب:

تقول ابنتي لما رأت طول غيبتي — فراقك هذا تاركي لا أبا ليـــا

وبعد أن أتم الإعداد توجه إلى ولاية قرب كابل تسمى (لوجر).

في اللوجر: وهناك حيث الظل الظليل والهواء العليل والثمار الدانية فوق مياه نهر سرخاب يقيم شهيدنا، وبجانب الأخ القائد الذي ينتزع حبه من أعماق القلوب (سيد محمد حنيف) العالم المجاهد الداعية -كما نحسبه ولا نزكي على الله أحدا-، وقرب المعلم عبدالله الذي ما انفك يعطي الجزيل من تدريباته للعرب خاصة، وتحلو الحياة في هذا الجو بين إخوة كرام وبين أشجار المشمش والتوت حيث نصب المجاهدون خيامهم، ومن هذا الوادي الجميل تنطلق العمليات في أعماق الليالي.

وهذا الوادي قريب من مديرية محمد آغا التي يمر من وسطها الشارع الواصل بين كابل وغزني، وتعتبر العمليات على هذا الشارع من أجرأ العمليات وأشدها نكاية على العدو، والمجاهد وهو يقابل الدبابة إنما يضع في حسبانه أنه يعيش لحظاته الأخيرة.

أشم كأنه أسد عبوس — غداة بدا ببطن الجزع غاد

ولقد كتب الله لي أن أزور هذه المنطقة ورأيت حطام الدبابات والآليات على جانبي الشارع التي تشهد بأن أعداء الله يذوقون وبال أمرهم، وهذه بعض آثار هزائمهم، والدبابات التي لا تستطيع المرور إلا بصعوبة بالغة، وأما الجنود فلا يمكن أن يسيروا على الشارع.

منه تظل سباع البر ضامرة — ولا تمشي بواديه الأراجيل

ولا يزال بواديه أخـــو ثقة — مطرح البز والدرسان مأكول

(١) المصدر السابق ص ٣٧.

قذيفة الوداع: وفي يوم الجمعة (٨/٧/١٩٨٨م) يصمم المجاهدون أن يقتحموا مراكز الشيوعيين، ويأبى (علي) إلا أن يكون بينهم، ووثبت الأسود وافتتحت المركز في الساعة الواحدة والنصف ليلاً، وانسحبوا بسلام، وقد أطلق على المجاهدين أثناء انسحابهم قذائف الهاون فأصابت علياً شظية في قلبه أسلم روحه للحمام -الموت- مباشرة واستشهد حالاً:

ألا إن عيناً لم تجد وسط لوجر ... عليك بجـــاري دمعها لجمود

وحمل الجثمان على القلوب المكلومة، وسالت جراح قلب علي فانكأت جراح إخوانه، وفي جوانب وادي سرخاب يرقد الليث رقدة الأبد في الحياة الفانية.

وأما دموع الحزن التي ستصبب من مقلتي زوجتك وبناتك فهي عبرات الحزن والسرور، حزن الفراق المؤقت حتى تشفع لهم -إن شاء الله- ويلتقون بك إن تقبلك الله في الجنة، وسرور الشرف الخالد الذي سجل على جبين الزمن وفي أوضأ صفحات التاريخ الإسلامي الحديث.

فالعين بعدهم كأن حداقها ... سملت بشوك فهي عور تدمع

الشهيد عبد العزيز عبد الصمد (الماليزي)[1]:

هذا دم جديد سرى في عروق الأمة المسلمة في كافة أنحاء الأرض، وبدأت الحياة تدب في أوصالها، وصارت ليوث الله تقبل من كل عرين وتنفر من كل عريس (عرين).

في كراتشي في جامعة الدراسات: الحر شديد، وعلى الشاطيء في كراتشي حيث ترتخي الأوصال ويطول النوم ويكثر التثاؤب، ويسيطر الملل والسأم على النفوس، إلا أن صليل السيوف وقعقعة السلاح أسهدت بطلنا وحرمته لذيذ المنام.

وسار إلى الجهاد، يحدوه الطمع في الجنة وثواب الرباط (يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل). وهو يطمع أن يموت أو يقتل، وإن مات في الرباط أو قتل فإنه يموت شهيدا ولا يختم على عمله [**كل ميت يختم على عمله إلا من مات مرابطاً**] ومن مات مرابطاً يأمن الفتان -سؤال القبر وعذابه-.

وفي أرض الإعداد: أعد نفسه وأتقن السلاح الذي سيشهره في وجه أعداء الله، ثم توجه إلى وردك وميدان، وهناك:

وقد عريت بيض كأن وميضها ... حريق ترقى في الإباء سريعاً

القيام في وردك: وفي وردك قام بالمركز الجهادي رمضان، وكان يعلمهم القرآن الكريم.

رؤى مباركة: وقد رأى عبد الرحمن السندي في المنام هاتفاً يقول: إن بينكم شخصاً اسمه عبد العزيز سيستشهد ! وكان عبدالرحمن لا يعرف عبد العزيز، فتساءل: أيكم اسمه عبد العزيز؟ فقال: أنا، فقال له: أنت ستستشهد -إن شاء الله-، لأني رأيت هذا في المنام، وتكررت الرؤيا مرة أخرى مع عبد الرحمن.

حالة الروس والشيوعيين: إن الروس وعملاءهم يعيشون حالة نفسية أسيفة يرثى لها، فهم في رعب شديد، ينتظرون أية طلقة تطلق عليهم بعد إعلان معاهدة جنيف، يود المجرم لو يفتدي بأخيه وأمه وأبيه وصاحبه وقائده **(ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه)**.

فتح ميدان: وصمم المجاهدون على اقتحام ميدان عاصمة وردك التي تبعد ثلاثين كيلومتراً فقط من القصر الجمهوري، ويكتب الله للأخ عبد العزيز الاشتراك في تحرير أول ولاية بكاملها من أعداء الله، وكان نصراً مؤزراً وغنائم عظيمة وفتحاً كبيراً.

نغادرهم تجري المنية بيننا ... نشارعهم حوض المنايا ونشرع

وفي صبيحة يوم الشهادة قال عبد العزيز لأبي عاصم التبوكي: أنا أحس أني اليوم سأستشهد -والله أعلم- وحقق الله بشرى عبد الرحمن له: ففي (١٩/ ١١/ ١٤٠٨هـ) وأثناء المعركة أصابته شظية من قذيفة دبابة فجرح وبقي حياً تسع ساعات وتلا سورة البقرة بكاملها ما بين الجرح والشهادة ! ثم أسلم الروح.

وصيته: ووجدنا في أوراقه وصية يقول فيها (أعطوا متاعي لأميري في الجهاد ليتصدق به واعطوا سلاحي لأخي عبد الوهاب ليواصل به الجهاد، وانصحوا أبي أن يخرج من الحزب الوطني إلى الحزب الإسلامي).

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر ... فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

---

(١) المصدر السابق ص ٢٨.

الشهيد هاني أحمد رشيد (أبو زهير): أمير المركز الإسلامي -إسلام آباد-(١):

كان عمر رضي الله عنه يدعو ربه: (اللهم ارزقنا شهادة في بلد نبيك) رواه البخاري، وكان الصحابة رضي الله عنهم يعجبون كيف يرزق عمر الشهادة وهو في المدينة، ولكن الله -عز وجل- علم صدق عمر وشوقه الشديد لمنازلة الكفار وملاقاة الحتف بين الصفائح والعوالي، ولقد هم عمر رضي الله عنه أن يخرج ليقود الجيش وينازل بنفسه كسرى ابرويز، لولا أن الصحابة رضي الله عنهم ضجوا ورفعوا عقيرتهم في وجهه: كيف تترك المدينة والمسلمين بدون من يدبر أمورهم.

وكتب الله لعمر الشهادة في محراب النبي ﷺ تصديقاً لبشرى رسول الله ﷺ له قبل أعوام وهو واقف مع أبي بكر وعمر وعثمان فوق أحد، فاهتز أحد فقال ﷺ: **(أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان)**.

ونحن الآن مع أخ حبيب ستبكيه الجامعة الإسلامية، ويندبه بحري الدموع المركز الإسلامي في إسلام آباد، وستودعه قلوب الكثيرين من أبناء فلسطين الذين كتب لهم أن يولدوا في الكويت.

ما كنت أتصور أن يسبقني بتناول كأس المنية وهو غض في عمر أولادي، ومع دوامه في الجامعة الإسلامية. إلا أنها درجات يهبها رب العالمين لمن شاء من عباده (وإن في الجنة لمائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله)، وما أظنه استحق هذه الدرجات العلا -إن كان ربه تقبل شهادته- إلا كذا نحسبه ولا نزكيه على الله بالحياء الذي يعتبر سجية مجبولة مع فطرته، وبالخلق الرفيع الذي تميز به.

وقد روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: **{تقوى الله وحسن الخلق}**، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، قال: **(الفم والفرج)** حسن صحيح، وعن عائشة مرفوعاً: **{إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم}** أبو داود.

الحديث **{أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه}** صحيح رواه أبو داود، وفي البخاري **{الحياء خير كله}**.

قليل الكلام، كثير الحياء، لا يكاد يرفع طرفه في المتكلم إغضاء وأدباً، صامت لا يتكلم إلا بقدر، إن خالفك صمت، وإن وافقك أومى إيماء يهمس لا يكاد يسمع جليسه كلامه، في وجهه المشرق ابتسامة لا يملها الجليس ولا يعافها الكال.

كان هاني هو المركز الإسلامي، تنبيك إشراقة الحياء عن أدب جم رفيع، وعن تربية رفيعة نرجو الله أن تكون في ميزان أهله يوم القيامة.

جسد في إسلام آباد وروح ترفرف فوق أفغانستان.

كنت أرى الشباب يعيشون فراغاً نفسياً حاداً بين أشواق مجنحة تطير إلى المعركة بأشجانها وشجوها وأشواقها، وبين واقع ثقيل من رغبة الأهل وضغط الواقع الاجتماعي الذي يزن بموازين الجاهلية من مال وأوراق جامعية.

وكانوا في الجامعة يخففون من حدة هذا الصراع باغتنام فرصة سانحة يطفئون فيها نار الجوى ولهيب الأشواق في جبهة قريبة أومعسكر دان وكأن الواحد منهم يخاطب نفسه:

إلى كم ذا التخلف والتواني	*وكم هذا التمادي في التمادي*
وشغل النفس عن طلب المعالي	*ببيع الشعر في سوق الكساد*

العطل الصيفية: كان ينتظر العطلة الصيفية بفارغ الصبر ليروي ظمأه للجهاد، ويروي غليله ويطفىء صداه، فكنت أراه كثيراً في عرين الليوث أو بيشة الأسود حيث العتاق الجرد تعلك اللجم تنتظر دورها لتنطلق إلى أرض الجهاد.

فلسطين والانتفاضة: وكانت آخر مرة أراه فيها في تنظيم المؤمنين وقد قدم مع صحبة مجموعة من التمثيليات والأناشيد وذلك قبل عيد الأضحى بفترة وجيزة، ورغم أنه لا يعرف القرية التي تعتبر مسقط رأسه في عتيل من قرى طولكرم إلا أن هموم فلسطين أرقت عينه بالسهاد، والمسجد الأقصى يكاد يقض على مضجعه الرقاد، وتعتبر منطقته حوضاً من أحواض الزيت الفلسطينية، إذ تمشي في طريق طويلة وعلى طولها ترافقك الأشجار التي تنبت بالدهن، إذ لا تكاد ترى الأرض، وجداثل الزيتون يلثم الصبا أفنانها

---

(١) المصدر السابق ص ٣٩.

مداعباً، فتعطي الجو رونقاً عجيباً من الجمال الأخاذ والاعتدال الساحر. من طولكرم إلى عتيل مرورا بشويكة ودير الغصون، مسقي لتلك المناظر، وواها لتلك المناطق التي لها في أعماق فؤادي كل حنين وشوق، ولكم سلكت بنفسي هذه الطريق الجميلة.

في المركز الإسلامي في إسلام آباد: كان لهاني دور طيب وأثر فعال في التقاط كثير من الشباب الفلسطيني الحائر الضائع بين شعارات اليسار الثورية وبين معاناة التشريد والجحود التي جعلته يقف على حافة الهاوية يائساً، وفي ذلك المركز البسيط وقرب الجامعة كم رجع إلى الله من هذا الشباب المتهوك (المتحير) الذين في سكرتهم يعمهون، ورده إلى جادة الصواب وطريق الحق بإعادة الثقة إلى قلبه بهذا الدين العظيم كمنقذ وطريق للنجاة، والآن كيف تواجه المركز الساهم الحزين الشاحب بعد فقد ليث العرين.

أتعرف الدار عفا رسمها　　　تدمي بها عبرة الثاكل
سألتها عن ذاك فاستعجمت　　　لم تدر ما مرجوعة السائل

خاتمة المطاف: وتوجه إلى قندهار حيث تلهب المعارك، وفي إحدى المعارك في سبين بولدك قرروا اقتحام مركز من مراكز الشيوعيين، وألقى الشيوعيون السلم، وغنم المجاهدون كل ما في المركز، وقيدوهم بالأغلال، وبدأ المركز القريب يلقي بحممه على المجاهدين، ووقعت قذيفة قرب أبي زهير فأصابت منه مقتلاً وهو بين يدي ربه قائماً في صلاة الظهر في يوم التروية (٨) ذي الحجة (١٤٠٨هـ) الموافق (٢٠/ ٧ / ١٩٨٨م)، في هذا الموطن الذي تستشرف له النفوس وتتطاول له الأعناق. موطن الشهادة التي نرجو الله أن يكون قد تقبلها فتكون روحه في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش: **(وإن للشهيد عند ربه سبع خصال: يغفر له مع أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويلبس تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما عليها، ويزوج باثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع بسبعين من أهل بيته).**

ونرجو الله أن لا يحرمنا من الشهادة في هذا السبيل ويلحقنا به في الصالحين:

بكت عيني وحق لها بكاها　　　وما يغني البكاء ولا العويل
على ليث عزيز حين قالوا　　　أهاني ذلك الرجل القتيل

في وداع الشهداء: وفي وداع الشهداء تقول لأعيننا:

هلا بكيت على الكرام بني الكرام أولي الممادح
كبكا الحمام على فروع الأيك في الغصن الجوانح
من يبكهم يبكي على حزن ويصدق كل مادح
شمط وشبان بهاليل مغاوير وحارح
مرداً على جرد إلى أسد مكالبة كوالح
ويلاق قرن قرنه مشي المصافح للمصافح
ولقد أصاب قلوبنا مجل على جلب قوارح

وصية إلى أولياء الشهداء:

يا أم الشهيد لا تجزعي بل افخري بابنك بطلاً شهيداً وفارساً فريداً، ونرجو الله أن يتقبل شهادته فيكون لأهله شفيعا يوم القيامة، ولا تجزعي فأمثال ابنك مفخرة للأجيال ونبراس للفتيان.

لا تقتلي النفس إن حانت منيته　　　في طاعة الله يوم الروع والباس

وأما شقيقاته: فلهن أن يرفعن رؤوسهن اعتزازاً ورفعة، ولا تسكبن عبرات الواله الفاقد، بل افرحن فرح الحبور الوافد الواجد.

أما الوالد الكريم: فهنيئاً لكم هذا الليث الهصور الكاسر الذي نكل بأعداء الله، وعرفنا بكم وبالعائلة جمعاء من خلال جهاده واستشهاده، وابنك من هؤلاء الذين يطلبون الموت مظانه.

فج يكاد صهيل الخيل يقذفه　　　عن سرجه فرحا بالغزو أوطربا

فافخر ولا تجزع، وابعث إخوانه ليسلكوا جادة العزة وجدية الفخار.

ولولا أنهم خير منا ما اختارهم الله قبلنا وتركنا نتجرع حسرتنا ولا ندري ما خاتمتنا، فاللهم أحينا سعداء وأمتنا شهداء واحشرنا في زمرة المصطفى ﷺ.

وصية الشهيد أبي زهير:

هذه هي وصية العبد الفقير إلى ربه هاني أحمد صالح، فأوصيكم بتقوى الله فإنها جماع الأمر كله، وأوصيكم باتباع نهج المصطفى ﷺ والسير على خطاه.

لقد آمنا بالجهاد سبيلاً، هذه الفريضة التي غفل عنها المسلمون اليوم إلا من رحم ربي، فتراهم هائمين على وجوههم وقد أصابهم الخنوع والذل (وما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا) وإن أعداءنا قد شبعوا كلاماً وشجبا وتنديداً واستنكاراً، ولن يسكتهم ويكسر شوكتهم إلا الدماء التي هي طريق استرداد العزة والكرامة المسلوبتين، ولن تقوم لنا قائمة إلا بهذا البذل وهذا العطاء. وبعد فهذه وصيتي لوالدي الكريم، فأوصيك والدي بأن تكون منفذا لأوامر الله، ومجتنبا لنواهيه، وأن تتقي الله في إخواني وأخواتي.

وأوصيك يا والدتي بأن تهتمي بأولادك كل اهتمام، وتربيهم التربية الحسنة، وتتقي الله في نفسك وفي أولادك وأرجو منكما أن تسامحاني على أي تقصير بدر مني.

وأقول لكما أن الله أعزني بالجهاد في سبيله أيما عزة، وأنني والحمدالله ما سعدت كما سعدت في هذا الجهاد المبارك الذي هو جهاد الأمة الإسلامية، ليس مقتصراً على شعب من الشعوب، وأنه لا يعرف الحدود الجغرافية التي اختلقها الاستعمار بمساعدة الأنظمة العميلة، فافرحوا أيما فرح، واسعدوا أشد سعادة إذا بلغكما خبر استشهادي، وأسال الله أن يجمعني معكما في الجنة إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، وإنه نعم المولى ونعم النصير.

الشهيد (٢٦/٦/١٩٨٨م)

الشهيد عبد الله المحارب[1]

يعود بي شريط الذكريات إلى (١٩٨٤م)، كنت ذات يوم في بيتي وكنت آنذك اسكن في إسلام آباد، وإذا بعبد الله يقرع الباب، ففتحته فوجدني مع بعض الإخوة منهمكين في التفكير في قضايا مهمة، فوقفت أمامه والحياء يسبغ وجهي لونا من الحمرة، واستحييت أن أقول له: (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا) بسبب انشغالي، وكذلك لم أقل له أن يدخل، عانقته فبادرني قائلاً: لعلكم في شغل، فأجبته: بلى، فقال: اشتقت اليك فجئت خصيصاً لأراك، وقد رأيتك، وقفل راجعاً إلى بيشاور.

هكذا كنّا ثم قست قلوبنا، كنا أسرة واحدة، قلباً واحداً، انظر إلى هؤلاء الشباب كأنهم أبنائي، بل أحب إليّ من أبنائي – علم الله –، ينشرح صدري إذ أرى أحدهم، ويضيق صدري بالبعد عنهم.

الكبير في هذه الأسرة أب، والصغير ابن، والقرين أخ وهكذا، وكنت من البداية حريصاً على أن أجنب هذا التجمع الجهادي المبارك مغبة الوقوع فريسة الأحقاد، أو السقوط في هوة التعصب الحزبي والمذهبي أو الإقليمي.

ومراد النفوس أصغر من أن نتعادى فيه أو نتفانى

ثم أقبلت بعض الصدور تحمل أحقاد السنين، وتنوء بما يثقلها من خلافات الهوى والشح والمطامع والإعجاب بالرأي، فقذفت كل ما تحمله عن بلادها من مرارة الاختلاف في أحضاننا، فتغيرت بعض النفوس، وفسدت بعض القلوب، وتنكر بعض الإخوة لإخوانهم.

هكذا كنا: يقطع عبد الله المحارب مائتي كيلومتراً ليراني، فيبل شوقه ويطمئن قلبه ثم يعود إلى بيشاور.

كان عبدالله من السابقين الأوائل إلى ميدان القتال، ولقد كان على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، شاب نشأ في طاعة الله، لم تدنس فطرته بهوى، ولم يفسد قلبه بدنيا.

يعيش عيش ذلك الأعرابي رَثّ الهيئة الذي سمع أبا موسى الأشعري يروي عن رسول الله ﷺ: [إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف]، فقال: يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم، فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل] مسلم.

[1] مجلة الجهاد العدد ٤٧ ص ٣٤ صفر ١٤٠٩هـ الموافق سبتمبر ١٩٨٨م.

منذ خمس سنوات وهو يتردد بين أرض المعركة ووداع قومه، يأتي إلى ساح الأبطال، فيخوض غمار النزال، ويشبع نهمه ثم يعود إلى بلده يجمع ما استطاع، ويستنهض الهمم، ويستثير العزائم، ويقبل موقرا بالأموال وما جادت به كرام النفوس، ثم يوصلها إلى المجاهدين، ويعيش بينهم فترة ثم يرجع وهكذا دواليك.

الفتوى: كنت أراه بين الحين والآخر، قال لي ذات مرة: لقد رأيت أن فتواك في فرضية العين حق، وأنه لا إذن لأحد على أحد، ثم عقب قائلا: وهل اطلعت على رأي الشيخ ابن تيمية (ج/٢٨ص٣٥٨): (فأما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين فإنه يصير دفعه واجب على المقصودين كلهم وعلى غير المقصودين، كما قال الله تعالى: (**وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر**) كما أمر النبي ﷺ بنصر المسلم، وسواء كان الرجل من المرتزقة للقتال أو لم يكن، وهذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد بنفسه وماله مع القلة والكثرة والمشي والركوب كما كان المسلمون لما قصدهم العدو عام الخندق لم يأذن الله في تركه لأحد).

فقلت في نفسي: لم يعلم الأخ عبد الله أني نقلت هذا في كتابي (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان).

في -أرغنداب- من مديريات قندهار: واختار عبدالله ساحة قندهار لتكون ميداناً لنشاطه وقندهار معروفة بأنها أرض منبسطة، ويعتبر القتال فيها أشق ما يواجه المجاهدين على أرض أفغانستان.

وفي غرة ذي الحجة سنة (١٤٠٨هـ) بينما عبد الله يعيش انتصارات المجاهدين، ويشعر بمنة الله العظيمة على هذا الشعب الكريم، وانحسار الكفار وأهله، وخزي الإلحاد وبحره.

وفي معمعان القتال وبين دوي المدافع وبدمدمة الرصاص أصابت عبد الله شظية لم يستطع أن يتكلم بعدها سوى أنه كان يشير بسبابته إلى السماء، وبلغت الحلقوم وشخص البصر، وأسلم الروح في ميدان طالما حلم أن يشهد منيته فيه.

وما أجمل أن نردد مع أبي تمام في وداع عبد الله:

فتى كلما ارتاد الشجاع من الردى مفراً غداة المأزق ارتاد مصرعا

وما كنت إلا السيف لاقى ضريبة فقطعها ثم انثنى فتقطعا

وقد أرسل لنا الشيخ عقيل العقيل مدير مؤسسة الحرمين للأيتام في كويتا على حدود قندهار بهذه الرسالة بعد استشهاد الأخ عبد الله رحمه الله.

في أول ذي الحجة (١٤٠٨هـ) سقط على أرض قندهار الأخ عبد الله بن محمد المحارب فروى بدمه الطاهر أرض البطولة والجهاد.

لقد كان لقائي الأول بذلك الشاب الفتى في أواخر رمضان سنة (١٤٠٤هـ) في الرياض حيث أبدى رغبته في الالتحاق بصفوف المجاهدين، وفي ثاني أيام عيد الفطر من نفس السنة كنا نلحق ومعنا بعض الإخوة الشباب إلى مطار إسلام أباد.

التحق -رحمه الله- بصفوف المجاهدين في جاجي حال وصوله وبقي ثمانية أشهر متواصلة عاد بعدها للسعودية ثم تزوج وانتقل إلى المدينة المنورة.

ومن يومها انقطعت أخباره عني وعلمت أنه يتردد على أرض الجهاد بين الفترة والأخرى، يحمل ما يتمكن من جمعه من أموال يدعم بها الجهاد ويواسي المكلومين، ثم علمت أنه بنى مستشفى ميدانياً صغيراً في أرغنداب في ولاية قندهار، وكنت أتوق إلى لقائه وأخطط لذلك، ولكن المنية اختارته قبل أن يتم اللقاء.

لقد كان -يرحمه الله- في مهمة جهادية في الداخل لتفقد أحوال المجاهدين، فأصيب بشظية من قنبلة مدفع هاون سقط شهيداً -إن شاء الله- في مكانه، وأخبرني زميله الذي كان معه أنه مات وهو يرفع أصبعه السبابة دون أن يتمكن من التلفظ بالشهادة. وكانت تبدو على وجهه ابتسامة رضى وحبور بعد استشهاده.

وقبل الحادثة بساعات اغتسل من أحد الينابيع التي مر بها، وكان ذلك مساء الخميس ليلة الجمعة أول من ذي الحجة ١٤٠٨هـ في منطقة أرغنداب.

تذكرت وأنا أنظر إلى صورته مبتسماً رغبته في الشهادة وصدقه في طلبها حتى أناله الله منيته.

فهنيئاً لك أيها البطل موتك في سبيل الله، وهنيئاً لوالديك ولزوجتك ولابنتيك الصغيرتين، وأسأل الله سبحانه أن يتقبلك في

الشهداء، وهنيئاً لنا جميعا بأمثال هؤلاء الشباب الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الشهيد (سيد أحمد خليفة)(١):

كان نسيج وحده في عزته وإبائه ونخوته، همته تناطح السحاب، وعزيمته تطاول الجوزاء رغم أنه مشلول النصف، لا يخطو خطوة إلا وبجانبه من يسنده، ونصفه يعتمد على عكازه الذي لا يفارقه أبداً.

من السادة الذين يعرفهم الشعب الأفغاني، ويحترمه الكبير والصغير، وبيته محط للقادمين ومستراح للزائرين في طيبة مثوى سيد الأنام ﷺ، وكنت تلمح في وجوه القوم الذين يرتدون مضافته أناساً من شتى الطبقات ومختلف المراتب والهيئات، فرئيس وزراء أفغانستان وقائد الجيش وغيرهما ممن تسلموا المناصب أيام الملك ظاهر شاه كانوا إذا زاروا المدينة فغالباً ما يعرجوا على البيت الذي يعتبر كأنه جزء من جدول الزيارة.

كان (مياجل خان) من علماء أفغانستان البارزين الذين لهم صلات وثيقة بالسادة في المدينة المنورة، وقد أحب والد (سيد أحمد) لابنه أحمد أن يشب على حياة الفروسية، ويترعرع بين لمعان الأسنة وبريق الخفي (الرمح) وضوء المشرفي (السيف).

أرسله إلى أفغانستان صغيراً وعاش فيها كأنه من أبناء هذه العائلة الكريمة التي كان لها شرف السبق في إعلان الجهاد ضد تراقي سنة (١٩٧٨م)، وعندما أدرك الحنث زوجوه إحدى بناتهم، وتزويج الأفغان للعرب أمر غريب، لأنه من الصعب جداً أن تخرج البنت خارج قبيلتها، ولكن تزويجهم لأحمد كان شرفاً أثيلاً ومجداً رفيعاً يريدون كسبه لأنه من النسل الشريف حتى ينالوه ولو من جهة المصاهرة.

صلة سيد أحمد بالجهاد: أفغانستان جزء عزيز من قلب أحمد، وقد تزوج منها امرأتين كانت إحداهما أم أسامة، ولقد شهد في أفغانستان من الأحداث الضخام التي جعلت تاريخ أفغانستان يكون قسطاً وافراً من ثقافته .

وحبب أوطان الرجال إليهم ... مآرب قضاها الشباب هنالكا

هاجر صهره أبو الحسن المدني (وائل جليدان) بأسرته إلى أرض الجهاد، وأم الحسن هي ابنة سيد أحمد، ثم لحق بوائل جمال بن أحمد مع أسرته. وفتح الأبواب ليطفئ سيد أحمد لهيب الأشواق للجهاد خاصة وأن الجهاد فوق الأرض الحبيبة التي درج فوق رباها ونشأ بين نجودها وأوهادها، وقسم دهره شطرين: شطراً للمدينة المنورة التي تأخذ نصف قلبه ولبه، وشطراً لبيشاور وأفغانستان التي سلبت النصف الآخر.

كنت أجلس إليه ويفتتح الحديث عن أفغانستان وطبيعة الشعب الأفغاني وطراز العيش فيه، ويحدثك عن مصرع نادر شاه سنة (١٩٣٣م) وقد كان أحد الشهود في الحفل الذي تحول مأتماً في يوم عرس، ويحدثك عن الحفاوة البالغة التي كان يحظى بها أثناء زياراته لأفغانستان وعلى المستويين الشعبي والرسمي، وكل هذا راجع لحب الأفغان البالغ للنسب الشريف الذي يمت إليه سيد أحمد، قضايا كبيرة وخلافات ضخمة ما استطاع أحد أن يحسم فيها سوى السيد الشريف القرشي الذي لا يستطيعون التعقيب على رأيه وقوله لما له من مكانة رفيعة في قلوبهم.

زيارة الوداع: وكانت الزيارة الأخيرة خالصة للرباط والله أعلم، ولم تخالطها نية زيارة الرحم (أم الحسن)، فلقد قضت الفترة الكبيرة بين العيدين في بيت أهلها بالمدينة، ثم رجعت قبل عيد الأضحى بقرابة شهر، فرافقها والدها مع والدتها طمعاً في أجر الرباط.

وأقبلت الأيام الأولى من ذي الحجة (ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام)، وذات صباح وبعد صلاة الفجر وإذا بجرس التليفون يدق، فأجبت، فردت علي (أم جمال) زوجة أحمد وقالت قل لأبي الحسن (وائل) أن يمر علينا في المستشفى، فقرعت عليه الباب المجاور وأخبرته، ثم توجهت أنا ووائل وزوجه أم الحسن لزيارة سيد أحمد، فإذا بآثار الجلطة التي ألمت به في الهزيع الأخير من الليل قد زالت، ورقيته بالأدعية المأثورة ثم ودعته وكان مستريحاً، وكانت النظرة الأخيرة التي حظيت بها منه في هذه الحياة، وفي الساعة الرابعة مساء جاء ابني إبراهيم وأسر في أذني توفي سيد أحمد فخرجت رأساً إلى بيت أبي الحسن في

---

(١) المصدر السابق ص ٣٧

جواري، فرأيته مسجى مغطى بقماش أبيض، وقرأت قرب رأسه سورة (يس).

الدفن: وتشاورت مع أبي الحسن في مكان الدفن، وكنا بين أن ندفنه في مقبرة الشهداء في بابي قرب بيت سياف، بجوار يحيى سنيور وأبي عبد الحق، وبين أن ننقله إلى المدينة ليدفن بين الصحابة في البقيع.

وكنت أخشى أن يتغير لونه لأنه توفي يوم الجمعة ساعة الاستجابة بعد العصر، ولن يصل إلى المدينة إلا في منتصف ليلة الأحد، وقضى الله أن لا نجد ثلاجة للموتى في بيشاور، وبقي الجثمان ليلة السبت ويوم السبت، وفي مساء السبت نقلناه بالطائرة.

دهشة جميع الحاضرين في المدينة: ولشد ما كان تعجب الجميع عندما كشفوا عن وجه سيد أحمد وهم يتوقعونه قد انتفخ وازرق لونه، وإذا به كالنائم محمر الوجه لا يمل الناظر إلى وجهه وودع الجميع المهاجر المرابط، وألقوا عليه نظرات الوداع، وسارت الجنازة إلى البقيع، ووري الجثمان بين الرهط الكريم من سلف هذه الأمة.

ونرجو الله عز وجل أن يكون قد تقبل رباطه وهجرته، وفي الحديث الصحيح: **[من وضع رجله في الركاب فاصلاً فرقصته دابته فمات، أو لدغته هامة فمات، أو مات بأي حتف مات فهو شهيد وإن له الجنة].**

شهداء يوم التروية

رغم أن الدبابات لم تعد تستطيع السير فوق الشوارع في جميع أرجاء أفغانستان هلعاً من قذائف ليوث الجهاد، ولم يعد بإمكان أي كتيبة من كتائب الجيش الأحمر أن تظهر في سهل ولا جبل، وحرم على طائرة هليوكبتر أن تحلق في سماء أفغانستان جزعاً ورعباً من صواريخ المجاهدين.

والانتصارات متوالية، ورايات الظفر ترفرف فوق معظم الوهاد والنجود، ومعنويات المجاهدين تناطح السحاب في عنان السماء، وعزائم الكفار خائرة منهارة يحسبون كل صيحة عليهم، كما عبر عنها جندي روسي راجع من الميدان وعلى شاشة التلفاز الروسي: (عندما نسمع صيحة الله أكبر نبول على ثيابنا)، وفي كل يوم جديد من الانتصارات التي تشبه الأحلام، ومن انهيارات الكفار **(فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين)** وكانت تذكرة عظمى للمؤمنين كما قال الله -عز وجل- معقباً على الآية السابقة **(فاعتبروا يا أولي الأبصار)**.

وسقطت تخار، وكندز، ووردك، وباميان، وغزني، وقندهار، وسمنجان، وجلال أباد على وشك السقوط.

رغم هذا كله إلا أن الله يكرم بعض عباده بالشهادة ويختارهم إلى جواره، ألقت طائرة قذيفتها مشركة فيها صواعقها تنتظر من يتجمع حولها لتنفجر بجمع غفير، وتجمع الجمع وانفجرت القذيفة فأصابت ستة من خيار الإخوة، ففازوا بما جاؤوا من أجله، ووصلوا إلى الغاية التي لها يطمحون، في الثامن من ذي الحجة (١٤٠٨هـ)، منهم:

الشهيد المهندس أشرف بدوي السيد (صديق المصري)(١):

يا كوكباً ما كان أقصر عمره	*وكذا تكون كواكب الأسحار*
وهلال أيام مضى لم يستدر	*بدراً ولم يمهل لوقت سرار*
عجل الخسوف عليه قبل أوانه	*فمحاه قبل مظنة الإبدار*
واستل من أترابه ولداته	*كالمقلة استلت من الأشفار*

ولد أشرف سنة (١٩٦١م) وكان متفوقاً في جميع مراحل التعليم، وأنهى الثانوية ليدخل جامعة الإسكندرية في قسم الهندسة المعمارية، ونال البكالوريوس منها عام (١٩٨٤م)، وحصل على الماجستير من جامعة هارفرد براشنطن سنة (١٩٨٨م)، وسجل للدكتوراه في الهندسة، ولكنه يسمع عن أنين الثكالى وبكاء اليتامى وآمات الأيامى فتقض عليه مضجعه، وتثير في أعماقه أشجانه فيسلو الدنيا بعقرياتها، ويهجر عاصمة الشيطان ببريقها ووميضها، يترك واشنطن بما فيها ويقبل على الجهاد، وماذا على الشباب أن يردد وهو متوجه إلى أرض المنون التي تصنع الأبطال:

وإني لنزال بكل مخوفة	*كثير إلى نزالها النضر الشزر*
فأظمأ حتى ترتوي البيض والقنا	*وأسغب حتى يشبع الذئب والنسر*

(١) المصدر السابق ص ٢٦.

ويا رب دار لم تخفني منيعة طلعت عليها بالردى وأنا الفجر

أقبل إلى أفغانستان وكله أمل أن يشبع لوعته بمصافحة العوالي، ويروي حرقته لمناطلة الصفائح (السيوف)، يدخل جور غيل الليوث وبيشة الضراغم يتدرب على ألوان العدة، وكان بين إخوانه مثال المسلم رفيع الخلق، عالي الهمة، واسع القلب والصدر، وكما حسن الله خلقه فقد حسن خلقه، وكان شفيقاً لطيفاً بإخوانه.

وفي يوم التروية مضى أشرف إلى الله، ونأمل من الله أن يكون قد عوضه عن شهادة الدكتوراه التي يدخل بها المصانع الأمريكية بشهادة يدخل بها جنات **(تجري من تحتهم الأنهار دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)**.

وقد وصلنا من والد الشهيد رسالة بعد علمهم بنبأ استشهاده جاء فيها: (كان أشرف طوال مراحل حياته مثالاً طيبا للشاب المسلم الصادق المتمسك بدينه، المبتسم للحياة ابتسامة الواثق بربه المتسامح الكريم، ذو القلب الرحيم المليء بالعطف والحنان والحب للجميع، ناهيك عن أسمى درجات الرحمة والبر بالوالدين والإخوة والأقربين، وكان كما حسن الله خلقه فقد حسن خلقه.

اقتضت مشيئة الله تعالى لولدي الصديق أشرف أن يؤدي فريضة الحج عام (١٤٠٧هـ)، وكان آخر عام هجري في حياته حتى يرزق الشهادة مستكملاً لأركان دينه الخمسة.

نسأل الله تعالى نحن الصابرين المحتسبين أمه وأباه وأخواته وذويه والأقربين أن يوفقنا لصالح الأعمال لنكون أهلاً للدرجة العالية الرفيعة التي أوصلنا إليها شهيدنا الصديق أشرف وأن يجمعنا به شفيعا لنا عند ربنا في مستقر رحمته.

والله غالب على أمره، والنصر للإسلام، والمحق للكفار، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والد الشهيد صديق المصري

بدوي السيد بدوي

الشهيد خالد مصطفى المصري -أصغر شهيد عربي في أفغانستان-[1]:

في حجر والده في إسلام آباد نبت وترعرع، ووالده مولع بحب القنا والبنادق، عمل والده مراسلاً لجريدة الاتحاد الظبيانية وممثلاً لها في إسلام آباد، ووجد في أرض باكستان بغيته، نهم القراءة لا يمل ولا يكل، خاصة في عالم الشعث الغبر الذين يأبون الضيم ويأنفون المذلة.

يرابط كثيراً ويصطحب أبناءه معه، ويربيهم على شظف العيش وخشونة الحياة، فتراه في بابي أو خوست يحمل في يمينه سلاحه متأبطا تحت ذراعه الأخر إبناً من أبنائه، وتعجب وأنت ترى هذا الغلام غض الإهاب، لين العظام، كيف يعيش فوق أرض تقذف بحمم براكينها، وتحت سماء تمطر الأرض بشهبها وحديدها، ولا ريب أن يشب هذا الشبل على محك المحنة ونار المعاناة، منذ سبع سنوات وأنا أراه لا يكاد يهدأ، وابنه لا يتجاوز التاسعة، وكم من شاة سبقت أمها إلى المذبح.

الشهادة: وفي يوم التروية كان من بين الذين أصابهم الحادث المروع وأودى بحياته.

مكالمة من لندن: وبقيت أمه دون أن تعلم حتى مر قرابة شهر عليه، واتصلت بها شقيقتها من لندن، وفي منتصف الليل ولم يكن في البيت غيرها، وقامت من نومها ترد على التلفون، وإذا باختها تهدئ من روعها وتعزيها وتذكرها بأن الموت جسر لابد أن يمر عليه كل حي، ففجعت ولا تكاد تصدق، فالتقطت بعض أنفاسها واستطاعت أن تجمع بعض الكلمات التي جمدت على شفتيها فقالت متسائلة عن زوجها أن زوجها في الرباط منذ فترة وفي جبهة أخرى ولا ترى منه إلا الخيال:-

طواه الطوى حتى استمر مريره فما فيه إلا العظم والروح والجلد

الطوى: الجوع، استمر مريره: استحكم.

قالت: أقتل مصطفى؟ فأجابت أختها: لا إنما هو وليدك خالد.

فخارت رجلاها وسقطت على الأرض مغشياً عليها، ولم تستيقظ إلا في اليوم التالي:

---

(١) المصدر السابق ص ٢٩.

وإنما أولادنـــــا بيننـــا   أكبادنا تمشي على الأرض

وهكذا مضى خالد في زهرة عمره وهو ابن السادسة عشرة بعد، وقد ذكرت بشهادته استشهاد عمير بن أبي وقاص أصغر شهيد في بدر.

وهكذا قطفت هذه الوردة في لمح البصر، وحرمنا شذاها ليعبق عرفها (ريحها الطيب) بين رياحين لا تذبل ولا تذوي -إن شاء الله-.

إن يحتقر صغراً فرب مفخم   يبدو ضئيل الشخص للنظار
إن الكواكب في علو محلهـــا   لترى صغاراً وهي غير صغار

موسى دامني البلوشستاني[1]:

في إيران ومن زاهدان وفي قرية من مضافاتها كان مسقط رأس موسى، أنهى المرحلة المتوسطة ونشأ نشأة دينية في بيت ملتزم بالإسلام، ولذا لم يطق الاستمرار في المدارس الحكومية فانتقل إلى مدرسة دينية ينهل منها العلم والأدب، ويشبع نهمه للمجد وهو غاية الأرب.

ولكنه كان يخشى أن يؤخذ للتجنيد الإجباري حيث يزج به في معركة ليس فوقها راية واضحة ولا هدف جلي، راية عمية يخشى أن تكون ميتته تحتها ميتة جاهلية على الحدود العراقية الإيرانية.

الهجرة: ولذا فقد أزمع الهجرة إلى باكستان ليواصل شربه من هذا المعين العذب يتمثل في المصادر الرئيسية للتشريع في هذا الدين، ووصل كراچي، ودخل (دار العلوم الإسلامية في كراتشي)، وقسم وقته بين دروس يتلقاها في هذا المعهد الإسلامي العتيد وبين أرض يطبق عليها ما تلقاه من مبادئ وقيم ومثل، فتسخن الكلمات بحرارة المعركة، وفي أتون القتال تصفو النفوس وتشرق الأرواح وتصقل القلوب.

فيوماً في الذخيرة من سلاحـــي   ويوماً في الذخيرة من تـــلادي

الرحلة الأخيرة إلى أرض المعركة: كانت الأيام تمر ثقيلة فوق مقاعد الدراسة لأن قلبه يضطرم شوقاً لأرض الأبطال وعرين الأسود، وما أن أقبلت العشر الأوائل من ذي الحجة حتى ينطلق موسى بصحبة عشرة من أتراب الدراسة -وهكذا خلسة- يتسللون من بين حجرات الدراسة حتى يضعوا أنفسهم بين أحجار الرحى التي تطحن الحديد والبشر.

عش عزيزاً أو مت وأنت كريـــم   بين طعن القنا وخفق البنـــود
لا كما قد حييت غير حميـــــد   وإذا مت مت غير فقيـــــــد

وسار موسى الشاب المتواضع الذي يخالط إشراقة وجهه شيء من الحمرة، فتى قلما تسمع له نبســـة، مشغول بعيوب نفسه (وطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس)، قلما تراه عابس الوجه أو مقطب الجبين، دائم الابتسامة، يأسرك منه تواضع جم وخلق أخاذ، وقلب كبير يضم بين حناياه آلام أمة وآمال جيل.

وكانت الخاتمة في جرور في يوم التروية: ويصمت الجميع بذهول يشده العقول لصاعقة النبأ التي نزلت على القلوب فأحرقتها، ويتحول الدرس النظري الذي يلقيه الأستاذ إلى درس عملي فيه العبرة والذكرى والعبرة، وكل لسان يلهج بما في أعماق قلبه من حب وثيق لهذا الراحل المعلم الذي ترك بصماته في حنايا النفوس وعلمها أن الحياة الحقيقية هي حياة الفرسان **[من خير معاش الناس رجل أخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار اليها يبتغي الموت مظانه]**صحيـــح.

عبد الله عبد الوالي الذهب (أبو عمر اليماني)[2]

ما رأيت شبيها لفطرة أهل أفغانستان مثل أهل اليمن، ويكاد القطران يتشابهان بأصالة فطرة الأبناء وطبيعة الأرض والالتفاف حول العلماء ووضع النصوص موضع الجدية والتنفيذ، تراهم في الخمسينات يرتدون البزة العسكرية ويحملون البنادق ويسابقون الشباب في تسلق الجبال، بل في الصعود إلى أعالي المجد.

(١، ٢) المصدر السابق ص ٤٠-٤١.

وإذا كانت النفوس كباراً　　　تعبت في مرادها الأجسام

روح الشباب، وهمة الفتيان، وعزيمة لا تعرف الكلل.

عمري بروحي لا بعد سنين　　　فلأسخرن غداً من التسعين

عمري إلى الستين يجري مسرعاً　　　والروح ثابتة على العشرين

وهكذا فقد التقيت في ذرى الجبال وبين الغابات والأدغال نماذج من أهل اليمن، رأيت الغبيسي وأبا فارع، وكم يهزك أن تعلم أن غيلان أبا فارع أول من يقبل إلى الجهاد من أهل اليمن والإيمان والحكمة رغم أنه في العقد السادس من عمره.

ويعجبك أهل اليمن بإبائهم وأنفتهم وعزتهم وقبولهم للمنايا دون إعطاء الدنية في دينهم، كذاك أهل أفغانستان.

ونفس تعاف العار حتى كأنـــــــه　　　هو الشرك يوم الروع أو مثله الكفر

وتكاد النغمة العذبة تتحد على لسان حال اليماني والأفغاني:

هو الموت فاختر ما علاك ذكره　　　فلم يمت الإنسان ما حيي الذكر

ولا خير في دفع الردى بمذلة　　　كما ردها يوماً بسوأته عمرو

أقبل عبد الله: من بين الذين أقبلوا مستجيبين لرب العزة وهم يرتجفون من التهديد الرعيب من فوق السبع الطباق:

(قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) (التوبة)

وهو في الأربعين من عمره تاركاً والدة ليس لها إلا الله ثم السهاد والأرق والبكاء والقلق على الفراق.

من منطقة رداع، ولكنه نزيل صنعاء، شاب وقور جاد كثير الصمت، لا يعرف منه تجاه الناس إساءة، ولا تراه إلا في حلق العلم تارة، وأخرى بين دروس تحفيظ القرآن يتتبع الندوات والمحاضرات، وله في القلوب منزلة، وصمته يضفي على مكانته مهابة واحتراماً.

في معسكر التدريب: وفي داخل المعسكر وجد نفسه، وانبسطت أساريره، وبدأ يعبر عن ارتياحه الكبير ببعض النكات التي قلما كان تسمع منه من ذي قبل، وكأنه وجد التفسير العملي **(عليكم بالجهاد فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم)** حديث صحيح.

وفي يوم التروية مضى إلى الله وترك أماً في صنعاء تكابد الليل مع نجوم السماء ولو كانت تعلم الأدب والشعر لقالت.

فإذا نطقت فأنت أول منطقي　　　وإذا سكت فأنت في إضماري

أخفي من البرحاء ناراً مثلما　　　يخفي من النار الزناد الواري

وأخفي الزفرات وهي صواعد　　　وأكفكف العبرات وهي جواري

(الزناد الواري: المشعل المشتعل، الزفرات: التنهدات، العبرات: الدموع، البرحاء: الشدة).

فهنيئاً لك هذه الخاتمة التي نرجو الله أن يتقبلها وأن يجمعنا بكم وبهشام الديلمي.

الشهيد تيسير دخيل الله بن سالم الربيع (الفاروق)[1]:

كثير الصمت لأنه حكمة، قليل الكلام (الصمت حكمة وقليل فاعله)، كثير الذكر، وهذه صفة المجاهدين **(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون)**، فأما الشهادة فهي عشيقته التي يهواها ولا يفتأ يردد ذكرها على لسانه.

اتصل بي والده يستفسر عن استشهاده، فبشرته بشهادته، ودعوت الله أن يكون شفيعاً لوالده، وقلت: أمثال ابنك تفخر بهم الأمم وتحيا بهم الشعوب، ونرجو الله أن نلقى هذه النتيجة صادقين مقبولين.

رؤيا صادقة: وقبل استشهاده بساعات في يوم الجمعة قال: أتمنى أن أستشهد بقذيفة طائرة، وصدقه الله، وقد كان له دور في التوجيه والتربية الإيمانية والروحية، بالإضافة إلى أنه كان مثال الجندي المطيع، ولقد كان لغيابه أثر على نفوس الكثيرين.

---

(1) المصدر السابق ص ٤١.

لك الله أيتها الأم الرؤوم، وهنيئا لك شهادة ابنك. لو تكلمت العبرات في مقلتيك لقالت:

تصرت جفوني أن تباعد بينها — أم صورت عيني بلا أشفار

وتلهب الأحشاء شيب مفرقي — هذا الضياء شواظ تلك النار

(أشفار: أهداب ورموش، الأحشاء: الأمعاء، المفرق: مقدم الرأس، شواظ: لهب).

إلى اللقاء في الجنة [1]:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، ثم الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلاماً على نبينا محمد الأمين وعلى صحبه وآل بيته أجمعين، أما بعد:

إلى أبي وأمي مع خالص التحية والسلام (سلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

أكتب لكم هذه الورقات وأنا بإذن الله في عداد الشهداء بين يدى الله الذي قال: **(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)**. أرجو أن تكون في مقام كريم عند رب العالمين في جنة الفردوس.

أبي وأمي: أوصيكم بتقوى الله سبحانه وتعالى والتمسك بدين الله لا دين الناس، فإن الله لا يرضى من الناس إلا ما قد من عليهم، ولو كثر عملهم بدون تشريع من الله فهو عليهم وليس لهم.

أرجو أن تفهموا أن المصير إلى جنة أو نار لا ثالث لهما.. يعني إما رضى الله وإما غضبه، فليس النار فقط للكفرة، بل وأيضاً للمقصرين في أمور دينهم.

لقد أنعم الله عليكم بالعيش الآن تأكلون وتشربون وتنامون، ولديكم فضول أموالكم ابذلوها في سبيل الله بضاعة، وخذوا الجنة ثمناً لها، واسعدوا أن يكون المشتري منكم هو الله عز وجل الذي وهبكم الحياة السعيدة الهانئة، وأسبغ عليكم نعم الأمن والصحة، ورزقكم المعيشة الواسعة، وقد قال الله تعالى: **(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة)**.

ومن أصدق من الله وعداً للمجاهدين في سبيل رفع راية الجهاد وإعلاء كلمة الله حيث قال: **(قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين)**. وجزاكم الله خيراً. إلى اللقاء في الجنة.

ابنكم تيسير (الفاروق)

الشهيد أبو الدحداح الليبي [2]

صوام قوام، يصوم الإثنين والخميس، يتفجر حماساً، ويتطلع إلى مهمة يقوم بها، مولع بالحراسة، وفي الحديث الصحيح: **(حراسة ليلة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود)**. مطواع لأميره، رؤوف بإخوانه يحدب عليهم ويحنو عليهم، فلما وجد أحد إخوانه واجماً ساهماً إلا وسارع في سؤاله عن سبب حزنه، لسانه رطب بذكر الله، ما زال لسانه يلهج بالذكر والدعاء منذ إصابته حتى وفاته (يقول: لا إله إلا الله، اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا).

وجد في الجهاد متنفساً عميقاً بعد الضيق الشديد والكبت الخانق الذي كان يعانيه تحت حكم الطاغوت.

وقد كان مع أمثاله مرجلاً يغلي ويهدر قائلاً:

فإن عشت فالطعن الذي يعرفونه — وتلك القنا والبيض والضمر الشقر

وإن مت فالإنسان لا بد ميت — وإن طالت الأيام وانفسح العمر

وقد مضى إلى ربه وكان يأمل أن يرى راية الإسلام ترفرف فوق أفغانستان وفوق ربوع بلده، ونرجو الله أن يتقبله في الفردوس الأعلى وأن يلحقنا به هناك.

الشهيد محمد أحمد الحنق (أبو حفص اليمني) [3]:

في بيت الحنق قرية من قرى أرحب اليمنية ولد محمد ونشأ نشأة بسيطة متواضعة، وعندما شب وجاوز الحنث، فتح بقالة يعيش منها، ولم يحظ بدراسة عالية ولا بثقافة واسعة، ولكن بقيت لديه الفطرة الطيبة.

---

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٨ ربيع الأول ١٤٠٩هـ الموافق اكتوبر نوفمبر ١٩٨٨م ص ٢٥.

(٢، ٣) مجلة الجهاد العدد ٤٧ ص ٤١-٤٢ صفر ١٤٠٩هـ سبتمبر ١٩٨٨م.

قصة تدومه للجهاد: أعلن عن محاضرة في صنعاء للأستاذ عبد الوهاب الديلمي تحت عنوان (قصة شهيد) وذلك بمناسبة استشهاد ولده هشام الديلمي، ولقد كان محمد بين شهود المحاضرة، فخرج منها وقلبه ينبض حباً للجهاد وشوقاً للاستشهاد، وردد قائلاً (لقد انتزعت الدنيا من قلبي)

والموت آت والحياة نفائس   والمستغر بما لديه الأحمق

فلا بد من الصدق مع الله، وطلاق هذه الدنيا ثلاثاً لارجعة فيها {**ما الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع**} صحيح، {**موضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها**} صحيح.

بداية التنفيذ: أقبل إلى دكانه (بقالته) فباعها بأرخص الأثمان، وأصبح ينظر إليها كأفعى يضعها في جيبه فألقاها بعيدا.

وأقبل إلى الجهاد قبل عشرة أشهر، وأعد في مخيم التربية والتدريب، ثم إلى الرباط في المأسدة بين الثلوج التي تجمد الماء الساخن على الوجه، ومكث ستة أشهر هناك (نرجو الله لنا وله القبول).

من المأسدة إلى خوست: ثم انطلق إلى خوست، ورابط في باري، ثم أصبح أميراً لها.

الشهادة: طال الانتظار للقاء الحور العين، وتاقت نفسه للنزال، ولعل وراءه اللقاء، وأعدت عملية للهجوم على معسكر العدو في يوم السبت (٢٢) محرم (١٤٠٩هـ)، وكان لابد أن يكون محمد في مجموعة الإقتحام.

وأغدو ولو أن الصباح صوارم   وأسري ولو أن الظلام جحافل

وأني جواد لم يحل لجامـــه   ونصل يمان أغفلته الصياقل

فإن كان في لبس الفتى شرف له   فما السيف إلا غمده والحمائل

(صوارم: سيوف، الصياقل: الحدادون، الحمائل: حاملات السيف وعلائقه، جحافل:جيوش، لبس: خفاء)

الخاتمة والمسك: وجاءت قذيفة تحمل معها المنايا، وأصيب شقه الأيمن، وبدأ ينزف ويتلو القرآن من سورة التوبة، وفاضت روحه، وكانت الدماء تسيل من جرحه والعرف (الشذى) الطيب يفوح من دمائه، اللون لون الدم والريح ريح المسك.

ويشهد أبو العاص الحاربي وأبو الصادق الصنعاني وصلاح الدين الحتق أنهم تنسموا الرائحة الطيبة من دمائه الزكية، ويشهدون على ذلك ربهم.

رسالة من أبي حفص (محمد أحمد الحتق) إلى والده:

{ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون، ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين}.

ويقول تعالى: {**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين**}، {**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين**} وأسأل الله تعالى أن أكون ممن شملتهم هذه الآية، وأدعو الله أن تشملكم أنتم أيضاً، وأن يتقبلنا عنده إنه كريم رحمن.

والدي العزيز: تحية إسلامية، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وبعد:

فاعلم يا والدي أنني أحبكم كثيراً، لأنك رجل عرفت قدر نفسك، وعرفت حقارة هذه الحياة، وإنها ليست باقية، فقد قدمت في سبيل الله أحد أبنائك وأرجو أن تقدم من بقي منهم ليكونوا لك ذخراً عند الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، واعلم والدي أنك أصبحت رجلاً ليس كالذين يحبون أن يبقى أبناؤهم في الشوارع وفوق حطام الدنيا، ولكنك أردت والحمد لله الذي وفقك لأن ترى هؤلاء الضعفاء أين يجب على الأب أن يضع ولده، واعلم يا والدي أن هذه الحياة ليست بدار قرار، فلا تفكر فيها فإنك زائل منها مهما طال العمر (كل شيء هالك إلا وجهه)، وأطلب منك يا والدي المسامحة من كل خطأ بدر مني نحوك في زمن جهلي، وإن شاء الله إن يشفعني الله في أحد فأجعلك منهم إن شاء الله، ثم حذار من أن تصدقوا لنفاق الناس ولومهم، ومن سمعتموه يقول شيئاً

فاحثوا في وجهه التراب وأما والدتي التي أعلم أنها كذلك من المؤمنات اللواتي لا يخفن في الله أحداً، وكوني يا والدتي عند حسن الظن، فمهما بقينا هنا في هذه الدار نأكل ونشرب وفقط، فلابد لنا من نهاية وخروج إلى الدار الآخرة، فإما إلى الجنة وإما إلى النار، ولا تنسي أنك سترينني في الجنة إن كنت من الصادقين حيث لا موت فيها ولا فراق بعد ذلك. وأوصيك بالصبر والصلاة وطاعة الله إلى أن تلقي الله، ولا تصدقي قول أحد.

وأخيراً أطلب ممن يعرفني من إخواني أن يسامحوني ويدعو لي، وأن يواصلوا جهادهم أينما كانوا ولا يفتروا، فالحياة جهاد في سبيل الله فلا تجعلوها في سبيل الشيطان، وأنتم أعلم بذلك مني، والسلام عليكم يا أبي، والسلام عليكم يا أمي، وعلى إخواني أجمعين، وأستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

ملاحظة: إذا استشهدت قبل الحج فأرجو من والدي أن يحج عني، وإذا لم يستطع فلأحد إخواني في الله الذين لهم قدرة.

أخوكم وولدكم: محمد أحمد الأرحبي المكنى (أبو حفص الأرحبي)

عادل الوريك (خلاد)[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد:

لكل اسم من مسماه نصيب فهو خلاد، أي خلّد ذكراه بتسطير تاريخه بدمائه، وهو قد خلّد في أسرته روح الجهاد، وأحيا عبادة القتال، وصدق رب العزة (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) ، ولقد عبّر عن هذا أبو الطيب:

فقتلي في الوغى عيشي لأني رأيت العيش في أرب النفوس

واقتبس منه شوقي قوله:

ففي القتلى لأجيال حياة وفي الأسرى فدى لهم وعتق

حياته: من مواليد مدينة الخبر سنة (١٣٩٠ هـ) بالمنطقة الشرقية فقد اهتصرته يد المنون في عمر الورود.

ويحدث عنه أستاذه أبو مصعب (رياض الحقيل) قائلاً: (عجب ربك من شاب ليس له صبوة) كما في الحديث. فلقد عرفته منذ سنوات وما علمت عنه إلا كل خير، عرفته منذ نعومة أظفاره وهو يتردد بين المكتبات والمراكز الإسلامية الصيفية وأنشطة التوعية وغيرها في المدارس، وكان من رواد المسجد، والمسجد رياضه ومستراحه، فمع الشباب في المسجد يتعلم دين الله من كتاب وسنة وثقافة إسلامية ، وكنت تجده بينهم في رحلات الحج والعمرة.

وكان يجلس مع إخوانه من الشباب في أحد المساجد صباح كل خميس ويقرأون القرآن على قراءة أحد المشايخ (الخليفي ، باجابر ، المنشاوي)، وكانوا يتبارون بنداوة الصوت وجمال المخارج، كان ذا صوت ندي رقراق جميل خاصة في تلاوة القرآن.

أما الأناشيد فكان يجيدها ويحدو بها زاداً في وقت السفر أو لطرد السآمة والملل. وكان يداوم على درس صحيح البخاري عند أبي مصعب يواظب على الحضور، يشارك في المناقشة ، يسأل ويجيب ، ويذكر بالصحابي ابن عباس رضي الله عنهما في كثرة سؤاله وفهمه الثاقب، وقد سُئل ابن عباس رضي الله عنهما عن سر وصوله لهذا الشأن من العلم فقال: (بلسان سؤول وفؤاد عقول).

النفير إلى الجهاد: كان قلبه يشتعل شوقاً إلى الجهاد، وقد زار الجهاد ذات مرة فلما رجع منعه أهله، فأجهد نفسه في المحاولة بالترغيب والترهيب لأهله حتى تمكن من الذهاب.

ويرجع أخرى ليحرض إخوانه على الجهاد فيمنعه أهله من الذهاب ، وهنا استمات في إرضاء والده واستعطافه علّه يرق لهذا القلب الواله الدنف المعلق بالجهاد، وأخيراً أذن له والده.

قافلة بروان: ولما سمع بقافلة المجاهدين متجهة نحو بروان فرح فرحاً شديداً لأنه علم أنها للجهاد والتربية على العلم الشرعي، وبدأ ينتظر، ولكنه ما أطاق الانتظار في بيشاور، فصار يتردد بين الجبهات والمعسكرات، فترى الكتاب قلّما يفارق يده، ويقرأ على الشباب من التفسير والحديث والكتب العامة ، ولم يكن يدع الكتاب حتى في الطريق، وكان حريصاً على أتباع السُنّة والتنبيه إليها مع إخوانه ومع القادة.

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٠ جمادي الأولى ١٤٠٩هـ ديسمبر ١٩٨٨م يناير ١٩٨٩م ص ٣٢.

الأيام الأخيرة: وقبل استشهاده بيوم وفي الجبهة في (ليجا) -خوست- يأتي أحد إخوانه الكبار ويستشيره في البقاء في ليجا للاشتراك في العملية أو بالذهاب إلى بروان، فأمره بالاستخارة.. ويفعل، ثم يقول: قد نويت البقاء هنا، وودع إخوانه في قافلة بروان قائلاً: (يا إخوة إني أحبكم في الله، يا إخوة والله ما تعلمون معنى المحبة والأخوة في الله إلا في مثل هذه المواطن).

وبعد هذه الكلمات الجميلة بيوم فقط وفي يوم الجمعة وبعد الصلاة.

الشهادة في ساعة الإستجابة: من السنة ترقب ساعة الإجابة يوم الجمعة في آخر ساعة من النهار وفي هذه الساعة بالضبط بدأ يزحف نحو مركز العدو الذي لا يبعد أكثر من مائة إلى مائة وخمسين متراً، وكان أميره بجانبه، فقال للأمير: (نحن الآن في ساعة الاستجابة)، وبعدها بقليل وإذا بلغم ينفجر تحته فتمزق الجزء الأسفل منه وبقي الجزء الأعلى، وبقيت الورقة التي رسم عليها موقع العدو في جيبه.

منظر يؤنس بقبول الشهادة: وفي صباح اليوم التالي جاء إخوانه إليه وكان مشهداً يأخذ بمجامع القلوب، خلاد مجندل فوق الثرى، إصبعه المسبحة تشير إلى السماء بالشهادة، وثغره باسم، لدمه رائحة طيبة كالمسك كما شهد بهذا أبو حبيب أمير مجموعته وآخرون. نرجو الله أن يتقبله في الصالحين وأن يجمعنا به في الفردوس الأعلى.

إبراهيم جلاجل (أبو محمد السعودي)[1]:

سبقوا رغم صغر سنهم، اصطفاهم رب العزة رغم أن مسيرتهم الجهادية قصيرة وعمرهم على الطريق المرير غرير، إلا أن الاصطفاء من رب الأرض والسماء ولا يرتبط بعمر ولا عمل، إن القلوب الصادقة هي الجديرة بالاستجابة من علاّم الغيوب الذي ينظر إلى هذه القلوب والأعمال. وكلما أفضت زمرة صافية إلى خالقها ودعتها القلوب وهي تردد:

إن كنتم ظعنا فإن مدامعي   تكفي مزادكم وتروي العيسا

(ظعنا: راحلين، العيس: الإبل).

نبكي على أنفسنا وليس على من ودعنا، لأنا نعلم أن الله إذا تقبل شهادتهم فقد قدموا إلى خير الآخرة {لموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها} صحيح، وكل واحد من هؤلاء يعيش بكليته في عالم الآخرة، مع الحور في الجنة.. في روضات الجنات، ليس عنده هم سوى التفكير في الشهادة و{**من طلب الشهادة صادقاً أعطيها ولو مات على فراشه**} صحيح.

ونرى الواحد منهم يناطح بهامته سحاب السماء، ويشمخ بهمته حتى يطاول الجوزاء.

أنا صخرة الوادي إذا ما زوحمت   وإذا نطقت فإنني الجوزاء

منذ عام وهو يعيش في أرض الجهاد، إلاّ أنه عاد لزيارة أهله وللعلاج.

العودة: إن الجهاد مهوى الأفئدة، وقلّما استعذبت طعمه نفس مؤمنة وأطاقت فراقه، قد يعيش في جو آخر، وتفتح له الدنيا أبوابها، ولكن الروح تبقى معلقة بالجهاد، ويبقى شبحاً بين أهله وذويه، لا يلذ بطعام ولا يهنأ بمنام، جفونه مؤرقة لا تكتحل بالنوم، هادئة إلاّ تحت دوي المدافع وقصف الطائرات، ويبقى الحنين إلى أرض النزال يقض مضجعه.

الرؤيا: رأى وهو بين أهله الجنة ونعيمها، فطارت روحه إلى أرض الجهاد، ثم تبعها جسده، وقد ألهمه الله العمل، وحبب إليه النوافل خاصة الذكر والصلاة، فكنت لا تفتقده إلا وجدته قائماً يصلي أو فاتحاً لكتاب الله يتلو أو ذاكراً، وكما قال أبو الدرداء: (إنما تقاتلون بأعمالكم)، فقد بدأ بعد الأعمال التي بها يقاتل أعداء الله ويقابل وجه الله.

الشهادة: وفي يوم الجمعة (٢٨) محرم سنة (١٤٠٩هـ) كانت هنالك معركة حامية الوطيس في أحد مراكز قندهار، وبعد المعركة أوى إبراهيم الجلاجل مع أخيه أحمد بن عبد الله بن صالح الخليفي القطري إلى مكان، فأغارت الطائرات عليهم فاستشهدا ومضيا على الطريق اللاحب إلى الله، فنرجو الله أن يتقبلهما ويلحقنا بهما في الصالحين.

أسد الرحمن المصري[2]:

في مقتبل العمر بزهرة الشباب ونضارة العمر وفورة الصبا يقبل أسد الرحمن إلى أرض الجهاد، كان مشرق الوجه، نير

(١، ٢) المصدر السابق ص ٣٣.

الجبهة ، يقبل إليّ بشوق عجيب قائلاً: كيف حالك يا والدي، عرفته ينوب شوقاً إلى الجنة.

قال لأصحابه قبل أن يُستشهد: [إن أعظم شئ يقدمه لنا الشيخ عبد الله هو: الطريق إلى الجنة) أجسادهم على الأرض وأرواحهم معلقة بالفردوس.

وصدق رسول الله ﷺ: **[لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد -يعني سوطه- خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها]**البخاري.

كيف لا تهفو النفوس إلى الحور والفردوس؟ إن نفوس الشباب كالخيل التي تعلك اللجم تريد أن تنطلق من أزمتها ، إنهم يترقبون الشهادة ترقب عزيز غائب سيقبل.

يستـــــعذبون مناياهم كأنهـــم   لا يخرجون من الدنيا إذا قتلوا

عرفت أسد الرحمن في صدى، وأمّرته على خيمته رغم صغر سنه، كان ينتظر تكليفه بأي عمل إنه متعطش للعمل ، مندفع يتفجر حيوية ويتدفق حماساً، وأنهى تدريبه وكان هذا قبل عام ونيف تقريباً، ثم انتقل إلى جاجي ورابط فيها، وبدأ يبحث عن قافلة ذاهبة إلى الشمال، وانطلق معها ليروي غليله بالجهاد، ومكث فترة هنالك، ثم عاد، ولكنه لا يكل ولا يمل، ولا يستقر ولا يهدأ.

وكان الشيخ تميم العدناني يحب هذا الشاب حباً جماً لتواضعه وشجاعته وأدبه وحيائه.

إلى خوست: وترامى إلى مسامعه المعارك الساخنة في هذه المنطقة فيمم شطرها، وألقى رحاله فيها، يشترك في العمليات التي لا تنقطع ، فلا تكاد المنطقة تخلو من دوي القذائف وصليل السلاح وهدير الطائرات، وأزيز الرصاص.

وأقبلت شعوب (المنية): وجاء اليوم الذي أعده الله لملاقاته، وخطط الشباب لافتتاح مركز شرس طالما آذى المجاهدين وكبدهم خسائر. وقرر جند الله اقتحام هذا المركز، ورسموا خطة الهجوم، وكان أسد الرحمن من الليوث التي أعدت للاقتحام، وهو لا يطيق أن يشترك إلا في الصفوف الأولى، إنهم يريدون أن يستشهدوا لتحيا الأمة، ويقتلون لتعيش الأجيال بدينها وإيمانها، إنهم يهزون الدنيا ليستيقظ السادرون في نومهم.

فتى كلما ارتاد الشجاع من الردى   مفراً غداة المأزق ارتاد مصرعاً

وما كنت إلا السيف لاقى ضريبة   فقطّعها ثم انثنى فتقطّعا

واقتحم الشباب المركز (البوستة)، وبعد أن تم الفتح أصيب أسد الرحمن، ومضى إلى الغاية التي أقبل من أجلها وجاهد لتحقيقها، ونرجو الله أن يكون قد أجاب دعاءه وصدق عليه بشرى رسول الله ﷺ: **{...وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة}**البخاري.

اللهم أحينا سعداء وأمتنا شهداء واحشرنا في زمرة المصطفى ﷺ.

شهداء قطر الثلاثة

إن الشيخ تميم العدناني كالغيث المبارك حيثما نزل أفاد -نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً-، ويجده الشاب واحة يأوي إلى ظلها من لفح الجاهلية، ووراء الشيخ الطاعن في السن طاقة تتفجر حماساً فيعيد الشباب إلى روحه، وهو يرى في الشيخ الكبير أباً، وفي القرين أخاً، وفي الصغير ابناً، ولكم رأيت الشيخ تميم (أبا ياسر) وهو يبكي إذ يودع الشباب إلى الجبهة وهو يقول: والله إنهم كأولادي أو أشد حباً. كان عصام (تحسين) أحد الشباب الذين نفروا في سبيل الله، فيقول: هذا ابني عصام وليت لي ابناً مثله.

وقد حلّ الشيخ تميم في السعودية فأيقظ الشباب وأحيا في أعماقهم فريضة الجهاد، وأصبح الجهاد الأفغاني حديث السامر في الجزيرة عموما وفي المنطقة الشرقية خاصة.

ثم رحل الشيخ إلى قطر فأصبح الجهاد هو اللحن الحبيب لمجالس قطر ومنتدياتها، وهو النشيد العذب على ألسنة شبابها ودیوانیاتها، وبدأ الشباب يفدون إلى الجهاد تباعاً، وإن كنت أنسى فلا أنسى في هذا المجال محمد عبد الله صديقي الذي كان له شرف السبق من طلاب أمريكا ومن شباب قطر، فنرجو الله أن يكون ممن سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، وهذا الشاب أضحى مثالاً لكل من أراد أن يحتذي، ونموذجاً لمن أراد أن يقلد أو يقتفي -نحسبه كذلك ولا نزكي على الله

أحداً-، وشهداء قطر هم على التوالي:

أحمد عبد الله صالح الخليفي (أبو يوسف)(1):

إيه ياقندهار، كم ضمت جنباتك من جثث الأطهار، وكم حامت فوق ملاجات وبولدك ومطارك من أرواح الأخيار، بيداؤك القفراء أصبحت خضراء بالدماء، رمالك الجافة أضحت ندية بذكريات الكماة الأباة.

أسرته: بين خمسة إخوة شب أحمد، وهو من الشباب الذين نشأوا في طاعة الله، المسجد مراحه ومستراحه، وروحه وريحانه، فتعلقت روحه ببيت الله وكتابه، يرتاد المسجد ويواظب على الصلوات الخمس فيه، كان باراً بوالديه، وهذا فرض رباني أملاه عليه دينه.

الجهاد وإقباله عليه: يحدث عن قدومه إلى الجهاد قائلاً: (سمعت أن الشيخ تميم يحدث في مسجد الوكرة عن الجهاد، فذهبت مع أصدقائي، وكنا في الذهاب نستمع الأغاني، وبعد الدرس تأثرت كثيراً وعاهدت الله على الذهاب إلى أفغانستان).

وذات مرة قال أحد طلبة العلم لأبي يوسف ممازحاً: أو كنت تسمع الأغاني؟ فرد عليه: لقد سمعت محاضرة واحدة عن الجهاد فنفرت في سبيل الله، وأما أنت فطالما حدثت الناس عن الدين والجهاد ولم تنفر إلاّ الآن.

صفاته وسماته: كان كثير الصمت، يحب خدمة إخوانه في الجبهة ولا يناقشهم، مشغول دائماً بقراءة القرآن، كتب في رسالة باللغة العامية لوالديه يقول فيها (يابا يا أمّه اصبروا أنا أشفع لكم يوم القيامة -إن شاء الله-، ترى الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته).

من رسائله:

كتب إلى إخوته في الفريج:

شباب ماض إلى الرب يرضيه، وشباب قاعد اللعب يلهيه، إن الحل لا يكون إلا بالجهاد، فالحقوا أنفسكم ولا يفوتنكم قطار الشهادة في سبيل الله اللهم هل بلغت اللهم فاشهد.

وكتب في رسالة ثالثة لعبد الله الماجد -صديقه- على ظهر بطاقة تحمل صور أطفال من أفغانستان يقول له فيها: (أطفال يجاهدون وشبابنا يلعبون، أخي عبدالله انظر إلى هؤلاء الأطفال الصغار في العمر والجسم، ولكن عقولهم وقلوبهم أكبر من عقول وقلوب شبابنا الضائع اللاهي المضيع لدينه ودنياه، والذين لايفكرون إلا في الأكل والشرب والسيارات، فانظر الفرق)!

الشهادة: معركة شديدة في قندهار آوى بعدها أبو يوسف (أحمد عبد الله) مع صديقه إبراهيم جلاجل السعودي، فقصفت الطائرات المكان ففاضت روحاهما إلى الله -عز وجل- في (٢٨) محرم سنة (١٤٠٩هـ) في السابع من سبتمبر سنة (١٩٨٨م).

استقبال أهله لاستشهاده: يقول والده :(كنت سعيداً باستشهاد ابني لأنه شرف كبير، وقلبي حدثني بوفاته قبل أسبوع)!

شعاره: من أفغانستان إلى فلسطين، وكان يتمنى الشهادة في فلسطين أو بخارى.

صلته بالمجاهدين: كان محبوباً لدى المجاهدين، وقد كان القائد يوكل إليه بعض المهام، وكان شجاعاً، حتى إنه ذهب إلى مركز الشيوعيين وحده.

يزور الأعادي في سماء عجاجة — أسنته في جانبيها الكواكب

لتسفر عنه والسيوف كأنما — مضاربها مما انفللن خرائب

أحمد عبد الله البيوك (الفلسطيني القطري)(2):

شاب يحب الفروسية، تمرس بألعاب الرياضة، خاصة سباق الضاحية، نشأ وترعرع في منطقة الوكرة، ومسجدها أضحى بعد في السنتين الأخيرتين خلية نحل لا يحط فيها سوى العاملين لجني العسل للأمة الإسلامية. وأحمد بطل رياضي في نادي الوكرة، أنهى الشهادة الثانوية وسافر إلى أمريكا. بعد أن سمع ما سمع عن الجهاد، ولم يطق الحياة في أمريكا وصار يبحث عن طريق الجنة، وذات يوم وإذا بأحد أصحابه يأتيه بـ (فيزا) إلى باكستان، وطارت روحه قبل جسده لترفرف فوق أرض الأبطال وعلى ذرى جبال

(١، ٢) المصدر السابق ص ٣٥-٣٦

المجد والعز.

رسالة لأبيه: كتب رسالة إلى أبيه يودعه فيها قائلاً: (حضرة الوالد العزيز: منذ زمن طويل وفكرة الجهاد تراودني، فهي أسمى شيء باستطاعة الإنسان أن يقدمه إلى دينه وربه وأهله. أرجوك يا والدي أن لا تغضب علي.. لم أعد أستطيع التركيز في الدراسة بعد محاولات متكررة لما أراه في فلسطين وأفغانستان من ذل وضرب وإهانات، وما خلقنا الله لنعيش أذلاء، بل خلقنا لنعيش أعزاء.

أحمد بين المجاهدين: وجد أحمد نفسه في الحياة التي كان يرسمها في ذهنه، العزة لحمتها، والمجد سداها **[من خير معاش الناس رجل آخذ بعنان فرسه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه].**

والعز في صهوات الخيل مركبه — والمجد ينتجه الاسراء والسهر

النوافل: يحدث عنه علي عبد الله صديقي قائلاً: كان يقوم الليل، يحافظ على الجماعة ويحث عليها، خدوم لإخوانه، يحضر لهم ماء الوضوء، ولم تشغله المعركة أن يرسل إلى أهله يوصي أخواته بالحجاب.

شهادته: في معركة اشتد ضرامها، ورفرفت المنايا فوق أبطالها، امتشق أحمد قاذفه الصاروخي الـ (آر. بي. جي.) وبين زغردة الرصاص ودق طبول القذائف انطلق أحمد وماله لا ينشد.

محرمة أكفال خيلي على القنا — ودامية لباتها ونحورها
حرام على أرماحنا طعن مدبر — وتندق منها في الصدور صدورها

وتناثر القذائف حوله، واختطفت إحداها روحه إلى خالقها.

وهناك في سبين بولدك ثوى أحمد البيوك بعد أن بقي دمه ينزف ثلاثة أيام بنجيع رائحته كالمسك. وواراه إخوانه إلى مثواه الأخير بجانب هاني الشيخ الفلسطيني الذي كان يعيش مع أهله في الكويت.

هكذا يا أبناء فلسطين: تفرقتم في البلدان، ولكن ضمكم حب الشهادة والشوق إلى الجنان، فهنيئاً لكم، ونرجو الله أن نلتقي بكم في الفردوس الأعلى.

حسن العوضي(1):

كان يرى الإعداد فرضاً وإن كان في قطر، فلا بد من تعلم الفروسية في ناديها، وقد شجعه والده على الجهاد في سبيل الله، وكان والده وإخوانه من أكبر العوامل على دفعه للنفير، ولطالما لهج لسانه بالدعاء أن ييسر الله له سبيل الجهاد [ثلاث حق على الله عونهم الغازي في سبيل الله...].

فالموت أعذر لي والصبر أجمل بي — والبـر أوسع والدنيا لمن غلبا

(وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيرا).

عشق الشهادة: كان كثير الحديث عن الشهادة، ولقد فجرت شهادة أبي يوسف القطري (أحمد عبدالله صالح الخليفي) في قلوب كثير من أبناء قطر ينابيع الشوق والحنين إلى الشهادة، وأصبح حديثهم عن أحمد حافزاً يدفعهم إلى الإمام، ولذا كان يلح على القائد (الأمير) أن يسمح له بحضور عملية ضد الروس، وأخيراً أذن له، فانطلق يتسلق قمة المجد:

ولا تحسبن المجد زقـاً وقينـة — فما المجد إلا السيف والفتكة البكر

وبعد العملية الناجحة على مركز العدو عاد المجاهدون إلى المركز، فجاءته المنية بقذيفة هاون على طريق العودة، ولعلها العودة هناك بإذن الله:

فحيّ على جنات عدن فإنها — منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى — نعود إلى أوطاننا ونسلم

---

(1) المصدر السابق ص ٣٧.

فيا بائعاً هذا ببخس معجل	*كأنك لا تدري ولا أنت تعلم*
فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة	*أو كنت تدري فالمصيبة أعظم*

مثال المتعلم المجاهد (خالد زبير)[1]:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

لم أر باكستانياً في حيويته ونشاطه، وفي سمته ودله، وفي أدبه وحيائه، شاب درس العلم الشرعي على يد مشايخه، ثم انتفض يريد أن يزيل عن نفسه وعن إخوانه ركام السنين من غبار الذل، وعجاج الجاهلية. صدره يغلي كأنه المرجل، ففي أعماقه آلام أمة طالما غطت في منامها، وفي آهاته الحرى وزفراته المحرقة انعكاس لجراح عميقة تعتمل في طياته.

يجلس إليك فلا ينبس ببنت شفة، يغضي حياءً وهو يصغي إليك، لا يحب الثرثرة ولا اللغو، ولا يحب أن يشغلك عما بين يديك من عمل. إن كانت لديه حاجة ماسة جاءك وعرض قضيته دون مقدمة ولا تذييل، ثم يهب كأنما لدغته أفعى، أو ألهب ظهره سوط، ويمضي ولا تراه يمشي متلكئاً ولا متباطئاً.

عرفته في صدى: كان مع مجموعة من إخوانه في زاوية من زوايا المخيم، يعرف موعد الدرس بعد الغروب، فيتكبدون عناء تسلق الجبال رغم زمهرير الشتاء وانهمار المطر، ثم ينسلون دون أن يحس بهم أحدٌ، وفي غلس الظلام يتحدرون إلى مستقرهم ومهجعهم.

إلى الأورغون: وانطلق إلى الأورغون مع إخوانه، وما لهم لا ينشدون مع أبي فراس:

لا تحرز الدرع عني نفس صاحبها	*ولا أجير ذمام البيض واليلب*
ولا أعود برمحي غير منحطم	*ولا أروح بسيفي غير مختضب*

وتجمع حوله مجموعة من الإخوة الباكستانيين تحسب الواحد منهم أسداً، وأخذوا يقدمون الشهيد تلو الشهيد، حتى وصل شهداؤهم إلى العشرين، وهم بين خوست والأورغون وغزني، وقد تعلقت أرواحهم بالقائد المعروف أرسلان رحماني، العالم الرباني المجاهد الذي كان له قصب السبق من بين إخوانه العلماء في الدخول إلى معمعان المعارك، والذي رويت عنه كثيراً من الكرامات التي حصلت معه وأودعتها كتاب (آيات الرحمن في جهاد الأفغان).

والحق أنها أرواح و {الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف}، فروح خالد بصفائها التقت مع روح أرسلان بنقائها، ونفس خالد بوضوحها وجدت طريقها إلى نفس أرسلان بصدقها.

وألقى رحاله بين خوست والأورغون، وبث رجاله كالليوث يغدون ويروحون، وجرح مساعده عبد الرحمن بعينه، ثم عاد بعد أن عالج عينه وواصل خوض غمار المعارك.

التحريض على القتال: وكان يختطف من وقته ما يستطيع فيه أن يدعو إخوانه الذين تركهم يدرسون ويدرِّسون في المعاهد الشرعية إلى الجهاد، ويستحث خطاهم إلى أرض موطن الجلاد. إذ أصبحت أفغانستان بجهادها روحه وريحانهُ، وبهصر في هضابها من شبابه ريعانه.

كنت ذات مرة في مهرجان جهادي في كراتشي والناس ينتظرون خالداً، فأقبل كعادته كأنما ينصب من علٍ، وألقى كلمته ثم غادر.

شجاعة كتيبته: والتف حوله شباب له أن يردد معهم لحنه العذب:

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ	*كأنهم من طول ما التثموا مرد*
ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا	*كثير إذا شدوا قليل إذا عدوا*
وطعن كأن الطعن لا طعن عنده	*وضرب كأن النار من حره برد*
إذا شئت حفت بي على كل سابح	*رجال كأن الموت في فمها شهد*

---

[1] مجلة الجهاد العدد ٥١ جمادي الثانية ١٤٠٩هـ يناير/فبراير ١٩٨٩م ص٢٨.

والحق أن شجاعة هؤلاء الإخوة نادرة، وإن كنت أنسى فلا أنسى قصة أحدهم نصر الله الذي خاض معركة ضد طائرة هليوكبتر وقتل بعض أفرادها ونجاه الله رغم أن الطائرة كانت قد أعدت كميناً له ولإخوانه، ولكنه خرج وجراحه تنزو دماً، ورحم الله إرشاد الحق شهيدهم وقائدهم الأول، والذي سقط في أرض المعركة. وكم استشهد من هذه الزمرة الصادقة دون أن تجد قلماً صادقاً يذكرها أو لساناً مخلصاً ينوه بها.

الشيخ سيف الله أختر: ومن الواجب علينا أن ننوه بذكر الشيخ سيف الله الذي كان له الفضل بعد الله في تجميع هؤلاء الشباب بعد أن تسلم الراية من إرشاد الحق، ورغم قلة ذات اليد، وضيق الحال، فإن مسيرته المضنية ماضية، ومواصلته على درب الشوك وطريق الدم مستمرة.

فتح شرانه: وقبل شهرين كان خالد زبير في مقدمة الذين فتحوا عاصمة الأورغون وبكتيكا (شرانه)، وليس هذا بجديد عليهم، إذ دأبهم أن يقتحموا حصون الأعداء بين السابقين من المجاهدين، وعلى أيديهم وأيدي أمثالهم من المجاهدين وتحت قيادة (مولوي أرسلان) فتحت كل بكتيكا.

الشهادة في خوست: كان خالد رحمه الله يتنقل بين خوست وغزني والأورغون، ويحاول أن يرتفع بمستوى إخوانه القتالي، وقد يصل عدادهم أحياناً المئتين.

وخطط خالد أن يفتتح مركزاً للشيوعيين في خوست، واقتحمه مع أصحابه، وكان الموت له بمرصد، فقد انفجر تحت قدميه لغم فطارت إحداهما وكسرت عظام الأخرى.

وجاءني سيف الله إلى المكتب يخبرني بجرح خالد وبإصابته البالغة الخطيرة، وبعدها بيومين في يوم الخميس في السابع والعشرين من يناير (١٩٨٩م) جاءني سيف الله يخبرني بأن روح خالد أفاضت إلى خالقها، وعندها تركت مكتبي رأساً وتوجهت إلى مستشفى خيبر فوجدته مسجّى فوق السرير وعلى محياه تلك الإشراقة التي ما كانت لتفارقه في الدنيا ولا في الآخرة، وعلى جبينه طبعت قبلة الوداع الأخير في هذه الدار، ودعوت له وفي جفوني عبرات الذكريات من خلال الشريط الطويل للجهاد الذي رافق هذه النفس.

إلى (مردان): ولم يكن لدى سيف الله أختر سيارة لينقل الجثمان إلى (مردان) بلده، وطلب سيارة إسعاف وليس لدينا سيارة، وأشرت عليه باستئجار سيارة، وحمل الجثمان، وفي المسجد الكبير في بيشاور صلّى عليه، وسار الموكب الحزين العزيز إلى هناك إلى (مردان) حيث نشأ خالد ودبّ وترعرع ونضج، فقد كان فيها فتى صغيراً واستشهد قائداً كبيراً، وأنا أعلم أن (مردان) لا تعرف قدره ولا غيرها، إنما يعلمها رب العالمين الذي أعد للشهداء منازل الجنة، ففي البخاري **(إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض)**، فنرجو الله أن يكون قد تقبل شهادته، ولقد ترك خالد وراءه أناساً لسان حالهم يقول:

خليلاي دون الناس حزنٌ وعبرةٌ	*على فقد من أحببت ما لهما فقد*
تلج دموعي بالجفون كأنما	*جفوني لعينَي كل باكية خدُّ*

ونرجو الله أن يجمعنا به في الصالحين.

أول شهداء (حاشد) جمال محمد ناصر الحنيني
(أبو دجانة اليماني)[1]

ما بالك يا أرض أبي موسى تدفعين بفلذات أكبادك إلى الوغى؟ وما شأنك تجودين بصفوة أبنائك إلى أتون القتال: أتريدين أن تراهني بلاد أبي حنيفة على السبق؟ أم تودين أن تزاحمي أرض الطالقاني على المجد والسؤدد؟! يا أرض حذيفة إن تكاليف العز غالية فهل أعددت لدفع الضرائب؟ يا بلاد أويس القرني إن أثمان الرفعة والسناء باهظة فهل لك طاقة بدفع عدلها؟

رويدك يا ابنة المجد ويا وريثة السؤدد، فالطريق طويلة والأثمان غالية والتكاليف عزيزة.

(١) المصدر السابق ص ٣٠.

لا جرم أنك تعتبرين شهادة أبنائك مفخرة لك في سجل الخلود، وترتلين مع السابقين واللاحقين: **(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)** وكأنك تحدين مع المنشدين لحناً عذباً لكل فتى من أبنائك الذين تزفين إلى الحور:

كأنك بالفقر تبغي الغنى ... وبالموت في الحرب تبغي الخلودا

واليوم نقف وقفة المودع لابن عزيز من أنجالك، هنا في أرض الفخار بين أطنان الحمم وبراكين النار، على مشارف قندهار، إنه ليث خرج من عرين أكبر قبيلة يمنية من حاشد، إنه جمال محمد ناصر، ولقد انحدر من دوحة المجد ومن مركز حاشد من (خمر) بلد الشيخ عبد الله الأحمر، وقد أقبل مودعاً الدعة، تاركاً النعيم والرفاهية.

وحين أقبل على معسكر التدريب كان النشاط سمة بارزة له، ووجد مكانه بين إخوانه العرب في مأسدة الأنصار، وهناك الشباب الذين يتوافدون إلى الوغى كأنهم في أعراسهم:

تتدفقت جند العقيــــدة ... أنهراً في كل ساح
زهواً بألسنة الكفــاح ... وبالبطولات الصحاح
وحداؤهم قرآن ... عنـوان الهداية والفلاح
قالوا لئن شح العطاء ... فنحن للدين الأضاحي

وهناك يطيب المقام، ومعالم أجداثهم، وشذى قصصهم، والأنوار التي لا زالت تخرج من قبورهم تبعث في النفوس أشجانها. وتنكأ في القلوب جراحها، فهذا رمس (قبر) أبي حفص الأردني، وذا قبر أحمد الزهراني، وهناك قبر هشام الديلمي، وذاك جدث زكريا أبي هنود، بالأمس كانوا بيننا واليوم عند ربهم -ونحسبهم ولا نزكي على الله أحداً- شهداء يرزقون.

كان جاداً في الجهاد: ويوصي إخوانه بالصلاة على المذهب الحنفي حتى يتسنى لهم الجهاد مع الأفغان الذين يتحسسون من مخالفتهم بسبب أميتهم **(ويا قومي مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار)**.

رجع أبو دجانة ليؤدي فريضة الحج ولزيارة أهله في السعودية، وبدأت الإغراءات من أجل الإخلاد إلى الأرض، والارتباط بحطامها، وليس بين أيدي أهله ورقة أشد إغراء وأكثر بريقاً من الزواج، وبينما كانت الخطط تحاك، والمكائد تحيك، احتال عليهم بأنه يود زيارة الرياض، وحزم حقيبة سفره ويمم شطر باكستان. وفيها يبث أشجانه لإخوانه قائلاً: فررت من نساء الدنيا إلى الحور العين.

الطريق إلى قندهار: ووصل بيشاور، فسأله صديقه أبو الجود: أين وجهتك يا أبا دجانة؟ فأجاب إلى كابل، فعرض عليه أبو الجود أن يذهبا سوياً إلى قندهار ملاجات حيث القائد ملا عبد الغني من الاتحاد.

الاستهام إلى المعركة: وفي قندهار حيث يتسابق الشباب إلى الموت، فاستهموا ليأخذوا بعض الشباب العربي، ولم يكن من نصيبه، وتألم أبو دجانة، وبعد ثلاثة أيام جرى استهام آخر فكان نصيبه الخروج إلى المركز المتقدم، وعند انتهاء مدته استأذن القائد أن يبقى فأبى عليه إلا الرجوع.

فانتقل إلى قائد آخر ملا عبد الرزاق حيث الاحتكاك بالأعداء أشد والمسافة أقرب، والموت أدنى من شراك النعل، وفي الملعب وعلى مقربة من مطار قندهار ربض هذا الليث.

الوسام الأول: شارك جمال في بعضها، وجرح في بعضها خله أبو عز الدين، وبعد يومين كلم جمال محمد ناصر كلمه الأول حيث أصابته شظايا قنبلة هاون أولاها في جبهته وأخرى قد استقرت في ظهره وبعض شظاياها في ظهر يده اليمنى. وفي الحديث الصحيح **{ما من مجروح يجرح في سبيل الله** -والله أعلم بمن يجرح في سبيله- **إلا جاء يوم القيامة وجرحه كهيئته يوم جرح، اللون لون الدم والريح ريح المسك}**.

الرحلة الأبدية: وعاد إلى كويتا، وفي اليوم التالي سار إلى قندهار، وحمـل مدفـع القـاذف الصاروخي (RPG)، وفي ملاجات حي من أحياء قندهار يلاقي جمال عدوه، وتدور رحى الحرب، فيطلق صاروخه فيرد عليه العدو بكرينوف، وكانت قد أصابته طلقة في جبينه فخرّ شهيداً ولما يبلغ الخامسة والعشرين من عمره.

وما مات حتى مات مضرب سيفه ... من الضرب واعتلت عليه القنا السُمر

ومضى جمال إلى الله، ولكننا لا نقول كما قال الشاعر وما مات حتى مات، بل نقول كما يقول ربنا **(ولا تقولوا لمن يقتل في**

سبيل الله أموات. بل أحياء ولكن لا تشعرون).

إنهم أحياء بذكرهم، وأحياء يمدون نبتة هذا الدين بالحياة، ويروونها بالدماء، ويغذونها بالأشلاء. وأي حياة أعظم من حياة المبادئ والأفكار والعقائد والقيم، وهذه لا يمكنها الاستمرار بدون شلال الدم المدرار.

قائد كتيبة الملائكة الشهيد (عبد الفتاح ابن مولوي عادل)[1]

كثيراً ما كان يطرق مسامعي طلبات الإخوة العرب الذين يودون أن يلتحقوا بكتيبة الملائكة، مما جعلني أتلهف لمعرفة هذه الكتيبة وقائدها، وعندما كنت في رحلة الشمال في (فرخار) في المركز التعليمي التقيت مع عشرة من الإخوة العرب وبت وإياهم، وسألتهم عن وجهتهم فقالوا إلى كتيبة الملائكة وقائدها عبد الفتاح.

التسمية: ولقد أطلق بعض الجهلة من الأفغان هذه التسمية على هذه المجموعة المجاهدة بسبب العمل الجليل الذي اضطلعت به هذه الكتيبة وهو الإصلاح بين المجاهدين، هذا عدا عن الأخلاق الإسلامية التي تمسكت بها من محاربة التدخين و (النسوار)، ودعك عن التزامها السنن والآداب الشرعية، ثم انتشرت هذه التسمية (الملائكة) حتى أصبحت لا تعرف إلا بها، ونحن لا نوافقهم على ذلك، وهذه الكتيبة تصل إلى ثلاثمائة مجاهد تقريباً معظمهم من البخاريين المهاجرين، من بينهم أربعون حافظاً للقرآن الكريم، وعدد بارز منهم يفهم اللغة العربية، إذ أن قسماً منهم من الشباب الذين عملوا في الدول العربية ثم تركوا عملهم عندما نادى منادي الجهاد وتوجهوا نحو أفغانستان.

قائدهم: أما قائدهم عبد الفتاح فهو خريج مدرسة شرعية ثانوية اسمها (تخارستان)، وقد كانت مدينة (قندز) مسقطاً لرأسه، وبعد أن تخرج من هذه المدرسة عمل مدرساً فيها، وهذه المدارس الشرعية لها دور الريادة للعمل الجهادي في أفغانستان.

وقد كان عبد الفتاح أحد أبناء الحركة الإسلامية الأوائل، فجمع بين الفقه الحركي والشرعي، وكانت أبعاد المعركة على هذا الدين واضحة في ذهنه، والدور الكبير الذي ينتظر المسلم هذه الأيام من محاولة إنقاذ الأمة الإسلامية التي تردت في وهدة الشهوات ومستنقع النزوات.

فانهض إذا أوفيت خطة مؤمن ... وصدقت نهج الفارس المتوسم

وعبد الفتاح يشبه (ذبيح الله) أسد مزار شريف وبطل بلخ، وقد كان ذبيح الله كذلك خريج مدرسة شرعية ثانوية (الأسدية) وأحد طلائع الحركة الإسلامية، وقد أدى دوره الكبير ثم مضى إلى الله العلي القدير:

فهبت على الأعداء منه عواصف ... وزمجر آساد وثار ضراغم

أنا الصخر لا كانت عهود تشدني ... إذا لم تفلق من عدوي الجماجم

ومضى عبد الفتاح على الطريق: فقد أنشأ مركزه في (فلول) بولاية بغلان، وكان ميدانه من (فلول) إلى (اشكمش) في ولاية تخار إلى (قندز)، والكل يحترمه ويجله، أسمع الثناء عليه من كل الأحزاب، وتلهج الألسنة بذكره الحسن [وهو آخذ بعنان فرسه يطير على متنه يبتغي الموت مظانه] وما لهم لا يتشدون:

يا أمة الإسلام طال بك المدى ... وشراعك المطوي لمّا يخفق

نشبي لآفاق الجهاد وجلجلي ... مدّي شراعك في الفضاء وحلقي

وردي حياض الموت موجاً دافقاً ... يروي الزمان من الحياض الدفّق

الصبر الطويل: لقد استعلى هؤلاء القوم على شهواتهم، وطلقوا الدنيا ثلاثاً، ولم يعد للفانية أي وزن في معاييرهم، إن زوجة عبدالفتاح وأولاده يعيشون في مكة المكرمة منذ خمس سنوات مع والده ووالدته، ومع هذا فلم يزرهم سوى مرة واحدة، لقد شغله الجهاد عن نفسه وأهله.

إن الجهاد قد أخذ عليه مجامع نفسه، واستولى على مشاعره وقلبه، فخلصت نفسه من حظوظها.

شجاعته: إنه يقود المعارك ويخوض غمارها مع الليوث حوله، ولقد جرح أربع مرات، وكان له القدح المعلى في فتح (قندز) قبل شهرين، ووقف أمام الشيوعيين أربعة أيام.

(١) المصدر السابق ص ٢٦.

استشهاده: كنت جالساً عند حكمتيار فسألته عن حال الجهاد، فأخبرني عن المعارك حول مطار (قندز)، وأنه قد تلقى مكالمة من بشير البنلاني نقلاً عن (انجنير) بشير الذي كان يكلمه من حول مطار (قندوز) تنعي إليه استشهاد القائد عبد الفتاح مع خمسة من المجاهدين بينهم أخ عربي، وكان استشهاده في مواجهة ساخنة مع أعداء الله وبطلقات الرشاش الفردي (كلاشنكوف)، ونبتهل إلى الله أن يكون قد تقبل شهادته، وأن يرفع منزلته في الفردوس الأعلى، وأن يجمعنا به مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

ضيوف الرحمن

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد مضت القافلة تتهادى على درب السلام إلى الله السلام حتى يلجوا داره دار السلام، فوثبت الليوث وانطلقت من خوادرها وعرنها، تغلي غيظاً وتتلمظ جوعاً، تبحث عن أعداء الله تود لو ظفرت بها لتمزق أحشاءها وتتناوش أشلاءها:

الناظرين بأعين محمرة — كالجمر غير كليلة الإبصار
والبائعين نفوسهم لإلههم — للموت يوم تعانق وكرار
يتطهرون برونه نسكاً لهم — بدماء من علقوا من الكفار
دربوا كما دربت ببطن خفية — أسدٌ غلب الرقاب ضواري

اللهم إنه قد بلغنا على لسان نبيك ﷺ فيما رواه النسائي وابن حبان في الحديث الصحيح أن [**وفد الله ثلاثة: الغازي والحاج والمعتمر**]، فاللهم إنهم وفدك فأكرم وفادتهم، وضيوفك فأحسن قراهم ونزلهم، تركوا ديارهم ونفروا ابتغاء مرضاتك وإعلاء لكلمتك، ونصرة لشريعتك، فتقبل اللهم منهم، واقبلهم، إنهم استوحشوا صحبة أهلهم أنساً بالجهاد في سبيلك فآنس اللهم وحشتهم في قبورهم، وضاقت صدورهم بالعيش بين الخوالف والقاعدين وخفوا لرفع رايتك، فوسع اللهم عليهم قبورهم، ونور قلوبهم وقبورهم.

ولقد أخبرنا رسولك ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي عن أنس مرفوعاً [**من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له**] فنسألك اللهم أن تجعل شمل هؤلاء المهاجرين في سبيلك، القادمين لنصرة عبادك، المسترخصين أرواحهم ودماءهم من أجل إقامة دينك في الأرض، ونضرع إليك يا ربنا أن تتجاوز عن مسيئهم، وأن تهب محسنتهم مسيئهم، وأن تحفظ أحياءهم، وأن تقبل شهداءهم، إنك سميع قريب.

والآن يدخل قافلة الشهداء السائرة ثلة من ضيوف الرحمن:

الشهيد أبو جندل الفلسطيني (مروان شفيق عبد الجبار الوزني)[1]:

في سبتمبر (١٩٨٧م) قبل عام ونصف رأيت في صدا شاباً يتحرق حماساً ويتفجر بحيوية، وكنت أعطي كل يوم مجموعة من الدروس في المعسكر، فسألته عن الشاب، فقال من فلسطين قادم من الأردن، وزدت استفساري، فقال: كنت أعمل في الأردن/عمان في مختبر لطب الأسنان، ولقد سئمت من حياة القعود، إذ لا نفرق بين حياتنا وبين حياة السوائم، نأكل ونتمتع ونغدو ونروح ليس لنا هم سوى الطعام والشراب والمتعة مع خلو البال من الانشغال بالعظائم، أو تعكير الصفو من البحث عن المعالي، وبقي في المعسكر فترة من الزمن حتى أتمَّ الإعداد ليتسنى له مواجهة الجنود الحمر وعملائهم من الشيوعيين الأفغان.

وكانت الغزوة الأولى إلى (نورستان) وهي من أقرب المناطق الأفغانية إلى الحدود الباكستانية، ثم عاد وهو قلق لأنه يبحث عن جبهة ساخنة ومنطقة مضطرمة، وقفل وقد أطلق شعره كأغلب الأفغان حتى صار جمة يمس كتفيه.

وأخذ يخطط لرحلته الثانية الطويلة، فكانت رحلة ننجرهار (جلال آباد)، وغاب أبو جندل في أرض الرباط والثبات بين الغزو والقتال، وبين الرباط مع ليوث النزال سبعة أشهر، نرجو الله أن يجدها في ميزانه يوم القيامة.

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٢ ص ٢٧ رجب ١٤٠٩هـ مارس ١٩٨٩م.

وكانت الرحلة الثالثة إلى خوست حيث رابط على خط النار الأول يهفو إلى الشهادة ويبحث عنها، يبتغي الموت مضانه، ولكن العمر قدر مقدور وغيب مسطور، وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً.

تلقاهم ورماح الخط حولهم كالأسد البسها الآجامَ خفّان

صانوا النفوس عن الفحشاء وابتذلوا منهن في سبل العلياء ما صانوا

التعلق بفلسطين: كان يقلقه أمر فلسطين كثيراً، وكم فاتحني بهذه القضية قائلاً: إن فلسطين تنتظرنا، فأجيبه: نرجو الله أن ينصرنا في أفغانستان ثم يفتح لنا ثغرة في فلسطين، ولكن جوابي لم يرو صداه، ولم يطفئ ظمأه، إن الجهاد فرض عين في أفغانستان وهذا ما لا يناقشني به، ولكنه يرى أن البدء بالأرض المباركة ومحاولة تطهير الأقصى من دنس اليهود أولى وأحرى، كيف لا؟ وهو من قضاء القدس، وانطلق لاحقاً قلبه الهائم بفلسطين يبحث عن سبيل للوصول إلى أرض الإسراء والمعراج، وغاب أشهراً فوجد أن المنافذ قد أوصدت، وأن الوصول إلى قلبه المعلق ببيت المقدس دونه خرط القتاد، فقفل راجعاً إلى أرض الجهاد في أفغانستان لأنه لم يستطع *الحياة* بعيداً عن مضارب البيض وبريق الأسنة وصهيل الجياد.

ثم كانت الرحلة الرابعة في جلال آباد، حيث اشتد لهيب المعركة واضطرم أتونها، وعاد في الحادي عشر من فبراير إلى بيشاور ليرتب إلى رحلة كابل في السادس عشر من فبراير، ولكن منيته قد عاجلته برحلة الخلود الأبدية، ففي فترة الإعداد للتوجه إلى كابل حيث الضراغمة الأباة أحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم، وبينما كان يركب دراجة نارية مع أبي حذيفة الأردني انقلبت بهما الدراجة، فصعدت روح أبي جندل إلى بارئها فوراً، وأغمي على أبي حذيفة، وهي شهادة -بإذن الله-، ففي الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود والحاكم **[من فصل في سبيل الله فمات أو قتل، أو وقصته فرسه أو بعيره، أو لدغته هامّة، أو مات على فراشه بأي حتف شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة].**

وفي الحديث الصحيح الذي رواه ابن ماجة **[من مات مرابطاً في سبيل الله أجرى الله عليه عمله الصالح الذي كان يعمل عليه، وأجري عليه رزقه، وأمن من الفتان، وبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع].**

الشهيد أبو حذيفة الأردني (ياسين حمدان عبد الشكور الحمايدة)(1):

من أكبر عشائر الأردن وفي أعظم دوحاتها نبت هذا الفرع الذي به تفخر الشجرة كلها، وفي مدينة القصر من لواء الكرك كان مسقط هذا الشهيد، مشرق الوجه، تعطيه غلالة الحياء هيبة واتزاناً، ويكسوه الصمت بهاءً ووقاراً.

تخالهم للحلم صماً عن الخنا وخرساً عن الفحشاء عند التهاتر

ومرضى إذا لاقوا حياء وعفة وعند الحروب كالليوث الخوادر

رأيته أكثر من مرة تشغله الأمة بمصيرها، والإسلام ومستقبله، يريد أن يعيش لهذا الدين، وهبه نفسه، ونذره قلبه وفكره، ولذا فإن أحببت أن تراه تالياً للقرآن مترنماً بالتغني به وتجويده رأيته، وإن دعوته إلى الطعام في نهار الإثنين والخميس أجابك صمته عن عبادته، وإن تلفّتُّ حولك من يُعلم الشباب أحكام الترتيل ومخارج الحروف كان بين متقدمة الصفوف، وإن أحببت أن تراه في غسق الليل قائماً بين يدي ربه متهجداً فغالباً لا يخلف ظنك.

من أبناء الدعوة الإسلامية منذ حداثة سنه، تشربت روحه منذ نعومة أظفاره كراهية أعداء الله، تجده يغتنم فرصة الفراغ بين الدروس في الثانوية فيقف بين الشباب يبلغ هذا الدين ويوجه أنداده إلى الهدى ويلفت أنظار أقرانه إلى الخير.

كانت عقيدة البراء والولاء واضحة لديه فتجده وهو صغير يجمع المسامير ليضعها تحت عجلات سيارة أحد الشيوعيين في بلده، أما النصارى فحدّث عن مقته لهم كما تريد، فما يطيق لهم ذكراً، وما يحتمل لهم رؤية.

وسمع عن الجهاد فأقبل إليه يرفرف بأجنحة الشوق، وألقى عصا التسيار في مخيم لإعداد نفسه على حدود أفغانستان، وأقبل الثلاثة أبو حذيفة وأبو المعتصم وأبو صهيب ولو أنشد كل واحد منهم لقال:

يا رب إخوان صحبتهم لا يملكون لسلوة قلباً

لو تستطيع قلوبهم نفرت أجسامهم فتعانقت حباً

وكان بارزاً في كل ميدان ولجه، فهو في العلم من المبرزين، وقد ترك كلية الشريعة في الجامعة الأردنية وأقبل يريد شهادة أرفع

(1) المصدر السابق ص ٢٨.

وساماً أعظم، إنه يريد شهادة تدخله الجنة ولا يريد شهادة تدخله الدنيا بشحمها وضيقها.

وفي ميدان التدريب كان نشاطه ملفتاً لأقرانه وكان محل إعجاب المدرب وقد تولى تدريس إخوانه في مركز التدريب تلاوة القرآن كيف لا؟ وهو من حملة كتاب الله ومن حملة شهادة خاصة في تلاوة القرآن وتجويده من بعض المشايخ.

وعندما وصل إلى أرض الجهاد ازداد هياماً بالجهاد وتعلقاً بالاستشهاد، فيكتب رسالة إلى أحد أصدقائه عبد الحي شفيق المجالي يقول له فيها: (أنا يا أخي ما نسيتك من الوداع لأني أحبك ولم أخبرك بسفري ولكن أخبرت قلبك وأنت لا تعلم وقد دعوت الله كثيراً أن يلحقك بنا حتى ترى معنى الإيمان ومعنى الحياة وعزة المسلم.. وبعد يا أخي فوالله إننا بخير وبكل نعمة ووزني (٧١) كغم ونحن بفرحة عظيمة.. أننا ممن اختارهم الله ليكونوا جنوداً في سبيله.. وصدقني، إننا في أرض الجهاد قد عرفنا أننا في الأردن كنا نكذب على الله في العبادة وهنا أصبحنا نعرف معنى الإسلام والقرآن والأخوة وكل شيء والحمد لله).

بين ياسين وأمه: مالك يا ياسين قد أرقت أجفان أمك؟ وأسهدت ليلها أما ترق لدمعها الرقراق؟ أما تحن لقلبها المشتاق؟ ما بالك لا تصغي إليها وهي تخاطب صورتك التي قلما تفارق مخيلتها وكأنها تقول:

ما كنت أعرف إلاّ مذ نأيتمُ ... أن المضاجع مما تنبت الإبرا

يا رب ليل طويل بت أرقبه ... حتى أضاء عمود الصبح فانفجرا

أما ترحم مرضها وازدياد الضغط والسكر لديها؟ فقد كان يجيبها كلما اتصلت به لتخبره: بأن نسبة السكر تزداد لدي، بقوله: ولكن يقيني كذلك يزداد يوماً بعد يوم.

وجاء الخبر بالحادث، وزرته في المستشفى وجزى الله خيراً الإخوة الذين ما كانوا يفارقونه في مستشفى الجامعة (خيبر) في بيشاور ليلاً ونهاراً، ووجدته مستلقياً على ظهره، ثم بحث له الأخ أبو الحسن المدني عن مستشفى أكثر عناية في إسلام آباد وقررنا نقله ولكن الطبيب لم يسمح قائلاً: إن حالته لا تمكن من نقله.

وفي تمام الرابعة بعد عصر السبت في العشرين من رجب الموافق لليوم الخامس والعشرين من فبراير جاءني أبو سليم في بيت أبي عبد الله (أسامة) ينعى إليّ الأخ ياسين وبأن روحه قد فاضت إلى بارئها.

ونقل الجثمان من مستشفى خيبر إلى بيت الضيافة وغسّل وكفن ثم سار الموكب المهيب إلى مقبرة الشهداء في (بابي)، وفي ساحة مسجد بابي سجيّ ياسين ليصلي عليه العرب والمهاجرون والمجاهدون ثم حملناه إلى مثواه الأخير.

في حفرة الخلود: وفي مقبرة الشهداء وعلى مقربة من قبر والدتي شق قبر ياسين ونزلت الحفرة لأتشرّف بوضعه في اللحد، وحملته مع أبي خالد وكشف عن وجهه ولقد لفت انتباهي ثلاث كرامات له:

١- لقد رأيت إشراقة نور وصفاء عجيباً وبهاءً منيراً على وجهه، فما تمالكت نفسي عندما رأيت وجهه إلا أن قلت: سبحان الله.

٢- لقد وجدت بدنه دافئاً بل ساخناً، وعهدي بالأموات أن أجسادهم باردة.

٣- لقد وجدت أن جسده لين يتثنى كأنه نائم.

ووجهت وجهه إلى القبلة ثم واريناه التراب، وذرفت عيناي وأنا أرى هؤلاء الشباب المقبل على الله، وكلما ودعت واحداً من أبنائي هؤلاء صغرت نفسي في عيني وقلت: لولا أن هؤلاء -والله أعلم- خير منا ما اختارهم الله واتخذهم شهداء قبلنا -كما نحسب ولا نزكي على الله أحداً-.

وألقيت كلمة فوق قبره، واستودعنا الله دينه وأمانته وخواتيم عمله، وهكذا مضى وهو في عمر الورود ولما يبلغ العشرين بعد. ونرجو الله أن يجمعنا به في الصالحين.

الشهيد أبو البراء المدني (أحمد عبد العزيز قاسم الركوز)(١):

ما شئت أن تحدّث عنه فحدّث، هكذا بادرني أبو عبيدة قائده قائلاً: هين لين، بشوش الوجه، سبّاق لخدمة إخوانه من المستغفرين بالأسحار، لا يسبقه على أذان الفجر أحد، يقوم من آخر الليل، ثم يوقد سخان الماء لإخوانه، ثم يؤذن الفجر ويردد ما قبل الأذان وبعده -الصلاة يا مؤمنون-.

(١) المصدر السابق ص ٣٠.

أما المصحف فقلما يفارق جيبه، يتلوه، هذا هو العدة والعتاد.

(يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) (البقرة: ١٥٢)

إذا كان غير الله للمرء عدة — أتته الرزايا من وجوه المكاسب

{ما لي وللدنيا، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم قام وتركها}، هكذا علّم رسول الله ﷺ أصحابه والربانيين من أمته، وأن الدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة، وأنها كما روى الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ مرّ على جدي أسك ميت فقال لأصحابه: أيكم يحب أن يكون له هذا بدرهم؟ فقالوا لا أحد، فقال ﷺ: {للدنيا أهون على الله من هذه عليكم}.

وهكذا كان موقف أحمد، فقد جوازه فذهب إلى السفارة اليمنية لإخراج جواز جديد، فامتنعوا عن إعطائه جوازاً، وأخبروه بأنه لابد له أن يرجع إلى اليمن للتجديد، فأعرض عن الجواز وذكره.

الإصرار على بلوغ المجد:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى — فما انقادت الآمال إلا لصابر

لقد قدم أبو البراء إلى أرض الجهاد في معركة خوست قبل العام الماضي ديسمبر (١٩٨٧م)، وواصل رباطه وجهاده.

واستقر به المقام في (باري) خوست حيث خط النار الأول والمواجهة اليومية والمناوشات المتواصلة.

وإذا كانت النفوس كباراً — تعبت في مرادها الأجسام

هيام أبي حميد اليماني: لقد أعجب أبو حميد اليماني بأحمد، وأبو حميد رجل يذهلك صبره، وتتصاغر أمام إصراره، فقد بلغ الستين من العمر وهو مرابط مع هؤلاء الشباب، ورغم أن أحمد لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره إلا أنه أصبح أستاذاً للجميع بأخلاقه، ومربياً بخصاله وأفعاله، وأصبح أبو حميد إذا أراد أن يلهج بالثناء فعلى أحمد، وأصبح أحمد مضرب الأمثال، وفتى المثال في عالم الخيال لدى أبي حميد وكأنه يردد:

أهيم به حبــاً وداً وألفـــة — هيام شجيرات الحدائق بالطير

على تورغر: واتفق أحمد مع أخويه أبي خليل وآخر على أنه لا بد من غرس الراية فوق الجبل الأسود (تورغر)، وأعد الراية وحملها بيده وسار نحو الجبل، ووصل قريباً من مركز الشيوعيين، وفر الجميع ولم يبق سوى اثنين، وألقى الإخوة الحبل الصاعق المتفجر ليفجر الألغام أمامهم، ولكن الرشاشات التي فتحت عليهم من العدو اضطرت أبا البراء أن يضع يده خارج الممر الذي فتحه الحبل الصاعق، فانفجر به لغم ودفعه بعيداً، فوقع في حقل الغام، وطارت قدمه ويده التي تحمل الراية ونزف، ورغم أن الأفغان رأوا جسده قد طار نصفه إلا أنهم اقتحموا حقل الألغام لينقذوه إن كان في الحياة بقية، وجرح اثنان منهم، وما أجمل أن تردد قول البحتري في وداعه:

ولم أر أمثال الرجال تفاوتاً — لدى المجد حتى عُدَّ ألف بواحد

ومضى أحمد إلى ربه رافع الرأس، بعد أن أعذر إلى بني قومه أن طريق الرجال صعب وشاق، وأن الأشواك فراش طريق المجد وجادة العزة.

رحم الله أخانا أحمد، ونرجو الله أن يكون قد تقبل هجرته ورباطه وقتاله وإعداده، وكلها منازل أعدها الله لعباده {إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله}البخاري.

الشهيد أبو عبيدة السعودي (عبد الله بن مبارك القحطاني)[1]:

من نجد حيث الأصالة ورجولة البداوة، وصفاء الصحراء، والبعد عن اللّيّ والتملق والغوغاء نشأ شهيدنا.

إنما الإسلام في الصحرا امتهد — ليكــون كلُّ مسلـــــم أسَدْ

فآباؤه من (الخرج) من (نجد)، ولكنه ولد وترعرع في شعاب المنطقة الشرقية، وقد كان قدومه لهذه الدنيا سنة ١٣٨٧هـ، وأنهى الدراسة الثانوية، وعمل في شركة (سابك) في (الجبيل).

(١) مجلة الجهاد، العدد ٥٣، ص ٣٨ شعبان ١٤٠٩هـ مارس/ابريل ١٩٨٩م.

قدومه إلى الجهاد: بدأت النفس تتجه إلى الله، وتبحث عن محطة تغسل فيها الذنوب وتقبل فيها توبتها وتحط عنها حوبتها، وأي مكان يمكن أن تتجه إليه أعلى، وأي قمة أكثر سموقاً وسمواً من ذروة سنام الإسلام (الجهاد)، ولقد أصبح الجهاد الأفغاني محط القلوب، ومهوى الأفئدة، وقبلة تحن إليها نفوس العاشقين للشهادة، الخاطبين للخيرات الحسان.

وبدأ النزاع بين النفس التوّاقة إلى الجهاد، الطامحة في الجنة، وبين الأغلال التي تشده إلى الأرض من أهل ووظيفة وآمال، فقد وجدت في دفتر مذكراته بيتاً يعبر عن الصراع النفسي بين الأشواق المجنحة وبين القيود المعوقة:

إبليس والدنيا ونفسي والهوى   كيف الخلاص وكلهم أعدائي

أقبل إلى الجهاد قبل شهرين، وفي مخيم التدريب أخذ قسطه من الإعداد، وبدأ يحنّ لمقابلة الأعداء، واشترك في عملية على خط النار في خوست، وبعد أن أكرمه الله بالوقوف ساعة في القتال، وأجر وأي أجر ينتظر المخلصين، ففي الحديث الصحيح [قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة].

وكان مع الشهادة على قدر: فأثناء عودتهم من العملية أصابته رصاصة، وبدأ الدم ينزف، وطلب كتاب الله واحتضنه، ولقد تضمخ الكتاب العزيز بالدم العزيز الذي يشهد أخوه الفلسطيني الذي كان يرافقه أنه شمّ رائحة المسك منه، واستنار وجهه بعد الشهادة، ونرجو الله أن يتقبله شهيداً ليُشَفَّع بوالديه وبسبعين من أهل بيته، ففي الحديث الصحيح [إن للشهيد عند ربه سبع خصال: يغفر له مع أول دفقة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر، ويلبس تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما عليها، ويزوج باثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفّع بسبعين من أهل بيته].

الشهيد أسد الله الفاتح (أبو جبل المصري)(١):

كم ألقيت يا أرض الكنانة من فلذات أكبادك في أتون القتال؟ وكم ودعت من الشهداء في فلسطين والقنال؟ إنك تفخرين بعلمائك، ولكنك تتيهين زهواً بعظمائك. أما يكفيك يامصر ما أنبتت أرضك من الدعاة؟ أباسم الشافعي وابن حجر العسقلاني تنشدين؟ أم بذكر العيني تطربين، أم بجيل ممن ربّى البنا وسيد قطب وصالح سرية تحلمين؟

لقد حقّ لك أن تفخري فأنت مهوى أفئدة العالم بأزهرك الشريف، وأنشدي ما شئت أن تترنمي بدعاة دينك الحنيف، وطاولي السماء عزاً بالمجد المنيف، وناطحي السحاب فخراً بسيفك الرهيف.

أوبة إبراهيم: في طنطا من محافظة الغربية نبت إبراهيم، وعلى أرضها درج وحبا، ولكنه بقي بعيداً عمن يأخذ بيده إلى الطريق إلى الله، ويشاء الله له أن يشهد وفاة أحد أقاربه، وعندما حمله بين يديه وكأنه يرى القبر والبرزخ، وتملكه الخوف الشديد من حياته التي لا تتعدى حياة السوائم من أكل وشرب ومتاع. وكانت هزة عنيفة سقط الركام من على قلبه، وبدأت أجهزة الاستقبال تتلقى الأوامر الربانية.

وكان لابد من عمل جليل يمسح من تاريخه ذلك السفر الحافل بالمخالفة للنصوص، ولا بد أن يرتقي إلى قمة هذا الدين وذروته بالجهاد فوق جبال سليمان وفي صحراء قندهار والهلمند.

وفي قسم الشرطة العسكرية بباب الحديد يدخل رجل غريب هذا القسم، ويسأل سؤالاً غريباً عجيباً، إنه يستفسر منهم عن طريق الجهاد إلى أفغانستان، فرد عليه الشرطة اذهب إلى السفارة الباكستانية.

وبباب السفارة الباكستانية تجري مشادّة كلامية عنيفة بين حارس السفارة وبين إبراهيم، إذ أن شهيدنا يريد إقناع الحارس بأنه يريد أداء فريضة الجهاد التي كتبها الله عليه، والحارس يدفعه بشدة من باب السفارة، وأخيراً هدده بإحضار الشرطة له إن أصر على الدخول بالقوة.

ويعود إبراهيم أدراجه لا تكاد تحتمله قدماه لهول الصدمة، إنه لا يجد لجسده طريقاً حتى يلحق بروحه التي أرسلها إلى أفغانستان تلثم الغبار عن أقدام المجاهدين الأبرار.

أنا عند حسن ظن عبدي بي: ولم يخيّب الله فأله، فنصحه بعض المطلعين بالذهاب إلى أرض الحرمين لعله يجد سنداً من هناك، وكانت قدراً مقدوراً حتى يتم له أداء فريضة الحج ويرجع كيوم ولدته أمه، ثم يمضي نظيفاً طيباً إلى الله الطيب، يسلام إلى

(١) المصدر السابق ص ٣٩.

دار السلام، وكتب الله له التيسير بالمضي إلى بلاد اللهيب والتغيير، ووصل إلى أرض الأضهار، واختار أسخن الجبهات في أرض قندهار.

حالته في الجهاد: يشعر كل من عايشه في هذه الفترة أنه كان يودع الدنيا، إذ أنه يذوب إخلاصاً ويتفانى غيرة لهذا الدين، ومن خلال رسائله لإخوانه وأستاذه علي تشعر أنه يتفجر حماساً وحيوية وكأنه المسؤول الوحيد عن هذا الدين، إنه وجد ضالته في هذا الدين، كان تائهاً في مفازة مهلكة ثم اهتدى إلى الجادة القويمة والطريق المستقيم، يكتب إلى إخوانه: (واعلم يا أخي فإن الإنسان مهما قدم أو ضحى فلن يساوي أقل نعمة أنعم الله بها علينا... هيا يا شباب تحركوا واعلموا أننا مسؤولون أمام الله، ماذا قدمنا لهذا الدين... أخي حان الوقت كي تتيقن أن معنا ما هو أقوى من القنبلة الذرية والهيدروجينية، معنا لا إله إلاّ الله، لو عرفنا الله عز وجل سيكون لنا السيادة في الأرض... أخي ما هي إلا شهور وستسقط أفغانستان بيد المجاهدين، ويتجه الجميع إلى فلسطين، ولا بد بأن يعلم الجميع أن العزة ستكون للإسلام بإذن الله... واعلم أن أي إنسان يتجه إلى الله بقلبه -صدقني- فإن الله سيساعده وسيبارك خطواته حتى يصل إلى أرض الجهاد، إلى ساحة الشرف).

ويكتب إلى والديه: (عندما أنظر من خلفي أجدني أقرأ تاريخاً حافلاً بالمعاصي والذنوب في حق الله وفي حقكم، رجاء اغفروا لي زلاتي حتى يرضى الله عني، توجهوا إلى الله وقولوا: اللهم اغفر لإبراهيم واعف عنه وتقبل منه ولا ترده خائباً، وسامحوني على فراقي لكم دون استئذان، فما حملني على ذلك إلا نداء الله الذي لم أستطع أن أتأخر عنه).

وصيته لإخوانه في النسب وفي الدين: (أدعو الله أن يجعلكم دعاة إلى دينه، سيوفاً على أعدائه، وأن يعز بكم الإسلام والمسلمين، وأن يبصركم بالطريق، ويمن عليكم بالهداية، وأوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل واتباع هدي رسولكم محمد بن عبد الله ﷺ، والسير على منهجه، فهيا إخواني أدعوكم إلى طاعة الله، هيا أسرعوا قبل فوات الميعاد وارتفاع الأمواج، أناديكم من شاطئ الأمان بأعلى صوتي اركبوا قاربي فالأمواج عالية والرياح ناسفة).

من مواقفه في الجهاد:

١- كان في غرفة ضيقة في منطقة قندهار وبجانبها غرفتان، والعرب يصلون ثلاث جماعات لضيق المكان، فأخذ على نفسه أن يبني لهم مسجداً واسعاً للمبيت والصلاة، وبنى بنفسه معظم البناء، وأعانه إخوانه وأصبحوا جماعة واحدة.

٢- خرج حافياً إلى العملية، لم يجد ذات ليلة حذاءه فأصر على دخول العملية حافياً.

٣- حمله القذائف الثقيلة، كان يحمل وحده القذيفة التي ينوء بحملها رجلان.

٤- إيثار إخوانه، كان يهدي إلى إخوانه معظم ما معه، وكان لا يجلس على مائدة الطعام إلا بعد اطمئنانه إلى أن إخوانه جميعاً قد جلسوا، وكان يستيقظ آخر الليل ليجمع الحطب ويسخن الماء لإخوانه في زمهرير الشتاء القارس.

٥- من عباداته، كان يقوم الثلث الأخير من الليل، ويصوم يوماً ويفطر يوماً كصيام داود عليه السلام.

رؤيا ليلة الاستشهاد: رأى ليلة استشهاده أنه يسير مع أربع عرائس.

كيفية استشهاده: في (ملجات) بولاية (قندهار) وفي غرفة القومندان (القائد) عبد الرزاق أذن لصلاة المغرب، فأفطر إبراهيم وقد كان ذلك اليوم الخامس عشر من رجب سنة (١٤٠٩هـ)، وبعد الفطور أدت السرية صلاة المغرب وانطلقت على بركة الله وفيها اثنا عشر شاباً عربياً، وإبراهيم كعادته يبحث عن الشهادة، فهو يزاحم الإخوة على الموت، ويتقدم الصفوف، وصعد إبراهيم السلم ووقف في أعلاه حيث أطل على المراكز الثلاثة للشيوعيين، وتناول قاذفه الصاروخي (R.P.j.7) وركب القذيفة في القاذف ثم أطلق القذيفة الصاروخية مع القذيفة الربانية التي تواكب القذيفة عادة من فم إبراهيم وهي قذيفة (الله أكبر)، انطلقت مدوية تمزق صمت الليل الساجي، وتزلزل أقدام أعداء الله، وفتحت الرشاشات على المكان الذي اندلعت منه ألسنة اللهب من القاذف، وكانت الرصاصة (من كلاشنكوف أو جرينوف) التي حملت معها روحه إلى بارئها، ولم يسقط عن السلم، وتلقاه أخوه الذي كان يتبعه على الدرجة التالية للسلم.

ومضى إبراهيم إلى الله بعد أن علمنا درس الرجولة والبطولة والتوبة الخاشعة والأوبة المخبتة إلى الله عز وجل، فنرجو الله أن يتقبلنا وإياه في الصالحين، وأن يبقى إبراهيم علماً شاخصاً على طريق السالكين إلى رب العالمين.

أول شهيد من (عبيدة)

أبو رقية (حسن محمد هادي وهيط بن حنيش)[1]

هناك وفي مأرب حيث شهد التاريخ حضارة سبأ وسدها الكبير.

(لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) (سبأ: ١٥)

ثم شهدت مأرب خراب السد وهجرة أبناء قبلة من الأوس والخزرج إلى المدينة المنورة بحيث أصبحوا قادة الإسلام ومعدنه وأعمدته وهيكله.

وبقيت هذه البلدة بأطلالها تحدث العبرة لأجيالها من آثار الطاعة في حياة الأمم، ومن نتائج الذنوب في هدم المجتمعات ومسخ المثل والقيم.

وفي هذه الأرض حطت عبيدة وضربت بجذورها، وأطلقت فروعها وأفخاذها السبعة، وبرز من بين أفراد هذه القبيلة الكبيرة رجل يعرف بصلاحه والتزامه، وأثمرت شجرة هذا الرجل ثماراً طيبة.

(ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) (إبراهيم: ٢٤-٢٥)

كان هذا الرجل الذي يشار إليه بالبنان في صلاحه واستقامته هو الشيخ علي العرادة شيخ عبيدة ومأرب في هذه الفترة، ونبتت من دوحته الطاهرة ذرية صالحة ونحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحداً، والتزم أبناؤه خط الدعوة الإسلامية الواضح المتزن.

وحول هذا البيت نشأ شهيدنا، فقد تأثر بالدعوة الإسلامية منذ نعومة أظفاره، وعرف بالتزامه ونظافة سلوكه منذ حداثة سنه، وقد دفعه والده إلى معهد (الجند) الشرعي العلمي في مدينة (تعز) وهو من أشهر معاهد اليمن، وتخرج منه وعمل سنة في التعليم، وكان خطيباً للمساجد، وهناك بعض رجال القبيلة ذوو العقلية الجاهلية القبلية الذين يتحركون بمنهج دريد بن الصمة:

وما أنا إلا من غزية إن غوت   غويت وإن ترشد غزية أرشد

وهذه العقليات كثيراً ما تجر أهل الطيب بل العشيرة برمتها إلى دمار وخسار بسبب النخوة الجاهلية والعصبية القبلية، وقد كان هؤلاء يعيبون على حسن محمد هادي أنه لا ينصر قومه ولا يحمي ذمارهم في خلافاتهم التي تنبعث من الهوى، وتؤجج نيرانها الشهوات الخفية والنزوات الداخلية.

قال أبو طارق بن الشيخ علي العرادة: ما عرفنا على هذا الشاب منذ صغره إلا خيراً.

وقدم إلى الجهاد وهو يسمع أخبار هشام الديلمي وسبع الليل (أحمد الأحمدي) وأبي محمد اليماني وغيرهم من شهداء اليمن فأقبل مع كثير من إخوانه الذين يحدوهم على الطريق نداء الجنة وأحاديث الشهادة، ففي الحديث الصحيح **[أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون (يتمرغون) في الغرف العليا من الجنة، يضحك إليهم ربهم، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه]**.

وفي الحديث الصحيح **[أفضل الشهداء من سفك دمه وعقر جواده]**.

ووصل أبو رقية، ونال تدريبه في معسكر التدريب ثم ترامى إلى مسامعه أنباء سرية حمزة المتجهة إلى فارياب بقيادة أبي الجنيد البغدادي، وهذا القائد تعجب من حماسه واندفاعه وتلمس ورعه وتقواه -كما نحسبه ولا نزكي على الله أحداً- وقد تخرج أبو الجنيد من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وكأنه نذر نفسه لخدمة هذا الدين في ميادين الجهاد وكم نجاه الله من مآزق خطيرة ومهالك كثيرة من أيدي زبانية النصيرية في سورية التي ألقته سبعة أشهر في زنازينها وهي تستجوبه حتى تحصل على اعتراف بكلمة واحدة وهي أنه كان في أفغانستان ، ونجا مرة أخرى من أيدي المخابرات الفرنسية التي كادت تسلمه إلى جلاوزة الطاغوت في بغداد، وأقبل إلى الجهاد وألقى عصا الترحال بين قوم يفخر بهم الزمن وتعتز بهم الأمة الإسلامية وحط رحاله بين شعب لسان حالهم ينشد:

محرمةٌ أكفال خيلي على القنا   محللة لباتها والقلائد

---

(١) المصدر السابق ص ٤٢.

وأورد نفسي والهند في يدي   موارد لا يصدرن من لا يجالد

وتوجهت سرية حمزة إلى فارياب بقيادة أبي الجنيد البغدادي تحت قيادة إخوانهم الأفغان وبحراسة سلاحهم ومرّوا بوردك وكانوا يسقطون في أيدي الشيعة أسرى وأنجاهم الله عز وجل، بعد معركة بين الشيعة وبين المجاهدين.

وصول السرية إلى فارياب: ولدى وصول السرية فارياب بدأ التحريض على القتال بين المجاهدين الأفغان يتصدر صفوفهم الإخوة العرب المتعطشون للشهادة، ودارت رحى المعركة، واحتدم القتال، وأخذت الطائرات الروسية تتابع خطوات الإخوة العرب تقصفهم أنّى حلوا، وتضربهم حيث ارتحلوا، وبدأت الفتوحات تتوالى، وصارت الدولة الشيوعية تذيع في إذاعاتها أن العرب جاءوا ليفسدوا المنطقة وينشروا الوهابية، ويذكوا نار العداوة بين القوم الواحد مما يؤدي إلى قتل النساء والأطفال، وذات يوم وفي معركة مشرفة حيث المواجهة بالسلاح الخفيف.

ونضربهم هبراً وقد سكنوا الكدى   كما سكنت بطن التراب الأساود

وأصابته رصاصة في صدره وأرسل أبو الجنيد يستشيرنا فيم يصنع بأخويه اللذين أصيبا ولم يستشهدا مباشرة ولكن الله -عز وجل- كتب لهم الشهادة ومضيا إلى بارئهما.

فهنيئاً لحسن شهادته، وهنيئاً لعبيدة ابنهم وفتياتهم، وهنيئاً لأهل الشهيد فرطهم على الحوض وشفاعته بهم، إن كان الله تقبل شهادته كما نحسب ولا نزكي على الله أحداً.

الرسالة التي بعث بها الشهيد أبو رقيّة قبل استشهاده لنشرها في (الجهاد)[1]:

إلى القاعدين والمثبطين لعزيمة الشباب المتعطش للجهاد في سبيل الله، إلى المخذلين المتخاذلين في كل مكان وإلى الذين لا يجدون ما يسلون به أنفسهم إلا الاستهزاء والسخرية من الدعاة المجاهدين الصابرين المصابرين ونهش لحومهم الحرام واتهامهم بقصور العلم والفهم وعدم الفقه واتهامهم بالأخطاء حتى في صميم العقيدة، إلى الباحثين عن المعايب المفتشين عن المثالب بدلاً من إصلاح حال الأمة ومجابهة أعداء الدين، إلى من اهتم بالأقوال ونسي الأعمال، إلى المرجفين والمشككين في جهاد المجاهدين الصامدين في وجه الباطل، إلى هؤلاء جميعاً. أسوق هذه الأبيات من قلب موجع بفعلهم متألم من صنيعهم راثيا لحالهم راجياً أن يصححوا نظرتهم نحو العلماء والمجاهدين وأن يسلكوا طريقاً أصوب وإلى الحق أدنى وأقرب.

أيا من يثبط سير الجهاد   ويستهتر بحماة الثغور
ألا تنتقد نفسك الخاطئة   وتخشى عقبى هذا الغرور
تحقق ما يبتغي الحاقدون   على الدين يا ويح أهل الفجور
إذا كان دأبك سب الدعاة   فماذا عملت ليوم النشور
سل الروس إن شئت عن بأسهم   وسل عنهم في امتداد العصور
ودع عنك ماقد يغيظ الأفاضل   ودع عنك رجم الحصى والصخور
ودع عنك حرباً يريد الأعادي   لها بيننا أن تظل دهور

في الشهادة والشهداء

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فقد ضرب هذا الشهر رقماً قياسياً في الشهداء خاصة بالنسبة للإخوة العرب فقد أشر العقرب حتى اليوم على العدد (٣٤)، والمعارك لا زالت محتدمة حول جلال أباد وخوست، وأصبحت سيارات الإسعاف لا تفي بالحاجة المطلوبة، إذ ضاقت سيارات لجنة الدعوة والهلال الكويتي التي حازت قصب السبق في الوقوف أمام الزحف الصليبي في الميدان الصحي عن القدرة على نقل كل الجرحى، وامتلأت أسرة مستشفى الفوزان والهلال الكويتي من المصابين، وأبواق سيارات الإسعاف وأضواؤها لا تكاد تكف عن الهدير والبريق، وما بين عشية كل يوم أو ضحاه صرنا نودع عزيزاً أو أحبة يمضون حاملين معهم مهجنا وقلوبنا.

إن التفسير الإسلامي للتاريخ يقوم على أساس أن للإنسان غاية في هذه الحياة وهي الاستخلاف.

---

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٣ ص ٣٨ شعبان ١٤٠٩هـ مارس/ابريل ١٩٨٩م.

(وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) (البقرة:٣١)

واشترط رب العزة شرطاً لهذا الاستخلاف وهو:

(فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا، ونحشره يوم القيامة أعمى) (طه:١٢٣-١٢٤)

والتاريخ البشري في المنظور الإسلامي هو تحقيق المشيئة الربانية من خلال الفاعلية المتاحة للإنسان في الأرض بقدر الله وحسب سنن معينة يجري الله بها قدره في الحياة الدنيا.

والتاريخ من جهة أخرى هو سعي الإنسان لتحقيق ذاته كلها لا البحث عن الطعام فحسب (كما هو التفسير المادي الماركسي للتاريخ) ولا المتاع والسيطرة والاستحواذ (كما هو التفسير الليبرالي للتاريخ).

وإنما هو تحقيق كل ما يشتمل عليه الإنسان من طاقات وقدرات وتطلعات وأشواق، إلى جانب الضرورات القاهرة والرغبات القريبة، ومحاولة نقل المبادئ التي يعتنقها الإنسان، والعقيدة التي يحملها بين جوانحه إلى واقع حياتي وأحداث يومية.

أي محاولة تحويل الكتاب والسُّنة والآيات والأحاديث والنصوص إلى سلوك إنساني وأخلاق ومعاملات تمشي على الأرض يراها الناس فيرون الإسلام، وهو تاريخ الفرد والجماعة في ذات الوقت من خلال تشابكهما الذي لا ينتهي، وتدافعهما الذي لا يقف عند حد.

والتاريخ الإسلامي أكبر شاهد على تهافت التفسير المادي والليبرالي للتاريخ، إذ أنه حصل خلال نصف قرن أن فتحت نصف المعمورة آنذاك، واستمرت الدولة الإسلامية بضعة عشر قرناً مصونة بالحق الذي جاء به هذا الدين، محمية بالسيف الذي بعث به سيد المرسلين.

لقد حصل التحول التاريخي في هذه الفترة المعجزة من التاريخ دون أن يحصل أي تغيير في وسائل الإنتاج، ولا تبديل في مصادر الاقتصاد والدخل.

وشاءت إرادة الله -عز وجل- أن تنزلق أقدام الدب الروسي على سفوح الهندوكوش، والتقى أحد العملاقين الضخمين في الأرض -الاتحاد السوفياتي- ويدعمه حلف وارسو مع شعب فقير أعزل أمي لا يملك من حطام الدنيا شيئاً، وكان التفسير المادي الماركسي يوجب أن تنهزم القوة الرجعية الدينية أمام القوى التقدمية، لأن الدين أفيون ومخدر لمشاعر الشعوب، وأنه علق تمتص دماء الشعوب.

إلا أن التفسير المادي الماركسي للتاريخ قد بان زيفه وتعرى زيفه وظهر أنه سراب خادع قد استهوى به فراش الأمم التي احترقت بجحيم الشيوعية باسم التقدم وإنقاذ العمال والبرليتاريا والديالكتيك.

لقد كانت الشيوعية لعنة صبت على البشرية فأذاقها الله الويلات على أيديها بظلمها وبذنوبها **(وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)**.

أقول: هزمت الشيوعية وأصيبت بقاصمة الظهر، وبدأت تعاني من أزمات داخلية، وقلاقل وتمزقات في أعماقها برزت بعض مظاهرها في أذربيجان وتاجكستان وجورجيا (النصرانية).

وستشهد السنوات القادمة والله أعلم تحولات خطيرة في الشيوعية، ولعل نهايتها قد أزفت وعاد الحنين مرة أخرى إلى الجن الذي هربوا منه إلى الكنيسة ورجالها، والكلام في هذا يطول.

صناعة التاريخ: وتاريخ الأمم إنما يجري بقدر من الله على أيدي أفذاذ يسطرون بدمائهم ويشيدون بمواقفهم وصلابتهم أمجاد الأمم وحصون عزتها، وقد بدت صناعة التاريخ الإسلامي جلية في أفغانستان، فبدأت معاقل الإسلام حديثاً ترتفع ولكن بالجماجم لا بالحجارة والطوب، وكان المجاهدون الأفغان جزءاً من قدر الله لهذه الأمة التي بدأت تنهض من كبوتها، وتستيقظ من سكرتها، وترتفع من مستنقع وهدتها وارتكاسها.

والأمم تحرص على كتابة تاريخ أفذاذها لتربية مقبل أجيالها، وبناء الناشئة من أبنائها على القيم التي ضحى من أجل غرسها أبطالها وقممها.

وأفضل طريقة لتربية الأجيال في تدريسها تاريخ أمجادها من خلال سير مصلحيها وقادتها وأبطالها، فنحن نتأسى برسول

الله ﷺ، ونقتبس من النور الذي جاء به، ونسير على هدي أصحابه، ونقتفي أثرهم «أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده».

وكلما كانت الأمثلة شاخصة حية، وأحداثها ساخنة جديدة، فإن وقعها في القلوب يكون أعمق، وأثرها في النفوس وتوجيهها أشد وأقوم، وذلك لأن الشواهد الحاضرة دوافع ومحركات للقلوب أن تشابه وتباري، لأن نداء الأعماق من القلوب ينادي بقوة هذا شاب مثلكم يعيش كما تعيشون، ولفته البيئة التي لفتكم، وضمه الجو الذي يظللكم، فما باله قد سبقكم؟ أو ليس بإمكانكم أن تسلكوا كما سلك وتسيروا كما سار؟

الخيار الصعب: وكثيراً ما نواجه ونحن نفتح وصايا كثير من الشهداء بمشكلة أنهم يحرجون علينا أن لا نكتب عنهم كلمة، فقد كتب سعد الرشود: لا أسمح لمجلة الجهاد ولا للبنيان المرصوص أن تكتب عني كلمة.

وأبو دجانة (عادل فارس) أوصى بأن لا يكتب عنه شيء.

وأبو مسلم الصنعاني أوصى بأن من كتب عنه شيئاً فهو حجيجه يوم القيامة.

وساءلت نفسي كثيراً: وهل يحق لهم أن يمنعوا الناس أن يتكلموا عنهم بخير، إن هؤلاء أصبحوا جزءاً هاماً وشريطاً حياً من تاريخ هذه الأمة، فليس لأحد أن يقص شريط التاريخ المشرف بحجة أن صورته وردت فيه، أو ذكره مرّ خلاله، إن دماء هؤلاء الشهداء قد روت شجرة هذا الدين وسطرت بأحرف من نور تاريخ هذه الأمة، فكم ستحرم الأجيال لو أخفي تاريخ النماذج المشرقة والقمم السامقة من أبناء هذه الأمة ابتداء بأبي بكر والخلفاء الأربعة والصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، والأبطال الأفذاذ أمثال سعد ومصعب وحمزة والقعقاع وعاصم والمقداد والنعمان وعكرمة وخالد وأبي عبيدة.

وكم ستخسر الأمة من رصيدها الثر الذي يكون المعين العذب الذي تنهل منه الأجيال عبر العصور.

لم تعد سير هؤلاء الصادقين ملكاً خاصاً يورث من قبل ورثته، أو مالاً يوصي به إلى جهة خيرية ويصرفه كما يشاء، لقد خرجت سيرهم وقصصهم من ملكهم الخاص إلى رصيد أمة تحيا بذكرى أفذاذها، وتعيش أجيال مقتفية الجادة القويمة التي قضى عليها أسلافها وأئمتها.

لقد أوصى كل واحد بأن لا يكتب عنه بعداً عن الرياء، واختفاء عن مواطن الضوء إلى الظل، وذلك حرصاً منهم على تمحيص النية وتقرير الإخلاص، فمضوا بإخلاصهم وصدقهم وثوابهم.

وكم يحز في نفسي أني لم أكتب عن سعد الرشود ذاك الذي كنت إذا جلست إليه أشعر أنني أمام قمة شاهقة وعملاق ضخم مع أنه في ثقافته لا يتعدى الثانوية العامة.

والآن واجهنا أبو مسلم الصنعاني بوصيته التي تعني تمزيق صفحة وضاءة من تاريخ الأمة الإسلامية الحديث، وقطع جزء من الشريط الحي الذي يحفه البهاء وينيره السناء وتكون له المهابة إطاراً جميلاً فريداً.

إن الكلام عن الشهداء فرض من رب العالمين، لأنه جزء من التحريض على القتال الذي افترضه الله على كل مسلم «فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين».

ولو علم الشهيد كم سيسوق الله له من الخير ويصله إلى قبره من الثواب بذكر قصته لأمسك عن الوصية.

فكم من القلوب الميتة أحيتها قصص الشهداء، وكم من الشباب قد وفدوا إلى الجهاد بقراءة قصة شهيد، وكم من تائه رد إلى الله وكم من فاسق آب إلى ربه بها:

ففي القتلى لأجيال حياة وفي الأسرى فدى لهم وعتق .

إن هؤلاء الإخوة ينسون أنه (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة).

كم نفع الله بوصية الشهيد عبد الوهاب بن صالح الردة الغامدي؟

فعندما سمعت بوصية أبي مسلم (عبد الله النهمي) قلت سأكتب عنه وعندما نلتقي بين يدي الله سأقول لله (يا رب إن عبدك هذا عبد الله النهمي يريد أن يحرم الناس الخير بعدم الكتابة عنه، ويريد أن يمنع الأمر بالمعروف والتحريض على القتال بمنعه لنا أن نكتب عنه) ولذا فإني سأبدأ به:

أبو مسلم الصنعاني (عبد الله النهمي)[1]:

أي مسجد في صنعاء لم يسمع عن أفغانستان من فمك؟ وأي امرأة من الصالحات لم تنزع حليها تبرعاً بعد سماعها عن الجهاد موعظتك؟ أي شاب من اليمن لم يعرفك ممن عادوا إلى الله مع تيار الصحوة الخاشعة؟ أي عالم من العلماء في بلدك لم يشعر بالخجل ولم يطرق حياءً إذا قابل صورتك أو واجه طلعتك، فيا عبدالله وإن أوصيت: (من كتب عني كلمة فأنا حجيجه يوم القيامة).

فكيف لا نكتب عنك؟! وهل يستطيع صاحب العطر أن يمنع الشذى أن ينتشر في الآفاق، ويضوع بأريجه الطيب في الجو؟

أتريد أن تكف الألسنة عن ذكر الخير ونشر البر! وإذا طفحت القلوب بالمحبة وأفعمت بالإعجاب فمن ذا الذي يمسكها أن تعبر عن إعجابها أو محبتها؟ إن لم نكتب عنك في الجهاد فكيف تمنع إخوانك في اليمن أن يسطروا بالمداد الممزوج بالدموع والأسى عن ذكرك؟

بائع الليمون: زارني ذات مرة في بيت أبي عبد الله في جدة وكنت مزمعاً على زيارة أخ عزيز، فأحب أن يرافقني، فقلت له: لو غيرت ثوبك حتى لا يظنك الناس بائع ليمون، قلتها هازلاً فضحك ملء شدقيه، وكنت كلما لقيته غالباً يبادرني القول: كيف الليمون؟

وإن صمتت البنيان عن التشرف بذكرك وتزيين صحفاتها بصورتك فكيف يمكنك أن تسكت ألسنة الذين عايشوك في الجهاد في تندهار وجاجي وخلدند وخوست وننجرهار وجلال أباد؟ إنك حاولت ولكنك تحاول عبثاً.

يا لائمي في الهوى العذري معذرة منـي إليك ولو أنصفت لم تلم

محضتني النصح لكن لست أسمعه إن المحب عن العذال في صمم

طلائع الجهاد: لقد كان عبد الله من أوائل الذين قدموا إلى أرض الجهاد يرافقه الشيخ غيلان أبو فارع في الخمسينات من عمره، وحلّوا في كتيبة بدر، واشتركوا في الجهاد داخل أفغانستان، جاء غيلان يحمل ماله ولم يثنه كبر السن ولا عظم الثروة أن يقبل بنفسه إلى الجهاد، وكانا يحملان مبلغاً طيباً من المال الذي جادت به نفس غيلان مع ما جمعوه من الصالحين والمحسنين.

ومكث عبد الله فترة ليست قليلة في الجهاد ثم عاد إلى اليمن، ولم يكن آنذاك ترتيب للعرب ولا معسكرات ولا بيوت ضيافة، إذ لم نكن قد أنشأنا مكتب الخدمات بعد.

ولكن النفوس التي تتذوق حلاوة الجهاد ليس من السهل عليها أن تعود إلى حياة رتيبة لا ترتفع الاهتمامات فيها عن نوع الطعام وشكل اللباس وأحسن حالاتها الدراسة في كتاب ديني في مسجد من المساجد أو داخل غرفة مقفلة.

وبدأ الحنين إلى أرض النزال يعاوده ويشده ويؤرق عليه أجفانه ويقض عليه مضاجعه، فعاد مرة أخرى ورابط في جبهات مختلفة، ثم أفتى له بعض الأحبة والمتعلمين أنه لابد أن يدرس العلم الشرعي حتى يكون عالماً داعية، وهنا بدأ يراوده أمر ملازمة كتب العلم مع خدمة الجهاد، وجمع المال له، والقيام بحملة إعلامية له والذود عن حياضه، والذب عن جنابه.

في كلية الشريعة: وفي السعودية ألقى عبد الله عصا ترحاله ودخل الكلية وبدأ ببناء نفسه علمياً، ولقد كان الكتاب لا يفارقه في المعسكرات فكثيراً ما كنت أجده يحمل كتاب الأذكار للنووي وبعض كتب ابن القيم كالوابل الصيب أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي وحيثما حل إما أن تجده واعظاً يلقي دروسه أو مستمعاً مصغياً يلتقط أطايب الكلام كما يلتقط أطايب التمر أو تالياً لكتاب الله -عز وجل-.

وكنت تلمس فيه الورع -نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً- وكثيراً ما كان يتكلم عن الآخرة، عن عذاب القبر وعن النار والجنة.

فكان الشيخ عمر سيف متخصصاً بوصف الجنة وحورها وقصورها وغرفها وكان عبد الله النهمي يكاد يكون متفرداً بالتذكير بعذاب القبر وأهوال القيامة.

العودة إلى الجهاد:

وقبل سنة ونيف تقريباً ألقيت محاضرة في جدة في مسجد الأمير سلمان وسجِّلت المحاضرة بالفيديو واستمع عبد الله النهمي إلى المحاضرة قال: فسمعتك تقول فيها: (الجهاد الأفغاني سوق عقد وكاد ينفض ربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر) قال فبرئتني

(١) مجلة الجهاد العددان ٥٤-٥٥ ص ٣١ رمضان/شوال ١٤٠٩هـ ابريل/مايو ١٩٨٩م.

هذه الكلمة وعزمت على تطليق الجامعة ثلاثاً لا رجعة فيها.

وشد عبد الله النهمي رحاله وأقبل إلى الجهاد وتوجه إلى صدا حيث تمسك به أبو برهان يريده أن يكون داعية عنده، ثم شد أبو عبد الله إلى المأسدة حيث يعظ ويوجه، ثم تردد بين جاجي (المأسدة) وخوست.

ثم إلى قندهار: وتسابق أبو عبد الله وأبو الحسن على النهمي فكل يريد أن يشده إلى جهة فأبو عبد الله يدفعه للذهاب إلى قندهار لأنها خالية من داعية ناضج يلتف الشباب حوله وحرص على إرساله ولو لمدة أسبوعين، وأما أبو الحسن فيود لو يأخذه معه إلى كابل ليكون رفيق درب الجهاد، وفاز أبو عبد الله بإرساله إلى قندهار.

إلى جلال آباد: وعاد النهمي من قندهار إلى ننجرهار حيث اشتعلت النار وزاد الأوار واضطرب الخضم وحمي الوطيس. وهناك كانت رحلة الخلود وبينما النهمي في هجوم على مطار جلال آباد الذي شهد على أسواره وداخل ساحاته حصاد الرؤوس وانحدار الكفر:

لما تحكمت الأسنة فيهـــــم ... جارت ومن يجرن في الأحكام

فتركتهم خلل البيوت كأنما ... غضبت رؤوسهم على الأجسام

وكانت المنية تنتظره على الأسوار وكان ذلك يوم السبت (١٨) شعبان سنة (١٤٠٩هـ) الموافق (٢٥) مارس سنة (١٩٨٩م) بينما كان يتلو القرآن أثناء الهجوم جاءته قذيفة الهاون فأصابته شظية في رأسه فنال ما كان يتمناه وحاز الشهادة ونرجو الله عز وجل له القبول، وأن يكون قد أذن لروحه أن تكون في حواصل الطيور الخضر التي تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل تحت العرش.

الدعاء الجميل: كان النهمي يردد في دعائه: (اللهم لا تجعل ذنوبنا سببا في حجز الشهادة عنا)، ولعل الله قد استجاب دعاءه ولبّى أمنيته وحقق رغبته.

وصايا الشهيد (أبي مسلم الصنعاني) إلى أهله وذويه[1]:

إلى الأهل والإخوان: بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.. أما بعد:

فهذه وصيتي أكتبها بخط يدي في يوم الجمعة من شهر شعبان في السادس عشر منه من السنة الهجرية ألف وأربعمائة وتسعة هجرية.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، وبعد:

فهذه وصيتي أكتبها بخط يدي امتثالاً لقول النبي ﷺ: [ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده] فأقول: أوصي أهلي وإخواني في الله تعالى بتقوى الله تعالى والجهاد في سبيله، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون)، وأن يضعوا حديث رسول الله ﷺ نصب أعينهم والذي نقله إلينا أئمة الحديث عن الصحابي الجليل عبادة بن الصامت وهو يوضح ما بايع عليه خير القرون النبي ﷺ، قال عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- [بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليُسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله تعالى فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم] متفق عليه.

وأوصي إخواني في الله المجاهدين إذا منّ الله علي بالشهادة في سبيله -مع أني لا أستحق الجرح في سبيل الله تعالى فضلاً عن الشهادة-، ولكن هذا من باب إحسان الظن بالله عز وجل (أنا عند حسن ظن عبدي بي). فأوصي إخواني في الله أن يدفنوني في مكان استشهادي، وأن لا أنقل إلى باكستان، وأن لا يرتفع قبري عن الأرض مقدار شبر. وأستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

وأوصيك أبا عبد الله (أسامة بن لادن) أمير الإخوة العرب أن تمنع أن يُكتب عني في مجلة سواء الجهاد أو البنيان أو تنشر صورتي، ومن خالف ذلك فأنا حجيجه عند الله تعالى، وسلام الله عليكم ورحمته.

إلى أفراد العائلة:

(١) المصدر السابق ص ٥٢.

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وأصحابه ومن والاه وبعد:

والدي الكريم ووالدتي الحبيبة وأخي الشقيق وأختاي الشقيقتان.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد فإن الله تعالى فرض علينا الجهاد في سبيله تعالى كمثل فرض الصلاة والصوم والحج، قال تعالى **{كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون}**، فمن فضل الله سبحانه وتعالى على المسلمين أن فتح لهم باب الجهاد في أفغانستان المسلمة بعد سنوات طويلة من انقطاع هذا الخير، وعندما دُعي المسلمون للجهاد ضد أعداء الله الملاحدة الذين ينكرون وجود الباريء سبحانه وتعالى قلبي من لبى هذا النداء.

فالله يعلم أنني أتيت إلى أفغانستان بقناعة واطمئنان سائلاً الله تعالى أن يغفر لي ذنوبي الكثيرة بذهابي إلى أفغانستان للجهاد في سبيله.

فيا والدي ووالدتي.. لا تجزعوا إذا وصلكم نبأ استشهادي فهو أجلي كتبه الله تعالى عليّ قبل أن أخرج من بطن أمي، قال النبي ﷺ: **{ويؤمر الملك بكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد}**، وقال تعالى **{وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير}**.

فالله الله أن تتبرموا من قدر الله، فأنا أبرأ إلى الله تعالى من النياحة وشق الثياب والدعوى بدعوى الجاهلية وإذا جاء الخبر افرحوا واسألوا الله تعالى أن يتقبلني في الشهداء الصادقين، فإن النبي ﷺ يقول في الأشياء التي تعطى للشهيد في سبيله تعالى **{للشهيد عند الله سبع خصال، يغفر له في أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويُحلى حلة الإيمان، ويزوج باثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين إنساناً من أهله}**، فأكثروا من الدعاء لي بالقبول عند الله حتى يحقق الله البشرى، وأنا أعدكم إن تقبلني في الشهداء ويرضى عنكم أن أشفع في المقدمة في أبي وأمي وأولادي وزوجتي وإخواني... إلى أن يشاء الله.

يا أمي لا تبكي عليَّ بل افرحي واحمدي الله أن ابنك لم يمت على فراشه، ولم يمت تحت عجلات السيارات، بل لقي الله تعالى كما تمنى الرسول ﷺ: **{والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا فأقتل}** فادعوا لي ولا تقولوا يوه لو بقي عندنا ولم يذهب إلى أفغانستان لما وقع له شيء، فهذا لا يجوز، لأن الأجل بيد الله، والموت متى يريد الله، فاللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين. واكتبنا اللهم في عداد الشهداء يا رب العالمين.

وصية إلى العم صالح:

إلى عمي الكريم صالح بن صالح فاضل حفظه الله ورعاه..آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أكتب لك هذه الرسالة أو الوصية من تحت أزيز الرصاص وأنا متوجه إلى إحدى العمليات في جلال آباد بعد صلاة العصر من يوم السبت السابع عشر من شعبان، فأوصيك أولاً ونفسي بتقوى الله تعالى والعمل بطاعته، والتزود للدار الآخرة، والإكثار من قراءة القرآن، والإكثار من ذكر الله، وأداء الصلوات في أوقاتها في المسجد وقيام الليل والتفقه في دين الله تعالى.

وأوصيك بأولادي خيراً بأن تربيهم تربية إسلامية، فأنت بعد الله تعالى خليفتي فيهم، فإذا كبرت سميه فزوجها لمن يتقي الله، وكذلك مريم، وعبد الرحمن إن استطعت أن تحفظه القرآن فلك من الله الأجر والمثوبة.

وإلى ملتقى إن شاء الله تعالى في جنات عدن عند مليك مقتدر.

إلى زوجتي:

زوجتي الكريمة سلام الله عليك ورحمته، أنا أعلم بأنك إن شاء الله تعالى لن تجزعي عندما تعلمين باستشهادي إن شاء الله تعالى، لأنك كما أحسبك تعلمين أنه قضاء الله وقدره، فاسألي الله تعالى أن يتقبلني في الشهداء، وأوصيك بسمية ومريم وعبد الرحمن خيراً، فجاهدي فيهم تؤجري، وأوصيك بالإكثار من ذكر الله تعالى، ومن قراءة القرآن، وأداء الصلوات في أوقاتها، وقيام الليل، والابتعاد عن المجالس التي تشغلك عن ذكر الله تعالى، وابتعدي عن رؤية التليفزيون وسماع الراديو والتي فيها التمثيليات، واشتغلي

بما يقربك من الله تعالى.

زوجتي الكريمة: يقول تعالى (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين). فكلنا سيموت، فأسعد السعداء من يتقبل الله شهادته ويخرج من الدنيا والله تعالى عنه راض.

أخيراً إن استطعت أن تكثري من زيارة الوالدة والوالد فلك أجر ذلك وتصبيرينهما، فوالله إن تقبلني الله في الشهداء فليست مصيبة، وأنا ظني بالله سبحانه وتعالى خيراً، أسأل الله تعالى أن يجمعني بك في الجنة، وأن يجعلك ممن أشفع فيهم.

أخيراً أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه، وأمل منك المسامحة.

زوجك المقصر في حقك

الفقير إلى الله: عبد الله بن محمد النهمي (أبو مسلم)

الخميس (١٦) شعبان (١٤٠٩ هـ)، (٢٣) مارس (آذار) (١٩٨٩م)

ملاحظة: (حذف من الوصية الأشياء المتعلقة بالتركة وبعض الأمور البسيطة الخاصة).

أبو اليسر (علي عبد الفتاح)[1]

أمير الجماعة الإسلامية بمحافظة (المنيا) في مصر

قضى شيخ المنيا:

أي بيت في (المنيا) لم يسمع باسمك؟ وأي شاب في المحافظة لم يفخر بذكرك؟ وهل بقي للطاغوت شرطي لم يقتف أثرك ويجد في طلبك؟ ماذا صنعت مع إخوانك حتى اختفت الخمور والمشروبات الكحولية في ساحة (المنيا)؟ لقد سددت الأبواب على النصارى الذين يتاجرون بعقول الناس ببيع الكحول.

وماذا عن المناظرة التي جرت بينك وبين المفتي ووزير الأوقاف اللذين هزما أمام قوة الحق التي تهز الأركان وبثبات الكلمة الطيبة التي تأخذ بمجامع القلوب؟ لقد سجّلت المناظرة على شريط الفيديو والكاسيت فسرت بين أيدي الناس سريان النار في الهشيم.

لقد كانت المناظرة يوماً مشهوداً حضره جمع غفير وخضم متلاطم من جماهير الناس، وعندما شعر المفتي بالهزيمة خرج عن طوره وبدأ يهذي قائلاً: (ليت الدولة تقتلكم كلكم، نحن نستجدي الخبز من أمريكا وأنتم تقولون: جهاد وأمر بالمعروف!).

أي درك هبط إليه العلم بهؤلاء؟ أو تصدق أن هؤلاء ورثة الأنبياء؟ وماذا أصابهم من ضياع حتى وصلوا إلى هذا المستنقع الآسن من حطام الدنيا؟

(واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) (الأعراف: ١٧٦).

(إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) (البقرة١٥٩-١٦٠).

قال قتادة والربيع: المراد بـ (اللاعنون) الملائكة والمؤمنون. وقال مجاهد وعكرمة: هم الحشرات والبهائم يصيبهم الجدب بذنوب علماء السوء الكاتمين فيلعنونهم، وجاء في حديث حسن رواه ابن ماجة عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال عن (اللاعنون): دواب الأرض [انظر تفسير القرطبي ٢/١٨٦].

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن أهانوه فهان ودنسوا ... محياه بالأطماع حتى تجهما

(١) المصدر السابق ص ٣٤.

آمنا برب الغلام: وبعد هذه المناظرة برز الأخ علي عبد الفتاح وذاع صيته، والتف الناس حوله قائلين (آمنا برب الغلام).

المطاردة: وهنا رأت الدولة أنه لابد من تصفية الشيخ علي أو إلقائه في غياهب السجون ردحاً من الزمن، فهموا في طلبه، وجدوا في أثره، وبدأوا يعتقلون كل من له صلة به، حتى أنهم قبضوا على قرابة خمسمائة شخص، ولكن أنّى لهم بقبضه؟ وغيّر وزير الداخلية مدراء الأمن الواحد تلو الآخر حتى غيّر أربعة لفشلهم في القبض عليه.

وبدأت صحف المعارضة تتندر هازئة بالدولة متحدية إياها أن تلقي القبض على الشيخ علي. ولم ينم في الليل قرابة ستة أشهر حتى لا يؤخذ على حين غرة.

نصراني يؤويه في بيته: وذات ليلة داهم النظام الحيّ الذي يربض فيه هذا الأسد، فقفز من منزل إلى سطح منزل مجاور، فرأى كوة في السطح فأراد أن ينزل منها، وإذا بصاحب البيت يضع له كرسياً ويقول له: (انزل يا شيخ علي)، وإذا به بيت نصراني، وطمأنه النصراني وقدم إليه التحية، فاقتحم البوليس الدور كلها دون هذا البيت لأن صاحبه ليس مسلماً.

السجن من (١٩٨١م-١٩٨٤م): بعد مقتل السادات أودع علي وإخوانه السجن، وعلى أثر أحداث أسيوط والمنيا، ثم خرج (١٩٨٤م) فلم يعودوا إلى بيوتهم بل إلى المساجد يعاهدون الناس على مواصلة الطريق، وعادت الدعوة من جديد إلى المنيا.

محلات الخنا وحانات الليل والراح (الخمر): علم الشيخ علي أن شاحنتين محملتين بالخمر في طريقهما إلى المنيا فأعد لها كميناً مع إخوانه، وعندما مرتا بدأ يطحنها، حتى إذا آذن الفجر بالبزوغ كانوا قد حطموها عن آخرها، وأخذوا يهاجمون محلات الخنا والرقص، وصار الشعب كله عيوناً للشيخ علي، فحيثما وجدوا محلاً يخالف الشرع دلوه عليه فيجهز عليه.

مساجد الرحمن والخلافة والجهاد: وأصبحت هذه المساجد محط أنظار الناس، ووثق الناس بالشيخ علي وإخوانه حتى صاروا يدفعون لهم زكاة أموالهم وفطرهم، فكانت الشاحنات تصطف ببابها لتحمل المواد الغذائية والألبسة وتدور على الفقراء، وكم من مرة صودرت وسجن الشباب من الحكومة.

وأخيراً وصل إلى أرض الجهاد في أفغانستان، وأخذ يعد نفسه للقتال، خطبت الجمعة ذات مرة، وبعد الخطبة جاء وجلس بجانبي، ولفت نظري إلى نقطة في الخطبة، فأحببته منذ اللحظة الأولى التي رأيته فيها دون أن أعرف الرجل، ثم عاد إلى مصر وحاول أن يدخلها، ولكن اغلقت دونه الأبواب، فجاء بأهله من الأردن وعاد إلى أفغانستان.

(هنيئا لك يا أبا مسلم (الصنعاني) إني اغبطك على هذا المكان وليتني أدفن بجوارك)، هذه عباراته كلما مرّ على جدث (قبر) عبد الله النهمي الذي أحبه بملء قلبه، وكأنه يقرأ قدره المسطور، إذ أن أبا مسلم دفن قرب جلال آباد بعد استشهاده في (١٥) شعبان الماضي.

وفي السادس من رمضان سنة (١٤٠٩هـ) كان أبو اليسر على حافة الخندق بجانب راجمة الصواريخ (بي.إم ١٢)، وكان غالباً يذكر إخوانه بقول الله عز وجل **(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)**، ويذكر قول ابن القيم فيها: ما أرى الحياة إلا بالجهاد، وبينما كان يقرأ القرآن جاءت نازعة الأرواح (قذائف الهاون) فأصابته شظية فاستشهد على الفور وإخوانه بجانبه في الخندق، وبعد لأي تساءلوا أين أبو اليسر، فخرجوا وإذا به مسجّى، ومضى ابن الثلاثين عاماً بالشهادة الكبرى لا شهادة الأدب العربي الورقة التي يحملها من الجامعة.

بهذا الجسد الفارع طولاً، المفتول عضلاً، الذي أرهب الدنيا في حياته وهزها باستشهاده، وهكذا مضى شيخ المنيا فسلام عليه يوم تقدم وتأخر الناس، ويوم ضحى وجبن الناس، ويوم باع وضن الناس.

هو الشجاع يعد البخل من جبن ... وهو الجواد يعد الجبن من بخل
لقد رأت كل عين منك مالئها ... وجربت خير سيف خيرة الدول

وقد كان علي شاعراً، وكتب في السجن أنشودة عذبة عن القدس ولحنها بلحن جيد جميل، وقد سمعت الشباب المصري ينشدها واسمها (لبيك ياقدس الحبيبة كلنا نفدي الحمى)

كلمات الوداع للشعب الأفغاني المسلم البطل: بهذه الكلمات النابعة من صميم فؤاده ودع الشعب بهذه التحية:

دقات قلبي تهتف بحبكم وبحب الخنادق والبنادق.

نعم أنتم شعث مغبرون، ولكن قلوبكم رقيقة وهي أقرب إلى الرحمن من أهل المدائن والعواصم.

أحبتي أهل الرباط أنتم ما نسيتم: أتعرفون من يذكركم؟ يذكركم المستضعفون ويهتفون أصبح للإسلام مجاهدون، وعندما يسأل اليتيم أمه الثكلى عن أبيه ويلح في السؤال ويقول: متى رجوع أبي أو متى الذهاب؟ فعندها أنتم الآمال (بعد الله) ترجى، أنتم الأسد الغضاب، وعندما يشتد ليل الظلم ويطول تستشرف الفجر بين قسمات جباهكم المغضبة.

(ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون) (التوبة: ٣٢) وأرجو الله أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى.

الراكب المهاجر الشهيد (عابد الشيخ محمد)[١]:

صفوة الدعاة قد قبضوا، وخيرة القوم قد ذهبوا في هذا الشهر، وجلال آباد تقول: هل من مزيد لوقود معركة الإيمان، ألم ترتو يا أرض ننجرهار من دماء الأطهار، أما يكفيك ما ابتلعت من جثث الأطهار؟ كفاك.. كفاك فقد أخذت فلذات الأكباد ومهج الأرواح.

رحل أبو مسلم.. ثم تبعه عابد... وبعد عابد بيوم واحد اختطفت يد المنون علماً ثالثاً وهو أبو اليسر (علي عبد الفتاح).

كم من العيون ستبكي عليك يا عابد؟ وكم من أرض ستستغفر لك؟ أهي بلوشستان التي تمت إليها أصلاً ونسباً؟ أم الكويت التي درجت على أرضها وترعرعت بين جنباتها؟ أم قطر التي تخرجت من جامعتها؟ من ذا الذي لا يعرف هذا الفتى الذي درس في معهد الإيمان الديني في الكويت؟ ومن ذا الذي دخل كلية الشريعة في قطر ولا يسمع بهذا الضرغام؟

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

أي عين لا تبكيك ممن رأوك؟ أي لسان لا يلهج بالثناء عليك بالخير ممن خبرك؟

وهكذا كتب الله لك هذا التطواف الطويل في أرض الخليج حتى يعرفك الكثيرون الذين أراد الله بهم الخير لعل الله يحيي بذكرك موات القلوب وينقذ بسيرتك كثيراً من ضلال الدروب.

الدراسة: ودخل كلية الشريعة في قطر وتخرج منها (١٩٨٥م) وهو في الرابعة والعشرين من عمره، ثم عمل مدرساً في مدارسها، ولكن نفسه تأبى عليه أن ينعم تحت هواء المكيفات وأبناء دينه يحصدون بنار الرشاشات، وأطفالهم يموتون في حر الصيف في بيشاور بمعدل مائة يومياً أحياناً، وأنّى لأسد أن يقبل العيش مقيداً بالأصفاد في حديقة الحيوانات ويعرض على الناظرين؟ لابد أن يحطم القيود ويعود إلى غيله (عرينه) حيث الضراغم والأسود.

وتزوج عابد وقدم إلى أرض الجهاد سنة (١٩٨٧م) بعد أن سبقته فروع الشجرة الطيبة (أشقاؤه) زاهد (مدير لجنة الدعوة) وخالد (المهندس خريج أمريكا)، ودقّ أطناب خيمته على باب الشيخ سيّاف، وأصبح ظله الذي لا يفارقه، وطيفه الذي لا يباعده.

وعمل في البنيان المرصوص، وعندما تذوق حلاوة الجهاد لم يطق الصبر بعد أن طفح الكيل، فوجه رسالة عتاب جميلة إلى مشايخه الذين تلقى العلم على أيديهم، وكانت لفتة موحية معبرة تحت عنوان: (عفواً شيخي) مع أدب جم، ومشاعر فياضة مفعمة بالعاطفة والحب.

في خنادق القتال: وكلما اشتدت المعارك وزاد ضرامها وشد إليها الشيخ سيّاف الرحال تجد حوله من أركانه الذين لا يفارقونه خالد وعابد ويلحقهم أحياناً زاهد.

وقد سعدت بخالد فترة آخر معركة ضخمة في جاجي بضعة عشر يوماً، وكنت اسميه السكرتير، فكان يستمع إلى القرآن، وقد حاولنا أن نطبق منهج الصحابة في تلاوة القرآن (فمي بشوق) أي ختمة في مدة أسبوع أولها: من (الفاء-الميم) الفاتحة إلى المائدة، والثاني من (م-ي) (المائدة- يونس)، والثالث (ي-ب) (يونس إلى بني إسرائيل)، الرابع (ب-ش) (الإسراء -الشعراء)، الخامس (ش-ص) (الشعراء-والصافات)، السادس (و-ق) (والصافات-ق)، السابع (ق-الناس).

الشهادة: وأخيراً إلى جلال آباد، وفي هجوم على المطار حيث انطلق الخمسة: عابد، وأبو الفضل (أبو طارق) اليمني، وأسامة الأزبكي، وصخر الصخري، وسراقة الشرقاوي.

وأراد العرب أن يتقدموا الصفوف فضن بهم القائد خالد (أسد يقود الحرب بقدم واحدة) فقال: العرب يتأخرون عن الأفغان

(١) المصدر السابق ص ٣٦.

جميعاً، وسار خمسون من المجاهدين الأفغان، ويعدمم جميعاً وفي نفس الطريق سار الخمسة ولكن الحذر لا يغني من القدر، فعثرت قدم صخر بخيط للغم مشترك (مجموعة ألغام مربوطة مع بعضها)، فانفجر اللغم وسقط عابد ولفظ روحه لتوه، وجرح الجميع عدا أسامة فكله جراح.

أبنت الدهر عندي كل بنت فكيف وصلت أنت من الزحام

جرحت مجرحاً لم يبق فيـه مكان للسيوف أو السهـام

وحمل الجرحى الثلاثة (أبو طارق، وسراقة، وصخر) أما الأخيران فقد قضيا نحبهما على الطريق ودفنا في ننجرهار (جلال آباد). وأما أبو طارق فقد وصل مستشفى الفوزان (مكسور الساق مهشم العظام ساقاً وساعداً) وكنت الساعة الثانية عشرة ليلاً في المستشفى وإذا بأبي الفضل (أبوطارق).

مشهد عجيب من الصبر والرجولة: وحول الناقلة التي ينام عليها أبو الفضل (أبو طارق) اليماني اكتنفناه مجموعة من أطباء المستشفى والدكتور عبد اللطيف وأبو حفص (زاهد: شقيق عابد)، فسألته ماذا وراءك يا أبا طارق؟ قال: لغم أصابنا فاستشهد عابد، ومن عابد؟ قال القطري الذي أصله من بلوشستان وعاش في الكويت، ونظرت إلى وجه زاهد وقد جمدت الدموع في عينيه والكلمات على شفتيه، وكأن الأمر لا يعنيه، فاستلمت الكلام: أأنت رأيت عابداً بنفسك قد استشهد؟ قال: نعم لقد قضى على الفور أمامي، ورأيت معنى الحديث الصحيح مفسراً على وجه أبي حفص (زاهد) (إن الله ينزل الصبر على قدر المصيبة، والمعونة على قدر المؤونة).

على مقبرة الشهداء: وفي اليوم التالي الثلاثاء (٦) رمضان شيعت جنازة عابد بموكب، وحرس الشرف مصطفون، والشيخ سيّاف لا يتمالك نفسه من البكاء، وعبراته تهطل سيلاً، وكذلك محمد ياسر، والجبانة (المقبرة) غاصة بالمجاهدين عرباً وأفغاناً، وودعه محمد ياسر بكلمة، ثم الشيخ سيّاف، ثم تكلمت، وهكذا مضى عابد وترك زوجته وطفليه -صهيب أكبرهما-:

يقول صهيب لما رأى طول رحلتي سفارك هذا تاركي لا أباليا

ومع الخالدين رحل الراكب المهاجر وصاحبته القلوب، ونرجو الله أن يجمعنا به في الصالحين.

بلال المأسدة (محمد خلف الصخري)[1]:

في الطائف نشأ وترعرع، وعندما بدأ أبو عبد الله (أسامة بن لادن) إنشاء مأسدة الأنصار أقبل إليها شاب اسمه أبو حنيفة، وأعجب بها أيّما إعجاب، وأرسله أبو عبد الله داعية لها، وكان أبو حنيفة يسكن الطائف، فأول من استرعى انتباهه شباب الطائف، فعرض الفكرة على مجموعة من الشباب، فأقبلت مجموعة في عمر الورود كان من بينهم صخر (بلال المأسدة)، ولقد كانت السنة الأولى التي أنشئت فيها المأسدة جد قاسية على النفوس، لقد بدأ أبو عبد الله مسيرته في المأسدة في الشتاء، وكانت الثلوج تغطي الجبال ولا تستطيع وقت الضحى أن تخرج إلى الشمس الساطعة لأن برودة الجو أكبر بكثير من حرارتها.

الاستخارة في الحرم النبوي: صلى (صخر) ركعتين في الحرم المدني واستخار، وانشرح صدره للقدوم، ولقد كانت النقلة بعيدة، والخطوة واسعة، والفرق هائلاً بين كلية الحديث في الجامعة الإسلامية/المدينة المنورة التي كان يدرس فيها صخر وبين جاجي، سواء في الجو أو في الطعام.

وكانت بداية موحشة لأنها ابتدأت بمجموعة من الشباب، ولذا لم يمض عليه كثير وقت حتى ضاقت نفسه، واستوحشت للأهل والخلان، فغادر المأسدة وعاد إلى الطائف، ولكن أنّى له أن يجد لذة الحياة الحقيقية وحلاوة العيش؟ أيجدها في قطعة لحم؟ أم في سيارة فارهة أو نزهة على الهدى مع بعض الأصحاب؟

لقد أضحت الحياة في نظره فارغة لا يجد فيها تلك الحلاوة التي تذوقها في الجهاد، وشتان شتان بين حياة في ذروة سنام الإسلام يستروح أرج الحياة الطيبة، ويتنسم شذاها الأخاذ النفاذ، وبين حياة أرقى ساعاتها الروحية الجلوس إلى كتاب إسلامي مع بعض الأحبة، إنه الفرق الهائل بين من يأكل العسل بنفسه وبين من يجهد نفسه في قراءة مجلد عن فوائد العسل وطعمه ولذته.

عاد صخر مرة أخرى، وواصل المسيرة مرة أخرى مع ليوث مأسدة الأنصار، وعندما كثر الشباب العرب أصبحوا يوجهون

(١) المصدر السابق ص ٣٧.

صعوبة المرور على الطرقات العامة المؤدية إلى المأسدة. فكنا نخفي أنفسنا بأنواع الألبسة الأفغانية وعماماتهم الضخمة، ونحاول أن نتعلم بعض الكلمات التي يمكن أن تموه على البوليس الباكستاني الذي يتلقى الأمر تلو الأمر أن يضيق على العرب ويمنعهم من المرور بعد تلك الضجة الكبرى التي يدير رحاها اليهود ويحذرون الغرب والشرق من مغبة إحياء الجهاد الإسلامي فوق أرض أفغانستان.

ومرت علينا سنتان شديدتان كنا نواجه عنتاً كبيراً حتى نتخطى نقطة البوليس. وتزداد العقبات إذا كان ضابط المركز شيعياً أو شيوعياً أو قومياً أو من الأحزاب اللادينية، وكلما هدأت ضجة علينا أثارت السفارات العربية ضرام نار المعركة علينا، وكنا نمشي الأميال في الجبال حتى نتخطى نقطة بوليس.

مقارنة: وكنت أرى الفتاة الفرنسية أو الأمريكية وهي تمر آمنة مطمئنة على هذه النقط البوليسية، ولو مُست بأدنى سوء قامت الدنيا وما قعدت تتولى سفارتها في إسلام آباد المرافعة ضد باكستان أمام المحافل الدولية وغيرها، هذه وظائف السفارات الغربية، أما السفارات العربية فوظيفتها التضييق على العرب ومطاردتهم مع الاستخبارات الباكستانية وبوليسها.

دعاء صخر: ومهما أخفى صخر نفسه فلونه شاهد عليه، فكان إذا اشتدت به الأزمة وأرجع من الطريق رفع يديه إلى السماء قائلاً: (اللهم افتح جهاداً في منطقة كالسودان أو الصومال من ذوي البشرة السوداء حتى أجاهد معهم، وإذا جاء إخواني العرب هناك يتذوقون ما أتذوق الآن).

إلى قندهار: وذهب إلى قندهار حيث سخونة الحديد وضرام النار، ومكث فترة ثم عاد.

إلى مثواه الأخير: وفي جلال آباد وقرب المطار يتوجه مع عابد الشيخ وأسامة الأزبكي وسراقة وأبي الفضل اليماني نحو عملية، فقال لهم خالد (قائد من تنظيم يونس خالص): العرب لا يتحركون إلا في الأخير، وسار أمامهم خمسون أفغانياً، واصطدم صخر بخيط اللغم، وانفجر اللغم وأودى بحياة الثلاثة (عابد، وسراقة، وصخر) وكسرت قدم أبي الفضل، وهكذا مضى صخر مع أصحابه إلى الله -عز وجل- ونرجو الله أن يتقبلنا جميعاً في الصالحين.

فدتك الخيل وهي مسومات وبيض الهند وهي مجردات

(مسومات: معلمات بيض الهند: السيوف)

سراقة (سعد خالد الخالدي)[1]:

من القبيلة التي تعرف صولتها وشجاعتها وأصالتها العرب، هناك في المنطقة الشرقية في (الثقبة) حيث الرجولة الأصيلة والفطرة السليمة وكأن بعض القوم يردد لسان حالهم:

وإني لمن قوم كأن نفوسهـــــــم بها أنف أن تسكن اللحم والعظما

وبعد معركة المأسدة رمضان سنة (١٤٠٧هـ) التي أسفرت عن نصر باهر مؤزر تنزل من السماء أصبحت الجموع تفد أفواجاً للجهاد وضاقت طاقاتنا عن الإعداد والتوجيه في معسكرات التربية في صدا وغيرها، بدأ سراقة مسيرته وكان محبوباً لدى إخوانه، إذ لا تكاد الابتسامة تفارقه.

إحساس داخلي: وقبل فترة أعطى حمزة -أحد إخوانه المجاهدين- بذلته وأخذ بذلة حمزة، وقال: حتى يتذكر أحدنا الآخر بعد استشهاده، خاصة بعد أن استحر القتل بالشباب العرب في جلال آباد.

وفي نفس الوقت وفي الأيام الثلاثة الأخيرة التي سبقت استشهاده كانت والدته تتصل يومياً ببيشاور تريد أن تسمع صوته، فجاءها نعيه، وكان وقع الخبر على نفسها شديداً، فوقعت في الحال هي ووالده إذ لم يحتملا صدمة النبأ المروع فنقلا إلى المستشفى.

أحنو عليك وفي فؤادي لوعة وأصد عنك ووجه ودي مقبل

لقد هالها خبر الاستشهاد وإن كان فيه عز الدنيا ومقام الآخرة الأمين -إن تقبله الله- كما نحسب ولا نزكي على الله أحداً.

وإذا طلبت وصال غيرك ردني ولهٌ إليك وشافع لك أول

لقد هزها الحدث المزلزل، وحقّ لها لأن سراقة لم يكن شخصاً عادياً، لقد كان شخصية قيادية ورجلاً في زمن عزّ فيه الرجال.

(١) المصدر السابق ص ٣٨.

ولقد كان أميراً لمنطقة شمر خيل، ولكنه ألح على أبي عبد الله بالتقدم إلى خط النار الأول، ودفعه أبوعبد الله وضن به، وكما جاء في الأثر قول الرسول ﷺ لأبي بكر: يا أبا بكر أشم (أغمد) سيفك ومتعنا بنفسك)، ولكن الأسود لا تطيق القيود، وكيف ترضى أن تبقى قيد أميال عن أتون مضطرم، فهي تتفلت وتلح وترجو وتأمل من الأمير أن يفلتها لأنها لا تستطيع إزاء المعارك المحتمة صبراً.

تلقاه يقطر سيفه وسنانه ويـنان راحته ندى ونجيعاً

وهكذا سار إلى مثواه الأخير في جلال آباد، وفي مقبرة الشهداء العرب على بوابة خيبر (طورخم) دفن سراقة بجانب صخر وأبي مسلم الصنعاني.

أبو بدر الحربي (خالد بن معلا الأحمدي الحربي)[1]:

لا رجوع إلاّ بفتح كابل أو الشهادة: في البيت المضياف الذي لا يخلو من ضيوفه صيفاً ولا شتاءً، عائلات وأفراداً، في بيت أبي الحسن المدني الذي يجاورني تعرفت على شاب أسمر اللون، صادق اللهجة -كما نحسبه ولا نزكي على الله أحداً-، وفي الخيمة التي أقامها أبو الحسن المدني (وائل جليدان) لنصلي بها تعرفت على أبي بدر، وكان قد حضر مع صديق له مع زوجيهما للجهاد، وقضى إجازته ثم عاد بعد أن فاتحني بإمكانية قدومه إلى أرض الجهاد، وأطلعني أن زوجته جامعية بإمكانها أن تقوم بدورها في تعليم اليتيمات. فقلت له: في الأمر سعة وحيهلا ونرجو الله أن ييسر كفالة أسرتكم.

وعاد أبو بدر إلى بتروماين حيث يعمل، ولكن الحياة لا طعم لها بعد أن تذوق حلاوتها الحقيقية، وبدأ الصراع للقدوم في أعماقه، وانتقل النقاش واحتد في بيته بين والده الذي يضن به عن الموت كما يحسب وبين نفس وثابة تواقة للجهاد.

وجاء الفرج: ألقيت محاضرة في مسجد الشعيبي وإذا بكهل يأخذ أبا بدر بيده ويسألني أمام الناس: هذا ابني يريد أن يترك زوجته وابنتين ويذهب إلى الجهاد وأنا غير راض، فما حكم الشرع في هذا؟ فقلت: (لا استئذان في فروض الأعيان)، فلا تستطيع منعه شرعاً، والآن تعين الجهاد في أفغانستان. فقال الوالد: إن كان رأي الإسلام هكذا إذن نسكت.

وجاء أبو بدر مرة أخرى، ودخل معسكرات الإعداد ثم عاد إلينا، ووجدناه شاباً ناضجاً إذ أنه من مواليد سنة (١٣٧٣هـ) فعمره في السادسة والثلاثين، فجعلناه مشرفاً على إخوانه في بيت الضيافة الذي يستقبل القادمين لتوجيههم إلى الإعداد والجبهات.

وبدأت التلفونات ترد إلينا من زوجه وأمه وأهله يودون لو يفتنونه، وراجعته فقال: (دعك من هذا)، وكان يكرر كلمته (لا رجوع إلاّ بعد فتح كابل أو الشهادة).

وجاءت معارك جلال أباد: ودخل المعركة مع ستة من العرب في جمع غفير من الأفغان بقيادة مولوي محمد فاروق من الجمعية، ودمر المجاهدون ست دبابات، وأثناء الزحف على المطار جاءت نازعة الأرواح (قذيفة الهاون) فأصابت أبا بدر وأبا الدرداء المطوّع، أما أبو الدرداء فقد قضى لتوه وعلى الفور، وأما أبوبدر فبقي على قيد الحياة.

شجاعة أبي عائشة: وخاطر أبو عائشة اللبناني بنفسه وحمل أبا بدر، وطلب الماء لأن الجريح يعطش، فقال له صبراً فالنهر أمامنا، وفي الطريق هبت ريح طيبة فخرجت الروح، وفي الحديث (**اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب، اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان**).

وقد أصبح خروج الشذى الطيب علامة لخروج الروح، قال أبو عائشة: ثم انبعثت رائحة طيبة مرة أخرى، وجيء بالجثمان إلى بيت الضيافة. مائة من العرب يقفون على نافذة الغرفة التي فيها جثمان أبي بدر يتنسمون العرف (الرائحة) الطيب الذي يعبق شذاه في الأنوف. وأخذ أبو إبراهيم العراقي من دمه على يده وقال لزوجه شمّي، فشمت رائحة عجيبة طيبة.

وسار الموكب يوم الثلاثاء في (٢١) مارس سنة (١٩٨٩م) نحو مقبرة الشهداء في بابي (قرب بيت الشيخ سيّاف). ووضعته بيدي في القبر، وقد لاحظت إشراقة صفاء عجيبة على وجهه مع أنه أسمر داكن (يميل إلى السواد).

وعدنا وبقي الدم الذي على قطيفته ينضح طيباً، وبعد خمسة أيام ذهبت إلى الرياض لإلقاء محاضرة عن الجهاد الأفغاني فأخذت القطيفة معي وشمّها أهل الرياض.

---

(١) المصدر السابق ص ٣٩.

فأمل من الله أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى، وقد اتصلت بأهله وبوالده فكان وقع المصاب عليهم كبيراً إلا أن والده قال لي (لن أفتح بيتاً للتعزية) بل للتهنئة.

فرحمه الله، ونرجو الله أن يبارك في زوجه وبناته، وأن يجبر مصيبة زوجه ويبدلها خيراً منه، كما ورد في الحديث الصحيح عن أم سلمة رضي الله عنها.

وصية أبي بدر الحربي (خالد معلا الأحمدي) (١) :

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:

والدي، والدتي، زوجتي، ابني، ابنتي، إخواني أقاربي جميعاً أوصيكم بتقوى الله فإنها جماع الأمر كله، وأوصيكم باتباع منهج المصطفى صلى الله عليه وسلم والسير على خطاه، والله والله والله لقد عرفنا عزة الإسلام حينما جئنا إلى أرض المسلمين المؤمنين أرض أفغانستان الطاهرة، لقد آمنا بالجهاد والقتال في سبيل الله حينما جئنا لأداء هذه الفريضة التي غفل عنها المسلمون اليوم إلا ما شاء الله، ونرى اليوم حالنا وما أصابنا من خنوع وذل ولقد صدق رسول الله ﷺ حينما قال: **"وما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا"** والله لقد شبع أعداؤنا كلاماً وشجباً وتنديداً واستنكاراً، ولن يكسر شوكتهم إلا الجهاد لاسترداد العزة ولن تقوم لنا قائمة إلا بهذا العطاء ألا وهو الجهاد. يقول الله عز وجل **(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)**، ويقول الله تعالى **(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين)**، وقبل أن أختم كلامي يقول الله عز وجل **(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون)**.

أهلي جميعاً أقول لكم وأنصحكم بتقوى الله عز وجل في السر والعلانية وأنت يا أم بدر أوصيك بتربية أبنائنا تربية دينية صالحة وأن تدخلي بدر وعهود وخلود مدارس تحفيظ القرآن وأن تبيعي التليفزيون والفيديو ولا تجعلوا في البيت تليفزيون وفيديو وأرجو أن تسامحوني إذا استشهدت وأنا مسامحكم جميعاً.

١٤٠٩/٧/١٧هـ

أبو الدرداء (إسماعيل عبد الله محمد المطوع)(٢):

تبكي على الأنصل الغمود إذا	*أنذرها أنه يجردهـــا*
لعلمها أنها تصير دمـــــا	*وأنه في الرقاب يغمدهـــا*
أطلقها فالعدو من جــــزع	*يذمها والصديق يحمدهـــا*
تنقدح النار من مضاربهـا	*وصب ماء الرقاب يخمدهـــا*
إذا أضل الهمام مهجتــه	*يوماً فأطرافهن تنشدهـــا*

أبيات أبي الطيب تصدق على كثير من الشباب المقبل على الله، المندفع إلى الموت، الحريص على الشهادة، تشغله الخاتمة الطيبة ودخول الفردوس، يبكون عندما تردهم عن المعركة، يتبرمون بك إذا منعتهم من اقتحام الأهوال، وصدق رسول الله ﷺ : **[إن سياحة أمتي الجهاد]** صحيح رواه أبوداود والحاكم.

وكيف تستطيع ردهم عن أرض المعركة والرسول ﷺ يقول: **[قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة]**.

قال أبو الدرداء القصيمي: ادفنوني على الطريقة الإسلامية وفي موضع مصرعي، يحمل الثانوية العامة، وكان يردد: (الجامعة بعد الجهاد).

وكانت شهادته في الثالث عشر من شعبان (١٤٠٩هـ) الموافق (١٩٨٩/٣/٢٠م) مع أبي بدر الحربي في الساعة الثانية والنصف ظهراً.

---

(١) مجلة الجهاد العددان ٥٤-٥٥ رمضان/شوال ١٤٠٩هـ إبريل/مايو ١٩٨٩م ص ٤٦. (٢) المصدر السابق ص ٤٠.

أبو حسام السوري (رضوان إبراهيم المرعي الحموي)[1]

قليل من جماعة التبليغ هم الذين أقبلوا على الجهاد، ولكن هؤلاء الذين وفدوا إلى الجهاد نفعنا الله بهم كثيراً، أدب رفيع جم، طاعة عجيبة للأمير، إقدام على الموت، عفّة وترفع وزهد وتواضع، صمت معبّر، وكلام مؤثر، فنرجو الله عز وجل أن يكثرهم في أرض الجهاد، لأن أثرهم بالغ في النفوس سلوكاً وإخلاصاً وأدباً -نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحداً-.

لا يعرفون الجدل، ولا يحبون النقاش، قلوبهم مقبلة على الجهاد، والحق أنّي جد معجب بجماعة التبليغ بنواح كثيرة ونرجو الله أن يعينهم على سد الثغرات والنقص من نواح قليلة باقية، ونبتهل إلى الله أن يسوق إلينا مجموعات كبيرة، منهم إلى الجهاد.

وشهيدنا هذا من جماعة التبليغ: كان يتميز سلوكه اليومي في البيت بيقين بالغ مع أولاده، فيمرض ابنه فيأتي بالعسل ويقول هذا علاجه، فيقول له ابن رواحة -جاره- أرسله إلى الطبيب، فيقول له: (فيه شفاء للناس)، ويستعين بما ورد في الأحاديث للتطبيب كالعسل والقرآن والأدعية المأثورة.

منبته: ولد شهيدنا سنة (١٩٥٧م) في خان سيحون من أعمال حماة، ونجا من الموت بأعجوبة في أحداث حماة يوم أن دمرها النصيريون سنة (١٩٨٢م) وقتلوا من شيوخها وأطفالها ونسائها وأبنائها حسب تصريح أحمد أبو كورة مدير الهلال الأحمر الدولي (اثنين وأربعين ألفاً) بالأسماء.

قدومه إلى الجهاد: مكث تسع سنوات في جماعة التبليغ، ثم استشار أمير جماعة التبليغ في الأردن فأذن له، وعمل في المشروع التربوي الصحي في داخل أفغانستان، ومكث ثلاثة أشهر في غزني يعمل في القسم التربوي، ثم انتقل إلى البنيان المرصوص ليعمل مصوراً ومراسلاً للمجلة، وكان يصور والكلاشنكوف في كتفه.

معارك جلال أباد: في (١٢/٣/١٩٨٩م) نزل إلى جلال أباد وكان مع الشيخ تميم العدناني، واشترك في عملية اقتحام مركز للشيوعيين، وفُتح المركز، ولكن الله عز وجل كتب له أن أصابته رصاصة فكانت فيها منيته.

وشهد الكثير له أن دمه كانت تنبعث منه روائح المسك والعطر، فرحم الله أبا حسام، لقد مضى إلى الله وخلّف وراءه زوجة وسبعة أطفال، وكانت وصيته (لا ترجعوا أهلي إلى سوريا وليبقوا في أرض الجهاد).

والحمد لله لقد تم أسر الشيوعي الذي قتله، وتم تنفيذ الإعدام بالشيوعي، ونرجو الله أن يخلفه ابنه الأكبر (حسام ١٢ عاماً) في الأسرة، وأن يكون خير خلف لخير سلف، سيما وأن حساماً يحفظ عشرين جزءاً من القرآن، ونرجو الله أن يجمعنا في الصالحين.

محطات ..!

أشهر حسامك يا "حسام" (٢)

إلى "حسام" نجل الشهيد رضوان إبراهيم المرعي (أبي حسام) مراسل مجلة البنيان المرصوص، والذي استشهد في الشهر الماضي أثناء متابعته لمعركة "جلال أباد".

أشهر حسامك يا "حسام"

واقرأ على الدنيا السلام

لا عاش من رضي المذلة والخنوع والانهزام

لا عاش من هجر الحسام

****

أشهر حسامك وامتشق ظهر الغمام

تلك الديار أبت مصاهرة الكرام

فارحل وطُف بالكون، عجلْ

لا يؤخرك الكلام

ستجد هنا -في هذه الأرض-

(١، ٢) المصدر السابق ص ٤٢، ٧٨.

البطولة والفداء والاقتحام
ولسوف تخبرك الشظايا والمعامع
أن درب الخالدين هنا..
وأن النصر في تلك الحطام
وأن أشلاء الشهيد غداً
ستنبت في البوادي عنبراً
وشذى وطهراً واعتصام
****
أشهر حسامك يا "حسام"
والحق بقافلة الرجولة والضرام
هذي دماء أبيك في جفن الثرى
تروي حكاية عاشق
ما قيّدت أشواقه طُرُقُ المنافي والسجون
ما عطلته عن الوغى سبل الهوى
بل ساقه ثقل الحنين إلى الصِمام
فارفع جبينك يا "حسام"
وامشق حسامك وانطلقْ
واقرأ على الدنيا السلام
لا عاش من رضي المذلة والخنوع والانهزام
لا عاش من هجر الحسام

عبدالله محمود

عبد الرحمن الإماراتي (محمد عبد الله راشد زايد)(أول شهيد من الإمارات)(١)

إذا رجعت إليكم فافعلوا بي ما بدا لكم: هكذا كان جوابه للعقيد الذي جاء يهدده بوجوب الرجوع إلى الإمارات لأنه كان يعمل في السلك العسكري، فألقى البزة العسكرية وأقبل إلى الجهاد يريد أن يطبق يوماً واحداً ما تعلمه في الجيش عبر السنين، إذ أنه رأى أن الجيوش في العالم الإسلامي لا يتعدى عملها الروتين اليومي المكرور الممل، ولا تؤدي أكثر من مراسم الاستقبال والتوديع.

أما الجهاد الذي أسس الجيش من أجله فلم يذق طعمه قط ولا يحلم به أبداً.

قدم إلى الجهاد قبل سنتين، وطوّف في معظم أرجاء أفغانستان يبحث عن الشهادة **[من خير معاش الناس رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه].**

وصل إلى حدود روسيا فجاهد في بلخ (مزار شريف) وجوزجان وفارياب، ومكث في الشمال قرابة ثمانية أشهر، ثم عاد وذهب إلى غزني وقندهار وغيرها من الولايات.

طريقة استشهاده: في يوم الإثنين الثاني عشر من رمضان (١٤٠٩هـ)، الموافق (١٩٨٩/٤/١٧م) كنّا في جلال أباد وعلى مقربة من المطار، فسمعنا في الصباح أصوات الرصاص بأنواعه، فسألنا فقالوا عملية للمجاهدين على المطار، واشتدت غارات الطيران على المنطقة، والشيوعيون الآن يستعملون طائرات (اليوشن) (ناقلة كبيرة تحمل تسعة أطنان طائرة كاشفة ومحاربة تستكشف ثم تقصف مباشرة تسير على مهلها في السماء ولكنها محلقة في آفاق عالية).

لقد كان عبد الرحمن أحد الليوث الذين شاركوا في اقتحام المطار، فأبصر شيوعياً من بعيد فصوب عليَّ رأسه فأرداه قتيلاً،

(١) المصدر السابق ص٤٢.

ويهجم عبد الرحمن (محمد عبد الله) على الشيوعي ويأخذ سلبه: السلاح ويصيح فرحاً (الله أكبر قتلت شيوعياً في سبيل الله)، وفي الحديث (لا يلتقي كافر وقاتله في النار)، ويبدأ يتغنى فرحاً، فقال له الأفغاني: اجلس يا أخي حتى لا يصيبك الرصاص، فجلس يرقب، وإذا بخمسة من حمر الشيوعية المستنفرة كأنها فرت من قسورة، وأووا إلى غرفة في إحدى المرتفعات، وتوقف الأفغان عن التقدم، ولكن عبد الرحمن أخذ قنبلة من أحد الأفغان وهجم كالليث الغاضب عليهم، وفتح فتحة القنبلة وألقاها عليهم، ثم اقتحم عليهم حصنهم ليجهز عليهم وإذا باثنين من الشيوعيين مختبئين خارج الغرفة، ففتح أحدهما رشاشه على عبد الرحمن فأصابته في صدره (٥-٨) رصاصات فاستشهد في الحال:

فلسنا على الأعقاب تدمي كلومنا ولكن على أقدامنا ينزف الدم

فرحم الله عبد الرحمن، ولقد كان لي نصيب رؤيته في المطار في أول رمضان إذ قدم ابن عمه معي من دبي إلى بيشاور فنزلا إلى جلال آباد، ونرجو الله أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى.

عوض المالكي (عبد الله عزم الله)[١]:

رن جرس التليفون وإذا بصوت فتاة تستفسر مني عن شهادة عبد الله، قلت ومن تكونين أنت؟ فقالت شقيقته، ثم قالت والدي يريد أن يكلمك: فقلت لهم شرف عظيم أن يتقدمكم إلى الله أحد أبنائكم يكون فرطاً على الحوض ويشفع لسبعين منكم إذا تقبل الله شهادته، وقرأت على والده الحديث: **[إن للشهيد عند ربه سبع خصال: يغفر له مع أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر، ويلبس تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما عليها، ويزوج باثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع بسبعين من أهل بيته]**. فرد والده (أتشرف بهذه الشهادة).

حياته: في السابعة والعشرين من عمره، رجع إلى الله قبل ثلاث سنوات، وهو بين أربعة إخوة وثلاث أخوات، ونشأ في بيت بسيط متواضع، وهو من بني مالك، ولكنه عاش في الطائف بجانب والده الذي يفتح بقالة في منطقة الشهداء التي ضمت إليها شهيدنا عبد الله عزم الله.

عمل في التجارة الحرة ما بين الرياض ومكة، يصوم تطوعاً، استشهد في جلال آباد بقذيفة طائرة، فنرجو الله أن تكون روحه في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش.

أبو سهل المكي (إبراهيم بن مرجي عائد السهلي الحربي)[٢]

في أم القرى وبجوار البيت العتيق ولد إبراهيم، وعاش فترة بعد سن الحنث مع شباب مكة، ثم رجع إلى الله فعمل مطوفاً بالبيت الحرام، وأخيراً استهوته العذراء المصون التي حمي عرضها ببحور الدماء، لقد هام في حبها كما هام غيره، وجذبته بجمالها الأخاذ ورونقها الساحر، إنها أفغانستان التي ساح المسلمون حباً بها.

إلى (بابي) -عند الشيخ سياف-، ثم إلى قندهار حيث مكث قرابة أربعة أشهر عند قاري عبد العزيز، فتعلم على الأسلحة الخفيفة، ثم عاد إلى بيشاور وقلبه يحدثه أن يعود إلى مكة ليرى أمه وأباه خاصة ولوالدته في قلبه حنين لوضعها الخاص.

ولكن أنّى له أن يفارق أرض الجهاد والرباط في رمضان؟ أو يقدم صوت الحذيفي والسديسي وعلي جابر على قعقعة السلاح وبريق الأسنة ودوي المدافع وأزيز الطائرات، فاختار جلال آباد ومعركتها وكأن هاتفاً يتغنى باسمه:

يلذ لأنني سماع الصليل ويبهج نفسي مسيل الدما
ونفس الشريف لها غايتان ورود المنايا ونيل المنى

في جلال آباد: وهناك حيث المنايا تتوارد على الشباب من كل ناحية، جلس إبراهيم بجانب خيمة يتلو القرآن والطيران الذي أصبح شبحاً رهيباً خاصة الأنواع الجديدة (اليوشن) الناقلة ذات حمولة التسعة أطنان. ومرت الطائرة وألقت قذيفتها، وانتزعت شظية من شظاياها روح إبراهيم، ونرجو الله أن يجمعه بجده إبراهيم عليه السلام مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وفي مقبرة الشهداء في (باب خيبر/طورخم) يثوي هذا البطل بجانب أخويه عبد الله النهمي وعلي عبد الفتاح.

(١ ٢) المصدر السابق ص ٤٢- ٤٣.

أبو عبد الله الجزائري (مجاهد بريك)[1]

غادر الجزائر منذ ست سنوات وتوجه نحو قبلته في الحجاز، ومكث هناك وفي سوريا هذه السنوات، ولكنه كان يحس بأنه لا طعم لهذه الحياة التي لا تتجاوز اهتماماتها لقمة الغذاء وقطعة الكساء، وكانت تترامى إلى مسامعه أخبار الجهاد في أفغانستان وتقض عليه مضاجعه، ويشعر بتأنيب الضمير في الأعماق، وأخيراً حطم القيود وسار إلى بلاد الأسود.

في فرخار: التقيت به مع مجموعة عربية يقودها أبو الحسين المصري، وكان لقاء ممتعاً مع أحمد شاه مسعود، وقد ألقوا عليه مجموعة من الأسئلة، وبتنا تلك الليلة في المركز التعليمي في فرخار، وفي الصباح ودعتهم وكان اللقاء الأخير في هذه الدنيا.

إلى عبد الفتاح أمير كتيبة الملائكة: وسارت الكوكبة إلى عبد الفتاح حيث الكتيبة التي نذرت نفسها للإصلاح بين المجاهدين، مع نظافة في السلوك وطهارة في الأخلاق، وسرّ الجميع بعبدالفتاح وظلوا معه.

عملية عسكرية: ولقد كان مركز عبد الفتاح محط أنظار طائرات العدو، فلا يكاد يمر يوم دون أن تصبحه بغارة أو تمسيه بهجوم وحشي، وذات يوم جرح أحد الإخوة بالقصف فهرع إليه مجاهد (وكثير من الأسماء لها من مسمياتها نصيب).

وأورد نفسي والمهند في يدي ... موارد لا يصدرن من لا يجالد

محرمة أكفال خيلي على القنا ... محللة لباتها والقلائـــــد

(أكفال: مؤخرة، القنا: الرماح، لباتها: نحورها)

هرع مجاهد لينقذه، وإذا بالقذيفة الإنشطارية (العنقودية) تنزل من الطائرة وكانت تحمل معها شعوباً (المنية)، واستشهد رحمه الله في الحال، ونرجو الله -عز وجلّ- أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى.

أبو عمر المدني (ماجد عبد العزيز المغربي)[2]:

ومكذا اختار ماجد طريقه فلم يأنس بمكة رغم الأنس الذي تشيعه في الجو نفحات البيت العتيق، ورغم وجود إخوانه فيها، ولم يرتح لجو بيشة مع تلك النسمات الباردة التي تختلف في مناخها عن بقية الجزيرة عدا أن أباه يعمل فيها، إنه مستوحش من الحياة بين الأحبة والأهل، ولا غرو في هذا فقد هامت روحه هناك مع قصص الأبطال وسير الذين يصنعون التاريخ من جديد بدمائهم وأرواحهم، على مشارف كابل وفي أوهاد بغلان وفي أنجاد بروان، وحطم الأصفاد، ومزق الأغلال، وأقبل إلى أرض الأبطال والنزال.

كان شخصية تبدو عليه ملامح القيادة، فاستلم قيادة ماني كانداو، وفي زيارته الأخيرة لأمله حاولوا أن يقيدوه بأغلال الدنيا ويوثقوه ببعض إغراءاتها، فعرضوا عليه سيارة وزوجة ووظيفة، وكأن لسان حاله يجيب (ياقوم أنتم في واد ونحن في واد).

في جلال أباد: وجاءت الشهادة قرب شرخيل على مشارف جلال أباد في يوم عزيز على المسلمين، حيث فتحوا مناطق واسعة، وأذل الله فيه الكفر وأهله.

وكان معه أبويونس السعودي وأبو طارق اليماني أمير برو ومنير المدني وهداية الله الكردي، وقد شهدوا أن وجهه كان مستنيراً مشرقاً بإشراقة الشهادة -إن شاء الله- ولا نزكي على الله أحداً، وأنهم شموا من دمه رائحة المسك.

وفي (برو) مركز العرب ثوى ماجد تحت التراب، ولم يمت لأن ذكره لا زال بين الأحياء، ولعل الله يتقبل شهادته (**ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون**).

وكانت شهادته في اليوم الأول من شعبان سنة (١٤٠٩هـ) الموافق للثامن من مارس سنة (١٩٨٩م)، فرحمه الله رحمة واسعة وتقبله في الصالحين.

من صفات أبي عمر المدني الإيثار، والحق أن الإيثار صفة تجدها في كثير ممن وفدوا إلى الجهاد، لأن أرواحهم معروضة على الرحمن أفيبخل، بما دونها؟ لقد رتب ذات مرة عملية ضد أعداء الله، واتصل باللاسلكي واطمأن على سير المعركة، وكان يحمل مدفع (٨٢) وبجانبه صاحبه الذي يحدث عنه، وكانت العملية في (ماني كانداو)، وبعد أن وضع القذيفة في المدفع أخرج يده ليضغط على الزناد فأصابته رصاصة في يده، ولم يكن في الموقع سوى بغل واحد، فقال صاحبه: قدمته لماجد ليركب فرفض، إذ كان بجانبه جريح آخر، فأركبه على البغل ومشى ماجد ساعتين حتى وصل المركز الخلفي (**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**).

(١، ٢) المصدر السابق ص٤٧.

عكرمة الجزائري (بيبي عبد المالك)[1]:

في بيت عالم من علماء الجزائر ولد شهيدنا، وماذا تكون التسمية، لقد جاء الاسم من وحي الكتب التي يدرس بها والده، ويتبع فقهها ويدرس تعاليمها في المسجد، فكان الاسم على اسم إمامهم وفقيههم مالك.

كان ذا قامة فارعة وعضلات بارزة، عنده ولع شديد بالمطالعة. ومن أحب ساعاته أن يخلو بكتاب في زاوية من زوايا بيت الضيافة حتى لا يزعجه أحد ويقطع عليه خلوته وحبال تفكيره.

عبادته: كان صواماً قواماً، كثير التعبد والتنفل، ففاتحه بعض إخوانه بأمر النافلة قائلاً له مقالة ابن عمر رضي الله عنهما عندما رأى مجموعة من الصحابة والتابعين يتنفلون في السفر فقال: (لو كنت مسبحا لأتممت الفرض).

قال عكرمة: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فصافحني ثم قال: يا عكرمة أتريد الشهادة؟ فقلت: نعم، فقال: لا تغب، فسألت أحد العلماء عن تعبير الرؤيا فقال لي: أي حافظ على النوافل والسنن التي التزمتها.

ملاحظة: أما بالنسبة لصلاة النافلة في السفر، فالسنن المستحبة كصلاة الضحى وقيام الليل فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه كان يصليها في السفر. أما السنن الراتبة (المؤكدة) فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه ما كان يدع الوتر ولا سنة الفجر في سفر ولا حضر. وأما سنة الظهر القبلية، فقد ثبت عن البراء بن عازب في رواية أبي داود الحسنة قال: خرجت مع رسول الله ﷺ ثماني عشرة مرة فما كنت أراه يدع ركعتين إذا زالت الشمس قبل صلاة الظهر. أما سنة المغرب فقال النووي: إنها داخلة في صلاة الليل وقيامه.

التدريبات: كان عكرمة شاباً ناضجاً، فكان مهتما بنفسه وروحه، فيكثر العبادة لتقويتها وتغذيتها، ويقوم الليل لإشباعها وإسعادها، ومهتماً بعقله فكان الكتاب خير جليس له، وكثيراً ما كان يجلس إلى أبي يحيى المصري ويسأله ويستفسر عن بعض الأحكام، وكان مهتماً بجسده تدريباً وتمريناً فكان يأخذ دورة للملاكمة.

كان رحمه الله جاداً لا يمزح بل يهاب إخوانه أن يمزحوا معه، ويبكي أحياناً عندما يقرأ القرآن، وكان يوصي إخوانه (إياكم والمثبطين والمرجفين) لا تسمعوا لهم.

دراسته: تخرج من كلية الهندسة المعمارية.

في الجهاد: سلمه الإخوة إمارة جاجي، ثم ذهب إلى قندهار وأقام في غرفة (أوطاق محمد أيوب)، ثم دمّر العدو الغرفة وقطعت يد مالك، ثم قرر القائد بناء غرفة أخرى بعيدة عن أنظار العدو، وخلال أسبوع كانت الغرفة الجديدة قد أقيمت، وقد أسهم مالك في بنائها إسهاماً كبيراً.

القتال في قندهار: والقتال في قندهار شرس، ورحى الحرب طاحنة دائرة، فقد قرر القائد عبد الرزاق إقامة غرفة (أوطاق) على بعد ثلاثين متراً من الشارع العام وبعدها بدأ تصيد السيارات المارة.

وعلى مقربة من الغرفة إذا بسيارة جيب تقف، فأمر عبد الرزاق بضربها، فحمل عكرمه قاذف الـ (RPJ) وصعد فوق الغرفة وضربها، وإذا بالنيران تتصبب على الغرفة ومن جميع الأسلحة، وانهمرت القذائف بأنواعها على المجاهدين، حتى كانت طلقات العدو تدخل من الفتحات الخاصة التي يطلق منها المجاهدون.

وسرعان ما دخلت طلقة من رشاش شلكا (٢٣) ملم وأصابت رأس عكرمة، وانفجر الدم كالشلال يتصبب من رأسه، وبعد ساعتين أسلم الروح، ودفن هناك بجانب أخيه أسد الرحمن.

لهفي على فئة رزئناهم أشاوسة جحاجح

وهكذا يمضي الركب إلى الرحمن وهاتف الدرب يحدو.

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين، الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) (آل عمران:١٦٩-١٧٢).

---

(١) المصدر السابق ص ٤٨.

أبو سياف المصري (جمال رشدي عبد الغفار)[1]:

البساطة وسلامة الفطرة هي الطابع البارز في شخصية جمال، وقد عمق الريف المصري هذه البساطة وأضفى عليها الرجولة والنخوة والإصرار.

دراسته بسيطة، لم يتلوث بقذران المدنية ولم يغرق بأوحالها، درس في معهد للخطوط، ثم دار مع عجلة الزمان فالقت به في عمان حيث عمل خطاطاً. أما إسلامه فذاك الذي رآه من أمه وأبيه، إلا أنه كان يقطع في الصلاة أحياناً، وفي الشركة التي يعمل بها جمعه الله بأحد إخوانه الملتزمين، وما زال يسلك إلى قلبه كل سبيل لعله يسير في سلوكه على الخط الإسلامي، أو يلتزم في سلوكه بالنهج القرآني، ثم كتب الله له الهداية على يدي هذا الشاب.

مجلة الأمة (قبل اغلاقها): وقرأ في مجلة الأمة مقالاً عن الجهاد الأفغاني، وقد هزته روعة الجهاد وشدة منظر الليوث الأفغان بلحاهم وأسلحتهم التي تزين أكتافهم، وعيونهم التي تقدح شرراً. فتعلقت روحه بالجهاد، وصار شبحاً مع الخطوط التي يخطها لقاء لقمة العيش، وأما روحه فهي هائمة مع الأسود، سارحة بعيداً ولن تعود، فلابد أن يلحق بها.

في حالة البعد روحي كنت أرسلها ... تقبل القوم عني وهي نائبتي

التأشيرة الباكستانية: وبدأ يسعى لأخذ التأشيرة الباكستانية التي صارت تضاهي في صعوبتها ومرارة الحصول عليها تأشيرة الدول البترولية أو الغنية بل أشد.

وعبثاً يحاول جمال وهو يذرع الشوارع متنقلاً بين السفارتين الباكستانية والمصرية والكل يصده ويرده.

وعندما رأى صاحبه الملتزم الذي دله على الله حرصه على الذهاب إلى أفغانستان للجهاد صار يحاول أن يثنيه عن عزمه، أو يفتر همته المتوثبة للانطلاق إلى ذروة سنام الإسلام، وكذلك صاحب العمل بدأ يشككه بهذا الجهاد، ولكن لسان حاله يقول لهم:

لا تعذليه فإن العذل يولعـــه ... قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه

جاوزت في نصحه حداً أضر به ... من حيث قدرت إن النصح ينفعه

فاستعملي الرفق في تأنيبه بدلاً ... من عنفه فهو مضنى القلب موجعه

وعندما رأى صاحب العمل حاله وإصراره رقّ لحاله ورأف به وصمم أن يساعده في أخذ التأشيرة، وبقدر من الله أن المالك متزوج باكستانية، فأخذ زوجته مع أبي سيّاف إلى السفارة بعد أن اشترى تذاكر ذهاب وإياب، وقال للسفارة بأنه يريد زيارة أهل زوجته مع هذا الرجل.

ونال التأشيرة وطار فرحاً بها وأخذ يرقص بها في الشارع طرباً كالمجنون، أما التذكرة فكانت من إمام المسجد الذي يصلي فيه.

إلى باكستان ثم مصارع العشاق: تدرب جمال في معسكر صدى، ثم صمم على الذهاب إلى مصارع عشاق الحور، وكان الكلام عن الحور يشغله كثيراً، حتى إن وصيته بدأها: (عندما تفتحون هذه الوصية أكون مع الحور العين يا عيني على الحور العين).

إلى قندهار مقبرة الأبرار وأرض العز والفخار، وإلى أوطاق (غرفة) محمد أيوب أغا (أوطاق الشهداء)، والتقى مع أسد الله المصري وهما من منطقة واحدة، فالبطلان من طنطا من قريتين متجاورتين.

كان صاحب نكتة حاضرة ومرح كثير، فملأ الجو الذي يعيش فيه أنساً، وغابت رهبة الموت ووحشة المعارك الضارية بهذه الروح المرحة المنطلقة مع سجيتها، المعبرة عن الحب للإخوة الذين حوله، فأصبح حديث الأفغان والعرب وأضحى مع أسد الله يمثلان قطبي الرحى بالنسبة للغرفة.

ومضى أسد الله إلى ربه، فشده الأمر إلى الله، وبدأت الجدية لفترة تظهر عليه، ورأى أن الشهداء الماضين إلى الله معظمهم صوامون فجدّ بالصوم، فكان في أواخر أيامه يصوم الاثنين والخميس.

---

(١) المصدر السابق ص ٤٩.

وأخذ يتنقل من موقع إلى موقع جاداً في طلب الموت، يلقي بنفسه في غمار المعارك المضطرمة:

فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع

واستشهد عكرمة وجمال لا زال ينتظر الشهادة.

وفي اليوم التالي لاستشهاد عكرمة وفي نفس المكان خاض معركة، فاقبلت منيته بقذيفة اختطفت روحه وجرحت أخاه أبا أنس اليماني جراحاً بالغة.

مضى أبو سياف خاطاً بدمائه أسطراً في سفر الخلود، خلود المبادئ التي تروى بالدماء، وغاب شبح أبي سياف ولكن روحه ترفرف فوق إخوانه الذين عايشوه ولم ينسوه، وأنى لهم بنسيانه؟ وكيف لهم أن ينسوا قرآنه الذي كان يقرأه بصوت كبار المقرئين عبد الباسط والمنشاوي، فكان يقرأ القرآن أحياناً فيسمعه بعض الإخوة فكأنما يسمع للمنشاوي ولكبار القراء.

وصيته لوالده: (في وصية لوالديه يقول: أوصيكم بمتابعة الجهاد لأنه عزة المسلمين، وأرجو منكم أن تصبروا ابتغاء مرضاة الله إذا كتب الله لي الشهادة، كما أوصيكم بتربية إخواني تربية إسلامية، وتعليمهم أمور دينهم، وأن تعلموهم القرآن، وأن تلبسوا أخواتي البنات الزي الشرعي، وعندما يكبرن –إن شاء الله– تزوجونهن لمجاهدين).

فإلى رحمة الله يا أبا سياف، ونأمل أن يتقبلنا ربنا في الصالحين.

أبو أحمد (عبد الله أحمد أحمد حكمي)[1]:

شاب سعودي بسيط، مكث سنة ونصف سنة يتردد بين الجبهة والسعودية وكان في فترته الأخيرة بين رجب وشعبان متردداً أيقضي شعبان عند أمه أم في خنادق القتال وأخيراً صمم أن يتصل بالشيخ ابن باز وحاول ولم يوفق في الاتصال، وكان بجانبه أخ سوري يدعى أبو ريان يثق به ويسرّ إليه بخاصة نفسه، فأفضى إليه بما يدور في خلده، فنصحه بأن يتوجه معه إلى قندهار، وتوجه الاثنان مع أخ ثالث لهما وهو أبوعبيدة السوري.

توجه الثلاثة إلى (جكتري) وكان ذلك في يوم الثلاثاء غرة شعبان حيث حطوا رحالهم في (بيري غند) قرب المطار، وفي اليوم التالي كانت عملية مرتبة ما بين الظهر والعصر، فأخذ الإخوة أماكنهم في رأس الجبل مع إخوانهم الذين يصل عدادهم خمسة عشر شخصاً، وكان الدبابات قد صوبت فوهات مدافعها إلى هؤلاء الإخوة، وجاء الأمر بإطلاق النار على العدو، ثم أمر بإيقاف الضرب، فتناول عبد الله مصحفه وأخذ يتلو، وفجأة أظلم الجو وتناثر الغبار على أثر قذيفة دوت بينهم، وصمت الجميع في ذهول مربك، إذ دفن الجميع بالتراب المتناثر، وبعد دقيقة نهض أبو ريان ينفض عن نفسه الغبار مع ضحكة عالية ويتفقد نفسه ليرى الجراح، ووجد نفسه مع أخيه أبي عبيدة سالمين من الجراح.

وهناك وبجانبهم كان المصحف الذي تطاير غلافه، وبجانب المصحف غطاء الجمجمة الذي أودت به شظية كبيرة، وعلى مقربتها كان أبوأحمد (عبد الله) مجندلاً بجراحه وقد لفظ روحه مباشرة مع انفجار القذيفة.

وعلى طريق الخلود يمضي مع الركب عبد الله، ولا سبيل لإيقاف هذا الموكب السائر إلى الله، فقد عرف طريقه إلى خالقه وغايته وهدفه، إنها نفس السكة التي سارت عليها قاطرة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً **(إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)**.

وترامى إلى مسامع الدكتور المربي الذي كان يعقد لهم جلسة القرآن الصباحية أن أبا أحمد قد مضى إلى ربه، فعلق قائلاً «ويتخذ منكم شهداء»، ويبدو أن الله عز وجل قد نظر إلى صفاء نفسه وطيب سريرته فاختاره إليه، إنهم تلاميذ القرآن أهل الله وخاصته.

فنرجو الله عز وجل أن يمن علينا بحياة السعداء وخاتمة الشهداء والحشر مع الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) المصدر السابق ص ٥٠.

ليت قومي يعلمون

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد حمي الوطيس، واشتد الضرام، وتأجج أتون القتال، وأقبل الشباب من كل حدب وصوب يستعذبون ورود المنايا، وما لهم لا يقبلون على حوض الحمام إذا كان في الحمام الجنة، هي كأس لابد أن يشربها، فلتكن هذه الكأس على هذا الطريق الذي يوصل إلى دار السلام. إن هؤلاء الشباب من صفوة أبناء هذا العصر، هجروا زهرة الدنيا التي أقبلت عليهم، فأكبت على أقدامهم فركلوها وخرجوا ركضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وحب المعاد، ما ضاقت عليهم الدنيا حتى جاءوا وألقوا بأنفسهم بين براثن الموت وشعب المنايا، ما عضهم الجوع بنابه، وما هربوا من قبضة طاغية، ولا طفقوا في الأرض ينتجعون الرزق والكلأ، وما هجروا بلادهم طمعاً في إكمال دراستهم الجامعية، ولا بحثاً عن وظيفة في شركة أو متجر أو مصرف، ليس شيء من هذا كله.

إنهم خرجوا ابتغاء مرضاة ربهم -كما نحسب ولانزكي على الله أحداً- يؤدون فريضة القتال، ويسعون للصعود رقياً لكسب أعظم الآمال وهو دخول الجنة برضا الكبير المتعال، كم من هؤلاء الشباب كان وحيد أبويه، وترك أمه طريحة الفراش بجلطة أو غيرها لمجرد سماعها أن ابنها قد نفر إلى الجهاد في سبيل الله، كم من الأمهات قد غبن عن وعيهن لمجرد سماعها أن ابنها في أفغانستان لقد بلغني أن والدة ياسين عبد الشكور الحمايدة لا زالت في صدمتها منذ أن بلغها شهادة ابنها، ولا زالت لا تستطيع أن تعرف من يقف أمامها، وبلغني عن الشهيد سراقة أن أبويه قد سقطا مشلولين لمجرد تلقي نبأ الشهادة.

ولا يعلم إلا الله كم يعاني هؤلاء الشباب من آلام بسبب مواقف آبائهم ومشايخهم، وكم يتخطون من حواجز أمنية وجغرافية وكم يلاقون من عنت وهم ينتقلون من قطر إلى قطر طمعاً في نيل تأشيرة باكستان للوصول إلى أرض الجهاد، ولك أن تسطر من قصصهم أسفاراً نفيسة وملاحم غريبة، وفي مستشفى الهلال الأحمر الكويتي أحد إخواننا الجزائريين الذين كانوا يعملون في فرنسا، فاجلس إليه ليحدثك عن الغرائب التي واجهها حتى وصل إلى أرض باكستان، فمن فرنسا إلى تركيا إلى سوريا، ومكث في سوريا ستة أشهر بين المخابرات والسجون والمساجد والسفارات، لا يجد مأوى ولا طعام ولا تأشيرة، وأخيراً إلى إيران، ثم السير من إيران إلى باكستان على الأقدام، وزج به في السجن في باكستان قليلاً ثم يخرج، إلى أن وصل إلى أرض المعركة وأصيب بكسر في قدمه.

وعندما يقبل الشاب من بلاد العرب يرثي لحاله بعض المشفقين المتعقلين. ويسر لخروجه ذوو النظرة العميقة البعيدة، ويفجع بفراقه أرحامه وبعض معارفه، ويحزن بعض الدعاة لمغادرته مكانه شاغراً وقد كانوا يعقدون الآمال على وجوده في بلدته هناك.

ولكن خروجه كان خيراً للجميع: أما من ناحية أهله وأرحامه فكم رد خروجه من المصائب عن البيت، وكم من العذاب رده عن ذويه ومنطقته بنفيره في سبيل الله، وكم من الدعاة الجدد قد اجتذبهم إلى دعوته دون أن يعلم شيوخه وأساتذته.

إن قصة هذا الشهيد قد انتهت في نظر أهله وأصحابه على مشارف جلال أباد برصاصة أودت بحياته، ثم دفن تحت صخرة من صخورها، أو في مغارة في جبل من جبالها، وهنا أسدل الستار على آخر فصول المسرحية ولكنهم لا يعلمون.

لا يعلمون كم من الخير صبه الله على أهله بشهادته، وكم من الرزق والعافية سيق إليهم بسببه، لا يعلمون كم خبأ الله له في عالم الغيب من أفراد تهتز بقصته، وترجع إلى الله بمعرفة سيرته، وتحيا قلوبهم بذكره، وترتبط بالله من خلال نفرته.

لا يعلمون أنه مع أمثاله يحيون فريضة غابت عن واقع المسلمين منذ عهد بعيد، ويروون بدمائهم شجرة هذا الدين حتى لا تجف عروقها أو تذوي أغصانها، لا يعلمون أن التمكين للمؤمنين في الأرض إنما يكون بجهود أمثال هؤلاء المخلصين هدية من رب العالمين، وتفضلاً من خالق الناس أجمعين.

لا يعلمون أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد قضى نحبه في أعماق سجن القلعة سنة (٧٢٨ هـ)، وبعد ستة قرون ونيف يخرج الله البترول في منطقة تأثر به علماؤها فيعيدون طباعة كتبه وتوزيعها على العالم، حتى لا تكاد مكتبة إسلامية في الأرض تخلو من كتبه، وأصبح ابن تيمية الشيخ المقتفى والمثل الرائع الذي يحتذى على نفس الطريق الذي سار عليه سيد المرسلين ﷺ ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

إنهم لا يعلمون أن سيد قطب قد مضى إلى الله بإعدامه في غرفة مظلمة في سجن الاستئناف في القاهرة، ولا يعلم أهله حتى

الآن مكان قبره، وقد ظن الدعاة أن استشهاده خسارة كبيرة للدعوة الإسلامية، وإذا باستشهاده دفعة قوية لموكب الدعاة، ولم يكن تفسير في ظلال القرآن قد طبع في حياته سوى طبعة واحدة، وفي عام استشهاده طبع سبع طبعات، حتى أصبح أصحاب المطابع النصرانية إذا أشرفت على الإفلاس نصحه بعض صحبه أن يطبع كتب سيد لينقذها من الإفلاس.

إنهم لا يعلمون، ولو نطقت أرواح الشهداء لقالت: (ألا ليت قومي يعلمون).

الشهيد عوض بن علي (ابن مبخوت العرادة شيخ من شيوخ عبيدة / مأرب)[1]:

قبل ثماني سنوات عرفته في بيته في مأرب مع مجموعة إخوانه..ليوث تلمظ التفت تحت سقف واحد، تربية إسلامية رفيعة، أدب جم، رجولة وحياء، كرم وإباء، صمت العقلاء ونطق الحكماء، يتكلمون بقدر كلاماً كأنه عد الجواهر واللآلئ، وعلى سجيتهم قاموا وذبحوا شاة أو اثنتين إكراماً لي، ثم خرجنا قبيل الغروب خارج مأرب، وأخذوا يشيرون إلى المنطقة التي صدوا بها هجوم الشيوعيين القادمين من الجنوب، وهم كأبناء قبائل تقتضي الرجولة أن يكون السلاح جزءاً من حياتهم، وكل واحد منهم كأن لسان حاله يتغنى:

أأطرح المجد عن كتفي وأطلبه — وأترك الغيث في غمدي وأنتجع

والمشرفية ما زالت مشرعة — دواء كل كريم أو هي الوجـــع

وودعت هذا البيت الذي علق به قلبي ثم عدت.

ومرت الأيام، وذات يوم كنت في بيت الأخ أسامة بن لادن في جدة وإذا بعوض يدخل، وسلمت عليه، وكان ذلك في فترة الحج، ثم عدت، والنفوس التي تعتاد خوض المنايا يصعب عليها أن تقبع في الزوايا، وترامى إلى مسامعه أخبار الجهاد في أفغانستان وأزمع السير إلى جبال العزة فيها، وأقبل إليها زائراً مع الشيخ عبد المجيد الزنداني سنة (١٤٠٤هـ)، ثم عاد وتعلق القلب بما يشغله عن الأهل والولد.

وتلفت الميدان هل من طارق هل من صلاح

ويقول هل من ضيغم عن طهر أمته يلاحي

وأقبل أبو طارق تاركاً وراءه أولاده وأحفاده، واستقر به المقام في مأسدة الأنصار، وكان قد مرّ عليّ في صدا، وألفت نفسه جو البطولة والفداء، وارتاح قلبه للحياة بين الضراغم، واطمأنت نفسه للحياة تحت ضجيج المعارك وصليل السلاح وقعقعة المدافع ودوي الطائرات وأزيز الرصاص.

وأخذ يتردد بين خوست وبين جاجي، وبعد فتح تشاوني انتقل إلى خوست حيث تجمعت سرية أو أكثر من الإخوة العرب.

إلى جلال أباد: وبدأنا نوزع إخواننا العرب على المناطق الساخنة ذات المعارك الضارية، واخترنا لكابل أميراً، ولبروان وكابيسا، وبقيت جلال آباد، فقال أبو عبد الله: أنا أقترح الأخ أبا طارق اليماني أميراً، فارتاحت النفوس لاختياره.

وتوجه أبو طارق إلى جلال آباد، وحل في قرية (برو)، وتجمع حوله ثلة من أرقة القلوب وذوي الحكمة من أرض أبي موسى الأشعري، وزرتهم مع الدكتور أبي عصام هناك وفرحنا بهم، وكم كان سرورهم بنا عظيماً في السابع والعشرين من رجب (١٤٠٩هـ) الموافق، (٥) مارس سنة (١٩٨٩م)، وبتنا ليلة عندهم ثم عدنا في اليوم التالي، ولقد كانت غبطة أبي عصام بهؤلاء الليوث جد عظيمة.

فتح (ثمرخيل): وفي نفس اليوم الذي غادرنا فيه بدأت المعارك على "ثمرخيل"، وكان لهؤلاء الشباب دور طيب في فتحها، وترى أباطارق يزمجر بين هؤلاء.

أسد فرائسها الأسود يقودها — أسد تصير له الأسود ثعالبا

وافتتح المجاهدون منطقة واسعة وغنموا غنائم كثيرة.

وانتقل أبو طارق: ونقل أبو طارق سريته إلى خط التماس مع العدو، ووصلت قرب جلال آباد في العاشر من رمضان، وعلمت أن أبا طارق في المقدمة.

---

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٦ ص ٢١ ذو القعدة ١٤٠٩هـ يونيو ١٩٨٩م.

وفي اليوم العشرين من رمضان جاء أبوطارق من خط النار الأول لأخذ بعض الحاجيات والأسلحة، ورآني فقال لي: إن كتبت عن أبي رقية تثير علينا الناس. فأبو رقية ليس من فخذنا إنما هو من فخذ آخر، ومدحك لوالدي يثير حفيظة اليساريين والقوميين علينا، وحبذا لو لم تكتب عنا، فقلت له: اجتهدنا، فإن أخطأنا فمنا ومن الشيطان، وإن أصبنا فمن الله.

ثم جلس إلى أبي عبد الله وقضى حاجته وأخذ لوازمه، ثم أراد أن يسير فافتقدني وكنت أجلس في المغارة، فجاء إليّ وودعني، وكانت هي اللحظات الأخيرة التي ودعته بها في هذه الحياة يوما الحادي والعشرين والثاني والعشرين من رمضان (الأربعاء والخميس)

وقد خاض المجاهدون ومن بينهم الإخوة العرب معارك شديدة في هذين اليومين، وفتح الله عليهم خمسة مراكز من مراكز الكفر، منها مركز قوي، وأصبحت الدبابات تفر من المجاهدين، ومئات الكفار قد أطلقوا سيقانهم للريح هرباً بحياتهم، ولحق بهم المجاهدون يطاردونهم

تدفقت جند العقيدة أنهراً في كل ســـاح

تزهو بألوية الفداء وبالبطولات الصحـــاح

وتقول إن شح العطاء فنحن للدين الأضاحي

وجلاؤها القرآن عنوان الهداية والفـــــلاح

والنصر يجني بالدماء وبالعناء وبالصفـــاح

ويرى أبو طارق وهو في مجموعة الحماية هذا المنظر فيطير قلبه ليلحق بهؤلاء المجاهدين الذين يطاردون أعداء الله، ويستأذن المرة تلو المرة أن يشبع نهمه ويشفي غليله من هؤلاء الكفار، وأخيراً أذن له أبوعبدالله، وانطلق أبوطارق كالهزبر يحمل مدفعه الصاروخي على كتفه R.P.G وأمامهم ثلاث دبابات هاربة. أو تصدقون أن الدبابات هاربة والليوث تطاردها؟ **(سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين)** (آل عمران:١٥١).

وبعد أن تيقنت الدبابة الثالثة أنها قد تجاوزت مرمى المدفع استدارت وأطلقت قذيفتها، وجاءت القذيفة في نحر أبي طارق، واستشهد في الحال مع اثنين من إخوانه الأفغان، وجُرح أربعة من الأفغان، وهكذا وفي شهر واحد نفقد عمودين من أعمدة الجهاد ومن بلد واحد. لقد فقدنا أبا مسلم الصنعاني الداعية (عبد الله النهمي)، وفقدنا عوض بن علي مبخوت العرادة قمة من القمم، وفي نفس الشهر سار على الطريق علي عبد الفتاح وعابد الشيخ محمد.

وجاء الخبر باللاسلكي، وتساءلت عن اسم الشهيد فقالوا: أبو طارق، فذرفت عيناي، ودار حوار الأماني بين الأرواح:

وهمت على خدي الدموع فقلت يا روحي وراحـــي

هلا رحمت قلوبنا فعدلت عن هذا الـــــــرواح

فأجابني البطل المسجى مازناً بي باقتراحـــي

كفكف دموعك ليس في عبراتك الحرى ارتياحـــي

هذا سبيلي إن صدقت محبتي فاحمل سلاحـــي

فيه إلى القدس الوصول والكرامة والنجـــــاح

وإني لأرى من خلال الشهداء الذين يتساقطون على دروب المجد مصداق الآية الكريمة **(ويتخذ منكم شهداء)**، فالشهادة اختيار واصطفاء واتخاذ واجتباء، والموت لا يتعلق بخطر، والسلامة لا ترتبط بحذر، إنما هو اختيار رب العالمين لصفوة عباده المخلصين.

ونرجو الله أن يكون قد تقبله في الصالحين وأن يجمعنا به في الفردوس الأعلى، وأبتهل إلى الله عز وجل أن يلهم والده وأبناءه وأحفاده وأخواته الصبر والسلوان، وأن يجبرهم في مصيبتهم وأن يعوضهم خيراً.

الرؤى في استشهاده: لقد رأى عدة إخوة أباطارق وبشروه بالشهادة، وكان أول من رآه أبو مسلم الصنعاني (عبد الله النهمي) وبشره بالرؤيا.

وكذلك حدثني أبو أحمد الانسي قال: رأيت إحدى وعشرين امرأة جميلة في قصر من القصور، ونادى مناد هذه النساء للمجاهدين، فقلت في نفسي: أختار أجملهن، ولكني رأيتهن جميعاً كأنهن خلقة واحدة لا تستطيع تمييز واحدة عن الأخرى، وبدأت النساء يخترن أزواجهن، فتقدمت واحدة واختارت أبا طارق.

ورآه أبو عبدالرحمن المأربي في قصر كبير، فدخل عليه أبو عبدالرحمن ومجموعة، فأقبل عليهم أبو طارق في قصره، وقدم لهم ألواناً من الفاكهة والطعام، وفجأة دخلت القصر امرأة جميلة، فبدا أبو طارق وكأنه يستعجل الضيوف بالخروج ليجلس مع زوجته.

ورأى عبد الجبار الشرقي في منامه -وهو في جلال آباد- مجموعة من أهل اليمن، فسألهم عن أبي طارق، فقالوا: استشهد أبوطارق.

رائحة المسك: ويشهد لي الإخوة الأربعة اليمانيون الذين رافقوه في المعركة وبعد الاستشهاد إلى مثواه الأخير في "بابي" أن رائحة المسك كانت تعبق بأريجها فتعطر الجو وهي تنبعث من جسده.

الشهيد أبو حامد الغامدي (عبد الواحد حامد آل حمدان الغامدي)[1]:

الساعة الثالثة تقريباً قبل الفجر رنّ جرس التلفون، فهببت من نومي لأرد عليه، وإذا بصوت متهدج يقطعه البكاء ويقول: معذرة لإزعاجك، فما كنت لأزعجك لولا أني أريد الاستفتاء في أمري، لقد انتهت محاضرة الشيخ تميم قبل قليل، وسألته في أمر قدومي فأشار إليّ بالقدوم، رغم أن أمي تحمل في طيات قلبها جلطة قد تودي بحياتها لأول هزة، ووالدي يجري السكر في دمائه عالياً مقلقاً، إلا أن استشهاد أخي أبي حامد ومحاضرة الشيخ تميم قد جعلتني أزهد في الحياة، ومن تكون يا أخي؟ فأجاب إنني أبو سليمان الحضرمي، ولكني تركت كلمة حضرمي حتى لا يشم منها رائحة القومية الجاهلية المنتنة، فأنا (أبو سليمان المهاجر).

وأخذ أبو سليمان يعدد على التلفون مناقب أخيه في الله عبد الواحد الغامدي، فقال: جمعني الله وإياه في شقة واحدة في سكن الحرم الجامعي عمارة (٨) شقة (٢٠٣)، وكان في الغرفة الرابعة، فكان يطلب مني أن أترك باب البلكونة مفتوحاً، ويعتذر أنه قد يحتاج من ثلاجتي في الليل كأس ماء باردة أو حبة فاكهة، ولكن الحقيقة غير ذلك، فقد كان إذا هجع الناس في مراقدهم وانتصف الليل وتجاوز إلى الواحدة قام أبو حامد وتوضأ وبدأ صلاته، وكان طويل القيام، فكنت أرى ركعته قد يمتد بها الزمن ثلث أو نصف ساعة، فهو قوّام صوّام، وممن تعلم قيام الليل؟ لعله من أحد أساتذته أو زملائه العابدين في قسم الدراسات الإسلامية في جامعة الملك عبد العزيز، ولعله من أحد مشايخه في الباحة التي كانت مسقط رأسه وعلى أرضها درج وقضى لبانة شبابه، أو لعل أحد أشقائه الذين يعملون في الرياض والطائف قد أثر عليه بسمته ودله وسلوكه، أما والده فقد مضى إلى الله -عز وجل- منذ فترة.

وفي جلال أباد: وفي العشر الأواخر وأثناء الفتوحات المؤزرة كنت في مغارة على مقربة من المعركة ترامى إلى مسامعي صوت أبي الزبير-والله أعلم- على اللاسلكي الذي يتابع أخبار المعركة قائلاً: لقد استشهد أبو حامد الغامدي، وهكذا مضى على الطريق أسد من أسود الله يسطر بدمه التاريخ الإسلامي، ويمهد بتضحيته الطريق إلى المجتمع الإسلامي الذي تنعقد الآمال على الله لإقامته من جديد.

الشهيد أبو أحمد الجزائري (فوزي بن علي)[2]:

في بيت القائد (ملا تاج محمد) في العاشر من شوال سنة (١٤٠٩ هـ) حيث ذهبت مع لفيف من الإخوة الأحبة لزيارته إثر إصابته وإذا بمجموعة من الإخوة الجزائريين الذين نعموا بصحبته في أرض الجهاد يكتنفونه، وإذا بحضرة بلال -أخ عربي قد أصيبت رجله- يفتح كيساً صغيراً من ورق البلاستيك وفيه قطعة قماش مضمخة بالدماء، طلب منا أن نستنشق أريجها العطر، ونتنسم شذاها العبق، ثم قال على مسمع من إخوانه الذين شهدوا شهادة فوزي: (هذه دماء فوزي)، لقد كانت رائحة زكية، فاستأذنته لآخذها إلى البيت حتى يستروحوا أريجها الطيب، وأخذتها إلى البيت وشمتها النساء، كان هذا بعد استشهاد فوزي بتسعة عشر يوماً، ثم قال بلال: لا بد أن يشم أهل الشهيد هذه الرائحة.

(١، ٢) المصدر السابق ص ٢٥-٢٨.

فمن هو فوزي؟ من الوادي، ذلك المكان الذي أقبل منه صفوة أبناء الجزائر، وتجد كوكبة الفرسان الجزائرية التي قذف بها الوادي إلى أتون معركة الإسلام في أفغانستان من خيرة الإخوة أدباً ورجولة وحياء وطاعة.

ولذا فإنني أسميه (وادي أبي ابراهيم) وحقٌ لنا أن نسميه كذلك، إذ كان هذا الليث الذي نيّف على الخمسين طليعة قومه إلى الجهاد، وعاد إليهم والرائد لا يكذب أهله، فبدأت الأسود تنطلق من عرينها -الوادي- وتقبل على أرض (سرخ رود) وكابل، وقد تعرفت في صدا على شاب اسمه (أبو علي) من الوادي، وكنت عندما أتحدث عن قضية فقهية يرد عليّ بالفقه المالكي، فسميته (أبو علي المالكي)، وأنهى أبو علي دورته وتوجه إلى شكردرا على مشارف كابل حيث تحتدم المعارك ويصطلي بنيرانها غلظ الرقاب من الأسود الضواري، وشرح الله صدر أبي علي للاستقرار هناك، حيث أصبحت المنطقة وبعد سنة تردد اسم أبي علي، وأصبح قريباً إلى قلوب القادة (ناصر، وأنور، وتاج محمد، ووسيل)، ومحوراً يتحرك بينهم، وأقبل أهل الوادي إلى واد آخر (انتقل أهل وادي سوف الجزائري إلى وادي السكر الأفغاني) لأن شكردرا تعني - وادي السكر-، والتفوا حول أبي علي الذي نضج مع حرارة المعركة وضخامة التجربة، فأصبحت وأنت تجلس إليه كأنك تجلس مع رجل في العقد الخامس من عمره لما تسمع من حكمة القول وحسن التصرف وأدب المعايشة مع الأفغان والعرب.

دراسته: كان فوزي كما يصفه صديق العمر ورفيق المسيرة -حذيفة الجزائري- خارق الذكاء، حاضر البديهة، وقد عرف بهذه الصفة بين أقرانه، حيث كان الملجأ للكثيرين من أنداده الذين يعيشون في معهد العلوم الدقيقة في (عنابة)، فكانوا كلما أعضلت عليهم مسألة رياضية توجهوا إليه ليجدوا حلها.

أمر يحزنني: ومما يحز في نفسي ويؤلمني أن العقليات الرائعة والأفذاذ ممن منّ الله -عز وجل- عليهم بنعمة الذكاء يتوجهون لدراسة الهندسة والطب والصيدلة، أما دين الله الذي يدرس في كلية الشريعة فيشكو إلى الله أبناء الدعوات وأصحاب الحركات الذين يتجهون إلى الكليات العلمية التطبيقية -الطب والهندسة- ويتركونه، ولا يدخل كلية الشريعة أو أصول الدين سوى الذين أوصدت في وجوههم كل الكليات، ولم يبق أمامهم سوى دراسة الإسلام.

إن دين الله أولى بهذه العقليات، وأجدر أن يدرسه هؤلاء الأذكياء، لأننا بحاجة إلى عناصر قوية فتية ذكية شجاعة مضحية حتى تحمل دين الله، وتستنبط أحكاماً شرعية جديدة تواجه بها المعضلات العصرية والمشكلات الحاضرة على ضوء الكتاب والسنّة، لا أن تبقى محصورة بين دفات كتاب ألف في القرن السادس الهجري -فقط- دون أن تتعداه أو تتخطاه، لقد فطن أعداؤنا من الشيوعيين والبعثيين والقوميين إلى دراسة العلوم الإنسانية من التاريخ والتربية والإجتماع وعلم النفس والآداب، وعادوا يستلمون توجيه هذه الكليات ليصوغوا عقول الأجيال على أعينهم، ويوجهوها على أهوائهم، أما أبناء الحركات الإسلامية فالواحد منهم يعيش مع الإسمنت والحديد والمبضع والمريض، ويقضي طيلة حياته أمي التفكير، بعيداً عن الغوص في أعماق هذه الشريعة الغراء، أو العيش مع الأجيال الذين يشكلون قاعدة المجتمع وأساسه، فهلا ننتبه ونوجه خيار أبنائنا إلى دراسة دين الله وشريعته.

نشأته: ولقد كان رحمه الله منذ نعومة أظفاره مقبلاً على الله، مشعلاً من مشاعل العمل الإسلامي، وعموداً من أعمدته منذ مرحلته الثانوية، فحيثما يحلو لك أن تشاهده رأيته، فمن حلقة المسجد، إلى احتفال الحيّ بذكرى إسلامية، إلى المعارض الإسلامية الجامعية، ودعك عن الندوات والدورات الفقهية والأصولية، وكانت الدراسة في السيرة وحياة الصحابة تملك عليه مشاعره، وتشده بكليته إليها.

تخرجه: وتخرج فوزي من قسم الرياضيات، وأصبحت الأماني المعسولة تشغل والده لإرساله إلى فرنسا للحصول على الدكتوراة ليعود أستاذاً جامعياً مرموقاً.

يقول أبو عاصم الجزائري -أحد رفقاء درب الجهاد من بلده-: زرته ذات مرة بعد التخرج وبدأ والده يحدث عن مخططاته من أجل صياغة مستقبل الورود لابنه فوزي، وأنه سيرسله إلى فرنسا، فابتسم فوزي وأسر في أذني قائلا: (أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد)، وكأنه يقول لوالده: يا قوم نحن في واد وأنتم في واد.

لقد كان التفكير في الجهاد يأخذ من وقته كل مأخذ، ويشد نفسه بأحاسيسها وأعصابها ما وراء الأوراس إلى الهندوكوش، إنه

يتابع الخطوات التي تبني حياة الأمم بمسيرتها، لقد كان يعيش مع الجهاد ومجلة الجهاد وأعلام الجهاد في أرض العزة والأمجاد.

ويحدث عنه أخوه حذيفة الجزائري فيقول: ولقد كان الصدق والجدية من معالم شخصيته البارزة، فتراه يقلب الأمر من جميع وجوهه، حتى إذا وقر في أعماقه أنه الحق التزمه وبذل له حشاشة قلبه وعصارة نفسه.

محاولة القدوم: وكانت المحاولة الأولى للقدوم من خلال مصر، فاشترى تذكرة إلى مصر لعله يحصل على تأشيرة باكستان منها بعد أن فشل في الحصول عليها من الجزائر:

المستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار

وعاد إلى الجزائر ورأى أن منح التأشيرة من خلال جماعة التبليغ سهل ميسور، فارتدى الثوب القصير، وأقبل عليهم يبيت معهم في المساجد، ويخرج معهم في الجولات، حتى استطاع أن يحصل على التأشيرة الباكستانية، إذ كانت التذكرة تونس -موسكو- إسلام أباد.

مع إخوانه في أرض الجهاد: أقبل فوزي إلى أرض الجهاد، وكان يأسر إخوانه بخلقه الرفيع وشعوره الرقيق، وابتسامته الحلوة، وحديثه العذب، يدخل إلى قلبك لأول لقاء، ولا تزيدك الأيام به إلا حبا، ولا المخالطة إلا إعجاباً وإكباراً، فكيف إذا طلعت على عباداته وعرفت أنه يصوم الإثنين والخميس وبقية النوافل، ولا يفوته ورده القرآني ولا أذكار الصباح والمساء إلا لماماً.

فمن صدا إلى ذات الصواري إلى ميرانشاه وخوست وأخيراً إلى شكردرا.

يد المنون وفوزي: ولقد حاولت يد المنون أن تختطفه ثلاثاً، هكذا بدأ بشير الجزائري يحدثني عنه:

أ- أولها على الطريق إلى شكردرا حيث تعرضت القافلة إلى قصف شديد، وانهمر الرصاص مطراً يشق حجب الظلام بألسنة لهيبه، وتفرق القوم، وتأخر فوزي قليلاً لقضاء حاجته وعاد إلى الطريق ليجد نفسه وحيداً.

غريب من الخلان قد ند صحبه   وقد أقبل الأعداء واحلولك الليل

ووقف فوزي في وحشة من الليل وغربة من الأهل وجهل من المكان فلا أنيس ولا جليس. وافتقده إخوانه العرب في القافلة، فاستوقفوها وعادوا يبحثون عنه، فوجدوه وكأنه يسائل الليل والنجوم:

يا ليل الفجر متى غده   أقيام الساعة موعده

ب- المرة الثانية في الصراع مع الموت: وصل فوزي إلى شكردرا واتصل بتاج محمد، واستقر به المقام عنده، وزاد شجاعة إلى جرأة، فالتقت غيرة الإيمان وحماس الشباب وتقليد القادة الأخيار، أما تاج محمد فقد عرف بجرأته النادرة وشجاعته الفريدة:

أسد دم الأسد الهزبر خضابه   موت فريص الموت منه ترعد

لقد حدثوني عن شجاعته وهو يسمع، قالوا: حاصره الأعداء وهو في بئر مع مجموعة من مجاهديه، وأخذ الأعداء يطلقون عليه القنابل من باب البئر وهو يصيح بهم من الداخل استسلموا خير لكم.

وعندما مرّ بهم الأخ عبد الله أنس وأبو هاجر سمع أعداء الله بهما من المركز القريب على مرمى الرشاش والكلاشنكوف، فأخذوا يرمونهما بشتى أنواع الرصاص، فأخذ تاج محمد مكبر الصوت وخرج وصاح بهم: إما أن تكفوا أو أهجم الآن عليكم، فخرس الرصاص فوراً.

ولنرجع إلى فوزي، لقد كان مع ثلاثة من إخوانه يتعلمون الرماية على قاذفة القنابل التي غنموها من العدو (نارنجاك)، فرماهم العدو بقذيفة فانفجرت، فأصابت لبة (نحر) فوزي شظية فقطعت شريان العنق، وبدأت الدماء تتدفق، فأقبل بشير وأخذ إبرته وخاط مكان الجرح، فقال فوزي لبشير الجزائري وهو يعالجه يبدو أن شعوباً (المنية) قد أقبلت، ولكن الله نجاه وعاد للجهاد.

جـ- ولم تخطئه الثالثة: في اليوم السادس والعشرين من إبريل (١٩٧٩م) ذكرى الإنقلاب الشيوعي وبدأ الشيوعيون يحاولون الاحتفال، وقد قدموا الاحتفال يوماً عن الذكرى خوفاً من ضربات المجاهدين، فجاءت سبع عشرة دبابة نحو مركز ملا تاج محمد، فلبس فوزي لامته وأخذ عدته ثم هجم مع القائد عليها، فحطموا ثلاثة وأصابتهم شظايا قنبلة، فجرح تاج محمد واستشهد فوزي لتوه،

ودفن بعد أن دفن الكثيرون قلوبهم في لحده، وأصبح فوزي حديث الساحة ونشيد سامر المنطقة، فنرجو الله أن يجمعنا جميعاً به في الفردوس الأعلى.

الشهيد فوزي بن علي الجزائري [1] :

في هذه الأونة التي أكتب فيها هذه الكلمات وأنا أكاد أطير فرحاً بنبأ استشهاد أخينا (أبو أحمد) فوزي بن علي الجزائري، لقد أثلج صدورنا كثيراً، وكم كانت فرحتنا تزداد عندما أبلغنا والده بالخبر ولم نستطع أن نملك أنفسنا وكان يوقرنا ويسترجع الله سبحانه وتعالى.

وكم رفع من معنوياتنا رغم بعض التحفظات الأمنية خصوصاً عندما أصبح والد الشهيد يتبسم في وجوه معزيه بعد يومين من الخبر وهو أسف شديد الأسف عن عدم تبسمه خلال اليومين الأولين، وهو يسأل الله المغفرة على تلك الغفلة التي صدرت منه، كما كان يردد لمن عزاه (ابني شهيد أحسبه عند الله، ولا أزكي على الله أحداً) أما من قال له أبشر قد فاز فوزي يدعو بقوله (اللهم ألحقني به مع الصالحين والشهداء ومن سلك نهجهم إلى يوم الدين) اللهم آمين.

أقول وبالله التوفيق، فاز -إن شاء الله- أبو أحمد نحسبه شهيداً عند الله، وما عهدنا عليه إلا الصدق، وهو الشاب المسلم، صاحب العقيدة السليمة والخلق المتين والفكر المثقف، يميل منذ صباه إلى الجد، ناجح في دراسته، ملتزم في سلوكه، خريج المسجد قبل الجامعة بحلقات العلم ومدارسته.

كان صريحاً يمتاز بالذكاء والصراحة سواء مع الأهل أو الأصدقاء. ندعو الله لكم بالنصر المؤزر وإقامة حكم الإسلام على أرض أفغانستان المسلمة ونسأل الله أن نكون من بين السبعين الذين يشفع بهم الشهيد.

أبو صهيب – الوادي/الجزائر

أهل (الوادي) يكتبون للمجاهدين تفاعلاً مع استشهاد أبي أحمد الجزائري [2]

بسم الله الرحمن الرحيم

من أفغانستان إلى القدس:

الحمد لله رب العالمين، خص بالحياة الشهداء من المجاهدين، ورفع مراتبهم في جنات النعيم، وشفعهم في سبعين من الأهلين، وجعل للشهيد في كل قلب أبيض بالإيمان محبة خاصة ولو كان ممن بعدت به الديار وانقطع دونه العمران من المجهولين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رغّب في الشهادة والاستشهاد والذود عن حياض المسلمين أين كانت، وأشهد أن المبعوث رحمة للعالمين نبي الله ورسوله، إمام الانبياء وقائد المجاهدين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أيها القادة الفضلاء أيها المجاهدون الأعزاء، أيها المتطوعون بالمال والدماء، نحن من ولاية الوادي إذ نقدر فيكم هذه الروح الجهادية العالية حق قدرها، ونلمس منكم بعثاً لعزة الأمة الإسلامية التي طال نومها، فبلغ بالذين أذهبوا أنفسهم عليها حسرات درجة اليأس **(حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا)** فأنتم غيث هذه الأمة المرتقب، وسلاح من ظن أنه أحيط به، وسفينة النجاة من شبح الغرق المحدق. إخواننا على أرض الجماجم والأشلاء والدمار نزف إليكم من ولاية الوادي عامة وأسرة الشهيد أبي أحمد(فوزي بن عبد الرحمن بن علي) خاصة نزف اليكم تحية الإسلام، ونقول لكم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله من رجال أعادوا لهذه الأمة عزتها وأذهبوا عنها ذلتها وكربتها، ومسحوا عن جبينها العار الذي لحقها، وبيضوا بعد الاسوداد وجهها، وكذّب الله على أيديهم مزاعم الشيطان وأتباعه من أن الدولة الحمراء لا تهزم، فهزمت على الأيدي الشاحبة، والبطون الضامرة، والأقدام الحافية، بالأسلحة القليلة وبالإيمان الذي في قلوبهم أرسى من الجبال وأثبت، فنصركم الله عليهم، وعض الحاقدون على الأنامل من الغيظ، وظنوا أنهم مع الفئران قد أحيط بهم، وصدق الله العظيم إذ يقول: **(وإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم)** فهذا الذي حدث نحمده سبحانه وتعالى على ذلك. إخواننا على أرض الجهاد المبارك في أفغانستان لكم هز استشهاد ابننا البار (فوزي بن علي) ولاية الوادي بأسرها، ولكم أحدثت هذه الشهادة من تغيير في النفوس، وتعاطف قوي من عامة الناس، الاباعد والاقارب، ولكم اكتشف القائمون على أمر الدعوة من جهل الناس بالقضية، بل بقضية الجهاد والاستشهاد، ولكم عرف العوام أفغانستان المجاهدة من وراء شهادة أخينا فوزي،

---

(1) مجلة الجهاد العدد ٥٧، ذي الحجة ١٤٠٩هـ يوليو ١٩٨٩م ص٤٦.
(2) مجلة الجهاد العدد ٥٨ محرم ١٤١٠هـ أغسطس ١٩٨٩م.

حتى أن من العجائز من تعجبت من الجهاد والشهادة، وقالت فيما مفهومه لقد خرجت فرنسا من الجزائر وانتهى الجهاد، ولكم أذعن لهذه البشرى الجليلة المرجفون بالدعوة في المدينة وغيرها، ولكم شوقت شهادة أخينا فوزي كثيراً ممن سمع به فأحب الشهادة حتى لكأنني رأيت جماهير الشباب كلها تمنت لو كانت فوزي، وتذكرت قصيدة شاعر الجهاد في الجزائر مفدي زكرياء في أول شهيد جزائري في بداية الثورة الجزائرية (١٩٥٤م) أحمد زابانا، فبعد أن حكم عليه العدو بالإعدام، قال فيه وفي إخوانه قصيدة طويلة منها هذان البيتان:

يا زبانا ويارفاق زبانـــــا — عشتم للوجود دهراً مديدا

كل من في الارض أضحى زبانا — وتمنى أن يموت شهيـــدا

أيها القائمون على أرض الجهاد والاستشهاد، لكم لاحظنا من صبر أعطاه الله لهذه العائلة المشرفة، فغصص البكاء تخنقنا، والدموع تنهمر من أعيننا، وعبد الرحمن أبو الشهيد يربتنا، وبالكلام يشجعنا على الصبر والثبات، كل ذلك من فضل ربي إن فضله كان علينا كبيرا.

أيها القائمون على أرض الجهاد والاستشهاد لا يسعنا إلا أن نبلغ لكم السلام جميعا، ونقول لكم إنكم ما رميتم إذ رميتم ولكن الله رمى، واعلموا أنه ما حالفكم النصر إلا بقدر ما كان هواكم تبعا لما جاء به الرسول ﷺ، فعضوا على ذلك بالنواجذ، ولو لم يعترف بكم أهل الارض جميعاً، ولو عاداكم أهل الأرض جميعاً، ولو أن تعضوا على أصل الشجر والحجر وأعقاب البنادق حتى يدرككم الموت وأنتم على ذلك.

وأخيراً نسأل الله لكم النصر المؤزر المعجل لإقامة خلافة الله في الأرض التي طالما تحطمت النفوس في غيبتها، ونسأله جل وعلا أن ينصر إخواننا المجاهدين في فلسطين وأفغانستان وفي كل مكان يذكر فيه اسم الله، ونستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أهل الوادي – الجزائر

الشهيد عبد القادر (عز الدين بلحواجب)[1]:

هكذا يمضي الخبر أحياناً دون أن تعلم تفصيلاته، جاء الخبر أن طائرة روسية قد ألقت قنبلة على خيمة فقتل فيها اثنا عشر عربياً، فكم من قمم هدمت، وكم من أمل كبير طعنت؟ هذا لا يعلمه إلا الله الذي يخلق ما يشاء ويختار، والحق أن الفقدان والخسارة في ميزان البشر، أما رب العزة الذي فطر هذه النفوس فهو الذي يدبر الأمر ويقدر ويعلم أين الخير، فأحياناً يكون القتل خير كبير للأمة:

ففي القتلى لأجيال حياة — وفي الأسرى فدى لهم وعتق

وللحرية الحمراء بـــاب — بكل يد مضرجة تـــــدق

مضت القذيفة بأرواح هؤلاء إلى الله، ونرجو الله أن يكون ربها قد تقبلها ووصلت إلى حواصل طيور خضر في الجنة تسرح حيث تشاء، ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش.

ومن بين هؤلاء الوافدين على الله عبد القادر، ابن الجلفة (البلدة الجزائرية) التي شرفت باحتضانه، وحظيت تربتها بأقدامه، وطاب نسمها بأنفاسه، ولقد استبشرت وهادها بقدومه إلى هذا العالم سنة (١٩٦٥م)، وحلت الأفراح على بيته خاصة وهو أول ضيف ينجبه رحم أمه على هذا البيت، وهذه البلدة (الجلفة) في قمة جبال الجزائر (الهضاب العليا الغربية).

نشأته: تعرف على الإسلام من خلال الدعوة الإسلامية، وأقبل بنهم كبير يلتهم الكتب الفكرية الإسلامية، فاطلع على عظمة هذا الدين وجدارته بقيادة الحياة، وأحقيته بالهيمنة على حياة الناس، فبدأ يعمل لهذا الدين ومن أجل هذه العناية، ثم وجد أن الطريق الحقيقي الجاد لإعادة دين الله إلى الحياة هو الجهاد، فهو أقصر طريق وأقوم جادة، وقد ترامى إلى مسامعه أخبار الجهاد الذي شرّف الله به الأمة الإسلامية ورفع هامتها وأعلى جبهتها، فقرر أن ينتقل من ذروة الجزائر إلى ذروة سنام الإسلام.

ولكن هنالك عوائق كثيرة وعلى رأسها الدراسة الجامعية في كلية الزراعة في جامعة (تيارت)، فلقد أنهى السنة الثالثة بنجاح

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٨ محرم ١٤١٠هـ أغسطس ١٩٨٩م، ص ٣١

سنة التخرج ونيل الشهادة ودخول السلك الحكومي، ولكن هنالك شهادة أخرى تنتظره تدخله جنة عرضها السموات والأرض، واختار الآجلة على العاجلة، ويمم شطر أفغانستان.

مناقبه: كان شاباً متزناً، قليل الكلام، دائم الفكرة، غزير العبرة، وقوراً صامتاً، حتى قال له أحد إخوانه أثناء السفر لقد فقدت حقيبتك يا عبد القادر، فرد باطمئنان أراحني الله منها.

وصل إلى معسكر التدريب في صدا، ثم توجه نحو خوست، لقد كان حادي الأرواح يهتف في أعماقه: بلاد الأفراح بلاد الأفراح.

وأخيراً وصل إلى جلال آباد حيث تمتد براثن الموت لتختطف النماذج والأفذاذ، وجاءت القذيفة التي نقلته مع إخوانه إلى رب العالمين.

أثر استشهاده في نفوس أنداده وأقرانه: لقد أثرت شهادته في نفوس إخوانه ممن عرفه من قبل.

يقول مرزوق: (لقد كنت وإياه نتنافس في القدوم إلى أرض الجهاد، وذات يوم وإذا بأحد الموسرين يسرّ في أذني أنه على استعداد لتجهيز أربعة غزاة، فأعلنتها في جلسة، وإذا بعبد القادر يأتي ويهمس في أذني أنا أحدهم، وقطع تذكرة عن طريق ألمانيا، وأخيراً جاء الله بنا إلى أرض الجهاد وسبقنا عبد القادر إلى الله.

ويقول مرزوق: (لقد أمضيت معه أربع سنوات تغمرنا المحبة الإيمانية، وتهتز أعطافنا فرحاً بالأخوة الإسلامية).

وكنا كندماني جذامة برهة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكاً ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معـاً

وأهدى إليه إخوانه الذين صاحبوه الدراسة الجامعية (مرزوق ومنصور وعلال وأبوالصديق) هذه الأبيات قائلين: (نهدي هذه الأبيات كما نهديها إلى والديه راجين أن يستبشرا بهذا الفوز العظيم عند رب العالمين):

فالجراحات تملأ الأرض عطراً ... فاخجلي من أريجها يا أزاهر

يا دماء الشهيد أنت عبيـري ... وقصيدي ونشوتي والمشـاعر

كل عهد عن الجهاد تعامـى ... هو في منطق الأخوة خاسر

وكتبوا أبياتاً أخرى يزفونها بشرى إلى روحه:

فإذا هوى منهم شهيد هللت حور الحســان

يلقينه بالراح والريحان في غرف الجنان

ويقولون: ولقد عاهده إخوانه الذين أتوا معه أنهم سوف يواصلون الطريق حتى يكرمهم الله بإحدى الحسنيين:

أبطالنا الذين صاغوا الفجر بالدماء

إنا على طريقهم نجدد الولاء

لنصرة الإسلام لدعوة الإسلام لدولة الإسلام

الشهيد أبو الخير اليماني (مرشد حمادي محمد مقبل)[1]:

على الورقة التي تضمخت بدمه أثناء الشهادة وجدنا هذه الأبيات:

ومهاجر في الله ودع قومـه ... لم يلتفت يوم الفراق وراء

ألقى ثقال الأرض عن أكتافه ... ورمى الهوى لما أراد سماء

ومضى كأن الأرض لم يولـد بها ... يوماً ولم يعرف له رفقـاء

تتزاحم الدمعات خلف جفونه ... فيردهن تصبراً وإبـاء

(١) المصدر السابق ٣٢.

مستجمعاً أسراره في صدره أطّ الفؤاد لثقلهن ونـــاء
لولا اليقين لما أطـاق بقاءها بين الضلوع ولا أطقن بقاء

هذه الورقة التي عبقت عطراً بدمائه كما يشهد بذلك صاحبه أبو البراء القرشي الذي رافقه آخر رحلة قبل أن يمضي إلى الله، ولقد كان في آخر اللحظات يمسك بيد أبي البراء وينظر إليه مودعاً، فلقد كانت بينهما مودة عميقة ومحبة وثيقة.

أقول: يشهد أبو البراء القرشي وأبوعمرو الحبشي أنهما تنسما من دمه عطراً عبقاً وشذى قوياً طيباً.

نشأته: منذ صغره فقد أباه، فاضطر أن يخرج إلى السعودية بحثاً عن مصدر رزق له ولأمه، فودع بلده (إب/تعز) وتوجه نحو السعودية، وأخيراً وجد أن الحياة لا طعم لها ولا معنى إذا كانت غايتها عمل من أجل البطن والفرج (الزواج)، فلا عذر للنفس بالقعود وقد رفعت راية الجهاد من جاجي إلى نهر جيحون، فأي حجة يقدمها بين يدي رب العالمين بالتقاعس عن النفير في سبيل الله.

وجاءت الساعة التي اختارها الله له ليدع الأرض التي يحس أن حياته فيها سبهللا لا ترتفع عن الطعام والشراب واللباس، ويقبل إلى الأرض كل دقيقة فيها حياة جديدة، نومها عبادة، وروث حصانه وبوله حسنات في ميزانه يوم القيامة، وأقبل على الله بكليته وأعصابه وقلبه ونفسه.

الرؤى والإرهاصات: إن كير الجهاد يذهب غشاوات القلوب وغبش النفوس وكدرها وغواشي الروح ووضرها، فتصقل النفوس، وتصفو القلوب، وتشف الأرواح، وترفرف بأجنحتها وأشواقها.

أخلاق مرشد وتصرفاته كانت أخلاق مودع، كلماته وحبه لإخوانه، فإذا خاطب أحد إخوانه افتتح كلامه بعبارة ودودة (يا أخي الحبيب)، وإذا أحس أن كلمة واحدة كانت ثقيلة على نفس أخيه أقبل إليه معتذراً متأسفاً، يؤثر إخوانه على نفسه، وتضفي التجربة على كلامه حكمة واتزاناً، كان عذب الحديث، حلو الابتسامة، رقيق العبارة، فلا تراه بين إخوانه إلا مبتسماً.

تراه إذا ما زرته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائلـــه

وكان يترقب الشهادة ويعد لها عدتها، والنفوس عندما تقبل على الله يقبل عليها، وإذا أحبت لقاء الله أحب الله لقاءها، وإذا اصطفى الله عبداً ألهمه العمل الذي يكون تقدمة لقدومه على الله.

كان رقيق الصوت بالقرآن، يحاول أن يقلد الأخ الحبيب أبا هاجر أو الشيخ عمر عبد الرحمن، فكان صوته يرقق القلوب، وكان الأمير يقدمه للصلاة خاصة التراويح.

من كلماته: يقول أبو عمرو اليماني: سمعته يقول: قال الله عز وجل **(فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى)**، فكيف سميت نفسي أبا الخير؟ فقال أبو عمرو: لعله على سبيل التيمن.

من رؤاه: رأى ذات مرة في المنام حدائق جميلة وفي داخلها نساء ذوات جمال رائع قلّ نظيره، فقال الأخ السامع في نفسه: لعلها ارهاصات الشهادة.

مبشرات يوم الشهادة: يقول أبو عبيدة اليماني: لقد خرجت معه صبيحة اليوم الذي استشهد فيه، وفجأة استوقفني قائلاً إني أشم رائحة الجنة فهل تشمها يا أخي؟ فقلت: لا أشم شيئاً، فقال أبوالخير: أما أنا فأشمها.

ويقول أبوالبراء القرشي: خرجت مع مرشد (أبي الخير) يوم الشهادة إلى شلال قريب، فذهب إلى الشلال ومكث طويلاً وهو يغتسل، فعندما عاد قلت له يا أخي لقد أبطأت علينا، فقال: أريد أن ألقى الله والحور العين وأنا نظيف.

ويقول أبو أحمد السعودي: في الليلة التي سبقت شهادته (ليلة العشرين من رمضان) بقي حارساً ست ساعات وملء الليل تكبير وقرآن ولم يذق طعم النوم:

على الهضبات فرسان وعند الحور تحنان
وملء الليل قـــرآن إذا هتفـوا به لانوا
فدمع العين رقراق

وهبت ريح الجنة: وفي ذلك اليوم قامت معركة بين المجاهدين والكفار في (لجا)، وأخذ أبوالخير دورة على السلاح الثقيل (الدوشكا)، وكان معه عبد الكريم الأفغاني، فأراد عبد الكريم بعد العصر أن ينصرف، فقال أبو الخير: مهلاً يا أخا الإسلام لعل أحدنا ينال شهادته ويمضي إلى الله، ولم تمض على الكلمات سوى دقائق معدودات وإذا بقذيفة هاون، فأصابته إحدى شظاياها، وكان المنظار بيده يرقب مواقع الرصاص من العدو، فألقى المنظار جانباً ثم جلس جلوسه للتشهد، ورفع يديه نحو السماء مبتهلاً مخبتاً أن يتقبله الله، واختفى صوته تدريجياً إذ أن دمه كان يتدفق بغزارة وبقي على هيئة التشهد حتى أقبل الخل الوفي (أبو البراء القرشي) بسرير لينقله عليه، ووضعه عليه والدم يتدفق، والعطر يعبق شذاه في الأنوف، ويضوع (ينتشر) بعرفه فيطيب له الجو.

وبقيت المسبحة تشير إلى السماء بالوحدانية، وأراد أن يودع أبا البراء الوداع الأخير فأخذ بيده وصار يودعه بنظراته كأن لسان حاله يقول: سفر طويل فأريد أن أمتع نظري منك حتى نلتقي عند الله.

ووصل المستشفى في ميرانشاه وكانت روحه قد أفضت إلى خالقها، ودفن حيث أوصى فقد أوصى، أن يدفن حيث يقتل، وأن لا يعلى قبره ورأيت وصيته على الورقة التي تعطرت بدمه: (أوصي أن لا تنشر صورتي في المجلة، وعمامتي وبدلتي السوداء لأبي دجانة اليمني).

من وصيته: وقد سطر وصيته في الحادي والعشرين من شعبان سنة (١٤٠٩هـ) قبل شهادته بشهر تماماً، ومما جاء فيها: (إخوة الإيمان والإسلام، أحبتي في الله: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: أكتب هذه الوصية عسى الله أن يكرمني بالشهادة في سبيله، وأوصيكم إخوتي في الله بتقوى الله تعالى والإخلاص في كل عمل تفعلونه، ومواصلة هذه الفريضة العظيمة التي كتب الله فيها عزنا ومجدنا فإن تركناها كتب علينا الذل والمهانة كما أشار إلى ذلك الحبيب المصطفى ﷺ في قوله: (**ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا**) وهذا ما أصاب الأمة الإسلامية في هذا الزمان، ولعل الله أراد بها الخير أن هيأ لأول شرارة من الجهاد أن تشعل في أرض أفغانستان. فادعو الله تعالى أن لا تنطفئ هذه الشعلة بعد إشعالها بدماء إخوة أفاضل، والأمل فيكم كبير إن شاء الله تعالى).

وهكذا رقد هذا الليث في جدثه على مقربة من المستشفى في ميرانشاه ليلة الحادي والعشرين من رمضان، ولعلها أول ليلة استراح فيها بعد مسيرة مريرة طويلة ملؤها الشوق والشوك والغصص والعذاب والحلاوة والاستعذاب، ومضى إلى الله بعد أن علمنا الكثير الكثير، ونرجو الله عز وجل أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى ذلك الفوز الكبير.

الشهيد أبو الليث السوداني (الصادق الهادي عبد الله)[1]:

من بلدة نيالة في السودان، كان يدرس الزراعة في ليبيا، وقطع دراسته في السنة الثانية وتوجه إلى بيشاور ليلتحق بصفوف المجاهدين:

نماذج أحيت في النفوس معانيا   تزف إليها الحور أغلى التهانيا

نسمع قصصهم فتحيا بها قلوبنا، ونعيش معهم ونخالطهم فنشعر أننا مع صنف جديد من البشر اصطفاهم الله ليجددوا دينه ولإحياء شريعته، وتعيد إلينا صورة ذلك الجيل الفريد الذي يعبر عنه أنس رضي الله عنه قائلاً للتابعين :(إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الكبائر).

وتذكرنا حساسيتهم ومحاسبتهم لنفوسهم بقصة سيدنا علي رضي الله عنه عندما جثم على صدر أحد الكفار لقتله، فبصق الكافر في وجهه، فقام عنه سيدنا علي وتركه، فعندما سئل عليٌ عن سرّ تركه قال: (كنت أريد أن أذبحه ونيتي خالصة لوجه الله، فخشيت إن قتلته الآن أن يكون للنفس حظ).

كتب عنه أبو النور قائلاً: لقد أقبل أبو الليث إلى الجهاد قبل ستة أشهر وتدرب، وكان أبرز مناقبه:

١- كثرة النوافل والطاعات.

٢- التحري الشديد بشؤون الحلال والحرام.

---

(١) المصدر السابق ص ٣٤.

٣- الدماثة في الخلق والأدب في المعاملة، والمودة العميقة التي يحس بها نحو إخوانه.

٤- الاهتمام الشديد بإخوانه.

أبو يحيى المقدسي قدمه لنا فقال: كان أبو الليث رحمه الله تعالى من أهل القرآن والعبادة والذكر، دائما يتلو القرآن أو يسبح، يذكرك منظره بالصحابة الكرام، قمة في التواضع ودماثة الخلق، ترى النور في وجهه الأسمر المليح، إذا عاملته في الجبهة أحببته، وتشعر بالإخلاص في كلامه، والتفاني في حبه لإخوانه وخدمته لهم وحرصه على نصحهم بالحسنى، دائماً يغتنم المجلس ليذكر إخوانه فينفعهم أو ينتفع بهم.

عرفناه في الجبهات المتقدمة في خوست عند القائد عبد المنان يسأل كثيراً عن فلسطين وطريق الوصول لها. جاء إلى بيشاور وكان يستعد للسفر إلى كابل، وودعناه ليذهب إلى تهرين مع الإخوة الماليزيين.

الأفق الرفيع الذي احتله: لقد كان أبو الليث يعيش في قمة سامقة بخلقه وسلوكه، وليس أدل على ذلك من الرسالة التي سطرها إلى أبي يحيى في (١٧) شعبان (قبل شهادته بشهر تماماً).

(الأخ الفاضل أبا يحيى حفظه الله: تحية من عند الله مباركة طيبة، كما يود قلب أخ فارقكم وفي نفسه شيء من (حتى)، وكان يومياً يفكر في أن يصلح ما حدث (وكلف يمني نفسه) حتى استعد للسفر، وهكذا حتى غادرت الديار، تحية تلبس ثوب السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أخي.. كان أول لقاء لقاء تلك الخيمة التي تشكو النسيان في خوست، ثم سرنا سوياً إلى بيشاور، وفي الطريق تعرفت على ثلاثة إخوة لعب الجهاد بقلوبهم، فأحببت أن يكون لي إخوة كذلك، ثم في بيشاور التقينا مرات كان آخرها في مسجد سبع الليل. ولعل السؤال المهم الآن: ما الفائدة من كل ذلك؟ إني كإنسان تغمرني الذنوب إلى رأسي، أتصرف تصرفات كثيرة لا معنى لها.. قبلاً لم أكن أهتم لذلك، ولكن الآن بعد أن نسيت عقلي فيجب أن أفكر قبل كل شيء أفعله وبعد كل شيء فعلته. أخي أحسب بأن علاقتي بك تسوء أحياناً، ولعلي أكون سبباً في ذلك، فأرجو منك مسامحة تغفر لي خطاياي التي ارتكبتها في حقك، ليت ذلك يحدو بك تدعو لي في خلواتك بالتوفيق، وكل ذلك خشية أن أقف يوماً أمام الله فيسألني عن حق عبد مجاهد لما أضعته، وقد بين لنا في كتابه أن الذلة هي ما يصلح لمعاملة المسلمين فيما بينهم، بينما العزة هي ما يصلح للكافرين، أخي قد يكون الموضوع عندك تافه لا يحتاج إلى ذكر ولكن عندي قد يكون ذا أهمية لأني صاحب الإثم وأنت صاحب الحق.

أخي دعاؤك في الصلوات وعسى تلتقي في مقعد صدق عند مليك مقتدر، سلامي للأفاضل عبد الرحيم وعلي وكل من يخدم الجهاد عن طريق مكتبكم، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب).

استشهاده: وجاءت الفترة التي يقضي فيها وطره، ويشبع لبانته، فما أن أوفى مدة تدريبه حتى توجه إلى كابل مع قافلة حطت رحالها على الطريق بين جلال أباد وكابل لقطع الإمدادات عن جلال أباد، وعسكروا مقابل المراكز الشيوعية التي تحمي الطريق لمرور القوافل، وكانت الأحزاب الجهادية تتناوب قطع الطريق، فجاءت نوبته مع حزب يونس خالص، ثم انتهت الفترة وجاءت النوبة الأخرى، فندبه القائد أن يرحل معه، فسأل القائد: منذ كم وأنت في الجهاد؟ فأجاب قائد يونس خالص: منذ عشر سنوات، فقال أبو الليث: أما أنا فلم يمض عليّ سوى بضعة أشهر معظمها في مركز التدريب، فدعني أشبع نهمي فتركه، وفي اليوم الموعود وفي ذكرى بدر (في السابع عشر من رمضان) كان الهجوم على معسكر شيوعي ظهراً، وأبو الليث صائم فرفع رأسه من خندقه وأخذ يرشق الأعداء بوابل رصاصه، فاقتبلت الرصاصة التي أصابته في جبينه، ووقع أبوالليث ودمه يتدفق بشدة، وأفاضت روحه إلى بارئها، فحمله إخوانه من الخندق ودفنوه في أحد الجبال المحيطة بكابل، وهناك ثوى الليث أبوالليث ولم تفارقه الابتسامة التي كانت محل دهشة الجميع وإعجابهم الذين تعلقوا به حباً وإعجاباً في الدنيا، ولعلهم يتعلقون به شفاعة يوم القيامة إذا تقبل الله الجميع في الصالحين. نسأله المغفرة والفردوس لنا ولهم أجمعين.

الشهيد عبد السلام (عبد الرحمن هادي اليماني اليافعي)[١]:

وهكذا دأب أعداء الله -عز وجل- لا يدعون مكاناً إلا وقد أحالوه قفراً بلقعاً، ولا يخرجون من قطر أو بلدة إلا وقد ركزوا

(١) المصدر السابق ص ٢٥.

صنائعهم أو من يحافظ على حظهم المعن في الإفساد وإهلاك الحرث والنسل، فلم تدع بريطانيا (عدن) إلا وقد ضمنت أن تواصل الطغمة الشيوعية مسيرتها في اجتيال الشعب اليماني الكريم عن جادة الحق، وتحويله إلى مجموعات من الطفيليات تنتظر المعونة الروسية في آخر كل شهر لتوزع على عملاء الإفساد والتخريب، بحيث تضمن هذه الطغمة توفير القات طيلة الشهر، ومع مضغ القات يجترون كلمات لينين وماركس يعيدون فيها ويبدئون ليطمئنوا السادة في موسكو أنهم على الطريق.

وكذلك ما تركت أمريكا (بانكوك) إلا وقد أصبحت بؤرة عفنة للجنس تقضي فيها قطعان السوائم من الشعوب وطرها، بين المخدرات والجنس (الوطر: الحاجة).

وينبت عبد السلام في هذا الجو الذي يسمى فيه عبد الفتاح إسماعيل إلهاً (إذ كتبت الصحف عنه يوم أن قتل: نحن لا نؤبن عبد الفتاح لأن الآلهة لا تؤبن)، ولعله مثل آلهة اليونان التي تتسلى كما تقول أساطيرهم بتعذيب الإنسان وتحطيمه، وليست (أسطورة بروميثوس حامي النار المقدسة) ببعيدة، إذ أن إله العلم قد عاقب الإنسان الذي اقترب ليسرق النار المقدسة ويعرف الحقيقة بأن ألقته في واد سحيق تنهشه الطيور طيلة النهار، وفي الليل يعيد الإله لحمه، وجوبيتر كبير الآلهة يرقب الأمر ولكنه مشغول بعشيقته على عرش الأوليمب.

وليس ببعيد أن يسمى عبد الفتاح إلهاً فقد سمّي ميشيل عفلق من قبل إلهاً، وكتبت مجلة حزب البعث العراقية لدى استقباله عند دخول بغداد (الإله العائد)، وقال شاعرهم:

يا سيدي وإلهي ومعبدي حسبي ألمُ فتاتكم حسبي

وليس هذا بعجيب إذ كان على غرار التأليه الذي سارت عليه روما: إذ ألهت فينوس الزانية وباخوس السكير، وافروديت التي خادنت ثلاثة آلهة فولدت منهم ولداً سمته كيوبيد، فأضحت فينوس عند الرومان آلهة الجمال، وباخوس إله الخمر، وأفروديت آلهة الحب، وابنها كيوبيد إله الحب.

وشب عبد السلام ليواجه صعوبات الحياة، وقد ألقي على كاهله إعالة أمه، إذ أن أباه كان قد أفضى إلى ربه شهيداً على يدي الإنجليز لأنه كان يقف قمة شماء أمام الإنجليزي الذي لا يشبع مطامعه شيء.

والحمد لله الذي أذل بريطانيا وأخزاها ودمرها في عقر دارها، إذ أن القصور التي بناها الضباط الإنجليز على ضفاف التايمز في لندن من دماء الشعوب وعرقها لا يجدون بين أيديهم الآن نفقات صيانتها، فصاروا يتخلصون منها بالبيع للقادمين من دول البترول.

لقد تربى عبد السلام في حياة كلها كد وشظف، إذ أنه ما كان يأكل رغيفه إلا ممزوجاً بعرق جبين أمه التي صبرت على أيتامها حتى شبوا.

وتوجه عبد السلام إلى السعودية مع صديقه عبد القوي الجعدي، وألقوا عصا التسيار في نهاية المطاف في المدينة المنورة، وأخذ عبد السلام يتردد على الحرم النبوي في أوقات الفراغ حيث يتلقى دروس التلاوة والتجويد على يد الشيخ عباس حتى أتقن التلاوة، وأخيراً تناهى إلى مسامعه قصص البطولات النادرة فوق جبال الهندوكوش، وأخذت فكرة النفير إلى الجهاد شغله الذي يغص اللقمة في حلقه، وأخذ يتباحث مع أخيه عبد القوي حول التوجه إلى مصانع الرجولة والإباء، وأخيراً طلقا دنيا العمل في المدينة وتوجها إلى أفغانستان، وابتدأ التدريب، ثم شاركا في فتوحات (تشاوني) قبل عام تقريباً في عيد الفطر سنة (١٤٠٨ هـ) ومكثا أربعة أشهر.

العودة إلى المدينة المنورة: ولقد كانت الخواطر التي تشغل مخيلتهم في أفغانستان هي كيفية استنهاض همم بني قومهم ليروا بأم أعينهم هزيمة الدب الروسي مثخناً بجراحه، بعد أن مرغت كرامته ومزقت هيبته، فكان القرار أن يرجعا إلى المدينة من أجل نقل الصورة المشرقة عن الجهاد الأفغاني لبني جلدتهم.

وفي المدينة المنورة: أخذ عبد السلام وصاحبه يتصل باليمانيين الجنوبيين من أبناء منطقته ويشرح لهم حقيقة الأمر، وأن الشيوعية لا تعدو أن تكون نسيج عنكبوت قد مزقته عواصف الجهاد الأفغاني، وجند الشيوعية كالقطط والثعالب ولت هلعاً وخوفاً أمام زئير الأسود.

وإذا بعاصفة هوجاء من الاستغراب والنقد اللاذع تواجههم، بل جابههم بعض الببغاوات اليمانية قائلة: أنتم عملاء للإمبريالية،

يرددون نفس الشعارات الشيوعية التي سمعوها من الإذاعة الشيوعية، وقال آخرون: أنتم مجانين.

قال عبد القوي: فوجدنا أنفسنا في واد وقومنا في واد، فعدنا أدراجنا إلى أفغانستان.

الإعداد الكامل: قال عبد القوي: وهنا قررنا أن نستقر في معسكر التدريب حتى نعد أنفسنا جيداً لنواجه أعداء الله على أرض أفغانستان، وفي عدن أبين، فمكثنا سبعة أشهر، ثم تقدمنا إلى جلال اباد حيث تمتزج البطولة بالدماء وبالحديد. وعسكرنا مع إخواننا العرب في خط النار الأول وتحت مرمى المدفعية ومقابل اللواء (٨١) الذي يحمي جلال اباد.

الشهادة: وفي العاشر من رمضان سنة (١٤٠٩هـ) جاءت القنبلة التي تحمل بين طيات شظاياها الحمام، وأصابت رأس عبد السلام شظية، وخرج قسم من دماغه مع الدماء المتدفقة، وأقبل عليه عبد القوي، فبدأ يودعه بنظراته الظامئة، وكأن هذه النظرات توحي لعبد القوي إيحاءً عميقاً، وتأخذ عليه عهداً وثيقاً، كأنها تقول لعبد القوي قل لقومي من بعدي: هذا هو الطريق، كأنها تقول: إن طريق المجد مفروش بالأشلاء مروي بالدماء.

تقول:

من اقتضى بسوى الهندي حاجته ... أجاب كل سؤال عن هل بلم

تقول:

إن ألفي قذيفة من كلام ... لا تساوي قذيفة من حديد

وتقول:

شعب دعائمه الجماجم والدم ... تتحطم الدنيا ولا يتحطم

وتقول: إن الذين يحلمون بالعودة إلى عدن عن غير هذا الطريق إنما هم قوم غارقون في بحر من الأوهام، وأما عبد القوي فكان لسان حاله يرد على هذه النظرات قائلاً:

يا شهيداً أرقته جنة الخلد العليـــــــة
طبت حياً طبت ميتاً صرت رمزاً للقضية

وهكذا مضى عبد السلام وأخذ معه قلب عبد القوي، مضى وهو في ريعان الشباب في سن السابعة والعشرين، وسيبقى معلماً بارزاً في اليمن خاصة للسالكين على الطريق، الجادين في السير إلى الله، فنرجو الله أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى آمين.

الشهيد عبد الرحمن الهندي[1]:

في جلسة ضمت لفيفاً من الإخوة وعلى رأسهم الشيخ تميم كان مدار الحديث أثر الجهاد الإسلامي في أفغانستان على الشعوب الإسلامية، ومدى تفاعلها معه، وتفاعله فيها، وإذا بالشيخ تميم يفاجئني بخبر خرَّ على قلبي كالصاعقة، فقال الشيخ تميم لقد استشهد عبد الرحمن الهندي، فقلت له أو حقاً ما تقول؟ وتبينت الخبر ووثقت منه، قال نعم قلت له لقد زارني في بيتي في اليوم السابع والعشرين من رمضان مساءً وأفطر مع أخوين له في بيتي فقال لقد استشهد في خوست في اليوم الرابع من شوال وجاءني جُنده وأخبروني بالقضية، فحزنت لذلك كثيراً، وهكذا وخلال شهرين من الزمان ودعنا قائدين من قادة حركة الجهاد الإسلامي التي يقودها الشيخ (سيف الله أختر)، وقد مضى قبل قرابة شهرين ونيف خالد زبير القائد الأول للشيخ، وتسلم الراية بعده عبد الرحمن، وقد اكتسب دربة وحنكة خلال السنوات الثلاث الماضية.

تاريخه الجهادي: التقيت به لأول مرة في صدى مع خالد زبير، وبسبب اطلاعه الشرعي كان هو وخالد يستطيعان التكلم بالعربية ولو بمشقة، وكان قمة في الأدب والتواضع، وكنت أحس من خلال جلساته معي أنه يتفجر حيوية ويذوب حزناً على حال المسلمين، وكانوا على صلة وثيقة بي، ونحاول أن نحل بعض مشاكلهم وهو مع أخيه خالد يتقدمان الصفوف إذا استعرت الحرب وحمي الوطيس واحمر الحدق فأصيب ذات مرة بشظية في عينه، فحاولنا علاجه في باكستان، ولكن وقف الطب عاجزاً أمام علاجها، فرتب له الأخ أبو الحسن المدني جزاه الله خيراً العلاج في ألمانيا، وأرسلناه إلى ألمانيا، وعولج فيها ثم عاد يواصل الجهاد.

وقد ذكرنا أنه كان يتحرق على حال المسلمين في الهند في بنغلاديش لأنهم غائبون تماماً عن قضية الجهاد الأفغاني، وحرُض

(١) المصدر السابق ص ٣٧.

عبد الرحمن الشيخ تميم على الذهاب إلى بنغلاديش، ورتب له مع الشيخ عبد المعز عبد الستار جولة في بنغلاديش، وخصب الشيخ ن والجموع التي أقبلت كالبحر الهادر تبايع على الجهاد وتعاهد على الاستشهاد، عاد الشيخ تميم وملء جوانحه الأمل بأن المستقبل لهذا الدين، وتغمره السعادة لإقبال المسلمين على هذا الجهاد العظيم.

إلى خوست الأرغون: وكان معظم جهاد هؤلاء الإخوة في خوست من بكتيا والأرغون من بكتيكا، واشتركوا في فتح الأرغون، وكان لهم مع الإخوة العرب القدح المعلى وقصب السبق في الظفر المبين الذي تفضل به رب العالمين.

ولقد كان الأخ عبد الرحمن يجمع بين الشجاعة والوداعة، وبين العزة والتواضع، وبين الأدب والترفع، وعندما يأتيني ليتكلم معي يقدم لكل جملة: يا أستاذ يا أستاذ.

ويوم أن جرح خالد زبير وأدخل مستشفى خيبر كان عبد الرحمن قد جرح معه، ولكن الله اختار خالداً إلى جواره، أما عبد الرحمن فقد اتصل بي وهو جريح، فقلت له يا عبد الرحمن أنت تجرح ولا تستشهد، مرات والناس يسبقونك إلى الجنة من الجرح الأول؟ فقال: ماذا نصنع يا أستاذ؟

اللقاء الأخير: وقدر الله لعيني أن تكتحلا بوداعه ليلة الثامن والعشرين من رمضان وقد جاء يعرض عليّ مشاكلهم، فقال لي: نحن الآن في خوست والأورغون حوالي ثلاثمائة ونحتاج إلى طعام، فحسبت أن أقل ما يكفيهم مائة ألف روبية في الشهر، وطلب إليّ أن أؤمن لهم سيارة فقلت له: أما الطعام فهذا ضرورة لا مناص من تدبيرها، أما السيارة فلا نستطيع تأمينها لكم فدبروا أنفسكم بالمواصلات العامة، وكانت آخر نظرات حظيت بها منه، ومضى عبد الرحمن إلى الله، وأرجو الله أن يكون قد تقبله في الصالحين، وهكذا مضت القافلة من الهند إلى باكستان إلى بنغلاديش إلى أفغانستان، ونام المنام الطويل في جدثه في خوست:

فدت نفسي وما ملكت يميني فوارس صدقت فيهم ظنوني
فوارس لا يهابون المنايـــا إذا دارت رحى الحرب الزبون

رواد القوم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

لقد توقف القلم عن متابعة أخبار هؤلاء الأبرار، ولم يعد الوقت يسعفني لأعطي هؤلاء حقهم أو بعض ما يستحقون، قليل عليهم أن تكتب آثارهم بإطناب، ولا نوفيهم حقهم أن نقف على أبواب قصصهم سائلين، وعلى أعتاب سيرهم متتبعين، إنهم أحيوا في الأمة عزتها، وأعادوا للأجيال من السلف سيرتهم، وهزوا منام الراقدين الغافلين، وما كان يمكن أن ينتبه الذين في حياتهم الروتينية سادرين بدون دفع الثمن الثمين، وبدون بذل أقصى ما يستطيعه البشر، لأن القوم كأنهم في خمار، وأصاب مقتلهم اللهو كأنهم صبية أغرار، وأخذ برأسهم الدوار.

كل شاب قدم من جو لاهٍ مترف كان هزة عنيفة في أعماق بيته، وكل رب عائلة أزف إلى المعركة واقترب فكأنما نقل عائلته بكاملها إلى أرض اللهيب تحياها صباح مساء تتابع أخبارها، وتحيا أحداثها بأعصابها وأنفاسها اللاهثة، وقلوبها المتوفزة.

كنت ذات مرة في اجتماع فقالوا: لقد قرع جرس التليفون وهم يطلبونك لتجيب على مكالمة خارجية، وإذا بشاب مختلف مع أمه حول حكم الجهاد من الرياض، واحتكما إليّ لأفض النزاع بينهما، وكان محل النزاع حول استئذان الوالدين للنفير إلى الجهاد، وقلت لوالدته: ليس عليه استئذان لأنه لا استئذان في فروض الأعيان.

ثم قالت الوالدة: عندنا طفل مريض نأمل أن تدعو له. كان الشاب قد حضر من قبل إلى أرض الجهاد، ووالده يحتل منزلة رفيعة في وزارة الإعلام، وعندما أقبل الشاب على الله، واصطلى بنار الجبهة وتقلب بين أزيز الرصاص ودوي المدافع تبعه والده ليرى مصير ابنه، إذ اضطره ابنه أن يتعرف على القتال عن كثب، وكم من موسر ترك شركته أو مصانعه لأن ابنه كان قد سبقه إلى الخندق، واستطاع أن ينقل السعادة الغامرة التي أضفاها جو الجهاد على نفسه إلى قلب أبيه، مما جعله يتوق ليتذوق ما قد تذوقه ابنه من قبل. وكم من شهيد قد استشهد فامتشق أقاربه أسنتهم ومضوا على جادة الرائد الذي ما كذبهم، فأبو جهاد (أحمد أبو غوش) مضى إلى الله، وإذا بأخيه يتنضل حسامه ويمضي على طريق العزة والكرامة، وأبو قتيبة السوري يمضي إلى الله فيأتي والده وينزل إلى

جلال أباد. هي هي نفس الطريق التي سلكها سلفنا الصالح بمناراتها ومعالمها وآثارها ومراسمها، وما أجمل ما قاله إقبال، ونحن إذ نكتب عن هؤلاء الغر الكماة والصيد الأباة لنرجو الله أن يجمعنا بهم يوم نلقاه. والآن مع هذه الثلة.

الشهيد أبو قتيبة (طالب عبد العزيز التجار)[1]:

من أوائل الذين قدموا إلى أرض الجهاد، شاب صغير، ولكنه فارع الطول، ممتشق القد، عالي الهمة، ذو طاقة كبيرة وحركة دائبة، رأيته لأول مرة مع أستاذه أبي البراء، قد عزفت نفسه عن الدراسة لأن شيخه ومربيه أستاذ البيولوجيا والكيمياء قد طلق المدرسة ثلاثاً لارجعة فيها، فماذا ينتظر بعد أن صوحت المدرسة وتغيرت معالمها إذ غاب منها بدرها ونورها.

عجبت لأبي البراء وهو يجمع حوله هؤلاء الشباب الذين لم يصلب عودهم بعد، ولم تقرقع فوق رؤوسهم، من البيت إلى المدرسة، وأحسنهم حالاً من داوم على حلقة الدرس التربوية، وما كنت أعلم أن هؤلاء سيكون لهم دور لا تستطيعه كبار النفوس، وأنهم سيقومون بما وقفت عاجزة أمامه الرؤوس. ورجع بعضهم إلى المدينة المنورة، وأما أبو قتيبة فقد مضى في رحلة بعيدة شاقة.

رحلة الشمال: مضى أبو قتيبة مع من لم تضعضع هممهم نوائب الدهر، ولم تلن عريكتهم أمام أهوال الحروب، وتسلق الجبال، وخوض غمار النزال إلى بدخشان، قال لي أبو قتيبة: مشينا ستة عشر يوماً، كل يوم نمشي فيه ثماني عشرة ساعة نخوض في الثلوج، كنا نتمنى لشدة الآلام التي نعانيها في أصابعنا لو تقطعت أناملنا وخلصنا من برحاء الشدة، وقد كنا مضطرين أن نمشي هذه الساعات الطوال ونحن نجتاز قرى الشيعة التي لا نجد فيها سوى الخبز الجاف والشاي المر بأثمان خيالية.

وحط رحاله مع القافلة في بدخشان، وهناك وبجانب القائد عبد الودود وجد روحه وريحانه، فالقومندان عبد الودود شقيق الدكتورمحمد عمر من أبناء الحركة الأوائل، ومن طلائع الشهداء في هذا الجهاد المبارك، وعلى نفس الطريق سار عبد الودود، ومن المنهل العذب ارتوى، ومن ذات المشكاة اقتبس، فقد أسس الجبهة في بدخشان/كشم ورعاها وسهر عليها، وحرر المنطقة، فأصبح المعلم المربي، والقائد المرشد.

دانت له القلوب بالمحبة، وتآلفت عليه النفوس بالإخاء، فهو اللحن العذب في أنشودة الحياة لدى جنده الذين يحق لهم أن يرددوا:

حياتك حرب فلا تنثنن ... في الحرب أنغامك اللاهية
وإن الحياة دم عاصـف ... وليست شذى المسك والغاليـة
وما رأس مالك منك سوى ... دم القلب والهمة العاليـة

ويبقى أبو قتيبة ستة أشهر في الشمال، ويعود طالب من هناك بعد أن نضجت نفسه، ولأول مرة ألقاه بعد الرحلة يلبس الزي البدخشي، ويشد وسطه بمنطقة كما يفعل المجاهدون بالكوفية (رسمول)، فظننته أحد أبناء الشمال، سيما وإن سحنته تشبه أبناء دروازويفتل، وملامحه تقارب تقاسيم وجوههم.

في المأسدة: ووجد مكانه شاغراً في المأسدة، وأصبح المرافق اللصيق لأبي عبد الله، فتراه يرافقه كالظل، يقود سيارته، ويتكفل بحراسته، ويقوم على خدمته، وما استطاع أحد أن يصبر على مشقة العمل مع أبي عبد الله مثل طالب، فتجده وفي منتصف الليالي يقوم إلى السيارة ويتحرك نحو جاجي، حتى إذا وصلها وجد أوامر تنتظره، ويعود أدراجه، لا يشكو الملل، ولا يتبرم بالعمل مهما كان ثقيلاً، وكأنه يزاول هوايته، ويشبع رغبته بخدمة قائده أبي عبد الله.

اجتماعي يجلس في جلسة فكأنه يعرف أهلها منذ زمن، يعرف الداخل والخارج، وقد ورث من أهل بلدته حماة علو الهمة ودوام الحركة واقتحام الأهوال، وورث من منشئه ومنبته في أرض طيبة الطيبة أدب المجالسة وسرعة الموافقة وطلاقة المحيا في لقاء الناس ووداعهم، بشوش حيثما لقيته، أنيس أنّى جالسته، يألف ويؤلف (ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف).

من المأسدة في جاجي إلى خوست وميرانشاه: وما بين جاجي وخوست كانت الحركة الدائبة، ففي خوست كانت المعارك اليومية لمشاغلة أعداء الله، وحررت جاجي وجاوني، فانصبت الجهود على خوست وجور وميرانشاه.

رجل عمل، يقوم بكثير من الأعمال البيتية، ويصلح ما يتعطل من الآلات والمحركات والسيارات والأدوات. فقد كان الذراع الأيمن لأبي عبد الله، وكأنه يريد أن يكون الأداة التنفيذية لما يدور في رأس قائده الذي أعجب به إعجاب المتنبي بسيف الدولة، وأحبه حب الربيع المرادي للشافعي، وكان روح أبي عبد الله (أسامة بن لادن) تناجي روحه قائلة:

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٧ ص ٣٧ ذو الحجة ١٤٠٩هـ يوليو ١٩٨٩م.

إذا ما انخرت الأماني العذاب وأترعت أكوابها الصافية
ولم تنخر لك ملء العــــروق دماً كدم الأسد الضاريـــة
تمت ظمأ في حياة مشت على الدم عابثة قاسيـــــة

معارك جلال أباد: وبدأت نار المعارك تستعر في أرض البطولة والفخار في ننجرهار، وبرز دور العرب المهاجرين الأنصار في المعركة، وأخذ ضرام المعارك يزداد التهاباً، وتختطف أيدي المنون النموذج تلو النموذج، والفذ تلو الفذ.

امتدت يد المنايا فطوت صفحات مشرقة، وتركت وراءها قصصاً مشوقة، وسبق المفردون، فغاب أبو مسلم (عبدالله النهمي)، ثم مضى أبو اليسر (علي عبدالفتاح)، وتبعهم أبو طارق (عوض علي العرادة)، وختاماً كان المصاب بأبي قتيبة في (٢٣/٥/١٩٨٩م).

الشهادة: وجاءت قنيفة الدبابة التي اختطفت معها بيد ملك الموت ثلاثاً من أعز الإخوة، أبا قتيبة، وأبا خليل، ومزقتهم إرباً، ونقلوا إلى طورخم ودفنوا هناك بجانب السابقين من إخوانهم.

وجلس أبوعبد الله (أسامة) يحدث، ثم جاء ذكر أبي قتيبة فخنقته العبرة، وفاضت عينه، وفقد الكلمات، ثم عاد ليحدث فعادت القصة ممزوجة بالعبرات، وعاد الثالثة، وانقطع الكلام وصمت الجميع. رحم الله أبا قتيبة وجمعنا به في الصالحين.

لقاء الجهاد مع والد الشهيد أبي قتيبة:

(الجهاد): نود من الوالد الفاضل أن يقدم لنا نبذة عن ولده الشهيد أبي قتيبة رحمه الله وكيف تلقيتم نبأ استشهاده؟

والد الشهيد: ولد طالب رحمه الله تعالى في مدينة حماه عام (١٩٦٥م)، وتربى منذ أن نشأ التربية الإسلامية، جرت معه قصة وهو في الثالثة من عمره تقريباً، حيث ضرب أحد أبناء الجيران بحجر فسال دمه، ولما سألته عن السبب قال يا أبي سب الدين، فقلت له إن كان هذا هو السبب فقد عفوت عنك، وقد أنهى المرحلة الابتدائية في حماة، ثم شاء الله تعالى أن أهاجر فاراً بديني من حماة، وقد هيأ الله تعالى لي الإقامة في المدينة المنورة ومعي عائلتي، وبفضل من الله كان له نصيب مواصلة تعليمه في مدينة رسول الله ﷺ فازداد من حب الله ورسوله ومن الورع والتقوى، وما أن وصل إلى الصف الثاني الثانوي وبمنتصف السنة بدأ يتكلم لنا عن الجهاد وفضائله، وكان هذا كلما جلسنا على الطعام، ثم بعد أيام سأل والدته عن تركه المدرسة والذهاب للجهاد في سبيل الله في أفغانستان فأجابته بعدم الموافقة، وفي اليوم الثاني وكنا أيضاً نتناول الطعام قال ما رأيك يا أبي؟ أجبته -والله على ما أقول شهيد- ما عندي مانع، وكاد رحمه الله تعالى يطير من الفرح، فترك الطعام لشدة فرحه وقال ما دام أبي موافقاً فسأمضي، وفعلاً لم تمض أيام قلائل حتى سار ملبياً نداء الجهاد، وسافر مع بعض الإخوة المجاهدين إلى أفغانستان واستمر سنوات، وفي مساء يوم الأربعاء (١٩) شوال (١٤٠٩هـ) ذهبت لبيت شقيقي ومعي عائلتي، وما أنا جلسنا قليلاً حتى سمعت بكاء يخرج من غرفة النساء، فنهضت وسألت ما بكم، فقالوا جاءنا هاتف من مجهول يخبرنا بنبأ استشهاد طالب، فقلت خيراً، انتظروا نتأكد، فأخذت الهاتف واتصلت ببيشاور على بيته فلم يرد علي أحد، فاتصلت بأخ يعرفه وسألته عن صحة الخبر فأجاب: نسأل الله أن يتقبله شهيداً وشفيعاً لكم، فقلت: جزاك الله خيراً، إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم رجعت لوالدته وقلت لها طالب لماذا ذهب لأرض أفغانستان قالت لكي يجاهد فقلت حسناً هذا هو جاهد وأكرمه الله وأكرمنا بأن اتخذه شهيداً، نحمد الله ونشكره حيث قال عز وجل (ويتخذ منكم شهداء)، فما كان منها إلا أن مسحت دموعها وقالت إنا لله وإنا إليه راجعون، وأخذت أشرح لها أن نبينا محمداً ﷺ هو إمام المجاهدين ونحن على طريقه إن شاء الله، وإنه لابد من الجهاد في سبيل الله تعالى لنصرة دينه، فتغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته، وهنيئاً لك يا طالب، طلبتها ونلتها إن شاء الله.

(الجهاد): لماذا جئت بنفسك إلى أرض الجهاد؟

(والد الشهيد): قبل خمسة أشهر تقريباً من تاريخ استشهاده -رحمه الله تعالى- طلب مني أن أصطحب والدته وإخوته إلى باكستان، ومن ثم يأخذني لأرى أرض الجهاد والمجاهدين، فوعدته إن شاء الله بالعطلة الصيفية، ومضت بضعة أيام حيث اتصل بنا هاتفياً وقال حبذا لو كان قدومكم في عطلة الربيع، فقلت له لا تكفي خمسة عشر يوماً نظراً لبعد الطريق، فقال تكفي وجزاكم الله خيراً، وفعلاً حصلت على إجازة من مكان عملي عن عطلة الربيع وذهبنا إلى الباكستان، وأخذني -رحمه الله تعالى- إلى عدة جبهات،

فدهشت وبدون مبالغة نظرت بعيني وسمعت بأذني عملياً حياة الكرام في جميع أعمالهم وحركاتهم وتصرفاتهم، وبعد أن تلقيت نبأ استشهاده رحمه الله ضرب الطمع رأسي وقلت لا يكفيني أن يكون ولدي طالب شفيعاً لي، وإنما يجب أن أذهب لأرض الجهاد سائلاً المولى عز وجل أن يكرمني بالشهادة مجاهداً في سبيل الله إنه على كل شيء قدير.

(الجهاد): تزعم طائفة من الناس أن مشاركة شباب الدعوة الإسلامية في الجهاد سيعرض الدعوة للخطر لأنهم سيتركون ثغورهم شاغرة!

(والد الشهيد): إنني أرى من الضروري جداً استمرار الدعوة الإسلامية إلى الله تعالى، ولكن لا يعني هذا ترك الجهاد، فالجهاد فرض لا يترك، حيث قال نبينا ﷺ ما ترك الجهاد قوم إلا ذلوا، وإنما يستطيع الدعاة أن ينسقوا بين الدعوة والجهاد، بأن يذهب للجهاد نفران من عشرة ولمدة شهرين مثلاً، وعندما يعودان يذهب غيرهما، وهكذا بحيث تبقى الدعوة قائمة ويسد الفراغ الموجود بين صفوف المجاهدين، وفي هذا تشجيع وتأييد للمجاهدين.

(الجهاد): ما نصيحتك للآباء الذين يمنعون أبناءهم من المشاركة في الجهاد؟

(والد الشهيد): إنني أتوجه للإخوة الآباء بسؤالي: هل يهنأ الوالد إن لم ير ابنه أو ابنته ينعمان بالعيش الطيب الرغيد؟ وهل يهنأ الوالد إن لم ير ولده يحيا حياة سعيدة كريمة عزيزة؟ وأي عيش وأي حياة تشبه عيش الجنة؟ وحياة الجنة وليس الجنة فحسب وإنما مع الأنبياء والصديقين في الفردوس الأعلى، قال تعالى: **(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة)** وإن الشهادة خير وقاية من النار، وخير ضمان أكيد للجنة بإذن الله.

وأتمنى لو كان لي أربعين شاباً يستشهدون في سبيل الله، والآن أدعو الله وأسأله الإجابة أن يرزقني وزوجتي وولدي وبناتي الشهادة في سبيل الله.

ومن ناحية العمر ونهاية الأجل فالآية صريحة جداً وواضحة **(فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)**.

(الجهاد): ما وصيتك للشباب المجاهد في هذه الساحة؟

(والد الشهيد): أوصي إخواني وأبنائي الشباب المجاهدين أن يتوسلوا إلى الله تعالى دائماً بأن يرزقهم حسن النية والثبات والإخلاص في العمل، وأن يحافظوا على المودة والأخوة ووحدة الصف فيما بينهم، وتناسي الخلافات المزمنة الناشئة في بلدانهم، كما أوصيهم بالاستمرار في السمع والطاعة لقادتهم، والدعاء لي بأن يكرمني الله بالشهادة في سبيله.

(الجهاد): كلمة أخيرة توجهها لقراء (الجهاد).

(والد الشهيد): إخواني قراء مجلة الجهاد في هذا الوقت بالذات أرجو منكم أن تزدادوا ارتباطاً بالجهاد وتأييداً له، فالجهاد هو ذروة سنام الإسلام، ولا عزة للمسلمين إلا بالجهاد، وأولها جهاد النفس، عندما يتغلب الإنسان على نفسه يصنع المعجزات، ثم هيئوا أنفسكم لتلبية نداء الجهاد في سبيل الله طلباً لرضاه والفوز بالجنة ومساعدة إخوانكم المجاهدين.

الشهيد أبو خليل (معتوق فارس خليف العبدلي)[(١)]:

ما كل من طلب المعالي نافذاً ... فيها ولا كل الرجال فحولاً

سنة كاملة لم ينزل من المأسدة إلى ترمنجل: كل من زار المأسدة يدرك عظم المعاناة التي يتجشمها المرء الذي يرابط هناك أربعة أشهر والثلوج تكسو وجه الأرض، ولا يستطيع المجاهد أن يواجه الشمس في رابعة النهار لشدة البرد ولذع الزمهرير، لقد عشت فيها فترة، وكنا نضع المياه في أوان بلاستيكية فنقوم في صبيحة اليوم التالي لنجدها متجمدة لا نستطيع أن نصب الماء منها لوضوء الفجر.

ولذا فإن الأفغان يقسمون الجبهة إلى قسمين، قسم يقضي شهره في الرباط بينما يستجم القسم الآخر وقت إجازته بين أهله، ثم يتم التبديل.

---

(١) المصدر السابق ص ٣٨.

في هذا الجو الذي تتجمد فيه الأطراف برداً وتتوقف الحركة في المنطقة يقسم أبو خليل: (لن أنزل ترمنجل حتى تفتح تشاوني (القلعة)).

ويبر الله بقسم أبي خليل الذي أصبح مضرب المثل في صبره وعصاميته، ويوليه أبو عبد الله إمارة جبل قباء في المأسدة، ولكأنك تنظر إلى عطاء بن أبي رباح وأنت تنظر إليه، فعطاء سيد التابعين في مكة وكان عبداً أسود أفطس، ولكن الرجال ليست بمناظرها:

همـم بلغتكـم رتبـات كثرت عن بلوغها الأوهـام
ونفوس إذا انبرت تضال نفقت قبل أن ينفذ الأقدام
وقلوب موطنات على الـروع كأن اقتحامها استسلام

في باري: وبعد أن فتحت قلعة جاوني في عيد الفطر سنة (١٤٠٨هـ) وهزم أعداء الله، يمم أبو خليل شطر جبهة ساخنة، وهل أقرب وأسخن من باري في خوست، وأصبح أميراً هناك، وألهب ظهور الأعداء بشظايا الرمي، وكان الهاون هو آلة الأنغام العذبة التي يشدو على صليلها أشعاره، ويروح بدويها عن نفسه، ويشبع نهمه ويحقق أمانيه:

طال غشيانك الكرائه حتـى قال فيك الذي أقول الحسام

وطال المقام في باري عاماً آخر يستقبل أبو خليل فيه فوجاً ويودع ركباً، وإذا كانت ترمنجل قد تاقت لرؤياك عاماً كاملاً فماذا عن ميرانشاه وأنت في باري.

من مناقبه: كان يقوم الليل، ومن سماته البارزة الحلم والأناة وسعة الصدر، وكان يقول عن أبي العباس: إن هذا سيستشهد لأن عليه ملامح الشهيد.

في جلال آباد: وجاءت الأحداث الساخنة في جلال آباد، واستلم أبو عبد الله أقرب المناطق إلى العدو، وبدأ يقتحم الأهوال بما جمع الله له من أبطال، وإذا بأبي خليل يهفو إليها ويقبل عليها.

وفي (١٩٨٩/٥/٢٢م) كان اليوم الموعود الذي طالما كان يجأر إلى الله بلقائه فيه، وفي ساحة لظاها يشعل الأرض ناراً، وشواظ طائراتها ولظى دباباتها تقشعر لهوله الأبدان، وفي هذا الجو المدلهم المكفهر ألقى أبوخليل بنفسه بين فكي الموت مع أخيه الحبيب الزاهد العابد (أبي العباس)، ويمضيان إلى الله في لحظة واحدة:

فأثبت فـي مستنقـع الموت رجله وقال لها من تحت أخمصك الحشر

ومضى الزاهد الراهب في عزلته، الفارس فوق ذروته، مضى إلى الله بعد أن علمنا الكثير من دروس الصبر والمصابرة والمرابطة، فنرجو الله أن يكون من المفلحين، واستراح في جدثه في طورخم بعد معاناة السنين.

الشهيد أبو مبارك اليماني (عامر أحمد صالح الجبري)(١):

لقد تحملت الجزيرة بشقيها الشمالي والجنوبي العبء الأكبر في تقديم التضحيات العربية الباهظة في الفتوحات التي تمت في جلال آباد وقندهار، ولقد أصبح أهل اليمن مع أهل الحجاز ونجد كفرسي رهان في ميدان الحلبة، وأهل اليمن لهم شبه كبير بأهل أفغانستان، حتى صار الإخوة يطلقون على اليمانيين (بشتون العرب)، وهناك تقارب كبير وتشابه كثير بين فطرة الشعبين وطبيعة البلدين وجبالهما وشظف العيش فيهما، وزهد شعبيهما، وتحمل المكاره والمشاق، والصبر على المصائب.

ونحن الآن مع حداد يذكرني بيوسف طلعت أحد قادة الإخوان المسلمين في فلسطين وقناة السويس، إذ أن يوسف الذي أقض مضاجع اليهود في السبع، والإنجليز في الإسماعيلية نجار بسيط الثقافة، ولكن الجهاد بفضل الله حوله عملاقاً يهز عروش الظالمين.

نبذة عن حياة الشهيد: من مواليد (١٩٥٨م) في يريم التي اشتعلت منها أول شعلة ضد الشيوعيين في سنة (١٩٨٠م)، ولقد قدمت يريم الكثير من الأسود الذين قضوا نحبهم على طريق هذا الدين، ولا زال البعض يخدي (يسرع) في سيره على هذه الجادة.

ولعل قدح الزناد ضد الشيوعيين في اليمن هو الذي ألهب الجيل الذي عايش ذلك الجهاد الذي حرك النخوة والحمية الإسلامية في أعماق رجال اليمن، واليمن هي البلد العربي الذي قذف بأفلاذ أكباد شابت نواصيهم في الإسلام، وطعنوا في سنهم دون أرواحهم

(١) المصدر السابق ص ٣٩.

التي لا تشيب، إذ الجهاد حوّلها إلى أرواح شباب يشتعلون حماساً، فأبو حميد الذي كان يرافقني الرباط على خط النار الأول في جلال آباد في العشر الأواخر قد بلغ الستين من العمر، ومن قبل رأيت غيلان أبا فارع وصاحبه وهو في العقد السادس من عمره كذلك، وهذه ظاهرة تفرد بها أهل اليمن، إذ لم يأتنا من السعودية إلا الشباب الذين في مقتبل العمر وكان اليماني وهو يمتشق سلاحه وقد أصبح رأسه ثغامة (شيبة) ينشد:

سنّي بروحي لا بعد سنيـــــــني ... فلأسخرن غداً من التسعين

عمري إلى السبعين يجري مسرعاً ... والروح ثابتة على العشرين

فعامر هذا في الثلاثين من عمره، ودّع زوجته وبنتيه وولده واستودع الله أهله وأماناتهم، وترك جنيناً في رحم زوجته سيرى الحياة دون أن يرى له في الدنيا أباً.

ترامى إلى مسامع عامر أخبار الجهاد الأفغاني، وكانت نفسه تهفو لكي يعيش مع أسد الشرى في أجمها، ويحيا مع ليوث الغاب في عرنها، فودع مطرقته وسندانه وأقبل سنة (١٩٨٨م)، ومكث في الجهاد والرباط ستة أشهر تنقل فيها ما بين صدى -حيث تلقى تدريبه- وخوست -حيث شهد رحى المعارك اليومية التي ما كانت تنقطع يوماً عن الضرام-، ورجع إلى أهله بجسده وترك روحه هائمة بين ذرى أفغانستان، وكأن روحه تردد قائلة:

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي ... المجد للسيف ليس المجد للقلم

وما كان لنفس يمنّ الله عليها بتذوق حلاوة الجهاد أن تنساه وتشنأه (تبغضه)، وهذه نعمة يتفضل الله بها على من يشاء من عباده.

فكان همّه أن يمهد الطريق لعودته إلى أرض القنا الردينية (الرماح)، والبيض المشرفية (السيوف) ففتح ورشة الحدادة مرة أخرى ليجمع ثمن التذكرة وليترك أهله دون أن يريقوا ماء وجوههم لأحد، أو يمدوا أيديهم لحاجة، ولقد كانت مجلة الجهاد التي تنقل أخبار الشهداء تقض عليه مضجعه، وتسهد عليه ليله وأجفانه، ولو رآه أبو الطيب لأنشد له:

حتّام نحن نساري النجم في الظلم ... وما سراه على خف ولا قــدم

ولا يحس بأجفان يحس بهـــــــــا ... فقد الرقاد غريب بات لم ينم

(أي إلى متى نسهر ونسير مع النجوم في الليل مع أن النجم لا يسير على خف فيتعب، أو على قدم فينهك، وكذلك فالنجم ليس له جفن حتى يتألم من السهر بسبب الغربة والوحشة).

روفر مبلغاً وألقاه في حجر امرأته ثم أقبل كالهيمان الذي يزور خله والولهان الذي ينادم حبّه الغائب ووصل في رمضان، وأين يمكن أن يتوجه سوى إلى جلال آباد التي أصبحت مصرع عشاق الحور، ومحطاً لآمال الراحلين إلى بلاد الأفراح، وفي طريقه إلى أفغانستان لابد من العمرة.

العمرة: ومرّ بالبيت الحرام وأدى العمرة، ووقف في ظلال البيت يعاهد الله على الموت، وكأنه كان على موعد مع الشهادة، فأقبل في رمضان إلى جلال آباد، وفي (١١) ذي القعدة سنة (١٤٠٩هـ) الموافق (١٣/٦/١٩٨٩م) نال الشهادة التي أقبل من أجلها ثم مضى إلى ربه، ونرجو الله أن يتقبلنا وإياه ويجمعنا في الفردوس الأعلى.

أبو العباس[1]:

سمات الشهداء بارزة في تصرفاته، ومناقب المقبلين على الله -عز وجل- بادية على مخايله، طويل الصمت، يكره الثرثرة ولا يطيق المزاح ولا كثرة الكلام، أفعاله خير معلم لإخوانه، فكانوا يستقون من آدابه قبل أن يتلقوا منه تعليم السلاح إذ كان مدرباً، وكان لا يفتر عن الذكر، لسانه رطب بذكر الله.

أما عن زهده فحدّث ولا حرج، فقد كنت تشتهي أن ترى عليه غير ثياب المعسكر البدلة الزهيدة الصفراء، وتراه وقد اشتد الزمهرير لا يغير هذه الملابس، ومع لذع سبرات الرياح الصرصر في الشتاء يتقدم إليه أحد الإخوة ويقدم له جاكيتاً ليتقي البرد، فيعتذر إليه شاكراً بأدب.

---

١) المصدر السابق ص ٤٠

كأن نفسك لا ترضاك صاحبها	*إلا وأنت على المفضال مفضال*
ولا تعدك صوناً لمهجتها	*إلا وأنت لها في الروع بذال*
ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته	*ما قاته وفضول العيش أشغال*

أما عن طعامه فكأنه يطبق الحديث الشريف "حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فثلث للطعام وثلث للشراب". يقول عبد الجبار المصري: لقد كنا نعجب كيف يعيش أبو العباس؛ حتى كنا نتخيل أنه لا يأكل أبداً، ولقد كان يعطي الفاكهة إلى إخوانه.

في الدورة الشرعية: وأفرد لمجموعة من الإخوة مكان في معسكر جاور، وقد أذن لهم أن يحضروا طعاماً وشراباً خاصاً، وذات يوم سأله عبد الجبار مازحاً عن العصام والعصير الذي اشتراه إخوانه، فقال له: دعني من هذه الأشياء فإني لا آكلها ولا أعلم عنها شيئاً.

ويقول عبد الجبار: لقد كان دائماً لا يسير في المعسكر إلا حافياً، فهو نموذج عجيب لم أر مثله قط في حياتي.

أعاذك أنس المجد عن كل وحشة	*كأنك في هذا الزمان فريد*

وغادر جاور إلى باري حيث يلتقي الزاهدان أبو العباس وأبو خليل، وبعد فترة غادرا باري إلى جلال أباد بعد أن حمي الوطيس واشتبكت الأسنة واشتجرت، وكانا على موعد مع القدر في (٢٢/٥/١٩٨٩م).

ومضى أبو العباس مع أبي خليل وبقذيفة واحدة إلى الله عز وجل تجاورا في الأولى وفي الآخرة.

الشهيد أبو إبراهيم (ناصر علي حسين علي اليماني)(١):

بعد رحيل الزاهدين العابدين (أبي خليل وأبي العباس) بيوم واحد تبعهما الزاهد العابد ناصر، لا يختلف عن سابقه في مناقبه وخصاله كنت لا تراه إلا تالياً لكتاب الله، أو مطالعاً في كتاب، أو ذاكراً، أو صامتاً، هو صنو أبي العباس في الزهد، كثير الصيام رغم جسده الناحل الضاوي يأكل من الطعام ما تيسر، ويرتدي من اللباس ما تهيأ، وإن أحببت أن تراه في آخر الليل فستجده بين القائمين (**تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً**)، كثير القيام والصيام، ولوع بالقراءة، شغول بالذكر، قليل الطعام قليل الكلام، يسير المنام، كل من عايشه يدرك أن الرجل يودع الدنيا.

وحيد من الخلان في كل بلدة	*إذا عظم المطلوب قل المساعد*
وأورد نفسي والمهند في يدي	*موارد لا يصدرن من لا يجالد*
ولكن إذا لم يحمل القلب كفه	*على حالة لم يحمل الكف ساعد*

وعلى قدر من الله يلتقي أبو قتيبة وأبو عبد الله العبيدي مع ناصر (أبي إبراهيم) في خندق واحد في جلال آباد، وتأتي قذيفة الموت لا بل قذيفة الحياة لتأخذ الثلاثة أشلاءً إلى الله (**ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون**)، فرحم الله أبا إبراهيم، وليت شعري أي مدرسة هذه التي منها يتخرجون؟ وأي مورد صاف هذا الذي من رواته ينهلون؟ ونرجو الله عز وجل أن يجمعنا وإياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

الداعية المهاجر(٢)

من زهرة الدنيا هرب، ومن فتنة الأرض –أمريكا– أقبل، وفي نضارة الشباب اهتصر، ومع نداوة الغصن اعتصر.

رأيته في المؤتمر في أمريكا في ديسمبر (١٩٨٨م)، وأخذ يتابعني من مكان إلى مكان، وبحجة الصحافة سمح له أن يبقى قريباً مني في الفندق يتردد على غرفتي، هكذا سبحان الله تعلق بي أيما تعلق، لا يود مفارقتي، وعندما شارف المؤتمر على الانتهاء بدأ يغريني بزيارة المدينة التي يقيم فيها، وجاءني بمجموعة من شباب (آرلنجتون) وقالوا: عندنا أبو طارق الطيّار، ومدينتنا نشطة للجهاد كأنها خلية نحل، وحق عليك أن تزورها وهي قريبة إلى (أوكلاهوما)، وبالإمكان أن تسافر إليها بالسيارة، وقررت أن أسافر معهم في سيارتهم، وفي سيارة الأخ مصطفى رجب ركبت وسافرت معهم، وكانت ساعات حارة اللقاء بعد غياب طويل عن أبي طارق الذي شارك معنا وضع حجر الأساس لمكتب الخدمات، والذي كان له فضل السبق في هذه المسيرة الخيِّرة التي قطعها هذا المكتب.

وقرر أبو الطيب أن يطلق أمريكا ثلاثاً لا رجعة فيها، وعدت إلى بيشاور، وبعد مدة وإذا بأبي الطيب يصل بيشاور، وأخذته إلى صدي، وكانت دورة الدعاة لا زالت فكرة في الأذهان، ونصحته أن يدخلها، وكان أول الداخلين فيها، إنه يريد خدمة هذا الدين، وقد

(١) المصدر السابق ص ١٠ (٢) مجلة الجهاد العدد ٥٨ ص ٣٤ محرم ١٤١٠هـ أغسطس ١٩٨٩م.

آتاه الله اطلاعاً على الثقافة الإسلامية، وكنت تلمح على إشراقة محياه إشراقة الروح التي تسري في أوصاله، وصفاء النفس الذي ينعكس على جبينه، وما أجمل إشراقات إقبال في العزيمة المتوثبة.

إذا ما استيقظت روح الصقور — وهبت في الجوانح والصدور
رأى الشبان في الأفلاك مثوى — عزائمهم وفي الأفق المنير
وأنت الصقر فابن الوكر واسكن — على قمم الشواهق والصخور

في رمضان: وفي رمضان يعود الدكتور حمزة من كابل وينبئ عن حاجته إلى ممرضين مجاهدين، بحيث يقوم على تدريبهم ليكونوا معه فرق إنقاذ وإخلاء من خط النار، وتكلمت في المسجد عن الحاجة الماسة، فتفاعلت نفسية أبي الطيب، واستطاع د.حمزة أن يقنعه ويرسله أمامه إلى كابل.

وفي عيد الفطر يعود أبو الحسن المدني من كابل ويخبرني عن قدوم بعض الإخوة العرب، ثم نوّه أنه لمح من بينهم شابا عليه ملامح الإخلاص، وتبدو صفات القيادة على مخايله، وأنه رشحه ليكون أمير مجموعة دون أن يكون له به سابق معرفة.

إلى شكردره: وعند أبي علي المالكي في (كريزمير) حط رحاله، وألقى عصا تسياره، وهناك اشتعلت المعركة واستحر القتل بالمجاهدين، واشتد قصف الطائرات التي تجلجل بدويها في المنطقة ليلاً ونهاراً، وعلى مقربة من كابل حيث بدأ المجاهدون يدمرون الحزام الأمني الثاني لكابل، وابتعد المجاهدون عن التبة التي استقر بها أبوعلي، ولم يبق فيها سواه وخمسة من إخوانه العرب، بحيث لو غادروا سقطت كريزمير بيد أعداء الله، فآلوا على أنفسهم ألا يغادروا المكان إلا جثثاً ممزقة، وهنا طاب لأبي الطيب المقام، ووجد روحه في لهيب الغرام، ورأى على حد الأسنة طيب الجمام (الراحة).

يريك مخبره أضعاف منظره — بين الرجال وفيها الماء والآل
وقد يلقبه المجنون حاسده إذا — اختلطن وبعض العقل عُقّال

(الآل: السراب، أي هناك رجال حقاً كالماء في منظرهم ومخبرهم، ومنهم أشباه رجال كالسراب الذي يبدو كالماء. عُقّال: داء يصيب رجل الدابة يعيقها عن الحركة، اختلطن: اشتبكت السيوف).

الخبر الصاعق على نلس محمد المشتاق: وبعد صلاة العشاء مساء (٢٩/٦/١٩٨٩م) جاءني صاحبه ورفيق عمره محمد المشتاق المغربي وساءلني باستغراب: أوقد مضى أبو الطيب؟ فشدهت قائلاً: من أنبأك هذا؟ فقال لي: أخ جزائري قادم من بيشاور سمع تقي الدين الجزائري العائد من شكردرا (كريزمير) يحدث بهذا، فقلت له: سل أبا الحسن المدني فهو في غرفة القيادة، وأقبلت إلى غرفة القيادة وإذا بمحمد المشتاق قد خنقته العبرات، وفي ظلام الليل لا يجد سوى دموعه الحرى يناجي بها روح أخيه أبي الطيب الذي رافقه ثماني سنوات، وواكبه المسيرة من المغرب إلى أمريكا إلى صدى، فرحمه الله وألحقنا به في الصالحين.

وهكذا مضى الطيب أبو الطيب، وقضى الحمام الوادع بعد أن أصبح صقراً بازياً، وغضنفراً (أسداً) هائجاً، وبلمحة خاطفة افتقدناه من بيننا بعد أن بلغ بالصليل ما لم يدركه غيره بالصياح والعويل والقال والقيل.

كتب عنه حبيبه ورفيق عمره محمد المشتاق ما يلي: (ولد حسن ولقي -أبو الطيب- في مدينة فاس في ٣/٣/١٩٦٤، كان شاباً تربى منذ صغره على حب هذا الدين وخدمته، فكان صواماً للاثنين والخميس، قائماً بين يدي الله في الثلث الأخير من الليل، لا يفوته الوتر، وكان كتاب الله لا يفارقه في سفر ولا حضر، ولا يفوته ورده اليومي من القرآن الكريم مهما كانت الظروف، وكان رحمه الله مداوماً على أذكار الصباح والمساء، ولا ينام إلا وهو متوضئ مهما قست الظروف، ولا ينام إلا بعد قراءة سورة الملك (المنجية) مهما غلبه النوم والتعب، وكان النوم يأخذه أحياناً فيغفو قبل أن يختمها، فيغالب النوم ليكمل السورة، كان شاباً شجاعاً لا يهاب العدا، وكان الإسلام والدعوة إليه ديدنه لا يكل ولا يمل.

كنا سوياً في الثانوية، وكان دائماً يقوم بإعطاء المحاضرات عن الإسلام، ويرد على شبهات الملحدين والشيوعيين أساتذة كانوا أم تلاميذ، وبعد أن انتقل إلى المرحلة الجامعية رفض أن يدخل شعبة الدراسات الإسلامية لأنه كان يرى أن معظم الإخوة والأخوات فيها، ودخل شعبة الفلسفة وعلم النفس لأن معظم طلابها إن لم أقل (٩٩٪) منهم ملحدون، وقد كان شوكة في حلوقهم، وأدى دوراً فعالاً في القسم، مما جعل بعض الأساتذة يحقدون عليه ويرسبونه في امتحاناته، وكان بالمرصاد للشيوعيين والاشتراكيين، فحيثما سمع بمحاضرة لهم تابعهم ووقف في وجوههم. وكان رحمه الله ذا اطلاع واسع على الثقافة الإسلامية والأدبية والثقافة العصرية،

وكان محباً لكتب سيد ومحمد قطب وخاصة *الظلال*، وكان محباً لكتب فتحي يكن الحركية، وعاشقاً لكتب السلف الصالح كأمثال ابن تيمية وابن القيم.

كان رحمه الله عضواً نشيطاً في الحركة الإسلامية، يندر أن تجده دون خدمته للجماعة من الدعوة إليها، أو تربية القلوب قبل العقول، وكانت له مكانة في قلوب الجميع أينما حل وارتحل، بحيث كل من رآه أحبه لأول وهلة. وكان على صلة مبكرة بالجهاد الأفغاني، وقد حاول القدوم منذ (١٩٨٤م)، وكان يكتب عن الجهاد الأفغاني في مجلة الإصلاح المغربية، وكتب بحثاً مطولاً عن أفغانستان الماضي والحاضر).

وقد كتب رسالة مؤثرة معبرة إلى أمه تنم عن عمق اتصاله بالله -عز وجل- نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً، وكذلك عن علو كعبه في البيان، وصلته بالثقافة الإسلامية -الكتب الحركية-، فنرجو الله أن يتغمده برحمته، وأن يجعله شفيعاً لنا ولأمه ولأهله يوم القيامة إنه سميع قريب مجيب.

رسالة الشهيد أبي الطيب المغربي إلى أسرته(١):

أمي الحبيبة أسرتي الكريمة لأجل الآخرة وخوفاً من هذا اليوم العصيب الذي يشيب له الولدان، فررت بديني من أرض الكفر والكافرين إلى بلاد الإسلام والمجاهدين مؤثراً شظف العيش هنا على ترف الحياة هناك، متجرعاً كأس الغربة والاغتراب لعل ربي يرضى فيعوضني عنها كأس الأنس والقرب في جنات عدن.

أمي الحبيبة، أعلم يقيناً أنك تألمت كثيراً لفراقي وغربتي ويعلم الله أنني أبادلك نفس الشعور، وستألين أكثر عندما يصلك خبر استشهادي، فتتحطم آمالك الدنيوية وينهدم قصرك المستقبلي الذي بنيته من دراستي في أمريكا و .....

ولكن على رسلك يا أماه لا تظلميني ولا تظلمي نفسك، ولا تجعلي نار الحسرة تأكل قلبك، واستشعري معي أمر الله ومن قبل ذلك استشعري معي فضل الله ونعمه، فمن فضل الله ونعمه علينا أن جعلك أماً لي وجعلني ولداً لك وجعل بيننا الحب والعطف وهدانا مع ذلك وقبله إلى الإسلام، وفوق ذلك كله «إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها»، فهو سبحانه الذي أعطاني لك، وهو سبحانه الذي أخذني منك، فليس لي ولا لك من الأمر شيء «قل إن الأمر كله لله».

أمي الحبيبة إنني ما ذهبت إلى أمريكا إلا لأدرس وآتيك بالشهادة وأؤمن لك ولأسرتي المستقبل الطيب، لكنني ذهبت والشوق إلى الجهاد يملأ عليّ كل جوانحي، وهناك فكرت، وقدرت واخترت لك الآخرة، ونعيمها الدائم، لأنني مهما حصلت لك من هذه الدنيا وزخرفها فما هو في الآخرة إلا متاع، وما مثل الدنيا في الآخرة إلا كرجل استظل بشجرة ثم فارقها، فأنا اخترت لك يا أمي الحياة الخالدة والنعيم الدائم في رحاب رب كريم وإن طال غيابي عنك فلا تجزعي، فعند اللقاء تزول الوحشة ويحل الأنس وستجدينني هناك إن شاء الله على أحسن حاله وأنتظرك بالشفاعة التي وعدنا الله بها فآخذ بيدك أنت وكل أسرتي وندخل الجنة التي وعد المتقون، ففيها كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، ونحن إن شاء الله فيها خالدون.

أمي الحبيبة اعتبري غيابي عنك، أنني بقيت في أمريكا أدرس حتى أحصل على الشهادة وإن الشهادة في سبيل إعلاء كلمة الحق أعلى من كل شهادات الأرض، بل أفضل من كل الدنيا وما فيها، وتيقني يا أماه أن أفضل وأحسن هدية أقدمها لك تلك الشفاعة التي وعدنا الله بها لأنني وجدت كل شهادات الأرض لا تليق كتعبير لحبي لك إلا هذه الشهادة الربانية أو بالأحرى هذه الهدية الربانية، التي تتضمن عزّ الدنيا وشرف الآخرة، فاستبشري بهذا الفضل وهذا الكرم، واعلمي أن الله ما أخذ ابنك إلا لأنه يحبك فاشكريه ولا تقبلي العزاء فيّ فإنني لست بميت بل أنا حيّ عند ربي أرزق فرح بما آتاني من فضله وقولي للمعزين لا تبكوني في "حسن" بل هنئوني به فإن هذا الشرف كانت الصحابيات المؤمنات السالفات يتسابقن إليه وما الخنساء عنا ببعيدة، فلتكن يا أماه هذه الصحابية الجليلة قدوتك فقد قدمت لله تعالى في يوم واحد أربعة من أفلاذ كبدها قرباناً.

أمي الحبيبة لنتصور جميعاً أنني أتممت دراستي وحصلت على الشهادة ثم الوظيفة، فالسيارة.. والفيلا.. ثم ماذا بعد؟ أليس "الموت باب وكل الناس داخله" فماذا أعددنا للآخرة؟

لقد أخذت يا أماه الآخرة ومضيت إلى الله شهيداً إن شاء الله، وأنا بانتظاركم وكل أسرتي على باب الجنة، وأسأل الله العلي

---
(١) مجلة الجهاد العدد ٥٨ محرم ١٤١٠هـ أغسطس ١٩٨٩م ٣٦.

القدير ألا يخيب أملي فيه وأن يجمعني بكم جميعاً «يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها» «يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، لكل امرىء منهم شأن يغنيه».

أبي العزيز إن ما قلته لأمي أقوله لك أن تصبروا على فراقي فإن الله قد أبدلكم جنات تجري من تحتها الأنهار. «فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون».

أختي الحبيبة راضية أسأل الله أن يرضى عنك ويدخلك جنته فلا تجزعي عليّ بل استبشري.

الشهيد أبو عبد الله المأربي (سالم عمر سالم الحداد)[1]:

في ناحية من نواحي مارب/اليمن الشمالي ولد سالم، وفي بيت علم ودين وأدب، كان والده من أعلام الدعوة في منطقته، واختطفته يد المنون مخلفاً وراءه خمسة عشر نفراً في أسرة يتلفتون إلى من يقوم بكفالتهم وتدبير لقمة عيشهم، فلم يجدوا سوى سالم، فكان عليه أن يشد مئزره، ويحزم أمره، ويأخذ على عاتقه أمر إخوانه وأسرته.

وبدأ سالم مع أخيه أبي سالم يجهدان في توفير حياة مهما كان الشظف طابعها، والشدة عنوانها وسمتها.

وسمع سالم وأخوه أبو سالم بالجهاد فأقبل أخوه أبوسالم، وعرفته في صدى، وكتب الله له أن يشترك في معركة رمضان سنة ١٤٠٧هـ (معركة المأسدة)، وقد قتل الله على يديه زعيم المليشيا في المنطقة -كما ظن المجاهدون من خلال جثته-.

وأما سالم فقد أكرمه الله بالجهاد، لأول مرة سنة (١٩٨٧م)، ثم عاد إلى اليمن، ولكن نفسه بقيت معلقة بهذا البلسم الشافي الذي تذوقه، وقد كان مع إخوانه يتناوبون على الجهاد، إذ أن هذه الأسرة قد حظيت بتقديم أربعة من ليوثها إلى الجهاد.

وفي شعبان سنة (١٤٠٩هـ) عاد سالم إلى الجهاد حيث طاحونة الحرب الدائرة في جلال آباد تطحن النفوس والأعصاب، وهناك تشتبك الردينية السمر (الرماح) مع بعض الصفاح (السيوف)، وأقبل أبوسالم وزجّ بنفسه بين فكي الحتوف (الموت) وكأنه يقول:

سأحمل روحي على راحتي	*وألقي بها في مهاوي الردى*
فإما حياة تسّر الصديق	*وإما ممات يغيظ العدا*

وشارك في فتح (فركند) و(دولة زي) و(قرنوسار) و(شينجر)، وخلف رشاش الدوشكا ربض سالم في ترنوسار حيث تطل على الفرقة ٨١ التي تحمي جلال آباد، وكانت السماء ملتهبة فوق رؤوس القوم من خلال تراشق النيران، فدبابات العدو وهاوناته تصلي الإخوة العرب بوابل نيران، والعرب يرددون:

كأن جماجم الأبطال فيهم	*وسوق بالأماعز يرتمينا*
نشق بها رؤوس القـوم شقاً	*ونختلب الرقاب فيختليـنا*

(وسوق: جمع وسق وهو حمل البعير، الأماعز: جمع أمعز وهو المكان كثير الحجارة: شبه كثرة القتل فيهم وتساقط رؤوسهم كأنها حجارة في مكان كثير الحجارة، نختلب: نقطع بالمخلب وهو المنجل الذي لا أسنان له، يختلينا: قطع الخلا وهو الحشيش الرطب).

الرؤيا: وفي (٢٢) شوال هب سالم من نومه يضحك والبشر بائن على وجهه كما يقول أبوصالح مثنى المأربي، ثم أخذ سالم بتلابيبي وقال: أبشر فإني سأستشهد، فقلت له: إن شاء الله في فلسطين، قال: لا بل في أفغانستان، فإني رأيت والدي يصارعني مازحاً وهو مسرور لي.

وجاءت القذيفة ليأخذ ملك الموت فيها روح سالم وأبي قتيبة السوري (طالب النجار)، ومضى إلى الله -عز وجل- بعد أن ترك حسرة عميقة في قلوب إخوانه أنه نال الشهادة -كما يحسبون- قبلهم، والكل يتمنى ويدعو أن يقضي نحبه على هذا الطريق، ونرجو الله أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى.

الشهيد أبو ساعد الجداوي (رضوان خليفة)[2]:

هكذا قدّر الله أن يكون اسم الشهيد على اسم خازن الجنة، ولعل روحه قد التقت برضوان على بارق-نهر بباب الجنة- في قبة

(١، ٢) المصدر السابق ص ٣٧-٣٨.

خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا.

ما بالك يا رضوان قد طلقت الدنيا ونفرت منها كأنها البعير المبعد أو الشاة الجرباء؟ ولماذا حرمت جمهورك ومحبيك من رؤيتك في ميادين الكرة. مالك يا رضوان قد جفلت من رحلات النادي إلى أوربا والغرب ليروح عنك ويسري عنك همومك؟

أي اختيار هذا أن تنفر من أطعمة أوربا وتعليمها، ومن الرفاهية في جدة وترفها إلى الخبز الجاف والشاي المر؟

ليت شعري ماذا دهاك؟ حتى استبدلت الشظف بالترف، واخترت الخوف تحت القصف على الأمن والراحة الجسدية التي تعم بلدك.

يا ابن الرابعة والعشرين أما فكرت في الغيد الحسان حتى تختار منهن رفيقة حياتك؟ من التي ستتزوجك بعد أن تركت النادي وهربت من الدنيا وأهلها إلى شعف الجبال تطلب الموت مظانّه؟

إن الأمانيّ ارتفعت، والاهتمامات قد علت، والروح قد شفت ورفرفت وأصبحت تبحث عن الحور العين بعد أن كانت النفس غارقة متيمة في أرام (جمع ريم) الطين ونساء الدنيا.

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

لقد عبّ رضوان من متاع الدنيا وماء بحرها فما ازداد إلا عطشاً، وكأنه يعيش في أخريات أيامه مع أبيات أبي نواس:

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم وأسمت سرح اللهو حيث أساموا

وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابــــه فإذا عصارة كل ذاك أثــــام

فرّ إلى الله، وظن أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وأصبح يهتم بالحديث، حتى كان الإخوة يطلقون عليه (الألباني الصغير)، كان يفر من الشر وأهله، لا يحب النميمة ولا الغيبة، كان صواماً قواماً كما يشهد له أفراد سرية حمزة بن عبد المطلب التي توجهت إلى فارياب والتي حظيت تربتها بأن تضمخ بدمه.

قدم إلى الجهاد قبل سنة ونصف، وتدرب ثم ذهب إلى لوجر، وأخيراً كتب الله له أن يكون جندياً تحت إمرة أبي الجنيد/أمير سرية حمزة بن عبد المطلب، وتوجه إلى فارياب أبعد بقعة في أفغانستان تقريباً عن بيشاور، وفي الطريق وقع في أسر الشيعة في باميان، ولكن الله -عز وجل- قدّر أن يعمي أبصارهم عنه فلم يعلموا أنه عربي سعودي، وإلا لعضوا عليه بالنواجذ يطلبون الفدية بالملايين، كما فعلوا بثلاثة من الأطباء العرب في وردك قد أسروهم منذ سنة تقريباً وهم يطلبون الملايين لقاء إطلاق سراحهم رغم المواعيد الكثيرة التي أخلفوها.

وأطلق سراح رضوان ولحق بحبيبه أبي الجنيد، وهناك توجه إلى مديرية قيصر واشترك في عملية ضد الروس، ثم اشترك بعدها في عملية (قلعة يليبكي)، وذهب بعدها إلى (اندوخوي) على حدود تركمانستان، هذه المنطقة التي ترزح تحت الاستعمار الروسي، وتذكرك وأنت تتنسم عبيرها بشذى المدن الكبرى التي كانت في يوم من الأيام ملء سمع الدنيا وبصرها.

خراسان: لقد كانت تركمانستان جزءاً كبيراً من خراسان والتي يقول عنها ياقوت الحموي (وأما العلم فهم فرسانه وسادته وأعيانه)، وإن هذه البلاد لتثير في أعماق النفس الأشجان لأن الحضارة فيها تندب أيامها الخوالي، وتركمانستان تضم سرخس (بلد السرخسي صاحب المبسوط)، وبيهق (بلد البيهقي صاحب السنن الكبرى)، وهذه مرو-قصبة خراسان وحاضرتها(بلد عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل)، وهذه آمد (بلد الآمدي: صاحب كتاب الإحكام في أصول الأحكام في أصول الفقه)، وهنا ابيورد (بلد الأبيوردي الأديب محمد بن أحمد سنة (٥٠٧ هـ))، وهنا نسا (بلد النسائي صاحب السنن)، وهذه جرجان (بلد الجرجاني النحوي الأديب)، وهذه زمخشر (بلد الزمخشري صاحب الكشاف في التفسير)، وأي قطر في الدنيا أخرج من العلماء أكثر من هذا القطر الذي انمحت فيه آثار الإسلام، وحرم اقتناء القرآن، بحيث يعد وجود القرآن في بيت جريمة تعرض صاحبها إلى الحكم بالسجن أربع سنوات، وشمال أفغانستان جزء من خراسان، ثم مزقتها الأهواء السياسية والديكتاتوريات العسكرية البلشفية فقطعتها ثلاث فرق: قطعة بقيت في أفغانستان والهندكوش وشمالها وتضم هرات وكل الولايات التي تقع شمال كابل، وأهم مدنها هرات وميمنة وبلخ وطالقان وفيض آباد وبغلان وبولخمري، ومساحة هذه البقعة مائتا ألف كم٢ (٢٠٠ ألف).

وأما القطعة الثانية فهي بلاد التركمان (تحت حكم الاستعمار السوفياتي ومساحتها (٤٥٠ ألف كم٢) والقوزاق.

القطعة الثالثة من ولاية خراسان ضمن إيران ومساحتها مائة ألف كم٢.

أما سكان خراسان فهم (١٢) مليوناً من البشر.

١- (٤.٢٥) مليون من أصل تركي وهم التركمان والقرغيز والأوزبك والقوزاق.

٢- (٣.٧٥) مليون من أصل فارسي وهم الطاجيك في أفغانستان وسكان إقليم (مازندران) في إيران.

٣- (٣.٥) مليون من أصل مختلط من (الفرس والترك) هم البشتو في شمال أفغانستان.

٤- (٠.٥) مليون من أصل روسي وهم المستعمرون الحكام.

أمنية تحققت: وقد كانت نفوس الإخوة العرب تهفو أن تطأ هذه الأرض الإسلامية التي غابت وراء الأسوار الحديدية الحمراء منذ بداية هذا القرن، وكتب الله لهم تحقيق هذه الأمنية، وولجوا هذه الأرض، وعادوا مسرورين بتحقيق هذه الأمنية الكبرى.

وكتب الله لرضوان السقوط فوق أرض الشهداء في أعز موقف، لقد كان رضوان حريصاً أن يشترك في كل معركة ساخنة لعله يحظى بالشهادة، وجاء اليوم الذي يشترك فيه الإخوة في معركة على (كروان باشي) في (ميمنة) عاصمة فارياب، واشتد القتال، ودارت الدائرة على أعداء الله، وتم الفتح لجند الله، وجاءت طلقة في صدر رضوان ونال الأمنية الكبرى، ومضى إلى الله بعد أن تحول من (لاعب كرة هواء إلى رامي كرة نار على الأعداء)، وانتقل نشاطه من (ميدان رياضة كرة القدم إلى ميدان بناء وقيادة الأمم)، وقد كان كثير من الإخوة يتوقعون له الشهادة من خلال سلوكه وأعماله التي تمهد لهذا الشرف العظيم.

بشرى رسول الله ﷺ: ولقد رأيت حديثاً ينطبق على رضوان وأمثاله ممن عادوا إلى الله بعد جاهلية، ثم قرفوا (خافوا) من ذنوبهم وقدموا إلى الله فراراً إليه من ذنوبهم، وطمعاً في الشهادة؛ ففي الحديث قال ﷺ: **[القتل ثلاثة: رجل مؤمن مجاهد بماله ونفسه في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل، فذلك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت عرشه، لا يفضلهم النبيون إلا بدرجة النبوة، ورجل قرق على نفسه من الذنوب والخطايا جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتل حتى قتل، فتلك مصمصة تحت ذنوبه وخطاياه، إن السيف محاءُ الخطايا، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء، فإن لها ثمانية أبواب، ولجهنم سبعة أبواب، ولبعضها أفضل من بعض، ورجل منافق جاهد بنفسه وماله حتى إذا لقي العدو قاتل في سبيل الله حتى يقتل، فإن ذلك في النار، إن السيف لا يمحو النفاق]**، أحمد وسنده حسن وصححه ابن حبان. (مصمصة: مطهرة ومغسلة. قرق: خاف).

الشهيد الدكتور ناصر الجزائري (حلواجي عمار)[1] (طبيب القلوب والأجساد داعية الوادي)

رفيق العمر يصاحبه في لحظاته الأخيرة التي يودع بها الدنيا -تقي الدين-، عاش معه في وادي الجهاد (وادي سوف)، عرين الأسود، وبيشة (غابة) الفهود، وتخرج من الثانوية ودرس القطاع الصحي (فني مختبرات)، وتخرج من المعهد مع أخيه أبي بشير الجزائري، وعمل في مستشفى الوادي وأصبح لامعاً في مجال اختصاصه.

وفي بستان الدعوة الإسلامية كانت هذه النبتة التي نعمت بالجو الطيب، فنبتت بإذن ربها، وكانت الثمار الطيبة التي فتح الله بها على المفكرين الإسلاميين في هذا العصر، قد وصلت إلى أيدي الناشئة فانتقذتهم، وكان لسيد قطب رحمه الله دوره الذي أعده الله، فسالت المواهب الربانية على ريشة قلمه السيّال، وأعطتها بلاغة البيان وقوة السبك التي حباها الله لسيّد روعة وبهاء وأمدتها بالحياة وكتب الله لسيّد أن يقف تلك الوقفة الصارمة الشامخة التي ودع بها الدنيا، فنفخت في كلماته الروح والحياة والنفاذ إلى أعماق قلوب أبناء الجيل، وكذلك الأمر بالنسبة للكتاب الآخرين من أبناء الحركة الإسلامية الرائدة.

وتربى ناصر على موائد هؤلاء المفكرين، وفي زاوية بيته مكتبة عامرة بمثل هذه الكتب التي استحوذت على اهتمامه، وكان لكتب السيرة مكانة خاصة في أعماقه، ولذا فقد كانت السيرة عنوان المحاضرات التي يلقيها في ندوات المساجد، ويعلق على أحداث السيرة، ويفسرها التفسير الحركي الذي يجعل أصحابه كتقي الدين أن يمتلىء إعجاباً به، وكثيراً ما كان يبدي دهشته وتأثره بمحاضرات ناصر، وكان ناصر يرد قائلاً أستغفر الله.

إلى أرض الجهاد: وغادر ناصر الوادي سنة (١٩٨٥م) متوجهاً إلى أرض الجهاد، وترك ثغرة كبيرة في الوادي، وما أجمل أن يملأ هذه الثغرة أخوه (علي)، ولدى وصوله أرض الجهاد عمل ممرضاً في اختصاصه بجانب الدكتور صالح الليبي، ثم عاد ناصر إلى الجزائر، وصار يتردد على أهل الدكتور صالح بالزيارة وفاءً له وحباً.

---

(١) المصدر السابق ص ٣٩.

وعاد ناصر مرة أخرى إلى الجهاد، وتوجه إلى (وادي سوف الأفغاني) وبدأ يزاول عمله كطبيب وذلك لقلة الأطباء، ومع ذكره مع أخيه أبي بشير هناك، وبعد ستة أشهر كلفه الأخ أبو الحسن المدني بعمل مستشفى، ففرح بذلك فرحاً شديداً، وزاد في فرحه وصول تقي الدين مع جمال الدين- وجمال أحد الشباب الذين أنقذهم الله على يد ناصر- وما أجمل أن يردد (لا ندري بأيهما نفرح، بعمل مستشفى المجاهدين أم بوصول تقي الدين وجمال الدين)، وهي أيام ثلاثة فما ارتوت الأرواح من ظمئها ولا خفف اللقاء من شوقها:

عدتم إلينا فما ابتلت جوانحنا　　　شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا

(المآقي: جمع موْق حجرة العين التي يتجمع فيها الدمع).

إنها أيام ثلاثة فقط يلتقي الأستاذ مع تلميذه، ثم اختطفت رحى المنايا الدائرة روح جمال الدين، وكان وصول الإخوة في الأسبوع الذي استشهد فيه (وسيل) -قائد الاتحاد في شكردرا-، وقد كان غضنفراً هصوراً في ميادين الوغى، وقد ترك في نفوس الجميع حسرة عميقة، ولذا فكان ذكره يتردد على لسان ناصر، ولا يعلم ناصر أنه بعد يوم أو يومين سيلتقي بوسيل إذا كتب الله لهما القبول، وطارت الأرواح إلى حواصل الطيور الخضر في الجنة.

وجاء اليوم الموعود: حيث توجهت القوة الحكومية إلى شكردرا، وفي اليوم الرابع صلى الإخوة صلاة الغداة (الفجر)، وتلوا على عادتهم الورد القرآني بعد أذكار الصباح (المأثورات)، وفي الساعة الثامنة والنصف جاء الخبر بوصول القوة، فهب المجاهدون إلى قمم الرواسي الشاهقة، أما ناصر فقد توجه إلى مكان الوضوء، وتقي الدين يستحثه الخطى، ولكن ناصراً يصر على الوضوء قبل تسلق ذرى الجبال.

وبين صيحات التكبير والتهليل التي تردد أصداءها السفوح والقمم والهضاب وأسد الله الغضاب تصلي أعداء الله بشواظ النار قبل نار الآخرة، وبدأت القوة ترتد على أعقابها خاسرة، وتنقلب خائبة وهي تحمل معها قتلى المعركة كلاب النار، ونفذت قذائف الإخوة المجاهدين، فانطلق ناصر مع تقي الدين لإحضار القذائف، وفي الطريق إلى مخزن الذخيرة وتقي الدين يهتف بناصر للإسراع وقعت قذيفة بينهما، ولم يكن بينهما، سوى متر ونصف فأشاح تقي الدين بوجهه وأخذ بأنفه من غبار القذيفة.

وانجلى الغبار، وأقبل تقي الدين ليطمئن على أخيه ناصر، وإذا بالشظايا قد أصابت منه مقتلاً، وحمله تقي الدين إلى المغارة، وبدأ يقرأ عليه سورة (يس) وأوداج ناصر تشخب الدم الزكـي.

وقبل أن ينهي تقي الدين السورة للمرة الثالثة صعدت الروح الطيبة إلى بارئها بعد أن بلغت بمسيرتها وأشهدت وأقامت الحجة على من تخلف، فطالما كان وهو يتفقد الساحة فلا يجد فيها الدعاة والأطباء فيقول: بماذا يجيب العلماء والدعاة والأطباء ربهم يوم القيامة عن تخلفهم عن الجهاد في سبيل الله، لقد أرسل إليّ ناصر رسالة صوتية يطلب بها أن نرسل إليهم طبيباً أو دواء وقال: لقد جاءت فتاة صليبية لتعالج الجرحى فأين المسلمون؟!

بل لقد سمعت أبا الجنيد بعد رجوعه من فرياب وهو يرى حاجة الساحة للأطباء، وقد نقل لنا بالصورة المسموعة أرجل الجرحى وهي تقطع بمنشار الخشب. أقول لقد سمعت أبا الجنيد يقول: إن هذا القطع بالمنشار مع بقاء المجاهد الجريح حياً، لقد تعلم هذا بعشرة إلى عشرين ممن قتلهم وهو يحاول نشر أرجلهم أو أيديهم.

وقال أبو الجنيد وهو يعيش أزمة الغياب المذهل للأطباء عن الجهاد: أظن أن الأطباء سينالهم عذاب شديد يوم القيامة بسبب تخلفهم عن إنقاذ جرحى المعارك.

فهل يسمع نداءهم عشرات الألوف من الأطباء في العالم الإسلامي، بل قد تجد البعض من هؤلاء لا يستطيع أن يعمل في بلاده بدون أجر في مستشفيات الدولة (**إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون**) وعند الله تجتمع الخصوم.

ونرجو الله عز وجل أن يتقبل شهادة أخينا ناصر ويجمعنا به في الفردوس الأعلى.

الشهيد جمال الدين الجزائري (رشيد الغولي)[1]:

قال أبو محمد: إني لأرى رشيداً يأكل من يد الحور العين.

من وادي الجهاد أقبل شهيدنا رشيد، وفي جنبات هذا الوادي ترعرع، ومع أترابه من أبناء الحركة الإسلامية نشأ وسار، وما هو مبرر وجود الحركة إن لم يكن الجهاد أول برامجها، وماذا ستعمل الدعوة إن لم تعد للأمر عدته وتتخذ للشأن أهبته؟ وماذا عساه

(١) المصدر السابق ص ٤١.

يكون حديث سامرها وحداء ركبانها إن لم يكن حديث البيض والسمر والصفاح والعوالي والرماح والأسنة؟.

ولكن من أين التذكرة؟ أما وقد اقتنع رشيد بالجهاد من خلال ما ترامى إلى مسامعه من مفاخر القوم في أفغانستان، ومن قصص البطولات الرائعة التي أعادت سير السلف وشجاعتهم إلى الأذهان حية قائمة شاخصة. وليس أمام رشيد سوى أن يطلق الدراسة وينطلق إلى عمل من الأعمال مهما كان شاقاً حتى يوفر من كد يمينه وعرق جبينه ما يستطيع به أن يشتري التذكرة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فإذا كان الجهاد لا يتم إلا بالوصول إلى أرض باكستان فالسعي لشراء التذكرة فرض.

وانتقل من الجزائر إلى تركيا لعله يحصل على التأشيرة، ولكن أعياه الطلب ويئس من الحصول عليها من تركيا، ثم غادر تركيا إلى سوريا، وكتب الله له أن يحصل عليها بعد التي واللتيا، وعندما وصل باكستان توجه إلى معسكر خالد بن الوليد، ثم بعد أن أتم تدريبه توجه إلى خوست ثم إلى ننجرهار/جلال اباد، وكان مختصاً بالرمي على الأسلحة الثقيلة، وقد أحبه الأفغان حباً شديداً، وقد كلفه القائد الأفغاني بالتحقيق مع الهاربين، وانتشر صيته بين الشيوعيين، حتى أصبحت له رهبة ورعبٌ في قلوب أعداء الله.

وذات يوم أصاب القصف الغرفة التي يحل فيها رشيد، فسقط عليه جداران، وأصيب بجراح خفيفة، فجاء لعلاجها فاصطحبه تقي الدين إلى شكردرا.

وهناك التقى جمال الدين (رشيد) بأستاذه ناصر، وكان لقاءً حاراً بعد غياب طويل، فقضى معه أياماً ثلاثة مرت كأنها طرفة عين في نظرهم لشدة الأنس، وجاءت الدبابات في اليوم الثالث لتقتحم الموقع الذي يربض فيه الإخوة العرب.

واخترط جمال الدين مدفعه (٨٢) وحمله وصوب قذيفته نحو مدرعة متقدمة فأحرقها، والتكبير من الشباب العربي يدوي في عنان السماء.

وهزم القوم الذين كفروا، وأصبحت صيحات التكبير الممزوجة بفرحة الانتصار تتعالى من هنا وهناك، وصار الكفر المثخن بجراحه يغلي جرحاه، ونزل تقي الدين لجلب القذائف، ثم عاد وفي نشوة النصر الغامرة سأل تقي الدين عن جمال الدين وعثمان اليمني، فرد الأفغان لقد صعدوا إلى قمة الملجأ، فصعد تقي الدين ليراهما، وإذا بأفغاني يصيح: شهيد شهيد، فاستفسر تقي الدين فقال: اثنان من العرب قد استشهدا، وجاء تقي الدين وإذا بجمال الدين مسجى وقد وصل إلى ربه واستراح، وترك في أعماق القلوب الجراح، وحمل الشهداء، وبجانب أحمد الجزائري والقائد وسيل دفن رشيد هناك حيث امتزجت الدماء واختلطت الأشلاء في معركة هذا الدين، وحتى تبقى هذه الأجداث شاهداً شاخصاً أن معركة أفغانستان هي معركة العقيدة، وأن العرب جزء من تاريخ أفغانستان الإسلامي الحديث، وأنهم لبنات صالحة قد أخذت مكانها في صرح المجتمع الإسلامي الذي نتوقع قيامه في كابل إن شاء الله.

بشرى عظيمة على لسان أبي محمد الجزائري: وقد جرح مع رشيد في نفس القذيفة، وأصيب بشظايا في رأسه، ونقل إلى بيشاور، وكانت الآلام تشتد عليه أحياناً فيغمى عليه، وأغمي على أبي محمد ذات مرة فقال:(إني لأرى رشيداً يأكل من يد الحور العين).

الشهيد ياسين الجزائري (عبد رب النور حميد)(١): (الفار من زواج الدنيا إلى زواج الآخرة):

من الوادي وأنعم به من واد، فكم قذف بفلذات الأكباد من الليوث والأساد، فقد جاءنا من وادي سوف وثبت في أرض الجهاد أكثر مما جاءنا من الجزائر بأسرها، وحسبك من الوادي الشهيد فوزي بن علي، ولا أدع ذكر الوادي قبل أن أدعو لأبي إبراهيم.

عائلته متدينة: شب وتفتحت عيناه على براعم الصحوة الإسلامية التي عمَّ نورها البلدان الإسلامية، وضوَّع شذاها أرجاء المعمورة، أنهى الدراسة الثانوية، ثم عمل في وظيفة إدارية، وخطب له أهله فتاة يريدون أن يمتعوا أبصارهم برؤية أحفادهم، وتمت الخطبة، وبدأت الإعدادات للزواج وقبل البناء -العرس- بقليل وقعت أنظاره على مجلة من مجلات الجهاد، فاسترعى انتباهه أمر جلل، إنه الجهاد في أرض البطولة والفداء، وماذا بعد هذا؟ إن العلماء يفتون بفرضية العين دون إذن الوالدين.

فيا نفس أي عذر لك أمام الله بعد هذا؟ وهل الزواج يصلح عذراً للقعود عن الجهاد؟ ألم يكن أصحاب رسول الله ﷺ يتزوجون أو يهفون للزواج؟ وهل منعهم هذا عن تقديم أرواحهم لنصرة هذا الدين؟ أسئلة تتواتر وتترادف، وخواطر تتوالى وتتوارد، لم يعد يستطيع، أصبح ذهنه مشغولاً في هذه الخواطر التي لم يعد يملك ردها.

وجاء القرار أخيراً: وأخيراً جاء القرار الحاسم بأن تكاليف الزواج يجب أن يشترى بها تذكرة توصله إلى الجهاد، وأما الزواج فلعله يكون في الجنة بالحور العين، ألم يقل الله -عز وجل- ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال

(١) المصدر السابق ص ٤٢.

اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين).

تأشيرة باكستان: وانطلق ياسين مغادراً الجزائر، وطفق يبحث عن سبيل للحصول على فيزا الدخول إلى باكستان فتوجه نحو تركيا، ولكن وجد أن تأشيرة باكستان دونها كثير من العقبات، وذلك بسبب الضغوط العالمية -التي توجهها الأصابع اليهودية- على باكستان، لأن العالم كله إنما ينتفض فزعاً من الشباب المسلم الأعزل، فكيف إذا حمل هذا الشباب السلاح، إن الشباب المجاهد غول يطارد أعداء الله في منامهم فيقض عليهم المضاجع.

وانتقل ياسين من تركيا إلى دولة عربية، وبعد جهد جهيد وقد بلغت القلوب الحناجر يسّر الله له التأشيرة، وأقبل إلى باكستان، وأخذ قسطه من التدريب، ثم إلى أين؟

إلى وادي سوف الأفغاني (وادي شكردرا: وادي السكر)، وقد لقي الإخوة فيه أنسهم بعد أن يسّر الله لهم أحد إخوة الوادي (أبا علي المالكي) الذي أصبح محل ثقة جميع القادة، وكان الأفغان ضيوف وأبا علي صاحب المنزل.

وفي شكردره: استلم ياسين دبابة من الغنائم، وقد كانت له معرفة سابقة بالدبابات الروسية، وأصبح يقودها ويتحرك بها في المنطقة، وقد كان يخوض غمار المعارك يحمل كاميرة الفيديو ليسجل القذائف الملتهبة والدبابات المحترقة والمخازن المشتعلة.

سنة كاملة في وادي سوف الأفغاني (وادي شكردرة): ووجد ياسين في الوادي روحه وريحانه، وأقرباءه وخلانه، فاستقر بها يبحث عن الموت ليسرع من زواجه بالحور.

في كريزمير: ولشدة القتل الذي يخلفه القصف الجوي والمدفعي بكل ما أبدعه العقل الروسي من وسائل التدمير والإبادة قل عدد المجاهدين في كريز مير (قرية في شكردرا).

وأبى الإخوة العرب أن يدعوا أهل القرية لمصيرهم المحتوم وهو الاستسلام للدولة فيما لو انسحبوا، واختاروا الموت على خط الدفاع الثاني لكابل.

ولقد استحر القتل بهم، والدولة تعرف مركز العرب، والمسافة مقيسة بالمتر، والقذيفة قلما تخطئ هدفها، أو تضل مسارها.

قال تقي الدين: وشهدت مع ياسين المعركة الأخيرة، وقد صوّر أحداثها الملتهبة، وعاد إلى البيت ليلقي الكاميرا، وجاءت قذيفة الموت التي أخذت معها رجله، وجاء عبد الحق الجزائري وضمد الجرح الذي يثعب دماً، وأتينا بالحصان الذي نريد أن ننقله عليه إلى جارليز والطريق مسيرة ليلتين، وبعد مغادرة شكردرا بساعة صعدت روحه إلى بارئها.

ومضى ياسين إلى رب العالمين، ونرجو الله عز وجل أن يتقبله في الصالحين، وأن يزوجه الحور العين، وهكذا مضيت يا ياسين بعد أن علمتنا الكثير، علمتنا أنه:

إذا غامرت في شرف مروم	*فلا تقنع بما دون النجوم*
فطعم الموت في أمر حقير	*كطعم الموت في أمر عظيم*

الشهيد شفيق إبراهيم المدني[1]

(ويح أمه مسعر حرب لو كان معه رجال)

وهكذا مضى أبطال المأسدة الواحد تلو الآخر، وابتلعت أراضي جلال آباد أسداً بعد أسد وليثاً إثر ليث، وأبو عبد الله أسامة يعتصر قلبه الألم، كلما ودع فلذة من كبده أصابت كبده قذيفة جديدة فانتزعت فلذة جديدة، ثم مضت وتركته يتلوى ألماً، وقبل أن يواسي جراحه يصيبه سهم جديد بجرح عميق وينكأ عليه ما كاد يندمل من قديم الجراح، ولسان حاله يردد مع كل مسافر إلى الله -عز وجل-:

أبنت الدهر عندي كل بنت	*فكيف وصلت أنت من الزحام*
جرحت مجرحاً لم يبق فيه	*مكان للسيوف أو السهـــام*

مضى أبو الذهب فقال لي أبوعبد الله: ما تألت علي أحد كأبي الذهب، ثم لحقه خالد الكردي فقال أبو عبد الله: ما عز عليّ أحد

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٩ ص ٣٦ صفر ١٤١٠هـ سبتمبر ١٩٨٩م.

كخالد، ثم تبعه عبد المنان وعبد الرحمن المصري.

وأما في جلال آباد فقد اختطفت يد المنون شلواً لأبي عبد الله وهو أبوطارق المازبي (عوض العرادة)، ثم انتزعت شلواً آخر وهو أبو قتيبة، وهنا كان البكاء المر، ثم اهتصرت الحتوف (الموت) شفيقاً فلم يعد في النفس صبر على فراق الأحبة.

أما شفيق فحدّث عنه كما تشاء -من الشجاعة والإقدام والصبر والاحتمال-، فهو من أصغر الناس الذين أقبلوا على الجهاد.

قدوة: أما شفيق فقد قدم سادس ستة تلاميذ أحد الدعاة المعروفين من المدينة المنورة منهم الشهيدان أبو قتيبة وخالد الكردي، ومضوا على الطريق الشائك يتعلون شوك الغضى ويتجرعون غصص الأكدار، ولقد واكبت مسيرتهم منذ أيامهم الأولى، وكنت أشفق عليهم، غض أهابهم، وطري عودهم، والأمر أكبر منهم، والحمل ثقيل على كواهلهم، -وسبحان الله- إن أبعد شيء كان يمكن تصوره هو استمرار هؤلاء الشباب على هذا الطريق الدامي الأليم، ولكنهم ثبتوا بتثبيت الله لهم، وقصرت قمم كنا نحسبها أعمدة لهذا البناء الإسلامي السامق، وفجأة افتقدناهم وكل له مبرراته يترك الميدان، ولكن أتقبل عذراً عند الرحمن؟ إن هذا من الشك بمكان.

في معسكر أسامة بن زيد: وكان أسد الله أمير معسكر أسامة بن زيد شخصية جذابة لكثير من الإخوة العرب القادمين للجهاد لشجاعته، وكذلك لقرب معسكره، فنزل إليه شفيق مع بعض إخوانه العرب، وإبان وجودهم في المعسكر حصل اقتحام للمعسكر من قبل الشيوعيين، وقد ولج الشيوعيون نفس الغرفة التي فيها شفيق ونجا شفيق، وأبوحنيفة بأعجوبة بالغة، إذ أن الله قدّر لهما الحياة، وفي اليوم التالي أراد المجاهدون استنقاذ المعسكر من أيدي الكفرة، وكان شفيق من الليوث الذين انقضوا على الأعداء مع (جل الرحمن)، وأنقذ المعسكر واستشهد (جل الرحمن).

وطوّف شفيق بين المعسكرات الحدودية في بكتيا وكنر، وكان والده قد قدم إلينا من أجل إرجاعه، والتقيت بوالده، واستطاع أن يعيد ابنه إلى المدينة.

ثم زرت المدينة وإذا بشفيق يعمل في الحرم المدني، فأخذني للزيارة، ولم يطل به المقام وكأنما يتقلب على الخذم (الأسنة)، وكان لابد من العودة ولو بأي طريق، وعاد شفيق إلى أرض الجهاد، وبعد لأي قدم أبو عبد الله أسامة متفرغاً للجهاد وبدأ بإنشاء المأسدة، وكان دون تأسيسها عقبات وأهوال، وبدأها باثنين، شفيق وآخر وكان هو ثالث الثلاثة.

وبدأت المأسدة تنمو يوماً بعد يوم، ولكن الزمهرير الذي احتمله الإخوة من صقيع الشتاء في العام الأول لا يحتمله إلا أفذاذ الرجال، وقد كنت مشفقاً عليهم أن تنزل طائرة هليوكبتر فتلتقطهم أحياء وتعود بهم إلى كابل.

معركة المأسدة: رمضان سنة (١٤٠٧هـ) وقدر الله لهذا المعسكر العربي الصغير أن يواجه هجوماً شرساً من الروس والشيوعيين وكتب الله النصر للمسلمين وكان للشباب العربي المجاهد -بعد الله تعالى- دور مشكور في النصر المبين.

على أكتاف هؤلاء تقوم الأمم، قال أبو الشهيد الأرحبي: لقد كنت في المأسدة ويود كل واحد منا أن يجد لحظات للراحة لشدة الإعياء الذي ينهك النفوس، في هذا الوقت العصيب رأيت شفيقاً بعوده الناحل يحمل الهاون على كتفه لينصبه في مواجهة العدو، فقلت في نفسي (على أكتاف هؤلاء يقوم الجهاد)، فقلت (بل على أكتاف هؤلاء تقوم الأمم).

شفيق يواصل المسيرة: واستمرت مسيرة الجهاد، وزاد تدفق الشباب العربي إلى الجهاد على أثر معركة المأسدة، واستمر شفيق ينتقل من موقع إلى موقع جندياً مجهولاً، لا يتكلم عنه أحد، ولا يعرفه أحد إلا الذين يعيشون في أكناف أبي عبد الله، وعمل في خوست، ثم انفجرت براكين جلال آباد، وأقبل شفيق ولا تجده إلا في المواقع المتقدمة التي تقع على أسخن خطوط النار، وبدأ الشباب يتساقطون في ميدان البطولة والإباء، وشفيق مواصل مسيرته ينتظر مصرعه، وما رأيت أبيات أبي الطيب أليق بشاب عربي شهيد من شفيق:

أقل بلاءٌ بالرزايا من القنـــــا وأقدم بين الجحفلين من النبل
أعز بني الدنيا وليث إذا انبرى كأنك نصل والشدائد للنصـل
مقيم مع الهيجاء في كل موطن كأنك من كل الصوارم في أهل

(الرزايا: الشدائد. القنا: الرماح. الجحفلين: الجيشين، أي إن الرماح أشد تأثراً بالشدائد منك. انبرى: ظهر. نصل: سيف. الهيجاء: الحرب . الصوارم: جمع صارم وهو السيف القاطع، أي حيثما تكون المعركة نجدك وكأن أهلك هم السيوف).

وقد كنت كتبت هذه الأبيات لشهيد عربي آخر، فعندما بلغتني شهادة شفيق قلت: إن شفيقاً أولى بهذه الأبيات.

والحق أن هؤلاء الشباب الذين جاءوا صغاراً إلى الجهاد وشبوا على نار محنته، ونضج عودهم على لهيب أتونه، لم يعد للخوف أي مكان في حياتهم، إذ كان شفيق يصل في دوريات الاستطلاع في المراكز القريبة من المأسدة، أو في جلال آباد على بعد عشرين متراً حتى يسمع حديث الجنود في المركز، ولو نطق لسان الواحد منهم شعراً لقال:

سبحان خالق نفسي كيف لذّتها ... فيما النفوس تراه غاية الألـــم

الدهر يعجب من حملي نوائبه ... وصبر جسمي على أحداثه الحُطُم

(نوائبه: جمع نائبة وهي المصيبة. الحُطُم: الشديدة المحطمة).

الشهادة: وفي الثالث من ذي الحجة سنة (١٤٠٩هـ) الموافق (١٩٨٩/٧/٥م) أراد الشيوعيون أن يتقدموا على مركز الإخوة العرب وقد اغتنموا فرصة نزول الإخوة الأفغان لقضاء العيد بين أهليهم، وعمل الكفار خدعة، فأرسلوا ثلاث دبابات على الطريق العام نحو "خوش كنبد" و(كريز كبير)، فامتشق المجاهدون قاذفاتهم الصاروخية لمواجهتها، وبعد قليل بدأت الدبابات تبرز من خلال التلال المجاورة، ودهش الإخوة لهذه المفاجئة، فتقدم أحد الإخوة بمدفع (٨٢) فلم يطلق، ثم تقدم شفيق على مدفع (٧٥) وأطلق مجموعة من القذائف على الدبابات ولكنها كانت كثيرة ومتقدمة، فأطلقت عليه دبابة قذيفة فأصابته وتناثرت أشلاؤه في الهواء، ثم تراجع الإخوة العرب، وأحرق أبوعبيدة المخازن والدبابات تطاردهم، وجرح شاب وحاول الإخوة حمله، ولكن الدبابات كانت جد قريبة وتطاردهم، فلم يكن لديهم أي فرصة، فطلب الأخ الجريح تركه وانسحب الإخوة العرب، ودخل الأعداء هذا المركز الذي أقض مضاجعهم ثلاثة أشهر متتالية لا يهدأ لهم بال ولا يقر لهم حال.

وهكذا تمزق شفيق يجمعه الله من حواصل الطير وبطون السباع (لولا حزن صفية لتركتك يجمعك الله من بطون السباع وحواصل الطير). ونرجو الله أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى وأن يعوضنا وأهله خيراً منه.

الشهيد حبيب (محمد المشاري العرعري)[1]:

قبل سبعة أشهر وفد إلى الجهاد مع أخوين له، ثم عاد الأخوان وبقي مستمراً في أرض الجهاد ليكتب الله له الشهادة فيها.

قدم أولاً إلى معسكر صدا ثم إلى خلدند، وعشق خلدند وأحبها حباً لا يستطيع معه مفارقتها، وأتقن السلاح حتى يستطيع منازلة أعداء الله، وقد أعد نفسه وروحه للجهاد.

فقد كان صواماً قواماً كما يقول أبو الدرداء: (قليل من العمل قبل القتال وإنما تقاتلون بأعمالكم)، ولخلدند موقع متقدم على خط التماس الساخن، وكان التراشق بالهاون مستمراً متبادلاً، وأصابته ذات مرة شظيه في يده وعافاه الله، وقد شارك أخيراً في عملية بجانب سوق خوست وقد استشهد فيها (١٨) مجاهداً وعاد سالماً.

وإذا الكتيبة عربت أنيابها ... بالسمهري وضرب كل مهنـــد

فكأنه ليث على أشبالـــه ... وسط الهباءة خادر في مرصد

(السمهري: الرمح. مهند: سيف. الهباءة: الغبار. خادر: أسد في عرينه. مرصد: كمين يترقب صيده).

وفي الليلة التي سبقت استشهاده كانت رماية العدو كثيفة وشديدة، مما اضطر قائد المعسكر أن يسحب نصف الإخوة المتقدمين في خط النار الأول، وكانت المدفعية ورشاش الشيلكا (٢٣) ملم يصلي المجاهدين بوابل من أمطار قذائفه.

وعاد حبيب من خط النار، فأصابته طلقة فاخترقت رئته وكتفه وصدره، فسقط على الأرض وهو يقول لإخوانه: إني لأشعر بوخز في صدري، فتراءوا حمله إلى الغرفة دون أن يعلم أحد أنه أصيب، فوجدوا دماءه تسيل، فنقلوه بسرعة إلى مستشفى صدى، وعلى الطريق صعدت روحه إلى بارئها.

رائحة المسك: ومع خروج الروح الطيبة بدأت الرائحة الطيبة تفوح مسكاً في السيارة. قال لي أحد الإخوة: ما شممت رائحة أطيب من الرائحة المنبعثة من دمه، ولقد أصاب شيء من دمه ثياب الطبيب في صدى، وعاد الطبيب إلى بيشاور وبقيت ثيابه تعبق شذى عطرياً، ونرجو الله -عز وجل- أن يكون طيب دمه وجرحه يوم القيامة أشد وأزكى وأنفذ وأعبق.

---

(١) المصدر السابق ص ٣٨.

وبقيت كلمة أخيرة عن عرعر: فقد جاءنا إلى الجهاد من هذه البلدة الطيبة عدد كريم من الإخوة، وكان لهم أثر عميق في نفوس الذين خالطوهم سواء من القسم الذي عاد إلى عرعر أم من القسم الذي بقي يواصل المسيرة فوق أشواك الطريق الدامي، ونرجو الله أن يجزيهم عنا خير الجزاء، ونرجو الله أن يخلف على أهل الشهيد خيراً، وأن يجعله شهيداً وشفيعاً لهم يوم القيامة إنه سميع قريب مجيب.

الشهيد أبو رياض (محمد سعيد الزهراني)[1]:

في عمر الورود مضى، وفي نضارة الشباب قضى، لم يدرك العشرين بعد. أحب أستاذه (رياض) فكنى نفسه أبا رياض، وقد صمم أستاذه أن يأتي ببعض تلاميذه ليعيش معهم في أرض أفغانستان يتلقون العلم والعمل معاً ومعهم قائدهم، وجاء الإخوة من المنطقة الشرقية في السعودية وقد شكلوا سرية أعدت نفسها للدخول، وقد جمعوا بعض الأموال لأحياء المنطقة الأفغانية (غوربند-بروان) ببعض المشاريع، خاصة مشروع كفالة الأيتام وإقامة مستشفى ومدارس.

وكتب الله لأستاذهم أن يحضر دون الدخول لحاجة الإخوة العرب لتربيته وتوجيهه، ومضى الشباب في سبيله إلى غايتهم مع الجارود كبيرهم الذي قضى في العام الماضي قريباً من عام من الزمن هناك.

ودخل الإخوة بروان وصاروا يذرعونها من كوهستان إلى غوربند يريدون أن ينفذوا المشاريع التي كلفهم أصحاب الأموال بتنفيذها، وبعد ستة أشهر تقريباً أراد (أبو رياض) أن يعود إلى بيشاور، وحزم متاعه مع أخوين من ليوث الله وعادوا، وعلى الطريق محطات للراحة، ويحلو للإخوة العرب أن ينزلوا في المكان الذي يتواجد فيه العرب.

محطة شكردرا: وعند أبي علي المالكي نزل في (وادي سوف الأفغاني) حيث تجمع مجموعة من الشباب الجزائري الراجع إلى الله والمقبل على الجهاد، وهذه منطقة ساخنة لا تتوقف فيها المدافع عن أمطار حممها المتصببة يومياً -تقريباً-، وكتب الله للإخوة أن يشهدوا وقعة في شكردرا، ثم جاءت القذيفة التي تناولت معها أرواح ثلاثة إخوة وهم (أبو رياض، وعماد الدين، وسيف الدين).

اطلعت على رسالة موجهة إلى أهله تشف عن نفسية صافية، وتنم عن قلب متجه إلى الله -عز وجل-، وما أجمل القلوب التي تصفو قبل أن تغرق في مستنقع الدنيا يدنسها الحسد وينجسها الحقد، ويشوبها الرياء، نفوس طاهرة لم تفسد بعد بالأهواء، ولا تعرف الالتواء، يقول فيها (أوصيكم بالجهاد لأنه ذروة سنام الإسلام، ولأنه -إن شاء الله- ينجينا من عذاب أليم، وإن حلاوة الجهاد لا يعرفها إلا الذي خاضها، كما أوصيكم بالصلاة والصوم والصلاة على النبي ﷺ حتى يكون شفيعاً لنا يوم القيامة.. وإلى اللقاء بكم في جنات عدن).

رحم الله أبا رياض، ونرجو الله أن يجزي أستاذه رياضاً الخير، وأن يجمعنا به في الصالحين.

الشهيد المهندس شمس الدين الأفغاني[2]:

أكتب عنه مع أنني لا أكتب عن الأفغان لكثرتهم، ولأن وقتي لا يتسع لذلك، وكان بودي أن أكتب عن القادة الأفغان لأن تاريخهم بوارق أمل كبير للأمة الإسلامية، وهم نماذج نحتذي بها على الطريق لمن أراد أن يحطم قيود العبودية وينبذ أغلال الذل، وقد اكتفيت في زاوية الشهداء أن أكتب عن كثير من الشهداء العرب والذين يسعفني الوقت بالكتابة عنهم، ولكني كتبت عن القائد صفي الله أفضلي لما بيني وبينه من صلات وثيقة ومحبة عميقة، وعن موحد وعبد الفتاح، والآن أجدني مدفوعاً للكتابة عن هذا الشهيد لكثرة الثناء والإطراء الذي سمعته من أفواه الإخوة عليه.

في (درزآب) ولد شهيدنا شمس الدين، وكان همه البحث عن جبهة ساخنة يعمل بها ويقضي بها نحبه ويلقى بها ربه، فقد ترك أهله منذ خمس سنوات يطوف بين الولايات، واستهوته شولكر البلد الذي أقام به ذبيح الله مؤسس الجهاد في بلخ، وهناك أصبح رامياً على السلاح الثقيل (الزيكويك)، ثم ترك شولكر يبحث عن الموت، فوصل بدخشان، ثم ودّعها إلى تخار، وأخيراً جاء إلى بيشاور.

وفي بيشاور التقت به سرية حمزة بن عبد المطلب بقيادة أبي الجنيد وعلم أبوالجنيد، أن شمس الدين مهندس أسلحة، فهو يصلح معظم أنواع الأسلحة، وتمسك به أبوالجنيد، وعرض عليه أن يرافقه إلى فارياب لأن فيه المعهد الإسلامي (للتربية الإسلامية

(١، ٢) المصدر السابق ص ٣٩.

والعسكرية)، وسار مع القافلة (علّم فصلاً كاملاً في آلمار عن العلوم العسكرية والتربية الإسلامية).

كان يصدع بالحق حيثما كان، واستقر المقام به أخيراً في مركز ميمنة عند (سيد علاء الدين) أسخن جبهة في فارياب، وقد عرف عن علاء الدين الشجاعة والإقدام والنكاية بأعداء الله، ويتغنى الناس بشهامته وعزته، فعندما رآه أحبه كثيراً، والتقت الأرواح مع بعضها، وكما قال ﷺ (الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) وازدادت المحبة بينهما، وأراد علاء الدين أن يربطه رباطاً وثيقاً بالمنطقة، فعرض عليه الزواج، وألح عليه، وأعانه عليه قائد آخر (سيد نوران أكبر)، وأخيراً كتب الله له عقد الزواج على امرأة من القوم.

ولكن الله حبب إليه الجهاد حباً ملك عليه مشاعره ونفسه، وأحب أوقاته أن يجلس إلى أنيسه وجليسه يتحدث إليه وهو السلاح الثقيل، يصلحه أو يمسحه أو يجربه، وكان ماهراً بإصلاح الأسلحة.

قال له أحد الإخوة العرب: لقد تزوجت الجهاد، فأجاب شمس الدين: لقد زوجوني من بنات حواء رغم أنفي.

رحلة الوداع: وفي معركة (كروان باشي) كان اللقاء مع أعداء الله، ودارت رحى الحرب، وحمي الوطيس، وانطلقت الليوث الخادرة من عرينها، ويحلو للشاعر أن يتغنى بهم قائلاً:

إذا همّ ألقى بين عينيه عزمـــــه	*ونكب عن ذكر العواقب جانبـــاً*
ولم يستشر في رأيه غير نفســـه	*ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا*
سأغسل عني العار بالسيف جالباً	*عليّ قضاء الله ما كان جالبـــاً*
ويصغر في عيني تلادي إذا انثنت	*يميني بإدراك الذي كنت طالبـــا*

(تلادي: مالي القديم).

وأقبلت شعوب (المنية) تنشب أظفارها وتستل روح شمس الدين ورضوان (السعودي) في هذه المعركة، ويمضيان على الطريق. ونرجو الله أن يبلغنا وإياهم منازل السابقين. مضى شمس الدين إلى الله وهو في سن التاسعة والعشرين.

الشهيد أبو عاصم الصنعاني (عادل حسني الوادي)[1]:

بعد أن أتم حراسته في ليلة يوم الإثنين (٣/٧/٨٩ ١٩م) في مركز قباء أحد المواقع المتقدمة للمجاهدين حول مدينة جلال آباد التي قضى فيها معظم أيام جهاده، صلى الفجر ونام في خندقه.

كان القصف في تلك الليلة شديداً ومتواصلاً، ففاجأته قذيفة هاون (١٢٠) ملم وانفجرت بين قدميه، وكانت أول كلمة ينطقها بعد إصابته (حسبي الله ونعم الوكيل)، ثم ردد الشهادة، وبقي يرددها حتى صعدت روحه إلى بارئها راضية مرضية بإذن الله.

ولد الشهيد عادل حسني الوادي (أبو عاصم الصنعاني) في اليمن سنة (١٩٧٠م) وهو ينتسب لأسرة كريمة، محافظة.. عاش ينهل من القرآن وعلومه، ويسعى إلى إقامة الإسلام في كيانه، وأهله، ووطنه.

كان يرى العالم من حوله ظلاماً دامساً، ويرى أن كثيراً من الناس يعيشون في عالم الغفلة والنسيان، وفي مستنقع عبودية النفـــس والهـــوى والشيطان.

تلفت هنا وهناك يبحث عن إشراقة شمس ونور جديد وتاريخ مضيء.. فبزغ الفجر على فؤاده، وظهر الدرب أمامه، عندما سمع عن الجهاد في أرض أفغانستان، عندما سمع النادي يقول: ياخيل الله اركبي وإلى الله ارغبي. ودع أبو عاصم أسرته الصالحة وأحبته وأترابه وارتدى حلة الجهاد، وصاح بأعلى صوته لبيك يا أرض الجهاد، وهاجر بروحه وماله تاركاً كل شيء، ينشد العزة، ويطلب من الله النصر والثبات. كان رحمه الله يلح في الدعاء والرجاء، ويكثر التقرب إلى الله ليمن عليه بالشهادة.

هكذا مضى الشهيد أبو عاصم رافعاً رأسه بأعز موتة بل أعز حياة في سبيل الله، وقد ذكر الأخ أبو محمد اليمني والأخ أبو عنتر اليمني أنهما استروحا رائحة طيبة تفوح من جسده بعد استشهاده (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون).

---

(١) المصدر السابق.

الشهيد أبو دجانة الجزائري (عناية محفوظ/خميس مليانة)(١):

من رواد المساجد، تربى في حلقاتها، وصقل روحه بين جنباتها، ثقافته الإسلامية صقلت من خلال هذه الحلقات، كان يتفانى في خدمة هؤلاء الذين عرفهم في بيوت الله، وقد كان شغوفاً بسماع الأشرطة التي تفد إلى الجزائر من وراء البحار، وذات يوم ترامت إلى مسامعه أخبار الجهاد الأفغاني وحكمه الشرعي بأنه فرض عين، فعمل هذا الشريط في نفسه عمله، وأصبح يتقلب على مثل شوك الغضى، فأقض عليه مضجعه، وأرق له أجفانه، وصار لسان حاله يردد:

أبرحت يا مرض الجنون بممرض مرض الطبيب له وعيد العُوَّدُ

وكان لابد من التفكير بوسيلة ليلحق بجسمه روحَه التي سبقته لترتوي من نهر كابل أو هلمند أو هاري رود.

وبدأ يتردد على أبواب السفارة الباكستانية ويطرق أعتابها ويقرع أبوابها، فما وجد إلا صداً، وما استمع منها إلا رداً.

التضرع في الأسحار: وذات ليلة قامها وابتهل إلى الله أن ييسر سبيله وأن يلبي رغبته، فيسر الله له التأشيرة، وما كاد يصدق أنه قد نالها، ولو فطن قلبه لقال (حلماً أرى أم ذاك طيف خيال).

لم يعد عنده أي صبر على الانتظار، فطار إلى أفغانستان بجناحي روحه قبل أن تحرك الطائرة التي تقله جناحيها، ولدى وصوله توجه إلى معسكرات الإعداد والتدريب والتوجيه.

التنقل بين الجبهات: وبعد أن أتم تدريبه أخذ يزاول الجهاد ويتنقل بين الجبهات وينتقي أسخنها وأشدها التهاباً، ثم يرجع إلى بيشاور يلتقط أنفاسه، ثم يعاوده الحنين إلى مواطن الشهادة، وتستحثه شهادة إخوانه السابقين لمواصلة الطريق.

هوة أنقذه الله منها: وذات يوم التقى به نفر من الشباب الذين التبس عليهم أمر الجهاد وأصبحوا يتحدثون بما يهز العزائم ويثبط الهمم، فتأثر أبو دجانة بهم، وأظلمت صورة الجهاد في نفسه، ودخل الشيطان في مساربه يسوّل له العودة إلى الجزائر، فساق الله له أحد الشباب الناضجين الذين كشف الله عن بصيرتهم، وحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم (نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحداً)، ووضح له حقيقة الجهاد وحكمه الشرعي، وأن المشاكل التي تعترض المجاهد على الطريق هي جزء أساسي في هذه المسيرة المضنية لا تنفك عنها، لأن البلاء ملازم لطريق الأنبياء -عليهم السلام- والصديقين والصالحين **(أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل)**.

العهد الجديد: وهنا عاهد أخاه الذي أجلى الشك من نفسه والريب عن قلبه أن ينزل إلى جلال أباد ولا يرجع منها قبل أن يتم السنة، وهناك وفوق جبل قباء بنى عناية عشه الذي كان بعد فترة نعشه، وذات يوم جاءته قذيفته التي تحمل معها منيته، وسار أبودجانة إلى الله ونجاه الله من التولي يوم الزحف **(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار)**.

ومضى كأنه يعلم الأجيال قائلا:

دع المداد وسطر بالدم القاني وأسكت الفم واخطب بالفم الثاني

فم المدافع في صد العداة لـه من البلاغة ما يزري بسحبان

الشهيد ضرار عيسى موسى الشيشاني (محمد منصور)(٢): (ضرار ولا خالد له).

ولد في الأزرق -قرية في صحراء بادية الشام-، فتفتحت عيناه وترعرعت نفسه مع عزة الصحراء، وانطلقت نفسه مع الحرية التي يعبر عنها امتدادها وسعتها

إنما الإسلام في الصحرا امتهد ليكون كل مسلم أسد

رباه والده على الأنفة والإباء، ويذكر لي قصصاً في صغره تعبّر عن نفسية الشموخ التي ترفض الذل وتأبى الهوان.

ما كان يغيب عن قلبه أنه ينتمي إلى قفقاسيا، فقد رحل أجداده من هناك وقاتلوا مع الشيخ شامل الداغستاني، وكان يحلم أن ينتقم من أولئك الذين ألقوا بمئات الألوف من أبناء قفقاسيا في منافي سيبريا يموتون جوعاً وبرداً، ولقد حدثني بعض هؤلاء أن آباءهم وأجدادهم في أيام ستالين قد وضعوا في المنافي دون طعام، فكانوا يأكلون أولادهم الذين يموتون قبلهم.

---

(١) مجلة الجهاد العدد ٦٠ ربيع الأول ١٤١٠هـ أكتوبر ١٩٨٩م ص ٤٠.

(٢) المصدر السابق ص ٤١.

لقد كان الروس يدركون أن هذا العرق شرس في حروبه، ولا يمكنهم أن يخضعوا أعدائهم بسهولة، حتى قال الجنرال الروسي ولعله بافلوف (لقد كلفنا القتال مع الشيخ شامل من الخسائر ما يكفي لفتح البلدان الواقعة بين مصر واليابان).

فكانت الأحلام التي تراود ضراراً أن يستعيد هذا المجد المؤثل والعز الضائع، ولعل والده قد سماه ضراراً تأسياً بضرار بن الأزور بطل الفتوحات الشامية.

في الكلية العسكرية: وتوجه هذا الشاب إلى الكلية العسكرية في الجيش الأردني، ودخلها ليكون الطريق الحقيقي لإشباع طموحه وتحقيق تطلعاته، وتخرج من الكلية العسكرية ضابطاً في قسم الهندسة، وبدأ يخدم في الجيش، وقد عرف في شبابه باستقامته ونظافة سلوكه، وصار يربي مجموعات من الشباب الشيشاني على الإسلام وعلى السير على هدي المصطفى ﷺ.

اللقاء أول مرة: وأول مرة التقيت به على صفحات رسالة أرسلها إلى بعض أحبائه في بيشاور، فأدركت من خلالها طموحاته وآماله، كان يفكر في ضرب موسكو، ويحذر من خطط الروس وألاعيبهم، ولمست عمقه، وكان يحدثني بأشياء قريبة من الخيال وكأنه:

إذا غامرت في شرف مروم … فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير … كطعم الموت في أمر عظيم
يرى الجبناء أن الجبن حزم … وتلك خديعة الطبع اللئيم

تطليقه الدنيا: مضى على ضرار أربعة عشر عاماً في الجيش الأردني ثم ترامى إلى مسامعه أخبار الجهاد الأفغاني وتيقن أن هذا هو الطريق، وكان قد وصل إلى رتبة (رائد) في الجيش ولم يبق سوى عام واحد حتى ينال تقاعده، وحاول أن يصبر نفسه ولكن أنى تطيق البقاء؟ فقلت له عند قدومه إلى الجهاد هلا انتظرت سنة فتنال التقاعد؟ فقال ضرار (العام طويل)، نعم العام طويل على جسد يحيا بلا روح فروحه قد سبقته ترفرف فوق جبال الهندوكوش.

طلق الدنيا وخاف الفتنة: أقبل ضرار وحيداً بعد أن حاول إحضار زوجته ولكنها أبت عليه وتركها ودنياها وجاء بكليته إلى الجهاد، عمل في التدريب، وفي الكلية العسكرية –عند الشيخ سياف– وقد كان ممتلئاً إعجاباً وحباً وإجلالاً للشيخ فكان يقول: قال أمير المؤمنين –سياف– عمل في مجلة البنيان، وفي مرآة الجهاد (ماج)، وعلق على فيلم (لا عزة إلا بالجهاد)، اشترك في بعض المعارك مستشاراً للشيخ سياف، كان يعد بحوثاً نظرية للجهاد والشؤون العسكرية لتطبيقها في أرض الفخار وقمم المجد.

لقد كان باختصار ممتلئاً بالقضية معتزاً بهذا الدين، يؤلف الأهازيج والأشعار عن صلاح الدين والقادسية وحطين ويحدو بها أثناء التدريب ويلقنها الشباب، يناطح السحاب بعزته، ويطاول السماء بشموخه وأنفته.

كنت أقول له: حبذا لو قللت من تحليقك في سماء آمالك حتى تكون أقرب إلى الحقيقة من أحلامك، وكأن لسان الحال أبلغ من لسان المقال يردد:

سبحان خالق نفسي كيف لذتها … فيما النفوس تراه غاية الألم

رجوع ضرار إلى الأردن: وعاد ضرار، وظننته سئم الطريق وملّ المواصلة، وإذا به يخطط لأمر آخر، فقلب الأسد الذي يطوي عليه الجوانح لا يمكنه الاستقرار في حياة هادئة رخية ممتعة، فمحال أن يتحول المرجل الذي يغلي فجأة إلى جليد قاس والجو كله ملتهب حوله.

عملية خيالية: جاءتنا الأخبار عن عملية شبه خيالية يقتحم فيها ضرار الحدود نحو فلسطين ليكمن لدورية يهودية، وتقوم بينه وبينها معركة يستشهد فيها ويمضي إلى ربه رافع الرأس ناصع الجبين، ولم يترك لأحد عذراً وقد أقام الحجة على الناس، مضى وقد فسّر الحديث الشريف في عالم الواقع [خير الناس رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه].

وحيد من الخلان في كل بلدة … إذا عظم المقصود قلّ المساعد

فنرجو الله أن يتقبله شهيداً، وأن يجمعنا به في الفردوس الأعلى.. آمين.

رسالة إلى ولدي (١) :

بسم الله الرحمن الرحيم

إبني الحبيب:

لقد صحوت اليوم ١٩٨٥/١١/٨ إثر حلم لذيذ رأيتك فيه، رأيتك جئت إليه ورميت بنفسك في حضني على عادتك، فشددتك إليّ بيدي، وأنا أقول لنفسي لأسعد بابني هذه اللحظات ولو في الحلم، وعندما صحوت وجدت يدي مشدودتين إلى صدري، وكأنك حقيقة في حضن والدك.

أي بنيّ:

لا تحسبن أنني فارقتك رغبة عنك، وزهداً بك، فمن يحبك إن لم أحبك، فأنت ابني الوحيد في هذا العالم، وما جئت إلا بعد ثماني سنوات طويلة من الانتظار كنت فيها أسأل الله عز وجل وأتضرع إليه أطلبك منه حتى رزقني بك، فالحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

لا تحسبنّ أنني فارقتك لأنني لا أحبك، أنا فارقتك لأنني وقفت على آية في كتاب الله عز وجل تقول **(قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين).**

فلما قرأت هذه الآية رغبت بما عند الله، وفوضت أمرك إليه.

لم أزل أتذكر تلك اللحظات التي أدخلتك فيها إلى غرفة أخرى دون أن تشعر حتى لا تراني خارجاً وتبكي ورائي، فما كنت سأطيق بكاءك لو أنني سمعتك تبكي خلفي وانطلقت إلى الجهاد في سبيل الله إلى أفغانستان دون أن أسمح لنفسي بالالتفات خلفي.

واليوم وقد وصلت إلى المكان الذي طالما تقت إليه، وددت أن أكتب إليك رسالتي لأسطر لك فيها بعض الكلمات كي أقول:

إنك ستكبر بإذن الله، وسترى حال المسلمين، وستجد أنه لا سبيل لعزة المسلمين إلا بالجهاد، فأوصيك أن تلتحق بي يوم أن يشتد ساعدك ويقوى جسمك حتى نواصل طريق الجهاد معا على جبهة واحدة، أو أنك ستصل إلى أرض الجهاد فتجد أباك قد اتخذه الله شهيداً عنده، فتمر على قبري، وتطلب لي من الله عز وجل المغفرة والرحمة، ثم تنطلق لتكمل المشوار في درب الجهاد والاستشهاد...

أي بني الحبيب:

سأنتظرك مهما طال الزمن ما دمت حياً فإذا التقينا في الحياة الدنيا فسأفرح بك وتفرح بي، وتحمد الله عز وجل سوياً على نعمة اللقاء، أو نلتقي يوم الحشر العظيم تحت ظل عرش الله في الخالدين إن شاء الله.

أبوك المحب

رسالة: من مرابط إلى ولده :(٢)

إبني الحبيب:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

كنت قد كتبت إليك قبل فترة من الزمن رسالة، وذلك بعيد وصولي إلى أرض الجهاد، وكنت حينذاك في حالة عاطفية كنت أحسبها قاسية، لأني فارقتك وتركتك بعيداً مع والدتك، واليوم منّ الله عليّ أن دخلت إلى مستشفى مكة المكرمة(٣) وزرت الجرحى من المجاهدين، ووجدت بينهم من هم في مثل سنك فسألت عن سبب وجودهم على أسرة المرضى وعن أمراضهم، فقد ظننت أنهم مرضى بأمراض الأطفال المعروفة في العالم، وكشف الطبيب لي عنهم، فذهلت عندئذ من هول المفاجأة، فمنهم من بترت يده ومنهم من بتر

(١) مجلة الجهاد العدد ١٨ ص ٢٨ ١٥ رمضان ١٤٠٦هـ ٢٣ مايو ١٩٨٦م.

(٢) كتبها الشهيد ضرار الشيشاني عندما كان يجاهد في أرض أفغانستان.

(٣) في مدينة كويته الباكستانية على حدود أفغانستان.

ساقه، ومنهم من بترت يده وساقه، ومنهم من تشوه جسده الصغير إلى درجة الرعب.

فإذاً سبب المرضى يا بنيّ (فايروس حقود لدود اسمه روسيا)، فلتعلم يا بني أنك لن تهنأ يوماً من الأيام ولن يهنأ طفل من أطفال المسلمين إلا أن نقضي على هذا الفايروس اللدود، فلتعلم هذه الحقيقة منذ اليوم.

وبعد ذلك، قمت بزيارة مُخيم للاجئين، فرأيت أطفالاً في مثل سنك حفاة عراة يتفطر القلب حزناً وأسى عليهم من ناحية، وغضباً وتصميماً على الثأر من روسيا من ناحية أخرى.. فقارنت بينك وبينهم يا بنيّ.

فأما أنت يا بني ياذا السنوات الثلاث فإنك تلبس جميلاً، وتأكل لذيذاً، ولو أنني جمعت ثمن الألعاب التي اشتريتها لك ودفعته إلى هؤلاء الأطفال لنشأوا وترعرعوا بأحسن حال.

لقد وجدت يا بنيّ مئات وألوفاً من الأطفال في مثل سنك، ولكني لم أر على وجه أحدهم آثار الدلال التي كنت أجده في وجهك، كذلك فأنت اليوم في حضن أمك وفي بلدك وبين أقربائك، هذا يقبلك وذاك يداعبك، ووالدك حي يرزق ولو بعدت الدار، أما هؤلاء الأطفال فإن ألوفاً منهم لا أب لهم ولا أم ولا جدّ ولا عمّ ولا خال، عندئذ نسيت أنني فارقتك ورأيت فراقك عبارة عن نكتة سخيفة أمام هذا الهول الذي لا يستطيع حتى قلبك الذي لا يدرك هذه الأمور أن يتحمله.

إبني الحبيب: ها أنذا أنتظرك، ولا أقول لك تعال تعال إلى حضني كي أقبلك، ولكن لأقول لك تقدم تقدم إلى القتال، واجعل غاية مناك أن تستشهد في سبيل الله عز وجل، فإنني أريد شرفاً كبيراً لنفسي ولك، حتى إذا وقفت يوم القيامة بين يدي الله عز وجل أقول له: هذا ابني وفلذة كبدي، ولدي الوحيد في هذا العالم، قدمته تقرباً لك يا رب لعلك ترضى.

والدك المحب/محمد منصور

الشهيد أبو ياسر اليمني (عبده علي فارع البحري)[1]:

يا صديقي عن أي شيء كان سؤالك في رحاب العقل يبحث عن جواب؟ أتفكر في الشهيد كيف يترك منصب الدنيا؟ كيف يمشي في الطريق؟ ليس سرا يا صديقي تركه الدنيا وأن يمشي على ساداتها مشي الزهيد، هكذا فكر الشهيد، نفسه تأبى الخضوع لأي قيد من حديد، من أنا من أنت دون عز، دون حكم الله في هذا الوجود، من آنامن أنت والساحة والحمراء والبيضاء تحكم بالنار والحديد، هل ترى هذه القطرات تفترش الطريق، إنها دم الشهيد، رسمت خطا على طول الطريق، كتبت اسماً عظيماً، الجهاد يا شباب المسلمين هو الطريق.

ومضت قافلة فارياب تشق طريقها علها تلحق بركب العزة، أو تضيء للدرب ولو بصيصاً من نور خلال هذا الجهاد المبارك.

كل منا تداعب خياله لحظات الوصول لفرياب، وكلما زادت مشقات ومصاعب الطريق ازددنا صبراً وجلداً، فقد مضى علينا خمسة وأربعون يوماً لم ننم فيها تحت سقف أو نفترش أريكة، فالسماء سقفنا والأرض فراشنا.

ورغم وحشة الطريق إلا أن الأخوّة السائدة بين أعضاء القافلة كانت تضفي عليها أماناً واطمئناناً، ووصلت القافلة بعد شهرين من السفر، استقبلتها فارياب برجالها ونسائها وأطفالها، وبعد أن أخذ كل منا قسطاً من الراحة تفرقنا في أنحاء الولاية، وكان على أبي ياسر الشهيد (عبده علي البحري اليمني) أن يرحل إلى مدينة منسية في حدود روسيا تسمى (اندخوي) لم تطأها قدما غريب منذ مئات السنين، وهناك فكر أبو ياسر في إنشاء مركز عسكري لتدريب المجاهدين حسب تخصصه، فهو عسكري ومن خريجي الحربية بصنعاء، ولكن الظروف لم تهيء له إنشاء ذلك المركز، فيمم شطر (ميمنة) مركز الولاية، ثم رحل إلى تكاب شرين حيث حط رحاله هناك استعداداً للعملية ضد أعداء الله، وفعلاً بدأت المعركة واشتدت رحاها وزاد ضرامها، وبدأ جند الله يقتحمون مواقع الشيوعيين ومعهم أبو ياسر، يقتحمون الحصن تلو الحصن، غير أن هناك مدفعا كان يشتت المجاهدين ولم يخرس بعد، وكان على أبي ياسر أن يسكته، فأخرج قنبلة من جعبته وارتفع قليلاً من الخندق والمجاهدون ينظرون إليه متى يلقيها من يده، ولكن أبا ياسر انخفض فجأة وسقط على الأرض مضرجاً بدمه، فقد مزقت سهام الردى جسده، وهناك في أعالي تكاب شرين دفن أبو ياسر بعد أن قطع الحزن عليه نياط القلوب، ولكنه دفع مهر الحور كما قال لإخوانه أثناء صعود الجبال (صبراً فإن هذا مهر الحور)، (وكان معروفاً بيننا بصيام النوافل

(١) المصدر السابق ص ٤٢.

في السفر والحضر).

وداعاً أبا ياسر فقد عشت عزيزاً وهاجرت وحيداً ومت شهيداً -إن شاء الله- ولا نزكي على الله أحداً، وداعاً أبا ياسر فقد دفعت ثمناً من أثمان ركود هذه الأمة، ونحن على الطريق سائرون، ولن تجد منا من يخون المسيرة.

الشهيد أبو مهاجر (محمد سعد اليمني)[1]:

من وصيته:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبـــارد شرابها

إخواني. لقد سمعت وحضرت كيف يموت كثير من الناس فلم أجد أكرم ولا أشرف ولا أعز من الشهادة في سبيل الله.

لم يكن هذا الشهيد الشاب ممن طال بهم الزمان في الجهاد، ولم يكن ممن فتحت على أيديهم الفتوحات، ولم تظهر له خوارق الكرامات، ولكنه رجل نظن أنه صدق الله فصدقه.

عبر إلى الجنة بأقصر طريق.. جاور ربه راضياً بقدره، بل كان متشوقاً إلى ذلك، والذي يلفت النظر قصة هذا المجاهد أن لبثه في الجهاد قصير جداً، فقد اختاره الله في أول مرة يشارك فيها في عملية ضد الشيوعيين على أرض جلال أباد، وفي أول لحظة وطئت فيها قدماه أرضها، ومما يلفت النظر في وصيته أنها مع قصرها فإن سطورها تنبيء عن عمق إيمان صاحبها وقوة يقينه (نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً)، كما تنبيء عن رزانة وحكمة قلما تتوفر لدى الشباب ممن هم أطول منه باعاً، وأقدم منه في أرض الجهاد.

حاول الشهيد السفر إلى أرض الجهاد ولكنه وجد معارضة شديدة من أهله بوضع العراقيل في طريقه، حتى إن إخوة له ذكروا أنه اجتمع عدد من أفراد قبيلته لمحاولة اقناعه بالبقاء لأنه صغير السن تارة، أو لأنه يجب عليه أن يكمل دراسته تارة أخرى ثم بالضغط عليه، ولكن كان أقوى من ذلك كله، فإصراره وعزيمته كانتا أكبر من سنه، فمكث عاماً كاملاً ولسانه يلهج بذكر الجهاد والشهادة في سبيل الله ولم تضعف عزيمته، ولم تخر قواه، بل كان في العام التالي أشد إصراراً، فحاول مرة ثانية ونجح في استخراج جواز السفر، وكسر كل القيود، وانطلق إلى أرض الجهاد بقلبه وقالبه، فكان يردد دائما قوله تعالى (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات)، وقول الشاعر:

أنا لله قد نذرت حياتي وسألت الله حسن الثبات

كان شديد الحب للجهاد، ما جلس في مجلس إلا وتحدث عن الجهاد محرضا إخوانه للذهاب معه، يقص عليهم مما يسمع من أخبار الجهاد، كان أمله بالله كبيراً، تصوره للجهاد واسعاً، كان يريد أن يعد نفسه للجهاد في كل مكان وليس في أفغانستان فحسب، فأكمل الدورة التدريبية على أمل أن يشارك في عمليات جلال أباد ثم يعود ليأخذ دورة أخرى ليواصل الجهاد بإعداد أحسن.. ولكن الله اختاره في أول لحظة وطئت فيها قدماه أرض جلال أباد حيث أصر أن يشارك في أول عملية يشهدها، ولم يرض بغير الصف الأول، فجاءت قذيفة هاون لتأخذه هو والشهيد محمد هاشم معاً إلى جنات الخلد -إن شاء الله-، فاختاره ربه إلى جواره وعجل له باللقاء (**ويتخذ منكم شهداء**)، فنعم المجاهد، فقد تمنى الشهادة صادقاً فصدقه الله وآتاه إياها -نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً-.

رحمه الله رحمة واسعة، فقد ترك فجوة في قلوبنا التي كانت قد تعلقت به حبا في الله، والله فقد كان يحترمه جميعنا مع صغر سنه، وكان كثير الاستخارة في الأمور كلها، طيب الخلق، حسن المعشر، يلهج لسانه كثيرا بذكر الجهاد ومتابعة أخباره.. ناصع المحيا، لا تنقطع الابتسامة عن وجهه.. مع رجولة وحزم، يصفه إخوانه بأنه أكبر من سنه.

ألا رحم الله الشهيد (أبا مهاجر) وأسكنه فسيح جناته وأنزله منزلة الشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقا، وألحقنا به في الصالحين إن شاء الله... آمين.

---

(١) المصدر السابق ص ٤٣.

استشهاد أول طبيب عربي دخل أفغانستان[1]

- الطبيب صالح الليبي يطلب راتبه لستة أشهر مقدماً لينفقه على إخوانه المجاهدين ويشتري به الدواء وليوزعه على المرضى داخل أفغانستان.

- أحمد المبارك الصومالي يخترق مواقع الروس والشيوعيين الأفغان ويعود إلى المجاهدين بعد أن ظنوا أنه قد وقع في الأسر.

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد طال الانتظار على أبواب جلال أباد وقندهار، واشرأب عنق النفاق، وانطلقت جموع (طلقاء الفتح) يروجون الإشاعات في أرجاء أفغانستان أن آن الأوان للقاء على رجل يرضى عنه الوحشان الضاريان -روسيا وأمريكا-، ويبرز المرجفون بثياب الناصحين يتمسحون بالمسؤولين من جميع الأطراف ويبدون لهم ما لا يخفون، وكأن لسان حالهم يقول: ألم يأن لهذه النفوس التي تتكبد آلام المسيرة وتتجرع غصصها أن تلين وتحس بالواقع؟

ألم يأت الوقت الذي يثوب فيه حملة السلاح إلى رشدهم فيحسوا بآلام الثكالى وآهات اليتامى وزفرات الأيامى وأنات المكلومين؟

أما آن لهم أن يرحموا هذه القلوب الجريحة ويوقفوا شلالات الدم المتدفقة؟

ألم يحن الحين أن ينظروا إلى بيوتهم التي تحولت إلى مآتم ومياتم؟ كل خيمة من خيامهم تحولت إلى مجمع للمعوقين والمشوهين واليتامى المجروحين؟

ما بالكم تصرون على مسيرتكم؟ أليس الأولى بكم أن تجتمعوا على رجل اجتمعتم عليه أربعين عاماً وهو راجع إليكم باسم جديد -ظاهر خان- وليس ظاهر شاه؟

أم أنكم تصرون على هذه الحرب المدمرة التي ما أبقت ولا تركت، دمرت البنيان، وأحرقت الزروع، وسحق الناس، وتهدمت المساجد وبات الأولاد يتضورون جوعاً في الشوارع لا مدرسة تؤويهم، ولا قرش في جيوبهم، ولا دار تظلهم.

كفاكم صراعاً على المناصب، وخصومة على الكراسي وزجاً للشعب كله في مذابح أهوائكم، ومجازر شهواتكم.

هذا لسان حال المرجفين المثبطين والقاعدين المخذلين.

ولكن جند الله كأنهم في صمم مما يلغو الذين حولهم، وما لهم لا يجيبون قائلين:

سأبقى في جبين الصبر ... وشماً ليس ينفصـــــل

أشرع هامتي للنـــــار ... للأشــــواك أنتعــــل

وكل تذيفـــة يشــــدو ... على أنغامهـــا الأمـــل

نعم كل ما يردده المرجفون حق ولكن أريد به باطل، وقد نسوا قضية كبرى وهي أن هذا الجهاد قام منذ أول يوم لاعلاء كلمة الله في الأرض واشادة مجتمع مسلم دعائمه الجماجم والدم. ولذا فكل حل لا يأتي بالأيادي النظيفة الصادقة لتمسك بزمام مقود التوجيه فهو مردود.

(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله» الانفال/٣٩.

إذن فلتبق الرماح مشرعة، والسيوف بارقة، والدماء مهرقة حتى ينتصر دين الله أو يقضي الله أمراً كان مفعولاً. وهكذا مضى القوم على الطريق.

نعم لقد استحر القتل بعشاق الحور، واختطفت المتون خيارنا، ومضت القافلة تضم إليها كل يوم فارساً جديداً، وتشتد الأحزان عندما يرى الإنسان نفسه وقد سبقه الذين جاؤا من قبله ومن بعده إلى الله عز وجل ونرجو الله أن يتقبلهم في الفردوس الأعلى شهداء وأن لا يحرمنا الشهادة في سبيله بين صليل السلاح ودوي المدافع فهذه غاية المنى. فاللهم أحينا سعداء وأمتنا شهداء واحشرنا في زمرة المصطفى ﷺ.

---

(١) مجلة الجهاد العدد ٦١ ص ٣٥ ربيع الثاني ١٤١٠هـ نوفمبر ١٩٨٩م.

ومع ثلة جديدة من الشهداء:

الدكتور صالح محمد الفارسي (أبو حاتم)

قلما رأيت في طيبه وكرمه، قدم من بريطانيا يحدوه الأمل العريض، أن ينال شهادة يدخل بها جنة عرضها السموات والأرض، كان يحضّر في الدراسات العليا في الطب في قسم الأطفال، ولكن الحنين شده إلى أرض الأمجاد والجهاد، لم يعد يطيق رؤية "الترام" الهوائي ولا الأرضي، ولا دخان مصانع لندن، ولم تعد أذناه تطيق هدير التايمز ولا دقات ساعة "بج بن Bigpin" لقد عشق محبوبة جديدة، لقد اختطفت معشوقته -أفغانستان- قلبه فهو يحاول أن يلحق به.

ولد سنة ١٩٥١ في بني غازي، حصل على شهادة الطب من جامعة قاريونس/بني غازي.

في غزني:

وصل أرض الجهاد وتلفت في ميدانه فلم يجد طبيباً عربياً واحداً فوق أرض النار، فامتشق بندقيته بيد وحمل مبضعه وحقيبته بيد أخرى، وبعد السؤال هداه الله إلى أن يسير مع المجاهدين إلى غزني، وهناك مكث ثمانية أشهر يأكل ويشرب وينام مع المجاهدين، دون أن يلتفت إلى راتب أو يبحث عن دنيا.

ولشد ما كانت النقلة بعيدة وصعبة بين حياة مرفهة مترعة في لندن، وبين حياة المجاهدين الذين لا تتعدى وجباتهم الشاي والخبز وأحياناً دون سكر، وأما الغداء فهو المرق الأفغاني الذي تكوّن السمنة (الدهن) فوقه طبقة سميكة، وما نجا أحد من العرب القادمين بسبب ذلك من الإسهال الشديد الذي يشرف بصاحبه أحياناً على الموت.

الوافدون العرب:

لقد كان وصول الفئة الأولى من المجاهدين إلى شمال أفغانستان -عبدالله أنس وأبو أسيد ومحمد أمين- من أغرب الغرائب، لقد أمضوا ستة وأربعين يوماً حتى وصلوا بلخاً بعد أن أشرف محمد أمين على الموت وسقطت أظافر عبدالله أنس، وانهالت ولاية بلخ -مزار شريف- بكظها وكظيظها لترى العرب الذين كانوا يقرأون عنهم في الكتب، فكم من شيخ قد اشتعل رأسه شيباً مشى على الثلوج أياماً يتكيء على عصاه التي يمسكها بيمناه آخذاً بيسراه حفيده أو ابنه الصغير؛ ليحظى هذا الطفل ببركة وضع العربي يده على رأسه.

العودة من غزني:

ولدى عودة الدكتور صالح من غزني التقيت به، وكان عبدالله أنس عائداً من مزار شريف بعد أن هاله تواجد الغربيين من الفرنسيين في مستشفى مجهز بالأدوات الحديثة، فثارت ثائرة "عبدالله أنس" على أمير المنطقة محمد علم وعلى قاضيها عبدالله فكان الجواب مفحماً للعرب: نحن ما رأينا عربياً حتى الآن قبلكم وقد وصل إلينا هؤلاء الفرنسيون قبل سنوات، فهلا أحضرتم طبيباً مسلماً عربياً، أو غير عربي لنستغني عن هؤلاء.

وكان عبدالله أنس يصر على البحث عن طبيب عربي فقضى الله أن يسوق لنا الدكتور صالح.

وصول الدكتور صالح:

ووصل الدكتور صالح إلى بلخ -مزار-، وكان الفرنسيون قد وصلوا إلى أعماق قلوب الناس، فهم عدا أنهم يقومون بعلاجهم فإن لديهم الهدايا والحلويات التي يقدمونها للمرضى ودعك عن الزيارات في البيوت مع بعض الأموال.

ولدى وصول الدكتور صالح بلخاً تنكرت الأرض للفرنسيين، فبعد أن كانت القلوب تنفتح لتضم هؤلاء الأطباء الأجانب في أعماقها وإذا بهم يُنبذون فجأة إثر فتوى من القاضي عبدالله الذي أعلن: حرمة المعالجة عند الفرنسيين وحرمة مخالطتهم ومجالستهم، وهكذا وفي يوم واحد تقلب لهم بلخ ظهر المجنّ، إذ أن العلاج عندهم كان ضرورة والضرورة تقدر بقدرها، وانتهت هذه الضرورة تشعر الفرنسيين بالنبذ والافراد فقالوا للأمير والقاضي: يبدو أنكم قد استغنيتم عنا.

فكان الرد: نعم، فطلب الفرنسيون أخذ معداتهم، فلم يأبه المجاهدون لهذا، فقالوا لهم: وليكن لكم ما تريدون، خذوها وغادروا المنطقة، ومضى الفرنسيون.

كرامة الدكتور صالح:

وقبيل وصول الدكتور صالح كان أحد المجاهدين قد أصيب بشظية في العمود الفقري ووصلت النخاع الشوكي، فشُلَّ المجاهد، وكان هذا المجاهد قد عرض على الفرنسيين فقالوا لهم: (يستحيل طبياً أن يشفى هذا المريض) بل لقد قالوا كلمة الكفر، قالوا: (إن الله لا يستطيع شفاءه) -تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً-.

ثم عرض المجاهد على الدكتور صالح، قال لي الدكتور صالح: فرأيته محطماً نفسياً وجسدياً فقد عاد لا يستطيع الحركة عن السرير، يبول ويتبرز على نفسه، فقلت له: بسيطة بسيطة -إن شاء الله- يشفيك ربنا، قال الدكتور صالح: قلتها لأرفع من معنوياته المحطمة.

وبدأ الدكتور صالح يعالجه بالأدوية والدعاء ولم تمض فترة قليلة حتى عاد المجاهد معافىً سليماً، ثم انطلق إلى الجبهة يواصل الكفاح على جادة الخير مواجهاً أعداء الله.

فأخذ الناس في بلخ يرددون: وصلنا وليٌّ صالح اسمه الدكتور صالح.

سنتان في بلخ:

وأمضى الدكتور صالح سنتين في مزار شريف -بلخ- كان للإخوة العرب نعم الأب والمربي، فأحياناً تجده يعلمهم القرآن الكريم وأخرى تجده يؤويهم إليه كما تؤوي الدجاجة فراخها، فلم يعد العرب يطيقون فراق المستشفى وأصبح علمهم العسكري منصباً في المنطقة التي تحيط بالمستشفى فهناك وفوق رابية تطل على المستشفى قضى ذبيح الله -مروان حديد- السوري نحبه.

أطلق عليه إخوانه العرب أبا حاتم لكرمه، لم يكن يوفر من راتبه شيئاً: فهو ينفقه إما على إخوانه العرب ولشراء أدوية للمستشفى، ولم يكن راتبه قليلاً ولكنه مع ذلك كان يقترض عليه ديناً ليستطيع مواصلة عمله في المستشفى، إذ كان الدواء شحيحاً فكان يضطر أن يرسل إلينا في بيشاور يطلب راتبه للفترة القادمة -الأشهر الستة المقبلة- ليسد عجز الأدوية في المستشفى.

يقول عباس: عشت معه ستة أشهر فكنت أنصحه أن يقتصد في البذل فيقول: هذه تجارتي بيني وبين ربي.

عرض للزواج:

ومن المعلوم أن الأفغان يتشددون في تزويج بناتهم لغير أقوامهم أما الدكتور صالح فقد عرضوا عليه بناتهم للزواج طمعاً فيه لما يظنون من صلاحه وإخلاصه.

العودة من مزار شريف:

وعاد الدكتور صالح إلى بيشاور ومكث فترة فيها، ثم حدثت معركة المأسدة في رمضان سنة ١٤٠٧هـ واشترك فيها وجرح، وكنت لا تود أن تراه في مكان ملتهب ناراً إلا رأيته، لم تكن جراح الدكتور بالغة، كان في خط النار الأول حيث الأرض تتفجر براكين والسماء تمطر الأرض حمماً ملتهبة.

ما الفحل يهدر في يوم الصيال وما	*النمر الغضوب وما الضرغام والفهد*
أشـــد منـــه مضاءً وهو مندفـع	*لشهـــد ينب الأبطال أو ينـــد*
كم استقرت علـــى طاغ له قـــدم	*وأوغلت في بطون الشرك منه يـــد*
إذا المنية عـــن ميعـــاد اتئدت	*فإنه فـــي هـــواها ليس يتئـــد*

(ينـد: يدفن، اتئدت: تأخرت).

قافلة تخار:

ثم اخترناه ليمضي في قافلة أبي إبراهيم نحو "تخار"، وكانت هذه القافلة أكبر قافلة دخلت أفغانستان موقرة -محملة- بكل ما يمر في الذهن من أجهزة وأدوات طبية وكتب، عدا أنها ضمت واحداً وعشرين عربياً اصطفاهم أبو ابراهيم من المعسكرات، وضمت القافلة طبيبين آخرين (د. أبا الدرداء المصري و د. محمد عمر العراقي) ولدى وصولهم إلى تخار أقاموا دورة طبية لمجموعة من الأفغان لتعليمهم كممرضين.

وبقي الدكتور صالح في المستشفى ستة عشر شهراً ولكنه كان يبحث عن القتال، إنه يبتغي الموت مظانه.

نشيد الدكتور صالح:

كان يردد دائماً زجلاً يقول فيه: ماذا تريد؟ أريد جيلاً قرآنياً فريد، لا يخشى الوعيد ولا التهديد، قدوته أسامة بن زيد وخالد بن الوليد، أمله الوحيد أن يموت في سبيل الله شهيد.

لا علاج إلا بأخذ النسوار (الدخان): كان لا يعالج مريضاً إلا بعد أن يأخذ منه علبة النسوار.

العودة من تخار:

في رمضان سنة ١٤٠٩هـ عاد الدكتور من تخار ولكنه لا يعرف الراحة ولا الاستقرار، كانت معركة جلال أباد ملتهبة وعلى أشدها، ومضى إليها يمارس هوايته ويشبع رغبته، إنه يهوى القتال:

يلــذ لأذنـــــي صليل السلاح ويبهج نفســــي مسيل الدمـــا
فكيف اصطباري لكيد الحسود وكيف احتمالي لكيد العــــدا

وبقي في جلال أباد بين إخوانه الذين ابتلعتهم أرض جلال أباد الواحد تلو الآخر حتى بلغ عددهم التسعين شهيداً، وكم فقدنا من الخيار في أرض ننجرهار، إنهم صفوة الأمة وخيرة أبنائها نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحداً.

العلاج عند الدكتور صالح: كان يقول للمريض العلاج هو (الدعاء ثم الدواء ثم الغذاء).

الشهادة في العشرين من صفر سنة ١٤١٠هـ:

وهكذا تأتي القذيفة التي قدّر الله أن تكون بها خاتمة المطاف، فاختطفته مع أخ عزيز آخر هو الأخ أحمد المبارك الصومالي، وطوي السفر المشرق من حياة الطبيب المسلم العربي؛ الذي كان له شرف السبق إلى أفغانستان إذ أنه أول طبيب دخل أفغانستان، ووصل الجسد المخضب بالدماء إلى بيشاور وسارت الجنازة في موكب مهيب إلى بابي حيث مقبرة الشهداء، وهناك ثوى الدكتور صالح بين إخوانه الشهداء من العرب والأفغان.

أبكيك لا كلباً ما ينبــــيء الألم يا من للقياك حور الخلد تبتسم
تلو جراح فؤادي كلها التأمــت ما كان جرحك يا دكتور يلتئــم
لا تمزقت نلت الفوز أجمعـــــه يا ليت قومي بما قد نلته علموا

الشهيد أحمد المبارك الصومالي

فارسان من طينة واحدة جمعتهما خصال حميدة شتى، مضيا إلى الله معاً بقذيفة واحدة، وأبرز سمة فيهما هي الطيبة البريئة وكأنهما لم يختلطا بقوم فيهم خبث أو دسائس أو التواء.

تقدم منذ سنوات باحثاً عن الموت في أسخن جبهاته، ولكن المنايا قدر لها أجلها الذي لا تتأخر عنه ولا تتقدم.

في بروان:

وبروان ولاية شهدت ما شهدت من المعارك الحاسمة، ولم يعهد من ولاية أخرى تضحيات تناظر البذل الذي قدمته هذه الولاية،

ففيها مركزها "چاريكار" على الخط العام الواصل بين روسيا وكابل، ولذا فمن المناظر الرئيسية التي لا تفارقك حول هذه المدينة أكوام الدبابات والآليات التي تحطمت على أيدي أسد الله وجنده، ولقد استشهد قادة هذا المركز الواحد تلو الآخر في معارك ساخنة تحدثك عنها آثارها، فقد استشهد نيازي وموحد وسيد باشي في خضم أحداث طاحنة قلّما ترى لها نظيراً، ويذهلك بعد هذا أن أهل المنطقة لم يهاجروا، إنهم يسكنون بساتينهم ولكن في ملاجيء تحت الأرض، وأنى لنفوسهم أن تطاوعهم أن يفارقوا هذه الرياض الفاخرة -التي لا يمل النظر منها- الممتدة على طول حوالي (٦٠كم) كأنك تمشي في بستان واحد من "چاريكار" إلى "شكردره -شمالي-".

ففي هذا المكان وجد "أحمد المبارك" بغيته وقرة عينه ومحط أمله.

الأسر:

وذات ليلة خرج المجاهدون لمواجهة قافلة من الدبابات، وأصلوها شواظ نيرانهم ففتحت عليهم النيران من كل مكان كأنما وابل من السماء تصبب عليهم، وتفرق المجاهدون ناجين بأنفسهم، وتلفت أحمد فلم يجد حوله أحداً، وسار وحيداً في ظلمة الليل ووحشة الطريق ورهبة الأعداء وجهل المنطقة، وبدأ يخبط خبط عشواء ليس له دليل ولا أنيس فتارة يكبو من فوق صخرة وأخرى يعثر فيتردى في حفرة، والبرد قارص لا يكاد الإنسان يلتقط أنفاسه لسبراته اللاذعة، فما طلع الفجر عليه إلا وقد تخضب بدماء جراح عثراته.

في بستان شيوعي:

انبلج النهار فأوى أحمد إلى بستان ليصلي الفجر، فاقبل صاحب البستان إليه قائلاً: أنت عربي، فأنكر أحمد، وأنّى له الإنكار؟ فلونه الأسود يقطع بأنه ليس من أهالي البلاد، ثم اعترف أنه عربي، كيف لا وسلاحه ولغته ولونه كلها تفصح عن هويته.

قال صاحب البستان: أنت الآن في قرية تابعة للدولة الشيوعية، ثم أخذ بيد أحمد وبدأ يريه المطار -قريباً منهم- ومراكز الروس والشيوعيين فأدرك عندها أنه وقع في الأسر.

فطلب من صاحب البستان أن يخفي أمره ويكتم سره.

قال أحمد: ثم أخذني صاحب البستان إلى بيته وأتاني بالفطور ولكن نفسي صامت من الزاد وبدأت أفكر في الخلاص، فأخذت قنبلة من جيبي، وفتحت أمانها وأطبقت عليها يدي ووضعت يدي تحت سترتي مظهراً أني أدفيء يدي ولكني متحفز لتفجيرها عندما أحس بخطر الأسر.

حب العربي:

والأفغان يعتبرون حب العرب من الإسلام فيكنون لهم في أعماقهم كل محبة، وينعكس هذا على تعامل الأفغان مع العرب، ولذا فعندما سأل صاحب البيت الأخ أحمد عن هويته وأيقن أنه عربي وجد صاحب البيت الذي يعمل مع الشيوعيين أنه محل للإحترام وأهل للإكرام.

قال صاحب البيت: ماذا تريدني أن أصنع لك.

قال أحمد: أريدك أن توصلني إلى مركز المجاهدين.

فغاب صاحب البيت وإذا به يحضر سيارة مع ثلاثة مسلحين، ثم طلب إلى أحمد أن يركب معهم، قال أحمد: فأدركت أنهم ذاهبون بي إلى السجن لتسليمي للروس، وأخذ يدور برأسي ما قرب وما بعد، أفكر كيف تكون نهايتي معهم، وعلى الطريق أخرج أحدهم رزمة من المال ودفعها إليّ فرفضتها قائلاً: قد قدمت للموت طلباً للجنة وليس لي في الدنيا مطمع أو مطمح، فقال رجل الميليشيا: أنت عربي قادم من بلاد بعيدة ولعلك بحاجة إلى مصروف خاصة وقد مضى عليك فترة بعيداً عن أهلك. وأصر الرجل وأصر أحمد على الرفض.

وظلت السيارة تنهب الأرض وكلما مرّوا على مركز أشار المضيف: هذا مركز روسي وذاك مركز للدولة ويشير إلى المارة هذا روسي وذاك شيوعي، وبقيت السيارة تسير حتى انتهى الشارع المعبد فلم نجد مناصاً من النزول ومن السير على الأقدام، وظلوا معي حتى أصبحنا على مشارف مركز المجاهدين، وعندما توقف الأربعة قائلين: نحن لا نجرؤ على الاقتراب من المجاهدين، وأشاروا إلى

المركز وودعوني بحرارة وعادوا أدراجهم، وعندما وصلت إلى مركز المجاهدين وجدت القوم يبكون عليّ، وهم في حيرة من أمرهم: كيف يفتدون أخاهم العربي الذي أسر من بينهم وهم أحياء، وقد استقر أمرهم أن يدفعوا بأحد أسرى الروس إلى الدولة لمبادلته بأحمد، وأسرى الروس يعتبرون كالعملة الصعبة لأن الروس مستعدون أن يبادلوا أسيرهم بالعديد من قادة الجهاد، وعندما رأوا أحمد مقبلاً تهللت وجوههم فرحاً وبدأت رشاشاتهم تلعلع في السماء معبرين عن ابتهاجهم بعودة أخيهم العربي، وكان حالهم كمن فقد دابته في الفلاة وعليها طعامه وشرابه ثم نام يائساً فما استيقظ إلاوأخذ بخطامها فقال لشدة الفرح (اللهم أنت عبدي وأنا ربك) أخطأ من شدة الفرح.

العودة من بروان:

وعاد أحمد من بروان ولكنه كالولهان الذي يبحث عمن أحب، أنه يبحث عن معشوقته الشهادة، فصار يتنقل بين جاجي وخوست وجلال أباد يطلب الموت مظانه، إنه يريد أن ينصر هذا الدين الذي ذبح في الصومال على يد طاغيته "زياد بري".

فكان لسان حاله يردد:

سأطلب حقي بالقنا ومشـــايخ	*كأنهم من طول ما التثموا مرد*
ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا	*كثير إذا شدوا قليل إذا عدوا*

معاً إلى الله في قذيفة واحدة:

وعلى جبل قباء -اسم أطلقه العرب على جبل قرب "ثمرخيل"- حيث يرابط أحمد والدكتور صالح الليبي، وقد أعد الإخوة الأفغان مع العرب هجوماً على "ثمرخيل"، وجرح أثناء المعركة بعض الإخوة فجيء بهم إلى الدكتور صالح فوضعهم الإخوة في سيارة الإسعاف، وبقدر من الله كانت إحدى عجلات السيارة مضروبة فنزلوا لتبديلها فبدلوها، ثم ركبوا السيارة وساروا قليلاً وإذا بالعجلة الجديدة مضروبة أيضاً، فنزلوا لاصلاحها وابدالها.

جلس الدكتور صالح وأحمد بجانب السيارة فأراد أحمد أن يسير على أقدامه إلى مركز الإخوة العرب، فالتمس منه أحد الحضور الانتظار، وما هي إلا دقائق حتى جاءت خاطفة الأرواح (قذائف الهاون: الجرناي) وهي من أكبر أنواع الهاون فنزلت بينهما ولشدة التفريغ الهوائي استشهد الاثنان رأساً، وهكذا وفي لحظة واحدة يطوي الردى بطلين من أطيب من عرفت بين الأنصار العرب الوافدين للجهاد.

لم أصب بمثلك قط (١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

وهكذا نزل الخبر كالصاعقة على قلبي، في صدى، في غرفتي وبين الكتب وأنا مستغرق في المطالعة بين كتب الحديث والفقه، أغوص على أعماق بحور العلم في الجهاد ألتقط الدرر، دخل أبو عبادة الغرفة وجلس أمامي واجما ثم تلا: **{كل نفس ذائقة الموت}**، (آل عمران: ١٨٥)

ثم قال: توفي الشيخ تميم على أثر نوبة قلبية في أمريكا، وهكذا وفجأة سكت صوت الحق الناطق باسم الجهاد، ومضى إلى الله.

أحقا قد قضى ذاك الليث الذي تعرفه المأسدة بعد أن عاش بين الرصاص والمدافع وتحت وابل الرصاص أربع ساعات متواصلة بين فكي الموت في الثلاثين من رمضان سنة ١٤٠٧هـ طلبا للشهادة، وتفوتك هناك بعد أن تحطمت أغصان الشجرة التي تتفيأ ظلالها.

عمّ نحدث وقد أخرس هول النبأ الألسنة؟

لـن تمـــــوت:

وكيف تموت وذكرياتك تملأ حياتنا فتهزنا من أعماقنا؟! إن صوتك الذي يدوي في الأشرطة المسموعة والمرئية ليكفي أن يزلزل

(١) لهيب المعركة العدد ٧٤ التاريخ ٢٢ ربيع الأول ١٤١٠هـ الموافق: ١٢ أكتوبر ١٩٨٩م.

دنيا أعداء الله، وتهتز له أوتار قلوب جند الله، لن يموت من أبقى له في الدنيا مواقف تتصاغر أمامها العظماء والسعاة والعلماء.

لن يموت من طوف الدنيا وهو يحمل بين طياته أشرف قضية تحرق قلبه وتؤجج صدره نارا فيبثها من خلال خطب نارية وكلمات ساخنة ملتهبة تنبثق من القلب فتصل إلى القلوب بإذن علام الغيوب.

لم تكن أديبا ذا بيان ساحر، ولكن لكلماتك سحر يأسر القلوب، لم تكن عالما ذا فقه واسع، ولكن الله علمك ما ينفعك وما ينتفع به الناس من خلالك، وما تركته من آثار في جيل الصحوة قد عجزت عنه جماهير العلماء.

لم تكن الفارس الذي يمتطي الجياد في الميدان، ولكن الفرسان يقفون أمام جرأتك أقزاما.

يحدث الشيخ سياف عن الشيخ تميم قائلا: لقد رافقني الشيخ تميم نحو كابل وكنا مع الاستاذ رباني، وعندما وصلنا (أزره) بدأنا صعود جبل شاهق، ولكن الشيخ تميم بثقله لا يستطيع الارتقاء إلى ذروته، ولكنه أصر على الصعود، فجيء له بحصان وركبه الشيخ تميم، ووزن الشيخ تميم تخشاه الخيول!!

قال الشيخ سياف: والله لقد تصاغرت أمام جرأة الشيخ تميم واصراره.

إن الطريق إلى قمة الجبل لا يكاد يزيد عرضه عن قدم، وأي انزلاق للحصان إنما يعني أن يهوي مع الشيخ تميم إلى قعر الوادي، وبينما نحن في الطريق إلى القمة جاءنا من يصيح: سقط الشيخ تميم عن الحصان، قال الشيخ سياف: فقلت في نفسي حسبنا الله ونعم الوكيل، أنى لنا الآن بوسائل لإنقاذ جثة الشيخ تميم من قرارة الوادي لدفنها؟ فعدت لأجد كمية من التراب قد ساقها الله لتحمي الشيخ تميم من أن يهوي في هذا الفج العميق.

ويصرّ الشيخ تميم مرة أخرى أن يمتطي ظهر الجواد، والليل قد أرخى سدوله، ويسير الحصان صاعدا بزفراته اللاهثة، ويمر الحصان من تحت جذع شجرة منخفض ليأخذ بعنق الشيخ تميم ويلقيه خلف الحصان، فيمسك الشيخ تميم بالحصان، فيسقط الحصان فوق صدره، فيدفعه بكلتا يديه عن عظام صدره، ولكن يقضي الله أن تهشم ركبة الشيخ، وجاء النذير صائحا مرة أخرى إلى الشيخ سياف والشيخ رباني، فيرجع الشيخان، ولدى رؤية الشيخ رباني للشيخ تميم ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال (مازحاً): (هذا جزاؤك، كنت تريد أن تجلس على كثير من الناس فأجلس الله عليك الحصان).

عم أتحدث؟ عن شجاعتك ومواقفك أمام أهل الدنيا:

كم مرة سمعتك تقول: والله لا أخاف أحدا في الدنيا الا الله.

لا أنسى لك موقفك يوم أن جمعت مليون دولار في بلدة من البلدان، فطلبها المسؤولون منك، فأجبت: والله لو قطعتموني إرْبا إرْبا ما أخذتم دولارا واحدا، إن أمنيتي الشهادة فاقتلوني وخذوها، ولم تبق القضية طيّ فؤادك، وإذا بك ترعد وتزبد فوق المنبر قائلا: من أراد أن تثكله أمه أو ييتم أولاده أو يرمّل زوجته فليلحقني إلى المطار حيث أغادر إلى أفغانستان في يوم الأربعاء، وقدم بالمليون دولار وسلمها إلى الاتحاد الاسلامي لمجاهدي أفغانستان آنذاك، ولا أنسى لك وأنت بين أيدي الدوائر الأمنية في مطار القاهرة قبل شهرين، فيسألونك أتعرف محمد شوقي الإسلامبولي؟ فيكون الجواب: ومن ذا الذي لا يعرف شقيق الشهيد البطل خالد الإسلامبولي؟

فيسألونك عن أسماء بعض المصريين في أفغانستان، فتغلظ لهم الأيمان أنك لوعرفت اسماءهم ما بُحْتَ باسم واحد.

ثم كانت *الجرأة التي* تطلب فيها من مخابرات مصر أن يسمحوا لكم بإعطاء محاضرات عن الجهاد الأفغاني، فيفغرون أفواههم استغرابا لهذه الجرأة عليهم، ثم تذهب إلى مسجد الشيخ المحلاوي في الاسكندرية، وبعد صلاة الجمعة تبدأ بخطبتك وأنت تتفجر حماسا وتتدفق حيوية وتغلي كالمرجل وساعة وتصف وجماهير البشر تتدفق كأنها أمواج البحار الزاخرة، وهي تصغي إليك كأن على رؤوسها الطير، وما لنا لا نردد متغنين بشجاعتك قائلين:

أقـــل بلاء بالرزايا من القنـــا ... وأقدم بين الجحفلين من النبـــل

أعز بني الدنيا وليث إذا انبرى ... فإنك نصل والشدائد للنصـــــل

مقيم مع الهيجاء في كل منزل ... كأنك من كل الصوارم في أهل

وماذا عساها تغني هذه الأسطر عما يجول في الأعماق من الخواطر وما يكنه لك الصدر من المشاعر؟!

قلب سليم، وفطرة صافية لم يدنسها طمع الدنيا، لم تلوثها التواءات الحضارة، مشرقة كالسجنجل (المرآة)، بيضاء كاللجين (الفضة).

أقول عنك: (فطرة صافية كأنها فطرة طفل في الثالثة من عمره، ونفس تتفجر حماسا كأنها العشرين من عمره، وسخاء أصيل لا يعرف رد قانع ولا معتر، فيعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وصراحة صادقة، وعزم لا يعرف الوهن، وآمال لا يتطرق إليها يأس، وهمة تناطح المزن وتطاول عنان السماء، وتباري ماء المعصرات طهرا وصفاء).

معرفتي بالشيخ تميم: عرفني الشيخ تميم من خلال الجهاد، وما أوثق عرى المحبة التي تبنى أواصرها فوق أرض النار المضطرمة، حيث تستعد النفوس للموت فتكون قريبة من فاطرها تستشرف للقاء بارئها .

عرفته سنة ١٩٨٢م زارني في بيتي في صويلح / الأردن في العطلة الصيفية، ثم توثقت الوشائج من خلال هذا الجهاد المبارك الذي شملت بركاته وآثاره معظم مناحي حياة الأفراد والأمم التي تعيش في العالم الاسلامي، وفي سنة ١٤٠٧هـ تفرغ الشيخ تميم للجهاد تماما.

الربــــــاط:

وإن أنس من الاشياء لا أنسى ذلك الرباط الذي امتد قرابة السنة بين ثلوج مأسدة الأنصار، صابرا محتسبا بين شباب في سن ابنه، وهو يميل إلى الاندفاع الذي تتسم به شخصية الشيخ تميم من خلال عاطفة جياشة وحرقة تأكل قلبه وكبده على جراحات المسلمين وآلامهم، وصدر يغلي كالمرجل، ونفس متطلعة إلى الشهادة بأي طريق .

وما رأيت رجلا في سن الشيخ تميم مثله، وما رأيت حديث الرسول ﷺ في طلب الشهادة تمثلت في إنسان كما هو في الشيخ تميم: (**من خير معاش المرء رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه**)، رحلاته إلى قطر وأمريكا خاصة والسعودية والاردن: وأي شاب من أبناء الصحوة الاسلامية في هذه الاقطار لا يعرف أبا ياسر؟!

رحلته الأخيرة:

طوف فيها بمجموعة من الأقطار يتحدث عن الجهاد الأفغاني، وليس لديه قضية سواها، فقد ملكت عليه القضية أحاسيسه ومشاعره ونفسه وأعصابه.

ذهب ليفتتح معرضا في نيجريا عن الجهاد الأفغاني، وألقى محاضرات باللغة الانجليزية، إذ أنه يجيد الانجليزية، وأصبح الشيخ تميم حديث الشارع، إذ أن الصحف والتلفاز كلها بثت محاضرات الشيخ.

ثم من نيجريا إلى مصر وجرى ما جرى مع أجهزة الأمن، ثم اليمن وهناك مرض بالملاريا التي أقعدته عن إتمام جولته في إلقاء المحاضرات، ثم إلى قطر، وهناك قرر الشيخ أن يسافر إلى تشيكوسلوفاكيا لتخفيف وزنه، فاتصل بي يستأذنني أن يسافر ثلاثة أشهر هناك حتى يرجع لخوض المعارك، فأشرت عليه أن يذهب إلى أمريكا حيث يأنس بالشباب المسلم الذين تعج بهم هناك فلا تستوحش لكثرة من يلتفون حولك من الشباب الذين يتسابقون لخدمتك.

رحلة الخلود:

وكانت السفرة الخاتمة التي كانت فيها رحلة الخلود، وفي السابع عشر من من ربيع الأول سنة ١٤١٠هـ الموافق ١٨/١٠/١٩٨٩م أصابته النوبة القلبية في أورلاندو/ فلوريدا بعد سلسلة محاضرات اخترمته المنية قبل أن يتمها.

الشيخ تميم والشهادة:

لقد كانت الأمنية الكبرى التي تداعب أحلام الشيخ تميم أن يختم الله له بالشهادة، فما كانت الشهادة تفارق مخيلته، ولقد ورد

في الحديث الصحيح: (من طلب الشهادة صادقا اعطيها ولو مات على فراشه).

ونحن ندعو الله عز وجل أن يكون قد تقبله شهيدا، فقد هاجر الشيخ تميم ورابط وقاتل وحرض وأعد وتدرب وطوف في الارض يحرض المؤمنين على البذل في سبيل الله، وعلى النفير إلى أرض الجهاد.

والأحاديث التي تبشر بقبول المهاجر الشهيد مهما كانت طريقة وفاته كثيرة، منها: حديث فضالة بن عبيد: روى ابن كثير في التفسير ٣/٢٠١ عن طريق عبد الرحمن بن شريح عن سلامان بن عامر أن عبدالرحمن بن جحدم حدثه أنه حضر فضالة بن عبيد في البحر مع جنازتين أحدهما أصيب بمنجنيق والآخر توفي، فجلس فضالة عند قبر المتوفى، فقيل له: تركت الشهيد فلم تجلس عنده، فقال: ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت، ان الله تبارك وتعالى يقول:

[والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين، ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم]. (الحج: ٥٨-٥٩)

وكذلك روى هذا الحديث ابن المبارك في كتاب الجهاد فقرة ٦٩ ص ٢، وكذلك رواه ابن أبي حاتم، وروى ابن جرير بنحوه.

اتفاق المنزلة مع اختلاف الميتة :

عن مالك بن هدم أنه قال: [سمعت عمر بن الخطاب يقول: ما ترون في نفر ثلاثة أسلموا جميعا وهاجروا جميعا، لم يحدثوا في الاسلام حدثا، قتل أحدهم الطاعون، وقتل الاخر البطن، وقتل الآخر شهيدا، قالوا الشهيد أفضلهم، فقال عمر والذي نفسي بيده إنهم لرفقاء في الآخرة كما كانوا رفقاء في الدنيا] رواه سعيد بن منصور في سننه الجزء الثاني برقم (٢٨٤٤).

المهاجر له الجنة مهما كانت منيته:

(من فصل في سبيل الله فمات أو قتل، أو وقصته فرسه أو بعيره، أو لدغته هامة، أو مات على فراشه بأي حتف شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة) ابو داود والحاكم عن ابن مالك الاشعري - حسن.

وختاما اقول:

لم تكن أيامك طويلة بيننا يا ابن السابعة والأربعين، ولم أصب بمثلك قط، ولقد كان فراقك ثقيلا على نفوسنا، وكأنما قطعت يميني، وأردد الان بمرارة:

أبنت الدهر عندي كل بنت	فكيف وصلت أنت من الزحام
جرحت مجرحا لم يبق فيه	مكان للسيوف أو السهام

فأمل من الله - عز وجل - أن يتقبله شهيداً وأن يجمعنا في الفردوس الأعلى آمين.آمين.

وختاما نبثك أشجاننا من خلال الأبيات التي قالها فيك والدك الشاعر محمد العدناني:

أحن إلى عناقك يا تميم	حنينا قد روى عنه النسيم
بهيمن مثله في كهف صدري	وينزع أصغري ولا يريم
فباسمك يهتف القلب المعنى	وحولك روحي الظمأى تحوم
تنادي يا تميم فلا مجيب	به تشفي إليّ كي تجلو الهموم
يحدث عنك ما يحيي الأماني	ويبرأ من بشائرها السقيم
فإني يا منى ابن الصدر دوما	على وجدي وتحناني مقيم
حباك الله سعدا مثل يم	وتحقيق الاماني يا تميم

القمة الشامخة(1)

الشيخ تميم العدناني رحمه الله

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

وفجأة غابت الذروة الشماء، قمة المجد والإباء، وذروة الفخر والسناء، وداهمتنا الأحداث دون استعداد لها، وأمطرتنا الأقدار بوابل الرزايا والبلايا فتلفتنا على الطريق حولنا وجدت أشجاننا ممزوجة بأحزانها وآلامها، معجونة بدموعها وعرقها.

وحيد من الخلان في كل بلـــدة　　　إذا عظم المقصود قل المساعــد

وواصلنا سيرنا على الجادة تنكأ الأحداث الجديدة الجراحات القديمة التي لم تشف بعد..

إن البلايـــا والرزايـــا والقنـــا　　　حلفاء صحبي غوروا أو أنجدوا

والحق أن الكتابة عن الشيخ تميم تقصر أن تعطي الشيخ الراحل حقه، فما رأيت مثله قط -نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً- وقليل على الشيخ تميم أن تسطر عنه الأسفار تتغنى بمكارمه وليس كثيراً عليه أن يلهج بمدحه الأبرار، ويسلو بقصصه الركبان في الترحال والأسفار (**واجعل لي لسان صدق في الآخرين**) (الشعراء: 84)

لقد فجعنا برحيله بالسكتة القلبية، ولكن الحديث الصحيح: (**موت الفجأة أخذة أسف -غاضب- للكافر ورحمة للمؤمن**)، ومعذرة البيان إن لم يوفِّ الأفذاذ أقدارهم ..

ومعـــذرة اليراعـــة والقوافـــي　　　جلال الـرزء عـن وصـــف يُدقُّ

وإنا إذ نكتب عن الشيخ تميم هذه الكلمات بهذه العجالة لنبخس أبا ياسر حقه، إذ لا بد أن يفرد فيه مؤلف كامل، ولكننا نكتب سطور بعض قبسات من حياته:

1- ولد الشيخ تميم سنة 1942م في القدس من بيت شرف ونسب وحسب إذ كان جده (خورشيد باشا) والياً للقدس من قِبَل الدولة الإسلامية العثمانية.

2- كان والده شاعراً لامعاً (محمد العدناني) ولقد بذَّ إبراهيم طوقان في شعره، وله دواوين شعر معروفة.

3- ارتحل والده بعد سقوط فلسطين إلى سوريا، واستقر في حلب الشهباء وتتلمذ الشيخ تميم على أيدي كبار العلماء، وكان يفخر أنه تلميذ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة.

4- تمسك بالآداب الإسلامية منذ حداثة سنة وأطلق اللحية في الثانوية العامة في زمن عزَّ أن تجد شاباً متديناً.

5- أنهى الثانوية وتوجه إلى القاهرة ليكمل دراسته في جامعة عين شمس / كلية السياسة والإقتصاد إذ أن والده كان يؤمل أن ينهي دراسته ليحتل مكانة مرموقة في السلك الدبلوماسي.

6- في القاهرة تعرف على علم الجهاد المعروف الشيخ مروان حديد الحموي، فانطبعت في نفس الشيخ تميم من شيم العزة والإباء، ومن الأنفة والسمو والتحدي الكثير من صفات الشيخ مروان.

7- أنهى الشيخ تميم دراسته الجامعية وعاد فعرض عليه أحد أرحامه عملاً براتب مغرٍ في البنك العربي، ولكنه أبى ورضي لنفسه أن يعمل مدرساً في مدرسة ثانوية خاصة براتب زهيد.

8- تعرف أثناء تدريسه على فتاة صالحة وخطبها لتكون شريكة حياته.

9- يسَّر الله له أن يعمل في السعودية في شركة بريطانية للطيران (B . E . C) مترجماً واطمأنت نفوس المسئولين لأمانته فعينوه مديراً للمشتريات بعد أن كانوا ينزلون إلى الأسواق ليتوثقوا من صدقه في أثمان المشتريات.

10- تعاقدت الشركة مع وزارة الدفاع السعودية / قاعدة الظهران الجوية، وأصبح الشيخ تميم عاملاً في القاعدة وبدأ نبها اتجاهه الديني ولذا سلموه إمامة المسجد وخطبة الجمعة.

(1) لهيب المعركة العدد 636 ربيع الآخر 1410هـ 4 نوفمبر 1989م.

١١- بدأ نجم الشيخ تميم يتألق في المنطقة الشرقية في السعودية وأصبح المسجد محطاً لأنظار الشباب المتجه إلى الله.

١٢- لم يعد المسجد يتسع لرواده فوسعوه فضاق بالمصلين وزادوا مساحته تدريجياً حتى أصبح أربعة أضعاف مساحته.

١٣- اشتغل الشيخ تميم بقضية الجهاد الأفغاني وأصبح محط أنظار المحسنين، يثقون به لنقل أموالهم ومحل ثقتهم لتلقي الأخبار عن الجهاد فكان يجمع الملايين ويقضي إجازته السنوية بين المجاهدين، فقضى إجازة السنة الأولى مع الشيخ جلال الدين حقاني في بكتيا ومع القائد محمد حسن بالذات، وقضى إجازة السنة الثانية والثالثة عند الشيخ سياف في بكتيا، وكان يلقي خطبة لدى عودته من زياراته الأولى والثانية والثالثة.

١٤- انتشرت أشرطة الشيخ تميم في السعودية والخليج وسارت بذكرها الركبان، وأصبحت حديث السامر خاصة الكرامات في الجهاد الأفغاني.

١٥- ثم انتقل الشيخ إلى قطر ونما الإحساس في الشعب القطري بالجهاد الأفغاني وأصبح الناس يتوافدون إلى الجهاد، وقدمت قطر مجموعة من الشهداء ومبالغ طيبة من المال.

١٦- رابط في مأسدة الأنصار فترة طويلة ثم رجوناه أن يستلم إدارة مكتب الخدمات فقبل مشكوراً وحمل عني حملاً ثقيلاً وطوّف في الأرض يذب عن الجهاد ويوضح صورته وينافح عنه، ففي أمريكا الشمالية قلما تجد ولاية لم يترك الشيخ تميم فيها أثراً طيباً، ثم كندا وفنزويلا والبرازيل ونيجيريا واليمن ومصر والسعودية وقطر وبنجلاديش، فأصبح حديث الشارع في كثير من الأقطار.

١٧- توفي بالسكتة القلبية في أورلاندو / فلوريدا في ١٧/ربيع الأول/١٤١٠هـ الموافق ١٨/١٠/١٩٨٩م.

١٨- حصلت له كرامات كثيرة بعد وفاته منها:

أ- بكاؤه بعد وفاته بـ ٤٨ ساعة، عندما وقفت زوجته تودع الوداع الأخير.

ب- لين جسده رغم مرور يومين من وفاته.

ج- خروج رائحة عطرية عبقت بها أرجاء المكان الذي سُجي فيه.

١٩- أحضرت جثته من أمريكا وصلى عليه الشيخ سياف وشيّع جنازته جمهور غفير من المجاهدين العرب والأفغان، وألقى الشيخ سياف كلمة رائعة قال فيها: (لقد أثر نبأ شهادته على نفسي أكثر من سقوط جبهة قوية)، وألقيت عليه كلمة وودعه ابنه الأكبر ياسر بكلمات حارة.

رحم الله الشيخ تميم رحمة واسعة وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

وصية من وصايا الشيخ تميم العدناني(١)

(اللهم تغمدني برحمتك وتقبلني شهيداً يا الله)

أوصيكم جميعاً بتقوى الله عز وجل والمحافظة على هذا الجهاد العظيم، وأوصي قادة الجهاد جميعهم بالاتحاد ونبذ الخلافات التي بينهم فالكرسي لن ينفعهم يوم القيامة، بل فهنيئاً لمن باعها لله عز وجل واشترى بها جنة عرضها السموات والأرض... أوصي زوجتي وأولادي بتقوى الله عز وجل وأوصي ياسر وأحمد وحسام بالجهاد في سبيل الله والموت على ما مات عليه أبوهم... اللهم اجعلها شهادة في سبيلك واحشرني تحت لواء حبيبك إمام المجاهدين محمد ﷺ.

تميم العدناني

بيشاور في ١٣/٥/١٤٠٨هـ الموافق: ٢/١/١٩٨٨م

(١) لهيب المعركة العدد ٣٦ - ٦ ربيع الآخر ١٤١٠هـ ٤ نوفمبر ١٩٨٩م.

تعـــــــازي(١)

مكتب الخدمات يودع فقيده الغالي الشيخ تميم العدناني الى مثواه الاخير

بمزيد من الالم الذي يعتصر القلوب والافئدة ، ويفتت الاكباد شيّع المجاهدون العرب العاملون على الساحة الافغانية – يتقدمهم شيخ المجاهدين العرب الدكتور عبدالله عزام ، ومجموعات كبيرة من الاخوة المجاهدين الافغان– ، وعلى رأسهم بعض قادة الجهاد الافغاني الشيخ عبد رب الرسول سياف رئيس وزراء دولة المجاهدين المؤقتة والشيخ محمد نبي ويونس خالص ومندوب الشيخ حكمتيار .

الشهيد المجاهد الشيخ تميم العدناني(مدير مكتب الخدمات) الذي وافته المنّية في أمريكا عن عمر يناهز السابعة والاربعين بعد عمل متواصل ليلا ونهارا لايعرف الكلل ولا الملل في خدمة الجهاد الافغاني وفي خوض المعارك داخل أفغانستان ، وفي التطواف في أنحاء المعمورة حثا للمؤمنين وتحريضا لهم على القتال في سبيل الله ودعما للجهاد على أرض أفغانستان .

وقد سارت الجموع محتشدة تودع شهيدها الغالي الى مقبرة الشهداء في بابي يوم الاحد تاريخ ١٩٨٩/١٠/٢٢، وقد القى كلا من الشيخ سياف والدكتور عبدالله عزام ونجل الشهيد الاكبر (ياسر) كلمة تابينية على قبر الشهيد كان لها الاثرالكبير على قلوب الحاضرين .

وبهذه المناسبة الاليمة الحزينة فان جميع العاملين في مكتب خدمات المجاهدين بكافة مؤسساته ينعون شهيدهم الغالي الشيخ تميم العدناني ويرجون من الله العلي القدير أن يكون قد تقبله في عداد الشهداء وأن يجعل مثواه الجنة في الفردوس الاعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ، كما يرجون من الله تعالى أن يعوضهم خيرا منه ، وأن يلهم المجاهدين وذويه الصبر والسلوان إنه سميع مجيب الدعاء .

من أمير الجماعة الاسلامية بباكستان

القاضي حسين أحمد الى الدكتور عبدالله عزام

حضرة الاخ الفاضل الدكتور عبدالله عزام حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد

بلغتنا وفاة الاخ الكريم الشيخ تميم العدناني وتأسفنا كثيرا لهذا الخطب الجليل ، ندعو الله عزوجل أن يدخل الراحل فسيح جناته ويجعله مع الشهداء الابرار ، ويلهم ذويه الصبر والسلوان ، ونقدم اليكم تعازينا القلبية ، أعظم الله اجركم ، ولانستطيع الا ان نقول : لله ماأعطى وله ما أخذ وانا لله وانا اليه راجعون .

اخوكم في الله / حسين أحمد القاضي

١٩٨٩/١٠/٢٥

نعي من جمعية الاصلاح والتوجيه الاجتماعي – رأس الخيمة

فضيلة الشيخ / الدكتور عبد الله عزام أمير مكتب خدمات المجاهدين حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد

بقلوب ملؤها الحزن تلقينا نبأ وفاة الشيخ المجاهد تميم العدناني ، نسأل الله تعالى أن يغفر له ويحشره وايانا مع النبيين والشهداء والصالحين في جنات النعيم ..

وإن لله ما أعطى وله ماأخذ وكل شيء عنده بمقدار ، فاصبروا واحتسبوا ،وانا لله وانا اليه راجعون .

مجلس ادارة الجمعية / ١٩٨٩/١٠/٢٤

---

(١) لهيب المعركة العدد ٧٥ ص ١٢ ربيع الأول ١٤١٠هـ ٢٨ أكتوبر ١٩٨٩م.

نعي من اتحاد الطلبة المسلمين – باكستان

فضيلة الدكتور عبدالله عزام حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الامانة العامة لاتحاد الطلبة المسلمين باكستان تحتسب عند الله تعالى فضيلة الشيخ المجاهد " تميم العدناني " رحمة الله عليه ، سائلين الله عزوجل أن يتغمده بواسع رحمته وان يسكنه فسيح جناته وان يكتبه في عداد الصديقين والشهداء والصالحين ، وان يلهم أهله وذويه واخوانه الصبر والسلوان . وانا لله وانا اليه راجعون .

اتحاد الطلبة المسلمين – باكستان

١٩٨٩/١٠/٢٤

نعي من لجنة البر الاسلامية

فضيلة الشيخ عبدالله عزام حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

لاندري بأيهما نبدأ ، بتهنئتكم بالسلامة من كيد أريد بكم ، أم بتعزيتكم في القدر الذي نزل بنا وبكم ، واننا لنعلم أن مصابكم بفقد الاخ الحبيب الشيخ تميم العدناني أكبر وأشد فلقد كان الاخ الودود والخطيب الصادق والمجاهد الشجاع .

نعلم أنكم فقدتم ركنا من أركان عملكم في مكتب الخدمات وأخا محبا ورفيقا على الدرب الماضي الى يوم القيامة.

نسأل الله عزوجل أن يلهمكم الصبر ، وأن يعوضكم ويعوض المسلمين خيرا منه ، وأن يجعل من اخوانكم العاملين معكم خير خلف لخير سلف ، وكلنا نشد أزركم ونضع يدنا في أيديكم ونتبادل العزاء واياكم ، وانا لله وانا اليه راجعون ولله ماأخذ وله ماأعطى. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لجنة البر الاسلامية

١٤١٠/٣/٢٢هـ الموافق:١٩٨٩/١٠/٢٢م

نعي من الشركة العربية المركزية للاعلان والنشر

الشيخ عبدالله عزام حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد

فقد بلغنا نبأ وفاة ((الشيخ تميم)) ..نسأل الله وندعوه ونتوسل اليه بان يتغمده وأن يسكنه فسيح جناته ، وأن يلهمكم الصبر والسلوان ، مهما كتبنا وقلنا فلن نوفي الرجل حقه .. حسبنا الله ونعم الوكيل

اخوكم / بهاء فؤاد أبو غزالة

٢٢/ربيع الاول /١٤١٠هـ الموافق ٢١/اكتوبر/١٩٨٩م

نعي من رابطة الشباب المسلم العربي – في الولايات المتحدة الامريكية

فضيلة الشيخ الدكتور عبدالله عزام حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

لقد تلقينا ببالغ الاسى والحزن نبأ وفاة الشيخ تميم اثر أزمة قلبية خلال زيارته لولاية فلوريدا حيث كان يقوم بواجب الدعوة

الى الله .

ورابطة الشباب المسلم العربي في أمريكا الشمالية " لجنتها التنفيذية وأعضائها المنتشرين في جميع أنحاء الولايات المتحدة وكندا" تنعى اليكم والى العالم الاسلامي قاطبة الفقيد الجليل سائلين المولى جل وعلا أن يتغمده بواسع رحمته وأن يجعله في زمرة الشهداء والصالحين وأن ينزله منازل النعيم .

نرجو منكم قبول هذا العزاء وايصاله الى أهل الفقيد سائلين الله أن يلهمهم الصبر والسلوان ..

وانا لله واليه راجعون .

كما اننا نشكر الله تعالى على سلامتكم من المحاولة الغادرة التي دبرت لكم ، وهذه بشرى من الله تعالى ((ان الله يدافع عن الذين آمنوا)) والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اخوكم/ نبيل السعدون

من مسؤول منظمة العون الاسلامي الى الدكتور عبدالله عزام

الى الوالد الكبير والشيخ الجليل والعالم العامل المجاهد أميرنا وقائدنا وشيخنا الفاضل الدكتور عبدالله عزام حفظه الله من كل المكائد والشرور

السلام عليكم و ورحمة الله وبركاته

أيها الشيخ الفاضل :

لقد تواردت لاسماعنا أخبار تجرح الفؤاد وتقلق النفس وكان اولها خبر محاولة الايدي الخبيثة تفجير مسجد الشهيد سبع الليل ، ولقد سجدنا لله شاكرين على فشل هذه المحاولة القذرة ، وحاولنا أن نتكلم معكم شخصيا ولكن لم نوفق .

ثم جاء الخبر المؤلم على النفوس بوفاة الشيخ بريء الفطرة وكأنها فطرة طفل لاتعرف إلا البراءة، المحبوب لدى عموم الشباب المسلم في كل مكان حبيبنا وشيخنا مدير مكتب خدمات المجاهدين الشيخ المرحوم تميم العدناني رحمه الله وجعل الجنة مثواه .

واني أتقدم بهذا الشعور مواساة لنفسي ولكم وأطلب من الله العلي القدير أن يحفظكم ، وانني اتقدم لكم بنفسي وما املك لاكون خادما حارسا لكم لأن سلامتكم عندي وعند كل منصف تعني سلامة الامة الاسلامية ، فنحن تحت اشارتكم وتحت امركم ، جزاكم الله كل خير عنا وعن الامة الاسلامية وعن المجاهدين بشكل خاص وبارك الله فيكم .

اخوكم/ ابو جندل

تعزية وتنديد

إلى شيخنا الدكتور عبدالله عزام حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فقد تلقينا ببالغ الحزن والأسى نحن الأخوة الجزائريون نبأ وفاة الشيخ تميم العدناني مدير مكتب خدمات المجاهدين رحمه الله تعالى ، وعزاؤنا في ذلك أن يتقبله الله شهيدا إن شاء الله تعالى ، فقد كان يطلب الشهادة بصدق .

وفي الحديث الذي رواه مسلم عن سهل بن حنيف قال : قال رسول الله ﷺ ((من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه)) .

وبهذه المناسبة نقدم التعازي الحارة لأهل الفقيد ونسأل الله أن يلهمهم الصبر والسلون .

كما لايفوت الأخوة أن ينددوا بكل من كان وراء العمل الإجرامي الذي استهدف فضيلتكم في مسجد سبع الليل ، ويؤكدون أن الجهاد ماضي إلى يوم القيامة لايبطله عمل المجرمين ولامكر الماكرين ولايحيق المكر السيء إلا بأهله (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون) . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تعـــــــازي[1]

تلقت نشرة لهيب المعركة نسخة من رسالة العزاء التي بعث بها الشيخ (عبدالفتاح ابو غده) الى اخيه الشيخ د. عبدالله عزام ، وفيمايلي نص الرسالة .

بسـم الله الرحمـن الرحـيم

الأخ الفاضل المجاهد الدكتور عبدالله عزام وإخوانه المجاهدين حفظهم الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

نحتسب معكم عند الله فقد الأخ الشيخ تميم العدناني ، الأخ الكريم والمجاهد المخلص المحتسب الذي باع لله نفسه وولده وماله ، فكان علما من أعلام الجهاد والمرابطة ، لايكل سعيه ولايفتر أواره ، فلله دره ودر إخوانه على درب الجهاد والشهادة .

ولئن كان فقده خساره فادحة لكم شخصيا وللجهاد الأفغاني بعامة فإننا نبتهل إلى الله العلي القدير أن يهيألكم من يرابط رباطه ويسد مسده ، وأن يقويكم مع إخوانكم لمتابعة المسيرة حتى يأتي نصر الله المؤزر المبين عما قريب بإذنه عز وجل .

نرجو إبلاغ تعازينا القلبية لأهل الفقيد وإخوانه ، وللقادة الأفاضل ، سائلين المولى أن يتقبل من الجميع جهادهم ورباطهم وأن ختامه (نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين)

الشيخ عبدالفتاح أبو غدة

رسالة عزاء بفقيد الجهاد والمجاهدين (الشيخ تميم العدناني)

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور والصلاة والسلام على سيد الغر المحجلين ، وقائد المجاهدين سيدنا محمد ﷺ تسليما كثيرا وعلى آله وصحبه والتابعين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين

أخي في الله /الدكتور عبدالله عزام سلمه الله واطال عمره وابقاه ذخراً للجهاد في سبيل الله ، وختم اعماله بالشهادة في سبيل الله . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

قال الله تعالى (**كل نفس ذائقة الموت**) وقال ايضا جلت قدرته (**وما كان لنفس ان تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا**) . صدق الله العظيم

بلغني نبأ صدمني الاوهو رحيل شيخنا الفاضل (تميم العدناني) من هذه الدنيا الفانية للقاء وجه ربه عزوجل بعد ان ختم حياته مجاهدا في سبيل الله وداعيا الى الله .

وساعتها تمنيت أني قدرت أن افتديه بأولادي الخمسة ولكن قضاء الله وقدره نتقبله بالتسليم والطاعة وبصدر رحب ، ولا نقول إلا (إنا لله وإنا اليه راجعون) والذي هون علي وقع الخبر قول الله تعالى (**ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولاهم يحزنون يستبشرن بنعمة من الله وفضل وأن الله لايضيع أجر المؤمنين**) صدق الله العظيم

فقد عشتم غرباء داعين الى الله مجاهدين في سبيل الله فمنكم من قضى نحبه ومنكم من ينتظر (**من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا**) .

فالشيخ تميم رحمه الله رحل عن هذه الحياة الفانية بإذن الله للقاء الأحبة محمد ﷺ وصحبه . فقد وهب - رحمه الله - حياته داعيا الى الله ومجاهدا في سبيله وهكذا الحياة للخالدين وإلا فلا .

وان رحل عنا فذكره باق بيننا فما زالت كلماته ترن في اذني في شريط تسجيل زيارته الاولى لأفغانستان ومازلت اذكر كلامه

(١) لهيب المعركة العدد ٧٧ التاريخ ١٣ ربيع الأول ١٤١٠هـ الموافق: ١٩٨٩/١١/١١م.

عندما زرته في العون الاسلامي بيشاور .

فقدان الشيخ تميم العدناني خسارة كبيرة على كل مسلم غيور على دينه وبخاصه على الجهاد الافغاني ولكن قدر الله وماشاء فعل والبركة فيكم وفي الاخوة الاماجد المجاهدين في سبيل الله الذين يذودون عن حمى الاسلام هناك في ارض العزة والكرامة ارض السلام والاسلام ارض افغانستان الغاليه على قلوبنا .

انتم المعلم الاول والأخ الكبير بعت حياتك رخيصة في سبيل اعلاء كلمة الله ومهما حاولت التعبير عن شخصكم فلا استطيع فانت وامثالك من المجاهدين يعدون الرجال الذين تفتخر بهم الامة فقد تركتم وراكم حياة العيش الرغيد السعيد مقبلين الى الله ولإعلاء كلمة الله لتكون راية الاسلام خفاقه عاليه تهز عروش الجبابرة .

ولاادري – والله – من اعزي بفقدالشيخ تميم اعزي نفسي ام اعزيكم ام اعزي اهل الفقيد واخوانه المجاهدين فهو خسارة علينا جميعا فقد رحل عنا لحياة أبدية خالدة بإذن الله ، وقد اختاره الله فلا تغضب على هذا و(إن القلب يحزن والعين تدمع وإنا عليك ياتميم لمحزونون) و(إنا لله وإنا اليه راجعون) اللهم اغفرلتميم وارحمه رحمة ينال بها الفردوس الاعلى مع محمد ﷺ وصحبه الكرام . وانصر المجاهدين ، اللهم لاتفتنا بعده ياعزيز ياكريم .

الحمد لله على سلامتكم وسلامة الاخوة المجاهدين من المحاولة الاثمة التي استهدفتكم بالمسجد الجامع الذي تصلون فيه ، والحمد لله الذي افشل خططهم وباءت محاولاتهم بالفشل واسأل الله ان يجعل كيدهم في نحورهم .والعاقبة للمتقين .

انهم يحاولون القضاء على كل ماهو اسلامي وخاصة انتم لانكم رمز الجهاد هناك ولكن الله يأبى إلا ان يتم نوره (ولايغني حذر من قدر) ولكن الحذر واجب و المؤمن كيس فطن والاعداء يتربصون بكم الدوائر . ألاخاب ظنهم بعون الله وتوفيقه .

اعزيكم واهل الشيخ تميم وكافة المجاهدين . الهمكم الله الصبر والسلوان وجعل النصر حليفكم وأسأل الله لفقيدنا الفردوس الأعلى .

اخوكم / ابو سعود / الرياض

سعادة الدكتور عبدالله عزام غفر الله له[1]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد

اخي في الله : قد وافانا نبأ وفاة الشيخ تميم العدناني رحمه الله مدير مكتب الخدمات (بلغه الله منازل الشهداء ، ووافانا هذه النبأ بالاسى والحزن لفراق هذا الشيخ الجليل الذي بذل نفسه ووقته وأولاده ووظيفته في سبيل الله تعالى فجزاه الله خيرا وتجاوز عن ذنوبه فنذكره ذكرا حسنا – وانتم اعلم به – حيث كان من الصادقين المخلصين نحسبه كذلك ولا نزكي على الله احدا ، نذكره في بيت الله الحرام في شهر رمضان يوم أن سلمنا عليه وحييناه ، قال كلمة أثرت في نفوس الكثير منا وشحذت هممهم وأوقدت نار عزيمتهم.. قال : (أهلا بالشباب القاعدين ... نريدكم – ان شاء الله – من المجاهدين) يقول هذا من تعلقت نفسه بالجهاد وعشق فؤاده دوي القنابل وتغريد الكلاشنكوف ، وماتقول إلا مايرضي ربنا وإنا على فراقك ياتميم لمحزونون ، هذا ونسأل الله أن نعيش عيشة السعداء وأن نموت ميتة الشهداء وأن يحشرنا في زمرة الانبياء ..

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب اليك .

ابو مروان

---

(١) كل ما مضى نشر في لهيب المعركة الأعداد التي تلت استشهاد الشيخ تميم رحمه الله.

في رثاء الشيخ الشهيد تميم العدناني ـــ رحمه الله ـــ

إلى الشيخ الذي سارت تحت لوائه الركبان وانطلقت خلفه جحافل الإيمان تقوض مضاجع الطغيان إلى الذي بموته غاب بدر الزمان وتبدلت الأرض غير الأرض وعمت الأحزان إلى البطل الثائر والمجاهد الصابر والخطيب الباهر الشيخ تميم العدناني ـــ رحمه الله وأسكنه فسيح جناته ـــ أهدي هذه الكلمات :

مامات (١)

مذ ي دموعـي أغــرقت أجفاني	وتفجرت كتفجــر البــركان
القلب يبكـي والعيـون تقرحـت	ماراقهـــا نظر إلـى إنسان
خطب أحاط بنـا فحملنا بــه	سحبا من الآلام والأحـــزان
سحبا تشبعت الأسـى لكأنهـا	قد أمطـــرت دنياي بالقطران
عظم المصاب وأظلـمت ايامنـا	فنهـــارنـــا كمشية الذبياني
والليل خيـم والظـلام مطبــق	وجحافل الذكــرى تهز كيانـي
أوكلما جفت دموعــي لحظـة	عاد الحنـــين إلي فاستبكاني
بكت المنابر شيخهـا وشهيدهـا	وإمامهـا بالدمع والأشجـان
وقلت أئمتهـــا وكادت تنحنـي	مهمومـــة مهتـــزة الأركان

وتراه في ساح الوغى مستأسـدا	وتراه يغلـي كالحميم الآنـي
أسد هزبـــر لا تليــن قناتـه	وعزيمة هزت ذرى الأفغــان
طلب الشهادة حيث ظـن وجودها	لكنها قـــدر من الرحمـــان
قد مات أستاذ الفـداء وما أتـى	بعد المعلــم مــن فهيم ثان
مامات من تحيـا القلوب بذكـره	ولذكـره تتارق العينـــان
ما مـات من أحيا الجهاد المنتسى	بين الورى مـذ أقدم الأزمــان
مامات من خرت جبابرة الــدنى	صعقا لخشيـــة جرأة العدناني
مامات من لازلت تسمـــع صوته	حيا يقض مضاجع الطغيـــان
ما مات من ساس الجحافل كلهـا	ليدوس رأس الظالــم الخـوان
مـا مات من ـ الله أكبر ـ شدوه	يشدو بها فـي السـر والإعلان
من فيـه قد خـرجت تزلزل أمة	وتهز صـــرح الكفر كالطوفان
لا فـرق بين شهـــادة في ساحة	مملوءة بالقصـف والنيـــران
أو ميتـة فـي ذلك الــدرب الذي	يبغي رجـــال عـــزيمة وتفاني
قد قالها الخطاب بين صحابــه	وأتى بها المنــان فـي القرآن
صدق الذي سبق الورى في ذكرها	إن الحيـــاة دقائق وثوانــــي
عفوا إلهي إن أفضـت مبالغـا	فـــالقلب بعـــد فراقه أعياني

(١) شعر: حذيفة عبدالله عزام.

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الدكتور عبدالله عزام حفظه الله تعالى

السـلام عليكـم ورحمة اللـه وبركاتـه ٠

تلقينا نبأ وفاة الشيخ المجاهد/ تميم العدناني ببالغ الأسى والحزن ، وندعو الله العلي القدير أن يتغمده في واسع رحمته ٠

واني أبعث اليكم بتعزيتي الصادقة وتعزية اخواني منسوبي هيئة الاغاثة الاسلامية العالمية في وفاته رحمه الله ٠وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبله في الشهداء وأن يعوضكم وذويه واخوانه المجاهدين في مصيبتهم خيرا وأن يبارك في جهودكم ويحفظكم من كل مكروه٠

المشرف العام لهيئة الإغاثة الاسلامية العالمية

د/فريد ياسين قرشي

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

فضيلة الشيخ الدكتور / عبدالله عـزام

الاخوة قادة الجهاد الاسلامي في أفغانستان

الاخـــوة المجاهديـــن :

يعجز البيان ويعجز اللسان عن وصف الحزن الذي اصاب المسلمين عامة وجاليتنا الاسلامية في منطقة شمال كاليفورنيا (سانتا كلارا وسان فرانسيسكو) خاصة ، عندما تلقينا نبأ وفاة الشيخ المجاهد " تميم العدناني " في ولاية فلوريدا ٠٠ كيف لا والشيخ تميم رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته قد احتل مكانة في قلوب كل الذين إجتمع بهم، فرأوا فيه صدق النية وحب الجهاد في سبيل الله تعالى ، حتى أنه في مخيم سان فرانسيسكو الذي تم في شهر سبتمبر الماضي كان يكثر الكلام عن الآجال وإنه لايملك الرزق والروح إلا الله ، مستشهدا بحوادث وقعت معه في أفغانستان ، {(وماتدري نفس ماذا تكسب غدا وماتدري نفس بأي أرض تموت)}. أنها سنة الله في الكون عزاؤنا فيك ياأبا ياسر قول المصطفى ﷺ : (من طلب الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه) ، نسأل الله تعالى أن يكرم مثواك ياشيخ تميم ويجمعنا وإياك في الفردوس الاعلى ٠٠ وختاما نسأل الله تعالى أن يوحد صفوف اخواننا المجاهدين ، ويجمع كلمتهم ويثبت خطاهم وينصرهم على أعداء الاسلام ،فان أقطار العالم الاسلامي تتجه كلها الى الجهاد في أفغانستان راجية من المولى عزوجل النصر المؤزر والفتح القريب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

اخوكم / محمود مصباح

رئيس مسجد النور في سانتا كلارا – اميركا

رحم الله الشيخ تميم العدناني (١)

كلمة الشيخ سياف:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله الله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة.

إخواني الأنصار: الذين ساهمتم في جهادنا هذا، وهو جهادكم وجهاد الأمة الإسلامية، ساهمتم في هذا الجهاد بدمائكم وأرواحكم، أعزّي نفسي وإياكم في أخينا الغالي الذي نعتزّ بأخوته، في الدنيا وفي الآخرة -إن شاء الله- أعزيكم في هذا الأخ الكريم

(١) جريدة: الشات العدد ٧ التاريخ: ٢٨ ربيع الأول ١٤١٠هـ ١٨ أكتوبر ١٩٨٩م.

الذي أحببته منذ أن عرفته والذي نشهد أننا نجد فيه الصدق والإخلاص، والذي رأيته تدمع عينه من خشية الله «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله» أنا أشهد الله وأشهد بذلك على أنني رأيته مراراً يبكي من خشية الله ورأيته يجاهد في سبيل الله ورأيته يحرس في سبيل الله، إنه كان يبحث عن الشهادة متعطشاً لها وكانت الشهادة هي ضالته التي كان يبحث عنها في كل خندق وفي كل ميدان للقتال، وأرجو الله سبحانه وتعالى وأدعوه جل ذكره أن يُنزله منازل الشهداء وأن يحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، هذا الأخ منذ أن تعرف على الجهاد في أفغانستان، أفنى وقته كله لصالح هذ الجهاد، ولم يدخر شيئاً، كان يطوف بالبلاد لكسب الدعم لهذا الجهادوكان الجهاد هو روحه وحياته، وكان يعيش بالجهاد وللجهاد، وكان يتنفس بالجهاد. وكان يتغذى بالجهاد، وما رأيت فيه وهناً ولا ضعفاً عند لقاء العدو، رأيته مرة في آخر معركة جاجي، وكان إخواننا قد حوصروا، أو صار نحوهم شبه الحصار، كان جالساً معي، وطلب الإخوة باللاسلكي أن أرسل لهم مجموعة من المجاهدين لفك الحصار فجمعت بعض الإخوة لأرسلهم، فقام الشيخ تميم وقال: أنا أذهب معهم، فقلت: يا شيخ تميم إجلس هنا وادع لهم، قال: لا والله، الذين سمعوا كلماتي من الأشرطة والكاسيتات ضحوا بأنفسهم في سبيل الله وأشلاؤهم متناثرة هناك في الخط الأول، وذهبوا عند ربهم، ماذا سيقولون: شجعنا الشيخ تميم على الجهاد فجلس في الخط الثاني، ولم يشاركنا في الخط الأول؟ كيف أواجه الله؟! قلت له: إجلس، قال: والله لن أجلس، فتحرك مع المجاهدين، ذهب هناك والمجاهدون كانوا في أضيق الأحوال وأشدها، وكلٌ كان يبحث عن مكان يستتر وراءه، كان الشيخ تميم جالساً في الميدان أربع ساعات وقرأ من القرآن سبعة أجزاء، وكان مختفياً في دخان القنابل والقذائف، ومهما ألح الإخوة عليه أن يدخل في النفق أو في غرفة، رفض أن يدخل، وكان يقول لي: عندما كان يأتي ذكر النار أو يأتي ذكر جهنم في القرآن كنت أقرأ بسرعة حتى لا أصاب في هذه اللحظات، وعندما يأتي ذكر الجنة وذكر الرحمة كنت أتأنى لعل الله يرزقني الشهادة عند قراءة كلمة الجنة أو الرحمة.

صاحبته في السفر وفي الحضر، في الهجرة وفي الجهاد وفي الرباط وفي القتال وأشهد الله أنه كان خير أنيس، وأن رؤيته كانت تنسيني الهموم والأحزان، ويعلم الله أنني لما سمعت خبر وفاته، أحسست كأن جبهة من جبهات القتال القوية سقطت، هكذا كان شعوري وإحساسي نحوه، وليس لي إلا أن أدعو الله له بالقبول، أدعو الله عز وجل أن يتقبله، وأن يلهم أهله وإخوانه وأصحابه في الجهاد الصبر وأن يرزقنا جميعاً الثبات على طريق الجهاد وعلى الدرب الذي مشى عليه هو وغيره من إخواننا الذين قضوا نحبهم، ونشهد أنه كان من الرجال، وإن رجولته لم تكن تخفى على أحد، أدعوا الله العلي القدير أن يوفقنا والمجاهدين جميعاً إلى تحقيق تلك الآمال والأهداف والمقاصد السامية التي حملها هؤلاء الإخوة، فأدعوا الله أن يوفقنا في تحقيق تلك الآمال وتلك المقاصد، وندعو الله عز وجل أن يختم لنا بالشهادة وأن نترك الدنيا ونحن على طريق الجهاد ثابتين مخلصين له الدين، كما أدعوه جل ذكره أن ينصر المجاهدين والدعاة إلى الله عز وجل في كل مكان، وأن ينقذ الأمة الإسلامية من وطأة الأنظمة الطاغوتية وأن يعيد لهذه الأمة اليتيمة والمظلومة مجدها من جديد وعزها من جديد، ندعو الله عز وجل أن يختم يتمة هذه الأمة بسرعة وأن يعيد لها استاذيتها وسيادتها من جديد وأدعو الله عز وجل أن يوحد كلمة المجاهدين في أفغانستان وكلمة المسلمين المخلصين العاملين للإسلام في مشارق الأرض ومغاربها وأن يجمعهم على الحق وأن يحقق لهم آملهم في الدنيا وفي الآخرة كما أدعوه سبحانه وتعالى أن ييسر لنصرة دينه ولتطبيق شريعته ولإقامة حكمه ولإعلاء كلمته ولنشر دعوته...

اللهم انصرنا ولا تنصر علينا، اللهم أعنا ولا تعن علينا، اللهم امكر لنا ولا تمكر علينا، اللهم افتح لنا فتحاً مبيناً، اللهم انصرنا نصراً مؤزراً، اللهم استر عيوبنا واغفر لنا ذنوبنا ومكن لنا قلوبنا واشرح صدورنا، ويسر لنا أمورنا. آمين يا رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

رثاء الشيخ تميم العدناني(١)

بسيفك قد كتبت بلا بيان	معلقة الفخار لذا الزمان
معلقة الجهاد بها تغني	تميم ثم عشاق الجنان
فمهلاً يا دعاة النوم إنا	فقدنا اليوم أستاذ التفان

(١) المصدر السابق.

بسيفك قد كتبت بلا بيان | معلقة الفخار لذا الزمان
معلقة الجهاد بها تفتي | تميم ثم عشاق الجنان
فمهلاً يا دعاة النوم إنا | فقدنا اليوم أستاذ التفان
وفقد الشيخ في وقت الجهاد | مصاب لا نساويه بثان

###

أتا حباً إلى أرض الجهاد | يقدم روحه في كل واد
وأيقن أن عز الدين يأتي | ببذل الروح من فوق الجياد
ومفتاح الخلافة ليس إلا | قتال الكفر في كل البلاد
وكان الشيخ يعشق كل غزو | فصار الشيخ معشوق الجهاد

###

وصال الشيخ في ساح النزال | يقاتل يبتغي أجر القتال
ولا يعبأ بصعب أو يبالي | فرغم الوزن سبّاق الرجال
تراه الفارس المقدام فينا | يشق بسيفه درب المحال
رأيت ثباته مثل الجبال | صبوراً شامخاً في كل حال

###

وسل أرجون كان بها زمانا | وسل شيخاً يسمى أرسلانا
يقول لكم دعونا كل يوم | بأن يأتي إلينا من يرانا
من الأنصار كي يشهد لشعب | له في ساحة الهيجا زمانا
فجاء الشيخ أشجع من رأينا | وفي إتيانه نصر أتانا

حوار مع ابن الفقيد: ياسر

كيف تلقيت نبأ استشهاده؟

* لقد كان هول الفاجعة عظيماً على نفسي وهذه طبيعة البشر، فوالدي ليس والد فحسب بل هو داعية معروف في العالم ومجاهد.. فلم يدر بخلدي أنه سيرحل عنّا فجأة. ولكني كمسلم أعلم أن الأقدار بيد الله فلابد أن نتأدب بالآداب القرآنية «وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنا إليه راجعون».

وأمر المؤمن كله خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له.

ما هو شعورك تجاه وفاة والدك خارج أرض الجهاد؟

* لقد كان رحمه الله لا يتمنى شيئاً أكثر من أن يقتل في أرض الجهاد ومن هنا اطمأنت نفسي فلم يتغير شعوري، فقد قال الحبيب ﷺ **«من طلب الشهادة صادقاً بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»**..وقال: **«من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله»**..

ولقد كان والدي داعية للجهاد، فأسأل الله أن يرزقه أجر الذين رزقهم الله الرباط والشهادة ممن تربوا على يديه.

والحديث «من فصل في سبيل الله فمات أو قتل أو وقصته فرسه أو بعيره أو لدغته هامة أو مات بأي حتف شاء الله أن يموت فهو شهيد وإن له الجنة».

ما هي المسائل التي كان يركز عليها الشيخ في تربيته لكم؟

* كم رجل يعد بألف رجل

وكم ألف تمر بلا عداد

لقد كان رحمه الله أمة بأكملها.. كان لنا الأب والصديق والناصح والأخ. كان يربينا بالعمل قبل القول. فكان يترجم ترجمة عملية.. فضائل الخصال والأمر والنهي، ونحن نقتفي أثره في حياتنا اليومية.

هل ستبقون هنا في أرض الجهاد؟

* لا أجد جواباً على هذا السؤال أنسب من هذه الأبيات:

فهامت على خدي الدموع	*فقلت يا روحي رواحي*
هلا رحمت قلوبنا	*فعدلتي عن هذا الرواح*
فأجابنا البطل المسجى	*هازئاً بي باقتراحي*
كفكف دموعك ليس	*في عبراتك الحرة ارتياحي*
هذه سبيلي إن صدقت	*محبتي فاحمل سلاحي*
فيه إلى القدس الوصول	*والكرامة والنجاح*

هذا الطريق شقه لنا الوالد ونحن على أثره سائرون.. وإن توفي والدي الشيخ تميم فما زال حياً والدي الثاني الشيخ عبدالله عزام ونحن على دربهما نسير حتى يقيم الله دولة الإسلام.

هل تذكر أي مواقف لك مع الوالد في جبهات الجهاد؟

* أذكر مواقف كثيرة منها على سبيل المثال:

ذلك الموقف الذي كنت فيه مع أخي والوالد في جلال آباد وقرر المجاهدون القيام بهجوم على المطار فمنعوا والدي من الاشتراك في الخطوط الأمامية بينما سمحوا لنا فحزن والدي حزناً شديداً لكنه سرعان ما بكى فرحاً عندما رأى أبناءه في المقدمة.

هلا أتحفتنا بمواقف ومعلومات عن حياة والدكم قبل الجهاد؟

* ولد في القدس عام ١٩٤٢م وترعرع في حلب وتربى على أيدي المشايخ أمثال عبدالفتاح أبو غدة.

نشأ في طاعة الله وأطلق لحيته في الثانوية رغم المعارضة الشديدة له من مجتمعه بسبب ذلك الاتجاه الديني.

ومن ورعه أنه كان يرفض الشراب من بيوت الأرحام إذا اشتبه في مصدر المال.

درس الاقتصاد والعلوم السياسية في مصر ورفض العمل في البنوك رغم أنه قد عرض عليه منصب (نائب رئيس) لإحدى البنوك التي يتولى إدارتها أحد أبناء.... وآثر أن يعمل مدرساً براتب زهيد.

كانت أمي إحدى تلميذاته فاختارها لصلاحها وتزوجها عام ١٩٦٥م.

ثم عمل مترجماً ومديراً للمشتريات في شركة الطائرات البريطانية (بي إي سي) وكان عمله في قاعدة الظهران الجوية بالسعودية.

وعندما تغيب إمام المسجد عن الخطبة ذات جمعة تقدم والدي وارتجل خطبة فتعلقت القلوب بكلماته.

كان راتبه في الشركة واحد وعشرين ألف ريال سعودي وثلاثة آلاف وخمسين ريال بدل خطبة ولكنه ما كان يأخذ منه ريالاً واحداً بل كانت تذهب إلى المجاهدين مع ما ييسره الله من راتبه في الشركة.

ثم تفرغ للجهاد ورابط في مأسدة الأنصار ثم طلب منه الشيخ عبدالله عزام أن يتسلم إدارة مكتب الخدمات.

كانت أمنيته الكبرى أن تقوم الدولة الإسلامية وأن يشارك في تحرير القدس والصلاة في المسجد الأقصى.

مات وبين طيّاته قلب كبير يحمل هموم الأمة الإسلامية.

كان مسامحاً لكل الناس وعندما يأتي النوم يخلع كل ما يربطه بالدنيا ويتوجه إلى الله بالقول: (اللهم سامح كل من ظلمنا).

ما هي علاقته بمروان حديد؟

توثقت علاقته به في (عين شمس)، حيث كان يدرس مروان وكانا يخرجا معاً حيث تتبعهما المخابرات، تأثر بشجاعة وصمود

مروان الذي ما كان يخشى إلا الله لأنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له.

هل من كلمة أخيرة؟

أسأل الله ألا يحرمنا أجره ولا يفتنا بعده وأن يجمعنا به في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

سلام عليه منارة طالت فعلت.. سلام عليه شمعة أضاءت فاحترقت، سلام عليه حياً وميتاً.

المهندس أحمد شاه

كنت أعرف الشيخ تميم العدناني في الظهران -السعودية-، وكان داعية إلى الله، وصار مجاهداً في سبيل الله، كما ساهم في الجهاد الأفغاني بماله ونفسه وأولاده.. وكان يعمل لصالح الجهاد ومناصرته قبل أن يأتي إلى أفغانستان، وكان بطلاً شجاعاً في إيصال الحق -نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً- كما نحسبه مجاهداً في سبيل الله تعالى وأسأله سبحانه أن يدخله جنّات تجري من تحتها الأنهار.

الشيخ فتحي الرفاعي

كان الشيخ تميم -رحمه الله- كما نحسبه ولا نزكي على الله أحداً محباً للرباط والجهاد، شارك في بعض الجبهات في أفغانستان، وكان سهلاء لا يعقّد الأمور ويتمنى تقديم كل الخدمات للمجاهدين، جيّاش العاطفة، سريع التأثر، وقد لاقى الكثير من المتاعب على درب الجهاد، وهكذا يبتلى كل من يأتي للجهاد بالإختبار والتمحيص.

أنزله الله منازل الشهداء، وألهم أهله الصبر والسلوان، وإخوانه الثبات حتى النصر.

مدير المركز التعليمي الإسلامي - بيشاور

الأستاذ أحمد زي -رحمه الله-

فضيلة الشيخ تميم العدناني كان رجلاً مجاهداً، وداعية مخلصاً، متحمساً للإسلام والجهاد الإسلامي على أرض أفغانستان، اشترك في كثير من المعارك الميدانية ضد الروس والشيوعيين في أفغانستان، حضّ الشباب والشيوخ على الجهاد بالنفس والمال، كان لكلامه أثر يجذب القلوب ويسيطر على المشاعر، جاهد في سبيل الله حتى اختاره الله إلى جواره، ندعو الله أن ينزله منازل الشهداء وإن مات على فراشه فإنه كان يحب الشهادة ويطلبها مظانّها، وكان يريد للإسلام والمسلمين عزاً ونصراً، كما ندعوه سبحانه أن يحقق أمنيته في جهادنا في أفغانستان بإقامة حكمه وتحكيم شريعته حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، وندعوه تعالى أن يدخل شيخنا الراحل مدخلاً كريماً ويكرم مثواه ويرضى عنه ويرضيه.

من سجون لبنان إلى سجون دمشق!

حدثني الشيخ تميم -رحمه الله- ذات يوم أنه بينما كان يسير في أحد شوارع بيروت، ألقت قوات الردع السورية القبض عليه بتهمة إنتمائه إلى الإخوان المسلمين، مع العلم أنه من فلسطين.

وقال لي: «لا أدري يا أخ أبو جعفر لماذا اشتبهت بي المخابرات السورية وأنا فلسطيني، وخارج سورية، ولحيتي في بداية ظهورها، حيث لم يكن طول الشعرة فيه أكثر من نصف سنتيمتر».

وأركبوني في سيارة خاصة توجهت بي إلى أحد سجون دمشق الذي مكثت فيه ثلاثة أيام بلياليها ثم خرجت بعدها وملابسي مبللة بالدماء لشدة ما ذقت من ألوان العذاب، بعد أن قالوا لي لقد جاؤا بك إلى هنا عن طريق الخطأ وكان المقصود شخصاً آخر ثم قال الشيخ تميم: «وضعت تلك الملابس في كيس نايلون ووصيت زوجتي بأن تعمل على دفنها معي لكي تشهد لي أمام الله يوم القيامة على جريمة أولئك النُّصيرين الكلاب حكام سورية».

والجدير بالذكر أن شقيق الشيخ تميم كان قد اعتقل معه في لبنان، وهو وقتئذ لا يصلي، وقال لأخيه وهما في طريقهما إلى دمشق، لقد قررت هذا اليوم أن لا أسير معك أبداً لأنك أنت السبب في هذه المصيبة التي أوقعتني فيها.

وعند خروجه من السجن، أصبح متديناً بفضل الله والتزم درب أخيه الشيخ تميم والحمد لله. أبو جعفر

كلمة ياسر تميم العدناني على قبر والده

الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله.. يا أبي، يا أيها الجبل الشامخ، يا أيها القمة المرتفعة.. تذكر أنك آمنت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، سلام الله عليك يا أبي، سلام الله عليك يا منارة طالت فارتفعت.. سلام الله عليك يا شمعة أضاءت فاحترقت.. سلام الله عليك يا علم الجهاد، لقد أديت الأمانة، وبلغت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده، أسأل الله عز وجل ونسأله جميعاً أن يجعلك في منازل الشهداء وأن يجمعك بالنبيين والصديقين والصالحين والشهداء وحسن أولئك رفيقا.. يا أبي نحن أبناؤك وأبناؤك في كل بقعة على الأرض نردد على دربك سائرين لبيك يا علم الفداء، لبيك يا علم الجهاد، كلنا نفدي الحمى، لبيك يا بطل الجهاد كلنا درب الفداء.. كن لنا شفيعاً يا أبي، واذكرنا عند ربك، وأسأل الله أن يجمعنا بك في جنة ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.

رؤيا عن الشيخ تميم (١)

قبل أسبوع -تقريباً- من وفاة الشيخ تميم رأيت رؤية عجيبة ما زالت عالقة بقلبي وذهني وظلت تشغل فكري حتى كانت المفاجأة بفقد الشيخ تميم والذي كان محور هذه الرؤية.

رأيت كأننا في مبنى جامعي كبير وفي وسطه ساحة خضراء وكان الطلاب في حالة هياج وشغب وفوضى غير أخلاقية فقلت في نفسي سيأتيهم الآن من يعلمهم الإسلام والجهاد فإذا بأحد الصحابة يأتي على جمل يسير فوق سور داخلي فوق سطح المبنى ويلبس مثل الملابس الأفغانية ويحمل في جنبه خنجراً وفي يده سوطاً طويلاً ونادى بصوت مرتفع: الجهاد، فنظرت إلى وجهه فإذا به الشيخ تميم فخرج الجميع في ذهول إلى الساحة الخضراء ينظرون إليه فمد طرف السوط إلى إحدى نوافذ المبنى فعلقت زوجته شيئاً بطرف السوط ولما قربه منه إذا به فرس فانتقل من الجمل إلى الفرس وأخذ يجري بفرسه بسرعة شديدة ويطوف فوق سطح المبنى وكأنه يعلمنا الفروسية والجهاد وبجواره يجري الجمل وكان كلما اقترب من زوايا المبنى يميل بفرسه إلى الداخل حتى يكاد يسقط فيكبر الجميع «الله أكبر» ولا أنسى هذه التكبيرة أبداً وما زالت عالقة بذهني حتى الآن فكان يستوي بفرسه مرة ثانية وظل على هذه الحال عدة دورات ثم اتجه بسرعة مذهلة إلى الناحية الخارجية من السطح وطار بفرسه وجمله بعيداً عن المبنى فسقط الفرس والجمل على الأرض وكأني أسمع صوت إرتطامهما الشديد بالأرض حتى الآن وصعد الشيخ تميم إلى السماء في منظر مذهل رهيب مهيب.

فاستيقظت من النوم وأنا أقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقالت لي زوجتي ماذا حدث؟ قلت: استشهد الشيخ تميم وتعجبت كيف يستشهد وهو الآن على حد علمي في أمريكا، فكان الذهول والصدمة الشديدة عندما جاءنا خبر وفاته، فرحمك الله يا أبا ياسر وأنزلك منازل الشهداء ونسأل الله أن يلهم أهلك و بنيك الصبر والسلوان.

رحم الله الشيخ تميم(٢)

رحم الله من كان بالأمس بيننا... عرفناه محباً لله ورسوله، نذر نفسه لنصرة دين الله وسخّر وقته لإعزاز وتثبيت الإسلام في الأرض وكان يحلم دائماً -رحمه الله- بخلافة إسلامية، تجتمع عليها القلوب، وتتوحد تحت رايتها الجهود، نظر إلى أفغانستان فوجد أنها أقرب بلد إسلامي يمكن أن يحكم فيه شرع الله، فنوى الهجرة في سبيل الله، عزم على المضي في درب الجهاد، ومنذ أن وطأت قدماه أرض أفغانستان، أصبح يفكر في الشهادة.. وكلما استشهد واحد من إخواننا رأيت الدموع تنزل من عينه بكاءاً على نفسه التي لم تصل إلى ما وصلت إليه نفس الشهيد، وكم شاهدوه الإخوة وهو يبكي تحت قصف الطائرات وأزيز الرصاص، لا من خوف ولكن طلباً للشهادة، ولكن الله عز وجل لم يكتبها له في أرض الجهاد بل رزقه إياها في أرض غير أرض أفغانستان...

نسأل الله أن يتقبله شهيداً في سبيله لأن من ابتعد عن أرض الجهاد وهو ينوي الرجوع، ومات وهو مسافر فهو شهيد ودليل هذا حديث المصطفى ﷺ عندما قال «من فصل في سبيل الله أو مات على فراشه بأي حتف شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة».

---

(١) رأى هذه الرؤيا أحد أحباب الشيخ -رحمه الله-.

(٢) البيان العدد ٩ التاريخ: ١٣ ربيع الثاني ١٤١٠هـ ١١ نوفمبر ١٩٨٩م.

والشيخ تميم -رحمه الله- سافر إلى أمريكا بنية العلاج، سافر جسداً ولكن قلبه بقي معلقاً بأرض الجهاد وفي طريقه من باكستان إلى أمريكا مرّ على بعض الدول العربية والأجنبية، وتكلم فيها عن الجهاد الأفغاني، فجعل القلوب تطير من صدورها والأرواح تهفو إلى أرض الجهاد.

وأينما حل أو ارتحل كان حديثه -رحمه الله- عن الجهاد الأفغاني وعن انتصارات المجاهدين، وعن حلم الملايين من المسلمين... عن إعادة الخلافة... تلك المنارة المفقودة.

والعلماء الذين قدموا إلى أرض الجهاد جدُّ قليلون والذين ثبتوا في الساحة وعقدوا النية على البقاء في أرض الجهاد حتى النصر... يعدون على الأصابع... والشيخ تميم من أولئك الذين صمموا على إكمال المسير حتى النهاية رغم مشقة الطريق، وصعوبة المسلك، ولكن من يجعل الله غايته تهون عليه كل المصاب، وكثيرا ما تحدث أشياء تكون غائبة عن أذهان الناس، ففقدان الشيخ تميم في هذه المرحلة لم يتوقعه أحد، بل كان الجميع ينتظرون رجوعه حتى يروا كيف أصبح الشيخ تميم بعد العلاج، ولكن قدر الله إذا جاء لا يقدم ساعة ولا يؤخر، وكم كان خبرهُ -رحمه الله- شديداً على القلوب فقد فقدنا أخاً من أحب ما رأت عيوننا، ونسأل الله جل وعلا أن يتقبله شهيداً وأن يجمعنا وإياه في جنات النعيم. ووالله ... إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع، وإنا على فراقك يا أبا ياسر لمحزونون...

رحم الله شهيدنا.. وأبدلنا خيرا منه.. وجعل الجنة مثواه.. ورزق أهله صبراً جميلاً، إنه نعم المولى ونعم النصير.. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فايز أبو عكاز

رسالة من الشيخ تميم العدناني إلى البنيان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

نشرت مجلة البنيان المرصوص في آخر عدد لها (العدد ١٣) وفي الصفحة الأخيرة صورة طبق الأصل لما نشرته مجلة "فلسطين الثورة" في عددها (٢٣٢) تحت عنوان "حركتنا تُهنّيء في ذكرى تأسيس حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني" وسردت تحت هذا العنوان برقية تهنئة بعثتها حركتنا «حركتهم هم» فإنني أبرأ إلى الله منها» بتوقيع اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني -فتح- المجلس الثوري.. والبرقية هذه مليئة بالأكاذيب والمغالطات، تفوح منها رائحة العفن والنتن. وقد نقلت مجلتنا الحبيبة "البنيان المرصوص" هذه البرقية تحت تعليق «فتساء فاقرئي» وكنتُ أربأ بمجلتنا الحبيبة أن تدنس صفحاتها بذكر مثل هذه البرقية المليئة بالكذب والبهتان.

ومن الهازل حقاً أن تصف هذه البرقية المجاهدين الأبطال الذين رفعوا راية لا إله إلا الله، وجاهدوا تحتها بأنهم "عصابات المرتزقة المعادية للشعب والثورة الأفغانية".. ألا فلتعلم أيها المجلس الثوري التائه أن الشعب الأفغاني شعب مسلم أصيل يؤمن بعقيدته ويدافع عنها، ويجاهد بالنفس والمال لإعلاء كلمة الله ولطرد الروس الملاحدة وأذنابهم الشيوعيين من أفغانستان المسلمة، ولتعلم أيضاً أن هذا الشعب المسلم البطل قد قدم أكثر من مليون ونصف من الشهداء الأبرار دفاعاً عن عقيدته ودينه ويكفي هذا الشعب المسلم البطل أنه -بتأييد ونصر من الله تعالى- قد وقف ثماني سنوات كاملات أمام الإتحاد السوفيتي وحلفائه الشيوعيين، وكبدهم الهزائم تلو الهزائم، وحرّر (٩٠٪) من أراضي أفغانستان المسلمة دون استعانة بالشرق أو بالغرب، كما فعلتم أنتم باستعانتكم بروسيا الملحدة الشيوعية التي تخلت عنكم في حرب لبنان.. بل إن المجاهدين الأفغان استعانوا بالله عز وجل وحده لأنهم عرفوا معنى قوله تعالى: «وما النصر إلا من عند الله».. وأذكر أنني ذات مرة قلت للأستاذ عبد رب الرسول سياف أمير المجاهدين الأفغان منذ ثلاث سنوات "لماذا لا تقبلون المساعدات الأمريكية؟" فأجابني بيقين المجاهد المؤمن بربه: "نحن لا نستعين بكافر على كافر".

ألا فلتعلم أيها المجلس الثوري التائه أن فلسطين لن تعود بثورتكم الملحدة وبرفاقكم الشيوعيين، بل إن الطريقة الوحيدة لعود فلسطين: هي الجهاد المقدس تحت راية الإسلام .. فلقد فتحها عمر بالإسلام، وأعاد فتحها صلاح الدين بالإسلام وحده أيضاً ولن ترجع -والله- إلا بالإسلام.. فاتقوا الله أيها الفلسطينيون وعودوا إلى الإسلام، وارفعوا راية لا إله إلا الله، تهزموا عدوكم، وترجعوا إلى قدسكم فاتحين منصورين، ويتحقق وعد رسول الله ﷺ "لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون -ولم يقل: الرفاق الثوريون- اليهود

فيقتلهم المسلمون حتى يختبيء اليهودي خلف الحجر أو الشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود". ألا هل بلغت .. اللهم فاشهد.

أخوكم في الله/تميم العدناني

قصيدة في رثاء الشيخ تميم (١)

شعر: أسامة الأغا

قالوا: قضى، فتنهدًا
وأراد أن يتأكدا

فأتى يُسائلني: أحقاً
قد فقدنا القائدا؟

أو هل مضى ذاك الذي
بفؤاده قد جاهدا

وبروحه.. وبماله
سند الجهاد وأيدا؟

فصمت، ثم اجبته:
حقاً، فقدنا المرشدا

فمضى بسير مكذباً
خبراً مهولا مرعدا

ويقول: كلا لم يمت
فيجيبه رجع الصدى:

«إنا فقدنا القائدا
إنا فقدنا القائدا»

وأتى الرياض وقد غدت
قفراً.. يبابا أسودا

ورأى البلابل هزما
حزن الأزاهر والندى

والطير فاض به الأسى
ألماً.. وحزناً سرمدا

أنى يطيب له الكرى
أو أن يعود مغردا

فالشيخ غادر روضهم
والروض أضحى فدفدا

******

ألفي البلاد يعمها
ظلم أباد وأفسدا

فالقدس -مسقط رأسه-
يلهو بساحتها العدا

أو في "حماة" يرى العدو
المستبد الحاقدا؟

وعلى ربى "كابول" قد
صال العدو وعربدا؟

حمل السلاح ليمتطي
ظهر المصاعب والردى

هجر الحياة وطيبها
ليعيش فيها زاهدا

وقضى السنين يعدها
عيشاً رخيصاً زائدا

عاش الحياة مجاهدا
ومقاتلاً متجردا

سهلاً على إخوانه
وعلى العدا مستأسدا

صلباً على طاغوتهم
لم يخش منهم سيدا

إذ كان لم يأبه به
إن صاح فيه وهددا

سند الجهاد بكله:
قلباً، لساناً، أويدا

عرفته "جاجي" صامداً
ويعلمه شهدت "صدى"

قد كان إن سمع النداء
يقول: حيّ على الفدا

يمضي إلى ساح الوغى
ركضاً، ولا يترددا

وكان حلم الشيخ أن
يمضي، وأن يستشهدا

****

أ "تميم" أنت من الذين
رجوت ألا أفقدا

هلا علمت بأن قلبي
بعد فقدك قد غدا

مجمر الأحبة يكتويه
فبات بعد مُسهّدا

صعق الورى بوفاته
ياحزنهم طول المدى

وأتى على جثمانه
وسط الجموع مُمددا

قد سار مع من شيعوا
حملوه صفاً واحدا

قد سار "ياسر" خلفهم
ورأى هنالك "أحمدا"

و"حسام" يتبع خطوهم
يدعو دعاء خالدا

(يا رب أكرم والدي
أدخله دارك مُسعدا

وامنحه في أعلى الجنان
وتحت عرشك مقعدا)

لا لن تضيع جهود من
بذل النفس وجاهدا

لا لن يموت كفاحه
أبدا، ولن يمضي سُدى

يا من سما بجهاده
يا من علا وتمجدا

بلّغ "حسين" و"خالدا"
و"أبا حسام" و"عابدا"

أنا نسير إليكم
فهناك موعدنا غدا

هيهات تخلف عهدنا
هيهات ننسى الموعدا

(١) الثبات العدد ١١ التاريخ: ٢٧ ربيع الثاني ١٤١٠هـ ٢٥ نوفمبر ١٩٨٩م.

الشيخ تميم العدناني.. جبهة القتال التي سقطت[1]

لم تكن شهادة الشيخ تميم العدناني حدثاً عادياً في حياة المجاهدين فوق أرض أفغانستان.. فالكل كان ينتظر عودة الشيخ من أمريكا بعد غيبة طالت بين عدة دول تنقل الشيخ خلالها ليحمل للآخرين أريج هذا العطر الفواح فوق ذرى الأرض الطيبة.. وقد كان الأخوة يتناقلون فيما بينهم أن الشيخ وصل إلى نيجيريا ثم غادرها بعد أن أحدث انقلاباً هناك حتى في صفوف الرسميين من الدولة وكيف أن الإذاعة والصحف كانت تنقل ما يقوله الشيخ عن هذا الجهاد العظيم بكل غرابة وكان الشيخ خلال رحلته على اتصال دائم بهذه الأرض -التي أحبها وأحبته فأبت إلا أن تضمه وتحتضنه بين جنباتها- ينقل أخباره إلى المجاهدين ويطمئن على أحوالهم ومع أن رحلته هذه كانت أصلاً للعلاج إلا أنه قد صرف الجزء الأكبر منها للدعوة إلى هذا الجهاد لأن حاجة الشيخ للجهاد أصبحت كحاجة الجسد للماء والهواء لا غنى لأي انسان عنهما، كان الشيخ تميم -رحمه الله- صاحب قلب كبير شهد له بذلك أحبابه وبنوه ولا غرابة في ذلك والغرابة أن أكثر المسلمين الذين عرفوه رغم تفرقهم واختلافهم وانقسامهم على أنفسهم كانوا يجمعون على حبه وطيب قلبه واخلاصه.

والشيخ الشهيد تميم العدناني لا يمكن لمن لم يجالسه أن يعرفه فكم من مرة فجّر فينا البكاء لمنظر شهيد أو ذكر شهيد.. وكم من مرة ترك في نفوسنا الأمل بغد مشرق سعيد.. وقد قال الشيخ الشهيد عبدالله عزام (إن الشيخ تميم العدناني هو الباني الحقيقي لمكتب الخدمات).

وقد كان الشيخان صديقان حميمان جمعت بينهما أرض أفغانستان وكان الشهيد تميم رحمه الله يقول اللهم اجعل يومي قبل يومه (الشيخ عبدالله عزام) فكانت شهادته قبل شهادة الشيخ عزام بشهر تقريباً وكانا متحابين حباً شديداً ، وفي حفل التأبين الذي أقيم بمناسبة استشهاد الشيخ تميم قال أحد الإخوة للشيخ عبدالله عزام رحمه الله يا شيخ لو تتصل بالدكتور فلان ليحل محل الشيخ تميم، فأجابه الشيخ عبدالله عزام رحمه الله الذي كان أعرفنا بمعدن الشيخ تميم: أمجنون أنت؟ هل يستطيع هذا أن يسد المكان الذي تركه الشيخ تميم؟ إن عشرين من أمثاله لا يستطيعون ذلك! هل يستطيع هذا الدكتور أن يجمع للجهاد ٤.٥ مليون ريال و١٨ كغم ذهب صافي خلال خطبتين جمعة ومن مسجد واحد؟ ونحن نقول إضافة إلى مئات الشباب الذين جمعهم أبو ياسر من كل آفاق الدنيا.. لقد كان الشيخ تميم العدناني وكان وكان وغص القلب بالأحزان، وها نحن نردد ما قاله لشيخنا الحبيب عزام عن شيخنا الحبيب تميم العدناني : مضيت يا أبا ياسر ونحن أحوج ما نكون إليك بعد رب العزة، مضيت وخلفتنا على الطريق ونرجو الله عز وجل أن يكون قد بلغك أمنيتك.. لقد مضى الشيخ بحماسه وغاب الطود الشامخ وأفل النجم البازغ ووالله ما أصبنا بمثله قط ووالله ما أظنني بكيت على مخلوق كبكائي على فراقك وعزاؤنا أننا نظن بك خيراً ونرجو من الله أن تكون عند حسن الظن وزيادة.. وما كان يظن الشيخ عبدالله عزام أنه سيلحق بالشيخ تميم بهذه السرعة ليلتقيا من جديد لقاء لا فراق بعده.. اللهم إنك تعلم مصيبتنا في شيخينا فألهمنا اللهم صبراً وأبدلنا خيراً منهما إنك على تشاء قدير.

الشيخ تميم في مصر:

مر الشيخ في جولته الأخيرة على مصر، وسأل عن أقاربهم الذين لم يرهم منذ زمن طويل ومرّ عليهم واحداً واحداً كأنه يودعهم ووجد أحدهم مصاباً بمرض مزمن طالما تمنى أهله له الموت ليريح ويستريح فرق الشيخ لحاله عندما رآه وبكى ثم دعا ربه قائلاً: اللهم أرح هذا المريض.. وفي اليوم الثاني توفي المريض.

وكان الشيخ تميم قد استدعي من قبل المخابرات في بداية دخوله مصر، ودار بينه وبينهم الحوار التالي:

-هل تعمل في باكستان؟

- لا أنا أعمل في أفغانستان.

- ما شاء الله.

- اسألوا ما شئتم فأنا صريح جداً.

- هل عندكم مصريون؟

(١) مجلة البنيان المرصوص العدد ٣٠ ص ٣١ رجب ١٤١٠هـ فبراير ١٩٩٠م

- نعم كثيرون.

- ما أسماؤهم؟

- سجل عندك: أبو ذر - أبو معاذ - ابن هريرة - أبو أنس - أبو حمزة - أبو صهيب.

- يا شيخ نريد الأسماء الحقيقية.

- لا أعرفها، ولو كنت أعرفها، فوالله ما أخبركم بواحد منها، وهل أنا مجنون حتى أفعل ذلك؟!

- ولكن لماذا؟

- لأنكم ستضعونهم في السجن عندما يرجعون، كما فعلتم مع أبي حنتني الذي سجن لديكم أربعة أشهر.

- وأين هو الآن؟

- لقد رجع إلى الجهاد.

- هل تعرف محمد شوقي الإسلامبولي؟

- نعم، ومن ذا الذي لا يعرف شقيق الشهيد خالد الإسلامبولي؟!

- تقول الشهيد؟!

- نعم!

- ثم انتقل الشيخ تميم بالحديث إلى دور المهاجم قائلاً:

- أريد تصريحاً لألقي محاضرات عن الجهاد الأفغاني.

- القوانين لا تسمح.

- أريد عنوان الشيخ كشك والشيخ المحلاوي.

- لا نعرف.

وخرج الشيخ تميم وسافر إلى الإسكندرية وسأل عن الشيخ المحلاوي فوجده وصلى عنده الجمعة وقام الشيخ تميم بعد الصلاة وألقى محاضرة عن الجهاد الأفغاني لمدة ساعتين ونصف.

الشيخ تميم في جاجي:

ومن مواقفه ما ذكره الشيخ سياف في تأبين الشيخ تميم العدناني رحمه الله:

رأيته في آخر معركة في جاجي وكان إخواننا قد حوصروا أو شبه محاصرين، كان جالساً معي، وطلب الإخوة باللاسلكي أن أرسل لهم مجموعة من المجاهدين لفك الحصار فجمعت بعض الإخوة لأرسلهم، فقام الشيخ تميم وقال: أنا أذهب معهم، فقلت: يا شيخ تميم اجلس هنا وادع لهم، قال: لا والله، الذين سمعوا كلماتي من الأشرطة ضحوا أنفسهم في سبيل الله وأشلاؤهم متناثرة هناك في الخط الأول، وذهبوا عند ربهم، ماذا سيقولون: شجعنا الشيخ تميم على الجهاد فجلس في الخط الثاني، ولم يشاركنا في الخط الأول، كيف أواجه الله؟ قلت له: اجلس قال: والله لن أجلس، فتحرك مع المجاهدين ذهب هناك والمجاهدون كانوا في أضيق الأحوال وأشدها، وكل كان يبحث عن مكان يستتر وراءه، أما الشيخ تميم فقد كان جالساً في الميدان لمدة أربع ساعات وقرأ من القرآن سبعة أجزاء، وكان مختفياً في دخان القنابل والقذائف، وكان يلح عليه الإخوة أن يدخل في النفق أو في غرفة، فكان يرفض أن يدخل، وكان يقول لي: عندما كان يأتي ذكر النار أو يأتي ذكرجهنم كنت أقرأ بسرعة حتى لا أصاب في هذه اللحظات وعندما يأتي ذكر الجنة وذكر الرحمة كنت أتأنّى لعل الله يرزقني الشهادة عند قراءة كلمة الجنة أو الرحمة.. ويعلم الله أنني لما سمعت خبر وفاته أحسست أن جبهة من جبهات القتال القوية سقطت..

لقاء مع أم ياسر، الزوجة الصابرة

في ظرف شهر واحد كنا أمام حدثين عظيمين على الساحة الجهادية شهادة الشيخ تميم العدناني والشيخ عبدالله عزام الذين كانا ممثلين للمد الجهادي في ساحة العمل الإسلامي وكان لهما الكأس المعلا والمكيال الأعز في دعم الجهاد في أفغانستان. وما لا نعرفه عن الشيخ تميم أكثر بكثير مما عرفناه عن هذا الطود الشامخ وجبهة القتال القوية.. وإيماناً منّا بأن هؤلاء القدوات لابد أن توضع حياتهم كلها أمام الأجيال لتصبح معالم في الطريق وأسسا للانتماء لهذا الدين.. فكان لابد من الذهاب إلى مظان المعلومات الدقيقة وكان هذا اللقاء مع أم ياسر الزوجة الصابرة عن طريق إرسال الأسئلة مع ياسر كبير أبناء الشهيد وكان هذا الضوء على جزء من حياة الشيخ تميم الزاخرة بالمواقف.

– حبذا لو حدثتمونا عن حياة الشيخ تميم –رحمه الله– منذ الولادة وحتى عام التعرف عليه والزواج منه؟

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أحمدك ربي لا إله إلا أنت صبرتنا على النبأ، هديتنا من ضلالة وعلمتنا من جهالة، آمنتنا من فزع وصبرتنا من جزع، واسيتنا في محنة وثبتنا من فتنة، كثرتنا من قلة ورفعتنا من ذلة، لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وبعد:–

ولد الشيخ تميم –رحمه الله– في القدس الأسير – فك الله أسره وكسر قيده– في (٥/٣/١٩٤٢م).

وكان من بيت نسب وحسب، فكان جده "خورشيد باشا" ذا مقام رفيع في الدولة العثمانية وقاد كثيراً من الحملات الجهادية التي كانت تقوم بها الدولة الإسلامية العثمانية.

وكان جده فريد باشا والياً على القدس من قبل الدولة العثمانية. وكان والده "محمد العدناني" أديباً بارعاً وشاعرا لامعاً، حيث أعطي لقب "شاعر فلسطين الأول" بعد أن حاز على الجائزة الأولى في المباراة الشعرية التي أجريت عام ١٩٤١م والتي كان موضوعها "حرب الطائرات" وقد شارك في هذه المباراة عدد كبير من شعراء فلسطين وشعراء الأردن وغيرهم. وله أكثر من ٣٧ مؤلفاً ما بين الشعر والنثر والتاريخ واللغة والنحو.

علاوة على المعاجم التي ألفها ومن بين مؤلفاته "سيرة أبي بكر الصديق طبع عام ١٩٥٩م"، "معجم الألفاظ اللغوية المعاصرة" ومن دواوينه الشعرية ديوان العدنانيات، ديوان اللهيب، واختار له هذا الاسم لأنه وحي عاطفة ملتهبة ثارت على الظلم الصارخ على الظالم المعتدي في فلسطين الأبية.

وفي حلب حصل الشيخ تميم على الشهادة الابتدائية والمتوسطة والثانوية، وهناك تتلمذ على أيدي كبار العلماء أمثال الشيخ عبدالفتاح أبوغدة.

وكان رحمه الله قلبه يعتصر ألماً وحزناً على المسجد الأقصى والقدس وضياع بلاد المسلمين منهم منذ حداثة سنه، وكان قلبه معلقاً في المساجد يتتلمذ على أيدي العلماء وينهل من نبع الإسلام الصافي.

ثم انتقل إلى مصر يدرس هناك الاقتصاد والعلوم السياسية. وواصل طريقه هناك فأطلق لحيته وكان يذهب إلى المساجد ويؤذن بعض الأحيان في زمن عزّ فيه أن تجد شاباً متديناً ، وفي وقت كان يحارب فيه الإسلام وقد لاقى الكثير من المتاعب والمضايقات والتهديدات ولكن هيهات لقلب مثل قلب الشيخ تميم رحمه الله أن يعمل حساباً لأي أحد في الدنيا أو أن يحرك ساكناً من قلبه خوفاً من مخلوق فكان دائماً يقول «والله لا أخشى أحداً إلا الله» وقلما خلت لوحة الجامعة من نصائحه القيمة بالتعاليم الإسلامية من حيث عدم الاختلاط وعدم التبرج والتمسك بتعاليم الدين الحنيف، وعندما تخرج الشيخ تميم –رحمه الله– من الجامعة كان يبحث عن عمل وعن زوجة صالحة فعرض عليه العمل في أحد البنوك الربوية بمنصب عال وراتب مغر ولكنه رفض على نفسه أن يأكل من حرام، وآثر أن يعمل مدرساً للغة الإنجليزية في مدرسة خاصة براتب زهيد فرحمك الله يا أبا ياسر وتغمدك بواسع رحمته وغفرانه، فلقد علمتناوعلمت الدنيا بأسرها كيف تكون الكرامة وكيف تصنع العزة وكيف يعيش المرء عزيزاً ويموت كريماً، وكان لسان حالك كان يشدو بهذه الأبيات:

فإما حياة تسر الصديق   وإما ممــات يغيظ العدى

وفي (٢٦/١١/١٩٦٥م) قدر الله وعقد القران، وأذكر أنه قال أن ذاك «نريد أن نبني أسرة إسلامية تدعو إلى الله وتعمل بتعاليم

الإسلام ولا تخاف في الله لومة لائم.

-حبذا لو أتحفتمونا بمعلومات عن حياة الشيخ منذ الزواج وحتى تفرغه للجهاد الإسلامي في أفغانستان؟

{والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين، ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن الله لعليم حليم}

{إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم، ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين}.

والحق أن الكتابة من موقف عن مواقف الشيخ تميم -رحمه الله- تحتاج إلى الشرح المفصل الذي قد تتسع له الكتب وقد لا تتسع، فلقد كانت مواقف الشيخ تميم -رحمه الله- صلبة جريئة غير متوقعة من قبل أعداء هذا الدين ومعذرة البيان إن لم يوف الشيخ تميم حقه.

وسأتحدث عن هذه الفترة بإيجاز، وسأذكر بعض مواقف الشيخ تميم رحمه الله.

ومعذرة اليراعة والقوافي جلال الرزء عن وصف يدق

بعد الزواج عمل مدرساً للغة الإنجليزية لمدة سنتين براتب زهيد، ثم تعاقد مع إحدى الشركات في السعودية "مدرسة سلاح الصيانة بالطائف" بوظيفة مترجم، وهناك كان يتعامل مع الأجانب في الشركة بنفس مبدئه، فكان يدعوهم إلى الإسلام، ولا يسكت عن المنكر الظاهر ويحارب الفساد الموجود في الشركة، فأسلم على يده عدة أشخاص، فضاق الذرع بمدير الشركة وفصله عن العمل.

ولكن الشيخ تميم -رحمه الله- لم يحزن بل على العكس كان سعيداً وكان يقول «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها» ويذهب بعدها الشيخ تميم -رحمه الله- إلى المنطقة الشرقية في السعودية بعد أن مكث في الطائف حوالي سنة سنوات، ويتعاقد مع شركة «شركة الطائرات البريطانية» وفي المنطقة الشرقية كان الشيخ تميم -رحمه الله- ينتقل من مسجد لآخر، وقلما خلا مسجد من مساجد مدينة الخبر من درس للشيخ تميم أو كلمة أو نصيحة، ويصبح بعدها الشيخ تميم -رحمه الله- خطيباً لجامع معهد الدراسات الفنية بالقاعدة الجوية ومشرفاً للتربية الإسلامية في المعهد، وكان يتناول في خطبه مواضيع حساسة تهم واقع المسلمين الذي يعيشونه، فوسع مسجده حتى أصبح أربعة أضعاف حجمه لكثرة تدفق المصلين عنده، فكان كلامه يقع في القلوب لأنه لا يريد في ذلك إلا وجه الله، كان قوي الإيمان شجاعاً جريئاً لا يخاف في الله أحداً فجعل الله على يده الخير الكثير كان علماً للجهاد يعمل تجارة رابحة طاف أرجاء الكرة الأرضية وهو يعرض هذه التجارة التي كان معتزاً بها وبفضل الله كان كل من يسمعه يدرك من هذه الخير، وكان له أسلوبه المتميز وجرأته وشجاعته وذكاؤه وكل هذا أنعمه الله عليه كي يحمل راية الدعوة والجهاد فمنذ أن سمع عن الجهاد الإسلامي في أفغانستان هب لنصرة هذا الجهاد.

ولم يقعد كما قعد غيره فطار يسأل هنا وهناك ويستفسر من قريب وبعيد، حتى تحقق من وجود تجمع إسلامي جهادي في أفغانستان يقف في وجه الروس وفي وجه الكفر والإلحاد، فطار على جناح السرعة إلى أفغانستان وتعرف على أوضاع الجهاد وشارك في بعض المعارك بماله ونفسه وأولاده ثم عاد ليصرخ في أرجاء الأرض ويوقظ أمة بعد رقادها ويقول لهم «إن هذا الجهاد هو السبيل للتحرر من الذل الذي أصابنا ومن الوهن الذي ألم بنا» وما لنا لا نردد مع الشاعر:

تميم قـد ذهبت إلى بـلاد	*لتوقظ أمـة بعـد الرقاد*
وتنذر عابد الحرمين فيها	*وتدعـوه ليـأوي للرشاد*
وتذهب للشيوخ بكل أرض	*وتغـدو للشباب بكل نـاد*
تثبت فعله كل الرجـال	*وصاروا ظاهرين على الأعادي*

والحق أن الشيخ تميم كان يشعر بأن هذا الجهاد سيكون نقطة تحول لتاريخ هذه الأمة بعد أن ماتت بين طياتها فريضة الجهاد، لذلك باع نفسه لله ولخدمة هذا الجهاد فكان لا يخاف في الله لومة لائم، وكان شجاعاً وجريئاً لذلك كان يقف مواقف في الحق

صلبة أقرب ما تكون إلى الخيال وأذكر على سبيل المثال لا الحصر ذلك اليوم الذي جمع فيه الشيخ تميم -رحمه الله- من أحد الدول مبلغاً يزيد على المليون دولار للمجاهدين وطلبت إليه الدولة أن يسلمها المبلغ وضغطوا عليه بالترغيب والترهيب ولكن هيهات لمثل الشيخ تميم -رحمه الله- أن يخاف إلا الله، وقال حينها كلمته الخالدة «والله لو قطعتموني إرباً لن تأخذوا دولاراً واحداً» وأوصل المبلغ إلى رئيس الإتحاد آنذاك الشيخ عبد رب الرسول سياف، وكان الشيخ تميم -رحمه الله- طيلة الفترة السابقة يحافظ على صلته بالمجاهدين، فكانت زياراته لهم لا تنقطع فكان يقضي عطلة الصيف في أفغانستان ويعود ليلهب الشباب ويحمسهم ويخط لهم درب العزة والفخار، فلم يعد يشبع حب الشيخ تميم وتأججه للجهاد زيارات لأرض العزة فقط فقرر الهجرة في سبيل الله ووجد فيها ضالته وهو يردد قوله تعالى طمعاً بجانانه: **«الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم»**(التوبة).

فرحمك الله يا شيخ تميم وأسكنك الفردوس الأعلى وحشرك مع النبيين والصديقين والشهداء، فلقد أديت الأمانة ونصحت وجاهدت في الله حق جهاده.

- إذا ذكر الشيخ عبدالله عزام تذكر الناس الشيخ تميم العدناني والعكس كذلك، فأين ومتى التقى الشيخان الشهيدان؟ وكيف توطدت علاقتهما وعائلتيهما بعد ذلك؟

الحمد لله علام الغيوب ومؤلف القلوب، أحمدك ربي لا إله إلا أنت، ساويت بين العجم والعرب وأظهرت رابطة الدين على رابطة النسب فلك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك وبعد:

يحدث الشيخ الشهيد عبدالله عزام عندما سأله ولدي ياسر -بعد استشهاد الشيخ تميم- عن أول مرة تعرف بها الشيخ عبدالله عزام على الشيخ تميم العدناني فيقول:

«كنت قبل ٢٥ سنة في "السيلة الحارثية" في فلسطين وكنت أجلس في أحد مجالس القرية في نفر كثير من كبار القرية، وإذا بأحد رجال القرية يدخل علينا المجلس ويزف إلينا بشرى فيقول:

من أراد أن يتعلم اللغة الإنجليزية على أصولها أو أراد أن يعلم أبناءه اللغة الإنجليزية فأنا أبشره بأن المدرسة العربية في جنين -جنين هي أقرب مدينة إلى السيلة الحارثية- قد وفد إليها مدرس قوي جداً باللغة الإنجليزية وقد استفاد منه الطلاب وشكروا في غزارة علمه وسهولة أسلوبه، فسأله أحد الجالسين أريد أن أذهب إليه وأتعلم فما اسمه؟ فأجاب: اسمه الاستاذ تميم العدناني».

فيقول الشيخ عبدالله -رحمه الله-: وكانت هذه أول مرة أسمع بها باسم هذا الرجل الشامخ، ولكن الله لم يكتب لنا أن نلتقي في تلك الفترة، وما كنت أعلم وقتها بأن هذا الرجل سيكون أحب إنسان إلى قلبي وسأنزله بكلتا يداي إلى القبر، وفي عمان في الأردن سمع الشيخ تميم عن الشيخ عبدالله عزام فذهب ليراه في أحد المساجد وقد عرفه الشيخ تميم من بين الحضور وقال: عرفته من كلامه وإخلاصه ورأيت في وجهه نوراً وأحببته في الله لأنني وجدت في وجهه سمة الصالحين. «لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم» رحمهم الله جميعاً وتغمدهم بواسع رحمته وغفرانه وأسكنهم جنة الفردوس الأعلى كانا للجهاد كالجناحين تحابا في الله وأخلصا لله عملا لله فهذا هزوا الدنيا وأسمعوها صوتهم بأن «حي على الجهاد» فقد أدوا الأمانة وبلغوا فلتواصل أمة الإسلام هذا الطريق فالجهاد الآن أمانة في أعناقهم.

وهنا في أرض الجهاد في أرض العزة توطدت العلاقة بين الشيخين وأصبحا يعملان عملاً دؤبا دون كلل أو ملل فهنيئاً لهما -إن شاء الله- لقد كانا رحمهما الله كالجبال الراسية كالطود الشامخ هدفهم واحد هو إعلاء راية الجهاد وإحياء هذه الفريضة المنسية في هذا الزمان، ومنذ بداية هذا الجهاد المبارك حضر الشيخ تميم ومعه مبلغ جمعه من الإخوة في السعودية جاء هنا لأفغانستان ولم يكن وقتها مكتب للعرب وكان العرب وقتها مجموعة صغيرة عند الشيخ سياف في خيمة صغيرة اسمها خيمة العرب، رجع الشيخ تميم إلى السعودية وانطلق بشجاعة يتكلم عن الجهاد الأفغاني وهكذا حتى انتشرت أشرطته فبدأ الناس يعرفون عن الجهاد أكثر وأكثر وبعد ثلاث زيارات لأفغانستان أنعم الله عليه بالتفرغ لهذا الجهاد والهجرة في سبيل الله فاجتمع مع أخيه الشيخ الشهيد عبدالله عزام على هذا الطريق، فطريقنا واحد وهدفنا واحد قد تآخت عليه أرواحنا وأسرتنا واحدة لا حدود بيننا إلا ما وضعه الشرع ونسأل الله أن يجمعنا على منابر من نور.

- كان الشيخ تميم -رحمه الله- يتكلم كثيراً عن حبه لشهيد عبدالله عزام والشيخ سياف فكيف أثر الشيخان على أبي يسار في جهاده؟

لقد اجتمع الثلاثة على طريق واحد هو طريق الله فملأ قلوبهم الإخلاص والإيمان والمحبة في الله، فكان الشيخ تميم رحمه الله يرى فيهم الصورة الحية للورع والزهد والتفاني لله والعمل الدؤوب لإقامة الدولة الإسلامية، وكان دائماً يتكلم عن ورعهم وتعبدهم وإخلاصهم للجهاد فساروا جميعاً يشد كل منهم أزر أخيه «وفي ذلك فليتنافس المتنافسون» «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً».

- من المعروف عن الشيخ تميم العدناني جرأته في حياته وفي جهاده حيث كان يصر على أن يكون في الصفوف الأولى في القتال فهلا أخبرتمونا عن جرأته وكيف كان يواجه تلك المواقف؟

كان رحمه الله يتدفق بالإيمان والعطاء والدعوة والجهاد والشجاعة والرجولة والصبر والثبات، كان إذا كان مؤمناً بشيء ويعرف أن فيه رضا الله لا يثنيه عنه وعن تحقيقه أي شيء في الدنيا.. كان دائماً يبكي من خشية الله ويطلب رضا الله، ومن أبرز صفاته -رحمه الله- جرأته التي يشهد له كل من عرفه وسمع به وكان منبع جرأته هو يقينه التام بقول الله تعالى «قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا» ولن نستطيع أن نحصي مواقفه الجريئة لكثرتها ولكن نذكر منها:-

١- يوم أن كان مع الشيخ سياف وجاء أحد المجاهدين يريد نجدة لفك الحصار عن المجاهدين وانطلق الشيخ تميم وقال أنا سأذهب فقال له الشيخ سياف: أنت تبقى.. فقال: لا والله إن أبقى ماذا أقول لربي يوم القيامة؟ أنا الذي أدعوهم للجهاد وأشلاؤهم تتناثر في الخطوط الأمامية وعندما رأى الشيخ سياف -حفظه الله- اصراره أذن له وذهب لنصرة إخوانه المجاهدين.

٢- عندما جمع مبلغاً للمجاهدين وطلبت منه تلك الدول أن يسلمها المبلغ فأبى وقال: «هذه أمانة والله لو قطعتموني إرباً إرباً لن تأخذوا منه شيئاً» وجاء وسلمه للشيخ سياف.

٣- وفي جولته الأخيرة عندما ذهب إلى دولة عربية وأخذوا يحققوا معه وقال لهم نعم أنا مجاهد «وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله» فسألوه عن أسماء المجاهدين من تلك الدولة فسخر منهم وقال لن أخبركم عن أسماء إخوتي فاستغربوا منه وقالوا له حتى الآن لم يمر علينا شخص بجرأتك ولم يكتف الشيخ تميم بهذا بل دعاهم للجهاد وعبادة الله وحده وترك الطواغيت وذكرهم بالقبر واليوم الآخر حتى قالوا له ادع لنا يا شيخ ولم يكتف بهذا بل طلب منهم أن يعطوه إذناً كي يلقي محاضرات في المساجد ليذكر الناس باليوم الآخر ويحثهم على الجهاد وفعل هذا بفضل الله الذي أمده بهذه الجرأة.

٤- جرأته داخل المعارك فقد كان -رحمه الله رحمة واسعة- عندما تأتي الطائرات تقذف حممها على المجاهدين لا يختبىء ولا ينبطح أرضاً بل يبقى كالأسد رافع الرأس يحب أن يلقى العدو بصدره ويتمنى الشهادة ويطلبها بصدق.

٥- وعندما ذهب لبلغاريا وكان قلبه يعتصر ألماً لما يلاقيه المسلمون هناك لدرجة تغيير أسمائهم إلى أسماء صليبية والجريمة الكبرى من يجدوا عنده مصحفاً فكان هناك يقف عندما تحين الصلاة في أي مكان ويؤذن بأعلى صوته ويقيم الصلاة.. فبخوف وحرص شديد كان يقترب منه بعض المسلمين ويقولون له (مسلم.. مسلم.. ويقرؤن له قل هو الله أحد) ويقولون له نخشى عليك من أعداء الله فيقول لهم: إنهم لا يستطيعون إن شاء الله، والمسلمون هناك من الاتراك والمسجد هناك شمعته الحكومة وقفلته بقفل والإسلام هناك يصرخ وينادي على المسلمين لفك قيوده فهل من معتصم يا أمة الإسلام؟!

- على ماذا كان يركز الشيخ تميم -رحمه الله- في تربيته لأفراد العائلة من خلال المعايشة اليومية؟

كان -رحمه الله- نعم الأب العطوف والصديق المخلص والمربي الموفق فقد كان قدوة في تصرفاته ومن أهم الأمور التي كان يركز عليها الصلاة على وقتها والصدق وتنشئة الأبناء على مبادىء الإسلام وتعاليمه منذ طفولتهم وحثهم على الجهاد وغرس حب الشهادة في نفوسهم وجعلها غايتهم، وبفضل الله عز وجل إشترك معه أبناؤه الثلاثة في المعارك.

ويجيب أبناؤه:

لقد كنا ننظر إليه -رحمه الله- فنرى فيه أمة بأكملها، نرى فيه نبراساً مضيئاً ينير لنا دروب الحياة ويجسد لنا القدوة الحية بعد رسول الله ﷺ على نهج سنته عليه السلام، ومع أننا لم نحظ من وقت الشيخ تميم -رحمه الله- بالكثير لأنه لم يكن يربي سبعة

أبناء فقط بل كان يربي أبناء الأمة الإسلامية جميعاً ومع هذا فقد كان -رحمه الله- يعطينا من وقته ما يكفي لأن يسقينا به المبادئ السامية التي لا تعرف الحيود بعطف الأب وحنانه الذي عرفه به كل من عرف الشيخ تميم، فكان -رحمه الله- يغرس حب الجهاد والشهادة في نفوس أولاده ويعدهم للحرب والنزال ويأخذهم معه للمعارك ومن أبرز خصاله التي كانت تخط في نفوسنا: كرمه فو الله ما سمعناه قال لفقير ولا محتاج كلمة لا قط، ولولا التشهد لكانت لاؤه نعم وعندما كانت تضيق السبل بأي محتاج أو فقير يعرف أين يجد ما يريد فيذهب للشيخ تميم ويعرف أنه لن يرده خائباً أبداً:

أنت خيـــــر من ألف ألف *إذا كبت وجوه الـــرجال*

أشجاع أنت أشجع من ليث *ضمر بن جهم أبي أشبال*

أجواد فأنت أجودُ مـن سيل *دَيَّاس يسيل بين الجبــال*

كما كان -رحمه الله- يحثنا على قراءة القرآن الكريم وحفظه ومعرفة أحكامه وكان رحمه الله يجسد لنا فضائل الخصال قبل أن يدعونا إليها فقد كان خلقه دعوة صامتة ونصحه وتربيته نقشاً على جدار القلب.

يا أبتاه أجاب رباً دعاه

يا أبتاه -إن شاء الله- جنة الفردوس مأواه

يا أبتاه إلى أمة الإسلام ننعاه.

- كيف كانت اللحظات الأخيرة للشيخ تميم قبل استشهاده؟

قال تعالى **«ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة خير من الله ورحمة مما يجمعون»** (آل عمران) وقال ﷺ **«وإذا أحب الله عبداً استعمله للخير ثم قبضه على ذلك»**.رحم الله الشيخ تميم رحمة واسعة، كانت أمنيته أن يرى راية الإسلام ترفرف في مشارق الأرض ومغاربها وأن يرى دولة الإسلام قائمة فأخذ يجوب بقاع الأرض يدعو إلى الله وإلى الجهاد فكانت السنوات الأخيرة من حياته مليئة زاخرة بالجهاد والمحاضرات والدعوة، وذلك بفضل الله وكرمه عليه.. وقبل استشهاده بأربعة أشهر لم يرى أبناؤه فقد كان رحمه الله في رحلة متواصلة للدعوة وفتح أبواب الجهاد في بلاد كثيرة منها من يعرف الجهاد ومنها من سمع بالجهاد من الشيخ تميم لأول مرة فذهب خلال هذه الرحلة إلى بنغلاديش ونيجيريا وبورما حيث استجاب له المسلمون هناك استجابة واسعة فضجت به أجهزة التلفاز والصحف وأحيا فيهم روح الجهاد ثم إلى مصر وهناك ألقى محاضرة عن الجهاد في مسجد المحلاوي الكبير ثم إلى اليمن ثم ألقى محاضرات أتى على إثرها بفضل الله بالكثير إلى الجهاد ثم إلى قطر ثم إلى أمريكا.. كان مما يشغله ويعتصر قلبه ألماً هموم الأمة الإسلامية التي كان يحملها على كاهله فكان يعد لإلقاء محاضرة في مؤتمر باللغة الإنجليزية عن الجهاد في بيت المقدس فكان شغله الشاغل إقامة الدولة الإسلامية وفك المسجد الأقصى وتحريره تحت راية الإسلام.. وفي أمريكا كان الإخوة في المراكز الإسلامية يعدون جدولاً لرحلات الشيخ تميم عندهم وتنقله بين المراكز وقد كان جدوله حتى منتصف شهر ديسمبر تقريباً، ولكن قدر الله وقع قبل أن يكمله جعلها الله في ميزانه يوم القيامة -إن شاء الله- وعندما طلبنا منه أن يرتاح وقلنا له بعدها تكمل المحاضرات فقال لنا: الحمد الله أنا بصحة جيدة وراحتي بالدعوة والجهاد فكان يتدفق حماساً حتى آخر لحظة من عمره وكان يقول أكمل العلاج وعندما أعود وأشارك في الصفوف الأمامية في المعركة.. وفي صبيحة يوم (١٨/١٠/١٩٨٩م) ذلك اليوم الذي شهد مضي أحد عمالقة الجهاد صلى الفجر وجلس بعد الصلاة كعادته يذكر الله ويدعو بالأدعية المأثورة وجلس ورتب حقيبته وما يتعلق بأمور الجهاد وسجلها وصنفها كعادته وأخبرني بأمرها.. وفي صبيحة ذلك اليوم سمعته يدعو بأدعية وكأنني لم أسمعها من قبل ولم ألاحظ عليه أي تعب أو مرض فقد كان بصحة جيدة وأعددنا أنفسنا للسفر إلى ولاية شيكاغو لإلقاء محاضرة عن الجهاد وكان المسجد قد احتشد بالحاضرين ينتظرون الشيخ تميم ولكن وقع قضاء الله والشيخ تميم يهم بالسفر وقضى الشيخ إلى ربه، لقد اشتاق الله لقائه فكم تاقت نفسه للشهادة وكأنه كان ينتظرها وفي لحظات يتصبب جبينه الطاهر عرقاً وتفيض روحه إلى بارئها.. وفي اليوم الثالث من استشهاده ذهبنا لنودعه في المستشفى قبل السفر إلى باكستان وقبل تجهيزه فقرأت عليه سورة يس وقلت له سلام الله عليك أبا ياسر.. سلام الله عليكم يا بطل.. لقد أديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده فلن يضيعك الله بإذنه، وهممت في نفسي أن أدعو الله وأن لا أتركه حتى يريني الله آية بأنه شهيد ولكن قلت في نفسي لا أريد تأخير الشيخ تميم أكثر وربما أكون لست أهلاً لأن يستجيب الله

دعاني وخرجت إلى بيت أحد الأقارب هناك وكلي بالله عالماً وعنيفً وجلست أنتظر وذهب الإخوة لتجهيز الشيخ تميم -رحمه الله- وبعد فترة من ذهابهم عادوا ولا أستطيع أن أصف ذلك الموقف.. الألم يعتصر القلوب.. والفرحة الممزوجة بالألم.. وإذا بالباب يقرع وينادون يا خالة أم ياسر يا حجة أم ياسر أبشري.. والله لا نقول إلا ما رأينا.. بعد ما خرجتي من عند الشيخ تميم فاضت عينه اليمنى بالدمع.. فحمدت الله على إكرامه لنا بهذه الآية.. وعندما خرجت الطبيبة بعد استشهاد الشيخ تميم فوراً لتخبرني بأمر الله وقضائه اقتربت مني وقالت لي: الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. ثلاث مرات.. وهذه الطبيبة لا تتكلم العربية وكانت تكلمني بالإنجليزية، وأنا أتمنى أن يسألها الإخوة الذين كانوا هناك لماذا قالت الله أكبر ومن أين سمعتها فقد كانت الله أكبر شدو الشيخ تميم وأنشودته التي كان يدوي بها في المساجد وبين الجبال وفي المعارك.. فلعلها سمعتها منه رحمه الله.. فلله درك يا أبا ياسر أسأل الله أن تكون ممن بُشر عند الموت بروح وريحان ورب غير غضبان برحمة الله وكرمه.. وحتى الآن مضت ثلاث شهور على استشهاده ورائحة الحناء تفوح من جواربه التي كان يلبسها ومن حذائه كذلك عندما فاضت روحه إلى من أحب لقائه ونسأل الله أن يكون بقنديل بعرش الرحمن وأن يتقبله في الصالحين وأن يكون شفيعاً لنا بين يدي رب العالمين وأن يجمعنا به في الفردوس الأعلى ولا نقول إلا ما قال رسولنا الكريم اللهم أجرنا في مصيبتنا وأخلفنا خيراً منها.. ونسأل الله أن تنبت الأرض ألف مجاهد ومجاهد ومليون تميم وتميم.

وداعاً والدي البطل

وداعاً يا شيخ تميم العدناني.. وداعاً وإلى لقاء إن شاء الله..

وداعاً يا صوت الحق الناطق باسم الجهاد.. وداعاً يا ليث المأسدة..

وداعاً يا من دوّى صوتك في دنيا السبات فأيقظتها..

وداعاً يا من طلّقت الدنيا وقلبك مثقل بجراح أمة الإسلام..

وداعاً يا من أسرت كلماتك الصادقة قلوب الناس..

وداعاً يا من أنار لكثير من الأمم دروب الجهاد فأحيا هذه الفريضة..

وداعاً يا صاحب القلب الأبيض يا من لا تقل لفقير ولا محتاج كلمة لا قط..

وداعاً يا من عاش يطلب الشهادة مظانها.

وداعاً وإنا مشتاقون وإنا إن شاء الله على درك درب الحق ماضون، وفي سبيل الله مجاهدون، وإنا على فراقك يا أبتاه لمحزونون ولكن عزاؤنا فيك قوله تعالى: ﴿والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين، ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن الله لعليم حليم﴾.

فلتهنأ يا ذروة شماء علت بالجهاد ولتنم قرير العين ولتعلم أن لك إخوة وأبناء خلفتهم على طريق الجهاد، قد زرعت الجهاد في قلوبهم بكلماتك وفجرته في أعماقهم باستشهادك فحياتك حياة وموتك حياة.. فجزاك الله عنا وعن الأمة الإسلامية خير الجزاء

ابنتك: عبير تميم العدناني

هكذا عرفت الشيخ تميم

كنت أظنه كغيره من الشخصيات التي تبرز في عالمنا الإسلامي لابد أن يكون حاجب على بابه ولابد لمن أراد الحديث معه أن يهتم بالمقدمات والعبارات اللبقة ولابد أن يحرص على مشاعره خشية أن يستثار غضبه ولابد أن تحول بيني وبينه صحاري ووديان بسبب فارق العمر بيننا وفارق المكانة، ولابد من أن أتحين له الوقت المناسب كي أضمن استقباله لي وعدم اعتذاره، وأنه لابد لمناقشته من حشد الأدلة الكثيرة ودعمها بالوسطاء والتزكيات من الوجهاء والعظماء وكنت أظن أنه لابد من حاشية تحوطه من كل مكان وأنه لا يمكن التقرب منه إلا بعد الحصول على رضاء الحاشية.. ولابد من توطيد العلاقات مع الحاشية لتتكرم بتذكيري أمامه بخير كي يساعدني على اللقاء به والتحدث معه بحرية إن أردت.

كنت أظن.. وكنت أظن.. هذا ما تعودناه وما وجدناه ممن يعتلون المناصب الكبيرة وهذا ما قست عليه الشيخ تميم رحمه الله.. إلا أنه كان يترامى إلى سمعي أقوال: الشيخ تميم رجل طيب جداً.. الشيخ تميم مخلص.. الشيخ تميم صادق في جهاده.. ويحب خوض المعارك .. الشيخ تميم ليس كغيره وفيه خير كبير.. الشيخ تميم غير معقد وسهل التعامل..

كنت أظن أن هذه اشاعات كعادة الحواشي في تلميع رؤوسهم وانتحال الخصال الحميدة والأفعال العظيمة لزعمائهم.. فما كنت آبه لذلك ولكن كنت أسمع.

زارنا في المغارة فكنت أراقب كل حركة له وهمسة.. لقد زارنا دون دعوة ولم نعد له شيئاً يليق بأصحاب الوجاهات.. لكنه لم يُر عليه أي تأثر.. وجلس حيث انتهى به المجلس..

لقد كان مفرود الجبين، مبسوط الجبهة، واسع الابتسامة، مشرق الطلعة، قيّم الأسلوب، ناضج الفكرة، بدهي العبارة، طليق اللسان، عفوي الملاحظة، يشارك جميع الحاضرين بحديثه لا يميز أحداً على أحد، يشد انتباه الجميع إليه ويأسر آذانهم وعيونهم.. لم نلاحظ عليه أي مراعاة لرسميات الخطاب والمحادثة بين قائد وفرد أو كبير وصغير مما اعتاده الناس، فكان معنا كالأب، ووجدنا أنفسنا معه كالأبناء كانت تبدو في وجهه ومن طريقة كلامه معنا -رغم أن بعضنا لم يختلط به- أنه يحسن الظن بالمسلمين.. لقد عرضنا عليه بعض المشاكل التي نعاني منها دون مقدمات ودو ملء طلبات وعلى الفور تفهمها ووعد بحلها على قدر استطاعته.. فلم يدع أكثر مما هو بمقدوره مهما كانت نظرة الناس لذلك.. رأيته في تلك الجلسة متواضعاً سهل العلاقة يتيح فرصة الحديث معه لكل الحضور بل أسلوبه يشجع على ذلك، ويجيب على أي استفسار اجابة صريحة صادقة واضحة تحمل معنى واحد وهو المطلب، مهما كان السؤال أو يعتذر اعتذاراً واضحاً.. لقد كان مهيباً لكن هيبة حقيقية متدفقة من سمو النفس ورفعة الأخلاق وعظم الفعل والتضحية ولم تكن هيبة مزورة مصطنعة بكثرة الحراس وانتقاء الملابس الفاخرة والشح بالإبتسامة والتهديد والوعيد للمخالفين، لقد ملأ جلستنا تلك بهجة وسروراً وكانت ممتعة جداً تمنيت لو أنها طالت أكثر لأتعرف على الشيخ أكثر.. إلا أنه سرعان ما نهض ليودعنا وداعاً حاراً مرحاً ظريفاً.. وما أن ودعته حتى غرقت في صراع فكري: يا ترى هذه حقيقة الشيخ تميم كما رأيته أم لا؟ وبقي تفكيري بين دفع وجذب، لم يتغير تصوري السابق كلياً إلا أن أركانه اهتزت وبدأت تتسرب من شقوق جدرانه فكرة أخرى وصورة أصدق..

ثم التهبت المعارك في جلال آباد وحمي وطيسها ولم ينج من تلك المعركة أخضر ولا يابس ولا عجوز ولا طفل، ولا سهل ولا كهف إلا خلطت فيه دماء المسلمين والشيوعيين في معارك لم يثبت فيها إلا نخبة الرجال وصفوة الأبطال.. فيممت وجهي شطرها وما أن حطت رحالنا إلا وسمعنا نبأ وصول الشيخ تميم إلى أرض المعركة مع اثنين من أولاده.. ففرحت به ولكن ما كادت تصل فرحتي إلى حلقومي حتى غصصت بها.. فماذا يفعل الشيخ تميم في هذه الأرض الملتهبة؟ فأعداد الألغام تنافس أعداد الحجارة، والقصف الجوي ما يترك شبراً إلا طعنه طعنة قاتلة لا ترحم كبيراً ولا تعطف على صغير ولا ترفق بامرأة ولا تعذر حيوان.. والشيخ كثير الشحم بطيء الحركة قليل الخبرة يبدو عليه اندفاع شديد إلا أنه لو جرح في معركة لاحتاج إلى عشرة مجاهدين أشداء ليحملوه إلى الخطوط الخلفية.. ثم إن الشيخ تميم عنده أعمال كثيرة وكثيرة جداً هي جهاد وخدمة للجهاد..

ثم نظرت إليه وهو كعادته باش الوجه منفرد الأسارير وقد لبس لامته وعن يمينه وشماله فلذتا كبده يحمسهما ويبحث لنفسه ولهما عن عملية اقتحام!! ويصر على القائد هناك لدرجة الإحراج الشديد، فذهبنا معاً إلى مواقع متقدمة لا يعرف ليلها من نهارها، يعيش المجاهد هناك في حالة وداع دائم لا يعرف متى هو؟ عندها تحطمت وتمزقت تلك الصورة وتفجرت دعاماتها وعرفت أن الشيخ ليس كما يقال عنه من الخير.. بل هو أكثر من ذلك بكثير.. لقد رأيته متلهفاً للشهادة يبكي شوقاً إليها.. رقيق المشاعر، مرهف الإحساس، عظيم الحنان، ثابت الجنان.. لقد رأيته ممسكاً بفلذتي كبده، يزجهما في أتون المعارك، لقد علم ذلك الشيخ الجليل أن بيئة الدعة والأمان والعيش الرغد لا تنبت إلا خرفانا لا ترجى لمكروه ولا تعين على نائبة ولابد أن يعلوا من غبار المعارك وبارودها الأسود، ويتمرغوا في وحولها ويصلوا نارها لتصقل فكرهم وتنميهم على الرجولة.. فهناك بساتين العزة وحدائق الإباء وحصاد الشمم.. هناك مصانع الكماة والفرسان الذين يعدون ليوم كريهة وسداد ثغر.

عجيبون هؤلاء الرجال! غريبون هؤلاء الذين يجمعون بين التواضع وسمو النفس بين الشجاعة والهدوء.. بين البساطة والطيب والذكاء.. بين رهافة الإحساس وكتم الغيظ بين الذلة للمؤمنين والعزة على الكافرين.. بين خفض الجناح للمسلمين والشدة على الكافرين.. بين مخاطبة الناس على قدر عقولهم وبين كثرة المعرفة.. بين الفقر والكرم.. بين الألم والسماحة بين الواقع والأمل.. بين

الرهبنة والنروسية..

عجيبون هؤلاء عجيبة صدورهم ما أوسعها وما أنقاها! عجيبة قلوبهم ما أطهرها وما أكبرها! عجيبة أخلاقهم ما أرقعها وما أنزهها! عجيبة عزائمهم ما أشحذها وما أمضاها! عجيبة وجوههم ما أنضرها وما أجملها! بل عجيبة ملايين المسلمين ما أقلهم وما أندرهم!

إني لأفتح عيني حين أفتحها   على كثير ولكن لا أرى أحداً

فرحمك الله أيها الأب الحنون وأسكنك الفردوس الأعلى، ويعلم الله ما حزنا عليكم بقدر ما حزنا على أنفسنا بعدكم.. ونشكر بثنا وحزننا إلى الله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أبو زيد

هذا الكتاب

الحق أن هذا الكتاب كتب بالدماء وانتفضت كلماته حية بالجماجم والأشلاء، فتفرد من بين أمثاله، وزاده قوة دم الإمام الشهيد الذي كان ناراً ونوراً؛ ناراً يحرق الظالمين، نوراً على درب السائرين.

وعادة المؤلفين والمؤرخين أن يسردوا حقائق وأخبار وقصص وروايات بعيدين عن واقعها وحدوثها، بينما نجد مواضيع هذا الكتاب كتبت منجمة؛ وهذه النجوم حسب الحوادث فقد اعتصرت قلب الإمام الشهيد وعاشها لحظة بفكره وروحه وقلبه وقلمه الذي كان يسيل من روحه التي ملك عليها حب الجهاد والاستشهاد؛ فكلما سقط شهيد من الشهداء فكأنما انفلتت قطعة من كبده وذهب شلو من أعضائه، فتخرج كل كلمة يكتبها ساخنة من أعماقه ملتهبة، فتدخل في أعماق القارىء دون حجاب، وذلك لأن هذه الكلمات كانت تقتات من قلبه الحي فتعيش حية بين الأحياء تؤثر في قلب كل حي.

فقد ربى الإمام الشهيد هؤلاء الشباب بعنايته، وفي كنفه، كما يربي أبناءه بحنان الأبوة ورفق الصديق وأنس الأنيس، وكم كنت ترى الحزن والألم يعتصر قلبه كلما سقط شهيد من هؤلاء وكأن لسان حاله يقول (ذهب الذين يعاش في أكنافهم).

هذه الكلمات التي كان يكتبها على صفحات مجلة الجهاد ما كانت لتبقى مفرقة موزعة وما يليق بهذا الأريج وذاك المسك الفواح من أخبار هؤلاء الشهداء الذين كانوا سلماً لمجد هذه الأمة أن تبقى مختفية بين صفحات المجلة، فكان على مركز الشهيد عزام الإعلامي أن يقوم بهذا العبء ويدخلها في كتاب مستقل تحت عنوان (عشاق الحور) وهو الإسم الذي اختاره الإمام قبل استشهاده لهذا الكتاب.

(الناشر)

حاضر
العالم الإسلامى

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيوعية

ترجمة عربية لمذهب ماركس في حالة التطبيق، لأنه يزعم أن مذهبه ينتهي إلى إباحة كل شيء على الشيوع أو بالمشاع. ولكن أصحاب المذهب جميعاً يسمونه بالمادية التاريخية أو المادية الديالكتيكية (الثنائية الحوارية)(١).

أقوال ماركس ولينين وستالين

قال ماركس :(الدين أفيون الشعوب) (إن الله لم يخلق الجنس البشري بل الإنسان هو الذي خلق الله).

قال لينين : (الدين خرافة وجهل).

قال ستالين : نحن ملحدون، و نحن نؤمن بأن فكرة (الله) خرافة.

جاء في مجلة (الشباب السوفياتي) ١٨ تشرين الأول سنة ١٩٧٤ (نحن لا نستطيع إلا أن ننشر الدعوة ضد الدين، ومن واجب الشباب تحرير عقولهم من خرافة الدين).

تقول البرافدا سنة ١٩٤٩: نحن نؤمن بثلاثة : ماركس ، ولينين ، وستالين ، ولا نؤمن بثلاثة : الله ، الدين ، الملكية الخاصة.

قال ستالين سنة ١٩٢٨ (يجب أن تقوم التربية في المدارس على أساس إنكار الله .

وسنة ١٩٣٧ قال ستالين (يجب أن يكون مفهوماً أن الدين خرافة ، وأن فكرة الله خرافة، وأن الإلحاد مذهبنا) (٢).

ماركس

ولد ماركس سنة ١٨١٨ ومات سنة ١٨٨٣ من أب يهودي اسمه هرشل تنصر وغير اسمه إلى هنريخ، في سنة ١٨٦٧ وضع كتابه رأس المال بصورته النهائية.

لم يكن ماركس ملحداً في شبابه فقد قال (إن خير الناس وأجدرهم بالتكريم من يعمل لخير الناس، والدين أساس الحياة الانسانية، وهو نفسه يلقننا الخير والحكمة).

كانت زوجته – جيني – تصف فقرهم بأنهم لم يجدوا كفناً لابنتهم، وطردوا من المنزل لأنه ليس معهم أجرته.

البارون هيرش هو الذي أنشأ الفرق العسكرية اليهودية وموّل المستعمرات في فلسطين، وفتح فرعاً لشركته في أمريكا، وتولاها يعقوب شيف، وهذا وضع خطط الثورة الشيوعية وغذاها بالمال والسلاح.

مبدؤه : من لا يعمل لا يأكل. مع أنه لو أكل من عمله لما عاش سنة واحدة.

من خطاب أبيه : (ماذا تظن .. كأننا مصنوعون من الذهب)، (لسوء حظك ، أراك تؤيد بسلوكك رأيي الذي كونته عنك، وهو أنك –على ما فيك من خصال حسنة – أناني تغلب الأنانية على جميع صفاتك.

مات أبوه وخلّف ثمانية أبناء، وبدل أن يعيلهم بقي ماركس عالة على أمه وإخوته. وكتبت أمه له (أنه لا ينتظر بداهة أن تعيش طفيلياً إلى الأبد) .

كان لماركس صديق اسمه (روتنبرج) مسؤول عن صحيفة (رنيش جازيت) اشتراكية متطرفة ، وأشار ماركس بإخراج روتنبرج، وتولى ماركس مكانه وترك الاشتراكية . فأغلقت الصحيفة بعد شهور، فهجر ألمانيا إلى باريس وتولى الصحافة، ثم أغلقت فصار يعيش على معونة بعض أصهاره في هولندا.

---

(١) من كتاب الشيوعية وليدة الصهيونية لأحمد العطار ص ٥٠ فما بعدها. أفيون الشعوب/العقاد ٧٣.

(٢) فتاوى عن الشيوعية/ عبد الحليم محمود.

اتفق ماركس مع لسكي لإخراج كتاب اقتصادي سياسي وأخذ (١٥٠٠) فرنك، وبقي ١٤ سنة ولم يخرج عنه، وفي سنة ١٨٥٨م اتفق مع الهردنكر على تاليف كتاب ولم يفعل شيئا سنة ١٨٤٤م.

ومن لندن كان ماركس قد اتفق مع (نيويورك تريبون) على مقال أسبوعي أو مقالين مقابل عشرين شلنا فكان يعتمد على انجلز لاتمامها[1].

ويعتبر كتاب (رأس المال) انجيل الشيوعية، فألفه ماركس وهو يعيش على أموال انجلز، وبقي ناقصاً إلى الآن.

وكان (باكونين) أستاذا لماركس، ومع ذلك شهر به ماركس و قال : إنه تعاقد مع ناشر في روسيا لترجمة كتاب ولم يف بعمله وطلب فصله وفصل.

كتب انجلز إلى ماركس (إنك جامد العاطفة ، أناني ، ناقص المروءة والشعور).

لينين

ولد لينين في العاشر من إبريل سنة ١٨٧٠ من أب يهودي ألماني (ايلكوسرول جولدمان) وأم ألمانية يهودية اسمها صوفيا جولدمان ويسمي حيام جولدمان يوم ختنه حسب تقاليد اليهود.

زوجته: تروبسكايا يهودية.

موته : مات لينين يوم (٢١) كانون الثاني سنة ١٩٢٤ .

جاء في صحيفة فرنسا القديمة سنة ١٩٢٠ (بوسعنا أن نقول بلا مغالاة أن اليهود هم الذين دبروا وأخرجوا إلى الوجود الثورة العالية الكبرى في روسيا).

وهناك نداء نشرته فرنسا القديمة :

(أيها اليهود ، لقد قربت ساعة انتصارنا التام، ونحن الآن في عشية يوم تسلمنا فيه قيادة العالم، والروس بالأمس كانوا سادتنا واليوم انقلبوا عبيدنا ، انزعوا من قلوبكم كل ذرة من الشفقة على أعدائنا ، وأوجدوا البغض بين العمال وبقية الشعب).

الكوميسارية (المجلس المركزي) في عهد لينين:

سنة ١٩٢٠ ٣٢٢ يهودياً من أصل ٤٥٧.

١٩٢١ ٤٤٨ يهودياً من أصل ٥٥٠ .

١٩٢٢ ٤٤٥ يهوداًي من أصل ٥٢٥ [1].

ستالين

ستالين (أي الرجل الحديدي) : اسمه يوسف فيسار يونوفيتش، ليس يهوديا ولكن زوجته الحسناء اللعوب (روزا كاجانوفتش) يهودية وكانت عشيقة له.

ابنة ستالين (سفتلانا) تزوجت الصهيوني ميخائيل بن لازار كاجانوفتش.

الثلاثة الذين يحكمون روسيا زمن ستالين هم :

١- ستالين وزوجته روزا (يهودية) .

٢- مولوتوف وزوجته (يهودية) وهي شقيقة الرأسمالي الأمريكي سام كارب.

---

(١) فتاوى عن الشيوعية/ عبد الحليم محمود.

٣- الثالث هو شقيق روزا وهو لازار كاجانوفتش وهو يهودي متعصب وتزوج ابنة ابنة ستالين ، وكان مسيطراً على ستالين ومولوتوف ، وحكمت أسرة كاجانوفتشن (أولاد لازار واخوته) الاتحاد السوفياتي من سنة ١٩٢٤ إلى سنة ١٩٥٣ حيث مات ستالين.

قالت الكاتبة السوفياتيــة (نينا اليكسيفا سنة١٩٦٥م):

(عدد اليهود في الاتحاد السوفياتي لا يزيد عن ١٪ ، ولكنهم يمثلون ٦٠٪ من هيئة التدريس، / ٨٠٪ من مسؤولية التوجيه العقائدي في الحزب والسياسة الخارجية. وهناك نسبة أعلى من ذلك بكثير في الدوائر السوفياتية المعنية بروابط الصداقة مع الدول الاشتراكية الأخرى.

إن نائب رئيس الوزراء ورئيس المجلس الاقتصادي في السوفيات هو بنيامين ديمشيتز ويحمل وسام بطل الإتحاد السوفياتي الذي يحمله عبد الناصر وابن بلة).

أرسلت روسيا الدكتور لاندو (الذري) للتدريس في معهد وايزمان وللمشاركة في صنع القنبلة الذرية في اسرائيل.

نشرت اللوموند الفرنسية في(٢٠) إبريل سنة ١٩٧١م:

(إن القيادة الاستراتيجية للقوات المسلحة السوفياتية في أيدي اليهود) .

الثورات الشيوعية يهودية

١ - المجر هنغاريا : بيلا كون (هارون كوهين) الانقلاب سنة ١٩١٩م وقاوم الشعب المجري، وهرب بيلاكون بعد فترة طويلة من الحكم بعد أن كان يجمع الفتيات الجميلات في الشوارع العامة عاريات ويفحش بهن ثم يقتلهن ويرميهن في الدانوب.

وفي سنة ١٩٤٥ وقعت المجر مرة ثانية في يد الشيوعيين وحكمها (راكوزي) صديق ستالين.

٢ - تيتو : تلميذ اليهودي موسى بيجاره.

٣ - رومانيا : اليهودية الرعناء: أنا بوكر وأبوها الجزار ، وأخوها في اسرائيل.

٤ - شيكوسلوفاكيا : اليهودي رودلف سلانسكي [1].

الشيوعية في العالم العربي [2]

سنة ١٩٢١م وصل إلى الإسكندرية روسي يدعى (جوزيف روزنبرج) تصحبه ابنته (شارلوت)، وبدأ يروجان للشيوعية، فوقعت رسالة من موسكو إليها في يد الشرطة.

سنة ١٩٢٧ أوفدت موسكو اثنين وعززتهما بثالث الخواجة فاسيليف، انتدبت موسكو (هنري كوريل) اليهودي وأمدته بأموال طائلة وكون (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني حدتو) وأسس بنك كوريل.

منظمة اسكرا : (الشرارة أو الشعلة) ورئيسها ايلي شوارتز يهودي، ثم غير الاسم إلى (نحو حزب شيوعي مصري نحشم).

منظمة الفجر الجديد : أسسها اليهوديان (يوسف درويش وريمون دويك) ثم أصبح اسمها (د. ش ديمقراطية شعبية).

المنظمة الشيوعية المصرية (م. ش. م) وأسسها اليهوديان أوديت وزوجها سلمون سيدني.

العراق: اليهود ساسون دلال ، ناجي شميل ، وصديق يهودا ، ويوسف حزقيل، وكان قدري قلعجي شيوعياً مخلصاً ثم رجع إلى رشده وكتب كتاباً سماه (تجربة عربي في الحزب الشيوعي).

يقول قلعجي ص ٢١ - ٢٢ (يروي الاستاذ بدر شاكر السياب - بالاضافة إلى ما رواه من فضائح أخلاقية لا نريد الوقوف عندها-. كيف كان يعمل مع رفاقه الشيوعيين العراقيين لنشر الشيوعية فيقول (رحنا نضرب على كل وتر تخرج نغمته موافقة لما نريد

(١) الشيوعية وليدة الصهيونية صـ ٨٥.

(٢) الشيوعية وليدة الصهيونية ص ٨٦.

، بثثنا بين الطلاب الأكراد أن القوميين يكرهون الأكراد وقوميتهم ، بينما نعتبرهم نحن إخواناً لنا، وأخذنا نسب القومية العربية أمامهم ، بل رحنا ننتقص من العرب ونزعم أن التاريخ العربي ما هو إلا مجموعة من المذابح والمجازر، وزعماؤهم العظام ما هم إلا إقطاعيون جلادون إلى غير ذلك. ومررنا على إخواننا اليهود وهم مع الشيوعيين دون حاجة إلى دعوة، واستغللنا بعض الرفيقات للتأثير على قسم من الطلاب) [1] .

ويذكر قلعجي في كتابه ص ١٩ (إن الشيوعية لم تدخل البلاد العربية كحركة وطنية ... وكان أولهم يهودي بولوني يدعى جوزيف برجر أطلق عليه لقب عين موسكو ثم تلاه عين موسكو، الثاني وهو يهودي ليتواني يدعى (الياهوبيتر)، وهناك عين موسكو الثالث وهو روسي من يهود أوديسا (نخمان ليتفنسكي)، وجميع هؤلاء اليهود جاءوا إلى بيروت عن طريق حيفا وعملوا على تأسيس الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان على أن يكون تابعاً للحزب الشيوعي اليهودي في فلسطين. وبعد التبعية للحزب الشيوعي اليهودي كانت التبعية للحزب الشيوعي الفرنسي) [2]

قال الشيوعيون العرب في فلسطين (إن جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود هو الطريق الوحيد والوسيلة الناضجة لنشلة العالم العربي).

الشيوعيون وفلسطين

اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٧م قراراً بالتقسيم، ثم حول الى مجلس الأمن لينفذ القرار

أرادت أمريكا أن تتخذ موقفاً معتدلاً لا غلو فيه للصهيونية، فأعلن أوستن عن خطورة التقسيم، واقترح أن تكون فلسطين تحت وصاية دولية (وذلك لأن أمريكا خشيت على مصالحها البترولية)

غضب غروميكو وقال في مجلس الأمن يوم ١٩ مارس سنة ١٩٤٨م: ليس من حق مجلس الأمن تبديل قرار الأمم المتحدة. وهاجم أمريكا، وقال نحمل أمريكا نتائج إيقاف التقسيم، وأمريكا حريصة على البترول وعلى استراتيجية الشرق الأوسط.

وقال جروميكو في ١٦ ابريل سنة ١٩٤٨م (من الضروري انسحاب العصابات العربية المسلحة من فلسطين ، إن على الأمم المتحدة أن تنزل بالعرب العقوبة الرادعة التي تعيد إليها رشدها ، إن من حق اليهود أن يجدوا معاملة خاصة ورعاية كذلك).

تشيكوسلوفاكيا : (إن وجود دولة يهودية في فلسطين سيساعد على تطور الحركات والنظم الديمقراطية في الشرق).

يوغسلافيا : (إن سبب الخلاف بين العرب واليهود أن العرب يفتقرون إلى النظم الديمقراطية الاشتراكية التي يعلم عنها اليهود الشيء الكثير ويمارسونها ويطبقونها وسيستفيد العرب منهم.

إن قرار التقسيم لا يعطي اليهود كل حقهم، وعلى العرب أن يقدروا تضحية اليهود بقبول التقسيم).

مندوب بولونيا: (هنالك مصالح كثيرة مشتركة بين العرب واليهود في النضال ضد الاستعمار على أساس المبادئ الاشتراكية).

وفي ٧ يوليو سنة ١٩٤٨ كان رئيس مجلس الأمن من نصيب أوكرانيا السوفياتية[3] وكان موضوع البحث قضية فلسطين ، وكم كانت دهشة الأعضاء عند ما نادى مندوب الوكالة اليهودية باسم مندوب حكومة إسرائيل ، فأعطاه صفة الاعتراف الرسمي بدولتهم.

الكونت برنادوت : قال عنه جروميكو (إن برنادوت عميل بريطاني وعدو للحق اليهودي في فلسطين وأنه متحيز للعرب).

يقول بريتون في كتابه (الصهيونية والشيوعية) : (وأما الحقيقة الراهنة فهي أن الشيوعية والصهيونية صنوان منبعهما واحد ، وغايتهما واحدة ، وجوهرهما واحد ، والفئة التي تقوم عليهما من وراء الستار واحدة).

منظمات اليهود:

منظمة الأرغون ليوجي مؤلفة من قياداتها وأعضائها من اليهود الروس.

جيش إسرائيل سنة (١٩٤٨) (١٩٥٦) ، سنة (١٩٦٧) ، من اليهود الذين كانوا في جيش الاتحاد السوفياتي والمعسكر

(١، ٢) الشيوعية وليدة الصهيونية ص ٩١ .   (٣) أفيون الشعب ٢٣-٢٧.

الشيوعي.

في ٢٢ يونيه سنة ١٩٦٤ صرح الملحق العسكري السوفياتي في باريس لمراسل معاريف الإسرائيلية:

(نحن نشارك العرب في كفاحهم الاستعمار والرجعية العربية ، وما نقدمه للجمهورية العربية المتحدة إنما هو لأغراض دفاعية . ولا يمكن أن نسمح باستعماله ضد إسرائيل ، فلا تقلقوا من السياسة السوفياتية في المنطقة العربية، فهذه السياسة متعمة بر ضرورية لسلامة إسرائيل.

إطمئنوا وثقوا أن الاتحاد السوفياتي مع إسرائيل وسيؤيدها اليوم وغدا كما أيدها ورعاها بالأمس ، وكونوا على ثقة من أننا نرعى الاشتراكية العربية لأن في ذلك تعزيزاً لمصلحة اسرائيل مثلما هو تعزيز لمصلحتنا نحن السوفيات).

دعم الشيوعية لليهود

ما كان قرار التقسيم لينفذ لولا تصلب السوفيات.. احتلت اسرائيل أراضي جديدة غير ما ورد في التقسيم فسمته روسيا حق الفتح.

وكان قرار التقسيم يعطي اسرائيل ١٤٣٠٠ كم٢ ، ولكنها استولت على مساحة تقرب من نصف هذه المساحة في النقب والجليل، فباركت روسيا العمل.

في فترة الهدنة التي كادت اسرائيل أن تمحى لولا أن أمدتها روسيا بالسلاح في طائراتها مع جيش منظم وكذلك بالسفن الرومانية واليوغسلافية، وجعلت من تشيكوسلوفاكيا قاعدة لتموين اسرائيل بالسلاح والرجال.

أمريكا تدخل الحرب لحماية الشيوعية

حاولت بريطانيا جر أمريكا للحرب فرفضت، ولكن عندما اجتاح هتلر روسيا دخلت أمريكا لإنقاذها بدفع من اليهود الذين أقاموا روسيا.

روزفلت يهودي منحدر من أسرة يهودية هجرت أسبانيا اسمها روزنبرغ، ثم حرفت إلى روزفلت، وجده كلنتون روزفلت أحد لجنة ثلاثية جمعت الأموال لتزويد ماركس وإنجلز لاخراج البيان الشيوعي.

قدم اليهود لروزفلت ميدالية ذهبية كوسام مكتوب عليها (الرفاهية والحكمة لفرنكلين روزفلت نبينا الجديد الذي سيعيدنا إلى أرض الميعاد)[1].

الفلسطينيون واللقاء مع اليهود

اللقاء الأول اليهودي الفلسطيني كان عام ١٩٧٣ من شهر أيار بمناسبة اللقاء الذي حصل في مدينة بولونيا شمال إيطاليا والذي حضر فيه الفلسطينيون بصورة غير رسمية، وكان اللقاء مخصصاً للبحث في مشكلة السلام في الشرق الأوسط والذي حضره اليهود والعرب.

مسؤول منظمة التحرير (وهو نفسه الذي رافق عرفات في جولته في أوربا (فينا ومدريد) للحوار العربي الأوربي قال أيضاً (منظمة التحرير الفلسطينية تمد يدها لليهود الاسرائيلين للعيش معاً في سلام ... وحال تكوين الدولة الفلسطينية جميع المشاكل مع اسرائيل سوف تحل بصورة سلمية.

وعندما نقول : أننا مستعدون لبناء دولتنا على أي قطعة من فلسطين يتم تحريرها ، أن نعلم جيداً أن الجزء الآخر من فلسطين ليس فارغاً (يعني الشعب اليهودي المجاور)[2].

---

(١) الشيوعية وليدة الصهيونية ص١٢١.

(٢) جريدة ايطالية لعل إسمها رينا سانتا عدد ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٧٩.

الحزب الشيوعي الاردني

بدأ الشباب الفلسطيني يدخلون في الحزب الشيوعي اليهودي.

سنة ١٩٢٧ تأسست أول حركة علنية للحزب الشيوعي الفلسطيني وراء ستار نقابة عمال في حيفا سكرتيرها أميل توما، وفي الناصرة نقابة سكرتيرها أميل حبيبي. و في يافا سكرتيرها : فؤاد نصار، وكلها متفرعه من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني وأكثره من اليهود.

سنة ١٩٢٩ أنشأ الشيوعيون (عصبة التحرر الوطني) سكرتيرها (بن فسكي) ومساعده توفيق طوبي. مطالبها جلاء بريطانيا وتشكيل حكومة مشتركة من اليهود والعرب، في حرب سنة ١٩٤٨ تحول أعضاء (عصبة التحرر الوطني) إلى قادة عصابات مسلحة فانسحب بعض الفلسطينيين العرب ، ولكن وقف الشيوعيون المتحمسون من الفلسطينيين يدافعون عن اليهود أمام هجمات العرب مثل (ابراهيم بكر وفؤاد نصار).

بعد النكبة سنة ١٩٤٨ صار الحزب الشيوعي يشرف على بقية فلسطين غير المحتلة[1] ، وكان في رئاسة الحزب (أميل توما) و(توفيق طوبي وأميل حبيبي: عضوا الكنيست اليوم)، وكانت الصلة بين الشيوعيين في قسمي فلسطين عن طريق (ضابط اسرائيلي شيوعي في الهدنة ، وسكرتير صحفي شيوعي فيها)، وكانت نشرات الحزب الشيوعي يكتب في أسفلها بالعبرية (طبعت بمطابع الحزب الشيوعي الفلسطيني).

سنة ١٩٥٠ ضمت الضفة الغربية إلى الأردن واعتقل طلعت حرب وهو يوزع منشورات الشيوعية التي أحضرها من اسرائيل.

سنة ١٩٥١ عثرت قوات الأمن في عمان على مطبعة الشيوعيين وهي مسجلة بأرقام وكتابات عبرية واعتقل فؤاد نصار.

سنة ١٩٥٢ صدر الأمر بفصل الحزب الشيوعي الأردني عن الحزب الفلسطيني، وكان فائق وراد في المنطقة المحتلة فخرج ليكون من القادة.

(كتبت وثيقة القاعدة السرية التي تصدر عن اللجنة المركزية بقولها : خصصت اللجنة العليا للأحزاب الشيوعية في موسكو مبلغ مليون روبل للحزبين الشيوعيين في العراق والأردن).

في ٢٢ تشرين الأول سنة ١٩٥٤ خرجت نتيجة الانتخابات بسقوط الشيوعيين عدا (عبدالقادر الصالح).

في نهاية سنة ١٩٥٥ جاء عبكر من أجل حلف بغداد، وقامت مظاهرات سقطت على أثرها حكومة هزاع المجالي وحل مجلس النواب.

محاضرة فؤاد نصار الأولى في الجفر :

(إننا نعلم ويعلم الجميع بأن اسرائيل هي أمر واقع، ودولة لها كيانها السياسي والاقتصادي والعسكري ، وأن اليهود شعب كباقي الشعوب له حق الحياة، وأنا أعترف باليهود كدولة لأن الشمس لا تغطى بغربال).

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاردني:

السكرتير العام : فؤاد نصار.

أمين الصندوق : رشدي شاهين.

رئيس قسم المثقفين : عيسى مدانات.

العميد الثقافي : فهمي السلفيتي.

رئيس قسم العمال : فايز الروسان.

رئيس قسم التنفيذ : داود ترجمان.

رئيس قسم المطبوعات : فائق زياد.

أمين السر : عبدالعزيز العطي.

---

(١) فلسطين تقسمت في هذه الفترة (١٩٤٨م) إلى قسمين قسم مع اليهود وقسم مع العرب.

الشيوعيون في فرنسا

عن مجلة لوبون الفرنسية عدد ٢٥٠ شهر ٧ / ١٩٧٧م.

بدأت ضجة ضد الشيوعية منذ أحداث شهر أيار سنة ١٩٦٨ ، وبدأ الماركسيون وغيرهم يكتبون ضد ماركس، وبدأ التمرد ضده وينتقون على:

١ – التمرد على ماركس أولاً ، إذ لم يعد ذلك الصنم الثابت كما كان من قبل.

٢ – البحث عن معنى للحياة ، عن علة عميقة ، عن دستور أخلاق يعلو فوق السياسة، ومن أشهر الكتاب:

أ- ليفي صاحب كتاب (البربرية في وجهها الانساني).

ب – بينو صاحب كتاب (مات ماركس).

السوفيات: نشرت (لوبون الفرنسية العدد ٣١٨ تاريخ ٢٣/١٠/٧٨ حديثاً صحفيا مع هيلين كارير دنكوس التي أصدرت كتاباً عن الاتحاد السوفياتي اسمه (الامبراطورية المنفجرة).

أمام السوفيات :

١ – مشكلة الجنسيات.

٢- مشكلة الاحصائيات.

يمثل المسلمون اليوم ٣٠٪ من السكان ثم بعد فترة يصبح ٤٠٪ أي سنة ٢٠٠٠م يصبح عدد المسلين (٩٠) مليوناً.

لقد صمدت المعتقدات والقوميات نتيجة عزيمة جماعية للحفاظ على المميزات الخاصة واللغة الأم.

إن الشعوب الاسلامية كلها متجمعة جنوب أوربا، وهي متداخلة في بعضها من شواطئ البحر الأسود إلى جبال هملايا وإلى الحدود الهندية، منطقة شاسعة تربطها روابط اللغة والثقافة مع تركيا وإيران، وهذا ما يفسر حذر الكرملين الشديد تجاه أحداث إيران.

سنة ١٩٢٠م عدل لينين عن أحداث إيران خشية على المسلمين السوفيات أن ينحازوا إليهم، ولم يساند الثورة الشيوعية في تركيا سنة ١٩٢٠ خوفاً ، بل أيد مصطفى كمال الذي قضى على الشيوعيين.

سنة ١٩٤٦ لم يؤيد ستالين الثورتين شمال إيران حتى لا يوجد عالم شيوعي إسلامي يخرج من تحت سيطرته.

مشكلة الجيش والمجندين ، مشكلة كازاكستان ذات الثروة الضخمة التي يفوق فيها عدد الروس النازحين على عدد السكان المسلمين الأصليين الذين يكرهون الروس.

القوقاز : أهلها أشداء يحتقرون الروس ويجتمعون في المسجد ويشكلون خطراً.

جورجيا : قاومت عملية الترويس، فأرادت موسكو فرض اللغة الروسية فخرجت مظاهرات.

أوكرانيا : لقد وقفت مع هتلر، ولولا عنف هتلر لانحازوا إليه.

في الصين/ عن المعرفة التونسية العدد ٣ سنة (٥)

(الرفيق ماو بشر وليس عبقرياً)

(بكتاتوري فاشي أيدلوجيا، مطالبة محاكمة الثورة الثقافية ، وإعادة الاعتبار لضحاياها، مع إعدام القادة القدماء للحرس الأحمر)[1].

نشرت أربع صحف تشيكوسلوفاكية في عهد السكرتير (دوبشك) بيانا من ألفي كلمة للنقاد والديمقراطيين حددوا فيه الحزب الشيوعي على النحو الآتي:

---

(١) مجلة المانية عدد ٢٩ الصادر ١٥ يوليه سنة ١٩٦٨ عن كتاب محمد البهي تهافت العلمانية.

هو منظمة للسلطة لها قوة جذب كبيرة تشد إليها:

أ- الانانيين ذوي الرغبة في الحكم.

ب- الجبناء الذين لا يعرف لجبنهم حد.

جـ- وأصحاب الضمائر السيئة.

كما أوردت صحيفة الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي استفتاء قرائها عن إلغاء احتكار الحزب الشيوعي للسلطة، فخرج تسعة أعشار يحبون الإلغاء.

الإله المادي وثن ، والإيمان المادي نفاق، ورفع الحنجرة بهذا الإيمان المادي انتهازية.

القانون في العدالة الاجتماعية عندهم (من كل بالنسبة لقدرته ، إلى كل بالنسبة لحاجته)

أعلن سكرتير الحزب الشيوعي الروماني في ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٦٦ اجتماع اللجنة المركزية .

الآلات الرومانية الطن = ٤٢٠ جنيها

الآلات البلغارية الطن = ٥٠٠ جنيها

لفرنسا الطن = ٩٦٨ جنيها

سويسرا الطن = ١٧٢٤ جنيها

انتاج العامل الروماني أقل بمقدار النصف أو الثلاثة أضعاف عن العامل الايطالي والفرنسي وألمانيا الغربية.

إن ١٣٧٠ سلعة من الانتاج أسفرت عن خسارة في العام الماضي ما يقرب من ٢٤٠ مليون جنيه استرليني.

العجز سنة ١٩٦٧ في الميزانية الرومانية ٢١٥ مليون جنيه استرليني.

المسلمون في الاتحاد السوفياتي

عددهم: ٤٥-٥٠ مليون تقدر الاحصائيات أنهم سيصلون إلى مائة مليون آخر هذا القرن.

بينما الروس سيبقون ١٥٠ مليونا.

ومن خلال (مجلة الأديان في البلاد الشيوعية سنة ١٩٧٤م):

أن ٤٦٪ من القوقازيين والداغستانيين موحدون.

٦٢٪ من الشيشان موحدون[1].

الشيوعية والمسلمون تحت حكمهم

(أ) الابادة الجماعية في تركستان:

١- قتل الشيوعيون في تركستان وحدها سنة ١٩٣٤م مائة ألف مسلم.

٢-أعدم ونفي إلى سيبريا سنة ١٩٣٧م - ١٩٣٩م نصف مليون مسلم.

٣- نفي من التركستان سنة ١٩٣٤م ثلاثمائة ألف مسلم.

٤- قتلوا سنة ١٩٥٠م سبعة آلاف مسلم.

(١) الاسراء الأردنية ربيع الثاني سنة ١٣٩٩هـ

٥- هرب من تركستان سنة ١٩١٩م مليونان ونصف مليون مسلم.

٦- هرب ألفان قتل منهما ألف ومائتان سنة ١٩٤٩م .

٧-هرب من تركستان إلى الشرق سنة ١٩٥٠م عشرون ألفاً.

٨-مات جوعاً من تركستان بين سنة ١٩٣٢م - ١٩٣٤م ثلاثة ملايين مسلم بسبب أخذ المحاصيل وقدمت إلى الصينيين.

٩-اعتقل من تركستان سنة ١٩٥١م (١٣,٥٦٥) مسلماً.

(ب) يوغسلافيا : بعد الحرب العالمية أبادوا (٢٤) ألفاً.

(جـ) في القرم :

١- أبادوا سنة ١٩٢١م مائة ألف وهجّروا خمسين ألفاً في عهد بيلاكون المجري.

سنة ١٩٢١م هجّروا شعبي الشيشان والقرم إلى سيبيريا.

وعن مجلة البلاغ الكويتية العدد ٤٧٨ / نوفمبر سنة ١٩٧٨م ما يلي:

القرم زمن كاترينا الثانية : ضمت إلى روسيا وكان عدد سكانها (٥) ملايين، وما زالت تغتصب أرضها وتهجر أهلها حتى أصبح أهلها (٤٠٠ ألف)، وكان عدد مساجدها ١٥٥٤ مسجداً فأصبح سنة ١٩١٤م (٧٠٠) مسجد، وبقيت القرم تجاهد حتى نالت استقلالها سنة ١٩١٧م، ثم جاء العهد البلشفي فاحتلها الشيوعيون سنة ١٩٢٠م. وبقيت المساجد مغلقة، وجاهد أهل القرم، وشن عليهم حرب التجويع حتى أكلوا أولادهم.

نشرت الأزفستيا سنة ١٩٢٢م تقريراً للرفيق لينين عن مجاعة القرم في عددها الصادر يوم ١٠ يوليو سنة ١٩٢٢م جاء فيه:

بلغ عدد الذين أصابتهم محنة الجوع في يناير (٣٠٢٠٩٠) مات منهم ١٤,٤١٣.

وارتفع عددهم في مارس (٣٧٩٠٠٠) مات منهم ١٢,٧٥٤.

وارتفع عددهم في يونيو (٣٩٢٠٦٣) وتوقف عن ذكر الموتى.

وفي سنة ١٩٤٦م رحل جميع شعب القرم.

ومؤتمر يالطة سنة ١٩٤٥م بعد الحرب كان فيه (روزفلت ، ستالين ، تشرشل) وهم مع يهود قلباً وقالباً.

وأصرت أمريكا أن تدخل روسيا ألمانيا الشرقية.

أما ترومان : (الرجل الصادق) فهو يهودي، واسمه اسم اليهود، وكان شريكا ليهودي، وأحب أسفار التوراة إليه سفر الخروج (كتاب الخلاص).

الشيوعيون والمساجد والعلماء [1]

التعليم الديني ممنوع باتاً في السوفيات ، ولكن وجود مدارس دينية محضة لتخريج علماء أمر جائز نظرياً، ومنذ سنة ١٩٤٥م لم يسمح إلا بإعادة فتح مدرسة واحدة في بخارى هي (ميري عرب).

المساجد : كان عدد المساجد في روسيا وحدها (عدا مساجد بخارى وخيوة الكثيرة جداً) سنة ١٩١٣م ٢٦,٢٧٩ مسجداً.

وفي الصحيفة الرسمية السوفياتية: (Soviet War News)

٦ أيار سنة ١٩٤٢ عدد المساجد المفتوحة الأبواب للمصلين = ١٣١٢ مسجداً.

وفي سنة ١٩٦٤ صدرت نشرة عن طشقند بالفرنسية أنه يوجد في كل آسيا الوسطى بما فيها قزقستان = ٢٥٠ مسجداً.

العلماء : كان عددهم سنة ١٩١٧ (فيما عدا بخارى وخيوه) لا يقل عن ٤٥,٣٣٩.

وفي سنة ١٩٥٥ عددهم ٥٢-٨ (إذ أن معظمهم سحق في الثلاثينات).

---

(١) انظر المسلمون في الاتحاد السوفياتي (شانتال لكلجي. الكسندر بنيغسن اللرشيان) ص ٢٦٧ فما بعدها.

الدعاية ضد الاسلام:

أنشأ السوفيات بعد الحرب جمعية (نشر المعلومات السياسية) معظم عملها في محاربة الاسلام، ففي الفرع القازاقي نظمت الجمعية بين سنة (١٩٤٦-١٩٤٨) ٥٢٨,٣٠ محاضرة منها (٢٣٠٠٠) ضد الاسلام.

وفي أوزبكستان سنة ١٩٥١ أكثر من (١٠) آلاف محاضرة ضد الاسلام.

وفي تركمانستان سنة ١٩٦٣ أكثر من (٥) آلاف محاضرة ضد الاسلام.

الكتب: طبعت من الكتب بين سنة ١٩٥٥-١٩٥٧ (٨٤) كتاباً طبعت منها ٨٠٠ ألف نسخة كلها ضد الاسلام.

وطبعت من الكتب بين سنة ١٩٦٢-١٩٦٤ (٢١٩) كتاباً و نشرة موجهة ضد الاسلام والمسلمين ووزعت في المناطق الاسلامية.

نقد النظرية الماركسية [1]

أخذ ماركس نظريته من:

١- منطق هيجل (ديالكتيك هيجل:النقيض).

٢- كتب في المادية التاريخية (HOLBACH هولباخ ، سبينوزا) قبل قرن من ماركس.

٣- صراع الطبقات: سان سيمون.

٤- حتمية حدوث الأزمات الاقتصادية بانتظام: سيسموندي.

٥- دكتاتورية البرولتياريا: بابوسيف وفايتلنج WEITLING.

٦- نظرية القيمة المبنية على العمل: لوك ، أدم سميث.

٧- نظرية الاستغلال وقيمة الفائض: فوريه ، بري ، تومبسون.

٨- حركات مزدك وبابك الخرمي والقرامطة.

يقول ماركس :إن عملية التفكير عند هيجل هي خالقة العالم الخارجي.

وأما أنا فأقول: إن الفكرة ما هي إلا العالم المادي بعد أن يعكسه ذهن الإنسان ويصوغه في شكل أفكار.

ويقول ماركس: إن أسلوب الانتاج في الحياة المادية يعين الصفة العامة للعمليات الاجتماعية والسياسية والروحية في الحياة ، (إن الناس غير أحرار في اختيار قواهم الانتاجية).

النقد

١- ظهر ماركس في عصر يقول: الانسان حيوان ناطق. والمادة هدف الحياة، وينظر العصر إلى الانسان كمشاعر وعواطف وضمير أنها قضايا ثانوية فكان فكر ماركس انعكاساً لعصره.

٢- إن عوامل الانتاج مثل خصب التربة ، خواص المعادن ، قوة البخار والكهرباء كانت موجودة فاكتشفها عقل الانسان.

٣- إذا كان أسلوب الانتاج هو العامل الحاسم في الفرد والجماعة، فيجب أن تتصرف الجماعات التي تواجه نفس المشكلة الاجتماعية بأسلوب واحد، وهذا خلاف الواقع ، فمثلاً تزايد السكان في اليونان: قامت كورنث باحتلال صقلية ، وأما اسبارطة فاتبعت النظام العسكري واحتلت أراضي يونانية.

وأما أثينا: فنظمت الانتاج ومنعت التصدير.

---

(١) من كتاب (التفسير الاسلامي للتاريخ / عماد الدين خليل) ص ٤٠ فما بعدها.

٤- يقول PROF ALEXENDER GRAY : (هناك شيء كثير غير العامل الاقتصادي ، فالانسان لا يقصر حياته على أن يحبو على بطنه ، فهنالك أشكال الحماس والولاء والإيحاء والإلهام التي تحفز الانسان للعمل ، وكذلك تأثير الذهن على الذهن، وكيف نفسر مجيء محمد ودانتي وكلفن.

٥- إن فكرنا هو الذي يعلمنا أن نغير هذه البيئة المادية لكي تلائم أغراضنا المختلفة. إن المادة لا تقرر وعينا وإنما وعينا، هو الذي يقرر استخدام الموارد المادية.

٦- يقول كارل فيدرن: إن قوى الانتاج وظروف الانتاج يؤثر دائماً بعضها على بعض، فاختراع أسلحة يؤثر في نتيجة الحرب، والحرب تؤدي إلى اختراع أسلحة، ولكن ليس السلاح هو سبب الحرب.

٧- يقول Praf . G. D. H. Cole : (إن الأساس الاقتصادي للمجتمع عامل واحد فقط من عوامل تصوير الشكل العام للحضارة ولو كان أهم عامل بدليل أننا نرى دولاً كثيرة بنفس المستوى الاقتصادي مع اختلاف الدين والحياة الاجتماعية ، والأسرة، والعادات ، والأخلاق.

٨- اعتمد ماركس وانجلز على شواهد قديمة جداً أوردها موجان في دراساته عن قبائل الأركوي الألمانية الزراعية مما لا يمكن حتى مجرد اثباتها تاريخياً.

يقول كيونو (إن القبائل الرحل التي تعيش على الصيد تنظر إلى المرأة نظرة احتقار، ولكن لما تقدم الانسان للزراعة ارتفعت مكانة المرأة واحترامها).

إن المرأة تحسنت حالها في ظل الحركات الدينية فقط، وأما كلام كيونو فهو مردود لأن المرأة كانت موضع احترام في الهند، بينما الرومان الزراعيون المتقدمون يعاملونها معاملة العبد قانوناً[١].

١٢- إن قول ماركس – بأن الأخلاق انعكاس لآلة الانتاج ، والمجتمعات تسجل تقدماً باستمرار لأن آلات الانتاج تتقدم ، وبناء على هذا فإن الأخلاق في تقدم مستمر، وهذا خلاف الواقع تماماً[٢].

١٣- يقول ماركس : إن أفكار واتجاهات عصر ما إنما هي نتاج مرحلة التطور الاقتصادي التي تم الوصول إليها ، وهذا يعني أن أفكار ماركس هي نتاج العصر الذي عاش فيه، ولذا فإنها لا تصلح إلا لمثل تلك الظروف.

وتعتبر أفكار ماركس بناء على هذا رجعية لأنها من مخلفات القرن التاسع عشر، وقد جد بعدها كثير من الأفكار.

١٤-يقول ماركس : إن انتشار الآلات سيزيد في بطالة العمال، ويزيد في جهل العمال، ويزداد العمال فقراً وجهلاً يوماً بعد يوم. ولكن العكس هو الذي حدث ، فالبلدان الصناعية لا يوجد فيها بطالة، بل توجد فرص عمل أكثر من البلدان المتأخرة صناعياً.

وإن عدد العمال انخفض بينما زاد عدد الموظفين : ففي ألمانيا سنة ١٩٢٥ كان لديها موظفون نسبتهم في مجموع القوى العاملة ٢٥٪.

سنة ١٩٥٨ كان لديها موظفون نسبتهم في مجموع القوى العاملة ٢٨٪.

سنة ١٩٦٦ كان لديها موظفون نسبتهم في مجموع القوى العاملة ٤١٪.

وكل من يأخذ عملاً يجب أن يزيد في تثقيف نفسه.

١٥- يقول ماركس : إن تغير آلة الإنتاج تؤدي إلى تغير النظام، ولكن واقع الدول الغربية وأمريكا يخالف هذا ، وقارن بين برلين الغربية والشرقية.

١٦- لقد اعترفت الدولة على كره بحق الملك والتوريث ، واعترفت بالفوارق بين الأجور وأحوال المعيشة ، واعترفت بفصل الجنسين في معاهد التعليم، واعترفت بالأسرة ومواثيقها ، واعترفت بالوطنية وقوتها الفعالة في الدفاع عن الأمة[٣].

---

(١) من كتاب (التفسير الاسلامي للتاريخ / عماد الدين خليل) ص ٤٠ فمابعدها. (٢) انظر كتاب الانسان ذلك المجهول لكاريل. (٣) أفيون الشعوب/ العقاد ٧٧.

الماسونية

تاريخها : منهم من يرجعها إلى أيام اليونان ، ومنهم إلى عهد سليمان عليه السلام ، ومنهم من يرجعها إلى عهد الكهنة المصريين.

وقد ذكر أقطابهم أمثال جورجي زيدان وشاهين مكاريوس وإيليا الحاج أنها ترجع إلى أيام الهيكل، ومنهم من يرجعها إلى أوائل عهد المسيحية.

فهنالك صلة بينهم وبين حركات شريرة أخرى : مثل الكاثاريين القباليين الذين مزجوا السحر مع التنجيم.

ساندت البروتستانت ضد الكاثوليك.

في أوائل القرن ١٨ وجدت في الفلاسفة الملحدين أنصاراً مثل فولتير وروسو ودالمار وفردريك ملك بروسيا.

سنة ١٧١٧ أعاد اليهود تنظيم الماسونية وتعاليمها ورموزها وأسسوا في هذا العام (محفل بريطانيا الأعظم)، وأطلقوا على أنفسهم البنائين الأحرار بعد أن كان اسمهم (القوة المستورة). ثم انتشرت المحافل في أوربا في باريس سنة ١٧٣٢ .

وفي أمريكا ابتدأ سنة ١٧٣٣، وفي سنة ١٩٠٧ كان عدد المحافل العظمى في أمريكا يزيد على خمسين محفلاً فيها أكثر من مليون أمريكي.

وفي بداية القرن العشرين كان عدد المحافل (٢٦٠٠) محفل في بريطانيا.

مفاسد الماسونية:

١- تخريب الأسرة.

٢- تشجيع الزواج المدني.

٣- احتقار الوطنية.

٤- إنشاء مدارس علمانية ابتداء من سنة ١٧١٧ ، وفي فرنسا استطاع مونتسيكيو ولاشالوتي أن يهاجما سلطة الكنيسة على العلم، وأصدر (رولاند) رئيس برلمان باريس نظاما للتعلم العلماني، وقامت الحرب بين الماسونية والكنيسة حول المدارس، واضطهدت جيبعة المسيح، وحين جاء فرانكلين سفيراً إلى باريس وحد المحافل الفرنسية وتأسس محفل باريس سنة ١٧٨٠م.

وفي ألمانيا ناصر فروبل وبستلوزي وهزيغ سياسة التعليم العلماني، وكذلك كروز زعيم الماسونية في ألمانيا وأسبانيا.

الماسونية واليهود

يقول تروكاس (في كتابه النمسا اليهودية) : يشكل التهديد اليهودي الماسوني مشكلة حياة أو موت بالنسبة لمصائر شعوب العالم أجمع.

يقول الحاخام إسحق وايز سنة ١٨٦٦ (الماسونية مؤسسة يهودية في تاريخها و درجاتها وتعاليمها وكلمات السر فيها وفي إيضاحاتها، يهودية من البداية إلى النهاية).

وفي دائرة المعارف الماسونية الصادرة في فيلادلفيا سنة ١٩٠٦ (يجب أن يكون كل محفل رمزاً لهيكل اليهود، وهو بالفعل كذلك ، وأن يكون كل أستاذ على كرسيه ممثلاً لملك اليهود ، وكل ماسوني تجسيداً للعامل اليهودي).

يقول يوسف الحاج في كتابه (في سبيل الحق ، هيكل سليمان) بيروت سنة ١٩٣٤ :

١- المحفل : الهيكل.

٢- النور : عمود النور الذي خرج مع موسى عليه السلام.

٣- السيف : الذي كان يحمله بنو إسرائيل دفاعاً عن القدس.

٤- البناية الحرة : نفس هيكل سليمان.

٥- الأنوار السبعة : السبع سنوات مدة بناء الهيكل.

٦- الكوكب الساطع وكوكب الشرق الأعظم : الهيكل.

٧- فالج بن عابر : المنسوب إليه العبرانيون.

٨- زرو بابل : قائد الشعب الإسرائيلي عند عودته من بابل إلى أورشليم.

٩- أبناء الأرملة : نسبة إلى حيرام ملك صور وكان ابن أرملة.

١٠- ينوب الأستاذ الأعظم عن الملك احويرش زوج الملكة أستير اليهودية التي ولد منها كورش الذي أمر بإعادة اليهود.

١١- الأستاذ الأعظم : لقب هارامبام اليهودي الشهير.

١٢- العمود الملتف حوله الأفعى النحاسية : رمزاً للأفعى النحاسية التي نصبها موسى عليه الصلاة والسلام.

١٣- العمودان : عمود السحاب والنار.

١٤- بوعز : زوج راعوث صاحبة السفر في التوراة، وهو والد عوبيد وأبويسي أبي داود الذي يعتقد اليهود أن من نسله يولد المسيح المنتظر.

١٥- جاكين أو ياكين : آخر ملوك يهوذا الذي أسره بختنصر.

١٦- يهوفا أو جهوفا : يهوه إله اليهود.

١٧- جودا أو يهوذا : اسم أحد أسباط بني اسرائيل، ويرمزون فيه إلى يهوذا المكابي الذي حارب ملك سوريا وحفظ أورشليم والهيكل.

١٨- العلم الأزرق : شعار الماسونية والأمم المتحدة علمها كذلك بتخطيط يهود.

فروع للماسونية

بني برث : تأسست في نيويورك سنة ١٨٤٣ واقتصرت على قبول اليهود ، تغلغلوا في أربعين جامعة وكلية أمريكية ، ساهمت في الحروب في القرنين (١٩) ، (٢٠).

سنة ١٨٨٨ أنشأت محفلاً في فلسطين، وكان زعماء اليهود فيها مثل وايزمن.

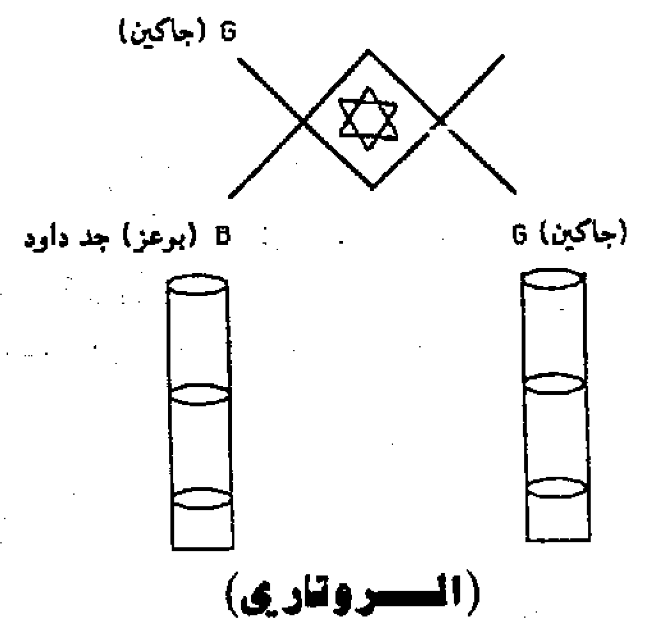
زعيمها كلوزنيك عينه أيزنهاور ممثلاً لأمريكا في الأمم المتحدة، قال دالس سنة ١٩٥٦ (حفل لجمعية بني برث): إن مدنية الغرب قامت على العقيدة اليهودية وعلى كامب ديفيد في خدمة الماسونية.

الماسونية والأخلاق

جاء في مجلة القوات المسلحة ١٩٦٤/٥/١ (لوحة ٣ للماسونية: إذا كنت تتمسك بالقيم الانسانية فاخرج).

وفي المؤتمر الماسوني الكبير سنة ١٩٥٥م في شيكاغو (حضره خمسون ألفاً على رأسهم ترومان) وضعوا تمثال المسيح ورموه بزجاجات الشمبانيا، وقام قطبهم سلومون يقلد صلاة المسلمين وصلوا وراءه سكارى.

الماسونية والأديان



(الـــــروتاري)

أوردت صحيفة دافار اليهودية بتاريخ ٧٩/١/٢٩ خبراً جاء فيه: أن رئيس نوادي الروتاري في إسرائيل «تيسحاق براز» اتصل برئيس نادي الروتاري في مصر (أونسي بهير) وهو يهودي واتفق معه على عقد مؤتمر عام لنوادي الروتاري الإسرائيلية والمصرية والمغربية والتونسية والجزائرية والقبرصية واللبنانية والبحرينية والكويتية.

وقالت دافار : إن الاتفاق قد تم بينهما على عقد المؤتمر في القدس ثم ينتقل بعد ذلك ليواصل اجتماعاته في القاهرة.

وصل إلى عمان أمس[1] المستر جيمس بومار رئيس الروتاري الدولي في زيارة للأردن تستغرق ثلاثة أيام يطلع خلالها على نشاطات نادي الروتاري في عمان في الحقلين الاجتماعي والثقافي، ويزور بلدة الراجف للاطلاع على مشروع المركز فيها.

ويذكر أن الروتاري الدولي أنشيء عام سنة ١٩٠٥ في مدينة شيكاغو يضم حوالي (٨٥٠ ألف عضو) من مختلف أنحاء العالم ضمن (١٨٠٠٢) نادي في (١٥٣) بلداً، ويعمل في نوادي الروتاري رجال أعمال ومهنيون ٠٠٠ وكان في استقباله فؤاد خوري رئيس النادي في عمان. أصدر الفاتيكان سنة ١٩٥٠ قراراً يحظر على رجال الدين الانتساب إلى الروتاري.

لا فرق بين صهيونية ويهودية

قال هرتزل في خطابه في المؤتمر الصهيوني الأول سنة ١٨٩٧: (الصهيونية هي العودة إلى حظيرة اليهودية قبل أن تصبح العودة إلى أرض الميعاد)[2].

ويقول ابن غوريون: (أنا يهودي أولاً وإسرائيلي بعد ذلك فقط، لاعتقادي بأن دولة اسرائيل وجدت لأجل الشعب اليهودي بأسره ونيابة عنه)[3].

يقول ناحوم جولدمان (لقد كان الغرض من الدولة اليهودية الحفاظ على الشعب اليهودي الذي كانت تهدده رفع القيود والاندماج)[4].

الحملات على اللغة[5]

١) ولهلم سبيتا : سنة ١٨٨٠م (قواعد اللغة العامية المصرية).

تبنت جريدة (المقتطف) فكرة سبيتا، وأيدهم خليل اليازجي / الكاتب اللبناني.

---

(١) الدستور ٧٩/١٠/١٤. (٢) المسلمون والحرب الرابعة / زهدي الفاتح ١٨٦ . (٣) زهدي الفاتح ١٢٢ .

(٤) مدخل إلى اسرائيل/ تيلور ص١٣. (٥) كتاب العربية بين شعوبيتين د. محسن عبد الحميد.

دعا سبيتا إلى:

أ- العامية.

ب- الكتابة بغير العربية.

٢) كارل فورس سنة ١٨٩٠ (اللهجة العامية الحديثة المصرية).

٣) وليم ولكوكس سنة ١٨٩٢م مهندس ري انجليزي سيطر على مجلة الأزهر، وفي سنة ١٩٢٦ دعا المصريين إلى هجر الفصحى، وترجم فصولاً من الإنجيل في كتاب (اللغة المصرية) ، وتبنى رأيه سلامه موسى (اليوم والغد).

٤) ولمور سنة ١٩٠١ قاضي (لغة القاهرة).

٥) أسكندر معلوف وابنه عيسى وانتخب عيسى عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وكتب اسكندر مقالاً (الفصحى والعامية).

٦) سلامة موسى وتلميذه لويس عوض : دعا لويس إلى كتابة القرآن بالعامية.

٧- حمدي بك (قاضي مصري) دعا إلى تقليص أحرف العربية .

في شمال أفريقا:

١- ماسينيون.

٢- الكونت قسطنطين اولوسكي سنة ١٨٩٩ خصص مليون فرانك في تركته للشعب الشرقي الذي يبادر باستعمال وتطبيق الحروف اللاتينية في كتابته.

لبنـــان:

١- رفائيل نخلة ، كتابه اللهجة اللبنانية السورية.

٢- شكري خوري كتابه التحفة العامية في قصة فينيانوس.

٣- الخوري مارون غصن : في متلو هالكتاب.

٤- أنيس فريحة : أستاذ اللغات السامية في الجامعة الأمريكية (تبسيط قواعد العربية)، و (نحو عربية ميسرة)، و(محاضرات في اللهجات وأسلوب دراستها)

٥- حنا أبو راشد (الأستاذ الأعظم للمحفل الماسوني اللبناني) تبديل شكل الأحرف ورسمها .

٦- نصري حطار : مهندس لبناني مغترب عاد إلى مصر ودعا إلى تغيير شكل و رسم الأحرف العربية. (المصور عدد ١١٦٣).

٧- سعيد عقل ديوان (يارا).

الإعلان العالمي لحقوق الانسان [(١)]

المـــــادة:

١- يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق.

٢- لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات في هذا الإعلان دون تمييز بسبب عنصر أو لون أو جنس أو لغة أو دين، ولا فرق بين رجل أو امرأة.

٥- لا يعرض أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو الحط من الكرامة.

---

(١) صدر عن الأمم المتحدة ١٠/١٢/١٩٤٨ م.

٦- لا يجوز القبض على أي إنسان أو حجزه أو نفيه تعسفاً.

٧- لا يعرض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة أو أسرته أو مسكنه أو مراسلاته أو لحملات على شرفه وسمعته.

التخوف من الإسلام[1]

التايم Time تكتب/عن الرأي الأردنية ٧٩/٤/٢٢: الاتحاد السوفياتي يحوي من المسلمين خامس قطر في العالم بعد : اندونسيا ، الباكستان ، الهند ، بنجلاديش ، عدد المسلمين الآن حوالي (٥٠)، مليوناً قد يصل في آخر هذا القرن إلى (١٠٠) مليون مسلم.

جامعة شيكاغو / يقول مارفين زونس (إن الاسلام الآن يقوم بدور ضرب مصالح الغرب)، ويقول جون أنتوني / الخبير بشؤون الشرق الأوسط (إنا نشهد مرحلة إعادة التكوين ، ويسود الاعتقاد في العالم الاسلامي أنه من الممكن إحداث تغييرات تمكن المسلمين من فرض آرائهم خلال الجزء الأخير من هذا القرن).

إن السعودية تقدم ٧٪ من دخلها القومي للعالم الإسلامي، بينما أمريكا تقدم٠.٣٪ من دخلها القومي فقط.

يقول ريتشارد فولك من جامعة برنستون عن ثورة إيران (إنها أول ثورة في العالم الثالث على أساس الاسلام لا علاقة لها بالرأسمالية ولا الماركسية).

قال دالس : لا بد للحفاظ على مصالح أمريكا واسرائيل من سحق الطاقة المعنوية والروح الجهادية المستمدين من الإسلام، واحلال النظرة المادية لدى شعوب العالم الإسلامي.

قال كارليباخ في صحيفة معاريف سنة ١٩٥٥ -وهو صاحب نفوذ واسع في أوساط النخبة الحاكمة في اسرائيل- : مكمن الخطر هو النفسية الاسلامية العاجزة عن الاندماج.

الإسلام أسوأ نوع من أنواع الطاعون ، قلب النزاع ليس مسألةالحدود بل النفسية الإسلامية ، إن العدو هو الروح الإسلامية.

الأمان اللبنانية ٧٩/٢/٩:

قال بيغن للسادات في لقائهما في الإسماعيلية: أنا رباني (بابا جيبوتنسكيي Baba Jeabo Tenskey) وهذا عندنا مثل حسن البنا الذي ربى سيد قطب.

يقول أحد أعضاء الكنيست لبيغن في مناقشة وثيقة الصلح مع مصر : أنت مغفل ، إن الصلح يستمر إذا ورث السادات أتباع مصطفى كامل أو سعد زغلول، لكن ماذا سنفعل لو استلم الحكم أتباع حسن البنا أعداء إسرائيل الألداء[2].

نشرت الرأي العام الكويتية في ٧٩/٤/٢ تحت عنوان (وقاحة بالغة بحق الاسلام والمسلمين في التلفزيون الأمريكي) :

استنكر أعضاء الجالية الإسلامية في الولايات المتحدة إساءة شبكة (C.B.S) سي . بي .اس . إلى الاسلام وحامل رسالته الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ في برامجها التلفزيونية. هذه الشبكة وهي أكبر شبكة تلفزيونية في العالم، وقد أطلقت اسم محمد ﴿ﷺ﴾ على كلب قام بدور في إحدى المسلسلات التي تنتجها، وعرضتها على المشاهدين في ٢/٣/ ٧٩ ، وقد نددت مئات الرسائل والبرقيات بهذه الشبكة وطلبت إليها الاعتذار.

وفي ٧٩/٤/٢ نشرت الرأي العام الكويتية مقالاً بعنوان (الديلي ميل تشن حملة على تطبيق الشريعة وتحذر من مسلمي بريطانيا وفرنسا)، تقول الكاتبة جون ساوث ورث : منذ خمس سنوات اكتشفت إحدى شركات البترول التي تعمل في حقل تشغيل العاملين في السعودية أن بعض الأفراد كانوا يعتقدون أن الإسلام لعبة حظ ، وأن آخرين كانوا يظنون أن الإسلام جماعة دينية أسستها جمعية إرهابية ، وأن محمداً هو الذي ألف كتاب (ألف ليلة وليلة).

---

(١) الموضوع كان بغير عنوان في الأصل فاخترنا له هذا العنوان.

(٢) (على التلفزيون الاسرائيلي).

عدد المسلمين في فرنسا مليونان، وفي بريطانيا مليون واحد، وهم في ازدياد مستمر ، ويحاولون القيام بالضغط مقابل على حصول أصواتهم في الانتخاب.

أوربا وأمريكا من الداخل[1]

يقول بيتريم ساروكين مدير مركز الأبحاث بجامعه هارفارد في كتاب صدر أخيراً بعنوان (الثورة الجنسية) : (إننا محاصرون من جميع الجهات بتيار مطرد من الجنس يغرق كل غرفة من بناء ثقافتنا، وكل قطاع من حياتنا العامة ، وهذه الثورة التي تعبر بنا آخذة في تغيير حياة كل رجل وكل امرأة في أمريكا أكثر من أي ثورة أخرى في هذا العصر).

ويقول جون كيشلر –عالم نفسي في شيكاغو– : (أن ٩٠٪ من الأمريكيات مصابات بالبرود الجنسي، وأن ٤٠٪ مصابون بالعقم)[2].

البروتوكول الأول : (إن الشباب قد أصابه العته لانضمامه في الفسق المبكر الذي دفعه إليه أعواننا من المدرسين والخدم والمربيات في بيوت الأثرياء والموظفين والنساء اللاتي يعملن في أماكن اللهو)[3].

البروتوكول ٨ : (سنسند المناصب المهمة إلى أناس ذوي سمعه سيئة حتى تنشأ بينهم وبين الشعب هوة سحيقة، أو إلى أناس يمكن محاكمتهم والزج بهم في السجون إذا ما حالوا دون تنفيذ أوامرنا، والغرض من هذا هو إرغامهم على الدفاع عن مصالحنا حتى النفس الأخير)[4].

نشرت جريدة (ترانسي سوار) إحصائية كاملة للدعاوي التي نظرت فيها محكمة السين في ذلك اليوم :

٢٣٥ حالة ضرب وجرح حتى الموت.

٣٨٥ حالة تعذيب أولاد.

١٠٠٧ عمليات اغتصاب.

٢٣١ حالة اختلاس.

٢١١ عملية قتل.

٢٨٨ حالة سرقة بدون مبرر.

٤١٠ سرقات موصوفة.

في اليوم الواحد تغتصب ثلاثون امرأة أو فتاة.

يقتل ١٩شخصا.

يعذب ٣٠ شخصاً كل دقيقتين.

وكل ٢٠ ثانية تحدث سرقة.

كل ٤ دقائق عملية اختلاس.

كل ربع ساعة سرقة سيارة.

قالت مجلة (Reality) شهر أيار سنة ١٩٧٧م :

ستة أعشار النساء شاذات وأربعة أعشار الرجال شاذون.

في يوم واحد تعرضت ٣ مصارف للسرقة في باريس.

في نيويورك صدرت نشرة مؤخراً بأن ٣٥٪ من النساء الأمريكيات يتعرضن للضرب المبرح من قبل أزواجهن ، مدير شرطة نيويورك يقول : (إن أكثر من مائتي امرأة تنقل شهرياً إلى المستشفى نتيجة إصابات كبيرة وتهشيم في الضلوع أو كسر عظام)[5].

٥ ملايين شاذ جنسياً و ٦ ملايين كلب في بريطانيا.

٢,٥ مليون فتى من الجنسين (التحشيش).

---

(١) الموضوع كان بغير عنوان في الأصل فاخترنا له هذا العنوان. (٢)المجتمع العاري ١١. (٣) المجتمع العاري ١٤. (٤) المجتمع العاري ١٤. (٥) المجتمع العاري ٥٧.

٣ ملايين فتى من الجنسين يمارسون الدعارة في أمريكا.

هيلين ستانسبري كاتبة أمريكية تراسل أكثر من (٢٥٠) صحيفة أمريكية في نيورك وشيكاغو وسان فرانسيسكو تقول : (إن القيود التي فرضها المجتمع العربي على الفتاة الصغيرة - مادون العشرين - صالحة ونافعة وأنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم، وامنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوربا وأمريكا.

امنعوا الاختلاط قبل سن العشرين، فقد عانينا منه في أمريكا ، وأصبحت أمريكا مليئة بكل صور الإباحية والخلاعة، وإن ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين يملؤون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية ، إن الحرية جعلت ابناءنا الصغار عصابات (جيمس دين) وعصابات مخدرات ورقيق).

إحصائيات من أمريكا سنة ١٩٧٦

نيويورك : سنة ١٩٧٤: ١٢٠٨٢٩ حالة اجهاض. النسبة : ١١٣٨ حالة إجهاض، ١٠٠٠ ولادة ، ٦٧٪ من المجهضات غير متزوجات.

واشنطن سنة ١٩٧٤ : ٢٢٦٢٨ حالة إجهاض، النسبة : ١١١٥ حالة اجهاض حالة ولادة طبعية.

هذه المُبلغ عنها التي دخلت المستشفيات.

عدد سكان أمريكا سنة ١٩٧٥ : ٢١٣,٦٠٠,٠٠٠

في نفس العام بلغت حالات الزواج ٢,١٣٠,٠٠٠

أي ١٪ فقط يتزوجون سنوياً.

الطلاق ١,٠٢٦,٠٠٠ أي نصف حالات الزواج.

المدمنون على المخدرات (١٠٠٨٢٧) شخصاً، علماً بأن المدمن لا يترك حتى تجري له عملية جراحية.

الزيادة سنوياً = (١٠٤٤٢) شخصاً.

الجرائم في أمريكا:

سنة ١٩٦٠ : ٣٣٨٤٠٠٠

سنة ١٩٧٠: ٨٠٩٨٠٠٠

سنة ١٩٧٥: ١١٢٥٧٠٠٠

وهي موزعة كالتالي:

(٢٠٥٠٠) عملية قتل.

(٦٤٥٠٠٠) سطو مسلح)

(٣٢٥٢٠٠٠) سرقة منازل)

(١٠٠١٠٠٠) سرقة سيارات)

(٦٥١٠٠) اغتصاب بالقوة وهتك للأعراض)

(٤٨٥٠٠٠) إيذاء بالضرب)

(٥٩٧٨٠٠٠) نشل)

أرنست همنغواي اكبر قصاص عالمي أمريكي انتحر وعمره ٦٢ سنة ببندقية صيد، حصة حفيدته مائة مليون دولار.

الانتحار الجماعي ٩٢٤ شخصاً في جورج تاون .

البابا يوحنا بولس الأول قتل بعد ٣٣ يوما واختاروا (يوحنا بولس الثاني) وهو من بولندا، ولأول مرة منذ أربعمائة سنة يكون البابا غير إيطالي. وكلفت جنازة البابا عشرين مليون دولاراً.

عدد الأسر في أمريكا ٧١ مليون أسرة، أي أن ١٦٪ من الأسر أصابها الأذى من هذه الجرائم، أي بعد ٦ سنوات لا يوجد أسرة إلا وقد تضررت.

جامعة في لوس أنجلس /كاليفورنيا ٨٤٪ من الطلاب منحرفون جنسياً (شانون).

عشرون مليوناً في أمريكا شانون جنسياً.

مائة ألف تقريباً يزاولون الجنس مع بناتهم وأبنائهم.

سنة ١٩٦٥ : (خرجت النساء مظاهرة احتجاجاً على اطلاق الحريات الجنسية في السويد اشترك فيها مائة ألف امرأة).

سنة ١٩٦٤ : (١٤٠ طبيباً سويدياً يرفعون مذكرة إلى الملك للحد من الفوضى الجنسية).

ول ديورانت (مباهج الفلسفة) : (من المخجل أن نرضى في سرور نصف مليون فتاة أمريكية يقدمن ضحايا على مذبح الإباحية وهي تعرض علينا في المسارح والأدب المكشوف) (١).

الكحول

جريدة (Elpais) الاسبانية في عددها الصادر في ١٠/مارس سنة ١٩٧٩ تحت عنوان (توصية جدية من منظمة الصحة العالمية).

في دولة تشيلي ٣٠٪ من ميزانية وزارة الصحة مخصص للأمراض العامة والنفسية الناتجة عن الكحول.

في بريطانيا تضاعف عدد المرضى عشرين ضعفاً.

في أمريكا : تدفع ٤٣ مليار دولار بسبب أمراض الكحول.

يوغسلافيا : ٥٠٪ من مرض المصحات النفسية بسبب الكحول.

فرنسا: ٢٥-٤٥٪ من مرضى المستشفيات بسبب الكحول.

من أهم ما ركز عليه المستشرقون

١- القانون الإسلامي : ابتداء التغير منذ أيام محمد علي ورفاعه الطهطاوي، واشتد أيام إسماعيل سنة ١٨٧٣-١٨٧٩م ، وكان هذا الغلام فرنسي النزعة، أنشأ مدرسة للحقوق على النمط الفرنسي، يقول طلعت حرب : (تربية المرأة والحجاب) رداً على تحرير المرأة لقاسم أمين : (إن إسماعيل لما أراد أن ينفصل بمصر عن الدولة العثمانية وعد ملوك أوربا إن أيدوه من أجل تحقيق هدفه أن يبدل أحكام القرآن فيما يتصل بالحياة السياسية والاجتماعية، ويفصل السياسة عن الدين ، ويطلق الحرية للنساء، وينقل إلى مصر معالم المدنية الأوروبية).

وقد أنشأ المحاكم القنصلية وهي ١٧ محكمة تمثل ١٧ دولة كانت تتمتع بالامتيازات الأجنبية في مصر، ولا يجوز الاستئناف إلا في الدول الأجنبية.

ثم المحاكم المختلطة : فاراد إسماعيل أن يوحد القضاء فاستبدل الوباء بالداء، وحول المحاكم القنصلية إلى محاكم تابعة لدولة مصر، وسميت مختلطة، وأغلب قضاتها أجانب، والشرائع فرنسية محضة حررت على عجل بواسطة المحامي الفرنسي monori، وأشرف (نوبار) وزير إسماعيل الأرمني المتمصر على هذا الانقلاب الكافر.

ثم المحاكم الأهلية : وهي النسخة العربية للمحاكم المختلطة، وقد أصدرتها بريطانيا سنة ١٨٨٣، وهذه خدعة فكتبت كلمة (الأهلي)، والأصل أن يكتب (غير الشرعي)، ووضعت كلمة (أجانب) وكانت مكتوبة (الكفار).

٢- تعدد الزوجات.

٣- فكرة انتشار الإسلام بالسيف.

(١) انظر تربية الأولاد في الإسلام ٢/١٧٤ عبد الله علوان ، الطفل يباع بمليون أو مليوني ليرا إيطالي (٣٠٠-٧٠٠ دينار أردني).

٤- فصل الدين عن الدولة : علي عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم : رسالة لا حكم، دين لا دولة).

٥- الجهاد.

في الهند: كانت يد السارق تقطع حتى سنة ١٧٩١م ، ولكن الانجليز أخذوا بتغييره ووضعوا تشريعاً جنائياً من قانون (الويزيانا + التشريع الانجليزي + فرنسي).

في السودان : كالهند.

في العراق : أخذت عن القانون التشريعي التركي الذي وضع سنة ١٨٥٦ بعد الحرب الطاحنة بين تركيا وروسيا وأشرفت بريطانيا وفرنسا على الصلح، ووضعت (التنظيمات الخيرية) ، وأنشأت المحاكم المختلطة والمحاكم التجارية.

الهرب من إله الكنيسة [1]

يقول جيمس جينس (عالم الأسرار) :إن في عقولنا الجديدة تعصباً يرجح التفسير المادي للحقائق .

قال كثير من العلماء : إنهم لا يؤمنون بهذه النظرية – نظرية داروين – إلا لأنه لا يوجد أي بديل لها سوى الإيمان بالله مباشرة.

ويقول سيرآرثركيث : أن نظرية النشوء والارتقاء غير ثابتة علمياً، ولا سبيل إلى إثباتها بالبرهان. ونحن لا نؤمن بها إلا لأن الخيار الوحيد بعد ذلك هو(الإيمان بالخلق الخاص المباشر) وهذا ما لا يمكن حتى التفكير فيه.

ويقول (وينكر شاميرز في كتابه الشهادة) : لفت نظري أذن ابنتي ، فأخذت أفكر أنه من المستحيل أن تكون هذه مصادفة ، ولكني طردت الوسوسة حتى لا أضطر أن أومن بالذات التي أرادت فدبرت.

الطبيعة : يقول عالم (إن الطبيعة حقيقة من حقائق الكون وليس تفسيراً له) .

(Nature is a Fact, not an explanation).

يقول سيسل الأمريكي: (إن الطبيعة لا تفسر شيئاً من الكون وإنما هي نفسها بحاجة إلى تفسير).

Nature does not explain, She is hersey in need of explanation

يقولون : إن علمي لا يتكلم إلا عن(ما يحدث) وليس له أن يجيب (لما ذا يحدث).

يقول Harris (إن الاستدلال بقانون الانتخاب الطبيعي يفسر عملية (بقاء الأصلح) ولكنه لا يفسر حدوث هذا الأصلح).

يقول أوجست كونت : (مراحل التفكير الإنساني ثلاثة:

١- المرحلة اللاهوتية : تفسير الأحداث باسم الله.

٢- المرحلة الميتافيزيقية: عناصر خارجية دون ذكر إله.

٣- المرحلة الوصفية : قوانين طبيعية).

جوليان هكسلي : لقد خلق العقل الإنساني الدين، وأتم خلقه في حالة جهل الإنسان وعجزه عن مواجهة القوى الخارجية. فالدين نتيجة تعامل بين الإنسان وبيئته. إن هذه البيئة قد فقد أوانها أو كاد. لقد اخترع الإنسان قوة ما وراء الطبيعة لتحمل عبء الدين، جاء بالسحر ، ثم العمليات الروحية ، ثم العقيدة الإلهية، حتى اخترع فكرة الإله الواحد ... وهذه فقدت ضرورتها اليوم) .

أسس قضية معارضة الدين :

١ – البيولوجيا : الكون مرتبط بقوانين ثابتة (نيوتن)، وهذه (قانون الطبيعة) ثم جاء (هيوم) فتخلص من هذا الإله الميت فقال (رأينا صانع الساعة ولم نر صانع الكون).

(١) من كتاب الاسلام يتحدى وحيد الدين خان.

٢ – علم النفس : الدين نتاج اللاشعور الإنساني (ليس الإله سوى انعكاس للشخصية الانسانية على شاشة الكون)، (الوحي والإلهام إظهار غير عادي لأساطير الطفولة المكبوتة) .

٣ – التاريخ : إن الإنسان أوجد (قوة فرضية) سماها الإله ليحتمي بها من الأعاصير والبلايا والزلازل[1].

الأريوسيون:

خرج كتاب عن سبعة من كبار رجال الدين في إنجلترا أعلنوا أنهم يرفضون ألوهية المسيح حزيران سنة ١٩٧٧م.

الأريوسيون : نسبة إلى أريوس من كبار رجال الدين المسيحي ولد سنة ٢٨٥م توفي سنة ٣٣٦م .

الكاثوليكية : ديانة جديدة نشأت عن قرار ميلان سنة ٣١٣م.

الأرثوذكسية : انفصلت عن الكاثوليكية في القرن الحادي عشر الميلادي.

البروتستانتية : انفصلت عن الكاثوليكية في القرن السادس عشر الميلادي.

وهذه الديانات الثلاث تابعة للأناجيل الأربعة التي قبلت وحدها من أصل مائة إنجيل في أول مؤتمر مسكوني دعا إليه قسطنطين ليتخذ دينا عاماً للدولة يسمى الكاثوليكية (أي الدين العام)، وقد كان قسطنطين عدواً لكل الطوائف المسيحية، ووالده من قبل عدو فتك بدولة الأباجرة العرب لإيمانهم بالمسيح وقد كانوا يعبدون (الشعرى : سيريوس) فسموا بالسريان.

التبشير

عقد الخواجا كمال الدين وزميله روبرتسون مقارنه بين العقائد الوثنية وبين عقائد المسيحية، وقالا : قبل ظهور المسيح كانت هناك آلهه كثيرة :

ابلو : الإغريق، مترا : إله الفرس، هيروكوليس : الرومان، أدونيس : إله السوريين.

أوزيريس وحوريس : إله المصريين القدماء، بعل : إله البابليين.

مقارنات بين عقائد الوثنية في دياناتها والنصرانية في عقائدها الحالية [1]

أوجه الشبه بين ديانة ميترا وبين المسيحية تفصيلاً .

ما هي الديانة الميترية؟

هذه الديانة فارسية الأصل ، وقد وجدت في بلاد الفرس قبل ميلاد المسيح، بستة قرون تقريباً ، ثم نزحت إلى روما حوالي سنة (٧٠) قبل الميلاد ، ومن هناك انتشرت في بلاد الرومان ، وصعدت إلى شمال إيطاليا حتى وصلت إلى بريطانيا ، حيث اكتشفت بعض آثارها في مدينة يورك ومدينة شستر وغيرها من المدن هناك.

وإذا نظرنا إلى عقائد المسيحين في المسيح ، وجدناها تطابق عقائد أتباع ميترا فيه، وإليك البيان:-

---

(١) الاسلام يتحدي ٢٠ – ٤٣.

ميـــــــــترا	المــــــــــسيح
ماكان يقوله أصحاب ديانة ميترا	أقوال النصارى والمسيحيين في المسيح
١- ولد ميترا في زاوية من الأرض أو كهف .	١- ولد المسيح في غار.
٢- ولد ميترا في ٢٥ ديسمبر	٢- ولد المسيح في ٢٥ ديسمبر عند المسيحيين الأوربيين.
٣- دفن ميترا ولكنه عاد للحياة وقام من قبره.	٣- والمسيح بعد دفنه قام من قبره.
٤- مات ميترا ليخلص البشر من خطاياهم	٤- ومات المسيح ليخلص البشريه من الخطيئة الأزلية.
٥- صعد ميترا إلى السماء أمام تلاميذه وهم يبتهلون ويركعون	٥- والمسيح صعد إلى السماء بعد قيامه من قبره.
٦- كان حواريوا ميترا ١٢ حواريا.	٦- وكان للمسيح ١٢ تلميذاً.
٧- من أوصاف ميترا أنه كان كالحمل الوديع.	٧- والمسيح من صفاته عندهم أنه كالحمل الوديع.
٨- كان اتباع ميترا يعمدون باسمه.	٨- والمسيحيون عندهم هذا التعميد بوصفه ختم النعمة لهم.
٩- وفي ذكراه كل عام يقام عشاء مقدس.	٩- وفي المسيحية عشاء رباني يعتبر طعاماً مقدساً روحياً للمسيحيين.
١٠- ميترا كان رمزاً للطهاره.	١٠- والمسيح مطهر للقلوب.
١١- ميترا كان يدعى مخلصاً من الخطيئةومنقذاً.	١١- والمسيح مخلص الخطاء ومنقذ.
١٢- ميترا كان تاج للمؤمنين.	١٢- والمسيح اكليل حياتهم.
١٣- كان ميترا الذبيح الفادي.	١٣- والمسيح قدم نفسه ذبيحة لفداء العالم.
١٤- ميترا كان شفيع المذنبين.	١٤- والمسيح شفيع لدى الأب.
١٥- ميترا وسيط بين الله والبشر.	١٥- والمسيح وسيط بين الله والناس.
١٦- ميترا شمس الحياة.	١٦- والمسيح شمس البر.

١- ومن هذه المقارنة يتبين وجه الشبه الكبير بين ميترا إله الرومان واليونان في خلال مدة حكم الامبراطور قسطنطين ، لذلك قبل امبراطور الرومان المذكور دخول المسيحية مع محافظته على آثار وشعائر ميترا التي تشبه كما قدمنا شعائرالمسيحية.

٢- مما يؤيد هذا القول أن العلامة جون روبرتسن يقرر أن الميترايزامية لم تمت باعتناق الرومان المسيحية، لكنها تقمصت في المسيحية.

٣- والامبراطور قسطنطين هذا كان متصفاً بالقسوة، حتى لقد قتل ابنه كرسبو وامرأته فسطا بتهمة وهمية كما خان صهره ليسينوس، وقد اعتنق المسيحية ليؤسس بها المسيحية الملكية أو المسيحية السياسية حماية لدولته من الانهيار.

٤- أسبغ ذلك الامبراطور على المسيحية السياسية التي اعتنقها غلظته وقسوته، لذلك أعطى للإكليروس المسيحي ما كان للكهنة الوثنيين من الهيبة والصولة ، وزاد في أوقاف الكنائس ، وشجع إقامتها في كل مكان.

٥- قام أتباع ذلك الامبراطور بسن القوانين وإصدار الأوامر في سنة ٣٤٢ ميلادية بإغلاق كل الهياكل الوثنية ، وقتل مخالفي الدين المسيحي الجديد بكيفية صارمة سماها موسهيم بالشريعة الظالمة لأنها اغتصاب للضمير وقهره دون أن تقوم باقناعه ، وهذا ينافي روح الديانة المسيحية الأصلية التي تقوم على العفووالتسامح.

٦- ومن هنا تشرب أكثر النصارى القسوة البربرية التي بمقتضاها أباحوا قتل مخالفيهم في الدين أو المذهب واغتياله ، طبقاً لما هو مروي في كتب التاريخ طوال أعصرهم المختلفة.

مقارنة بين ما يقوله عباد الوثنيين في بوذا وبين ما يقوله النصارى المسيحيون في يسوع المسيح

بـــــــوذا	يـــــــسوع
أقوال الهنود الوثنيين في بوذا الذي يزعمون أنه ابن الله	أقوال النصارى والمسيحيين في يسوع الذي يزعمون أنه ابن الله
١- ولد بوذا من العذراء مايه بغير مضاجعة رجل.	١- ولد يسوع المسيح من العذراء مريم بغير مضاجعة رجل.
٢- كان تجسد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايه.	٢- كان تجسد يسوع المسيح بواسطة حلول روح القدس على العذراء مريم.
٣- لما نزل جون أمن مقعد الأرواح ودخل في جسد العذراء مايه صار رحمها كالبلور الشفاف النقي وظهر بوذا منه كزهرة جميلة.	٣- لما نزل اليسوع من مقعده السماوي ودخل في جسد مريم العذراء صار رحمها كالبلور الشفاف النقي وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة.
٤- وقد دلّ على ولادة بوذانجم ظهر في أفق السماء ويدعونه نجم المسيح.	٤- وقد دل على ولادة يسوع نجم ظهر في الشرق ومن الواجب أن يدعى نجم المسيح .
٥- ولد بوذا من العذراء مايا التي حلّ فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد أي في ٢٥ كانون الأول.	٥- ولد يسوع من العذراء مريم التي حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد أي في ٢٥ كانون الأول.
٦- لما ولد بوذا فرحت جنود السماء ورتلت الملائكة أناشيد المجد للمولود المبارك قائلين ولد اليوم بوذا على الأرض كي يعطي الناس المسرات والسلام ويرسل النور إلى لمجالات المظلمة ويهب بصراً للعمي.	٦- ولما ولد يسوع فرحت ملائكة السماء ورتلوا الأناشيد حمداً للواحد المبارك قائلين . المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة.
٧- وعرف الحكماء بوذا وأدركوا أسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى جاء الناس ودعوه إله الآلهه.	٧- ولد زار الحكماء يسوع وأدركوا أسرار لاهوته . ولم يمض يوم على ولادته حتى دعوه إله الآلهة.
٨- وأهدوا بوذا وهو طفل هدايا من مجوهرات وغيرها من الأشياء الثمينة.	٨- وأهدوا يسوع وهو طفل هدايا من ذهب وطيب ومر.
٩- ولما كان بوذا طفلاً قال لأمه مايه أنا أعظم الناس جميعاً.	٩- ولما كان يسوع طفلاً قال لأمه أنا ابن الله.
١٠- كان بوذا ولداً مخفياً وقد سعى الملك لقتله لما أخبروه أن هذا الغلام سينتزع الملك من يده إن بقي حياً.	١٠- كان يسوع ولداً مخفياً وسعى الملك هيردوس وراء قتله كي لا ينتزع الملك من يده.
١١- وعندما كان بوذا على وشك أن يبدأ دعوته ظهر له الشيطان مارا mara ليحاول تضليله.	١١- وعندما بدأ يسوع دعوته ظهر له الشيطانThedevil يحاول تضليله.
١٢- قال الشيطان لبوذا - ابتعد عن الدعوه الدينية وتصبح امبراطور العالم.	١٢- وقال الشيطان لعيسى:إذا سجدت لي سأجعلك ملكاً على كل العالم.
١٣- ولم يهتم بوذا بالشيطان مارا وصاح ابتعد عني.	١٣- ولم يسمع عيسى لكلمات الشيطان وصاح به إخسأ أيها الشيطان.
١٤- وبعد أن انتصر بوذا على لشيطان مارا امطرت السماء زهوراً وعبق الهواء بعبير الطيب.	١٤- وبعد أن انتصر عيسى على الشيطان هبطت الملائكة لعيسى وكرمته.
١٥- وصام بوذا فترة طويلة.	١٥- وصام عيسى أربعين يوماً بلياليها.
١٦- وتعمد بوذا بماء المقدّس وفي أثناء تعميده كانت روح الله حاضرة وكذلك روح القدُس.	١٦- وعمد يحيى عيسى في نهر الأردن، وكان كذلك أيضاً في حضرة الله
١٧- وتقبل صلاة البوذيين وتقودهم إلى الفردوس ما دامت تقدم باسم بوذا.	١٧- وتقبل صلاة المسيحيين مادامت باسم عيسى وينالون بسببها الفردوس.
١٨- وعندما مات بوذا ودفن شق قبره بقوى من قوى ما فوق الطبيعة وعاد للحياة.	١٨- وعندما مات عيسى ودفن أزاحت قوة ما فوق الطبيعة الحجارة من قبره وعاد عيسى للحياة.
١٩- وصعد بوذا إلى السماء بعد أن أتم دعوته.	١٩- وصعد عيسى كذلك بعد انتهاء دعوته على الأرض.
٢٠- وسيعود بوذا إلى الأرض ليواصل دعوته آخر الزمان وليستعيد مجده ويملأ الأرض سعادة ونعيماً.	٢٠- وسيعود عيسى كذلك ليحكم الأرض من جديد وينشر دعوته ويملأ الأرض بالخير والسلام.
٢١- وسيوكل حساب الناس إلى بوذا بعد البعث.	٢١- وسيوكل لعيسى أيضاً أن يحاسب الناس في النار الآخرة.
٢٢- وبوذا لا أول له ولا نهاية وهو خالد.	٢٢- وعيسى لا أول له ولا نهاية وهو خالد كالأب.
٢٣- ويروى عن بوذا أنه قال: انني أحمل سيئات البشر عنهم ليصلوا إلى السلامة.	٢٣- وعيسى مخلص البشر الذي قدم نفسه فداء ليكفر عن خطيئة آدم أبي البشر.

٢٤- ويروى عن بوذا قوله أخف أعمالك الطيبة وأعلن على الناس سيئاتك التي ترتكبها.	٢٤- ومما علمه عيسى لتلاميذه أن يخفوا أعمالهم الطيبة ويعلنوا مساوئهم وخطاياهم.
٢٥- وأوصى بوذا أتباعه بالشفقة والحب حتى مع أتباعه.	٢٥- وقال عيسى لأتباعه أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم وأحسنوا عمن يبغضكم.
٢٦- ونصح بوذا حوارييه وأتباعه أن يطرحوا الدنيا جانباً ويتنازلوا عن غناهم ويؤثروا الفقر ليقبلوا في دعوته.	٢٦- واشترط عيسى على من يريد دخول الدعوة أن يتصدق بماله ويؤثر الفقر ليدخل ملكوت السموات.
٢٧- وكان هدف بوذا الأساسي أن يكون ما سمته الفلسفة البوذية ملكوت السماء.	٢٧- ودعا عيسى منذ مطلع رسالته أتباعه ليدخلوا ملكوت السموات.
٢٨- نادى بوذا بعدم الزواج وشبه الزواج بالاحتراق بالفحم.	٢٨- روي عن عيسى قوله أنه من الأفضل للرجل ألا يمس امرأة.
٢٩- ولم يجز بوذا الزواج إلا عند خوف الزنا.	٢٩- روي عن عيسى أنه قال إذا خاف الإنسان الزنا جاز له أن يتزوج، فالزواج خير من الاحتراق في الفحم.
٣٠- إن بوذا هو الابن الوحيد وأنه تجسد في الناسوت وقدم نفسه ذبيحة ليكفر عن ذنوب البشر، ومن ثم يسمونه المسيح والمخلص والابن.	٣٠- إن الابن يسوع الكلمة التي تجسد في المسيح نتيجة التقاء روح القدس بمريم العذراء، وأنه صلب تكفيراً عن خطيئة آدم الأزلية التي انتقلت إلى ذريته حتى خلصهم المسيح بقتله وصلبه عن هذه الخطيئة.

مقارنة بين عقائد المسيحيين حالياً وعقائد الوثنيين من البراهمة

أقوال الهنود الوثنيين في كريشنه	أقوال المسيحيين في عيسى أو يسوع
١ - كريشنه هو المخلص والفادي المعزي والراعي الصالح والوسيط وابن الله والاقنوم الثاني من الثالوث المقدس وهو الأب والإبن والروح القدس.	١ - يسوع المسيح هو المخلص والفادي المعزي والراعي الصالح والوسيط وابن الله والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس وهو الأب والابن والروح القدس.
٢- ولد كريشنه من العذراء ديفاكي التي اختارها الله والده لابنه بسبب طهارتها وعفتها.	٢- ولد يسوع من العذراء مريم التي اختارها الله والده لابنه بسبب طهارتها وعفتها.
٣- مجدت الملائكة ديفاكي والدة كريشنه ابن الله وقالوا: يحق للكون أن يفاخر بابن هذه الطاهرة.	٣- فدخل إليها الملاك وقال: سلام لك أيها المنعم عليها، الرب معك.
٤- عرف الناس ولادة كريشنه من نجمه الذي ظهر في السماء.	٤- ولما ولد يسوع ظهر نجمه من المشرق وبواسطة ظهور نجمه عرف الناس محل ولادته.
٥- لما ولد كريشنه سجدت الأرض وأنارها القمر بنوره وترنمت الأرواح وهامت ملائكة السماء فرحاً وطرباً ورتل السحاب بأنغام مطربه.	٥- لما ولد يسوع المسيح رتل الملائكة فرحاً وسروراً وظهر من السحاب أنغام.
٦- كان كريشنه من سلالة ملوكانية لكنه ولد في غار بحال الذل والفقر.	٦- كان يسوع المسيح من سلالة ملكية ويدعونه ملك اليهود، ولكنه ولد في حالة الذل والفقر بغار في فلسطين.
٧- لما ولد كريشنه أضيء الغار بنور عظيم وصار وجه ديفاكي أمه يرسل أشعة نور ومجد.	٧- ولما ولد يسوع المسيح أضيء الغار بنور عظيم أعيا بلمعانه عيني القابلة وعيني خطيب أمه يوسف النجار.
٨- ومن بعد ما وضعته صارت تبكي وتندب سوء عاقبة رسالته فكلمها وعزاها.	٨- قال يسوع المسيح لأمه وهو طفل يا مريم أنا يسوع ابن الله وجئت كما أخبرك جبرائيل الذي أرسله أبي وقد أتيت لأخلص العالم.
٩- وعرفت البقرة أن كريشنا إله وسجدت له.	٩- وعرف الرعاة يسوع وسجدوا له.
١٠- وآمن الناس بكريشنه واعترفوا بلاهوته وقدموا له هدايا من صندل و طيب.	١٠- وآمن الناس بيسوع المسيح.
١١- وسمع نبي الهنود (نارك) بولد الطفل الالهي كريشنه فذهب يزاره في (كوكول) وفحص النجوم فتبين له من فحصها أنه مولود إلهي يعبد.	١١- ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في عهد هيرودوس الملك إن المجوس في المشرق قد جاء.

١٢- أن كريشنه انبثق من الإله براهما الذي كان قبل الوجود حيث خلق العالم وسمى نفسه الخالق. وكريشنا هو الذي خلص بني الإنسان بتقديم نفسه لتصلب فداء عنهم، ومن ثم يصورونه مصلوبا مثقوب اليدين والرجلين وعلى قميصه صورة قلب انسان ملقى وهناك إله آخر انبثق من الإله براهما ويدعى سيفا موكل بالخراب والفناء.

١٢- إن الآب هو الأصل والابن هو الكلمة التي تجسدت في المسيح، و إعدام المسيح صلبا كان تكفيرا منه عن الخطيئة التي ارتكبها آدم بعد أن أكل من شجرة المعرفة، فانتقلت الخطيئة إلى ذريته جيلاً بعد جيل، وإلى جميع نسله حتى انتداهم المسيح وخلصهم من هذه الخطيئة بقتله وصلبه وهناك أقنوم ثالث ضمن ثالوث الاله هو روح القدس.

مقارنة بين محاكمة المسيح وبعل إله البابليين

إن ديانة البابليين كانت معيناً للمسيحية في موضوع قصة محاكمة المسيح وصلبه ، وقد وضع البابليون قصة محاكمة إلههم بعل في تمثيلية مؤثرة كانت تمثل كل عام قبل ميلاد الميسح بقرون عديدة ، والغريب أن هذه التمثيلية كانت حافلة بالغموض والحزن وقد اكتشف في مطلع هذا القرن بأرض بابل لوحتان يرجع تاريخهما إلى القرن التاسع قبل الميلاد ، وسجلت عليهما قصة محاكمة بعل ونهايته وقت أخذ اليهود إلى سجن بابل بعد هزيمتهم منذ عهد بختنصر ، وهناك رأوا هذه التمثيلية تعرض مطلع كل ربيع ، وعندما عاد اليهود بعد الإفراج عنهم في بابل إلى فلسطين كانت هذه القصة عالقة بأذهانهم، ومؤثرة في حياتهم فانعكست على آدابهم وعلى حياتهم العامة، حتى أنه عقب نهاية المسيح، ظهرت تمثيلية بعل بنفس عناصرها مع فارق بسيط وهو وضع اسم المسيح محل اسم بعل، حتى ليمكن القول أن قصة المسيح كما توردها الأناجيل هي قصة بعل وضعت بعد انتحال اسم المسيح عليها. وللتدلل على ذلك بما يأتي:-

محاكمة بعل	محاكمة المسيح
١- اخذ بعل أسيراً.	١- اخذ عيسى أسيراً.
٢- حوكم بعل علناً.	٢- حوكم عيسى علناً.
٣- جرح بعل بعد المحاكمة.	٣- اعتدي على عيسى بعد المحاكمة.
٤- اقتيد بعد لتنفيذ الحكم على الجبل.	٤- اقتيد عيسى لصلبه على الجبل.
٥- كان مع بعل مذنب حكم عليه بالإعدام وجرت العادة أن يعفى كل عام عن شخص حكم عليه بالموت، وقد طلب الشعب اعدام بعل والعفو عن المذنب الآخر.	٥- وكان مع عيسى قاتل اسمه باراباس محكوم عليه بالاعدام ورشح بيلاطس عيسى ليعفى عنه كالعادة كل عام، ولكن اليهود طلبوا العفو عن باراباس واعدام عيسى.
٦- بعد تنفيذ الحكم على بعل عم الظلام وانطلق الرعد و اضطرب الناس.	٦- عقب تنفيذ الحكم على عيسى زلزلت الأرض وغامت السماء.
٧- حرس بعل في قبره حتى لا يسرق اتباعه جثمانه.	٧- حرس الجنود مقبرة عيسى حتى لا يسرق تلاميذه جثمانه.
٨- الإلاهات مليش حول مقبرة بعل يبكينه.	٨- مريم المجدلية ومريم أخرى جلستا عند مقبرة عيسى تنتحبان عليه.
٩- قام بعل من الموت وعاد الى الحياة مع الربيع وصعد الى السماء.	٩- قام عيسى من قبره في يوم أحد وفي مطلع الربيع أيضاً وصعد إلى السماء.

القومية العربية

بدأها النصارى في المنطقة مثل قسطنطين زريق، أسد رستم، زين زين، يجب أن ننظم أنفسنا قومياً كالغربيين.

دوج وقسطنطين زريق يشجعان المظاهرات القومية ضد فرنسا، وعندما ثار الطلاب ضد بريطانيا غضبوا وكالوا لهم الشتائم سنة ١٩٣٩.

جهيب توراني: وكان الأثر الأول للحضارة الغربية في الحياة العربية لبعث القومية العربية وقيام الحركة الاستقلالية التي تشمل العالم العربي في الوقت الحاضر، وكانت هذه الحركة نتيجة مباشرة للتعليم الغربي[١].

ويقول قسطنطين زريق: (إن أول جمعية سرية وجدت سنة ١٨٨٠ وكان أغلب أعضائها من الشباب الذي تعلم في الكلية البروتستنية السورية)[٢].

---

(١) الشرق الأدنى ص٢١١ محمد حسين ص١٢٢.

(٢) الشرق الادنى ١٥/ محمد حسين ١٣١.

كويلرينغ يقول عن لويس توماس : (إنه قد استطاع أن يرسم الخطوط العريضة للظروف التاريخية والاجتماعية الحركة التي انتهت بالزعماء الأتراك المحدثين إلى تحقيق مبدأ تركيا للأتراك هذا المبدأ الذي ساء أغلب شعوب المنطقة).

في أيران:

الصفويون والحكم البهلوي ومتوا العلاقة مع العالم الاسلامي.

أنشأ الحكم البهلوي أكاديمية للتخلص من المفردات العربية في الفارسية، واكتشفت الأكاديمية مجد إيران القديمة وبزغ مذهب زرداشت من جديد واحتل مكاناً مرموقاً في بلاد السيع والشمس)(1).

توينبي صـ٢٩ (فهل من الضروري حقاً أن يتفتت العالم العربي كما تفتتت الامبراطورية الإسبانية في أمريكا لسوء الحظ إلى عشرين دولة مستقلة عن بعضها تعيش في قوالب ضيقة غربية النمط.

هذا هو الوجه الثاني الكالح لحضارتنا الغربية، ومن المؤسف أن تقلده الشعوب الناطقة بالعربية تقليداً تاماً، إن سحر القومية جذاب في أمثال هذه المجتمعات الإسلامية المبعثرة ولكن القومية لن تقود هذه المجتمعات إلى حياة جديدة بل إلى حكم بالموت والفناء).

المبشرون بدايه القومية

قسطنطين زريق: (وكان من نتائج حملة التعليم التي قامت بها البعثات الأجنبية في سوريا ولبنان نشوء طبقة متوسطة مثقفة ذات شعور قومي وقد نشطت هذه الطبقة في الدعوة إلى القومية العربية بين الجماهير غير المتعلمة، وكان النشاط في الميدان التعليمي مقسماً بين الجزويت الفرنسيين والأمريكان)(2).

جب: (إن الأسلوب الذي استطاعت به طبقة المتغربين تأمين قبضتها الثابتة على السلطة في الدولة ... كان القومية. فالقومية هي فكرة غربية أيضاً)(3).

قوة الغرب إبقاء للقومية

(في الوقت الحاضر الذي يجد الغرب نفسه منذ الحرب العالمية الثانية نرى أن تجزئته إلى أكثر من أربعين دولة قومية مستقلة ذات سيادة يهدد بانهيار البيت كامله على من فيه بسبب انقسامه هكذا على نفسه، ومع ذلك فإن اعتبار الغرب لا يزال له من القوة في العالم ما يبقي جرثومة القومية الغربية قادرة على السريان والعدوى.

ومن المأمول أن يستطيع العالم الإسلامي على كل حال إيقاف انتشار هذا الداء السياسي الغربي -القومية- عن طريق الشعور الإسلامي القوي بالوحدة)(4).

ملاحظات:

أ- القومية شعور نسبي، وتقوم على نسبية القيم.

١- هل ترضى أن يكون الحق والخير لك وحدك أم للناس أجمعين؟

٢- تقوم القومية على تقديم مصلحة قومك على غيرهم، فهل ترضى أن تهضم حقوق الناس؟

٣- تقوم القومية على الحدود والتقسيمات، فهل ترضى أن تنحصر مبادئك في أرضك.

٤- من الذي وضع هذه الحدود؟

٥- تقوم القومية على عنصر واحد.

٦- تقوم القومية على سيادة القوم المطلقة.

---

(١) الشرق الادنى/ ٢٣١ محمد حسين ١٢٣ . (٢) الشرق الأوسط ٢١١/ محمد حسين ١٢٧. (٣) مقدمة صبحي الطويل على الغرب والشرق لتوينبي صـ٩. (٤) توينبي ص ٢٨

أقسام القوميين عندنا:

١- المتخبطون : حازم تسيبة (أفكار القومية العربية)

ـــ منيف الرزاز.

ـــ ساطع الحصري (في العروبة).

ـــ عبد الرحمن البزاز.

٢- المغفلون : خالد محمد خالد «من هنا نبدأ».

علي عبد الرازق «الاسلام وأصول الحكم».

٣- المنكرون :

ـــ ميشيل عفلق (صراع البعث).

ـــ نبيه أمين فارس (هذا العالم العربي).

٤-الجاحدون:

ـــ قسطنطين زريق (جوهر الحضارة العربية)

ـــ فايز صايل.

ـــ شارل مالك (God and man in Islam).

اسئلة توجه إلى القوميين بفئاتهم الأربعة:

١- هل العرب نقطة بداية أم نقطة نهاية؟

٢- ما هي الأسس التي تقوم عليها القومية العربية؟

٣- ما هو دور الاسلام في القومية؟

أجوبة المتخبطين:

جـ١: العروبة بداية ونهاية، وليس من شأن القومية خدمة الآخرين.

جـ٢: القومية العربية تقوم على أسس شبيهة بأسس القوميات الأروبية وقوانينها.

جـ٣: كان للاسلام دور توحيد وبعث ، وأما الآن فقد انتهى دوره.

أجوبة المغفلين:

كرسوا جهدهم على الإجابة عن الثالث:

جـ٣: قال خالد محمد خالد: «الدولة الدينية قائمة على التزمت والكراهية وهي شر مستطير، ومثالها دولة يزيد، أما دولة عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز فهي شاذة وليست القاعدة».

علي عبد الرازق «ليس من نص في القرآن والسنة أن على المسلمين أن يقيموا دولة، فلا مانع من إقامة دولة علمانية».

أجوبة المنكرين: ميشل عفلق ، نبيه أمين فارس:

جـ١: العروبة نهاية قطعاً ، أين نحن من الإيرانيين والأتراك المستعمرين؟

جـ٢: تقوم على القوانين العربية ولا يأخذون من شيء ورثوه.

جـ٣: لا دور للاسلام، لأن الدين مصدر التعصب والتمسك بالماضي السقيم.

أجوبة الجاحدين:

قسطنطين زريق (جوهر الحضارة العربية) : الهنود مبدعو حضارة، والغرب أيضا، أما العرب فلم يبدعو حضارة وإنما نقلوها عن الإغريق وسرعان ما استعادها الغرب لأنها تخصه.

يقول شارل مالك : إن الحضارة الغربية هي الحضارة القائمة في فكر اوغسطينوس، ولابد للعرب إذا أرادوا التقدم أن يخلعوا لباسهم البالي.

الردود عليهم :

١- لا سبيل إلى انتشال العرب من بلائهم إلا بانتشال الأقوام المحيطين بهم ، فإما أن يعيش الناس في سلم عادل وإلا فصراع الظلم والعدل لا يفرق بين عربي وعجمي ، لو تخلص الخليج العربي من الانجليز هل يخلص من شاه إيران؟

٢- نحن أصحاب الرسالة الخاتمة للبشر فإذا دخلنا قمقم القومية فقد عطلنا هذه الرسالة.

٣- لا خير في قومية لا تقوم على مبادئ ذاتية.

٤- إن الظروف العربية الراهنة طارئة ولا يمكن أن يقام على أساسها حضارة ومبادئ.

٥- إن الاسلام هو روح هذه الأمة وباني نهضتها وينبوع حضارتها ومحرك جهادها ومعين عزتها.

٦- كيف نستطيع حماية المجتمع العربي المستقل من الظلم والخيانة والرشوة والمحسوبية والطبقية والأثرة والزنا والانحلال بدون دين؟ هذا الغرب بحضارته يسقط، واقرأ إن شئت:(سقوط الحضارة : كولن ولسون)(الإنسان ذلك المجهول:الكسيس كاريل)

لقد خرج من الحضارة الغربية اللامنتمون من أبنائها الذين يكرهونها ويعادونها، ولأنها لم تشبع الروح والبعد الثالث فإنها ساقطة.

٧- إن العالم يسير نحو نبذ القومية واتحاد القوميات على أساس المبادئ ، فما بالنا نبحث عما خلعته أوربا بالياً فنلبسه.

٨- ليس الدستور هو الذي تقرره الغوغاء ٥١٪ ، بل الدستور يضعه المفكرون استناداً إلى تراث الأمة وماضيها الحضاري، وكذا فعلت القوميات الغربية، فإنها في عدائها للكنيسة عادت إلى حضارة اليونان المادية الوثنية.

٩- لماذا نلوم الغربيين كالانجليز باستعمارنا؟ إنهم يخدمون قوميتهم.

الحرب العالمية والثورة العربية الكبرى

نشبت الحرب العالمية في ٢٨ يوليو سنة ١٩١٤. نشبت الثورة العربية الكبرى في ١٠ يونيو سنة ١٩١٦. وفي أكتوبر سنة ١٩١٨ دخل اللنبي القدس.

جاء في مذكرة وزارة الخارجية الفرنسية سبتمبر ١٩١٦م ما يلي:

"إن اعلان الثورة العربية في الحجاز هو في مصلحة الحلفاء من عدة وجوه:

فأما من الواجهة السياسية فإن اتساع نطاقها حتى تشمل شعوب فلسطين و سورية وأرمينيا الصغرى وتحرير هذه الشعوب من النير التركي يهيء لفرنسا أسباب التدخل في شؤون هذه المقاطعات، كما تشغل من الواجهة العسكرية الجيش التركي.

أما من الوجهة الأوربية فإنها تقود الجانب الأكبر من رعايانا المسلمين إلى الاتراك كمعتدين على الأماكن المقدسة الإسلامية، فيزداد تعلقهم بفرنسا لأنها تكافح الترك وعملاءهم وتزيدهم إخلاصاً لها".

منشورات الجيش البريطاني الزاحف على غزة: "إلى جميع العرب وغيرهم من الضباط والرجال في الجيش العثماني ، لقد سمعنا بكل أسف أنكم تحاربوننا نحن الذين نعمل من أجل صيانة الشريعة الإسلامية المقدسة من أن تبدل".

رسالة من الشريف حسين إلى مكماهون : "أما مايتعلق بقضية العراق وقضية التعويض الذي اقترحناه لقاء احتلاله فانني رغبة في تقوية ثقة بريطانيا بنوايانا وغايتنا في القول والعمل ، فإنني أدع أمر تقدير المبلغ إلى حكمتها وعدالتها" (١).

قال لويد جورج (إن فضح اتفاقية سايكس بيكو أزعج الإيطاليين والعرب، فاحتجت إيطاليا بشدة، واكتفى الحسين باحتجاج

(١) ١٧ ديسمبر سنة ١٩٧٤ المجتمع.

بسيط.).

كتب المنار / رشيد رضا / عدد ٢٢ (إن الحسين قد امتنع عن قصد (عن) نشر خبر الاتفاقية في جريدة القبلة، وأخبرهم أحد زملائهم وكان مرافقاً لفيصل أنه قرأ رسالة بعث بها الملك إلى ابنه يعترف فيها بتلك المشاريع المشبوهة مقابل عهود وإغراءات مالية روى هذا شاهد عيان ، الشيخ رشيد رضا) .

وبعد وعد بلفور (أرسل الحسين إلى ابنه فيصل ألا يهتم بالضجة التي أقامها بعض العرب حول قصة وعد بلفور حينما عرفت تفاصيلها، وأن يتابع عمله في خدمة البريطانيين وإلا فهو خائن في نظر أبيه)[1] .

أدلى الأمير فيصل بتصريح إلى وكالة رويتر أذاعته ١٢ ديسمبر سنة ١٩١٨م.

"إنني أمل أن تحقق كل من الأمتين العربية واليهودية تقدماً ملموساً نحو أمانيهما وآمالهما ، إن العرب لا يحملون ضغينة ضد الصهيونية ولا *اليهودية*، بل هم ينوون أن يسمحوا لهم بالعمل ، أما التحاسد بين سكان المستعمرات اليهودية والمزارعين المحليين (العرب) فقد أثارته الفتن التركية ، ولكن التفهم المتبادل لأهداف العرب واليهود سيقضي على آخر آثار هذا العداء الذي زال بالفعل قبل الحرب بفضل عمل اللجنة السرية العربية. إن الصهيونيين هم حملة حضارة أوربا إلى الشرق)[2].

وفي ١٩١٩/١/٣ اتفق فيصل وايزمان على الاتفاقية التالية:

١- تأسيس كيان فلسطين منفصل عن الدولة العربية السورية.

٢- تقوم الدولة الفلسطينية بكل التدابير لتحقيق وعد الحكومة البريطانية في الثاني من نوفمبر سنة ١٩١٧ في دستورها وإدارتها.

٣- أخذ كل الاجراءات الضرورية لهجرة اليهود إلى فلسطين على نطاق واسع وتشجيعها بأسرع وقت ممكن.

٤- أن يرسل الصهيونيون لجنة لدرس أوضاع فلسطين وإمكانياتها ومدى استثمارها لصالح العرب واليهود وأن تكون الحكومة البريطانية هي الحكم في حالة نشوب خلاف.

وبعد الحرب أرسل الحسين رسالة إلى فيصل (حليفتنا بريطانيا ترغب حضورك نائباً عن مصالح العرب ، وكل ما يكون أساساً لحياتهم سواء ما يتعلق بالحدود أو الادارة مما معلوم لديك في مجتمع سيعقد في باريس في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩١٨م.

فإنفاذاً لرأي عظمتها تتوجه بكل سرعة ممكنة بعد مذاكرتك لفخامة القائد العام في كيفية سفرك ، وحيث أن رابطتنا هي *العظمة البريطانية* فكل ملاحظاتك تبديه لنوابها، وما يكلفونك به من قول أوعمل إن كان في المجتمع أو سواه تعمل به وتتجنب سواه).

أمين سعيد.

حزب البعث

قام الانقلاب في ٨ آذار سنة ١٩٦٣م.

في ١٨ تموز سنة ١٩٦٣ أطاحوا بالناصريين .

بدأ الخط النصيري يزداد.

ألقى ميشيل عفلق بيانه الشهير في القيادتين القطرية والقومية وركز على:

١- خطورة تعاظم طغيان الطائفة النصيرية.

٢- تعاظم دور الجناح العسكري على المدني.

٣- كثرة الحزبيين الانتهازيين وضرورة العودة إلى الحزبيين القدامى.

٢٣ شباط سنة ١٩٦٦ قامت حركة تصحيحة برز فيها صلاح جديد، وقد أحلت هذه الحركة (زكي الأرسوزي) أبا روحيا بدل

---

(١) ميكل هم : الهاشميين وقضية فلسطين. (٢) المجتمع ١٧ ديسمبر سنة ١٩٧٤

ميشيل عفلق كما يقول سامي الجندي في كتابه (البعث)، وصفّت هذه الحركة جناح أهل السنة.

الحركة التصحيحية الثانية ١/١١/١٩٧٠ / حافظ الأسد.

قادة الحزب:

١- من النصارى : ميشيل عفلق، الياس فرح، (منيف الرزاز ...؟).

٢- منتسبون إلى أهل السنة : صلاح البيطار ، جلال السيد ، أمين الحافظ، نور الدين الاتاسي ، أكرم الحوراني ، يوسف زعين ، مصطفى حمدون، عبد الفتاح زلط، عبدالحكيم قدور، لؤي الأتاسي.

٣- من الدروز : سليم حاطوم، شبلي العيسمي.

٤- من الإسماعلية : سامي الجندي ، عبد الكريم الجندي.

وبعد فشل انقلاب سليم حاطوم أثناء حرب سنة ١٩٦٧ صفي الجناح الدرزي، وقد صفي جناح أهل السنة في حركة صلاح جديد سنة ١٩٦٦.

وصفي جناح الاسماعلية بعد مقتل عبد الكريم الجندي (مدير الأمن العام).

التعصب النصيري:

قال سامي الجندي : سبب إقالة (صلاح جديد) أنه ظن أنه غير طائفي.

قتل محمد عمران في طرابلس على يد المخابرات السورية لأنه كان منفتحاً (وكان رئيساً للوزراء بعد سنة ١٩٦٣).

صدرت أحكام بالإعدام ضد عفلق والبيطار والحافظ سنة ١٩٧١ بعد لجوئهم إلى العراق.

لم ينص الدستور (حافظ الأسد) على عروبة أو إسلام سوريا، وركز على إنشاء جيل اشتراكي علماني، واستبعد الشريعة الاسلامية حتى كمصدر من مصادر التشريع.

الغرب والمستغــــربون[١]

يقول الشاعر الانجليزي Kipling : -

الشرق شرق.. والغرب غرب.. ولن يلتقيا

الإسلام سبب الحواجز بين الشرق والغرب

سمث: إن الاسلام كان عاملاً أساسياً وسبباً مهما من أسباب وجود الهوة التي تفصل بين الغرب والعرب[٢].

مؤتمــــرات:

١- مؤتمر برنستون سنة ١٩٤٧ (الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته).

٢- مؤتمر برنستون سنة ١٩٥٣ (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة).

٣- الإسلام في العصر الحديث سنة ١٩٥٧ ولفرد كانتول سمث .

طاف المؤلف تسع سنوات في العالم الإسلامي على حساب مؤسسة روكفلر، ويقع كتابه في ٣٠٨ صفحات، سبعة فصول الأ والثاني تاريخ المجتمعات الإسلامية.

١) الفصل الأول: الإسلام والتاريخ.

٢) الفصل الثاني: الإسلام في التاريخ الحديث، ثلاث حركات الأفغاني وولي الله الدهلوي ومحمد بن عبد الوهاب، ثم يتكلم ء السنوسية والمهدية وحركة الخلافة في الهند.

ثم الاتجاهات الفكرية التحررية Liberalism القومية Nationalism التبريرية Apologetic الحماسي Dogmatism.

٣) الفصل الثالث: العرب ٤) تركيا ٥) باكستان . ٦) الهند ٧) مجموعة بلدان أفغانستان ايران اندونيسيا والأقليات

مخاطر التطوير

بين المقلدين (المستغربين) والمتحمسين (القادمين)

توينبي ٤٨ (رغم أن حركة المقلدين هي ردة فعل أقوى بما لا يقاس من حركة المتحمسين في مواجهة المسألة الغربية العني التي تواجه العالم المعاصر كله اليوم إلا أنها – حركة المقلدين- لا تقدم في الواقع أي حل للمشكلة.

إنها أولاً لعبة خطرة : لأن تغيير المثل والقيم يشبه تغيير جياد العربة وفي في وسط تيار النهر، والراكب الذي يفشل ف الاحتفاظ بمقعده على سرج الجواد ... يجرفه التيار إلى الموت المؤكد، تماماً كالموت الذي ينتظر المتحمس عندما يقف بحربته ودر أمام الأسلحة الآلية.

فاجتياز المرحلة مهلك وكثير هم الذين يتساقطون على الطريق)[٣].

---

(١) العنوان لخثير من تبلنا ، جملة من أقوال الغرب والمستغربين.

(٢) الإسلام في التاريخ الحديث/ الفصل الثالث.

ملاحظات (٣) الشروط على اتاتورك/ انظر العلمانية ص ٥٧٠ وانظر المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ص ١٧٤.

الاتجاهات الوطنية ٢/٢١٨ ميكالي/العلمانية ٥٩٢/ التربية الإسلامية الحرة/ الندوي ٣٢ مدرس اللغة العربية جـ١ الانجليزي ١٢ جـ هل نحن مسلمون ١٤٢- ١٤٣

أحمد لطفي السيد وصهره اسماعيل مظهر وقاسم أمين / العلمانية ٥٩٩ حسين مؤنس (فكان اثني عشر قرناً من تاريخ هذا البلد ضاعت سدى) .العلمانية ٥٩٩ . لطفي السيد/ استقال . الوزارة-كان وزيراً للمعارف) احتجاجاً على فصل طه حسين من الجامعة/ لطفي السيد ٢٧٨.

فائدة التطوير (القنطرة)

إن من الواجب سد هذه الثغرات ببناء قنطرة فوق مثل هذه الهوة، وخلق الأسباب الموصلة للتفاهم والتواصل[1].

فوائد التطوير والتحديث (غزو العالم الإسلامي).

جسب Whither Islam (لعل الآراء الجديدة وحاجات الحياة الجديدة ستنجح آخر الأمر في تشتيت المجتمع الإسلامي وتحطيم وحدته)[2].

مصطفى صبري[3] : (أما النهضة الاصلاحية المنسوبة إلى الشيخ محمد عبده فخلاصتها أنه زعزع الازهر عن جموده على الدين فقرب كثيراً من الأزهريين إلى اللادينيين خطوات ولم يقرب اللادينيين إلى الدين خطوة واحدة).

مصطفى صبري ص ١٤٤ عن الافغاني وعبده (إنما اقتصر سعيهما على مساعدة الإلحاد المقنع بالنهوض والتجديد)[4].

إلبرت حوراني [٥]

إن الذي يقرأ لمحمد عبده يحس أنه كان يريد أن يقيم سداً في وجه العلمانية، ولكن الذي حدث هو أن هذا السد قد أصبح قنطرة للعلمانية دخلت عليه إلى العالم الإسلامي.

يقول لويد عن كلية فيكتوريا سنة ١٩٣٦: (ومتى تسنى للجمهور أن يعرف هذه الكلية يتنبه الآباء أن تعليم أولادهم فيها ينمي فيهم من الشعور الانجليزي ما يكون كافياً لجعلهم صلة للتفاهم بين الشرقي والغربي)[6].

ويقول ميكالي:(يجب أن ننشئ جماعة تكون ترجماناً بيننا وبين الملايين من رعيتنا، وستكون هذه الجماعة هندية اللون والدم انجليزية الذوق والرأي واللغة والتفكير)[7] .

جاء في **الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته/** برنستون سنة ١٩٤٧ ص ٢١٥ البهائية (يقول كويلرينغ عن البهائية: وبهذا خاب الأمل الذي علقه الكثيرون على هذه الحركة من أنها ستكون قنطرة بين ثقافتي الغرب والشرق) [8] .

الحكـــم

أتاتورك: (نحن لا نريد شرعاً فيه قال وقالوا، ولكن شرعاً فيه قلنا ونقول).

(عليّ أن أنفذ ما أريد، وعليكم أن تدرجوا ما أعمل في الكتب)[9].

محمد عبده- الفتوى الترنسفالية/ مجلس شورى القوانين.

علي عبد الرازق: تبرير ما فعله أتاتورك خففت وطأة الصدمة كما قال سير توماس أرنولد/ [10]

جب (وقد يكون الاسلام الدين الرسمي للدولة، ولكنه سلب الحقوق التشريعية ونزل إلى مكانة الديانة المسيحية في أوربا)[11].

---

(١) محمد حسين ١٠٩ .

(٢) الإسلام لمحمد حسين ١١١ الاتجاهات الوطنية ٢/ ٢٠١.

(٣) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وسيد المرسلين صـ ٢٤٣–٢٤٨/نقلاً عن الإسلام والحضارة الغربية ص ١٠٦

(٤) محمد حسين ١٠٧.

(٥) Arabic thought on theliberel age ص ١٤٤ محمد حسين ٨٣.

(٦) حسين ص ٤٦.

(٧)العلمانية ٥٩٣ عن كتاب نحو التربية الإسلامية للندوي ٣٢ الحلول المستوردة ٢٨.

(٨) محمد حسين ١٢١.

(٩)العلمانية ٥٧٢ (٣) العلمانية ٥٨٢.

(١٠) العلمانية ٥٨٢ .

(١١) وجهة الاسلام ٥١ / علمانية ٥٨٧.

الثقـــــافة

جومار: أستاذ فرنسي يشرف على الطلبة المبتعثين زمن محمد علي.

ـ سنة ١٨٧٢: قانون إسماعيل (القانون الخاص بتنظيم الأزهر وإصلاحه).

ـ **زمن اسماعيل الخديوي-** ظهر محمد عثمان جلال خليفة الطهطاوي.

ـ **في القاهرة: ٢٠٧** مطابع لطباعة كل ترجمات القصص الغربية.

الدعوة إلى الذوبان في الغرب:

طه حسين، لطفي السيد، اسماعيل مظهر، قاسم أمين.

طه حسين: (التزمنا أمام أوربا أن نذهب مذهبها في الحكم، ونسير سيرتها في الإدارة، ونسلك طريقها في التشريع، التزمنا هذا كله أمام أوربا) [1].

(علينا أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب)[2].

الأزهر ومحاربته / مدرسة القضاء الشرعي

لاحظ كرومر أن الأزهر مركز للدعاية المعادية لبريطانيا، وسيظل كذلك مادام متمسكا بأساليبه القديمة، ولذلك عمل كرومر مدرسة القضاء الشرعي، وحصل على برنامج كلية سراجيفو وأعطاها محمد عبده وجاء سعد زغلول سنة ١٩٠٦ ونفذها[3].

اللغة العامية والأحرف اللاتينية

١-عبد العزيزفهمي -اللاتينية.

٢-توفيق الحكيم- سكن تسلم.

الجامعات

١٩٠٦ أنشاء جامعة علمانية على غرار الجامعات الفرنسية تناهض الأزهر (الذي يهدد الكنسية بالخطر).

ظهور التأثر[4]

١-**الداروئية:** شبلي شميل وسلامة موسى وإسماعيل مظهر والزهاوي والرصافي.

٢-**فلسفة كونت:** محمد عبده.

٣-**الإلحاد:** اسماعيل أدهم (المجمع الشرقي لنشر الالحاد).

٤-**الوجودية:** أنيس منصور.

٥-**العلمانية:** نجيب محفوظ.

٦-**اللامعقول والعبث:** بدر شاكر السياب، أدونيس (علي أحمد سعيد).

فوائد المؤتمرات الغربية / وصول الثقافة الغربية إلى الشرق

فائدتها زيادة العناية بتحسين الوسائل التي تساعد التفكير الغربي على النفوذ إلى أعماق ثقافة الشرق الأدنى)[5].

---

(١)الاتجاهات الوطنية ٢/٢. (٢) الاتجاهات الوطنية ٢٢٩/٢. (٣)محمد حسين ١١٠.

(٤) العلمانية ٦١٨. (٥) الشرق الأدنى ص ٩ محمد حسين ص ١١٥.

المـــــــرأة

ثورة سنة ١٩١٩ أحرقت هدى شعراوي الحجاب مع زميلاتها في الشام (نظيرة زين الدين ألفت (السفور والحجاب).

- **صفية زغلول:** أول زوجة زعيم تظهر سافرة/ [١].

سعد زغلول- شارك سيتي قاسم أمين في أفكاره التي ضمنها كتابه (المرأة الجديدة)[٢] .

منيرة ثابت (الفتاة الثائرة) (أول صحفية مصرية).

الصحافة النسائية: (فتاة الشرق)

مجلات/ الهلال، المقتطف والعصور.

التعليم المختلط: (شيطان وشيطانه) شيطان (طه حسين) وشيطانه (سهير القلماوي) الرافعي.

في تركيا: (سنة ١٩٢٩ صدر قرار حرم تعدد الزوجات، وقضى على الحجاب والـ ـية ونظرة الطلاق جان بول رو.

يقول رو: (والمرأة التركية عصرية، فهي ترتدي أثواب السهرة العارية الكتفين والظهر، كما لا تحجم عن ارتداء المايو)[٣] .

عقيلة أحمد حسين سفير مصر في أمريكا/

(كلامها عن الحجاب والنقاب وتعدد الزوجات مثل كلام قاسم أمين)[٤] .

قال أحمد شوقي في الهرم:

هو من بناء الظلم إلا أنه	*وجه الظلم منه ويشرق*

وقال في توت عنخ آمون:

وطوى القرون القهقرى حتى أتى	*فرعون بين طعامه وشرابـــــه*

وفي أبي الهول.

تحير في البدن ماذا تكـــــــون	*وضلت بوادي الظنون الفكـر*[٥]

الآثار

الدكتور كون (منذ حوالي قرن مضى أدت عمليات التنقيب الناجحة التي قام بها بوتا ولايارد في العراق وماريت في مصر وشليمان في تركيا إلى تأسيس معاهد للاشراف على التنقيب وإلى إنشاء متاحف وطنيه)[٦].

كون: (يجب أن تلحق دائرة الآثار بوزارة المعارف لا بالسياحة) [٧].

روكفلر: تبرع بعشرة ملايين دولاراً لإنشاء متحف للآثار الفرعونية ومعهد لتخريج رجال الآثار[٨].

سنة ١٩٥٦ أصدر بورقيبة قرارات بشأن المرأة.

مدح التراث الإسلامي دعاية لإيجاد التفاهم

يقول كالفرلي: (إن الكتب التي تمدح التراث الإسلامي -ويعني به كتاب أربري الذي كتب كتاباً يمدح فيه الآداب الشرقية- هي في واقع الأمر نوع من الدعاية التي يقصد بها خلق جو من التفاهم بين المسلمين والأوروبيين)[٩] .

---

(١) العلمانية ٥٦٣. (٢) سعد زغلول ٢٠٣ (٣)الاسلام في الغرب ١٨٦ العلمانية ٦٤١-٦٤٢. (٤) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة محمد حسين ١٥٠.
(٥) (كتاب العقاد/ مجموعة أعلام الشعر ص ٢٠٨. (٦) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ص ٦٨٩ محمد حسين ١٥٠. الثقافة الإسلامية ص ٢٢٤.
(٧) الثقافة الإسلامية ٣٣٩ حسين ١٥٢. (٨) الثقافة الإسلامية ١٤٣ حسين ١٥٦. (٩) الشرق الأدنى ص ١٨١-محمد حسين ١١٧

السادات ٢١ أكتوبر سنة ١٩٧٠

١٩٧١ ١٥ مايو القضاء على مراكز القوى.

١٩٧٢ طرد السوفيات ١٧ ألف خبير.

١٩٧٢ إغلاق المعتقلات.

١٩٧٣ حرب أكتوبر.

١٩٧٤ بدء الانفتاح الاقتصادي.

١٩٧٥ عودة الملاحة لقناة السويس.

١٩٧٦ الأحزاب.

١٩٧٧ رحلة القدس (١٩ نوفمبر سنة ١٩٧٧).

١٩٧٨ كامب ديفيد.

١٩٧٩ معاهدة السلام.

١٩٨٠ عودة العريش.

١٩٨١ القضاء على الحركات الإسلامية.

اليونانية والمسيحية والفلسفة الإسلامية

أسس الإصلاح الإسلامي الحديثة / تركيا

حبيب تورانى : (إن الفلسفة اليونانية القديمة (أ) والفلسفة المسيحية(ب) والفلسفة الاسلامية المتأخرة (جـ) التي تأثرت بها عناصر مهمة في التفاعل المنشود الذي يسميه الإصلاح الاسلامي) [1].

سمث: إن وزارة التعليم التركية تعتبر الدراسات الانسانية أساساً لحضارة، فقامت بترجمة الكتب اليونانية واللاتينية، وهو جزء من تعميم تركيا على أن تصبح جزءاً من أوربا[2].

عبد الحق أديوار: (وفي تركيا انفجرت ثورة تركيا الفتاة سنة ١٩٠٨، وكانت ثورة سياسية بحتة، ثم سمحت بدراسة الأديان المقارنة والفلسفة في إستانبول، فأصبح في الإمكان دراسة المسائل الدينية دراسة نقدية، وترجموا كتب بوخذ وهيجل وفولتير وروسو)[3].

التعليم

لويس توماس:[4] (إن مصطفى كمال فشل في ريف الاناضول، وقد مكن التعليم لهذا التحول الجديد. لقد أمر حسن علي يوسيل وزير المعارف التركي سنة ١٩٤٦ بترجمة مائة كتاب من اليونانية، ٢٢ من اللاتينية، ١٨ من الفارسية، ١٢ من العربية، و ٦٢٩ كتاباً كلاسيكياً منقولاً عن اللغات الأروبية الحديثة[5].

يقول لويد المندوب السامي البريطاني عن كلية فكتوريا سنة ١٩٣٦: (يجب أن يتنبه الآباء أن تعليم أولادهم في هذه الكلية ينمي فيهم من الشعور الانجليزي ما يكون كافياً لجعلهم صلة للتفاهم بين الشرقي والغربي).

ضيا كوك ألب

(إن على تركيا أن تتخذ مدنية الغرب وأن تحتفظ بثقافتها القومية) [6].

يقول هارولدسمث وهو يكتب عن نظرية (ضيا كوك ألب) في فصل الدين عن الدولة : (إن ألب هو واضع الأسس النظرية للدولة

(١) محمد حسين ١١٨. (٢) الاسلام في التاريخ الحديث ص٣٠٢ محمد حسين ١١٣ (٣) الشرق الادنى ١٩٩/ محمد حسين ١٢٤.

(٤) الشرق الادنى ٢٧٢/ محمد حسين ١٢٧. (٥) اسلام سميث ص ٣٠٣ حسين ١٧٧ (٦) وجهة الإسلام / جب ص ٢٥٨ محمد حسين ١١٩.

التركية الحديثة) [١].

يقول إلبرت حوراني: (قد نادى بفكرة مجتمع قومي علماني فريق من الكتاب المسيحيين السوريين).

ويقول شبلي شميل (ليس الحكم الديني والحكم الاستبدادي فاسدين فحسب، بل هما غير طبيعين وغير صحيحين)[٢]..

الحرية

تقوم الحكومات العلمانية (المدنية) بتوفير الحرية الفكرية للناس إذا استعملوها ضد الدين.

كويلر يتغ (إن إيران تمنح الفرد حرية العقيدة وتترك له حق تغيير دينه أو مذهبه الطائفي وتحميه بالقانون)[٣].

الانقلابات العسكرية العلمانية

قسطنطين زريق: (يجب أن تكون الحكومات في البلاد العربية مدنية بكل معاني الكلمة، فليس في المجتمعات الحديثة مكان للخلاف والفرقة التي تقوم على أسس دينية أو مذهبية)[٤].

ويقول: (إن العرب لابد لهم في عهدهم الجديد من قيادة قديرة وتقدمية، وإن عليهم أن ينبذوا من تقاليدهم العناصر، وعندئذ فقط تستطيع الطائفة المستنيرة أن تواصل كفاحها ضد العناصر الرجعية بالتعاون مع الغرب)[٥] . جب: (أن نجاح التطور يتوقف إلى حد بعيد على القادة والزعماء في العالم الاسلامي وعلى الشباب منهم خاصة)[٦] .

التحرريون والمناصب العليا[٧]

(إن التحرريين كثيرون و يشغلون مناصب كبيرة في قيادة المجتمع في كل نواحي الحياة تقريباً، فهم ينتشرون في معاهد التعليم، ويصدرون عدداً كبيراً من الكتب، ويسيطرون على أكثر الصحف، وينتشرون على أكثر (الصحف)، ومنهم أحمد خان، وأمير علي، وشبلي وأبو الكلام أزاد، وعبده، وطه حسين، ونامق كمال وتوفيق فكرت).

فشل الليبرالية والأنظمة الغربية

يقول برنارد لويس: (إن أخذ أي نظام سياسي جاهز ليس فقط من بلد مختلف بل من حضارة مختلفة وفرضه بواسطة الغربيين أو الحكام المتغربين في الشرق عمل خاطىء، فلقد فرضت الديمقراطية بأوامر وفرمانات الحاكم المطلق... فكانت النتيجة قيام نظام لا صلة له بماضي أو بحاضر البلد، ولا صلة له بحاجات مستقبله)[٨].

الدين العالمي

كالفرلي: (وحينما يصبح الجميع أحراراً في تفكيرهم لهم من الشجاعة ما يجعلهم يتقبلون ما هو خير وعدل وجميل، عندئذ يكون من المحتمل أن يسود العالم دين واحد، وإني ساكون سعيداً باتباع دين عالمي موحد)[٩] .

ملاحظة: الخير والعدل والجمال أساس القيم الليبرالية اللادينية والعلمانية، وهي أساس المبادئ الكمالية: الحق والعدل والجمال[١٠] .

---

(١) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ص٧٣ محمد حسين ١٤٧.
(٢) محمد حسين ١٢٦.
(٣) العلمانية ٥٥٨، القومية العربية في ضوء الإسلام ص ٨٠
(٤) الشرق الادنى ٣٣٢/ محمد حسين ١٣٦.
(٥) الشرق الادنى ٣٢٥.
(٦) الشرق الادنى ٥٢ ٣/حسين ١٣١. بجهة الاسلام كذلك.
(٧) اسلام سمث ٦١ حسين١ ٧٨
(٨) فرضاوي /حلول ١٣٩ .
(٩) الشرق ١٣١/ حسين ١٣٣.
(١٠) الشرق/٢٠٤

آصف علي فيضي الإسماعيلي

(فالتيار المعاصر من الفكر الأروبي والتقدم العظيم الذي حققه المفكرون البروتستنتيون منذ أيام لوثر، والمدرسيون منذ أيام توماس اكويناس وسوارز (وماريتان) وبردايف، وتأملات المفكرين اليهود وغيرهم في العالم الحديث يجب أن تستخدم في بصير لتقوي و تجدد المبادئ اللاهوتية الإسلامية)[1].

سمث: (إن دراسة الدين المقارن تساعد على تقريب ما بين الأديان من فوارق، وتعين على إنشاء علاقات دولية تقوم على التفاهم)[2].

أخذ الحضارة ككل[3]

(إن الفشل في تطبيق الحضارة الغربية يرجع إلى تطبيق جزء منها، فالنظام الغربي كل لا يتجزأ، ولابد لكي يؤتي ثماره أن يطبق تطبيقاً كاملاً).

(علينا أن نسير سيرة الأروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب)[4].

توينبي : (كان السبب في فشل تركيا أن السلطان سليم الثالث ومحمود الثاني لم يكونوا يحملون إخلاصاً للحضارة الغربية وكانت نيتهم الأخذ بالحد الأدنى من جرعة الثقافة الغربية اللازم لابقاء الرجل المريض على قيد الحياة

إن كل حضارة وكل نمط حياة هو وحدة متكاملة غير قابلة للتجزئة، وكل أجزائها مترابطة الواحدة بالأخرى).

(إن كل مجتمع يحاول أن يكتسب الفن الغربي دون أن يحاول أن يعيش الحياة الغربية نفسها معرض للفشل في محاولته)[5].

صك الانتداب / فلسطين

(يجب أن تضع الدولة المنتدبة وتنفذ في السنة الأولى من تاريخ تنفيذ هذا الانتداب قانوناً خاصاً بالآثار والعاديات)[6].

الإسلام الكلاسيكي والإسلام الحديث

قال فضل الرحمن الهندي : إن الإسلام الذي أنزل على محمد ﷺ هو الإسلام الكلاسيكي، والحديث هو المتأثر بالمذاهب الغربية ومن أقسام الإسلام الحديث إسلام الهند الذي أسسه أحمد خان مؤسس الكلية المحمدية الانجليزية الشرقية (لنشر الإسلام الحديث المتأثر بالمذاهب الغربية)[7].

ويقول فضل الرحمن الهندي: (كل تغيير كبير في رأي الإنسان عن العالم يستلزم ترجمة جديدة وإعادة تقرير للحقائق الأساسية للعقيدة)[8].

العلمانية

صبحي المحمصاني المحامي اللبناني [9] (يجب تجنب المزج بين الدين ومعايش الدنيا، فالمسلمون اليوم أمام تيار جارف، فعليهم السير في قطار الحياة العصرية .... وهذا يزودهم بالطاقة اللازمة لهدم أكواخ التقليد الأعمى، وتحطيم القيود التي وضعها الجهلة في وجه الاتحاد والأخوة الانسانية) ، (ولاشك أن هذا القول قد لايروق لبعض الجهلة المحافظين الذين يزعمون العلم بالإسلام والشريعة).

(إن انشاء وزارة الشؤون الدينية في إندونيسيا إنما جاء توسطا بين النظرية العلمانية المسيحية التي تفصل الدولة عن الكنيسة والنظرية الإسلامية التي توحد بينهما) فهي تعين المساجد والكنائس بالتساوي[10]

(١) الثقافة الإسلامية ص ٤١١ محمد حسين ١٥٥.

(٢) الإسلام في التاريخ الحديث ص ٦. ٧ /المقدمة/ محمد حسين ١٦٥

(٣) الشرق الأدنى/ حسين ١٣٣ . طه حسين/ الفقرة (٩) مستقبل الثقافة/ حسين ١٣٤.

(٤) الاتجاهات الوطنية ٢/٢٢٩ - بيروت.

(٥) الإسلام والغرب والمستقبل ص ٢٢-٢٤ .

(٦) المادة ٢١ صك انتداب/ فلسطين .

(٧) الثقافة الإسلامية ص ٢٩٥، ص١٨١ محمد حسين ص ١٥٣.

(٨) الثقافة ص ٩١ محمد حسين ١٥٤.

(٩) الثقافة الإسلامية ص ١٦١-١٨٠/ محمد حسين ١٥٥.

(١٠) محمد كفراوي أندونيسي . الثقافة الإسلامية ص ٣٧٩ / محمد حسين ١٥٦.

سمث: إن العلمانية تشق طريقها في العالم الإسلامي في تقدم مستمر، وإن من الممكن تطبيقها بقوة السلاح أو بالضغط السياسي، ولكن من المهم أن تستند في تقدمها إلى سماح الدين بها وإباحته لها وإلا انعدم السلام والانسجام في كل من الفرد والجماعة ... وإن التحررية والانسانية إذا قدر لهما أي رواج في العالم الإسلامي فسوف يكونان في صورة تحرر إسلامي وإنسانية إسلامية[1].

تركيا/ الإصلاح الإسلامي الكمالي

سمث [2] : ١-إن تمجيد المسلمين للقرون الأربعة الأولى وهم.

٢- إن تسمية الإصلاح الكمالي فسق وانحراف وهم.

(إن تمجيد المسلمين للفترة الأولى من الإسلام تحت حكم الخلفاء الراشدين وهم يقوم على تصور رومانتيكي يجسم فيه الخيال مثله العلوية السماوية)[3].

ويقول: العالم الإسلامي يسير على أثر الخط الكمالي، فإن لم يسر فإن الاختلاف بين المسلمين سيكون جلياً واضحاً [4].

سمحت تركيا سنة ١٩٤٦ بادخال التعليم الديني في المدارس، و سنة ١٩٤٧ سمحت بالحج بعد أن ظل ممنوعاً سنوات طويلة، وسمحت بانشاء مدارس للوعاظ والائمة سنة ١٩٤٨، و سنة ١٩٥٠ سمحت بزيارة القبور[5].

حب استمرار الكمالية

قال سمث (وإذا قدر للأشكال القديمة أن تنتصر فذلك يعني أن الثورة قد فشلت في آخر الأمر)، ثم يقول بصراحة: إن من الواضح أننا لا نتمنى هذا المصير، ولا نعتقد أن التجربة التركية سوف تسحق وتباد[6].

توينبي يصف الكمالية ٤٩-٥٠ (لقد هزت الثورة جميع المستويات في وقت واحد فهزت بذلك جميع مناحي حياة الشعب التركي هزة شملت ذروة وأقصى أطراف التجربة الاجتماعية وسائر حقول النشاط الأخرى.

ولم يكتف الاتراك بتغيير دستورهم، بل قامت الجمهورية التركية الوليدة بخلع المدافع عن الدين الإسلامي، وألغت منصبه، وجردت رجال الدين المسلمين، وحلت منظماتهم، وأزالت الحجاب عن رأس المرأة، واستنكرت كل ما يرمز إليه الحجاب، وأجبرت الرجال على ارتداء القبعات التي تمنع لابسيها من أداء شعائر الصلاة الإسلامية التقليدية بخاصة في السجود، وكنست الشريعة الإسلامية بأكملها، وتبنت القانون السويسري، وطبقت قانون الجرائم الإيطالي، وغيرت الأحرف العربية بأحرف لاتينية، وهذا أمر لم يتم إلا بطرح القسم الأكبر من التراث الأدبي العثماني القديم).

وها هم حاولوا ولو متأخرين إقامة صورة طبق الأصل لدولة غربية وشعب غربي.

فقد استطعنا أخيراً أن نحطم سلاح التركي النفسي-الاستعلاء على الغرب-، وحرضناه على القيام بهذه الثورة (المقلدة) التي استهلكها الآن أمام أعيننا.

الهوة بين العرب والترك

يقول سمث ١٩٤ حسين ١٧٦ : (إن الذي يعنينا الآن هو الهوة العميقة التي تفصل الترك في المجال الديني عن العرب).

استمرار تطور الدين

في تركيا كيماويات ومحاميات وطبيبات، ففي أنقرة حوالي ٢٠ محامية، إن التقدم قد مضى إلى مدى لا يترك معه فرصة لعودة

---

(١) إسلام في العصر الحديث ٣٠١ حسين ١٧٣ (٢) الإسلام في التاريخ الحديث ١٦٣-١٦٦/ حسين ١٦٨. (٣) الاسلام ٢٤٦ حسين ١٦٩

(٤) اسلام ١٦٣ حسين ١٦٢ (٥) الإسلام/سمث ١٨٠ /حسين ١٧٥ (٦) الإسلام سمث/١٨٩ حسين ١٧٥

الأفكار القديمة، إن الدين أخذ بالتطور والتدرج، ونحن نأمل مخلصين أن يظل التطور والتدرج مستمراً في طريقه[1].

كره الأتراك

(كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر..)

توينبي ٥٢: يرى المؤرخ أن التركي كان يستعلي على الأوربي (فاستطعنا أخيراً أن نحطم سلاحه النفسي، وحرضناه على القيام بهذه الثورة التي استهلكها الآن أمام أعيننا، وبعد أن تغير التركي بتحريضنا ورقابتنا... الآن نحن نحس بالضيق والحرج، ونميل إلى الشعور بالسخط والحنق).

باكستان

يتساءل سمث عن إمكانية ظهور أتاتورك جديد في باكستان ثم يقول (إن باكستان لا تنجح كدولة علمانية إلا إذا اقتنع الناس بأن الدولة الإسلامية هي في حقيقتها دولة علمانية).

ويشير سمث إلى كتاب علي عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) وأنه متوفرٌ في باكستان بالأردية والانجليزية).

وهنالك تشابه بين كوك ألب وعلي عبد الرازق، ويلتقي هذا بالتصور المسيحي، فالدولة المسيحية خاصة البروتستانت دولة علمانية[2]

ملاحظة: الإسلام وأصول الحكم: صدر سنة ١٩٢٥ ليبرر لكمال إلغاء الخلافة.

سبب فشل الحكم

إن أسباب فشل باكستان في تحقيق وجود دولة إسلامية أن القيادة منذ مولد هذه الدولة كانت مركزة في يد طائفة من أثرياء المسلمين المتفرنجين ظهرت منذ قرن... وكانوا غير مؤهلين للقيام على مهمة إعداد الدولة لكي تكون دولة اسلامية [3].

(إن شؤون الدولة السياسية والاقتصادية والإدارية لم تكن تؤدي إلى تحوير النظرية السياسية فحسب، ولكنها كانت تصرف القادة عن الأهداف الدينية) [4].

أنواع الإسلام

يكرر سمث في كتابه: الإسلام الهندي، الإسلام الباكستاني، التركي، وينقل عن الكماليين (نريد أن نبني إسلاما تركيا يصبح ملكا لنا وجزءاً من مجتمعنا الجديد على نحو الكنيسة الإنجليكانية التي هي مسيحية على النمط الإنجليزي)[5].

التصوف

التصوف أصلاً هو الزهد، فهو منهج في السلوك وليس نظرية في المعرفة، ثم اعتراه الفساد عندما أصبح نظرية في المعرفة فاختلط فيه الحق بالباطل، والأصيل بالدخيل، والصحيح بالظنون والأوهام.

سمث يشجع التصوف في صفحات كثيرة من كتابه ص ٣٤-٣٧.

فشل الحضارة الغربية

صبحي الطويل ص٩ :

جب: (إن بذور الانهيار تكمن في النجاح الذي لاقاه المتغربون)[6].

---

(١) الإسلام لسمث ٣٥٢، ٣٥٣ حسين ١٦٦.
(٢) سمث ٢٢٢- حسين ١٧٩/ سمث ٢٢٠ حسين ١٧٩.
(٣) سمث ٢٢٠ - حسين ١٧٦.
(٤) اسلام سمث ١٩٣ حسين ١٧٠.
(٥) انظر ص ٣٦ رأي لويس.
(٦) توينبي ترجمة نبيل صبحي.

القومية التركية

توينبي محاضرتاه ص ٢٢ (إن الضباط في تركيا الحميدية الطبقة الوحيدة التي أستطاعت أن تفتح نافذة فكرية دائمة تنفذ عن طريقها التأثيرات الغربية، لذلك في عام سنة ١٩٠٨ وبعد ثلاثين عاما من حكم استبدادي مظلم كان الجيل التركي الجديد من العسكريين هو رأس الحرية لهجوم التيبرالية الغربية على تركيا، وكانت ضرورة تغريب الجيش التركي والتي أقرها رجعي متطرف مثل السلطان عبد الحميد أمراً عرفه قبل مائة عام من حكم عبد الحميد سلفه الليبرالي المتحرر السيء الحظ السلطان سليم الثالث).

الإسلام والغرب والمستقبل [1]

١-تحطيم كبرياء الأتراك ص٥٢ : (وبما أن التركي القديم كان يعتبر نفسه من طينة خاصة حاولنا أن نحط من كبريائه، واستطعنا أخيراً أن نحطم سلاحه النفسي، وحرضناه على القيام بهذه الثورة (المقلدة) التي استهلكها الآن أمام أعيننا، والآن وبعد أن تغير التركي بتحريضنا ورقابتنا أصبحنا نحس بالضيق والحرج، ونميل إلى الشعور بالسخط والحنق).

٢-الحركة الكمالية:

أ-مقلدة متبعة وليست مبتدعة مخترعة.

ب-تمثل أقلية.

٣-الفرق بين أساليب الغرب وعبيده ص ٥٦

[2] ويمكن أن نلاحظ في سياق بحثنا هذا أن أي اصطدام وقع ويقع بين (المتحمسين) وأبناء جلدتهم من (المقلدين) المسلمين يلقى (المتحمسون) فيه عناءً شديداً ، ويعاملهم (المقلدون) معاملة قاسية لا يتجاسر الغربيون على القيام بها، فالغربيون يعذبون (المتحمسين) بالسياط! امّا (المقلدون) المسلمون! فيعذبونهم بالعقارب!!

فالأسلوب المرعب الذي اتبعه الملك أمان الله في إخماد ثورة (الباتان) سنة ١٩٢٤، والأسلوب الذي اتبعه مصطفى كمال أتاتورك في قمع الثورة الكردية سنة ١٩٢٥ يظهران بوضوح الفارق في العنف والشدة بين أساليب هذين(المقلدين) المسلمين!! وبين الأساليب الأكثر إنسانية!! التي اتبعها الانتداب البريطاني في نفس الوقت لإخضاع المعارضين الأكراد في شمال العراق، وإخضاع (الباتان) الثائرين في شمال غربي المقاطعات الهندية التي كانت تحكمها بريطانيا.

٤-مدح البهائية والقاديانية ص٦٠

والواقع أن تاثير الغرب بدأ يحرك كوامن الإسلام، ويمكننا أن نميز في هذه الأيام المبكرة بعض الحركات الفكرية التي يمكن أن تصبح أجنة لديانات سامية جديدة!!!

ويذكر المراقب الغربي المعاصر حركتي (البهائية) و(الأحمدية) اللتين ظهرتا أولاً في عكا(فلسطين) ولاهور (يوم كانت جزءاً من الهند)، إذ بدأتا ترسلان المبشرين بهما إلى أوربا و أمريكا.

٥-العنصرية من آثار الاستعمار الغربي ص٦٣.

قد يحكم البعض على (النصر) الذي أحرزته الشعوب الناطقة بالانكليزية أنه (نعمة للبشرية)! من بعض الوجوه...ولكن إذا نظرنا للحالة الخطيرة الحاضرة من الشعور بالعنصرية لا يمكن لأحد أن ينكر أن ذلك (النصر) لم يكن....إلا....نكبة«....

٦-العنصرية ص ٦٤

ومن هذه الوجهة فرض «انتصار» الشعوب الناطقة بالانجليزية على البشرية كلها المشكلة العنصرية .

---

(١) لتوينبي ترجمة نبيل صبحي. (٢) هذا الموضوع بخط الناسخ.

ولو كان الفرنسيون، مثلاً، هم المنتصرين، وليس الانكليز، في صراع القرن التاسع عشر، واستولوا على الهند وأميركا الشمالية لما ظهرت تقريباً المشكلة العنصرية.... أو على الأقل، لما اتخذت هذا الطابع الحاد، ولا شملت هذه المساحات الواسعة من العالم.

٧-العزلة ص٦٥

و«الحكام الإداريون» الانكلوساكسون الآن هم معزولون فكرياً عن أبناء البلاد الأصليين بسبب «الحاجز اللوني» الذي أثار «تمييزهم العنصري».

وتحويل نفوس السكان الأصليين نحو الخير أمر أرفع من أن تبلغه إمكانات هؤلاء «الحكام الاداريين الغربيين»، وفي هذه المنطقة بالذات يمكن للإسلام أن يلعب دوره في هذا الموضوع.

وفي المناطق الاستوائية المفتوحة حديثا أو جدت الحضارة الغربية ملاءة اقتصادية وسياسية في نفس الوقت الذي أحدثت هي نفسها فيه فراغاً اجتماعياً وروحياً.

٨-التحطيم النفسي ص٦٦

ولقد أحس مؤخراً بعض المتحررين!! من الإداريين الغربيين بالمدى البعيد للتحطيم النفساني الذي نتج عن دخول الغرب لتلك المناطق...

٩-لا فراغ في الحياة ص٦٦

إلا أن الفراغ الروحي في نفوس الوطنيين لا يزال في وهدة عميقة، والقول أن «الطبيعة تكره الفراغ» قول حق على الصعيدين المادي والروحي، والحضارة الغربية التي فشلت في ملء الفراغ الروحي وضعت تحت تصرف أية قوة روحية أخرى تروّد الميدان شبكة لا مثيل لها من وسائل المواصلات المادية.

١٠-حدود العالم الإسلامي ص٦٩

من مراكش إلى الفلبين ومن نهر (الفولغا) في أوربا إلى نهر (الزنبيزي) في جنوب أفريقيا.

١١- الخلافة ص٧٢

وهذه النظرة في التنبؤات الحاضرة لمستقبل «الوحدة الإسلامية» Pan Islamism جاءت نتيجة للفشل في محاولة إحياء الخلافة الإسلامية: ففي الربع الأخير من القرن التاسع عشر اكتشف السلطان العثماني عبد الحميد لقب «الخليفة» في مستودع «المهملات» في قصر «سيراغليو»، وبدأ يلعب به كوسيلة لتجميع القائلين بالوحدة الإسلامية حول حكمه.

١٢-خطر الإسلام ص٧٣

صحيح أن الوحدة الإسلامية نائمة.... ولكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ إذا ثارت البروليتاريا العالمية للعالم المتغرب ضد السيطرة الغربية، ونادت بزعامة معادية للغرب ، فقد يكون لهذا النداء نتائج نفسانية لا حصر لها في إيقاظ الروح النضالية للإسلام، حتى ولو أنها نامت نومة أهل الكهف، إذا يمكن لهذا النداء أن يوقظ أصداء التاريخ البطولي للإسلام.

وهناك مناسبتان تاريخيتان كان الإسلام فيهما رمز سمو المجتمع الشرقي في انتصاره على الدخيل الغربي.

ففي عهد الخلفاء الراشدين، بعد الرسول، حرر الإسلام سورية ومصر من السيطرة الرومانية التي أثقلت كلاهما مدة ألف عام تقريباً.

وفي عهد «نورالدين»، «وصلاح الدين» والمماليك احتفظ الإسلام بقلعته أمام هجمات الصليبيين والمغول.

فإذا سبب الوضع الدولي الآن حرباً عنصرية....يمكن للإسلام أن يتحرك ليلعب دوره التاريخي مرة أخرى..... وأرجو أن لا يتحقق

ذلك.

ويقول توينبي أيضاً (عن دوافع الغرب) التي حركتهم لتحريض مصطفى كمال للقيام بالثورة:

مَن المؤكد أننا لم نكن نحب التركي التقليدي المسلم (المتحمس) الذي كان يثير حنقنا عندما ينظر إلينا من علٍ على أننا فريسيِّين زناديق! ويحمد -أي التركي- الله على أنه لم يجعله مثلنا، وبما أن التركي التقليدي القديم كان يعتبر نفسه من طينة خاصة، حاولنا أن نحط من كبريائه بتصوير هذه -الطينة الخاصة- شيئا ممقوتاً، وسميناه (التركي النكرة) ... إلى أن أستطعنا أخيراً أن نحطم سلاحه النفسي، وحرضناه على القيام بهذه الثورة (المقلدة) التي استهلكها الآن أمام أعيننا.

والآن وبعد أن تغير التركي بتحريضنا ورقابتنا... ، وبعد أن أصبح يفتش عن كل وسيلة تجعل نفسه مماثلا لنا وللشعوب الغربية من حوله، الآن نُحسُّ نحن بالضيق والحرج، بل ونميل إلى الشعور بالسخط والحنق، تماما كما شعر صموئيل عندما اعترف بنو إسرائيل بفظاظة غايتهم ورغبوا في وجود ملك.

لذلك فإن شكوانا الجديدة من الأتراك في هذا الظرف أمر أقل ما يقال عنه إنه غير لائق، وبإمكان التركي أن يجيبنا: أنه مهما فعل فهو مخطئ في نظرنا، وهو -أي التركي- قادر على ترديد مقطع من كتابنا المقدس على مسامعنا، يقول:

«لقد نفخنا معكم في القُرْب فلم ترقصوا، وحزنّا معكم فلم تبكوا !!»[1].

الأفغاني ومحمد عبده

يقول جمال الدين (إن الأمة هي مصدر القوة والحكم، وإرادة الشعب هي القانون المتبع، والقانون الذي يجب على كل حاكم أن يكون خادماً له وأمينا)[2].

ويقول جمال الدين (وهكذا دعوى الاشتراكية وإن قل نصراؤها اليوم فلا بد أن تسود العالم يوم يعم فيه العلم الصحيح، ويعرف الانسان أنه وأخاه من طين واحد) (أما الاشتراكية، في الإسلام فهي ملتحمة مع الدين الإسلامي، ملتصقة في خلق أهله منذ كانوا أهل بداوة وجاهلية، وأول من عمل بالاشتراكية بعد التدين بالإسلام هم أكابر الخلفاء من الصحابة، وأعظم المحرضين على العمل بالإشتراكية هم أكابر الصحابة)[3] .

(١) الإسلام ... والغرب .. والمستقبل توينبي ٥١-٥٦.   (٢) العلمانية/ سفر الحوالي ص ٥٢٥. نقلا عن كتاب/ الاتجاهات الفكرية على المحافظة صـ٢-١.   (٣) العلمانية ٥٢٦.

حاضر
العالم الإسلامى

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

تجار الحروب

إن جميع الثورات والانقلابات والحروب التي وقعت منذ بدء عصر التسامح مع اليهود (وهي القرون ١٨، ١٩، ٢٠) تكاد تكون من صنع اليهود بالوسائل:

١- المال.

٢- الألقاب العلمية.

٣- التضليل الديني.

آل روتشيلد

جدهم (ماير روتشيلد) ولد في فرانكفورت بالمانيا سنة ١٧٤٣-١٨١٢ افتتح محلاً بالاشتراك مع جاكوب شيف، وطد روتشيلد علاقته مع ملك المانيا واستثمر أمواله، وعندما دخل نابليون المانيا سنة ١٨٠٦ ساعده روتشيلد.

أنجب خمسة أولاد وخمس بنات توزعوا على فرانكفورت ، المانيا / فينا ، النمسا / لندن ، بريطانيا نابولي ، ايطاليا / باريس.

حرصت عائلة روتشيلد على التزاوج الداخلي، فكان يتزوج العم ابنة أخيه والخال ابنة أخته.

اسهم آل روتشيلد في إثارة الحروب والفتن التي دبرتها الماسونية اليهودية.

أ - الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩

كان المحفل الماسوني الأكبر في باريس مركزاً لتجمع قادة الثورة .

جاء في دائرة المعارف الماسونية / حنا أبو راشد (قال لامرتين : إن إعتقادي ثابت بأن الماسونية أخرجت الأفكار العالية التي تأسست عليها الثورات الكبرى سنة ١٧٨٩، ١٨٣٠ ، ١٨٤٨)

الثورة لم يقم بها فرنسيون بل قام بها أجانب يتسترون وراءها .

نيكر كان وزير مالية للويس السادس عشر فاغرق فرنسا بالديون (١٧٠)مليون استرليني، حاولت ماري انطوانيت زوجة لويس أن تقف حجر عثرة أمام اليهود فخططوا لتجويع الشعب. وفي سنة ١٧٨٩ أكره الدانتون اليهود ملك فرنسا على إصدار قانون يسهل سرقة العرش. وقامت مظاهرات يقودها (شولد ديروا دي لاكوس ، مانيول ، ديفد الرسام) من اليهود ، واعدم الملك وزوجته ، وهدمت الأديرة ونهبت أموالها، (مليار فرانك) ووزعت على اليهود.

وجدت وثيقة بين كتب (ميرابو) تبين دستور الثورة الفرنسية.

(يجب أن نسحق كل النظم ، وأن نلغي القوانين ، وأن نمحو كل السلطات ، وأن نترك الناس فوضى ، ...ولما كان الشعب آلة يحركها المشرعون حسب إرادتهم فمن الضروري أن نستخدمه لتأييدنا.

رجال الدين يجب أن يسخر منهم ... القذف والقتل والكفر كلها مباحة أثناء الثورة ... يجب أن نبث فكرة مساواة لا يمكن تحقيقها ولكن تكون ملفاً للشعب ... ماذا يهم القرابين وعددها ... ماذا يهم التخريب والاحراق والنهب والسفك، يجب أن لا نقدس شيئا ، وأن نتبع أية وسيلة مادامت تفضي إلى الغاية)[1].

---

(١) تاريخ الجمعيات السرية لعنان ١٤٤ الأفعى اليهودية ١٦.

تحولت فرنسا بعد الثورة إلى:

١- مزرعة يهودية.

٢- ما خور للدعارة.

ب- أثر اليهود في حروب نابليون

في ١٧٩٩/٢/١٧ قدم توماس كوربت الضابط الفرنسي تقريراً إلى حكومة نابليون يعرض الاستفادة من اليهود في حروب الشرق مقابل أن يمنحهم نابليون منطقة محاذية لقناة السويس تمهيداً لاقامة دولة في فلسطين.

وفي ٢٠ أبريل ١٧٩٩ وجه نابليون النداء التالي إلى اليهود:

(إن العناية الإلهية التي أرسلتني على رأس هذا الجيش إلى هنا قد جعلت رائدي العدل وكلفتني بالظفر، وجعلت من القدس مقري العام وهي التي ستجعله بعد قليل في دمشق التي لا يضيرها جوار بلد داود ، يا ورثة فلسطين الشرعيين إن فرنسا تناديكم الآن للعمل على إعادة احتلال وطنكم ... إن هذه اللحظة لن تعوض قبل الآف السنين)[١].

ومع ذلك فقد ادعى نابليون الإسلام فقال لأهل مصر:

(أيها المشايخ والقضاة والأئمة وأعيان البلد قولوا لامتكم أن الفرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون)[٢].

في حرب نابليون مع بريطانيا كان اليهود يقدمون القروض للفريقين. وعلم روتشيلد في لندن من أخيه في فرنسا رجحان كفة الانجليز فذهب إلى البورصة متجهم الوجه فظن الانجليز خسارة المعركة فطرحوا الأسهم بأسعار زهيدة ، وفي اليوم الثاني ارتفعت فربح عشرة ملايين دولار في يوم واحد)[٣].

كانت بريطانيا تضطر إلى شراء الذهب من آل روتشيلد لتشتري بالذهب التموين منهم أيضاً.

بعد هزيمة نابليون في واترلو عقدت معاهدة باريس سنة ١٨١٥م وفرضت الدول على فرنسا دفع غرامة سبعمائة مليون فرانك ، فلجأ لويس الثامن عشر إلى روتشيلد فاشترط أن يحصل يهودي على منصب رفيع في القصر الملكي.

واكتشف نابليون مكر اليهود فقال:

(لقد عزمت على تحسين أحوال اليهود غير أني لا أريد زيادة منهم في مملكتي ، لقد عملت بالفعل كل ما يثبت ازدرائي لا حقر شعب على وجه الأرض) وقال:

إن الدنيا تساس من قبل جمعيات سرية فلا يجوز أن نكتم هذه الحقيقة ونغش أنفسنا).

وقال لودندورف (إن الماسونية هي التي قضت على نابليون).

ج- أثر اليهود في أغلب ثورات القرن التاسع عشر

كان اليهود وراء الانقلابين اللذين وقعا في فرنسا سنة ١٨٣٠، ١٨٤٨م وكانوا وراء اغتيال غستاف الثالث ملك أسوج ، وابن الملك شارل العاشر والملكه الياصابات في النمسا ، وهمبرت الأول في إيطاليا ، واسكندر الثالث في روسيا ، وشارل الثاني في البرتغال.

هذا بالإضافة إلى الذين سعوا في قتلهم فأحبط عملهم.

أسهموا في:

حرب السبعة أسابيع سنة ١٨٦٤ بين بروسيا والنمسا.

حرب السبعين بين فرنسا وبروسيا.

(١، ٢) الافعى اليهودية ص٢٤.　　(٣) الأفعى ص٥٢.

العصيان الذين أعلنه الشيوعيون سنة ١٨٧١ في باريس.

الحركات (العهلستية / روسيا) (الشعلة / بافاريا) (الكربوناري/ إيطاليا) الفوضوية وكانت التهليسيتية نواة للثورة الشيوعية سنة ١٩١٧ .

حرب البوير بين الانجليز والبوير في الترنسفال سنة ١٨٩٩-١٩٠٢ من أجل الذهب.

د- أثرهم في الحربين العالميتين

في سنة ١٨٧٤ وصل دزرائيلي اليهودي إلى منصب رئاسة الحكومة البريطانية وعن طريق سيطرة اليهود على بريطانيا (السلطة ومال آل روتشيلد) تسببوا في الحربين العالميتين.

الحرب الأولى سنة ١٩١٤-١٩١٨ أوهم اليهود بريطانيا أنهم سيكسبون مستعمرات ألمانيا غنيمة لها.

يقول هرتسل (الدولة اليهودية): «نحن اليهود حينما نغرق نتحول إلى عناصر ثورية مخربة، وحينما ننهض ، تنهض معنا قوتنا الرهيبة لجمع مال العالم في بنك اليهود).

ويقول ماركوس راباج الروماني (نحن اليهود نقف من وراء جميع حروبكم وأن الحرب الأولى قامت لتحقيق سيطرتنا على العالم).

وقال أوسكارليفي (العناصر اليهودية أساس الرأسمالية والشيوعية) وقال هنري فورد (إن الطرف الذي استفاد من الحروب دائماً هم اليهود العالميون).

وزج اليهود بأمريكا في الحرب مقابل وعد بلفور لليهود. وذلك بتأثير مستشاري الرئيس الأمريكي (ولسن) وهم من اليهود إذ كان باروخ مستشاراً للشئون الإقتصادية ومورجانتو للمالية وماندل للسياسية وليمان للقانون الدولي.

وحاول اليهود ألا تقف الحرب ، فشركة مورجان أقنعت الجنرالات الفرنسيين بعدم توقيع الهدنة. وذلك لأن أصحاب الملايين في سنتي الحرب سنة ١٩١٧-١٩١٨ أصبح (٢١ ألفاً) معظمهم يهود.

ونجح اليهود دون خروج تركيا من الحرب قبل هزيمتها الساحقة. وذلك أن دور مورجانتو (سفير أمريكا في تركيا) نجح في اقناع ولسن بضرورة اخراج تركيا من الحرب وعقد صلح منفرد مع بريطانيا وحلفائها. ووافق ولسن وأوفد مورجانتو مع الأموال لاتمام المشروع. وعندها اليهود جن جنونهم وأوفدوا وايزمن الذي اقنع مور جانتو وعدل عن المشروع.

قدمت أمريكا منذ دخولها الحرب (٧ نيسان سنة ١٩١٧ -١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ ٩.٥ مليار دولار معونة للحلفاء

٢٢,٦٢٥ مليار دولار صرفت على قواتها.

تكاليف الحرب ٢٠٨ مليار دولار.

خسائر الحرب ١٥١ مليار دولار.

الخسائر البشرية في الحرب الأولى

٩/٩٩٨/٧٧١ عدد القتلى.

٦/٢٩٥/٥١٢ عدد الجرحى ذوي الاصابات الخطيرة.

١٤/٠٠٢/٠٣٩ عدد الجرحى ذوي الاصابات العادية.

٥/٩٨٣/٦٠٠ أسرى الحرب والمفقودون.

١٠/٠٠٠/٠٠٠ عدد ضحايا الحمى الوافدة الأسبانية.

٤٦/٢٧٩/٩٢٢ المجموع.

الحرب العالمية الثانية

أعلن اليهود الحرب على هتلر منذ أول يوم إستلم فيه سنة ١٩٣٣، وحاربوه اقتصادياً. وأعلنوا صراحة أن الحرب الثانية لابد أن تعلن دفاعاً عن أسس يهودية وأخيراً نجحوا في دفع بريطانيا وفرنسا لاعلان الحرب على المانيا بحجة الدفاع عن بولنده التي دفعتها اليهودية العالمية للاشتباك مع ألمانيا بسبب ممر (دانزج).

واستطاع اليهود أن يدخلوا في الحكم (ونستون تشرشل) عميلهم الاكبر رئيساً للوزراء في بريطانيا بعد أن أجبروا (تشمبرلن) رئيس الوزراء السابق أن يدخل الحرب سنة ١٩٣٩ ثم أجبروه على الاستقالة ليضمنوا تشرشل وكان لليهود في الوزراء البريطانين عدد كبير من اليهود وأنصاف اليهود أمثال جون سيمون / ماليه وهوربليشا (حورب اليشع) للحربية ، ومساعده يهودي والتربية والخارجية والاشغال.

وفي أمريكا أجبر اليهود روزفلت على الدخول في الحرب . وهذا يهودي وحوله زمرة من الوزراء والمستشارين اليهود على رأسهم (برنارد باروخ) ملك أمريكا غير المتوج.

يقول تشمبرلن (رئيس وزراء بريطانيا) (إن أمريكا واليهودية العالمية قد أيدتهما[1] بريطانيا على الدخول في الحرب ضد المانيا).

خسائر أمريكا في الحرب الثانية

٢٥٠ مليار دولار تكاليف الحرب.

١٠٤ مليار دولار مساعدات للحلفاء ومعدات.

٢٥٦/٣٣٠ شخصاً من الضحايا من الشعب الأمريكي نفسه.

الخسائر البشرية في الحرب العالمية الثانية

٣٢ مليوناً قتلوا في ساحات الحرب.

٢٠ مليوناً قتلوا نتيجة الغارات الجوية على المدنيين.

٢٦ مليوناً قتلوا في معسكرات الاعتقال.

٣٠ مليوناً فقدوا عضوا أو أكثر وعطلوا عن العمل.

١٥ مليوناً من الأطفال فقدوا آباءهم وأهليهم.

أما فرنسا فقد تم تهويدها تماماً بعد الثورة الفرنسية حتى كان من السهل أن يكون رئيس الجمهورية مثل (ليون بلوم) ورئيس الوزراء مثل (منديس فرانس) من اليهود وفي فرنسا كان لليهود ٧٢ اتحاداً احتكارياً في الصناعة والتجارة وكل المنتجات الضرورية والكمالية.

اليهود والثورة الشيوعية

إن المساعدات المالية إلى حركة النهليست الفوضوية التي كانت تقدم من المليونير الأمريكي جاكوب شيف مدير شركة كوهن لوب في نيويورك من سنة ١٩٠٥ – ١٩١٧ كانت السبب في نجاحهم في القيام بالأدوار التمهيدية للشيوعية الدولية.

وأسهم أثرياء اليهود في تقديم الملايين للثوار البولشفيك بواسطة القائد اليهودي تروتسكي ، أما لينين فهو في نظر البعض يهودي خالص وفي نظر آخرين نصف يهودي، أما ستالين فكان متزوجاً من يهودية.

---

(١) هذه الجملة غير واضحة في الأصل.

يقول ارنولد لون في كتابه Rerol against reason :

(إن عصرنا هو عصر عقدة الشهادات. فالماجستير والدكتوراة أصبحت غاية في حد ذاتها لشبابنا ، ولكن ينسى هذه الحقيقة وهي : أن الماجستير والدكتوراة ما هي إلا حروف الأبجدية الأولى لبداية المعرفة ، والمعرفة لا يمكن تخزينها في زجاجة الماجستير والدكتوراة ، إن هذه النظرة مزيفة ، جامعاتنا هي فقط مؤسسات علمية لاعداد الطلبة ليتعرفوا على كيفية التحصيل العلمي)[1] .

المكتب السياسي الأول للثورة الشيوعية

لينين : نصف يهودي

ستالين : متزوج يهودية

تروتسكي : يهودي

كامينف : يهودي

سوكولنكوف : يهودي

زينونيف : يهودي

بينوف : روسي

بعد سنة واحدة من قيام الثورة الشيوعية (تسلط اليهود).

الجهة	الموظفون	اليهود منهم
أول حكومة بعد الثورة	٢٢ وزيراً	١٧
إدارة الحرب	٤٣	٣٤
لجنة الشؤون الداخلية	٦٤	٤٥
لجنة الشؤون الخارجية	١٧	١٣
لجنة الشؤون القضائية	١٩	١٨
لجنة الشؤون الصحية	٥	٤
لجنة التوجيه العام	٥٣	٤٤
لجنة الصليب الأحمر الروسي	٨	٨
لجنة ادارة الأقاليم	٢٣	٢١
لجنة شوون الصحافة	٤٢	٤١
مجلس الإقتصاد الأعلى	٥٦	٤٥
مكتب العمال والجنود في موسكو	٢٣	١٩
اللجنة المركزية للمؤتمر السوفياتي الرابع	٣٤	٣٣
اللجنة المركزية للمؤتمر السوفياتي الخامس	٦٢	٣٤
اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي	١٢	٩
لجنة البناء والاعمار	٣	٢
لجنة التحقيق عن الموظفين	٧	٥
لجنة التحقيق عن ذبح القيصر وأسرته	١٠	٧

(١) اجنحة المكر لحبنكة ٨٦. أجنحة المكر لحبنكة ٨٦

المجموع[1]: ٥٣٢ ٤٢٥

زوجة ستالين: روزا كاجا نوفتش/يهودية

الثلاثي الذي يسيطر على روسيا زمن ستالين (ستالين ، مولوتموف ، لازار كاجانوفتش (شقيق زوجة ستالين).

أصدرت اللجنة المركزية للاتحاد اليهودي في بتـــــروغراد:

سري . إلى رؤساء مقاطعات الاتحاد اليهودي الدولي:

أيها اليهود لقد قربت ساعة انتصارنا التام ، ونحن الآن في عشية يوم تسلمنا قيادة العالم ... لقد استولينا على الحكم في روسيا لقد كان الروس سادتنا فاصبحوا عبيدنا.

صحيفة فرنسا القديمة عدد ١٦٩ سنة ١٩٢٠.

يقول وايزمان (التجربة والخطأ)

(وفي سويسرا عرفت لينين وتروتسكي وبليخاتوف – وكانوا يهوداً)

وفي مجلة الفطرة المسلمة – الولايات المتحدة ١ نيسان سنة ١٩٦٢ (ولد لينين ١٠ نيسان ١٨٧٠ من أب يهودي الماني يدعى ايلكو سرول نجولدمان وأم يهودية المانية تسمى صوفيا جولدمان)

وفي كتاب (حكومة العالم السرية) سنة ١٩٣٦ : كان عدد اللجنة المركزية في زمن ستالين ٥٩ منهم ٥٦ من اليهود).

جاء في دائرة معارف الماسون (حنا أبو راشد) صـ ٢١٠ (إن لينين (ينقولا أوليانوف) يهودي غذت مؤلفاته زعماء الحركة الشيوعية .. فالماسونية مهدت له الزعامة)

وحين أرسلت الحكومة الألمانية لينين للقيام بالثورة كان معه (٢٢٤) ثائراً منهم (١٧٠) يهودياً جميعهم من مجرمي نيويورك وألمانيا.

سرت روح التلمود في عروق البلشفيك.

٣/٤ قيادات الحزب سحقت ، ٢/٣رجال السفارات والقناصل من الروس أبيدوا .

الجنرالات الثمانية الذي كانوا قضاة في المحاكم العسكرية لم يبق منهم إلا واحد والبقية طهروا.

مجلس الشعب سنة ١٩٣٦ عددهم (٢١) شخصاً لم يبقى منهم بعد سنين سوى خمسة والبقية ذبحوا.

أعضاء اللجنة المركزية للحزب سنة ١٩٣٤ (كانوا ٧١) لم يبق منهم سنة ١٩٣٨ سوى ٢١ والباقون ثلاثة ماتوا طبيعيا ، واحد ذبح ، ٣٦ اختنقوا في سيبريا، مارشال انتحر ، (٩) أذيع أنهم ماتوا رمياً بالرصاص.

جاء في بيان الشرق الأعظم سنة ١٩٠٤ ص ٢٣٧.

(الماركسية واللاكرمية هما وليدتا الماسونية لأن مؤسسيها ماركس وانجلز هما من ماسون الدرجة ٣١ ومن أعضاء المحفل الإنجليزي ، وأنهما كانا من الذين أداروا الماسونية السرية وبفضلها اصدرا البيان الشيوعي).

(الماسونية التي هيأت الجو للثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ عليها أن تهيئ للثورة الماركسية وعلى الماسونيين أن يعملوا بالاشتراك مع العمال لأنهم القوة التدميرية.

امتدت الثورات الشيوعية اليهودية إلى أوربا هنغاريا: قامت ثورة شيوعية على يد اليهودي بيلاكوهين.

رومانيا قامت ثورة شيوعية على يد اليهودي أنابوكر بولونيا وشيكوسلوفاكيا! سلانسكي.

في التوراة:

لوط ضاجع ابنتيه.

---

(١) انظر الأفعى اليهودية ٤٤–٤٥.

راوبين بن يعقوب اعتدى على زوجة أبيه.

داوود أعتدى على زوجة أحد ضباطه.

زنا أمنون بن داوود بأخته تامار.

صور الدعارة في نشيد الأنشاد عبارة عن جنس فاضح.

الأفعى اليهودية في بلاد

المسلمين تحت الحكم الشيوعي

١٠٠ مليون تحت الشيوعية أهمها تركستان غربية وشرقية وسيبريا وأورال وقفقاسيا القرم ، البوسنة ، والهرسك في يوغسلافيا ، البانيا.

مساحتها ١٥ مليون ميل مربع (أكثر من مساحة أفريقيه).

حاكم موسكو مسلم تابع للأمبراطور بركة الله خان.

الحروب مع القياصرة والشيوعية : (١٥٥٢-١٩٤٦)

تركستان الغربية: احتلها الروس سنة ١٨٨٥ وضموها إليهم وثار المسلمون ٣٦ مرة في مدة ٣٧ عاماً.

ساعدت تركستان الثورة الشيوعية اذ وجه لينين وستالين نداءً في ١٩١٧/١٢/١٥ في نيسان سنة ١٩١٨ أمر لينين بالزحف على بلاد الإسلامية . بقيت الحرب في تركستان ذبح ٦ ملايين مسلم . قامت حرب العصابات من سنة ١٩١٨-١٩٢٩ .

تركستان الشرقية : وقعت تحت حكم الصين . جاء في تقرير قائد الجيش سنة ١٧٥٥ ، سنة ١٧٦٠ عدد المسلمين القتلى : (مليون ومائتا ألف).

سنة ١٩٣٤ احتلتها الصين بمساعدة الجيش الأحمر الروسي وقتل (ربع مليون) من المفكرين.

الثورة الصينية قتلت سنة ١٩٥٢ (١٢٢) ألفاً.

القفقاس (بلاد الشاشان والشركس)

سنة ١٨٦٤ احتلها الروس (وأجلوا مليون مسلم إلى سيبريا) وفي سنة ١٨٧٧ نقل الروس (١٥) ألف أسرة إلى سيبيريا.

ستالين كان يكره الشاشان لأن ستالين يثار لشعبه (جورجيا) رحل (٨٠٠ ألف من الشاشان + ٣٠٠ ألف من شعب كاره شاي ٢٥٠٠ ألفاً من شعب كالموك .

استشهد منهم في الثورات ١/٤ مليون (ربع مليون) ، أما ١/٢ مليون (نصف مليون) فنفاه إلى سيبيريا.

القرم: سكانها: ٧٥٠ ألف نسمة.

البعث واليهود

١- إيليا كوهين

٢- أحمد رياح/ يهودي مغربي أمين فرع الحزب في دمشق واختفى بعد سنة ٦٧

٣- خالد الجندي : أصبح رئيس اتحاد نقابات العمال في سوريا وطالب الحكومة بأن تسمح له أن يأتيها برؤوس العلماء في دمشق وحمص وحماة.

٤- ماخوس / وزير الخارجية براود سامي الجندي/ سفير باريس بعد سنة ٦٧ . أن يلتقي بـ (أبا إيبان).

٥- مندوب سوريا في الأمم المتحدة يعلن سقوط القنيطرة ومندوب إسرائيل يكذب.

٦- صلاح البيطار يخاطب بريطانيا في القبس ٢٤/٣/٧٥ (أين أنتم؟ ماذا جرى لدولتكم وحكوماتكم؟ لماذا غيابكم هذا وانسحابكم المضرد من ساحة السياسة الدولية وتركِكم هذه الساحة للدولتين العملاقتين.

هدف الغرب

١- اخراج الناس من الإسلام.

٢- التنصير

٣- الخطة الثالثة: الابعاد باسم التغريب أو التغيير الإجتماعي.

(موروبيرجير: إن النخبة العسكرية في الشرق الأدنى في مصر والسودان والعراق وتركيا وإيران وباكستان كانت عوامل هامة في جلب التغيير ... وقد أصبح العرب متغربين دون أن يتكلفوا الذهاب إلى أوربا).

(فبينما يترك الحكام الغربيون منطقة الشرق الأدنى تتحول المنطقة فتصبح أكثر غربية ويواجه الزعماء العرب طريقين فهم يطردون الغرب سياسياً ويسحبون الكتل الشعبية إلى الغرب ثقافياً).

يقول كرومر (وهذا التغيير يأخذ طريقه بتقدم ونجاح حسب خطة مرسومة وضعت خطوطها بعد دراسة الموقف ..تقوم على التطور والتدرج).

ويقول بيرجر ص ٣١٣ (ولم يكن الضباط المصريون على ثبات أيدلوجي بل كانوا جماعة علمانية في البناء السياسي والإجتماعي للحياة المصرية.

الغزو الفكري

(تركيا الفتاة/ رامزر)

جورج انطونيوس (يقظة العرب)

١- القومية : قام بها النصارى.

أ- جمعية الآداب والفنون سنة ١٨٤٧ .إبراهيم اليازجي وبطرس البستاني.

ب- ثم تحولت إلى : الجمعية العلمية السورية سنة ١٨٦٨.

تنبهوا واستفيقوا أيها العــــــرب ... فقد طما الخطب حتى غاصت الركب

أقداركم في عيون الترك نــــازلــة ... وحقكـم بين أيـــدي الترك مغتصب

يقول إدوارد عطية (كان المسيحيون السوريون يكرهون السيادة التركية ويتطلعون نحو التحرر).

كتاب ساطع الحصري (العروبة أولاً)

يقول عمر فاخوري (كيف ينهض العرب) لا ينهض العرب إلا إذا أصبحت العربية أو المبدأ العربي ديانة لهم يغارون عليها كما يغار المسلم على قرآن النبي الكريم والغرض من هذا الكتاب تشكيل ديانة جديدة هي الجنسية أو العنصرية العربية.

يقول إقبال (لا تقس أمم الغرب على أمتك ، فإن أمة الرسول الهاشمي ﷺ فريدة في تركيبها ، أولئك إنما يعتقدون باجتماعهم على الوطن والنسل ولكن إنما يستحكم اجتماعك أيها المسلم بقوة الدين).

من الهنود : يفخرون بالهندية ويرون الانقطاع عن زمزم إلى نهر (جنجا) ويتغنون بأبطال الهندوس (بهيم ، أرجن ، رام ها).

مساوئ القومية:

١- التفريق بين المسلمين.

٢- أيدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم.

٣- موالاة كفار العرب.

٤- رفض حكم القرآن.

القومية العربية

بدأها نابليون في مصر بعد أن عانى من العرب التي ترفع شعار (الله أكبر والعزة للمسلمين).

وبدأ ينشر أن الدولة العثمانية، دولة استعمارية متأخرة.

والقوميات وافدة من الخارج.

يقول فيليب حتي:- (كان من نتيجة الاحتكاك بين العقلية السورية والنتاج الفكري الغربي أن تولدت مبادئ القومية العربية الشاملة ، واستمدت وحيها بالأكثر من النظريات السياسية الأمريكية، بخلاف القومية التركية التي جاءت متأخرة عن العربية والتي استمدت الهامها من الثورة الفرنسية)[١].

ويقول حتي: (لقد كان ظهور مبادئ القومية العربية في العقد السابع من القرن التاسع عشر على يد رجال الفكر السوريين وغالبهم من اللبنانيين المسيحيين الذين تثقفوا في المدارس الأمريكية في بلادهم) ومما لا ريب فيه أن القومية بضاعة غربية استوردها العالم بما فيه الشرق العربي من أوربا)[٢].

سنة ١٩٠٤ ألف نجيب عازوري جمعية (عصبة الوطن العربي) في باريس وأصدر كتاب (يقظة الأمة العربية).

في سنة ١٩٠٧ أصدر جريدة (الاستقلال العربي) يقول ساطع الحصري: (إن القومية ابتدأت بنجيب عازوري الذي يضع آماله العربية السورية في فرنسا أولاً وفي انجلترا ثانياً.

أما مؤتمر باريس سنة ١٩١٣ الذي اتفق المؤرخون - أكثرهم - على إعتباره أساس القومية الحديثة فيقول عنه أنيس الصايغ أنه كان خاليا من المطالبة بالاستقلال حتى لا تحرج بعض الدول الأوربية التي كانت تشجع الحركة العربية وتمدها بالأموال، وقد صرح الزهراوي (رئيس المؤتمر) لمراسل (الطان) الفرنسية بأنه ليس للمؤتمر علاقة بولايات العرب غير العثمانيين - أي الشمال لأفريقي وأشاد بالمدنية الأوربية ، وشكر وزارة الخارجية الفرنسية ورفض المؤتمر اشتراك مصر في المؤتمر المذكور[١]

محمود تيمور[٣] .(وان كُتّاب العرب في أعناقهم أمانة هي أن يكونوا حواريين لتلك النبوة الصادقة -القومية يزكونها بكلامهم)[٤].

جاء في مقدمة ط ٢ لكتاب قضية العرب (علي ناصر الدين) هامش ص ٣٨:

(العروبة نفسها دين عندنا نحن القوميين العرب ، المؤمنين العريقين من مسلمين ومسيحيين)

(لئن كان لكل عصر نبوته المقدسة ، إن القومية العربية لهي نبوة هذا العصر).

(الوحدة العربية يجب أن تنزل من قلوب العرب أينما كانوا منزل وحدة الله من قلوب قوم مؤمنين)[٥].

قال إبراهيم خلاص في مجلة جيش الشعب السورية ٢٥/٤/٦٧.

(والطريق الوحيد لتشييد حضارة العرب وبناء المجتمع العربي هي خلق الانسان الاشتراكي العربي الجديد الذي يؤمن أن الله والأديان والاقطاع و رأس المال والاستعمار والمتخمين وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمى محنطة في متاحف التاريخ).

عندما دخلوا حماة سنة ١٩٦٤ قال البعث:

---

١) الغزو الفكري/ علي عبد الحكيم ١٨٢.

(٢) مقدمة كتاب التنوير العرب في دار اسلام. القرضاوي / الحلول المستوردة ١٧٠

٣) سينة العالم العربي عدد ١٧٦ بعنوان النثر والقومية العربية

(٤)حزب البعث ص ٣٠٦ / الحلول المستوردة للقرضاوي.

(٥) جاء في مجلة العربي عدد ٢ ص ٩ يناير ٥٩

هات سلاح خذ سلاح   دين محمد ولى وراح[1].

جاء في النذير عدد ١٧ بتاريخ ١١ رجب ١٤٠٠هـ ١٩٨٠/٥/١٥ كتب عناصر الوحدات والسرايا والحزبيون ما يلي :

يسقط الله ، الأسد ربنا لا إله إلا الوطن ، ولا رسول إلا البعث.

(لقد وضع العرب منذ الحرب العالمية الأولى القومية في المكان الأول حين قاتلوا من أجل التحرر من الأتراك المسلمين إلى جانب الانجليز الكفار ، وباستثناء البقية الهزيلة من الإخوان المسلمين فليس هناك في العالم العربي اليوم أناس ذوو تفكير سياسي يضعون مجتمع الدول الإسلامية فوق قوميتهم العربية).

٢- الغزو الفكري الإستشراقي

بعد الاصلاح الديني في أوربا شعرت أوربا بمراجعة شروح كتبهم فاتجهوا إلى الدراسات الشرقية.

أهدافهم:

١-تفتيت المسلمين.

٢-التمهيد لاستعمار العالم الإسلامي.

٣-استغلال الثروات.

الجمعيات : فرنسا سنة ١٧٨٧ جمعية المستشرقين وأخرى سنة ١٨٢٠ وأنشئوا (المجلة الاسيوية).

بريطانيا سنة ١٨٢٣ (جمعية الدراسات الشرقية.

أمريكا سنة ١٨٤٢ (الجمعية الشرقية الأمريكية). وأخطر مجلاتهم مجلة العالم الإسلامي أنشأها زويمر سنة ١٩١١ حتى الآن.

أخطر أعمالهم (دائرة المعارف الإسلامية)

٣- التبشير

فرنسا: تطارد اليسوعيين في فرنسا وترعاهم في أفريقا.

أمريكا : تعيد الحرير والذهب وتغطي نصف الأرض بالمبشرين.

روسيا : مجمع مسكوني في موسكو شرفه ستالين.

مؤتمراتهم :

١- مؤتمر المبشرين في القاهرة سنة ١٩٠٦.

٢-مؤتمر ادنبره سنة ١٩١٠.

٣-مؤتمر لكهنو (الهند) سنة ١٩١١.

٤-القدس سنة ١٩٢٨.

٤- التعليم[2]

يقول جب: (هذا هو السبيل الوحيد لفرنجة البلاد الإسلامية وتغريبها).

لقد كان التركيز قوياً لانشاء الطبقة التي تأخذ (نهائياً بوجهة نظر لا سلطان للدين عليها) كما يقول جب (وحينئذٍ يمكن الجلاء عن أرضها وتسليمها زمام السلطة فيها لأنها إمتداد لفكر المحتل).

---

(١) الايكونومست/حزيران سنة ١٩٦٢ (الاسلام ضد القومية).   (٢) الاتجاهات الفكرية في الأدب المعاصر ٢/ ٢١٨.

يقول موروبيرجير[1]: (إن المرأة المسلمة المتعلمة هي أبعد أفراد المجتمع عن تعاليم الدين وأقدر أفراد المجتمع على جر المجتمع كله بعيداً عن الدين).

٥- الصحافة واتجاهها اللاديني

يقول جب: (إن المدارس والمعاهد لا تكفي فليست إلا الخطوة الأولى ويجب صرف الاهتمام إلى خلق رأي عام بالاعتماد على لصحافة، فهي أقوى الأدوات الأوروبية وأعظمها نفوذاً في العالم الإسلامي ، ومديرو الصحف اليومية معظمهم من التقدميين .. ؛الصحف تتميز بنزعة علمانية غالية كما يرى).

كما يلاحظ جب أن التعليم عن طريق المدارس العصرية والصحافة قد ترك في المسلمين من غير وعي منهم أثراً جعلهم يبدون ي مظهرهم العام لادينيين إلى حد بعيد.

٦- إلغاء المعاهد الدينية

يقول جب (إن العالم الإسلامي سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينياً في كل مظاهر حياته. ولكنه يضيق ذرعاً بالمعاهد الدينية).

ويقول جب عن الحركات الإسلامية : أنها تتطور عادة بسرعة مذهلة مدهشة فهي تنفجر إنفجاراً مفاجئاً قبل أن يتبين المراقبون ن اماراتها مايدعوهم إلى الاسترابة في أمرها فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا الزعامة وظهور صلاح الدين).

لبربرية عنصر مهم أحيته فرنسا[2]:

يقول ماسينيون (أما الحل الثاني فهو بعث أمة مغربية تقوم على فكرة جنس أصلي هو الجنس البربري، ولا يؤيد هذا الحل الآن : شرذمة قليلون من المسلمين متفرقون بين البربر. إن البربر يكونون ٣٩٪ من ليبيا ٥٪ من الجزائر ١,٥٪ تونس أما في مراكش يكونون ٦٠٪ ولما كان البربر تعوزهم لغة بربرية ثابتة فإنهم لم يشعروا بمثل أعلى يجمعهم[3].

إن الإدارة الفرنسية حاولت أن تشد أزر الروح الجنسية بين بربر مراكش باستصدار الظهير البربري السلطاني ١٦ مايو سنة ١٩٣الذي قضى بتنفيذ الأحكام العرفية البربرية، وقانون الأحوال الشخصية بدل الشريعة الإسلامية).

- أثار سلامة موسى شبح القبطية في مصر.
- وأثار سعيد عقل ويوسف السودا وفيكتور خلاط شبح الفنيقية وأن لبنان لا ينتمي إلى العرب بل هو جزء من حضارة لتوسط.
- الفرعونية في مصر خاصة بعد اكتشاف توت عنخ آمون وبعد أن حل شامبليون بعد حملة نابليون حجر روزيتار اثباتاً للعهد لقديم.
- في اندونيسيا : اكتشاف الحضارة الجاوية - الهندوكية.

يقول كانتول سمث (وتاريخ الشرق الأدنى الحديث يدل أن القومية المجردة ليست القاعدة الملائمة للنهوض بالواجب الشاق ، .لم يكن المثل الأعلى إسلامياً على وجه من الوجوه لن تثمر الجهود البتة[4].

(أول حركة ذات صبغة قومية عربية قامت في العالم العربي ضد الحكم التركي اتخذت من العروبة أساساً وهدفا ، وكانت معية سرية يتزعمها مجموعة من الشباب المسيحي في بيروت وتهدف إلى التفرقة بين العرب والأتراك[5].

: (العالم العربي اليوم) صحيفة المجتمع ١٣٢. (٢) من كتاب الحركة الفكرية ضد الإسلام للدكتور بركات دويدار ص ١٨٠ فما بعدها.

العلمانية (لادينية) Secularism (unreligious) (٤) كتاب المجتمع العربي (مجموعة أساتذة/كلية الآداب/ بيروت. (٥) الشعوبية ص ١٩٥ ....

اليهودية العالمية

سنة ١٩٢٧م في عهد موسوليني اكتشفت ايطاليا ٣٦ ألف جمعية ماسونية ينتسب إليها ٤٫٥ مليون شخص منهم ٣ ملايين في أمريكا.

الحكومة اليهودية المستورة

يديرها (٣٠٠) شيطان من اليهود اسمهم الحكماء

ليفي أبو عسل كتابه (يقظة العالم اليهودي) تاريخ الصهيونية يتناول أربعة عهود:

١- عهد التوراة.

٢-العهد السابق لهرتزل.

٣-عهد هرتزل.

٤-العهد الحالي بعد بلفور سنة ١٩١٧.

القومية والشيوعية

يقول جلال السيد في كتابه (حقيقة القومية العربية) ص ٣٧٩

(وكان للحركة النازية التي أبرزت قوتها وصلابتها أثر في نفوس قادة البعث شجعتهم على المضي في اعتناق مبادئ البعث ثم يبين بأن هناك تيارين في دستور البعث :

١- تيار العقل ومن نتائجه صياغة المواد المتعلقة بالقومية العربية والحرية وعلاقات العرب بالأمم الأخرى.

٢- تيار عفوي قام بصياغة المواضيع الإقتصادية لأن الرواسب قد أطلت تحت ستار التقدمية والإشتراكية و المذهب الشيوعي و الرأسمالي.

في المجتمع العربي / بيروت / آداب (إن الذي أوحى فكرة تأسيس الجمعية رجل يسمى إلياس حبالين من بلدة ذوق مكايل وكان أستاذاً للغة الفرنسية يدرسها في الجامعة الأمريكية لطلاب صف فيهم اليازجي ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس وكان الأستاذ معجباً بالثورة الفرنسية)[١].

(أسس عزيز المصري (الجمعية القحطانية) سنة ١٩٠٩ في الأستانه ونشط في الدعوة من خلالها إلى القومية العربية)[٢].

يقول لورنس : (وأخذت أفكر طيلة الطريق في سوريا وأتساءل هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية وهل يغلب الاعتقاد الوطني المعتقدات الدينية وبمعنى أوضح هل تحل المثل العليا السياسية مكان الوحي والالهام وتستبدل سوريا مثلها الأعلى الديني بمثلها الأعلى الوطني)[٣].

ويقول أبا أيبان في محاضرة في جامعة برنستون/ امريكا : (يحاول بعض الزعماء العرب أن يتعرف على نسبة المد الإسلامي بعد الهزيمة الأخيرة وفي ذلك الخطر الحقيقي على اسرائيل ولذا كان من أولى واجباتنا أن نبقي العرب على يقين راسخ بنسبهم القومي لا الإسلامي)[٤].

(تحذر من الحركة الإسلامية، والغرب أمام خطر سيجعله يدفع الغالي والنفيس)[٥] .

قال الكاردينال بريتولي للبابا (إن المسيحية في الشرق هي التي زرعت الحركات الثورية وحركات التغيير، وإن أسماء ميشيل عفلق وأنطون سعاده وجورج حبش قد تفسر لك ما أعنيه. وقالت الأمان اللبنانية : ويذكر في هذه المناسبة فرج الله الحلو وقسطنطين زريق وجورج حاوي ، ونايف حواتمه ، ومنيف جورج الرزاز[٦] .

---

(١) الشعوبية الجديدة ١٥٦. (٢) الشعوبية ١٩٩. (٣) مجلة المجتمع العدد ٤٣٣ سنة ١٩٧٩ ٢٠ فبراير.

(٤) المجتمع عدد ٤٣٣. (٥) التايمز: عن المجتمع ٤٣٣. (٦) الأخبار الكويتية عدد ١٤ سنة ١٩٧٩م – ١٣٩٩هـ.

الرأسمالية

الرأسمالية : حصاد تطور تاريخي اتسم بكثير من صور العبودية.

١- الكنيسة أنقذت ما تبقى من الحضارة الرومانية بعد أن عبث بها البرابرة.

ـ ثم فرضت زعامتها الروحية على العالم المسيحي حكاماً وشعوباً وتحولت الكنيسة نتيجة سطوتها الفكرية والمادية من مؤسسة روحية إلى مؤسسة مادية تستغل الدين لاستعباد الجماهير.

٢- إن حياة الترف واللذة التي عاشها رجال الدين أسقطت هيبتهم من نفوس الجماهير.

٣- القرن الخامس عشر : (بداية العصر الحديث لأوربا) كان بداية النواة الحقيقية للحرب الصريحة التي قامت في أوربا ضد الكنيسة ومن رجالها (دانتي ميكافيلي ، دافنشي ، أنجلو).

٤- مؤتمر فراره (فلورنسا) سنة ١٤٣٨ مؤتمر كنسي لمحاولة سحق أية محاولة للحد من سلطانها.

٥- سخرية (أرازم ، طوماس مور ، رابليه) ضد الكنيسة في هذا القرن.

٦- مارتن لوثر استاذ اللاهوت في (فيتبرغ) ٩٥ مادة ضد الكنيسة.

٧- في القرون ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ظهرت تيارات الفكر المنطلق الحر الذي يقاوم أية وصاية على حركة الإنسان سواء باسم الدين أو تحت أي شعار آخر وأبرز القادة جون لوك ، مونتسكيو ، سميث.

٨- قامت الثورة الفرنسية والثورة الأمريكية انطلاقاً من الثورة الفكرية السابقة .

٩- مؤتمر فينا للتعاون بين الملوك ضد حركات الأفكار التحررية.

الطابع اللاديني أو الثائر على كل ما هو ديني ويميني هو أحد مكونات وخصائص الحضارة الأوربية.

الصراع بين البابويه والأمبراطورية:

هنري الرابع سنة ١٠٧٧ : صدر بحقه قرار حرمان فتقدم إلى قلعة كانوسا ، وأما سنة ١٢٤٥ كما جاء في كتاب (سوسنة سليمان) اجتمع المجمع الثالث عشر في ليون/فرنسا بأمر البابا أنوسينت الرابع لأجل عزل فردريك ملك فرنسا وحرمه ولكن كنيسة فرنسا لم تسلم بصحته.

الصراع بين الكنيسة والعلم :

قتل ثلاثمائة ألف منهم ٣٢ ألفاً حرقاً وهم أحياء.

الجيل الأوربي : (ظن أن العقل والدين ضدان لا يجتمعان ، من استقبل أحدهما استدبر الآخر ومن آمن بالأول كفر بالثاني. إذا ذكر الدين ذكروا وجوهاً كالحة عابسة ، وجباها مقطبة ، وعيونا ترمي بالشرر وصدوراً ضيقة حرجة ، وعقولاً سخيفة بليدة.

الراهب الفرنسي كارول سيمتس ناجل (يصدر مجلة الانفتاح) : قال لا يمكن للغرب أن يبقى أصم أمام الوحي الذي نزل على النبي محمد ولا أعمى أمام حقيقة الإسلام ولا مغلقاً أمام العالم الإسلامي. وان الوحي امتد من إبراهيم إلى محمد أريد أن يكتشف الجمهور الأوربي الإسلام.

ب- الظاهرة الثانية (ظاهرة الاقطاع) : رد فعل حياتي إثر هجمات البرابرة من النورمان والجرمان على كل أوربا فبحث الأمراء والملوك وكبار الملاك عن أتباع لمساعدتهم في الدفاع عن أنفسهم وممتلكاتهم وانضوى صغار الملاك تحت راية الكبار.

جـ - أمريكا حياة أوربية بكاملها انتقلت إلى أرض جديدة.

ولم تكن في أمريكا حضارة تقف أمام الأوربيين سوى دولتي الأذتيك في المكسيك والأنكا في أمريكا الوسطى اللتين قضت عليهما أسبانيا في أواخر القرن الخامس عشر نفسه.

د- الرأسمالية : تقوم على دعامتين ماديتين:

١-العداء لكل ما هو ديني أو كنسي.

٢-البحث عن الثروة الشخصية لتدعيم الملكية الذاتية ولو على حساب المبادئ والإنسان .

الأخلاق في الكنيسة:

يقول درابر في كتابه الصراع بين العلم والدين (ولم تكن الرهبانية والنظام الديني السلبي إلا مصارعة للفطرة فبقيت مقهورة بعوامل الدين الجديدة وسلطانها الروحي ساعدتها عوامل أخرى ثم قهرت الطبيعة وتسرب الضعف والانحراف إلى المراكز الدينية حتى صارت تزاحم المراكز الدنيوية – وربما تسبقها في فساد الأخلاق والدعارة والفجور ، لذلك أوقفت الحكومة المذب الدينية وأعياد الشهداء والأولياء وذكرياتهم التي وجدت فيها الخلاعة والفجور مرتعا واتهم القسوس بكبائر ومنكرات.

ويقول الراهب جيروم : إن عيش القسوس ونعيمهم كان يزري بترات الأمراء والأغنياء المترفين ، وقد انحطت اخلاق البابوات إنحطاطاً عظيماً واستحوذ عليهم الجشع وحب المال .. حتى كانوا يبيعون المناصب والوظائف كالسلع وقد تباع بالمزاد العلني ويؤجرون أرض الجنة بالوثائق والصكوك وتذاكر الغفران ويمنحون إجازات حل المحرمات كاوراق النقد وطوابع البريد ويرتشون ويرابون حتى اضطر انوسنت الثامن أن يرهن تاج البابويه. ويذكر عن ليوالعاشر أنه أنفق ما ترك البابا السابق ونصيبه ونصيب اللاحق . ويروى (أن مجموع دخل فرنسا لم يكن يكف ... سنوياً)[١] .

أسباب خطورة الغزو الفكري

١- طبيعة الدور الريادي المنوط بأمتنا لنكون شهداء على الناس. وهذا يحتاج إلى المسلم الملتزم.

٢- الدور الريادي يحتاج إلى استعلاء الإيمان.

٣- الدور الريادي يحتاج إلى طبيعة إيجابية في رفض السلوك المنحرف.

يقول سيد قطب (خرج الانجليز الحمر فمتى يخرج الانكليز السمر).

أهداف الغزو الفكري

١- منع روح الإسلام من الانتشار

أ- لأن الإسلام دين البساطة والمثالية والواقعية.

ب- اجتاز الإسلام بالإنسان مرحلة التناقض بين دنياه وآخرته.

جـ- الإسلام ينقل القطعان المستعبدة التي تساق لمصرعها بحزمة برسيم ويحولها إلى نماذج رفيعة من البشر يخشاها أعداء الإسلام الذين يريدون أن يشبعوا الكثرة ولوغهم في الدماء وانتفخت جيوبهم من عرق العبيد والبغاوات.

ومن هنا يشوهون الإسلام عن طرق:

أ- نشر الأباطيل حول الإسلام: وقد نشط في نسج الشبهات حول الإسلام لفيف من المستشرقين مثل جب وجولد زيهر وشاخت ولوزي وغيرهم.

ب- تجسيم مظاهر الضعف عند المسلمين وحملها على الإسلام.

ولكن أعداء الإسلام يعترفون بقدرة الإسلام على صناعة النماذج الفريدة ومن هنا يخشونه فكيف يحملونه تبعة التخلف.

جـ- تصوير الإسلام أنه دين العنف والدماء : كالجهاد – الحدود وذلك لغرضين.

(١) عن المستقبل لهذا الدين /٥٢.

أولهما : استنهاض همم الغرب ضد المسلمين.

ثانيهما : بلبلة المسلمين بفرية (الإسلام والسيف) فقام المدافعون يقولون الإسلام دفاعي، بل الغاء الجهاد على يد صنائعهم في بلادنا.

مثل ميرزا غلام أحمد (القاديانية).

(لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الانجليزية ومؤازرتها) ولقد ألفتُ في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر الأنجليز ن الكتب والنشرات ما لوجمع بعضه إلى بعض لملأ خمسين خزانة وقد نشرتها في البلاد العربية ، ولقد ظللت منذ حداثة سني وقد اهزت الستين اليوم أجاهد بقلمي ولساني لاصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الانجليزية وأنادي بالغاء فكرة الجهاد التي ـين بها بعض جهالهم والتي تمنعهم من الإخلاص لهذه الحكومة.

الحدود : يكفي قصة خوف المرأة الأمريكية السوداء عندما غادرها زوجها في الحج.

د- تصوير مزايا الإسلام على أنها عيوب :

تعدد الزوجات ، الطلاق

ــ المرأة عند الشيوعيين وسيلة انجاب وأداة لزيادة الدخل .

ــ المرأة عند الرأسماليين وسيلة للربح عارضة أزياء ، سكرتيره.

في السويد قبل سنوات ، أكثر من ٣٠٪ من السكان يعانون من الاضطراب والتمزق النفسي ويمارسون الخلاص من الحياة ،، طريق الانتحار.

هـ- اتهام الإسلام بشل قوى الإبداع والعبقرية:

كيمون (المستشرق الفرنسي) يقول (الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعاً ·· يبعث الإنسان على خمول والكسل ولا يوقظه إلا ليسفك الدماء ويدمن معاقرة الخمرة ويجمح في الرذائل وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث الجنون ي نفوس المسلمين ويلجئهم إلى الاتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلي).

٢- الهدف الثاني للغزو الفكري

ضرب الإسلام من الداخل

الهدف الأول (نشر الأباطيل) جانب سلبي لمقاومة الإسلام أما الغرب من الداخل فهو جانب ايجابي وهذا أخطر من الغزو سكري لأسباب :

١- يفقد الأمة الانتباه لعدوها.

٢- يتفادى أسباب المقاومة من قبل الأمة إذا واجهها الغازي سافراً.

٣- يجد العدو أنصاراً وعملاء من الداخل.

٤- قليل التكاليف.

٥- أطول من الغزو العسكري لأنه يستعمر القلوب والنفوس.

٦- الوسائل العسكرية بشعة. بينما الغزو الفكري جذاب وخداع ومحفوف بالشهوات.

٧- الغزاة يختفون وراء أبناء البلد ويعملون من خلالهم.

٨- كثرة وسائل الغزو الفكري بحيث يغيب على الناس كثير منها.

وسيلة حصان طرواده استعملها اليهود لتدمير المسيحية والإسلام.

وسائل الغزو الفكري

أولاً- إثارة الخلافات العقائدية بين المسلمين

١- **الفلول المقهورة** من حرب الردة ذهبت إلى الكوفة تعيث الفساد.

٢- **السبئية** (عبد الله بن سبأ) يهودي من صنعاء أسلم زمن عثمان وتنقل بين الحجاز والبصرة والشام ومصر.

٣- **حركة الزنج** : (علي بن محمد) هاجم البصرة سنة ٢٥٧هـ مع العبيد وأحدث بها الفظائع حتى قال إبن الرومي.

زاد عن مقلتـــــي لذيــذ المنـــام   *شغلها عنه بالـــدموع السجـــام*

أي نـــوم من بعـــد ما انتهك الزنج   *جهـــــاراً محـــارم الإسلام*

واستمر خطرها ١٤ سنة حتى قضى عليها الموفق سنة ٢٧٠هـ.

٤- **حركة القرامطة** : ظهرت بعد حركة الزنج بـ (٨) سنوات أي ظهرت في الكوفة والبحرين سنة ٢٨٠هـ. حتى تمكنت فرقة منهم في البحرين أن تدخل مكة سنة ٣١٧ وتنهب الحجر الأسود وما أرجعوه إلا بعد أن هددهم الخليفة الفاطمي (المهدي).

٥- **حركة الحشاشين** : الحسن الصباح في قلعة الموت/قزوين وهي إسماعيلية. سنة ٥٢٠ استولوا على بانياس. وكان خطرها على المسلمين أشد من خطر الصليبيين.

ولم تنته هذه الفرقة إلا بسقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م.

ثانياً - افساد صفاء العقيدة

١- **الجعد بن درهم** - ضحاه خالد القسري.

٢- **بيان بن سمعان** - أول من قال بخلق القرآن.

٣- خلق القرآن.

٤- **ابن المقفع** : قال المهدي (ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع قال ابن المقفع عن بيت النار:

يا بيت عاتكة التي اتعـــزل   *حذر العدا وبه الفؤاد موكل*

إني لامنحك الصدود وإنني   *قسماإليك مع الصدود لأميل*

٥- **بشار بن برد** : اعتنق الكاملية فرقة رافضية تكفر الصحابة.

ابليس خير من أبيكم آدم   *فتبينوا يا معشر الأشرار*

إبليس من نار وآدم طينة   *والطين لايسمو سمو النار*

ودعا إلى التهتك والإباحية فقال مالك بن دينار (ما شيء ادعى لأهل هذه المدينة - البصرة - إلى الفسق من اشعار هذا الأعمى)

وأصبح لبشار مدرسة من أتباعها أبو نواس والحسين الضحاك (الخليع).

٦- **الاسرائيليات** : قال ابن الخطاب لكعب الأحبار:

(لتتركن الحديث الأولى أو لالحقنك بأرض القردة)[1].

ثالثاً - العصبيات والقوميات

البروتوكول (لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية خلال عشرين قرناً).

---

(١) البداية والنهاية ١٠٨/٨.

رابعاً - طرح النظريات والمذاهب

١- التشوء والارتقاء : دارون :

نيتشه : الإنسان قنطرة بين القرد والسوبرمان يقول العقاد (ليس الإنسان قنطرة بين القرد والسوبرمان. بل الإنسان قنطرة بين الأرض والسماء بينهما شرف[1]).

٢- النظرية الماركسية (التفسير المادي للتاريخ) : إن مرحلة التدين قد اجتازها الإنسان فلا داعي لها. والأديان خدعة تاريخية اخترعها الإنسان حين عجز عن مراجهة القوى الخارجية.

والفكر الشيوعي يربط بين الدين والرأسمالية والاقطاع.

يقول لينين / المؤتمر الثالث للشباب سنة ١٩٢٠ (إننا لا نؤمن باله ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة والاقطاعيين والبورجوازيين لا يخاطبوننا باسم الاله إلا استغلالاً).

(قررت الحكومة المستورة أن تدمر المسيحية في روسيا وأن تنتقم من الشعب الروسي الذي يحتقر اليهود ويضطهدهم فكانت الثورة البلشفية سنة ١٩١٧)[1] .

البروتوكل ٢: (لاحظوا هنا أن نجاح دارون ونيتشه وماركس قد رتبناه من قبل) (إننا نقصد أن نظهر كما لو كنا المحررين للعمال ، جئنا لنحررهم من الظلم حينما ننصحهم أن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين (ونحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها متظاهرين باننا نساعد العمال طوعاً لمبدأ الأخوة والإنسانية العامة.

خامساً - دعم وتأسيس الحركات المعادية للإسلام

١- القاديانية

٢- البهائية

القاديانية

ميرزا غلام أحمد ١٨٤٠-١٩٠٨

نسبه : هو الميرزا غلام أحمد القادياني من السلالة المغولية وكان جده صاحب ولاية البنجاب وكان موالياً للانجليز وقد قدم والده فرقة من خمسين فارساً لمساعدة الانجليز في ثورة ١٨٥٧ .

مولده : سنة ١٨٤٠ في قرية قاديان / مديرية كرداسبور. توظف الميرزا في محكمة حاكم المديرية بمرتب يساوي (١٥) روبية.

أصيب في شبابه بالهستيريا وبالبول السكري.

تزوج سنة ١٨٧٢ ورزق من زوجته ولدين (سلطان أحمد) (ميرزا فضل أحمد) طلق هذه الزوجة سنة ١٨٩١.

تزوج ثانية في دهلي سنة ١٨٩٤ (أم المؤمنين) رزق منها بشير الدين محمود / خليفة والميرزا بشير أحمد صاحب كتاب (سيرة المهدي) والميرزا شريف أحمد ، تنبأ سنة ١٨٨٨ بأنه سيتزوج الفتاة (محمدي) .

سنة ١٩٠٧ تحدى العالم المشهور (ثناء الله الأمرتسري) بأن الكاذب المفتري من الرجلين سيموت في حياة صاحبه. وفي ٢٦ مايو سنة ١٩٠٨ مات الميرزا ودفن في قاديان.

خلفه : حكيم نور الدين البهيروي: كان معلماً ثم تعلم الطب وأصبح بارعاً في الطب وعين عندأمير جمون طبيباً. وفي جمون تعرف على القادياني وكان مقيماً في سيالكوت وتوثقت صلته بالقادياني.

ألف القادياني (براهين أحمدية) فألف الحكيم (تصديق براهين أحمدية وألف الحكيم (فصل الخطاب) أربعة أجزاء في الرد على

---

(١) عبد الله التل/ خطر اليهودية ١٩٢

المسيحية.

بويع بالخلافة بعد موت القادياني وبقي ست سنوات ومات سنة ١٩١٢ .

براهين أحمدية :

تكفل أن يخرج القادياني كتاباً يجمع فيه ٣٠٠ دليل على صدق الإسلام وقد صدر من الكتاب أربعة أجزاء في ٥٦٢ صفحة وتوقف سنة ١٨٨٤م بعد أربع سنوات. ضمن الجزء الثالث والرابع حث العلماء بإعلان حرمة الجهاد على الانجليز وسنة ١٩٠٥ صدر الجزء الخامس منه.

والكتاب يرد على النصرانية والآرية (فرقة هندوسية) وقال إن الالهام ووراثة علم النبوة باق وإنه مأمور من الله باصلاح العالم والدعوة إلى الإسلام.

مرحلة تشبهه بالمسيح:

سنة ١٨٩١ أصدر الميرزا ثلاثة كتب هي فتح الإسلام ، توضيح مرام ، إزالة أوهام ، وقال : أنه هو المسيح الموعود ثم قال :إنه لا يمكن للمسيح أن يعيش ألفي عام ، وأنه هو المسيح الموعود.

لقد كان الاقتراح من الحكيم نور الدين على الميرزا أن يظهر بمظهر المسيح الذي أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بنزوله فرد الميرزا على الحكيم (ان العاجز – الميرزا – ليس له حاجة أن يكون مثيلاً للمسيح إن همه الوحيد أن يدخله الله في عباده المتواضعين المطيعين).

وبعد فترة وإذا بالميرزا يعلن أنه المسيح (لقد نزلت من السماء مع الملائكة الذين كانوا عن يميني وعن شمالي) [١] .

وقال : إن المسيح ينزل في دمشق (يدل نزول المسيح في دمشق دلالة واضحة على أن رجلاً يجمع بين مماثلته للمسيح ومشابهته بالحسين بن علي سينزل لتعنيف اليزيديين الذين هم مماثلون لليهود ولالزامهم الحجة.

الرداءان الأصفران :

١- صفرة الوجه. ٢- البول السكري.

المنارة الشرقية : بنى المنارة شرقي قاديان ووضع أساسها سنة ١٩٠٣ وتمت زمن نجله بشير الدين محمود.

قبر المسيح في كشمير : قرر أن كشمير أصلها كشير ولعلها مأخوذة من العبرية الكاف للتشبيه وأشير : في العبرية تعني الشام. أي مثل الشام ولما هاجر عيسى عليه السلام من فلسطين إلى كشمير التي تشبه بلاد الشام سماها الله كشميراً تسلية لعيسى.

وقبر (يوزآسف) في حارة خان يارهو قبر المسيح عليه السلام الذي هاجر إلى كشمير قبل ألفي سنة وكان يعرف بالنبي ابن الملك.

من المسيحية إلى النبوة فما فوقها : سنة ١٩٠٠ ألقى الشيخ عبد الكريم (أمام الصلوات وكاتب السر) خطبة الجمعة ذكر فيها أن الميرزا غلام أحمد مرسل من عند الله والإيمان به واجب. فسئل الميرزا فقال (هذا الذي أدين به وأدعيه) (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي).

ونقل عنه عبد الحكيم (إن الله كَشف عليّ أن كل من بلغته دعوتي ولم يقبلني ليس بمسلم).

وكتب في هذا بشير الدين محمود (حقيقة النبوة).

وفي سنة ١٩٠١ وعد الميرزا أن يخرج أربعين رسالة فأخرج منها أربعة وسئل في هذا فقال كالصلوات اختصرت من خمسين

---

(١) فتح الإسلام ٩.

إلى خمسة.

القاديانيون يكفرون المسلمين : فلا يصاهرونهم ولا يصلون خلفهم ولا على أمواتهم وحج المسلمين عند القاديانية باطل.

التناسخ والحلول : يعتقدون بالتناسخ ولد إبراهيم بعد وفاته بألفي وخمسمائة عام في بيت عبد الله بن عبد المطلب.

هناك بعثتان للنبي محمد : الأولى في الالف الخامس والثانية في أواخر الألف السادس.

التفرق على الأنبياء : جـ٥/ براهين أحمدية (لقد أراد الله أن يتمثل جميع الأنبياء والمرسلين في شخص رجل واحد وإنني ذلك الرجل). (وآتاني مالم يؤت أحداً من العالمين).

قال بشير محمود (إن غلام أحمد أفضل من بعض أولي العزم من الرسل).

وفي صحيفة الفضل (ويجوز أن يكون أفضل من جميع الأنبياء).

الله يخاطبه : (أنت مني بمنزلة ولدي) (يحمدك الله من عرشه ويمشي إليك).

الترف : كتب الخواجه كمال الدين إلى محمد علي / أمير الفرع اللاهوري (عندما زارت نساؤنا قاديان ثرن علينا وقلن : إن البذخ الذي هناك لا نتمتع به أنتم خدعتمونا ، لن نتبرع بالمال بعد اليوم).

يقول عبد الرحمن المصري مدير كلية التعليم في قاديان (إن الخليفة الحالي الميرزا بشير الدين من كبار الفساق وتصيد الفتيات وله سماسرة يحضرون الفتيات).

القاديانية : ميرزا غلام أحمد سنة ١٨٣٩.

مناهضة التراث الإسلامي، يقولون (إن الذي يزور قبة المسيح الموعود البيضاء في (القاديان) له نصيب من البركات التي تختص بالقبة الخضراء في المدينة)

(والحج إلى مكة بغير الحج إلى قاديان حج جاف ، لأن الحج اليوم إلى مكة لا يؤدي رسالته).

(ومن دخله كان أمنا) – مسجد قاديان – وهو المسجد الأقصى.

وهم يتحدثون عن ميرزا بقولهم عليه السلام – وأهل بيته – أمهات المؤمنين وقد أيدهم نهرو.

يقول إقبال (إن جواهر لال نهرو ومن معه من القوميين مضطربون من انتعاش المسلمين كما أن القاديانية مضطربة كذلك وهم يعرفون أن هذا الانتعاش سوف يقضي على خطتهم وهو – تمزيق أمة الرسول العربي – فداه أبي وأمي – وتكوين أمة جديدة لمتنبئ هندي، ولأجلها يؤيدهم نهرو، وإلا فأي علاقة له بهم).

يقول محمود أحمد خليفة ميرزا غلام في (هدية لسمو الأمير ويلز نجل جورج الخامس سنة ١٩٢١ (أنا أرحب بك وأؤكد لك أن جماعة الأحمدية وفية لبريطانيا وستبقى وفية – إن شاء الله –) ، وأن منهج هذه الجماعة منذ تأسيسها أن تطيع الحكومة القائمة – بريطانيا – وهذا شرط البيعة فيها.

وحينما دخلت بريطانيا العراق وقف خليفة – ميرزا – وقال (أنا مهدي وبريطانيا سيفي ، ونحن نبتهج بهذا الفتح ونريد أن نرى لمعان هذا السيف وبرقه في العراق وفي الشام وفي كل مكان ، وإن الله أنزل ملائكته لتأييد هذه الحكومة (بريطانيا)[1].

البهائية

ـ البابية أنشأها ميرزا علي الشيرازي / أعدم سنة ١٢٦٥هـ.

ـ البهائية أنشأها ميرزا حسين علي المازندراني.

أباح الربا، الزنا (لا ينبغي أن يحدثوها بالكيف والكم)

---

١) كتاب القاديانية لإحسان ظهير صـ ٣٦.

صلب المسيح : تدخلت روسيا وبريطانيا لإخراج ميرزا من السجن ونفي إلي بغداد فعكا حيث مات سنة ١٨٩٢هـ فانظروا الآن تأتي طوائف اليهود إلى الأرض المقدسة.

عبد البهاء – عباس – يدعو إلى توحيد الأديان الثلاثة على شريعة موسى.

سادساً – التسلل تحت شعارات خادعة

البروتوكول ١٥ (إننا سنقدم الماسون الأحرار إلى الموت بأسلوب لا يعرف.

الماسونية ، الروتاري ، الليونز

بني برث (أبناء العهد) اسهمت في جميع الثورات والحروب في القرنين ١٩–٢٠

شهود يهوه (المسيحية زائفة، الإسلام أشبه بالبوذية.

الروتاري :

اللاسامية : الحربان العالميتان ٦٠ مليوناً ، حرب الأفيون.

١٨٦٦ (الماسونية مؤسسة يهودية في تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات السر فيها يهودية من البداية إلى النهاية).

تروكاس (يشكل التهديد اليهودي – الماسوني مشكلة حياة أو موت بالنسبة لمصائر شعوب العالم أجمع).

النصيرية

تنسب إلى محمد بن نصير النميري المؤسس لهذه الفرقة والذي ادعى النبوة وادعى أن أبا الحسن العسكري عاشر الأئمة الاثني عشرية) إلها ومحمد بن نصير هذا يبيح المحارم ويقول بالتناسخ ويحلل نكاح الرجال (اللواط) ويعتبره من التواضع.

عقيدتهم: ١– فرقة باطنية تحرص على اخفاء عقائدها عن الناس .

٢– عقائدهم تشكلت من المجوسية والمسيحية والسبئية فهم يؤلفون ثالوثا من (علي ومحمد وسلمان الفارسي) ويتخذون من ذلك شعاراً يتكون من (ع . م . س) وهذا الثالوث يفسر عندهم (بالمعنى والإسم والباب) فالمعنى هو الغيب المطلق أي الله الذي يرمز إليه بحرف (ع) والإسم :صورة الإسم الظاهر (م) والباب هو طريق الوصول إلى المعنى ويرمز إليه (س).

فالعقيدة النصيرية هيكلان (نصراني واسلامي) ولذا يحتفلون بعيد الميلاد ويقدمون فيه النبيذ ولحم البقر. وعيد الغطاس والطيب والبربارا وهي أعياد مسيحية.

كما يحتفلون بالمولد النبوي ، وعيد الفراش (مبيت علي). وعيد النيروز المجوسي.

٣– ومن عقيدتهم الحلول أي أن الله تعالى تجلى في المرة الأخيرة في علي كما تجلى قبل ذلك بهابيل وشيث وسام وهارون وشمعون وسام وإسماعيل واتخذ في كل دور رسولاً ناطقاً تمثل على الترتيب (في آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى).

فعلي : إله في الباطن ، إمام في الظاهر ، لم يلد ولم يولد ولم يمت ولم يقتل ولم يأكل ولم يشرب وقد اتخذ علي محمداً ومحمد متصل بعلي ليلاً منفصل عنه نهاراً وعلي خلق محمداً ومحمد خلق سلمان الفارسي وسلمان خلق الأيتام الخمسة الذين بيدهم مقاليد السموات والأرض وهم:

١– **المقداد :** رب الناس وخالقهم الموكل بالرعود والصواعق.

٢– **أبو الذر** (أبوذر الغفاري) الموكل بدوران الكواكب والنجوم.

٣– **عبد الله بن رواحه :** الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر.

٤– **عثمان بن مظعون :** الموكل بالمعدة وحرارة الجسد وأمراض الإنسان.

٥- قنبر بن كاران: الموكل بنفخ الأرواح في الأجسام.

٦- والنصيريون : يعتقدون بالتناسخ وهذه عقيدة مجوسية بوذية ويعتقدون أن البشر كانوا كواكب ألقت بهم الخطيئة الأولى إلى الأرض فينبغي أن تنتقل أرواحهم من جسد إلى آخر سبع مرات ثم تعود إلى السماء بعد انصقالها.

٧- ينكرون البعث والحساب.

٨- يعتقدون أن الجنة والنار في الدنيا وحدها .

٩- يعتقدون أن الشياطين مخلوقون من معاصي الناس والناس مخلوقون من معاصي الشياطين.

١٠- يلعنون الصحابة أبابكر وعمر وعثمان وطلحة وسعداً وخالد بن الوليد والخلفاء الأمويين والعباسيين والدسوقي والرفاعي والجيلاني والبدوي والأئمة الأربعة وكل من يتبع مذاهبهم لأنهم يأكلون من خيرات علي ويعبدون غيره.

٩-لايجوز للنصيري أن يتعلم أمور دينه قبل الخامسة عشر من عمره .

١٠-لا تسمح شريعتهم لغير النصيري أن يدخل فيها إلا بعد اختبارات قاسية.

مؤسسو الفرق الهدامة وواضعو أسسها:

١- ميمون القداح الديصاني اليهودي الفارسي (نسبة إلى مارديصان حبر يهودي تنصر) مؤسس الميمونية وواضع مبادئ القرمطية.

٢- المفضل الجعفي : واضع كل رواية باطنية ومؤسس المفضلية

٣- أبو الخطاب المجوسي : يمت بصلة القربى إلى كاهن يهودي في البصرة ولما شعر الإمام جعفر الصادق أنه استطاع أن يغوي ولده إسماعيل تبرأ منه ونزع ولاية العهد منه، وقد أسس الخطابية.

٤- محمد بن سنان : خازن علم الباطن ومؤسس (السنانية).

هؤلاء الأربعة بقيت الفرق القتالة تقول بآرائهم حتى سنة ٢٦٠هـ حيث أعلن غيبة الإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري).

عندها ظهر أحد أحفاد هؤلاء وهو (وحيد العين : أبو شعيب بن نصير النميري) وصاغ المعتقدات الالحادية السرية في بوتقة واحدة ولا يزال القسم الأكبر من عقائد النصيرية منها.

ولقد جعل أبو شعيب (وحيد العين): علياً الها وسماه (أمير النحل) حيث شبه المؤمنين بالنحل ومنح أبو شعيب نفسه لقب (الباب) الذي يحل محل (أمير النحل).

ثم جاء بعد أبو شعيب الجنبلاني والجلي والزاهري وجبين المذهب الصعيدي والخصيبي فأوجدوا المراتب والحجب والأئمة والقباب والنقباء والنجباء.

طوائف النصيرية الحالية:

١- النباوية : منها سليمان المرشد، ادعى الالوهية ، كان راعياً للبقر اتخذ جمّالاً اسمه (سلمان الميدة) رسولاً وهو من قرية جوبيا برغال) شرقي اللاذقية، رفعه الفرنسيون وكان المستشار الفرنسي يسجد له، اتخذ أزراراً كهربائية تضيء فيسجد أتباعه، جعل الفرنسيون للعلويين نظاماً خاصاً وأدارها سليمان المرشد وعين قضاة وفدائيين، وكان نائباً عن العلويين في المجلس النيابي، وقد ترك الفرنسيون أسلحة بعد جلائهم فأعلن العصيان فأعدم سنة ١٩٤٦.

وبعد مقتل سليمان ألّهوا ابنه (مجيب المرشد) وبعد أن قتل مجيب ظلوا يذبحون على اسمه فيقولون (باسم المجيب أكبر من يدي إلى رقبة أبي بكر وعمر).

٢-فرقة اللازقية: يعتقدون بحلول علي في القمر ليلاً وبالشمس نهاراً .

٣-فرقة المواجنة وهي كالأولى.

العبادات عند النصيرية:

الصلاة: الصلاة عندهم خمس أوقات ليس فيها سجود، وصلاة المغرب أهمها وهي أربع ركعات، ولا يصلون الجمعة، ولا يستقبلون إلى القبلة -إلا الإمام- ويصلون العيدين دون استقبال القبلة وبعضهم لا يلتزم الطهارة (غسل ووضوء) قبل الصلاة.

الزكاة : كالمسلمين ويضيفون إليها خمس الشيعة.

الحج: ليس فرضا بل كفر وعبادة أصنام.

من أدعيتهم: (يامولاي يا علي يا نور الأنوار يا رب الأسرار يا عزيز يا غفار يا واحد يا قهار [1]).

(اشهد أنه لا إله إلا مولاي أمير النحل علي ولا حجاب إلا السيد محمد ولا باب إلا السيد سليمان ولا ملائكة إلا ملائكته الخمسة الأيتام الإكرام ولا أرى إلا رأي شيخنا وسيدنا أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي[2]) .

وثيقة خطيرة عن النصيريين [3]

هذه الوثيقة وقعها زعماء الطائفة النصيرية في سوريا وعلى رأسهم سليمان الأسد (جد حافظ الأسد) ومحمد سليمان الأحمد ومحمود آغا حديد، وعز آغا غواش، وسليمان راشد، ومحمد بك جنيد يطلبون عدم انتهاء الانتداب الفرنسي واستمرار الاحتلال لسوريا.

وتقول المذكرة في نصوصها:

دولة ليونبلوم ، رئيس الحكومة الفرنسية

ان الشعب العلوي الذي حافظ على استقلاله سنة فسنة بكثير من الغيرة والتضحيات الكبيره في النفوس هو شعب يختلف في معتقداته الدينية وعاداته وتاريخه عن الشعب المسلم السني، ولم يحدث في يوم من الأيام أن خضع لسلطة من الداخل.

والشعب العلوي يرفض أن يلحق بسوريا المسلمة فالشعب العلوي بالنسبة للدين الإسلامي يعتبر كافراً ولذلك نلفت نظركم إلى ما ينتظر العلويين من مصير مخيف وفظيع في حالة إرغامهم على الالتحاق بسوريا عند ما تتخلص من الانتداب وتمضي الوثيقه.

أن استقلال سوريا والغاء الانتداب يعني سيطرة بعض العائلات المسلمة على الشعب النصيري في كيليكيا واسكندرونه وجبل النصيرية وبذلك يخلق نظاماً يسوده النور الديني ضد العلويين وهي روح غرست في قلوب المسلمين العرب وسوف يصبح العلويين بعد الغاء الانتداب معرضين للموت والفناء.

اننا نلمس اليوم كيف أن مواطني دمشق يرغمون اليهود القاطنين بين ظهرانيهم بعدم ارسال المواد الغذائية لإخوانهم اليهود المنكوبين في فلسطين وأن هؤلاء اليهود الطيبين الذين جاءوا إلى العرب المسلمين بالحضارة والسلام ونثروا على أرض فلسطين الذهب والرخاء ولم يوقعوا الأذى بأحد ولم يأخذوا شيئاً بالقوة ومع ذلك أعلن المسلمون ضدهم الحرب المقدسة بالرغم من وجود انجلترا وفرنسا في فلسطين وفرنسا في سوريا نحن الشعب العلوي الذي يمثل الموقعون على هذه المذكرة نطلب بقاء سيطرة حكومة فرنسا ضماناً لحريته واستقلاله ويضع بين يديها مصيره ومستقبله وهو واثق أنه لابد أنه واجد لديهم سنداً قوياً لشعب علوي صديق قدم لفرنسا خدمات عظيمة.

فتوى ابن تيمية عن النصيرين[4]

السؤال: ماتقول السادة العلماء أئمة الدين في النصيرية القائلين باستحلال الخمر، وتناسخ الأرواح، وقدم العالم، وانكار البعث والنشور والجنة والنار، وبان الصلوات الخمس عبارة عن خمس أشياء: علي ، حسن ، حسين ، محسن، وفاطمة، فذكر هذه الأسماء الخمسة يغني عن الطهارة من الجنابة والحدث .

---

(١) انظر مجلة المجتمع الكويتية عدد (٥٠٣).

(٢) كتاب الأدعية بخط الشيخ حسين بن الشيخ علي محرر في١٣٩٧ هـ

(٣) في سجل وزارة الخارجية الفرنسية رقم ٣٥٤٧ تاريخ ١٥/٦/١٩٣٦.

(٤) الفتاوى ٣٥/ ١٤٥

والصيام عندهم: اسم ثلاثين رجلاً وثلاثين امرأة وإلههم الذي خلق السموات والأرض هو علي بن أبي طالب.

عندهم محمد هو الإسم علي: المعني سلمان: الباب ، محمد هو الحجاب، علي: الرب، سلمان: الباب.

الإسم آدم المعني شيث

يعقوب يوسف (لاتثريب عليكم اليوم) فلم يعلق الأمر (يفوض) لأنه علم أنه الاله المتصرف.

موسى يوشع (ردت له الشمس وهل يرد الشمس إلا ربها)

سليمان آصف (القادر المقتدر).

هابيل شيث يوسف يوشع آصف شمعون الصفا حيدر

قال قائلهم سنة ٧٠٠ هـ :

أشهد أن لا إلـــه إلا حيدر الا نـــزع البطين

ولا حجاب عليــــه إلا محمد الصادق الأمين

ولا طريق إليــــه إلا سلمان ذوالقوة المتين

وإبليس الأبالسة عندهم : عمر. ثم يليه في الإبليسية: أبوبكر ثم عثمان.

جواب ابن تيمية

١-النصيريون وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى بل أكفر من كثير من المشركين وضررهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من ضرر الكفار المحاربين أمثال التتار والفرنج وغيرهم.

٢-وهم لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ولا بالشرائع.

بل يقولون: الصلاة : معرفة أسرارهم

الصوم كتمان أسرارهم.

الحج: زيارة شيوخهم.

يدا أبي لهب: أبو بكر وعمر.

وقد يكتب أحدهم اسم الله أسفل رجله .

٣-ولهم في معاداة المسلمين مواقع مشهورة،

قتلوا الحجاج وألقوهم في زمزم وسرقوا الحجر الأسود استولى النصارى (الصليبيون) على الساحل والقدس بسببهم.

ودخل التتار بغداد وقتلوا الخليفة بموازرتهم بسبب وزيرهم (النصير الطوسي)

٤-ذبائحهم ونساؤهم : لا تجوز مناكحتهم ولا يجوز أن ينكح الرجل مولاته منهم، ولا يتزوج امرأة منهم، ولا تباح ذبائحهم.

٥-الجبن المعمول بأنفحتهم: فيه قولان مشهوران للعلماء كسائر أنفحة الميتة وأنفحة ذبيحة المجوس وذبيحة الفرنج الذين يقال عنهم أنهم لا يذكون الذبائح.

فمذهب أحمد -في رواية- ومذهب أبي حنيفة أنه يحل هذا الجبن لأن أنفحةالميتة طاهرة على هذا القول لأن الأنفحة لا تموت بموت البهيمة.

ومذهب مالك والشافعي وأحمد في الرواية الأخرى أن هذا الجبن نجس لأن الأنفحة عند هؤلاء نجسة لأن لبن الميتة وأنفحتها عندهم نجس ومن لا تؤكل ذبيحته فذبيحته ميتة.

٦- دماؤهم وأموالهم مباحة.

٦- أوانيهم وملابسهم: كالمجوس لا تستعمل إلا بعد غسلها.

٩-استخدامهم في الثغور: عقد فاسد لأنه لايجوز استخدامهم فلا يستحقون الا أجرة المثل.

٧-لايصل عليهم ولايدفنون في مقابر المسلمين.

٨-استخدامهم في الثغور : من الكبائر كمن يستخدم الذئب في رعي الغنم والواجب على ولاة المسلمين قطعهم من دواوين المقاتلة فلا يتركون في ثغر ولا في غير ثغر وهم شر من المخاسر (المندس) الذي يكون في العسكر وهم أحرص الناس على تسليم الحصون إلى عدو المسلمين.

٩-توبتهم: اختلف العلماء في قبول توبتهم: منهم من يقبلها اذا التزموا الإسلام ومنا يقرون على أقوالهم

ومن لم يقبلها لم تنقل إلى ورثتهم ويكون مالهم فيئاً لبيت المال .

١١- إذا قبلت توبتهم[1] :

١٠-ويحتاط في أمرهم فإن مذهبهم التقية ولذا فلا يتركون مجتمعين ولا يمكن من حمل السلاح ولا أن يكونوا من المقاتلة ويلزمون شرائع الإسلام من الصلوات الخمس وقراءة القرآن ويحال بينهم وبين معلمهم النصيري.

فإن أبا بكر الصديق وسائر الصحابة لما ظهروا على أهل الردة وجاءوا إليه قال لهم الصديق.

اختاروا اما الحرب المجلية وأما السلم المخزية.

قالوا فما السلم المخزية؟

قال: تودن .... ولا نرى قتلاكم وتشهدون أن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ونقسم ما أصبنا من أموالكم وتردون ما أصبتم من أموالنا ، وتنزع منكم الحلقة والسلاح وتمنعون من ركوب الخيل وتزكون تتبعون أذناب الإبل حتى يرى الله خليفة رسوله والمؤمنين أمراً بعد ردتكم .فوافقه الصحابة إلا في تضمين قتلى المسلمين.

فقال عمر: أجور قتلى المسلمين على الله ، فهم شهداء لادية لهم فاتفقوا على قول عمر وهذا مذهب أبي حنيفة وأحمد في رواية.

وقول أبي بكر هو مذهب الشافعي ورواية عن أحمد.

١١- قتالهم: ان جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات وهو أفضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين وسائر الصحابة بدأوا بالمرتدين قبل كفار أهل الكتاب.

فتاوى العلماء في النصيرية

١-ذكر سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي في كتابه (المقالات والفرق) صـ ١٠٠-١٠١ وجاء في كتاب الرجال للطوسي طـ ١ صـ ٤٣١.

(وقد شذت فرقة من القائلين بإمامة علي بن محمد -ع- في حياته فقالت بنبوة رجل يقال له (محمد بن نصير النميري) كان يدعي أنه نبي رسول وأن علي بن محمد العسكري -ع- أرسله، وكان يقول بالتناسخ ويغلو في أبي الحسن ويقول فيه بالربوبية ويقول بالإباحة للمحارم ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم ويزعم أن ذلك من التواضع وأنه احدى الشهوات والطيبات).

٢-وكذلك نفس النص عن أبي محمد الحسن بن موسى النوبختي في كتابه فرق الشيعة ص ٧٨.

٣- يقول أبو جعفر الطوسي في كتابه الغيبة ص ٢٤٤ ط ٢ مطبعة النعمان النجف، تحت عنوان ذكر المذمومين الذين ادعوا البابية لعنهم الله ومنهم محمد بن نصير النميري قال ابن نوح: كان محمد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمد الحسن بن علي -عليهما السلام- فلما توفي أبومحمد ادعى ابن نصير مقام أبي جعفر محمد بن عثمان أنه صاحب إمام الزمان وادعى له البابية وفضحه الله بما ظهر منه من الإلحاد والجهل.

٤-وقد كفر النصيرية من علماء الشيعة أبو طالب الأنصاري.

---

(١) هكذا في الأصل.

الدروز

اشتق اسمهم من أحد واضعي نحلتهم الهدامة وهو محمد بن إسماعيل الدرزي ويلقب (لانشكين) أو (نوشتكين).

وقد وضع المذهب ثلاثة زنادقة:

١-محمد بن إسماعيل الدرزي.

٢-حمزة بن علي

٣- الحسن الفرغاني.

وقد انبثق الدروز من طائفة الشيعة (العبيديين: الفاطميين) وقد ظهر أمرهم أيام الحاكم بأمر الله وقد أطلق الحاكم لقب الإمام على حمزة ثم نشب خلاف بين الدرزي وحمزة فخرج الدرزي بمظاهرة سنة ٤٠٨ هـ لاستفزاز مشاعر الجماهير (٥٠٠) من اتباعه إلى قصر الحاكم بأمر الله فهاجمهم الناس فقتل قسم وفر الباقي.

وأما الدرزي فقد اختلفت فيه الأقوال فمنهم من قال: إنه فر إلى الشام ونشر مبدأه في الجبال، ومنهم من قال أنه استقر في وادي التيم في الشام وقيل أن الحاكم بأمر الله هو الذي أرسله إلى الشام لينشر الفساد.

وبقي حمزة بن علي في مصر ولقب نفسه هادي المستجيبين وقائم الزمان وإمام الزمان وكثر مؤيدو حمزة وعندما قتل الحاكم بجوار جبل المقطم ادعى حمزة أن الحاكم صعد إلى السماء وانه سينزل في آخر الزمان وادعى الإمامة وأعلن حمزة أنه سيغيب ثم يعود، اختفى ٣ سنوات كتب خلالها رسائل كثيرة ، ولما انتشرت دعوته في الشام ذهب إليها وأبقى في مصر ربيه (السموقي المعروف بالضيف) واستمر السموقي بنشر الدعوة ويوجه الرسائل إلى الملوك والرؤساء وأرسل رسائل إلى لبنان وحوران والتيم وعندما كثر أتباعه أعلن السموقي قفل باب الاجتهاد واقتصرت الدعوة الدرزية على رسائل حمزة.

عقيدتهم: يعتقدون أن الحاكم إله وحمزة نبيه ويقولون: نحن لا نشك أن الحاكم بشر في العين المجردة ولكن هذه هي الصورة الإنسية / جاء في رسالة الغيبة لحمزة (أظهر لنا ناسوت صورته) وفي ميثاق ولي الزمان(حمزة) (توكلت على مولانا الحاكم الأحد الفرد الصمد المنزه عن الأزواج والعدد). ويعتقد الدروز أيضا بالتناسخ والتقمص وهم يعتقدون أنه لا بعث ولا جنة ولا نار.

وينقسم الدروز إلى طبقتين:

١-طبقة العقال: وهم الذين يعرفون أسرار عقيدتهم ، يجتمعون مساء كل جمعة .

٢-طبقة الجهال: وهم الذين لا حق لهم في معرفة عقيدتهم.

وللدروز رؤساء دينيون وعلى رأسهم (شيخ العصى ويتولى منصبه بالاتفاق أو الانتخاب ، وله أعوان في كل قرية ومدينة ويسمى (شيخ العقل).

والمرأة عند الدروز لا ترث من بيت أبيها شيئا ويوزع الإرث بالتساوي ، وطلاق الدرزي مرة واحدة ، ولا يجمع بين زوجتين ويعض الدروز يعبدون الفرج، وبعضهم يبيح نكاح البنات لهم، يقولون أن آدم تزوج حواء وهي منه.

اليونسكو

جاء في الموسوعة التي أصدرتها اليونسكو أخيراً تحت عنوان (تاريخ الجنس البشري وتقدمه الثقافي والعلمي ويقع في عدة مجلدات تتجاوز الألف صفحة يتناول الفصل العاشر من المجلد الثالث أحوال العرب والإسلام.

جاء في الموسوعة :

١- الإسلام تركيب ملفق من المذاهب اليهودية والمسيحية أضيفت إليها التقاليد الوثنية العربية .

٢- القرآن مجرد من أهم خصائصه في البلاغة.

٣- الشريعة الإسلامية شريعة معقدة.

٤- مجموعة الأحاديث النبوية وضعت في عصر متأخر وأجريت على لسان الرسول .

٥- فقهاء المسلمين تعمدوا استخدام النظم القانونية والتشريعية الأجنبية المجربة وبخاصة القانون الروماني والفارسي والتلمود والقوانين الكنسية الشرقية.

٦- عقوبة حد السرقة قاسية ومشينة.

٧- دور المرأة في مجتمع الإسلام على جانب كبير من الضآلة.

٨- أرهق الإسلام أهل الذمة في البلاد التي تم فتحها بفرض الجزية والخراج.

الدراسات الاستشراقية

في عصر التنوير : بدأت دراسة الإسلام لبيان أخطاء الكنيسة الكاثوليكية.

فمثلاً روسو : يثني على الإسلام لأنه وحد بين السلطتين العقدية والسياسية أما سافاري الفرنسي : فيقول عن الرسول ﴿ﷺ﴾ (أحد أولئك الرجال العظام الذين يظهرون من وقت لآخر فيقلبون أوضاع العالم ويقودون البشر في طريق التقدم والنصر. وإن الغربي المتنور وإن لم يعترف بنبوته لا يستطيع إلا أن يعتبره من أعظم الرجال الذين ظهروا في التاريخ).

فهذا الاتجاه رغم أنه متحرر من الكنيسة إلا أنه يخضع لنظرة معينة وفكرية أو نظريات علمية فلابريد أن يعترف بالوحي.

(التغريب) الاستشراق والمبشرون

١- الشبهات تحاول دائماً أن تعزو إلى الإسلام أنه عامل التأخر الأول .

٢- وإلى أن اللغة العربية هي الحائلة دون الابتكار والاختراع.

٣- والتاريخ الإسلامي مليء بالاختلاف والصراع.

١- **فولتير** (تمثيلية محمد)

٢- كرومر (تغريب المفكر العربي) سنة ١٨٨٢-١٩٠٦

٣- دنلوب (تغريب التعليم والتربية) سنة ١٨٨٧-١٩٣٠.

٤- أرنست رينان: (الإسلام والتقدم).

٥- هانوتو: مصر والمصريون.

٦- زويمر: التبشير.

٧- مرجليوث: محمد وظهور الإسلام.

٨- لورنس: الأعمدة السبعة

٩- لويس شيخو: تاريخ العرب والإسلام.

١٠- ولكوكس: الدعوة إلى العامية.

١١- فنسنك : دائرة المعارف.

١٢- جلوب: الفتوحات العربية الكبرى.

١٣- جولد تسهير: السنة والتشريع.

يقول توينبي : (إن الأديان الأربعة العليا في الشرق الأقصى (الإسلام والمسيحية والهندوكية والمهايانا) هي مجرد ألوان أربعة لمنهج واحد).

يقول نلسن (إن الإسلام مقلد، وإن أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية وسائر ما فيه أخذ من الوثنية كما هو أو مع شيء من التبديل).

١- فولتير (محمد والتعصب)

أصدرها سنة ١٧٤٥ أهداها إلى البابا (بنوا الرابع عشر)، مليئة بالطعن للنبي صلى الله عليه وسلم.

٢- كرومر سنة ١٨٨٢-١٩٠٦ألف (مصر الحديثة)

الإسلام مناف للحضارة ولا يمكن للمسلمين أن يتقدموا حتى يتركوا القرآن والإسلام لأنه يعلمهم الحقد على مخالفيهم ، الإسلام ينافي العمران ويبيح الطلاق ويحرم الربا والخمر.

تشجيع المبشرين في مصر والسودان:

خلق طبقة من المتفرنجين وهؤلاء هم حلفاء الأوربي المصلح ومساعدوه وسوف يجد محبو الوطنية أحسن أمل في ترقي أتباع الشيخ محمد عبده للحصول على مصر مستقلة بالتدريج .

حمل تعاليم كرومر والدعاية لها لطفي السيد في (الجريدة) وصحيفة المقطم.

وقد ركز كرومر في هجومه على الدولة العثمانية ، والحملة على الإسلام الذي تمثله تركيا. نشر اللغة الإنجليزية ، تجميد اللغة العربية ، مصر للمصريين ، الحط من شأن رجال الأزهر والجامع الأزهر.

رد على كرومر ثلاثة : فريد وجدي، مصطفى الغلاييني ، رشيد رضا .

قال الدكتور سامي النشار: (أعلن كرومر حين مجيئه إلى مصر أنه سيهدم في مصر ثلاثا: القرآن والكعبة والأسرة الإسلامية والأزهر).

٣- بروكلمان

يقول في تاريخ الشعوب الإسلامية (ولم يكن عالم محمد الفكري من إبداعه الخاص إلا إلى حد صغير فقد انبثق في الدرجة الأولى من اليهودية والنصرانية فكيّفه محمد تكييفاً بارعاً وفقا لحاجات شعبه الدينية).

ويقول : إن محمداً طاف بالبيت سبعاً لامساً الحجر الأسود بعضه في كل مرة وبذلك ضم هذا الطقس الوثني إلى دينه.

٤- ليوتي : أول حاكم للمغرب سنة ١٩١٢.

أثار النعرة بين العرب والبربر.

حارب جامعة القرويين وقال : إذا تم لفرنسا القضاء على جامعة القرويين فقد ضمنت فرنسا لنفسها البقاء في المغرب ، حارب اللغة العربية وأحل محلها الفرنسية ، وأقام المحاكم البربرية ، وأقام ثقافة فرنسية بدل الإسلامية ، أقامت له فرنسا تمثالاً في الرباط.

٥ - لافيجري

كردينال : أشرف على انشاء المدارس التبشيرية ، ومهد لاحتلال تونس ، وأقيم له تمثال في مدخل مدينة تونس ، وكان يرى أن المغرب العربي بلاد رومانية يجب أن ترجع إلى أصلها الكنسي.

٦- دوجلاس دنلوب

دخل مصر سنة ١٨٨٩ مبشراً ، عين سنة ١٨٩٧ سكرتيراً عمومياً للمعارف ، وفي ٢٤ مارس سنة ١٩٠٦ عين مستشاراً للمعارف.

مذهبه (متى توارى القرآن ومدينة مكة من بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة). وكان ينفذ سياسة كرومر (عقل بريطاني وأيد مصرية :)

١- حارب العربية والأزهر.

٢- نشر الانجليزية. حتى أصبح يعلم الرياضيات والعلوم والكيمياء والجغرافيا بالإنجليزية.

٣- محاربة التعليم العالي (إن المصريين لا يصلحون للعلوم العالية).

٤- إقصاء الكتب التي كتبت بروح اسلامية كمؤلفات علي مبارك وعبد العزيز جاويش.

ه- جولد تسيهر

يقول في العقيدة والشريعة (أن الأخلاق العالية والمثل الرفيعة في الإسلام إنما أخذها الإسلام من الديانات التي اعترف لأصحابها بالرسالة)[1] .

أرنست رينان

وصف النبي ﴿ﷺ﴾ بالخداع والدجل.

ألقى محاضرة في السوربون (سنة ١٨٨٣) (بعنوان الإسلام والعلم) حمل فيها على الإسلام حملة متعصبة وقال : إن الإسلام عقبة في سبيل العلم ، واضطهد العلماء.

جبرائيل هانوتو

يرى هانوتو رأي كميون في نسف الكعبة ونقل قبر محمد إلى متحف اللوفر، رد عليه محمد عبده.

زويمر

بدأ بالبحرين كبائع كتب ، عقد أول مؤتمر للتبشير سنة ١٩٠٦ في القاهرة في بيت أحمد عرابي في باب اللوق ، مؤتمر سنة ١٩١١ في لكنو ، ١٩٢٤ في القدس.

مرجليوث

مستشرق انجليزي ألف كتاب (محمد وظهور الإسلام)

رد عليه علي جاويش وقال : إنه حارب التاريخ كما حارب الإنصاف.

ومما قال مرجليوث:

١- ان المسلم معناه في الأصل الخائن.

٢- عاشر محمد - ﷺ - بعض النصارى فاستفاد من تعاليمهم وأساليبهم.

٣- تزوج خديجة طمعاً في مالها.

٤- الله : اسم صنم في الكعبة.

٥- كانت تنتاب محمداً صلى الله عليه وسلم نوبات عصبية كثيرة.

٦- أكل لحم الجمل فرض على المسلم.

٧-اسم والد النبي ﷺ مجهول ولذا سموه (عبد الله).

(١) أنظر مفتريات اليونسكو للسمان ص٢٢.

لورنس (الأعمدة السبعة)

(لقد كنت أعلم أننا إذا كسبنا الحرب فإن عهودنا للعرب ستصبح أوراقاً ميتة ولو كنت ناصحاً شريفاً للعرب لنصحتهم بالعودة إلى بيوتهم. لقد كان قادة الحركة العربية يفهمون السياسة الخارجية فهماً عشائرياً بدوياً ، وكان البريطانيون والفرنسيون يقومون بمناورات حربية اعتماداً على سذاجة العرب وضعفهم وبساطة قلوبهم وتفكيرهم، ولهم ثقة بالعدو.

إنني أكثر ما أكون فخراً أن الدم الإنجليزي لم يسفك في المعارك الثلاثين التي خضتها لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوي في نظري موت انجليزي واحد).

يقول وايزمان : لقد قدم لنا لورنس خدمات جليلة.

وصل الشرق سنة ١٩١٤ . استخدمه الانجليز في الاستخبارات، وصل جدة سنة ١٩١٦ واتصل بفيصل.

كان لورنس يدعى سلطان الصحراء العربية، ملك العرب غير المتوج.

لامنس

راهب مؤرخ ، كتب عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ كتاباً لم يوافق الفاتيكان على نشره خوفاً من الضجة.

قال : احتكر أبو بكر وعمر وأبو عبيدة السلطة وقد مهدت لهم عائشة وحفصة وأبعدوا علياً.

تأثر الفقه الإسلامي باليونان.

وصف صلاح الدين بالطماع وعزا عفو صلاح الدين إلى (الجبن والخوف).

لويس شيخو (خرافات القرآن) سنة ١٨٥٩-١٩٢٧.

ولد بماردين ، علم الآداب العربية في جامعة القديس يوسف.

أنشأ مجلة المشرق سنة ١٨٩٨ واستمرت ٢٥ سنة.

له كتاب: شعراء النصرانية، وادعى أن معظم شعراء العرب قبل الإسلام نصارى.

وليم ولكوكس

سنة ١٨٩٣ ألقى المهندس الإنجليزي محاضرة عنوانها : لماذا لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن؟ عزاها : إلى التمسك بالفصحى. وقال : إن الانجليز كانوا يؤلفون باللاتينية فلم يخترعوا فعندما اختاروا لغة الفلاحين الانجليز اخترعوا.

اشترى ولكوكس ترخيص مجلة اسمها (الأزهر) وأشرف عليها، ترجم الانجيل إلى العامية ، توفي سنة ١٩٣٢.

فنسنك

تولى تحرير قسم من (دائرة المعارف الإسلامية) ومعظم محرريها مبشرون .

يتهم محمداً صلى الله عليه وسلم بالوثنية قبل البعثة، وادعى أن الآيات المكية ليس فيها إشارة إلى علاقة محمد بالكعبة.

جلوب (الفتوحات العربية الكبرى)

حاول أن يشوه صورة المصطفى ﴿ﷺ﴾ والفاتحين من القواد الكبار من الصحابة وتشيّع لليهود والنصارى . كان يردد (الشعوب الناطقة بالعربية) وهذا تعبير استعماري . وأراد أن يظهر أن كل من يعتنق الإسلام إنما هو بدافع الانتهازية. التفريق بين العرب والبربر.

الوجودية

Existentialism

تقوم على تقديس حق الفرد وحمايته من طغيان الجماعة. فالفرد هو الموجود الحقيقي في الخارج ، والنوع الإنساني لا وجود له إلا في عالم التصور والذهن.

وبعضهم يقول : إن الوجود كلمة عبث لا معنى له على الإطلاق ولا غاية من ورائه لمخلوق ولا لخالق.

مدرسة الوجودية الفرنسية : مدرسة إباحية يتعلق بعضها بفرنسا وبعضها بسارتر إمام المدرسة.

أما الأسباب التي تتعلق بفرنسا فهو الولع (بالزي الموسمي).

الأسباب التي تتعلق بسارتر : فهو لاختلال تكوينه ، واتصال نسبه.

ففي تكوينه دلائل اختلال تبدو أعراضها كالشلل يعتري شقه الأيمن ، وأمه يهودية ويقضي معظم أيامه بين اليهود ، وله عناية شديدة بالدفاع عن السامية[1] .

من فلاسفتهم :

ـ هايد جارد (مشاعر الخوف من المجهول عملية دائمة).

ـ **كامي :** فلسفتنا تقوم على التمزق واليأس

ذاع صيت سارتر وجيد كفلاسفة للوجودية أكثر من غيرهما وذلك بسبب النقد اللاذع للأخلاق والتقاليد.

وقد يلتقي سارتر مع فرويد الذي توفي سنة ١٩٣٩ في كثير من الخطوط وربما استقى نظريته الشاذة أو بعضها منه. إنه يؤمن كفرويد أن القوة الجنسية أصل عميق في الإنسان منذ طفولته ويسري في العلاقات الإنسانية كلها ولكنه يضيف أن الدافع إلى الجنس ليس القوة الجنسية وأسبابها فحسب بل ان نزعته الوجودية الكامنة في الإنسان تدفعه إلى هذا .

أما (اندريه جيد) فقد تأثر به سارتر وهمايد لأن الإنسان صانع الأقدار أو خالقها بلا استثناء.

والسر في بروزه أنه برر للشباب الانحلال وزينه بالعلم والفلسفة.

ويرى الوجوديون أن الإيمان بالله هو العائق الوحيد عند الوجوديين لأن الإنسان إذا آمن بقوة تسيطر عليه فهو لا يستطيع أن يستقل بوجوده ولا أن يتحمل المسؤلية دون غيره ، إن الإيمان بالله عندهم عائق كبير في حرية الانسان وتفسد عليه حريته (أي التمرغ في الأهواء والشهوات).

الوجودي لايؤمن بوجود الله ولا يؤمن بنظام خلقي يسود الإنسانية. الانسان عنده حر مسئول أمام نفسه لا أمام الله.

ويمكن تلخيص أراء سارتر فيما يلي (ان هبوطنا وسقوطنا وأخطاءنا لا وجود لها بنفسها بل إن لها مبرراً من وجود الآخرين.

(It is before the athers than I am guilty)

وهذا واضح في كتابه (الآخرون هم الجحيم)

وكتاب (Being and nothing ngness) إن احترام حرية الآخرين جرح لحريتنا.

إن طابع كتاباته تتسم بالألم والقلق واليأس والتذمر.

إن القيم الخلقية والأسرة والمجتمع والدولة منغصات لحرية الفرد.

لقد كان الفكر الوجودي نتيجة للفراغ الروحي الذي أعقب الحرب العالمية الثانية ، وقد رأى سارتر أهوال الحرب الثانية وسجن سنة وهرب وانضم إلى عصابة ضد الألمان ٠٠ ويرى سارتر أن الخواء أصيل في الإنسان وكذلك الوحدة والعزلة ولذا يحاول أن يتغلب على هذا باللامبالاة

---

(١) انظر الغزو الفكري علي عبد الحكيم.

وهذا يبدو من خلال كتبه (سبل الحرية) (موتة الروح) (عصر العقل)

والنظرة التشاؤمية التي سيطرت على سارتر لاتقل عن شوبنهور) زعيم المتشائمين الذي يقول :

الحياة تتدلى كالبندول من الألم إلى السآمة ومن السآمة إلى الألم وهذا اليأس والفراغ يدفعهم أن ينطلقوا إلى آخر الشوط في الانحلال والهروب من النفس وممارسة ألوان مضحكة من التسلية (رقصات الجاز والروك أندرول ورقصات الحمير والبغال ...)

لقد انتصر سارتر لأنه برر لآلاف الملايين من البشر انحلالهم وغرقهم من خلال الأدب.

أما مارسيل سنة ١٨٨٩ فهو يمثل المدرسة المؤمنة الوجودية يؤمن بالروح ويرى أن الإنسان لا يتمتع بالحرية الصحيحة إلا إذا آمن بالله.

إنه لا يرى أن الحياة ضائعة مهملة لامعنى لها مثل سارتر وكامي بل يرى أن الأمل والرجاء أصيل في الروح البشرية . وان الأمل للحياة الروحية كالنفس للحالة الطبيعية.

ومن تمثيلياته (ولي من أولياء الله) (قلوب الآخرين) (التوفيق الإلهي).

الشيوعية

يعيش الفرد فيها بين المطرقة والسندان : مطرقة الفئة الحاكمة وسندان القواعد للحزب الشيوعي تؤدي جدلية هيجل وماركس إلى نتيجتين :

١- الدين والأخلاق والعلم مظاهر للروح العالمية السائدة في عصر من العصور .

٢- ان مدنية ما عندما تنضج وتبلغ رشدها يتولد منها طائفة ذات ميول وأفكار جديدة تصارعها وتأتي بالجديد (فلا اعتراف بخالق ولا خلق ولا ثبات ولا استقرار).

٣- زاد ماركس وأتباعه : الدين والخُلق انعكاس للاقتصاد.

المنظمات الشيوعية العربية كلها يهودية :

أ- في مصر : الاسكرا : ايلي شوارتز

حدتو : هنري كوريل

منظمة د. ش : يوسف درويش وريمون دويك م. ش.م : أوديت وزوجها سلامون أو سلاقو.

ب- العراق : شلومو (سلمون) دلال.

جـ- اللبناني السوري : جاكوب بيتر.

برقية نيسان ١٩٧٧ من الحزب الشيوعي الأردني إلى الاسرائيلي (كما قدر المجلس عاليا المواقف المبدئية والثابتة في القوى التقدمية في اسرائيل نفسها وفي مقدمتها الحزب الشيوعي الاسرائيلي راكاح في دعم ومساندة نضال الشعب الفلسطيني)

نشرة أخرى (وكذلك تعزيز الصلات وعلاقات الصداقة مع القوى الديمقراطية الإسرائيلية ولا سيماً راكاح لما تقدمه هذه القوى من مساعدة هامة للنضال الفلسطيني من خلال كفاحها ضد الأمبريالية).

سنة ١٩٣٩ قرار ال بني برث/ عن مجلة المصور المصرية عدد ٢٦٢٩.

(ولقد نشرنا روح الثورية التحررية الكاذبة بين شعوب الغير لإقناعهم بالتخلي عن أديانهم بل بالشعور بالخجل من الإعلان عن تعاليم هذه الأديان ومزايا ها وأوامرها ونواهيها والأهم من ذلك أننا نجحنا في إقناع كثيرين بالاعلان جهاراً عن الحادهم الكلي بعدم الإيمان بوجود خالق البتة بل وأغويناهم بالتفاخر لكونهم من أحفاد القرود - نظرية داروين - ثم قدمنا لهم عقائد ومبادئ جديدة يستحيل عليهم سبر أغوارها الحقيقية كالشيوعية والفوضوية التي تخدم منفردة ومجتمعة مصالحنا وأهدافنا وتلقى الغير المترفين

هذه المقائبقبول حسن وحماس شديد دون أن يراود عقولهم أي شك بأن هذه إنما وجدت لخدمة مصالحنا وإنها بحد ذاتها تشك أخص الأسلحة التي نستخدمها للقضاء على وجودهم وفي كل ذلك برهن الغير الأغنياء عن سذاجة ماكنا نتصورها فيهم فقد كن ننتظر من البعض ذكاء و وعياً أعمق بحقيقة الأمور وأصولها ولكنهم جميعاً لم يكونوا أفضل من قطيع غنم ، فلنتركهم يرعون مر حقولنا حتى يُسمَّنوا ويكونوا صالحين للذبح كالأضاحي[1].

قال أبو ماركس(ماذا تظن كأننا مصنوعون من الذهب) (إنك على مافيك من خصال حسنة -أناني، تغلب الأنانية على جميع صفاتك) ص ٢٤.

أم ماركس (إنه لا ينتظر بالبداهة إلا أن يعيش طفيلياً أبدياً).

مخطط الهدنة اليهودي :

١- هدم الأديان ليبقى التلمود.

٢- تزييف التاريخ للادعاء بوعد في فلسطين

٣- تدمير الأخلاق : فرويد، ماركس و دركايم.

٤- فرض المادية على الفكر البشري.

بن غوريون (لقد قاومت اليهودية الحضارة اليونانية، والامبراطورية الرومانية والمسيحية وأخيراً الإسلام).

يقول كانط : التنوير هو الإفراج عن الإنسان من الوصيات التي فرضها على نفسه والوصاية الدينية هي أرذل الوصاي وأشدها ضرراً :

الحق : الخير والجمال.

الحق : نقد العقل النظري.

الخير: نقد العقل العملي.

الجمال : نقد ملكة الحكم.

ماكس نوردو سنة ١٨٤٩ .

عمر بن عبد العزيز (يجدّ للناس من الأقضية ما يجد من القضايا).

نحن الآن نعاني شرك الاتباع لا شرك الأضرحة.

يحمل طالب الشريعة النظارة التي يجب أن يحملهادائماً، علينا أن لا نشغل أنفسنا عن مشاكل المجتمع الجاهلي كالتأمين، فلو اشتغل بيت المال الإسلامي وظيفته فلا حاجة للتأمين.

الغزو الفكري أفسد كثيراً من تفكيرنا فلابد من دراسة المخططات فالطبيب لا يعالج المرض حتى يعرف تاريخه.

اليونسكو تحافظ على الآثار

(الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته) مجموعة مستشرقين : إننا في كل بلد إسلامي دخلناه نبشنا الأرض حتى نُخرج آثار ما قبل الإسلام ونحن لا نطمع أن يرتد المسلم إلى عقيدة ما قبل الإسلام ولكن يكفي تشتيت ولائه.

قال حافظ ابراهيم :

أنا مصري بناني من بنا   هرم الدهر الذي أعيا الفنا

اليونسكو/ تحت سيطرة اليهود

---

(١) القادر/ اليون الشعوب.

أستاذ جزائري يدرس الشريعة في السوربون يقول : ليس لدينا أية وسيلة علمية تثبت أن هذا هو القرآن الذي نطق به محمد ويدأ يشير أن هناك متناقضات.

جوليان مكسلي (لقد آن للإنسان أن يأخذ على عاتق نفسه ما كان يلقيه في وقت الجهل والعجز على الله ويصبح هو الله).

البروتوكولات : علينا أن نشجع الانحلال في المجتمعات غير اليهودية فيعم الفساد والكفر وتضعف الروابط المتينة التي تعتبر أهم مقومات الشعوب فيسهل علينا السيطرة عليها وتوجيهها كمانريد) (إن الغاية تبرر الواسطة وعلينا ونحن نضع خطتنا ألا نلتفت إلى ما هو أخلاقي وغير أخلاقي وما هو خير أو شر بقدر ما نلتفت إلى ماهو ضروري ومفيد) .

مكسيم جوركي (اليهود سيف ذهبي مشهور على رأس أوربا).

دوركايم (نظام الأسرة مصطنع والدين نبت من الأرض).

نيتشه (سياسة الأقوياء والضعفاء) وهو وراء النازية.

ليفي بريل (نظريته في الأخلاق).

التطور (دارون ، سبنسر، كانط).

الوجودية (سارتر).

المعارك الثلاث :

١- معركة الجنز/ ماركس.

٢- معركة الجنس/ فرويد.

٣- معركة الخوف / انيشتين.

اوسكارليفي (نحن اليهود سادة العالم ومفسدوه ومحركو الفتن فيه وجلادوه).

هتلر (ما من فعل يغاير الأخلاق وما من جريمة بحق المجتمع إلا ولليهود يد فيها وإن ٩/١٠ النشرات والمسرحيات واللوحات الفنية التي تروج للإباحية المطلقة والماركسية من صنع اليهود).

جاء في موسوعة فولتير الفلسفية وديدرو (ان الزنا ليس محرما وإنه شريعة الطبيعة).

فولتير وروسو (الثورة الفرنسية) [مال لويس ١٦ : ان هذين قوضا دعائم فرنسا .

نورو صاحب كتاب (الأكاذيب المقررة) وهو صديق هرتزل.

البروتوكول ٣ : (سننتشر بين الشعوب أدباً قذراً مريضاً يهدم الأسرة وسنستمر بالترويج لهذا الأدب.

(يجب أن نعمل – لتنهار – الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا ، إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ويصبح همه إرواء غريزته الجنسية وعندئذ تنهار الأخلاق في كل مكان ونستولي على العالم وهو مخدر).

فصل الدين عن السياسة

لقد عادت الكنيسة فتحالفت مع الحكام والدول.

نشأ حلف طويل المدى بين الكنيسة وحملات الاستعمار في آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط وليس صحيحاً أن هذه مرحلةقد انتهت.

فالكنيسة الكاثوليكية في البرتغال تحالفت مع الاتجاه الأمريكي ضد المد الشيوعي، ومجلس الكنائس العالمي نظم مؤامرة بواسطة كبير الأساقفة في يوغندا للاطاحة بعيدي أمين.

وفي ايرلندا ثورة قوامها العقيدة الكاثوليكية.

وفي ألمانيا وإيطاليا وهولندا وبلدان أوربية كثيرة أحزاب ضخمة تحمل اسم الحزب الديمقراطي المسيحي.

ومجلس الكنائس العالمي في مؤتمره الأخير الذي عقد في (نيروبي) قرر إقامة دولة مسيحية كبرى في شرق أفريقيا تضم تنزانيا ويوغندا وكينيا وجنوب السودان.

الحروب الصليبية

تم انتخاب (جود فروي) دوق لورين ملكا على القدس ١٥ يوليو سنة ١٠٩٩ م. في مشهد تاريخي رهيب يقول عنه جيبون.

(إن خدام رب المسيحيين رأوا باعتقادهم الأعمى أن يكرموه بذبح ٧٠ ألفاً من المسلمين تعظيماً وإجلالاً وزلفى وقربانا ولم يرحموا كبار السن والأطفال والنساء وقد استمرت هذه المذبحة ثلاثة أيام وما تركوا بقية الأسرى إلا من التعب والإجهاد).

لويس التاسع ربته امه (بلانش دي كاستيل) تربية دينيه ولكي تنفرد لحكم فرنسا أرسلته أمه على رأس حملة صليبية ووصل مصر سنة ١٢٤٩ م واحتل دمياط ونزع الهلال عن مسجدها إلا أن الظاهر بيبرس أسره مع (١٠) آلاف صليبي.

التدمير باسم العلم والشهادات

جاء في كتاب: Eastern Proplem, London, 1975.P.149

(لا شك أن المبشرين فيما يتعلق بتخريب وتشويه عقيدة المسلمين قد فشلوا تماماً ، ولكن هذه الغاية يمكن الوصول إليها من خلال الجامعات الغربية. فيجب أن تختار طلبة من ذوي الطبائع الضعيفة والشخصية المرزقة والسلوك المنحل من الشرق ولا سيما من البلاد الإسلامية ومنحهم المنح الدراسية ، حتى نبيع لهم الشهادات بأي سعر ليكونوا المبشرين المجهولين لنا ، لتأسيس السلوك الاجتماعي والسياسي الذي نصبوا إليه في البلاد الإسلامية ، إن اعتقادي لقوي بأن الجامعات الغربية يجب أن تستغل استغلالاً تاماً ... جنون الشرقيين للدرجات العلمية والشهادات واستعمال أمثال هؤلاء الطلبة كمبشرين ووعاظ ومدرسين لأهدافنا ومآربنا باسم تهذيب الإسلام والمسلمين)[1].

السلطان عبد الحميد [2]

٢٧ تموز سنة ١٩٠٨ إعلان الدستور

٢٧ نيسان سنة ١٩٠٩ خلع السلطان.

سنة ١٨٩٧ قابل هرتزل مع الحاخام (موسى ليفي) السلطان عبد الحميد وعرض عليه:-

١- إنشاء اسطول عثماني

٢- دعم سياسة العثمانيين في العالم الخارجي.

٣- مساعدة السلطان في تحسين أوضاعه المالية.

٤- إنشاءجامعة عثمانية في القدس.

قال هرتزل: (مثلاً لو رضي مولانا وباع لنا الأراضي التي ليس لها مالكون في فلسطين بالثمن الذي يقدره) فغضب السلطان وقال: **ان أراضي الوطن لاتباع، إن البلاد التي امتلكت بالدماء لا تباع إلا بالثمن نفسه.**

من اقطاب اليهود:

١-جاويد أي دافيد: دونمة، ماسوني، اتحاد وترقي وزير مالية.

---

(١) أجنحة المكر/ حبنكة ٨٧.

(٢) انظر يقظة العرب ص ١٨٠.

٢-حسين جاهد يالشين: أحد أعضاء لجنة التوفيق الثلاثية (أمريكي فرنسي تركي) بين العرب واليهود.

أنور باشا أحد أقطاب الماسونية والانقلاب على السلطان عبد الحميد يقول لجمال باشا (أتعرف يا جمال ما هو ذنبنا؟ نحن لم نعرف السلطان عبد الحميد فأصبحنا آلة في يد الصهيونية واستثمرتنا الماسونية العالمية ، نحن بذلنا جهودنا للصهيونية فهذا ذنبنا الحقيقي)

يقول برنارد لويس اليهودي في كتابه تركيا الحديثة:

(لقد تعاون الإخوة الماسون واليهود سراً على إزالة السلطان عبد الحميد لأنه كان معارضاً قوياً لليهود إذ رفض بشدة إعطاء أي شبر أرض لليهود في فلسطين[1].

يقول هرتزل (ونصحني السلطان عبد الحميد بأن لا أتخذ أية خطوة أخرى في هذا السبيل لأنه لا يستطيع أن يتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين إذ هي ليست ملكا له، بل هي لأمته الإسلامية التي قاتلت من أجلها وروت التربة بدماء أبنائها، .

رسالة السلطان عبد الحميد لأبي الشامات : عرض اليهود عليه ١٥٠ مليون جنيهاً انجليزيا ذهبياً فقال: (إنكم لو دفعتم ملء الأرض ذهباً – فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي ، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلن أسود صحائف المسلمين، أبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين)[2].

المقررات السرية لليهود التي

نشرتها التايمز سنة ١٩٢٠[3]

١- العمل بكافة الوسائل واستغلال الشخصيات لتكون فلسطين مكان التجمع اليهودي.

٢- ربوا الجمعيات اليهودية مع كافة المنظمات الدولية والسياسية من أجل دولة صهيون.

٣- التظاهر بالمسيحية مع الإيمان بأن المسيحية عدوة اليهودية.

٤- إضعاف الدول السياسية القائمة وبذر الخلاف والشقاق بين حكامها بواسطة الجمعيات السرية ونقل أنظمتها إلى الإباحية والفوضى.

٥- على اليهودية أن تعتبر الجماعات الأخرى قطعاناً حقيرة من الماشية ويجب أن يكونوا لعبا في أيدي حكام صهيون.

٦- اللجوء إلى التملق والتهديد واستغلال المال في إفساد الحكام والسيطرة عليهم.

٧- يجب أن يكون ذهب الأرض في أيدي اليهود حتى يمكن السيطرة على الصحافة والمسرح والمضاربة والعلم والتشريع لإنارة الرأي العام وإفساد الأخلاق والتهييج للرذيلة. ولمحق كل ميل إلى التهذيب ولتشييد عبادة المال والشهوة.

ليس من بأس بأن نضحي بالفتيات في سبيل الوطن القومي وإن تكن هذه التضحية قاسية ومستنكرة لأنها في الوقت نفسه كفيلة بأن توصل إلى أحسن النتائج وماذا عسى أن نفعل مع شعب يؤثر البنات ويتهافت عليهن وينقاد لهن.

حملة أعداء الإسلام على القرآن

١- **ماكدونالد** (مقال في دائرة المعارف الإسلامية ٤/٢٤٤ ط دار الشعب بالقاهرة.

(ولسنا نعلم علم اليقين هل كانت قد وجدت لديهم (العرب) فكرة عن الملائكة ... وربما كان هذا تفسيراً من عند محمد.

ومن أسماء الله السلام وقد تكون هذه الكلمة بقيت في ذاكرة محمد من العبارات التي تتلى في صلوات النصارى)

٢- **جب (المذهب المحمدي) صـ ٢٥** (إن مكة كانت فيها حياة زاخرة بالتجارة والسياسة والدين وانه وجدت فيها زعامة وزعماء

---

(١) المكائد اليهودية/ حبنكة صـ ٢٤٧. (٢) المكائد اليهودية صـ ٢٨١. (٣) انظر كتاب حبنكة مكائد يهودية صـ٢٧.

وانه وجد ظلم اجتماعي بين سكانها ، وأن الرسول محمداً انطبعت في نفسه كل هذه الجوانب وكان على وعي تام بها ترى آثارها في حياته وفي قرآنه وفي كفاحه إلى أن مات ومحمد في البداية لم يكن نفسه على علم بأنه صاحب دعوة إلى دين جديد.

٣- ويلز (معالم تاريخ الإنسانية ٣/٦٢٦-٦٤٠)

(ولد لمحمد أطفال عبيدون كان اسم أحدهم (عبدمناف : خادم الرب المكي) ويحتمل أنه رأى كنائس مسيحية في سوريا .. وربما كان اليهود قد هدوه إلى الاعتقاد في الرب الواحد الحق ... وإنا لنستبين في محمد رجلاً ذا قوة تصورية مائلة وان كان عرجونية على طريقة العرب، ولها أغلب مزايا البدوي وأهم نقائصه) (ومحمد شاعر غير مجيد).

الحملات على السنة

١- ماكدونالد (دائرة المعارف ٤/٢٥٥) (انناال نستطيع أن نعرف أبداً الأحاديث التي صدرت عن محمد حقاً) (ثم دخلت زيادات في الأحاديث وأولها ماكان خاصاً بالأساطير وجعلت صفات الله أكثر وضوحاً فاشتد التناقض في صفات الله .

جولدتسهير (إن الأحاديث ليست في الواقع إلا سجلاً للجدل الديني في القرون الأولى ... لكن هذا السجل مضطرب ، كثير الأغلاط التاريخية ، وفيه معلومات مضللة).

الحملات على الرسول (ﷺ)

نولدكه ، جب ، جولدتسهير ، توينبي ، فيليب حتى شاخت ، مجيد خدوري ، مرجليوث ، وليم موير ، زويمر ، فنسنك.

١- نولدكه (ان سبب الوحي النازل على محمد والدعوة التي قام بها هو ما كان ينتابه من الصرع)[١].

٢- بروكلمان (تاريخ الأدب العربي) ٣٤/١ واستخدم محمد في دعوته أساليب الكاهن كما عزا أحوال غيبويته إلى رفيق ذكر فيما بعد أنه الملك جبريل وأعتقد أنه رسول الله إليه) (حفلت تعليماته وتحذيراته بقصص من العهد القديم).

٣- مرجليوث (إن محمداً كان يمارس الشعوذة ، وكانت له مجالس سرية أشبه بالمحافل الماسونية ، وعلامات يتعارف بها مع أصحابه).

٤- لامنس اليسوعي : (إن محمداً كان كثير الطعام والشره مسترسلاً في اللذات البدنية ومات بالبطنة).

٥- رودنسون (كان محمد زيرنساء ينظم الحملات لقطع القوافل لينهب الطنافس الحريرية ويفرشها لزوجاته).

الحملات على التاريخ الإسلامي

يقول ويلز : (ويبرز إسم خالد، أزكى نجم وأسطعه من القواد .. ولما أن خلعته غيرة عمر بن الخطاب ظلماً لا يغتفر لم يحدث أية ضجة). د. علي عبد الحليم ص ٣٧.

وينقل ويلز عن سكوارتز في تاريخ العالم هملوت : إن حياة خالد كانت تنطوي على وصمة فإنه ارتكب الفسق وهي خطيئة في مجتمع يبيح كثرة الزوجات).

ويقول ويلز (لقد كان انتخاب أبي بكر بصورة تصايحية غير رسمية.

وكان عثمان من طبقة المترفين ومن طراز أصحاب الثياب الحريرية التي لم يكن الفرق لديها من أجل الله، بل من أجل بلاد العرب ... ولم يسلم مبكراً كما فعل سلفاه (أبوبكر وعمر) ، وانضم إلى النبي لأسباب سياسية في عملية أخذ وعطاء عادلة ... ويصبح عثمان ملكا كباقي الملوك الشرقيين من قبل ومن بعد[٢].

(١) معالم تاريخ الإنسانية/ ويلز ٦٥٠/٢.

اللغـــــة

يقول القارو (الكاتب الأسباني) يصف القرن الثالث الهجري (إن أرباب الفطنة والتذوق سحرهم رنين الأدب العربي فاحتقروا اللاتينية وبدأوا يكتبون بلغة قاهريهم دون غيرها ٠٠٠إن الناشئين من المسيحيين الأذكياء لا يبحثون أدباً أو لغة غير الأدب العربي ويجمعونه بأغلى الاثمان ويترنمون بالثناء على الذخائر العربية ويأنفون من الاصغاء إلى الكتب المسيحية لأنها في نظرهم لا تستحق الالتفات إليها ٠٠٠ إن المسيحيين قد نسوا لغتهم فلا نكاد نجد اليوم كل ألف يكتب بها خطاباً إلى صديق أما لغة العرب فما أكثر الذين يحسنون التعبير بها) [1] .

في فرنسا: قامت ضجة اجتمعت لها المجالس النيابية وأقامت (لوموند) الدنيا وأقعدتها لأن بعض الكلمات الأوربية - غير الفرنسية - سكنت الفرنسية

في المانيا : أصر الألمان على أن يضعوا كلمات المانية موضع بعض الكلمات اللاتينية اليونانية التي كانت مستعملة وقد أكد فخته أن اللغة الألمانية قادرة على رفع معنويات الأمة وإعادة وحدتها وتوطيد أركانها بعد أن كانت جيوش نابليون جعلت منها أكثر من ثلاثين دويلة.

الأمة التشيكية : حاول الألمان والنمسا القضاء على لغتهم فرفضوا ولحرصهم على لغتهم استقلوا.

النرويجيون : تمسكوا بلغتهم في وجه الاحتلال الدنمركي والسويدي.

المستشرقون [2]

قال السباعي :

١- إن المستشرقين - في جمهورهم - لا يخلو أحدهم أن يكون قسيساً أو استعماريا أو يهودياً .

٢- إن الاستشراق في الدول الغربية غير الاستعمارية - الاسكندنافية - أضعف من الإستعمارية.

٣- إن المستشرقين المعاصرين يتخلون عن (جولد ستهير) وأمثاله المفضوحين .

٤- إن الاستشراق يسير مع الكنيسة ووزارة الخارجية.

٥- إن الدول الاستعمارية كبريطانيا وفرنسا لا تزال حريصة على توجيه الاستشراق وجهته التقليدية من كونه أداة هدم للإسلام.

في فرنسا : بلاشير وماسينيون : في وزارة الخارجية.

إنجلترا : جامعات لندن واكسفورد وكامبرج وجلاسكو وأدنبره يشرف عليها يهود وانجليز مستعمرون ويصرون أن تكون مؤلفات (جولدستهير ومرجليوث وشاخت) هي مراجع الاستشراق.

لمحة عن بعض المستشرقين

١- أندرسون (رئيس قسم قوانين الأحوال الشخصية في معهد الدراسات الشرقية / جامعة لندن.

متخرج من كلية اللاهوت / كمبرج ، من أركان جيش بريطانيا في مصر أثناء الحرب الثانية ، تعلم اللغة العربية من دروس اللغة العربية في الجامعة الأمريكية / القاهرة. درس في الأسبوع لمدة سنة. رسّب أندرسون - طالب دكتوراه - لأنه بين حقوق المرأة في الاسلام.

٢- جامعة أدنبرة : رئيس الدراسات الإسلامية قسيس.

---

(١) الغزو الفكري/ علي عبد المنعم ٩١.

(٢) من كتاب حمكة اجنحة المكر ص ١٠٦.

٣- جامعة جلاسكو : رئيس الدراسات العربية قسيس عاش رئيساً للإرسالية التبشيرية في القدس عشرين سنة.

٤- جامعة أكسفورد: رئيس قسم الدراسات الإسلامية والعربية يهودي يتكلم العربية ببطء وصعوبة وكان في دائرة الاستخبارات البريطانية في ليبيا أثناء الحرب العالمية الثانية.

٥- جامعة ليدن (هولندا) : المستشرق الالماني اليهودي (شاخت) ناقشه السباعي عن جولدتسهير (أستاذ شاخت في التشويه) وعن وضع الزهري الحديث لعبد الملك ضد ابن الزبير في فضل المسجد الأقصى وأنه مالقي عبد الملك إلا بعد مقتل ابن الزبير بسنوات.

(التعليم) (١)

١- لويس التاسع: احتل دمياط فهزمه الظاهر بيبرس وأسر معه عشرة آلاف صليبي وسجنه في دار لقمان.

قال لويس (إن المسلمين لايهزمون مادامت عقيدتهم قائمة ويجب أن تبدأ الحرب على المسلمين بحرب الكلمة).

انتهت الحروب الصليبية منذ استعاد الأشرف خليل عكا سنة ٦٩٠هـ سنة ١٢٩١ م وبعد تسع سنوات قامت الدولة العثمانية واستمرت حتى عام ١٣٣٧هـ مدة خمسة قرون ونصف.

فتح القسطنطنية : ١٤٥٣م - ٨٥٧هـ

٢- تقرير من أحد معاهد الإرساليات بقلم نبيه أمين فارس:

(بينما كان الشرق الأدنى مطمحاً لأفكار بناء الأمبراطوريات ، كان أيضاً مطمح جماعة أخرى من الناس تنشد أن تنجز عن طريق الكلمة ما عجز أجدادها الصليبيون عن تحقيقه عن طريق السيف).

٣- صحيفة الاذن لمحمد بن حبيب الله الشنقيطي / الجزائر: (إن الاذن بتدريس علوم الدين مقيد بأن المدرس لا يفسر أية آية أو حديث يدل على الجهاد ولا يدرس شيئاً من أبواب الجهاد في كتب الفقه).

٤- يقول زويمر : إن السياسة الاستعمارية لما قضت منذ سنة ١٨٨٢ على برامج التعليم في المدارس الابتدائية أخرجت منها القرآن ثم تاريخ الإسلام وبذلك أخرجت ناشئة لا هي مسلمة ولا هي مسيحية ولا هي يهودية، ناشئة مضطربة، مادية الأغراض، لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقاً فلا للدين كرامة ولا للوطن حرمة.

ويقول زويمر في مؤتمر سنة ١٩٢٤ (يجب أن يكون العمل موجها نحو النشأ الصغير من المسلمين قبل أن يتكامل نمو عقليتهم وأخلاقهم.

ويقول زويمر سنة ١٩٣٣ (... إن مهمتكم إخراج المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لاصلة له بالله وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها وبذلك تكونون أنتم طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية. هذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السابقة خير قيام ، لقد قضينا في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية تلك التي تهيمن عليها الدول الأوربية والأمريكية.

إنكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد.

إنكم أعددتم شباباً في ديار المسلمين لايعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه المسيحية وبالتالي جاء النشأ الإسلامي طبقا لما أراده له الاستعمار لايهتم للعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يعرف همه في الدنيا إلا في الشهوات فإذا تعلم فللشهوات وإذا جمع المال فللشهوات وأن تبوأ اسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بأغلى مايملك).

هنري جسيب : (إن التعليم في الإرساليات التبشيرية إنما هو وسيلة إلى غاية فقط ، هذه الغاية قيادة الناس وتعليمهم حتى

(١) الخنجر المسموم (التعليم) / أنور الجندي.

يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوبا مسيحية.

دانبي : يرى عدم توظيف المعلم المسلم في المدارس التبشيرية.

الكتاب المئوي للمبشرين اليسوعيين (أجل لقد كنا نعتمد على مساعدة فرنسا الظافرة والآن ها هي فرنسا هنا.

بنود مؤتمر القاهرة التحضيري

نشرت نيويورك تايمز : بنود مؤتمر القاهرة التحضيري (الياهو اليعازر/ المستشار القانوني لرئاسة الوزراء).

١- تبدأ العلاقات الطبيعية والتمثيل الدبلوماسي قبل الصلح.

٢- تملك مصر ٣٠٠٠ دبابة يبقى منها ألف فقط.

٣- يسرح الجيش المصري بنسبة ٧٥٪ .

٤- لاتتعدى القوات المصرية الحدود الحالية.

٥- تبقى المستعمرات الإسرائيلية في سيناء تحت حراسة إسرائيلية.

٦- الاحتفاظ بالمطارات الإسرائيلية في سيناء.

٧- إقامة محطات ذرية مشتركة بين مصر وإسرائيل.

الخلاف بين المتطرفين (الليكود / بيغن) والمعتدلين (رابين/ حزب العمل ، بيريز ، مائير، ألون).

كل الوجوه السياسية من ١٩٤٨م إلى الآن من حزب العمل.

المعتدلون يقولون : الاحتفاظ بالأراضي العربية لمقتضيات الأمن (مشروع ألون) وليس كحق تاريخي ، وارجاعهم لبعض الأراضي لأن الكثافة السكانية العربية تهددهم ، فيرجعون بعض الأرض لأنه يسكنها أغلبية عربية.

بيغن : هذه أراضي محررة وليست لأسباب أمنية.

آخر خمس تنازلات للسادات :

١- لا تتعدى القوات المصرية الممرات (متلا والجدي).

٢- كارتر والسادات متفقان على إبقاء مطار (يمطعبيون) مع اليهود .

٣- كارتر أقنع السادات بالتريث وإعطاء المبادرة فرصة أخيرة.

وأبلغ السادات كارتر استعداده لمنح اسرائيل ستة تنازلات.

١- ألا تعبر القوة المصرية ممري (المتلا والجدي)

٢- أن توضع قوة رمزية في منطقة خفض القوات وأن تقوم القوات الدولية في المناطق العازلة والمنزوعة السلاح.

٣- حرية الملاحة البرمائية في مضائق تيران.

٤- حق تعزيز محطات الإنذار الإسرائيلية في سيناء.

٥- تقييد حق تقرير المصير للفلسطينيين (يبقى اليهود خمس سنوات في الضفة وسيناء على أن تعاد بعدها السيادة لمصر والأردن ويقرر الفلسطينيون مصيرهم.

٦- معاهدة سلام شاملة[1].

---

(١) انظر نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية آذار- مارس (٧٨) بيروت عدد (٣).

الخطة العشرية

١- ١٨٩٧ مؤتمر بال.

١٩٠٧ إنشاء التشكيلات العسكرية الاسرائيلية في فلسطين (الأرجون ، ماشومير ، شتيرن ، هاغانا).

١٩١٧ وعد بلفور.

١٩٢٧ إسباغ صفة الشرعية على التنظيمات العسكرية (سمحت لها بريطانيا بالظهور وتمدها بالسلاح).

١٩٣٧ الكتاب الأسود (يعطي امتيازات لليهود بالهجرة وشراء الأراضي .

١٩٤٨تقسيم فلسطين.

١٩٥٦ عدوان السويس.

١٩٦٧ حرب حزيران.

١٩٧٧ احتلال لبنان.

حرب حزيران

١- يجال ألون (إن حرب حزيران سنة ١٩٦٧م وضرب المطارات المصرية الذي تم في ثمانين دقيقة قدتم الإعداد له والتدريب خلال عشر سنوات).

- الجيش المصري الذي دخل سيناء : (٤٠) ألف (٤ فرق) مشاة لم يطلب منه أن يحفر خنادق.

آبا إيبان يحمل ملف العدوان في ٢ حزيران وشرحه لجونسون.

خرج عبد الحكيم عامر مع كبار الأركان في طائرة هليوكبتر ٥ حزيران في الجو وقادة سيناء مجتمعون ليحاضرهم عبد الحكيم.

يقول أحمد إسماعيل والجمسي كنا قيادة عمليات لم تمر علينا أية برقيات

خبأ عبد الناصر عن الملك حسين خبر الطيران ٣٦ ساعة.

الشيفرا غيرها المصريون قبلها بيوم ولم يخبروا الأردن ، وأرسلت عجلون برقية بتحرك الطيران الاسرائيلي نحو مصر.

فرقة مصرية تهاجم النقب وتلتقي مع اللواءالمدرع (٤٠).

سوريا : اتصل عبد المنعم رياض بسوريا وطلب ضرب المطارات الاسرائيلية بالتعاون مع الأردن والعراق ، تباطأ البعثيون عدة مرات ولم يخرج إلا الساعة (١١). وكان بالامكان تدمير المطارات وبقاء الطيران الاسرائيلي في الجو (لأن الرحلة ذهابا وإيابا ٤٠ دقيقة).

اسرائيل نقلت ٤ ألوية من جبهة سوريا إلى الأردن.

إعلان سقوط القنيطرة للتهديد الاسرائيلي المرسل بواسطة كبير المراقبين إذا لم تخلوا حتى القنيطرة سنحتل دمشق.

أما في الأردن فبقيت الدروع معظمها في الغور.

قال سعد جمعة (المؤامرة ومعركة المصير) (ظهر الخامس من حزيران اتصل سفير دولة كبرى في دمشق بمسؤول كبير ودعاه إلى منزله لأمر عاجل وتم الاجتماع في الحال فنقل السفير للمسؤول السوري نص برقية عاجلة من حكومته تؤكد أن سلاح الجو الاسرائيلي قد قضى قضاء مبرما على سلاح الجو المصري وأن المعركة بين العرب واسرائيل قد اتضحت نتائجها وأن اسرائيل لا تنوي مهاجمة النظام السوري) وإن اسرائيل من قبل ومن بعد بلد (اشتراكي) يعطف على التجربة الاشتراكية البعثية خاصة (البعثية العلوية) ... لذا فمصلحة سوريا ومصلحة الحزب ومكاسب الثورة أن تكتفي بمناوشات بسيطة لتكفل لنفسها السلامة، وذهب المسؤول السوري غير بعيد ليعرض ما سمعه لتوه على رفاق القيادتين القومية والقطرية وعاد الرسول السوري غير بعيد ليبلغ السفير استجابة الحزب والحكومة والقيادات لمضمون البرقية العاجلة وهكذا كان)[1].

(١) المؤامرة ومعركة المصير ص ١٠٩-١١٠.

الحق التاريخي البشري للمسلمين في فلسطين

١- إن وجود العرب البشري لم ينقطع في فلسطين منذ ٦ آلاف عام.

٢- كثير من علماء تاريخ الشعوب يرون أن اليهود في فلسطين ليسوا من بني اسرائيل منهم: فوردريك هيرتس، ريبلي، أوجين بتار.

٣- قال المسيح عليه السلام : لو كنتم أولاد إبراهيم لعملتم أعمال إبراهيم.

٤- جاء إبراهيم عليه السلام ونزل ضيفاً على الكنعانيين/ كما جاء في سفر التكوين.

٥- أسئلة :

أ- هل كان بنو اسرائيل أول من سكن فلسطين؟

ب- هل كان لهم دولة سادت فلسطين كما يقولون؟

جـ- هل كان في فلسطين أغلبية بشرية من بني اسرائيل؟

٦- **أول من سكن فلسطين:** الفنيقيون وأصلهم (مابين النهرين إلى بلاد الشام) أو (جزيرة العرب بدليل تشابه قبورهم مع قبور العرب في الساحل الشرقي كالبحرين).

٧-**الفنيقيون** : كما جاء في التوراة استمر وجودهم التاريخي إلى جانب الكنعانيين حتى مقدم داود عليه السلام سنة ١٠١٥ ق.م.

٨- **اسم فلسطين** : مشتق من Philisters

٩- **لم ينقطع اسم فلسطين ابداً** كما يدعي اليهود بل اسم فلسطين في عهد الرومان واسم فلسطين منقوش على النقود النحاسية زمن عمر بن الخطاب.

١٠- **اليهود لا ينكرون** أن فلسطين عرفت باسم (أرض كنعان) قبل مولد اسرائيل نفسه (عليه السلام). جاء في التوراة (إن إبراهيم نزل أرض كنعان ضيفاً فاستقبله ملك يبوس كنعاني وأكرمه.

١١- **اليبوسيون** : أوائل القبائل الكنعانية التي سكنت فلسطين.

١٢- **المؤابيون والمدينيون والعمونيون وبنو عناق وبنو كلاب** قبائل من جزيرة العرب أصلاً سكنت فلسطين قبل مولد اسرائيل عليه السلام.

١٣- **الفنيقرن والكنعانيون** كانوا متواجدين عند الغزوة اليهودية الأولى ففي التوراة : شارك في بناء الهيكل (ثلاثون ألفاً من اليهود + ١٥٣ ألفاً من الكنعانيين).

تقول التوراة : (وأما اليبوسيون فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم وكان ذلك حوالي ١٤٤٤ ق.م أي قبل قيام دولة داود وسليمان عليهما السلام بأربعة قرون.

(**بنو بنيامين** لم يطردوا اليبوسيين سكان أورشليم فسكن اليبوسيون معهم في أورشليم وكان ذلك حوالي ١٤٢ ق. م أي بعد قيام (دولة داود وسليمان عليهما السلام بحوالي تسعة قرون.

١٤- **لغة فلسطين** : هي لغة الكنعانيين ثم حلت بجانبها لغة الحثيين.

١٥- **عمر بن الخطاب** : كتب في عهده لأهل القدس ألاّ يسكنها اليهود وجدد العهد عمر بن عبد العزيز .

١٦- **اسم القدس يبوس وأورشليم** نسبة إلى سالم يبوسي الذي وسعها وبنى الحصون فيها.

١٧- **الفراعنة** : كانوا يتنازعون السيادة مع الكنعانيين وأول الغزوات ٢٢٣٥ ق. م قبل هجرة إبراهيم عليه السلام بخمسة عشر قرناً ، ومنها غزوة تحتمس الأول ١٥٥٠ ق. م.

ثم الحرب مع رعمسيس الثاني : ١٢٨٨-١٢٢١ ق. م. على مدى عشرين عاماً انتهت بمعاهدة مع (الحثيين) اقتسم الفريقان البلاد. وفي زمن رعمسيس الثاني ولد موسى عليه السلام.

سنة ١١٨٩ ق. م كانت أول غزوة يهودية لأريحا.

١٠١٥ ق. م قامت دولة سيدنا داود عليه الصلاة والسلام وسنة ٩٧٠ ق. م انتهت دولة سليمان عليه السلام أي مدة أربعين عاماً.

ثم غزاهم فرعون مصر وأذل اليهود.

سنة ٧٣٤ ق. م السبي الصغير (سرجون الثاني الأشوري) وأسقط حكومة السامريين في نابلس وأجلاهم.

٥٨٦ ق. م السبي الكبير (بختنصر الكلداني) في القدس.

٧٠ م ، غزو تيطس وتدمير القدس.

اسلام أمريكي غربي

١- أحمد خان سنة ١٨٧٥ (الكلية الانجليزية الشرقية المحمدية) - أنكر الجهاد.

القاديانية / علي عبد الرازق (الإسلام دين لا دولة).

مقارنة بين التبشير والاستشراق[1]

١ - هما دعامتان للاستعمار.

٢ - تقاسما جوانب الأعمال :

أ- الاستشراق : الميادين الأكاديمية كتابة ومحاضرات.

ب- التبشير : الصلة بالجماهير والمؤسسات الخيرية.

٣ - استطاعت أمريكا بالصداقة والمال أن تنشر الاستشراق والتبشير في العالم العربي.

٤ - استعان التبشير بالقوى العسكرية.

أنواع التبشير:

١ - بين الجماعات.

٢ - مع الفرد الواحد.

٣ - بالعمل التبشيري الصامت كتوزيع كتاب.

٤ - لم يكونوا منصفين أبداً

٥ - تسللوا إلى المجامع اللغوية والعلمية.

ـ جب الانجليزي : في المجمع اللغوي في مصر واستاذ في هارفارد.

ـ ماسينيون الفرنسي : في المجمع العلمي العربي في دمشق وهو اختصاصي بالفلسفة والتصوف الإسلامي.

ـ (مرجليوث الانجليزي : مجمع لغوي مصري (م . ل . م .) ، مجمع علمي دمشق (م . ع . د .) دائرة المعارف الإسلامية.

(١) كتاب المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلام / إبراهيم خليل أحمد.

أرقام عن التبشير

المبشرون في أفريقيا

١- عددهم ٩٨٫٣٨٨ مبشراً.

٢- المتعاونون معهم ٥,٥ مليون.

٣- المعاهد التعليمية دون الجامعة ودور المعلمين ١٦٦٧١ معهداً.

٤-المعاهد العليا والجامعات ٥٠٠ كلية وجامعة.

٥- المدارس اللاهوتية لتخريج الرهبان ٤٨٩ مدرسة.

٦- رياض الأطفال ١١١٣ روضة.

٧- عدد الطلبة المسلمين في المدارس والجامعات التبشيرية ٥/١٩٠/٦٠٠ طالب.

٨- المستشفيات ٥٠٠ مستشفى.

٩- الصيدليات ١٠٢٤ صيدلية.

١٠- ما خصص للبابا لرعاية المسيحية في ديار الإسلام ٥٠٠ مليون دولار.

١١- ما تنفقه الارساليات الأمريكية الكندية في أفريقيا ٢٠ مليون دولار.

١٢- ما تنفقه الإرساليات الإنجليزية ٢/١٠٠/٠٠٠ دولار.

١٣- ما تنفقه الإرسالية التبشيرية الأسيوية الهندية ٢٠ مليون دولار.

الأردن ٢٠٠ مدرسة.

ملاحظة: هذا الكتاب (حاضر العالم الإسلامي) بجزئيه يجمع ثلاث مذكرات بخط الإمام الشهيد رحمه الله كانت كمادة يدرسها في الجامعة الاردنية في عمان والجامعة الإسلامية بإسلام أباد إبان تدريسه فيهما.

وبما أنها مذكرات لم تكن مرتبة على شكل كتاب حاولنا بقدر الإمكان ترتيب مضامينها تحت المواضيع المتشابهة كي تتسلسل الأفكار ولم يكن باستطاعتنا اخراجها بجزء واحد نظراً لبعض المواضيع المتشابهة في العناوين لكنها مختلفة في المضامين في بعض الأحيان، فرأينا من المناسب أن تخرج مادة هذا الكتاب بجزئين منفصلين على أمل أن ترتب بشكل أفضل في طبعات لاحقة.

وكلنا أمل أن تدخل هذه المادة كمقرر حاضر العالم الإسلامي في المعاهد والجامعات مع دعواتنا للجميع بالتوفيق والسداد. (الناشر)

شهر بين العمالقة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

من الصفات الواضحة التي تتراءى لكل من درس سيرة الإمام الشهيد عزام أنه رجل باحث، ويغلب عليه البحث في سنن المجتمعات وطبائع الناس ومقادير الرجال وسبل صلاحها وفسادها.

وتلك -ولا ريب- أعظم قضية بحثت على مر عصور التاريخ كلها. لأن الأزمة التي تعاني منها البشرية -وعلى مر التاريخ- هي أزمة النفوس وفساد الأرواح، وتحطم المجتمعات، وذلك حيثما تجهل السنن تجهل سبل إصلاح النفوس.

وإمامنا الشهيد -رغم أنه كان يعايش المجاهدين في معسكراتهم وخنادقهم- إلا أن أفغانستان واسعة، ما كان بإمكانه أن يعرف وضع المجاهدين وحقيقة الجهاد في شمال أفغانستان، إلا بعد أن قام برحلتين متتاليتين: رحلة مع الشيخ برهان الدين رباني، ورحلة مع المهندس قلب الدين حكمتيار. تعرَّف من خلالهما على كثير من وضع المجاهدين، سواء كان الوضع الاجتماعي، أو العسكري، أو النفسي، أو المادي، وحتى طبيعة البلاد الجغرافية ومستقبلها بين العالم.

وهناك حقيقة بدهية لابد أن يدركها القارئ جيداً وهي أن الشيخ -أو أي باحث- عندما يحكم على قضية أو شخص حكماً ما فإنما يحكم عليه من خلال الظواهر وكثرة الشواهد والأدلة، وأما الباطن واليقين فلا يحكم عليه إلا رب العالمين.

ومن هنا وقعنا في حيرة من أمر إخواننا في الساحة حول بعض القضايا الاجتهادية ومنها هذا الكتاب.

فقبل استشهاد الإمام الشهيد رحمه الله دُفع هذا الكتاب إلى الطبع، ثم قال الشيخ باللفظ تماماً (أخِّروا هذا الكتاب)، ثم استشهد الشيخ ولم نعرف إلى متى يؤخَّر هذا الكتاب، وماذا كان يقصد الشيخ من كلمته، وبعد عدة أشهر بدأت الدعايات من كل جهة: لماذا أخرتم هذا الكتاب؟؟! لماذا لم ترسلوه إلى الطبع؟؟ ولماذا .. ولماذا ...؟ وليت شعري لو أنهم يدركون حق الإدراك كم نجهد -ونرجو من الله القبول- في إخراج هذه الكتب إلى حيز الوجود، وخاصة في هذا الكتاب الذي نحن بصدده، ولكن حسبنا الله ونعم الوكيل.

اجتمع الإخوة وبحثوا هذا الأمر، وحاولنا أن نناقش كلمة الشيخ (أخروا هذا الكتاب)، فبعضهم قال: يقصد الشيخ (لا تخرجوه)، وبعضهم قال: إنما قصد الشيخ تأخيره لفترة بسيطة والآن لا داعي لتأخيره.

فسلم الكتاب للأخ أبي عبادة وأبي الحسن المقدسي، وعكفوا على ترتيبه، ثم مقابلته على الأصل كلمةً كلمةً، مبالغةً في الدقة، فجزاهما الله خير الجزاء.

ووقعنا في حيرة بين الإخوة الذين يريدون إخراج هذا الكتاب بسرعة، وبين الإخوة الذين وقفوا في وجهه بحجة أن الشيخ قد مدح فيه بعض الأشخاص الذين هم ليسو موضع ثقة عندهم!!

فقلنا لهم نحن لا نستطيع أن نؤخر كتاباً مهما كان السبب. فنحن يهمنا تجربة الشيخ ونتائج رحلته فقط، والشيخ عندما يزكي أحداً فإنما يعرف الظاهر والله يتولى السرائر.

وأما نحن -في مركز الشهيد عزام الإعلامي- فقد قررنا منذ البداية أن نخرج كل كلمة قالها الشيخ، حتى ولو غضب بعض الناس أو اعترض الآخرون، لأن الأمانة العلمية والتاريخية تقتضي ذلك، وكل ما قاله الشيخ أو كتبه لابد أن يخرج للناس ليحكم عليه الناس بأنفسهم.

والآن فقد جاءت الفرصة المناسبة لإخراج هذا الكتاب، بعد أن تعانق الإخوة الأحبة، وأصبحوا تحت قيادة واحدة، وبهذا نكون قد أدينا ما علينا، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وبعد ... فهذه مقدمة وضعناها بين يدي القارئ الكريم حتى يكون معنا في صورة الملابسات التي أحاطت بهذا الكتاب، ويدرك السبب في تأخيره إلى الآن.

راجين من الله عز وجل أن يتقبل منا ذلك خالصاً لوجهه الكريم، وأن نجد هذه الخدمة في ميزان حسناتنا يوم القيامة، إنه سميع مجيب.

مدير المركز / أبو عادل عزام

١٤١٧/١/٢٧ هـ - ١٩٩٦/٦/١٣م

وادي الموت*

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد :

فلقد كنت قد سمعت كثيرا عن وادي بنجشير، وقرأت واطلعت على تقارير قدمها الإخوة الذين كتب لهم زيارة الوادي، ولكن الصورة الرائعة التي تجسد التضحيات الهائلة التي قدمها أهل هذا الوادي ما كانت لتتضح في ذهني لولا أني وقفت عليها بنفسي، ورأيتها بأم عيني .

إن هذا الوادي قد نقل اسمه حيا في العالمين، فمعنى بنجشير (بنج شير: الأسود الخمسة)، والآن حق لنا أن نطلق عليه وادي الأسود .. عشر سنوات متواصلة من الحياة بين فكي الموت، وبين حجري الرحى، وهؤلاء المجاهدون صامدون، لم تهن لهم عزيمة، ولم تلن لهم قناة، وكأنهم يرددون مع أبي الطيب :

تمرست بالآفات حتى تركتها تقول أمات الموت أم ذعر الذعر

وقد كان لهم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والترمذي عن أنس مرفوعا: (لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ، وأخفت في الله وما يخاف أحد ، ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال).

كنت أرى وأسمع ولا أكاد أصدق ما أرى، لأن التضحيات كبيرة لا يطيقها كثير من البشر، وهي أكبر من طاقتنا، ولذا فقد كان يهولنا ما نسمع .

والحق أن الذي يعمل ويصبر فإن الله يبارك في عمله : {إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين} يوسف : ٩٠.

ولقد قيض الله لهذا الوادي شاباً من أبناء الحركة الإسلامية يجري حب الجهاد في عروقه، وأوتي ولعا شديدا ولهفا عجيبا بالقتال. لقد قاد مجموعة من أبناء الحركة أيام داوود، وتسلل إلى أعماق الوادي ، وكان الشاب الوحيد الذي يتقن الرماية على (RPG)، وأحرق دبابة في مركز الوادي في (رخا)، واحتل الوادي ليوم واحد .

وعاد إلى بيشاور بعد أن ألقى داوود القبض على كثير من أبناء الدعوة وزج بهم في غياهب السجون ، ويحدثني عبدالحق عتيد وكان يسكن معه في غرفة في بيشاور : لقد كان يصعد إلى سطح الغرفة ليلعب الرياضة، وكثيرا ما تراه يطالع في الكتب العسكرية التي كانت له طعامه وشرابه .

وتأتي أيام تراقي ويعود الشعب من جديد ليهبوا في وجهه، وينزل أحمد شاه مسعود مع مجموعة من أبناء الحركة، ويجهزهم الشيخ برهان الدين رباني ببندقية شولدر واحدة وبمجموعة من البنادق من صناعة (درا آدم خيل) القرية الباكستانية الشهيرة بصنع السلاح والإتجار به .

وتصل المجموعة إلى بنجشير، ويستنفرون أهل الوادي، ويقوم الناس معهم، ويقفون في وجه الدولة بالعصي والحجارة، ويحررون الوادي بكامله، ثم يتخذه أحمد شاه من (شتل) بداية الوادي من جهة بروان مقرا له، ويجلس بجانب الهاتف ليتابع أخبار المراكز في بنجشير، فتأتي المكالمة من المركز تلو المركز تنبيء بسقوطها ووصول الدبابات إليها، واستولت الدولة على بنجشير مرة أخرى، وأعادت سيطرتها وقبضتها على الوادي .

ويحدث مسعود قائلا : كان من أصعب المواقف التي واجهتها في حياتي، إذ تجهم الناس لنا، وحملونا تبعة ما حصل، وعندها تجمعنا وكنا أربعة وعشرين شابا من أبناء الحركة في دشت ربوات (بلدة في الوادي)، وتعاهدنا على مواصلة الجهاد حتى الموت، ولكنا أفردنا إفراد البعير المعبد ولقد كان إدخال تنين في بيت من البيوت أحب إلى صاحبه من إدخال أحدنا فيه ، وتقدم رجل شهم من هذه البلدة واسمه (عبدالمتين)، وفتح لنا بيته وقال: ليس عندي سوى سير (٧كغم) من الطحين فهي لكم حتى يرزقنا الله غيرها، وكان ابنه محمد إبراهيم من خيرة القادة الذين قدمهم الجهاد، وقد رأيت هذا الرجل فسألته عن عمره فقال: سبعون عاما، وقد كان عبدالله أنس يحدث عنه معجبا به ويقول: هذا هو الأسد السادس في بنجشير (لأن بنجشير : خمسة أسود وهذا سادس الليوث) وهو رجل لازالت الفتوة بادية على محياه؛ بالإضافة إلى هيبة تضفي عليه الوقار، وتلقي الرهبة في قلب الناظر إليه، عدا عن نور يشع من جبينه يعطيه رونقا وبهاء.

---

* ملاحظة: هنا حذفت المواضيع التالية: (الطريق إلى طالقان)، (البغل بمائة شيوعي) لتكرارها في مجلد خضم المعركة من الموسوعة.

هو واد واحد يمتد من باريان / بدخشان إلى شتل في بروان على طول مائة كيلومتر، يرافقك في أثناء مسيرتك نهر كأنه اللجين (الفضة)، لا تجعلك تمل من رحلتك ولا تسأم من مشيتك ، ويغيب التعب، وتنسى الضناء والعناء في هذه الرحلة وأنت تستمتع بخرير الماء وخضرة الشجر وألوان الثمر . وإن كانت الطريق في بعض منعطفاتها تلقي في نفسك ظلالا من الخوف والرهبة وأنت ترى نفسك فوق مرتفع يطل على النهر، ولم تبق الانهيارات الجبلية تحت قوائم حصانك عدا مسربا ضيقا لايزيد عن عرض الحصان، وتنظر تحتك لترى الهوة السحيقة التي ستتردى فيها فيما لو زلق الحصان أو أدركه في هذا المأزق الحران (رفض الدابة على الطاعة).

وأما الآن فقد جاء عامل جديد يضفي على منظر الوادي روعة ورونقا وجمالا وهو حطام الدبابات والمدرعات التي يعجزك عدها، وإن كنت راكبا جوادك الذي يسير على مهل لأن الكثرة والتناثر يجعل الإحصاء شاقا ومجهدا . فهذه دبابة قد أصابتها القذيفة فانقلبت في ماء النهر، ولم يبق منها سوى عجلاتها الشاخصة إلى السماء فوق الماء . وتلك مدرعة قد انكفأت على وجهها، وثالثة قد سقط جنبها، ورابعة تحطم زجاجها، وأما القرى على جانبي الوادي فإنها تذكرني بشعر عمر بن أبي ربيعة :

هيج القلب مغان وصيـــر   دارسات قد علاهن الشجر

ورياح الصيف قد أزرت بها   تنسج الترب فنونا والمطر

وعندما كنت أرى القرى المدمرة التي لم يخر سقفها فقط بل جدرانها تهاوت فكانت الصورة التي تشخص في ذهني وتمر في خاطري : صورة القرى الرومانية التي مر عليها في الأردن قرابة ألفي عام، ودوائر الآثار تحافظ على بقايا جدرانها وحجارتها لتكون محطات للسياحة تدر الدخل على البلد من تهافت السائحين لرؤيتها.

وعجبت لهذا التدمير الشامل الذي عم الوادي، ثم سألتهم عن سبب هذا، ولم يكن الجواب سوى : التنظيم الدقيق الذي شاهده أعداء الله في الوادي، والمقاومة العنيفة التي واجهها هذا الدب، واللدغات القاتلة التي ذاق وبالها في مسارب هذا الوادي وشعابه، وأنت تعجب ومسعود يصف لك حال القرى قبل الغزو الروسي.

الموكب المهيب:

لقد ابتدأت رحلتنا في بنجشير من باريان، وقد وصلناها الساعة الثامنة بعد الغروب بساعتين، وكان في انتظارنا قرابة مائتي فارس ومئات من المجاهدين الذين يرتدون بزاتهم العسكرية وبنسق واحد يحملون رايات مكتوب عليها آيات النصر، وبعضها عليه عبارات الترحيب ، وكان موقفا يأخذ بمجامع القلوب ، ويملك على النفس مشاعرها وأحاسيسها، وتهيج الذكريات إلى مواكب العزة التي تحركت في الأرض أول مرة تحمل هذا الدين لتنقذ به البشرية أيام الصديق والفاروق رضي الله عنهما، وقد حيانا (سارنوال محمود) قائد بنشير التابع لمسعود وعانقنا بحرارة، وقال رباني ينقل إلي ترجمة كلام محمود : لقد كان في انتظاركم سبعمائة فارس منذ الساعة العاشرة صباحا، وعندما يئسوا من قدومكم رجع خمسمائة منهم وبقي منهم مائتان .

وفي الصباح تحرك الموكب، يتقدمه أحمد شاه مسعود ورباني، وكنت قريبا منهما، وورائنا الخيول التي تصهل وتضبح وتصل قرابة المائتين، وجماهير الناس التي هرعت لترى هذا الموكب وفي كل مكان تمر فيه تجد صفوف المجاهدين المرتبة المنضبطة تحمل الرايات الخضراء، ثم يتقدم قائد السرية ويحيي التحية العسكرية، والأسلحة مشرعة مرفوعة تحية لقائد الجمعية /الشيخ رباني ، ثم يحييها الأستاذ رباني ويطلب منهم إنزال السلاح والراحة.

وأما جماهير الناس فكأنهم جراد منتشر زحفت لتحيي الضيوف وكل واحد يود لو يحظى بمصافحة أو تحية أو ابتسامة.

واما المجاهدون فكنت أرقب مليا نوع سلاحهم فكنت أراها روسية - أي غنائم-، وما أجمل أن تقول فيهم ما قاله بكر بن النطاح :

ومن يفتقر منا يعش بحســـامه   ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

وإنا لنلهو بالسيوف كمـــا لهت   فتاة بعقد أو سخاب قـــرنفل

يوم أغر من الزمان محجل :

كان من أشد الأيام تأثيرا في أعماق النفس، وقد ترك بصماته جلية على القلب في اليوم العاشر من صفر سنة ١٤٠٩هـ الموافق ٢١/سبتمبر ١٩٨٨م.

لقد بدأ الموكب مسيرته من الصباح ابتداء من خنج (بلد سارنوال محمود)، وتتقدمنا دبابة فيها المجاهدون، ثم ناقلات الجنود التي غنموها وهي تطفح بالمجاهدين الذين تعلقوا بها من كل جانب ، وهتافهم تدوي أصداؤه في جنبات الوادي بين تكبير ونشيد، وورائنا سيارات الجيب ، وركبت مع الشيخ رباني ومسعود وأرينبور وعبدالله أنس في سيارة مكشوفة، وسار الموكب يتهادى بين هذه الهتافات، والناس على جانبي الطريق كلما وصلنا قرية أو مركزا وكتائب المجاهدين تنتظر، وغالبا ما يكون الناس قد نصبوا سرادقا ليتوقف الموكب فيستمع القوم كلمة أو توجيها، ويقدمون التحية من الفواكه البنشيرية التي سلمت أشجارها من التدمير والإبادة، ويلفت نظرك التفاح البنشيري الذي خلّفت الشمس على وجناته المشرقة حمرة أخاذة.

وصلنا إلى بشغور واستقبلنا قائدها طارق ، وبشغور هذا المركز العظيم الذي يذكرك بفتح رمضان الكبير سنة ١٤٠٦هـ حيث تقدم ثلاثة وخمسون مجاهدا كفرقة هجومية، ويسندهم حوالي مائة آخرون، وقد أسروا حوالي أربعمائة من الكفار، فيه من بينهم سبعة وثمانون ضابطا . من بينهم الجنرال أحمد الدين الذي قتله المجاهدون ، ونكست الأعلام عليهم عدة أيام في كابل.

ثم سار الموكب من بشغور إلى أشابه، ثم استرحنا قليلا، وقد ذكرنا هذا المركز بالأخ نور الدين الذي قضى فيه أياما عزيزة ولكنها شديدة، لأن قائده الآن هو شقيق القائد ميرزا الذي كان يتولى قيادة المنطقة بين فكي الموت ، ومن أشابة سار الموكب إلى ثلاثة مراكز متقاربة (كرامان وعبدالله خيل وبدره مزارة)، وفيها صلينا الظهر، واسترحنا قليلا ليلقى الغلمان أناشيدهم التي كانت لازمة من برامج الاحتفال ومراسم الاستقبال في كل محطة نقف فيها، ودعك عن المجاهدين الذين برزوا بلباسهم العسكري وأسلحتهم التي تلمع مع إشراقة الشمس .

وبعدها سرنا إلى منطقة أستانة التي تضم أربع قرى (بهارك ،، أورو ، سنكنا، أستانة)

قال مسعود ونحن في السيارة: الحمدلله، لقد بدأنا ببندقية شولدن، وها نحن الآن نملك الأسلحة بأنواعها حتى الدبابات . وعندما كنا نمر بين أعطاف قرية (سنكنا) قال مسعود : تعتبر هذه القرية من أشهر القرى بإنتاج العنب ، فنظرت نحوها مليا وإذا بها ركام من التراب لم تعد ترى فيها شجرة يانعة.

ألا ابك لإحراق وهدم منـــــــازل	*وقتل وإنهاب النهـــي والنخــــائر*
وإبراز ربات الخدور حواســــــراً	*خرجن بلا خمـــــر ولا بمــــــآزر*
كأن لم تكن بنشير أحسن منظرا	*وملهـى رأته عــــين لاه وناظـــر*

محرقة الآليات :

ثم سارت بنا السيارة إلى منطقة بارانده وفيها ست قرى صغيرة متجاورة (مالاصبا نواليخ وجنككل وبازاراك ورحمن خيل وملا خيل)، وكان من بين مالاصبا وجنككل أكوام الدبابات المدمرة والسيارات المحطمة ما لا يقل عن ثلاثمائة آلية تحيط بالطريق من الجانبين، فسألت مسعودا عن تاريخ تدميرها، فأجاب : لقد تدمرت في سنتي ١٩٨٦، ١٩٨٧م فقط، فقلت له : وكيف تركتها الدولة بهذا الحال؟ فقال: رغم المحاولات المستميتة فإن الدولة فشلت أن تقيم مركزا في هذه المنطقة، ولذا لم تستطع أن تسحب هذه الآليات التي شهدت النهاية الأسيفة الحزينة لراكبيها الذين تطايرت لحومهم مع قطع الحديد المنصهرة تحت ضربات صواريخ الـRP التي أذاقت من شواظها لهيبا نزع أرواح هؤلاء قبل أن ترى لهيب جهنم.

رخا (حدائق الموت) :

وفي يوم الجمعة ١٢ صفر ١٤٠٩هـ الموافق ٢٣ / سبتمبر وصلنا إلى رخا (مركز المديرية)، ورخا تذكرنا بحديقة الموت في اليمامة التي استعصم بها مسيلمة الكذاب، واستحر القتل فيها بأصحاب رسول الله ﷺ ، وتذكرنا بطولة أحمد بانا وجادا ببطولات الصحابة رضوان الله عليهم، خاصة البراء بن مالك الذي تعلق بالكلاليب المحماة التي سلخت لحمه.

سنة ١٩٨٢م يحتل الروس أعنابة ورخا، ويلقون بثقلهم فيهما ويزرعون خمسة آلاف روسي في رخا ومثلها في أعنابة.

ووزع الروس مراكزهم على قمم الجبال الشامخة حول رخا، وعلى قمم التلال الصغيرة المحيطة بها كذلك .

وذات ليلة جاء المجاهدون وخاضوا في الثلوج التي تصل إلى صدورهم، وتسلقوا الجبال المتوسطة الارتفاع (بين القمم الشاهقة والتلال الصغيرة)، ونصبوا أسلحتهم الثقيلة (الدوشكا والهاون)، فكان الروس في السهل على حافة النهر، ثم على رؤوس التلال الصغيرة، وبعدهم المجاهدون على جبال متوسطة الارتفاع وفوقهم الروس مرة ثالثة فوق الذرى الشاهقة .

وعدا الروس خلف ظهرك روس   فعلى أي جانبيـــك تميــل

كان مسعود يشير إلى مراكز المجاهدين ولا أكاد أصدق ما أسمع وكأنه يحدثني عن قصص ألف ليلة وليلة – كما عبر عنه ذات مرة – عيناي تنظران وعقلي يتملى الحديث لعله يستسيغ ما يسمع، إنه عمل بشري شخوصه من لحم ودم، ولكن الطاقات القاصرة والهمم الهابطة لا تكاد تصدق هذه الوقائع التي جعلت روسيا تخر صاغرة على أقدام المجاهدين تطلب الصلح وتلتمس الهدنة :

وإنـــي لمن قـــوم كأن نفوسهم   بها أنف أن تسكن اللحم والعظما

لقد حاول الروس محاولات يائسة أن ينزلوا هذه الصقور التي حطت في ظلال الليل بين الثلوج، وجربت المدفعية والصواريخ والطائرات، ولكن المجاهدين أصبحوا رواسي ثابتات كهذه التي تقلهم، ولكن أنى لهم طعام يأكلونه أو خبز يقتاتونه ؟ وكيف الوصول إليهم من بين جموع الروس ونيرانهم ؟ لقد كان طعامهم لعشرة أيام التوت الجاف لا غير، ثم صاروا يوزعون البطاطا بالحبة كوجبة لكل مجاهد، ويبقى طعامهم البطاطا فحسب، وحتى هذه البطاطا كانت أثمانها قرضا من أيدي التجار.

قال مسعود : كنا كلما رأينا حصانا قادما نحو قواعد المجاهدين نحسبه تاجرا جاء يقتضي دينه - كانت المعارك مستمرة من طلوع الشمس إلى غروبها، ولا يستطيع الروس أن يتحركوا بين مراكزهم إلا ركضا، وكلما تحرك متحرك أثناء النهار فاجأته رصاصة الدوشكا أو قذيفة الهاون فتعيد إليه صوابه ليأخذ على نفسه عهدا ألا يتحرك إلا تحت جنح الظلام الدامس.

لقد استطاع هؤلاء الشباب الذين يعيشون بين جبال الجليد والثلوج أن يعلّموا الروس درسا قاسيا ، وأن يقيدوا حركة خمسة آلاف من الروس .

أسد فرائسها الأسود يقودها   أسد تصير له الأسود ثعالبا

وكما قال ابن القيم (إذا طلع نجم الهمة في ظلام ليل البطالة، وأردفه قمر العزيمة أشرقت أرض القلب بنور ربها).

أهل رخا:

وفي هذه الفترة ما كان أهل رخا يسكنونها إلا ليلا، فترى الأطفال من قبل طلوع الشمس يهرولون قبل آبائهم فرارا إلى الكهوف في الجبال، ويقضون سحابة يومهم في المغاور، حتى إذا غربت الشمس، وانتشر الظلام، عادوا إلى بيوتهم فرارا من البرد القارص، وذلك بسبب المعارك التي تستمر أحيانا من الصباح إلى المساء.

الهجوم:

يقول مسعود: وقررنا اقتحام مركز الفرقة والدخول على الروس في خيامهم ، وكان قرارا يحتاج إلى نفوس باعت أرواحها لله، طلبت ثلاثين مجاهدا لتنفيذ العملية، فإذا بمائة من المجاهدين حولي، وكانت مجازفة رهيبة، ومغامرة خطيرة، إذ أن النهر يعترض طريق المجاهدين، عدا الثلوج التي تكسوالجبال، ولكن:

إذا لم يكن إلا الأسنة مركبا   فما حيلة المضطر إلا ركوبها

وكنا نعاني معاناة شديدة من عوز بالأحذية، فكان الشباب الذين ننتدبهم لإيصال المواد الغذائية لإخوانهم في قلل الجبال يلبسون الأحذية، ويبقى الآخرون حفاة، ولقد كانت الهمة عالية والعزيمة شديدة

سأطلب حقي بالقنا ومشـــايخ   كأنهم من طول ما التثموا مرد
ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا   كثير إذا شدّوا قليل إذا عدّوا

وانطلق المجاهدون بعد وهن من الليل، واخترقوا النهر، ومروا على خيمة الجنرال وهم لا يعرفونه، وفتحوا أبواب الخيام، وقتلوا من قتلوا، وتركوا البعض يتلوى بجراحه، ثم عادوا، ونزل الخبر نزول الصاعقة على أفئدة الروس، وظنوا أنهم أحيط بهم وجاءهم الموج من كل مكان . ولم يفقد المجاهدون سوى شهيد واحد . وارتفعت معنويات جند الله وقرروا اقتحام مركز أعنابة (مركز الفرقة الثانية).

اقتحام مركز أعنابة :

وقام المجاهدون بعملية أشد على مركز الفرقة في أعنابة، وفجروا مخزن الذخيرة في داخلها، وقتلوا عددا وجرحوا آخرين وعادوا دون أن يفقدوا أحدا، وهنا سقط في أيدي اعداء الله، وظنوا أنهم هالكون لا محالة : (لأن الذي يطلب الموت لا يهزم).

أخوفا وعندي تهون الحيـــاة وذلا وإني لرب الإبـــــــا

وموتي في الوغى عيشي لأني رأيت العيش في أرب النفوس

وهنا خر الروس على ركبهم جثيا يطلبون الصلح من أسد بنجشير .

أين العالم الإسلامي ؟

وهنا كلمة لابد منها: لقد كانت هذه الأحداث التي تدور رحاها في هذا الوادي ، هذه الوقائع التي يكتب بها تاريخ الإسلام من جديد ، معارك أغرب من الخيال، وأشبه بالأساطير، ولا يكاد أحد يسمع شيئا مما يجري لهذه الفئة، وتغيب هذه النماذج الفذة تحت ضجيج الإعلام الذي يشرق شرقة الموت لو علمت حقيقة هؤلاء الأفذاذ لدى جماهير المسلمين .

قانون :العاقبة للمتقين ولاعدوان إلا على الظالمين

ولكن الغثاء سرعان ما يزول: (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) الرعد ١٧. (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) الأنبياء ١٨.

خلاصة القول :

إن الذي تميز به وادي بنجشير عن غيره من الجبهات:

١- وجود الشخصية القيادية التي عاشت عشر سنوات متواصلة بين فكي الموت، بين الغراس التي غرستها، وسهرت عليها، وأحاطتها برعايتها، معتمدة على ربها، حتى نضجت ثمارها وآتت أكلها. (ومن زرع حصد، ومن سار على الدرب وصل، ومن طلب العلى سهر الليالي ، ومن يخطب الحسناء لا يغله المهر) (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) .

٢- العناية بالإعداد والتنظيم والتدريب والضبط والربط (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الأنفال ٦٠.

٣- حياة القائد بين الجند، يأكل مما يأكلون، ويلبس كما يلبسون، جعل الجند يحبونه كأنفسهم، بل يفتدونه بأرواحهم وأموالهم.

٤- إن اهتمام القائد بمشاعر الناس، ومراعاته مطالبهم دون أن يرهقهم بأتاوات باهظة، وضرائب مفروضة على رقابهم قسرا جعلهم يلتفون حوله، ويشعر من عاش في بنجشير أن الوادي من أقصاه إلى أقصاه كأسرة واحدة، قائدهم كأب لصغيرهم وابن لكبيرهم، وأخ لنده منهم. وهذا الذي جعل مائة وخمسين ألفا من سكان بنجشير يهاجرون لمجرد إشارة من القائد سنة ١٩٨٤م، وفي وسط الشتاء، وبين الثلوج، وهذه لم نسمع بها في التاريخ الحديث أبدا، وكذلك فإن الوادي الذي يعد مئات القرى لم تستسلم منه للدولة سوى نصف بلدة ، ولذا فإذا أطلقت كلمة الأمير في الشمال كله فإنها لا تنصرف إلا إلى أحمد شاه مسعود.

(ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولايخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) المائدة ٥٤.

قصص لا تنسى

قصة محمد نعيم الشهيد :

حدث القارئ عبدالرحمن (قائد في قرباغ) قال :

استشهد مجموعة من الشهداء ومن بينهم محمد نعيم، فجاء أخوه يبحث عنه فوجدوه جالسا واضعا يده على خده وينظر إلى الناس، فقال أخوه: يا أخي نحن نبحث عنك وظنناك شهيدا فقم حتى تطمئن أمك، وعندما وجده لا يتحرك قال له: أخي الشهيد أنت على هذه الحالة لا نستطيع دفنك فقم على ظهرك ومد يديك ورجليك، وإذا به يمد يديه ورجليه، ثم حملوه، وقد شهد هذا الحادث مجموعة كبيرة من المجاهدين ٠

قصص حدثها صوفي رسول / أمير شمال كابل (شكردرا واستالف وقرباغ وبكرام)

حدثني صوفي رسول في بنجشير في ماله/ بارنده عدة قصص ورباني يترجم قال:

حصل قصف بالطائرات عدة مرات، وذات مرة وقعت القذيفة قرب مجاهد، فحمله هواؤها وألقاه فوق سطح المنزل ، ومرة أخرى وقعت قذيفة فحمل الهواء بقرة لصاحب البيت وألقاها فوق سطح المنزل، وبقيت سليمة، وأصبح المالك في حيرة من أمره في كيفية إنزال البقرة ٠

وحدث قائلا : حوصرنا ذات مرة وكنا سبعة نفر من المجاهدين، وكان الروس يحيطون بنا من كل جانب، وفتحوا علينا نيران رشاشاتهم، واستشهد خمسة منا، وعندما عدت سالما تفقدت ملابسي وإذا بها محرقة في كثير من المواضع في العمامة والقميص ٠

قصة المرأة من خانيز :

كنا في طريقنا بين بازارك ورخا، فمررنا بقرية اسمها (خانيز)، فأشار أحمد شاه مسعود إلى القرية قائلا : كان في هذه القرية امرأة تخدمنا هي وأولادها سنة ١٩٨٢م، ولم يكن في القرية سواها، وكان ابنها مجاهدا معنا، ولقد كنا نعجب لشجاعتها. فكنا إذا اشتد القصف نختبيء ولم تكن تختفي ، وقد كان القتال شديدا في هذا العام، وكانت القوة قريبة منا، فكانت المرأة تخبز الخبز وتطهي الطعام ثم يأتينا به ابنها ، وذات مرة بدأت السماء تمطرنا حممها، والمدفعية تصلينا بشواظ نيرانها، وكنا في غرفة، فأردنا نتفرق من الغرفة وإذا بالمرأة تقف بالباب وتقول لا تخرجوا لأن الشظايا كثيرة قد تؤذيكم. وكانت ابنتها الشابة تساعدها في الخبز والطبخ، فأصابتها قذيفة فأردتها قتيلة، فغطتها بغطاء واستمرت المرأة في عملها ٠

واستشهد زوجها كذلك ولم يبق إلا ابنها المجاهد، ثم عاجلته المنية واستشهد، وصار لسان حالها يردد ما رددته عائشة رضي الله عنها على أخيها عبد الرحمن :

وكنا كندمانى جـــذيمة برهة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفـــــرقنا كأني ومالكـــا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وحزن المجاهدون جميعا لفقدان ابنها، فجئنا لتعزيتها فقالت : لقد كان حزني لفقدان من يوصل إليكم طعامكم أكثر من فقدي فلذة كبدي ، ولذا فإني واعتبارا من اليوم أطهي لكم طعامكم وأخبز خبزكم وأدعه وأنتم تأتون لتحملوه بأنفسكم ، قال مسعود : وقد تفقدت المرأة فلم أجدها، ولعلها هاجرت إلى كابل، وبنفسي لو عرفت مكانها لأجزيها أياديها البيضاء علينا ٠

في رخا

وصلنا رخا، واستقبلنا "گل حيدر" (قائدها)، والمركز الجهادي اسمه (جمال وردة)، وبدأ مسعود يلهج بالثناء على حيدرة فرسان وشجاعته . وقد رأيناه برجل واحدة، فقال مسعود : إنه فقد قدمه بانفجار لغم تحت قدمه، وحدث عن قائد قبله كان قد استشهد اسمه (عبد الواسع)

أسد دم الأسد الهزبر خضابه موت فريص الموت منه ترعد

وذكر أنه أرسل ببعض البنادق القديمة منها بنادق صيد، وبدأ يقاتل ويتحرك بين الدبابات، وفي فرصة قليلة غنم ستين

كلاشن.

وقد تحدثنا عن رخا سنة ١٩٨٢م عندما كان يقودها أحمد بانا من جهة وجادا من جهة أخرى، والظروف العصيبة التي كانت تحياها ، وقد زرنا مستشفى رخا وللأسف مع أنه كان شبه خال من الأدوات الطبية والأدوية ، إلا أنه لم يجد أيادي إسلامية و أموالا إسلامية تنفق عليه، فتقدمت بعثة طبية سويدية تنفق عليه.

وتغدينا ثم صلينا الجمعة، وألقى الأستاذ رباني كلمة، وكان المسجد غاصا بالمصلين، وبعد الصلاة انطلق الموكب يتهادى صوب الجزء الأخير من بنشير، فمررنا بقرية (آبدرا)، واستقبلنا الجنود المجاهدون المصطفون - كالعادة -، ثم ترجلنا وسلمنا على جمهور الناس، وألقى الأولاد أناشيدهم الجهادية.

وانطلق الموكب إلى أعنابه: وهذه هي البلدة الوحيدة التي استسلم بعض أهلها للدولة، ولذا فقد شاهدت بساتينها لا زالت خضراء يانعة، وأبنيتها لم يمسسها التدمير الذي حل في بنجشير كلها. وأما الآن فقد أحال مسعود البت في أمر الذين استسلموا إلى محكمة شرعية (والمحاكم كلها شرعية) يرأسها العلماء . واستقبلنا فيها من قبل المجاهدين وقسم من أهل القرية، وعلق مسعود قائلا: هذه البلدة فيها شر الناس الذين والوا الدولة، وفيها خير المجاهدين الذين ضربوا مثلا رائعا في التضحية والبذل .

وبعدها سار الموكب ومر بقرية (فراج)، واستقبلنا المجاهدون والأهل، وأخيرا حط الموكب في آخر نقطة من بنشير الجهادية وهي شتل التي اتخذها مسعود مركزاً أول مرة أيام تراقي وإذا بهم قد نصبوا سرادقا من السجاد، فدخلنا وصلينا العصر، وقال الإخوة: إن شتل إداريا ليست تابعة إلى بنشير، ولكنها تتبع جلبهار، ولكن المجاهدين ضموها إلى بنجشير، ثم قالوا: إن جلبهار على بعد أربع دقائق بالسيارة، وفيها مركز روسي، والدبابة الروسية بارزة للناظرين، ولكنهم لا يحركون ساكنا في هذه الأيام تجاه المجاهدين، وكل همهم أن ينجوا بحياتهم، وأن يقضوا هذه الأشهر الأربعة المتبقية ويعودوا إلى بلادهم فارين بما بقي لديهم من أعصاب، وما احتفظوا به من بقية عقل .

ثم عدنا إلى رخا وقضينا ليلتنا وعدنا في صباح اليوم التالي إلى بازاراك .

الهدنـــة ســـنة ١٩٨٢م

قال مسعود : لقد كانت الضربات الشديدة التي وجهناها إلى الاحتلال الروسي خاصة في رخا، وبعد أن استطعنا بفضل الله أن نقيد حركتهم ونشل نشاطهم بحيث تعذر عليهم التنقل أثناء النهار في داخل مراكزهم ، وبعد أن اقتحمنا عليهم مهاجعهم في أعماق الفرقة التي يقيم فيها الجنرال، سواء في رخا أو في أعنابة، اضطر الروس أن يطلبوا الصلح.

فأرسلوا إليّ رسالة يطلبون فيها عقد هدنة، وفيها كثير من التبجيل والاحترام، فجمعت العلماء وعرضت عليهم الرسالة التي وردتني من الروس، واستفتيتهم بالحكم الشرعي، فأجمعوا أن هذا (يعد نصرا عظيما) .

وبعدها أرسلت رسالة إلى الأستاذ رباني أرى فيها رأيه، فوافق الأستاذ رباني على الصلح، وقد جاءت الرسالة في أشد الأوقات العصيبة التي مرت بنا ، لقد كانت الحرب فيها شديدة، وقام الروس في هذا العام بحملتين كبيرتين، واستشهد من المجاهدين حوالي ألف وأربعمائة شهيد ، وقتل فيها مائتان من كبار الشيوعيين ، ووصلتني رسالة تهديد ووعيد من نجيب الذي كان آنذاك مدير المخابرات وعبدالقادر وزير الدفاع. .

وفي هذا الوقت كذلك ارتفعت أسعار المواد الغذائية، فأصبح ثمن كيلو الرز الواحد ألف روبية أفغانية، وكيلو الملح سبعمائة روبية.

وأغلقت الطرق علينا من كل جهة، فالروس يحاصروننا من جهتين، وكان في أندراب قائد يدعي الجهاد اسمه (جمعه خان). فأغلق الطريق علينا، وجاءنا في هذه الفترة مائة حصان قافلة إمداد من بيشاور أرسلها الأستاذ رباني، فاستولى عليها بعض الإخوة في كوهستان ، فأما جمعة خان فقد التحق بالدولة بعد فترة.

كنا نقترض ثمن الطعام من التجار والموسرين من أهل بنشير، وقد كان مصروف المجاهدين اليومي (مائة وخمسين ألف روبية أفغانية)، وأرسلنا إلى بيشاور نستغيث، وبعد جهد جهيد وصلنا (مليون ومائتا ألف روبية أفغانية)، أي مصروف ثمانية أيام فقط (تعدل سبعة آلاف دولار) من الاتحاد .

ولذا فقد كنا محاصرين من كل جهة، الروس واندراب ونجراب وكوهستان، ولم يبق أي منفذ لنا من خارج بنجشير، وفي ساعة عسرة هذه جاءتنا رسالة الروس تعرض الصلح، واقترح الروس اقتراحات للقاء منها :

١-أن نلتقي في مكان وسط معي حرسي ومعهم حرسهم.

٢-أن نضع رهائن، كل يضع رهائن عند الآخر، فإذا نكث طرف قتل الرهائن.

فرفضت الاقتراحين وقلت : لابد أن تأتوا بأنفسكم إلينا وأنتم في أمان . وجاء الروس ومعهم رجل شيوعي بنشيري معروف سمه (ميرداد) .

المحادثات :

لقد تحدثنا مع الوفد الروسي عدة ليال، وفي الليلة الثالثة: انطلق المفاوض الروسي على طبيعته ينفس عما في نفسه من الآلام، يصف الحالة البئيسة الأسيفة، والروح المعنوية المتردية التي يحياها الروس، فقال: (نحن نشعر أننا خدعنا من الحزب الشيوعي الأفغاني، وقد ألقى بنا هذا الأحمق - بريجنيف - في هذه المتاهة المهلكة والهاوية المحرقة، وكان بريجنيف قد هلك وجاء بعده أندروبوف آنذاك ، وإننا نشعر أننا في أفغانستان نرسف في أغلال، وكل همنا كيف نحلها).

قال مسعود: فهممت أن أسجل المحادثات سرا، ولكني رأيت أن هذا لا يليق بأمانة المجالس، وأنه نوع من الخسة تأباها نفسي. وأخيرا وقعنا المعاهدة .

شروط المعاهدة:

١- إيقاف الحرب بيننا في بنشير لمدة ستة أشهر .

٢- لأهل بنشير أن يقاتلوا خارج الوادي .

٣- تكوين كتيبة مشتركة من المجاهدين والشيوعيين الأفغان لمراقبة وقف إطلاق النار .

أسباب قبولنا الهدنة:

١- السبب الرئيسي الذي جعلني أقبل الهدنة أخذ فرصة للخروج إلى الشمال لنقل النظام العسكري الذي أسسناه في بنشير.

٢- الظروف العصيبة التي كنا نعيشها في هذا العام سنة ١٩٨٢م.

أعمالنا أثناء الهدنة:

١- كنا نرسل المجاهدين من بنشير إلى المناطق المحيطة فيقاتلون ويرجعون، وخاصة سالنج التي شهدت معارك عنيفة طيلة فترة الحرب .

٢- هجم الروس على الأحزاب الأخرى في كابيسا وبروان، وهاجر حوالي ستة آلاف مهاجر من الأحزاب الأخرى وأويناهم في بنشير .

وقبل الهجوم أرسل إليّ الروس رسالة:(نحن نزمع الهجوم على الأحزاب الأخرى في كابيسا، فأرسل إلى قادة الجمعية في بروان وكابيسا ألا يقفوا في طريقنا) فأجبتهم: (إن الهدنة بيننا في داخل بنشير فقط).

وقاموا بالهجوم على كابيسا ، فجاءتني رسالة أخرى من القائد الروسي (قل لقائدك شاهين في كابيسا أن يفتح لنا الطريق فهو يقاتلنا منذ خمسة عشر يوما ويصدنا عن التقدم)، فأجبت : (الهدنة في داخل بنشير فقط).

خروجي إلى الشمال واكتشاف الخطة:

وفي أثناء الهدنة خرجت إلى الشمال لتشكيل الوحدات المركزية، ونقل التنظيم الذي يفقنا الله به إلى الشمال، وكتبت خطة مرحلية للشمال من أجل التنظيم ، وقد كتب الله لأحد الإخوة الذين يحملون الخطة في حقيبته أن يقع في كمين روسي ووقعت الخطة في يد الروس، وعندما ارتعدت فرائصهم، وطلبوا مقابلتي فقابلتهم، فوجدتهم يتميزون غضبا ويطون غيظا، فقالوا: (نحن لن

نسمح أبدا أن ينقل النظم العسكري إلى الشمال ، ويمكننا أن نحتمل انتقالك حتى إلى كابل إلى ننجرهار والجنوب، أما الشمال ف نسمح بانتقال النظم إليه). فآثرت العودة إلى بنشير لأني لم آكن في حالة تمكنني أن أدخل في صراع حاسم مميت مع الروس .

هلاك اندروبوف ومقدم شيرننكو :

ثم مات اندربوف وعلا شيرننكو عرش الكرملين، فجاءت هيئة جديدة روسية لتجديد المعاهدة: كتبت لي الهيئة : إنك خدع الهيئة القديمة، ونحن لدينا الآن شروط جديدة، وأرسلوا لي ورقة مكتوب عليها شروطهم منها:

(معرفة أماكن السلاح وعددها وشروط أخرى صعبة)، وطلبوا مقابلتي من أجل التفاوض على الشروط الجديدة فاعتذر بانشغالي، وطلبت من الفلاحين أن يجمعوا محاصيلهم.

وبعدها لبست اللباس العسكري، وحملت الكلاكوف، وقد كنت من قبل أقابلهم بلباس عادي دون اهتمام ، ثم توجهت إليه ودخلت عليهما أحمل ورقتهم التي فيها شروطهم بعد أن شطبت عليها بالخط العريض، وورقة أخرى كتبت فيها شروطي القاسية الت ظننت أن الروس لا يمكن أن يقبلوا بها بحال .

وناولتهم ورقتهم وورقتي، فعندما رأوا الورقتين احمرت وجوههم، وانتفخت أوداجهم غيظا، وبدأوا ينفخون كأنهم الأفعى الت ابتلعت شيئا، ثم خرجوا خارج الغرفة ليدخنوا السجائر، وبعد دقائق رجعوا واحتدم النقاش الحاد.

قالوا : نحن عقدنا معك معاهدة، واعترفنا بك كأنك دولة، وأشهرناك بهذه المعاهدة، ولقاء هذا أنت تكتب شروطا لا يمك تنفيذها.

ولشدة غضب أحدهم أخذ ورقتي ورماها بصورة لا تليق بي ولا تدل على الاحترام، وعندها جمعت الورقة وألقيتها في وجه وطلبت من الهيئة أن يخرجوه من بينهم، فاعتذروا إلي والتمسوا إلي بقاءه، فأصررت على طرده خارج الغرفة، واضطروا أن يخرجو وامتد النقاش الذي تحول إلى جدال عنيف إلى قرابة الفجر، وأخيرا وقعت الهيئة الشروط الجديدة ثم انصرفوا (صرف الله قلوبه بأنهم قوم لا يفقهون) التوبة ١٢٧، وفي اليوم التالي أرسلوا إلي رسالة يعتذرون فيها عن التزامهم بشروط المعاهدة، وقالوا: إنما وقعن تحت رهبة الكلاكوف .

وبعد أيام جاءني رئيس الهيئة في سيارة جيب، وجلسنا معا، وأخذ يترقرق إلي بالكلام، ويستجدي عطفي ويستثير رحمتي قائلا:

نحن ما أخطأنا معك، وعاملناك كرئيس دولة، ومع هذا تملي علينا شروطا شديدة لا يمكن احتمالها، فنأمل منك أن تتنازل عـ بعض الشروط، وبعد جهد جهيد تنازلت لهم عن بعضها

ونفس تعـاف العار حـتى كأنه هو الشرك يوم الروع أو مثله الكفر

موقف بابراك كارمل من المعاهدة:

كل هذا يجري وكارمل رئيس الدولة لا يعلم شيئا، وحاول جاهدا عن طريق أجهزته أن يستطيع ما حدث، فطلب من الروس أن يطلعوه على مجريات الأمور، فأجابوه باحتقار : ليس هذا شأنك .

ولجأ كارمل إلى خطة تظهره أنه في الصورة، فأرسل وفدا من كبار السن من أهل بنشير يطلب إلي أن أرسل له رسالة أطلب منه فيها الإفراج عن الأسرى الذين بين يديه من بنشير، ولقاء الرسالة سيقوم بالإفراج عنهم، وكان قصد كارمل الأصلي أن يعرض الرسالة على شاشة التلفاز ليري الشعب أن الأمور تجري بمعرفته.

وجاءني عن طريق عيوني في مخابرات الدولة أن كارمل يرمي إلى هذا القصد، ولذا فعندما جاء الوفد من كارمل رفضت مقابلته، وعاد بخفي حنين .

القيادة العسكرية الروسية:

لقد رأت القيادة العسكرية السوفياتية في المعاهدة استهانة بمقامها، واحتقارا لكبريائها، ولذا فقد قام الجنرال الروسي (القائد العام) في أفغانستان بإرسال رسالة يقول فيها :(سأعلمك كيف الحرب ؟)

فرددت عليه برسالة (إن معي ربي سيهدين ، بل أنا سأعلمك كيف الحرب).

مدارس حرب العصابات الحديثة :

وسألته: هل درست تجارب حرب العصابات الحديثة كتجربة جيفارا وماوتسي تونغ وهوشي منه وكاسترو وغيرها؟

فقال: لقد اطلعت كثيرا على هذه التجارب، فمعظم حياتي الجهادية وأنا أحاول أن أطالع وأستفيد من هذه التجارب البشرية .

السيرة النبوية الشريفة:

ثم عقب قائلا: ما استفدت من كتاب في التنظيم والخطوات والمرحلية كما أفدت من كتاب السيرة النبوية، فقد درست بعمق كتاب محمد حسين هيكل (محمد صلى الله عليه وسلم)، واستفدت منه، فقلت له: وهل درست سيرة ابن هشام بالتفصيل؟ فأجاب بالنفي فنصحته بدراستها جيدا.

وعندها قام إلى مكتبته في الغرفة الاخرى وأحضر السيرة النبوية بيده، وسألني أهذه التي تعني؟ فقلت: نعم وهي مترجمة إلى الفارسية، ووعد بدراستها.

مراحل صلتنا بمسعود:

ثم قلت له: لقد مرت صلتنا بك بثلاث مراحل :

١-**المرحلة الأولى: مرحلة النفور والكراهية** : وذلك من خلال الحملة الشعواء التي كانت تشن عليك في بيشاور، والضجة الهائلة التي كانت تشوش على جهادك، حتى أنني أذكر في كثير من الخطب في أمريكا والسعودية والأردن قلت: إن هنالك محاولات لتلميع شخصية مسعود وتضخيمه ونفخه حتى يبدو بطلا عظيما في نظر الناس، وهنالك مئات القادة مثله أو اقوى منه ، ومئات الجبهات كجبهته أو أعظم، وأذكر أنني كتبت في مقدمة كتاب آيات الرحمن للطبعة الثانية غمزا بك وطعنا، إلا أن الهجوم التاسع (الهجوم الروسي الشرس) اضطرني أن أحذف ما كتبته عنك ، ولقد اتصل بي أحد الإخوة -أبو الجود- أثناء الهجوم التاسع عليك يطلب أن نقدم بعض المساعدات لكم فنهرته بجفاء على التلفون، ورفضت تقديم أية مساعدة ، فعقب مسعودا قائلا : ستسأل عن هذا بين يدي الله .

٢-**المرحلة الثانية: مرحلة التوقف بشأنك**: وذلك بسبب التقارير التي قدمها الأخ نور الدين عن جبهتك بعد أن زارك مرتين، وهذا التقرير نقلنا من نور النفور إلى التوقف، بحيث لا نذم ولا نمدح، وأرسلنا على أثر ذلك الأخوين أبا عاصم العراقي(قاري محمد عثمان) والأخ أبا بكر السوري ، ثم أرسلنا أبا ياسر العراقي .

المرحلة الثالثة: مرحلة المحبة: وهذه المرحلة كان السبب المباشر في نقلنا إليها – بقدر الله ومشيئته- هو الأخ عبدالله أنس الذي عاش معك عن كثب لمدة عام، ثم استمر حتى أمضى الآن معك ثلاث سنوات .

كلمات وآهات:

وهنا بدأ مسعود يبث أشجانه، وكنت أحس بحرارة الكلمات الممزوجة بالأسى والمنبثقة من الأعماق من خلال مراجعة شريط طويل من المسيرة الحزينة المريرة التي تكبدها هذا الشاب عبر طريق الآلام والمآسي والسهام التي كانت تصوب إليه من كل جهة، وكأنه يردد :

رماني القوم بالأرزاء حتى ... فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتني سهام ... تكسرت النصال على النصال
فهان وما أبالي بالرزايا ... لأني ما انتفعت بأن أبالي

وكنت أقرأ في تجاعيد جبينه ومن خلال هذه الأخاديد الخمسة التي حفرتها مصائب الدهر على محياه أقرأ كثيرا من الآلام، وألمح من ورائها الجراح العميقة التي خلفتها في مسارب نفسه هذه الأثقال التي ألقيت على كاهله، ولم يزل بعد في نضارة الشباب وريعان العمر .

كلام القلب:

قال مسعود: أشهد الله أننا ما قاتلنا من أجل أنفسنا، ولا للدنيا، ولا حتى لتحرير أفغانستان، ما قاتلنا إلا لنصرة هذا الدين-

بين شير علي وحبيب الرحمن :

كان شير علي قائدا للمدرعات حول القصر الجمهوري، وتحت يديه ثلاثون دبابة وثلاثون آلية، وكان يرتب مع حبيب الرحمن ، وبدأت الايام تقترب من الموعد المحدد للانقلاب على داود، فجئت إلى حبيب الرحمن وقلت له لابد لك من حراسة مسلحة، فرفض حبيب الرحمن قائلا : إن هذا مما يلفت نظر الدولة ، فقلت له: إذن فلا مناص لك من الاختفاء أياما قبل الانقلاب، فرفض كذلك لأن هذا يكشف الخطة .

وبعد أيام جاءني حبيب الرحمن وقال: أنا ذاهب إلى«خير خانة» –حي في شمال كابل–، وأخبر معي عبدالصبور وسيد عمر من كندز واستكتمنا الخبر، أما سيد عمر فقد كان قام بمظاهرات في كندز، وبدأ رجال الأمن يتابعونه، فجاء للاختفاء في كابل.

العشاء في بيت عبدالصبور : كنت ذات ليلة مع سيد عمر على عشاء في بيت عبدالصبور، وإذا بالباب يقرع، فإذا بحكمتيار يرتدي معطفا أسود ويركب دراجة نارية وآثار الاضطراب بادية على وجهه، فسألنا بتلهف: أين حبيب الرحمن ؟ فأجابه عبدالصبور ماذا تريد منه؟ قال حكمتيار: لأمر ضروري عاجل ملح .

ولكننا رفضنا إخباره عن مكان إنجنير حبيب الرحمن، وعلمنا في اليوم التالي الأمر، ولكن بعد فوات الأوان، وندمنا ولات ساعة مندم أن لم نكن أخبرنا حكمتيار عن مكان إنجنير حبيب الرحمن .

خلاصة الأمر:

جاء الضابط الذي يعمل كحلقة وصل بين حبيب الرحمن وبين الضباط يبحث عن حبيب الرحمن بعد أن ترامى إلى مسامعه ان الدولة تبحث عن حبيب الرحمن إثر اكتشافها للخطة، وفتش الضابط (حلقة الوصل) عن حبيب الرحمن أو عمن له صلة به فلم يعثر إلا على حكمتيار، فأفضى إلى حكمتيار بالأمر، وطلب منه أن يبلغ حبيب الرحمن بأية وسيلة، ولذا هرع حكمتيار إلينا يريد إنقاذ أخيه بأية وسيلة.

اعتقال حبيب الرحمن :

وفي صبيحة تلك الليلة التي طرق فيها حكمتيار بابنا جاء حبيب الرحمن إلى بيت الضابط عمر، وبعد خروجه من البيت كانت فئة من الحكومة في انتظاره، وعندما خرج انقضت عليه وألقت عليه القبض وألقته في سيارة حكومية، وقد كان أحد الإخوة يسمى (شريف) شاهدا لهذه العملية، فجاء وأفضى إلينا بالأمر .

الاتصال بيني وبين حكمتيار:

قال مسعود: بعد اعتقال حبيب الرحمن أراد حكمتيار مواصلة الطريق، فجاءني وسألني عن أسماء الضباط فرفضت أن أعطيه شيئا، وذات يوم جاءتني رسالة من حبيب الرحمن أن أسلم كل شيء لحكمتيار، فسلمناه كل شيء.

محاولة لإنقاذ حبيب الرحمن :

قال مسعود: وبعد فترة جاءني ثلاثة ضباط من المسؤولين في سلاح المدرعات عن السجن وقالوا لي : نحن نستطيع أن نفك أسر حبيب الرحمن بالقوة ونأتي به إليك، فنقلت الخبر إلى حكمتيار، فقال: نحن نرتب الآن انقلابا على داود، ولو فعلنا هذه الفعلة سيكشف أمرنا، عما قليل – بإذن الله –سنستلم البلد ونفتح السجون ونخرج أخانا .

المخطط القتالي العام:

ثم انتقل مسعود لشرح الخطة التي اتبعها في قتال الشيوعيين والروس ، فجاءني بخارطة أفغانستان، وبدأ يتكلم، وإذا بالرجل ينطلق من استراتيجية ثابتة منذ الانقلاب الشيوعي وقبل دخول روسيا ، وأخذ يشرح خطته، واستطرد في الشرح وكلي آذان وأنا أتابع أعماله الرائعة التي أصبحت مدرسة متفردة ، وهي (مدرسة حرب العصابات الإسلامية) فتجربته الضخمة أصبحت متكاملة وجديرة بالدراسة والاستفادة من إيجابياتها ونبذ سلبياتها، وذلك حتى تستفيد الأجيال القادمة منها .

وبريطانيا .

ومن قريتنا جل محمد: أستاذ الشيوعية في الجيش، ويطلق عليه الجيش(أبا الشيوعية) وهو أستاذ في الثانوية العسكرية ومعظم صغار الضباط تربوا على يديه .

وهادي كريم : خريج كلية الشريعة ثم أصبح شيوعيا، سجن أيام الملك ظاهرشاه، ثم انشق على الشيوعيين، وقد عرض عليه نجيب وزارة العدل فرفض .

ومن جنگك حوالي(٦٤) شيوعيا ممن يشار إليهم بالبنان، وفي الجيش حوالي (٦٠) إلى(٧٠) ضابطا شيوعيا تخرجوا من روسيا، ومن قريتنا عائلة أخرى منها لواءان وعقيدان .

دراستي:

كان والدي ضابطا، وكانت الأسرة تنتقل معه حيثما حل، وعندما ألقى عصا الترحال في كابل كنت قد بلغت الثامنة، فدرست دراستي في كابل، وكانت الدراسة الثانوية في مدرسة الاستقلال التي تدرس اللغة الفرنسية كلغة أجنبية .

إنهاء الثانوية:

وبعد أن حصلت على الدراسة الثانوية وجدت أن الشيوعية بدأت تسري بين أبناء الجيل، فاستأجرت غرفة في كابل وصرت أدرس الشباب الرياضيات لألقنهم الإسلام من خلال اتصالي بهم، ولكني وجدت أن قريتي أشد حاجة لهذا، فنقلت التدريس إلى غرفة في القرية، ولكن الشيوعيين ضاقوا ذرعا بهذه الغرفة، وضيقوا عليها، وعندما قام انقلاب داود أغلقوها .

انقلاب داود: في تموز (يوليو سنة ١٩٧٣)

وقد جاء هذا الانقلاب بترتيب مع روسيا كرد فعل لزيادة النشاط الإسلامي في أفغانستان وفي جامعة كابل بالذات. وكان مجيء داود بشرط أن يعمل على سحق الحركة الإسلامية، وبدأت الحركة الإسلامية تفكر ماذا تصنع إزاء داود؟

وقد قدر الله لي أن أكون على صلة حميمة بالأمين العام للحركة الإسلامية (المهندس حبيب الرحمن) الذي جمعتني وإياه عرى الأخوة الإسلامية ووشائج الدعوة، بالإضافة إلى صداقة قوية بسبب كوننا الاثنين ندرس في معهد البوليتكنيك الذي افتتحته روسيا وباللغة الروسية، وحبيب الرحمن هذا يعده الشباب سيد قطب أفغانستان .

جاءني ذات يوم وقال لي: لا بد من العمل بين ضباط الجيش لعلهم يحدثون أمرا تجاه داود الطاغية الجبار، وقال لي إن كثيرا من الضباط من بنجشير في الجيش، فأريد أن تعرفني على بعضهم، فعرفته على البعض، ومكثنا عدة أشهر ونحن الاثنين نتحرك بين الطيبين من أبناء الجيش، ثم جاءني ذات يوم وقال لي سأغيب فترة ثم أعود إليكم .

وفي هذه الأثناء خرج حكمتيار ودكتور عمر من السجن وكانا قد سجنا أيام الملك سنة ونصف السنة بسبب اتهامهما بقتل طالب شيوعي في الجامعة .

وهنا قاطعت مسعوداً قائلا : نحن نكتب تاريخ حركة إسلامية، وأنت مسؤول بين يدي الله عما تقول، فأعطني الصورة واضحة لك أم عليك، فقال مسعود: أرجو الله أنْ لا أزيد ولا أنقص عن الصورة التي في ذهني، وبدأ يرتب أبناء الحركة في طبقات وصفوف :

قال : إنّ الصف الأول للحركة الإسلامية بدأ بالأساتذة: بروفسور غلام محمد نيازي، رباني، سياف، رباني عطيش، مولوي حبيب الرحمن .

الصف الثاني : الطلاب البارزون الناضجون: عبدالرحيم نيازي، إنجنير حبيب الرحمن، حكمتيار، سيف الدين نصرت يار، د. عمر، عبدالقادر توانا، سيد نورالله عماد .

الصف الثالث: سيد عمر من كندز، شارقي استشهد في بيشاور، غلام حضرت، وسألته عن صفه في الدعوة فقال: أنا دون هذه الصفوف .

مفتحة عليكم، والأضواء مسلطة عليكم، يريدون أن يروا الدولة التي قامت على بحر من الدماء قوامه مليون ونصف المليون من الشهداء.

وكنت أثناء الطريق ألقي ببصري على المنحدرات السحيقة التي أقيمت الطريق على حافتها ، وأفكر في كيفية تردي السيارة فيما لو غفل السائق أو أصاب السيارة خلل ، وقبل أن نصل بقليل: قضى الله أن تعجز السيارة أن تجتاز مرتفعا، وتحت قمة المرتفع وقفت السيارة، وعادت أدراجها لا تلوي على شيء ، وما أوقفها إلا الاصطدام بالجبل، فنزل الأمير وعبدالله أنس وعادا قائلين: الحمدلله، لو رجعت السيارة نصف متر آخر لترديناً في هوة سحيقة لا تقل عن ثلاثمائة متر في الأودية الرهيبة .

ثم سألته عن بعض المسؤولين ساراتوال محمود ، وبسم الله ، آرينبور ، فقال : ساراتوال محمود : مسؤول بنجشير وعمره ستة وثلاثون عاما، وهو الأول على الجامعة كلها ، وقد وصفه كثير ممن خالطه بالورع والزهد، وإذا ذكر بالله ترى عينيه تفيض من الدمع، وإدارته لبنجشير ناجحة، وأما بسم الله: فهو يستطيع قيادة ثلاثة آلاف مجاهد ، وهو الآن نائب أمير بروان وكابيسا. وكان بسم الله مسؤولا عن خدمتنا في بارنده (وبازارك) ، وكان مثال الخلق الطيب والهمة العالية .

لقاء مع أحمد شاه مسعود

في العشرين من صفر سنة ١٤٠٩هـ الأول من أكتوبر سنة ١٩٨٨في آبرو – خانقاه – فرخار

وصلنا بعد منتصف الليل إلى آبرو فرخار، وكنا مجهدين ، وكان يرافقنا الرحلة القائد محمد صديق جكري، والدكتور نجيب رئيس اللجنة السياسية، وعبد الله أنس ، وفي قرية لا تزيد عن عشر أسر تقريبا، وفي بيت تاج الدين حارسه الخاص الأمين منذ ثماني سنين والخازن لأوراق أحمد شاه كان المبيت .

وفي الصباح أفطرنا ثم جلست، وبدأت أتحدث مع مسعود وهو يجيبني بانفتاح، تحدث مسعود عن أحواله الخاصة ونشأته، فقال: اسمي أحمدشاه، وأما كلمة مسعود فقد أضيفت في مهجرنا في بيشاور أيام داوود إذ كان على كل واحد منا أن يختار اسما غير اسمه الحقيقي، فاخترت اسم مسعود، فصاروا يطلقون علي أحمد شاه مسعود .

أما والدي: فاسمه دكروال (اللواء) دوست محمد، وهو في السابعة والثمانين من عمره، معروف بصلاحه، وأعلم عنه منذ نعومة أظفاري محافظته على قيام الليل وصلاة الجماعة، ولا يزال على قيد الحياة .

أما والدتي : فقد توفيت أيام داوود، إذ كنت قد غادرت بنجشير أيام مطاردة داود لنا، وعندما عدت إلى البيت رأيت جميع الأسرة ولكني ما رأيت أمي فأدركت انها توفيت .

ولقد كان موقف أبي من الجهاد إيجابيا، وكان يحضني على الجهاد ضد داود، وهو الذي وضح صورة داود المظلمة في ذهني.

وأما في أيام تراقي فقد كان يشرح لي بعض الخطط العسكرية ويوصيني باتخاذ التحصينات الدفاعية .

أما إخواني: فهم أربعة، ثم استدرك قائلا لا بل خمسة (أحمد ضياء ، أحمد ولي ، محمد يحيى (في بيشاور)، دين محمد وقد اختطفته حكومة كابل من بيشاور).

قريتي اسمها جنگلك، وتسكنها أربعون أسرة، وهي من أكثر قرى بنجشير ثقافة، وقد رأيتها -أعني نفسي- بنفسي مدمرة نهائيا، وعلى أبواب القرية وبينها وبين قرية مجاورة (مالاصبا) رأيت حوالي ثلاثمائة آلية مدمرة ما بين دبابة وآلية .

ومن المعلوم أن القائد مسلم من قرية أحمد شاه، وتعتبر قرية جنگلك أكثر قرية خرجت من الشيوعيين، وكتب الله لي أن تكون هذه القرية مسقط رأسي، وكانت أسرتي مع ثلاث أسر أخرى هي التي تلتزم الإسلام وأما بقية السكان فهم يفخرون بشيوعيتهم.وفي هذه القرية نبتت كثير من رؤوس الشياطين وأئمة الكفر، ومنهم :

يونس أكبري يحمل الدكتوراه في الفيزياء الذرية وهو أستاذ في جامعة كابل ومعه الشهادة الحمراء في الفيزياء وهذه الشهادة لا تعطى الا لكبار الشيوعيين.

وليونس هذا أشقاء كلهم من الكفار: فمن إخوانه من يحمل الماجستير من روسيا، وأخوه الثالث يحمل الدكتوراه من بريطانيا، والرابع من الشيوعيين في الجيش، والخامس خريج معهد البولتكنيك، وهو يعمل في بيشاور كحلقة الوصل بين الشيوعيين في بيشاور

شريف» وحدثنا عن فتح كندز ، وعن عارف خان (أمير كندز)، وأنه تلقى شريطا من نجيب (رئيس أفغانستان) يقول له فيه: (نحن مستعدون أن نقدم لك ما تريد ان شئت مالا أو نعطيك ملك كندز بشرط أن تدع هجومك علينا).

وعلى الطريق التقيت « بكومندان مسلم » القائد المعروف الذي حطم مئات السيارات والدبابات والمدرعات، وهو في السادسة والعشرين من عمره تقريبا، وكم سمعت به من قبل وتمنيت أن أراه.

وقائم سيفي فيهم اندق نصلـــه   وأعقاب رمحي فيهم حطم الصدر

سيذكرني قومي إذا جد جدهـــم   وفي الليلة الظلماء يفتقد البـــدر

وعند دخولنا البيت في بدسج عرفني الشـــيخ ربانـــي «بكومندان أحمد بابا»، وهذا من أكثر القادة الذين كان يهفو قلبي للقائهم، وقد رويت عنه كثيرا من الكرامات، وقد أرهق الدولة كثيرا، خاصة عندما كان في سالنج، فتلقى رسالة من نجيب رئيس أفغانستان (يطلب منه أن يخفف الضربات للقوافل المارة من ممر سالنج والتي تحمل الشحنات الغذائية، ومقابل ذلك ستقدم له الدولة ما يريد من مال). أما الكرامات التي جرت على يدي بابا فسأقصها – إن شاء الله – .

«أصغر قائد» اسمه حبيب الله، ويحكم مديرية «دشت ارجي » مديرية في كندز قريبة من نهر جيحون، وقد قام بتحريرها وعمره واحد وعشرون عاما .

«قاري رحمة الله »أمير كندز: والتقينا هذه الليلة مع قاري رحمة الله الذي حدث أن كندز كلها(بمديرياتها الخمسة وعلاقة داري واحدة) بيد المجاهدين، ولم يبق بيد الدولة سوى مدينة كندز رغم أن الموظفين لا يداومون في مكاتبهم، وقد أخذ المجاهدون كل ما في المكاتب والدوائر من سيارات وكراسي وأجهزة وأثاث وطعام .

الحديث عن جوزجان وسمنجان:

حدث الأستاذ رباني أن عملية كبيرة حصلت في جوزجان دمر فيها المجاهدون مائة آلية (ما بين دبابة وسيارة وناقلة)، وكانت متجهة إلى فارياب، وغنم المجاهدون غنائم كثيرة منها جهاز لاسلكي ضخم ليس موجودا عند الحكومة الأفغانية نفسها .

تحذير خطير من الشيخ رباني:

وقد حدث الأخ مسعود أن الدولة عرضت عليهم اقتسام السلطة في بروان وكابيسا، وحدث قاري رحمة الله أن الدولة عرضت عليهم كذلك السلطة.

قال الشيخ رباني: هذه خدعة خطيرة يلجأ إليها الشيوعيون، وقد فعلها الروس فيما وراء النهر، واختاروا خيرة الشباب في «بخارى وخيوه»، وولوهم الحكم، ثم اساءوا سمعتهم، واتهموهم باتهامات نشروها بين إخوانهم المجاهدين، فقام المجاهدون وقتلوا بأنفسهم هؤلاء الشباب الذين كانوا بالأمس قادة لهؤلاء المجاهدين .

من خانقاه إلى آبرو:

بعد العشاء جاءني عبدالله أنس وقال: نريد التوجه إلى آبرو مع الامير ومع د. نجيب وصديق جكري، فخرجت وركبنا سيارة جيب من سيارات الغنائم، وبدأت السيارة تشق بنا الطريق الذي شقه الأسرى مع الأهالي، ومن المعلوم أن كثيرا من الأعمال الشاقة يقوم بها الأسرى ، وهي في بعض منعطفاتها شاقة عليهم حتى على الماشي على قدميه.

وعلى الطريق سأل مسعود عن حكم الموسيقى العسكرية، فذكرت له الحديث: (**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر –الفرج– والحرير والمعازف والخمر**) البخاري. فقلت له: إن الآلات الموسيقية بأنواعها، وكل آلة ذات وتر محرمة، وقد أبيح الطبل في الحرب والعرس، ثم أردفت: إذا منّ الله عليكم بالحكم سيكون عندكم مجلس قضاء ومجلس إفتاء يفتي في كل المسائل التي تعترض سير الدولة الإسلامية. ونصيحتي: إن كل مسألة اشتبه فيها الأمر فالاحتياط أولى (إن الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام ..)، وهـــناك قاعـــدة أصولية (الخروج من الخلاف أولى).

وإذا قدر الله لكم أن تقيموا دولة إسلامية فيجب الاحتياط البالغ، ولا ترتكب شبهة إلا للضرورة ، عدا أن عيون العالم الإسلامي

عصاه ويسير معنا، وسلمنا على ملا ودود وسر معلم طارق وإكرام الدين ومجموعة كبيرة من القادة ، وكانت الرايات مرفوعة، والأقواس التي سطرت عليها عبارات التكريم والتحية، وصفوف المجاهدين التي تبعث العزة في أعماق النفس وتحيي الأمل، وبعد المجاهدين هنالك صفوف الأهالي الذين انهالوا علينا كالسيل الدافق شيبا وشبانا علماء وفلاحين ، وسارت أمامنا السيارة التي تحمل البوق الكبير الذي يهتف بالأناشيد، ويغرد بالأشعار الحماسية، وحاملات جنود المجاهدين تشق طريقها بصعوبة بالغة بين الناس الذين تدفقوا من كل حدب وصوب، ووصلنا المدرسة التي أقيم فيها الاحتفال، وألقى سيد أكبر (عالم مجاهد) كلمة ترحيب، ثم ألقى الأستاذ رباني كلمة توجيهية، ثم ألقيت كلمة قصيرة، وحضرت الصلاة، وخطب رباني الجمعة، وصلينا ثم تغدينا .

لقاء يوم الجمعة . ٣سبتمبر مع عبدالحي حقجو:

عبد الحي قائد كبير من قادة الجمعية في بغلان، سألته بعض الأسئلة بعد الغداء فقلت له:

س ١: كم مجاهداً مسلحاً عندك؟

فقال : سبعة آلاف.

س٢ : ما هي الفتوحات الأخيرة التي قمتم بها؟

قال: فتحنا حوالي عشرة كيلومترات في منطقة «حسن تال »، قريبة من مدينة بغلان القديمة ، وكنا بصدد التخطيط لدخول بغلان القديمة، ثم جئنا هنا لاستقبالكم، وفي مدينة بلخمري (المدينة الصناعية:النسيج والاسمنت والسكر- من الشمندر-أي البنجر) في هذه المدينة استسلم سبعون بأسلحتهم .

س٣: متى ترون فتح بغلان؟

إن بغلان مدينة اهتم بها الشيوعيون، وفيها قادة الروس والشيوعيين، ومنها يمر الطريق الوطني الواصل بين (حيرتان: الجسر الذي أقيم على نهر جيحون بين روسيا ومزار شريف) (وبين كابل، وحيرتان - مزار شريف - سمنجان - بلخمري - كابل)، والطريق الآخر (ميناء شبرغان - كندز - بغلان -كابل)ولذا لا بد أن يحافظ الروس على بغلان حتى آخر لحظة من أجل تأمين انسحابهم.

س٤ : ما هي كلكي ؟ وكيف تفجرت ؟

كلكي : قاعدة كبيرة للروس، وتعتبر مخزنا من المخازن الكبرى للذخيرة التي تمد بغلان وكندز، تخار ، بدخشان، فارياب، مزار شريف ، سمنجان ، أي كل جهة الشمال ، وأقام فيها الروس مصنعا للذخائر الثقيلة وقد اتصلنا بأحد الجنود الروس من تاجكستان (مسلم)، واتفقنا أن نهجم على القاعدة، وحددنا الليلة، ووكلنا إليه مهمة تفجير الذخيرة ثم الهرب إلينا، وفي الليلة المحددة قمنا بمحاصرة القاعدة، وقام الأخ التاجكستاني بمهمته إلا أنه استشهد، وهرب الروس من مهاجعهم عراة، وقتل منهم حوالي ألف نفر، ودمر حوالي سبعمائة وعشرون طنا من الذخائر .

س٥: بلغنا أن الروس يبيعون الشيوعيين في هذه الايام؟

فقال: نعم اشترى قائد اسمه محمد صديق اثنين من كبار الشيوعيين سلمهم إياه الروس باثني عشر ألف روبية أفغانية ليقتلهم، فعلم أهاليهم فاشتروهم بنصف مليون أفغاني .

مساء الجمعة . ٣سبتمبر في الطريق إلى خانقاه(مركز ورسج):

وصلنا ليلا، ودخلنا المدينة بين زغردة الرصاص والشهب المنيرة المتصاعدة من خلال رسام الرصاص، وكان أهل البلدة في استقبالنا، سرنا في موكب من السيارات والمصفحة أمامنا، وسيارة الإذاعة (الأهازيج والأناشيد) يتردد صداها، وأكثر نشيد تردده الله أكبر الله أكبر الله أكبر .

مادشمنان را سنگر بسنگر	أي(نحن والعدو خندق بخندق)
رانيم بيـــرون از خاك كشــور	*(وسنطهر ارض الوطن منهـم)*

وأمير ورسج هو أمير مجاهد شاب في العشرينات من عمره، وكان قائد السيارة ملا عبدالودود، ويسوق السيارة التي غنمها من طالقان، وكانت لقائد (الخاد)، وعبدالودود هو سيد قومه، وعلى الطريق حصل بعض التوقف، والتقيت بعباس الليبي قادما من مزار

العمليات من قبل أحد الأطباء اسمه (سحر)، وقد جاءنا بعد أربع سنوات من ابتداء الجهاد، ثم جاء بعض الأطباء الفرنسيين والغربيين.

ســـؤال كبير:

قال مسعود: لم يأتنا من العرب سوى طبيب واحد من السعودية د. أبو بشار، ولم نر غيره . ثم ألقى السؤال الكبير، أين أبناء الحركة الإسلامية من الأطباء والمهندسين والدعاة؟ فأجبته : إن الحركة الاسلامية كانت مقيدة خلال عشرين عاما متواصلة ، وقد خرج أبناؤها من السجون، فوجدوا أسرا ممزقة، وأبناء ضائعين، وبناتهم مشردات في الشوارع، لا يعرفون الإسلام ولا يلتزمون به، ووجدوا أزواجهم وقد أصبح بعضهن خادمات في البيوت، خرجوا وقد تراكمت الديون التي اشتُري بها الخبز للعائلة خلال عشرين عاما، فكثير منهم بدأ يبحث عن وسيلة لسداد دينه، ففتح الله لهم أبواب الدول البترولية، فخرجوا لسداد دينهم، وفي أذهانهم أن يجدوا ملجأ يجمعون فيه ما يسدون ديونهم، ومأوى يبتعدون فيه عن أعين المخابرات وبطش السلطة السياسية في بلادهم.

إلا أن الحياة قد تغيرت كثيرا عليهم في الجزيرة والخليج، فارتفع الراتب، وزادت الكماليات، ونعمت الحياة، وترهلت النفس مع الفراش الوثير والعيش الرغيد، وصار من الصعب عليه أن يعود إلى راتب ضئيل في بلده الأصيل إلا من رحم الله، زيادة على أنّ السجن الطويل أحال الأجساد إلى ركام من الحطام ، بالإضافة إلى أن الضربات المتلاحقة جعلتهم في حذر شديد من التعامل مع السلاح، لأن السلاح هو الذي جر عليهم الضربات الوحشية التي تكال لطلائعهم في كل مكان، وبتوصيات من الدوائر الغربية التي ترتعد فرائصها من الإسلام المسلح. .

قال مسعود: هؤلاء الإخوة في مصر، فأين الإخوان في سوريا والعراق، فقلت: إن عمليات الإبادة تلاحقهم في كل مكان، ولقد كانت عمليات السحق في العراق أشد منها في مصر .

قال مسعود: حركة إسلامية منتشرة في كل العالم هل تعجز عن توفير مجموعة من الأطباء دون العشرة ترسلهم إلى معركة استمرت عشر سنوات؟!. وقد أحرجني هذا السؤال كثيرا فأجبت: أنهم مقصرون، ولكني استدركت: إن كثيرا من المسلمين لا يتعاونون مع الجهاد لسببين:

١- لأن صورة الجهاد غير واضحة في أذهانهم.

٢- بسبب الصورة المشوهة التي يأخذها الزائر لبيشاور عن الجهاد.

فمثلا أنا أعيش في بيشاور منذ سبع سنوات، ولم أعرف حقيقتك إلا منذ ثلاث سنين، لقد كنت أظنك غربيا بسبب الدعاية المغرضة المضادة لكم.

قال أرينبور : وهل يعفيكم هذا الظن من السؤال أمام الله يوم القيامة؟ أما كان بإمكانكم أن ترسلوا إلينا من يعرف حقيقتنا؟

الطريق إلى ورسج الجمعة . ٣ سبتمبر:

بعد الفطور في ريغنان وكان الفطور شهياً من العصافير والسمك انطلقت القافلة تتهادى، وكل ركب جواده ، وعلى حافة ذلك السد الرائع (حوض ريغنان)، وكان بجانبي سايف -مدير الاطلاعات في الجمعية-، وعلى الجانب الآخر التاجر سعد الدين هذا الذي كان له القدح المعلى في خدمتنا واستضافتنا، تراه رجلا بدينا ذا قامة شامخة، لا يكل عن الحركة والخدمة، يسأل عن أحوالنا باستمرار، فقلت له: أنت تخدم هذا الجهاد بنفسك ومالك وتذكرني بأخ لنا في عمان اسمه سعد الدين الزميلي الذي يخدم الدعوة بنفسه وماله.

وكان يحدث أن الثلج يتجمد في الشتاء فوق ماء السد (الحوض) فيكون طريقا تسير عليه الدواب والبشر، وكان سايف يترجم بيننا .

الوصول إلى ورسج:

ووصلنا مشارف ورسج، وإذا بقادة الشمال خاصة تخار قد انهالوا على ورسج لاستقبال الأستاذ رباني، وترجلت عن الحصان للسلام على القادة الذين اصطفوا ببزاتهم العسكرية ينتظرون القائد القادم، وسلمت عليهم، وكان أمير مجاهد (أمير تخار) يتكيء على

نتائج المعركة :

وبعد أيام ثلاثة كان الموت يخيم إيابها على كل نفس، وما ظنت مهجة أنها ستجتاز هذا المعبر إلا من خلال باب البرزخ، وكانت النتائج مذهلة تظهر لطف العلي الكبير بعباده المؤمنين .

سقوط ثماني طائرات هليكوبتر، وثلاث طائرات من الجت أسقطها كوماندان أمير (يتبع الاتحاد الإسلامي/سياف)، وقتل مائة وسبعين إلى مائتي روسي، والشدة ما كانت الدهشة أن المجاهدين لم ينلهم أي أذى: **﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم﴾** آل عمران ١٧٤ . لم يجرح منهم أحد، ولم تسقط منهم شعرة **﴿إن في ذلك لعبرة لأولي الألباب﴾.**

هذا المجاهد في عرنينه شمم وفي حمائله الصمصامة الذكر
هي نفرة كالتي من طابة حطمت هام الطغاة وبوى بعدها الظفر
تدافعت وحداها المجد واتزرت بالبيض تسبقها الخطية السمر

ليلة شديدة في غرفة تمس رؤوسنا سقفها:

وقضيناها ليلة نابغية. وانطلق مسعود مع صديق چكري وناما في العراء، وكانت شديدة البرودة، حتى لقد وصل أرينبور إلى أول قرية في ورسج (اصبغ) لا يستطيع الكلام لشدة البرودة التي تجرعها على طريقه في الليل .

وفي الصباح توضأنا بماء على سطحه الثلج، لا يمكن أن تتعدى حرارته الصفر المئوي ، ثم انطلقنا الساعة الخامسة صباحا بعد صلاة الفجر، وركبت حصانا مسرجاً لرجل اسمه «در محمد»، وصعدنا جبلا اسمه «زرد كوتل : الجبل الأصفر»، واستغرق صعوده ست ساعات، كان البرد شديدا رغم أن الشمس مشرقة، والسماء صافية لا ترى فيها قزعة، وانحدرنا من قمة الجبل إلى الوادي، وتوضأت للظهر، ولا يعلم البرد الذي تجرعنا مرارته في هذا اليوم إلا رب العالمين ، ونرجو الله أن نجده في صحائفنا يوم القيامة، كنت ألبس تحت ملابسي الخارجية ملابس داخلية ثقيلة (صوفية وقطنية)، وألبس الكفوف الجلدية المحشوة، واضطررنا لاجتياز النهر، وكنت أركب الحصان، وفي وسط النهر زلق حصاني وجثا على ركبتيه، وأدركت أني غارق في النهر لا محالة، وكان الهم الكبير هو ابتلال ملابسي الذي سيحيلني إلى قالب من الثلج ولكن الله أعان الحصان ونهض ولم تبتل سوى قدماي .

ووصلنا أول ورسج (قرية اسمها : اصبغ) الساعة الخامسة مساء بعد اثنتي عشرة ساعة على ظهر الحصان، وما كدت أصدق أني وصلت، وقد بلغ مني الجهد كل مبلغ . وأرجو الله عز وجل أن نكون ممن شملتهم الآية الكريمة برحمتها :

﴿ ماكان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾

التوبة : ١٢٠- ١٢١.

وصليت المغرب والعشاء جمع تقديم، وألقيت بنفسي في الفراش وأنا أنتفض تعبا وبردا . وما استيقظت إلا عند طلوع الفجر.

يوم الجمعة ١٩ / صفر ١٤٠٩هـ الموافق ٣٠ سبتمبر ١٩٨٨م

انطلقنا بعد صلاة الفجر من (أصبغ) إلى قرية ويغنان ، وهي قرية تتربع على قمة فوق حوض ويغنان، وهو عبارة عن سد طبيعي عمقه قرابة ثلاثمائة متر، ويسير الراكب على حافته الشاهقة نصف ساعة على حصانه، ويشكل الطرف الثاني من الحوض (السد) شلالا جميلا مرتفعا، وحبذا لو استغل هذا السد لتوليد الكهرباء في المنطقة.

كان الفطور من السمك والعصافير ، وهي مما يصطاده المجاهدون من السد، وصيد العصافير منتشر في المنطقة . وعلى الفطور سألت مسعودا: أين كنتم تنقلون المجاهدين الجرحى؟ فقال: لقد كانت المستشفيات عبارة عن خيمة أو مغارة، وكانت تجرى لهم

يطمئن الناس أن مسعودا يشاركهم مصيرهم حتى الموت :

فإن عشت فالطعن الذي يعرفونه ... وتلك القنا والبيض والضمر الشقر

وإن مت فالإنسان لابد ميت ... وإن طالت الأيام وانفسح العمر

المعركة المذهلة (شوال سنة ١٤٠٦هـ):

وجاء يوم المعركة: وابتدأ القصف الجنوني المدمر، وكانت الأوامر قد وجهت إلى مسلم وسيد يحيى أن لا يطلقوا طلقة واحدة على الطائرات حتى لا تكتشف المكان بالضبط.

واستمرت الحمم التي تمطرها السماء خمسة عشر يوما، ولم تخرج طلقة واحدة عليها، فاطمأنت الطائرات أنه ليس في المنطقة مقاومة، وفي صبيحة اليوم السادس عشر في الساعة الخامسة وعشر دقائق حلقت طائرتا هليكوبتر، فقال مسعود لعبدالله أنس : هاتان الطائرتان طليعتا الإنزال ، واليوم سيحصل الإنزال والوقت يتراوح بين نصف ساعة والساعة.

وفعلا حصل كما توقع، وبعد أربعين دقيقة جاءت خمس وأربعون طائرة (طائرة مقابل كل مجاهد)، وبدأت الطائرات تهبط تدريجيا، واتصل القائدان بمسعود يستأذنانه بالرماية فأجاب بالنفي، واقتربت الطائرات من رأس الجبل، وفتحت أبواب الطائرات ، وحتى الآن لم يصدر الأمر بإطلاق النار ثم بدأ الكوماندوز بالنزول، وهنا صدر الأمر بالرماية.

وانطلقت قذائف (RPG7) -والحمد لله- وخلال الدقائق العشر الأولى وإذا بأربع طائرات تلتهب بالقذائف الصاروخية الموجهة إليها.

واتصل الضابط عبدالله باللاسلكي بمسعود قائلا: أمامي كافر مقطوع الرجل وبجانبه حقيبة ملقاة، فأمره مسعود أن يزحف للحصول على الحقيبة، وزحف عبدالله وحمل الحقيبة وأتى بها مسعودا، ففتحها وإذا بخطة المعركة مفصلة فيها، فحامل الحقيبة هو قائد المعركة، ولقد تجلّى فضل الله في الدقائق العشر الأولى للمعركة :

١- أن كشفت الخطة .

٢- وقتل قائد المعركة.

٣- وسقطت أربع طائرات.

وبعد أن سقطت الطائرات الأربع وسقط في أيدي الكفار أن اكتشفوا أن المنطقة محصنة وليست خالية من المجاهدين، فعادت جميع الطائرات من حيث أتت .

واتصل مسعود بالمجاهدين وأخبرهم أن لا يغادروا أماكنهم لأن المعركة لم تنته بعد . وفعلا وبعد قليل عادت ثلاثمائة طائرة، وحتى الآن لا يعلم سر عودتها دون أن تقصف . وبعد قرابة ساعة أو ساعتين عادت إحدى وأربعون طائرة وواصلت القتال .

واستمر القتال ثلاثة أيام، وكل مجاهد يقابل طائرة، والحرب ضروس وجها لوجه، الرشاشات مفتوحة من الطائرات، والمجاهدون يواجهون الطائرات وجها لوجه، ومع ذلك يغالبون الجوع والكرى والجهد.

البطون الخاوية:

بقي المجاهدون يومين دون أن يصلهم طعام :

فاظمأ حتى ترتوي البيض والقنا ... وأسغب حتى يشبع الذئب والنسر

ونزل الكوماندوز في رؤوس الجبال المحيطة، وصاروا يتقدمون نحو المجاهدين، وطائرات الجت(النفاثة) والهليوكيتر تمطرهم حمما لا تكاد تنقطع ، والأحشاء تتلوى من الفاقة :

وإذا كانت النفوس كبارا ... تعبت في مرادها الأجسام

« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب » البقرة : ٢١٤.

ستة أشهر من المقابلات مع القادة :

واستقر مسعود في شيرا بين الجبال، وحفر مغارة وأقام فيها، ثم بدأ يرسل إلى القادة الواحد تلو الآخر، ويشرح لهم خطته في القتال، واستراتيجيته، وكان يركز كثيرا على تحصين جبال الهندكوش، وبدأ يضم القادة الواحد تلو الآخر، وبدأ بقادة الجمعية، ثم بالقادة الذين يلمس فيهم القرب منه والاقتناع بما يقول .

الحادثة التي كشفت عن وجوده:

لقد استطاع مسعود أن يوفق خلال فترة وجيزة، وأن يؤلف بين كثير من القادة - بإذن الله -، ورتب ولأول مرة عملية مشتركة في « قندز» على طول الخط الوطني القادم من روسيا عبر حيرتان وعلى المطار وعلى أماكن أخرى، اشتركت فيها جميع الأحزاب الجهادية في كندز .

وذهلت روسيا إذ ترى كندز تشتعل كلها نارا في ليلة واحدة، وتلتقي في العملية كل القوى الجهادية ، وتبادر إلى ذهنها أن السبب لا يمكن أن يكون طفرة ولا صدفة ولا اعتباطا ، لابد أن تكون هنالك يد منسقة لهذه القوى ، ولا يستطيع أن يفعل هذا سوى مسعود، إذن فلابد أن يكون مسعود في المنطقة، واشتد البحث، وتكالبت عيون الجواسيس، وأمسك (مسعود) أكثر من مرة بعضهم.

ثلاثة أسئلة:

وذات يوم دخل عليه أحد العيون الذين يعملون لحسابه في داخل الـ (K.G.B)، وبادره بالقول : لقد طرح عليّ الروس ثلاثة أسئلة يريدون منك الإجابة عليها:

١- من هو مستشارك العسكري؟

٢- أين كنت في هذه الفترة ؟

٣- هل قابلت ريغان؟ وما نوع السلاح الذي أعطاكه ؟

فأجاب مبتسما : أما مستشاري فهو هذا، وأشار إلى عبدالله أنس الذي كان بجواره .

وأما أمريكا : فهي هذه وأشار إلى قرية انجلستان .

واشتد كلب أجهزة الأمن على البحث، وصارت الطائرات الكاشفة تبحث في كل مكان، وبعد جهد حددت الطائرات مكانه .

القرار:

وجاءه تقرير من كابل يخبره أن روسيا قررت ضرب مقرك ضربة قاضية، ولم يكن لديه سوى خمسة وأربعين رجلا (في مجموعتين): المجموعة الأولى (القطاع المركزي الأول) ويقوده سيد يحيى والمجموعة الثانية (القطاع المركزي الثاني) ويقوده قومندان مسلم، ولم يكن لديهم سوى سلاح ثقيل واحد(زيكويك)، ومجموعة من (R.P.J7) وأسلحتهم الفردية ، وكان اتخاذ القرار بالنسبة له ولمجاهديه صعبا:

١- إما الإنسحاب: وهنا تتحقق الإشاعات التي كانت تروج في المنطقة أن مسعودا قادم ليخرب المنطقة ثم يغادرها قاعا صفصفا أو قفرا بلقعا، وهذه الدعاية قد ركز عليها كثيرا ليحال بين القادة في هذه الأرجاء وبين الدخول في التنظيم، وألقيت الخطب في المساجد حول هذا الموضوع، ووزعت المنشورات تحذر من احتضان مسعود أو قبوله في المنطقة.

ولقد كان الجبل الأشم الذي احتمل تكاليف الإيواء والاحتضان والإجارة هو (سر معلم طارق)، ولقد كان كفاية الله قبلها بعام تقريبا قد شهد له عندما سألته عنه فأجاب بلهجة الواثق المطمئن : طارق بطل.

قال كفاية الله : سجل هذا عني واذا رأيت سوى ذلك بعد خمسين سنة فاسقط شهادتي.ولقد قلت هذا لمسعود أمام طارق، وأردفت قائلا: شهد له يحيى بن معين !، (وابن معين : هو العالم المحدث الثبت الثقة في الجرح والتعديل).

والعملاق الثاني الذي تحمل التكاليف هو إكرام الدين وكل منهما الآن أمير في مديرية من اشكمش .

٢- أو الثبات في المكان: وهنا تتعرض الصفوة التي تحيط بمسعود للإبادة أو الأسر. وكان لابد من هذا الاختيار الثاني حتى

روسيا وعملية محاولة استنقاذ الأسرى:

كانت المحادثات جارية بين كارمل وبين مسعود من أجل مبادلة الأسرى، وقد خرجت نساء الضباط في كابل بمظاهرة ضد كارمل والشيوعيين في كابل يعيرنهم بالجبن والخور والضعف :

أرانب غير أنهم ملوك مفتحة عيونهم نيام

واتصل كارمل بمسعود، وبدأت المحادثات، وهنا تدخلت روسيا حتى لا يتم إخراج الضباط، لأن روسيا كانت حريصة أن تزرع في قلوبهم حقيقة أن المجاهدين يقتلون كل ضابط شيوعي يأسرونه، حتى لا تسول لهم نفوسهم الاستسلام للمجاهدين طمعا في النجاة وأملاً في الحياة .

والسبب الثاني : أن روسيا استحيت على كبريائها أن تلتمس من مسعود مبادلة الأسرى، فلجأت إلى محاولة إنقاذهم بالقوة.

في مكني :

كان الضباط الأسرى سجناء في (مكني) قرب (سفيد شير)، وكان أخوان عربيان (أبو عاصم وأبو بكر) من بين الحرس على هؤلاء الضباط، وذات يوم وإذا بمجموعات من الطائرات تحط قبل طلوع الشمس، ثم نزلت مجموعتان بعد طلوع الشمس وأنزلت حوالي ثلاثة آلاف من الكوماندوز:

وتلك بنشير الأسود ودونها سلب النفوس ونار حرب توقد

ومواجل وصواهل ومناصل وذوابل وتوعد وتهدد (١)

فكان الأمر الأول من مسعود: اقتلوا الضباط ، قال أبو بكر : وبدأنا نلقي القنابل من النوافذ على الضباط الأسرى، وبدأ الجرحى يتساقطون، وصار الضباط يصيحون : نحن رفاقكم، وقد ظنوا أن الشيوعيين والروس قد وصلوا لإنقاذهم ، وصار الضباط الجريح منهم والسليم يخرجون من المغارة ونحن نرشهم حتى أبدناهم جميعا :

سلبوا وأشرقت الدماء عليهم محمرة فكأنهم لم يسلبوا

ودارت رحى المعركة بين الروس والمجاهدين، والروس في حالة استعداد وتأهب، ويطلقون من قمة الجبل، والمجاهدون في الوادي، واحتدم القتال ، وتساقط الروس وأخذ النهر قتلاهم، وعلى حافته ترى الجثث المترامية كأنهم حمر ميتة.

قال عمر شير دل: لقد وصلت «مكني» بعد المعركة بثلاثة أيام، وشربنا من الوادي، وإذا بماء النهر قد أنتن، وتعجبنا، وطفقنا نبحث عن السبب، وإذا بالجثث على مقربة منا قد تعفنت في النهر، وبدأت عذوبة مائه تتحول إلى رائحة كريهة. ولم يفقد المجاهدون أي فرد من أفرادهم، ولم يستشهد منهم أحد.

في شيرا – صيف ١٩٨٥م:

لقد آن لمسعود أن يترك بنجشير للقائد الذي عرفه الوادي بذكائه وأدبه والتزامه الاسلامي، واشتهر برقته وكثرة بكائه عند سماع آي الذكر الحكيم ، فاطمأنت نفس مسعود أن بإمكانه أن يترك الوادي لرجل يقوم مقامه إذا احتدمت ونزل روع الحادث الجلل، فودع الوادي تاركا سارنوال محمود نائبا له في الوادي، وتوجه نحو الشمال، وحل في قرية لا تصل بيوتها إلى العشرة بين جبال شاهقة، واسم القرية (إنجلستان)، وبجانبها واد يسمى(خيلي آب:الماء الكثير)، واستقر هناك في منطقة شيرا مع أربعين من خيار المجاهدين الذين عاشوا أيام المحن، واجتازوا شدائدها، وقد خرجوا منها أصفى نفوسا، وأصلب عودا، وأشد مراسا. لقد خرج لينقل التنظيم والاستراتيجية الجهادية إلى الشمال .

الإعلان العام:

وأعلن مسعود أنه خارج إلى باكستان، وطفقت المخابرات الروســـــية (K. G. B) تبحث عنه في كل حدب وصوب في المدن الباكستانية، وبعد شهرين من البحث المضني عادت المخابرات تقدم تقريرها باليأس التام من العثور عليه. ثم انطلقت المخابرات في داخل أفغانستان، وحامت في رؤوسهم الظنون :أن مسعوداً قد سافر إلى أمريكا لمقابلة ريغان ،

(١) المواجل : النوق ... الصواهل : الخيل ... مناصل : السيف ... الذوابل : الرماح

لتفصيل، وقد أفادتنا الاستطلاعات كثيرا أثناء المعركة، ولا زال هذا الأمر يشكل عمود الأساس وركن الأركان في الجهاد .

٢- انقاذ شعب بكامله - بنجشير - دون أن يمسهم الروس بسوء ، وطاعتهم في ساعة العسرة دون تخلف .

٣- سحب المجاهدين من الجبهات بأسلحتهم وكيفية توفير الطعام لهم أثناء التنقلات .

٤- إعادة المجاهدين مرة أخرى إلى جبهاتهم .

٥- المساكن المختلفة ،الاشاعات التي بثت من جانب المسلمين ومن جانب الروس، وكيفية مواجهة المجاهدين لها وتخطيطهم عقابيلها .

قال مسعود: ثم رجعنا إلى بنجشير، وعقدنا مجلسا مع قادة المراكز الذين ظلوا في الوادي والذين دخلوا من جديد ، وتشاورنا نيم نصنع ، ما كنا نعرف الأسلوب الذي نتبعه في الهجوم عليهم، ووصلنا أخيرا إلى رأيين :

أ- الهجوم الجماعي على العدو .

ب - توزع المجاهدين على شكل فئات في رؤوس الجبال ومداخل الوديان.

وقسمنا المنطقة بينهم، ورجحنا الرأي الثاني (توزيع المجاهدين على شكل فئات)، وهذا الأمر يضعنا أمام مشاكل كثيرة :

١- كثرة المطابخ.

٢- توزيع الأسلحة الثقيلة على كل المراكز.

ويبدأ المجاهدون يهاجمون الروس في كل نقاط بنجشير . مثلا : فئة من المجاهدين يرون مائة من الروس في مكان فيتبعونهم، حتى إذا جلسوا للطعام هجم المجاهدون وقتلوا من قتلوا، وغنموا ما غنموا ثم هربوا، وهذا أرهق الروس كثيرا، وهنا فكر الروس بـ :

١-حرب الاستنزاف:

إرسال الطائرات للاستكشاف، ثم إنزال الصاعقة تحاصر فئات المجاهدين، حتى حصل ذات مرة أن حاصر الروس خمسة من المجاهدين، واشتعلت المعركة، ثم تعب الطرفان وانسحبا .

٢-حرب الاستحكامات والخنادق:

ثم لجأ الروس إلى حرب الاستحكامات والخنادق: فأحاطوا مراكزهم بالخنادق، ثم بالأسلاك الشائكة، ثم حقول الألغام، وفي داخل الخنادق الأسلحة الثقيلة المصوبة قبل المجاهدين، فبدأنا نشق طريقنا نحوهم بالطوربيد بنجالور (نوع من المتفجرات لفتح الطرق في حقول الألغام).

مركز ثم دبابات ثم خنادق ثم أسلاك شائكة ثم حقول ألغام، وكان لهم ستة مراكز (بشغور ، بهارك ، تنبه ، رخا ، رحمن خيل ، أعنابه).

التغلب على حقول الألغام :

ليس عندنا تصور في كيفية الدخول إلى المراكز ، كانت معنويات المجاهدين متدهورة، لأن العدو متمركز في كل الوادي، فلا بد من اقتحام مراكز الروس لرفع المعنويات، وبث الحماس في نفوس المجاهدين، ولم يكن عندنا خبرة بأنواع الألغام وكيفية مواجهتها(صوتية، أو ضغطية، أو سلكية).

١-فكنا في البداية نأتي بحبل ونربط به كلابا، ونرمي الحبل ثم نسحبه، فقد يتفجر اللغم، وبعدها يمرون إلى المركز.

٢-طوربيد بنجالور (التفجير بهذه الطريقة).

ولذا اضطررنا أن نقتحم (بشغور) بثلاثة وخمسين مجاهدا، وأسرنا أربعمائة أسير، ومن بينهم خمسة وثمانون ضابطا، من بينهم أحمد الدين الذي قتله المجاهدون، ونكست كابل أعلامها عدة أيام على قتله:

فإن المنايا والصوارم والقنا أقاربهم في البأس دون الأقارب

على شيء ، وطفق جنرال روسي يبحث عن محيص ولات وقت نجاة، ولكن أنى له؟ فلم يجد مهربا إلا أن يلقي بنفسه في النهر حيث يلقى حتفه ، وفي اليوم التالي جاءت السيارات التي تحمل الأعلام السوداء رمز الحداد، ونقلت الجثث التي غصت بها أرض القاعة من الروس والشيوعيين.

قصص لا تنسى

وحدثنا في هذه الليلة كرابيك (قرابيك) -أحد المجاهدين والقادة المعروفين من بنجشير - قصة أحمد بيك فايز التي اشتهرت على كل لسان في بنجشير .

قصة أحمد بيك فايز:

قال عبدالله أنس: لقد سمعت القصة من أحمد بيك فايز نفسه ، قال أحمد: جرحت في معركة حصارك سنة ١٩٨٤م، فجاء أهلي وحملوني على سرير وربطوني، وكانت إصابتي بالغة في رجلي ولا أستطيع الحركة ، وبعد أن حملوني رآنا الروس فاطلقوا علينا النار، فوقعت ووقع الأربعة الذين يحملونني، ثم جاء الروس وأجهزوا على الأربعة، وجاءوا إلي ورشوني بأسلحتهم وظنوا أني ميت كذلك، ثم تولوا مدبرين .

وبعد نصف ساعة وجدت نفسي محلولا من الرباط، وقد كنت على حافة النهر، ولا بد لي أن أنتقل إلى الناحية الثانية، وأنى لي بهذا وأنا إلى الموت أقرب مني إلى الحياة ؟ وسبحان ربي! لقد ذهلت أن وجدت نفسي على الحافة الأخرى للنهر.

وبدأت أزحف كالسلحفاة أو أبطأ، وكان إذا عضني الجوع بنابه نمت، فإذا استيقظت وجدت بقايا الطعام في فمي ، وبعد عدة أيام قابلني نهر آخر فنمت، فوجدت نفسي على الحافة الأخرى من النهر .

وبعد أحد عشر يوما وجدت ثلاث حبات من الزبيب فأكلتها، وبعد ثلاثة عشر يوما رأيت دارا فدخلتها، فوجدتها مهجورة ليس فيها أحد من سكانها - لا سكن ولا متاع ولا أنيس -، إلا أني وجدت فيها كيسا من اللبن الرائب فشربت منه .

وفي نفس اليوم جاء المجاهدون فدخلوا هذه الدار المهجورة، فأرهبهم رؤية إنسان ملطخ بالدماء، فهربوا خوفا، فناديتهم فدخلوا وعرفوني وعرفوا قصتي التي تشبه الأحلام وهي إلى الخيال الاسطوري أقرب منها إلى الحقيقة.

قال عبدالله أنس: وأحمد بيك الآن معافى وبين صفوف المجاهدين .

وقال أحمد : كلما حدثت بهذه القصة جاءني هاتف في منامي يقول لي : هذه القصة سر فلا تحدث بها .

قصة أخرى عن محمد إبراهيم حدثها قرابيك أمامي :

محمد إبراهيم ابن أحد العلماء المعروفين، وقد خطب والده قبل صلاة الجمعة بنا في رخا، ومحمد إبراهيم أحد المجاهدين المعروفين، وقد جرح في إحدى المعارك، وكان جرحه مقعدا عميقا، ولم يستطع الحركة، وكانت القوة الروسية قد أغارت على المنطقة وجرح أثناء المعركة ، ولم يستطع أحد أن يتحرك بسبب الدبابات التي تحتل المنطقة ، وتفقد جيوبه فلم يجد إلا قليلا من السويق (التوت المخلوط بالطحين ويعملونه قطعا على شكل الكعك) وكانت معه قطعة صغيرة جدا فأكلها، ولكن لابد له من الماء ، ولكنه لا يستطيع حراكا، ثم سمع خريرا الماء قريباً منه بين الحجارة، فأخذ تكة سرواله وربط بطرفها حجرا ثم رماه نحو ما يسمع من الخرير. وبدأ يمص طرف التكة الآخر(وكأنه يشرب بقصبة قنينة من البيبسي)، وهكذا كلما عطش لجأ إلى نفس الطريقة.

بقي محمد إبراهيم (٢٥) يوما يعيش جريحا بين جموع الدبابات المسيطرة التي يبعث منظرها شبح الرعب في المنطقة، فيخيم الخوف على النفوس، وبعد أن انسحبت الدبابات جاء المجاهدون وأخذوا محمدا الذي بقي تفسيرا عمليا لقوله تعالى: **«وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين»** آل عمران: ١٤٥.

دروس وعبر (نتائج) معركة ١٩٨٤م:

١- أهمية الاستطلاعات وتنوعها في صفوف العدو، وهذا موضوع جد مهم في حرب العصابات، ويحتاج الأمر إلى شيء من

عشرين مليون روبية باكستانية (ومايساوي مليون دولار) قد اقترضتها لشراء طعام للمجاهدين ·

ودعنا نستمتع بالنشيد لهذا القائد المظفر :

أيا مهرا يجيد العـــدو ... لم يشمت بـــه الكلل

ونعدق عــــزة رغـــم ... اشتداد الموج ينتقـــل

[illegible] البرق ... يسطع حيـن ينتضـــل

معركة ٢٢/ نيسان ١٩٨٤(الهجوم التاسع):

قال أحمد شاه مسعود في الطريق إلى ورسج يوم ٢٨/سبتمبر /١٩٨٨ - ١٧/صفر/١٤٠٩هـ قال: تركنا بنجشير وتوزعنا خمس مجموعات: في خوست فرنج، كوهستان ، أندراب . سالنج ، نجراب، وكنت في مجموعة خوست ، ودخل الروس، وكنا قد تركنا فيها أربعة قادة معروفين:

١- يعقوب في« داري هزارا»   ٢- بهلول في« فراج »

٣- ميرزا في«آشابه ».   ٤- عبدالحكيم في« زمن كور»

أما يعقوب : فقد كان في داري هزارا، فدخلها الروس وظنوها فارغة، وتركهم يعقوب يدخلون، وبعد أن دخلوا شن عليهم معركة شديدة، فقتل وجرح منهم حوالي ثلاثمائة وخمسين، وأخذ يجمع الغنائم، فجمع ثمانين كلاشنكوفا وكلاكوفا ، وقد كتب الله أن يكون أحد الأسلحة فيها طلقة فأصابت إصبع مجاهد الزناد فانطلقت الرصاصة فأصابت يعقوب واستشهد، فاستلم القيادة بعده مساعده، وواصل المعركة بالإجهاز على الجرحى، فاطلق عليه روسي من الجرحى رصاصة فأردته قتيلا ·

وإني لجرار لكل كتيبة ... معـودة ألا يخل بها النصـر

وإني لنزال بكل مخوفة ... كثير إلى نزالها النظر الشزر

أما بهلول / فراج: فأراد المجاهدون أن ينسحبوا فرفض حتى يضرب ضربة شديدة، فقتل منهم عددا، وغنم ثلاثة عشر كلاكوفا وبيكا ·

أما ميرزا : فقد كان في مركز «آشابة» ، فكان طابور الروس يمر، فيغير عليهم ويقتل، ثم يختبيء المجاهدون في سفح الجبل بين الحجارة والصخور، فيأتي طابور آخر فوق رأس الجبل، وينزل ميرزا إلى الوادي ويزرعه بالألغام، وهكذا دواليك، فيأتيه مجموعة من المجاهدين يخبرونه أن مجموعة من الضباط والمستشارين الروس في مكان فيهجم عليهم مع مجموعة ويفتحون عليهم نيران رشاشاتهم، ويعقب ميرزا(الآن شفيت صدور القوم المؤمنين)·

مجزرة الكفار في «ماله» مقابل رحمن خيل:

وفي هذه الفترة الحرجة التي امتدت من أبريل إلى سبتمبر سنة ١٩٨٤لقي الإخوة المجاهدون من العناء والضنك والمشقة ما لاي تحمله إلا أفذاذ البشر، ولقد مرت عليهم أيام عجاف كالحة ، مكشرة عن أنيابها ، وكانت العمليات العسكرية تتسم بالجرأة والمواجهة والاشتباك من الجانبين ، نعم لقد تكبد الروس خسائر فادحة في الأنفس والمعدات، إلا أن المجاهدين في المقابل فقدوا كثيرا من الأنفس والأرجل بسبب الألغام، إلا أن هذه الفترة تبقى لحنا عذبا يتردد على ألسنة المجاهدين، ولو نطقت لغنت :

سأبقى في جبين الصبر ... وشما ليس ينفصل

وقد كانت المواقف المشرّفة التي خاضها المجاهدون معارك حية رمزا رفيعا للتضحيات الرائعة والبطولات الفريدة ، ومن هذه المعارك معركة (ماله) التي تتلخص أحداثها :

إن الكفار قد اجتمعوا في احد أعيادهم في (ماله)، ودعوا كبار القوم من كابل - من الروس والمرتدين الأفغان- ليشاركوهم لاحتفال بهذا اليوم، فتساءلوا فيما بينهم عن وجود المجاهدين، قال قائل منهم: لم يبق في هذه المنطقة إنس، إذ أنهم غادروها إلى أندراب، واطمأنت النفوس، وتوافد القوم إلى مجلس الراح ودارت الأدنان الطافحة بالمدام، وغاب القوم عن وعيهم ، وكان لهم بالمرصاد ستون من المجاهدين يرقبونهم عن كثب، وجاءت ساعة الصفر، وانطلقت الصقور تعمل أسلحتها في السكارى ، وفر القوم لا يلوون

ومكذا دواليك. وهذه الاخبار والاحداث تكررت في عشرات المواقف والامكنة وتصور مجاهدا حافيا جائعا يلاحقه الروس والافغاني .

خمسة أشهر وهذه حالنا:

الطيران يبقى يوميا من الصباح إلى المساء ، تخرج من بغرام وكابل (خوجا رواش) ومن روسيا نفسها، ومن كلكي، فعندما تمر الطائرات صباحا فوق بروان يبكي الناس حزنا على أهل بنجشير، تزول الصاعقة في كل مكان على بنجشير خاصة .

تمني الشهادة :

وهنا تمنيت الشهادة، لأن نفسي لم تعد تحتمل هذه المصائب.

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا

تمنيتهــــا لمـــا تمنيت أن أرى صديقا فاعيا أو عدوا مداجيا

ثلاثة أشهر نأكل الفول المسلوق :

وقد مكثنا ثلاثة أشهر في هذه الظروف العصيبة لا نأكل إلا الفول المسلوق ، قال لي مسعود: لقد تمنيت الشهادة أكثر من مائة مرة وأنا أواجه هذه الصعوبات التي لا قبل لي بحلها ، قضية الجوع ، المعارك التي لا تكف ليلاً ونهاراً :

إن الرزايا والعطايا والقنا حلفاء جندك غوروا أو أنجدوا

الإخوة المجاهدون الذين طحنوا طحنا أمام هذه المصائب والمشاكل :

واظمأ حتى ترتوي البيض والقنا وأسغب حتى يشبع الذئب والنسر

الدعايات التي لا تكف عنا؛ أننا نتبع الغرب أو أمريكا حتى لا يرأف بنا قلب، ولا يحن علينا فؤاد، بل بعضهم يتهمنا أننا تابعون للشيوعية الصينية، وأنا -عبد الله[1]- أقول: أذكر انني تلقيت مكالمة هاتفية أثناء الهجوم التاسع من الأخ أبي الجود قال لي : إن هنالك هجوما شرسا قد وقع على الاخ مسعود في بنجشير، فلولا أرسلنا إليه بعض المساعدات، فقلت له: أهو تابع للاتحاد أم لا؟ لماذا لا يعلن صراحة انضمامه للاتحاد ؟ ثم أغلقت التلفون في وجهه .

واتصل بي الأخ معن أبو نوار من أمريكا وكان يدرس هناك آنذاك يقول لي: إن الصحف الأمريكية كتبت(هزم الدب الأسد)، وتصف معارك بنجشير، فقلت له: إن صحف الغرب وأمريكا تريد أن تنفخ الرجل وتصنع منه بطلا أمام العالم .

هكذا كانت الصورة في أذهاننا عن هذا البطل المجاهد، وقد كنا نعيش في بيشاور في دوامة عجيبة بسبب الأخبار التي تبث ضد أمثال هذا القائد ، ولكننا الآن نردد مع يوسف أبي هلالة :

لنا اسمــح أن نقبل فـي يديك السيف يــا بطل

ونمســح عـــن حذائك مــا عليها يطرح السفل

تعقيب :

ثم عقب مسعود قائلا: يأتي الناس اليوم إلى بنجشير فيفغرون أفواههم عجبا لأكوام الحديد من الآليات المدمرة، ولكنهم لا يسألون كم كلفت هذه الآليات من الأقدام المقطعة بالألغام؟ وكم خلفت وراءها من اليتامى والأيامى؟ وكم بذل في مواجهتها من دماء؟ وما سقط (مقابلها) من رؤوس الأخيار.

لقد جاءتني امرأة لها سبع بنات ، استشهد أبناؤها كلهم في الجهاد، ولم يخلفوا وراءهم محرما للعائلة. فقالت: اتق الله فينا، لقد مر علينا يومان ونحن نجمع فتات الجيران من الخبز نقتات به.

وجاءني رجل اسمه (معراج الدين) فقال:إن ماأصابنا من دمار وما لحق بنا من عذاب وخراب بسبب جهادكم. فأعطني مائة ألف أفغاني أريد أن أغادر بنجشير، فبحثت له فلم أجد سوى عشرين ألف أفغاني (ألفي روبية باكستانية) فأعطيته إياها .

يقول مسعود: والناس لازالوا يتهموننا بالعمالة، والله يعلم أن عليّ ديناً يساوي (مائتي مليون روبية أفغانية) أي ما يعادل

---

(١) الشيخ.

١- لقد قتل المئات من الكوماندوز، وتفجرت مجموعات من الدبابات بالألغام .

٢- المعارك التي فتحناها على الروس في أماكن كثيرة وكبدته خسائر ضخمة .

المشاكل التي اعترضتنا:

١-القادة المفسدون:

أ-شمس الدين يتمرد: من جبل سراج / بروان من الجمعية، فأخذ يحرض الناس ضد مسعود وضد بنجشير، وقال: إن ما نتعرض له قرانا الآن بسبب بنجشير، وكان شمس الدين محيطا نفسه بمجموعة من المفسدين، وكنا نحاول أن نطهر مركزه من هؤلاء المفسدين، ويرفض أن يخضع للمراقبة والمحاسبة المالية.

ب- وكذلك قائد آخر اسمه شير في بروان مثل شمس الدين .

٢- في نهرين : أرسلنا سرية إلى نهرين لمهاجمة القوة هناك، فاتفقت ضدهم جميع الأحزاب بما فيهم الجمعية.

٣- في بروان : واجهنا هجوما شديدا .

٤- الهجوم على قواتنا في غوربند .

٥- الهجوم على قواتنا في أندراب من قبل جمعة خان .

٦- الطائرات توزع منشورات تحذر من إيواء البنجشيريين في بروان وكابيسا وبغلان .

٧- الطائرات تقصف تجمعات المجاهدين البنجشيريين، والناس (الأهالي) يأتون من كل مكان يقولون : يا أصحاب القبعات اخرجوا من ديارنا لأنكم سبب تدمير قرانا ويموت بسببكم أطفالنا.

٨- وصول رسالة (باللاسلكي) من سالنج ومن نهرين ومن كل جهة يشكو فيها المجاهدون سوء أحوالهم وقلة الغذاء عندهم.

٩-أشاعت الحكومة قتل مسعود .

الصاعقة الروسية تحاصر «خوست /فرنگ» للقبض علي حيا ، وكان مسعود فيها مع أربعمائة من المجاهدين ، وأما أنا فقد انسحبت إلى إشكمش للفت نظر الحكومة إلى إشكمش ، فيقوموا بضربها ، ثم أنسحب بعدها إلى مكان آخر لتدبير نفسي والتفكير في المعركة .

قتل الروس ستين من «خوست / بغلان » ولم تكن هنالك مقاومة للروس، فتحركت من إشكمش إلى خوست للمقاومة، فعندما وصلت كان الروس قد انسحبوا .

١٠- بعد إشاعة استشهادي هبطت الروح المعنوية لقادة الجمعية، فانضم بعضهم إلى الحزب، وآخرون إلى الحركة، وفريق ثالث استسلم للدولة .

لم يبق حولي سوى بعض الاصدقاء من المثقفين وهم يأكلون لحمي لوما وعتبا.

ليس عندنا ثمن الطعام، أرسل لنا الأستاذ رباني (مليوني أفغاني : مائتي ألف باكستاني)، وأرسل لنا مولوي عبداللطيف عشرة ملايين أفغاني : مليون باكستاني) فكانت لنا كالروح للحياة ، ولكن ماذا تفعل مع أربعة الآف مجاهد ؟ الناس يفرون منهم كفرار الحمر المستنفرة من الأسد ، ليس معنا طبيب ، الأخبار متوالية عن الشهادة ، عن الحصار، عن قلة الطعام ، محاربة الأهالي خوفهم من إطعامهم المجاهدين .

في أندراب :

أنزل الروس الصاعقة على المجاهدين، فخرجوا إلى بنجشير، فلحقوا بهم إلى بنجشير والمجاهدون حفاة جياع ، والثلوج فوق الجبال، فخرجوا من بنجشير إلى كوهستان ، فلم يجدوا من أحد مساعدة ، وقد تجهمت لهم الأرض كلها، وشمرت الحرب عن ساقها.

سالنج:

نزل الروس على سالنج فانسحب المجاهدون إلى بنجشير لحقهم الروس ودارت معركة، ثم انسحب المجاهدون إلى سالنج،

وقد كان الأخوان على شجاعة فائقة، فقد قاسوا الجسرين، وحسبوا كمية المتفجرات، ووضعوا العبوة والدبابات الروسية تمر فوقها، والحراسة على جانبيها، ولشدة شجاعة (عزيزالله) وضع السلم لأخيه ليصعد ظهر الجسر ويرى مكان العبوة جيدا، فسحب السلم من تحت أخيه وتركه فوق الجسر – مازحا –، فأخذ أخوه يصيح (اتق الله أتمزح والدبابات تمر من جانبي)، كل واحد منهم لو استطاع النطق بالعربية لأنشد معنا قائلا:

لئن عمرت جعلت الحرب والـدة ... والسمهري أخا والمشرفي أبـــا

بكل أشعث يلقى الموت مبتسما ... حتى كأن لـــه في قتله إربـــــا

فج يكاد صهيل الخيل يقذفـــــه ... عن سرجه فرحا بالغزو أو طربا

قيادة العدو:

قدم سوكولوف (نائب وزير الدفاع السوفياتي) من موسكو إلى كابل ليشرف بنفسه على مخطط المعركة، وقد سلمت قيادة المعركة إلى مارشال يساعده جنرالان.

الصعوبات التي كانت تواجهنا :

لقد اعترضتنا مشاكل جمة :

١ـ على رأسها الثلوج التي تغطي الطرق كلها

٢ـ كيفية انسحاب المجاهدين من بنشير

٣ـ توفير المواد الغذائية لهم في فترة الانسحاب والبعد عن قواعدهم في الوادي .

٤ـ نقل الأسلحة الثقيلة من بين الثلوج لنشن بها معارك في المناطق التي حددناها بين كابل إلى مزار شريف مرورا ببغلان وكندز .

ولكن الله أعان : ثلاث حق الله عونهم (الغازي في سبيل الله، والناكح يريد العفاف، والمكاتب يريد الاداء) حديثصحيح.

المعركة الكبرى

(الهجوم التاسع ٢ ثور سنة ١٣٦٣هـ. ش)

٢٢/ابريل سنة ١٩٨٤م

القيادة السوفياتية في غرفة العمليات في كابل :

جلست القيادة السابقة في غرفة العمليات، وابتدأت المعركة، وما رأت أفغانستان معركة أشد ضراوة منها، كانت تنفيسا شديدا عن أحقاد متجمعة في صدر العسكرية الروسية، ومحاولة عنيفة لرد هيبتهم واستنقاذ كرامتهم التي مرغتها أسود بنشير في الأوحال .

وجاءت النتائج الأولى للمعركة في ورقة حملها المارشال بيده، ولشدة الذهول سقط القلم من يده، لقد كانت صدمة عنيفة تصفع وجه القيادة، ثم جمع بعض الكلمات بصعوبة على شفتيه قائلا : لقد خسرنا المعركة .

وماذا حصل؟ سؤال ينطلق على لسان كل سامع ؟

لقد خدعنا المجاهدون ، دخل الجيش والكومانوز إلى بنشير فلم يجدوا أحدا، لقد وجدوا الألغام فقط، وهذه الألغام التي تفجرت في وجوه جنودنا .

ولذا جنّ جنونهم، فكانوا يرسلون ثلاثين طائرة دفعة واحدة كل واحدة منها تحمل ١٦ قذيفة بوزن نصف طن .

قال مسعود: كانت هذه هي المرحلة الأولى من المعركة، وكانت المعركة في صالحنا وربحناها.

كان العدد عشرة آلاف روسي ينزلون من الجو، وفرقتان من الروس كذلك كل فرقة تسعة آلاف جندي، مع ثلاثة وعشرين ألفا من الجنود الأفغان (٢٨ ألف روسي + ٢٣ الف أفغاني).

الخيار الصعب :

كنا أمام خيار صعب: إمّا أن نزج بالمجاهدين في هذه البراكين الثائرة، وتحت هذه الحمم المتساقطة ، سماء ستمطر شهبا، وأرض تفجر نارا، وهذه مجازفة قد يباد فيها كثير من المجاهدين ، أو أن نترك بنشير ونرجع إليها بعد مرور العواصف الصرصر العاتية :

وقال أصيحابي الفرار أو الردى   فقلت هما أمران أحلاهما مر

وكان لابد من الاختيار المر، وأن نتجرع أحد الكأسين ، فقررنا مغادرة بنشير بعد طول تفكير .

خطتنا:

زرعنا الأرض ألغاما، وشركنا الأبواب بالألغام الخداعية ، وماكان لدينا من ألغام ضد الدبابات والأفراد زرعناه ينتظر من يودي بحياتهم.

الإشاعة:

أعلنت في مسجد رخا أننا سنقاتل الروس في بنشير وفي أندراب وفي جلبهار، والقائدان عبدالعظيم وأمان الله هما اللذان يعرفان مكاني ، وسأرسل إلى گلبهار واندراب مجموعات من كتائبنا.

الخطة الحقيقية:

كان لا بد من سحب قواتنا تحت غطاء مقاتلة الروس في گلبهار وأندراب ، وقد حاولت محاولة مستميتة أن اتصل بالإخوة من الأحزاب الاخرى خاصة في كوهستان وأندراب من أجل إسعافنا في هذا المأزق القاتل ، وذهبت إلى شتل وگلبهار، وخاطرت بنفسي في هذه الظروف العصيبة، ولكن رفض الإخوة مقابلتي ورؤيتي ، واتصل جمعة خان قائد اندراب بالروس، وأخذ الأسلحة وهجم على مركزنا في أندراب، ولكنه ارتد خاسرا على عقبيه.

أبقيت بعض المجموعات فوق رءوس الجبال في بنشير وذهبت إلى دشت ريوات.

قررنا إغلاق ممر سالنج:

وزعت المجاهدين من بنشير على خط طويل يمتد من خير خانة في شمال كابل إلى أندراب إلى كندز ومزار شريف (بلخ).

طلبت من قواتنا أن تشن هجوما واسعا على العدو قبل هجومه بيومين .

رسالة حاطب بن أبي بلتعة:

وفي هذا الظرف يتكرر الخطأ الذي ارتكبه سيدنا حاطب قبل فتح مكة، إذ أرسل أحد القادة من بنشير رسالة إلى أهله الذين يسكنون في كابل كي يتزودوا بالمواد الغذائية لأننا سنغلق ممر سالنج، وأوصل أهله الرسالة إلى الدولة، فقام الروس بشن هجوم على سالنج قبل الموعد بأربعة أيام.

الانسحاب :

تم انسحاب المجاهدين خلال يومين بسلام خارج بنشير .

تفجير جسرين عظيمين :

أرسلنا أخوين لتفجير جسر (أمان الله) وجسر (بولي متك) وهما من الجسور العظيمة التي نصبت فوق الطريق العام (الطريق الوطني : اوتوستراد) الواصل بين روسيا وبين كابل ، ويقع هذان الجسران في بروان شمال كابل .

هجرة أهل بنجشير:

جاءتنا معلومات وثيقة قبل ثلاثة أشهر من الهجوم أن هجوما كاسحا ستتعرض له بنشير سيأكل الأخضر واليابس ، فرقف أمام مشكلتين ضخمتين :

أولاهما: كيفية تخليص الأهالي من هذا الشر الداهم.

ثانيتهما: كيفية تخليص المجاهدين من هذه المصيبة الدهماء.

وكان لابد من الالتجاء إلى الله في وقت الضيق: **(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)** العنكبوت ٩ **(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه، إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا)** الطلاق ٢-٣.

واجتمع مجلس شورى المجاهدين، وقررنا أن يهاجر أهل بنشير، ونصحت الأهالي أن يهاجروا . فبدأ أهل الوادي يهاجرون ولم يبق في الوادي أحد ، مائة وخمسون ألفا صوّح الوادي منه ، وكان أمر الهجرة أثقل من الجبال على الأهالي . والظروف التي حصلت فيها الهجرة كانت خانقة.

الثلوج تكسو الجبال ، والطرقات مغلقة بالثلوج ، وبعض الأسر لم تكن قد خرجت من قريتها أبدا، بل بعضها لم ير السيارات بعد، خاصة في مناطق باريان، وماذا عساهم أن يحملوا من أمتعتهم ؟ وأي وسيلة يحملون بها الأمتعة ؟

كانت طريق خاواك (اندراب) هي الطريق الوحيد الذي يمكن للبشر والدواب أن يسيروا فيه ، كم مات بين الثلوج من الأطفال لقد كانت حالة من العسرة لا يعلمها إلا رب العالمين .

وطلبت من أصحاب السيارات في بنشير أن ينقلوا الأسر، وإذا بالسيارات تنهال علينا من كثير من المدن الأفغانية هبت لنجدة أهل الوادي المجاهد من كابل وهرات وبلخمري، وكلها تتبرع أن تنقل الأسر مجانا .

وتسابق أهل كابل في احتضان كثير من الأسر المهاجرة، فأفرد أهل البيت غرفة من الغرف أو أكثر للمهاجرين بدينهم وعقيدتهم: **(للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون)** الحشر ٨ .

وكانت الحكومة تنصح أهل بنشير بالخلود إلى السكينة وعدم مغادرة منازلهم ، ولكن الأمر جاءهم من أميرهم الذي أحلوه سويداء قلوبهم، وهي أول مرة في التاريخ الحديث أن يهاجر شعب بكامله لمجرد إشارة من قائده .

لقد كان بإمكان الأهالي أن يلتزموا الصمت إزاء الشيوعيين، ويبقوا في بيوتهم ينعمون بالطعام اللذيذ، والفراش الوثير والفواكه الفاخرة . ولكنهم آثروا أن يهاجروا بدينهم وعقيدتهم، وأن لا يعطوا الدنية في دينهم.

استدعاء نجيب لكبراء بنشير:

واستدعى نجيب – مدير الاستخبارات الشيوعية – شيوخ أهل بنشير المهاجرين في كابل، وبدأ يحدثهم عن سبب البلاء وخفايا الرزايا.

تفاصيل خطة الهجوم:

جاءتنا المعلومات الأكيدة تحدد موعد الهجوم بعد أربعة و عشرين يوما مع تفاصيل دقيقة للخطة:

١– نثر الألغام الفردية في رؤوس الجبال .

٢– القصف الجوي المركز بطائرات (su22-25 Mg23-25,Tui6)سرخوي .

قال لنا الطيارون الذين كانوا على صلة بنا: كانت الغارات في الأيام الثلاثة الأولى ستمائة غارة يوميا .

٣–إلقاء الغازات السامة.

٤– إنزال جوي (كوماندوز) على رؤوس الجبال في غير مناطق الألغام .

٥– تقدم الدبابات في وسط الوادي مع فرق الكوماندوز

الخطة الروسية

قبل الهجوم الكبير سنة ١٣٦٣هـ.ش (١٩٨٤م) بستة أشهر قرر الروس قرارين :

١- إغتيالي – ٢- إبادة المجاهدين في بنشير .

محاولات الاغتيال :

حاول الروس كثيرا اغتيالي، وألقيت القبض على أربع محاولات، ثلاث من داخل بنشير ورابعة من خارجها .

كمران :

راجع الروس تاريخي الدراسي فتوصلوا إلى شاب كان يدرس معي وهو من أصدقائي ،وكان أهله يجاوروننا في كابل ، استدعاه جهاز المخابرات (خاد) ، وطلبوا إليه اغتيالي ، فجاء إلى بنشير والتقى بي، وأخبرني بالأمر، وعندما عاد إلى كابل ألقي عليه القبض ثم زج به في السجن .

قال كمران : وذات يوم كان الدكتور بهاء مساعد د.نجيب مدير المخابرات يتجول في السجن فرآني، -وكان يعرفني- فسألني عن أمري، فأخبرته فأخرجني، ثم دعاني إلى بيته، ولازال يفتل لي بين الحبل والغارب حتى اقتنعت بالاغتيال، وكان تنفيذ الاغتيال :

١- إما عن طريق سم يقتل بعد أربع ساعات .

٢- أو مسدس كاتم للصوت صغير الحجم كبير الرصاص.

ثم حملت السم والمسدس وعدت إلى بيتي وأنا مقتنع بتنفيذ الاغتيال، وفي البيت فاتحت زوجتي بما جرى ، فانتفضت غاضبة قالت : لن تقتل هذا البطل، وقامت بانتزاع السم والمسدس من زوجها، وخبأتها حتى تطمئن أن زوجها لن يفعل شيئا . قال كمران : اطمأنت نفسي إلى فعل زوجتي . وتوجهت إلى بنشير في اليوم التالي.

قال مسعود: جاءني كمران وقدمنا له طعاما، وأطعمني مما في حقيبته من بعض المأكولات، وبعد الأكل ضحك كمران وقال : لو شئت لجازت الحيلة ونجحت الخطة، وحدثني بالأمر كله، واتفقت معه على الكلام الذي سيحدث به الدكتور بهاء : (أنني دفنت المسدس والدواء في مكان كذا وسأرجع في يوم كذا إلى بنشير للتنفيذ)، وحتى تطمئن نفس بهاء أخذت وإياه صورة مشتركة، وسار إلى بهاء ، وفي الليلة السابقة للموعد وفي حفل ساهر في بيت د.بهاء يجتمع كارمل ونجيب وبهاء ونتعشى في بيت بهاء في جو من الاحترام والتبجيل ، فقلت لهم: لابد أن نأخذ بعض المساعدات لمسعود كالأحذية والجاكيتات ليزداد طمأنينة إلي ، وفي اليوم التالي ركبت سيارة المساعدات، وقدمت بنشير، وعندما مررت على مركز الفرقة في أعنابة أخبرتهم، ثم أوصلت المساعدات إلى مسعود .

المحاولة الأخرى :

اختاروا أحد المجرمين المشهورين بالاغتيال، وقد كان من قبل قد نفذ مجموعة من العمليات الناجحة في اغتيال بعض القادة من كابل في الجبهات.

وقبل أن تتحرك سيارته من كابل جاءتني مخابرة : تصلك سيارة رقمها كذا ولونها كذا فيها رجل يريد اغتيالك مع السائق ، يا مسعود فأخبرت الحرس بالأمر، ولكن الحرس غفلوا، وتعدى الحارس الأول والثاني والثالث حتى وقف ببابي ، فقالوا بالباب رجل قادم من كابل عنده شكوى على المجاهدين، فقلت في نفسي : وما الذي جاء بهذا الرجل من كابل وفي مثل هذه الظروف العصيبة، فارتبت في أمره، وقد غاب أمر سيارة كابل عن ذهني ، فقلت للحرس : خذوه للتحقيق، فعندما أمسك به الحرس ولى السائق هاربا، وبعد قليل وصلت سيارة من الإخوة الذين يعملون معنا في كابل، فقالوا : أين الرجل الذي كان في السيارة؟ فأجبت : إنه ذهب إلى التحقيق، فقالوا : هذا الرجل الذي أخبرناك عنه إنه قادم لاغتيالك، فذهبت إليه، وقلت له لقد أرسلك الدكتور بهاء لاغتيالي؟ استدعاك إلى بيته، وأخذت أصف إليه بيت الدكتور بهاء الذي كان كمران قد وصفه لي من قبل، وحيال هذه المعلومات اعترف . ثم حكمت بإعدامه مع رجل آخر كنا ألقينا القبض عليه من قبل .

وتم إعدامهما أمام المجاهدين ليكونا عبرة لغيرهم من الجواسيس .

ولو قاتلنا لغير الله ما استطعنا أن نصبر هذا الصبر الطويل، ولا أن نقدم هذه التضحيات الباهظة . وهذا واجب افترضه رب العزة علينا، وهو محاولة نصرة دين الله، حتى إذا فشلنا في أفغانستان -لا قدر الله- فإنه يجب علينا أن ننقل جهادنا إلى منطقة أخرى.

وأنتم كمسلمين يجب عليكم أن تحاولوا نصرة دين الله، وأن تقفوا مع من يحاول في هذا الطريق، فإذا اقتنعتم أننا نعمل لله فإنه يجب عليكم أن تقفوا بجانبنا.

وأنت تعلم الحملة الشعواء التي شنت على جبهتنا، والسيوف والرماح التي كانت تتناوشنا من القريب والبعيد، والدعاية الظالمة التي كانت تنهش لحومنا ولا ترعى فينا إلا ولا ذمة، وأنت ممن تأثر بهذه الدعاية، وكذلك الأستاذ رباني نفسه كان ممن تأثر، حتى أننا لم نتلق منه أية مساعدة مادية منذ الهجوم التاسع سنة ١٩٨٤ حتى يومنا هذا .

وكنا نرسل الشيخ عبداللطيف وأمثاله وقانوني ليجمع بعض المساعدات من أيدي المحسنين من السعودية وغيرها مما كان لنا عونا على هذا الطريق. ولكن الله عز وجل جزانا بصبرنا خيرا، وأورثنا نصرا، وأقول هنا :(**واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا**).

تذكير بالله:

وهنا ذكرته بالله، ونصحته بأن يحفظ لأهل السابقة سبقهم، خاصة ممن سبقوه على طريق الدعوة، وأن لا يغمطهم حقوقهم، وأن لا يبطر بنعمة النصر التي أنعمها الله عليه. ونصحت مسعودا ان يقوي صلته بالله، حتى لا يصيبه الغرور وهو يرى الأصابع تشير إليه، والحناجر تلهج بذكر معاركه وانتصاراته وتنظيمه وشوراه.

. وأشرت عليه بالذكر والقرآن وقيام الليل وصوم النافلة والتواضع لله عز وجل، ثم قلت له : إنني أخشى من غرور العسكريين .. فتبسم .

شرح الخطة:

ثم واصل شرح خطته السابقة والمقبلة، وما ينوي عمله تجاه فتح المدن، والإطاحة بالحكم الشيوعي - إن شاء الله-، وسيأتي شرح الخطة.

مشاكلنا وحاجاتنا:

وعندما وصل إلى المشاكل التي تعترضهم في المرحلة القادمة كان الجهد قد بلغ مني مبلغه -وذلك بعد العشاء-، فنمت وهو يحدثني والقلم بيدي .

فتبسم قائلا: لقد بقي الشيخ مستيقظا، حتى إذا وصلنا إلى حاجتنا ووضعنا الاقتصادي نام الشيخ، ثم قال: هذا قدرنا ونصيبنا فماذا نفعل؟

التخطيط العام:

قد شرحت هذه الخطة للإخوة أيام حفيظ الله أمين سنة ١٩٧٩ سبتمبر، وفي تلك الأيام كانت الخطة عندنا أن نركز جهودنا بين شارعي كابل روسيا / كابل تنجرهار، ثم قسمنا هذه المنطقة قسمين يقسمهما الهندكوش .

ملاحظة: سلاسل الجبال (الهندكوش- بامير إلى كابل، ثم كوه بابا ثم سفيد كوه يمتد إلى هرات) ثم جبال سليمان.

فصارت المناطق ثلاث : شمال الهندكوش ، الهندكوش نفسها ، جنوب الهندكوش .

خطوات العمل :

١- مرحلة التأسيس.

٢- مرحلة تأسيس المراكز (الدفاع الاستراتيجي).

٣- الهجوم الاستراتيجي .

٤- النفير العام (الاستنفار).

وتقسيم المناطق طرحت نفسها بعد هذه المراحل، ثم قسمنا المناطق إلى قسمين: أ- الجبال ب- السهول

١- المرحلة الاولى: جمع السلاح أيام تراقي وأمين .

٢- المرحلة الثانية: التركيز على تنفيذها في بنجشير، وكان معظم همنا تنفيذها في منطقة جبلية وهي بنجشير، فإذا نجحنا في بنجشير وسعناها في المناطق الثلاث السابقة .

بداية العمل للثانية: بدأنا في بنجشير فانتبه العدو، وبدأ هجومه علينا، وفي تلك الأيام نوينا توسيع مراكزنا، فبدأنا العمل في غوربند، كابيسا، سالنج، أندراب، شمال أفغانستان.

المشاكل التي اعترضتنا:

١- قلة السلاح والمال والإمكانيات .

٢- الإذن من قبل الجمعية.

٣- الدولة والمعركة في داخل بنجشير .

٤- عدم وجود رجال بارزين يركن إليهم في إدارة المراكز خارج بنجشير .

٥- الحزب الإسلامي الذي يقف في وجوهنا.

كانت عندنا الخطة، ولكن هذه المشاكل تعترض التنفيذ .

بدأنا العمل فكان قائد المنطقة من الجمعية يقول: أنتم من بنجشير فلا تدخلوا منطقتي، فكنا إذا أردنا العمل في أندراب وزعنا عشر قطع سلاح، فيقوم مسؤول الجمعية ويوزع ثمانين قطعة سلاح .

مشكلة: ارتفع مستوى المجاهدين كثيرا في بنجشير، فانتبهت الحكومة فبدأت الضربات الشديدة على المجاهدين، فلم نستطع أن نلتقط أنفاسنا بسبب المعارك المتواصلة ، وقد جاءتنا الفرصة في فترة الهدنة.

الأحزاب: وكانت المنظمات تتسابق على اجتذاب الناس بالسلاح والمال، أما أنا فمن وافقني على خطتي بدأت أعمل معه.

المراسلة: أرسلت رسائل إلى جميع القادة في الجمعية، وفي قرية (شرشر) مركز إسلام الدين / إشكمش التقينا سنة ١٩٨٣ معظم قادة الجمعية: آرينبور، مخدوم عبد الباري (أمير تخار)، طارق، إكرام الدين، عبد الحي حقجو ، عارف خان/ كندز ، ومجموعة من القادة أثناء الهدنة، شرحت لهم خطتي، وهذه الخطة تحتاج إلى اتحاد وقوة في وجه الروس، وأعطى كل واحد رأيه ، وكان لآرينبور كلمة الفصل في الأمر، فقال: أنا أعلمكم بالكتاب والسنة، وهذه الخطة التي يريد مسعود أن يطبقها هي خير ما سمعت وأنا عندي سبعمائة مجاهد ومنطقة محررة فأضعها بين يديه.

ووافق بعده: طارق، وإكرام الدين، آرينبور، القاضي مخدوم عبد الباري، وعارف، وقورمول / أندراب .

وقد تحمل أعباء الخطة بالمال والسلاح الأخوان (سر معلم طارق وإكرام الدين) في إشكمش، ولامهم كثير من الناس عن تسليمهم مناطقهم وجندهم لي .

ساحة العمل:

١- المنطقة الجبلية : التي لابد أن تسلم لي حتى أعمل فيها.

٢- المنطقة السهلية: نتركها في الوقت الحاضر .

سلم لي الإخوة المنطقة الجبلية، وبدأنا العمل، وقبل أن نبدأ العمل استشرت أمان الله هاشمي (رستاق) تخار، فأرسلته إلى برهان الدين ليشرح له الخطة، فأرسل رباني رسالة تأييد وليس رسالة إمارة رسمية، وكانت هذه خطوة نحو الأمام ، ومما ساعدنا رسالة أخرى أرسلها رباني إلى عبد الحي حقجو/تهرين ، ولما وصلنا إلى هذه النتائج كتبت تقريرا إلى رباني فقرأه واستحسنه ، وقال : أنا مؤيد لما توصلتم إليه ، وهذا من محاسن رباني.

ومما يذكر من محاسن رباني أنه كان يميز بنجشير، فيعطي بنجشير ٨٪ ويروان وكابيسا ٦٪، فهذا مما ساعدني في توزيع السلاح أنه يرفع سهم بنجشير .

جملة معترضة: المساعدات الأجنبية : ومنا سألناه عن المساعدات الأجنبية الأمريكية وغيرها (السلاح والمال) فقال: لم يصلني أي مساعدة ولذا عندما جاءني «سان ديفول / صحفي بريطاني» وقد زارني مرتين فقال: ماذا تريد من ضياء الحق، قلت له : ليتق الله فينا وليرسل بعض المساعدات إلى هذه الجبهة التي أذل الله فيها روسيا .

أما الفرنسيون والضجة الصاخبة التي أثيرت حولي بسببهم فعلم الله أني لم يصلني منهم سوى ربع مليون روبية خلال هذه السنوات، إذ أن بعض الصحفيين قد وصلوا بنجشير من فرنسا ورأوا ضيق حالنا وشدة كربنا، فطلبوا مني أن أكتب لهم رسالة يوجهونها إلى الشعب الفرنسي لجمع التبرعات، فكتبت الرسالة، وذهبوا وجمعوا التبرعات وأكلوها ولم يرسلوا لي سوى ربع مليون .

الدفاع الاستراتيجي:

مازلنا في مرحلة الدفاع الاستراتيجي ونبحث عن قواعد جديدة .

معاهدة جنيف :

لابد لأي إنسان يقاتل أن يعرف مرحلته ويخطط لها، وجنيف وبداية خروج الروس نشأت ظروف جديدة تتلخص في أربعة خطوط رئيسية :

١- قصر الزمن. ٢- مرحلة حاسمة مصيرية. ٣- التغيرات الشديدة السريعة. ٤- كل الأمور الجارية الآن قابلة للتغيير والزوال. فيمكن أن تزول أحزاب وتنشأ أخرى، وأخطر مرحلة هي هذه السنة أو هذه السنة التي بعدها وهي التي تحدد مصير أفغانستان ومستقبلها -والله أعلم-.

فالدول التي ساعدت الجهاد ساعدته من أجل ضرب روسيا وتحطيمها، ولم تساعده لقيام حكم إسلامي، فقد ساعدت الدول الجهاد لتقطف الثمرة، والمجاهدون يريدون قطف الثمرة، وضرب مثالين: الجزائر، عبدالناصر، أفغانستان.

مرحلة قطف الثمرة

هي أخطر المراحل، فيمكن أن تخرج مجموعة جديدة لتحكم أفغانستان، وبعد خروج الروس نحن نرى أن قضية أفغانستان لا يهتم بها عالمياً، وتصبح قضية محلية، فسياسيا قد يقل الاشتغال بها، ولكن في داخل أفغانستان قد يرتفع الرسم البياني لصالحنا، لأن الناس قد يأتون إلينا .

وبعد خروج روسيا نهائياً : لابد من الإطاحة بالدولة مباشرة محليا أو عالميا، وإلا فكل يوم يمر هو ضرر بمصالح الجهاد، وغض من مكانته في نفوس الناس هنا، وفي العالم الإسلامي، بل العالم كله .

الأمور من الناحية العسكرية:

كنا في حالة دفاع، أما وقد بدأ ينسحب الروس فإنا قد انتقلنا من الناحية الدفاعية إلى الهجوم رغم إرادتنا، والهجوم يحتاج إلى أربع نقاط :

١- ارض مناسبة. ٢- امكانيات مناسبة .

٣- تنظيم مناسب. ٤- وقت مناسب .

الأرض المناسبة: السيطرة على الأماكن الاستراتيجية، ولابد أن تكون مناطق المجاهدين متصلة مع بعضها، لا بد أن يكون هنالك محور يدور حوله الجهاد (أي قيادة مركزية مسئولة عن الأمراء وقوية)، فلا بد من قيادة سياسية واحدة حتى تكون القيادة العسكرية واحدة.

القيادة السياسية:

أولاً: بدأنا بعشر ولايات فقسمناها إلى أربع مناطق، كل منطقة (نون):

١- بدخشان، تخار، كندز، بغلان: آرينبور

٢- بروان، كابيسا، شمال كابل، باميان: يعين أميرها في المجلس القادم.

٣- لغمان، تجاب نجراب، ننجرهار، جنوب شرق كابل : طارق .

٤- سمنجان، بلخ، فارياب، جوزجان: خليل الله.

ثانياً:- تحسين العلاقة مع بقية قادة الجمعية.

ثالثاً:- تحسين العلاقة مع بقية القادة المعروفين في أفغانستان خاصة حول كابل : جلال الدين.

رابعاً:- تشكيل جيش : تسعة آلاف :

أ- ثلاثة آلاف قطاعات مركزية.

ب - ستة آلاف للهجوم .

تشكيل جناح آخر للجيش بالطريقة الرسمية، وهؤلاء لا نخلطهم بالمجاهدين .

النفير العام حتى تكون الخسارة بالمجموع .

الأحزاب الأخرى : إن استطعنا تنظيمهم والاستفادة منهم.

القتال:

ذكرنا الاستعداد ثم القتال والتصفية :

١-نبدأ بتصفية الولايات الشمالية .

٢- تصفية الطريق الوطني .

٣- لابد من تنظيم المجموعات حول كابل لتصفية المناطق حولها .

لقاء مع محمد بانا في يوم الأحد ١٢اكتوبر١٩٨٨م:

في صباح هذا اليوم عدنا من قرية أبرو إلى خانقاه (مركز ورسج)، والتقيت مع شاه محمد ومحمد بانا ، وحدث محمد بانا: سنة ١٩٨٣م بعثني الأمير إلى سالنج مسؤولا عنها، وذات مرة ركبت من قرية نواج في سالنج إلى قرية أولانج (سالنج)، ركبت في سيارة وكانت تحمل العشب (الكلأ) للأبقار، فكانت الشاحنة ثقيلة، فمرت بي دبابة من دبابات الروس فعرفني أحدهم، وبسرعة لف دبابته ووقف أمام السيارات، فوقفت السيارة، وجاء أحد عشر روسيا وأحاطوا بالسيارة، كل واحد منهم يحمل كلاكوفاً، فقالوا أنزل، فنزلت من جهة السائق، لأن العمر قد يكون فيه زيادة دقيقة، فقال الروس : من أين أنت؟ ، فقلت: من هنا، فارادوا أخذي إلى المركز، فضربت أحدهم على عينه (وقد كان ممسكا بي) فسقط الروسي.

وصن الحسام[1] *ولا تذله فإنـــه*	*يشكو يمينك والجماجم تشـهد*
جف النجيع[2] *عليه وهو مجـــرد*	*مـن غمـده فكأنما هـــو مغمـد*
ريان[3] *لو قذف الذي أسقيتـه*	*لجرى من المهجات*[4] *نهر مزبـد*
ما شاركته منية[5] *في مهجة*	*إلا وشفرتها علـى يدها يــد*
يلقاك مرتديا بأحمـر مــن دم	*ذهبت بخضرته الكلى*[6] *والأكبد*

وهربت، ففتحت علي أحد عشر كلاكوفا، فهربت، وكان بجانبنا نهر(أرنامال)، وكنت أركض على حافته، فالتفت ورائي فوجدت أن الروس لم يلاحقوني، وكان فوقنا مركز للروس يطل علينا، فجلست أريد أن ألبس على المركز الذي فوقنا بأني فلاح من الأهالي، فجلست على النهر أشرب الماء وألتقط أنفاسي حتى أبحث عن حيلـــة أخرى لمخـــرج (للنجاتي)، وكان أمامي امرأة وابنها، فاردت اللحاق بهم حتى أمر معهم كأني رب العائلة، فكنت أسرع إثرهم في مشيهم، فلم أستطع اللحاق بهم، فجئت بجانب جبل وتسلقته

(١) الحسام: السيف (٢) النجيع :الدم (٣) ريان :مرتوي (٤)المهجة: الروح (٥) منية: الموت (٦)الكلى : الرؤوس

ونزلت من الجهة الأخرى للجبل، وعندما وصلت القاعدة بدأ المجاهدون يبكون فرحا بقدومي، وكان الخبر قد وصلهم بإلقاء القبض علي، وكانت ثيابي محترقة من الرصاص وكذلك عمامتي، وقلت: غدا الحساب مع الدبابة التي ألقت القبض عليّ، وسنرى ضابطها، وفي اليوم التالي وضعت لغما كبيرا لها، فمرت عليه وارتفعت أربعين مترا في السماء، وأما الضابط فقد مزق إربا إربا:

هو الموت فاختر فاعلا لك ذكره   *فلم يمت الإنسان ما حيي الذكر*

ولا خير في دفع الردى بمذلة   *كما ردها يوما بسوأته عمرو*

شهر عسل لمحمد بانا:

قال بانا: تزوجت وسكنت في بيت قريب من مراكز الروس، واستطلع الروس مكان البيت، وكنا نسكن عشرين نفرا في البيت ، نصب الروس كمينا خارج البيت في الوادي، وجاءت الطائرات وقصفت البيت لتضطرني للخروج إلى خارج البيت في الوادي . وبدأت الحمم تتساقط على البيت، فهرعت خارج البيت، ولكن الله – عز وجل – قدر لي أن أصعد الجبل، بقيت الطائرات مستمرة في القصف، فرأيت قذيفة وقعت في وسط البيت، فنزلت من قمة الجبل لأتفقد الأسرة وأنقذ الجرحى وأخرج القتلى، ثم ألقيت بسمعي إلى الارض لعلي أسمع صراخا أو أحس منهم ركزاً، وبدأنا نخرج الأفراد من تحت الركام، فوجدت زوجتي وابنة أخي قد أسلمتا الروح، ولم يمض على زواجنا سوى ثلاثة أشهر . وعندما دخلت البيت أحاط الروس بالبيت، ولكن الله – عز وجل – أعانني أن أخترقهم وأنجو بنفسي :

أسد دم الأسد الهزبر خضابه   *موت فريص الموت منه ترعد*

قصص من قومندان مسلم:

عمره ٣٦ عاما، من أكثر المجاهدين الذين خاضوا المعارك في بنجشير، ويعتبر بالنسبة لصغر سنه أكثر قائد دمر للروس من الآليات خاصة في (جنكلك وما لاصبا)، حيث دمر حوالي ثلاثمائة آلية، وهو شاب متحمس للعمل بالسنة، وقد كان يقودنا في سيارة .

حدثنا مسلم في فرخار بحضور القومندان جادا :

الشهيد حشم (قومندان يشهد له بالتقوى): استشهد ورفض أن يسلم سلاحه للروس، فجاء الروس وقصوا حزام الكلاشنكوف الذي يحمله وأخذوه .

وزير أحمد (مهندس كان يدرس في معهد من المعاهد ويشهد له بالصلاح) انفجر فيه لغم فقطعت رجلاه وفقئت عينه، وكان أثناء الاحتضار يقول لي (لمسلم): ابعد عن الطاقة حتى أرى الحدائق، وفاضت روحه وهو يقول هكذا، وعندما جاء إخوانه وبكوه ودفنوه ورجعوا وفي الطريق وهم يبكون وإذا بهاتف يناديهم وبصوت أخيهم الشهيد: لماذا تبكون؟ وبعد عشرين يوما هجم الروس علينا بحملة ليلية وكنا نائمين، وكان معنا شاب اسمه وكيل (شاب من الصالحين)، فجاءه الشهيد وأخذ يوقظه بصوته ويده قائلا قم هجم عليكم الروس ثلاث مرات وهو يوقظه، فاستيقظنا فوجدنا الروس وقتلنا قسما منهم .

وحيد : وفي سنة ١٣٦٣ تكررت نفس الحادثة مع وحيد الشهيد، فقد هجم الروس علينا ليلا ونحن نيام، فجاء الشهيد إلى المجاهد عبدالرحيم يهتف به في المنام: قوموا فالروس متقدمون إليكم، فتنبهنا من نومنا وواجهنا الروس وقتلنا قسما منهم.

بير محمد: استشهد بير محمد، وبعد سنة جاء والده من بيشاور فأصر أن يفتح قبر ابنه ويراه، ففتحه فوجد ابنه لايزال سالما وقد طالت لحيته ، قال قومندان مسلم: لقد رأيت هذا بنفسي .

نذير: وهو قريب لي: استشهد، وبعد سنة جاءت أمه لتراه، ففتحت القبر فوجدته كيوم استشهد، ودمه لازال ينزف ، ولكن كفه بدا فيه بعض التغيير .

علي أحمد: (شجاع كالأسد) هجم على الروسي الذي يطلق على قاذفة القنابل (نارنجاك اندوز) وأراد أن ينتزع القاذفة من يد الروسي، فانتبه إليه الروسي بعد أن أمسك بها(بالقاذفة) فأطلق عليه قنبلة في وجهه واستشهد، ثم مثل به الروس بالحراب طعنا، وبعد فترة هجمنا على المركز واحتليناه فوجدنا الشهيد لم يتغير .

عبدالواسع من قرية منجهور(قرية صفي الله الشهيد): قامت معركة بيننا وبين الروس وافتقدنا عبدالواسع، فظننا أنه أسر، وكنا في هذه الفترة نرى نورا فوق رأس الجبل، فوقع في نفوسنا أن الروس قد أقاموا مركزا فوق رأس الجبل، وبعد ستة أشهر وصلنا الموقع، فإذا به عبد الواسع، وإذا بالنور من جسده ولم يدفن بعد .

قصص من قومندان مسلم في جلال آباد[1]

٢١ رمضان ١٤٠٩ هـ الموافق ٢٦/٤/١٩٨٩م

١-قصة غلام علي:

غلام علي من قريتنا (جنكلك)، وهو قريبي، وقد جعله مسعود قائداً لقطعة متحركة، فاشتهر أمره، وذات مرة أغارت عليه طائرة ورمته بالصاروخ واستشهد، ودفن في القرية سنة ١٩٨١، وأخذ المجاهدون يلاحظون خروج النور من قبره، وصار الشيوعيون يقصفون المكان يظنونه مركزاً جديداً للمجاهدين.

وذات يوم لقي الشهيد بصورته ابن أخيه الصغير وعمره ثماني سنوات وسلّم عليه، فرجع الطفل إلى والده فقال: لقد رأيت عمي و سلم عليّ.

ودخل الشيوعيون جنكلك سنة ١٩٨٤ ولم يبق فيها أحد من المجاهدين، وذات مرة دخل الجنود الشيوعيون فقتل منهم أربعة ولم يكن في القرية أحد.

قال مسلم: وانفجر لغم تحت قدم أحد الكفار، مع أنني لم أزرع لغماً في ذلك المكان، وأنا المسؤول عنه.

٢-الجن المؤمن يساعدون المجاهدين :

قال مسلم: لقد حصلت عدة قصص ورأيت بعضها بنفسي في منجور أن يطلق على الكفار رصاص ولم يكن من طرف المجاهدين ولا يعرف من أطلقها.

وحصل لي ذات مرة أن اتفقت مع القائد (صفي الله) على اقتحام مركز في منجور، وحددنا المسؤولية، فكانت مسؤوليتي: الإطلاق على الأسلحة الثقيلة (المدفعية والهاوان)، وبعدها يقتحم صفي الله، واتفقنا على اليوم والساعة، وفي ذلك اليوم جاءت الطائرات وأشغلتنا عن أنفسنا. وفي نفس الساعة المحددة بدأت المدفعية تطلق على الكفار (ولا يعلم من يطلق)، وبعد أن توقفت المدفعية تقدم صفي الله واحتل المركز.

وبعدها لقيني صفي الله وقال لي: جزاك الله خيراً، لقد كانت رمايتك في نفس الهدف، فقلت له: والله ما أطلقت طلقة واحدة.

وبعدها بفترة أصيب صفي الله بالجن، فأحضر له مسعود مولوي (عالماً) اسمه ظاهر لإخراج الجني، فجاء الجني بالمصحف يستشفع للمولوي أن يتركه مع صفي الله، وقال الجني: إنني أساعد صفي الله في القتال، فقال له العالم وكيف ذلك؟

فقال الجني: من الذي كان يطلق على المدفعية الثقيلة يوم أن اقتحم صفي الله مركز منجور؟

٣- (وما النصر إلا من عند الله):

قال مسلم: فتحنا بشغور في رمضان سنة ١٤٠٥، و كان ذلك في العشر الأوائل من رمضان، وأسرنا أربعمائة أسير بينهم (٨٧) ضابطاً بينهم الجنرال أحمد الدين الذي قتله المجاهدون، ونكست كابل عليه أعلامها ثلاثة أيام. وبقينا ننقل الغنائم على ظهور الأسرى ثلاثة أيام متواصلة.

وفي العشر الأواخر هجم الروس بقوة ضخمة يصل عدادها إلى ثلاثة آلاف آلية (بين دبابة ومصفحة وناقلة وسيارة)، وقاومناها، وكانت القوة على طول بنشير، وكان معهم أربعون راجمة صواريخ (BM21 BM41)، ومعهم ١٢ مدفعية D30 تطلق قذائفها بالكهرباء، ويصل قطر القذيفة ٢٤٥ ملم.

وكانت الطائرات تغير، وقد رأيت مرة واحدى وستين طائرة مصفحة (Gun Ship) كانت تطلق على بشغور بعد سقوطها.

قيام ليلة القدر :

وتعبنا من المقاومة، وأنهكتنا الحرب، فقمنا ليلة القدر ليلة ٢٧ رمضان، ودعونا الله عز وجل أن يعيننا ويخفف عنا. قال مسلم:

١- يبدو أن الشيخ قد التقى قومندان مسلم في جلال أباد لاحقاً واستمع منه إلى هذه القصص حيث أن هذه الفترة أمضاها الشيخ بالكتاب خلال معارك جلال أباد.

وفي صبيحة اليوم التالي يوم ٢٧ رمضان وقريب الساعة التاسعة صباحاً مرت عشر آليات قرب (نواليج) وكنت قائدها فهجمنا عليها ودمرناها.

الكرامة:

وبعد قليل وإذا بطائرة هليوكبتر تطير ثم تسقط وحدها دون أن يطلق عليها أحد، فسقطت بين الدبابات وانفجرت، وانفجرت صواريخها، ... ثمانين آلية قربنا في (رحمن خيل)، ونحن نرى الآليات وهي تتفجر، وقد تقطعت أجساد سبعين جندياً.

كرامة أخرى في رخا (مركز بنشير):

وفي رخا لم يكن هنالك مجاهدون أبداً، وبدأت الدبابات والآليات دون أن يعرف من فجرها ولا كيفية تفجرها، يقول مسلم: وبلغ عدد الآليات التي دمرت بالكرامات وبأيدي المجاهدين في تلك المعركة وعلى طول بنشير حوالي سبعمائة آلية. وقد كان عدد الآليات المدمرة قرب مركزي (ما بين نواليج ورحمن خيل وجنكلك وما لاصبا) أربع قرى متجاورة حوالي مائتي آلية.

ولا تستغربنّ أيها الأخ الكريم هذه الأرقام، فلقد رأيت بعيني حوالي ثلاثمائة آلية مدمرة قرب هذه القرى.

يقول مسلم: هذه الآليات التي لم تستطع روسيا أن تجرها من بنشير في سنتين ٨٦ – ٨٧ بعد أن نظفت بنشير ثلاث مرات من الآليات المدمرة.

معركتنا مع اليهود

والحق أننا لم نهزم في معاركنا مع اليهود إلا بذنوبنا ومحاددتنا لله ولرسوله، ولو دخلنا معاركنا تحت راية لا إله إلا الله وابتغاء مرضاة الله ولتكون كلمة الله هي العليا فإننا لا يمكن أن نهزم، ولا يمكن لليهود أن يثبتوا أقدامهم في فلسطين.

الذنوب سبب الهزائم

(وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم)، ويقول عز وجل (إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم)

روي أن الأمراء في اليرموك لما كتبوا إلى أبي بكر و عمر رضي الله عنهما يعلمونهما بما وقع من الأمر العظيم، وما يقابلونه من خطر داهم، وعدو لا قبل لهم به، كتبا إليهم: (أن اجتمعوا وكونوا جنداً واحداً، والقوا جنود المشركين، فأنتم أنصار الله، والله ناصر من نصره وخاذل من خذله، ولن يؤتى مثلكم عن قلة، ولكن من تلقاء الذنوب، فاحترسوا منها).

(ولما أمر سعد بن وقاص جيشه بعبور دجلة وليست هنالك سفن ولا جسر، والعرب لا عهد لهم بالسباحة وعبور الأنهار، قال حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرن الله وليه، وليظهرن الله دينه، إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات)[1].

وكتب سيدنا عمر بن عبدالعزيز إلى قائد جيشه قال فيه: وآمره أن لا يكون من شيء من عدوه أشد احتراسا منه لنفسه ومن معه من معاصي الله، فإن الذنوب أخوف عندي على الناس من مكيدة عدوهم، وإنما نعادي عدونا وننصر عليهم بمعصيتهم، ولولا ذلك لم يكن لنا قوة بهم، لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فلو استوينا نحن وهم في المعصية كانوا أفضل منا في القوة والعدد، فإنا لا ننصر عليهم بحقنا ولا نغلبهم بقوتنا، ولا تكونوا بعداوة أحد من الناس أحذر منكم لذنوبكم، ولا تكونوا بالقدرة لكم أشد تعاهداً منكم لذنوبكم)[2].

كرامة: الروس يمرضون ويموتون من الحشرات

حدثنا مسلم قال: بعد هجوم سنة ١٩٨٤ مرض كثير من جنود الروس بسبب البعوض والذباب والبق في بنشير، وأصاب كثير منهم الحساسية، ومات قسم منهم.

١– البداية والنهاية ١٢/٧/١٢.   ٢– سيرة عمر بن عبد العزيز لمحمد بن عبد الله بن الحكم

كرامة: عقوبات المجاهدين الذين خانوا وغلّوا

هنالك بعض المجاهدين باعوا بعض الأسلحة أو الذخائر، أو غلوا بعض الأموال، فرأيت الله يعاقبهم بقطع اليد أو الرجل أو قلع العين أو شلل.

قصة داد محمد (شقيق القومندان مسلم)

تخرج من الكلية العسكرية العليا في كابل طياراً، إذ أن والده (نيك محمد) كان يعمل ضابطاً في الجيش برتبة كولونيل ثم تقاعد، فأدخل ابنه داد محمد في كلية الطيران، وتخرج منها، ثم أرسل إلى روسيا، وواصل دراسته وتدريبه في روسيا لمدة ثلاث سنوات، ثم عاد إلى كابل.

وعندما عاد إلى كابل عرض على والده أن يهرب من الجيش بطائرته، وأقنع ثلاثة من زملائه بالهرب إلى باكستان مع طائراتهم الجديدة SU22 M (سوخوي ٢٢)، وطلب من والده أن يعرض الأمر على أحمد شاه مسعود، فرفض مسعود، وطلب منه البقاء في الجيش لإقناع بقية الطيارين بالعمل مع المجاهدين. وكان داد محمد شخصية قوية محبوبة مؤثرة، وصار يؤثر على زملائه الطيارين.

وكان يرسل بين الحين والآخر لمسعود أن يهرب إليه مع مجموعة، ولكن مسعوداً يلح عليه بالبقاء، وفي معركة بنشير سنة ١٩٨٤ كان أحد الذين يكلفون بقصف بنشير، فضرب طائرة جيت روسية بصاروخ وأسقطها.

قصف مديرية خنجان : وخنجان تقع في سالنج الشمالي، فأرسله الروس لقصف المجاهدين، فقصف الحي الذي يسكنه الروس وقتل منهم حوالي خمسمائة ودمر مستعمرتهم.

شك الروس:

وقد حصلت عدة حوادث جعلت الروس يستريبون (يشكون) في أمره، وفي داخل الطائرات ألغام يمكن تفجيرها بالتوجيه (ريموت كنترول)، وذات مرة أرسلوه في مهمة ثم فجروا طائرته في الجو، فأخذ المظلة وقفز، ولكن المظلة لم تفتح، وتحطم فوق جبال كوهستان/ كابيسا.

الأحد ١٣ اكتوبر ١٩٨٨ من ورسج إلى فرخار:

تحركنا من أبرو إلى خانقاه، ويرافقنا على الطريق نهر بيو الذي يصب في نهر ورسج، وعندما وصلنا إلى خانقاه (عاصمة ورسج) نحن ومسعود وجكري والدكتور نجيب< رئيس اللجنة السياسية في الجمعية> فوجدنا أن الناس في انتظارنا، وبسرعة فائقة أكلنا لقيمات على الفطور، ثم انطلقنا يقود سيارتنا قومندان مسلم، وعندما وصلنا قرية {ساري تنجي} كانوا قد أعدوا سرادق، وخرج أهل القرية للاستقبال، وألقى الشيخ رباني كلمة، وألقيت كلمة، وتناولنا طعام الفطور (السمك والعصافير)، ثم انطلقت السيارة وكان مسعود ورباني وأرينبور في السيارة.

حديث مسعود في السيارة:

وطلبت من مسعود أن يتحدث عن سنة ١٣٦١ هـ . ش فقال: لم نذق غصصاً، ولم نواجه مشاكل في حياتنا الجهادية بعد سنة ٦١ الا سنة ٦٣ . لقد كانت سنة ٦٣ قمة المصائب والعقبات، وبعدها تأتي مشاكل سنة إحدى وستين .

لقد قمنا بتدمير الطريق في مكان (راي تانج: الطريق الضيق)-في مدخل بنجشير عند شتل- حتى لا تدخل الدبابات الى بنجشير .

الحملة الخامسة: ولأول مرة يدخل الروس قواتهم بواسطة الجو، فانزلوا في اليوم الأول في أعنابة وتاواخ ودشتك ورخا ، وأستانة /حوالي خمسة آلاف .

وفي اليوم الثاني: في خنج وغنجو، وفي هذا اليوم لا نعلم العدد، فكانت الطائرات تحط على ظهر الجبل وينزل منها الجنود {وكان عدد الجنود الروس فرقتين < عشرين الفا>، وفرقة من الأفغان عشرة آلاف}.

ملاحظة: الحملات الروسية :

١- الأولى : ١٢ حمل سنة ٥٩ هـ- ش: خمسة آلاف وصلوا إلى باريان، المجاهدون حوالي ستين مجاهدا .

٢-الثانية: ٢٠ سنبلة سنة ٥٩ هـ . ش: عشرة آلاف وصلوا دشت ريوات سفيد چير - ثلاثمائة مجاهد.

-مقابلة مع الكومندان جادا محمد:

الوالد: باز محمد من دشت ريوات ، العمر : ٤٢ عاما

التحاقه بالجهاد المسلح: سنة ٥٨ هـ. ش منذ بداية أحمد شاه مسعود .

الوالد: متوفى قبل الانقلاب .

منذ سنة ٥٨ وحتى الآن وأنا في القتال ، أرسل إلينا مسعود رسالة من بيشاور أني قادم للجهاد في بنجشير فتعالوا لمقابلتي في نورستان، وبعدها دخلنا دشت ريوات، وكان مع مسعود (شلدز)، (PRG7) معه خمس قذائف، واشترينا كلاشنكوف عدد (٢).

في دشت ريوات :

لابد من الحركة بالخفاء، فتحركنا من دشت ريوات إلى باريان، إلى سفيد جير، وكل ذلك بالخفاء، فوصل الخبر للدولة، فداهمت البيت الذي كنا فيه فقاومنا.

فأرسلنا إلى سفيد چير حيث كان الأمير وقلنا له: اقطعوا الطريق ونحن بإذن الله سنأسر المجموعة، وبالفعل قتلنا الحاكم وأسرنا المجموعة، وفتحنا مديرية (علاقة داري/شعبة)، وبعد هذا ارتفعت معنويات الناس، وخرج الناس بالفؤوس والعصي ووقفوا ضد الدولة، وانتقلنا من السرية إلى العلنية.

بعد فتح شعبة صممنا أن نفتح (داره) المديرية الثانية بعد شعبة، فزاد الناس بجانبنا، فأخرج الناس أسلحتهم، وأصبح معنا مائتا مسلح فأرسلنا مائة إلى داره، ومائة أخرى إلى بازارك، ففتحنا بازارك ولم تفتح داره، وجاءت الطائرة وقصفت فاستشهد عشرون منا.

أما داره فقد قاومت ثم فتحت، فتجمعنا في بازارك للتوجه إلى رخا، فدفنا الشهداء وأخذنا الجرحى ثم هجمنا على رخا، واستنجدوا بالدولة، فانتقلنا إلى سالنج وجلبهار وجاهدنا شهرا.

وفي هذه الفترة نفدت ذخيرتنا التي غنمناها، وحملت الدولة علينا، فجرح مسعود في سالنج، وأصابته رصاصة في إليته، وكان الحادث في [كوهي سرخ]، وبعد أن هجمت الدولة تراجع الشعب مع الدولة، وانسحبنا إلى باريان، وبقي معنا بعض المخلصين .

فاتفق زعماء القرى وعمدتها على إلقاء القبض على مسعود وزمرته وتسليمهم إلى الدولة للتخلص من التدمير والقصف، فجاءنا بعض المخلصين وأخبرونا، فكنا خمسين شخصا ولم يكن بيننا رجل يعلم شيئا عن العسكرية سوى مسعود، فقمنا بدورة عسكرية وكان يدربنا فيها.

وتعاهدنا على الجهاد حتى آخر لحظة:

كانت الدورة مدتها شهر، فانقسمنا إلى قسمين بترتيب مسعود :

أ- خمسة وعشرون نزلنا إلى بازارك مع مسعود .

ب -خمسة وعشرون ذهبوا إلى شعبة ومسؤولها أنا -جادا-.

ثم بدأنا الجهاد من جديد: فصممنا أن تكون خطتنا ضرب آليات التموين التي تمون شعبة، فانسحبوا، وكنا في رأس الجبل، فاضطررنا أن نبعث أحدنا للتأكد من الخبر، ثم أرسلنا مجموعة أخرى لكشف بطن الوادي، فوجدوا جنود شعبة يريدون الانسحاب، فحاصرناهم وأسرناهم وغنمنا (٢٠ بندقية إنجليزية) ومسدسين مع الوثائق بأسماء المخابرات من الشعب المتصلين بالدولة.

ثم أخذنا شعبة «وداره»، فأرسلنا رسالة إلى مسعود ماذا نصنع؟ فأجابنا: ابدأوا بالمساجد، وأعيدوا تجنيد الناس مرة أخرى، فمن رفض الانضمام فاطلبوا منهم الأسلحة التي غنموها أول مرة من الدولة، وإلا فلنعرف ماذا عنده من السلاح.

وبدأنا حملة المساجد ولمدة ثلاثة أسابيع، ووصل الأمير وبدأنا ندرب الناس على شكل مجموعات، كل منها خمسة، وبعد التدريب نعيدهم إلى قراهم ليكونوا عونا لنا على الدولة دون أن نسلحهم، وبدأنا نهدد الناس المرتبطين بالدولة ليلا.

استمرت هذه الحالة ثلاثة أشهر، وبعد أن نظمنا المنطقة جيدا فصار لنا في كل بلدة عشرون (بازارك فراج أعنابة، أبدرا، شتل).

دور العلماء:

وقد قام العلماء بدور بارز، إذ كانوا يفتون بكفر الشيوعيين، ويرسل لنا العلماء الشباب لندربهم.

ثم جاء دور تسليح المدربين (عشرون في كل بلدة):

وأعلنا وجوب قطع الإمدادات عن الدولة (رخا)، وانقطعت الإمدادات بالسيارات، ثم بدأنا نرسل السرايا (بالعشرينات) إلى باكستان للتدريب، فجاءنا دوشكا نصبناها على (رخا) وبدأنا نرمي عليها، وانقطعت الإمدادات البرية، والشعب مسلح، وانتهت سلطة الدولة، فلم يجدوا بداً من الانسحاب، فصارت بنجشير كلها محررة، فتحررت بنجشير كلها من الشيوعيين في أيام أمين .

دخول روسيا:

كان عندنا لدى دخول روسيا ٢٤ مركزا، كل مركز فيه (٥-١٠) مسلحين، والبقية بدون سلاح، فأخذ الأغنياء في بنجشير يمدوننا، وبدأت الغنائم تتهافت علينا بسبب المعارك مع الروس، فعزمنا على عدم مقاتلة الروس حتى يدخلوا في الوادي كله، وقد فعلوا، فكنت أقود المجاهدين من(رخا- شتل)، ومسعود من (رخا إلى باريان)، فقال لنا: اعملوا من عندكم واضربوا نقاط الضعف، فضربنا ضربة شديدة، ومسعود ضرب كذلك في نقاط كثيرة، وهزم الروس، وزادت غنائمنا، وتقوت مراكزنا، وارتفعت معنويات المجاهدين.وأذكر في هذه الفترة أن الشيوعيين هجموا سنة ٦١ هـ ٠ش فأسرنا الجيش بكامله، وكان عددهم ألفاً ومائتي جندي معهم سبعون آلية، وكانت المعركة في برجمان، فوزعت المجاهدين، وبدأنا القتال معهم، فقتلنا ثلاثين واستسلم الباقي . وكنا آنذاك مائتين وخمسين مجاهدا، ومن الغنائم مدفعان (D30)، وهاونان غرناي وهاون وسط خمسة :

سيثار العز المحطم تاجه	*رجال إذا جاش الردى فهم هم*
رجال يرون الذل عارا وسبة	*ولا يرهبون الموت والموت مقدم*

لقاء مع عارف خان قائد كندز / للجمعية

الثلاثاء ٥أكتوبر١٩٨٨ الموافق ٢٤صفر١٤٠٩هـ

في هذا الصباح التقينا مع عارف خان قائد عمومي «كندز/للجمعية»، ومعه قائد ولسوالي إمام صاحب واسمه محمد عبدالله، وأرانا عارف خان رسالة من القائد الروسي وأخرى من والي كندز الشيوعي، وقد جاءه شريط من نجيب يقول له: إن شئت أن نتعاون في حكم كندز مقابل أن تكف عن قتالنا، وفي الشريط شتائم على ضياء الحق ورباني.

قال عارف: إن موظفي الدولة اليوم يتنقلون بلا أسلحة، ورفضوا أن يتسلموا أسلحة من الدولة، لأنهم قالوا لنجيب: لقد أصدر المجاهدون العفو العام عنا، ونخشى إن حملنا السلاح مرة أخرى أن يقتلونا إن فتحوا المدينة للمرة الثانية.

يقول عارف: لقد أثر العفو العام في نفسيات الشيوعيين، حتى جاءوا إلي ليحرسوني ويقولوا لي: نحن من الملة الأفغانية، فكيف تخرجوننا من ملة أفغانستان (شعب أفغانستان)، وتعاملوننا كالكفار، وعندما دخل نسيم مستشار وزير الداخلية (جولاب زوي) أمسك نسيم بأذني نفسه وقال: توبة توبة من حزبكم.

قال محمد عبدالله - قائد إمام صاحب -: عندما هجمنا على الروس (مركز الكتيبة) التجأ الشيوعيون الأفغان إليهم، فرفع الروس الرايات الخضر والبيض وقالوا: نحن وقعنا في جنيف ولا نريد قتالكم، خذوا هؤلاء الأفغان وشأنكم بهم، فأخذنا الضباط الأفغان وعندما صدر العفو العمومي عنهم صاروا يمرون أمامنا ناكسي رؤوسهم خجلا وحياء.

وجاء محمد بانا (حديث عن سنة ١٩٨١):

جاءنا تقرير من كابل أن الروس سينزلون عليكم جويا، وجاءت الطائرات فكان عدادها حوالي مائة طائرة هليكوبتر، ولم يكن لدينا سوى دوشكا واحدة وزيكويك واحد، ولهول الموقف أصاب الشاب الذي على الدوشكا الذهول، ولم يستطع أن يفتح عليهم النار، فأمرت (شاه سليمان) الذي على الزيكويك أن يطلق، ففتح نيران رشاشه، فأسقط خمس طائرات دفعة واحدة ، فركزت الطائرات في قصفها على الزيكويك، فتركنا الزيكويك، وزحف الكوماندوز نحونا، ودارت معركة، وسقط حوالي خمسين روسيا، وتقدمنا إليهم وغنمنا حوالي ثلاثين كلاكوفا، و R.P.J7 اثنين، وصاروخ سام ٧، وقاذفة القنابل اليدوية (نارنجك أنداز) تلقي القنبلة على مدى ألف وسبعمائة متر. ويوجد فوق كلاكوفين منظاران لليلان (الأشعة تحت الحمراء) .

وعندما هجمنا على الروس لأخذ الغنائم وجدنا أن القنابل اليدوية مسحوبة فتحه الأمان ، وقد مات الروسي والقنبلة بيده، فعندما كنا نأخذ سلاحه تنفجر القنبلة وتقطعه، وجرح بعض المجاهدين .

الغنائـــــم:

وسأل عبدالله أنس بانا قائلا: كم غنمت؟ فقال: مائتي كلاكوف ومائتي كلاشنكوف، ودمرنا حوالي أربعين دبابة ومصفحة، وحوالي أربعمائة سيارة، وقد دمرت حوالي مائة سيارة يقودها الروس ، وذات مرة دمرنا مائة وخمسين سيارة محملة بالذخيرة، وقد أحرقنا سيارة منها فاحترقت جميعا، وقد بقي الروس لمدة أسبوع يجمعون لحوم القتلى المتناثرة، وكان ذلك في سالنج، وقد أطلقنا على سيارة (تنك البنزين) فاحترقت، وبدأت السيارات تحترق وتتناثر شظاياها على بعد أربعمائة متر، وقد احترقت كل المباني التي يسكنها الأهالي على الجانبين على بعد عن الشارع لا يقل عن مائة متر ، وكان هذا سنة ١٣٦٤ هـ. ش (سنة ١٩٨٥م).

لقاء مع مساعد عند إسلام الدين:
الثلاثاء ٥/ ١٠/ ١٩٨٨:

اللقاء مع أرباب خداي داد (عطاء الله)، وهو مساعد عند إسلام الدين، والقائد سيد إكرام الدين (أمير اشكمش)، وسيد عبدالكريم هاشمي المسؤول الثقافي وأمير خوست فرنج ، سر معلم طارق (مسؤول جناح من اشكمش)، وسيد أكبر «عالم كبير مجاهد» ، د. عبدالرحمن نائب الأمير مسعود ، سارنوال منير خريج الحقوق (مدعي عام شوراي نظار).

وقد تكلمت عن المؤامرة العالمية وتاريخها على الخلافة، وأسباب ضرب الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي.

ثم تكلم هاشمي المسؤول الثقافي فقال: إن عدونا الاول هو الجهل، ونحن نأمل من الدعاة أن يساهموا في اجتيازنا هذا المأزق الضيق الذي يهدد مسيرة أفغانستان المسلمة.

ثم جاء القائد الكبير جادا ليكمل قصته:

يقول عبدالله أنس : إنني لا أتحرج عندما أطلق كلمة جنرال على جادا، لأن عنده من الموهبة العسكرية والتجربة الشخصية ما تؤهله لأكثر من مرتبة جنرال :

ضروب لهام الضاربي الهام في الوغى ... خفيف إذا مـــا أثقـــل الفرس اللبد[1]

بصير بأخذ الحمد مـــن كل موضـــع ... ولو خبأتــــه بين أنيابهـــا الأســــد

وسيــــف لأنت السيف لا ما تســـــله ... لضرب ومما السيف منه لك الغمـــد[2]

ورمـــح لأنت الرمـــح لا ما تسلـــه ... نجيعا ولولا القدح لم يثقب الزنـــد[3]

الحملة الثانية على بنجشير:

في الحملة الثانية كانت القوة أضعاف الأولى حتى لا تقدم خسائر كالحملة الاولى، وفي الثانية تركناهم يدخلون إلى سفيد جير.

١- الهام : الرؤوس .. اللبد :مايوضع تحت السرج من قماش. أي ضروب لهام الشجعان الابطال في الحرب وهو خفيف مسرع الى الحرب. ٢- اذا لبست الدرع كنت فيه كالسيف في الغمد :أي انت السيف حقيقه لا السيف الذي تضرب به. ٣- لم يثقب الزند:لم تضيء القداحة. اي لولا جودة طعنك ماعمل الرمح كما انه لو لا القدح لم تضيء النار.

وانسحب الأهالي من بيوتهم، وتوزع المجاهدون مواقعهم على طول الوادي، وتركنا الروس يقيمون مراكزهم، ثم حملنا عليهم حتى رجل واحد. وقد كانت هذه الحملة بالدبابات، ثم انسحب الروس بعد خسائر ضخمة، وقد تدمر للعدو عشرون إلى ثلاثين دبابة، وأما قتلاه فكانوا عددا كبيرا.

الحملة الثالثة:

كانت ستة أضعاف الثانية لأن الروس وجدوا أن الحملتين الاوليين كانتا سببا في إثراء المجاهدين بالغنائم والاسلحة الثقيلة. وفي هذه الحملة جاء المشاة مع الدبابات، وفي هذه الحملة لم يستطيعوا أن يتجاوزوا بازارك، وفي هذه الحملة غيرنا التكتيك، فحشدنا المجاهدين من سفيد جير وباريان وخنج وبشت ريوات، أخذنا من كل منطقة سرية عدادها ثلاثون مجاهدا، والسبب في هذا أن أبناء المنطقة لا يضربون الدبابات بشدة في قريتهم حتى لا تهدم القرية بكاملها، وقد أثبتت لنا التجربة أن أبناء المنطقة لا يضربون ضربات قاصمة، فجئنا بأبناء المناطق العليا من بنجشير ليقاتلوا في المناطق السفلى (شتل وأعنابه ورخا)، فقاتلوا قتالا مريرا، وعندئذ استحيا أبناء المنطقة وقاتلوا معهم، وكانت الضربة الشديدة، فوزعنا المجاهدين في تانجي (في شتل) إلى مراج تواخ، زمانكور، حصارك كاركاو.

كانت الدبابات تسير في الوادي والروس في رؤوس الجبال ، فكان المجاهدون يبدأون بضرب الروس في رؤوس الجبال، ثم نهرب، ويظن الروس أن المنطقة خلت، ثم تعود وتلف من فوق رؤوس الجبال على الدبابات وتدمرها.

فانهارت معنويات الروس، والتقوا في بازارك وتشاوروا فيما بينهم، ثم صمموا على العودة. وقد كنا نعتمد كثيرا على الاطلاعات (العيون) التي لنا في كابل، فكانت تصلنا رسالة من كابل من الجنود في الجيش عن موعد الحملة قبلها بأيام، فنستعد للحملة قبل أن تصل، وهنا انقطع حديث جادا إذ جاءني عبدالله أنس يخبرني بقرار الرحيل المفاجيء.

أمر الرحيل المفاجيء:

قرر رباني في هذا اليوم مغادرة المركز التعليمي إلى ورسج في طريق عودته إلى باكستان، فجاءني عبدالله أنس وقال: ليس أمامنا الا بضع ساعات حتى تزور الإخوة العرب في سد بوركا / آغا وليد (سيد جمال)، وأخبر عبدالله شاه محمد أننا نزمع السير إلى طالقان، فأحضر شاه محمد سيارة الغنيمة وركبنا فيها وانطلقنا نحو طالقان .

٥/ ٦ /١٩٨٨م الموافق ٢٤/صفر/ ١٤٠٩هـ

غادرنا قبل العصر مع شاه محمد نحو طالقان، وشاه محمد هو أمير طالقان بعد فتحها، وهو عالم من العلماء الطيبين ويذكره الناس بخير، وقد توجهنا إلى طالقان لرؤية الإخوة العرب مع قائد الحزب آغا وليد(سيد جمال) الذي أرسلنا إليه أبا إبراهيم وقافلته المشهورة التي تعد واحدا وعشرين عربيا ، وفي الطريق (في فرخار) وإذا بمجموعة من الإخوة العرب يقودهم أبو الشهيد اليماني والدكتور صالح الليبي، ومعهم فاتح شقيق أبي الشهيد، ومصعب، وجعفر، وأبو صهيب وكلهم من اليمن، وركب أبو الشهيد بجانبنا في السيارة، وكان لقاء حارا، وتركوا خيولهم في فرخار وواصلوا معنا .

لم يكن أمامنا إلا هذه الليلة، لأن الشيخ رباني قد تلقى رسالتين إحداها من الشيخ سياف وخالص والثانية من الحكومة الباكستانية تستحثه الخطى وتستعجله القدوم، فقرر الشيخ رباني السفر.

كان لا بد أن نذهب إلى طالقان ونتصل بآغا وليد من أجل أن نلتقي به وبالاخ أبي الدرداء، وانطلقنا إلى طالقان، ووصلناها بعد المغرب مع شاه محمد (أمير طالقان)، ونزلنا في بيت أحد الأثرياء، وعمل لنا العشاء وتعشينا ونمنا ، ولا أنسى أننا ذهبنا أولاً إلى بيت ظننته بيت شاه محمد فلم يجد عشاء وفي الصباح تجولنا في المدينة وزرنا اللجنة الثقافية للحزب الإسلامي وكان فيها(سيد ميرزا: شقيق آغا وليد [سيد جمال] وهو قائد يشهد له بالشجاعة)، وهو من فاتحي طالقان ، وقد كان سروره بلقائي عظيما، وتكلمت كلمة حييت فيهم شجاعتهم وإقدامهم وصبرهم، وأوصيتهم بمواصلة المسيرة حتى تقوم الدولة الإسلامية مع الإخوة، والمحافظة على الدماء والأموال والأعراض، وبينما كنا في اللجنة الثقافية كانت قذائف العدو تتساقط في المدينة حيث تجمع العدو في حديقة اسمها (باغ ذخيرة) -وهي محصنة وبها ملاجيء تحت الأرض إسمنتية-، وحاول المجاهدون اقتحامها إلا أنهم تكبدوا خسائر ضخمة، ولم يستطيعوا فتحها، وكذلك كان في الجبل المطل على طالقان رجل اسمه (كورمالي: الخازن الأعور)-من حزب ستم ملي (شيوعي صيني) وكان يطلق قذائفه على المدينة.

في مسجد طالقان :

ثم ذهبنا إلى مسجد طالقان، وصليت فيه ركعتين، وهنا ذرفت عيناي وأنا أتذكر الصحابة الكرام الذين فتحوا هذه المدينة أول مرة، ومرّ في خاطري أثناء الصلاة الأحنف بن قيس وعبدالرحمن بن سمرة اللذان فتحا هرات وكابل، وطالقان آنذاك بهذا الاسم، وتخار وكانت بهذا الاسم (تخارستان).

ثم غادرنا طالقان إلى قرية تقع على نهر فرخار اسمها (دانة)، وصلينا فيها الظهر، وانتظرنا آغا وليد، ووصلنا قرب المغرب على حافة النهر حيث صلى بنا عبدالله أنس، ثم اقترحنا على آغا وليد أن يأتي معنا للسلام على رباني، فوافق وكان سهلا ولم يعارض وانطلقنا .

ملاحظة: (ستم ملي):

حزب شيوعي صيني أسسه طاهر البدخشي، وكذلك بحر الدين باعث من دروان، وقد بدأ تأسيسه أيام ظاهرشاه، وهو يدعو لرفع الظلم عن التاجكستان الذين يعتبرهم مظلومين، ثم انشق الحزب إلى قسمين بعد مقتل مؤسسه طاهر البدخشي في أيام تراقي في السجن:

١- سازا «سازمان انقلابي زحمت كشان أفغانستان».

٢- سزا «سازمان زحمت كشان أفغانستان » (بدون انقلاب)، ومؤسس سزا بحرالدين باعث . ويتزعمه الآن بشير البغلاني وزيرالعدل في حكومة نجيب .

والأول يرأسه: عبد الحميد جران وهو أستاذ في كلية الزراعة في جامعة كابل .

بصحبة آغا وليد وشاه محمد:

وعلى الطريق من دانة إلى فرخار (المركز التعلمي) وقد تحدث آغا وليد إليّ مرحبا بي، وقال : لقد فرح الشيوخ والكبار عندما علموا بمقدمك. وكان أملا أن تزور أفغانستان الشمالية ، وتحدث آغا وليد عن الجهاد، فقلت له أخبرنا عن كرامات الجهاد .

فتح طالقان وفاتحها الحقيقي أبو إبراهيم :

قال آغا وليد : إني لأعتبر أن أعظم كرامه في الجهاد فتح طالقان الذي لم يحتمل سوى بضع ساعات، وأعتبر فاتح طالقان الحقيقي هو أبو إبراهيم العراقي بالبيانات التي كان يطبعها ويوزعها، وكان بسام (الطابع) يوقع عليها، فكان الضباط يسألوني عن هذا الاسم ويظنونه منظمه جديدة، فقلت لهم: إنه الطابع .

كانت المنشورات تدعوهم إلى الاستسلام وترك الشيوعيه، وتثير الرعب في أعماقهم، وقد أدت هذه المنشورات مفعولها الحقيقي، وقد كان الضباط والمسؤولون يأتونني ليلا ويبايعون على محاربة الشيوعية، وحتى النساء في تنظيماتها كانت تبايع، وقد اتصل بي أخي سيد ميرزا من أبواب طالقان وقال نحن الآن في حصارها، وأرسل لنا ذخيرة، فجهزت الذخيرة واتصلت به باللاسلكي بعد عدة ساعات، فقال إنني أكلمك من داخل طالقان وقد افتتحناه! تعجبت لهذا التيسير الإلهي للفتح .

قصــــة الشــــهيد:

وحدثني وليد عن شهيد استشهد فجاء الروس وشوهوه ومثلوا به ثم أخذناه ودفناه، وبعد فترة جاءني في المنام وقال لي إن بعض أسناني وعظامي بقيت في مكان استشهادي فاحضرها لتدفنها معي. فذهبت فوجدت بعض أسنانه وعظامه فأحضرتها ودفنتها معه .

أما شاه محمد فقد حدث عن المعاملة الاسلامية للأسرى فقال : كانت القوة متجهة من طالقان إلى كلفغان، وعندما مرت بنا في (نمك فروش)هجمنا عليها فدمرنا ثماني شاحنات، وقتل قسم من الروس والشيوعيين المحليين، فهربوا، وكانت ناقلة تحمل الأولاد والنساء فكانت سالمة وتركوها وراءهم، فأخذنا النساء والأولاد ووضعناهم في غرفة مدفأة، ولم نفتش امرأة، وكانت النساء تحمل فلوسا فلم نأخذ شيئا، وفي الصباح جمع الشيوعيين الشيوخ (كبار السن) وشكلوا وفدا ليرسلوه إلى المجاهدين، ولكنا أرسلنا النساء

والأولاد إلى طالقان قبل أن يأتونا، وعندما وصلت النساء إلى أزواجهن سألوهن ماذا فعل بكن الأشرار؟ فأجابت النساء: نحن كنا نسمع منكم أنهم أشرار فوجدناكم أنتم الاشرار، وأنتم (وطن فروش) بائعو الوطن، أما المجاهدون فقد وجدناهم أمناء طاهرين، حتى الفلوس التي في جيوبنا فإنهم لم يتعرضوا لها .

وصلنا المركز التعليمي:

وسألنا عن الشيخ رباني فأخبرونا أنه قد غادر إلى (ورسج) ثم أحضر لنا قومندان مسلم وإخوانه العشاء والشاي، وصلينا العشاء ونمنا وقد أوصاني أبو الشهيد أن أوصي بحراسة آغا وليد جيدا في عودته، ولقد كان مجيء آغا وليد معنا يدل على شهامة عالية وشجاعة فائقة، إذ أن المنطقة فيها بعض أعدائه ممن فروا من عنده، ونمت وإياه مع الأولاد وشاه محمد في غرفة واحدة، وعندما استيقظت للفجر وجدته يقرأ القرآن على نور السراج، وصلينا الفجر ثم تحركنا بسرعة .

ووصلنا خانقاه (مركز ورسج) فسألنا عن الأستاذ رباني فقالوا إنه غادر إلى (بيو أبرو)، وهو ينتظرك هناك، فأفطرنا في خانقاه واشتريت بنطالا من المخمل ثم تحركنا، وعلى مشارف خانقاه وجدنا (عبدالحي حقجو) أمير نهرين راجعا من بيو، وكان أبو الشهيد قد أخبرني بالأمس أن عبدالحي قد ألقى القبض على قافلة ضخمة للمهندس بشير، فانتحيت به جانبا وتكلم عبدالله أنس بحضور أبي الشهيد أنه لابد من إخلاء سبيل القافلة، ولتكن فاتحة عهد بينكم وبين الحزب في المنطقة، فشكا لي بعض الآلام التي تجرعها من الحزب في المنطقة، فقال له عبدالله أنس أخيرا: ليكن إخلاء سبيل القافلة ضيافة الشيخ، فوافق واستحيى وعاهد أن يتركها .

وصول سعيد وعبدالعظيم :

وقد فاتني أن أذكر أننا لدى دخولنا إلى ورسج أخبرنا بوصول القارىء سعيد الجزائري وعبد العظيم المغربي، وكانت فرحتي بلقائهما شديدة وعظيمة، وأفطرنا مع بعضنا .

ثم توجهنا في سيارة مع عبدالله أنس إلى بيو، ووصلنا بيو فوجدنا رباني منتظراً مع القافلة، وكان مسعود حاضرا فاوصيته بالقارىء سعيد وبعبد العظيم وبأبي الشهيد خيرا . وسلم آغا وليد على رباني، وسرّ رباني لمقدمه وجلس وإياه، ثم تناولنا طعام الغذاء، وصلينا الظهر، ثم طلب شاه محمد وسيف الدين وهما من قادة الجمعية الاجتماع بي منفردين، وشكا لي كل واحد مشاكله الاقتصادية، وقال سيف الدين: أن الدبابات التي كنت تراها في الاستعراض أنا الذي غنمتها في طالقان .

ثم جلست لدقائق مع (أرينبور) و(أمير مجاهد)، فقلت لهما أنتما من أكثر الناس الذين كنت مشتاقا لرؤيتهم، فرد أمير مجاهد بنفس الكلام، فقال أرينبور: لقد فرحت وحزنت، فرحت برؤيتك إذ كنت أزمع السفر إلى باكستان لرؤيتك، ولكني كنت أكره السفر خارج أفغانستان، فالحمدلله، لقد جاء الله بك، وحزنت لأني لم أجد وقتا لأجلس معك وأبثك مشاعري وأحاسيسي .

ثم تحركنا من بيو إلى وادي بيو «المركز التعليمي»، وبعد صلاة العصر ودعنا الناس وركبنا الخيل وسرنا ساعتين ونصف على ضفاف نهر بيو، وقد سرنا ساعة بعد المغرب وكان الظلام قد أرخى سدوله، وصلينا المغرب على الطريق .

ووصلنا المركز التعليمي الذي أنشأه مسعود، وكان قد قضى فيه شهراً ونصف مع عبدالله أنس مع القطاعات المركزية (مائة وخمسين شخصا)، وهذه القطاعات تعتبر نواة الجيش الإسلامي المنتظر، وقد كانت هذه الدورة من بداية رمضان سنة ١٤٠٨هـ إلى منتصف شوال، فكان عبدالله أنس يقوم به رمضان والصيام فرض من رب العالمين، وقد تولى مسعود النواحي العسكرية والإدارية، وتولى عبدالله أنس النواحي القرآنية والفكرية، وقد كانت دورة مفيدة وناجحة، ولم يخبر مسعود ولا عبدالله أنس أحداً .

نزول طائرتي هليوكبتر قرب شيرا:

وفي هذه الفترة حصل حدث مفاجيء أن نزلت طائرتا هليكوبتر قرب شيرا(المركز الذي كان يقيم به مسعود في إشكمش)، وقد كانت الطائرتان قد ضلتا طريقهما وعند نزولهما وجدا فلاحا يزرع أرضه فسألاه عن المكان فأجابهم (إنها شيرا) فهرعا إلى الطائرتين ثم أسرعا في الهرب .

وكانت فرصة سانحة أن تتكرر حادثة الإفك التي حصلت بعد غزوة المريسيع للسيدة عائشة رضي الله عنها، وإذا بعلماء من

الأحزاب الأخرى يجتمعون وتصدر الفتوى بتكفير مسعود ووجوب قتاله.

كان هذا في الوقت الذي كان مسعود منهمكا بتربية الجيل القرآني الذي يعده ليقوم بمهمة تقويض الحكم الشيوعي واقتلاع جذوره إلى الأبد داخل أفغانستان -ان شاء الله-.

العودة من بيو إلى أنجمن:

الجمعة ٧/١٠/١٩٨٨م الموافق ٢٧/صفر/١٤٠٩هـ

صلينا الفجر في (بيو)، ثم تحركنا ولم أكن أعلم أن الأمير مسعود وأرينبور والقادة سيرجعون من هذا المركز، ولذا تحركت دون أن أودعهم، فبحثوا عني، وكنت قد ركبت فرسي وشرعت في المسير، وقد كانت الفرس التي قدرها الله لي هذا اليوم عجفاء تظلع في سيرها، فرغم أني خرجت أول من خرج إلا أن الإخوة كلهم سبقوني، وقد سألت صاحب الفرس: ما اسمك؟ فلم أستطع أن أعي ما قال لأني سمعت (مشاه) فقال لي الإخوة: إسمه أحمد شاه وكان يوصيني بالفرس كثيرا أن لا أسرع بها، وأن لا أضربها ويأتيني بين الحين والآخر يقول لي (إنه فرس ضعيف: بلغته الفارسية)، ويلتمس الي أن أنزل عن الفرس ونحن نتسلق قمم الجبال لتلتقط الفرس أنفاسها، وكان الثلج ينزل بين الحين والآخر .

أفطرنا على الطريق(لحم غزلان)، في إحد المقاهي التي يسمونها سماوات ولكن اسمها بالفارسية الفصحى «سماوار»، ومن عادة هذا المقهى أن يخرج صاحبه ويصطاد الغزلان ثم يطبخها، وبعد أن أكلت صحناً من لحم الغزال أعجبني، فطلبت آخر ولكن المهندس عتيق كان قد أخبرني في الصباح أن أهل هذه المنطقة من الإسماعيلية، وكان بجانبي على الإفطار(نور الدين البلخي وهو خريج معهد الأنصار العالي من بلخ)، فقلت له: أن يسأل صاحب المقهى أ هو من الطائفة الإسماعيلية؟ فأجاب نعم، وعندها أعدت الصحن الثاني وأكلت فطوري خبزا وشايا، ومن العادة أن يقدم على الإفطار بجانب الشاي الجوز الذي يؤكل مع الخبز، يشتريه المجاهدون وهو رخيص، وقد استغرق صعود الجبل (ثماني ساعات)، واسم الجبل (ويشتي)، لأنه يطل على قرية ويشتي وهي قرية تعتبر مفرق الطريق بين ورسج وبنجشير .

ووصلنا أنجمن الساعة الرابعة مساء، وصلينا الظهر والعصر جمع تأخير، وقرأ علينا عبدالله أنس سورة الكهف.

سكن الإسماعيلية:

والشيء الذي لفت نظري هو سكن الإسماعيلية، ومن المعلوم أن الإسماعيلية طائفة باطنية كافرة باتفاق الإئمة، وهم يؤلهون (آغا خان) زوج الممثلة الفرنسية، ولهم عباداتهم الخاصة، وطقوسهم المخالفة للشعائر الإسلامية، ولذا فإن ذبائحهم لا تحل، ولا يحل نكاح نسائهم، ولا رد السلام عليهم، ولا يصلى عليهم ولا يقبرون في مقابر المسلمين، والحكم الشرعي فيهم أنهم إما أن يلتزموا الإسلام أو يخرجوا من بلاد الإسلام، والذي لفت نظري مساكنهم الحصينة في قلل الجبال ، فسكنهم في أفغانستان في منطقة وأخان «هضبة بأمير» في أعلى جبال ورسج في منطقة بيو، وفي كران منجان، وكذلك سكنهم في باكستان في مناطق جبلية حصينة صعبة الاجتياز، فما بالك بالسكن فيها؟ فهم في مناطق جترال المرتفعة وفي جلجت[المناطق الفاصلة بين باكستان وبين الصين]، وكذلك سكن النصيرية في الجبال الفاصلة بين سوريا وتركيا والتي يسمونها سلسلة جبال (العلويين)، وكذلك في اليمن الشمالي في (حراز) طائفة المكارمة، ولم يكن هذا الأمر مصادفة ولا طفرة بل تخطيطاً واستراتيجية لهذه الفئات الباطنية، ولقد علمهم الحسن الصباح الذي اختار(قلعة الموت) مركزا له يخطط لاغتيال قادة المسلمين خاصة(صلاح الدين) إبان الحرب الضروس التي كان يخوضها ضد الصليبيين.

ولقد قيل: أن بعض هذه الطوائف قد لقيت محاصرة من قبل المسلمين، بالإضافة إلى النبذ والازدراء الذي كانوا يواجهونه من قبل أهل السنه والجماعة، فاختاروا العزلة بدينهم، والسكن في باطن الجبال بباطنيتهم .

من أنجمن إلى إسكازر

السبت (٨/١٠/١٩٨٨) :

تحركنا بعد تناول طعام الإفطار في أنجمن . وقد كانت الأنواع التي وضعت أمامنا كثيرة، فقال لي الشيخ رباني: إن كل بيت

يأتي من عنده بطعام، ولا بد لك أن تأكل من كل طعام حتى لا يغضب أصحاب الطعام الذين تبرعوا به، وعلى فقرهم فإنهم كرماء يحبون الضيوف، ومهما كان الضيف فإنه يجب أكرامه، ولقد حصلت قصص كثيرة مع العرب تؤكد هذه السجية وهذا الطبع الذي جبل عليه الأفغان .

ماليشيا الدولة الشيوعية يحترمون العرب لأنهم ضيوف:

ولقد حصلت حوادث كثيرة تجعلك تقف احتراما لهذه الفطرة التي فطر الله عليها هذا الشعب .

ولقد ذكر أن الملك محمود الغزنوي كان ذات يوم يصطاد، فرمى سهمه على غزال فأصابه، وجرح الغزال، ثم أوى إلى خيمة أعرابي أفغاني، فلحقه الملك، وإذا بالأعرابي يمنعه من دخول الخيمه لأخذ الغزال، فقال إنه صيدي، فقال الأعرابي إنه ضيفي، فقال الملك : ألا تعلم أني الملك محمود الغزنوي؟ فقال الأعرابي: الآن علمت، ولكني لن أسمح لك إيذاء ضيفي، فأكبر الملك هذه الروح ورجع احتراما لكرمه .

قصة أحمد المبارك:

أحمد المبارك صومالي أرسلناه للجهاد في بروان، وذات ليلة قام المجاهدون بعملية على المركز الشيوعي، فبدأت المدفعية الشيوعية تدك الأرض تحت أقدام المجاهدين فتفرقوا ولم يعلم أحمد المبارك أين يذهب، وبقي طيلة ليلته يلتمس طريقه إلى قاعدة المجاهدين، فوجد نفسه بعد الصباح في بستان، ولكن شكله يدل على أنه ليس من أفغانستان، فرآه صاحب البستان وعرف أنه عربي ، فعرفه صاحب البستان أننا قريه تتبع الدولة الشيوعية، وأراه المطار والمركز الشيوعي والقاعدة الروسية من وراء سياج البستان، فقال أحمد المبارك : فعرفت أني وقعت في الأسر - وبعد قليل قدم لي صاحب البستان الفطور، ثم جاء بسيارة فيها مجموعة من أصحابه، وأخرجوا مبلغا من المال ودفعوه اليّ فرفضت قبوله قالوا: إنك ضيف وغريب حتى تستعين به على أمورك فأبيت بإصرار، وسارت السيارة، ودار في خلدي أنهم ذاهبون بي لتسليمي إلى الروس وعلى مقربة من قاعدة المجاهدين وقفت السيارة وودعوني وعادوا وعندما رآني المجاهدون فرحوا فرحا عظيما - وكان بإمكانهم أن يسلموني إلى الروس، مقابل مبلغ ليس قليلا من المال -

قصة عبدالله طاهر في هرات:

قال عبدالله: دارت معركة بين الشيوعيين الأفغان وبين المجاهدين، وكنت مع المجاهدين، فاتصل المجاهدون بالشيوعين وقالوا: عندنا ضيف ونخشى أن يقتل، وهذا عار عليكم وعلينا، فقال الشيوعيون: إذن توقف المعركة حتى تبعدوا الضيف، فأبعدوني ثم عادت المعركة للاستمار من جديد .

قصة د. محمد عمر من العراق:

شاب متحمس خريج كلية الطب، ويعشق القتال ويبتغي الموت مظانه، خدم في هرات طبيبا وداعية ثم في طالقان/ سد بركة عند سيد جمال، وأنشأ مع أخيه د. صالح ود. أبي الدرداء مستشفى، خرج دورة أو أكثر من الممرضين، وقد اشتدت المعارك في تخار في جاب ورستاق فيمم شطرها، وهناك بينما كان سائرا بين ينكي قلعة ودشتي قلعة مع أخ آخر مرت بهم دبابة وأسرته، وعلى الطريق عرفوا أنه عربي، فقال المليشيا الأفغان الذين في الدبابة قالوا: (ونحن كذلك أصلنا عرب)، وأكرموه ثم ودعهم وعاد إلى قاعدة المجاهدين، وهذه القصص إن دلت على شيء فإنما تدل على أصالة إكرام الضيف في أعماقهم .

القائد عباس والدكتور محمد عمر العراقي:

في دشتي قلعة تخار- واقعة بين نهري كوك جا وجيحون (آمو داريا: ومعنى داريا بالفارسية : النهر)، وقد خططو لحملة على الشيوعيين، فهجم الشيوعيون الأفغان عليه قرب جاه آب، فهزم الشيوعيين وقتل منهم ستون شخصا، ثم هجم الروس وقتل منهم عشرون إذ أسقطوا طائرة فيها عشرون روسيا، وفي أثناء المعركة جرح عباس واندلقت أمعاؤه، فجاء د. محمد عمر وأعاد أمعاءه وخاط بطنه بخيط عادي وإبرة عادية، وكان يطهرها على شعلة السراج، وعاد عباس يتمتع بصحة طيبة، وقد أهدى عباس حصانه إلى د. محمد عمر ليعود عليه، لكن محمد عمر اعتذر.

مع جعفر الطيار اليماني من أنجمن إلى إسكازر:

وجعفر راجع من سد بركة الخاضع لسيد جمال (أغا وليد)، وقد قضى عشرة أشهر في الشمال زار فيها منطقة جاب ورستاق ومنطقة ينكي قلعة وبشتي قلعة، وقد دخل ينكي قلعة بعد فتحها بيوم واحد، وقد فتحها القاضي كبير من الحزب الإسلامي .

وحدث عن القاضي كبير الذي كان تابعا للجمعية، ولكن المسؤول وهو (عبدالصمد) قد أضله الله على علم وانضم للدولة، وقبل انضمامه طالب القادة التابعين له بإزالة الحزب الإسلامي، ولكن القاضي رفض وانضم إلى الحزب، وانضم عبدالصمد إلى الدولة، ومركزه الآن في مدينة رستاق، وعنده طائرات ودبابات، ويتصل بروسيا مباشرة، والمجاهدون الآن يحاصرون رستاق، وقريبا تفتح بإذن الله .

قلت لجعفر: أي شيء في الجهاد أثر فيك في هذه المرحلة خاصة، قال: أكثر من أثر في أبو إبراهيم :

أهيم به حبا وعشقا وألفة   هيام شجيرات الحدائق بالطير

ثم يقول عن مجالسه مع أبي إبراهيم:

كانت مجالسنا في كل متكأ   إيماننا طعمه قد أخجل العسلا

وهذا البيت من شعر أبي الشهيد اليماني .

وكذلك علمت مقالة سيدنا عثمان رضي الله عنه عمليا (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)، فقد رأيت أحد القادة «المهندس قسيم» قد منع النسوار والدخان وأمر بإعفاء اللحى، فالتزم المجاهدون إلا واحدا، فضربه بالسوط، فقلنا ما بالك تجلده بالسوط؟ فقال: (لم يفهم بالحكمة والموعظة الحسنة فالسوط يفهمه).

والقائد الآخر واسمه (القومندان أمين الله) أخبره أن أهل القرية (بوستكا) من ضواحي چاه آب لا يشهدون الجماعة، فجمعهم في المسجد وصلوا الظهر، ثم أمرهم أن يبقوا حتى العصر، فصلوا، ثم إلى المغرب، ثم إلى العشاء، وأخيرا أمرهم بالنوم في المسجد ليصلوا الصلوات الخمس جماعة.

ثم وافقني على إعجابه بكرم الأفغان وحياء نسائهم وغيرتهم.

وصلنا اسكازر الساعة الرابعة مساءً

السبت ٨/١٠/١٩٨٨:

ونزلنا في بيت والد (ملا محمد جان)، وابنه هذا أول من جاهد في بدخشان، وخلص (كران ومنجان) من الدولة الشيوعية، وذلك في ١٨ حمل ١٣٥٨ (في العاشر من ابريل ١٩٧٩)، فأرادت الدولة استردادها، فعمل لهم (محمد جان) كميناً وأسر ستين من جنود الدولة بأسلحتهم، ثم أصبح ملا محمد جان حاكماً(لكران ومنجان) وبعد فترة انضم أهل المنطقة وهم من الإسماعيلية إلى الدولة، ومن المعلوم أن كران ومنجان ناحية (علاقة داري) مكونة من قسمين:

أ- من أنجمن إلى رباط تسمى كران وأهلها من أهل السنه ورباط من كران .

ب - من رباط إلى مجاهد كوتل منجان وكل أهلها من الإسماعيلية .

فهجمت الدولة مع أهل منجان على (محمد جان) في ١٢ جوزاء ٥٩ هـ ش، وذلك بعد دخول الروس بخمسة أشهر، واستشهد محمد جان في ٢٣ مايو ١٩٨٠، واحتلت الدولة الناحية، وبقيت محتله حتى احتلها مسعود، وكان عمر محمد جان عند استشهاده ثمانية وعشرين عاماً .

وقد كان (عبدالبصير خالد) معلماً في إسكازر، وقد بدأ الجهاد مع (ملا محمد جان)- وقد استشهد وترك زوجة وثلاث بنات.

التعبير بالفارسية: قال الوالد ترك (سه عاجزة)، فعبر عن البنت الصغيرة بالعاجزة، أما الزوجة فيطلقون عليها (سياه سر) أي (الرأس الاسود)، وكأنهم يشيرون إلى حديث عائشة في نساء الأنصار بعد نزول سورة النور (فأصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم كالغربان).

وفي اسكازر التقينا بفورمول (أمين مخازن السلاح عند مسعود)، وقد حدثنا قصة طريفة عن أهل خوست فرنگ وعن قرية (فرنگ) بالذات، فقال: في ٦٣ هـ ش (الهجوم التاسع) خرجت مجموعة كبيرة من مجاهدي بنجشير إلى خوست فرنك، وكانت

الطائرات تتابعنا حيثما سرنا وأينما حللنا، تقصف من الجو ثم تنزل الكوماندوز.

وقد جاءتني رسالة من الأمير مسعود ذات يوم أن الكوماندوز سيهبطون غداً في (خوست فرنك)، فأخبرت أهل خوست حتى يغادروا بيوتهم إلى الجبال، وأرسلت أحد الشيوخ الكبار إلى أهل (فرنك) ليخبرهم، فألقى الروس عليه القبض، ولم يصلهم الخبر، فنزل الكوماندوز في اليوم التالي وقتلوا (٤٨) من أهاليها. وبعد أيام ذهبت إلى القرية لأعزيهم، فقالوا: إن نزولكم عندنا قد أتانا بالبلاء والدمار.

فقال فورمول لهم: إنكم منذ بداية الإنقلاب لم تجاهدوا، فساق الله لكم هذه النعمة، فهؤلاء ثمانية وأربعون شهيداً، وكل واحد منهم سيدخل معه سبعين يشفعه الله بهم، وإن شاء الله فلعل الله يغفر لكم تقصيركم السابق .

من اسكازر إلى الغابة (جنگل)

يوم الأحد ١٩٨٨/١٠/٩:

لم يكن لدينا خيول نركب عليها، فكان لابد للمهندس عتيق الله الذي يعتبر العقل المدبر للرحلة أن يستأجر لنا خيولاً، فاستأجر لي ولأبي الحارث ولإبراهيم ولعبد الله أنس خيولاً، وكانت أجرة كل حصان عشرين ألف روبية أفغانية (ألفي روبية باكستانية بحيث توصلنا إلى باكستان)، أما حذيفة فقد كان قد استأجر حصانه من أنجمن بخمسة عشر ألف روبية أفغانية، وذلك لأن الخيول في أنجمن أكثر وتدبيرها أسهل.

ركبت حصاناً قوياً وسرت به وبجانبي الشيخ رباني الذي كان يركب طيلة رحلته حصاناً واحداً ويعتبر من أقوى الخيول، وبدأ حصاني يسابق حصان رباني، وأخذتنا نشوة الطراد على الخيل وسباقها، وفتنا بقية الإخوة، وقد كانت الفرحة التي تغمر جوانحنا فوق هذه الخيول التي تذكرنا بالسلف الصالح وبالصحابة الذين فتحوا هذه البلاد، وما قابلت صعوبة ولا اعترضتنا مشكلة عويصة، إلا وتذكرت الصحابة الذين ساق الله النور إلى أفغانستان على أيديهم.

فإذا واجهتنا قمم الجبال بمصاعبها، أو الثلوج بعواصفه، أو الليالي بزمهريرها كنت أدعو الله لهؤلاء الصحابة .

صيام بأبواب القباب[1] جيادهم   وأشخاصها في قلب خائفهم يعدو

الجيل الرباني الفريد :

كانت الخواطر التي تشغل مخيلتي وتتوارد على ذهني وأنا على ظهر الحصان، والحصان يتسلق بي الجبال، أو يهوى بي من قمتها، يعثر أحيانا ويزلق أخرى، يكبو وينهض، وقد ألقاني ذات مرة بين الصخور إذ انزلقت أقدامه، ولكن الله عز وجل نجاني من أن يطأ في بطني أو يقع حافره على وجهي .

أقول هذه الخواطر التي كانت تمر على مخيلتي كانت تزيدني إعجاباً بذلك الجيل الذي فتح الله على يديه أفغانستان أيام عمر وعثمان، كان عبدالرحمن بن سمرة الصحابي الجليل الذي فتح كابل ووزع الغنائم فيها، ففي سنن أبي داود (حدثنا عبدالرحمن بن سمرة في كابل قال ...)، وكذلك الأحنف بن قيس الصحابي الذي فتح هرات وغرب أفغانستان، وكذلك التابعي الجليل صلة بن أشيم المجاهد الزاهد العابد الذي بقي يجاهد رغم أن عمره قد بلغ المائة والثلاثين عاماً، واستشهد هو وابنه في معركة واحدة في منطقة في سيستان (وهي غالباً فرح ونمروز) من الولايات الغربية الجنوبية من أفغانستان، وهي تقع جنوب هرات، وقد كان جهاده حول كابل .

وقد حدث عنه أحد التابعين أثناء إحدى الغزوات حول كابل فقال: قمت أراقبه في الليل، فتسلل تحت جنح الظلام، ودخل الغابة، فاتبعت أثره، فتوضأ ثم قام يصلي في الغابة، وبينما كان يصلي إذ أقبل الأسد فطار قلبي هلعاً، فتسلقت شجرة كبيرة لأرى ما يصنع به الأسد، وما قطع صلة صلاته، وواصل تبتله وركوعه وسجوده، فوقف الأسد طويلاً بجانب صلة ثم مضى دون أن يمس صلة بسوء .

١- (القباب :الخيام ... جيادهم : خيولهم).

مقارنة من خلال الواقع:

كنت أقول في نفسي: نحن في قافلة مجهزة أميرها هو أمير الجمعية الإسلامية، معه حرسه وطعامه وخدمه وسائس خيله، وعندهم الملابس المهيأة والطعام المجهز، ومحطات الاستراحة على الطريق، والمجاهدون يتسابقون لتقديم خدماتهم، والشعب الأفغاني المسلم يعيش نشوة فرح كبيرة بزيارة قائد من قادته المعروفين، والذي يزور هذه المنطقة لأول مرة، ومع هذا فقلوبنا تبلغ الحناجر لهول ما نرى، وللصعوبة ما يعترضنا من مشاكل، فكيف بهؤلاء الصحابة القادمين من الجزيرة، جوها حار صحراوي، لم يروا بأعينهم ثلوجاً طيلة حياتهم.

لم يعدوا لجهادهم ذاك ما أعددنا من ملابس وأطعمة، وكانوا يجاهدون أهل هذه البلاد، فهم لايستقبلون إلا بالسيوف، ولا يواجهون إلا بالأسنة والحراب، بينما نقابل نحن بالاناشيد والترحاب .

قبل أن نجتاز جبل (مجاهد كوتل) عائدين جاءنا الخبر أن خمسة من المجاهدين من كنذر قد وجدوا متجمدين فوق الجبل وبجانبهم عجوز قد بلغ من العمر عتياً قد تجمدت أرجله، وبقيت فيه بقية من الحياة، فالتقطوه وقطعوا رجليه .

وهنالك ثلاثة آخرون قد فقدوا، وهؤلاء الثلاثة لا يجدون جثثهم إلا بعد أن يذوب الثلج بعد ستة أشهر .

هذا في أول الشتاء وقبل أن يشتد البرد وتغلق الطرق نهائياً، فكيف بجبال نورستان السبعة ؟! كم دفن تحت ثلوجها من الجثث الطاهرة؟ وكم ضمت بين أحجارها من مجاهدين لا يعلم أماكنهم سوى رب العالمين الذي يبعثهم يوم الدين؟ وكم ابتلعت أسود هذه البلاد من الصحابة والتابعين يجمع الله عظامهم من بطونها اذا بعثر ما في القبور؟ وكم افترست وحوشها من نماذج؟ وكم أغرقت أنهارها من أفذاذ؟

أفكار تتوالى، وخواطر تفد تباعاً، والشريط التاريخي لا يتوقف عن الدوران، وكلها تصب في بوتقة واحدة .

عظمة جيل الفتح الأول :

وكنت أردد أمام الإخوة: ما أظن أحداً من الفاتحين الأوائل خاصة من الصحابة الأبرار أكثر أجراً من الذين فتحوا هذه البلاد (شمال أفغانستان وخراسان) حيث الثلوج والغابات ، الوحوش والهوام والآفات.

إنها نماذج نقف أمامها أقزاماً صغاراً، ونحس بهذا ونحن نذوق جزءاً صغيراً من الآلام التي تجرعها هؤلاء .

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

دور الخيل والبغال في الجهاد:

وتبادر على لساني سؤال ملح وجهته للشيخ رباني قائلاً: ما سبب تأخير هذه القوافل ؟ ولماذا ينتظرون حتى يبدأ الثلج يتساقط ؟ فأجاب : إن تجهيز القوافل أمر ثقيل خارج عن طاقتنا، فكل جبهة تنتظرنا حتى نجهز قافلتها، وتبقى أجرة القوافل، وهو أمر يشكل لنا معضلة كبيرة، فأجرة الحصان والبغل يصل إلى ثلاثمائة دولار أحيانا، فإذا كانت القافلة مائة حصان فإن أجرة القافلة تكلف حوالي ثلاثين ألف دولار فكيف إذاوصلت القافلة إلى ألف حصان ؟ فهذا يعني أن أجرتها تصل إلى ثلاثمائة ألف دولار .

وقد يتبادر إلى الذهن أن هذا المبلغ يمثل رقما كبيرا هائلا؛ إن أجرة الحصان هذه تصل إلى نصف الثمن أو تزيد، فلماذا لا يشتري المجاهدون الخيول ويربونها حتى ينقلوا عليها أمتعتهم وجهازهم؟ وهذه قضية مدروسة، وقد قمنا بعمل دراسة اقتصادية لهذا فوجدنا أن الاستئجار أخف وأفضل وأقل تكلفة وأكثر راحة .

وذلك لأن صاحب الحصان يضع في حسبانه أن جواده غالبا يموت في هذه الرحلة؛ هذا في حالة سلامة الدرب واستبعاد العدو من الحسبان، أما قبل سنتين أو ثلاث فقلما تنجو قافلة من كمين على الطريق، سواء بالدبابات أو طائرات الهليوكبتر، وغالبا يسبق خبر القافلة إلى مسامع العدو من خلال أعينه وجواسيسه الذين جندّ لهم الأموال الضخمة، وزرع جنداً في كثير من الجبهات يعملون لحسابه ويبلغونه تفاصيل الأمور .

وإن كنت أنسى فلا أنسى قافلة الشهيد القائد (موحد) التي كانت ميممة شطر بروان، وفيها مائة جمل، ولم يصل منها إلا جمل واحد، وأما البقية فقد لاقت مصرعها بواسطة الطائرات التي تابعت القافلة على طول الطريق حتى أهلكتها .

هذا في الأماكن التي تكون الجبال غالبية سطحها، أما الأماكن التي تترامى بيداؤها في معظم الطريق، ويستغرق قطع

مفاوزها الشهر تقريبا كما هو الحال في مرات من قندهار إلى هلمند ثم غور ثم مرات، ولا يتخلل الطريق تلال ولا جبال ولا أشجار تؤويهم، ولا صخور تحميهم. فهذه حدث عن الخسائر فيها ولا حرج، فقلما تنجو قافلة من الهلاك.

وتذكرني هذه الطريق بالشهيدين أبـي حمـزة الفلسطيني (ماهر جوده) وأبي عثمان الكويتي (عبدالله رجب الفيلكاوي) أول شهيدين من مكتب الخدمات اللذين لقيا الله في هلمند وهما يشقان طريقهما في مهمة (صحراء هلمند نحو مرات). ولقد ترك استشهادهما أعمق الآثار في قلوب الإخوة الذين من بعدهم، وأصبح ذكرهما يثير أشجانا عميقة في القلوب .

أبغي الهدوء ولا هدوء وفي	صـدري عباب غير مأمون
يهتاج إن لج الحنين بـه	ويئن فيه أنين مطــــعون
ويح الحنين وما يجرعنـي	من مُره ويبيت يسقينـــي

ولذا مهما طلب صاحب البغل أو الحصان من أجر فهو قليل. لأنه يقوم بخدمة حصانه وإطعامه والاهتمام به طيلة الرحلة، فكل حصان يحتاج إلى سائس يقوده في المرتفعات الحادة وفي المنحدرات السحيقة. ويعلم متى يطعم البغل ومتى يسقي، فقد كانوا في الرحلة يرافقوننا الطريق. كنت أستأجر الحصان فكان صاحبه يلازمك في كل خطوة تخطوها، لأن قلبه معلق بحصانه .

أنواع الخيل:

لقد قامت بيني وبين الخيل إلفة ومودة، فتعلق القلب بها، وصرت أفهم بعض المعاني التي كانت تشير إليها الأحاديث الشريفة، وما ورد في أشعار العرب قبل الإسلام وبعده.

وقد فهمت حديث رسول الله ﷺ الذي رواه أحمد عن ابن مسعود مرفوعاً **(الخيل ثلاثة: ففرس للرحمن، وفرس للشيطان، وفرس للإنسان، فأما فرس الرحمن فالذي يرتبط في سبيل الله، فعلفه وروثه وبوله في ميزانه، وأما فرس الشيطان فالذي يقامر أو يراهن عليه، وأما فرس الإنسان فالفرس يربطها الإنسان يلتمس بطنها، فهي ستر من الفقر)** صحيح.

وفي حديث آخر(**خيل أجر، وخيل وزر، وخيل ستر**) ، فخيل الأجر: هي خيل الرحمن، وخيل الوزر: خيل الشيطان، وخيل الستر هي خيل الإنسان.

وقد عرفت خيل الإنسان أو خيل الستر، إذ أن أصحابها يعيشون على كرايتها، سواء للركوب أو لنحمل، ويبقى صاحبها ملاصقا بك ويسابقك في السير، روحه معلقة بها، يخشى عليها الردى أو الضعف .

إذا حاولت مع الجواد الطراد احمر وجهه واصفر --- وفي طريقنا من إسكازر إلى الغابة استأجرت مع أبي الحارث وجعفر وأخذتنا نشوة الطراد ونحن نشق هذه البيداء (صحراء كران)، وما كنا نعلم أن هذا يؤذي أصحابها، ودعاناأمين خان / قائد مع عبدالبصير خان – على الطريق، وعرّجنا عليه في مركزه غند الفتح في شيران، وربطنا خيولنا على أبواب الغند، ولشدة ما كانت دهشتنا عندما خرجنا من الغداء لنواصل مسيرتنا إلى الغابة أن لم نجد خيولنا، وتحيرنا في الأمر، ثم علمنا من بعد أن أصحابها غضبوا أشد الغضب، وكان أحدهم يبكي ونحن في طراد الخيل ويقول: مات الحصان، مات الحصان .

ولذا فعندما وصلوا (معسكر الفتح) حلّوا خيولهم ثم عادوا وتركوا أجرتها، وهذا يذكرني بقول الشاعر الجاهلي عن فرسه واسمها (سكاب) فيقول :

أبيت اللعن أن سكاب علق[1] نفيس لا تعار ولا تباع

واهتمام المالك بفرسه عجيب، إذ أنها مصدر رزقه، وتراه مهتما بسوطه وسرجه وتبنه وشعيره، فكانوا يقومون الساعة الثانية ليلا من أجل إعلافها .

من شيران مركز الفتح إلى الغابة:

عندما وجدنا خيولنا قد أخذت احترنا كيف نواصل السير، وإذا بالقائد أمين يقدم لي حصانه واثنين من جنده ليرافقاني الطريق ويقدم لي بهدية وهي (چپن : كبوت من الصوف من صنع يدوي في بدخشان)، وقدم للأولاد هدايا من محارم اليد المطرزة

١- (والعلق : النفيس)

المزركشة، وطاقية، وكلها صناعة أفغانية جميلة تعتبر كالتحف التي تقدم كهدايا للأعزاء والأحباء، وسرت وكان ورائي أبو الحارث ومعه إبراهيم على جواد، وأما حذيفة فقد بقي على حصانه وقد تأخر عنا قليلا، وبدأت الشمس تلم أذيالها وتودعنا، وانتشر الظلام وأرخى الليل سدوله، وبدأ البرد يزداد حدة، ووقفنا وصلينا المغرب مع الأفغان، وجمعنا معه العشاء والأفغان يظنون أننا نصلي سنة المغرب، لأن الجمع بين الصلاتين عمل غريب في نظر الأفغان، لأن المذهب الحنفي لا يجيز الجمع لا في السفر ولا في الحضر إلا في الحج بين الظهر والعصر في عرفة جمع تقديم، وبين المغرب والعشاء جمع تأخير في المزدلفة، حتى هذا الجمع إنما يعتبر لدى الحنفية من مناسك الحج. ولذا فإننا لا نجرؤ أن نجمع أمامهم لا في السفر ولا في الخوف والخطر.

قضية مهمة :

إن مراعاة المذهب الحنفي من قبل المجاهدين العرب أمر ضروري وشرط أساسي لنجاحهم داخل أفغانستان، ولا يمكن للعربي أن يصل إلى قلب الأفغاني إلا إذا احترم دينه، والدين في ذهن الأفغاني متمثل في المذهب الحنفي، فمن خالفه فإنما يخالف الإسلام نفسه، وأي عربي يخالف المذهب الحنفي فإنما هو وهابي، والوهابية في نظر الأفغاني العامي إنما هي طائفة من الطوائف الضالة الخارجة عن الملة الإسلامية كالنصيرية والقاديانية والدروز والاسماعيلية، ولقد عملت عوامل كثيرة على تعميق هذه النظرة تجاه الوهابية، وهذه العوامل ذات جذور تاريخية تمتد قرونا ... على رأسها :

١- الخلاف بين الدولة العثمانية وبين الوهابية، والدولة العثمانية لها احترام كبير في نفوس الهنود والباكستانيين والأفغان، لأنها دولة الخلافة ومنارة الإسلام .

٢- الإعلام البريطاني الذي مكث فترة طويلة يعمق هذا الشرخ ويزيد هذه الهوة، ولا زالت إذاعة بي. بي-سي تبث سمومها يوميا لهدم الثقة بين العرب والأفغان .

٣- الصوفية التي كان لها سيطرة على نسبة من الناس.

٤- الشيعة وهؤلاء سواء في إيران أو في داخل أفغانستان لازالوا يضربون بمعاولهم ويحاولون أن يهدموا الصلة بين العرب والمسلمين في أفغانستان وباكستان وغيرها .

ولأجل هذا كله فقد كنا نرجو الإخوة العرب أن يتركوا بعض هيئات الصلاة المخالفة للمذهب الحنفي، وفي هذا فتاوى كثيرة من العلماء وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل والإمام مالك وابن تيمية .

أما ابن تيمية فقد كتب رسالة خاصة بهذا الموضوع اسمها (اختلاف الأمة في العبادة)، ونص في كثير من المواضع في مجموع الفتاوى على هذه القاعدة الشرعية العظيمة وهي: المصلحة، وخلاصتها إذا كانت بعض المندوبات أو السنن تثير الفتن، وتورث الحزازات في القلوب، وتؤدي إلى الاختلاف وفساد ذات البين، فالأولى تركها، لأن محبة المسلمين واجبة، وائتلاف المسلمين فرض، والهيئات مندوبات، والفرض مقدم على المندوب باتفاق الأمة .

وقد نص الإمام ابن تيمية على هذا في أماكن كثيرة :

١- في الفتاوى الكبرى (خمسة مجلدات) مجلد ١ ص (١٣٨-١٤١)٢- في مجموع الفتاوي (٣٧ مجلدا) في أماكن كثيرة .. في آخر المجلد الأول حين سئل عن القيام .

والترجيح بين المصالح يحتاج إلى علم شرعي وعقل ونضوج، بحيث تكون الأصول التشريعية واضحة في ذهن من يفتي في هذه القضية، وكذلك المعرفة بأرض الواقع الذي يفتي له، ورحم الله ابن تيمية إذ يقول: (وأمور الجهاد إنما يستفتى به من له علم بالدين الصحيح وعلى معرفة بما عليه أهل الدنيا).

ولقد واجهنا بسبب هذه القضية معارضة كبيرة من بعض الشباب المتحمس لتطبيق السنة دون معرفة بقواعد الشرع وأصوله، أو دون معرفة بواقع الحال في داخل أفغانستان، وحساسية هذا الموضوع بالنسبة للشعب الأفغاني .

وانطلق قسم من هؤلاء الشباب يبدِّعون ويعيبون أن الشيخ عبدالله مذهبي، وضد السلفية، ويحارب السنة، سبحان ربي إن هذا إلا خطأ عظيم أو إفك مبين .

ولكنها تعارض فريضة الجهاد مع بعض هيئات الصلاة، فإذا ضبقنا هذه الهيئات حرمنا من فريضة الجهاد، وضرب بيننا وبين قلوب الأفغان أكنة وحواجز تحول دون قبولهم كلامنا أو توجيهنا، أو محاولة الإصلاح في جهادهم أو طريقة تفكيرهم .

شخصيات ناضجة:

ولذا فإن نداء الضرورة الملحة في داخل أفغانستان هو الدعاة الناضجون الذين لهم دور كبير في الجهاد الأفغاني، وتنتظرهم مشاكل ضخمة -بإذن الله- هم مفتاح حلها، وعلاجها الناجع وبلسمها الشافي .

ولقد بحت أصواتنا ونحن نطلب هذا الصنف من الناس – الدعاة الذين تمرسوا بالدعوة في بلادهم - ليدلوا بدلوهم في قضية من أخطر القضايا الإسلامية إن لم تكن أهمها على الإطلاق في الواقع المعاصر .

لقد كانت قضية أفغانستان هدية من رب العالمين، وبظروفها التي واتتها وواكبتها، وكان على الدعاة أن ينهالوا من كل حدب وصوب ليعذروا إلى الله في محاولة إقامة مجتمع إسلامي، ويؤدوا عبادة الجهاد وفريضة القتال التي افترضها رب العزة عليهم من فوق السبع الطباق، وطالما راودتهم أحلامهم أن يؤدوا هذه العبادة.

لقد فتحت أبواب الجهاد في أفغانستان بجميع مصارعها، وكان لابد من الولوج وبالسرعة الممكنة، ولم يكن التأخر في صالح الإسلام ولا في مصلحة المسلمين وهذا الدين.

إنه سوق عقد ويكاد أن ينفض، ربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر .

نعمة الله العظمى:

وإني اعترافاً بفضل الله عليّ، ومنته العظمى على قلبي، أدرك الخير الذي ساقه الله إلي بأن يسر لي خدمة الجهاد الأفغاني، وأقول بعد سبع سنوات: ما من نعمة أنعم الله بها عليّ بعد الإسلام أعظم من خدمتي في الجهاد الأفغاني

إنها نعمة أسبغها الله عليّ، فأشرقت نفسي ونضجت، وصفت روحي وحلقت، وصغرت الدنيا في نظري وتضاءلت، وتعمقت نظرتي للأمور والشخصيات، ونضجت تجربتي مع سائر الاتجاهات والحركات، ووردنا منهل كثير من المدارس الإسلامية، وعايشنا كثيرا من المشارب والموارد .

وكانت تجربة ضخمة، أعطتني مقياسا أسبر به غور أبناء الحركات، وأدرك فيه عمق أتباع الدعوات، ومن فوق أرض الواقع، ومع سخونة الأحداث استطعت أن أزن أبناء الصحوة الإسلامية وحجمهم الواقعي، وقدرتهم على مواجهة الأحداث، وطاقتهم على مسايرة الجماعات، والتجاوب والتعاون مع الذين يعملون على الساحة .

وما كان لي أن أختلط بهذه الدعوات المختلفة، وأن أعايش هذه المشارب الإسلامية المتنوعة إلا في مثل هذه الظروف، حيث تتبدى الفطرة الإنسانية على حقيقتها أمام أهوال الأحداث، وتتكشف السجايا البشرية والشخصية وهي تواجه الوقائع اليومية .

وأدركت أن التربية ركن ركين وجزء أساسي في الإعداد لأي عمل جهادي، وقبل امتشاق الحسام وانتضال السلاح، ولا يمكن للنفس المقصرة أن تتسلق إلى قمة سنام الإسلام وهي عاجزة عن صعود أولى درجات السلم، ولئن قفزت فوصلت فإنها لا تستطيع الصمود، فإن استطاعت بطاقة اندفاعها وحماسها على الصعود فإنها لا تطيق طويلا الصمود، وعندها تسقط من فوق القمة .

وبالمعايشة : أعطى الإنسان نفسه وزنها وعرف حدها ووقف عنده، وأدرك جوانب النقص في المدرسة التربوية التي ساقه الله إليها منذ نعومة أظفاره، واستطاع أن يزن جماعته وزنها الحقيقي، ونزل من بروجه العاجية التي يعيش فيها إلى أرض الواقع وميدان الحركة والتدافع .

وبالمعايشة: استطاعت النفس المتصفة التي تجاوزت الشنآن للمخالفين، وتناست الأحقاد الصغيرة للمعارضين أقول: استطاعت النفس أن تعطي للناس حقوقهم ولو في قرارة أعماقها، وأن لا تظلم الناس في أوزانهم، وأن لا تهضم حقوقهم .

وبالمعايشة: تعلمت النفس الجرأة على ذاتها، وعلى أحبابها، بالمصارحة بالتقصير، والمواجهة بالأخطاء والنقائص .

وبالمعايشة مع الإنصاف: يمكن أن تذوب كثير من الخلافات بين الجماعات، وتنصهر الطاقات من شتى المآرب والدعوات في بوتقة العمل الواحد، وعلى حرارة الأحداث وسخونة الوقائع والمشكلات .

وبالمعايشة فوق أرض المعركة: تبددت كثير من الأوهام، وزال كثير من الغبش واللبس الذي نشأ في الظلام، وأدرك الإنسان أن العمل الجدي الواقعي غير الأحلام العذبة التي تداعب الخيال، وإن الآمال لابد لها من عظام الرجال لينقلوها إلى وقائع وأفعال.

وبالتجربة الحية الواقعية: أدركت أن الجماعات الإسلامية يكمل بعضها بعضا، ولا غنى عن التعاون على البر والتقوى، ولا يمكن لأية حركة أن تقيم مجتمعا إسلاميا بدون الاستفادة من طاقات المسلمين، وأن تكسب كل ذرة خير تستطيعها في صالح العمل الإسلامي ابتغاء مرضات الله ونصرة دينه.

وأخيراً وصلنا إلى الغابة:

حيث النيران التي تشعلها القوافل التي تأخذ طريقها إلى داخل أفغانستان ذاهبة أو آيبة منها، وليس هنالك نوم، فالبرد شديد، ولا مكان يأوي إليه المجاهدون سوى أن يستدفئوا بالنيران التي يوقدونها من حطب الغابة، ويضع كل واحد رأسه على ركبته محتبياً ثم يسهو أو يختلس دقائق من النوم ينغص عليه استمرارها الأصوات المرتفعة، وصهيل الخيول ونهيق الحمير، وبجانب صخرة أقام فوقها صاحب مطعم صغير خيمة أوى الأستاذ رباني، وكان تكريما عظيما من صاحب المطعم أن يؤويه ودعوت حذيفة وإبراهيم وبجانب الأستاذ رباني وفي هذا المكان الضيق ألقينا بأنفسنا مجهدين منهكين، وكل منا يشكل في نومه قطعه من قوس دائرة أو خطا كثير الاعوجاج، وفي الغابة قابلت بعض الإخوة العرب، فسلمت عليهم، وكانوا في طريقهم إلى أفغانستان بعد أن قطعوا في ذلك اليوم جبل مجاهد كوتل، ولكن الذي أحزنني أني رأيتهم يأتون بهيئات الصلاة التي ينفر منها الأفغان، كوضع اليدين على أعلى الصدر، والجهر بآمين، ولطالما نصحت هؤلاء الإخوة في هذه القضية، ولكنهم أبوا عليّ هذا، ولم ينفعهم نصحي بعد أن محضتهم خالصه، والذي حز في نفسي أن هؤلاء الشباب سيعاملون من قبل الأفغان كمن يعامل أبناء الهيئات الغربية السويدية أو الألمانية، فالشعب الأفغاني يأخذ منهم الدواء أو الأقلام والدفاتر والكتب ولكنهم لن يأخذوا منهم كلمة، ولا يصلون وراءهم، ولا يقبلون نصحهم، ولا يعاملون معاملة الأخوة الإسلامية الحقة، وبالحب والوفاء والمودة والحياء وغيرها من السجايا التي فطر عليها الشعب الأفغاني، ويقابلون بها ضيوفهم المسلمين.

أصعب يوم في حياتي:

من الغابة إلى مجاهد كوتل في اليوم العاشر من أكتوبر.

كانت الغابة جد قريبة من مجاهد كوتل، وفي الصباح الباكر صلينا الفجر، وكان الوضوء من ماء قد تحول سطحه إلى جليد في بعض أنحائه كأنه الزجاج، ولم يكن لدي حصان، إذ أنني رأيت القائد أمين قد وصل الغابة ليراجع الأستاذ رباني ببعض احتياجاته الجهادية، وكان لابد له أن يرجع بحصانه، إذ العقبة الكؤود التي تنتظر المجاهدين هذا اليوم قد تودي بالحصان، واستأجرنا خيولاً جديده وركبناها ومضينا.

ولم أر في حياتي كلها يوما أشد عليّ من هذا اليوم، فقد غادرنا الغابة قرابة الساعة السابعة صباحا، ومضينا ومررنا على الطائرة التي حولها المجاهدون إلى مطبخ أقاموا فيها المواقد لغلي الشاي، وبدأنا نتسلق مجاهد كوتل، وقد تحولت الثلوج التي تساقطت في الأيام الماضية إلى جليد يجعل المشي عليه ضربا من التزحلق على الجليد.

لم يعد بإمكاني أن أركب الحصان، إذ أن امتطاء صهوة الحصان مغامرة خطيرة، ومغبتها وخيمة قد تسلمك إلى الهاوية التي تلقى فيها مصرعك، وألقيت الجاكيت على ظهر الحصان الذي استأجرته، لأن الجاكيت يصبح عبئاً ثقيلاً ينوء بحمله كاهلي أو ساعدي، وبدأت أحبو على أربع، إذ أن الاستمرار بالمشي قائما يصحبه كثير من المزالق، ويتعثر معه مواصلة المسيرة، وبينما كنت ألتقط أنفاسي بصعوبة بالغة يقطعها اللهاث المتواصل كانت قوافل المجاهدين من البغال والخيل والحمير تنحدر نحو أسفل الجبل، هذه الدواب المحملة بأثقالها من ذخيرة ومتاع وطعام، وكل دابة منها يمكن أن تودي بحياتك فيما لو انزلقت قدمها وهي تواجهك في هبوطها.

ولقد حصل أن حمارا انزلقت رجله، وكان الأستاذ رباني يشق طريقة صاعدا إلى قمة الجبل، وكاد الحمار أن يجرف الأستاذ رباني، لولا أن الله ساق أحد حراسه وألقى بنفسه تحت الحمار وأخذ بحزام الحمار وأوقفه.

وعلى مقربة من القمة إذ لم يبق سوى مائة متر تقريباً عن القمة وأنا أعجب من نفسي إن كان بإمكانها أن تواصل مسيرتها

إلى قمة الجبل، أم أن نياط القلب ستنقطع لشدة الجهد الذي أكابده، والعناء والإرهاق الذي يتخلل كل خلايا جسمي، وبينما كنت على هذه الحال وإذا بمنظر حمار يتدحرج من القمة بحمولته وصاحبه يتقلب معه ظاناً أنه سيمنع حماره من أن يلقى مصيره محطماً في قاع الوادي، ثم أدركه اليأس ليسلم حماره إلى مصيره الحزين، ونهايته البئيسة، وهنا لم أستطع أن أتمالك نفسي لشدة الموقف فانفرطت ضاحكا (وإن كان ضحكا كالبكا)، وإنه لمن العسير عليّ أن اترجم الآلام التي يتحملها هؤلاء القوم، أو أنقل الأهوال التي يكابدونها، سواء في الحل أو الترحال، وأقول في نفسي :

لا أبعد الله عن عيني غطارفة　　جنا إذا ركبوا إنسا إذا نزلوا

ولكنها الجنة: **﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾** آل عمران، ولقد أدركت أنه يكاد أن يكون مستحيلا أن تجد الآن شعبا يدب فوق هذه الغبراء يستطيع احتمال ما احتمله الأفغان، ولعل هذه هي الحكمة التي اختار الله لأجلها الشعب الأفغاني في هذه الآونة الحالكة من تاريخ هذه الأمة، وذلك لإنقاذها من هوة اليأس ووهدة الاستسلام والضياع .

وإنه لأجر عظيم ذاك الذي سينتظر هذا الجيل المجاهد فيما لو توفر الإخلاص، أو واكبته الاستقامة، وكل أجر دون الجنة فهو زهيد، وكل عوض غير الفردوس فهو ضئيل، ورحم الله جعفر الصادق إذ يقول :

أثامن بالنفس النفيسة ربها　　وليس لها في الخلق كلهم ثمن

بها تشترى الجنات إن أنا بعتها　　بشيء سواها إن ذلكم غبن

لئن ذهبت نفسي بدنيا أصبتها　　لقد ذهبت نفسي وقد ذهب الثمن

قال الحسن: مر أعرابي على النبيّ ﷺ وهو يقرأ هذه الآية: **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾** (التوبة: ١١١)، فقال : كلام من هذا؟ قال: كلام الله، قال: بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله، فخرج إلى الغزو واستشهد .

مات الحصان : وقرب القمة جاءني دين محمد – سائس الحصان – الذي كنت أركبه وعلى ظهره خرج فيه أمتعة ثم قال بلهجة حزينة: شيخ (اسب مرد) مات الحصان .

نعم لقد مات الحصان، وكم نفق على طول الطريق من الدواب، فترى على طول الطريق هذه الدواب المتناثرة الميّتة بعد أن أعياها المسير، وأزهق روحها مكابدة مشاق الطريق حتى لقيت حتفها، وقد مشت إليه بظلفها . وعلى طول الطريق ترى الناس هذا يدفع حماره أملا أن يبلغ به غايته، وكلما عثر الحمار أو زلقت الدابة نظر إلى المارة يستنجدهم ليرفعوا معه حصانه وهو يئن تحت حمله الثقيل، وتراه يخاطب الناس (أو لم تنطقوا بالكلمة؟)، أي أولم تتفوهوا بالشهادة وكلمة التوحيد؟ فدخلت معكم في عقد الأخوة الإيمانية الذي يوجب عليكم مساعدتي؟

أما المجاهدون وأصحاب الدواب (كراكاش) فأحيانا تجد أحدهم وهو ينتفض لشدة البرد ينتظر مصيره المجهول، ولا يدري أين توافيه منيته؟

وآخر ماسكا رأسه بكلتا يديه وعيونه تحدق بالمارة لعله يرى رجلا يأنس فيه الخير فيستدعيه ليقرأ على رأسه ويرقيه بأدعية ويسأل عن حبة دواء تسكن آلامه، وثالث يئن واضعا يده على معدته يرجو رحمة ربه ويرقب الخلاص من الألم الذي يأخذ بمجامع نفسه كلها .

ومع هذا كله فالحركة لا تتوقف، وسيل القوافل متدفق ولا تجد وحشة على هذا السبيل لكثرة السالكين الذين يواصلون العطاء رغم مرارة المحن وشدة البلاء.

فتلك ربوعهم بالدافق المور تغتسل

وتلك جماجم الأطفال تسحق وهي تبتهل

وأعراض النساء بها يعيث الملحد الثمل

فما ذل الإباء بهم وما بهم احتفى الفشل

ورأس الشعب مرتفع وموج البذل متصل

وأخيرا وصلنا القمة : الساعة الواحدة بعد الظهر، وكنت أود أن أجمع الظهر والعصر، ولكن أنىّ لك بالماء الذي به تتوضأ؟ وأين

تجد المكان الذي يمكنك فيه السجود؟ وجاء وقت الانحدار عن السفح الآخر، وبدأنا نهوي، وهنا يقابل الرهق الذي يواكب الصعود، تعب آخر الانزلاق وأنت آخذ طريقك في الهبوط، وجاء أبو الحارث وسار أمامي لأن حذائي لم يكن من النوع الذي يثبت فوق الجليد، فكان لا بد لي أن أتكئ على أبي الحارث مثل أن أضع قدمي وبيدي الأخرى عصاي التي أتوكأ عليها، ولا أدري أيكون المنزلق من منسأتي أم من حذائي؟ وطالت المسيرة ونحن نأمل أن ندرك الخيمة التي تقبع أسفل الجبل قبل الغروب لنلحق صلاة الظهر مع العصر وبدأت الشمس تصفر ونحن نواصل السير، وجدّ بنا المسير ونحن نسابق الشمس التي بدأت تلم أذيالها وتحني برأسها نحو الغروب.

وقبل الغروب بدقائق وصلنا الخيمة، وبمثل البرق الخاطف توضأنا وصلينا الظهر والعصر، ثم أذن المغرب وصلينا المغرب وشربنا بعض الشاي، ولأول مرة نطعم أو نشرب بهذا اليوم.

ووجدت الشيخ رباني قد غادر الخيمة متوجها نحو الحاج متين مع ولديّ (حذيفة وإبراهيم) وكانوا قد سبقونا بكثير، إلا أني وجدت أحد حراس الشيخ ينتظرني، وكان رباني قد أوصاه أن ينتظرني في الخيمة حتى الغروب، وإلا فليتوجه نحو الجبل، وليلفني ببطانية وليحملني على ظهره إن احتاج الأمر .

وفرح الحارس بوصولي كثيراً، وطار يخبر الشيخ رباني، أما أنا فدون وصولي إليهم، عند الحاج متين خرط القتاد، إذ أن الظلام أرخى سدوله، وأطبق الغسق، وبيني وبينهم طريق كله الحرة، صخور كثيرة لا أستطيع أن أمشي عليها في الليل، ومن الصعب على الحصان أن يمشي ثلاث ساعات في هذا الطريق المضني .

من مجاهد كوتل إلى الحاج متين :

وآثرنا المبيت لنواصل مسيرتنا في الصباح الباكر بعد صلاة الفجر، وسرنا نحو الحاج متين أنا وعبدالله أنس وأبو الحارث ومعنا حصان واحد، وأخيراً وصلناه قرب الساعة التاسعة، فوجدنا الأولاد ينتظروننا مع جعفر اليماني عند الحاج متين .

الفطور يوم ١١ أكتوبر ١٩٨٨ عند الحاج متين:

الحاج متين: رجل مضياف له قرية صغيرة باسمه، يذكرك كرمه بحاتم، إذ أن بيته أصبح مستراح العناء، ومحطة الاسترخاء بعد طول ضناء، وتعجب أن خدمته لقوافل المجاهدين لا تتوقف، فتراه وهو في الستينات تقريبا يقوم بنفسه وأولاده على خدمة المجاهدين دون كلل أو ملل، ودون أن ينتظر من القوافل أي جزاء أو مقابل، وبذلك أن تتصور مئات المجاهدين بل الآلاف أحيانا يمرون بهذا البيت الذي لا يكاد دخانه ينقطع، ولا ترى أهله يعرفون الراحة أو الاستقرار، وما أجمل أبيات حاتم في عبده وهو يخاطبه:

أوقد يا غلام فالليل ليل قر والريح يا غلام ريح صر

إن جلبت ضيفا فأنت حر

لقد كان الكرم سجية لدى الأوائل:

قوم إذا أخوت[1] النجوم فإنهم الطارقين النازلين مقاري

وأفطرنا عند الحاج متين، وجاء لنا بالزبدة واللبن، وصنع لنا خبزا جديدا بالإضافة إلى العسل .

من الحاج متين إلى حدود باكستان في الحادي عشر من أكتوبر :

بعد فطورنا عند الحاج متين أخذنا الخيول التي تركها لنا الأستاذ رباني، وعلونا صهوتها، وأخذنا نشق طريقنا الصعب، وإلى المرتقى السامق صاعدين إلى قمة الجبل .

صلاة الظهر والعصر: ووصلنا القمة الساعة الواحدة، وصليت فوق الثلوج جمعا وقصرا، ثم بدأنا نهوي إلى أسفل الوادي .

الثلوج المتساقطة :

وفاجأنا سقوط الثلج الذي صار يتزايد تدريجيا، وكان لابد لنا أن نقطع طريقنا قبل الغروب، وقبل أن تتراكم الثلوج فوقها، مما يؤدي إلى اختفاء معالمها، وضياع السالكين عليها، وكان عباس برفقتنا مع أبي الحارث وحذيفة وإبراهيم وازداد تساقط الثلوج،

١- (أخوت النجوم: أجدبت السماء. مقاري: من قرى الضيف وإطعامه)

وأخذت معالم الطريق بالاختفاء، وكنت أدعو أن يقينا الله شر الثلج والمطر، وصار الثلج يتراكم عليّ وأنا فوق صهوة جوادي، وابتلت ملابسي، وأخذت الأرجل تبرد تدريجيا، فكان لزاما عليّ أن أترجل عن حصاني وأمشي لأتغلب بحرارة الحركة على برد الجو وزمهريره، وكانت الوديان تعترض مسيرتنا، وأحيانا تغرق أرجلنا بالوحل، وأخرى بالمياه، وهذا أمر يسير ٠

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا فأهـون مـا يمر به الوحول

وكنا نسابق الشمس حتى لا تدعنا وحدنا صيدا للظلام ونهبا للثلوج التي ستتراكم علينا فيما لو أدركنا الدجى وضاع الطريق، وكم من المجاهدين قضوا نحبهم في مثل هذه الليالي، ودعك عن قطعان الذئاب التي تنطلق في مثل هذه الظروف بحثا عن فرائسها، وطمعا في سد جوعتها، ولا نستطيع الوقوف، بل لابد من حث الخطى وجدّ السير حتى لا يتملكنا الضياع- وساق الله إلينا أفغانيا فتشبثنا به حتى يكون الهادي الخرّيت (الماهر) على هذه الجادة، وكلما سبقنا ببغله أسرعنا الخطى في أثره، حتى إذا أعيانا إدراكه نرفع صراخنا نحوه مستوقفين له -

شبح الموت :

وكانت الخواطر تتوالى على مخيلتي وكلها علامات استفهام حول المصير!! أهي النهاية المحتومة التي ساقتنا أقدارنا نحوها لنلقى حتفنا؟! أتكون المنية بين هذه الجبال؟ وكنت أردد في مخيلتي:

ما كنت أحسب أن تكون منيتي بين الثلوج على طريق مدنف

والتوجسات التي تمتلك الإنسان في مثل هذه الظروف وكأني بنداء من أعماق أعماقي يقول: إنها شهادة فلا بأس (**من وضع رجله في الركاب فاصلاً فرقصته دابته فمات، أو لدغته هامة فمات، أو مات بأي حتف مات فهو شهيد وأن له الجنة**) حديث صحيح.

﴿ **ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله** ﴾ النساء ١٠٠.

(**والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين، ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حكيم**) الحج ٥٨-٥٩.وقد جاء في الصحيح أن فضالة بن عبيد الصحابي كان في إحدى الغزوات فاستشهد أحد المجاهدين ومات آخر، فجلس فوق رأس الميت (عند رأسه في القبر)، فقال له المجاهدون: أتجلس فوق رأس الميت وتدع الشهيد؟ فقال: والله ما أبالي من أي الحفرتين بعثت، أمن هذه أم من هذه، لأن الله عز وجل يقول (**والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ٠٠٠٠**) فقد سوى الله بين القتلى والموتى ووعدهم الرزق الحسن والمدخل المرضي ٠

ولكن الذي كان يتنازعني هاجس الخوف على ابني، ووددت لو لم اصحبهما معي في السفر، وكلما سرنا مسافة نسأل المارة أما أن لهذا الطريق أن ينتهي؟ أو ليس لهذه المسيرة من حدود؟ والأجوبة تأتيك بقيت عليكم ساعتان، بقيت ساعة، وهكذا، والنفس راغبة في النجاة ٠

إذا عنانا كلال السير أوعدها روح القدوم فتحيا عند ميعاد

وقرب الغروب أشرفنا على الحدود الباكستانية، وأشرقت النفوس، وتهللت الوجوه فرحا، وهناك وفي تلك الخيام التي تشكل معسكر الانطلاق إلى الداخل دخلنا، وأخذ المجاهدون ورفقاء الطريق يهتفون بقدومنا، وبدأت النيران تلعلع في الجو استبشارا كلما قدم قادم أو حط رحله مسافر ٠

وكان الجميع تقريباً بانتظارنا، إلا أن الشيخ رباني كان قد غادر نحو جترال – المدينة الباكستانية الحدودية –، وبدأنا نلتمس نارا نجفف ثيابنا الغارقة بالمياه، وخلعنا أحذيتنا، وتحلقنا حول النيران المشتعلة، ويود أحدنا لو جلس على النار طمعا في الدفء وخلاصا من الماء الذي يغرق أجسادنا وملابسنا ٠

وفي الساعة التاسعة تقريبا جاءتنا السيارة من الشيخ رباني، وركبنا وتوجهنا نحو شترال، وبعد الواحدة تقريبا وصلنا إلى دار المجاهدين، وأوينا إلى الفراش، وطوينا بقية ليلتنا حتى الصباح، وفي ضحى اليوم التالي كان الشيخ رباني قد حفظ لنا مقعدين في سيارته (لي ولإبراهيم)، أما عبدالله أنس وأبو الحارث وحذيفة فقد ركبوا في سيارة أخرى وسبقونا على الطريق، ووصلنا بيشاور في الثاني عشر من أكتوبر١٩٨٨م (آيبون تائبون لربنا حامدون) ٠

وقفات على أعتاب الرحلة

١-لقد كان لهذه الرحلة أثراً عميقاً لم تتركه مثلها رحلة طيلة العمر، وكأني أرى الجهاد الأفغاني لأول مرة، وأقف أمام بعض عمالقته مع أنني أعيش الجهاد بنفسي وروحي وأعصابي ولساني وقلمي منذ سبع سنوات ونيف، ولقد أعطتني هذه الرحلة دفعة قوية إلى الأمام، وعدت مطمئناً الى مستقبل الجهاد وهويته وخطه ومراميه.

٢- لقد رأيت التفسير العملي الواقعي للآية الكريمة **(كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال)**.

قد يغطى الحق فترة من الزمن، وقد يغيب تحت ضجيج الإعلام حقبة، وقد يخدع جماهير الدهماء والغوغاء بالاتهامات التي تشن على البرآء، ولكن الله تكفل بإظهار الحق، لأن الحق دائما أبلج، والباطل لجلج «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون» الانبياء.

ولذا فدع الناس يتهمون، وفي طغيانهم يعمهون **(فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون)**، واشتغل بنفسك، وطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس.

وانطلق في مسيرتك تعمل وتربي وتدرب وتوجه، وتوكل على الله **(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا)**.

وأوكل أمرك الى الواحد القهار العزيز الجبار (إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل مختال فخور)

وضع نصب عينك والناس لك يكيدون، ولمصائدهم ينصبون، ولحبائلهم يلقون، قواعد وقوانين لا تتخلف أبدا:

أ- **القاعدة الأولى:** ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله، قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: إنا لنجد في التوراة: (من حفر حفرة سوء لأخيه وقع فيها)، فقال ابن عباس: وهي في القرآن **(ولا يحيق المكر السيء الا بأهله)** فاطر ٤٣.

ب- **القاعدة الثانية:** إن الحق باق ثابت منتصر، لأنه قوي يستمد قوته من الحق، والحق متناسق مع نظام الكون، لأنه خلق بالحق **(وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق)** الحجر ٨٥. **(ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل)**.

(ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) ابراهيم ٢٤-٢٧.

ج- دع الأمور إلى خالقها، وكل أمرك إليه يدافع عنك **(إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور)**، والباطل من كيد الشيطان وهو ضعيف **(إن كيد الشيطان كان ضعيفاً)**.

د- الظلم مرتعه وخيم والله ينتصر للمظلوم ويستجيب له ولو كان كافرا، كما جاء في الحديث الصحيح. **(ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور)** الحج ٦٠.

وقد كان ابن تيمية يقسم قبل معركة شقحب (٧٠٢هـ) في رمضان أن المسلمين إذا دخلوا معركة لينتصرن، فكانوا يقولون له قل إنشاء الله، فيقول: أقولها تحقيقا لا تعليقا، وكان يستشهد بهذه الآية (ذلك ومن عاقب بمثل ....).

هـ - إن الصبر والتقوى هما خير عدة على الطريق، لأنهما درع يتحصن به المؤمنون من أعدائهم **(وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط)** آل عمران.

وهما مفتاح الإحسان، وبهما يرفع الله الإنسان **(قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين)** سورة يوسف.

وبهما تستنزل ملائكة النصر من السماء **(بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين)** . قال أكثر من واحد من التابعين: هذه الخمسة آلاف من الملائكة عدة لكل عسكر صبر واحتسب وإلى يوم القيامة، ولقد ثبت في الجهاد الأفغاني أن الذين صبروا واحتسبوا وعملوا بصمت دون ضجيج ودون لعلعة كانوا سببا في إذلال روسيا بإذن الله، وأما الذين انشغلوا بتتبع عيوب الناس فقد بان زيفهم وانكشف أمرهم وعاد مديحهم ذاما.

وماذا يصنع الحاسد مع الرازق ؟ وهل يرد الحساد قدر رب العباد ؟

(يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته).

٣- إن دراسة أية قضية من بعيد لن يكون صحيحا ما لم تخض في أعماقها، وتغوص في لبها، وقضية الجهاد في أفغانستان بل كل جهاد لا بد أن تكون قيادته في خضم المعركة حتى تكون الأحكام صائبة والأوامر قابلة للتنفيذ .

وإن التدخل في أية قضية دون أن تخوض غمارها مفسدة لها مهما كانت النية خالصة في جمع الشمل، وصادقة في إصلاح ذات البين .

٤- بقدر ما تبذل على جندك الذين حولك من وقتك، وتتعب في تربيتهم وتوجيههم بقدر ماتكون النتائج طيبة، والجهود مثمرة، وكلما عايشت أتباعك ومحبيك، واحتملت أخطاءهم، وتجرعت غصص مخالفتهم لك، فإنك تزيد من حبهم لك واحترامهم لشخصك، وتضحيتهم للمبدأ الذي به تنادي، والفكر الذي إليه تدعو، وإذا غبت عنهم، وانشغلت بغيرهم -مهما كانت الأمور التي صرفت بها وقتك مهمة- فإنك تفقد ودهم تدريجيا، ويتفلتون من بين يديك شيئا فشيئا .

٥- إن هذا الدين لا يفتح أسراره لفقيه قاعد، ولا يعطي مكنوناته لإنسان جامد بارد، بل بقدر ما تعطيه يعطيك، وحسب ما تبذل له في معركتك مع الجاهلية حولك بقدر ما يكشف لك عن مخزون أسراره وأسباب انتصاره، والذين يجاهدون هم الذين يفقهون هذا الدين **(فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)** التوبة، وهذا الرأي الذي مال إليه ابن عباس رضي الله عنهما ورجحه الطبري.

فالطائفة التي تنفر هي التي تدرك أبعاد هذا الدين وتفهم أسراره وتسبر أغواره، والحق أن الجهاد ينضج النفس البشرية على حرارة الابتلاء، ويرفع درجاتها في ضرام المعركة واللأواء .

والذين يعيشون بين صفحات الكتب ورفوف المكتبات سيبقون يعيشون في أبراج عاجية معلقين في السماء، يستنبتون البذور في الهواء. والذين يتعاملون مع هذا الدين من خلال آراء يقرأونها، ومدارس يتبعونها - أقولها بصراحة- إنهم سيبقون يتعاملون مع نظريات تعيش في مخيلتهم، ليس لها تطبيق في عالم الواقع كما يتخيلون، وذلك لأن أرجلهم لاتدب على الأرض، سيبقون في مثالية سامية بعيدة عن واقع الأرض، يستعذبونها أماني وأحلاماً، ولكنهم لا يعلمون كيف ينقلونها إلى واقع الأرض أحداثاً جساماً، وذلك لأنهم لم يتكبدوا في سبيل إقرارها غصصا، ولم يتجرعوا آلاما، وهذا أمر ملموس قطعي حتى في الأمور الحسية الحياتية، فالطبيب الجراح بقدر ما يجري عمليات جراحية فإنه يصبح ماهرا بمهنته محترم بين أبناء حرفته، وموثوق لدى العام والخاص، وكذلك المهندس والمزارع، وحتى الحذّاء والنجار والحداد، فكيف بدين الله الذي قامت عليه السموات والأرض؟

٦- إن إقامة دين الله في الأرض وبناء المجتمع المسلم والدولة الإسلامية لها قانون ثابت لا يتغير، وهو القانون الذي قام به هذا الدين أول مرة على يد سيد المرسلين، وهو يمر في خطوات مرحلية مرتبة ترتيبا زمنيا ضروريا:

أ- مرحلة إعلان الدعوة من قبل رجل مؤمن بها، ممتلئ بضرورة وجودها، ويعلن التوحيد الخالص من أول خطواتها .

ب- مرحلة الحرب الكلامية الباردة، وشن حملة إعلامية من تشوية وتزوير وتنديد وتبكيت، وأما الحركة الإسلامية فإنها يجب أن تنشغل ببناء أفرادها وتكوين قاعدة صلبة منهم.

ج- مرحلة الحرب الساخنة من نفي واضطهاد وتجويع وتعذيب وسجن، وتنتهي هذه المرحلة بإعلان الجهاد، وكلمة الجهاد إذا أطلقت فإنما تعني استعمال السلاح كما قال ابن رشد، وحيثما أطلقت كلمة الجهاد فإنها تعني (قتال الكفار بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) .

والناس يقفون في الساحة متفرجين على المعركة التي تدور رحاها بين الطواغيت من جهة وبين الحركة الإسلامية من جهة أخرى، وينضم الناس تدريجيا إلى الحركة كلما حققت نصرا أو خطت خطوة إلى الأمام، وفي نهاية هذه المرحلة مع ثبات الفئة المؤمنة يتنزل النصر بالتأييد الإلهي على الفئة المؤمنة. **(إنا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)** غافر.

د- وبعد النصر يدخل الناس في دين الله أفواجا. **(إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح**

بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾ .

ولذا كان العام التاسع والعاشر للهجرة بعد فتح مكة عامي الوفود التي جاءت تعلن إسلامها بعد أن هزم الطاغوت الأكبر في المعركة، وبعد أن تحطمت أصنام هذا الطاغوت في رمضان سنة ٨هـ. ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾ .

٧- لقد وجدت من خلال الجهاد الأفغاني أنه لا يمكن لحركة إسلامية أن تنفرد وحدها في إقامة دين الله، فلابد لأية حركة إسلامية تنوي نصرة دين الله في الأرض أن تتعاون مع كل الحركات الأخرى، ولا تبخسها حقها، ولا تعتبر نفسها الوارث الشرعي الوحيد لدين الله، وتعلن في العالمين كما أعلن أهل الكتاب من قبل. ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق﴾، ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾.

٨- وأدركت من خلال التعايش مع الجهاد أن كل حركة إسلامية إنما تكون جدولاً صغيراً أو كبيراً يصب في نهر الإسلام العظيم، وأن أية محاولة لتحطيم حركة إسلامية إنما يعني تجفيف جدول من الجداول التي ترفد النهر الإسلامي، وبالتالي إضعاف للإسلام ذاته، ونكون قد حاولنا في إيذاء مبدئنا أو قتله كذاك الدب الذي قتل صاحبه وهو نائم لأنه ضرب ذبابة حطت على وجهه وهو نائم بحجر ضخم أودت بالذبابة وبصاحبه .

٩- ولابد لتحقيق المبدأ السابق أن نكف ألسنتنا عن مهاجمة الحركات، ولابد من الانشغال بنشر جوانبها الإيجابية دون التركيز على الجوانب السلبية فيها .

وما أعمق نظرة حسن البنا وهو يوصي أتباعه (تجنب تجريح الهيئات والأشخاص)، ولزيادة المحبة وتعميق الأواصر بين الحركات لابد من ذكر حسناتهم، والكف عن سيئاتهم، فهذا مما يورث المحبة، ويعمق المودة، ويبعد نزغ الشيطان بينهم. ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم ...﴾ الإسراء:٥٣. ﴿ وقولوا للناس حسناً﴾.

١٠-هنالك قادة ومجاهدون شاركونا هذه الرحلة، أو التقينا بهم فوق أرضهم التي فرشت بالحديد، وغسلت بالنجيع، ومن هؤلاء الذين لازالت بعض كلماتهم ترن في أذني أو تسري مع عروقي ..

الأستاذ رباني : الذي رأيت فيه مثال الدماثة والأدب واللطف والاحترام لصاحبه في السفر، فقد كان لا يجلس إلا ويدع بجانبه مكاناً لي ولابني الصغير إبراهيم، ورأيت فيه جلداً وعزيمة لا تبدو عليه لأول وهلة، ولقد كان سباقا في تسلق الجبال وتحمل المشاق .

الأخ أحمد شاه مسعود : ولقد أعجبني فيه التواضع وقلة الكلام، فماكان يتقدم على الأستاذ رباني ولا عليّ سواء كان راجلا أو راكبا، وأما إذا دخل المجلس فإنه يجلس حيث ينتهي به المجلس، ولقد استقبل رباني كجندي من جنوده، أو تلميذ من تلاميذه، وزاد إعجابي به عندما علمت أنه خطب ابنة حارس فقير من حراسه (تاج الدين)، بينما تتمنى كل فتاة في أفغانستان أن تكون صاحبة الحظوه بهذا الشرف العظيم والمجد الرفيع.

والأستاذ أرينبور: بقية من السلف في زهده وتواضعه وإخباته وأدبه، كنت أتمنى أن أسمعه، ولكنه كان يؤثر الصمت دائمـا إلا إذا سـئل، وسألته ذات مرة عن سر صمته فقال (ما كان لي أن أتكلم في حضرة الشيخ عبدالله عزام)!!

والذي لا يعرفه يظنه أحد الخدم الذين يقومون بخدمة الضيوف، وقال لي: كنت أريد أن آتي إلى باكستان لأراك، فالحمد لله لقد كفيتني هذا الهم .

والأخ أمير مجاهد (أمير تخار) : الذي يمثل العزة الشامخة مع الأدب الجم رغم أنه أصيب في رجله .

والقائد مسلم : وعلى صغر سنه فهو محبب إلى القلوب، قريب إلى النفوس، وله في ميدان القتال صولات وجولات يعرفها كل من عايشه، وتنبئك الآليات المدمرة على باب قريته (جنكلك) عن شجاعته وبطولته .

والأخ سايف رئيس الاطلاعات: أعجبني احترامه للناس، وأدبه في التعامل، ودماثة الخلق، وإيجابيته في التعامل مع رفقاء الطريق .

والأخ چكري : ويعجبني وفاؤه لإخوانه وأصدقائه .

وسيد أكبر – مجاهد كوتل – الذي ناء بحمل كثير من تكاليف الرحلة.

والنجنير عتيق الله: وأعجبني أدبه وحياؤه، وعلوّ همته ورفعة اهتمامه.

والدكتور نجيب: رئيس اللجنة السياسية، فقد لمست فيه حياء وورعاً وأدباً والتزاماً خلقياً إسلامياً .

وسارنوال محمود (أمير بنجشير): وقد سمعت عنه كثيرا من الخير، وما رأيت منه إلا الخير .

وشاه محمد – أمير طالقان –: فهو على علمه مثال التواضع وقمة الأخلاق .

والدكتور صالح الليبي الذي لا تزيدني الأيام إلا محبة له وثقة به .

وأبو الشهيد اليماني: الذي ودعني قائلاً (إنك لأحب إليّ من نفسي وأهلي)، فأحبه الله الذي أحببني فيه، وأبتهل إلى الله أن يجعلنا خيراً مما يظنون وأن يغفر لنا ما لا يعلمون، وكذلك الإخوة الآخرون الذين رافقوا أبا الشهيد في ملاقاتي .. منهم أبو ذر، وسيد جمال (آغا وليد) أعجبني فيه تواضعه وأدبه، ورجولته وشجاعته، وأخوه سيد ميرزا: الذي ناولني الكلاكوف الذي يحمله هدية لي وأصر أن آخذه فرفضت .

د. تارشي، ورحمة الله من فارياب: أعجبني أدب الأول وصفاء الثاني .

وأما عبدالله أنس وأبو الحارث : فقد كانا اليد والرجل والعين والأذن .

وما من أخ شاركنا المسيرة إلا وترك في نفسي أثراً مهما قل أو كثر، وأعتذر للإخوة الذين نسيت أسماءهم أو غابت عني أشخاصهم.

خاتمـــــة

وفي الختام أهدي الشعب الأفغاني بشرى رسول الله ﷺ:

(**إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه كلها، فقعد له في طريق الإسلام فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك؟! فعصاه فأسلم. ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول(الحبل) ؟! فعصاه فهاجر. ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: تجاهد فهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال؟! فعصاه فجاهد. فمن فعل ذلك كان حقا على الله أن يدخله الجنة، وإن قتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة، وإن وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة**) [1]

فمن آمن وهاجر وجاهد كان حقا على الله أن يدخله الجنة، وفي النظم الكريم **(إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم)** البقرة ٢١٨.

والبشرى الثانية من رسول الله ﷺ**(أنا زعيم[2] لم آمن بي وأسلم وهاجر ببيت في ربض الجنة، وببيت في وسط الجنة، وببيت في أعلى غرف الجنة، وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة، وببيت في وسط الجنة، وببيت في أعلى غرف الجنة، فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطلبا، ولا من الشر مهرباً، يموت حيث شاء أن يموت)**. فهنيئا لمن آمن وهاجر وجاهد *.

١- حديث صحيح رواه أحمد والنسائي وابن حبان عن سمرة.

٢- زعيم: كفيل، ربض الجنة: أدناها، لم يدع للخير مطلباً ولا من الشر مهرباً: أي فعل كل وجوه البر وترك كل وجوه الشر. يموت حيث يموت: له الجنة حيث مات.

* ملاحظة: حذف من هذا موضوع (رسالة إلى أحمد شاه مسعود) لتكراره في مجلد (كلمات من خط النار الأول) من الموسوعة.

ملاحظة: هذا الكتاب (شهر بين العمالقة) رحلة الإمام الشهيد عبدالله عزام إلى شمال أفغانستان بصحبة الشيخ برهان الدين رباني بتاريخ ١٩٨٨/٩/٨م.

وقد كان لهذه الرحلة الأثر العظيم في نفس الشيخ إذ طاف فيها بنفسه على الولايات الشمالية البعيدة التي كان يسمع بها ويأخذ تقارير أخبارها من الإخوة العرب الذي عاشوا فيها، فمن خلال هذه الرحلة تعرف بنفسه على تلك المناطق وطوف بين التنظيمات الجهادية وبين قادة الجبهات وتعرف على أحوالهم، وأدرك من خلال رحلته أن هذا الجهاد على خير وقوة، وعاد مطمئناً على نتائجه ونهايته، فالكتاب عبارة عن قصص وأخبار وروايات وأحداث سمعها ورآها بنفسه هناك ثم نتائج هذه الرحلة الشيقة.

وكان على أمل أن يخرج هذا الكتاب في حينه إلا أن بعض العقبات حالت دون ذلك وقد أشرنا إلى بعضها في مقدمة الكتاب، راجين من الله القبول وحسن الخاتمة (الناشر)

فهرسة المجلد الثاني من الموسوعة

مجلد في خضم المعركة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

كتاب عشاق الحور

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

كتاب حاضر العالم الاسلامي

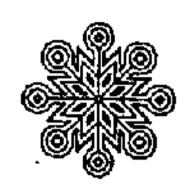
الموضوع	الصفحة

شهر بين العمالقة

الموضوع	الصفحة

(رحلة الشيخ عبدالله إلى الشمال)

الفهرس



صور الشهداء

الشهيد أبو دجانة

الشهيد محمد فاروق



الشهيد هاني (أبو زهير)

الشهيد أبو عبد الحق

الشهيد عبد القادر بلعراجب



الشهيد عبد الصمد

الشهيد علي اجوهري

الشهيد أبو دجانة اليماني



الشهيد أبو جندل الفلسطيني

الشهيد أبو الحسن السوري

الشهيد ابو الدرداء



الشهيد عبد الله الذهب

صور الشهداء



الشهيد أبو حمزة

الشهيد موحد

الشهيد أبو عبد الله المآربي

الشهيد حمدي البنا
عبد الرحمن عبد الله البنا

الشهيد أبو عثمان

الشهيد هشام الديلمي

الشهيد عبد المنان

الشهيد أبو عبد الله الجزائري

الشهيد أحمد الزهراني

الشهيد [illegible]

الشهيد أبو الحارث اليماني

الشهيد أبو حذيفه الأردني

الشهيد حسن [illegible]

الشهيد أبو محمد [illegible]

الشهيد أبو [illegible]

صور الشهداء



الشهيد نور الحق

الشهيد أبو عاصم الصنعاني

الشهيد شفيق المدني

الشهيد أبو طارق اليمني

الشهيد أحمد التونسي

الشهيد ناصر الجزائري

الشهيد أبو أحمد الجزائري

الشهيد أبو حفص

الشهيد أبو عاصم بجانب مدرعة غنمها المجاهدون في بنجشير

الشهيد أبو بدر العربي

الشهيد [illegible] حيجة

الشهيد حبيب محمد الشارقي

صور الشهداء



الشهيد صديق المصري

الشهيد أبو جهاد

لقطة من دم الشهيد التي كانت تنزف بغزارة بعد (٢٤١) ساعة من استشهاده الشهيد يحيى سنبور

الشهيد أبو اليسر

الشهيد حمزة

الشهيد أبو مسلم الصنعاني

الشهيد منصور الشهيد

الشهيد أبو عقبة التونسي
أبو عقبة (محمد بن إبراهيم)

الشهيد أبو قتيبة على نهر جيحون

الشهيد أبو بدر الحربي

الشهيد ياسر أبو النور

الشهيد سيد خليفة

صور الشهداء



الشهيد عبد الرحمن المصري في موقع للمجاهدين بمنطقة جاجي

الشهيد مرزوق الجزائري

الشهيد سبع الليل

الشهيد ياسين الجزائري

الشهيد أبو الطيب المغربي

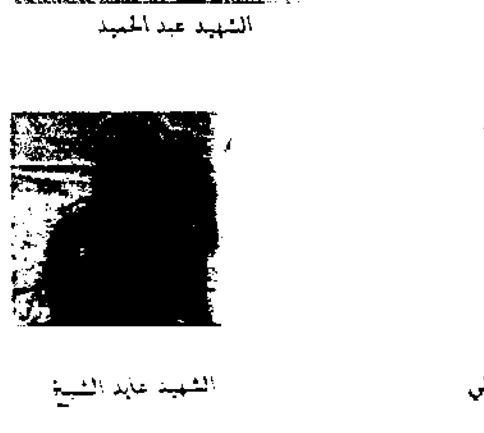
الشهيد عبد الله المصري



الشهيد أبو عاصم قبيل دفنه

الشهيد جمال الدين الجزائري

الشهيد عبد الحميد





الشهيد أبو حسام السوري

الشهيد المهندس شمس الدين الأفغاني

الشهيد عابد الشيخ

صور الشهداء



الشهيد أبو جعفر الشامي رحمه الله — الشهيد خالد الزبير يسوق الأسرى الشيوعيين — الشهيد يحيى مخضباً بدمائه

الشهيد يحيى سنبور واقفاً مع سلاحه — الشهيد ضرار الشيشاني — الشهيد صفي الله أفضلي

الشهيد الدكتور صالح الليبي — الشهيد عبد الجبار — الشهيد الشيخ تميم داخل أفغانستان